التوحيد - المستوى الأول
الشيخ/ محمد حسان

الدرس الأول

تقديم للكتاب – أهمية العلم والعمل به

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلى وسلم، وزد وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأحبابه، وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلا، وأسأل الله جلّ وعلا الذي جمعنا في هذا الوقت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته، إنه ولي ذلك ومولاه .

ويسعدني كثيراً أن نفتتح في هذا اليوم المبارك الأكاديمية العلمية، بهذا اللقاء الطيب والذي أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعله بداية مباركة مسددة موفقة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونشرفُ أن نشرح لإخواننا هذا الكتاب الصغير في حجمه، العظيم في نفعه ألا وهو كتاب الأصول الثلاثة، ومن الفقه قبل أن نشرع بإذن الله تعالى في شرح الكتاب، أن نصف الكتاب وصفاً عاماً؛ ليأخذ طالب العلم فكرة عن الكتاب الذي سيتولى دراسته بإذن الله تعالى .

الكتاب أيها الأفاضل، يُلاحظ أن المصنف رحمه الله تعالى لم يبدأ مباشرة بالحديث عن الأصول الثلاثة التي جعلها الشيخ عنواناً لكتابه هذا، وإنما قدم بين يدي الأصول الثلاثة بمقدمة شاملة جامعة تشتمل على ثلاثة موضوعات من الموضوعات المهمة جداً.

أما الموضوع الأول: بدأه المصنف رحمه الله بقوله (اعلم –رحمك الله– أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

الأولى : هي العلم، وهي معرفة الله –تبارك وتعالى– ومعرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ومعرفة دين الإسلام.

المسألة الثانية : العمل به) أي العمل بالعلم .

(المسألة الثالثة : الدعوة إليه

المسألة الرابعة : الصبر على الأذى فيه) وسأذكر الأدلة –إن شاء الله تعالى– مفصلة مع الشرح .

هذا هو الموضوع الأول الذي ضمنه الشيخ مقدمته الجامعة، ثم بدأ الموضوع الثاني في مقدمته بقوله: (اعلم– رحمك الله– أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه المسائل الثلاث، والعمل بهن) هذا موضوع آخر .

(المسألة الأولى : أن الله –تعالى– خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملا، وأرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار) هذه قواعد كلية جميلة .

(المسألة الثانية : أن الله –تعالى– لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل).

(المسألة الثالثة : أن من أطاع الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ووحد الله –تعالى– لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب).

هذا هو الموضوع الثاني الذي ذكره الشيخ –رحمه الله تعالى– في مقدمته الجامعة الماتعة.

أما الموضوع الثالث الذي ذكره الشيخ في المقدمة بين يدي الأصول قال: (اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم: هي أن تعبد الله وحده لا شريك له، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها.)

هذه هي الموضوعات الثلاثة التي ذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى– بين يدي الحديث عن الأصول الثلاثة .

ثم شرع بعد ذلك في الحديث عن الأصول فقال: (فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه –جلّ وعلا– ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–) .

ثم ختم المصنف –رحمه الله تعالى– كتابه هذا ببعض قضايا الإيمان باليوم الآخر: كالإيمان بالبعث والحساب، هذا وصف مجمل عام للكتاب الذي بين أيدينا، وكما ذكرت –أيها الأحبة– الكتاب مع صغر حجمه، فهو لا يتجاوز خمس ورقات، مع صغر حجمه إلا أنه عظيم الفائدة، بل لا أبالغ أبداً إن قلت بأن الكتاب مع هذه المقدمات التي ذكرها الشيخ –رحمه الله– بين يدي الأصول الثلاثة يشتمل على الدين كله بدون مبالغة، كما سنتولى ذلك بالشرح والتفصيل –إن شاء الله تعالى– .

قال المصنف –رحمه الله:– (بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم –رحمك الله– أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

الأولى : العلم ، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية : العمل به.

الثالثة : الدعوة إليه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه)

نعم إذاً استهل المصنف –رحمه الله تعالى– كتابه بالبسملة، فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالقرآن الكريم، فلقد بدأت كل سور القرآن الكريم بالبسملة باستثناء سورة براءة، واقتداء بالنبي –صلى الله عليه وسلم– فمن الثابت أنه –صلى الله عليه وسلم– كان يبدأ كتبه بالبسملة، ففي صحيح البخاري (أنه –صلى الله عليه وسلم– أرسل كتاباً إلى هرقل، قال فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين .... إلخ) إلى آخر كتابه المبارك –صلى الله عليه وسلم– .

الشاهد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بدأ كتابه هذا بالبسملة، فالمصنف -رحمه الله تعالى- اقتداء بالقرآن الكريم، واقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بدأ كتابه القيم المبارك هذا أيضاً بالبسملة .

والبسملة -أيها الأحبة- الحديث فيها طويل جليل، ستعجب إذا علمت أن الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- في الجامع لأحكام القرآن الكريم، قد ذكر في البسملة، سبعاً وعشرين مسألة، في البسملة فقط ذكر فيها سبعاً وعشرين مسألة (بسم الله) أي أبدأ تصنيفي، وأبدأ عملي هذا، وأبدأ كتابي هذا (بسم الله) أبدأ عملي، وتصنيفي، وكتابي هذا بسم الله، وما أعظمها وأكرمها وأشرفها من بداية، ولقد حث الشرع الحنيف، وندب إلى ذكر اسم الله -تبارك وتعالى- مع كل فعل من الأفعال كالأكل، والشرب، والنوم، والركوب، والجماع، وغير ذلك من الأعمال قال الله -تبارك وتعالى:- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[الأنعام:١١٨] .

وقال -تعالى:- ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ [هود:٤١] .

وفى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أغلق إناءك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله) فاذكر اسم الله -تبارك وتعالى- على كل شيء اذكر اسم الله -عز وجل- على كل شيء .

وفى الصحيحين -أيضاً- من حديث عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) .

إذاً البدء -أيها الأحبة- باسم الله في كل شيء بركة، نحتاج إليها في زمن جفت فيه ينابيع البركة، نحتاج إلى أن نبدأ بالبسملة في كل فعل وعمل من الأعمال في زمن الماديات، والشهوات، فما أبركها وأشرفها وأعظمها من بداية أن تبدأ القول باسم الله، وأن تبدأ الفعل والعمل باسم الله .

قال الله -جلّ وعلا-: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] .

فإننا في زمان الماديات والشهوات، أسقط كثير من الناس من قواميس حياتهم مفهوم البركة، ومعنى البركة، وإنها -والله- لنعمة من نعم الله -تبارك وتعالى- يمتن الله -عز وجل- بها على من يشاء من عباده: أن يبارك الله -عز وجل- في وقته، وفى عمره، وفى قوله، وفى فعله، وفى نومه، وفى طعامه، وفى شرابه، فإذا أردت أن يبارك الله لك، وأن يبارك الله عليك، فعليك أن تبدأ قولك وعملك باسم الله ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

بسم الله، الله لفظ الجلالة هو الاسم المفرد العلم، الدال على كل الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ لذا كل الأسماء الحسنى تنسب إليه فأنت تقول: الملك، والقدوس، والسلام، والمؤمن، والمهمين، والعزيز، والجبار، إلى غير ذلك من أسماء الجلال، كل هذه الأسماء من أسماء الله، ولا تقول: الله من أسماء القدوس، ولا تقول: الله من أسماء المؤمن، ولا تقول: الله من أسماء الملك، فكل الأسماء الحسنى تنسب إليه، فهو الاسم المفرد العلم الدال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى .

والصحيح كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أنه مشتق من الإله، والإله هو المعبود الذي يستحق أن يفرد وحده بالعبادة والألوهية .

بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن الرحيم قال ابن عباس : الرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة .

وقال عبد الله بن المبارك: الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يسأل يغضب.

والذي أود أن أؤكد عليه دون الدخول في تفصيلات للفرق بين اسم الرحمن والرحيم، الذي أود أن أؤكد عليه أن الاسمين الجليلين يثبتان صفة الرحمة لله –تبارك وتعالى– ونحن نثبت لله جلّ وعلا ما أثبته لذاته من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وما أثبته له أعرف الخلق به عبده ورسوله محمد –صلى الله عليه وسلم–، ونؤمن بهذه الأسماء والصفات من غير تحريف لألفاظها، ومن غير تحريف لمعانيها، ومن غير تعطيل، أو تشبيه، أو تمثيل .

قال الله جلّ وعلا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] الله أثبت لنفسه صفة الرحمة، فالمثبت له صفة الرحمة بما يليق بجلاله وكماله، أثبت لنفسه صفة الغضب، أثبت لنفسه صفة التعجب، أثبت لنفسه صفة النزول، إلى آخر الصفات الجليلة الكريمة، فنحن نؤمن بهذه الأسماء، ونؤمن بهذه الصفات دون أي تعطيل، لا للاسم، ولا للصفة، قال –جلّ وعلا:– ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] .

قال –جلّ وعلا:– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]

قال –جلّ وعلا:– ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:١] أحد في ذاته، أحد في صفاته، أحد في أسمائه، أحد في أفعاله، لا ند له، ولا والد له، ولا ولد له، ولا كُفُأ له، ولا شبيه له، ولا زوج له، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فالاسمان الجليلان يثبتان صفة الرحمة لله –تبارك وتعالى– وهي من أعظم وأجل صفات الله –جلّ وعلا– قال –تعالى:– ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] .

قال –تعالى:– ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[الأعراف: ١٥٦] وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن الله –تعالى– كتب في كتاب عنده، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي) وفى لفظ (سبقت غضبي) يا له من فضل فالرحمة صفة من أرق وأجمل صفات الله –تبارك وتعالى– ومن جميل ما قرأت في هذا الباب ما رواه البخاري، وغيره من حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– رأي امرأة من السبي تبحث عن ولدها، فلما رأت الأم ولدها؛ ألصقته ببطنها، وأرضعته؛ فتأثر النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذا المشهد الرقراق من مشاهد الرحمة والرقة، فسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه، وقال:(أترون هذه الأم طارحة ولدها في النار ؟) قالوا: لا، يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : (لله أرحم بعباده من رحمة الأم بولدها) الله، (لله أرحم بعباده من رحمة الأم بولده) ورحمة الأم بولدها لا يستطيع بليغ أن يجسدها، أو أن يعبر عنها؛ لذا قال أحد الصالحين يوماً: اللهم إنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي، وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي، وأن أمي لا ترضى لي الهلاك والعذاب، أفترضاه لي أنت، وأنت أرحم الراحمين ؟

فما أقبل عبد على الله –تبارك وتعالى– إلا وفرح الله –عز وجل– بإقباله وتوبته وأوبته؟، لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه راحلته، وعليها طعامه وشرابه؛ فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد آيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ به يرى راحلته قائمة عند رأسه فقال : اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة، حتى يضع رب العزة عليه

كنفه) والكنف في اللغة: الستر، والرحمة، فلسنا ممن يؤول صفة (حتى يضع رب العزة عليه كنفه، ويقرره بذنوبه، فيقول الرب للعبد: لقد فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا) أي من الذنوب والمعاصي (فيقول العبد المؤمن: رب أعرف، رب أعرف، فيقول الله –جلّ وعلا:– ولكني سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم) والحديث عن الرحمة حديث طويل جليل جميل، لكن الذي أود أن أؤصله، وأؤكد عليه: أن الاسمين الجليلين الرحمن الرحيم يثبتان صفة الرحمة لله –تبارك وتعالى– ونحن نثبت لله ما أثبته لذاته من أسماء الجلال، وصفات الكمال من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، قال –جل جلاله:– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

أعد علي مرة أخرى قول المصنف –رحمه الله تعالى– بعد المسألة .

قال المصنف: (اعلم –رحمك الله– أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :
الأولى : العلم وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم–) حسبك.

قال المصنف –رحمه الله تعالى:– (اعلم –رحمك الله–) ما أجملها من بداية، انظر إلى شفقة المصنف، انظر إلى رقته ورحمته، بمن يدعوهم إلى الله –تبارك وتعالى– (اعلم –رحمك الله–) بداية يستثير بها الاهتمام، بداية يستجيش بها العواطف، بداية يحرك بها الوجدان (اعلم –رحمك الله–) أي جعلك الله أهلاً لرحمته وفضله، وأود أن أقف هنا لحظات؛ لأذكر طلبة العلم، والدعاة إلى الله –تبارك وتعالى– أن يبدأوا دعوتهم مع المكلفين، ومع المخلوقين، ومع الناس برحمة، برقة، شتان شتان بين أن تبدأ الحديث مع مكلف أو مدعو بقولك: اعلم –رحمك الله–بابتسامة مشرقة، وبين قولك كذا كذا، أو يجب عليك كذا، أو افعل كذا بغلظة وقسوة، محال، محال أن تستحوذ على قلبه، لكن افتح قلبه بكلمة رقيقة، افتح قلبه بابتسامة مشرقة، فكثير من إخواننا الدعاة وطلبة العلم يظنون أن الأسنان عورة، لا يجب عليهم أن يكشفوا عنها، لا– يا أخي– أظهر بياض أسنانك لإخوانك ممن تبلغهم دين الله –تبارك وتعالى– قال الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وأود من طلابنا أن يفرقوا بين مقامين في غاية الأهمية: بين مقام الدعوة إلى الله، ومقام الجهاد؛ لأنني أرى خلطاً رهيباً بين مقام الدعوة والجهاد، فمقام الجهاد غلظة ورجولة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:٧٣] لكنك في مقام الدعوة لست في مقام جهاد، وإنما في مقام دعوة، مقام الدعوة الرحمة، مقام الدعوة الحكمة، مقام الدعوة اللين، وهذا المنهج الدعوي –أيها الأحبة– منهج توقيفي، لم يدعه ربنا –تبارك وتعالى– لنبي من الأنبياء، ولا لرسول من الرسل، فضلاً عن داعية من الدعاة، وإنما هو منهج توقيفي لا يختلف باختلاف الزمان والمكان، إن كنت في دعوة فعليك أن تكون رحيماً رقيقً مهذباً مؤدباً، عليك أن تعلم أنك تخاطب خلقاً، تخاطب بشراً، تخاطب نفوساً بشرية فيها الإقبال والإحجام، فيها الخير والشر، فيها الحلال والحرام، فيها الطاعة والمعصية، فيها الفجور والتقوى، فيها الإقبال والإدبار، فعليك أن تكون ملماً بمفاتيح هذه النفس البشرية؛ لتسبر أغوارها، ولتتغلغل إلى أعماقها، محال أن تدخل قلب من تدعوه إلى الله، وأن تبلغه عن الله وعن رسوله إلا برحمة، وإلا برقة، إلا إذا قلت له: اعلم رحمك الله، اعلم رحمك الله، فما أرقها من بداية! وما أجملها من بداية! فمقام الدعوة ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] الحكمة: ليست كلمة يرددها داعية أو عالم، هكذا .

قال ابن القيم رحمه الله : الحكمة هي فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وأركانها العلم، والحلم، والأناة، وآفاتها، وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة.

أكرر تعريف الحكمة : الحكمة هي فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وأركانها: العلم، والحلم، والأناة، وآفاتها، وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] ولاحظ أن الله وصف الموعظة بقوله الحسنة، ولم يذكر الحكمة بالحسنة؛ لأن الحكمة الحسن أصل فيها، ووصف ذاتي لها، لا يمكن أبداً أن توصف الحكمة بغير الحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وقال الله لنبيين كريمين هما موسى وهارون –على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام:– ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[طه: ٤٣–٤٤] قال قتادة: سبحانك ربي ما أحلمك، تأمر موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً ليناً، إن كان هذا حلمك بفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، فكيف يكون حلمك بعبد قال: سبحان ربي الأعلى، فما أفقه المصنف! وما أرق قلبه! وما أرحمه! بمن يدعوهم إلى الله –تبارك وتعالى– حين بدأ بهذه الكلمات الرقيقة، التي لا تزيد على ثلاث كلمات: اعلم –رحمك الله–إنها كلمات تستثير الانتباه، وتستثير الاهتمام، وتستجيش العواطف، وتحرك الوجدان، إذا قلت لك اعلم –رحمك الله–أصغيت لي سمعك، وانتبهت، اعلم –جعلك الله أهلاً لرحمته، وأهلاً لفضله وبركته– اعلم أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

الواجب، نعرف الواجب عند علماء الأصول، الواجب: هو ما أُمر به أمراً جازماً، وضابطه أن فاعله موعود بالثواب، وأن تاركه متوَعد بالعقاب، أكرر الواجب عند علماء الأصول: هو ما أُمر به أمراً جازماً، انتبهوا هو ما أُمر به أمراً جازماً، هذا هو تعريف الواجب عند علماء الأصول، وضابطه أن فاعله موعود بالثواب، وأن تاركه متوَعد بالعقاب .

عرف الشيخ –رحمه الله تعالى– العلم، فقال: (العلم) كما سأبين الآن (هو معرفة الله –عز وجل– ومعرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ومعرفة دين الإسلام بالأدلة) وهناك من أهل العلم من عرف العلم بقوله: العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته، أو على صورته إدراكاً جازماً، ومن باب الأمانة العلمية –أيضاً– فهناك من أهل العلم من فرق بين العلم، والإدراك، والمعرفة. ولا يتسع الوقت لذكر هذه التفصيلات الآن، فهناك من أهل العلم من فرق بين العلم، والإدراك، والمعرفة، المهم أن الشيخ اختار للعلم تعريفاً فقال: (هو معرفة الله، ومعرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ومعرفة دين الإسلام) .

(اعلم أنه يجب علينا) لاحظ أن الشيخ هنا لا يقصد أبداً الواجب الذي هو بمرتبة أدنى من الفرض عند أبي حنيفة –رحمه الله– وإنما يقصد تماماً الواجب الذي هو بمعنى الفرض، فالواجب: هو الفرض عند الإمام مالك، وعند الإمام الشافعي، وهو القول الصحيح الثابت عن الإمام أحمد، الفرض: هو الواجب. خالف أبو حنيفة –رحمه الله– الجمهور ففرق بين الفرض والواجب، لكن المصنف هنا يقصد الواجب الذي هو بمعنى الفرض، ففرض على كل مكلف أن يعرف ربه، وأن يعرف نبيه –صلى الله عليه وسلم– وأن يعرف دينه الذي هو الإسلام، فرض على كل مكلف أن يعرف التوحيد، أن يعرف الصلاة، وأن يتعرف على الصيام إن كان من أهل الصيام، وأن يتعرف على ركن الزكاة إن كان من أهل الزكاة، وأن يتعرف على الحج إن كان ممن يستطيع الحج.

فالشيخ يقصد هنا بالواجب: الواجب الذي هو بمعنى الفرض، وهو قول الأئمة مالك، والشافعي، وأحمد رحم الله الجميع .

(اعلم –رحمك الله–أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

المسألةُ الأولى) أو المسألةِ الأولى واللغتان صحيحتان .

(المسألةُ الأولى : العلم) وعرف الشيخ العلم بقوله: (هو معرفة الله، ومعرفة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

أخي، الحديث عن العلم حديث جميل، ويحتاج لا أقول إلى حلقة واحدة، بل إلى حلقات، فما أمر الله -جلّ وعلا- نبيه -صلى الله عليه وسلم- بطلب الازدياد من شيء في هذه الدنيا إلا العلم فقال -جلّ وعلا:- ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طـــه: ١١٤] .

فالعلم: هو الأنيس في الوحدة، وهو الأنيس في الغربة، وهو المحدث في الخلوة، به يعرف الله ويوحد، ويعبد ويحمد ويمجد، لا يمنحه الله -تبارك وتعالى- إلا للسعداء، ولا يحرم منه إلا الأشقياء، ولقد استمعنا بل واغرورقت عيني بالدموع؛ لهذه الكلمات الرقراقة الجميلة لشيخنا سماحة الوالد عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- في بداية الحلقة، وهو يذكرنا بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين من حديث معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فقال الشيخ: فمن لم يتفقه في الدين ما أراد الله به خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فمن أراد الله به الخير علمه، وفقهه في دين الله -تبارك وتعالى-.

الناس من جهة الأصل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشابهة وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

نعم، لا حياة إلا بالعلم، فالعلم حياة القلوب من مرض الشبهات، وحياة الأبدان من مرض الشهوات، والعلم نور العقول، وزاد للمسلم الذي يريد الوصول إلى الله -تبارك وتعالى- .

وما دام الناس على علم فهم في هدى، وعلى خير، فإذا قبض العلم بقبض العلماء، وقع الناس في الضنك، والضلال، والشقاق، رفع الله قدر العلم وأهله، رفع الله قدر العلم، وأعلى الله -عز وجل- شأن أهل العلم كذلك فقال -سبحانه وتعالى:- ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١] .

استمعنا في أول اللقاء لقول الله -تعالى:- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٩] بل من أرق الآيات التي يشهد الله -تبارك وتعالى- بها لأهل العلم أن أول من شهد لله بالوحدانية هو الله، لاحظوا هذه اللطيفة الرقيقة، ثم ثنى بملائكته، ثم ثلث بأهل العلم، فقال -جلّ جلاله:- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذاً أول من شهد لله بالوحدانية هو الله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ أي وكذا الملائكة شهدت لله بالوحدانية -جلّ وعلا- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ أي وكذلك شهد أولو العلم بالوحدانية لله -تبارك وتعالى- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] .

وتدبروا معي هذا الحديث الجميل الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله -تعالى- لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالم) وفى لفظ (حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) وفى لفظ (روءساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا، وأضلوا) مصيبة كبرى أن يتجرأ على الفتوى الآن

كثير من الجهلاء، ممن لا يحسنون أن يفرقوا بين الدليل، ومراتب الدليل، ومناطات الدليل، ممن لا يحسنون أن يفرقوا بين المجمل، والمبين، والعام، والخاص، والناسخ، والمنسوخ (إن الله –تعالى– لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس) أبداً (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا، وأضلوا).

لذا كان نبينا –صلى الله عليه وسلم– شديد الحفاوة بالعلم، وشديد الحفاوة بطلاب العلم، ففي مسند الإمام أحمد، ومعجم الطبراني بسند جيد من حديث صفوان بن عسال المرادي –رضي الله عنه– قال: أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت– والقائل صفوان– قلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم قال:(مرحب) قال: (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً، حتى يبلغوا السماء الدنيا؛ من محبتهم لما يطلب) انظر كم فرط الناس في هذا الفضل، وانشغل كثير من الناس عن هذا الخير، فقد يعد أحدنا لمشروع تجاري، أو اقتصادي أكثر من دراسة جدوى، هذا أمر جميل، أنا لا أقلل من شأنه أبداً، فالأمة يجب عليها أن تبدع في كل مجالات الحياة، وأن تأخذ بالأسباب فهي أمة السببية، هي أمة الأخذ بالأسباب، وعلمها نبينا –صلى الله عليه وسلم– التوكل في كل شيء، والتوكل هو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب .

أنا لا أقلل من شأن هذا، لكن الذي يدمي القلب أن يعد أحدنا لمشروع تجاري أكثر من دراسة جدوى، في الوقت الذي لا يفكر أن يمنح لنفسه ساعة؛ ليتعلم فيها عن الله –جلّ وعلا– وعن رسوله –صلى الله عليه وسلم– ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧] وقال –جلّ جلاله:– ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦] فهو يعلم ظاهراً من الحياة، لكن لا يعلم شيئاً عن الله، ولا يعلم شيئاً عن أسماء جلاله، ولا عن صفات كماله، ولا يعلم شيئاً عن نبيه –صلى الله عليه وسلم– ولا يعلم شيئاً عن دين الإسلام، لا عن الإسلام، ولا عن الإيمان، ولا عن الإحسان، ولا عن أركان الإيمان، لا يعلم شيئاً عن هذا، وربما تراه قد حصل شهادة الدكتوراه في هذا الجانب أو ذاك من جوانب العلم المادي، لا نقلل من شأن هذا، لكن يجب على كل مكلف أن يتعلم عن الله، وأن يتعلم عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فروض الأعيان التي لا يصح أبداً لمكلف أن يجهلها .

الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

أي أجسام الجهلاء قبور للجهلاء قبل أن ينزلوا إلى القبور .

الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم قبل النشور نشور

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يرحب بطلاب العلم، (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضها بعضا، حتى يبلغوا السماء الدنيا؛ من محبتهم لما يطلب) ومن جميل ما قرأت في هذا الباب ما رواه الترمذي، وابن ماجة، والنسائي وغيرهم بسند حسن بشواهده، من حديث أبي الدرداء –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهل الله له طريقاً إلى الجنة) وهذا له أصل في صحيح مسلم، هذه الفقرة (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضاً بما يصنع) انتبه (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه، أخذ بحظ وافر) .

وفى سنن الترمذي بسند حسن من حديث أبي أمامة الباهلي –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ذكر له رجلان أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال –صلى الله عليه وسلم:– (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) انظر إلى فضل العلم؛ لتكون صاحب همة عالية في الطلب .

فمن يتهيب صعود الجبال يعيش أبدا الدهر بين الحفر
ولم أرَ في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

ما أكثر الأوقات التي نضيعها، ذكر للنبي –صلى الله عليه وسلم– رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال –صلى الله عليه وسلم:– (فضل العالم على العابد كفضلي) أي كفضل النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– (على أدناكم) ويا له من فضل لا يعرف هذا الفضل إلا الله، (كفضلي على أدناكم) وفى صحيح مسلم من حديث أبي واقد الليثي –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بينما هو يجلس يوماً بين أصحابه، في حلقة علم أقبل ثلاثة نفر، أما أحدهم فرأى فرجة فجلس فيها، وأما الآخر فاستحيا –يعني استحيا أن يتخطى الرقاب والصفوف– ونسأل الله أن يرزقنا الحياء، فما أقل من يمتثل هذا الأدب في مجالس العلم وفى خطب الجمعة– استحيا فجلس خلف الصف، وأما الثالث أعرض عن المجلس، فلما قضى النبي –صلى الله عليه وسلم– حديثه قال –صلى الله عليه وسلم:– (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم آوى إلى الله) هذا من؟ الذي سد الفرجة (أما أحدهم: آوى إلى الله؛ فآواه الله، وأما الثاني) أي الذي استحيا أن يخطى الرقاب (وأما الثاني: استحيا؛ فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه) والحديث أيها الأحبة، في فضل العلم جليل، طويل، عظيم، والرسول –صلى الله عليه وسلم– يذكرنا في كثير من الأحاديث بفضل العلم، وبمكانة العلم، وواجب على كل مسلم –كما ذكرنا شيخنا –رحمه الله تعالى– أن يتعلم عن الله وعن رسول –صلى الله عليه وسلم– ليعبد الله –عز وجل– عبادة صحيحة على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– .

نكتفي بهذا القدر .

فتح الله عليكم فضيلة الشيخ

– فاصل –

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أولاً: أنتقل من شكركم إلى الدعاء لكم، فجزاكم الله خيراً على هذه البرامج، ووفقكم الله، ثانيًا: وهو سؤالي للشيخ ، يا شيخ، السلام عليكم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

شيخ، الله يبارك فيك ويجزيك خير عندي سؤال الله يجزيك خير، سؤال هو: لماذا لم يدعُ الشيخ لنفسه في مقدمة الكتاب، ودعا لمن قرأ الكتاب، مع ورود الدليل عند الدعاء بالبدء بالنفس ؟

والله، إن دل هذا فإنما يدل –كما ذكرت– على شفقة الشيخ ورحمته –رحمه الله تعالى– فهو لأنه يخاطب المكلف أو المدعو الذي يريد أن يبين له عن الله وعن رسوله، فخصه بالدعاء والمراد أنه خص المدعو بالدعاء؛ ليستثير اهتمامه وانتباهه، وأسأل الله –عز وجل– أن يتقبل منا دعاءنا نحن للشيخ، إنه ولي ذلك ومولاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بداية أشكركم وأبارك لكم في بداية هذه الدروس، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه – سبحانه وتعالى – يا شيخ، نريد نصيحتك في بداية هذا الطلب، ما

الطريقة السليمة لتلقي العلم حتى نجمع ما بين العلم والعمل معاً؟ وكيف نتلقى هذه الدروس؟ هل نستمع إليها ونكتب مباشرة، أم نستمع إليها أولا بذاتها ثم بعد ذلك نكتب؟

هذا سؤال مهم جداً، وأظن أن كل طلابنا في أمس الحاجة إليه، نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والقبول، والخطوة الأولى على الطريق للاستفادة من العلم ليترجم إلى العمل، الخطوة الأولى: هي الإخلاص: هي أن نخلص النية لله –تبارك وتعالى– في طلب هذا العلم، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول كما في سنن الترمذي، وفى مستدرك الحاكم، وسنن ابن ماجة وغيرها، أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: (من تعلم العلم؛ ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار) وأنتم تعلمون كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة –رضى الله عنه– (أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة) وذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– من هؤلاء فقال: (وعالم أو وقارئ للقرآن) (عالم وقارئ للقرآن فأتي به فعرفه نعمه؛ فعرفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمت وعلمت، قال: كذبت، ولكنك تعلمت؛ ليقال هو عالم، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل قرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما علمت فيها؟ قال: قرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك قرأت؛ ليقال هو قارئ، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالخطوة الأولى: هي أن نخلص النية لله –تبارك وتعالى– وأن نطهر الطوية، وأن نصفي السريرة، وأن يكون عملنا ابتغاء وجهه جلّ وعلا، نسأل الله جلّ جلاله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

والأمر الثاني: أن يجلس من أراد أن يطلب هذا العلم المبارك، وهو متصور أنه في مجلس علم، يجلس بالورقة والقلم، فأنا لا أريد أن تجلس الأخت أمام التلفاز، أو أن يجلس الأخ أمام التلفاز، وكأنه يشاهد برنامجاً عادياً من البرامج، بل هذا مجلس علم، فلو أنه أحضر كراسة خاصة بمادة الأصول الثلاثة، وكراسة خاصة بمادة التفسير، وكراسة خاصة بمادة الفقة وهكذا، بحيث درس اليوم للشيخ فلان، وموضوع الحلقة كذا وكذا ثم يسجل؛ لأن العلم لا يقيد إلا بالكتابة، قيدوا العلم بالكتابة، وفى مسند أحمد بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بشر يتكلم في الغضب والرضا؛ فأمسكت عن الكتابة، ثم ذكرت ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– (فأشار النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى فمه المبارك، وقال لعبد الله: اكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق) الشاهد قول عبد الله بن عمر كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أريد حفظه .

فعلى الأخت الفاضلة أن تجلس، وأن تقيد ما استطاعت تقييده من هذه الحلقات، ومن هذه البرامج .

الأمر الثالث: أن تجعل لنفسها وقتاً لمراجعة ما كتبت بيدها، وإن احتاجت إلى أن تزيد على ما كتبت، زادت بالعودة إلى المراجع وإلى كتب أهل العلم .

النقطة الرابعة: لا ينبغي لطالب العلم أو لطالبة أن تستحيي إذا استشكل عليه أو إذا استشكلت عليها مسألة من المسائل .

فالعلم يضيع بين الكبر والحياء، فلتسأل، وليسأل المسلم أهل العلم؛ ليتعرف على ما يريد، ثم بعد ذلك، يجب على طالب العلم، أن يكون فاهماً لمصطلحات أهل العلم إن قرأ من كتبهم، وألا يعتمد اعتماداً كلياً على القراءة من الكتب؛ لأن من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه، فلابد من مراجعة العلماء الربانيين، وهؤلاء بفضل الله لا تخلو منهم الأمة أبداً؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول –كما في الصحيحين من حديث معاوية:– (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) .

إذاً إخلاص النية، والاجتهاد في تقييد هذه الدروس، ومراجعتها، وأن يبذل المسلم وأن تبذل المسلمة وقتاً وجهداً لهذا، ثم تسأل الله –تبارك وتعالى– أن يعينها بعد ذلك على العمل، وسوف نفرد لقاءً كاملاً للأصل أو للمسألة الثانية ألا وهي العمل بالعلم إن شاء الله تعالى .

نحن في منطقة يا شيخ ربما تكون صغيرة ما فيها طلبة علم، فهل لي أن أطلب العلم عبر الأشرطة والكتيبات، كأن أسمع الأشرطة، وأقرأ الكتب فإذا أشكلت علي مسألة، قد يأتي إلى أهل العلم ليستفسر منهم في هذه المسألة، فهل يعتبر في هذا الإطار أنه طالب للعلم، أم يجب علينا أن نحضر عند شيخ في مسجد أو في حلقة حتى أكون طالب علم؟ ...... أكرر مرة ثانية وثالثة إني أحبك في الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحبك الذي أحببتني فيه وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجمعنا بك أخي الحبيب مع المتحابين في جلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يبارك عليكم وأن يجعل بلاد الحرمين أمناً أماناً سخاءً رخاءً وجميع بلاد المسلمين، فنحن نكن لكم ولبلادكم كل الحب والتقدير، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجمعني بكم في الدنيا على طاعته وفى الآخرة في جنات النعيم .

والجواب أخي الحبيب، قال الشاطبي – رحمه الله تعالى – في كتابه الماتع الموافقات:– أنفع الطرق لتحصيل العلم طريقان –هذا كلام علماء الأصول– الطريق الأول: المشافهة، والمشافهة بمعنى أن يجلس طالب العلم بين يدي شيخه، هذا أنفع الطرق لتحصيل العلم، وهي أن يجلس طالب العلم بين يدي شيخه ومعلمه، ومن جميل ما قال: فإن الله تعالى يفتح على طالب العلم بين يدي شيخه ومعلمه بما لا يفتح به عليه دونه، قد يمكث الطالب ساعة كاملة في المكتبة بين بطون الكتب والمجلدات، تستشكل عليه مسألة فلا يعرف إشكالها، فإذا جلس بين يدي شيخه فقرأ الشيخ عليه المسألة بطريقة معينة، فوقف عند كلمة، وبدأ بكلمة، وفسر لفظة واحدة حل له لغز وإشكال المسألة، هذه بركة من فضل الله –تبارك وتعالى– يجدها الطالب في مجلس العلم والرسول –صلى الله عليه وسلم– قال ذلك، ففي مجلس العلم تتنزل الرحمات، وتغشانا الملائكة، ويذكرنا الله –تبارك وتعالى– فيمن عنده، فلا شك أن مجلس العلم مجلس للرحمة والبركة، هذا هو الطريق الأول، وهو أنفع الطرق، لكن من رحمة الله بنا –كما تفضل أخونا الحبيب– أن كل أحد لا يستطيع الآن في ظل هذه الأزمنة وفى هذا الزمان وفى ظل هذه الظروف أن يذهب ليجلس بين يدي الشيخ كما يريد .

قال الشاطبي –رحمه الله :– الطريق الثاني: مطالعة كتب المصنفين من أهل العلم من المتقدمين المتحققين بالعلم الشرعي، فإنهم أحرى بالعلم من غيرهم، بشرط أن يكون الطالب فاهماً لمصطلحاتهم .

هذا طريق آخر من رحمة الله بنا، من لم يتيسر له أن يذهب إلى الشيخ؛ ليجلس بين يديه؛ فليطالع كتب العلماء، فليطالع كتب المصنفين، ولا مانع أن يسأل عالماً من العلماء كما ذكر أخونا الحبيب إن استشكلت عليه مسألة أن يتصل على عالم من العلماء، أو أن يجمع مجموعة من المسائل كما كنت أفعل أنا مع شيخي ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– أجمع مجموعة من المسائل، وأذهب إليه زيارة واحدة؛ لأعرض عليه المسائل، فيجيب لي على ما أريد وأنصرف، فلو جمع طالب العلم مجموعة من المسائل، وسافر سفراً طويلاً لشيخ من المشايخ، وعرض عليه المسائل، وبين له إشكالاتها، ثم عاد فهذا جميل، أو عبر الهاتف فهذا –أيضاً– جميل، أو إن استمع إلى الأشرطة فمن فضل الله –عز وجل– هذه وسيلة من الوسائل التي منَّ الله بها علينا في هذا الزمان، وأشرطة المشايخ قد شرحت كتباً بكاملها، فسيرى شرحاً لكتب كاملة لمشايخنا وعلمائنا الأكارم الأجلاء، فلا حرج إن تعذر على الطالب أن يذهب إلى الشيخ أن يطالع كتب المصنفين وأن يستمع إلى أشرطتهم، وإن استشكلت عليه مسألة من المسائل فليرجع إلى عالم من العلماء أو إلى داعية من الدعاة، والله أسأل ألا يحرمنا وإياكم من طلب العلم حتى نلقاه إنه ولي ذلك ومولاه .

السؤال لفضيلة الشيخ محمد، فضيلة الشيخ نشهد الله سبحانه وتعالى أنا نحبك في الله

أحبك الذي أحببتني فيه .

وسؤالي هو شرحت فضيلة الشيخ أن من أعظم صفات الله سبحانه وتعالى هي الرحمن والرحيم فهل من الممكن إعادة تفسير هذه الصفات فضلاً لا أمراً ؟

الرحمن والرحيم اسمان جليلان من أسماء الحق تبارك وتعالى يثبتان صفة الرحمة لله جلّ وعلا .

وقلت : بأننا نثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته لنفسه جلّ وعلا من الأسماء الحسنى والصفات العلى من غير تحريف لا للفظ ولا للمعنى ومن غير تعطيل يعني لا نعطل صفة من صفات الله تبارك وتعالى يعني لا ينبغي أبداً أن نعطل مثلاً صفة الاستواء فالله جلّ وعلا يقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طـــه:٥] فيأتي المعطلة كالجهمية وغيرهم ويقولون لا ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يعني استولى لتعطيل صفة الاستواء، وهذا خلل في الفهم ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا بالحق وأن يتوفانا عليه ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ نثبت لله صفة الاستواء بما يليق بجلاله فنقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استوى كما أخبر وعلى الوجه الذي أراد وبالمعنى الذي قال استواءً منزهاً عن الحلول والانتقال فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بقدرته مقهور بجلال قبضته جلَّ وعلا قال جل جلاله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] يقول جهم بن صفوان : لو كان الأمر بيدي لحككتها من المصحف وجعلتها الرحمن على العرش استولى، ليُلغي أو ليعطل صفة الاستواء .

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر:٢٢] يقولون : وجاء أمر ربك لإلغاء أو لتعطيل صفة التنزل أو نزول الحق تبارك وتعالى، لا ، الله جلّ وعلا يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول تنزلاً يليق بكماله وجلاله وهكذا، فكل اسم وكل صفة أثبتها الله لذاته وأثبتها نبيه صلى الله عليه وسلم له فنحن نؤمن بها من غير تحريف للفظها ولا لمعناها ومن غير تعطيل أو تشبيه أو تمثيل . فمن أعظم الأصول أننا لا نشبه الحق تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته بالمخلوقين فالله يتكلم وأنا أتكلم لكن هل كلامي ككلام الحق تبارك وتعالى ؟

الله يعجب وأنا أعجب لكن هل تعجبي كتعجب الحق تبارك وتعالى ؟

الله يغضب وأنا أغضب لكن هل غضبي كغضب الحق تبارك وتعالى ؟

اقطع الطمع في إدراك كيفية الذات، وأنا أضرب مثالاً لهؤلاء الذين يريدون أن يفلسفوا حتى هذه المسائل العقدية فلسفة عقلية وأقول هل ينكر صاحب عقل رشيد أن عالماً يسمى بعالم النمل يعيش بيننا؟

والجواب : لا، لا ينكر عاقل رشيد أن النمل يعيش معنا لأننا نرى النمل .

السؤال الثاني هل ينكر عاقل أن للنمل لغةً يتكلم بها ؟

والجواب : لا، بل للنمل لغة بدليل أنك ترى النملة إن عجزت عن حمل لقمة خبز كبيرة ذهبت فأتت بسرب من النمل فحملوا هذه اللقمة معها .

والقرآن يثبت صفة الكلام للنمل ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[النمل:١٨] الآيات .

السؤال الثالث : هل طمع عاقل أن يأتي بمكبر صوت عبر كاسيت ووضعه يوماً بين مجموعة من النمل ليسجل لغة النمل ؟

والجواب : لا، لم يطمع عاقل في ذلك، قطع العقلاء الطمع في إدراك كيف يتكلم النمل أفنقطع الطمع في إدراك كيف يتكلم النمل وهو من خلق الله ولا يقطع الطمع في إدراك كيف يتكلم الله وهو الخالق .

فاقطع الطمع في إدراك كيفية الذات، فالله تبارك وتعالى له أسماء نثبتها وله صفات نثبتها، بما يليق بكماله وجلاله تبارك وتعالى قال جلّ وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] فالاسمان الجليلان يثبتان صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وهي من أجلِّ صفات الله، ومن أعظم صفات الحق تبارك وتعالى، ورحمة الله لا تحدها حدود، ذكرت بعض الأدلة، أذكر دليلاً جديداً في هذا الباب أيضاً ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى جعل الرحمة مائة جزء) الله الله (إن الله تعالى جعل الرحمة مائة جزء فأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً) اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ! أنزل إلى الأرض جزءاً واحداً ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (فمنه) أي فمن ذلك الجزء قال (فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترى الدابة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبة) انظر إلى الرحمة، يعني رحمة النبي صلى الله عليه وسلم جزءٌ من جزءٍ من مائة جزء من رحمة الله لأن الله أنزل من رحمته إلى الأرض جزءاً من هذا الجزء رحمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رحمة الأم بولدها، رحمة الطبيب بمريضه، رحمة الغني بالفقير، رحمة القوي بالضعيف، كل صورة من صور الرحمة تلمسها وتراها في الكون إنما جزءٌ من جزءٍ من مائة جزء من رحمة الرحمن الرحيم جلّ وعلا نسأل الله أن يجعلنا أهلاً لرحمته وفضله .

وعليكم السلام، عندي مجموعة أسئلة بالنسبة لطالب العلم في بداية الطلب هل لابد أن يكون حافظاً لكتاب الله ؟ .

السؤال الثاني : هل يستطيع المبتدئ في الطلب أن يجمع كل العلوم يعني يشارك فيها كلها، التوحيد، الفقه، التفسير وهكذا ؟.

روى البخاري ومسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال (نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة) بداية موفقة لأي طالب علم أن يبدأ بالقرآن الكريم، وأنا أعجب غاية العجب من طالب علم يفرغ وقته للطلب ثم تراه يبدأ بمنهج آخر بعيداً عن القرآن! أيُّ طلب هذا؟ القرآن أصل الأدلة فأي بركة هذه التى يبحث عنها طالب يبتعد فيشرق ويغرب ويبتعد عن القرآن بل أنا أقول يا أخوة القرآن هو كتاب الإيمان الأول وهو كتاب العقيدة الأول وهو كتاب التوحيد الأول إذا أردت أن تتعرف على التوحيد وإذا أردت أن تؤصل الإيمان في قلبك فعليك بالقرآن لأن القرآن من أوله إلى آخره في قضية الإيمان.

من سورة الفاتحة إلى الناس في قضية الإيمان، لأن القرآن حديث مباشر عن الله عن ذاته عن أسماءه عن صفاته عن أفعاله وهو حديث عن أهل الإيمان الذين حققوا الإيمان وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة أو حديث عمن وقعوا في الشرك وكفروا بالله ولم يحققوا الإيمان وعما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة أو حديث عن الجنة التي جعلها الله داراً لأهل الإيمان أو حديث عن النار التي جعلها الله داراً لأهل الكفر والعياذ بالله فالقرآن كله كتاب في قضية الإيمان .

فأنا أنصح طالب العلم أن يبدأ بكتاب الله تبارك وتعالى، طالب العلم الذي يبدأ بالقرآن له سمت الطالب الذي يبدأ بباب من أبواب الجرح والتجريح لا أقول الجرح والتعديل ، الجرح والتجريح يبدأ الطالب بالتعرف بما يسمى الآن بالتصنيف، بداية شؤم لا ترى الطالب يحسن أن يقرأ سورة المطففين والله، والله لقد رأيت طالباً من الطلاب

لمَّا تنبت لحيته بعد ولما ينبت شاربه ودخلت عليه في مكتبة ما فوجدت الطالب جالساً يحقق حديثاً، فسعدت به تحقق حديثاً لا أقول أُخَرِّج وإذا بالطالب أقول له يا أخي هات تعال ما هو الحديث ؟ قال كذا، قلت هذا حديث صحيح، قال من صححه يا شيخ، قلت الشيخ الألباني، قال معلش أصل الشيخ كان متساهلاً في التصحيح .

قلت : اقرأ سورة المطففين، والله ما قرأها .

فأنا أنصح الطالب أن يبدأ بكتاب الله تبارك وتعالى وأن يثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يقرأ أو أن يدرس منهجاً واحداً من مناهج العلم فإن أنهي المنهج يرجع إلى منهج آخر وهكذا .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا قلوباً خاشعة ، وآذاناً واعية وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، إنه ولي ذلك ومولاه .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد، فحياكم الله جميعًا أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلا، وأسأل الله –جلّ وعلا– الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته، إنه وليٌّ ذلك ومولاه.

أيها الأحبة، هذا هو لقاؤنا الثاني مع الأصول الثلاثة، وأذكر بالمتن مرة أخرى، يقول المصنف رحمه الله تعالى (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ).

الأمر بالعلم قبل القول والعمل

تكلمنا في اللقاء الماضي بفضل الله جلّ وعلا على المسألة الأولى، ألا وهي العلم، وقلت بأن العلم مقدمٌ على العمل، واستدل المصنف –رحمه الله تعالى– على ذلك بهذه الترجمة الفقيهة البليغة للإمام البخاري –رحمه الله– في كتاب العلم، حيث قال "باب العلم قبل القول والعمل"، وصدر هذا الباب بقول الله جلّ وعلا ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩]، أمر الله جلّ وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بأمرين: فبدأ بالعلم وثنى بالعمل .

لماذا العلم قبل القول والعمل ؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى "قدم الله العلم على العمل؛ لأن العلم هو المصحح للنية التي يصح بها كل قولٍ وكل عمل"، إذًا قبل أن تتكلم وقبل أن تعمل يجب أن تتعلم، وتحدثت عن هذ المسألة، ولا أريد أن أكرر ما ذكرته في اللقاء الماضي بفضل الله جلّ وعلا.

العلم النافع هو الباعث على العمل

المسألة الثانية: العمل، العمل بالعلم، فكل علمٍ لا يفيد عملا ليس في الشرع ألبته ما يدل على استحبابه أو استحسانه، إذًا العلم النافع الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق هو العلم الباعث على العمل، قال الله جلّ وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢،

٣]، وقال الله جلّ وعلا ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، الفارق الكبير بين السلف والخلف إننا نرى بونًا شاسعًا وهوة سحيقة بين القول والفعل، ترى الآن تنظيرًا باهتًا باردًا، وما أيسر التنظير، لكن أين العمل؟! والله كلما تحدثت في هذا الباب أُشهد الله أنني أشعر بخجل وأشعر بتقصير؛ لأنه من منا لم يشعر بتقصير في حق ربه تبارك وتعالى؟، نتكلم كثيرًا، لكننا نعمل قليل، ويرن في أذني الآن قول القائل:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيبٌ يداوي الناس والطبيب عليل

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الصدق فيما نقوله في هذه المسألة الثانية، في مسألة العمل.

إلهي لا تعذبني فإني مقرٌ بالذي قد كان مني

فكم من ذلةٍ لي في البرايا وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنٍ

يظن الناس بي خيرًا وإني لشر الناس إن لم تعف عني

خطر العلم بدون عمل

أيها الإخوة، إن أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة والحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، (أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، عالمٌ وقارئٌ للقرآن، أُتي به)، أي بالعالم، (أُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما فما عملتُ؟ قال: تعلمتُ وعلمت، قال: كذبت، بل تعلمت ليقال عالم وقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في الناس)، عالم يُلقى في النار، وقارئٌ للقرآن (أُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت، قال: قرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، بل قرأت ليُقال قارئ وقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل آتاه الله من أصناف المال، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت، قال: ما تركت سبيلا تحب أن يُنفق فيها لك إلا وأنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك أنفقت ليقال هو جواد وقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ استشهد)، سقط في الميدان شهيدًا فيما ينظر الناس، (فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتُ، قال: قاتلت فيك حتى قتلت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال شهيد وقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار).

انظروا إلى خطر العلم بغير عمل، فكل علم لا يفيد عملا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل البتة على استحسانه، فما قيمة علمٍ لا يورثنا الخشية من الله جلّ وعلا؟، ما قيمة علم لا يورثنا الطاعة؟ ما قيمة علم لا يدفعنا دفعًا إلى القرب من الله تبارك وتعالى؟ قال الله جلّ وعلا ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

القضية أيها الأحبة ليست في التحصيل فحسب، وإنما في أن نحول هذا العلم الرباني القرآني والنبوي في حياتنا إلى واقع، إلى منهج عملي، ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه) أي أمعاؤه، (فيُدار بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، يا فلان يا فلان مالك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه).

ألا أيها المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذو السقام من الدما كيما تصح منه وأنت سقيم

ابدأ بنفسها فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وهناك يُقبل ما تقول ويُقتدى بالقول منك وينفع التعليم

أسأل الله أن يرزقنا الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .

كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا"، أي كما يزل الماء عن الحجر الأملس، كم من مذكر بالله وهو ناسٍ له، وكم من مخوف من الله وهو جرئٌ على الله، وكم من تالٍ لكتاب الله وهو منسلخ عن آيات الله، وكم من مقرب إلى الله وهو بعيد عن الله، اللهم ارزقنا الصدق والإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال.

كان أبو الدرداء رضي الله عنه، وإن كان في سند الرواية ضعف، كان يقول "إنما أخاف أن يُقال لي يوم القيامة أعلمت أم جهلت؟ فأقول علمت" .

أحفظ الأدلة وأقول قال الله وروى البخاري وروى مسلم وروى أحمد، أحفظ الأدلة وأمضي فيها كالسهم، لكن فتش عن قلبك، فتش عن عملك، "إنما أخاف أن يُقال لي يوم القيامة أعلمت أم جهلت؟ فأقول علمت، فلا تبقى آية من كتاب الله آمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتقول الآمرة: هل ائتمرت، وتقول الزاجرة: هل انزجرت، فأعوذ بالله من عمل لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع، ودعوة لا تسمع أو لا يُستجاب لها".

هل تتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، الذي فُطر على التوحيد، الذي عصمه الله جلّ وعلا، هل تتصور أنه كان يدعو الله تبارك وتعالى وكان يعوذ بالله من علم لا ينفع، هل فكر كثيرٌ من طلاب العلم الجرءاء الآن على التطاول على الرموز، هل فكر كثيرٌ من هؤلاء الجرءاء الذين يتطاولون على العلماء ورموز هذه الأمة، هل فكر أحدهم في استعاذة رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع، هل هناك علم لا ينفع؟ نعم، هناك علم لا ينفع، العلم الذي لا يورث صاحبه الأدب لا ينفعه، العلم الذي لا يورث صاحبه الخشيه لا ينفع، العلم الذي لا يورث صاحبه التواضع لله ولرسول الله ثم لأهل العلم لا ينفعه، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

سئل الإمام أحمد مَن العالم؟ قال ليس العلم بكثرة الرواية والدراية، ولكن العلم خشية الله، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

روى مسلم وغيره من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)، الرسول صلى الله عليه وسلم، هل استعذت أنت بالله من علم لا ينفع؟ يعني لو سألت نفسي أنا ولو سألت الطلاب الآن بين يدي، ما هي آخر مرة استعذت فيها بالله تعالى من علم لا ينفع؟ ما هي آخر مرة؟ والله لو أذنت لنا ولإخواني الآن بين يدي بالجواب لانقلب إلي بصري خاسئًا وهو حسير، ما آخر مرة تضرعت فيها إلى الله وتململت بين يديه جلّ وعلا كتململ العصور المبلل بماء المطر واستعذت به تبارك وتعالى من علم لا ينفع، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها).

وكان علي–الله ! ما أروع كلمات هذا الأثر– وإن كان في سنده ضعف أيضًا من باب الأمانة العلمية، والأثر رواه ابن ماجة والدارمي وكذا ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى وغيره– كان علي – رضي الله عنه – يقول "

يا حملة العلم اعملوا به، فإن العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيأتي أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يقعدون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه إن تركه جلس إلى غيره، أولئك لا ترفع أعمالهم تلك إلى الله عزّ وجلّ "، هل يجسد علي رضي الله عنه واقع كثير من طلاب العلم الآن؟، " .

يا حملة العلم اعملوا به، فإن العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيأتي أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يقعدون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا "، يحضر عندي ألف، والآخر يقول ويحضر عندي ألفان، وفي حلقتي طلاب العلم وفي حلقتك عامة المسلمين، مع أنهم محل دعوة الدعاة إلى الله جلّ وعلا، فلانٌ عالم، وفلان؟ هذا واعظ، وفلان جاهل بالواقع، وفلان مازال في دورة المياه يعلم الناس أحكام قضاء الحاجة، وفلان عالم حيض وعالم نفاس، "

أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يقعدون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه إن جلس إلى غيره "، حتى لو ذهب إلى رجل من علماء أهل السنة، " حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه إن جلس إلى غيره، أولئك لا ترفع أعمالهم تلك إلى الله عزّ وجلّ ".

فالقضية إذًا أيها الأحبة قضية عمل، أنا أقول لطلابنا قد يكون من اليسير جدًا أن نقدم منهجًا نظريًّا في التربية والأخلاق، بل إن المنهج موجود، القرآن موجودٌ بين أيدينا، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بين أيدينا، فمن اليسير جدًا أن نقدم منهجًا نظريًّا في التربية والأخلاق، لكن هذا المنهج سيظل حبرًا على الورق ما لم يتحول هذا المنهج في حياتنا إلى واقعٍ عمليٍّ ومنهج حياة، وهذا هو السر الذي من خلاله استطاع نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثر وسط صحراء تموج بالكفر والجهل موجًا، فإذا بدولة الإسلام بناءٌ شامخٌ لا يطاوله بناء، وذلك في فترة لا تُساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق، وذلك يوم أن نجح نبينا صلى الله عليه وسلم في طبع عشرات الآلاف من النسخ من المنهج القرآني والنبوي، لكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الأوراق في بطون الكتب والمجلدات أو عبر أشرطة الكاسيت أو السديهات، وإنما طبعها صلى الله عليه وسلم على صحائف قلوب الصحابة بمداد من التقى والهدى والنور، فانطلق الصحب الكرام وحولوا هذا المنهج الرباني والقرآني والنبوي إلى منهج حياة، إلى واقع يتألق سموًّا وعظمة وصدقًا وإخلاصًا وعملا وبناءً.

فالفارق الكبير بيننا وبينهم أننا ربما نجد الآن عند كل طالب علم من الكتب والمجلدات والله ما لم تكن هذه عند السلف، والله ما كانت هذه الكتب والمجلدات بسمتها ورسمها وعددها وكمها عند السلف، ولكنهم حولوا هذا المنهج إلى عمل ، فما أحوجنا أن نحول هذا العلم إلى عمل، وإلا فالعلم عاريةٌ لا يُنتفع به إلا إذا حوله صاحبه إلى منهجٍ عملي، ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف: ٦٨]، قال قتادة "وإنه لذو علمٍ لما علمناه"، وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]، أكتفي بهذا القدر في هذه المسألة الثانية، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الصدق في القول والعمل والحال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال المصنف رحمه الله تعالى (المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)، الدعوة إلى ماذا؟ إلى العلم أم إلى العمل؟

هل يعود الضمير في قول المصنف (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ) على العمل أم على العلم، والراجح الدعوة إلى العمل بالعلم، فقد أصلنا الآن أن علمًا بدون عمل لا قيمة له، الدعوة إلى العمل بالعلم، الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لاسيما وقد عَرَّف الشيخ العلم بقول (الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ)، وسأرجئ الحديث عن معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالحديث عن الأصول الثلاثة إن شاء الله تعالى، فهذا هو لب كتابنا بإذن الله جلّ وعلا.

إذًا، الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، الدعوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الدعوة إلى الإسلام، الدعوة إلى العمل بهذا الدين، الدعوة إلى العمل بالأمر، الدعوة إلى العمل باجتناب النهي، الدعوة إلى العمل بالوقوف عند حدود الله تبارك وتعالى، والدعوة إلى الله أيها الأفاضل من أعظم القربات التي افترضها الله على هذه الأمة، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الدعوة إلى الله على منهج رسول الله r فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال الله جلّ وعلا ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

قال ابن القيم رحمه الله: "ولا يكون الرجل من أتباع النبي r حقًا حتى يدعو إلى ما دعى إليه النبي r على بصيرة"، الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، شرف هذه الأمة، ونسب هذه الأمة.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه الخيرية ليست ذاتية، وليست عرقية، وليست عصبية، ولكنها خيرية مستمدة من حمل الأمة لهذه الرسالة المباركة لأهل الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فأمة النبي r أمة دعوة، أمة بلاء، أمة رسالة، ما شُرفت الأمة إلا لحملها هذه الرسالة، تدبروا هذا الأمر لنبيه ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]، أمرٌ مهيب، أمرٌ جليل، ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ ﴾، إلا أن أبلغ دين الله، إلا أن أبلغ رسالة الله تبارك وتعالى، فالأمة ما شرفت إلا بالدعوة، وما كرمت إلا لحمل هذا الدين، وما عزت الأمة إلا يوم رفعت راية الدعوة إلى الله على منهج النبي r ، وما زلّت الأمة وهانت إلا يوم أن تخلت عن هذه الأمانة العظيمة والشرف الكبير والتبعة الثقيلة.

﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر: ١، ٢]، فقام ورب الكعبة ولم يذق طعم الراحة حتى لقي الله جلّ وعلا، وحتى أنزل الله عليه قوله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

بل لقد قال شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى "الدعوة إلى الله الآن فرض عين على كل مسلم ومسلمة، كل بحسب قدرته واستطاعته، لأننا نعيش زمانًا انتشر فيه الباطل وأهله، –والله– ما انتشر الباطل وأهله إلا يوم أن تخلى عن الحق أهله"، فواجبٌ على كل مسلم ومسلمة أن يبلغ دين الله على قدر استطاعته بقدر ما عَلَّمَه الله تبارك وتعالى من العلم، ألم تحفظ آية من كتاب الله، ألم تحفظ حديثًا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

روى البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتوبأ مقعده من النار) .

وقال صلى الله عليه وسلم كما في سنن الترمذي وغيره بسند صحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الله (نضر الله امرءً)، رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لك بنضارة الوجه يا من تبلغ عن الله وعن رسوله، (نضر الله امرءً سمع منا حديثًا فبلغه كما سمعه، فرُب مبلغ أوعى من سامع) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا)، انظروا إلى الفضل (ومن دعى إلا ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، فأسأل الله أن يجعلنا جميعًا من حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لن تكون أبدًا من حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أتباعه حقًا حتى ترفع نفس الراية التي رفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحتى تتحرك بين الناس بذات المنهج الذي تحرك به بين الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تدعو إلى الله بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصيرة، بحكمة بالغة، بكلمة رقيقة رقراقة، بموعظة حسنة، فالمنهج توقيفي، منهج الدعوة إلى الله توقيفي، لم يدعه الله لنبي من الأنبياء فضلا عن داعية من الدعاة، أصول المنهج الدعوي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، قد تختلف الوسلية، فما نحن فيه الآن وسيلة تتفق مع عصرنا وزماننا، والشريط وسيلة، والمحاضرة عبر الإذاعة وسيلة، وإعلانٌ لمحاضرة في التلفاز أو في جريدة وسيلة، تختلف الوسائل باختلاف الزمان والمكان، أما المنهج فتوقيفي، لا يختلف ألبتة باختلاف الزمان والمكان، أصوله ﴿ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال تعالى ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طـــه: ٤٣، ٤٤].

هذه أصول المنهج الدعوي، وحياة النبي r في الدعوة إلى الله تطبيقٌ عمليٌّ لهذه الأصول، ولا يتسع الوقت لذكر بعض النماذج الدعوية التطبيقية العملية من سيد الدعاة سيدنا رسول الله r ، لكنني أجدني مضطرًا اضطرارًا لأن أذكر بموقف واحد تحفظونه جميعًا، لكنني أخاطب طلاب العلم وأخاطب المسلمين في كل مكان.

كلنا يحفظ حديث الأعرابي الذي وقف في مسجد النبي r وبال إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل تتصور هذا المشهد؟ أعرابيٌّ يدع هذه الصحراء المترامية ولا يجد مكانًا يقضي فيه حاجته إلا في مسجد رسول الله r، بل وفي حضرته الشريفة صلى الله عليه وسلم، ويقول الصحابة مه مه، ماذا تصنع أيها الرجل؟!، والرسول صلى الله عليه وسلم سيد الدعاة يقول (لا تزرموه)، أنا لا أقول هذا من باب الإعجاب السالب أيها الأحبة، أو لمجرد الثقافة الذهنية الباردة، بل أنا أبين منهجًا عمليًّا للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وواجبٌ لكل سالكٍ على هذا الطريق والدرب المنير أن يكون على هذا المنهج العظيم.

(لا تزرموه) أي لا تقطعوا عليه بولته، ويقضي الرجل تبوله باطمئنانٍ كامل، حتى يقضي الرجل حاجته فيُنادي عليه رسول الله r نهر الرحمة وينبوع الحنان وأستاذ الخلق والأدب ويقول إن المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا، إنما جُعلت للصلاة ولذكر الله وقراءة القرآن، ويأمر النبي r صحابيًّا فيأتي الصحابي بدلو من الماء فيشنه على أثر البول ويطهر المكان، وانتهت القضية، وانتهت المشكلة، ما أمر النبي الصحابة أن يلقوا هذا الرجل من يديه وقدميه خارج المسجد، ما عنفه، ما وبخه، ما آذاه بكلمة ولا بلفظة، لا والله، وإنما إنفعل هذا الأعرابي بهذا الخلق الكريم فدخل الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا الله بهذا الدعوة التي سمعها النبي صلى الله عليه وسلم، سمع الأعرابي يقول "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا"، لم يجامله النبي صلى الله عليه وسلم على حساب المنهج أيضًا، وإنما لما قضى النبي r صلاته قال (لقد حجرت واسعًا)، يعني لم تضيق ما وسع الله تبارك وتعالى؟ والله جلّ وعلا يقول ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

الشاهد: أن نتعلم هذا الدرس من رسول الله r .

وما أجمل قول قتادة في تعليقه على قول الله لموسى وهارون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طـــه: ٤٣]، كلنا يعرف فرعون، ففرعون هو الذي قال أنا ربكم الأعلى، وفرعون هو الذي قال ما علمت لكم من إله غيري....إلخ، ومع ذلك يأمر الله موسى وهارون نبيين كرمين أن يقولا لفرعون قولا لينًا، فقال قتادة "يا رب ما أحلمك، تأمر موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولا لينًا، فإن كان هذا حلمك بفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، فكيف يكون حلمك بعبدٍ قال سبحان ربي الأعلى" .

وأنا أقول لقد دخلت بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل الجنة في كلب، يا الله، دخلت الجنة في كلب!!، مرت على كلب يلهث الثرى من العطش فعادت إلى بئر ماء فملأت موقها ماءً وقدمت للكلب فشرب، فغفر الله لها بذلك.

أقول يا إخوة إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا، فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا .

أركز على هذا لأنني ألمح قسوة وجفوة في كثير من طلابنا، إذا أعفى الطالب لحيته ووضع الغترة على رأسه والتزم بدرسٍ من دروس العلم يحول البيت إلى نار متأججة، لا يستطيع والده أن يكلمه، ولا تستطيع أمه أن تتحدث معه، فضلا عن أخواته وفضلا عن إخوانه، لماذا؟!! يقول التزمت، هل هذه حياة الالتزام؟!!، هل بهذا الخلق والسلوك ندعو غيرنا إلى الله تبارك وتعالى ونأخذ بقلوب الخلق إلى الله تبارك وتعالى؟!!، مُحالٌ يا اخوة .

احفظوا مني هذه الكلمات، أقول إن الحق معنا، أطلتُ النفس في هذه الجزئية لأنني أعالج واقعًا مرًا أليمًا نحياه الآن .

لماذا استطاع أهل الباطل أن يجذبوا الناس إلى باطلهم؟ لماذا لم يستطع أهل الحق إلى الآن أن يجذبوا الناس إلى الحق الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض وأنزل الكتب وأرسل جميع الرسل وخلق من أجله الجنة والنار؟

لخلل في منهجنا، لخلل في دعوتنا، لخلل في أسلوبنا في البلاغ عن الله تبارك وتعالى، فالدعوة فن، لا يجوز للداعية أن يتجاوز أصوله التي حددها القرآن كما ذكرت.

أقول إن الحق معنا، احفظوا مني هذا، إن الحق معنا، لكننا لا نحسن أن نشهد لهذا الحق شهادة خلقية عملية على أرض الواقع، ولا نحسن أن نبلغ هذا الحق لأهل الأرض بحق، هذه هي المشكلة، وإن الباطل مع غيرنا، لكنه يحسن أن يلبس الباطل ثوب الحق، ويحسن أن يصل بالباطل إلى حيث ينبغي أن يصل الحق، وحينئذٍ ينزوي حقنا ويضعف كأنه مغلوب، كما هو الواقع، وينتفخ الباطل وينتفش كأنه غالب، كما هو الواقع .

وهنا نتألم لحقنا الذي ضعفُ وانزوى، وللباطل الذي انتفش وانتفخ، فنعبر عن ألمنا هذا بصورة من صورتين لا ثالث لهم:

إما أن نعبر عن ألمنا بصورة مكبوتة سلبية فنزداد هزيمة نفسية على هزيمتنا وانعزالا عن المجتمع والعالم .

وإما أن نعبر عن ألمنا هذا بصورة صاخبة متشنجة منفعلة، وأحيانًا دموية مخزية، فيزداد أهل الأرض في الأرض بغضًا للحق الذي معنا وإصرارًا على الباطل الذي معهم، فنخسر الحق مرة بعد مرة، مع أننا على الحق ومع غيرنا على الباطل.

القضية أيها الأفاضل كيف ندعو الناس ؟ كيف نبلغ الحق لأهل الأرض بحق؟ أقول أيها الأحبة إننا لا نتعامل مع ملائكة بررة، ولا مع شياطين مردة، ولا مع أحجار صلبة، بل نتعامل مع نفوس بشرية فيها الإقبال

والإحجام، فيها الخير والشر، فيها الحلال والحرام، فيها الفجور والتقوى، فيها الطاعة والمعصية، أولم يقل خالق النفس البشرية جلّ وعلا ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨]، فلنتعامل مع النفس البشرية من هذا المنطلق، لنسبر أغوراها، لنتغلغل إلى أعماقها، ولن يكون ذلك أبدًا أيها الأحبة إلا بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة والكلمة الرقيقة الرقراقة، هذا فضل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والنبي r يقول لعلي رضي الله عنه كما في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد وفيه أنه قال (لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من حمر النعم)، الله الله الله، انظروا إلى هذا الفضل العظيم، (لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من حمر النعم).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، هذه هي الدعوة الكريمة، هذه هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله عزّ وجلّ مثلا لها في القرآن بالشجرة الكريمة الطيبة، تلك الشجرة التي تتغلغل في أعماق التربة وفي قلب الصخور، لا تؤثر فيها الرياح العاتية، ولا تحطمها معاول الهدم والبطش والطغيان، إنها الدعوة إلى الله.

بين الجوانح في الأعضاء سكناها فكيف تُنسى ومن في الناس ينساه

الأذن سامعة والعين سامعة والروح خاشعة والقلب يهواه

ولم لا وهي كلمة الله جلّ وعلا قال الله، وكلمة النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم .

أعذار بعض طلبة العلم القاعدين عن الدعوة

ألا تعجب معي بعد هذا الفضل الوجيز الذي تحدثت عنه في فضل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى أن كثيرًا من إخواننا وطلابنا يعزفون عن الدعوة إلى الله بدعوى أنهم مازالوا يطلبون العلم .

ومن قال لك بأن طلب العلم ينتهي في مرحلة من المراحل، إن طلبك للعلم لا ينتهي حتى تلقى الله جلّ وعلا .

قال الإمام أحمد: إمام أهل السنة حينما رآه أحد الأفاضل ما زال في مجلس العلم يمسك المحبرة، فقال له: يا إمام بلغت ما بلغت وما زلت تمسك المحبرة، فقال "نعم، مع المحبرة إلى المقبرة"، ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طــه: ١١٤]، يأمر الله نبيه بهذا ، سيظل الطالب يطلب العلم إلى أن يلقى الله .

الدعوة الواجبة على الأعيان والدعوة الواجبة على الكفاية:

فأرجوا من طلابنا أن يفرقوا بين طلب العلم وبين الدعوة إلى الله جلّ وعلا، صحيح إن كانت الدعوة المتخصصة لها أهلها من المتخصصين من المتحققين بالعلم الشرعي، فإن الدعوة العامة واجبة على كل مسلم ومسلمة كما قال شيخنا رحمه الله، كل على حسب قدرته واستطاعته .

وسائل الدعوة

أخي إن لم تستطع أنت أن تبلغ غيرك بلسانك بكلمة رقيقة بالأدلة فبلسان غيرك من أهل العلم بشريط أو بكتيب أو بكتاب أو بمطوية، يتخصيص جزءٍ من مالك للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، بتكثير سواد المسلمين في المساجد في المحاضرات العامة، بزيارة لله تبارك وتعالى لأحد إخوانك في الله لتبلغه عن الله تبارك وتعالى ولو بشريط.

هل يُشترط في الداعي أن يعتلي المنبر ؟

وأنا لا أقول نحن لا نريد أن تتحول الأمة كلها إلى دعاة على المنابر في المساجد، وإنما نريد أن تتحول الأمة كلها إلى دعاة لدين الله كلٌ في موضع إنتاجه وموطن عطائه، لو شهد كل مسلمٌ للإسلام شهادةٌ عملية في موقعه فهي أعظمُ خدمةٍ نقدمها لدين الله تبارك وتعالى، شهادةٌ ورب الكعبة آثمٌ قلبه من يكتمها الآن، لأننا نعيش عصرًا أيها الأحبة صار الغرب يحكم فيه على الإسلام من خلال واقعنا كمسلمين، وواقع المسلمين فاضحٌ مخزيٌّ، إلا من رحم ربنا تبارك وتعالى من أفراد، صار العالم كله يحكم على ديننا من خلال واقعنا، فأعظم خدمة نقدمها للدين أن ندعو للدين بأخلاقنا، بسلوكنا، بأعمالنا، بأقوالنا، إيتيني بواحدٍ لا يستطيع في أي موقف من المواقف أن يبلغ عن الله بكلمة مهذبة رقيقة، الكل يستطيع ذلك.

مثال:

والله لازلت أذكر هذه الأخت الفاضلة من الرياض، كنت في زيارة لإخواننا في ألمانيا، وأخبرني إخواني هنالك عن رجلٍ ألماني فاضل من الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، وقالوا إنه كان يعمل ملاكمًا لفترة من الفترات قبل عشرين عامًا، ودُعي ليكرم في مدينة الرياض، فتقدمت أختٌ فاضلة بحجابها الكامل وقدمت له هدية بين الهدايا، وما كان هذا الرجل قد أسلم بعد، قدمت له ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، فقط، يقول هذا الرجل، وأخذت الهدية ووضعتها بين الهدايا ومضى على هذه الهدية عشرون عامًا، يا الله، جلست يومًا لأرتب مكتبتي فوقع في يدي هذا الكتاب، فتذكرت وعدت إلى الوراء عشرين سنة، قال فجلست على كرسي مكتبي، وفتحت الكتاب من آخره فقرأت تفسير سورة الإخلاص، قال فعدت إلى الكتاب من أوله فقرأت تفسير سورة الفاتحة، قال فهزت المعاني قلبي، فوقع حب الإسلام في قلبي، فخرجت من بيتي على المركز الإسلامي، قلتُ دلوني ماذا أصنع إن أردت أن أدخل دين الله، قالوا اغتسل فاغتسلت، ونطق الشهادتين ودخل دين الله تبارك وتعالى، وفي اللحظة التي خلع فيها رداء الشرك على عتبة التوحيد والإيمان تحرك للدين وتحرك للدعوة، ماذا يصنع؟ لا يحفظ شيئًا من القرآن، لا يحفظ شيئًا من السنة، لكنه يستطيع أن يقدم شيئًا.

فلم أر في عيوب الناس عيبًا   كنقص القادرين على التمام

ماذا يصنع هذا الرجل الصادق، أخذ مجموعة من الكتيبات التي تتحدث عن الإسلام باللغة الألمانية، وخرج في ميدان ووضعها على منضدة كهذه، وكان الشباب والفتيات يعرفونه وينزلون له ليوقع لهم على الأوتوجرافات فيقدم إلى أحدهم كتيبًا من هذه الكتيبات، يُقسم الإخوة بالله دخل الإسلام على يد هذا الرجل ما يزيد على مائتي رجل وامرأة في عامٍ واحد، هذا العدد كله في ميزان من؟ الأخت الفاضلة التي قدمت له هذه الهدية التي ما توقعت أن تكون سبب إسلامه بعد عشرين سنة، فما إذًا إلا أن تدعو إلى الله تبارك وتعالى، وأن تغرس في حقل الإسلام غرسًا صحيحًا، تغرس بالقرآن والسنة بفهم سلف الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، ودع النتائج بعد ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فالقلوب ليست بيد أحد.

وظيفة الدعاة هداية الدلالة وليست هداية التوفيق

وفرقٌ يا إخوة بين هداية الدلالة وهداية التوفيق، فهداية الدلالة هذه وظيفتنا، أن ندل الخلق على الحق، نقول قال الله جلّ وعلا وقال الرسول r بأدب وتواضع وحكمة ورحمة، أما هداية التوفيق فبيد الله تبارك وتعالى، لا يملكها ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل ولو كان المصطفى، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، هل نرى تعارضًا أيها الشيخ بين هذه الآية التي ذكرت وبين قول الله تعالى لنبيه ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]؟ لا، لا تعارض، الهداية المثبتة للنبي صلى الله

عليه وسلم هي هداية الدِلالة أو الدَلالة، واللغتان صحيحتان بالفتح والكسر، أما الهداية المنفية عن سيدانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي هداية التوفيق، فهذه بيد الله تبارك وتعالى .

ولو كانت بيد المصطفى صلى الله عليه وسلم لهدى النبي عمه أبا طالب، كما في صحيح البخاري وغيره من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بي أبي أمية، فجلس النبي عند رأس عمه وقال (يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أُحاج لك بها عند الله يوم القيامة)، فقال له أبو جهل أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال أبو طالب: بل هو على ملة عبد المطلب، ومات على هذه الكلمة، فخرج النبي من عنده وقال (لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك)، فنزل قول الله جلّ وعلا ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

شبهة أخرى للتخلي عن الدعوة إلى الله

ألا تعجب معي بعد كل هذا الفضل أن يتخلى كثيرٌ من أهل الفضل عن الدعوة إلى الله جلّ وعلا، بل وقد يقنن أحدهم هذا العزوف ويحتج ويدلل له بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهمٌ خطأ، وفهمٌ مقلوبٌ للآية، وقد خشي الصديق رضي الله عنه يومًا عن هذا الفهم الخاطئ للآية فارتقى المنبر كما في سنن الترمذي وسنن ابن ماجة ومسند أحمد بسندٍ صحيح، ارتقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال "أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الأية وتضعونها في غير موضعها، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله أن يعمهم بعقابٍ منه)"، وأنتم تعلمون أن الفتنة والمصيبة إن وقعت تصيب الصالح والطالح ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح البخاري وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا حتى نؤذي من فوقنا، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا جميعًا)، ولم يكرر النبي r لفظ النجاة، (لنجوا جميعًا) .

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي r دخل عليها يومًا فزعًا، وفي لفظٍ استيقظ النبي r يومًا من نومه عندها فزعًا، وهو يقول (لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)، وحلق النبي r بإصبعيه السبابة والإبهام، فقالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال (نعم، إذا كثر الخبث).

فالدعوة إلى الله أيها الأفاضل فرض عين على كل مسلم ومسلمة، كلٌ بحسب قدرته واستطاعته، لأننا نعيش زمانًا انتشر فيه الكفر، واستشرى فيه الباطل، ووما انتشر الكفر وأهله والباطل وأهله إلا يوم أن تخلى عن الحق أهله.

مثال آخر

ألمح الآن صديق الأمة رضي الله عنه أبا بكر بعد ما نطق الشهادتين، وفي أيام قليلة ينطلق إلى الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ليرجع بعد يوم واحد بخمسة من العشرة المبشرين بالجنة، ياالله، يرجع بعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وبالزبير بن العوام، وبسعد أبي وقاص، وبطلحة بن عبيد الله، بعد يوم واحد.

أختم بهذه الكلمات، شتان شتان بين زهرةٍ حقيقية من خلق الله لا حبس عن الناس أريجها وعطرها، وبين زهرة صناعية لا تحمل من عالم الزهور إلا اسمها.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يشرفنا وإياكم بالدعوة إليه، وألا يحرمنا وإياكم من كرامة البلاغ عنه، وألا يحرمنا وإياكم من دلالة الخلق عليه بحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهمية الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الله

ذكرتم أن من وسائل الدعوة المطويات والكتب والأشرطة، هل من وسائل الدعوة أننا مثلا نضع في المساجد مطويات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لعلها تلين القلوب أكثر؟ يعني ما جاء في البحر أو ما جاء في السماوات، الإعجاز العلمي في القرآن الذي أثبته العلم الحديث لعله أقوى في إلانة قلوب الناس

هذا بابٌ عظيم جدًا من الأبواب التي نستطيع أن نتغلغل بها الآن إلى العقول والقلوب، وأنا قدمت العقول على القلوب في هذا الباب لأن كثيرًا من الناس لا يذعن للحق وبكل أسف إلا إذا وجد هذا الحق مدعمٌ بهذه الأدلة العلمية .

لكن ليس معنى ذلك أيها الأحبة أن نلوي أعناق النصوص القرآنية والنبوية لنظرية علمية فما أثبت العلم صحته في القرآن صدقناه، وما كذب العلم صحته أنكرناه، وإنما هذا بابٌ عظيم من الأبواب لاسيما إن كانت المعلومة فيه مضبوطة صحيحة أن نقدمه بصورة جميلة ملفتة للأنظار في المساجد لنبين أن عطاء القرآن مازال متجددًا في عصر العلم .

مثال

يعني لو قدمنا الآن ما أثبته العلم الحديث عن آيات الله تبارك وتعالى في هذه الأجرام السماوية وقدمنا مثلا على سبيل المثال كلمات لأكاديمية البحث العلمي في نيويورك مثلا إذ تقول لقد توصلنا بعد بحث علمي دقيق أن الأجرام السماوية قد وُضعت بنظام دقيق وليس مصادفة عشواء، ولو أن الشمس تركت مدارها إلى أعلى قليل لتجمد كل حي على ظهر الأرض، ولو تركت مدارها إلى أسفل قليلا لاحترق كل حيٍّ على وجه الأرض، ولو ترك القمر مداره إلى أعلى أو إلى أسفل لاختلف حركة المد والجذر وغرقت الأرض بمن فيها أو هلك أهل الأرض عطشًا.

هذه المسائل الجميلة العلمية لاشك أنها تدعم وتجدد الإيمان في قلوب المؤمنين، وتزيل الشك من قلوب المتشككين، وتأتي بقلوب المنحرفين عن رب العالمين إلى الله تبارك وتعالى وإلى القرآن .

مثال آخر

وأود أن لو ذكرت على وجه السرعة بموقف مثلا من مواقف البحث العلمي التي أتت بقلب رجل عالم مشهور كموريس بوكاي مثلا في العصر الحديث، عام ١٩٨١ طلبت فرنسا بصورة رسمية من مصر أن ترسل مصر إليها بمومياء فرعون، واستقبل الرئيس الفرنسي وقتها فرنسوان متران وجميع وزرائه وجميع المسئولين جثة فرعون في المطار، ونقل في موكب مهيب إلى متحف الآثار الفرنسية لإجراء بعض الدراسات على هذه المومياء أو على هذه الجثمان، وكان رئيس البحث العلمي لهذا الفريق موريس بوكاي.

وانشغل كل فريق في تخصصه، لكن موريس بوكاي انشغل بقضية أخرى بالنسبة إليه كبيرة ألا وهي كيف هلك هذا الفرعون، كيف مات، وبعد مدة طويلة من البحث العلمي الدقيق بالحاسوبات الآلية الدقيقة والأجهزة العلمية الحديثة أراد أن يعقد مؤتمرًا صحفيًّا عالميًّا ليعلن فيه للدنيا كلها أمرًا هائلا خطيرًا، فقال له أحد أقرانه في البحث العلمي وفي العمل، وما المعلومة؟ قال أود أن أبين للدنيا كلها أن هذا الفرعون مات غريقًا، فهمس في أذنه وقال لا تتعجل فالمسلمون يزعمون أن القرآن الذي بين أيديهم يتحدث أن فرعون قد مات غريقًا من أربعة عشر قرنًا، قال ماذا؟ هذا محال، لم يكتشف العرب مثل هذه الآلات التي بحثنا بها وتوصلنا إلى هذه المعلومة، قال لا، لا تتعجل، فقال أحضروا لي التوراة فقرأ فلم يجد أثرًا لهذا، فأحضِروا الإنجيل، فأحضَروا الإنجيل فقرأ فلم يجد أثرًا لهذا، أحضِروا القرآن، فأحضَروا القرآن، أو جاء عالمٌ فقرأ عليه آية واحدة فذة من كتاب الله تبارك وتعالى، ألا وهي قول الله جلّ وعلا ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ [يونس: ٩٢]، فنطق وقال أشهد أن هذا القرآن من عند الله، واستمر عشر سنوات يريد أن يستخرج تناقضًا علميًّا واحدًا بين القرآن وبين ما أثبته العلم الحديث فلم يجد، فبعد عشر سنوات قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فأنا أحيي الأخ الكريم، وأذكر إخواني بأن هذا بابٌ من أعظم أبواب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لاسيما ونحن نعيش عصر العلم، وأسأل الله أن يرزقنا وإياكم السداد والإخلاص والتوفيق.

خطر التعالم

قد انتشر في الآونة الأخيرة أناس ادعوا العلم يا شيخ، فنريد منكم حفظكم الله توضيح مظاهر هذا الخطر الجسيم الذي يهدد الأمة الإسلامية بأسرها مع التنويه على كيفية تجنب أمثال هؤلاء من مدعي العلم، وجزاكم الله خيرًا

جزاك الله خيرًا، هذا سؤالٌ في غاية الأهمية، والتعالم لا شك مرض العصر، التعالم مرض العصر وداءٌ خطير، وعتبة الدخول الجائرة الفاجرة ألا وهي القول على الله بغير علم، نرى كثيراً من المتعالمين ممن ادعوا العلم قبل أن يتعلموا، هذا هو التعالم، وبالغوا قبل أن يبلغوا، وتذببوا قبل أن يتحصرموا، فنرى من أخطر مظاهر التعالم الآن، وأنا أحذر إخواني وطلابي من هذا المرض العضال، بل وأحذر نفسي ورب الكعبة، من أخطر مظاهر التعالم أن ترى الآن جرأة رهيبة على الفتوى .

لو تتبعت الفضائيات انقلب إليك بصرك خاسئًا وهو حسير، ترى جرأة على الفتوى في المسائل التي لو عرضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع له أهل بدر، تسمع على فضائية من الفضائيات من يقول السماوات ليست سبعًا، وتسمع من يقول ليس هناك ما يُسمى بالهجرة، وتسمع من يقول ويقول ويقول حتى قال رجل في مسألة حينما سئل هكذا باللغة الدارجة قال "أصل النبي ماكنشي واخد باله"، خلل، فتلمح الآن جرأة على الفتوى في المسائل العويصة التي لو عُرضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر.

تعالم أن يدعي الإنسان العلم قبل أن يتعلم، لا يعرف مرتبة الدليل، ولا يعرف مناط الدليل، ولا يعرف أن يفرق بين المجمل والمبين، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، وتراه يتجرأ على الخوض في كتاب الله تعالى، أو في مسائل الأصول الكبار، قد يقع في التكفير، وقد يقع في التفسيق، وقد يقع في التبديع، وهو لا يحسن أن يفرق بين الدليل ومناطه، بين الدليل ومراتبه، فأنا أقول الدليل ليس منتهى العلم يا أخي، بل لابد من فهم العلم، ولذلك نرى البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم يترجم بابًا فقيهًا بعنوان "باب الفهم في العلم"، ومن جميل ما قاله ابن القيم "إن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديمًا وحديثًا".

فالجرأة على الفتوى من أسوأ مظاهر التعالم، وهي منتشرة جدًا الآن بين كثيرٍ من المنتسبين إلى العلم الشرعي .

يا أخي عبد الله بن عمر نجمٌ في سماء العلم، يأتيه سائلٌ فيقول له: يا ابن عمر أترث العمة؟ فيقول ابن عمر اذهب إلى العلماء فاسألهم، فيقول السائل: أنت يا ابن عمر تقول اذهب إلى العلماء فاسألهم، فيقول: نعم والله ما أحسن جواب مسألتك، فانصرف السائل، فقبل عبد الله بن عمر يد نفسه، ثم قال لنفسه: نعم ما قال أبو عبد الرحمن سئل عن ما لا يدري فقال لا أدري.

وإذا ذُكر العلماء فمالك بن أنس إمام دار الهجرة نجمٌ ثاقب في سماء العلم، يقول تلميذه الشافعي: صحبتُ مالكًا فسئل في ثمانٍ وأربعين مسألة أنا لا أدري.

وإذا ذُكر العلماء فالشافعي نجمٌ ثاقب، يقول إسحاق بن راهويه، قال لي أحمد بن حنبل تعالى يا إسحاق أريك رجلا بمكة ما رأت عيناك مثله، قال: فأراني الشافعي، قال إسحاق: فناظرت الشافعي في الفقه فلم أر أفقه منه، فناظرته في اللغة فوجدته بيت اللغة، فناظرته في الحديث فلم أر أعلم منه، والله لقد صدق أحمد فلم تر عيناي مثله، هذا الشافعي فيأتيه سائلٌ في المجلس فيسأله، فيسكت الشافعي، فيقول السائل أجب، فيسكت الشافعي، فيقول السائل في الثالثة أجب، فيقول الشافعي: انتظر يا أخي حتى أعرف هذا الفضل في سكوتي أم في جوابي.

هؤلاء هم العلماء، فمن أخطر مظاهر التعالم الجرأة على الفتوى، والعجب، والكبر، والغرور، واحتقار الناس، وازدراء الناس، وحفظ بعض المسائل للتأسد والتنمر بها على أقرانه في مجلس من مجالس العلم، يجلس في مجلس فيقول قاعدة من قواعد الأصول مثلا، يذكر قاعدة من القواعد، العمل بالظن لا يصح مادام العمل بالعلم ممكنًا، يعرف الشرط، نيته وهدفه أن يظهر للناس أنه على علم وأنه أعلم منهم .

والنبي صلى الله عليه وسلم كما في مستدرك الحاكم وسنن البيهقي وابن ماجة وغيرها بسندٍ صحيح من حديث كعب بن مالك (من تعلم العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار)، نعوذ بالله من الخذلان.

فيجب علينا:أن نخلص النية، وأن نصحح الطوية، وأن نطهر السريرة، وأن نخلص لله، وأن نعلم أن الفضل بيد الله، وأن القلب كالريشة في مهب الريح، وما سُمي القلب قلبًا إلا لكثرة تقلبه، نسأل الله عزّ وجلّ أن يثبت قلوبنا على الحق وأن يرزقنا الإخلاص، إنه ولي ذلك ومولاه.

ذكرتم يا شيخ تعريف الحكمة لابن القيم رحمه الله، فأين نجد ذلك؟

تجد ذلك إن شاء الله تعالى في كتابه القيم الماتع مدارج السالكين، وأذكر مرةً أخرى بتعريفه إذ يقول الحكمة هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي، وأركانها العلم والحلم والأناة، وآفاتها وأضدادها ومعاول هدمها الجهل والطيش والعجلة، فلا حكمة لطائش ولا لجاهل ولعجول.

هل عدم العمل بالعلم يدعو لترك الدعوة ؟

أحيانًا قد يتعلم المرء أمورًا قد تكون واجب أو منهيات أو سنن أو مكروهات، فلا يطبقها، فهل هذا يعني أنه لا يدعو إليها لكونه لا يطبقها

هذا سؤال جميل وجيه، ليس معنى أن يضعف أحدنا لهيئته وطبيعته البشرية وأن يزل في معصية من المعاصي، وأن يقع في منكر من المنكرات، ليس معنى ذلك أن لا يحذر الناس من هذا بدعوى أنه يقع فيه، لا، لأنك بذلك تقع في معصيتين، أما المعصية الأولى وقوعك في هذا المنكر، والمعصية الثانية عدم تحذيرك للناس من الوقوع في هذا المنكر، أو عدم دعوتك للآخرين لاجتناب هذا المنكر، فأنت بذلك ارتكبت معصيتين، فالإنسان

بشرٌ ضعيفٌ يزل في أي لحظة من اللحظات، ليس معنى ذلك إنه ضيع مثلا قيام الليل أن لا يذكر إخوانه بقيام الليل، ليس معنى ذلك أن لا يحذر من ترك الصلاة، أو أن يذكر إخوانه بالمحافظة على الصلاة في جماعة، وربما يقع في النظر إلى ما حرم الله، ليس معنى ذلك ألا يحذر إخوانه من هذه المعصية.

فيجب على كل من زل في معصية أن يحذر منها، وأنا أرجو الله عزّ وجلّ أن دعوته لغيره بترك المعصية سببًا من أسباب تركه هو لهذه المعصية، فليس معنى أننا نقع في تقصير أن لا نحذر غيرنا من هذا التقصير، وإنما ادع غيرك وحذر، وسل الله تبارك وتعالى أن يرزقك الصدق وأن يعينك على ترك هذا المنكر الذي تحذر الناس منه وأنت واقع فيه، وببركة دعوتك للآخرين أرجو الله أن يبارك عليك وأن يخرجك من هذا المنكر، وأن يجنبك الوقوع، وأن يردك إلى الطاعة ردًا جميلا، إنه ولي ذلك ومولاه.

كيف نعرف من يفتي بعلم من غيره الذي يفتي بغير علم ؟

ما نصيحتك لعوام الناس الذين لا يملكون العلم الشرعي الكافي للتمييز بين الدعاة الذين يفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون ويدعون لدين الله بالباطل، وبين العلماء الربانيين؟ بعبارة أخرى ما هي صفات الدعاة الذين علينا تلقي العلم منهم والاقتداء بهم؟ بارك الله فيكم وفي علمكم.

والله هذا سؤال في غاية الوجاهة، وربما سألني بعض طلابنا في الحلقة الماضية هذا السؤال أيضًا، وأقول بأن الأمر يسيرٌ على طلاب العلم إن شاء الله تعالى، يعني طالب العلم يستطيع أن يميز بين العالم الرباني والداعية الصادق الذي يتلقى العلم على يديه من غيره، لماذا؟

لأننا لا نتعبد الله تبارك وتعالى بتقديس العلماء أو بعبادة العلماء والشيوخ، أبدًا، وإنما منهجنا الذي ندين الله تعالى به ما أصله علي بن أبي طالب رضي الله عنه "اعرف الحق تعرف أهله، فإن الحق لا يُعرف بالرجال، ولكن الرجال هم الذين يُعرفون بالحق" .

ومن بديع ما قاله الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه القيم الاعتصام، قال "ولقد زل أقوامٌ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال، فخرجوا بسبب ذلك على جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل".

ومن بديع ونفيس ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال: "ليس لأحدٍ أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إليه ويوالي ويعادي عليه غير النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأحدٍ أن ينصب للأمة كلامًا يدعو إليه ويوالي ويعادي عليه غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت إليه الأمة" .

ومن أروع ما قاله أيضًا رحمه الله تعالى: "فمن تعصب لواحدٍ من الأئمة بعينه دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحدٍ من الصحابة بعينه دون الباقين"، كالرافضي الذي يتعصب لعلي، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي، وهذا طرق أهل البدع والأهواء، فنحن ندور مع الدليل حيث دار، وهذا واجبٌ على كل طالب علم يستطيع أن يعرف الأدلة وأن يفرق بين مراتب الأدلة ومناطات الأدلة.

أما عامة المسلمين ممن لا يحسنون أن يعرفوا الأدلة أو أن يفرقوا أو أن يعرضوا هذا الكلام الذي يستمعون إليه على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فأنا أقول في كلمات يسيرة أول أمر يجب على المسلم أن يتقي الله تبارك وتعالى وأن يبحث عمن يأخذ منه دينه، فالأمر دين، لا ينبغي للمسلم أن يأخذ دينه الذي يقبل به على ربه تبارك وتعالى من أي أحد، وأول أمر

على المسلم أن ينظر إلى سمت العالم، إلى هديه، إلى دله، هل على سمت المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ هل هو على هدي رسول الله r؟ فكيف أبلغ عن رسول الله r وأنا بعيد عن هديه وسمته ودله.

فأول أمر يستطيع الرجل العادي أن يفرق به أن ينظر إلى سمت العالم، ثم أود أن أقول ولله الحمد، وإن لم يحسن الرجل المسلم العادي أن يفرق بين الأدلة ومراتبها، أود أن أقول بفضل الله جلّ وعلا الحق أبلج والباطل لجلج، الحق يعلوه النور ويكسوه البهاء والجلال والكمال، والباطل يعلوه الظلام، لو سمع المسلم العادي العالم يقول قال الله جلّ وعلا قال الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا هو الذي يؤخذه منه، لأن العلم قال الله قال رسوله، أما إن كانت الحلقة في فضائية من الفضائيات أو في مجلس من المجالس يُقضى الوقت كله في كلام مسرود مُطول لم يُنور بآية من كتاب الله، ولم يُدعم بحديثٍ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليحذر المسلم أن يتلقى كل هذا.

ومن رحمة الله تبارك وتعالى أن أبقى الله في الأمة الربانيين والمخلصين ممن يبلغون عن الله ورسوله، وأختم بهذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذله أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)، وفي لفظٍ (وهم كذلك).

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصبر على الأذى في العلم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء:١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد، فحياكم الله جميعًا أيها الإخوة الفضلاء، وأسأل الله – سبحانه وتعالى – الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته، إنه وليُّ ذلك ومولاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.)

وقد فصلنا القول في هذه المسألة الأولى (المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ، المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)

موضوع درس اليوم

ونحن اليوم بإذن الله تعالى على موعد مع المسألة الرابعة ألا وهي قوله رحمه الله (الصَّبْرُ عَلَى الأذَى فِيهِ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣]).

فضل الصبر

ما أحوجنا جميعاً إلى هذه المسألة، الصبر جواد لا يكبو، وجند لا يهزم، وحصن لا يهدم .

١- وقد شرف الله أهل الصبر وأكرمهم فجعلهم في معيته ويا لها من كرامة، وأكرمه فجعله في معيته ويا لها من كرامة فقال – جلّ وعلا – ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٣] .

والمعية نوعان: معية عامة، ومعية خاصة، المراد بالمعية في الآية هنا، المعية الخاصة ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ هذه هي المعية الخاصة معية النصر والمدد، والتأييد، والفضل، فيا لها من كرامة أن تكون أيها الصابر في معية الله – تبارك وتعالى

٢- بل لقد ذكر الله – جلّ جلاله – في قرآنه أن الله – سبحانه وتعالى – يحب الصابرين، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦] فإن كنت أيها الصابر في معية الله فممن تخاف؟! وإن كان الله يحبك فعلى أي شيء تحزن .

٣- وقال الله – سبحانه وتعالى – وقد جمع للصابرين هذه البشريات التي لم يجمعها لغيرهم قال – جلّ جلاله – ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٥] .

من الصابرون؟ قال الله – جلّ جلاله – ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[البقرة:١٥٦] انظر إلى فضل الله عليهم ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة:١٥٧] .

فجمع الله للصابرين من البشريات ما لم يجمعه أبداً لغيرهم ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

٤- بل بين الله كرامة الصابرين حين تدخل الملائكة عليهم الجنة لتبشرهم ولتحييهم هذه التحية الكريمة فقال – سبحانه وتعالى – ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[الرعد:٢٣-٢٤].

٥- ثم أجمل الله – جلّ جلاله – فضل الصابرين فقال – سبحانه وتعالى – ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠] .

أي لا يعلم أجر الصابرين إلا الله ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والحديث عن آيات الصبر في القرآن حديث طويل جميل بطول الصبر وجماله وجلاله .

٦- وبالجملة قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى لقد ذكر الله الصبر في القرآن في تسعين موضعاً وهذا إن دل فإنما يدل على شرف الصبر ومكانة الصبر بل لا تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين.

٧- قال ابن القيم: إذا تزوج الصبر باليقين حصل بينهما ولادة الإمامة في الدين، قال – جلّ جلاله – ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة:٢٤] .

تدبروا معي لا تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا متى قال – جلّ جلاله – ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

السؤال ما الصبر ؟

هذه مقدمة مختصرة في فضل الصبر، ومكانته فما الصبر إذاً ؟

الصبر –أيها الأحبة– لغة: هو الحبس والمنع .

فهو: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي وحبس الجوارح عن المعاصي.

الصبر منهج الصبر دين ليس مجرد كلمة يرددها مبتلى، بعد أن يقول ما يسخط ربه – تبارك وتعالى – وبعد أن يفعل ما نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن فعله ثم بعد ذلك يقول أنا صابر، كلا كلا، إنما الصبر عند الصدمة الأولى، فالصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعاصي.

والتحقيق حتى لا أشق على إخواني وأخواتي ممن يحضرون معنا الآن وممن يتابعوننا .

التحقيق أن الشكوى نوعان:

شكوى محمودة .

وشكوى مذمومة .

شكوى إلى الله، وشكوى من الله، أما الشكوى إلى الله فهي من كمال وتمام العبودية، فلقد ذكر الله – تبارك وتعالى – نبياً كريماً من أنبيائه ألا وهو يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام، الذي قال الله عنه ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[يوسف: ١٨] والصبر الجميل هو الصبر الذي يستعلي صاحبه عن الألم وعن الشكوى، هو الصبر الذي يبتغي به صاحبه وجه الله – تبارك وتعالى – فهو لا يصبر من أجل أن يقول الناس صبر، ولا خوفاً من أن يقول الناس جذع، لا، بل هو يستعلي على آلامه وأحزانه ابتغاء وجه الله – تبارك وتعالى – هذا هو الصبر الجميل، فيعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام يقول: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ١٨] .

حينما جاء أولاده وأخبروه بهذا الخبر المفزع الآليم، ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف:١٧] الآيات، فقال قولته الجميلة ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ومع ذلك فقد اشتكى إلى الله، قال ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾[يوسف:٨٦] فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر بل اشكو حالك إلى الله، واشكوا فقرك إلى الله، واشكو ضعفك إلى الله، واشكوا عجزك إلى الله، وقم بالليل واطرح قلبك بذل وانكسار بين يديه واشكوا له كل ما تعاني .

بك أستجير ومن يجير سواك	فأجر ضعيفاً يحتمي بحماك
إني ضعيف أستعين على قوي	ذنبي ومعصيتي ببعض قواك
أذنبت يا ربي وقادتني ذنوب	ما لها من غافر إلاك
دنياي غرتني وعفوك شدني	ما حيلتي في هذه أو ذاك
لو أن قلبي شكّى لم يك مؤمناً	بكريم عفوك ما غوى وعصاك
رباه هاأنذا خُلصت من الهوى	واستقبل القلب الخلي هداك
رباه قلب تائب ناجاك أترده؟	وترد توبة تائب حشاك
أترده وترد صادق توبتي حشاك	ترفض تائباً حشاك

فليرضى عني الناس أو فليسخطوا   أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

فقم واشكوا حالك إليه فهذا من تمام وكمال عبوديتك بين يديه – جلّ جلاله – .

أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام الذي أثنى عليه ربنا – تبارك وتعالى – بصفة الصبر فقال – جلّ جلاله – ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً ﴾ [صّ: ٤٤] لاحظ أن الذي يحكم لأيوب هو ربنا – تبارك وتعالى – ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ومع ذلك فقد شكى أيوب حاله إلى الله – جلّ جلاله – شكى حاله إلى الله – تبارك وتعالى – بكلمة رقراقة جميلة ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾[الانبياء:٨٣] مسني لم يقل أهلكني مع أنه فقد ماله وفقد أولاده وفقد صحته وعافيته، وابتلي بمرض أقعده في الأرض أو في الفراش، وليس كما يقول من لا يحترمون الدليل ولا العقل أن الدود ملأ جسده إلى آخر هذه الإسرائيليات والأكاذيب، فقد ماله، وفقد أهله وابتلي بمرض أقعده، في الفراش، وصبر مدة طويلة، ولما أراد أن يشكو حاله إلى الله عبر بهذه الكلمة الرقيقة الجميلة ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

إذاً الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر بل هي من كمال العبودية لله – جلّ جلاله – .

أما الشكوى من الله فهي التي تنافي الصبر، أن تشكو الخالق إلى المخلوق، وأن تشكو الرازق إلى المرزوق، وأن تشكو الرحمن الرحيم، إلى من لا يرحم، فالله – جلّ جلاله – ليس أحد أرحم بعباده منه، ليس أحد أرحم بخلقه منه، أولم يقل نبينا – صلى الله عليه وسلم – (لله أرحم بعباده من رحمة الأم بولدها) .

إذاً الصبر أيها الأحبة هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن المعاصي .

أقسام الصبر

ومن هنا، يقسم علماؤنا الصبر اصطلاحاً إلى ثلاثة أقسام، تدبر معي، يقسم علماؤنا الصبر من الناحية الاصطلاحية إلى ثلاثة أقسام، صبرٌ أو صبرٍ واللغتان صحيحتان:

صبرٌ على الطاعة، أو صبرٌ على المأمور.

وصبرٌ عن المعصية، أو صبرٌ عن المحظور.

وصبرٌ على البلاء، أو صبر على المقدور .

أكرر الصبر ثلاثة أقسام:

صبرٌ على الطاعة، اللهم اجعلنا وإياكم ممن يصبرون على طاعته، صبر على الطاعة أو صبر على المأمور، أي صبر على ما أمرك الله – عزّ وجلّ – به، وهذا يا أخوة من أرقى وأجل مراتب وأقسام الصبر أن تصبر نفسك على طاعة الله – جلّ جلاله – فالنفس جموح ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[يوسف:٥٣].

فمن صبّر نفسه على طاعة الله على أن يقوم ليصلي الفجر في جماعة في شدة البرد، على أن يقوم ليصلي لله بالليل وأن ينتزع نفسه من الفراش من بين أحضان زوجه الحسناء، على أن يمتنع عن أكل الحرام، على أن يمتنع عن أكل الربا، على أن يغض الطرف عن الحرام مع كثرة الفتن، على أن يكف لسانه عن الغيبة والنميمة، مع أن

الغيبة صارت فاكهة المجالس، فمن يصبر نفسه على طاعة الله – سبحانه وتعالى – ويمتثل الأمر فهذه رتبة من أعظم الرتب، ودرجة من أعلى الدرجات .

وصبر عن المحظور، أي عن المعصية، أن تصبر نفسك وأن تبتعد عن معصية الله – تبارك وتعالى – ولا شك أنها درجة أيضاً من أعظم الدرجات، أن تنتهي عما نهاك الله – تبارك وتعالى – عنه وعما نهاك عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن تصبر على المعاصي مع كثرة الشهوات، التى تحيط بك من كل ناحية.

إنها فتن كقطع الليل المظلم ومع ذلك يصبر المؤمن نفسه على الطاعة وعن المعصية ويبتعد عن بيئة المعصية ويلقي بنفسه في بيئة الطاعة، فهذه درجة من أعظم الدرجات، وهذه قربة من أعظم القربات، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وصبر على البلاء، أو صبر على المقدور، قال الله – جلّ جلاله – ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر:٤٩] وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت:١-٣].

الإيمان يا أخوة ليس مجرد كلمة ترددها الألسنة فقط، لا، بل معتقدنا الذي ندين الله به أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما سنفصل إن شاء الله بعد ذلك.

فالإيمان ليس كلمة ترددها الألسنة فحسب، الإيمان أمانة ذات تكاليف، ومسئولية ضخمة ذات أعباء، والله – تبارك وتعالى – يبتلي أهل الإيمان، ليميز الخبيث من الطيب، ليظهر الصادق من الكاذب، فكثير من الناس يردد كلمة الإيمان يحسبها سهلة هينة خفيفة الحمل، فهو يردد كلمة الإيمان وهو سائر على درب الدعوة، وعلى الطريق إلى الله – تبارك وتعالى – مع السائرين إن حصل من المغانم ما حصل ومن المكاسب المادية ما حصل فهو سائر على الدرب، أما إن تعرض لمحنة، وإن تعرض لفتنة، وإن تعرض لابتلاء، نكص على عقبيه هذا لا يستحق أن يشرف برفع راية الدعوة إلى الله، وليس جديراً أن يسير على هذا الطريق على درب الأنبياء، على درب نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم صلوات الله عليهم أجمعين .

ولو كان، احفظوا مني هذا، لو كان طريق الدعوة إلى الله هيناً ليناً سهلاً مفروشاً بالورد والزهور والرياحين لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة، ولاختلطت حينئذ دعوة الحق بدعاوى الباطل وما أكثرها .

أكرر هذا الكلام لأهميته أقول: ليس الإيمان مجرد كلمة ترددها الألسنة فحسب، كلا بل الإيمان قول وتصديق وعمل، الإيمان أمانة عظيمة، ومسئولية كبيرة ذات تكاليف، ذات أعباء، ولا يجوز أبداً أن يردد الإنسان كلمة الإيمان دون أن يمحص وأن يبتلى، أيثبت على الدرب أم ينكص على عقبيه؟ قال – جلّ جلاله – ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[الحج:١١] .

اللهم ثبتنا على الحق وعلى الإيمان ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ إن حقق المكاسب والمغانم سواء كانت مادية أو معنوية، فهو سائر على الدرب على طريق الإيمان مع السائرين، أما إن تعرض لمحنة ولم يكن صادقاً نكص على عقبيه، وترك الدرب، وقال أريد أن أربي الأولاد، أريد أن أعيش سعيداً، لا أريد أن أتعرض لأذى، لا أريد أن أتعرض لفتن، لا أريد أن أتعرض لمحن، هو يتصور أن كلمة الإيمان مجرد كلمة، أو أن الإيمان كلمة فقط، ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت:٢] لا، لا، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٣] واسمحوا لى أن أطيل النفس الآن في هذه المسألة؛ لأنني أعالج بها واقعاً تحياه الأمة الآن، أعالج بها واقع شباب

الصحوة الذي يعاني ويتساءل في كل لقاء من اللقاءات، فالفتن كثيرة والمحن كثيرة، والشباب إلى الآن لا يريد أن يتعلم أبداً الصبر، الشباب متعجل، ومن تعجل الشيء قبل آوانه عوقب بحرمانه، الشباب يستكثر هذه المحن والفتن والابتلاءات التي تمر بها الأمة الآن ويتساءل أين النصر؟ أين العزة؟ أين الاستعلاء؟ أين التمكين؟ أين الاستخلاف؟

بل لقد قال لي قائل بنفس اللفظ قال لي يا شيخ: هل خلق الله الكون ونفض يديه من الكون ولم يعد الله قادراً على ضبط الكون بميزان الحق والعدل ؟ ألا يرى هذه الدماء التي تسفك، والأشلاء التي تمزق ؟

أنستنا العجلة سنن الله الثابتة في الكون، إن لله سنناً ربانية لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل تلك السنن أحداً من الخلق بحال، مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة .

لقد هُزم المسلمون في أحد، لا تجمل اللفظة أبداً، نعم هُزموا، وقائد الميدان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتساءل الصحابة كيف نهزم ؟ وقائد الميدان رسول الله، كيف نهزم وعدونا هم المشركون؟ فنزل قرآن يربي الصحابة والأمة من بعدهم ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ لا تعلق أخطاءك على الحكام تارة ولا على العلماء تارة ولا على الأعداء تارة بل تقصيرك أنت هو السبب، وتقصيري أنا هو السبب، لماذا أنظر إلى القذاة في عينك، وأغض الطرف عن عود في عيني؟ لماذا نبرر لأنفسنا دائماً الأخطاء والتقصير؟ لماذا نعلق دائماً على غيرنا، ونتجاهل سنن الله في الكون التى لا تجامل أحداً من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة؟ تسمع الآن من يقول إحنا حبايب النبي، وإحنا بتوع النبي، واللى يحب النبي يزأ"يدفع"، ما هذا ؟ هذا خلل في فهم القرآن وفى فهم السنة وفي فهم سنن الله الكونية التى يضبط بها الكون، ويضبط بها الحياة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١] .

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الأنفال:٥٣] سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، فالشباب الآن متعجل النصر مع أننا لم نبذل بعد كل أسباب النصر، كل أسباب التمكين، كل أسباب العز، لا نريد إلى هذه اللحظة أن نتعلم الصبر.

الكل متعجل بل الكل يتساءل الآن وربما بجرأة لماذا لا ينصرنا الله ؟ لماذا؟ جرأة على الله – تبارك وتعالى – أنت لست مسئولاً عن النتائج، ولست أغير على دين الله من الله، ولست أغير على المستضعفين الذين تسفك دماؤهم وتمزق أشلاؤهم من الله، ولست أغير على الدين ولا على الأمة من الله، لكن الله لا يعجل لعجلة أحد .

تدبروا هذا الدرس أيها الأحبة، ولكن الله لا يعجل لعجلة أحد أبداً، ما عليك إلا أن تبذل وأن تأخذ بالأسباب وأن تبذر في حقل الإسلام بذراً صحيحاً على القرآن والسنة بفهم سلف الأمة وأن نتأدب مع الله وندع النتائج له – تبارك وتعالى – فإن الله – عزّ وجلّ – لا يعجل بعجلة أحد .

وأكرر من تعجل الشيء قبل آوانه عوقب بحرمانه، سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير .

فتدبر معي مرة أخرى قول الله – جلّ جلاله – ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ﴾ ويفتح صدره على آخره آمنا، ثم إذا تعرض لمحنة أو فتنة أو ابتلاء، نكص على عقبية وترك الدرب وحاد عن الطريق ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ تصور أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يبتلى ويؤذى فالطريق لابد أن تؤذى فيه، ولابد أن تصبر نفسك على الأذى الذي ستتعرض إليه على هذا الدرب وعلى هذا الطريق.

فمن سلك هذا الدرب لابد أن يؤذى، قال – جلّ جلاله – ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[الفرقان:٣١] .

وقال – جلّ جلاله – ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين:٢٩-٣٢] أصوليون، وصوليون، فضوليون، فوضويون، همجيون، رجعيون، متأخرون، متخلفون، جامدون، لا يفهمون الواقع، لا يعرفون شيئاً عن الزمن، إلى آخر هذه التهم المعلبة، التى تكال الآن للمؤمنين في الليل والنهار، سنة، سنة، لا تتعجل ولا تغضب ولا تحزن، بل أنا أتصور أن المؤمن العاقل يستبشر لأن الله يشهد له في هذه الآية بالإيمان إن تعرض للأذى والتهم وهو على الحق فليبشر؛ لأنها شهادة له من الله أنه على الإيمان ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ شهادة من الله تعالى.

فأرجو أن تتصوروا أنه ما من رسول ولا نبي ولا مصلح سلك هذا الدرب سلك الطريق إلى الله، سلك طريق الدعوة إليه – جلّ جلاله – إلا وتعرض للأذى إلا وتعرض للمحن، إلا وتعرض لابتلاءات، والمؤمن هو الذي يصبر نفسه على الأذى وعلى المحن وعلى الفتن حتى يلقى الله – جلّ جلاله – وليس من الضرورة أن يجني ثمرة الصبر في حياته بل النصر الحقيقي أن تموت وأنت على الدين .

هذا هو النصر، أن تظل ثابتاً على دين الله – جلّ جلاله – حتى تلقى الله – تبارك وتعالى – وليست بالضرورة ألبتة أن تجني ثمرة الصبر على الأذى في عصرك في عهدك، ولا في عهد ولدك ولا في عهد أحفادك ليس هذا من شأننا ولا من شأن العبيد، إنما هو أمر شأن العزيز الحميد – جلّ جلاله – الذي ينصر دينه وقتما أراد أن ينصر دينه، ويمكّن لدينه في الوقت الذي أراد أن يمكّن لدينه، فما علينا نحن إلا أن نبذل وأن نمتثل وأن نجتنب، وأن نقف عند الحد وأن نعمل ما أمر الله به ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وأن ندع النتائج له – تبارك وتعالى – .

ما من نبي ولا رسول إلا وتعرض للأذى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[الأنعام: ٣٤] انظر إلى هذا الخطاب إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام:٣٤].

تصور أن الأذى يشتد بالنبى – صلى الله عليه وسلم – وهو صاحب أطهر وأشرف نفس يشتد به الأذى على الحد الذي يحتاج فيه النبي إلى أن يُذكر من ربه العلي بقوله ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[الاحقاف:٣٥] .

هل استوعبتم مني هذه الكلمات؟ أقول تصور أن الأذى قد اشتد بالنبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الحد الذي احتاج فيه نبينا وهو صاحب النفس الزكية، وهو صاحب النفس المطمئنة، وهو صاحب التوكل على الله – جلّ جلاله – يحتاج من شدة الأذى، أن يذكره ربه – تبارك وتعالى – بقوله ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ أمر ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ وددت لو تدبر شبابنا واستفاد شبابنا من هذا الأمر الرباني للحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم – فاصبر، اصبر يا أخي لا تتعجل، العنف يهدم ولا يبني، والشدة تفسد ولا تصلح، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه .

هذا الذي يريد النصر والعزة والاستخلاف والتمكين، ولم تقدم الأمة الآن كل أسباب النصر والعز والاستخلاف والتمكين، هذا متعجل ويريد أن يجني الثمرة قبل أن تنضج، وهذا مخالف لسنن الله في الكون .

يا أخي كلنا يحب ثمرة المانجو، لكن أتحداك أن تأكل ثمرة من ثمار المانجو قبل أن تطيب، لا تستطيع، ستلفظها .

فمن تعجل الشيء قبل آوانه عوقب بحرمانه كما ذكرت قبل ذلك مرتين .

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يحتاج إلى أن يذكر من ربه بالصبر من شدة الأذى، من شدة الابتلاء، من شدة المحن التى تعرض لها، بل من أول لحظة أيها الأحبة ارتقى فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – جبل الصفا بعدما أمر من الله – جلّ جلاله – بالبلاغ، ونادى النبى على بطون قريش والحديث في الصحيحين (يا بني فهر يا بني عدي) ينادي على بطون قريش فاجتموا ووقفوا بين يديه فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم، ما جربنا عليك كذبا) انظر إلى بلاغة وحجة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (قالوا نعم، ما جربنا عليك كذبا، قال إني رسول الله إليكم بين يدي عذاب شديد، فقال عمه أبو لهب تباً لك سائر اليوم يا محمد، ألهذا جمعتنا ؟) فاقتص الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – ودافع عنه فنزل قوله – جلّ جلاله – ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴿٥﴾﴾[المسد:١–٥].

من هذه اللحظة يا أخوة تعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصناف الأذى والفتن والمحن والابتلاء، بل لقد أبرقت مكة وأرعدت وأرغت مكة وأزبدت ودقت طبول الحرب وأوعدت، وصبت مكة كلها جام غضبها على ابنها البار الذي خلعت عليه بالإجماع قبل النبوة الصادق الأمين، لا إله إلا الله، هم الذين لقبوه بهذا، هم الذين خلعوا عليه هذا اللقب، دخل علينا الصادق الأمين، ومع ذلك فهم الآن يصبون جام غضبهم عليه لأنه يدعوهم الآن إلى توحيد الله – تبارك وتعالى – والكفر بالطواغيت والأنداد والأرباب والآلهة المكذوبة الباطلة المدعاه.

من هذه اللحظة لم يتوقف الأذى، بل والله لقد تعرض النبي للخنق على يد عقبة بن أبي معيط، عليه من الله ما يستحقه، حتى كادت أنفاس النبي أن تخرج وجاء الصديق ليرد هذا الشقي الفاجر عن رسول الله وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

وضع التراب على رأس النبي – صلى الله عليه وسلم – كما روى الطبري وغيره بسند حسن، بل لقد وضعت النجاسة على ظهره – صلى الله عليه وسلم – وهو ساجد بين يدي الله – تبارك وتعالى – كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال (قال أبو جهل أيكم يجيء بسلا جذور بني فلان فيلقيه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، عقبة بن أبي معيط، وجاء بسلا الجذور، بهذه القاذورات، والنجاسات وانتظر حتى سجد النبي – صلى الله عليه وسلم – فألقى هذا الشقي النجاسة على ظهر النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو ساجد) أرجو أن تعيش هذا المشهد، (وظل النبي ساجدا والمشركون المجرمون يحيل بعضهم على بعض أي يضحكون ويتمايلون بطراً وكبراً ورسول الله ساجد والنجاسة على رأسه وعلى ظهره، يقول عبدالله بن مسعود وأنا لا أستطيع أن أفعل له شيئاً، حتى جاءت فاطمة ابنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأزالت النجاسة عن ظهره الشريف، فجلس النبي بعدما انتهى من صلاته ويقول اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش)، أنا أسألك أخي هل وضعت النجاسة على ظهرك؟ هل وضع التراب على رأسك؟ هل خنقت خنقاً شديداً حتى كادت أنفاسك أن تخرج وأنت على هذا الدرب على طريق الله – تبارك وتعالى – ؟

هذا نبينا يؤذى هذا الإيذاء، بل لقد قال أبو جهل والحديث رواه مسلم أيعفر محمد وجهه بين أظهركم، يعني يأتي ليسجد لربه بين أظهرنا، واللات والعزى لئن جاء محمد ليسجد لأطأن عنقه ولأعفرن وجهه، يزعم هذا الوغد أنه سيطأ بقدمه عنق ورأس رسول الله وهو ساجد بين يدي ربه – جلّ جلاله – وبالفعل سجد النبي – صلى الله عليه وسلم – لربه فجاء أبو جهل وهو يزعم أنه سيطأ عنق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففاجئ

القوم بأنه يعود إلى الخلف القهقرة ويدفع بيديه هكذا، هكذا، قالوا ما وراءك يا أبا الحكم، قال إن بيني وبين محمد خندقاً من نار، وإني لأرى أجنحة فلما انفلت النبي – صلى الله عليه وسلم – من صلاته قال (والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) .

بل لقد قال النبي يوماً لعائشة كما في الصحيحين (قالت يا رسول الله هل أتى عليك يوماً أشد من يوم أحد؟) أحد تعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا اليوم للقتل، بل لقد شج وجهه الشريف، ودخلت حلقة المغفر في وجنتيه الشريفتين، وكسرت رباعيته، وانتشر بالفعل في الميدان خبر قتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقد ألقى بعض الصحابة السلاح بالفعل، واستسلموا للموت، حتى مر عليهم أنس بن النضر وحديثه في الصحيحين قال ما تصنعون لما ألقيتم السلاح ؟ قالوا مات رسول الله فما نصنع بالحياة بعده؟ قال قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله .

إلى هذا الحد ؟ نعم فالسيدة عائشة تقول (هل أتى عليك يوماً كان أشد من يوم أحد؟) اسمع ماذا قال (قال لقد لقيت من قومك ما لقيت يا عائشة، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة) يقصد يوم الطائف (يوم عرضت نفسي على ابن عبد يليل بن عبد كلال) وهو من أشراف أهل الطائف (فلما لم يجبني إلى ما أردت عدت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب) قرن الثعالب مكان يبعد عن الطائف بخمسة كيلو .

تصور أنه لم يستفق من الهم من الألم من الأذى، دعوة مطاردة، وأصحاب مشردون في الحبشة، وأصحاب معذبون في مكة، وصاحب الدعوة مطارد، (لم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب وإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فرأيت جبريل – عليه السلام – ينادي السلام عليك يا محمد) – صلى الله عليه وسلم – (إن الله سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك وقد أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، قال فناداني ملك الجبال وقال السلام عليك يا محمد، إن الله بعثي إليك فمرني بما شئت، لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت) والأخشبان جبلان عظيمان يقال للأول أبو قبيس ويقال للثاني الأحمر (لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت) .

والله يا أخوة لو كان النبي – صلى الله عليه وسلم – مما ينتقم لذاته ويثأر لنفسه لأمر النبي ملك الجبال فلحطم ملك الجبال هذه الرؤوس الصلدة والجماجم العنيدة، ولسالت بحور من الدماء لا أقول ليراها أهل الطائف بالطائف، بل ليراها أهل مكة بمكة، لكنه ما خرج لذاته قط، وما انتقم لنفسه أبداً، بل خرج وهو يحمل في قلبه ربيعاً يتجدد يتنفس، خرج وهو يحمل في قلبه أملاً ينمو كل لحظة لذا يقول لملك الجبال (لا يا ملك الجبال، بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا) .

إنه نهر الرحمة وينبوع الحنان، هذا نبينا، أنا لم أتكلم عن الأذى الذي تعرض له نوح، ولم أتكلم عن الأذى الذي تعرض له إبراهيم ، ولم أتكلم عن الأذى الذي تعرض له موسى، أو تعرض له عيسى، أو تعرض له زكريا، أو تعرض له يحيى، وإنما أتكلم عن الأذى الذي تعرض له نبينا، فهو أشرف نبي وأقرب نبي من الرب العليّ ومع هذا يتعرض لهذا الأذى، ويتعرض لهذه المحن، وهذه الفتن، وهذه الابتلاءات.

قيل له يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً ؟ قال (الأنبياء) أنا لا أقول العصاة، ولم يقل مذنبون وإنما قال (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه) وفى لفظ قال – صلى الله عليه وسلم – (وما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة)

ارجع معي للآية ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٢-٣].

قد يسألني الآن طالب علم نجيب هنا أو هنالك في أي مكان من العالم ويقول وهل ربنا – جلّ جلاله – لا يعرف الصادق من الكاذب إلا بعد أن تقع الفتنة والمحنة والابتلاء ؟

الله – جلّ جلاله – يقول ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ وهل لا يعلم الله الصادق من الكاذب إلا بعد وقوع الفتنة والمحنة والابتلاء ؟ كلا كلا، فالله – جلّ جلاله – يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن، لو قدر الله – عزّ وجلّ – له أن يكون لعلم كيف يكون.

ما من جبل على ظهر الأرض إلا ويعلم الله ما في قعره ما في وعره، وما من بحر ولا نهر على سطح الأرض إلا ويعلم الله ما في وعره، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، قال – جلّ جلاله – ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[الأنعام:٥٩] .

إذاً لماذا؟ تدبروا هذا الجواب البديع، قال علماؤنا: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٣]

قالو: الله – عزّ وجلّ – لا يحاسب الخلق بمقتضى علمه فيهم، وإنما بمقتضى عملهم هم، فالله يعلم الصادق من الكاذب، لكن تأتي المحنة لتثبت للصادق صدقه، وللكاذب كذبه، فلا يعامل الخلق بمقتضى علمه فيهم وهو الحكم الحق العدل – جلّ جلاله – وإنما بمقتضى عمل الخلق بأنفسهم، فيعامل أو يجازي الصادق على صدقه ويجازي الكاذب على كذبه، ثم ليظهر للصف المسلم الصادق من الكاذب .

قد يندس الكذابون والمنافقون في الصف فتأتي المحن لتبرز المنافقين ولتظهر الكذابين.

إذاً لا تظهر المعادن إلا بعد التمحيص، كالذهب لا يخلص من الشوائب العالقة به إلا بعد أن يدخل النار، كذلك الفتنة تأتي لتصفى الصف لتميز الخبيث من الطيب، لتمحص العاملين والسائرين على الدرب، قال – جلّ جلاله – ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ والله الذي لا إله غيره لم أجد في قواميس اللغة على وجه الأرض مرادفاً لقوله – جلّ جلاله – ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ أبداً أترك لك أنت أن تتصور حجم هذا الزلزال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ اسمع ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة:٢١٤].

وقال – جلّ جلاله – ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٢].

الأمر ليس فوضى وليس ادعاءً فما أيسر الإدعاء وما أرخص الكلام، وما أسهل الزعم، والتنظير البارد بارد وميسور ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[يوسف:١١٠] .

إذاً لابد من الأذى ولابد من المحن ولابد من الفتن، ولابد من الابتلاءات، بل الله – جلّ جلاله – يربي الأمة بالمحن، هل استوعبت هذه اللفظة، الله – جلّ جلاله – يربي الأمة بالمحن، بل وأنا أتصور أن أعصف محنة تعرض لها النبي – صلى الله عليه وسلم – وتعرض لها الصف المسلم معه هي محنة الإفك، لماذا؟

لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه المحنة اتهم في عرضه اتهم في شرفه، واتهمت عائشة في شرفها وعرضها، واتهم صفوان بن المعطل السلمي واتهم الصديق – رضي الله عنه – واتهم المجتمع الإسلامي كله بهذه التهمة النكراء، ومع ذلك يقول الله – جلّ جلاله – في هذه المحنة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[النور:١١] .

قال – جلّ جلاله – ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾[البقرة:٢١٦] .

فلابد من المحن ولابد من الفتن ولابد من الابتلاءات ولابد من الصبر على الأذى في هذا الدرب، إنها سنة ربانية لا تتبدل ولا تتغير .

نسأل الله – عزّ وجلّ – أن يرزقنا الصبر على المحن والفتن والابتلاءات حتى نلقاه إنه ولي ذلك ومولاه .

قال المصنف رحمه الله تعالى (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾[العصر:١–٣] .

قال الشافعي رحمه الله تعالى لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

الدليل على هذه المسألة الرابعة التي فصلت فيها القول آنفاً هو قول الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ يستدل المصنف بهذه السورة الكريمة على هذه المسألة الرابعة بل على المسائل كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ قسم، الله – جلّ جلاله – يقسم بالعصر والعصر هو الدهر، فهو محل الأحداث من خير وشر، ومن أهل العلم من قال بأن المراد بالعصر هنا هو عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن أهل العلم من قال أن المراد بالعصر هنا صلاة العصر كما ثبت في الصحيح .

والله – جلّ جلاله – له أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالخالق – تبارك وتعالى – فالله – جلّ جلاله – يقسم بالعصر بالدهر بالأيام والليالي ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾[الفرقان:٦٢] .

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ .

إن الإنسان، كل الإنسان لفي خسر، أي لفي خسران، واستثنى الله – تبارك وتعالى – إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾ .

إيمان بالله – تبارك وتعالى – وهذا الإيمان لابد أن ينبني عن العلم إذ لا يصح الإيمان إلا بالعلم إلا بأن تعرف الله وتعرف نبيه وتعرف دينك.

الإيمان بالله – تبارك وتعالى – والعمل الصالح، والعمل الصالح هو كل عمل يقربك إلى الله – جلّ جلاله – بشرط أن تبتغي به وجه الله – تبارك وتعالى – وأن يكون عملك هذا موافقاً لهدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ . ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير منكر .

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، لابد أن تعلم أنك إن سلكت الدرب ستتعرض للمحن والأذى فلابد أن تصبر نفسك وأن تدعو غيرك إلى الصبر، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

هذا بإيجاز في قول الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

أسأل الله – تبارك وتعالى – أن يرزقنا الإيمان وأن يرزقنا العمل وأن يرزقنا التواصي بالحق وأن يرزقنا التواصي بالصبر إنه ولي ذلك والقادر عليه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لماذا ذكر الشيخ رحمه الله هذه المسائل قبل شرح الثلاثة الأصول ؟

ذكر الشيخ كما بينت في أول لقاء هذه المسائل الأربع، وذكر بعد ذلك موضوعات ثلاثة أخرى سنفصلها إن شاء الله تعالى بين يدي الأصول الثلاثة بمثابة المقدمة بين يدي الحديث عن هذه الأصول .

وقد ذكرت أن هذه المسائل والموضوعات الثلاثة التي ذكرها الشيخ رحمها الله في المقدمة تشمل الدين كله، كما بينا فهي لا تقل أبداً أهمية عن الأصول التي سيشرحها أو سيفصلها الشيخ بعد ذلك؛ لأننا كما رأينا نتكلم عن العلم بالله وعن معرفة الله وعن معرفة رسوله وعن معرفة الإسلام، ونتكلم عن العمل بهذا العلم، ونتكلم عن الدعوة إلى هذا، ونتكلم عن الصبر على الأذى فيه.

أتصور أن هذا كما قال شيخنا ابن تيمية رحمه الله تعالى قال هذه المسائل تشتمل على الدين كله، فهي بمثابة المقدمة والتوطأة بين يدي الأصول ولا تقل أهمية أبداً عن حديثه رحمه الله تعالى عن الأصول الثلاثة كما سنبين إن شاء الله .

السلام عليكم، السؤال الأول: كيف نجمع بين قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس (احفظ الله يحفظك) أي أن الله يحفظ العبد من السوء والأذى إذا حفظ الله وبين قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (أن المؤمن يبتلى على قدر إيمانه) أي أنه يصيبه الأذى كلما ارتفع إيمانه. السؤال الثاني أيهما أكمل وأفضل الصبر على الطاعة أم الصبر عن المعاصي ؟

لا يتنافى هذا مع ذاك على الإطلاق فنحن نتفق على أن الله – تبارك وتعالى – يحفظ عبده المؤمن إذا شاء أن يحفظه في الوقت الذي يشاء .

(احفظ الله يحفظك) أي بامتثال أمره واجتناب نهيه والوقوف عند حدوده كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في كتابه الماتع جامع العلوم والحكم .

(يحفظك) أي يحفظ الله – تبارك وتعالى – من كل أذى ومن كل سوء ومن كل ابتلاء، هذا لا يتنافى أبداً مع أن الله – عزّ وجلّ – قد يقدر على عبده في وقت من الأوقات نوعاً من الأذى أو نوعاً من الابتلاء في الوقت الذي يشاء بالقدر الذي يشاء، والابتلاء على درجات .

يبتلى المرء للتمحيص، كما بينت الآن .

أو يبتلى المرء للتطهير، كما ذكرت الدليل (لا يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة) .

فإن ابتلي العبد فمحص وهذا بتقدير الله – تبارك وتعالى – لا يتنافى مع حفظ الله للعبد، بل قد يكون خيراً من الله للعبد وهو لا يدري فقد يبتلي الله للتمحيص فإن ثبت العبد ولا زال البلاء مقيماً بالبعبد يطهر العبد بهذا الابتلاء فإن طهر العبد بالابتلاء ولا زال صابراً ولا زال البلاء مقيماً به فإن الله – عزّ وجلّ – يرفع به درجته عنده – تبارك وتعالى – لأن الله ابتلى الأنبياء كما ذكرت .

لم يبتلِ الله نبيه محمداً للتمحيص، ولم يبتلِ نبيه محمداً للتطهير بدليل قوله تعالى ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[الفتح:٢] .

وإنما ابتلاه وظل البلاء به كما بينت ليرفع بهذا الابتلاء درجته عنده – تبارك وتعالى – إذاً لا يقع شئ في الكون إلا بتقديره في الوقت الذي يشاء وبالقدر الذي يشاء، وهذا لا يتنافى مع حفظ الله للعبد إذا شاء – سبحانه وتعالى – كيف شاء والله أعلم.

أيهما أفضل الصبر على الطاعة أم الصبر على المعصية ؟

هذه مسألة فيها خلاف بين أهل العلم لكن الراجح الذي رجحه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره من المحققين أن الصبر على الطاعة أفضل من الصبر على المعصية، والله تعالى أعلم.

يقول هل استعمال الحبوب المسكنة للآلام باستمرار وعند الإحساس بالألم سواء كان شديداً أو خفيفاً منافياً للصبر، وهل هو دليل على عدم الصبر ؟

أسأل الله أن يرفع عنا وعنك البلاء وأن يشفي مرضى المسلمين وهذا بفضل الله – جلّ جلاله – لا ينافي الصبر ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – (ما من داء إلا وجعل الله له دواءً فتداووا) فطلب الدواء من السنة وحقيقة التوكل صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، يقول سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى، الأخذ بالأسباب يقول: من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالأخذ بالأسباب سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – والتوكل على الله حال النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن كان على حال النبي – صلى الله عليه وسلم – فلا يتركن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

إذاً لابد من الأخذ بالأسباب، فلا حرج عليك أيها الحبيب أن تأخذ الدواء، وهذا لا ينافي الصبر، وقد ذكرت أن الشكوى نوعان:

شكوى إلى الله وهي من تمام العبودية وكمالها .

وشكوى من الله أسأل الله أن يعيذنا وإياك منها .

السلام عليكم، مصائب الدنيا مثل مصيبة الدار أو في السيارة، هل تدخل في حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – (أن المؤمن يبتلي على قدر إيمانه) إلى أن قال (يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة) لم تكن المصيبة في الدين وإنما في أمور الدنيا ؟

نعم لا شك هذا يندرج، فسواء كانت المصيبة في الدين أو سواء كانت المصيبة في الدنيا فهو من الابتلاء الذي يمحص به العبد أو يطهر به أو ترفع درجته عند الله – عزّ وجلّ – إن صدق، لا شك أن المصيبة في الدين أخطر من المصيبة في الدنيا لكنه إن ابتلي بمصيبة في الدنيا فيها ابتلاء إن صبر فله أجر الصابرين ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

فقد يبتلى الرجل في ماله، قد يبتلى الرجل في بدنه، قد يبتلى الرجل في زوجته، قد يبتلى الرجل في منصبه أو عمله، كل هذا نوع من أنواع الابتلاء في الدنيا فإن صبر فله أجر الصابرين إن شاء الله تعالى، وأسأل الله أن يرفع عنا وعنكم البلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حديث عن اليهود بأنهم كانوا يرون الرجل على المنكر فينهونه عنه ثم يكونوا من اليوم الآخر يؤكلونه ويشاربونه، السؤال كيف نجمع بين إنكار المنكر والدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – وبين مخالطة الناس والصبر على آذاهم وخاصة إذا كان فاعل المنكر من الأقارب، مثل التهاون في الصلاة ؟

نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يرزقنا الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .

من خالط الناس، أو من يخالط الناس ويصبر على آذاهم، خير ممن لم يخالط الناس ويصبر على آذاهم، فللمسلم إن اختلط بالناس ورأى منكراً من المنكرات أن يغير هذا المنكر إن استطاع، إن استطاع أن يغير منكر من المنكرات، بيده بالضوابط الشرعية، بحيث ألا يترتب على هذا المنكر ما هو أعظم من المنكر الأصلي .

ومن أروع ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى قال إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإن كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر من المنكر فهو أمر بمنكر، وسعي في معصية الله – تبارك وتعالى – ورسوله.

ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله عليه مكة وصارت مكة دار إسلام، وعزم النبي – صلى الله عليه وسلم – على هدم البيت الحرام ورده على قواعد إبراهيم، لم يفعل النبي ذلك مع قدرته على فعل ذلك، لأن قريش كانت حديثة عهد بكفر وقريبة عهد بإسلام .

إذاً لو استطاع المسلم أن يغير المنكر بالضوابط الشرعية التي ذكرت الآن بحيث لا يترتب على المنكر ما هو أنكر منه فله أن يفعل ذلك، فإن لم يستطع، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – بين لنا وعلمنا كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

إن استطعت أن تغير المنكر بلسانك بكلمة رقيقة عذبة حلوة مهذبة فافعل وأنا أتصور أن الكلمة الرقراقة تعمل عملها ولو بعد حين .

ما عليك أخي إلا أن تنصح بكلمة جميلة بكلمة مهذبة، تراعي فيها منزلة من تنصحه، تراعي فيها منزلة من تأمره بالمعروف بمعروف، ومن تنهاه عن المنكر بغير منكر، يعني أنزلوا الناس منازلهم، لكن اختر الكلمة الجميلة، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[ابراهيم:٢٤] إلخ .

فإن لم تستطع حتى أن تذكر الآخرين بهذه الكلمة الجميلة الرقراقة فما عليك إلا أن تنكر بقلبك ولا عذر لك إن لم تنكر هذا المنكر بقلبك، لكن إنكار القلب لابد له من شرطين:

الأول: أن يرى الله من قلبك بغض المنكر .

والثاني: أن تزول عن موطن المنكر إن كنت لست قادراً على إزالته وأسأل الله – تبارك وتعالى – أن يرزقنا وإياكم العلم والفهم والحكمة والرحمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

تقول إذا كان المرء في مشكلة وحدث بها أي اشتكى بها للغير بعد اللجوء إلى – سبحانه وتعالى – ليسمع منهم تذكرة أو نصيحة هل هذا يعد من الشكوى المذمومة، وهل من الأفضل كتمان المشكلة واللجوء إلى الله فقط ؟

لا حرج بعد اللجوء إلى الله – تبارك وتعالى – أن تشكو الأخت الفاضلة أمرها إلى أخت فاضلة أخرى لا من باب شكوى الخالق للمخلوق، وإنما من باب أن تستفسر أو أن تتعلم أو أن تستبذل منها أو أن تأخذ منها النصيحة، فلا حرج ألبتة في هذا وليس هذا من باب الشكوى من الله وإنما هو من باب الشكوى على الله، بشرط أن تكون النية أنها تريد النصح وتريد التوجيه، وتريد أن تعرف الحق في هذه المسألة إن كانت تظن في الأخت التي طرحت عليها المسألة أو في العالم الذي تستفتيه أنه سيدلها على الحق من كتاب الله ومن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهذا لا ينافي الصبر وليس من الشكوى التي زمها الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

هل يمكننا متابعة كتاب شرح الثلاثة أصول لفضيلة الشيخ محمد بن العثيميين ؟

نعم شرح شيخنا رحمه الله من أمتع الشروح للأصول الثلاثة بل ومن أشملها وأجملها وأبشركن أيها الفضليات أنني قبل أن أجلس هنا أراجع شرح الشيخ رحمه الله كلمة كلمة وأستفيد منه استفادة عظيمة، وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يرحمه وأن يجزيه عنا خير الجزاء ولا مانع ألبتة من الاستفادة من شرح الشيخ وغيره .

تقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد أصبت في فلذة كبدي وصبرت واحتسبت ورفضت البكاء لكيلا يحبط عملي وأنا أعلم أجر الصابرين، لكن فيما بعد بكيت بشدة، ولكن ليس اعتراضاً على القدر ثم بعد ذلك بدأت أفرح لهذا المصاب لأن الله وعد الصابرين بخير الجزاء، فهل هذا من الفرح الذي يحبط العمل لأنني أحس أنه رياء فأفيدوني ؟

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل ولدك فرطاً لك على الحوض وأن يرزقنا وإياكِ وإخواننا جميعاً وأخواتنا الصبر على البلاء .

لكن أبشرك أيتها الفاضلة بأن البكاء في وقت المصيبة لا شيء فيه، فلقد بكى النبي – صلى الله عليه وسلم – حين مات ولده إبراهيم ، وقال: إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، إنا لله وإنا إليه راجعون .

إذاً البكاء رحمه حتى قيل له، حتى أنت يا رسول الله، فقال هذه رحمة من الله – عزّ وجلّ – أودعها الله قلوب من يشاء من عبادة.

فالبكاء لا ينافي الصبر أبداً فابكي ولا حرج عليك ألبتة في ذلك، ولا تكتمي هذه الدمعات وهذا البكاء .

الأمر الآخر: بأن الفرح بأجر الله – تبارك وتعالى – للصابرين ليس من الرياء في شيء وليس من النفاق في شيء، بل ربنا – تبارك وتعالى – يقول ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨] ففرح المؤمن أو فرح المؤمنة بأجر الله – عزّ وجلّ – أو بفضل الله عليها أن صبرها عند المصيبة فلتفرح المؤمنة بهذا بل تحمد الله على أن رزقها الصبر عند هذه المصيبة عند فقد ولدها .

فالفرح بالفضل من الدين والفرح بالطاعة من الدين والفرح بالبعد عن المعصية من الدين ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

تقول ذكرت يا فضيلة الشيخ أهمية الصبر في زماننا هذا فما الصبر المطلوب؟ وما معنى الصبر هل هو السكوت عن مقارعة أهل الباطل، واعتزال الفتنة، وعدم مجابهة أهل الباطل ؟

لا، حاشا لله لقد بينا الصبر لغة واصطلاحاً، وبينا أقسام الصبر، وقلت بأن المؤمن يجب عليه أن يكون فاهماً لسنن الله في الكون وعليه أن يبذل وأن يأخذ بأسباب العزة هكذا قلت، أن يأخذ بأسباب العزة والنصرة والتمكين، وأن يدع النتائج بعد ذلك إلى الله – تبارك وتعالى – وألا يتعجل لأن الله لا يعجل بعجلة أحد، فواجب على الأمة أن تبذل ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠] .

وواجب على الأمة أن تأخذ بأسباب النصر وأن تبذلها كلها أي أن تبذل هذه الأسباب وأن تدع النتائج بعد ذلك إلى الله – تبارك وتعالى – .

أما الاستسلام والخنوع والخضوع وعدم البذل وعدم العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، وترديد هذه الكلمات، التي ذكرت بعضها، أريد أن أربي الأولاد، خليك في حالك، أنت تنفخ في قربة مقطوعة، لقد ضاع الدين، لقد انتهت الأمة، لقد هزم الإسلام.

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

لا تتعب نفسك، هلك الناس.

هذا كلام المهزوم الذي لا يمكن أبداً أن يغير واقعاً أو ينصر ديناً، أو أن ينصر أمة، وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من هذه النفسية المهزومة، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) أي فهو أشدهم هلاكاً أو فهو أهلكهم بالفتح، أي هو الذي حكم عليهم بالهلاك.

فعلينا أن نبذل الأسباب أسباب العزة والنصرة والتمكين وأن نصبر وأن ندع النتائج بعد ذلك إلى الله لا نتعجل وذكرت مراراً أن من تعجل الشيء قبل آوانه؛ عوقب بحرمانه، هذا هو المعنى الصحيح المنضبط، والله أعلم .

قال المصنف –رحمه الله تعالى:– (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولَى:

أنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾[المزمل:١٥–١٦])

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء:١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[الأحزاب:٧٠–٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد، فحياكم الله جميعًا أيها الإخوة الأخيار، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلا وأسأل الله – جلّ وعلا – الذي جمعنا في هذا اللقاء المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته، إنه وليُّ ذلك ومولاه.

انتهينا بفضل الله – جلّ وعلا – من الموضوع الأول الذي قدم به الشيخ –رحمه الله تعالى– للأصول الثلاثة في مقدمته المهمة الجليلة العظيمة وها نحن نشرع بفضل الله – جلّ وعلا – في الموضوع الثاني الذي ضمنه المصنف المقدمة .

والذي بدأه بقوله (اعلم رحمك الله)

وقد انتهيت من شرح هذه الكلمات في اللقاءات الماضية، (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولَى:

أنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّار).

هذه الكلمات القليلة البليغة اشتملت على ستة أصول في غاية الأهمية والجلال .

(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والعَمَلُ بِهِنَّ: الأُولَى: أنَّ اللهَ خَلَقَنَا).

فلنقف مع هذا الأصل الأول، فالله – جلّ وعلا – هو الخالق والأدلة النقلية القرآنية والنبوية والأدلة العقلية على هذا الأصل الكبير المهم ما أكثرها وما أجلها وما أعظمها .

قال الله – جلّ وعلا – ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الزمر:٦٢] .

فالله – جلّ وعلا – هو الخالق وقال – جلّ وعلا – ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ﴾[الطور:٣٥-٣٦].

وقال – جلّ وعلا – ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[الرحمن:١-٤]

وقال– جلّ وعلا –﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[آل عمران:١٩٠].

وقال – جلّ وعلا – ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:١٦٤] .

وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٣-١٤]

وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل:٦٠].

والآيات كثيرة قال – جلّ وعلا – ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[يس:٣٣-٣٦] الآيات .

ما أكثرها ما أعظمها ما أجلها، ولو ظللت أردد الآيات التي بيّن الله – تبارك وتعالى – فيها أنه الخالق – جلّ وعلا – وحده لاحتجت إلى اللقاء بطوله، بل واحتجنا إلى لقاءات تلو اللقاءات، فالأصل الأول أن الله – جلّ وعلا – هو الخالق، لم ينكر المشركون هذه الحقيقة الكبيرة مع مكابرتهم وعنادهم وإعراضهم عن الحق إلا أنهم لم ينكروا هذا الأصل الكبير، تدبر معي قول الله – جلّ وعلا – ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[الزخرف:٨٧] هذا رد المشركين بل يقرون بتوحيد الأسماء والصفات ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩] فالمشرك لم ينكر هذه الحقيقة الكبيرة ألا وهي أن الله – جلّ وعلا – هو الخالق والنبي – صلى الله عليه وسلم – في أدلة نبوية سريعة بعد الأدلة القرآنية كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره من حديث شداد بن أوس – رضي الله عنه – وفيه أنه – صلى الله عليه وسلم – قال (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

ومن أرق الأحاديث وأجلها في هذا الباب العظيم الكبير ما رواه البخاري ومسلم وأحمد، واللفظ لأحمد رحم الله الجميع من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – تأملوا هذا الحديث الرقراق الجميل، قال أنس (كنا نُهينا أن نسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكان يعجبنا أن يأتي الرجل العاقل من البادية) تدبروا هذا اللفظة (أن يأتي الرجل العاقل من البادية فيسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحن نسمع) انظروا إلى أدب الصحابة وإلى إجلال الصحابة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل والله يا أخوة لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يمتنعون عن الجواب فيما يعلمونه خشية أن يقدموا بين يدي الله ورسوله، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي بكرة رضي الله عنهم جميعاً أي عن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جميعا .

أما النبي – صلى الله عليه وسلم – سأل الصحابة يوم الحج الأكبر في حجة الوداع، وقال (أي يوم هذا) انظروا ماذا قال الصحابة ؟ الله ورسوله أعلم .

أنا أسأل وأقول: هل يجهل الصحابة أنهم في يوم النحر ؟ لا والله .

أي يوم هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – (أليس يوم النحر؟) قالوا : بلى .

قال : (أي شهر هذا ؟)

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : (أليس ذا الحجة ؟)

قالوا : بلى .

قال : (أليس ذا الحجة ؟)

هل يجهل الصحابة بلدهم ؟

قال : (أليس ذا الحجة ؟)

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : (أليس ذا الحجة ؟)

قالوا : بلى .

قال : (فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا – صلى الله عليه وسلم – ورضى الله عن أصحاب سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –).

انظروا إلى أدب الصحابة يقول أنس: كنا نُهينا أن نسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكان يعجبنا أن يأتي الرجل العاقل من البادية فيسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحن نسمع؛ لأن الأعراب من أهل البدو لا يحسنون ولا يتقنون اختيار الألفاظ، وإنما قد يتكلم أحدهم على سجيته وطبيعته، قد تخرج الكلمات شديدة حادة لكنه يخرج ما عنده فقال أنس: فجاءه رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، انظروا إلى النداء فيه جفوة شديدة جداً، والله لو نودي اليوم على أحدنا باسمه وهو من أهل العلم لغضب، لكن الأعرابي ينادي على نهر الرحمة وينبوع الحنان وصاحب الخلق ينادي عليه باسمه المجرد، يا محمد يا محمد أتانا رسولك، يقول الأعرابي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –أتانا رسولك: أي أتانا الرسول الذي أرسل إلينا من قبلك؛ ليعلمنا الإسلام، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، كلمات شديدة جداً والله ما غضب – النبي صلى الله عليه وسلم – وما قال خذوه وأخرجوه وعلموه الأدب قبل أن يدخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبداً.

وإنما نظر إليه – النبي صلى الله عليه وسلم – وأجابه إجابات رقيقة مختصرة بليغة لا تخرج إلا من فم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك فقال – النبي صلى الله عليه وسلم –(صدق) هكذا ببساطة شديدة جداً .

كلمة واحدة قال – النبي صلى الله عليه وسلم – للأعرابي صدق.

فقال الأعرابي: فمن الذي خلق السماء ؟ هذا هو الشاهد: من الذي خلق السماء ؟ قال – النبي صلى الله عليه وسلم – (الله) .

قال الأعرابي : فمن الذي خلق الأرض ؟

قال – النبي صلى الله عليه وسلم – (الله) .

قال الأعرابي : فمن الذي نصب الجبال وجعل فيها ما جعل ؟

فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – (الله) .

فقال الأعرابي : قال فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك ؟

قال : (نعم) .

قال : وزعم رسولك أن الله قد فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة .

قال : (صدق) .

قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟

قال : (نعم) .

قال : وزعم رسولك أن الله فرض علينا صيام شهر في السنة .

قال: (صدق) .

قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟

قال: (نعم)

فقال هذا الأعرابي الفقير أنا أقول الأعرابي الفقير .

قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – (لئن صدق ليدخلن الجنة) وفي لفظ (أفلح إن صدق) اللهم ارزقنا الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .

الشاهد من سؤال الأعرابي من الذي خلق السماء ؟ من الذي خلق الأرض؟ من الذي خلق الجبال وجعل فيها ما جعل، وجواب – النبي صلى الله عليه وسلم – على هذا الأعرابي بسؤال واحد لا يجيب إلا بلفظ الجلالة المفرد العلم، الله .

وقد ذكرت قبل ذلك أن لفظ الجلالة الله هو الاسم المفرد العلم الدال على كل الأسماء الحسنى والصفات العلى .

إذاً الله – جلّ وعلا – هو الخالق ولا ينكر المشركون الأولون كما بينت في قول الله – جلّ وعلا – ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[الزخرف:٨٧] بل لئن سألتهم من الذي خلق السماء، ومن الذي خلق الأرض؛ لأقر المشركون بأن الله – جلّ وعلا – هو الخالق كما في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩] .

هذا هو الأصل الأول، أن الله خلقنا ورزقنا، الله رزقنا، فالله هو الخالق وهو الرزاق، – جلّ جلاله – قال – جلّ وعلا – ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[هود:٦] .

لكن تعالوا قبل أن أستدل على هذا الأصل الثاني بالأدلة القرآنية الكريمة، تعالوا بنا لنستدل على الأصل الأول الذي ذكرت ببعض الأدلة العقلية كما بينت في أول اللقاء حتى لا أنسى الأدلة العقلية على أن الله هو الخالق، وسأفصل بعد ذلك في الأصول الثلاثة إن شاء الله .

استدل على ذلك الإمام أحمد بالبيضة، فقال الإمام أحمد: "هذا حصن حصين أملس –يقصد البيضة– هذا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهرة كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره وخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح" .

أإله مع الله يفعل هذا ؟

استدل الشافعي بورقة التوت قال : "ورقة التوت تأكلها الغزالة فتعطينا مسكاً، وتأكلها دودة القز فتعطينا حريرا، وتأكلها الشاة فتعطينا لبنا ولحما، فلو كانت الأمور تسير بالصدفة كما يقولون؛ لكانت عصارة الطعام الواحد واحدة، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

أما أبو حنيفة فقد استدل استدلاً عقلياً جميلا حين جاءه بعض الزنادقة وبعض الملحدين وقالوا ما الدليل على وجود الله – تبارك وتعالى – ؟

فقال:" دعوني فإني مفكر في أمر قد شغلني وأخرني عنكم، قالوا وما هو ؟

قال كنت على الشاطئ الآخر ولم أجد مركباً لأركبه لآتي إليكم وفجأة وجد الأشجار على الشاطئ تقطع دون أن يقطعها نجار أو صانع ونظرت فرأيت هذه الألواح تتسق وصارت سفينة دون أن يصنعها صانع، ثم جاءت هذه السفينة وشقت هذه الأمواج المتلاطمة ووقفت أمام يدي وتحت قدمي فركبتها وشقت بي هذه الأمواج المتلاطمة دون أن يقودها ربان" .

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا هذا كلام لا يقوله عاقل على وجه الأرض .

قال: "سبحان! تستكثرون هذا وتستنكرون هذا، هذا الكون العلوي والسفلي تنكرون أنه وجد بيد خالق ؟ خلقه خالق" .

فهذا الكون من العرش إلى الفرش خلقه ربنا – تبارك وتعالى – صنع الله الذي أتقن كل شيء .

وسأفصل هذا في حديثنا في الأصول الثلاثة إن شاء الله – تبارك وتعالى – .

الشاهد أن الله – عز وجل – هو الخالق ومن ثَم فالذي خلق هو الذي يرزق .

تعالوا بنا لنعرف الرزق ابتداءً، ما معى الرزق ؟

قال ابن منظور في لسان العرب: الرزق: هو ما تقوم به حياة كل كائن حي مادي كان أو معنوي .

فكثير من الناس يظن أن الرزق مال فحسب، كلا كلا، الرزق أوسع مدلولا من المال، فالإيمان بالله رزق والإيمان برسول الله – صلى الله عليه وسلم – رزق، وحب آل بيت – النبي صلى الله عليه وسلم – رزق ، والعلم رزق، والحلم رزق، والخلق رزق، والأدب رزق، والزوجة الصالحة رزق، والولد الصالح رزق، والمال رزق .

وكل هذا من رزق الرزاق ذي القوة المتين، قال الله – جلّ وعلا – ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[هود:٦] .

من لطيف ما قرأت: أن إبراهيم بن أدهم –رحمه الله– جلس يوماً ليأكل بعض قطع اللحم المشوي، فجاءت قطة فخطفت قطعة وجرت فقام وراءها، ليتابع الموقف باهتمام فوجد أن القطة قد تركت قطعة اللحم في مكان مهجور في باطن الأرض وانصرفت، فظل جالساً يراقب الموقف ويتفكر ويتدبر، وفجاءة رأى ثعباناً فقأت عيناه لا يرى يخرج من هذا الجحر في باطن الأرض؛ ليجر قطعة اللحم إلى جحره فيرفع إبراهيم بن أدهم رأسه إلى السماء ويبكي ويقول:

"سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضا ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ليس على أحد ليس على بشر ولا على دولة ولا على قوة ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

وقال – جلّ وعلا – ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾[الذاريات:٢٢] في السماء ؟ في السماء رزقكم؟ نعم، رزقنا في السماء .

كيف أيها الشيخ والوظيفة في الأرض والأموال في الأرض والحث في الأرض، والتجارات في الأرض ؟

كيف يقول الله: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ وأموالنا وأرزاقنا في الأرض، في الأرض الأسباب، في الأرض أسباب الرزق، والأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب – جلّ وعلا – لذا أراد الله – عز وجل – أن يلفت العقول الذكية والقلوب النقية والفطر السوية إلى أن الرزق في السماء، بيد خالق السماء والأرض الذي تكفل بأرزاق الخلق وأرزاق العباد، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ اسمع تدبر القرآن ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات:٢٢-٢٣].

انظروا إلى هذه الصيغ التوكيدية المتعددة فورب السماء والأرض قسم، قسم إنه لحق لام التوكيد أيضاً، مثل ما أنكم تنطقون .

سمع أعرابي هذه الآية فقال كلمات رقيقة جميلة جداً ماذا قال ؟ من الذي أغضب الكريم حتى يقسم ؟

من هذا الذي لم يصدق الله على أنه هو الرزاق حتى أقسم الحق – تبارك وتعالى – بهذا القسم تلو القسم ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ توكيدات قرآنية بليغة جملية فما أحوج الناس إلى الثقة في هذا القسم وإلى الثقة في الرزاق ذي القوة المتين .

والله لو فهمنا وتعبدنا لله باسم الرزاق على مراد الله وعلى مراد رسول ما قتل القاتل من قتل، وما سفك الدماء من سفك، وما كذب من كذب، وما تملق من تملق، لو علم أهل الأرض أن الرزق بيد الله، وأنه لا تستطيع قوة على وجه الأرض أن تحول بينك وبين زرق قسمه الله لك ما نافقت أحداً وما تملقت أحداً؛ لأن قلب من ترائي وتنافق بيد من عصيت .

قيل لحاتم الأصم: كيف حققت التوكل ؟

قال بأربعة أشياء .

قالوا: ما هي ؟

قال : علمت بأن رزقي لا يأخذه غيرى فاطمئن قلبي .

تضيع الصلاة من أجل الزرق، وتضيع اليقين من أجل الرزق، وتضيع الخشوع والخضوع والذل والاستسلام لله من أجل الرزق، بل وتفرط في العبودية التي من أجلها خقلت من أجل الرزق .

مع أن رزقك بيد الله، لا لا .

بل لقد كتب الله رزقك وأنت في بطن أمك لا لا .

بل لقد كتب الله رزقك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه – صلى الله عليه وسلم – قال (أن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) .

وانتبهوا فالزمن في الحديث المذكور الذي ذكرت الآن هو زمن الكتابة وليس زمن التقدير، فزمن التقدير أزلي، هذا زمن الكتابة فقط، أما زمن التقدير فالتقدير أزلى.

قال الله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر:٤٩] فرزقك مقدر قبل أن تخلق، بل قبل أن يخلق السماوات والأرض، بل وكتب الله رزقك وأنت في بطن أمك كما في الصحيحين من حديث أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله تعالى وكل بالرحم ملكاً) يعني أرحام النساء على وجه الأرض المسلمات والكافرات، وكل الله بهذه الأرحام ملكاً من الملائكة بمعنى ألا تحمل أنثى على ظهر الأرض إلا بأمر المَلِك للمَلَك، يقول المَلَك ملك الأرحام للمَلِك – جلّ جلاله – (أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ أي رب أذكر أم أنثى؟ أي رب أشقي أم سعيد؟ أي رب ما رزقه؟ أي رب ما أجله؟)

وفى لفظ (فيكتب الملك ويقضي ربك ما شاء) .

فالرزق مكتوب مقدر، يا حاتم كيف حققت التوكل ؟

قال بأربعة أشياء: علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري؛ فاطمأن قلبي، وعلمت بأن الموت ينتظرني؛ فأعددت الزاد للقاء الله، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري؛ فاشتغلت به، وعلمت بأن الله مطلع علي؛ فاستحييت أن يراني على معصية .

ما أجمله والله من كلام، وعلمت بأن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية قال الله – جلّ جلاله – ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

ما أجمل القرآن وأعظمه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ومع قضية العبادة تأتي قضية الرزق؛ لأن كثيراً من الناس يظن أن العبادة ستضيع الرزق وستشغله عن الرزق .

فإذا رأيت مسلماً يقف في محل تجاري، وقد سمع الآذان والمؤذن يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح، يقول: أخشى أن أغلق المحل فتضيع مني هذه البيعة، أو فيضيع مني مال كثير كنت سأحصله الآن، كلا كلا ، رزقك مقدر ومكتوب ولا تنشغل أبداً بقضية الرزق، فإن الله – عزّ وجلّ – قد قسم رزقك فما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب وأن تتوكل على الله.

والتوكل هو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول كما في الحديث الصحيح، الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه :– (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا) تغدو: يعني تخرج في الصباح الباكر خماصاً وبطونها فارغة، وتروح: أي ترجع في وقت الروحة في المساء بطانا وقد رزقها الله – تبارك وتعالى – الذي تكفل بأرزاق المخلوقات في هذه الدنيا .

تغدو خماصاً وتروح بطانا، فما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب، ليس معنى ذلك أن نتواكل على الله، ونقول: الرزق مقدر، لا لا، هذا مفهوم مغلوط لحقيقة التوكل على الله – تبارك وتعالى – فالتوكل أكرر –أيها الأحبة– أقول: التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة، تدبروا هذا كلام نفيس جداً، من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالأخذ بالأسباب سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – والتوكل على الله حال النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن كان على حال النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يتركن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

كلام في غاية الجمال والجلال أكرر من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالأخذ بالأسباب سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – والتوكل على الله حال النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن كان على حال النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يتركن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

يعني من كان على توكل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فواجب عليه أن يأخذ بالأسباب كما أخذ بالأسباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل تعلمون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما من سبب من الأسباب إلا وقد أخذ به يوم الهجرة؟ معلوم للجميع وهو سيد المتوكلين على الله .

كان يقاتل بين ذراعين وهو سيد المتوكلين على الله، كان إذا شعر بالجوع قام ليأكل وهو سيد المتوكلين على الله، كان إذا شعر بالمرض ذهب؛ ليتداوى وهو سيد المتوكلين على الله.

إذاً التوكل على الله لا ينافي ألبتة أن نأخذ بالأسباب، بل إن التوكل على الله أن نأخذ بالأسباب وأن نعلق قلوبنا بمسبب الأسباب ؟

(قطع في الخطبة)

في قضية الرزق حديث طويل جليل جميل، وقد أطلت النفس فيها؛ لأنها قضية تشغل بال كل مخلوق على وجه الأرض، لكن المؤمن يعلم علم اليقين أن رزقه بيد الله – تبارك وتعالى – فهو يأخذ بالأسباب وقلبه معلق بمسبب الأسباب؛ لأنه على يقين أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب – جلّ وعلا –.

(أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا)

ما أحوج البشرية إلى هذه الكلمات ولم يتركنا هملا، كثير من الناس الآن يردد جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت، وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت، كيف جئت، كيف أبصرت طريقي لست أدري؟

لا يدري خالقه، ولا يدري الغاية التي من أجلها خلق، ولا يعرف الوظيفة التى من أجلها ابتعث، قال – جلّ وعلا – ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[لأعراف:١٧٩] .

وقال – جلّ جلاله – ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ [محمد:١٢] .

الله – جلّ جلاله – خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، لا بل نحن مخلوقون لغاية نحن مخلوقون في الكون لوظيفة محددة بيّنها ربنا – تبارك وتعالى – في كلمات حاسمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذريات:٥٦].

هذه هي الغاية وتلك هي الوظيفة التي من أجلها ابتعثت، وما أرق وأجمل كلمات ربعي ابن عامر – رضي الله عنه – حين سأله رستم قائد الجيوش القصروية الجرارة من أنتم ؟

فقال: نحن قوم ابتعثنا الله؛ لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

الصحابة فهموا الغاية التي من أجلها خلقوا وفهموا الوظيفة التي من أجلها ابتعثوا، لكن كثيراً من الناس الآن يعيشون في الكون يأكلون ويشربون ويتمتعون وهو لا يعرفون رباً ولا يعرفون نبياً ولا رسولاً ولا غاية من أجلها خلقوا ولا وظيفة من أجلها ابتعثوا، ثم بعد ذلك أتصور أن الأمر سينتهي بالموت لا ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ ﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦] تعالى الله أن يخلق الخلق بغير حكمة، تعالى الله أن يخلق البشر لغير وظيفة، تعالى أن يترك الله الخلق هملاً وسداً كلا، ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٦-١١٧].

قال الله – جلّ جلاله – ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾﴾[القيامة:٣٦-٤٠] .

أتظن أيها الإنسان المخدوع المغرور أنك خلقت في هذه الدنيا؛ لتأكل وتشرب وتتكاثر ثم تموت وتنتهي قصة حياتك ويسدل الستار عليها عند المشهد ؟ لا والله كلا كلا، بل أنت مخلوق لغاية ومخلوق لوظيفة وسيرسل الله – عزّ وجلّ – عليك الرسل كما سأبين الآن ليبنوا لك هذه الغاية والوظيفة، وليأخذوا بيدك لتسير مع هؤلاء الرسل على الدرب وعلى الطريق الذي يوصلك إلى الله – تبارك وتعالى – فكل الطرق إلى الله مسدودة إلا من طريق الرسل والأنبياء.

ثم بعد ذلك تموت، ثم بعد ذلك تبعث، وبعد البعث حساب، عرض، وصحف، وحساب، وبعد الحساب ميزان، وبعد الميزان صراط، وبعد الصراط جنة أو نار .

لو أسدل الستار على حياة ابن آدم عند الموت لظلم من ظلم، وانتفش من انتفش، وانتفخ من انتفخ، وكفر من كفر، وفعل كل إنسان ما يريد وهو مطمئن إلى ما يريد، أو إلى كل ما يريد أن يفعل دون أن يقتص بعد ذلك ربنا – جلّ جلاله – للمظلوم من الظالم، لا الدنيا ليست سوقاً سينفض وحسب، وإنما سيبعث الله الخلق جميعا وسيوقف الله الناس كلهم بين يديه للسؤال عن القليل والكثير، وعن الصغير والكبير قال – جلّ جلاله – ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الانبياء:٤٧].

وقال ربنا – جلّ جلاله – ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة:١-٨] .

قال – جلّ جلاله – ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء:١٣-١٤].

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾[القمر:٥٣] .

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[النجم:٣٩] ما أكثر الآيات .

ولم يتركنا هملا، فالله – تبارك وتعالى – ما خلقنا عبثا وما تركنا هملا، ولا تركنا سدى، وإنما خلقنا لغاية، لوظيفة للعبادة للتوحيد، للطاعة، لاتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثم بعد ذلك سنموت وبعد الموت بعث، وبعد ذلك نقف بين يديه للسؤال على الكثير والقليل والصغير والكبير.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه – جلّ جلاله – ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر العبد أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر العبد أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، ينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة).

بل وفى الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كنفه) والكنف في اللغة لا تأويلاً لصفة الستر والرحمة، (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كنفه ويقرره بذنوبه، فيقول: عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا) ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ فكم مصيبة قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها .

وكم من معصية قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها، فيحسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة:٧–٨].

يقرره ربه بذنوبه، عبدي لقد عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، وكذا وكذا يوم كذا وكذا، فيقول المؤمن (ربي أعرف) مؤمن مقر (فيقول الله – جلّ جلاله – ولكني سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم) نسأل الله – عزّ وجلّ – كما سترنا فيما مضى من عمرنا، أن يسترنا فيما بقي من أعمارنا، وأن يسترنا تحت الأرض ويوم العرض، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولا، والدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [المزمل:١٥–١٦].

قمة الرحمة من الله – جلّ جلاله – أن يرسل إلينا رسولاً .

كثير من الناس الآن يتصور أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة النضج بحيث لم تعد البشرية في حاجة إلى رسول؛ لتسير خلفه؛ ليدلها على طريق الله – جلّ جلاله – لأن البشرية كلها قد حولت العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق هذا التقدم العلمي المذهل في الاتصالات والمواصلات؛ لأن البشرية قد صنعت القنبلة النووية والهيدروجينية وصدرت إلى السماء أتوبيس الفضاء ديسكفري إلى غير ذلك.

فيتصور البعض أن البشرية لم تعد في حاجة إلى الرسل، كلا كلا، بل إن البشرية في هذا العصر في أمس الحاجة إلى الرسل في أمس الحاجة إلى رسول يدلها على الحق – تبارك وتعالى – يأخذ بيدها إلى الله – تبارك وتعالى – أرى أن الوقت قد أزف كما أشار لي أخونا جزاه الله خيرا، ولا زلت أتحدث في هذه القضية وهذا الأصل الجليل الكبير ألا وهو قول المصنف رحمه الله:(بل أرسل إلينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار) وهذا أتحدث فيه –إن شاء الله تعالى– مع بقية المسائل في هذا الموضوع الثاني من موضوعات المقدمة في اللقاء المقبل –بإذن الله – جلّ جلاله – وأدع ما تبقى من وقت البرنامج لأسئلة إخواننا هنا وهنالك، وأسأل الله – جلّ جلاله – أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله و صحبه وسلم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تعرف يا شخ كثرة الجماعات والفرق في مجال الدعوة الإسلامية، فما هو المذهب الصحيح في التعامل والتعاون معها؟ ونريد من الشيخ أن يذكر لنا موقف أو مواقف طيبة أثناء وجوده في بلاد الحرمين وخاصة بعد المواقف الأمنية مع شيخ ابن عثيمين رحمه الله حتى نستفيد منها ويستفيد الأخوة الحاضرين والمشاهدين؟

سيكون الجواب مقصوراً على الجماعات والجماعات التي تندرج تحت إطار أهل السنة والجماعة، أما الحديث لا ينصب الآن عن جماعات البدع والفرق الضالة، أسأل الله أن يثبتنا على التوحيد والحق .

والجواب بإيجاز شديد لأجيب على معظم أسئلة إخواننا هنا وهنالك بإذن الله تعالى أقول التعامل يكون بحكمة ورحمة، وأن ندور مع الدليل حيث دار، وألا نتعصب لشيخ بعينه ولا لجماعة بعينها، بل أن أنصح إخواننا جميعاً أن يتعصبوا للحق، وأن يدوروا مع الدليل وأذكر بقوله علي – رضي الله عنه – اعرف الحق تعرف أهله، فإن الحق لا يعرف بالرجال ولكن الرجال هم الذين يعرفون بالحق ونحن نوالي ونعادي في الله – تبارك وتعالى – ونحب لله، ونبغض في الله، لا نوالي من أجل جماعة، ولا نعادي من أجل جماعة، ولا من أجل شيخ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إن الله – عزّ وجلّ – لم ينصب للأمة شخصاً .

يجب علينا أن نعي هذا الأصل الكبير من تعصب لواحد من الصحابة بعينه من الأئمة بعينه دون الباقين، كمن تعصب لواحد من الصحابة بعينه دون الباقين، كالرافضين يتعصبون لعلي والخارجون الذين يقدحون لعثمان وهذه طرق أهل البدع والأهواء .

فيجب علينا أن يكون ولائنا وعداؤنا لله – تبارك وتعالى – ولرسوله ويجب أن نوالي من والى الله ورسوله وأن يكون ولاؤنا لهذا وحبنا له على قدر حبه لله ورسوله وعلى قدر ولاؤه لله ورسوله، وأن يكون بغضنا لهؤلاء على قدر بعدهم عن المنهج الحق عن القرآن والسنة بفهم سلف الأمة رضوان الله عليهم جميعا .

وأنا أنصح إخواني جميعاً بعدم التعصب للأشخاص ولا الجماعات ولا للرايات، وإنما يجب علينا أن نتعصب للحق بدليله أن نفهم القرآن والسنة بفهم سلف الأمة – رضي الله عنهم – وأذكر بقولة ابن مسعود من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً؛ اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

فبحكمة ورحمة وتواضع وأن يكون حبنا وبغضنا لله – سبحانه وتعالى – وعلى قدر حب هؤلاء يكون حبنا لهم وعلى قدر بعد هؤلاء عن القرآن والسنة بفهم سلف الأمة يكون بغضنا لهم حتى يعودوا إلى الحق – تبارك وتعالى – أسأل الله أن يرزقنا وإياكم جميعاً التوفيق والسداد .

أما السؤال الثاني، فرحم الله شيخنا وأستاذنا ووالدنا سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى رحمة واسعة والذي شرفني الله – عزّ وجلّ – بالجلوس تحت قدميه وبالتعلم على يديه وأذكر أيضاً بأن الله قد شرفني بالعمل مع شيخنا رحمه الله تعالى في جامعة الإمام محمد بن سعود فرع القصيم حين كلفت بتدريس مادة مناهج المحدثين ومادة الحديث لطلاب كلية الشريعة وأصول الدين فكانت فرصة عظيمة لا أنساها أبداً أن أكون مع شيخنا في هذه الجامعة الموقرة؛ لأستفيد منه أيضاً ومن توجيهات وتعليماته وأسأل الله أن يجزي عنا شيخنا خير الجزاء وأن يرحمه رحمة واسعة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله وجميع علمائنا إنه على كل شيء قدير .

أذكر بموقف واحد ربما أكون ذكرت هذا الموقف في برنامج صفحات من حياتي مع هذه القناة الموقرة قناة المجد أيضاً، حينما ذهبت للشيخ في يوم من الأيام وقد كتبت مجموعة من المسائل لأعرضها عليه في جامعه المبارك في منطقة عنيزة بالقصيم وكان الوقت في صلاة العصر، فلما قضى الشيخ صلاته وأنهى أذكار الصلاة، وكان يغضب كثيراً إذا قاطعه أحد الطلاب وهو يردد أذكار الصلاة .

فلما ذهبت إليه لأعرض عليه المسائل، أخذني من يدي وخرج الشيخ من المسجد فاستحييت أن أذهب أنا لآتي بنعلي فخرجت بدون نعلين، وخرج الشيخ من الجامع ويده تقبض على يدي رحمه الله تعالى، وأنتم تعلمون حرارة الصيف في بلاد القصيم تنعكس الأشعة على الرصيف فتكاد الأشعة المنعكسة فقط أن تسرق الأبصار، فلك أن تتصور أن حرارة الرصيف حرارة الأرض وأنا أمشي وأشعر كأنني السمكة تشوى على النار يعني أتقلب من شدة الحرارة .

والشيخ رحمه الله تعالى حين رآني خرجت بدون نعلين انحنى وخلع نعليه رحمه ووضع نعليه كذلك تحت إبطيه ومشى الشيخ معي كذلك على الأرض بدون نعلين، لكنني أتعجب من تحمل الشيخ رحمه الله لحرارة الرصيف، ثم رآني لا أستطيع المشي ونظر إلي ونظرت إليه وإذا عينيه قد اغرورقت بالدموع ثم قال تذكر حر النار، تذكر حر النار، تذكر حر النار .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأنا أراه من أبلغ الدروس العملية في التربية فالشيخ قبل أن يكون شيخاً معلماً كان مربياً، أسأل الله – عزّ وجلّ – أن يجنبنا وإياه وإياكم جميعاً حر النار وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة إنه ولي ذلك والقادر عليه، ورحم الله علماؤنا ومشايخنا رحمة واسعة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قراءة سورة يس من أول السورة إلى قوله مبين ثم نقرأ من أول السورة إلى كلمة مبين الثانية إلى نهاية السورة أرجو توضيح ذلك، علماً أنها تقرأ للرزق ؟

هذا لا أصل له أختى الفاضلة والحديث المشهور على ألسنة الناس، اقرأوا يس على موتاكم هو أشهر ما ثبت لكنه أيضاً حديث ضعيف، فهذا لم يثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في اتباع من خلف فما عليك إلا أن تحققي الأسباب الإيمانية للرزق .

فلقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لقد شاء الله – عزّ وجلّ – وقدر أنه ما من شيء في الدنيا والآخرة إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسببات فكثير من الناس يتلفت إلى الأسباب المادية فقط للرزق لكن الأسباب الإيمانية الأخرى كثيرة عظيمة جليلة ما أحوج الأمة إليها الآن من أهم هذه الأسباب التوكل ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق:٣] .

والحديث الذي ذكرت (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) ومن أعظم الأسباب الإيمانية التقوى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق:٢-٣].

فعلى الأخت الفاضلة أن تحقق هذه الأسباب الإيمانية ومنها أيضاً الاستغفار ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾[نوح:١٠-١٣]

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوكل واليقين وأن يرزقنا وإياكم الاستغفار والمداومة عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

هل هذه المسائل التي ذكرها الشيخ رحمه الله هي إشارة إلى أقسام التوحيد فبدأ بالمسألة الأولى إشارة إلى توحيد الربوبية ؟

سأفصل إن شاء الله تعالى ذلك وإن كنت أدين الله – عزّ وجلّ – أيها الأحبة وهذا أمر مهم ينبغي أن نقف عليه أن التقسيم في التوحيد الذي قسمه علماؤنا جزاهم الله خيراً توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، هذا التقسيم إنما هو تقسيم نظري للدراسة فحسب وإلا فإن التوحيد لا يتجزأ .

يعني لا ينبغي أبداً أن أقول يجب على المسلم أن يتعلم توحيد الربوبية فإذا انتهى منه فلنشرع في تعليم توحيد ... كلا.

التوحيد كلٌ لا يتجزأ وهذا تقسيم نظري للدراسة وسأفصل الحديث في ذلك تفصيلاً إن شاء الله تعالى وأنا أتحدث عن قضايا الإيمان في الأصول الثلاثة .

هل كثرة الاستغفار بنية حصول شيء له من أمور الدنيا هل في ذلك شيء ؟

لا حرج في ذلك ألبتة فالاستغفار سبب من الأسباب الإيمانية في تفريج الكرب والهم وسعة الرزق.

كما بينت الدليل من كتاب الله – تبارك وتعالى – آنفاً فلو أن عبداً مسلماً جلس واستغفر الله – عزّ وجلّ – وقد عقد النية على أن يفرج الله – عزّ وجلّ – له كربه وهمه وغمه وأن يبارك في رزقه وأن يزيد له في رزقه بهذه العبادة فلا حرج فالتوسل إلى الله – تبارك وتعالى – بالطاعة مشروع .

والتوسل إلى الله بالعمل الصالح مشروع وهذا من أعظم الأعمال الصالحة كما ذكرت في قوله تعالى ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ حتى من أراد الإنجاب فليدوام على الاستغفار، من أراد الذرية فليداوم على الاستغفار، فلقد جعل الله الاستغفار سبباً من أسباب الإنجاب ومن أسباب الذرية أسأل الله أن يرزق إخواننا وأخواتنا إنه ولي ذلك ومولاه .

ذكرتم فضيلتكم حفظكم الله تعالى في عدة مواضع من كلامكم الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ألا وهي العبادة فنريد منكم مفهوماً جامعاً مانعاً لهذا الاصطلاح ؟

سنتعرض لهذا إن شاء الله بالتفصيل لكنني أجمل وأقول العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وأقصد الأعمال هنا أقصد الأعمال القلبية والأعمال الظاهرة، أعمال القلب وأعمال الجوارح، هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فكثير من الناس يتصور العبادة هي الصلاة والصيام والحج وحسب، كل هذا من العبادة .

لكن الإيمان والتوكل والإنابة والتفويض والرجاء والذبح والنذر والاستغاثة والحلف كل هذا من العبادة، ولها ركنان كما سأفصل بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

لا تقبل العبادة إلا بهما ألا وهما الإخلاص لله – جلّ جلاله – ومتابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ولها ركنان ألا وهما: كمال الحب مع كمال الذل، ولها شرطان ألا وهما: الإخلاص والاتباع .

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العبادة على مراده ومراد رسوله إنه ولي ذلك ومولاه .

ما هو الأولى طلب الرزق والبحث عن عمل لكي يعين على الزواج أو طلب العلم ؟

أحبك الذي أحببتني فيه وأسأل الله أن يجمعني بكم في البحرين قريباً على خير إن شاء الله تعالى .

طلب الرزق من أجل الزواج عبادة من العبادات كما بينت آنفاً لكن لا ينبغي ألبتة أن يشغلك أمر من أمور الدنيا أياً كان عن طلب العلم الذي يعرفك بالله وبرسوله وبالإسلام .

فأول واجب على المكلف أن يتعلم كما بينا في اللقاءات الماضية كما قال الشيخ رحمه الله (اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم هذه المسائل الأربع)

ثم قال (الأولى العلم) هذا أول واجب على المكلف واستدل بقوله تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[محمد:١٩] .

قال الحافظ ابن حجر: أمر الله نبيه في هذه الآية بأمرين: بالعلم، والعمل، فقدم العلم على العمل؛ لأن العلم هو المصحح للنية التي يصح بها كل قول وكل عمل فيجب على من يبحث عن الرزق أن يتعلم عن الله، أن يتعلم عن رسول الله وأن يتعلم الإسلام .

هل معنى أن أنشغل أنا بالبحث عن قضية الرزق من أجل الزواج ومن أجل العفة أن أجهل هذه الأصول التي لا ينبغي لمسلم أن يجهلها .

أن أجهل التوحيد أن أجهل الصلاة، أن أجهل الصيام إن كنت من أهل الصيام، أن أجهل الزكاة إن كنت من أهل الزكاة أن أجهل الحج إن كنت من أهل الحج ؟ لا

بل يجب عليك أيها الحبيب أن تتعلم وأن تتعرف على الله – سبحانه وتعالى – وعلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وفى الوقت ذاته لا أقول فرغ الوقت كله في أيام الأسبوع للتعلم وإنما فرغ وقتاً لو فرغت كل يوم ساعة واحدة؛ لتتعلم عن الله ورسوله أرجو الله أن يبارك لك فيه وأن يجعل فيها الكفاية ثم بعد ذلك ابحث عن الرزق الحلال، وأسأل الله أن يهيئ لك الزوجة الصالحة التي تعينك على أمر الدين والدنيا إنه ولي ذلك ومولاه .

قوله تعالى ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[المؤمنون: ١٤] فيه إثبات الخلق لغير الله – عزّ وجلّ – فهل للخلق معنيين أفيدونا جزاكم الله خيرا ؟

حاشا لله أن يكون في الآية الكريمة إثبات من القرآن أو من الله تعالى بأن هنالك من ادعى أنه يخلق مع الله – سبحانه وتعالى – لم يدعِ أحد ذلك ألبتة أنه يخلق مع الله لكن هذه صيغة من صيغ القرآن البلاغية فالله – تبارك وتعالى – هو الخالق وإن ادعى البعض أنه يخلق مع الله أو أنه يشارك الله في صفة من صفات الربوبية كما ادعى النمرود مثلا، أو كما ادعى فرعون قال ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾[النازعــات:٢٤] ومن صفات الرب الخلق والرزق فلقد ادعى فرعون على سبيل المكابرة صفة الربوبية.

ولقد ادعى النمرود بن كنعان على سبيل المكابرة صفة من صفات الربوبية حين قال لإبراهيم ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾[البقرة: ٢٥٨] فالرب يحي ويميت والرب يخلق والرب يرزق .

فهذا من باب إن كان هؤلاء قد ادعى منهم من ادعى أنه يخلق أو أنه يشارك الرب – سبحانه وتعالى – في صفة من صفات الربوبية فالله – جلّ جلاله – من باب التنزل لإقامة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والرد على هؤلاء المدعين الكذابين، يقول الحق – تبارك وتعالى – بعد ذلك ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

لكن هذه صيغة من صيغ القرآن البلاغية التي لا يفهم منها أبداً أنه هنالك من يخلق مع الحق – سبحانه وتعالى – وأسأل الله – عزّ وجلّ – أن يفهمنا وأن يعلمنا إنه ولي ذلك ومولاه.

كيف نوفق بين قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[فصلت:١١] وقوله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[الحديد: ٤] وقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (الحجر الأسود يمين الله في أرضه) ؟

أما الحديث فهو ضعيف، لكن الجمع بين قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ولو يستشهد بقوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طـــه:٥] لكان أجمل وأبلغ وبين قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ فالجمع يسير جدا .

وأضرب لكم مثالاً؛ لأنه حين يستشكل فهم هذه الآيات يقع من يقع في قضية الحلول والاتحاد وفى قضية التجسيم قضية التشبيه، والله – تبارك وتعالى – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والله – تبارك وتعالى – أحد في ذاته وفى صفاته، وفى أفعاله لا ند له ولا كفوًا له ولا شبيه له، فالله – تبارك وتعالى – يقول ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ويقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ويقول ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ فلا تعارض ألبتة فالله – جلّ جلاله – مستو على عرشه، استوى كما أخبر وعلى الوجه الذي أراد وبالمعنى الذي قال، استواء منزه على الحلول والانتقال فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بقدرته مقهور بقبضته – تبارك وتعالى – .

قال الله – عزّ وجلّ – ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[الزمر:٦٩] وقبلها يقول الحق – تبارك وتعالى – ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[الزمر:٦٧] .

وهو يقول – سبحانه وتعالى – أيضاً في الوقت ذاته ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[المجادلة:٧] فليس معنى ذلك ألبتة أن نشبه الحق – تبارك وتعالى – أو أن نجسمه، أو أن نقول أن الله قد حل في كل مكان بذاته بل هو معنا أين ما كنا بعلمه بسمعه ببصره بإرادته بإحاطته – تبارك وتعالى – .

وأضرب لكم مثالاً عقلياً لهؤلاء الذين يريدون أن يحتجوا علينا بالأدلة العقلية في هذه المسألة، وأقول قطعت المسافة من القاهرة إلى المنصورة مثلاً مع القمر، أو صحبت القمر في سفري أو كنت مع القمر في سفري .

أنا أسأل وأقول القمر في أفق السماء في كبد السماء، وأنا أسير مع القمر هل سيري مع القمر يستلزم أن يترك القمر أفقه البعيد ومداره الأعلى ليسير معي ليلازمني ليصاحبني مصاحبة الملامسة والمماسة ؟ لا على الإطلاق، سرت مع القمر القمر في مكانه في أفقه الأعلى وأنا أسير وهو معي ولله المثل الأعلى، وهو معكم وهو مستوٍ على عرشه .

كما قيل لإسحاق بن راهوية يا إسحاق كيف تزعمون أن الله – جلّ جلاله – يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويضع عرشه، كيف يخلو منه عرشه ؟

فقال له إسحاق اعلم بأننا نؤمن بإله يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلو منه عرشه.

القضية أنك جسمت، القضية أنك شبهت، القضية أنك تصورت أن التنزل في حق رب العزة هكذا كعرض ينزل من أعلى إلى أدنى، حاشا لله تعالى الله عن ذلك، كل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] .

فنحن نؤمن بهذه الصفات من غير تحريف لا للفظ ولا للمعنى ومن غير تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وأنا أضرب مثالاً عقلياً آخر لهؤلاء؛ لأنه يحلو لهم أن يستدلوا بالأدلة العقلية في هذا الموضوع المهم الجليل، قلت أن لا ينكر من العقلاء أن عالماً يسمى بعالم النمل يعيش بيننا، ولا ينكر أحد من العقلاء أن النمل يتكلم بل لقد أثبت القرآن كلام النمل وأنا لا أستدل لهم الآن بالقرآن لأنهم يقدمون العقل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لكن أحدهم يرى النمل يتخاطب بلغة واضحة وإن لم يسمعها، فهو يرى نملة تعجز عن حمل لقمة خبز كبيرة فتنطلق لتأتي ورائها بسرب من النمل ليحمل هذا السرب لقمة الخبز ويسير إلى حيث شاء ربنا وقدر .

أنا أقول ما من عاقل إلا وهو يثبت للنمل لغة يتحدث بها النمل لكن هل طمع عاقل على وجه الأرض أن يأتي بمكبر صوت وأن يأتي بتسجيل ليضع المكبر ويضع التسجيل بين مجموعة من النمل ليسجل لغة النمل أو ليكبر لغة النمل ؟

أقول لا، ما طمع عاقل أن يسجل كيف يتكلم النمل، قطعت الطمع أيها العاقل بسكين العقل في إدراك كيف يتكلم النمل ثم أنت لا تريد أن تقطع الطمع في إدراك كيف يتكلم خالق النمل .

اقطع الطمع بسكين اليقين في إدراك كيفية الذات كيف يتحدث – جلّ جلاله – كيف يضحك كيف يعجب كيف ينزل كيف يغضب ؟

كل ما درا ببالك فالله بخلاف ذلك بل يجب أن تؤمن بهذه الصفات على مراد الله – تبارك وتعالى – وفرق بين ذلك وبين التفويض، فنحن لا نفوض كما فوض المفوضة إنما نثبت أسماء لله – جلّ جلاله – كما أثبت لذاته من الأسماء الحسنى والصفات العلى، لكن على مراد الله وعلى مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنؤمن بها من غير تحريف لا للفظ ولا للمعنى ومن غير تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فالله – جلّ جلاله – مستوٍ على عرشه ومعنا في كل مكان بسمعه وبصره وعلمه وقدرته وإرادته وإحاطته ولا تعارض ألبتة بين هذا وذاك كما بينت والله تعالى أعلم .

يقول نريد توضيح حول من يقول أن الله – عزّ وجلّ – يعطي الكفار المال والرزق الكثير مثل اليهود وغيرهم فهل يدل ذلك على محبة الله – عزّ وجلّ – لأولئك الكفار ؟

روى الإمام أحمد في مسنده وغيره بسند صحيح من حديث عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فاعلم بأنه استدراج له من الله – عزّ وجلّ – اقرأوا إن شئتم قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ اسمع فانتقمنا منهم لا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

فكم من مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يدري وكم من مستدرج بثناء الناس عليه وهو لا يدري وكم من مفتون بكلام الناس في حقه وهو لا يدري .

إياك أن تظن أن نعم الله حين تتوالى تترا أنها علامة من علامات الرضا، قد يكون كل ذلك علامة من علامات الرضا للعبد المؤمن إن جمع المال من حلال ووظف هذا المال في طاعة الكبير المتعال .

قال ابن القيم: إن قربتك النعمة من الله فاعلم بأنها منحة، وإن أبعدتك النعم من الله فاعلم أنها محنة ، وأسأل الله أن يفهمنا وأن يعلمنا .

هل مقولة الإمام أحمد عندما سئل هل تعلمت هذا العلم لله قال أما لله فعزيز ولكن شيء حبب إلي ففعلته، تنافي كمال الإخلاص لله، أرجو التوضيح؟

أنا لا أعلم الإمام أحمد قال هذا، فإن كانت ثبتت أراجعها، والجواب لا أدري .

يا شيخ ما تعريف التوكل؟

التوكل على الله كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره: هو جماع الإيمان، عبارة جميلة جداً.

التوكل على الله هو جماع الإيمان، ونهاية تحقيق التوحيد، تعريف رائع جداً، وهو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب .

أكرر وأقول التوكل على الله هو جماع الإيمان، ونهاية تحقيق التوحيد، وهو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب .

لقد ذكرت لنا تعريف الرزق، وأمثلة من نعمه فالإيمان بالله ورسوله وحب آل البيت وكذا وكذا، فهل ما يحدث للإنسان من نقم هو رزق أيضاً أو شر مثلاً أو يجب أن نرجع في الإيمان إلى الآية ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦]؟

لا يكون ما ابتلي به الإنسان لا ينبغي أن نصنفه تحت هذا التصنيف وأن نسميه رزقا، وإنما نذكر بقول الله – تبارك وتعالى – ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الانبياء:٣٥] فهو فتنة يعني الشر فتنة والخير فتنة والله – تبارك وتعالى – خلقنا في دار الفتنة في دار ابتلاء في دار اختبار ألا وهي دار الدنيا، كما قال الله – عزّ وجلّ – ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[الملك:١-٢].

يقول، هل يجوز أن نترك العلم من أجل الدعوة، وما حكم الترخص في الدعوة؟

بينت قبل ذلك أن الدعوة إلى الله – عزّ وجلّ – فرض عين على كل مسلم ومسلمة كل بحسب قدرته واستطاعته، لأننا نعيش زمانا انتشر فيه الكفر وأهله والباطل وأهله .

لكن طلب العلم لا ينتهي أبداً ولا ينبغي أن نتوقف عن الدعوة إلى الله بنية الطلب، فطلب العلم لا ينتهي ولو بلغت أعلى المراحل في الدعوة إلى الله قال الله لنبيه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[طــه: ١١٤].

وشوهد الإمام أحمد يمسك في مجلس علم المحبرة ويكتب، فقيل له بلغت ما بلغت ولا زلت تحمل المحبرة ؟

قال نعم مع المحبرة إلى المقبرة .

فطلب العلم لا ينتهي والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول كما في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) فيجب على إخواننا ألا يفرقوا بين طلب العلم وبين الدعوة إلى الله، فعليك أن تطلب العلم حتى وأنت على طريق الدعوة إلى الله وإن ارتقيت مرتقاً كبيراً في الدعوة إلى الله لا يجوز لك ألبتة أن تتجاهل العلم وأن تتخلى عن الطلب فاطلب وادعو، اطلب وتحرك بين الناس بالحكمة البالغة والرحمة والموعظة الحسنة والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول لعلي – رضي الله عنه – (لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) .

وفى صحيح أبي هريرة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) .

قال المصنف –رحمه الله تعالى:– (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولَى:

أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين،أما بعد:

فحياكم الله جميعاً أيها الأخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلا، وأسأل الله – جلّ وعلا – الذي جمعنا في هذه اللحظات الطيبة المباركة على طاعته: أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته، إنه وليٌّ ذلك ومولاه.

أيها الأحبة، قال المصنف رحمه الله تعالى في موضوع من موضوعاته المهمة التي ضمنها المقدمة قال: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولَى:

أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيل﴾[المزمل: ١٥، ١٦]).

انتهينا بفضل الله – جلّ وعلا – في اللقاء الماضي من شرح ثلاثة أصول من بين هذه الأصول الستة التي ضمنها المصنف رحمه الله تعالى هذه المسألة الأولى.

تكلمنا عن قوله بأن الله – عز وجل – هو الخالق، وتكلمنا عن قوله بأن الله – عز وجل – هو الرزاق، خقلنا ورزقنا، وتكلمنا عن قوله ولم يتركنا هملا .

ثم توقفنا عند قوله: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ) ثلاثة أصول أخرى في هذه المسألة الأولى، هذا الرسول هو محمد – صلى الله عليه وسلم – فمن آمن بالله – جلّ وعلا – ولم يؤمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – فقد كفر، بل من آمن بجميع أنبياء الله ورسله ولم يؤمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – فقد كفر، ولا نقول هذا من كيسنا، بل هذا كلام ربنا – جلّ وعلا – وكلام نبيا محمد – صلى الله عليه وسلم – فلنتدبروا أيها الأحبة هذه اللطيفة القرآنية البديعة، فلقد بيّن القرآن الكريم أن من كذَّب نبياً واحداً من أنبياء الله ورسله فقد كذب جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

نعم من المعلوم أن الله – جلّ وعلا – ما أرسل إلى قوم نوح إلا نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلما كذب قوم نوح نوحاً عليه الصلاة والسلام قال الله – جلّ وعلا – ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٠٥] مع أنهم ما كذبوا إلا نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ومن المعلوم أن الله ما أرسل إلى قوم لوط إلا لوطاً عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك قال الله – جلّ وعلا – ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٦٠] .

وما أرسل الله – جلّ جلاله – إلى عاد إلا هوداً على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلما كذبوه، قال الله – جلّ جلاله – ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٢٣]. وقال – جلّ جلاله – ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٤١].

بل لقد بين الله – سبحانه وتعالى – هذا الحكم في آية فاصلة حاكمة، فقال – جلّ جلاله – في أية من آيات سورة النساء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾[النساء:١٥٠–١٥١].

فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو الإمام الأعظم، وهو خاتم النبيين والمرسلين، لم يرسله الله – جلّ جلاله – للعرب فحسب كلا، بل أرسله الله – جلّ جلاله – إلى كل الخلق إلى كل البشر ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[الأعراف:١٥٨]. قال – جلّ جلاله – ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٧].والآيات كثيرة.

فالنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو الإمام الأعظم الذي أخذ الله – جلّ جلاله – الميثاق والعهد على النبيين بلا استثناء إذ بعث فيهم محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يؤمنوا به وأن يتبعوه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾لام الإلزام والإيجاب والأمر ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[آل عمران:٨١] .

وفى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي) واشترط النبي – صلى الله عليه وسلم – السماع؛ لأن الله – جلّ جلاله – لا يعذب ولا يحاسب الخلق إلا بعد أن يقيم الحجة عليهم ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥]. وقال – سبحانه وتعالى – ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الاسراء: ١٥].

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) .

إذاً وجب على أهل الأرض بعد أن بعث الله فيهم محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يؤمنوا بمحمد كما آمنوا بإخوانه من النبيين، فنحن لا نفرق بين نبي ونبي في أصل الإيمان بالله – تبارك وتعالى –، وفى الإيمان بهذا النبي المبعوث أو المرسل من قبل الله – عزّ وجلّ – قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (فُضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب) وفى لفظ البخاري: (مسيرة شهر،

وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت)هذا هو الشاهد (وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون).

إذاً رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسله الله إلى جميع الخلق كافة، بل أرسل إلينا رسولا، هذا الرسول هو محمد – صلى الله عليه وسلم – وواجب على كل مكلف على وجه الأرض أن يؤمن بالله – جلّ جلاله – وأن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيد الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – . فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، هذا قرآن وسنة، من أطاع النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل الجنة، ومن عصى النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل النار؛ قال الله – جلّ جلاله – ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[النساء:٨٠].

إذاً طاعة رسول الله طاعة لله ، ومعصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معصية لله، بل لا يجوز لمن آمن بالله ورسوله أن يقدم قولا أو فعلاً على قول وفعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال – جلّ جلاله – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[الحجرات:١]. لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، قال ابن عباس: أي لا تقولوا قولاً خلاف الكتاب والسنة.

قال القرطبي: أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول وفعل رسول الله، فإن من قدمه قوله أو فعله، على قول وفعل رسول الله، فإنما قدمه على الله؛ لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يأمر إلا بما أمر به من الله – عزّ وجلّ – .

قال الشنقيطي رحمه الله في قوله: ﴿ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قال: ويدخل في الآية دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به الله، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – ؛إذاً طاعة النبي طاعة للرب العلي، ومعصية النبي معصية للرب العلي. قال الله – جلّ جلاله – ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة:٩٢].

احذروا أن تقعوا في مخالفته – صلى الله عليه وسلم – احذروا أن تقعوا في مخالفته أو معصيته، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢]. وقال الله – جلّ جلاله – ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[النور:٥١-٥٢]. وقال – جلّ جلاله – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾[النساء:٦٠-٦١]. وقال – جلّ جلاله – ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾[الأحزاب:٣٦]. وقال الله – جلّ جلاله – في آية جامعة ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧].

وركزوا على هذه المسألة الآن؛ لأن جماعة خبيثة تسمي نفسها الآن بالقرآنيين، تدعي أنه واجب على الأمة أن تأخذ الأمة بالقرآن فحسب، وليست الأمة في حاجة إلى السنة، كلا كلا، والله لا يستطيع أعقل أهل الأرض أن يفهم آية، أو أن يفهم كتاب الله – جلّ جلاله – بعيداً عن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فليفتح واحد من هؤلاء القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وليخبرنا بعيداً عن السنة كيف نصلي؟ كيف نحج؟ كيف نزكي؟ كيف نصوم؟ متى نفطر و متى نمسك؟ وما مبطلات الصوم؟ وما واجباته؟ وما مندوباته؟ ما أركان الحج؟ ما الفرق بين وادي عرفة ووادي عرنة؟ ما واجبات الحج؟ ما الفرق بين الركوع والسجود؟ ما الذي أقوله في الركوع، وما الذي أقوله في السجود ؟ إلى غير ذلك، فلا يستطيع عاقل على وجه الأرض أن يفهم القرآن بعيداً

عن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لذا يقول نبينا: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) .

ومن جميل ما قاله الإمام الحافظ الكبير أبو زرعة رحمه الله تعالى قال : القرآن أحوج إلى السنة، من السنة إلى القرآن، يعني تدبروا هذا التأصيل البديع .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى : إن ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام .

ومن بديع ما قاله ابن القيم رحمه الله قال : والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول: أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، وهذا من باب تضافر الأدلة في الباب أو في المسألة الواحدة، بمعني يأمر القرآن: بالتوحيد، بالصلاة، بالصيام، بالحج، فيأتي صاحب السنة – صلى الله عليه وسلم – ويقول: (بني الإسلام على خمس:) كما في الصحيحين من حديث ابن عمر (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت) فتتضافر السنة مع القرآن في الباب الواحد أو في المسألة الواحدة، هذا هو الوجه الأول من أوجه السنة مع القرآن.

الوجه الثاني: أن تكون السنة مبينة وموضحة ومفسرة لما أجمله القرآن، يأمر القرآن بالصلاة فيقول ربنا – تبارك وتعالى – ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾[البقرة: ٤٣] كيف ؟

فيقوم صاحب السنة؛ ليصلي أمام الصحابة وأمام المسلمين من بعدهم، ويقول (صلوا كما رأيتموني أصلي) .

يقول الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ كيف ؟ ما مقدارها ؟ من هؤلاء الذين أخرج لهم الزكاة ؟

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] كيف أحج ؟ كيف أعتمر، فيأتي صاحب السنة ويقول (خذوا عني مناسككم).

إذاً تكون السنة، مفسرة وموضحة ومبينة لما أجمله القرآن الكريم.

الوجه الثالث: وهو من أهم أوجه السنة مع القرآن، وانتبهوا إلى هذا، لا سيما في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الفتن، وهي فتنة من الفتن التي يغني بطلانها أصلاً عن إبطالها، ويغني فسادها عن إفسادها، ويغني كسادها عن إكسادها، وبكل أسف تؤثر الآن مثل هذه الشبهات ومثل هذه الفتن في قلوب قلقة كثيرة.

الوجه الثالث: من أوجه السنة مع القرآن أن تكون السنة موجبة لما سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت القرآن عن تحريمه، أو لم يقل ربنا ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ﴾[النجم:١–٥]

وفى سنن الترمذي بسند صحيح من حديث المقدام بن معد يكرب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) السنة (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) اسمع، ماذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (قال ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي) تشريع تستقل به السنة، ويستقل به صاحب السنة – صلى الله عليه وسلم – (ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة المعاهد) وفى لفظ (فإن ما حرم الله كما حرم رسوله – صلى الله عليه وسلم –) تدبر معي الآية ﴿ وَمَا آتَاكُمُ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧]. وقال – جلّ جلاله – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[النساء:٥٩].

قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى في قوله – جلّ جلاله – ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ قال: الرد إلى الله هو الرجوع إلى القرآن الكريم.

وقال: والرد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو الرجوع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته والرجوع إلى السنة بعد مماته.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ولم يقل وأطيعوا أولى الأمر منكم، بل جعل طاعة أولى الأمر تابعة لطاعتهم لله ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.

ما أكثر الآيات وما أجلها وما أعظمها فمن أطاع النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الرب العلي – جلّ جلاله – ومن عصى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد عصى الرب العلي – جلّ جلاله – لأن طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – طاعة لله و لأن معصية النبي معصية لله تدبروا هذه الأحاديث الرقراقة على وجه السرعة، قال – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) لا إله إلا الله هناك من يأبى؟ نعم هناك من يأبى أن يدخل الجنة (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) .

إذاً الذي يأبى أن يدخل الجنة هو من عصى النبي – صلى الله عليه وسلم – هم العصاة لله ولرسوله، هؤلاء أبوا أن يدخلوا الجنة مع أن الله – جلّ جلاله – يحثهم ومع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يدفعهم دفعاً إلى دخول الجنة، وإلى البعد عن النيران، فما من خير إلا وأمرنا به، وما من شر إلا وحذرنا منه – صلى الله عليه وسلم – (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) .

ومن أرق الأحاديث التي قرأتها في هذا الباب ما رواه الإمام البخاري من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: (جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم، فقال: بعضهم إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان) فمن خصوصيات النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان لا ينام قلبه وإن نامت عينه عليه الصلاة والسلام (إنه نائم: وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، قال بعضهم: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له، مثلا فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، قالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيه مأدبة، وأرسل داعية أو بعث داعية، فمن أجاب الداعية دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعية لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة .

قالوا: أولوها له يفقهها، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، قالوا: الدار الجنة، ومن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس أط)

فهذه الدار وما أعد الله – عزّ وجلّ – فيها من النعيم لا تكون ولا يكون نعيمها إلا لمن أطاع محمداً – صلى الله عليه وسلم –، ولم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة أي لم يستمتع بنعيمها من عصى محمداً – صلى الله عليه وسلم – فمحمد فرق بين الناس.

إذاً تدبروا معي هذه المسألة البديعة العظيمة على قلة كلماتها .

قال (الأولى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ).

نكتفي بهذا في هذه المسألة ولنقرأ المسألة الثانية .

قال المصنف رحمه الله تعالى (الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[الجن: ١٨]).

قال المسألة (الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[الجن: ١٨]).

هذه أكبر مصيبة ترتكب على وجه الأرض في كل زمان ومكان إنها مصيبة وكبيرة الشرك بالله .

فالشرك أظلم الظلم، وأقبح الجهل كما أن التوحيد أعدل العدل؛ ولذا يا أخوة الله – تبارك وتعالى – يغفر أي ذنب، و يغفر أي كبيرة مهما كانت إلا الشرك .

لا يغفره الله – عز وجل – أبداً إلا إذا خلع المشرك رداء الشرك على عتبة الإيمان، ووحد الله – تبارك وتعالى – وآمن به وآمن برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، كما سأفصل إن شاء الله تعالى .

قال – جلّ وعلا – ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر:٥٣].

لكن يبقى هذا الذنب الذي لا يغفره الله أبداً فقال – جلّ وعلا – ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هذا حكم حاسم واضح ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء:١١٦].وقال – جلّ وعلا – ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾[المائدة: ٧٢]. نسأل الله السلامة والعافية، بل ستعجبون أن الله – تبارك وتعالى – قد خاطب صفوة أنبياءه وسيد رسله بقوله – تبارك وتعالى – ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥]. ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني ليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – وحده ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦]. ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. آيات واضحة حاسمة، فالله – سبحانه وتعالى – لا يرضى أبداً لعباده الكفر ولا يرضى منهم أبداً هذه الكبيرة وهذه المعصية الخطيرة ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣].

والشرك قسمان :

شرك أكبر، وشرك أصغر.

الشرك الأكبر: كما ذكرت الآن لا يغفره الله – تبارك وتعالى – أبداً وهو اتخاذ الند مع الله – جلّ وعلا – أو من دونه – سبحانه وتعالى – قال – جلّ وعلا – ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] اللهم اجعلنا من هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم بحبك ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾. فإذاً اتخاذ الند مع الله أو من دون الله أن يتخذ العبد نداً مع الله أو من دون الله يحب هذا الند كمحبة الله أو يخاف هذا الند كخوفه من الله – تبارك وتعالى – .

وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله – تبارك وتعالى – أبداً، ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال (من شهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، وأن محمداً رسول، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) وفى لفظ عتبان بن مالك في الصحيح (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى) .

انظروا إلى فضل التوحيد؛ لذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: (جاء رجل إلى – النبي صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول ما الموجبتان ؟ فقال – صلى الله عليه وسلم – من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار) .

وتدبروا هذا الحديث الجميل الذي رواه الترمذي ومسلم واللفظ الذي سأذكره الآن للترمذي بسند صحيح من حديث أنس – رضي الله عنه – أن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال، قال الله تعالى في الحديث القدسي الجليل: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) .

ابن القيم رحمه الله يقول كلاماً بديعاً نفيساً جداً ، اسمع ماذا يقول : والتوحيد هو الإكثير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال من الذنوب والخطايا لبددتها وأزالتها .

انظر إلى فضل التوحيد، والدليل على كلام ابن القيم ما رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وغيرهما بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ويقول الله – تبارك وتعالى –: أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يا رب، فيقول الرب – جلّ وعلا – احضر وزنك فإنه لا ظلم عليك اليوم، ثم يخرج له بطاقة فيها كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول، فيقول العبد: يا رب وما هذه البطاقة في هذه السجلات؟ فيقال: احضر وزنك فإنه لا ظلم عليك اليوم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فتوضع السجلات في كفة، وتوضع بطاقة التوحيد في كفة، قال فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة فإنه لا يثقل مع اسم الله شيء).هذا التوحيد.

لكن التوحيد بما أصلنا، الإيمان الذي أصلنا: هو قول اللسان، وتصديق الجنان، وعمل الجوارح والأركان، ليس كلمة ترددها الألسنة فحسب، كلا بل التوحيد الذي ينجو به صاحبه إن شاء الله تعالى: قول اللسان، وتصديق الجنان، وعمل الجوارح والأركان .

وسأفصل إن شاء الله تعالى ونحن نتحدث عن قضية الإيمان بالله – تبارك وتعالى –.

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، لا ينجو من وقع في الشرك الأكبر قط بل هو مخلد في النار بنص القرآن، وبنص حديث – النبي صلى الله عليه وسلم – كما بينت، هذا هو الشرك الأكبر.

أما الشرك الأصغر –أسأل الله أن يجنبني وإياكم الشرك الأكبر والأصغر– الشرك الأصغر يا أخوة: هو الرياء، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وبعض أصحاب السنن بسند صحيح من حديث محمود بن لبيد – رضي الله عنه – أن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال:(الرياء) .

ما الرياء؟ الرياء كما قال أهل اللغة الفيروز أبادي وابن منظور وغيره: راءى رياءً ورئاء ومراءة، أي أرى الناس خلاف ما يبطن، أي أظهر خلاف ما يسر، خلاف ما يبطن، فهناك المرائى وهو العامل للعمل، وهناك المراءى وهم الناس الذين يريد عندهم الشهرة والوجاهة والسمعة، وهناك الرياء وهو العمل ذاته .

الرياء محبط للأعمال نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال، يقول ربنا – جلّ وعلا – كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) وفي لفظ ابن ماجة بسند صحيح (وأنا منه بريء وهو للذي أشرك)، قال – جلّ وعلا – ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: ١١٠] .

لا ترائي من أنت على يقين مطلق أن قلبه بيد من عصيت، أنت ترائي الخلق وأنت تعلم أن قلوبهم بيد الله – جلّ وعلا – فلم الرياء ؟!

واعلموا يا أخوة، هذه قاعدة ثابتة شرعاً وقدراً، هذا الأصل الذي سأؤصله الآن ثابت شرعاً وقدراً، المعاقبة بنقيض القصد أمر ثابت شرعاً وقدرا، اللهم استرنا ولا تفضحنا، المعاقبة بنقيض القصد أمر ثابت شرعاً وقدراً.

يعني عبد يقصد بقوله أو بفعله الرياء الشهرة السمعة يعاقبه الله – تبارك وتعالى – إن لم يتب إليه بنقيض القصد فيظهر الله – جلّ وعلا – سريرته بين الناس ويجعل الله سره علانية أو لم تسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري وغيره يقول (من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به) يعني يجعل الله – عز وجل – سره علانية ويظهر الله – تبارك وتعالى – نيته الفاسدة الخبيثة للناس، إن لم يتب إلى الله – تبارك وتعالى – ويرجع إليه – جلّ وعلا –؛ إذا المعاقبة بنقيض القصد أمر ثابت شرعاً وقدراً، إن لم يتب صاحب هذا العمل الملوث وصاحب هذه النية الخبيثة إلى الحق – سبحانه وتعالى –

إذاً الرياء محبط للأعمال (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء).

هنا مسألة يعني يطرح سؤالها كثيراً من طلاب العلم في كل المناسبات ألا وهي: قد أعمل العمل وأنا والله لا أريد به إلا وجه الله – تبارك وتعالى – لكني أخاف حينما أسمع الثناء الحسن من الناس؛ فأشعر بشيء من السعادة، وأشعر بشيء من الفرح، فأخشى أن أكون قد وقعت في الرياء، لا، أبشر ليس هذا من الرياء .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر – رضي الله عنه – أن – النبي صلى الله عليه وسلم – سئل: يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل من أعمال الخير يريد به وجه الله تعالى فيلقي الله – عز وجل – له الثناء الحسن على ألسنة الناس فيثني الناس عليه خيرا، فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – (تلك عاجل بشرى المؤمن) اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين .

تلك عاجل بشرى المؤمن، فإن تكلمت خطبت أو ألقيت محاضرة أو فعلت لله – تبارك وتعالى – أو عملت أي عمل من أعمال البر وأنت تريد وجه الله – سبحانه وتعالى – فإذا بالناس يثنون عليك ويفرحون بك، حتى ولو وجدت الفرحة في قلبك فهذا أمر طبيعي، أن تفرح للطاعة ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨].

فإن وجدت هذا السرور وهذا الفرح ما دمت قد ابتغيت بعملك وجه الحق – تبارك وتعالى – فأبشر فهذه بشرى لك من الله – عز وجل – وأسأل الله الذي بشرك بهذا في الدنيا، أن يبشرك برضوانه في الآخرة، إنه على كل شئ قدير.ونحن مع أهل هذا الدعاء الكريم الجليل .

إذاً لو عملت عملاً تبتغي به وجه الله، وألقى الله لك الثناء الحسن على ألسنة الناس، وأودع قلوب المؤمنين وداً لك فهذه بشرى خير، قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾[مريم:٩٦] ، قال ابن عباس – رضي الله عنه – أي محبة في قلوب الخلق، ولا شك أن المراد بالخلق هنا يقصد الخلق من أهل التوحيد والإيمان، فإن الكافر والمنافق لا يحب المؤمن على الإطلاق، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾[المطففين:٢٩] الآيات، وقال – جلّ وعلا – ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[الفرقان:٣١].

إذاً أيها الأحبة، الرياء محبط للأعمال، فالشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

أيها المسلم أنا أخاطب إخواني الآن، أخاطب المسلمين والمسلمات في كل أنحاء الأرض، وأقول: أخي المسلم احذر الشرك، وحقق التوحيد، وراجع العلماء الربانيين، فوالله لا نجاة لك في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق التوحيد، والبعد عن الشرك كبيره وصغيره، فلنعلن الآن بألسنتنا وأعمالنا وقلوبنا: اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ونبرأ من الأمل إلا فيك، ونبرأ من التسليم إلا لك، ونبرأ من التفويض إلا إليك، ونبرأ من التوكل إلا عليك، ونبرأ من الصبر إلا على بابك، ونبرأ من الذل إلا في طاعتك، ونبرأ من الرهبة إلا لجلالك العظيم، ونبرأ من الرجاء إلا لما في يدك الكريمة، اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك .

فلنتجرد للحق – سبحانه وتعالى – فليكن ذبحك لله، فليكن نذرك لله، فليكن حلفك بالله، فليكن عطاؤك لله، فليكن منعك لله، فليكن طوافك ببيت الله وحده في مكة شرفها الله.

يا ابن عباس (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله) أخي لا تسأل نبياً، ولا تسأل ولياً، بل سل الرب العلي وحده، ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ [النمل:٦٢].

أأله مع الله يجيب المضطرين ويكشف هم المهمومين ويسمع دعاء المستغيثين ؟ لا ورب الكعبة، لا يسمع هذه الاستغاثة وهذا النداء والدعاء إلا من يعلم السر وأخفى، إلا من يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

أسأل الله – جلّ وعلا – أن يملأ قلوبنا توحيداً وإيماناً، وأن يجنبنا وإياكم الشرك صغيره وكبيره، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونكتفي بهذا في هذه المسألة، لنكمل شرح المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى .

قال المصنف رحمه الله تعالى (المسألة الثَّالِثَةُ: أنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة: ٢٢]).

هذه مسألة أخرى من أكبر المسائل، ومن أجل المسائل التي تشتمل على أصل كبير من أصول هذا الدين ألا وهو: الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من الشرك والمشركين، قال رحمه الله تعالى: (مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة: ٢٢]).

الموالاة كما قال ابن منظور في لسان العرب وغيره الموالاة: هي المحبة والنصرة، والمولى: هو المحب والناصر والتابع .

والبراء: هو التباعد والخلاص، إذاً يا أخوة، انتبهوا لي جيداً في هذه المسألة الكبيرة الجليلة، أصل الولاء الحب، وأصل البراء البغض.

لا يستقيم دينك إلا بالولاء والبراء، لا يستقيم دينك إلا بالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من الشرك والمشركين، قال الله – جلّ وعلا – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي عقل هذا، وأي دين ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[الممتحنة:١].

وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أين هذا الإيمان؛ ليسمعوا عن الله – تبارك وتعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران:١٠٠-١٠١]. قال الله – جلّ وعلا – ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[البقرة:١٢٠]. وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[المائدة:٥١].وقال الله – جلّ وعلا – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران:١١٨].

هذا قرآن يا أخوة، هذا كلام ربي – جلّ وعلا – لا أستدل ألبتة بشيء من عندي، وإنما كما تسمعون أقول: قال الله، قال رسوله، وهذا هو العلم، وهذا هو الدين، قول ربي، قول نبيي – صلى الله عليه وسلم – ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة:١٠٩]. ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧]. ما أكثر الآيات، والناس أصناف في قضية الموالاة، تدبروا هذا صنف والى الله ورسوله والمؤمنين، أسأل الله أن نكون منهم، وعاد الشرك والمشركين.

وصنف من الناس وافق الكفار موافقة تامة في الظاهر والباطن، وهذا هو الذي فيه الوعيد في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾[المائدة: ٥١] وافقهم في الظاهر والباطن.

وصنف وافقهم في الباطن وخالفهم في الظاهر، وهذا هو نفاق الاعتقاد: يسر الكفر ويظهر الإسلام، وإظهاره للإسلام يعصم دمه وماله.

وصنف وافقهم في الظاهر وخالفهم في الباطن، وهذا لا يكون إلا في حال واحد ألا وهو حال الإكراه كما في قوله – تبارك وتعالى – ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ ﴾[النحل: ١٠٦].

إذاً المؤمن يا أخوة الذي كمل إيمانه يوالي الله ورسوله والمؤمنين ويعادي الشرك والمشركين قال لله در القائل :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي	حبا له ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادي جاهدا أحبابه	أين المحبة يا أخا الشيطان
شرط المحبة أن توافق من	تحب على محبته بلا نقصان
فإن ادعيت له المحبة مع	خلافك ما يحب فأنت ذو بطلان
لو صدقت الله فيما زعمته	لعاديت من بالله ويحك يكفر
وواليت أهل الحق سراً وجهرة	ولما تعاديهم وللكفر تنصر
فما كل من قال من قلت مسلم	ولكن بأشراط هنالك تذكر
مباينة الكفار في كل موطن	بذا جاءنا النص الصحيح المقرر
وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم	وتدعوهم سراً لذاك وتجهر
هذا هو الدين الحنيفي والهدى	وملة إبراهيم لو كنت تشعر

إذاً من وحد الله – سبحانه وتعالى – وأطاع الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يجوز له ألبتة أن يوالي من حاد الله ورسوله .

لكنني أود أن أنبه شبابنا وطلابنا أن يتريثوا وأن يتمهلوا في فهم هذه المسألة حتى لا يسحبوا أدلة القرآن التي ذكرتها وأدلة السنة كما في حديث رسول الله (الحب في الله، والبغض في الله أوثق عرى الإيمان) وكما في قوله: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) لا أحب أن يستعمل أو يستخدم إخواننا أو طلابنا هذه الأدلة دون تحقيق مناطاتها، وهذا ربما أتعرض له في الأسئلة إن شاء الله تعالى، لأدع لكم فرصة في طرح هذه الأسئلة، أسأل الله – جلّ وعلا – أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، اللهم ارزقنا علماً نافعاً وقلباً خاشعاً وعملاً صالحاً متقبلاً أنت ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نريد أن تؤكد على موضوعين اثنين: الموضوع الأول باب طاعة الله – سبحانه وتعالى – وطاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في موضوع حرمة الدماء التفريق بين هذا الموضوع، وبين موضوع حرمة الدماء الذي يكاد يساء فهمه في هذا الأمر، الأمر الثاني: هو موضوع ما هو الضباط في الولاء والبراء لغير المسلمين في أي بلد ونحن معهم على أمن وآمان ؟)

هذا سؤال في غاية الأهمية، وهذا ما كنت أود أن أبينه في آخر اللقاء، كنت أود أن أذكر لأحبابنا وطلابنا بعض الأصول وبعض الاستثناءات العملية التي لا تنقض أصل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا تتناقض مع أصل البراء، لأن خلقا رهيباً قد يقع فيه طلابنا بدعوى الحماس وبدعوى الحب لله ولرسوله دون تحقيق المناطات العامة والخاصة التي لابد منها؛ للربط ربطاً صحيحاً بين دلالات النصوص وحركة الواقع .

فمن هذه الاستثناءات اللين عند عرض الدعوة على الكفار، الإسلام أوجب على هذه الأمة أن تبلغ الدين إلى أهل الأرض، ومن المعلوم أنك لا تستطيع أن تبلغ الحق إلى أي نفس بشرية إلا إذا استملت هذه النفس، وسبرت أغوارها، وتغللت إلى أعماقها بالحكمة والرحمة الرقيقة الرقراقة والموعظة الحسنة .

فواجب على طلابنا أن يفهموا تمام الفهم: أنه إن تقدم لدعوة رجل على غير الإسلام يجب عليه أن يكون لينا حكيماً رحيماً بمن يدعوه، وهذا اللين، وهذه الحكمة، وهذه الرحمة لا تتعارض مع أصل الولاء لله ولرسوله، والبراء من الشرك والمشركين قال – جلّ وعلا – ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥]. وقال – جلّ وعلا – ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[العنكبوت:٤٦]. وقال – جلّ وعلا – لموسى وهارون حين أمرهما أن يذهبا إلى فرعون ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[طـــه:٤٤] الآيات.

هذا أصل في غاية الأهمية؛ لأن كثير من شبابنا يخلط بين مقام الجهاد، ومقام الدعوة فتراه غليظاً عنيفاً في كل المواطن، هذا لا يجوز وليس من الدين في شيء بل مقام الجهاد رجولة وغلظة. قال الله – جلّ وعلا – ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة:٧٣]. أما مقام الدعوة اللين والحكمة والرحمة والأدب والتواضع كما بينت الآن في قوله تعالى ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾. وكما في قوله – جلّ وعلا – ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ثانياً : أكل ذبائح أهل الكتاب هذا لا ينقض أصل الولاء ولا أصل البراء، قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾[المائدة:٥]

ثالثاً : الزواج من الكتابيات قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾[المائدة:٥].

رابعاً : وهذا من أخطر الاستثناءات التي أود أن أبينها لطلابنا البر بهم، انظر إلى الدين انظر إلى الإسلام، البر بهم والإحسان إليهم، ويدخل في ذلك الإهداء لهم، وقبول الهدايا منهم، بضابط مهم جداً ألا وهو: أن تظهر لهم سماحة وعظمة هذا الدين؛ من أجل أن تبلغهم بعد ذلك عن الله وعن رسوله لابد من هذا الضابط .

خذ الأدلة على كل ما ذكرت من القرآن والسنة، حتى لا يظنن أحد أن الأمر هوى، وحتى يعلم شبابنا أن الحماس وحده لا يكفي، وأن الإخلاص وحده لا يكفي، بل يجب أن يكون الحماس والإخلاص منضبطين بضوابط الشرع؛ حتى لا نضر من حيث نريد النفع، وحتى لا نفسد من حيث نريد الإصلاح. قال الله – جلّ وعلا – ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[الممتحنة:٨].وترجم الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان باب قبول هدية المشركين، سبحان الله ألم تعلموا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد قبل الشاة من يهودية، قبلها هدية مع أنها كانت مسمومة، وقد عرضت على النبي – صلى الله عليه وسلم – جبة من الحرير فلما تعجب الناس وأهديت له، فقال لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا، وفى صحيح البخاري أيضاً أن – النبي صلى الله عليه وسلم – أهديت له حلة .

عمر – رضي الله عنه – رأى رجلاً يبيع حلة يلبسها، فقال عمر، والحديث في البخاري قال عمر للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول ال،له ابتع هذه لتلبسها في يوم الجمعة وأثناء الوفود، يعني تقبل الوفود عليك، فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – (هذه يلبسها من لا خلاق له في الآخرة) ثم أهديت إلى – النبي صلى الله عليه وسلم – مجموعة من هذه الحلل، فأهدى – النبي صلى الله عليه وسلم – واحدة منها لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال يا رسول الله كيف ألبسها، وقد سمعتك تقول فيها ما قلت، قال أنا لم أهدها لك لتلبسها فأهداها عمر بن الخطاب لأخ له في مكة قبل أن يسلم؛ ولذا ترى الإمام البخاري يترجم في صحيحه باباً بعنوان: باب الإهداء للمشركين، إذاً باب قبول هدية المشركين باب الإهداء للمشركين ، بل يجوز للمسلم أن يعود مرضاهم، إذا أراد أن يبلغهم عن الله أو أن يبين له عظمة هذا الدين، والحديث في صحيح مسلم وغيره أن النبى – صلى الله عليه وسلم – زار غلاماً يهودياً كان مريضاً فقعد – النبي صلى الله عليه وسلم – عند رأس الغلام فقال النبى له، هذا هو الضابط، (قل لا إله إلا الله) .

إذاً أنت تهدي وتقبل وتتودد بالفعل بنية أن تبلغه عن الله، لا تتودد بالقلب من باب الحب، فهذا يناقض ما أصلنا، لكن أنت تتقرب بفعل كهذا، بإعطاء هدية، أو بقبول هدية، من باب أن تبلغهم عن الله، وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعزة واستعلاء للمؤمنين، لا بذلة ومهانة وخضوع واستكانة .

فقال له النبي (قل لا إله إلا الله) فنظر الغلام إلى أبيه، فقال والد الغلام: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فخرج–النبي صلى الله عليه وسلم– فرحاً وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار) وفى لفظ: (الذي أنقذه بي من النار).

هذه استثناءات يا أخوة لابد أن يعيها شبابنا .

أما الأمر الأخطر، وهو ما طرحه الأخ الكريم في أول الأسئلة، وقد سألنا أحد الأخوة قبل أن ندخل إلى غرفة الأستوديو في هذه المسألة أيضاً عما حدث في مصرنا في اليومين الماضيين من سفك للدماء لبعض السياح أو لبعض المصريين، بعض الشباب يتصور أن هذا من الجهاد، وهذا خلل لا دليل عليه ألبتة لا من قرآن ولا من سنة، فالدماء يا أخوة حرمتها عظيمة عند الله – تبارك وتعالى – الله – جلّ وعلا – هو واهب الحياة، وليس من حق أحد ألبتة أن يستحل هذا الحق أو أن يستبيح حرمته أو أن ينتهك حماه .

الحياة حق لا يجوز ألبتة أن يسلبه إلا من وهب هذه الحياة في إطار حدوده وشريعته التي شرعها للناس، ليسعدوا بها في الدنيا والآخرة، الله – تبارك وتعالى – يقول حتى لا يخلط شبابنا بين الدماء وبين قضية الولاء والبراء، فليس هذا إطلاقاً من الولاء لله ولرسوله والمؤمنين، والبراءة من الشرك والمشركين إطلاقا، قال الله – جلّ وعلا – ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾[النساء:٩٣] .

من يتحمل هذه الدماء التي سفكت لأخ مصري أو لأخت مصرية، قتلت: أو لأخ مسلم قتل في بلاد الحرمين، أو قتل في الجزائر أو هنا أو هنالك من يتحمل هذه الدماء، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول كما في صحيح البخاري (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)، والنبى – صلى الله عليه وسلم – يقول: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمدا) .

هذا بالنسبة للمسلمين، بالنسبة لهؤلاء من غير المسلمين الذين دخلوا بلاد المسلمين بعهد أمان ولو راجع أي طالب علم أي كتاب من كتب الفقه الآن لوقف على أن الكفار ينقسمون إلى أربعة أقسام .

الخلل أن كثيراً من شبابنا بدعوى الحماسة بدعوى الجهاد، ويقولون: الأشلاء تمزق في فلسطين، وتمزق في العراق، نعم، أنا لا أجهل هذا الواقع، أنا لا أجهل واقع المسلمين في فلسطين أو في العراق أو في الشيشان أو في أفغانستان أو في الفلبين أو في أرتيريا لا أجهله، لكن الأمر دين ليس عاطفة وليس حماسة وليس إخلاصاً، بل لابد أن ينضبط كل هذا بضوابط الشرع من كتاب الله، ومن كتاب رسوله بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، لا أن يتقدم الآن شاب جريء لا يحسن أن يفرق بين الدليل ومرتبة الدليل ومناط الدليل والمجمل والمبين والعام والخاص والناسخ والمنسوخ؛ ليفتي شبابا مسكيناً من شبابنا في هذه القضايا الخطيرة: قضايا الدماء، و يتقدم شاب مسكين؛ ليسفك دماً محرماً أنه يجاهد في سبيل الله، لا، والله .

الكفار ينقسمون إلى أربعة أقسام أود من شبابنا أن يتعرفوا على هذا، كل قسم له حكم: هناك كافر محارب، كافر ذمي، كافر معاهد، كافر مستأمن .

احفظوا هذا كافر محارب، كافر ذمي، كافر معاهد، كافر مستأمن، هذا الذي دخل بلداً من بلاد المسلمين بعهد أمان، تختلف صورة العهد باختلاف الأزمنة والأمكنة، وصورة العهد في زماننا هذا ما يعرف بالتأشيرة، وأنا أدخل بتأشيرة بهذا العهد إلى بلد من بلادهم، أذهب بهذه التأشيرة إلى أوربا أو إلى أمريكا، ويأتون بلادنا بهذه التأشيرة، الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول لأم هانئ التي أدخلت مشركاً في جوارها يوم الفتح والحديث في الصحيحين من حديث أم هانئ جاءت إلى – النبي صلى الله عليه وسلم – يوم الفتح وهي تقول: يا رسول، زعم ابن علي أنه قاتل رجل من المشركين قد أجرته، يعني أعطته العهد بالأمان أدخلته في جوارها سيدنا علي، قال: سأذبحه سأقتله هذا مشرك كيف تدخليه في جوارك– إني أطلت النفس لأهمية الموضع– كيف تدخليه في جوارك، وأصر عليّ على قتل هذا المشرك، فتركت أم هانئء علياً، وذهبت إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقالت يا رسول الله (زعم ابن أم علي أنه قاتل رجلاً من المشركين قد أجرته يقال له فلان ابن هبيرة، فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – وقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) .

تدبروا يا شباب (وقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) بل والله العظيم لو أعطت امرأة فقيرة من المسلمات عهداً بالأمان لمشرك على وجه الأرض لا يحل لمسلم آخر أو للمسلمين كلهم أن ينقضوا عهد هذه المرأة الفقيرة .

ما الدليل ؟ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وفيه أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال (المسلمون تتكافئ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم فمن أخفر مسلماً) أي من نقض عهد مسلم (فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً يوم القيامة) صرفا ولا عدلا أي فرضا ولانفلاً .

القضية يا إخواننا قضية دين، وليست قضية حماس فوار، ولا قضية إخلاص هذا جهل لصالح من تسفك هذه الدماء ؟ والله العظيم ليست من القرآن ولا من السنة في شيء، وورب الكعبة لا نجامل بهذا التأصيل مخلوقاً، لن نترشح لمجلس شعب ولا لمجلس شورى، وإنما الأمر لابد أن يعي شبابنا أن الأمر دين، لا ينبغي لك أن تتكلم كلمة أو أن تخطو على الطريق خطوة إلا بعد أن تراجع العلماء الربانيين، لا تراجع رجلاً ينسب نفسه إلى العلم ويقحم نفسه في العلم إقحاماً، تذبب قبل أن يتحصرم، وبالغ قبل أن يبلغ، ويدعي العلم قبل أن يتعلم، وربما يكون قد جعل لنفسه موقعاً على الإنترنت ثم هو يحمس شبابنا بصورة لا تنضبط أبداً بضابط من كتاب الله ولا بضابط من رسول الله .

وينطلق شباب مسكين لينطح هذه الجدران الصلبة برؤوسهم تتحطم وتتهشم دون أن نغير من الواقع شيئا.

قال ابن القيم : لا يجوز للعالم أو المفتي أن يفتي في مسألة إلا بعلمين :

الأول : فهم الواقع، نكررها فهم الواقع، وبعد ذلك فهم الواجب في الواقع أي فهم الأدلة الشرعية التي تنطبق مع هذا الواقع؛ لأنه لابد من تحقيق المناطات العامة والخاصة لهذه الأدلة وإلا قد تستدل بدليل عام لمناط خاص فتضل وتضل .

أو قد تستدل بدليل خاص لمناط عام فتضل وتضل .

وأختم بهذا الحديث الجميل الذي رواه البخاري في التاريخ الكبير ورواه النسائي في السنن، ومن أراد أن يراجعه من طلابنا الآن فليفتح الآن صحيح الجامع لشيخنا الألباني رحمه الله المجلد الثاني في حرف الميم وافتح على كلمة من، افتح الآن .

الحديث أقول رواه البخاري في التاريخ الكبير والنسائي في السنن من حديث عمر بن الحامق الخزاعي – رضي الله عنه – صححه الشيخ الألباني رحمه الله المجلد الثاني من صحيح الجامع أنه – صلى الله عليه وسلم – قال (من أمن رجلاً على دمه فقتله) أعطاه العهد بالأمان ثم أدخل فقتل (من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرا)، أنا أعلن هذا للدنيا كلها، وأقول للشرق والغرب: هذا ديننا وهذا محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – وودت من وسائل إعلامنا التي انشغلت بسفاسف الأمور، وددت من وسائل إعلام المسلمين التي انشغلت بتوافه الأمور، وودت من الفضائيات التي أعلنت العداء والحرب الآن على الثوابت والأصول في الكليات: أن تتولى ترجمة هذا الحديث لتسمعه للدنيا كلها؛ لتبين لأهل الأرض أن هذا هو الإسلام، وأن هذا هو محمد – صلى الله عليه وسلم – .

فليترجم الحديث بلغات الأرض: بالإنجليزية، بالفرنسية، والألمانية وغيرها (من أمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرا) .

فالكافر الحربي يا أخوة له حكم، والكافر المعاهد له حكم، والكافر الذمي له حكم، والكافر المستأمن له حكم.

لا تخلطوا الأوراق بدعوى الدين، ولا تخلطوا الأوراق بدعوى الحماسة وبدعوى الجهاد، فليس هذا من الدين في شيء، والله ورسوله منه براء .

وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يعلمنا وأن يفهمنا، القضية ليست قضية دليل، أنا قلت قبل ذلك في حلقة العلم: أن الدليل ليس منتهى العلم، بل لابد من فهم الدليل ومراتب الدليل ومناطات الدليل؛ لذا نرى البخاري رحمه الله تعالى يترجم في صحيحه في كتاب العلم باباً بعنوان: الفهم في العلم، هذا ما أدين الله – عز وجل – به في هذه المسألة وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يحقن دماء المسلمين في كل مكان إنه ولي ذلك والقادر عليه .

هل من طاعة الرسول التبرك بقبره ؟)

قال الله – جلّ وعلا – ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١].

ومن محبة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نمنح ما لله – تبارك وتعالى – لله من خصائص الألوهية وأن نمنح لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما لرسول الله من خصائص النبوة والرسالة .

فنحن ندين الله – تبارك وتعالى – مع ابن القيم أن الكعبة أشرف مكان على وجه الأرض، ندين الله أن الحجرة النبوية الشريفة بجسد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل من الكعبة.

الكعبة لو قورنت بالحجرة باستثناء الجسد الشريف فهي أشرف، لكن ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره قالوا: بأن الحجرة بالجسد الشريف أشرف وأطهر بجسد – النبي صلى الله عليه وسلم – .

ومع أننا نعتقد ذلك إلا أنه لا يجوز لنا أن نتمسح بقبره الشريف – صلى الله عليه وسلم – أو أن نرفع الصوت في حضرته عند القبر الشريف، أو أن نتجه إليه – صلى الله عليه وسلم – بالطلب أو الرجاء أو الدعاء .

وإنما كما علم نبينا ابن عباس وعلم الأمة (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) ولا حرج أن تتوسل إلى الله – تبارك وتعالى – بحبك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبطاعتك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن التوسل إلى الله بالعمل الصالح مقبول ومشروع، وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يرزقنا الحب والاتباع الصادق، كما سنبين إن شاء الله تعالى في الإيمان بالنبي – صلى الله عليه وسلم – .

من يدعي حب النبي ولم يفد من هديه فسفاهة وهراء

فالحب أول شروطه وفروضه إن كان صدقاً طاعة ووفاء

يسأل ويقول: ذكرت في تفسير قوله تعالى ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ أن اللام لام الأمر وملزمة لجميع الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه أن يؤمنوا برسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – وكما نعلم أن ديننا عقيدة الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، فهل الأمر الذي جاءت به الآية الكريمة يتضمن الإيمان واتباع الإسلام كشريعة، فإذا كان كذلك فالآية حجة على من يرى شرع من قبلنا شرع لنا، نرجو التوضيح ؟)

لقد بين أخونا الحبيب أن الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين لكن الشرائع قد تختلف، وهذا أمر متفق عليه: الشرائع قد تختلف من نبي إلى نبي ومن رسول إلى رسول، فقد يأتي نبي في شريعته بما لم يأتِ به من سبقه من الأنبياء والمرسلين.

أما أصل الدين الاعتقاد، الإسلام كاستسلام وإذعان وانقياد لله – تبارك وتعالى – فهو دين جميع الأنبياء والمرسلين بلا استثناء.

على وجه السرعة خذوا هذه الأدلة القرآنية السريعة، قال الله – تبارك وتعالى – في سورة يونس ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾[يونس:٧١] إلى قوله ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[يونس: ٧٢]. هذا نوح فدين نوح هو الإسلام .

قال الله – عز وجل – في شأن إبراهيم ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة:١٣٠-١٣١].

والإسلام دين يعقوب ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة:١٣٢].

والإسلام دين موسى، قال الله تعالى حكاية عن موسى ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾[يونس:٨٤].

والإسلام دين عيسى قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٥٢].

والإسلام دين يوسف قال الله تعالى ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[يوسف:١٠١].

والإسلام دين سليمان قالت بلقيس: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[النمل:٣٠-٣١].

والإسلام هو دين الجن المؤمن قال الله تعالى حكاية عنهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾[الجــن:١٤-١٥] .

والإسلام دين محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾[المائدة: ٣].

فلا خلاف ألبتة فيما ذكر أخونا الكريم الإسلام كاستسلام وإذعان وانقياد وتوحيد وإفراد الله بالعبودية، إنما هو دين الأنبياء والمرسلين .

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف:٦٥].

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف:٧٣].

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: ٨٥].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الانبياء:٢٥].

ما أكثر الأدلة وما أعظمها وما أجلها أما الشرائع فتختلف باختلاف الأنبياء والمرسلين، فقد يأتي نبي في شريعته بما لم يأتِ به نبي سبقه، والله تعالى أعلم .

يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نصيحة لمن إذا سمع شيئا من السنة يتهاون بها، ويقول: أنها ليس بفرض، ولا يفرق بين السنة الأوامر والسنة المستحبة، نريد نصيحة لهؤلاء الناس وجزاكم الله خيرا ؟)

قد ذكرت في ثنايا المحاضرة أن الحق – تبارك وتعالى – قد أمر في آية جامعة بطاعة – النبي صلى الله عليه وسلم – وبامتثال أمره واجتناب نهيه والوقوف عند حدوده، فقال – جلّ وعلا – ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧] .

وبينت أن طاعة النبي طاعة لله، وأن معصية النبي معصية لله، ولا ينبغي ألبتة أن نتهاون بالسنة؛ لأن هذه شنشنة خطيرة ومذلة كبيرة، إذا قلت لأحد المسلمين: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذا وكذا يقول هذه سنة وهذه الإشارة في ذاتها تحمل امتهاناً وتقليلاً من شأن السنة والله – تبارك وتعالى – يقول ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢] .

وأخشى أن يصل الأمر إلى حد الامتهان الحقيقي والاحتقار الحقيقي، وإلا لو حدث ذلك لوقع صاحبه في خطر عظيم، وفى أمر جسيم، فيجب علينا جميعاً يجب على المسلمين أن يعلموا أن اتباع – النبي صلى الله عليه وسلم – واجب حتى ولو كان الأمر النبوي ليس على سبيل الإيجاب، وليس على سبيل الإلزام، فلا ينبغي ألبتة أن نقلل من شأنه؛ لأن الدين لا ينقسم إلى قشور ولباب، صحيح هناك أصول وفروع، وهناك كليات وجزئيات، ونحن نؤمن بفقه الأولويات في الدعوة إلى الله – تبارك وتعالى – ونعلم: أن أول من أصل هذا الفقه هو نبينا – صلى

الله عليه وسلم – (يا معاذ إنك تأتي قوماً أهل كتاب تدعوهم إلى: شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم: أن الله فرض عليهم ..) إلى آخره .

هذا هو فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، لكننا لا نفرق أبداً بين قشر ولب أبداً، ولا نحتقر جزئية لصالح كلية، ولا نقلل من شأن فرع لصالح أصل من الأصول، وإنما نأخذ بالأصول والفروع؛ لأن الذي جاء بها هو نبينا – صلى الله عليه وسلم – ويكفي أن أذكر بقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:١].

فإن كان الأمر من النبى بصيغة الأمر فهو للوجوب إن لم تأتِ قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب أو الاستحسان، ووجب على كل مسلم ومسلمة أن يطيع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا، قال – جلّ وعلا – ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾[الأحزاب:٣٦].

أما إن كان الأمر من النبى – صلى الله عليه وسلم – ليس على سبيل الإيجاب، وإنما هو على سبيل الندب والاستحباب، فافعله من باب حبك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإن لم تستطع فلا إثم عليك؛ قال – صلى الله عليه وسلم – (ما أمرتكم بشيء فأتوا منه استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) .

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يرزقنا وإياكم طاعة رسوله إنه على كل شيء قدير .

تقول ما الحمار الأهلي ؟)

هو نوع من أنواع الحمر التي تنتشر في بعض الأماكن دون بعض وهذا حرم النبى – صلى الله عليه وسلم – أكله ولو راجعت أو شاهدت هذه الأخت الكريمة يعني هذا المشهد في حديقة من حدائق الحيوان في مصر مثلاً لوجدت هذه الحمر الأهلية والحمر المخططة بألوان تميل إلى اللون البني أو اللون الأسود .

يعني هو نوع من أنواع الحمر ينتشر في بعض الأماكن دون بعضها، وقد حرم – النبي صلى الله عليه وسلم – أكله (لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة المعاهد) وفى لفظ في الصحيح (إلا لمن عرفها) .

يقول: ما حدود التعامل مع المبتدعة وخاصة الفرقة القرآنية ؟)

يجب علينا ابتداءً أن نعلم أن هؤلاء واجب علينا أن نبلغهم الحق عن الله ورسوله، وأن ندعوهم إلى الحق، وهذا لا يكون كما ذكرت إلا بالضوابط والأصول التي بينتها في الدعوة إلى الله – عز وجل – فإن نصح أهل البدع، وأقيمت الحجة عليهم بحكمة ورحمة ورفعنا عنهم الجهل الذي هم فيه، ورفعنا عن التأويل الذي ربما تأولوا به مثل هذه الأمور، وأصروا بعد ذلك على بدعهم؛ فواجب على المسلم الذي يتقي الله – تبارك وتعالى – أن يهجرهم .

لكن لا يكون الهجر إلا بعد النصح، وإلا بعد التذكير، وإلا بعد إقامة الحجة الرسالية الخاصة، فربما التي من تركها أقيمت عليه، قد يكون فاسقاً تارة، وقد يكون مبتدعاً تارة، وقد يكون ضالة تارة ثالثة، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

وفرق يا شباب، بين إقامة الحجة وفهم الحجة؛ لأن كثيراً من شبابنا قد يذهب؛ ليطبل ويزمر ويقول: لقد أقمت الحجة على فلان مع أن فلانا هذا لم يع الحجة، ولم يفهم الحجة فلابد من أن نقيم الحجة، وأن يفهم من يقيم الحجة عليه أن يفهمها، وأن نوضح له الأمر، وليست العبرة أنني أود أن أقول أن فلاناً عاند، وإنما الهدف أن أبلغه الحق، وأن آخذ بقلبه إلى الحق وإلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله، فالنصح برحمة وحكمة ولين، فإن أصر أهل البدع بعد ذلك على بدعهم؛ فواجب عليك الهجر، والهجر نوعان :

هجر محمود، وهجر مذموم .

الهجر المحمود : هو الهجر لله – تبارك وتعالى – كما أمر – النبي صلى الله عليه وسلم – الصحابة والمجتمع المدني كله أن يهجر الثلاثة الذين خلفوا بعد غزوة تبوك، أو عن غزوة تبوك؛ فهجروهم، هذا هجر محمود مأجور صاحبه.

أما الهجر المذموم: هو أن تهجر أخ من إخوانك لا من أجل بدعة، ولا من أجل معصية، ولا من أجل ضلالة، إنما من أجل الهوى، ومن أجل النفس الأمارة بالسوء، ومن أجل حظ في نفسك، ولو دقق كثيراً من إخواننا الذين هجروا كثيراً من إخوانهم لوجدوا أنهم ما هجروهم إلا من أجل هذا، ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[ص:٢٦].

فنحن نبغض البدعة، ونبغض المعاصي، لكننا ننصح أهل البدع، وننصح أهل المعاصي، ونقيم عليهم الحجة بالحكمة والرحمة، فإن أصروا على معاصيهم، وإن أصروا على بدعهم، فنحن نهجرهم لله – تبارك وتعالى – ونسأل الله تعالى أن يختم لنا ولكم بالتوحيد والسنة إنه ولي ذلك ومولاه .

تسأل عن الحمار الأهل هل هو الحمار الذي يعيش بين الناس أم هو الحمار المخطط الذي يكون في حديقة الحيوان ؟)

هو كذلك حتى الحمار الذي يعيش بين الناس لا يجوز أكله على الراجح المسألة فيها خلاف، معلوم في كتب الفقه لكن الذي فيه النص هو الحمار الأهلي الذي ذكرت آنفاً .

تقول هناك كثير من المسلمين يستهزءون بسنة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وخاصة اللحية فبما تنصحونهم؟ وكيف نتصرف معهم ؟)

الاستهزاء بالله أو برسوله – صلى الله عليه وسلم – أو بشئ ثابت معلوم من الدين بالضرورة قد يوقع صاحبه والعياذ بالله في الكفر، إن تبينت له الحجة وبين له الأمر كما في قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦].

فالاستهزاء أمر خطير الاستهزاء بالله، الاستهزاء بالقرآن، الاستهزاء بالسنة، الاستهزاء بالدين أمر خطير، لكنني أود أن أنبه الشباب لا تتعجل في إصدار حكم بالتكفير، فقد يهزأ إنسان من إنسان ملتح، أود أن أفرق بين استهزائه من سنة – النبي صلى الله عليه وسلم – وبين استهزائه بالشخص ذاته؛ لتقصيره في حق سنة – النبي صلى الله عليه وسلم – فقد يقال فلان هذا ملتح، ولكنه يفعل كذا.

فلا يقال بأن هذا استهزاء بالسنة، وإنما ينبغي أن نفهم أن هذا يقلل، يعني هذا الذي يتكلم إنما هو يريد أن يبين أن الذي من الله عليه بهذا الوسام وسام السنة والشرف وجب عليه أن يكون جديراً وخليقاً بهذه السنة وهذا

الوسام؛ لأن كثيراً من شبابنا قد يتسرع ويصدر الحكم دون تفريق بين الحكم على الشخص صاحب السنة وبين الاستهزاء بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ذاتها، أما إن كان الاستهزاء، وأنا أتكلم الآن على الإطلاق الاستهزاء بالله الاستهزاء بالقرآن الاستهزاء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – الاستهزاء بأمر معلوم من دين الله بالضرورة يوقع صاحبه في الكفر بنص القرآن كما ذكرت .

لكن شتان بين هذا وبين الحكم على التعيين، هذا ما أود أن أركز عليه، إن أردت أن تصدر حكماً على معين من الناس فلابد أن تحقق شروطاً وأن تنفي موانع قبل أن تسقط الحكم، لابد أن ترفع الجهل، ولابد أن ترفع الإكراه، ولابد أن ترفع التأويل، بعد ذلك تستطيع أن تسقط هذا الحكم على معين من الناس، وأسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم والفهم.

(قال المصنف رحمه الله تعالى : اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:٥٦) ومعني يعبدون يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالي (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)(النساء: من الآية٣٦).)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلي يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعا أيها الأخوة الفضلاء وطبتم وطاب منشاكم وتبوأتم جميعا من الجنة منزلا ، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا في هذا المجلس الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه .

هذه هي القاعدة الثالثة التي ضمنها المصنف رحمه الله مقدمته الرائعة الباهرة والتي بدأها بقوله (اعلم أرشدك الله لطاعته) وقد تكلمت قبل ذلك عن قضية العلم.

أما الرشاد: أرشدك الله لطاعته ، أي : هداك لطريقه المستقيم ، طريق الحق والهدى . فالرشاد : أرشدك : أي : هداك ودلك ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر:٣٨) أي أهدكم سبيل الحق والهدى .

والهداية في اللغة : هي الدِلالة أو الدَلالة والإرشاد والتعريف والبيان .

وهي تنقسم إلي أربعة أقسام اصطلاحا : لا يتسع الوقت لذكرها الآن لكن كي أوصي أقلام لأقسام الهداية :

هداية عامة ، وهداية الدِلالة أو الدَلالة ، والإرشاد والتعريف البيان ، وهداية التوفيق ، والهداية في الآخرة . هذه أقسام الهداية .

إذن أرشدك ، أي : دلك الله عز وجل وهداك إلي طريق الحق والهدى .

وهذه دعوة جميلة من المصنف رحمه الله تعالي للمدعوين .

(اعلم أرشدك الله لطاعته) والطاعة : هي فعل ما أمر الله عز وجل به والانتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالي، امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، والوقوف عند الحد . هذه الأصول تمثل طاعة الله سبحانه وتعالي .

(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له

).

الحنيفية : هي التوحيد الخالص المائل عن الشرك صغيره وكبيره .

الحنيف : هو المائل عن الشرك .

والحنيفبة : هي ملة التوحيد الخالص ، المائلة : أي البعيدة عن الشرك صغيره وكبيره .

وإبراهيم : أثني الله تبارك وتعالي عليه وجعله خليلا له ، وإماما للأنبياء وقدوة للمرسلين . فقال الله تبارك وتعالي : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء: من الآية١٢٥] إذن فإبراهيم خليل الله عز وجل ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء: من الآية١٢٥] وقال الله سبحانه وتعالي مبينا أن إبراهيم هو الأسوة والقدوة للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولأمته من بعده ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الممتحنة: من الآية٤] ، وقال الله سبحانه وتعالي ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]. حنيفا : أي مائلا عن الشرك ، سائر على طريق التوحيد محققا للإيمان بالله سبحانه وتعالي ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

وقال جل وعلا ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

فإبراهيم عليه وعلى نبينا عليه الصلاة والسلام خليل رب العالمين ، وقدوة المحققين ، وقدوة سيد النبيين والمؤمنين ، وإمام رب العالمين .

بل لقد أثنى الله تبارك وتعالي عليه بقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل: من الآية١٢٠]، يا الله !﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل: من الآية١٢٠] .

وستعجب إذا علمت إن إبراهيم قد آتاه الله عز وجل رشده من صغره ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] .

نشأ في بيت يصنع فيه أبوه الحجارة والأوثان ليقدمها لتعبد من دون الله جل وعلا ، نشأ في بيت يصنع الأوثان والآلهة الباطلة المكذوبة المدعاة ، ومع ذلك فقد آتاه الله رشده ، نشأ في بيئة كانت تعبد الكواكب من دون الله تبارك وتعالي ، ومع ذلك فقد آتاه الله رشده ، وقام يقيم الحجة على أبيه ، وعلى قومه ، بالدلالة الدامغة ، والحجة البالغة ، تدبر قوله تعالي ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾٧٥﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾[الأنعام:٧٥– ٧٦]

لا لا لا هو يريد بهذا أن يقرع قومه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وإلا فإبراهيم ممن آتاه الله عز وجل رشده من قبل ، وقد رزقه الله تبارك وتعالي التوحيد وشرح صدره له ، ولكنه في هذه المناظرة العقلية يقيم الحجة على قومه ويقرعهم الدليل بالدليل والبرهان بالبرهان ، وإلا فاين يذهب هؤلاء الجهلاء أمام نور النبوة الباهر؟

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾٧٥﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾٧٦﴿ فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾٧٧﴿فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾٧٨﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] [الأنعام:٧٥– ٧٩] .

ومع ذلك قام يدعوا أباه بحكمة بالغة وأدب جم يقول لأبيه كما قال ربنا ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾٤١﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾٤٢﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾٤٣﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً﴾٤٤﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾٤٥﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾٤٦﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾ [مريم:٤١– ٤٧]

فلما علم أن القوم قد أصروا على الكفر والعناد تبرأ منهم وأعلن البراءة من الشرك والمشركين ، بل وأعلن العداءة على هذه الآلهة المكذوبة الباطلة المدعاة وتوعدها بقوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٥٧]

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ [الأنبياء: من الآية٥٨] ، حطم هذه الأصنام والآلهة وحولها إلي ركام في ركام وإلي رماد في رماد وأحالها تراب في تراب ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾٥٧﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾٥٨﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ﴾[الأنبياء:٥٧– ٥٩] مازالوا مصرين على أنها آلهة ، مع أنهم رأوها قد تبعثرت وقد تدحرجت ، وقد أحيلت إلي ركام في ركام ، وتراب في تراب ، لكنها العقول حينما تغلق ، أو إن شئت فقل لكنها البصائر حينما تطمث ، لكنها الفطر حينما تدنس وتحيد عن طريق الحنيفية ، وتميل عن الحق إلي الباطل والشرك والضلال .

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾٦٣﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾٦٤﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾٦٥﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾٦٦﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾٦٧﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾[الأنبياء:٦٣– ٦٨] بعد هذا الحوار ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥٩]

ويردون أيضا بلغة الازدراء والتحقير دائما لأهل الحق والتوحيد ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ﴾[الأنبياء: من الآية٦٠] تصغير وتحقير وتقليل ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[الأنبياء: من الآية٦٠))قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء:٦١] ووجه له هذا السؤال ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾٦٢﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]

هو يقيم الحجة على قومه ، يقيم الحجة العقلية الدامغة ليخرجهم من ظلمات الشرك والضلال إلي أنوار التوحيد والإيمان بالله تبارك وتعالي .

وهكذا أيها الأحبة حتى أثنى الله تبارك وتعالي على الخليل بهذه الآية التي والله ما قرأتها قط إلا وكاد قلبي أن يرتعد ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل: من الآية١٢٠] نعم لقد كان إبراهيم أمة وحدة ، لقد كان إبراهيم أمة وحدة .

ومن ثم لا تعجب إذ جعله الله إماما للأنبياء وقدوة لسيد الأنبياء محمد صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيّ﴾[آل عمران: من الآية٦٨] وهذا النبي هو نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[آل عمران: من الآية٦٨] وهم الموحدون من أتباع أمة سيد النبيين ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: من الآية٦٨] .

لا أريد أن أطيل النفس مع خليل الله إبراهيم ، وإلا فوالله لاحتجنا إلي هذا اللقاء بكامله ، فما أحلي وأروع أن يكون حديثنا عن قدوة المحققين وإمام الموحدين وقدوة سيد المرسلين ، عن إبراهيم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية) أي أن ملة التوحيد الحق وأن الصراط المستقيم وأن البعد عن الشرك والسير على درب التوحيد ، اعلم أن هذه الحنيفية ملة إبراهيم ، وهي :

(أن تعبد الله سبحانه وتعالي مخلصا له الدين) إذن : الشيخ رحمه الله يلخص لنا بهذه الكلمات الأصل الذي من أجله خلق الله الخلق ، وخلق الله الجنة والنار ، وخلق الله السماوات والأرض ، بل وأنزل الكتب ، بل وأرسل الرسل ، إنه العبادة .

قال : (وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم له) والدليل قوله تعالي ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦]

ومعني يعبدون : أي : يوحدون . وإن كان بعض أهل العلم قال : بأن معني العبادة أشمل من معني يوحدون .

لكنه إن كان القصد بالتوحيد التوحيد الشامل الكامل ، فلا فرق إذن بين العبادة التي خلقنا الله تبارك وتعالي من أجلها وتحقيق التوحيد ، وبين التوحيد بمعناه الشامل المتكامل .

فتفسير العبادة بالتوحيد هو تفسير حبر الأمة وترجمان القرآن ، هو كلام ابن عباس رضي الله عنهما ، قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦] .

قال ابن عباس : أي : إلا ليوحدون أي إلا ليوحدون .

فالتوحيد : هو أعظم ما أمر الله عز وجل به ، وهو إفراد الله تبارك وتعالي وحده بالعبادة ، وأعظم ما نهى الله عز وجل عنه هو الشرك ،وهو : دعوة غيره معه سبحانه ، والدليل قوله جل وعلا ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾[النساء:٣٦] .كل هذا يدور على قضية العبادة .

ما هي العبادة ؟

بل أخطر من هذا السؤال ، السؤال الذي يتردد الآن عبر الفضائيات وعبر المنتديات وعبر المجالس ، لماذا أمرنا بالعبادة ؟

هل خلقنا الله ، القضية كلها تتلخص في أن الله خلقنا وخلق الكون وخلق الجنة وخلق النار وأنزل الكتب وأرسل الرسل من أجل أن يعبده الخلق تتلخص القضية كلها في هذه المسألة ؟ لماذا ؟ لماذا نعبد الله ؟

أنتم تقولون بأن الله عز وجل غني عن الخلق ، لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية ، فلماذا إذن أمرنا بالعبادة ؟

سؤالان في غاية الأهمية :

ما هي العبادة ؟

ولماذا أمرنا الله بالعبادة مع أنه غني عنا لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية؟

والجواب على السؤال الأول ، ما العبادة ؟

العبادة : أصل معناها الذل ، يقال : طريق معبد أي طريق مذلل قد وطأته الأقدام هذا هو تعريف العبادة .

لكنَّ العبادة التي أمرنا بها تتضمن معني الذل ومعني الحب ، قال شيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله : فمن خضع لإنسان مع بغضه له فليس عابدا له ، ومن أحب شيئا دون أن ينقاد له فليس عابدا له ، فالعبادة التي أمرنا بها تتضمن معني الذل ومعني الحب .

أكرر العبادة في اللغة هي الذل يقال طريق معبد أي مذللا قد وطأته الأقدام لكن العبادة التي أمرنا بها تتضمن معني الذل ومعني الحب إذ لا يمكن أبدا أن تكون عبادة إلا بهذين الركنين : بالذل والحب ، فهي كمال الذل لله مع كمال الحب لله .

فبعض الناس يقول نحن نعبد الله بالحب دون أن يمتثل الأمر ودون أن يجتنب النهي ودون أن يقف مع حدود الله تبارك وتعالي .

نقول : أنت كاذب في دعواك ، ليست هذه عبادة على مراد الله سبحانه ولا على مراد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، بل العبادة التي أمرت بها هي كمال الذل لله ، كمال الانقياد ، والخضوع والتسليم والخشوع والرهبة والجلال ، مع كمال الحب، يعني: وأنت في غاية الحب لله والرضا عن الله تمتثل الأمر وتجتنب النهي وتقف عند الحد وأنت تردد مع السابقين الأولين قولتهم الخالدة ﴿ا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: من الآية٢٨٥] .

عرفها شيخ الإسلام رحمه الله بتعريف شامل جامع فقال :

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، الله ! تعريف جليل جميل ، أدرج شيخ الإسلام بهذا التعريف كل عمل صالح ابتغيت به وجه الله وكان على هدي وسنة الله أدخله ضمن العبادة .

العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والآمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإحسان على الفقراء والمساكين والدعوة إلي الله والتوكل والرجاء والإنابة والتفويض والخشية ، والاستعانة ، والاستغاثة ــ كل هذا وغير هذا من العبادة .

فالعبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من القوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالقلب له عمل القلب له عمل ، واللسان له عمل والجوارح لها عمل .

إذن العبادة أيها الأحبة تسع الحياة كلها تسع الحياة كلها بشرطين :

الأول أن تصح النية ، والثاني أن يكون عملك هذا موافقاً لسنته سيد البشرية صلي الله عليه وسلم .

أكرر ، العبادة تسع الحياة كلها بمعني : حياة المؤمن كلها عبادة ، حياة المؤمن كلها عبادة بشرطين :

أن تصح النية ، وأن يكون عملك هذا موافقا لسنة سيد البشرية صلي الله عليه وسلم ، ومن اعظم الأدلة النبوية على هذه الرحمة الندية :

ما رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : جاء أناس إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، ذهب أهل الدثور بالأجور أي ذهب أصحاب الأموال بالأجر كله لماذا ؟ قالوا يصلون كما نصلي أمرتنا بالصلاة فصلوا معنا ويصومون كما نصوم أمرتنا بالصيام فصام أهل المال معنا فأخذوا الأجر كله ذهب أهل الدسور بالأجور فقال يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم أي بما زاد من أموالهم فقال النبي صلي الله عليه وسلم : (أو ليس الله جعل لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة)

والبضع لغة : هو الفرج أو الجماع يعني يصح المعنيان في لفظ البضع .

قال " (وفي بضع أحدكم صدقة) قالوا : يا رسول الله ! أيأتي أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر ؟! قال : (أرأيتم لو وضعها في الحرام أيكون عليه وزر؟) قالوا: بلي . قال : (وكذلك لو وضعه في الحلال فله بها أجر) .

إذن العبادة تسع الحياة كلها فحياة المؤمن كلها عبادة ما دام عملك خالصا لله سبحانه وتعالي ، وما دام عملك موافقا لهدي رسول الله صلي الله عليه وسلم إذن العبادة يا أخوة ليست أمرا على هامش الطريق كلا بل هي الأصل الأول والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأنزل جميع الكتب وأرسل جميع الرسل قال سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾٥٦﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾٥٧﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذريات:٥٦- ٥٨] .

فمقتضى العبادة بهذا التعريف أن يقول الرب جل جلاله : أمرت ونهيت . وأن يقول : العبد سمعت وأطعت .

مقتضى العبادة : أن يسلم العبد عقله وقلبه وجوارحه كاملة لله سبحانه الذي خلقه لعبادته ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ الأنعام:١٦٢) يعني ذبحي ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾١٦٢﴿ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢- ١٦٣]

فمقتضى العبادة : أن يسلم العبد كليته ، أن يسلم بصره ، وسمعه ، ولسانه ، وجنانه، وجوارحه ، وعقله . أن يسلم نفسه كله لله سبحانه وتعالي ، الذي أمره جل وعلا بعبادته وحده لا شريك له .

ومقتضى العبادة : أن يسير العبد ليصل إلي الله تبارك وتعالي خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فكل الطرق إلي الله جل وعلا مسدودة إلا من طريق محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

قال شيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله : وجماع الدين أصلان ، الله الله !يلخص القضية كلها في أصلين ، وجماع الدين أصلان :

الأول : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثاني : أن نعبده بما شرع على لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال وهذان الأصلان : هما حقيقة قولنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله فبالشهادة الأولى يعرف المعبود عز وجل وبالشهادة الثانية يعرف الطريق الموصل إلي المعبود عز وجل .

أكرر وجماع الدين أصلان الأول أن نعبد الله وحده لا شريك له هذا هو الأصل الأول الثاني أن نعبده بما شرع لا بالهوى ولا بالعقل من خلال ضبط الواقع بل بالشرع قال وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله فبالشهادة الأولى وهي شهادة أن لا إله إلا الله فبالشهادة الأولى يعرف المعبود عز وجل وبالشهادة الثانية ألا وهي شهادة وأن محمدا رسول الله يعرف الطريق الموصل إلي المعبود عز وجل .

واضح يا أخوة إذن هذه هي الغاية مقتضى العبادة أن يسير العبد خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يمكن أبدا أن تصل إلي الله إلا خلف رسول الله.

قال بن القيم رحمه الله : اعلم أن العبد إنما يقطع منازل إلي السير إلي الله تعالي بقلبه وهمته لا ببدنه ، فالتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح قال تعالي ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)

الطرق إلي الله عز وجل تقطع بالقلوب وتقطع بالهمم الصادقة بهمم الرجال الصادقة العالية ، ولا يمكن أبدا أن تصل إلي الله جل جلاله بعقلك المجرد .

نعم قد تصل إلي التوحيد الربوبية بالعقل قد تصل إلي توحيد الربوبية بعقلك لكن الغاية ليست توحيد الربوبية ، ولكن الغاية هي توحيد الألوهية أن تفرد الله بالعبادة ، هي أن تفرد الله سبحانه وتعالي بالطاعة والتوحيد هذه هي الغاية التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالي الخلق لا من أجل أن يتعرف الناس على أن الخالق والرازق هو الله وفقط دون أن يحولوا هذه المعرفة بعد ذلك إلي خضوع ومحبة ، إلي ذل وانكسار وحب للعزيز الغفار لا ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾بعد هذا يقول الحق سبحانه وتعالي ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل: من الآية٦٠] يعني عرفتم أن الذي خلق ورزق وأبدع هذا الكون الفسيح وأودعه كل هذه الآيات وكل هذه النعم هو الله فالغاية إذن أن تفردوا هذا الإله العظيم جل جلاله بالطاعة والوحدانية والعبادة ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل: من الآية٦٠] . يعدلون هو شرك التسوية شرك التسوية أي سووا بين آلهتهم المكذوبة الباطلة المدعاة وبين الحق سبحانه وتعالي الخالق الرازق الذي يستحق أن يعبد وحده وأن يوحد وحده جل وعلا .

فالعبادة بهذا المفهوم تسع الحياة كلها وهذا يوقفنا على أن انحرافاً مزريا قد وقع فيه كثير من الناس في شأن وقضية العبادة .

فمن الناس من يحل ما حرم الله ويحرم ما حل الله ، أو يتبع من فعل ذلك وهذا قد صرف العبادة لغير الله .

أكرر : من الناس ما يحل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله ، أو يتبع من فعل ذلك ، يتبع الحبار أو الرهبان الذين احلوا ما حرم الله أو حرموا ما أحل الله وهذه صورة من صور العبادة لغير الله جل وعلا ، روى الإمام الترمذى والإمام البيهقي في سننه بسند حسنه شيخنا الألباني رحمه الله تعالي أن عدي بن حاتم رضي الله عنه لما أسلم وكان نصرانيا لما أسلم دخل على النبي عليه الصلاة والسلام فقرأ النبي قول الله تعالي ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: من الآية٣١] فقال عدي : لم يعبدوهم يا رسول الله لم يعبدوهم أي لم يعبدوا الأحبار والرهبان . فبين النبي لعدي معني العبادة فقال له صلي الله عليه وسلم : (ألم يحرموا عليهم ما أحل الله ويحلوا لهم ما حرم الله فأطاعوهم قال بلي قال فتلك عبادتهم إياهم) هذا تفسير النبي عليه الصلاة والسلام للآية (ألم يحرموا عليهم ما أحل الله ويحلوا لهم ما حرم الله فأطاعوهم) وفي لفظ (فاتبعوهم) قال بلي فعلوا ذلك . قال : (فتلك) هذا القائل سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (فتلك عبادتهم إياهم فتلك عبادتهم إياهم) .

ومن الناس من صرف صورا كثيرة من صور العبادة لغير الله فذبح لغير الله نذر لغير الله حلف بغير الله استعان بغير الله استغاث بغير الله طاف بغير بيت الله والله سبحانه وتعالي يقول ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾[آل عمران: من الآية١٥٤] .

والله تبارك وتعالي يقول لنبيه المصطفي صلي الله عليه وسلم [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾٦٥﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥- ٦٦]

ونبينا صلي الله عليه وسلم يعلم بن عباس رضي الله عنهما ويقول له يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله لا تسال نبيا ولا وليا ولا ملكا مقربا بل إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك آه لو صدقنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذه آه لو استقر في قلوبنا هذا اليقين واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف .

ومن الناس من فهم العبادة فهما مبتورا ناقصا جزئيا فالعبادة عنده لا تتعدى أداء الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والعمرة والحج هذه العبادة ، فلا حرج بعد ذلك أن ينقل الربا أو أن يعاطن الزنا أو أن يشرب الخمر أو أن يترك بناته متبرجات عاريات أو أن يسب والديه أو أن يأكل الحرام أو أن يظلم مرؤسيه أو أن يؤذي جيرانه يقول هذا ليس من العبادة ، العبادة أنا أصلي وأصوم وأعتمر كل عام وأحج كل عام إذن لا حرج بعد ذلك فيما أصنع .

هذا خلل ، هذا فهم مبتور منقوص لحقيقة العبادة وقد بينت أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فالصلاة والصيام والزكاة والحج والحب لله والبغض في الله والحب لله والحب لرسوله والحب لآل بيت رسول الله والحب للصحابة والحب للعلماء والحب لأهل الإيمان و الحب لأهل الطاعة والبغض في الله والتوكل والرجاء والتفويض والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والحلف كل هذا من العبادة كل هذا من العبادة .

فمن الناس الآن من فهم العبادة فهما مبتورا ، هو يصلي ويصوم ويزكي فإن خرج من بيت الله تبارك وتعالي ، ترى إنسانا آخر تماما ، يترك كل دين الله في بيت الله ، وكأنه قد انفصل عن الدين ، قد انفصل عن شرع رب العالمين ، وعن منهج سيد النبيين ، وقد حذر الله من هذا الصنيع اللئيم هو صنيع اليهود فقال سبحانه ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة: من الآية٨٥] .

والسؤال الخطير ، عرفنا العبادة ، أتريد أن تقول بأن القضية كلها تتلخص في هذه المسألة ؟ نعم تتلخص في العبادة نعم ، الله ما خلق الكون إلا من أجل هذه العبادة نعم ، لماذا ؟

لماذا أمر الله الخلق جميعا بعبادته ؟

أقول ابتداء بين يدي الجواب على هذه المسألة : لو تخلي الخلق جميعا في الكون كله ، خلي بالكم من هذا التأصيل ، لو تخلي الخلق جميعا في الكون كله أو في الأرض عن عبادة الله سبحانه ، فالله جل وعلا غني عن كل خلقه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، بل لا يزيد ملكه توحيد الموحدين ولا حمد الحامدين ولا شكر الشاكرين ، ولا ينقص ملكه كفر الكافرين ولا عصيان العاصين ولا إذناب المذنبين ، أبدا قال الله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[فاطر: من الآية١٥] نداء عام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾[فاطر:١٥] .

والفقر نوعان ، كما قال بن القيم في كتابه الماتع طريق الهجرتين :

فقر اضطراري وفقر اختياري .

الفقر الاضطراري : هو فقر كل الخلق في الأرض هو فقر كل الخلق في الأرض فقر أكثر الكافرين بالله هذا مضطر إلي الله جل وعلا هو فقير اضطرارا إلي الله فقير إلي الشمس إلي النور إلي الهواء إلي الماء إلي الأرض إلي آيات الله وهي خلق الله تبارك وتعالي فقير اضطرارا إلي الله جل جلاله ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾[آل عمران: من الآية٨٣] ولما خلق الله السماوات والأرض ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت : من الآية١١]هذا فقر اضطراري لا يشذ ولا يحيد عنه مخلوق من مخلوقات الله في الكون وما هو لا يريد من الخلق هذا الفقر إنما يريد .

الفقر الاختياري هو فقر العبودية والذل والانكسار لله تبارك وتعالي وكلما ازددت فقرا من هذا النوع الثاني ازددت عند الله غنى كلما ازددت فقرا اختياريا لله ازددت عند الله غنى فكلما ازدادت عبوديتك لله ازددت عزا عند الله كلما ازداد فقرك لله زادك الله غنى وزادك الله رفعه وزادك الله علوا ومكانة وشأنا عنده في الدنيا والآخرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾١٥﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾١٦﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[فاطر:١٥- ١٧]

تدبروا هذه الآية الجليلة التي تبين لنا يا اخوة أن الكون كله بعيدا عن الخلق وبعيدا عن من كفر من الجن يسبح الله ولا يغفل عن تسبيحه ولا يغفل عن طاعته ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأنبياء: من الآية١٩] الله !﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾١٩﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩- ٢٠]

فلو غفل الخلق جميعا عن تسبيحه وعبوديته وعبادته فالكون كله يسبح الله وملائكة الله لا تغفل عن تسبيحه وذكره وطاعته وعبادته قال جل وعلا في وصفهم ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: من الآية٦] بل في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلي الله عليه وسلم حين ذكر البيت المعمور الذي هو بمحاذاة الكعبة في السماء السابعة قال وإذ به يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلي يوم القيامة تصوروا هذه الأعداد الهائلة التي تدخل البيت المعمور من لدن خلقه الله إلي أن يرث الأرض ومن عليها لنعلم أن الله غنى عن كل خلقه لو كفروا وأعرضوا عن الطاعة والعبادة فالله غنى عن الخلق جميل ، جميل هو القائل في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر وفيه (يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد

ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا) إلي آخر الحديث .

جميل نتفق معك في هذا ولا ننكر هذا بعد كل هذا لازلنا نكرر السؤال إذن لماذا امرنا الله بعبادته والجواب :

أولا: لأن العبادة حق الله على عباده لأن العبادة حق الله على عباده روى البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلي الله عليه وسلم يوما على حمار كنت رديف النبي صلي الله عليه وسلم يعني كنت أركب خلف النبي صلي الله عليه وسلم على حمار واحد كنت رديف النبي صلي الله عليه وسلم يوما على حمار فقال النبي لمعاذ (يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قال معاذ الله ورسوله اعلم فقال المعلم والمربي صلي الله عليه وسلم حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا قال معاذ قلت أفلا أبشر الناس يا رسول الله قال لا ، لا تبشرهم فيتكلو)

فأخبر بها معاذ بن جبل عند موته تأثما أي خشية من وقوعه في إثم لكتمان العلم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم .

إذن نعبد الله لأن العبادة حق الله على عباده ، يا أخي ! ليس بمستغرب ولا بمستنكر أن يكون لله حق على عباده ، بل المستغرب والمستنكر أن ينكر العبيد والعباد والخلق حق خالقهم تبارك وتعالي ، يا أخي ! أنت لا تنسى إحسان من أحسن إليك من البشر ، أنت لا تنسى إحسان من أحسن إليك من البشر هذا إن كنت أصيلا أما اللئيم ينسى اللئيم ينسى أما الأصيل لا ينسى أبدا إحسان من أحسن إليه من البشر ولو بعد حين ، فكيف تنسي إحسان رب البشر وأنت غارق في إحسانه وفضله من رأسك إلي قدمك ؟! كيف تنسي وكيف تجحد حق خالقك عليك ؟! وفضل الله عليك ونعم الله عليك التي لا تعد ولا تحصي ورب الكعبة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[ابراهيم: من الآية٣٤] .

يا أخي انظر إلي وجهك فقط في المرآه لتعرف حق الله تبارك وتعالي عليك من الذي خلق عينك ووضعها في هذه العلبة العظمية القوية وأحاطها بالرموش حتى لا تنعكس أو تعكس أشعة الشمس حتى لا تؤذي عينك وأحاطها بهذه الأهداب حتى لا يتساقط العرق بداخلها وأمدها بهذا الماء المالح ليقتل الميكروبات التي تسرب إليها من هذا الهواء والرياح .

ومن الذي خلق أذنك بهذا الشكل وجعل لها هذا الصوان الخارجي البديع وأودعها هذا الماء المر حتى لا تتسرب الحشرات إليها وأنت نائم .

ومن الذي خلق الأنف بهذا الشكل الجميل وأودعه هذا الماء الذي يسمى بالمخاط أو هذا الماء الحامض ليصبح أو ليكون بمثابة الفلتر للتنقية للهواء حين تنفسك.

ومن الذي خلق الفم بهذا الشكل الجميل وأمده بهذا الماء العذب الحلو لتتذوق به ألوان الطعام والشراب وجعل القواطع لتقطع والأنياب لتمزق والضروس لتطحن واللسان ليتحرك واللعاب ليسهل .

وجعل هذه البوابة المنيعة التي تسمي بلسان المزمار التي لو أخطأت في عملها مرة طوال وظيفتها ، طوال حياتك في الدنيا لهلكت في التو واللحظة .

البلعوم يسد القصبة الهوائية عند الأكل ويسد البلعوم أو يسد لسان المزمار يسد البلعوم عند التنفس ويسد القصبة الهوائية عند البلع لو أخطأ مرة لهلكت وقتلت في التو واللحظة أو مت في التو واللحظة .

ثم بعد ذلك البلعوم يدفع الطعام والمعدة تقوم بدورها والبنكرياس يقوم بدوره والأمعاء الدقيقة تقوم بدورها والأمعاء الغليظة بوظيفتها وفتحة الشرج .

كل هذا وأنت نائم وأنت غافل ما أصدرت أمرا واحدا لعضوا من هذه الأعضاء أن يتحرك أو حتى أن يستريح قليلا من الذي خلق لك هذا الكون من عرشه إلي فرشه من سمائه إلي أرضه وأمده بهذه الآيات في هذه القبة السماوية الزرقاء وأمده بهذه الآيات في الأرض .

يا أخي لو نظرت إلي أي نبات إلي أي آيه من آيات الله في الأرض لعرفت حق الله تبارك وتعالي عليك لعرفت أنه وحده الذي يستحق أن يعبد وأن يوحد وأن يطاع .

يا أخي انظر إلي كوز الذرة كلنا أكل الذرة لكن ما فكرنا أبدا هل نظرت يوما إلي كوز الذرة لتزداد بهذه النظرة قربا إلي الله وذلا وحبا أي وعبودية لله جل وعلا ؟ قلَّ من فكر هذا .

انظر إلي كوز الذرة واخلع عنه هذه الأثواب اخلع ثوب بعد ثوب بعد ثوب بعد ثوب لتصل إلي حبات الذرة إلي هذه الحبات اللؤلؤية الجميلة البيضاء وانظر إلي رصاتها بهذا الاتقان والجمال والإبداع وسل نفسك من وضعها بهذا الشكل البديع وبهذا الإتقان الجميل ثم هذه الشعيرات التي تسمي بالشرابة هل فكرت لماذا وضعت بهذا الشكل المبدع الجميل ؟ لولا هذه الشورابة ما أكلت الذرة فهي تقوم بعملية نقل حبوب اللقاح ثم هي تقوم بعملية التنفس في آن واحد ، تخرج ثاني أكسيد الكربون الناتج عن تنفس حبات الذرة بداخل هذه الأثواب والأغلفة لتخرجها لك أنت، تخرج الأكسجين الناتج عن التنفس وتدخل ثاني أكسيد الكربون لحبات الذرة لتتنفس ، ثم هذه الأثواب لو نظرت إليها لوجدت عجبا ستري أن الثوب الخارجي خشن الملمس وكلما وصلت غلي حبات الذرة تجد الثوب يرق في ملمسه ويصبح ناعم الملمس لتتناسب هذه الأثواب الخارجية مع ظروف الجو من وسائل التعرية من الريح والشمس والمطر ثم ليتناسب هذا الثوب الرقيق الناعم الملمس مع حبات الذرة الرقيقة الجميلة انظر إلى أي شيء .

لو وقفت يوما على منطقة اللسان في رأس البر في دمياط مثلا لتري كيف لا يختلط الماء العذب مع الملح الأجاج والله سبحانه وتبارك وتعالي يقول ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾١٩﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾[الرحمن:١٩ : ٢٠] لا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب آيات عجيبة فنقول من الذي خلق لك كل هذا هذا الإله العظيم ثم هذا الإله العظيم الذي أرسل إليك محمدا صلي الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن ليكون القرآن حملا للنجاة ممدودا بيننا وبينه تبارك وتعالى إلى أن نلقاه .

ثم هذا الإله العظيم الذي شرح صدرك للتوحيد والإيمان وهذه أشرف نعمة دعك من كل ما ذكرت ولكن فكر في نعمة الإيمان فكر في نعمة الإسلام ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧] .

الله تبارك وتعالى هو الذي من عليك بالإسلام والإيمان وحبب إليك الإيمان وزينه في قلبك وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان دون اختيار منك أصلا ودون رغبة منك أصلا يعني أنت نشأت قي بيت يوحد الله فوحدت الله (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ) والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة فأنت نشأت في بيت يوحد الله فوحدت الله تبارك وتعالى وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد: من الآية٢١] .

هذا نشأ في بيت يهودي فصار يهوديا ، وهذا ولد في بيت نصارني فصار نصرانيا ، وهذا ولد في بيت مجوسي فصار مجوسيا يعبد النار ونحن بفضل الله وبرحمته وبتوفيقه خلقنا الله في بيوت موحدة توحد الله جل وعلا فوحدنا الله سبحانه .

أي نعمة هذه ؟! وأي شرف هذا ؟!

ومما زادني فخرا وتيها   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي   وأن صيرت أحمد لي نبيا .

هذا الإله العظيم ، ألا يستحق أن يعبد ؟!

فالعبادة حق الله على عباده .

لا أريد أن أطيل النفس في هذا أكثر من هذا .

العبادة حق الله على عبادة .

ثانيا: من أرق وأجل صور الرحمة من الحق بالخلق أن أمرهم بعبادته .

نحن نقول بأن الله رحيم ، من أسماءه الرحيم والرحمن ، ومن صفاته الرحمة ونؤمن بأن رحمته سبقت غضبه ، وغلبت غضبه .

أنا أقول من أعظم وأرق صور الرحمة : أن أمر الله الخلق بعبادته .

تدبروا مني هذا .

هذا كلام بديع جدا ونفيس .

من أعظم وأرق صور الرحمة : أن أمر الله الخلق والعباد بعبادته .

لماذا ؟

لأن العبادة لهم هم ، لنا نحن ، لأن العبادة غذاء لأرواحنا ، لأن العبادة حياة لقلوبنا ، لأن العبادة سبب لتفريج كروبنا ، لأن العبادة تقربنا من ربنا تبارك وتعالى .

ثم بعد ذلك نعبد الله لذاته لأنه يستحق أن يعبد وطلبا لجنته وخوفا من ناره .

أفصل في هذه الأصول سريعا :

نعبد الله لأن العبادة غذاء للأرواح : أنت بدن وروح ، الإنسان مخلوق بدن وروح ، جسد وروح .

أنا أعطي البدن ما يشتهيه : من طعام وشراب وزوجة في الحلال الطيب إلى غير ذلك .

لو لم أعطي الروح هي الأخرى غذاءها ، تصرخ الروح في أعماق الجسد تريد هي الأخرى غذاء وشراباً ودواء .

وغذاء الروح لا يعلم حقيقته إلا من خلقها ، لأن العلم يتوقف عند الروح ؛ إذ أن الروح لا تقاس بالترمومتر ، ولا توزن بالجرام ولا توضع في بوتقة التجارب في معامل الكيمياء والفيزياء .

ومن هنا يقول ربنا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥] .

فالعبادة هي غذاء هذه الروح ، لا تعرف هذا إلا من طريق الرسل ، إلا من طريق الأنبياء ؛ لأنهم يأتون بوحي الذي خلق ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] .

إذن العبادة غذاء لهذا الشق الآخر في الجسد وهو الروح ؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش حياة سوية مستقيمة حياة البدن فحسب .

ولا يمكن أن يعيش بروحه فحسب ، لا يمكن أبدا أن يقتل البدن لتحيا الروح ، ولا يمكن أبدا أن تقتل الروح ليحيا البدن ، بل لابد أن يحيا الروح والبدن معا .

لذا لا يمكن لطائر جبار أن يحلق في أجواء السماء بجناح واحد ولو نجح في فطرة ولو طالت فإنه حتما سيسقط لينكسر جناحه الآخر .

سؤال :

ذكر فضيلة الشيخ – حفظه الله – أن كل الطرق إلى الله مسدودة إلا طريق محمد – صلى الله عليه وسلم – على ضوء هذا الكلام النفيس ، ما هو توجيه فضيلة الشيخ لعامة المسلمين فيما يتعلق بالمولد النبوي الشريف ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

أرى من الجفاء أن نختزل حبنا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أن نحتفل به في يوم من أين العام ، يعني قد يستغرب البعض الآن الجواز بهذا المنظور .

أقول : من الجفاء ، ومن عدم قدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حق قدره أن نختزل احتفاءنا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في يوم في العام .

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قدره عند المؤمن أن يحتفي به مع كل نفس من أنفاس حياته لأنه كان سبب نجاته من النار .

ولو كان الاحتفاء بهذا الشكل المعلوم يقرب من الله ويحبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفعله أولى الناس وأقرب الناس وأحب الناس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم الصحابة رضي الله عنهم .

فمكنة النبي عندنا أن نحتفل به – والله– مع كل نفس ، بل أنا ألخص المسألة وأقول : وأنا أقسم على ذلك بربي – جل وعلا – والله لا يرف قدر النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا الرب العلي .

فقد النبي عندنا نحن المؤمنين أن نحتفي به احتفاء بالقول والتصديق والعمل والذب عن سنته وامتثال أمره واجتناب نهيه والوقوف عند حدوده وتبليغ دعوته لأهل الأرض ، وحب النبي – صلى الله عليه وسلم – حبا يفوق حبنا لأولادنا وأموالنا ، بل وأنفسنا التي بين جوانحنا وجوانبنا .

من يدعي حب النبي ولم

يفد من هديه فسفاهة وهراء

فالحب أول شرطه وفروضه

إن كان صدقا طاعة ووفاء

فيا أيها المسلمون ! يا أيها المؤمنون ! ربما يحتف برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ليلة من هذه الليالي ، ويحدث فيها ورب الكعبة ما يخالف هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليه الصلاة والسلام .

فنقول : احتفاءنا الحقيقي أن نمتثل أمره أن نجتنب نهيه ، أن نقف عند حده ، أن نذب عن سنته ، أن نحكم شريعته ، أن نبلغ دعوته ، أن نرفع رايته أن نحبه حبا يفوق حبنا لأولادنا وأموالنا وزوجاتنا وأنفسنا بين جوانحنا كما قال عمر بن الخطاب في البخاري (لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي يا رسول الله ، قال : لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . قال ك والذي نفسي بيده لأنت أحب إلي من نفسي يا رسول الله . قال : الآن يا عمر) الآن كمل إيمانك يا عمر .

قد يستغرب بعض المسلمين الآن ويقول : عمر لسه من دقيقة واحدة بيقول : أنا أحبك لكن ما احبكش أكثر من نفسي . وفجأءة يقول : أنا أحبك أكثر من نفسي . ما الذي غير ؟!

قال الخطاب رحمه الله ، وهذا من أبدع وأنفس ما قرأت ، قال الخطابي : حب الإنسان لنفسه طبع ، أنا أحب نفسي جبلة ، حب الإنسان لنفسه اختيار بتوسط الأسباب ، فلما نظر عمر في الأسباب ، فوجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سبب نجاته من النار علم أنه يجب أن يكون أحب إليه من نفسه ؛ لأنه لولا الإيمان بالله وبرسوله ما نجت عمر من النار ، حينئذ قال وأجاب بحب الاختيار لا بحب الطبع ، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه نظر في حب الاختيار بتوسط الأسباب ، فقال : لأنت أحب إليَّ من نفسي يا رسول الله .

فأسأل الله أن يرد الأمة ردا جميلا ، وإلى قدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حق قدره إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سؤال :

حضرتك ذكرت أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته ومن ذلك أسباب منها أن العبادة حق لله – سبحانه وتعالى – وقلت : كيف لا نستحي من الله – سبحانه وتعالى – وقد أعطانا من النعم والخيرات في كل ما نتنعم به من الدنيا ونطغى والعياذ بالله ، بمعنى أن الله – سبحانه وتعالى – أن الله خيره إلينا نازل وشرنا إلينا صاعد ، فكيف

نتعامل مع العباد الذين يجحدون وينكرون والعياذ بالله فضل أهل الفضل عليهم من الناس بالإضافة إلى أنهم يدعون – والعياذ بالله – لو تفضل عليهم أحد بعمل يقصدون بذلك الأجر من الله يتأول والعياذ بالله بأن هذه الأمور التي قدمت يأخذها بأسلوب المعايرة ، فكيف يكون التعامل مع هذا الشخص ، وتفضلت حضرتك بإن هذا لؤم ، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله – عز وجل – وإذا لم يعطي لأهل الفضل حقهم فهذا جحود ، فكيف التعامل مه هؤلاء خاصة إن كانوا من المقربين إلينا ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

على أي حال أنصح هذه الأخت الفاضلة وغيرها من أخواتي وإخواني :

بأن المؤمن إن قدم خيرا فهو لا يبتغي بهذا الخير إلا وجه الله تبارك وتعالى ن وإن قدم معروفا أو أسدى إحسانا فهو لا يبتغي بذلك غلا القرب من الله – جل وعلا – ومن ثم ، لو تنكر من أسدي إليه الخير ، وأسدي إليه المعروف ، لهذا الخير ولصاحب هذا الجميل والمعروف ، فهذا يدل على لؤمه ويدل على جحوده ، ويدل على عدم خيريته ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ لأن من لم يشكر الناس كما قال يدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يشكر الله – عز وجل –.

لكن أقول : ما دام المسلم ، أو ما دامت المسلمة تفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى تبارك وتعالى فلا يضرها بعد ذلك إن اعترف هذا المتفَضل عليه بالإحسان أو بالفضل أو لم يعترف .

صحيح أنا لا أنكر أن النفس البشرية ، بشرية ، يعني ربما يتألم الإنسان لذلك ، وهذا أمر جبلي ، هذا أمر فطري ، بل لقد تألم أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– حينما قال مسطح بن أثاثة ما قال في حق السيدة عائشة – رضي الله عنها– وهو الذي ينفق عليه ويغدق عليه العطاء ، حتى قال الصديق وهو من تبوأ ذروة سنام الصديقية في هذه الأمة قال : لأمنعن العطاء والصدقة عن مسطح ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] ، فلما قرأ النبي – صلى الله عليه وسلم – الآية قال : لا والله بل أحب أن يغفر الله لي ، والله لا أمنع عنه الصدقة أبدا .

فأنا أذكر هذه الأخت بهذه الآية ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما دامت النية لله ، وما دام العمل خالصا لله فلا تترددي أبدا في فعل الخير ولا تترددي في إسداء المعروف ، ولا تترددي في عمل الصالحات وجددي النية مع كل قول ومع كل عمل ما دام عملك لله واسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يضمد جراحنا ، وأن يتقبل منا ومن إخواننا وأخواتنا جميعا صالح الأعمال .

سؤال :

كيف نجمع بين حسن الظن بالله ، والأمن من مكر الله –سبحانه وتعالى – والله يحفظكم ويرعاكم .

أجاب فضيلة الشيخ :

هذا سؤال بديع جدا ، لأن كثيرا من الناس لا يتقن أن يفرق بين حسن الظن بالله وبين عدم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى ، فإحسان الظن بالله أيها الأحبة لا يكون أبدا أبدا إلا بإحسان العمل .

يقول الحسن البصري : وإن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : عن ربه – جل وعلا – في الحديث القدسي في الصحيحين ، قال الله تعالى : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) فلابد من العمل (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ) فلابد أن تتقرب ، لازم تعبد الله ، لازم تقبل على الله (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً).

فإحسان الظن يكون بحسن العمل ، لكنني أعمل وأنا أحسن الظن بالله لأنني على يقين أن عملي لا يسمن ولا يغني من جوع ، والله العظيم لو عملت طوال حياتي ، والله لا يساوي هذا مقدار صوت في الجنة .

ولا تعارض بين قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢] وبين قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الصحيحين (لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ) ، لا تعارض ؛ فالباء يا أخوة في الآية هي باء السببية ، أما الباء في حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – هي باء العوض ، يعني لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، أي : لن يكافئ عمله مكانته أو منزلته في الجنة ، فلا تعارض بين الآية والحديث .

فحسن الظن بالله تبارك وتعالى يكون مع العمل لكنني أعمل ، وفي ذات الوقت أنا لا أري عملي .

هذه المصيبة ، هذه الكارثة ، يعني قد ترى الأخ مثلا إذا صلى أو إذا قام ليلة من الليالي ، أو إذا من الله عليه بكتابين ، وأنا اسميهم كتابين شرشر نط أكل البط ، قد يتصور أنه صار عالما وأنه صار مفتيا وينتفخ على الناس ويستعلي على الناس ويتكلم على الناس بعجب وكبر وخيلاء ، أمر خطير جدا فها يا إخواننا هذه مصيبة ، لكن إحسان الظن بالله يكون مع إحسان العمل ، وفي نفس الوقت لا أرى عملي ن وأرى عيوبي .

لذلك ابن القيم – رحمه الله – يقول : والعبد الصادق السائر إلى الله مطالع لمنتيه : منة عيب النفس ثم مطالعة نعم الله تعالى عليك ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَ﴾[إبراهيم: من الآية٣٤] ، فأنا كلما أنظر إلى نعمة ، ربنا من علي بالعلم ، أنا استاهل العلم ده ، ربنا من علي بحب الناس ، أنا استأهل حب الناس ؟!

ربنا من علي بالزوجة الصالحة ، أنا أسأهل الزوجة الصالحة ؟! والله ما استأهل .

لماذا ؟ لأني أعلم عيوب نفسي ، فلما أنظر إلى عيوب النفس وأرى هذه النعم تتوالى علي تترى أزداد ذلة وانكسارا لله تبارك وتعالى ، وأظل سائرا على هذا الدرب حتى ألقى الله بإحسان الظن ، هو ده المؤمن الذي لا أمن مكر الله ن يعمل ومع ذلك لا يأمن مكر الله تبارك وتعالى لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وإلا القوم الكافرون فهو يعمل وخايف ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] ، قالت عائشة : يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر . قال : لا يا بنت الصديق . ولكنه رجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخشى ألا يتقبل الله منه ، هؤلاء هم الذين أحسنوا الظن بالله ولم يأمنوا في الوقت ذاته مكر الله تبارك وتعالى .

يدخل حماد بن سلمة على سفيان الثوري وهو على فراش الموت ، فيرى حماد سفيان يبكي بكاء شديدا ن فقال :يا أبا عبد الله ، أبشر فإنك مقبل على ما كنت تخافه ، وأنت اليوم ترجوه . فيبكي سفيان الثوري ، ويقول : أسألك بالله يا حماد ، أتظن أن مثلي ينجو من النار ؟

هؤلاء هم العباد الذين أحسنوا الظن بالله مع صدق العمل ومع عدم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى .

إحسان الظن أن تعمل وأنت لا ترى عملك ، وفي ذات الوقت أنت تخشى من مكر الله تبارك وتعالى ولا تدري بأي حال سيختم لك ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (إنما الأعمال بالخواتيم) نسأل الله أن يرزقنا جميعا حسن الخاتمة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سؤال : حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من العبادة ، ما هي النصيحة التي تقدم حتى لا يخرج هذا الحب على الشرك .

أجاب فضيلة الشيخ :

يجب على المحبين الصادقين أن يفرقوا بين الحب المبني على الاتباع وبين الغلو المبني على الابتداع ، فمن تمام الحب لسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ننسب ما لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – من تعظيم وتوقير وإجلال واتباع وامتثال وحب ، إلى آخر ما أصلت الآن ، وسأفصل ذلك في الإيمان برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحلقات المقبلة إن شاء الله جل وعلا ، فمن تمام الحب ألا نصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصفة هي لله جل وعلا ، ومن كمال العبودية لله أن ننسب ما لله لله ، وما لرسول الله لرسول الله .

جاء أناس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا . فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – أيها الناس قولوا بقولكم لا يستهوينكم الشيطان ، إنما أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل ، وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) فنحن نحب رسول اله – صلى الله عليه وسلم – حبا مبنيا على الاتباع ، يعني : لا نغالي ، كهذا الذي يقول مثلا ، وهو يظن أنه محب ، يقول :

ليس لمحمد – صلى الله عليه وسلم – من محمد شيء ، فشأن محمد في كل الأحوال كشأن الله . هذا ليس حبا .

أو كهذا الذي يقول : نزل جبريل يوما على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لجبريل : يا جبريل ! إذا صعدت إلى السماء فاكشف الستر وانظر من يعطيك الوحي ، قال : سمعا وطاعة يا رسول الله فصعد جبريل إلى السماء فكشف الستر فوجد أن الذي يعطيه الوحي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزل إلى النبي وقال : منك وإليك يا رسول الله ؟!ما هذا؟!

الحب الصادق أن تعطي وتمنح ما لله لله جل جلاله ، وما لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلا مغالة ولا شطط ولا إفراط .

فالإطراء يا أخوة لغة واصطلاحا هو المدح بالباطل ، والرسول يأمرنا (لا تطروني كما أطرت النصارى) ولكننا نحبه ونعظمه ونوجله ونوقره ونمتثل أمره ونجتنب نهيه ونقف عند حدوده ونحبه ورب الكعبة حبا يفوق

حينا لأولادنا وأموالنا ، بل وأنفسنا بين جوانبنا ، ومستعدون الآن أن نضحي بأرواحنا في سبيل رؤيته – صلى الله عليه وسلم – وهذه علامة من علامات حب المؤمنين الصادقين .

اسأل الله أن يرزقنا حبه الذي يرضي ربنا عنا ، والذي يرضي نبينا – صلى الله عليه وسلم – إنه ولي ذلك ومولاه .

سؤال :

هل تدخل رغبة طالب العلم الشرعي في الحصول على الشهادة العلمية من الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا .

أجاب فضيلة الشيخ :

الأمر يتوقف على النية ، يعني ك أنا لو أردت بطلبي العلم في هذه الأكادمية أن أحصل على شهادة موثقة من أجل أن أقول لقد حصلت على شهادة معادلة من جامعة محمد بن سعود أو من جامعة الأزهر أو من هنا أو من هنا وأنا أبتغي بهذه النية وهذا القول السمعة والشهرة عند الناس فهذا عمل لا يرضي ربنا .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما في الحديث الصحيح الذي رواه ابن حبان وابن ماجة وغيرهما بسند صححه شيخنا الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (من تعلم العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار) ليس له قيمة حتى لو حصلت الدكتوراه في الطين والتراب ، ما دمت قد ابتغيت بعملك السمعة والمحمدة والشهرة عند الناس كل عملك ما له قيمة عند الله .

الله جل وعلا يقول : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَ﴾[الكهف: من الآية١١٠]

الله جل وعلا يقول في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن رب العزة (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) وفي لفظ ابن ماجة (وأنا منه بريء هو والذي أشرك) فالأمر متوقف على النية فإن كانت النية من أجل المحمدة ومن أجل السمعة والشهرة هذا عمل حابط لا وزن له ولا قيمة ولا كرامة عند الله تبارك وتعالي وإن رآه الناس وإن رآه الناس في دنياهم عملا عظيم أما إن كان الأخ يطلب هذا العلم والله تبارك وتعالي يعلم نيته والله يعلم السر وأخفي أنت لا تستطيع أنت تخادع ربك ولو خدعت كل الخلق الله يعلم السر وأخفى والله يعلم الصادق من الكاذب ويعلم صاحب الهمة من البتاش والدجال الله جل وعلا يعلم الخلق ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم المتواضع من المنتفش المنتفخ المتكبر حتى وإن أظهر تواضعه بكلمات معسولة الله يعلم كل هذا فإن طلبت العلم وأنت تريد أن تحصل على هذه الشهادة لتوظفها توظيفا شرعيا لدعوة الناس إلي الحق تبارك وتعالي فبها ونعمة ما أشرفها من نية وما أكرمها من نية تتعلم العلم لتنتفع أنت ابتداء خلي بالك لتنتفع أنت ابتداء لتعبد الله على بصيرة لتعبد الله على علم فاعلم أنه لا إله إلا الله فأنت مـــأمور بأن تقدم العلم على القول وعلى العمل جميل ثم لتترجم هذا العلم لتحول هذا العلم في حياتك أنت إلي واقع بحيث يقربك هذا العلم من الله بحيث يورثك هذا العلم الخشية بحيث يورثك هذا العلم الأدب هذه نية جميلة ثم بعد ذلك في خطوة ثالثة أن تتحرك بهذا الخير لتعلم الناس دين الله ما أشرفها وما أكرمها من نعمة

وهذه هي نية الصادقين الصالحين من طلاب العلم المخلصين في كل زمان ومكان أن تتعلم لتتعرف على الله ورسوله ولتتعرف على الإسلام وعلى الحق وأن تعمل بعلمك ليورثك العلم خشية من الله وأن تبلغ هذا العلم للآخرين من باب قول الله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: من الآية١٠٨] .

ومن باب قول رسول الله في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (من دعا إلي هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلي ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) أسأل الله أن لا يجعل حظنا من ديننا قولنا وأن يحسن نياتنا وأعمالنا إنه ولي ذلك ومولاه .

سؤال

من الناس من يقصر في الطاعات والعبادات بحجة العمل وكثرة الأشغال بدعوة أن العمل عبادة فما مدى صحة هذا القول وشكرا ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

إن كان هذا القول أن العمل عبادة بالضوابط التي ذكرتها أن يكون هذا العمل ابتغي به صاحبه وجه الله تبارك وتعالي وكان هذا العمل موافقا لسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو عبادة متقبلة إن شاء الله لكن ليس كما يقول السائل وكثير من الناس العمل عبادة يعني هو يسمع الآذان يؤذن لكنه في العمل في الوظيفة أو في المحل التجاري أو في الدكان يقولك العمل عبادة هذا ضلال أي بركة وأي عبادة هذه التي تشغلك عن حق لله تبارك وتعالي هو الحق الأول بعد النطق بالشهادتين هو الركن الأول من أركان دينك بعد النطق بالشهادتين الركن العملي الأول الذي يثبت إسلامك أن تصلي لله بعد أن ردد لسانك لا إله إلا الله محمد رسول الله فأي عبادة هذه التي تدعي وتزعم وأنت مشغول عن الصلاة وأنت مشغول عن طاعة الله تبارك وتعالي فالعمل الذي يشغلك عن الصلاة ليس عبادة أي عبادة هذه هل هذا موافق لسنة رسول الله أو لم أذكر الشرط الثاني أن يكون العمل موافقا لهدى سيد البشرية هل هدي سيد البشرية أن تسمع المؤذن يؤذن ثم لا تجيب هل من هدي سيد البشرية أن تسمع المؤذن يؤذن وأنت في وظيفتك أو في جامعتك أو في عملك بل الذي يدمي القلب الذي الذي يدمي القلب أنني أرى مباني ضخمة وجامعات ضخمة جدا يخطط لها وتبني على أحدث التراث ثم لا يفكر المفكر والمخطط أن يضع ضمن هذا المبني مسجد للصلاة والذي يضع الجداول جداول المحاضرات لا يفكر أبدا أن وقت للصلاة هو وقت الظهر سيأتي في جدول المحاضرات فليفسح له وقتا ليصلي المسلمون من عميد الكلية وأساتذة وطلاب وطالبات يصلي الجميع لله تبارك وتعالي .

فحينما نفهم ما أصل وأقول بأنه لا يصبح العمل عبادة إلا إذا ابتغيت به وجه الله وكان موافقا لهدى رسول الله نفهم يعني المعني المراد نفهم المراد فكل عمل يشغلك عن طاعة لله كل عمل يشغلك عن حق لله أو ركن من أركان هذا الدين فليس البتة لعاقل على وجه الأرض أن يصم أو أن يصف هذا العمل بأنه عبادة وأنا أذكر أخواني وأذكر نفس ابتداء بأن طاحونة العمل وساقية العمل إن لم تبتدي إليها ربما تطحنك طحنا ولن تفيق منها أبدا إلا وأنت بين عسكر الموتى.

فلا تنشغل أخي بالدنيا هذا الانشغال لأنني أرى كثير حتى من أحبابنا إخواننا أراه فاضلاًويحافظ على الصلوات في جماعة يحافظ على الصلوات في جماعة لكنه لا يفكر مع هذا أن يمنح نفسه وقتا ليستريح من هذه الدوامة وطاحونة وساقية العمل ليتعرف في هذه الساعة على الله على رسول الله ليتعلم من عالم رباني صادق

حقيقة هذا الدين ليذكر نفسه بالآخرة لكنه تراه في عمل وفي عمل وفي عمل صحيح هو يصلي ويحافظ على الصلوات لكن أين القرآن يا أخي أين وردك اليومي من القرآن أين أذكار الصباح أين أذكار المساء أين أذكارك المطلقة أين جلستك مع أولادك لتعلمهم شيئا عن كتاب الله أو شيئا من كتاب الله وشيئا من سنة رسول الله ثم ألا تفرغ من وقتك هذا كله وقتا لتتعلم فيه عن الله وعن رسول الله لتجلس بين يدي عالم رباني أو داعية صادق لتسمع قال الله وقال رسوله .

إن لله عباد فضلاء طلقوا الدنيا وخافوا الفتن .

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا .

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا .

وأذكر بحديث رسول الله في سنن الترمذى وسنن بن ماجة والحديث الصحيح من حديث بن مسعود ومن حديث أنس واللفظ الذي أذكره الآن للترمذى لأن لفظ بن ماجة سنده حسن قال صلي الله عليه وسلم (من كانت الآخرة همة جعل الله غناه في قلبه وجمع الله عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همة جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له).

سؤال

سمعت حديث عن النبي صلي الله عليه وسلم يقول إن الإيمان ليبلي في قلب أحدكم كما يبلي الثوب فما مدى صحة هذا الحديث وإن كان صحيحا فمن عوقب بذلك كيف يجدد إيمانه حتى يصل إلي الخشوع وروح الإيمان مرة أخرى؟

أجاب فضيلة الشيخ :

أما عن صحة الحديث فالحديث رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام الحاكم في المستدرك بسند حسنه شيخنا الألباني رحمه الله تعالي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب أي كما يبلي الثوب فأسالوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) .

إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب أي كما يبلي الثوب فاسالوا الله أن بجدد الإيمان في قلوبكم وهذا معتقدنا الذي ندين الله به ترجم الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان باب الإيمان قولا وعمل يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال تعالي ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[الفتح: من الآية٤] .

فأثبت الله جل جلاله في هذه الآية وغيرها من الآيات أن الإيمان يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي والزلات والسؤال الخطير كيف يجدد العبد إيمانه إن شعر بان الإيمان يعني قد خلق في قلبه وفي جوفه وهذا الحديث أو الجواب يا أخوة التنظير البارد فيه لا يغير من الواقع شيئا يعني سأضع الآن بين أيديكم نقاطا عملية لتجديد الإيمان لكن إن ظلت هذه النقاط مجرد تنظير لم تؤثر في الإيمان بالتجديد وبالزيادة أبدا أما الجواب يحتاج إلي أن نحول هذه النقاط إلي عمل يحتاج إلي أن نحول هذا المنهج إلي عمل لأن الإيمان اتفقنا يزيد وينقص لكن بالطاعة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية يبقي لن يزيد الإيمان في قلبك ولن يتجدد إلا بالطاعات واحد أول خطوة على الطريق صدق الاستعانة بالله جل وعلا فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله هو المخذول اثنين .

ثانيا : المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة يا الله يا أخي جرب هذا ورب الكعبة يتجدد إيمانك المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة ولا أريد أن استدل بأدلة كثيرة على كل بند يكفي أن أذكر فقط بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم في حديث أبي هريرة (ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع الدرجات ويرفع الدرجات لم ترفع درجاتك عند الله إلا بإيمان إلا بتجديد وبقوة الإيمان وبصحة الإيمان ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلي يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلي المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط) إلي آخره .

ثالثا : المحافظة على ورد يوميا للقرآن المحافظة على ورد يومي للقرآن والأدلة على ذلك كثيرة جدا (اقرأو القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه) حديث أبي هريرة في صحيح مسلم (يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به تقديم سورة البقرة وسوره آل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتان أو حذقان أو فرقان عن صاحبهما يوم القيامة حديث صحيح مسلم النواس بن سمعان) إلي آخره المحافظة على ورد يومي للقرآن .

رابعا : المحافظة على صحبة الصالحين من الأحياء والأموات المحافظة على صحبة الصالحين من الأحياء والأموات أما صحبة الصالحين من الأحياء فمعلومة اصحب أهل العلم ربما يفتح الله على زميل لك من طلاب العلم بالذكر خليك ملازمه اضرب معاه بسهم في جانب العبودية دي ألا وهو عبودية الذكر فينتبه هذا الجواب لكل المسلمين تقريبا اعترى طالبا آخر من طلاب العلم زميل لك فتح الله عز وجل عليه في جانب طلب العلم لازمه لتعلوا همتك في جانب الطلب اضرب معه بسهم في طلب العم ترى طالبا ثالثا فتح الله عليه في قيام الليل الله اضرب نعه بسهم إن جالسته وصاحبته قد تقوم الليل لله تبارك وتعالي ترى طالبا رابعا قد فتح الله عليه في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لازمه لتضرب معه وهكذا قال بن القيم اضرب مع أهل كل عبودية بسهم اضرب مع أهل كل عبودية بسهم يبقي الصحبة الصالحة مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي اصحب الأخيار والله العظيم يا أخوة هناك من وجوه أهل الفضل من تذكرنا بالله جل وعلا فيه وجوه تذكرنا بالله وفيه وجوه تذكرنا بالمعصية مش النبي قال ذلك كما في مسند احمد بسند صحيح وفيه أنه صلي الله عليه وسلم قال خير عباد الله الذين إذا رؤو ذكر الله في واحد كدة أول ما يدخل على مجموعة وهو بيدخن يرمي السيجارة يقولك خلاص الشيخ جاء الله هذه علامة إشارة جميلة هذه بشرى لهذا الرجل الفاضل بشرى له أنه ممن من خير عباد الله بنص حديث رسول الله ، فتحين شريط أغاني اقفل ، اقفل خلاص الشيخ جاء ممكن تبقي في فرح رايح فرح وأغاني وساعة ، لا إله إلا الله محمد رسول الله سبحان انقلبت إلي التوحيد والله هذا يعني حدث يحدث لأهل الفضل مرارا وتكرارا وهذا إن دل فإنما يدل على خيرية هؤلاء العباد عند الله اصحب هؤلاء ليذكرك أو لتذكرك صحبتك له بالله تبارك وتعالي وابتعد عن الأشرار أما صحبة الأخيار ممن ماتوا فبمطالعة سيرهم والتعرف على أحوالهم وأخبارهم خامسا بإيجاز شديد أكثر من زيارة المقابر فإنها تذكرك بالآخرة سادسا أكثر من زيارة المرضى فإنها ترقق قلبك سابعا احرص على ركعات بالليل تصليها لله تبارك وتعالي فأكثر من الذكر وداوم على الاستغفار تاسعا لا تنسى الدعاء فالله تبارك وتعالي يقول ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: من الآية٦٠] أسأل اله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يرزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

قال المصنف رحمه الله تعالى:(فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قيل لك من ربك فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾[الفاتحة: ٢]،وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من هذا العالم.)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلى وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى بأثره إلى يوم الدين أما بعد فحياكم الله جميعا أيها الإخوة الفضلاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبوئتم جميعا من الجنة منزلا وأسأل الله تعالى الذي جمعنا في هذا اللقاء المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه.

نواصل أيها الأفاضل شرحنا للأصول الثلاثة وحديثنا بفضل الله جل وعلا في هذا اللقاء عن قول المصنف رحمه الله: ب(فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها فقل: معرفة الإنسان ربه ودينه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم،) وهكذا انتهينا بفضل الله تبارك وتعالى من شرح المقدمة الجميلة التي ضمنها المصنف الدين كله، بأسلوب فذ بليغ في كلمات قليلة وها هو يشرع الآن بفضل الله تعالى في ذكر الأصول الثلاثة فالاصول الثلاثة هي من ربك ما دينك من نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه هي الأصول الثلاثة ونلاحظ أن الشيخ رحمه الله تعالى بدأ هذه الأصول بصيغة السؤال: فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة أسلوب من أساليب لفت الانتباه يريد أن يستحوذ على اهتمام الطالب أو اهتمام المستمع أو اهتمام المسئول أيا كان هذا المسؤول، أيا كان هذا المسؤول فهو لا يعنيه أن يعرف من هذا الذي قيل له فإذا قيل لك، لا يعنينا هذا، لأنه لو حتى عرفنا من هذا فلن يتغير الجواب في شيء إنما هو أسلوب من أساليب جذب الانتباه وشد وجذب الاهتمام فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان على المسلم والكافر على الإنسان كل الإنسان معرفتها: فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

بدأ بهذه الأصول الثلاثة وهي أصول كبيرة بل هي الدين بل لا يصح لإنسان على وجه الأرض إن تخلف أصلا عن هذه الأصول الثلاثة وهي التي سيسأل عنها العبد أي عبد في قبره كما في الحديث الجميل الطويل الذي رواه الإمام أحمد وغيره من أصحاب السنن من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو حديث صحيح وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر(أن المؤمن يأتيه ملكان في قبره ويقولان له: من ربك فالمؤمن) –أسأل الله أن يجعلنا منهم–(المؤمن يقول ربي الله ما دينك: فيقول المؤمن ديني الإسلام من نبيك فيقول: نبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فيقال صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة يدخل إليه ريحها وطيبها.. إلى آخر الحديث، وأما الكافر عياذا بالله فيأتياه ملكان ويسألان هذا العبد أيضا هذه الأسئلة الثلاثة من ربك فيقول الكافر أو المنافق ها ها لا أدري لا حول ولا قول إلا بالله فيقال له أو يسأله الملكان ما دينك فيقول: ها ها لا أدري فيقول الملكان من نبيك فيقول: ها ها لا أدري ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

إذن هذه الأسئلة وهذه الأصول لا يصح دين إلا بها وأول ما ستسأل عن في قبرك من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ معرفة العبد ربه تبارك وتعالى هي الأصل الأول هل يصح لعبد دين إلا إذا عرف الله تبارك وتعالى وأفرده وحده جل وعلا بالعبودية والعبادة فليس القصد أن يقر العبد لله تبارك وتعالى بتوحيد الربوبية وإنما القصد أن يفرد العبد حين يتعرف على الله عز وجل بالعبادة والألوهية ولذلك يقول (فإن قيل لك من ربك فقل ربي الله

الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته)، فإذا قيل لك من ربك؟ سؤال بكل أسف يجهل الجواب عنه مليارات من البشر الآن هل تتصور أن هذا السؤال لا يعرف الجواب عنه على مراد الله تعالى وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الأرض قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) ﴾ [هود: ٤٠]، وقال الله جل وعلا: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام ١١٦]، قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال الله جل وعلا: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ: ١٣]، قال الله جل وعلا: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[ص: ٢٤]، فأكثر أهل الأرض لا يحسنون الجواب على هذا السؤال فلا تستهن بالسؤال فإذا قيل لك من ربك لا تستهن بهذا السؤال، بل لقد سئله النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه للجارية فأكثر أهل الأرض لا يحسنون الجواب على هذا السؤال الذي يتكون من كلمتين اثنتين من ربك فإذا سئلت من ربك؟ فليكن جوابك كما قال المصنف رحمه الله تعالى: ربي الذي رباني إذن فليعرف معنى رب بدون الألف واللام صاحب كل شيء ومالكه، رب بدون الألف واللام أي بدون التعريف صاحب كل شيء ومالكه، ولعلكم تذكرون قولة عبد المطلب لأبرهة وهذا الاسم فيه خلاف لا يتسع الوقت لذكره الآن لكنه مشهور عند أصحاب التأريخ والسير حينما سئله أبرهة صاحب الفيل قال عبد المطلب أنا رب الإبل أي صاحبها ومالكها وللبيت رب يحميه، فرب كل شيء صاحبه ومالكه، أما الرب بالألف واللام بالتعريف قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هو اسم الله تبارك وتعالى الذي له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو خالقها ورازقها ومالكها ومصرفها ومدبر أمرها وشئونها لا يخرج شيء عن ملكه ولا عن قهره ولا عن سلطانه تبارك وتعالى ومن جميل ما قرأت من أهل العلم من عرف الرب بقوله الرب هو الخالق ابتداء والمربي غذاءا والغافر انتهاءا، تعريف جميل الرب هو الخالق ابتداء لأنه لا يمكن أن يكون الرب إلا خالقا كما سنبين الآن إن شاء الله تعالى- الرب هو الخالق ابتداء والمربي غذاءا والغافر انتهاءا، فإذا قيل لك من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته ياألله ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، نعم الله تبارك وتعالى على جميع العالمين لا تعد ولا تحصى بل العالمون جميعا غارقون في نعم الله من رؤوسهم إلى أقدامهم، والعالم أيها الأفاضل كل من سوى الله عالم الخلق عالم البشر عالم الجن عالم الشياطين عالم البحار عالم الطير عالم الحيوانات عوالم لا يعملها إلا الله تبارك وتعالى كل من سوى الله فهو عالم وأنا وأنت والخلق جميعا عالم من هذا العالم لا يعرف قدرها وحقيقتها إلا من خلقها سبحانه وتعالى ومن لطيف ما قرأت لشيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى سموا عالما لأنهم علم على خالقهم ومدبر أمرهم هذه لطيفة جميلة وإضافة جديدة سمواعالم لأنهم علم على خالقهم ومدبر أمرهم ومصرف شؤونهم تبارك وتعالى وهذا كما في تقول الله عز وجل في الحوار الذي دار بين فرعون وموسى حين سئل فرعون نبي الله موسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام حين سئل موسى وهارون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩)[طه آية: (٤٩)]قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴾[طه: ٤٩-٥٠]، قال جمهور المفسرين أي هو الذي خلق كل شيء على شكله وهيئته التي تعينه للقيام بالمصلحة والمنفعة التي وجد من أجلها،وقد أضاف العلامة الألوسلي إضافة جديدة ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ أي ربنا الذي خلق كل شيء على الشكل اللائق به الذي يهئه على القيام بالمصحلة والمنفعة التي وجد من أجلها ثم هدى أي ثم جعله دليل عليه تبارك وتعالى، ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، كما سنبين الآن عند قول المصنف رحمه الله تعالى: (فإن قيل لك بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته) إذن أيها الإخوة الكرام ربي الله الذي رباني بنعمته وربى جميع العالمين بنعمته ووالله لو ظللت أحدث عنه نعم الله تبارك وتعالى لاحتجحت إلى حلقات ولقائات لكني أذكر ببعض النعم التي قد يغفل عنها الإنسان، لا شك أن أشر وأجل وأعظم وأكبر وأطهر نعمة أنعم بها علينا هي نعمة الإسلام ونعمة الإسلام ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) ﴾[الحجرات: ١٧]، ولله در القائل:

ومما زادني فخرا وتيها وكدت بأخمصي أطأ السريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

نعمة الإسلام هي أشرف نعمة وهي أجل نعمة وواﷲ ثم واﷲ لو فقدت كل شيء ورزقك اﷲ نعمة الإسلام فقد رزقك كل شيء تدبروا مني هذه الكلمات أقول: ماذا فقد من وجد الإسلام وماذا وجد من فقد الإسلام أكرر ماذا فقد من وجد الإسلام ما فقد شيئا حتى ولو لم يأكل ولو لم يشرب مافقد شيئا مادام ربنا تبارك وتعالى قد أنعم عليه بأشرف نعمة ألا وهي نعمة الإسلام ماذا فقد من وجد الإسلام ما وجد شيئا على الإطلاق ولو كان يتمرغ في ألوان النعيم والطعام والشراب والمتاع فكل شيئ بين سيتحول إلى شقوة وضنك قال جل وعلا: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣)وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾[طه: ١٢٤]، لا أنسى أبدا هذا هذا المشهد الذي أتعمد الآن ذكره لأنني سأذكر بنعمة لاينتبه كثير من الخلق لها قدر اﷲ تبارك وتعالى أن أزور بعض إخواننا وأخواتنا في إحدى مستشفيات الأمراض العقلية وقدر اﷲ جل وعلا أن ندخل عنبرا للنساء فجائت فتاة في العشرين من عمرها تقريبا من أجمل ما رأت عينك من اﷲ عليها بحسن خلق عجيب فجائت هذه الفتاة فأخذت الغطرة من على رأسي وألقتها على رأسها ثم وضعتها على رأسها ثم أخذتها وألقتها على الأرض ثم ضحكت بطريقة هستيرية ثم بكت بصوت مرتفع كل هذا في دقائق معدودات وأمام أعيننا وبين أيدينا وقفت لتتجرد من ملابسها كما ولدتها أمها فبكيت واﷲ وخرجت مسرعا وأنا أقول لإخوان معي أشهد اﷲ ثم أشهدكم أني ما شكرت اﷲ على نعمة العقل قبل هذه اللحظة، من منا فكر في نعمة العقل هذا كوب وهذا كمبيوتر أو ما يسمى باللاب توب وهذا استديوا وهذه كاميرا وهذا رجل وهذه امرأة وهذه شاشة وهذه منضدة، من فكر في نعمة العقل وشكر اﷲ تعالى عليها أن تعقل كل شيء من حولك قل من يشكر اﷲ تعالى على هذه النعمة أذكرك بنعم اﷲ عليك التي لا تعد ولا تحصى وتتوالى علينا تترا في الليل والنهار ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) ﴾ [النحل: ١٨]، فنحن في نعم اﷲ تعالى نتقلب من رؤوسنا إلى أقدامنا سبحان ربي العظيم، تمتد يدك إلى ألوان الطعام والشراب ولن أتحدث عن هذا الرزق، فالرزق كما بينت قبل ذلك لا يقتصر على المال كما قال بن منظور في لسان العرب الرزق هو ما تقوم به حياة كل كائن حي مادي كان أو معنوي لأن بعض الناس يتصور أن النعمة في المال وأن الرزق في المال وحسب كلا هذه صورة من صور الرزق وهذه نوع من أنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى تمتد يدك بانسيابية جميلة وتمسك أصابعك الطعام بانسيابية جميلة ثم تمتد يدك بالطعام إلى فمك ولو كنت تأكل في الظلام لم تخطأ يدك أبدا ولن تضع يدك الطعام في عينك أو في أذنك حتى ولو كنت أعمى لا ترى والفم ينفرج دو أمر منك للفم بالانفراج والقواطع تقطع والأنياب تمزق والضروس تطحن واللسان يتحرك واللعاب يسهل ولسان المزمار يفتح البلعوم حين البلغ والمعدة تقوم بدورها والأمعاء الدقيقة بدور والغليظة بدور وفتحة الشرج بدور ثم بعد ذلك يتحول إلى دماء والقلب يقوم بدوره بكين وأذين، أمور عجيبة

لو تفكرت فيها لوحدت الخالق ولأفردته– تبارك وتعالى– بالعبادة لذا فهو ربنا– جل وعلا– يلفت أنظارنا ويقول: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات آية: (٢١)]، ويلفت أنظارنا– كما سأبين– الآن للنظر في هذا الكون كله من عرشه إلى فرشه ومن سماءه إلى أرضه لنتعرف عليه– تبارك وتعالى– فما أعظم الآيات وما أكثرها لذوي الفِطَر والعقول والألباب.(إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي اﷲ الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته)، ونعم اﷲ علينا لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾[إبراهيم: ٣٤].

كان أحد السلف إذا دخل أعزكم اﷲ الخلاء وخرج ،إذا دخل على قدميه وقضى حاجته بنفسه وطهَّر نفسه بيده وخرج وضع يده على بطنه وقال: يالها من نعمة منسية غفل عن شكرها كثير من الناس. وكان ابن السماك رجلاً زاهداً واعظاً عالماً عابداً خرج مع ملك من ملوك الدنيا في يوم من الأيام وتبع هذا الملك أرنبا أو غزالا ثم عاد وقد أرهقه العطش وكاد أن يقتله الظمأ فألحَّ على ابن السماك في طلب كوب من الماء: أدركني بكوب من الماء البارد. فلما أحضر له كوب الماء قال: أسألك باﷲ ياسيدي لو منع منك هذا الكوب فبكم تشتريه الآن؟ قال: بنصف ملكي. قال: أسألك باﷲ يا سيدي ولو منع فيك أو حبس فيك؟ قال: بنصفه الآخر، فبكى ابن السماك وقال: اشرب هنأك اﷲ. وأفٍّ لملك لا يساوي شربة ماء. نعم كثيرة ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ فربي وربك

الله الذي ربانا بنعمته وربى جميع العالمين بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهو معبودي. هذا هو الأصل، هذه هي الغاية، كل هذا من أجل أن نصل إلى أن هذا الإله العظيم- جل جلاله -الذي ربانا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى والذي أغرقنا في فضله- جل وعلا- هو وحده الذي يستحق أن يعبد. كيف يرزقني وأعبد سواه ! خيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد ، يتحبب إلينا بالنعم وهو الغني عنا ونتبغض إليه بالمعاصي ونحن أحوج شيء إليه، كيف يرزقنا ويخلقنا ويغرقنا في فضله ونعيمه كيف يقلبنا في فضله- جل وعلا- من رؤوسنا إلى أقدامنا ثم بعد ذلك نفرد غيره بالعبادة! فنسأل غيره ونذبح لغيره ونفوض لغيره ونلجأ لغيره ونتوكل على غيره ونستعين بغيره ونستغيث بغيره ونطوف بغير بيته -جل وعلا- هذا الإله العظيم- جل جلاله- هو وحده الذي يستحق أن يعبد فهو معبودي الذي لا معبود لي سواه اللهم إني أبرأ من الثقة إلا فيك وأبرأ من الأمل إلا فيك وأبرأ من التسليم إلا لك وأبرأ من التفويض إلا إليك وأبرأ من التوكل إلا عليك وابرأ من الذل إلا في طاعتك وأبرأ من الرهبة إلا لجلالك العظيم وأبرأ من الوقوف إلا على بابك أنت فلنتبرأ من كل الآلهة والأنداد والأرباب والطواغيت لتُفرِد الله -وحده- بالعبادة فهو معبودي لا معبود لي سواه والدليل قوله تعالى: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (٢) ﴾ [الفاتحة آية: (٢)]، فهو رب العالمين مالكهم ورازقهم وصاحب الفضل عليهم والمتفضل عليهم بنعمه له الحمد كله وله الثناء كله وله الفضل كله وله الأمر كله ولا يستحق أن يعبد إلا إياه- تبارك وتعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾[الأنعام آية: (١٦٣)].

الله – تبارك وتعالى- هو الرب وهو المعبود(فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته) ومن آياته: الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما والدليل قوله تعال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[فصلت: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِين ﴾ [الأعراف آية: (٥٤)] (فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، فإذا قيل لك: بم عرفت ربك ؟فقل: بآياته ومخلوقاته)، الله!!! يستخدم المصنف- رحمه الله- الدليل العقلي والنقلي(فقل: بآياته ومخلوقاته) والآيات: نوعان آيات كونية وآيات شرعية. وإذا عرفنا الآيات بهذا التعريف فحينئذ تندرج المخلوقات تحت مسمى الآيات إذا قلنا إن الآيات تنقسم: إلى آيات كونية وآيات شرعية .فالآيات الكونية :هي الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر إلى آخره وما أكثر هذه الآيات. والآيات الشرعية: هي ما أوحى الله إلى أنبيائه ورسله، هي الوحي فحينئذ نقول: إن المصنف- رحمه الله-عطف الخاص على العام ، لو عرفنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية فآيات الله -تبارك وتعالى- الكونية كثيرة انظر إلى هذا الكون من عرشه إلى فرشه من سماءه إلى أرضه أنظر إلى السماء وارتفاعها انظر إلى الأرض واتساعها انظر إلى الجبال وأثقالها انظر إلى الأفلاك ودورانها انظر إلى البحار وأمواجها انظر إلى كل ما هو متحرك وإلى كل ما هو ساكن. واللهِ: إن الكل يقرُّ بتوحيد الله إلا من كفر من الإنس والجن- ولا حول ولا قوة إلا بالله- قال- جل وعلا-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) ﴾ [الحج: ١٨] فالكون كله يسبح والكون كله يوحد إلا من كفر من الإنس والجن- ولا حول ولا قوة إلا بالله- قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُور ﴾[الإسراء: ٤٤]، وما أكثر الآيات . ولا أريد أن أكرر نفس الآيات التي قرأها القارئ، ما أكثر الآيات في كتاب الله- تبارك وتعالى- التي تدل وتعرف العبد على الحق- سبحانه وتعالى- على ربه- جل وعلا- تدبروا معي قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، جعل الله المخلوقات آيات كريمة تدل عليه تبارك وتعالى﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، بعد هذا التفكر حتما لا بد أن يصلوا إلى هذه النتيجة الحتمية إن

كانوا من أولى الألباب إن كانوا من أصحاب العقول حينئذ سيرددون– بحب لله وخوف–﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ آل عمران: ١٩١] وتدبروا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون ﴾ [البقرة آية: (١٦٤)]

تدبروا قول الله تعالى:﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَباً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)

لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ (٣٥)سبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ (٣٦)وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧)وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾ [يس آية:٣٣–٤٠].

يخرج علينا رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك يقول: لقد توصلنا بعد البحث العلمي والتجربة: أن الأجرام السماوية ما وضعت في الكون مصادفة عشواء وإنما وضعت بحسبان، فلو أن الشمس تركت مدارها إلى أعلى قليلاً لتجمد كلُّ حي على ظهر الأرض ولو أن الشمس تركت مدارها إلى أسفل قليلا لاحترق كل حي على ظهر الأرض ولو أن القمر ترك مداره إلى أعلى أو إلى أسفل قليلا لاختلت حركة المد والجزر على ظهر الأرض ومات أهل الأرض غرقاً أو عطشاً ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴾[النمل: ٦٠–٦٤]، يذكرنا بآيات وبتوحيد الربوبية يلفت الفطر السوية والقلوب التقية والعقول النقية للإقرار له بتوحيد الألوهية ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾.

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضـــرة	كيف نمت من حبة وكيف صارت شجـــرة
ابحـــث وقل من ذ الذي يخرج منها الثمرة	ذاك هو الله الـــذي أنعــــمه منهـــــمرة
ذو حكـــمة بالـــغة وقـــــدرة مقـــــــتدرة	سل الواحة الخضراء والمـــــــاء جـــــاري
وهذا الصحــــــاري والجبال الرواســـــــي	سل الروض مـــزدان ســـــل الزهر والندى
سل الليل والإصباح والطـــــير شـــــادي	سل هذه الأنـــــسام والأرض والســـــــــم
ســــــــــل كل شيء تسمع التوحيد لله	ســـاري ولو جن هذا الليل وامتد سرمد

فمن غير ربي يرجع الصبح ثاني

﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾، لا بد من هذا. أإله مع الله؟ أإله مع الله يستحق أن يعبد أإله مع الله يستحق أن يفرد بتوحيد الألوهية بتوحيد العبادة ، بالعبودية التي تنبني على كمال الحب وكمال الذل. ليست القضية أن تقر: بأن الله هو الخالق والرزاق والمدبر فحسب كلا، بل إن أقررت: بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المصرف لشئون الكون كله فحينئذ يجب عليك أن تفرده- وحده- بالعبادة كما استشهد المصنف- رحمه الله- بقولة الحافظ بن كثير- رحمه الله تعالى- حين قال: الخالق لكل هذه الأشياء هو المستحق للعبادة هو الذي يستحق أن يعبد هو الذي يستحق أن يفرد -وحده- بتوحيد الألوهية- تبارك وتعالى- ما أكثر الآيات وما أعظم الآيات ولو تدبرنا قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ (١٤) ﴾[المؤمنون: ١٢-١٤]،يا الله!! يلقي الرجل نطفته في لقاء- في الحلال الطيب- مع امرأته وينام الرجل مع المرأة وقد أودع نطفته امرأتَه. هذه النطفة التي تحتوى على ملايين الحيوانات المنوية تتسابق كلها لتصل إلى عروس جميلة واحدة تسمى بالبويضة لا تخرج من رحم المرأة إلا مرة واحدة في الشهر. تهلك كل الحيوانات المنوية في هذا الطريق الطويل إلى البويضة أو إلى هذه العروس الجميلة ولا يصل إلى البويضة إلا حيوان منوي واحد. هذا المعلومة الهائلة الدقيقة لم يتوصل إليها العلم الحديث إلا من سنوات قليلة جدا مع أن الصادق الذي لا ينطق عن الهوى قد أخبر عنها من أربعة عشر قرناً فقال- كما في صحيح مسلم -:(ما من كل الماء) ما المراد بالماء هنا؟ المني ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) ﴾ [الطارق: ٥-٦]، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: (ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء)- صلى الله عليه وسلم- فيصل إلى البويضة حيوان منوي واحد فتخرج البويضة عليها تاج مشع لتلفت أنظار الحيوانات المنوية إليها فإذا اقترب منها الحيوان المنوي أفرزت البويضة سائلا، من وظائف هذا السائل أن يمسك بالحيوان المنوي ؛ليلتصق على جدار البويضة فيفرز الحيوان المنوي بذاته سائلا ليبدد جزءا من التاج المشع على تاج البويضة ليسهل عليه أن يخترق جدارها فإذا اخترق الحيوان جدار البويضة وخصبها وحدث ما سماه القرآن بالنطفة الأمشاج وما أسماه المتخصصون بالزيبيت تتحول هذه النطفة الأمشاج بعد أيام قليلة إلى علقة وسماها الله- تبارك وتعالى- في هذه المرحلة علقة لأنها تتعلق بجدار الرحم ثم تتحول إلى مضغة وسماها الله- تبارك وتعالى- في هذه المرحلة مضغة لأن الجنين في هذه المرحلة يشبه قطعة اللحم التي مضغتها الأسنان وتتحول المضغة بعد ذلك إلى عظام يا ألله!!! لم أقل: إلى عظمة بل تتحول إلى هيكل عظمي في غاية التناسق والجمال والإبداع. لو نظرت إليه لعرفت ربك لو نظرت إلى الهيكل العظمي فحسب لعرفت ربك من أين جاء هذا الهيكل العظمي؟ كان ماءاً مهينًا حقيراً يتحول إلى هذا الهيكل العظمي ثم يكسى هذا الهيكل العظمي باللحم ثم تأتي مرحلة الخلق الآخر ألا وهي مرحلة نفخ الروح وهنا وقف عالم الأجنة الشهير ألاسكيسكرين- كما ذكرت- قبل ذلك وصرخ حين راقب مراحل نمو الجنين في بطن امرأة فحينما نفخت الروح ودق القلب ونبض وتحرك الجنين حركة كاملة في بطن أمه صرخ هذا العالم وقال: HERE IS GOD لا يمكن أبدا أن تأتي هذه الروح إلا من الله- جل وعلا- لا يمكن أبدا أن تأتي هذه الروح إلا من الله- سبحانه وتعالى- ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[المؤمنون: ١٤].

لذا يلفت ربنا أنظارنا لنتدبر، لنتفكر، لنتعرف عليه فيقول جل جلاله: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات: ٢١]، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾[الانفطار: ٦-٨]،انظر إلى أي شيء في الكون- والله العظيم- لتعرفت على الخالق- سبحانه وتعالى-

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وأذكرُ بعض الأدلة العقلية سريعا: استدل الإمام أحمد بالبيضة فقال: هذا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفس، ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره وخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح. أإله مع الله ؟هل فكرت في البيضة التي تأكلها؟ كيف خرج منها هذا الكتكوت الجميل وهذا الفرخ الرائع؟ ثم أعجب –سبحان الله– وقد راقبت بعيني مرارا –فهذا مشهد يأثرني حينما تراقب الكتكوت وهو ينقر البيضة وترى خروجه ترى عجبا ومع هذه اللحظات تراه ينقر في الأرض دون أن يرى الديك، دون أن يرى الدجاجة فمن الذي علمه داخل هذه البيضة أن الله– تبارك وتعالى– قد جعل رزقه في هذه الأرض ومن هذه اللحظة يبحث عن رزقه وعن قوته.

ثم يستدل الشافعي بورقة التوت: تأكلها الغزالة فتعطينا مسكا وتأكلها الشاة فتعطينا لبنا وتأكلها دودة القز فتعطينا حريرا فلو كانت الأمور بالصدفة لكانت عصارة الطعام الواحد واحدةً:﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[الحج: ٤٦]،

واستدل الأعرابي الذي لم يتخرج إلا من جامعة الفطرة فاستدل على ربه تبارك وتعالى فقال: البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير.

لله في الآفاق آيات لـــــــعل أقلها هو ما إليه هداكـــــــــا ولعل ما في النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك

الكون مشحون بأســـرار إذ حاولت تفسيرا لها أعياك قل للطبيب تخطفته يد الردى يا داوي الأمراض من أرداك

قل للمريض نجى وعوفي بعد ما عجزت فنون الطب من عافاك قل للصحيح ما به من علة من يا صحيح بالمنايا دهاكـــــا

بل سائل الأعمى خطى بين الزحام بلا اصطدام من يقود خطاك بل سائل البصير كان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهواك

وسل الجنين يعيش معذولا بلا راع ومرعى من ذا الذي يرعاك وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك

واسئله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك واسئل بطون النحل كيف تقاطرت شهدا وقل للشهد من حلاك

بل سائل اللبن المصفى من بين فرث ودم من ذا الذي صفاك وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسئله من يا نخل شق نواك

وإذا رأيت البدر يسرى ناشرا أنواره فاسئله من أسراك وإذ ترى الجبل الأشم مناطحا قمم السحاب فسله من أرساك

وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسئل لهيب النار من أوراك لله في الآفاق آيات لعل أقلها هو م إليه هداك

في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ، فإذ(قيل لك : بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته)، وما أكثر آياته– جل وعلا– فقل: بمخلوقاته وما أكثر مخلوقاته –جل وعلا–، ولو تتبعنا آيات القرآن العظيم ولو تتبعنا أحاديث النبي العظيم – صلى الله عليه وسلم – ولو تتبعنا الأدلة العقلية لرأينا العجب العجاب وصدق ربي إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[فصلت: ٥٣]، فليعِي كل عاقل على وجه الأرض ليصل إلى هذه النتيجة ألا وهي أكمل ياأخي:

قال المصنف– رحمه الله تعالى– (والرب: هو المعبود والدليل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾[البقرة:٢١:٢٢]، قال ابن كثير– رحمه الله تعالى–: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة).

هذه هي الغاية، هذا النظر وهذا التفكر وهذا التدبر وهذا الاستدلال بآيات الله تعالى ومخلوقاته الغاية منه: أن تفرده– تبارك وتعالى– بالعبادة، فالخالق لكل هذه الأشياء الخالق لكل هذه المخلوقات لكل هذه الآيات، الذي دبر الكون بهذا التدبير المحكم المتقن، الذي خلق الكون بهذا الإبداع هو وحده الذي يستحق أن يعبد، فالرب هو المعبود سبحانه وتعالى واستدل المصنف بآية كريمة جميلة من كلام ربنا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة:٢١:٢٢]أين عقولكم؟ كيف! وقد خلق الله لكم هذا الكون من العرش إلى الفرش من السماء إلى الأرض، كيف! وقد خلق الله –عز وجل– لكم الأرض وجعلها لكم فراشا ساكنة آمنة مطمئنة ثبتها وأرساها بالجبال الراسيات، وأمدها بالنعم التي لا تعد ولا تحصى وزينها بالأنهار و بالبحار والأشجار والورد والزهور والرياحين وأودعها من الكنوز والنعم ما لا يحصيه إلا الله وأنزل لكم من السماء ماء ورفع فوقكم السماء بغير عمد ترونها وزينها بالكواكب والأقمار والشموس هل من العقل بعد كل هذا أن تفردوا إلهاً غيره بالعبادة؟ وأن تصرفوا العبادة في أي جزئية من جزئياتها أو صورة من صورها لغيره؟ –تبارك وتعالى– فالرب: هو المعبود الذي خلق هو الذي يستحق أن يعبد والذي يرزق هو الذي يستحق أن يعبد و الذي يدبر أمر الكون هو الذي يستحق أن يعبد، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وهذا نداء عام لجميع الناس على وجه الأرض ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وأود أن أبين هنا لطيفة جميلة في هذه الآية: فإذا كانت العبادة– أيها الإخوة– هي الغاية من خلق الخلق فإن الله فقد جعل التقوى غاية العبادة، هذه لطيفة جميلة انتبهوا إليها، إذا كانت الغاية من خلق الخلق هي العبادة قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون (٥٦) ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فقد بين ربنا– تبارك وتعالى– في هذه الآية الكريمة الغاية من العبادة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾ الله!! إذن الغاية من العبادة أن نحقق التقوى– كما ذكرت في اللقاء الماضي– إن الله لم يأمرنا بالعبادة لأنه في حاجة إلى طاعتنا، فالله غني عن العالمين لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، إذن العبادة لنحقق التقوى، إذن ما هي التقوى؟ التقوى هي: الاسم من اتقى، والمصدر الاتقاء وكلاهما مأخوذ من مادة وقى والوقاية هي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. فأصل التقوى إذن– تدبروا–: أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضب الله وعذابه وقاية تحفظه وتمنعه تلك الوقاية، هي فعل الطاعات واجتناب المعاصي، هي العبادة ، فالعبادة امتثال للأمر واجتناب للنهي ووقوف عند الحدود، هل وقفتم على هذه اللطيفة الجميلة.

إذن الغاية من العبادة أن نحقق التقوى لله– تبارك وتعالى–.

أكتفي بهذا القدر ونواصل الحديث إن شاء الله– جل وعلا – في اللقاء المقبل عن أنواع العبادة التي ذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى– في هذا الأصل الأول، والله– سبحانه– أسأل: أن يعلمنا وأن يفهمنا وأن يرزقنا

الإخلاص والصدق في الأقوال والأعمال والأحوال وأن يتقبل منا ومنكم جميعا صالح الأعمال وصلِّ الله وسلِّمْ وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد قلت فضيلتكم: بعد أن نعرف الله ونتعرف عليه وعلى رسوله وعلى ديننا الإسلام لا يجوز لنا موالاة من حاد الله ورسوله. السؤال في جزئيتين: من هم من يحادون الله ورسوله؟ هل هم أهل الكتاب- اليهود والنصارى- ومن لا يؤمن بالله من غير المسلمين؟ وهل هم مثلا الذين نختلط بهم من الجيران أو في مجال العمل؟ أم من يحارب الإسلام محاربة فعلية كالجيوش؟

السؤال الثاني:ما هي حدود الموالاة؟ هل التعامل مع الجارة المسيحية يعد موالاة لها؟وكيفية التعامل معها؟ وهل يكون الذين يحادون الله ورسوله من يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم لا يتبعون سنته في بعض الأحيان ؟إما عن جهل أو عدم معرفة بهذه السنة؟

سؤال آخر: كيف أستطيع أن أقنعهم بما أقول عندما أحدثهم في مجال الدعوة؟.

كانت تسأل من الذين يحادون الله ورسوله؟

كل من كفر بالله -تعالى- وكفر برسوله - صلى الله عليه وسلم - وأعلن الحرب على الله ورسوله والعداء على الإسلام فهو محادٌّ لله ورسوله، ولذا نرى المصنف- رحمه الله تعالى- قال: (من عرف الله -تبارك وتعالى- ووحد الله -عز وجل -وأطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، واستدل بقول الله تعالى:﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..الآيات) ﴾ [المجادلة: ٢٢]،فكل من كفر بالله - تعالى- أو أعلن الحرب على الله -تعالى-وعلى رسوله لا يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يواليه ، أن يتودد إليه ، أن يحبه ، أن يتقرب إليه ، أن يظهر الود له فقد أصَّلتُ معنى الولاء وقلتُ: الولاء أصله الحب والبراء أصله البغض فلا يحل أبدا لمؤمن يشهد أن لا إله إلا الله أن يوالي أو أن يحب أو أن يتودد إلى أو أن يتقرب لكل من حاد الله ورسوله، لكل من أعلن الحرب على الله وعلى الإسلام والمسلمين وقد ذكرت أبياتا جميلة أذكر بها الآن ففيها معان جميلة أقول:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حب له ما ذاك في الإمـــــــــكان وكذا تعادي جاهدا أحبابـــــــه أين المحبة يا أخى الشيطـــــــان

شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا نقصـــــــــــان فإن ادعيت له المحبة مـــــــع خلافك ما يحبه فأنت ذو بطلان

لو صدقت الله فيما زعمـــــــته لعاديت من بالله ويحـــك يكـــــفر وواليت أهل الحق سرا وجهـــرة ولما تعاديهم وللكفر تنـــــــــشر

فما كل من قد قال ما قلت مسلم ولكن بأشراط هنالك تذكـــــــــر مداومة الكفار في كل موطـــــن بذا جاءنا النص الصحيح المقـــرر

وتصدع بالتوحيد بين ظهـــورهم وتدعوهم سر لذاك وتجــــــهر هذا هو الدين الحنيفي والهـــــدى وملة إبراهيم لو كنت تشـــــــعر

أما الضوابط فقد فصلت الحديث فيها تفصلا، والله سبحانه وتعالى أسأله :أن يرزقنا وإياكم الولاء له ولرسوله والمؤمنين والبراء من الشرك والمشركين.

كان لها سؤال: هل الذين يحادون الله ورسوله هم الذين لا يتبعون سنة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ؟

لا ينبغي أن نسقط هذا الحكم على الإطلاق على كل من انحرف عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما قد يكون هذا المخالف لسنة من سنن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما خالف إلا متأولا ، ما خالف إلا جاهلا، ما خالف إلا مكرها. فيجب علينا ألا نتعجل بإسقاط هذه الأحكام الكبيرة إلا بعد أن تقام الحجة الرسالية الخاصة على كل من نريد أن نسقط الحكم عليه، يعني لا ينبغي أبدا ، لا يحل لأي أخ من إخواننا أو طالب من طلابنا أن يرى رجلا على بدعة – مثلا– فيقول: هذا محاد لله ورسوله. لا يا أخي اصبر وانتظر، بل لا بد أن نقيم الحجة الرسالة الخاصة على هذا الرجل الذي تود أن تسقط هذا الحكم الضخم عليه فقد يكون جاهل–ا كما ذكرت– وقد يكون متأولا بل قد يتصور أنه على الحق المبين.

وفرق كبير جدا كما– قال شيخ الإسلام –رحمه الله– بين إقامة الحجة وفهم الحجة. يعني: ينبغي إن أقمت الحجة على هذا المعين أن يكون فاهما لهذه الحجة وإلا فلا يحل لك أبدا أن تخرج لتطبل وتجهر وتقول لقد أقمت الحجة على فلان وفلان هذا لم يفهم الحجة، لم يفهم مراد الله ولم يفهم مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأرجو أن تفرقوا أيضا بين الحجة الرسالية العامة والحجة الرسالية الخاصة، فالحجة الرسالية العامة قد أقيمت ببعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، أما الحجة الرسالية الخاصة فهذه واجبة على كل مسلم، أردت أن تسقط حكما بالتعيين عليه لا بد أن ترفع عنه التأويل ، لا بد أن ترفع عن الإكراه.

ولذا أقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فرق بين الحكم على الإطلاق والتعيين، فالحكم على التعيين لابد فيه– يا إخوة– من تحقق شروط وانتفاء موانع، لا تتعجل بإصدار الأحكام، وأنا أتألم أشد الألم من كثير من شبابنا وطلابنا ممن يتجرءون الآن على إصدار أحكام خطيرة على الناس ربما بالتكفير وربما بالتفسيق وربما بالتبديع دون أن يكون– هو– أصلا فاهما للدليل ولا لمرتبة الدليل ولا لمناط الدليل ولا يحسن أن يفرق بين مجمل ومبين وبين عام وخاص وبين ناسخ ومنسوخ، يأتيني مجموعة من شبابنا من طلابنا وقد كفروا الناس جميعا– الحكام والمحكومين– قلت: أتيتم لمضيعة الوقت أم لمعرفة الحق؟ قالوا: لا. أتينا لمعرفة الحق، قلت من يكلمني في هذه المجموعة؟ قالوا :فلان قلت يا أخيك: لا أسألك هذا من باب التحقير– أشهد الله –لكنني أريد أن أضع قدمك على أرض صلبة. أسألك :هل تحفظ كتاب الله؟ قال: لا، قلت: هل تحفظ ألف حديث مثلا من أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: لا. قلت: يا أخي هل تعرف الدليل ومرتبة الدليل ومناط الدليل؟ قال: ما هذا ؟لا أعرف هذا. قلت: هل تعرف أن تفرق بين مجمل ومبين وبين عام وخاص وبين ناسخ ومنسوخ؟ قال :لا أعرف هذا أنا ما درست هذا . قلت أخي: تريد أن تتكلم في أخطر قضية وفي أضخم قضية وفي أول قضية اختلفت فيها الأمة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنت لا تحسن أن تفرق بين الدليل ومرتبته ومناطاته وأنت لا تحسن أن تستشهد لي بدليل من كتاب الله – تعالى– إلا بما تحفظه أنت للمسألة فحسب دون أن تكون على بصيرة بالأدلة الأخرى في المسألة ذاتها؟ فهذا خلل.

فأنا أحذر إخواننا وشبابنا من عدم التعجل من إصدار الفتوى، ولست أنت مؤهلا لإصدار الفتوى، لست مؤهلا للفتوى وإصدار الأحكام على الناس، هذا أمر ينبغي أن يقوم به العلماء وينبغي أن يتأدب شبابنا الآن في ظل هذه المرحلة الحرجة وأن ندع الفتوى لأهلها من أهل الفتوى ممن من الله– تبارك وتعالى –عليهم بالعلم الشرعي ولا أقول ذلك من باب التنقيص بالواحد، فالعلماء هم الذين يقدرون الفتوى حق قدرها، سأكتفي بمثال واحد فقط: أتى سائل إلى ابن عمر فسأله وقال: أترث العمة؟ فقال ابن عمر فاذهب إلى العلماء فاسألهم، فقال السائل: أنت يا ابن

عمر تقول اذهب إلى العلماء فاسألهم؟ قال: نعم والله لا أحسن جواب مسألتك، فانصرف السائل فقبل ابن عمر يد نفسه وقال لنفسه: نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن سئل عما لا يدري فقال:لا أدري.

فأنا أحذر شبابنا من التعجل في إصدار الأحكام على الآخرين لا بالتكفير ولا بالتفسيق ولا بالتبديع، اللهم إلا إذا أقيمت الحجة الرسالية الخاصة على معين من الناس وحققنا شروطا معلومة وأنفينا موانع معلومة حينئذ يستطيع هذا الرجل إن كان على بصيرة أو كان على فهم لأدلة المسألة التي أقيمت الحجة بها أو فيها على الشخص المعين، حينئذ نستطيع أن نقول له بعد هذه الحجة: أن يسقط الأحكام بعدل وإنصاف لا بظلم وهوى قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[المائدة: ٨].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: عندما أفعل طاعة م بعد الانتهاء من هذه الطاعة أشعر بفرحة بما صنعت وأفرح بنفسي التي تغلبت على الشيطان وفعلت هذا، هل هذا يعد خطأ؟

ما هي الخطوات العملية لرقة العين؟

ثم هل يجوز لامرأة أن تقول لشيخها: إني أحبك في الله؟ وإن كان يجوز فإني أحبك في الله.

سألت وأفتت، أما بالنسبة للسؤال الأول: الفرح بالطاعة لا يعد من الرياء فربنا- سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس: ٥٨]، ولا تعارض بين هذا وبين قول الله- عز وجل-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾[القصص: ٧٦]، لا تعارض بين هذا وبين قول الله -عز وجل- لأن الفرح الذي يبغضه الله -عز وجل-هو فرح الكبر والبطر أما الفرح بالبعد عن المعصية فهذا لا يذوق حلاوته إلا من حقق الإيمان ولا حرج البتة فيه ولا يعد هذا من الرياء: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

السؤال الآخر: ما هي الخطوات العلمية لرقة العين؟

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ربما أتعرض لهذا في اللقاء المقبل- إن شاء الله تعالى- وأنا أتحدث عن الخشوع، فلقد ذكر الشيخ أربعة عشر نوعا من أنواع العبادة باستثناء الإسلام والإيمان والإحسان ولن أتحدث عن هذه لأن هذه مراتب من مراتب الدين سنتكلم عنها في حديثنا عن الأصل الثاني في حديثنا عن الإسلام، لكن الشيخ ذكر أربعة عشر نوعا من أنواع العبادة منها الخشوع ربما في اللقاء المقبل- بإذن الله تعالى- أشرح وأتوقف عند الخشوع قليلا واللهَ- سبحانه وتعالى- أسأل أن يرزقنا الخشوع.

أم السؤال الآخر: فالأولى ألا تخبر الأخت الشيخ بهذا فربما يكون ذلك بابا من أبواب الفتنة وأسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يسترنا وأخواتِنا في الدنيا والآخرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: في باب معرفة الرب-عز وجل-: ما معنى قول السلف الصالح: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا؟

هذه عبارة القصد منها أن هذا الرجل وصل إلى درجة من اليقين

حتى إنه ما أصبح في حاجة إلى مزيد أدلة على أن الله -سبحانه وتعالى- هو الحق الذي يستحق أن يعبد، يعني لو كشفت له الحجب وكشف له الغطاء لم يزدد يقينا فلقد عرف ربه معرفة يقينية بالآيات الكونية والآيات الشرعية لا تحتاج بعد ذلك إلى مزيد.

تقول: كيف يتم شكر النعم مثل نعمة السمع وغيرها؟

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم:٧]، فشكر النعمة يكون ابتداء بالشكر والشكر ليس كلمة باللسان فقط ولكنَّ للشكر أركانا: تصديق القلب، يعني اعتراف العبد بنعمة الله تبارك وتعالى عليه، أن تقر بأن المنعم والمتفضل عليك هو الله وأن توظف هذه النعم في طاعة الله سبحانه وتعالى وأن تكثر من الثناء على الله عز وجل بنعمه وفضله،و أن تعترف بأن صاحب الفضل هو الله، وبأن صاحب النعم هو الله وأن تشكر الله عز وجل وأن تكثر الثناء والحمد له سبحانه وتعالى وأن توظف هذه النعم في طاعته تبارك وتعالى، فليس من الشكر أن توظف نعمة السمع في سماع ما حرم الله و ليس من الشكر أن توظف نعمة البصر للنظر إلى ماحرم الله، ليس من الشكر أن توظف نعمة اللسان للغيبة والنميمة والكذب والبهتان والضلال، ليس من الشكر أن توظف نعمة اليد للظلم والبطش، ليس من الشكر أن توظف نعمة القدم للسعي إلى المعصية وهكذا، فشكر نعم الله تعالى يكون بالثناء على الله ويكون بالاعتراف لله سبحانه وتعالى بالفضل ثم بتوظيف هذه النعم في طاعة الله تبارك وتعالى. أختى الكريمة إن أعطاكِ الله مالاً :شكرك لله على هذه النعمة أن تنفقي من هذا المال، إن أعطاكِ الله زوجا صالحا شكرك لله على هذه النعمة أن تطيعي هذا الزوج طاعة ترضي الله سبحانه وتعالى إن أعطاكِ الله أولادا فشكر الله على هذه النعمة أن تحسني تربية الأولاد على كتاب الله وسنة وعلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – إن رزقك الله نعمة الصحة والعافية أن تقومي بالليل لتصلى لله تبارك وتعالى أو لتطيعي الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ومن نفيس كلام ابن القيم– رحمه الله تعالى– قال: الشكر هو الجالب والحافظ. يعني هو الحافظ للنعم الحالية والجالب للنعم المستقبلية. أسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكره إنه على كل شيء قدير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ذكرتم في الحصة السابقة أن من نعم الله علينا أن ولدنا في بلدة إسلامية ولله الحمد فهل رفعتَ شبهة من يقول: إن من ولد في بلاد الكفر من أبوين يهوديين أو مسيحيين لا ينبغي أن يؤاخذ بما قدر عليه، وخصوصا إذا علمنا أن كل من تمسك بدينه في مطلع حياته، تمسك به ولم يبحث عما سواه –كما هو حال المسلمين– المرجو التوضيح؟

التوضيح في حديث جميل في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:(والذي نفسي بيده لا يسمع بي)فاشترط النبي – صلى الله عليه وسلم – السماع وبلوغ الحجة كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء: ١٥]،وكما في قوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: ١٦٥]، إذن لابد من البلاغ، لابد من أن تصل الحجة إلى أي أحد أياً كانت ملته وأيا كانت شريعته وأيا كان دينه على اعتبار أن الدين أيا كان فهو دين، وهذا موجود عند أهل العلم فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)إذاً كل مولود يولد على الفطرة فطرة التوحيد والإيمان كما في الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فمن بلغه الدين وبلغته الحجة ومات على غير الإسلام مات كافرا بنص القرآن قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[المائدة: ٧٣]، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة ١٧]،﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً (١٥١) ﴾[النساء: ١٥٠–١٥١]، شاء ربنا وقدر أن يبعث في كل أمة رسولا وأن يبعث في كل أمة نذيرا ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) ﴾[فاطر: ٢٤]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾[النحل: ٣٦]، ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[هود: ٨٤]، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[هود: ٦١]، إلى آخر الآيات فشاء الله وقدر ألا يعذب إلى بعد أن تبلغ الرسالة وأن تقام الحجة ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ

رَسُولاً (١٥) ﴾، وإلا لو عذب الله تبارك وتعالى الخلق لعذبهم بمقتضى إقرارهم الأول له سبحانه وتعالى:في قوله جل وعلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ (١٧٣) ﴾[الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، لو شاء الله تعالى أن يعذب الخلق بهذا الإقرار لعذبهم لكن شاء ربنا وقدر بعد هذا الإقرار أن يرسل الرسل والأنبياء ليذكروا الخلق بهذا الميثاق بالحق -تبارك وتعالى- وليدلوهم على الله -عز وجل- وليأخذوا بأيديهم من ظلمات الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان برب البرية فمن عصى الرسول وكفر بالله وبعد ما بلغته الحجة هذا هو الكافر الذي هو في النار بنص القرآن وبنص حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرجو أن يكون الإشكال قد أزيل وأسأل الله أن يختم لنا ولكم بالتوحيد والإيمان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ما مدى صحة قول القائل:الله عرفناه بالعقل ولا يتطرق للنقل؟

لا حرج أن أقول: عرفت الله -تبارك وتعالى- بالعقل من باب الإقرار لله بتوحيد الربوبية لكني ذكرت أن الإقرار لله بتوحيد الربوبية- وحده- لا يكفي فلقد أقر لله بتوحيد الربوبية المشركون الأوائل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[لقمان: ٥٢]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[الزخرف: ٨٧]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ ﴾[الزخرف: ٩].

لا حرج ن أقول لو نظر الإنسان بعقله إلى آيات الله الكونية لتعرف على الله كهذا الاستدلال الأثري هذا الذي يعرف عند علمائنا بأدلة الأثر أو بدليل الأثر كهذا الاستدلال البديع الذي استدل به الأعرابي حين قال : البعرة تدل على البعير وهذا استدلال عقلي ونحن لا ننكر أبدا الأدلة العقلية وقد ذكرت أن المصنف- رحمه ال-له قد استدل على معرفة الله تعالى بالأدلة العقلية والأدلة النقلية، لكن لا ينبغي البتة أن يتصور إنسان أنه يتعرف على الحق وعلى ما يجب عليه وعلى العبادة الكاملة لله بالدليل العقلي فحسب وإنما هو يتعرف بالدليل العقلي على الله ثم يجب عليه بعد ذلك أن يرجع إلى النقل حتما أن ينقاد إلى منهج الأنبياء والمرسلين ليتعرف على ما أمره الله تبارك وتعالى به ونهاه الله عنه وحده له -جل جلاله- إذ لا يمكن أن تتعرف على أمور الغيب وعلى حقائق الكتاب وعلى حقائق الوحي إلا من طريق الرسل و الأنبياء قال الله تعالى لأشرف وأطهر وأنور وأذكى عقل، لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾[الشورى: ٥٢]، مع أنه صاحب أذكى عقل، لكنه قبل أن ينزل الله عليه الوحي ما كان يدري شيئا عن الكتاب والإيمان ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَـــاءُ مِنْ عِبَادِنَ ﴾ لا أود أن يفهم أحد يتابعنا في أي مكان في العالم الآن أنني أقلل من شأن العقل أو أحقر مكانة العقل- أبدا- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن نور الوحي لا يطمس نور العقل أبدا بل يباركه ويزكيه ويقويه وما أكثر الآيات التي تدعوا إلى التدبر ﴿ أَفَلاَ يَعْقِلُون) ﴾[يس: ٦٨]﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ﴾[محمد: ٢٤]، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾[النمل: ٦٩]، كلها آيات تدعوا العقل أن يعمل لكن بشرط أن يعمل العقل في مجاله وأن يبدع العقل في مجاله لا أن نجعل من العقل طاغوتا يُعبد من دون الله تبارك وتعالى،

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من ذا الذي فيهما قد أحرز الشرف العلم قال أنا أحرزت غايته والعقل قال أنا الرحمن بي عرفا

فافصح العلم إفصاحا وقال له بأينا الله في قرآنه اتصاف فأيقن العقل أن العلم سيده فقبل العقل رأس العلم وانصرف

ولله در ابن القيم إذ يقول:

لا يستقل العقل دون هداية بالوحي تأصيلا ولا تفصيل كالطرف دون النور ليس بمدرك حتى يراه بكرة وأصيلا

نور النبوة مثل نور الشمس للعين البصيرة فاتخذه دليلا فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها فالعقل لا يهديك قط سبيلا

طرق الهدى محدودة إلا على من أم هذا الوحي والتنزيل فإذا عدلت عن الطريق تعمدا فاعلم أنك ما أردت وصول

يا طالبا درك الهدى بالعقل دون النقل لم تلق لذاك دليل

فلا حرج أن نستدل بالدليل العقلي ثم يجب علينا بعد ذلك أن نستدل بالدليل النقلي لنتعرف على الغاية التي من أجلها خلقنا والوظيفة التي من أجلها ابتعثنا ولا يكون هذا مطلقا إلا من طريق الرسل والأنبياء.

يسأل العبد في قبره عن الأصول الثلاثة: من ربك؟ وما دينك ؟ومن نبيك؟ هل هناك فرق بين رد الكافر ورد المسلم العاصي؟

الأمر بيد ربي– تبارك وتعالى– علمه عند الله– عز وجل– لكن لا شك أن الكافر يقول قولة واضحة كما في الحديث ها ها لا أدري، هذا الكافر وكذا المنافق، والراجح عندي من خلال فهمي أن المنافق هنا الذي يقول ها ها لا أدري هو الذي وقع في النفاق الأكبر في نفاق الاعتقاد هو الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر– والعياذ بالله– أما منافق العمل فهذا أمره لربي تبارك وتعالى، ومعلوم أن خصال النفاق العملي تتكون أو تشتمل على خمسة أصول أو على خمسة خصال بمجموع حديثي أبي هريرة وعبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – والحديثان في الصحيح روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) وفي رواية عبد الله بن عمرو في الصحيحين أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) وفي لفظ (وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) فنفاق العمل، أمر المنافق الذي وقع في بعض صور النفاق العملي أمره إلى الله تعالى، لكن الحديث بين جواب المسلم وجواب الكافر ويندرج مع الكافر المنافق الذي وقع في النفاق الأكبر وهو نفاق الاعتقاد أما أهل المعاصي فحالهم وأمرهم إلى الله تبارك وتعالى أسأل الله– عز وجل– أن يسترنا وإياكم فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك ومولاه.

هناك سؤال: لماذا فرق المؤلف بين الآيات الشمس والقمر والمخلوقات السماء والأرض؟

ذكرت في ثنايا الشرح أننا لو عرفنا الآيات بأنها تنقسم إلى قسمين آيات كونية وآيات شرعية والآيات الكونية هي المخلوقات الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر إلى آخره، لكان حينئذ ذكر الشيخ– رحمه الله– للمخلوقات بعد الآيات من باب عطف الخاص على العام والواو في قول المصنف– رحمه الله– (فإذا قيل لك بم عرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته) معلوم عند علماء اللغة أن الواو تقتضي المغايرة فالآيات غير المخلوقات وهذه يناقش فيها المصنف– رحمه الله تعالى– لكن الذي أفهمه من كلام ربي ومن كلام نبيي – صلى الله عليه وسلم – أن المخلوقات تندرج تحت الآيات بنص القرآن قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ ﴾ قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ

الَتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ١٦٤]،

تسأل: قلتم في حلقة سابقة عن المفوضة في أسماء الله وصفاته فمن هم؟

المفوضة: طائفة لا تؤمن بأسماء الجلال وصفات الكمال على مراد الله تبارك وتعالى وعلى مراد النبي – صلى الله عليه وسلم – بمنهج السلف الصالح يعني بمنهج النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وأود أن أقول: بأن المنهج السلفي ليس حزبا وبأن المنهج السلفي ليس جماعة من الجماعات أبدا أود أن تعرف الدنيا كلهاأن المنهج السلفي هو منهج القرآن والسنة بفهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى، وجميع أصحاب النبي والتابعين لهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فليست حزبا وليس جماعة وليست عصبية وليس من حق أي أحد على وجه الأرض أن يجعل من نفسه بوابا على بوابة المنهج السلفي ليدخل هذا المنهج من شاء وليخرج من هذا المنهج من شاء هذا خلل، فالمنهج السلفي منهج القرآن والسنة بفهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – : من كان مستناً فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على هدى مستقيم.

فالمفوضة يقولون :نحن نفوض المعنى في الاسم والصفة مع أن الحق– سبحانه وتعالى– ذكر لنفسه أسماء وصفات كريمة وذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – لربه أسماء كريمة وصفات جليلة وبين لنا كيف نؤمن بهذه الأسماء والصفات فنحن نؤمن بالاسم والصفة من غير تحريف لا للاسم ولا للصفة ومن غير تعطيل ومن غير تكليف ومن غير تمثيل، أما التفويض فهم يقولون نحن نؤمن بها لكن على غير منهج رسول الله وعلى غير منهج الصحابة يفوضون معنى الاسم ومعنى الصفة لله ولرسوله ويتوهم هؤلاء المتوهمون أنهم بذلك يقدرون الله حق قدره، لكن يجب علينا إن أردنا أن نقدر الله حق قدره كما كان نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه معه أن نؤمن بكل الأسماء الحسنى والصفات العلا التي ثبتت في القرآن وأثبتها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في السنة لربه من غير تحريف لا للفظ الاسم ولا للفظ الصفة ولا لمعنى الاسم ولا لمعنى الصفة ومن غير تعطيل لما يحمله الاسم من صفة وكذلك الصفة، ومن غير تمثيل وقد ضربت بعض الأمثلة فإذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً (٢٢) ﴾[الفجر: ٢٢]، المعنى وجاء ربك لا تعطل صفة المجيء ولا تقول أنا أفوض الصفة وجاء ربك نؤمن بأن ربنا تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد مجيئا يليق بجلاله وكماله، إذا قال نبينا: (يتنزل ربنا كل ليلة حين يمض ثلث الليل الأول إلى السماء الدني) يتنزل ربنا– جل جلاله –لا نعطل الصفة ولا نقول كيف يتنزل لا أنا أفوض معنى التنزل هذا؟. لا بل أنا أؤمن بأن الله يتنزل تنزلا يليق بكماله وجلاله إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول.

ولذا لما سأل رجل إسحاق بن راهويه: يا إسحاق كيف تدعون وتزعمون أن الله يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويدع عرشه؟ قال إسحاق: اعلم بأننا نؤمن بأن الله يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلوا منه عرشه.

الإشكال أننا نود أن نحكم العقل نحكم الدليل المادي هذه هي المشكلة، ولذلك من جميل ما قاله الشنقطي– رحمه الله تعالى– في رسالته القيمة في مبحث الأسماء والصفات: من الأصول الكريمة الكبيرة التي بنى عليها مبحثه قال: اقطع الطمع في إدراك كيفية الذات، اقطع الطمع بسكين اليقين في إدراك كيفية ذات رب العالمين . الله –عز وجل –له سمع . الله– عز وجل– يرى . الله –عز وجل– له وجه. الله –عز وجل– له يد. الله– عز وجل – له أصابع. الله –عز وجل– له ساق. الله– عز وجل– له قدم.الله–عز وجل– له رجل. الله –عز وجل–

يضحك. الله يعجب. الله يغار. كلها صفات، اقطع الطمع بسكين اليقين في إدراك كيفية الذات، كيف وجه الله؟كيف سمع الله؟ كيف بصر الله؟ كيف أصبع الله؟ كيف يد الله؟ كيف رجل الله؟ لا: كل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْم ﴾[طه: ١١٠]، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) ﴾ [الإخلاص: ١]، أحد: في ذاته .أحد: في صفاته. أحد: في أسمائه .أحد: في أفعاله. وأظن أني ضربت لكم مثالا لهؤلاء الذين يريدون أن يفلسفوا القضية فلسفة عقلية، قلت :لا ينكر عاقل أن عالماً من العوالم التي تعيش معنا تسمى النمل فالنمل موجود ولا ينكر عاقل أن للنمل لغة واضحة وهذا أمر محسوس وإن لم تسمع لغة النمل وإن كنا نحن موحدون نعتقد أن للنمل لغة بنص القرآن: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ.. ﴾[النمل: ١٨]، لكنني أقول لا يطمع عاقل في أن يأتي بمكبر صوت أو بتسجيل كاسيت وأن يدع هذا الكاسيت أو هذا التسجيل في وسط مجموعة من النمل ليلتقط صوت النمل ليكبره لم يطمع عاقل في هذا أقول قطع العقلاء بسكين العقل الطمع في إدراك كيفية كلام النمل والنمل خلق من خلق الخالق أفتقطع الطمع في كيفية كلام النمل ولا تقطع الطمع في كيف يتكلم خالق النمل!!

أسأل الله تعالى :أن يرزقنا الإيمان به والإيمان برسوله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأن يتقبل منا ومنكم جميعاً صالحَ الأعمالِ.

(قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.
وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.
وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً *[الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ *[المؤمنون: ١١٧].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا مجمدا عبده ورسوله .

اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى أله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفي أثره إلي يوم الدين .

أما بعد ، فحياكم الله جميعا أيها الأخوة الفضلاء ، وطبتم وطاب منشاكم ، وتبوأتم جميعا من الجنة منزلا ، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك وعلى طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنة ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه .

أيها الأحبة قبل أن أشرع في شرح هذا المتن المبارك أود أن أطرح سؤالين على إخواننا المنتسبين للأكاديمية والله أسأل أن يلهمنا وإياهم التوفيق والصواب ، والسؤال الذي أطرحه هو سؤال مباشر الهدف اتبين أن الطلاب بفضل الله تعالي قد استوعبوا المادة استيعابا شاملا مفيدا ، وأسأل الله سبحانه وتعالي لهم التوفيق .

السؤال الأول :

العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة وضح ذلك ودائما ما تقول الأدلة من القرآن والسنة ؟

السؤال الثاني :

لقد خلقنا الله تبارك وتعالي لغاية فما هي هذه الغاية مدللا على ما تقول بالقرآن والسنة وأسأل الله سبحانه وتعالي لي ولكم التوفيق والصواب ؟

ولنشرع الآن في شرح هذا المتن الكريم الذي ابتدأه المصنف في هذا الأصل بقوله ، فإذا قيل لك أن الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها فقل معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فإن قيل لك من ربك فقل ربي الله الذي رباني وربا جميع العالمين بنعمته ، وقد فصلنا ذلك تفصيلا في اللقاء الماضي بحول الله ومدده جل وعلا .

فإذا قيل لك بما عرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته وقد فصلنا ذلك ولله الحمد والمنة ، ثم قال المصنف رحمه الله والرب هو المعبود وختم بهذه الآية بقولة الحافظ بن كثير ختم بقول الله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]

ثم ختم بقولة الحافظ رحمه الله تعالي الخالق لكل هذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

وذكر المصنف رحمه الله تعالي أنواعا من العبادة لا على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ذكر المصنف الإسلام والإيمان والإحسان ، وأنا أرى أن هذه مراتب الدين الإسلام والإيمان والإحسان هذه هي مراتب الدين وسنتعرض لها بالتفصيل إن شاء الله تعالي ونحن نتحدث عن الأصل الثاني ألا وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة .

فالإسلام كما سأبين إن شاء الله تعالي في حديث جبريل إسلام له أركان وإيمان له أركان وإحسان له تفصيل ، هذه هي مراتب الدين ، أما أنواع العبادة التي سنتعرض لها اليوم ذكر المصنف منها أربعة عشر نوعا استفتح هذه الأنواع بالدعاء اقرأ علي هذا المتن بدليله ولنقف مع كل عبادة بدليلها وأشرح إن شاء الله تعالي مراد المصنف .

(وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر: ٦٠].

أول نوع من أنواع العبادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالي هو الدعاء ، وقد عرفنا قبل ذلك العبادة وقلت العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ها هو المصنف يذكر أنواعا من هذه الأنواع فيستهل هذه الأنواع بالدعاء واستدل بقول الله تبارك وتعالي ﴿ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر: من الآية٦٠] ﴿قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: من الآية٦٠] ثم قال جل وعلا بعد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر: من الآية٦٠] فاستدل بهذه الآية على أن الدعاء هو العبادة .

ثم استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة) هذا الحديث حديث ضعيف فلقد رواه الإمام الترمذي وغيره من حديث أنس ، والصحيح ما رواه أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد وبن أبي شيبة في مصنفه من حديث النعمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال (الدعاء هو العبادة) وهذا النص موافق تماما للآية التي استدل به المصنف رحمه الله تعالي (الدعاء هو العبادة) فالدعاء من أعظم العبادات وصورة من صور القرب من رب الأرض والسماوات ورحم الله من قال :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدو وبت أشكو إلي مولاي ما أجد

فقلت يا أملي في كل مائدة ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورا أنت تعلمه مالي على حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي إليك بالذل مبتهل إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

لاشك أن الإنسان في حاجة إلي صلة تربطه بالله تبارك وتعالي وتملأ قلبه بالثقة والطمأنينة هذه الصلة أيها الأفاضل هي الدعاء ما أحوجنا الآن إلي أن نتضرع إليه سبحانه وتعالي وإلي أن نستغيث وأن نستعين به وحده جل جلاله فالدعاء يحبه ربنا سبحانه وتعالي ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالي (حيى كريم يستحي إذا رفع رجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين) وقول الله سبحانه وتعالي الذي يملئ القلب بالثقة والطمأنينة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]

وقال جل وعلا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]

تلاحظ أن هذه الآية تؤكد على أصل عقدي جميل فما من آية سئل فيها النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه إلا وجاء الجواب من الله للنبي بقوله تعالي قل كذا وقل كذا وقل كذا إلا في هذا الموطن ، في موطن الدعاء لن يأمر الله سبحانه وتعالي نبيه أبدا بقوله قل تدبروا معي قول الله جل وعلا ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ أَبْوَابِهَا ﴾[البقرة:١٨٩]

﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾[البقرة: من الآية٢٢٠]

قال جل وعلا ﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[البقرة: من الآية٢١٩] قال جل وعلا ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً ﴾[البقرة: من الآية٢٢٢]

قال جل وعلا ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[الأنفال: من الآية١]

قال جل وعلا ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[الاسراء: من الآية٨٥] إلي آخره .

إلا في هذا الموطن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[البقرة: من الآية١٨٦] لم يقل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل إني قريب أبدا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: من الآية١٨٦] لم يقل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل فإني قريب ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: من الآية١٨٦]

ومن رقيق ما قرأت ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أبو موسى :

(كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير يعني يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم يعني لا تجهروا ولا ترفعوا أصواتكم بالتكبير ولا

بالدعاء أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا بل تدعون سميعا بصيرا وهو معكم وهو أقرب إلي أحدكم من عنق راحمته قال أبو موسى وأنا خلفه فأقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله قال فنادي علي رسول الله فقال يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يا رسول الله قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلي يا رسول الله قال لا حول ولا قوة إلا بالله الشاهد إنكم تدعون سميعا بصيرا)

إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَ ﴾ [المجادلة:١] الآيات

تقول عائشة تبارك من وسع سمعه الأصوات جاءت المجادلة إلي النبي صلى الله عليه وسلم تشكوا إليه في جانب من جانب الغرفة ، وأنا لا أسمع كثيرا من قولها وقد سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فالله جل وعلا سميع بصير يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في ليلة ظلماء لكن أود أن أنبه بإيجاز شديد حتى أعرج على بقية أنواع العبادة التي يذكرها المصنف رحمه الله تعالي أود أجاب فضيلة الشيخ، أنبه أن كثيرا من الناس الآن يشكوا ندعو الله كثيرا أن يبدل الحال ويغير واقع الأمة أن يضمد هذه الجراح وهذه الدماء وهذه الأشلاء ومع ذلك لا نرى تغيرا للواقع أقول لأن لم نفهم إلي الآن قضية الدعاء فهم صحيح على مراد الله وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الدعاء يا أخوة لابد فيه من الأخذ بالأسباب لابد أن تأخذ بالأسباب ، لابد أن تمتثل الأمر وتجتنب النهي وتقف عند الحد وأن تحقق شروط قبول إجابة الدعاء وبعد ذلك تتضرع إلي الله تبارك وتعالي ولا تسأل إلا الله ولا تستعن إلا به جل وجلاله ، الله سبحانه وتعالي يقول في أخر سورة آل عمران تدبروا معي

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١]

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [آل عمران:١٩٢]

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران:١٩٣]

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:١٩٤]

خلي بالك ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ ﴾[آل عمران: من الآية١٩٥] دعوة داع لا ، لا ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ﴾[آل عمران: من الآية١٩٥] .؟

لابد من العمل الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر يستغيث الله عز وجل حتى سقط ردائه من على منكبيه ويأتي الصديق من ورائه ، ويرد الرداء على ظهره يقول (أكثرت مناشدتك ربك يا رسول الله فإنه ينجز لك ما وعدك)

الرسول في أرض المعركة صف الصفوف وجند الجيوش والجند ووقف بينهم صلى الله عليه وسلم وقد أخذ بجميع الأسباب وبعد ذلك تضرع إلي الله تبارك وتعالي ، أما أن يأكل الناس الحرام أما أن يأكل الناس الربا ، أما أن يلوثوا أيديهم بالحرام وبالمعاصي وأن يلوثوا جوارحهم بالمعاصي ثم بعد ذلك نتضرع إلي الله تبارك وتعالي فأنى يستجاب لذلك أخوة ، فالتعن أمة هذا الطرح الذي لابد منه حتى لا نتهم ربنا بالظلم ، يقول لي قائل ألا

يسمع ربنا هذه الدعوات في الحرمين وفي المساجد التي تضج إليه في الليل والنهار بالدعاء ، ألا يغير الله هذا الواقع ألا يبدل الله هذا الحال فلنغير نحن أنفسنا أيها الأفاضل﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ و ﴾[الرعد: من الآية١١] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الأنفال: من الآية٥٣] .

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحِ ﴾ [المؤمنون:٥١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[البقرة: من الآية١٧٢].

ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلي السماء يا رب ، يا رب ، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) .

القضية : الأمة إلي الآن لم تفهم قضية الدعاء ، الدعاء عبادة من أعظم العبادات وقربة من أعظم القربات وطاعة من أشرف الطاعات لم تحقق الأمة هذه الطاعة إلا من رحم ربي تبارك وتعالي فلابد أن تعي الأمة على هذه الحقيقة وأن تعرف الأمة مقتضيات هذه العبادة ألا وهي عبادة الدعاء ، فلنمتثل الأمر ولنجتنب النهي ن فالنقف عند الحد ثم بعد ذلك فالنسأل الله جل وعلا وحده لا يجوز البتة أن يصرف الدعاء لغير الله.

فمن صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك لأنها عبادة من أعظم العبادات وصرف العبادة لغير الله تبارك وتعالي شرك باتفاق ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[البقرة: من الآية١٨٦] لم يقل فقل يا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]

وأود أن أنبه بعض أو كثيرا من إخواننا وأخواتنا ممن يقنطون وييأسون حين ما يدعون الله سبحانه وتعالي ولا يرون الإجابة على الفور ييأس أحدهم ويقنط أحدهم وربما يكف بعد ذلك عن الدعاء وهذا مدخل خطير أيضا من مداخل الشيطان ، روى الإمام أحمد وغيره بسند حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من عبد يدعو الله تبارك وتعالي دعوة ليست إثما أو ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله تبارك وتعالي إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها)

إذاً لا تيأس فإن أجابك الله تعالي على الفور فهذا فضل ورحمة وإن لم يجبك وادخر لك الأجر والفضل في الآخرة فهو أعظم من الأولى ، وإما أن يصرف الله عز وجل عنك من السوء مثلها وأنت لا تدري ، ومن جميل ما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل وفي لفظ مسلم قيل وما الاستعجال يا رسول الله قال يقول أحدهم قد دعوت ، وقد دعوت ولم أرى يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدعو الدعاء ، هذا بإيجاز شديد جدا في هذه العبادة الجميلة العظيمة ألا وهي عبادة الدعاء ، فهيا أذكر نفسي وطلابنا وإخواننا وأخواتنا في أنحاء الأرض كلها الآن وأقول اطرح قلبك الآن أو في جوف الليل بذل وانكسار بين يدي الله ، وارفع أكف الضراعة إلي الله عز وجل وحده وقل :

بك أستجير ومن يجير سواك فأجر ضعيفا يحتمي بحماك

إني ضعيف أستعين على قوى ذنبي ومعصيتي ببعضي قواك

إذأبت يا ربي وأهلكتني ذنوب ما لها من غافر ألاك

دنياي غرتني وعطفك شدني ما حيلتي في هذه أو ذاك

لو أن قلبي شك لم يكن مؤمنا بكريم عفوك ما غوى وعصاك .

رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الخلي هداك

رباه قلب تائب ناجاك اترده وترد صادق توبتي حاشاك ترفض تائبا حاشاك

فاليرضى عنى الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعي لغير رضاك .

(وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *[آل عمران: ١٧٥].

هذا نوع أخر من أنواع العبادة التي لا ينبغي أبدا أن تصرف إلا لله تبارك وتعالي والخوف نوعان :

خوف جبلي طبيعي فطري : وهذا لا شيء فيه ، لا إثم عليك إن أصابك شيء من هذا الخوف ، مثلاً : أن ترى سيارة مقبلة عليك بسرعة فتخاف هذا خوف جبلي ، أن تخاف من الغرق ، أن تخاف من الهدم ، أن تخاف من المرض ، هذا خوف لا شيء فيه فهو خوف جبلي طبيعي فطري .

أما الخوف الذي لا ينبغي أن يصرف إلا لله تبارك وتعالي هو خوف الضر والنفع ، يجب أن تكون على يقين بأن الضر والنفع بيدي الله تبارك وتعالي فأنت لا تخشى من أحد فيما لا يقدر عليه إلا الواحد الأحد ، لكن ربما تخشى إنسانا لأنه يستطيع أن يضرك في أمر ما هذا أيضا لا حرج فيه لكن بشرط أن تكون على يقين أن الضر والنفع بيد الله تبارك وتعالي فهذا لا يملك أن يضرك أو أن ينفعك إلا بأمر الله سبحانه قائل جل وعلا ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسند أحمد بسنن الترمذي وغيرهما بسند صحيح لابن عباس (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) والخوف أيها الأفاضل شعور يملئ القلب فيدفع هذا الشعور صاحبه لعمل الطاعات واجتناب المعاصي فليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ولكن الخائف من يترك ما يخاف أن يحاسبه الله عليه هو ده الخوف يا أخونا مش إن أنا أسمع كلمتين وأبكي ثم بعد ذلك أتجرأ على معصية الله جل وعلا هذا لا يعد خوفا ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ثم بعد ذلك يتجرأ على المعصية ولكن الخائف هو الذي يترك ما يخاف أن يحاسبه الله عليه قال الفضيل بن عياض من خاف الله عز وجل دله الخوف على كل خير وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب قيل للحسن البصري يا أب سعيد إننا نخالط أقواما يخوفوننا بالله حتى تكاد قلوبنا أن تطير يعني من شدة الخوف فقال الحسن البصري إنك إن تخالف أقواما يخوفونك بالله في الدنيا حتى يدركك الأمن في الآخرة خير من أن تخالط أقواما يؤمنونك في الدنيا حتى يدركك الخوف في الآخرة .

وقد أمر الله جل وعلا بالخوف منه في أكثر من موضع قال تعالي﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: من الآية١٧٥]﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٤]

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]

فالله يأمرنا بالخوف منه جل وعلا ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: من الآية١٧٥]

ويقول سبحانه﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[البقرة: من الآية٤٠]

ويقول جل وعلا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[آل عمران: من الآية٣٠]

ويقول جل وعلا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج:١٢]

بل وجمع الله لأهل الخوف أعلى مقامات أهل الجنان من الهدى والعلم والرحمة إلي غير ذلك ، فقال جل وعلا ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤]

وقال جل وعلا : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: من الآية٢٨]

والآيات كثيرة فما فتن الخوف قلبا إلا ودل الخوف صاحب هذا القلب على كل خير ، وحال بينه وبين كل شر ومعصية ، والمؤمن لا يخلوا قلبه أبدا من خوف إن قل وهذا الخوف يزيد ويقل بحسب الإيمان وبحسب معرفة العبد بربه تبارك وتعالي قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية أو أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية فكلما عرفت الله سبحانه وتعالي وكلما عرفت أسماء جلاله وصفات كماله عرفت قدره تبارك وتعالي فامتلئ قلبك بالحي لله والخوف من الله جل وعلا نسأل الله أن يملئ قلوبنا بحبه تبارك وتعالي وبخشيته ورهبته والخوف منه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والخوف درجات ، أو أنواع :

خوف من مكر الله ، قال تعالي ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩]

الأمن من مكر الله علامة شؤم وعلامة خسران والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها حيث شاء ، وما سمي القلب قلبا إلا لكثرة تقلبه وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القلوب أو إن قلوب بني أدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرف حيث شاء ، ثم قال صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي رواية أحمد من حديث أم سلمى قالت يا رسول الله أو أن القلوب لا تتقلب قال ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد إن أشاء الله أقامه وإن شاء الله أزاغه نسأل الله عز وجل أن يثبت قلوبنا ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]

فكم من غني أصبح فقيرا وكم من فقير أصبح غنيا وكم من عزيز أصبح ذليلا وكم من ذليل أصبح عزيزا وكم من طائع أصبح شقيا وكم من شقي أصبح تقي ولي فلا تأمن مكر الله واعلم بأن قلبك كالريشة في مهب الريح تقلبها الريح في الساعة ألاف المرات فقلبك الآن على حال فإن خرجت وجلست مع صحبة يتحول قلبك إلي حال آخر فإن جلست أمام فيلم أو مسلسل يتحول قلبك إلي الحال الثالث وهكذا .

فما سمي القلب قلبا إلا لكثرة تقلبه ومكمن الخطر أن الفتن لا تعرض على السمع والبصر وحسب بل تعرض على القلوب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه (تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مربادا كالجوزى مدخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان وعلى الحق .

إذاً الأمن من مكر الله دليل خسران﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩]

فالخوف من مكر الله جل وعلا علامة من علامات الصدق وعلامة من علامات الإيمان لأن الخوف ثمرة من إيمان ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: من الآية١٧٥]

ثانيا : الخوف من سوء الخاتمة نسأل الله أن يرزقنا حسن الخاتمة ووالله لقد مزق هذا النوع من أنواع الخوف قلوب الصديقين بل قلوب الصالحين وقلوب النبيين والمرسلين النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح البخاري مسند أحمد وسنن الترمذي وغيرها لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه وعثمان بن مظعون يا شباب هو أول من لقب بالسلف الصالح وعثمان بن مظعون هو ممن شهدوا بدرا ، وعثمان بن مظعون لما مات كما في مسلم ومن باب الأمانة العلمية فهناك من أهل العلم من ضعف سند هذه الرواية ومنهم من حسن إسنادها لما مات عثمان بن مظعون قبله النبي وبكى فسالت دموع النبي على خد عثمان ، حديث ضعيف عند بعض أهل العلم إسنادا وحسن عند بعضهم إسنادا الشاهد لما مات عثمان بن مظعون قالت أم العلاء امرأة من الأنصار قالت رحمة الله عليك أبا السائب تقصد عثمان بن مظعون شهادتي عليك أن الله أكرمك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريكي أن الله أكرمه قالت سبحان الله فمن يعني فمن هذا الذي سيكرمه الله إ لم يكرم الله عثمان بن مظعون فمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين ووالله إني لأرجو له الخير ثم قال والذي نفسي بيده لا أدرى ما يفعل بي ولا بكم وأنا رسول الله ،

الخوف من سوء الخاتمة هو القائل بأبي هو وأمي وروحي كما في الصحيحين من حديث بن مسعود وإن أحدكم ليعمل زمان الطويل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وفي لفظ البخاري إنما الأعمال بالخواتيم .

لما نام سفيان الثوري على فراش الموت بكى ، بكى فدخل عليه أحد الناس ليعوده فسمع بكاءه فقال يا أبا عبد الله أتخشى ذنوبك فأخذ عودا صغيرا من الأرض وقال لا ، لا والله لذنوبي أهون من مثل هذا ثم بكي وعلا صوته وقال ولكنى أخشى أن أسلب الإيمان قبل الموت سفيان الثوري إمام الزهد والعدل والعلم والورع يخشى أن يسلب الإيمان قبل الموت وهو على فراش الموت فدخل عليه حماد بن سلمى عليه رحمة الله هو كذلك وقال أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على من كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين فبكى سفيان وقال أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلي ينجو من النار ، الشافعي الإمام إمام العلم لما نام على فراش الموت دخل عليه تلميذ ، وقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولعملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا أدرى أتصير روحي إلي الجنة فأهنئها أم إلي النار فأعزيها هؤلاء هم العلماء ، وهذا معاذ بن جبل

إمام العلماء وسيد الأبكياء وحبيب رسول رب الأرض والسماء الذي أقسم له رسول الله وقال يا معاذ والله إني لأحبك لما ابتلي بطاعون في بلاد الشام ونام على فراش الموت وهو في ريعان شبابه في الثانية والثلاثين من عمره قال لأصحابه انظروا هل أصبح الصباح فنظروا قالوا لا بعد لم يصبح الصباح فسكت ثم قال هل أصبح الصباح قالوا لا بعد ثم قالوا ماذا تريد فقال معاذ بن جبل أعوذ بالله من ليلة صباحها إلي النار ، ثم بكى وقال اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم أنك تعلم أني ما أحببت الدنيا إلا لغرس الأشجار أو لجري الأنهار ولكن لظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء في مجالس الذكر بالركب ثم فاضت روحه وهو يردد كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فالخوف من سوء الخاتمة مزق قلوب الصادقين والصديقين ، نبينا صلى الله عليه وسلم كان يقف بين يدي الله يصلي وبصدره أجيج كأجيج المنجر من البكاء من شدة الخوف من الله تبارك وتعالي .

ثم الخوف من عذاب الله في الآخرة :

ومن أهل العلم من قال ولاشك أن أخطر وأكبر عقوبة أن يحرم العبد من النظر إلي وجه الله تبارك وتعالي في جنات النعيم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٣]

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيحين عن رب العزة تبارك وتعالي : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا إذاً سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأو إن شئتم قوله تعالي ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧])

وقال في الصحيحين صلى الله عليه وسلم : (إن أهون أهل النار عذابا رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان من النار فيغلي منهما دماغه وهو يرى أنه أشد أهل النار عذابا وهو أهون أهل النار عذاب) .

الخوف من عذاب الله في الآخرة ، فالطعام في النار نار والشراب في النار نار والثياب في النار نار طعامهم زقوم ، طعامهم غسلين ، والشراب نار ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[محمد: من الآية١٥]

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [الكهف:٢٩]

حتى الثياب تفصل لهم في النار من النار ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [الحج:١٩]

فالطعام في النار نار والشراب في النار نار والثياب في النار نار وأشد أنواع العذاب أن يحال بينك وبين النظر إلي وجه العزيز الوهاب تبارك وتعالي وهذا قول ربنا ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[التوبة: من الآية٧٢]

أي أكبر من كل ما في الجنة من ألوان النعيم وفي صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه وعن غيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال :(إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تعالي يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضي فيقول الله جل وعلا أفلا أعطيكم أفضل من ذلك فيقول أهل الجنة وأي شيء أفضل من ذلك فيقول ربنا أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبد)

ولله در القائل :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل .

فالخوف أيها الأفاضل ما سكن الخوف قلبا إلا ودل صاحبه على كل خير، وكل قلب ليس فيه خوف الله تبارك وتعالي فهو قلب خرب والخوف خوف من مكر الله وخوف من سوء الخاتمة وخوف من عذاب الله تبارك وتعالي في الآخرة وخوف من أن يحال بينك وبين النظر إلي وجه الله تبارك وتعالي في جنات النعيم ، نسأل الله عز وجل أن يملئ قلوبنا بالخوف منه .

هذه العبادة لا يجوز البتة أن تصرف إلا لله سبحانه بل هي ثمرة من ثمرات الإيمان ، قال تعالي ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: من الآية١٧٥]

(وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً *[الكهف: ١١٠].

َالرجاء مصدر قولهم رجوت ، وهي التي تدل على الأمل الذي هو نقيض أو ضد اليأس قال بن القيم رحمه الله تعالي والرجاء هو الطمع أو النظر إلي سعة رحمة الله جل وعلا ، ومن فقه المصنف أن يقرن الرجاء بالخوف ، فالخوف والرجاء جناحان يطير بهما السالكون إلي الله تبارك وتعالي للوصول إلي كل مقام محمود ولا يمكن أبدا أن يحلق طائر جبار في الفضاء بجناح واحد ، ولو نجح في ذلك لفترة وإن طال فإنه حتما سيسقط لينكسر جناحه الآخر ، فإن غلب عندك جانب الخوف فقط دون الرجاء خطأ ، وإن غلب جانب الرجاء فقط دون الخوف خطأ ، إن غلب الخوف على الرجاء ولم يذكر العبد نفسه بالرجاء قط ربما وصل إلي حالة من القنوط واليأس والخوف والقلق ، وإن غلب جانب الرجاء المذموم الذي سأبينه الآن دون عمل وقع في الخطأ كذلك لأنه سيخرج من الدنيا بلا حسنة ولا طاعة مع ظنه أنه يرجوا الله عز وجل وهنا أقول الرجاء يا إخوة ينقسم إلي ثلاثة أقسام ، وانتبهوا لهذا التأصيل جدا لأم كثيرا من المسلمين الآن لا يحسن أن يفهم الرجاء .

الرجاء ثلاثة أقسام : نوعان محمودان ونوع مذموم

الأول : رجاء رجل يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، الله من بركة العلم أن ننسب العلم لأهله فهذا من نفيس كلام بن القيم شيخي رحمه الله تعالي .

الرجاء أقسام الأول رجاء رجل يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، اللهم اجعلنا من هذا الصنف الكريم .

الثاني : رجاء رجل إذأب وتاب إلي الله جل وعلا وهو يرجو مغفرة الله عز وجل ، هذا محمود أيضا ، وكلنا ذلك العبد ، رجاء رجل إذأب ، كلنا ذلك المذنب لكنه تاب إلي الله جل وعلا واستغفر الله عز وجل وأورثته هذه المعصية انكسارا وذلا لله سبحانه ودفعته إلي الطاعة دفعا ، وهذا كلام بن القيم في موضع آخر رب طاعة أدخلت صاحبها النار ورب معصية أدخلت صاحبها الجنة ، رب طاعة أدخلت صاحبها النار لأنها أورثته عجبا وكبرا وغرورا ومنا على الله سبحانه وتعالي ونسي أن الله جل وعلا هو الذي تفضل عليه وأعانه ووفقه .

ورب معصية أدخلت صاحبها الجنة لأنها أورثته ذلا وانكسارا وتوبة بعد توبة وقربة بعد قربة وطاعة بعد طاعة حتى أوقفته على باب التوبة وأدخلته الجنة بفضل الله جل وعلا .

يبقي رجاء رجل إذاَب ذنبا ثم تاب إلي الله واستغفر الله وهو يرجو مغفرة اله سبحانه وتعالي .

القسم الثالث هو المذموم :

رجاء رجل متماد في المعاصي والذنوب تارك للعمل والطاعة وهو يرجو رحمة الله عز وجل ، وهذا هو التمني ، رجاء رجل متماد في الذنوب والمعاصي تارك للطاعات ومع ذلك يرجو رحمة الله عز وجل وهذا هو التمني .

قال الحسن البصري رحمه الله "إن قوما انتبهوا لهذا الكلام النفيس إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل"

إذاً لو سألت الآن طالب علم وقلت ما الفرق بين التمني والرجاء ؟ التمني يكون مع الكسل وترك العمل رجاء يرجو رحمة الله مع الكسل وترك العمل ، أما الرجاء فهو رجاء وطمع في رحمة الله مع العمل أو مع التوبة والاستغفار وعدم التفريط فشتان شتان بين الرجاء وبين التمني .

هذه أقسام الرجاء قال جل وعلا ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، قال الله تعالي في حديث قدسي (أنا عند ظن عبدي بي) فالنفهم الرجاء من هذا المنظور ، قال الله (أنا عند ظن عبدي بي ، أنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملئ ذكرته في ملئ خير منه وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ينزل الله تبارك وتعالي) ينزل يتنزل تنزلا يليق بكماله وجلاله ، ينزل الله عز وجل كل ليلة إلي السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول ويقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فاغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر .

وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة بالسبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي لأصحابه أترون هذه الأم طارحة ولدها في النار قالوا لا يا رسول الله قال لا الله أرحم بعباده من رحمة الأم بولده) .

إذا قال أحد الصالحين الذين فهموا قضية الرجاء بعمل وطمع في الرحمة بعد ذلك قال اللهم إنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي وأمي لا ترضي لي الهلاك والعذاب أفترضاه لي أنت وأنت أرحم الراحمين ، هذا فاهم لقضية الرجاء يعمل ويطمع في رحمة الله تبارك وتعالي ، وفي سنن الترمذي وفي صحيح مسلم واللفظ للترمذي من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، قال الله تعالي يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا بن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثن لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ، قال جل وعلا ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَد

﴾[الكهف: من الآية١١٠] أي لا تطلب الرجاء إلا من الله جل وعلا ، لا تطلب الرجاء من ملك مقرب ، لا من نبي مرسل لا من ولي مقرب وإنما اطلب من الله سبحانه وتعالي ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[الكهف: من الآية١١٠) لا تسل نبيا ولا تسل وليا وإنما سل الرب العلي جل وعلا (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) كما علم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عباس والأمة من بعده إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إذاً لابد من الخوف والرجاء ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر:٢]

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [غافر:٣] لابد من أن تسير لله تبارك وتعالي بهاذين الجناحين بجناح الخوف وبجناح الرجاء

إن غلب جانب الخوف فذكر نفسك بباب الرجاء وإن غلب عليك باب الرجاء فذكر نفسك بباب الخوف حتى تصل إلي رضوان الله تبارك وتعالي .

قال ابن القيم : اعلم أن العبد إنما وقت ومنازل السير إلي الله تعالي بقلبه وهمته لا ببدنه فالتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح ، قال تعالي ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢]

وقال تعالي ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ [الحج:٣٧] وأشار النبي صلى الله عليه وسلم يوما إلي صدره الشريف وقال التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا .

(ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *[المائدة: ٢٣]. وقوله: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ[الطلاق: ٣].

هذا باب أخر من أبواب العبادة ألا وهو التوكل فوددت والله أن لو طال الوقت لأفردت لكل نوع من هذه الأنواع كاملة ، فأتكلم الآن عن الدين بل ما أحوج الأمة إلي فهم هذه الأبواب وإلي تحقيق معناها ومقتضاها وإلي صرفها لمن يستحق أن تصرف له وحده وهو الله تبارك وتعالي .

التوكل : ما هو التوكل يا إخوة ؟

التوكل وهذا تعريف ابن القيم أيضا رحمه الله ، التوكل هو جماع الإيمان ونهاية تحقيق التوحيد ، دي قضية كبيرة جدا التوكل هو جماع الإيمان ونهاية تحقيق التوحيد (أكمل التعريف) وهو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب ، تعريف شامل جامع رائع .

إذاً الأخذ بالأسباب من التوكل ، ربما يسألني طالب علم يقول قرأت لابن القيم نفسه أن التوكل هو رفض الأسباب نعم لا تعارض لمن انتبه ولا تتعجل حتى تفهم مراد الشيخ رحمه الله رفض الأسباب يقصد بن القيم رحمه الله تعالي برفض الأسباب أن ترفض الأسباب قلبا ، أن ترفض الأسباب بقلبك وأن تتعلق بالأسباب بجوارحك ، فالتوكل رفض الأسباب بالقلب والصلة بالأسباب والتعلق بالأسباب بماذا ؟ بالجوارح فلا تعارض إذاً أبدا ، تفض السباب بقلبك لأننا على يقين أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تمنح إلا بأمر مسبب السباب جل وعلا ، وهذا هو الفارق الكبير بين المؤمن وغير المؤمن ، الغير المؤمن يأخذ بالأسباب فقط

ويعتمد على الأسباب ويتوكل على السباب ولا يرى أمامه ولا من خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله إلا الأسباب فهو يعبد الأسباب.

أما المؤمن يأخذ بالأسباب وقلبه معلق بمسبب السباب فهو لا يعبد السبب أبدا إنما يعبد مسبب السبب تبارك وتعالي .

قال سهل بن عبد الله الدوستري رحمه الله تعالي من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة كلام غالي جدا من طعن في الأسباب فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان يا سلام ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالأخذ بالأسباب سنة النبي والتوكل على الله حال النبي فمن كان على حال النبي فلا يتركن سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث الصحيح رواه أحمد في مسنده وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطان) تغدو أي تخرج في الغدوة في الصباح الباكر خماصاً ، وبطونها فارغة ، وتروح بطانا ترجع وقت الروح وقد رزقها الله سبحانه الذي قال ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود:٦]

وقال جل وعلا ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: من الآية٣]

وقال جل وعلا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾[الطلاق: من الآية٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق: من الآية٣] وقال جل وعلا ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذريات:٢٢]

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذريات:٢٣]

انتهى الوقت تقريبا ولا حول ولا قوة إلا بالله دون أن أكمل بقية الحديث عن الأنواع التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالي لكني أختم بهذه الكلمات وأرجو الله أن أعرج على بقية الأنواع في الإجابة على الأسئلة إن شاء الله عز وجل ، أختم بهذه الكلمات لحاتم الأصم رحمه الله تعالي الذي قيل له بما حققت التوكل فقال بأربعة أشياء علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي ، وعلمت بأن عملي لا يدخله غيري فانشغلت به وعلمت بأن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله ، وعلمت بأن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية ، قيل له فمن أين تأكل إذاً يا حاتم قال ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾[المنافقون: من الآية٧]

وصلي اللهم على نبينا محمد

سؤال :

في حديث استدلال إن القلب بيتقلب فأنا عندي مشكلة أنا في وقت من الأوقات يجعل قلبي بيغلق لدرجة أن أنا مش بقدر أقرأ القرآن أو أقرأ وردي أو أن أتابع الحرز والأشياء دي كلها ، ما هو تشخيص فضيلة الشيخ وبما ينصح ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

الحمد لله نسأل الله عز وجل أن يملئ قلوبنا خشيته والخوف منه سبحانه وتعالي .

قسوة القلب ربما كنت أود أن أتحدث عنها في نوع الخشوع كنوع من أنواع العبادة لكن على أي حال ذهب رجل إلي سفيان الثوري رحمه الله تعالي فقال يا سفيان لقد ابتليت بمرض قلبي فصف لي دوائه فقال سفيان عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع وهذا كله في إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية وأوقد عليه نار الحزن على المعصية وصفه بمصفاة المراقبة وتناوله بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابتعد عن الحرص والطمع تشفي من مرضك بإذاً الله .

هذه وصفة عجيبة جميلة تحتاج إلي وقت كبير إلي منهج عملي وأن رقة وقسوة القلب لا يجدي معها الطرح النظري أبدا لأن قد تسمع منى الآن جواب النبي ، لكن هذا الجواب لم يحول قسوة قلبك إلي رقة ولا يحول جنود قلبك إلي خشية أبدا اللهم إلا إذا حولت هذا الجواب النظري الذي أصلت إلي منهج عملي إلي واقع وقد ذكرت عدة خطوات لإخواني وأخواتي وأبدأ بنفسي فأقول المحافظة على الصلوات في أوقاتها ، المحافظة على الورد اليومي للقرآن حتى ولو شعرت في بعض الأيام بشيء من ، أو القسوة أقرأ ، إقرأ القرآن ، المحافظة على الصحبة الصالحة ، المحافظة على مجلس من مجالس العلم ، المحافظة على زيارة المقابر من آن لآخر لأنها ترقق القلوب وتنتزع بفضل الله عز وجل القسوة منها (كنت قد نهيتكم عن زيارة القلوب فزروها فإنها تذكركم الآخرة) ثم زيارة المرضى ومن أعظم ما أذكر نفسي وإخواني به المواظبة على الذكر كن ذاكر أنت في السيارة وأنت في بيتك وأنت تذاكر وأنت تأكل ، إذا أتيت أهلك ، إذا استيقظت من نومك وإذا لبست ثيابك ، إذا دخلت بيتك وإذا خرجت من بيتك وإذا ركبت السيارة ورأيت المطر وإذا سمعت صوتا الديك وإذا سمعت صوت الحمار كن دائما ذاكرا لله تبارك وتعالي فالذكر يحيى القلوب ، قل صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين والحديث لأبي موسى الأشعري مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت وبعد ذلك أيضا أذكر نفسي وإخواني بركعات تؤديها في جوف الليل الله الليل أنس المحبين وروضه المشتاقين وإن لله عباد يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون إلي غروب الشمس كما يحن الطير إلي أوقاره حتى جن لهم الليل واختلط الظلام ونصبت الفرش وخلى كل حبيب بحبيبه قاموا فنصبوا لله أقدامهم وافترشوا إلي الله جباههم وناجوا ربهم بقرآنه وطلبوا إحسانه ، فوالله إن أول ما يمنحه ربهم أن يقذف النور في قلوبهم ، أسأل الله عز وجل أن يرقق قلوبنا ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل إنه ولي ذلك ومولاه .

سؤال :

هناك دعاء مسألة ودعاء عبادة فما الفرق بينهما وكيف يحققهم المسلم ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

الدعاء قسمان دعاء طلب أو مسألة أو حاجة ودعاء عبادة ربما أكون قد تعرضت في ثنايا المحاضرة إلي هذا فدعاء المسألة أو دعاء الطلب كما بينت في الآيات الكثيرة أن تسأل الله سبحانه وتعالي ما تريد وقلت بأنه لا ينبغي أن تسأل نبيا أو أن تسأل وليا أو أن تسأل بشرا في ما لا يقدر عليه إلا الحق تبارك وتعالي ، فالسؤال عبادة من أعظم العبادات التي لا ينبغي أن تصرف إلا عز وجل .

أما دعاء العبادة فقد بينت ذلك وأصلته بقول الحق تبارك وتعالي ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [غافر:٦٠]

فاستدل المصنف رحمه الله تعالي في هذه الآية على أن الدعاء هو العبادة معني ذلك أن الدعاء حين إذاً كل صور العبادة التي لا ينبغي أن تصرف إلا لله الحق تبارك وتعالي .

الدعاء هو العبادة كما في حديث الإمام أحمد ومصنف بن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد الدعاء هو العبادة ، فإذاً دعاء حاجة دعاء مسألة ، دعاء طلب هذا نوع من أنواع العبادة ولا ينبغي أن تكون إلا لله عز وجل ، والدعاء الذي هو بمفهوم العبادة كما في الآية وكما في الحديث وهذا أيضا لا ينبغي أن يصرف إلا لله تبارك وتعالي وهوكل أنواع العبادة وكل أنواع الطاعة .

إذا عرفنا الدعاء في هذه الحالة الثانية بأنه العبادة كما في الآية وكما في قول رسول الله الدعاء هو العبادة والدعاء بقسميه لا ينبغي أن يصرف إلا لله ولا يجوز أن نسأل نبيا ولا يجوز أن نسأل وليا وإنما إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، فصرف الدعاء بقسميه لغير الله تبارك وتعالي شرك أعاذاَا الله عز وجل وإياكم منه وأسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوحيد الخالص إنه ولي ذلك ومولاه .

سؤال :

هناك أنواع من الدعاء إن الإنسان يدعوا فلا يستجاب له فهل هذا السبب عدم الإخلاص ، حيث أن أنواع الدعاء منه أن الله يستجيب للإنسان أو يرفع عنه بلاء أو يدخره له في الآخرة فكيف يعرف الإنسان إن هذا الدعاء ادخر له في الآخرة إذا لم يستجيب له ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

ذكرت أن لقبول الدعاء شروطا فإن حقق العبد شروط قبول أو في إجابة الدعاء واختار الأوقات التي بينها لنا نبينا صلى الله عليه وسلم وعرفنا أنها من أوقات إجابة الدعاء ثم بعد ذلك لم يستجب الله عز وجل له في الحال فيكن على ثقة ويقين في ربه تبارك وتعالي ما لم يدعوا بإثم أو قطيعة رحم أن الله قد ادخر له ذلك في الآخرة أو صرف عنه من السوء ما لا يدري هو لا يعلم بنص الحديث كما ذكرت بشرط أن يحقق شروط إجابة الدعاء وأن يتضرع إلي الله عز وجل في أوقات قبول الدعاء ولا يتسع الوقت لذكر ذلك وقد أفردناه بفضل الله عز وجل في كثير من الأشرطة يحقق ذلك ويمتنع عن أكل الربا وعن أكل الحرام ولا يدعوا بإثم ولا يدعوا بقطيعة رحم إن لم يحقق الله عز وجل له سؤله بعد ذلك فيكن على يقين بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قد ادخر له جواب مسألة هذا في الآخرة ولو وقف بين يدي الله ورأى فضل هذه الدعوة يوم القيامة لرجا ربه سبحانه وتعالي أن لو ادخر له كل دعواته التي دعا بها في الدنيا إلي مثل هذا اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ، أو فليكن على يقين أن الله عز وجل قد صرف عنه من السوء مثلها هذا بالموعود والصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، أما ألا نحقق شروط الدعاء ، أما أن نتجرأ على الله سبحانه وتعالي وأن نركل الحرام وأن نركل الربا وأن نطعم الحرام وأن نشرب الحرام وأن نغذي أبداننا بالحرام وبعد ذلك نمد أيدينا إلي السماء ونقول يا رب فقد بين لنا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن هذا الصنف لا يقبل الله عز وجل منه الدعاء حتى يستغفره ويتوب إليه ويحقق شروط الإجابة وقبول الدعاء ، أسأل الله سبحانه وتعالي أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، مر إبراهيم بن أدهم رحمه الله على بعض المسلمين في سوق البصرة فقالوا يا إبراهيم ما لنا لا ندعوالله فلا يستجاب لنا قال لعدة أسباب وذكر أسبابا رائعة جميلة قال عرفتم الله عز وجل فلم تؤدوا حقوقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا به وجعلتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته وأكلتم نعم الله تبارك وتعالي ولم تؤدوا شكرها وقلتم بأن الجنة حق ولم تعملوا لها وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها وانتبهتم من النوم فانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم وإلي آخر هذه الأسباب فلابد أن نعي قضية الدعاء حتى لا نتهم ربنا تبارك وتعالي بالظلم قال جل وعلا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: من الآية٤٦] .

سؤال :

كيف التوكل كيف نرد على الذين يتكلمون هذا الإنسان مصير أو مخير في أمر التوكل وهل كل ما يصيب الإنسان هذا بقدر الله أم لابد من أخذ الأسباب في هذه الأمور ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

هذه هاتان اللهوتان كما سأبين إن شاء الله ونحن نتحدث في الركن السادس من أركان الإيمان في الأصل الثاني من أصول هذا الدين أو من الأصول الثلاثة المصير والمخير أو لفظتان لا أصل لهما يعني لم يستعملون سلف الأمة قط ولكننا نستعملهن كما قال شيخ الإسلام بن تيميه جرا على الرد على المخالف أو على السائل لكن هذه الألفاظ لم تستخدم قط على ألسنة سلفنا رضوان الله تبارك وتعالي عليهم أجمعين وسأبين أن كل شيء بفضل الله تبارك وتعالي بقدر الله والإيمان بالقدر له مراتب مرتبة العلم ومرتبة الكتابة وتحتوى على خمسة تقادير ومرتبة الخلق ومرتبة المشيئة والإرادة يعني لا أدري هل يتسع الوقت لذكرها الآن أم لا على وجه السرعةمرتبة العلم أن تعلم أن الله علم ما كان وما يكون وما سيكون والأدلة على ذلك كثيرة جدا من القرآن ، المرتبة الثانية مرتبة الكتابة الله عالم ثم كتب ومرتبة الكتابة تشتمل على خمسة تقادير فكلام نفيس جدا مرتبة الكتابة تشتمل على خمسة تقادير التقدير الأجلي أول ما خلق الله القلم قال له أكتب قال له ما أكتب قال أكتب كل ما هو كان إلي يوم القيامة حديث سنن أبي داود حديث صحيح بسند صحيح وبعد ذلك التقدير في الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]

وفي أحد الأحاديث في مسند الإمام أحمد عند بن حبان والحاكم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مسح الله على ظهر آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلي يوم القيامة واستنطقها فنطقت فريق في الجنة وفريق في السعير وما ربك تنبارك وتعالي بظلام للعبيد تقدير في يوم الميثاق الله قدر أهل الجنة وقدر أهل النار وأما التقدير الثالث التقدير العمري وهو تقدير النطف في الأرحام ولا يتسع الوقت لذكر الآية والدليل حديث صحيح مسلم حديث أنس صحيح الصحيحين من حديث أنس (إن الله تعالي وكل بالرحم ملكا فيقول الملك أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة أي رب ذكر أم أنثى أي رب أشقي أم سعيد أي رب ما أجله أي رب ما أسمه) وفي رواية سيكتب الملك ويقضي ربك ما شاء .

التقدير الرابع هو التقدير الحولي وهو في ليلة القدر قال تعالي ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان:٤]

حتى قال بن عباس تقسم فيها الأرزاق والآجال ويكتب الرجل من الموت فتراه يمشي بين الناس في الأسواق ولا يدرى أنه قد كتب في الموت في هذا العام والتقدير الأخير هو التقدير اليومي وهو المذكور في قوله تعالي ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[الرحمن: من الآية٢٩] يغفر ذنبا ويستر عيبا ويفرج كربا إلي آخره هذه التقادير كلها في المرتبة الثانية من مرتبة الإيمان بالقدر ألا وهي مرتبة الكتابة وفي صحيح مسلم حديث عبد الله بن عمرو أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالي كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، بس خلي بالك التقدير المذكور في الحديث تقدير خمسين ألف سنة هو زمنه الكتابة وليس زمن التقدير التقدير ، هذا زمن التقدير وليس زمن التقدير والتقدير أجلي ثم بعد ذلك المرتبة الثالثة مرتبة الخلق قال الله تعالي " وهو خلقكم وما تعملون " فأنت وفعلك مخلوق الله تبارك وتعالي هو معتقد أهل السنة والجماعة والمرتبة الرابعة وهي مرتبة المشيئة والإرادة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن إلي آخره وسنفصل إن شاء الله تبارك تعالي الشاهد أن كل شيء في الكون بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]

" كذلك يضل الله ما يشاء ويهدي من يشاء " إلي أخر هذه الأدلة لهذا الباب لكن لابد أن تعلم الأخت الفاضلة ويعلم كل مسلم أن الله عليم حكيم فأنا حين أعطي ولدا من أولادي وحين أمنع ولدا أخر فأنا أعطي لحكمة وأمنع

لحكمة وأن الحكمة التي وفقني الله بها فأعطيت ومنعت إنما هي هبة لله تبارك وتعالي يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

أقول افأحكم لنفسي وأمنح نفسي الحكمة حين أعطيت وحين منعت وأسلب الحكمة عن يعطي وحين يمنع فلا ينبغي ذلك على الإطلاق الله جل وعلا لا يعذب أهل السماوات وأرضه لعذبهم وغير ظالم لهم ، فالكون كونه والملك ملكه تبارك وتعالي وللمالك وللملك أن يفعل في ملكه وفي كل من في ملكه ما شاء سبحانه وتعالي ، فكل شيء بقدر ، والإيمان بالقدر لو فهمه العبد لسعد به في الدنيا والآخرة ، فالقدر يحتج به في المصائب ولا يحتج به في المعائب كما قال شيخ الإسلام ولا يمنع هذا من أن تأخذ بالأسباب كما ذكرت فالتوكل أن تأخذ بالأسباب وأنت على يقين أن مسبب الأسباب تبارك وتعالي بيده كل شيء ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ .

سؤال :

إذا المرء بكى خوفا من الله سبحانه وتعالي ثم عصى بسبب ما به من مس هل يؤثم على ذلك ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

أسأل الله سبحانه وتعالي أن يرفع عنا وعنها البلاء يعني إن عصت الأخت فهمت من سؤالها الآن أنها تعصي الله تبارك وتعالي على غير إرادة منها ، فإن كانت كما تقول أو كما فهمت أنا من سؤالها أنها تقع في المعصية على غير إرادة منها قد تكون مسحورة مثلا أو قد تكون ممسوسة وهي لا تعي في هذه اللحظة لا تعي ما تفعل ولا تدرك ما تفعل فمعلوم أن مناط التكليف هو العقل فإذا كان الإنسان لا يعي ولا يدرك ما يقول : لا إثم عليه أما إن كانت تعي ما تقول وتدرك ما تقول وتعصي الله سبحانه وتعالي فلا شك أنها معصية وأنها آثمة ويجب عليها أن تحدث بعد هذه المعصية توبة وألا تيأس ولا تقنط أسأل الله أن يعفوا عنها البلاء وأن يتوب علينا وعليها إنه على كل شيء قدير .

سؤال :

رجل يدعي علم الغيب أنه يرى الماء تحت الأرض بمجرد النظر بدون أي جهاز ما الحكم في من صدق مثل هذا الرجل ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

والله الأمر يحتاج إلي تفصيل لكنني أسقط الحكم على الإطلاق فأقول من يدعي علم الغيب فقد كفر ، هذا حكم على الإطلاق ، أنا لا أسقط الحكم على معين الآن ألا وقد بينا أن هنالك فارق بين الحكم على الإطلاق وبين الحكم على التأييد ، فأنا أسقط الحكم على الإطلاق وأقول من يدعي علم الغيب فقد كفر لأن هذا أمر خاص بالله تبارك وتعالي وحده لا يعلم الغيب إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤]

فلا يعلم الغيب إلا الله بل لا يعلم الغيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ادعى علم الغيب فهو طاغوت من الطواغيت وقد أشرك بالله تبارك وتعالي بل هو رأس من رؤوس الطواغيت الذي يدعي علم الغيب .

هذا حكم على الإطلاق ، أما هذه المسألة الخاصة فلابد من أن تقام الحجة المثالية الخاصة على من يزعم ذلك أو من يدعي ذلك ربما يكون مسحورا وربما يكون ممسوسا ، ربما يكون مريضا ، فلابد إذن من إزالة الشبهة ومن إزالة الجهل ولابد من تحقيق العلم إلي غير ذلك من تحقيق الشروط ونفي الموانع ثم بعد ذلك نستطيع أن نسقط هذا الحكم على معين من الناس .

أما الحكم على الإطلاق فمن ادعى علم الغيب فهو رأس من رؤوس الطواغيت إذ لا يعلم الغيب إلا الله ، والله أعلم .

سؤال :

إذا كانت المزاحمة للعلماء هو من أهم الأسباب التي معاذ رضي الله عنه الدنيا من أجلها أسأل وأقول هل هو من غير الحكمة أن يعيش الإنسان أهله في مستوى أقل مما هم عليه من أجل طلب العلم ، علما أن ضروريات الحياة من أكل وشرب ولباس ومسكن إلي آخره ستكون متوفرة إن شاء الله ، وكيف يقوى الإنسان همته وهمة من معه على ذلك؟

أجاب فضيلة الشيخ :

الهمة رزق من الله تبارك وتعالي ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد:٢٦]

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

تعظم في عين الصغير صغاره وتصل في عين العظيم عظائم

ولله در المتنبئ إذ يقول :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام .

ومن يتهيب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر

فأنا أذكر نفسي وأخواني بأن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر ، فلا ينبغي أن نشغل كل أوقاتنا بهذه الدنيا ، أنا لا أقول اترك الدنيا أبدا أبدا الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهمعنها ودار غنى لمن تزاود منها فهي مصلي أنبياء الله ومتجر أولياء الله ربح فيها الرحمة اكتسبوا فيها الجنة فهي قنطرة للآخرة وهي مزرعتنا للآخرة فأنا لا أقول فلنترك الدنيا فأنا لا أقول لا ينبغي أن يستسلم الإنسان لهذه الطاحونة طاحونة العمل وساقية الدنيا وإلا فوربي لم يستيقظ ولم يفيق إلا وهو في بين معسكر الموتى .

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتن

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجةواتخذوا صالح الأعمال فيها سفن

فأنا أقول للأخ الكريم وإخواني جميعا فليحرص على أن يحقق لأهله ولأولاده حياة طيبة كريمة لكن في الوقت ذاته لا ينبغي أبدا أن يضيع دنياه دون أن يفرد وقتاً من أوقاته لطلب العلم عن الله ورسوله .

فالجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم قبل النشور نشور

فلابد من أن يفرغ من وقته وقتا يتعلم عن الله ، يتعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بالعلم تتعرف عليه وتزداد حبا له وتزداد خشية منه وعلى قدر علمك يكون خوفك وتكون خشيتك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: من الآية٢٨]

قال صلى الله عليه وسلم أنا أشدكم أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خشية فاليجمع بين هذا وذاك بلا إفراط ولا تفريط وأختم بهذا الدواء النبوي الجامع الجليل المتوازن اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح أخرتى التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر .

إذاً لابد من التوازن بين الدين والدنيا بين الجسد والروح بيد الدنيا والآخرة ، وأسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم والعمل إنه على كل شيء قدير .

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(قال المصنف- رحمه الله تعالى- ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].)

(ودليل الخشية قوله تعالى:﴿ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [البقرة: ١٥٠].)

(ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: ٥٤].)

(ودليل الاستعانة قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥].)

(وفي الحديث (إذا استعنت فاستعن بالله).)

(ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ [الفلق :١]. و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس].)

(ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩].)

(ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٢].)

(ومن السنة (لعن الله من ذبح لغير الله).)

(ودليل النذر قوله سبحانه وتعالى :﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرٍ ﴾ [الإنسان: ٧].)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله -تعالى- من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله- اللهم صلِ وسلم وزد وبارك عليه- وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى بأثره إلى يوم الدين.

أما بعد فحياكم الله جميعا أيها الأخوة الفضلاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم- جميعاً- من الجنة منزلاً وأسأل الله- جل وعلا- الذي جمعنا في هذا اللقاء المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه.

أيها الأحبة لا يتسع الوقت أبداً لإفراد هذه الأنواع من أنواع العبادة التي ذكرها المصنف- رحمه الله تعالى- فنحن نود- اليوم- أن نشرع في الحديث- بإذن الله تعالى- في الأصل الثاني من الأصول الثلاثة لكنني في عجالة سريعة أقول:

الأصل الأول: هو معرفة الله -جل وعلا- وإذا قيل لك: من ربك؟ فواجب عليك أن تقول بلسانك وأن تعتقد بقلبك وأن تترجم هذا بجوارحك: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته وما أكثرها فالكون كله من العرش إلى الفرش ومن السماء إلى الأرض مشحون بالآيات والمخلوقات التي تخاطب القلوب النقية والفطرة السوية على أن الذي يستحق أن يفرد بالعبادة- وحده- هو الله- جل وعلا - بلا منازع ولا شريك.

ثم ذكر المصنف– رحمه الله تعالى– بعض أنواع العبادة، وقد تحدثنا بالتفصيل في اللقاء الماضي عن الدعاء كنوع من أنواع العبادة وعن الخوف من الله– تبارك وتعالى– وتحدثنا أيضا عن الرجاء وعن أقسامه ولا يتسع الوقت أبداً لإفراد كل نوع من أنواع العبادة التي استمعنا إليها الآن من كلام المصنف –رحمه الله تعالى–
فبالجملة أقول: العبادة / هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة والجهاد وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران والإنفاق على الفقراء والمساكين والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى المساكين والإحسان إلى الفقراء وكذلك التوكل والدعاء والرجاء والإنابة والتفويض والرغبة والرهبة والخوف والخشية والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر، كل هذا وغير، هذا من العبادة ،ولا يتسع الوقت لذكر هذه الأنواع بالتفصيل بالجملة أقول: الله– جل وعلا– وحده– هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة وهو الذي يستحق أن يفرد بالتوحيد ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢– ١٦٣].

ويجب على كل مسلم أن يعلم يقيناً أن العبادة لا تصرف إلا لله فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله – تبارك وتعالى– فقد أشرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والعبادة كما ذكرت ليست أمراً هامشاً على جانب الطريق بل هي الصيحة الأولى لكل رسالة والدعوة الأولى والأمر الأول لكل نبي ورسول فما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه بقوله: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

أسأل الله – سبحانه وتعالى– أن يرزقنا جميعاً وإياكم التوحيد الخالص، وأن يوفقنا لعبادته وطاعته إنه ولي ذلك والقادر عليه. وأعتذر مرة أخرى لعدم إفراد كل الأنواع التي ذكرها المصنف–رحمه الله تعالى– بالتفصيل كما فعلنا في الحلقة الماضية وإلا لاحتجنا– والله العظيم– إلى مجموعة أخرى متساوية من الحلقات التي قدمناها.
اللهَ أسأل: أن يرحم المصنف رحمة واسعة على بلاغته وإيجازه ، وأن يتقبل منا ومنه ومنكم –جميعاً– صالح الأعمال . ولنشرع الآن على وجه السرعة لنتحدث في الأصل الثاني من الأصول التي ذكرها المصنف –رحمه الله تعالى–.

فضيلة الشيخ قبل أن نشرع ، هل هناك أسئلة في الحلقة السابقة؟

نعم السؤال الأول أطرحه أقول: بما عرفت ربك؟

والسؤال الثاني: من ربك؟

والسؤال الثالث: اذكر بعض أنواع العبادة التي يجب أن تصرف لله– وحده– مدعماً ما تقول بأدلة القرآن والسنة.

نعم الأصل الثاني:

(قال المصنف –رحمه الله تعالى– الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة ،والبراءة من الشرك وأهله. وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام).

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة ثم عرف المصنف – رحمه الله تعالى– الإسلام فقال:(الإسلام هو الاستسلام لله– تبارك وتعالى– بالتوحيد ،والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان).

الإسلام–أيها الأفاضل– هو: المنة العظمى والنعمة الكبرى وهو الدين الذي ارتضاه الله لأهل سماواته وأرضه . ولا يوجد عند الله تبارك وتعالى دين إلا الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

فماذا فقد من وجد الإسلام ؟وماذا وجد من فقد الإسلام؟ الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الإسلام دين نوح قال –تعالى– في سورة يونس: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ [يونس: ٧١]. إلى قوله –عز وجل– حكايةً عن نوح ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

والإسلام دين إبراهيم قال تعالى :﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧– ١٢٨].

الإسلام دين موسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– قال الله تعالى حكاية عنه في سورة يونس: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

والإسلام دين عيسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– قال تعالى :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

والإسلام دين يوسف –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– قال تعالى حكاية عنه: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

والإسلام دين سليمان –على نبينا وعليه الصلاة والسلام – قالت ملكة سبأ : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٢٩– ٣١].

والإسلام دين الجن المؤمن قال الله تعالى حكاية عن الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١٤) وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

والإسلام دين لبنة التمام ومسك الختام المصطفى –صلى الله عليه وسلم– الذي أنزل الله عليه قوله ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة: ٣]. فالإسلام دين الله –تبارك وتعالى– ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. هو الدين الذي ارتضاه الله لأهل سماواته وأهل أرضه ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ [آل عمران: ٨٣]. هذا إسلام قدري لكن الإسلام الذي يرتضيه ربنا– تبارك وتعالى– هو الإسلام الاختياري . فالفقر نوعان: فقر اضطراري وفقر اختياري، أما الفقر الاضطراري فهو فقر جميع المخلوقات إلى الله –تبارك وتعالى– فكل مخلوق في الكون فقير إلى الله بالذات، أما الفقر الاختياري فهو فقر أوليائه، فقر أنبياءه ورسله، وموحديه في كل زمان ومكان، وعلى قدر فقرك –من هذا النوع – يكون قربك ،وتكون عبوديتك لله– تبارك وتعالى– وهو الإسلام الذي عرفه المصنف بقوله:(الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله) هذا هو الإسلام في الجملة:

الاستسلام لله -تبارك وتعالى- بالتوحيد/ أن تقر لله -جل وعلا- بالوحدانية، وأن تفرده وحده- سبحانه وتعالى- بالعبادة ، كما ذكرنا في آيات كثيرة قبل ذلك ،وأن تنقاد له -سبحانه وتعالى-، أن تمتثل أمره، وأن تجتنب نهيه ،وأن تقف عند حدوده -عز وجل-، وأن تتبرأ من الشرك وأهله ،فلا يصح لك - أبداً- إسلام إلا بالبراءة من الآلهة والأنداد والأرباب والطواغيت ، إلا بالتخلية قبل التحلية قال جل وعلا: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. انتبهوا لقد قدم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله هذا هو التخلية، هذا هو شق النفس كما سنبين الآن في معنى الشهادة هو التخلية ، لابد أن تخلي القلب من كل شريك من الآلهة المكذوبة، من الطواغيت ،من الأنداد، من الأرباب؛ليصبح القلب خالياً لعبادة الله- تبارك وتعالى- وحده ،بلا منازع ولا شريك؛ فقدم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ؛ إذ لا يمكن أبدا أن يجتمع الإيمان بالطاغوت والإيمان بالله في قلب أبدا وإنما لابد أن يطرد أحدُهما الآخرَ، إما أن يستقر في القلب إيمان بالله وحده بلا منازع أو شريك - ولا يكمل أبدا إلا إذا تبرأت من كل إله باطل مكذوب- وإما أن يطرد الكفرُ -والعياذ بالله- الإيمانَ من القلب إذاً: لابد من التخلية قبل التحلية وهذا هو معنى لا إله إلا الله . فلا إله نفي ، وإلا الله إثبات قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: النفي المحض ليس توحيد قل: لا إله هذا نفي محض أنت نفيت التوحيد لا إله إلا الله النفي المحض ليس توحيدا وكذا الإثبات بدون النفي ليس توحيدا بل يجب أن يكون التوحيد متضمنا للنفي والإثبات مع يعني في وقت واحد تقول: لا إله إلا الله يعني لا معبود بحق سوى الله فهي تنفي وتثبت -كما سنفصل الآن- ثم ذكر المصنف أن الإسلام(له ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان) وهذه المراتب مأخوذة من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديث طويل الذي ذكره المصنف ---رحمه الله تعالى- في مرتبة الإحسان، لكنني أذكره الآن لحاجتنا إليه الآن الحديث في صحيح مسلم -ولا حرج أن أقدم أيضا الحديث للمقدمة البديعة التي ذكرها الإمام مسلم- رحمه الله تعالى- من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ذكر مقدمة عبد الله ابن عمر التي من أجلها ساق هذا الحديث الطويل البديع عن عمر بن الخطاب عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال مسلم:- رحمه الله- حدثنا أبو خيثمة -زهير بن حرب حدثنا تهمس عن وكيع عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني) يعني كان أول من قال بنفي القدر بالبصرة معبد الجهني . قال:(فانطلقت أنا وحميد ابن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن عقول هؤلاء في القدر قال: فوفق لنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنها- داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله وقلت: (أبا عبد الرحمن) ينادي على ابن عمر (أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم) يعني: يبحثون عن غوامض العلم وخوافيه ودقائق مسائله (وذكر من شأنهم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف يعني مستأنف) يعني لا يعلمه الله إلا بعد وقوعه وحدوثه(فقال: عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم: أني بريء منهم، وأنهم برآء مني ،والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال: حدثني أبي. الله عبارة جميلة كنت أتمنى أو أود لأن التمني مستحيل وإن شاء الله هذا يسير بإذن الله على الله -عز وجل- وددت أن لو أفردت محاضرة كاملة لهاتين الكلمتين من عبد الله بن عمر حدثني أبي منهج تربوي ، وقد أفردت له بالفعل محاضرة في شريط من الأشرطة لكن وددت لو أفردنا محاضرة كاملة عبر هذا الفضائية المباركة لهذا المنهج التربوي الأصيل(حدثني أبي) ثم ساق عبد الله بن عمر الحديث الطويل (حدثني أبي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسند ركبتيه إلى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه ثم قال: يا محمد -صلى الله عليه وسلم- أخبرني عن الإسلام. قال صلى الله عليه وسلم : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر) هذا الركن الذي من أجله ساق ابن عمر هذا الحديث الطويل (والقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان . قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها

بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق، فلبثت ملي) يعني عمر(ثم قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لعمر:أتدري من السائل يا عمر؟ قال عمر: الله ورسوله أعلم. فقال الصادق عليه الصلاة والسلام : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) إذاً: بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الدين، أن الإسلام يتكون من هذه المراتب: الإسلام، الإيمان، الإحسان. كل ركن من أركان الإسلام له تفصيل ويحتاج– والله– إلى وقت طويل لكن نعيد مرة أخرى على أسماعكم قول المصنف– رحمه الله تعالى–:

(قال المصنف رحمه الله فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].)

هذا هو دليل الركن الأول من أركان الإسلام نشرع لنبين أركان الإسلام. تلك الأركان التي بيَّنها نبينا –عليه الصلاة والسلام– في حديثه الصحيح في البخاري ومسلم وحديث ابن عمر قال– عليه الصلاة والسلام–: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فالشهادتان ركن واحد لا تنفصل شهادة عن الأخرى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيل) وقد ذكر المصنف فقال: وحج بيت الله الحرام إذاً هذه أركان الإسلام.

الركن الأول: – أيها الأحبة– هو الشهادتان. يا حبذا لو قرأنا قول المصنف في الشق الثاني للشهادة لأكمل الحديث –إن شاء الله – مرة واحدة في هذا الركن.

(قال ومعناها لا معبود بحق إلا الله وَحَدُّ النفي من الإثبات لا إله نافياً جميع ما يعبد من دون الله إلا الله مثبت العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٨].)

(وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].)

(ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وحذر وألا يعبد الله إلا بما شرع).

هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– طيب الله ثراه– : إن دين الله الذي هو الإسلام مبني على أصلين: الأول: أن نعبد الله –عز وجل– وحده لا شريك له. والثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله– صلى الله عليه وسلم – وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فبالشهادة الأولى يعرف المعبود –عز وجل– ؛وبالشهادة الثانية يعرف الطريق الموصل إلى المعبود –عز وجل– لأن كل الطرق إلى الله مسدودة إلا من طريق النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–. إذن الركن الأول من أركان الدين الذي لا يصح إسلام المرء إلا به هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

الشهادة: أن تكون باللسان أن تقر بلسانك بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،وأن تصدقك بقلبك،وأن تترجم هذه الشهادة بمقتضياتها بأعمالك وجوارحكم ، وقد أصلنا قبل ذلك أن الإيمان قولا باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، والإسلام والإيمان إن أفرد لفظ الإسلام يدخل فيه الدين كله كما ذكرنا يدخل فيه الإيمان ويدخل فيه الإحسان ، وإن أفردنا الإيمان يدخل فيه أيضا الدين كله كما سأبين- إن شاء الله تعالى-، وإن ذكرنا الإسلام والإيمان معا فالإسلام يراد به أعمال الظاهر والإيمان يراد به أعمال الباطن عند كثير من أهل العلم -رحم الله الجميع- إذاً الركن الأول هو أن يفرد الله -عز وجل- بالعبادة والإقرار لله -تبارك وتعالى- بالعبادة ، بالألهوهية (لا إله إلا الله نفي وإثبات) معناها (لا معبود بحق سوى الله) لا إله: نفي للأرباب ،نفي للأنداد، نفي للآلهة ،نفي للطواغيت .إلا الله: إثبات لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وقد ذكرت قبل ذلك أن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام إنما هو تقسيم نظري لمجرد الدراسة فقط وإلا فإن التوحيد كلٌ لا يتجزأ ولا ينفصل قسمٌ عن الآخر. أبدا التوحيد كل لا يتجزأ فكلمة التوحيد إفراد الله- تبارك وتعالى - وحده بالعبادة بلا منازع أو شريك واستدل المصنف استدلالاً رقيقاً جميلاً جداً بقول الله- تبارك وتعالى - :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

الله! نفي وإثبات. استدل على النفي والإثبات بهذه الآية وهو استدلال غاية في الجمال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾. هذا مراده في القوم: لا إله وتبرأ من كل الآلهة المكذوبة التي يعبدها قومه من الأقمار والنجوم والأصنام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾. نفي لكل هذه الآلهة التي تعبد من دون الله- تبارك وتعالى- ثم يثبت العبادة لله وحده فيقول: ﴿ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾. أي فطرني على التوحيد والإيمان وهو وحده الذي يهديني إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ إثبات للعبادة والألوهية لله -سبحانه وتعالى- وحده، بلا منازع أو شريك . ولنا في إبراهيم الأسوة والقدوة كما قال ربنا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤]. إذاً: الركن الأول: لا إله إلا الله محمداً رسول الله ،فمن أفرد الله وحده بالعبادة ولم يؤمن برسول الله فقد كفر قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقاًّ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]. إذن لابد من الإيمان بالله والإيمان بمحمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمن آمن بالله وآمن بجميع الأنبياء والمرسلين وكفر بسيد النبيين والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- فقد كفر؛ فمن المعلوم كما ذكرت قبل ذلك أن الله ما أرسل إلى قوم نوح إلا نوحاً -عليه الصلاة والسلام - ومع ذلك لما كذب قومه نوحاً قال الله تعالى :﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. ومن المعلوم أن الله ما بعث إلى قوم لوط إلا لوطاً- عليه السلام- فلما كذب قوم لوط لوطاً قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠].

ومن المعلوم أن الله ما بعث إلى قوم عاد إلا هوداً- عليه السلام - فلما كذب قوم عاد هوداً قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣].

ومن المعلوم أن الله ما بعث إلى قوم ثمود إلا صالحاً- عليه السلام- فلما كذب قوم ثمود صالحاً قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١].

فمن كذب نبياً واحداً من الأنبياء فقد كذب جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن كفر بنبي فقد كفر بجميع إخوانه من النبيين والمرسلين قال الله تبارك وتعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فنحن لا نفرق بين أحد من المرسلين في أصل الإيمان ، لكننا نفضل بعضهم على بعض كما بيَّن ربنا وبيَّن نبينا، كما في الصحيحين في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: (فضلت على الأنبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب) وفي لفظ البخاري (مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) وقد فضل الله نبينا –صلى الله عليه وسلم– على أولي العزم الخمسة بل على الخليل الكريم إبراهيم فهو سيد الأنبياء وإمام الأصفياء الأتقياء، بل هو الإمام الأعظم كما قال الإمام الحافظ ابن كثير: الذي إن وجد في أي عصر لوجب على أهل الزمان أن يؤمنوا به وأن يتبعوه ولو كان نبيا من الأنبياء قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

وسامحونا على سرعة الإلقاء لأن الموضوع طويل جدا وأنا أود أن أعرج على أكبر قدر ممكن من الأصل الثاني أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم جميعا صالح الأعمال.

إذاً: الركن الأول بإيجاز من أركان هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهو الركن الذي لا يصح أبدا لإنسان دين على وجه الأرض إلا به . وهذه الشهادة ليست كلمة يرددها اللسان، دخاناً يطير في الهواء بل لابد من إقرار اللسان وتصديق الجنان وعمل الجوارح والأركان . فكلمة الشهادة إن رددها أحد ربما هي تعصم ماله وتعصم دمه في الدنيا لكن أن رددها بلسانه وكذبها بقلبه وأنكرها بأعماله وجوارحه، فقد وقع في نفاق الاعتقاد إن أظهر خلاف ما يبطن أو إن أبطن خلاف ما يردده لسانه، فقد وقع في نفاق الاعتقاد وقد رددها المنافقون في حضرة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

فلابد –إذاً– من أن نعي أن الإقرار بالشهادة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ليس مجرد كلمة ترددها الألسن فحسب بل تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان ، هذا هو التوحيد الذي ينجو به صاحبه في الدنيا والآخرة، وهذا هو الذي قال فيه ابن القيم : –رحمه الله تعالى– التوحيد هو الإكسير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال من الذنوب والخطايا لأذابتها وبددتها هذا هو التوحيد الذي يقصده ابن القيم بل ويقصده كل علمائنا –رضوان الله عليهم ورحمة الله عليهم أجمعين– إقرار اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح والأركان هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام باختصار شديد جدا.

نعم نكمل بقية الأركان.

(قال المصنف– رحمه الله تعالى– ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

نعم الركن الثاني من أركان هذا الإسلام العظيم: الصلاة. الله! الركن العملي الأول من أركان الإسلام الصلاة . الله –تبارك وتعالى– يأمر بالصلاة في كثير من مواضع القرآن الكريم فيقول جل وعلا: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ [النساء: ١٠٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٥].

وقرن الله– سبحانه وتعالى– بين الصلاة والزكاة في اثنين وثمانين آيةً من آيات القرآن الكريم، فالصلاة صلة بين العبد وربه، الصلاة قرة عيون المؤمنين كما كانت قرة عين سيد المرسلين– صلى الله عليه وسلم – الصلاة أنس المحبين، الصلاة روضة المشتاقين. الرسول– صلى الله عليه وسلم – كما ذكرت في حديث ابن عمر يقول: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة) وفي الصحيحين من حديث طلحة بن عبيد الله –رضي الله عنه– قال) جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس ،نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، جاء يسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الإسلام فقال له النبي –عليه الصلاة والسلام – (خمس صلوات في اليوم والليلة) فقال الرجل لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– هل علي غيرهن قال: (لا إلا أن تتطوع) ثم قال– عليه الصلاة والسلام– (وصيام شهر في العام) قال الرجل وهل علي غيره قال: (لا إلا أن تتطوع. ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة. قال: هل علي غيرها قال :(لا إلا أن تتطوع. فقال الرجل:لا أزيد عليه ولا أنقص منه) أي لا أزيد على هذا الذي ذكره رسول الله ولا أنقص منه(فلما أعرض الرجل أو انصرف قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أفلح إن صدق) وتذكرون رواية أنس في صحيح مسلم(كنا نهينا أن نسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكان يعجبنا أن يأتي الرجل العاقل من البادية فيسأل رسول الله– صلى الله عليه وسلم –ونحن نسمع قال: فجاءه رجل فقال: يا محمد أتانا رسول فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك (قال: صدق) قال الأعرابي: يا محمد فمن الذي خلق السماء قال المصطفى: (الله) قال الأعرابي فمن الذي خلق الأرض قال النبي: (الله) قال الأعرابي: فمن الذي نصب الجبال وجعل فيها ما جعل قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: (الله) قال الأعرابي: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب الجبال وجعل فيها ما جعل آالله أرسلك قال: (نعم)قال: وزعم رسولك أن الله فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك آالله أرسلك بهذا)إلى آخر الحديث (فلما انصرف الرجل قال النبي– صلى الله عليه وسلم–:لأن صدق ليدخلن الجنة) وفي لفظ أيضا في الصحيح (أفلح إن صدق) فالصلاة أيها الأخوة هي الركن الثاني فرض افترضه الله –تبارك وتعالى– على كل من آمن به وآمن برسول الله– صلى الله عليه وسلم – ويكفي أن نتدبر جميعا حديث رسول– الله صلى الله عليه وسلم– الذي رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله وددت أن لو سمع الحديث كل مسلم ومسلمة على وجه الأرض الحديث رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله– رضي الله عنه– أنه– صلى الله عليه وسلم– قال: (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وفي سنن النسائي بسند صحيح من حديث بريدة أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) أنا لن أخوض الآن في التفصيل المعلوم بين أهل العلم في كفر تارك الصلاة أو في فسق تارك الصلاة هذا لمن ترك تكاسلا وعصيانا إذ لا خلاف بين أهل العلم على كفر من ترك الصلاة جحوداً وإنكاراً– ولا حول ولا قوة إلا بالله– أنا أقول لأي مسلم يضيع الصلاة : هل تقبل يا أخي أن تكون محل خلاف بين أهل العلم؟ فمنهم من يكفرك ومنهم من يفسقك، يا أخي يكفي هذا. يكفي أن تذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) ثم يا أخي: الصلاة صلة لا تقطع هذه الصلة فأنت في أمس الحاجة الآن في عصر الماديات والشهوات إلى صلة تربطك بربك وخالقك– سبحانه وتعالى– يقول النبي –عليه الصلاة والسلام– كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– (أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟) قالوا:لا يا رسول الله (قال:فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطاي) من مِنّا لا يحتاج إلى هذا الغسيل اليومي ، وإلى هذا الطهر اليومي؟ وما أكثر الذنوب وما أكثر المعاصي وما أكثر الشهوات والشبهات وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه– صلى الله عليه وسلم– قال: (ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟) قالوا: بلى يا رسول الله (قال إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطَا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: (من تطهر في بيته) الله! الله! (ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة ثم قال: ولا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة أو ما دام في مصلاه ما لم يحدث تقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ، ولا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة ما لم يحدث) بل كان الصحابة– رضوان الله عليهم– يعتبرون المتخلف عن صلاة الجماعة في المساجد من المنافقين الذين علم نفاقهم بوضوح وجلاء، ففي صحيح

مسلم من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كهذا المتخلف الذي يصلي في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنه) أي عن صلاة الجماعة (إلا منافقٌ معلومُ النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين) يعني لا يقدر على القيام أو على المشي وحده(يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) وأحذر من ترك صلاة الفجر والعشاء وصلاة العصر على وجه الخصوص فإن كثيراً من الناس قد ينشغل عن الفجر لأنه يغط في سبات عميق ولو فتشنا الآن عن المساجد في صلاة الفجر- والله- لبكينا دماً بدل الدمع ؛ لأن المساجد في صلاة الصبح تشكي حالها وتشكي المسلمين إلى ربها- تبارك وتعالى- ثم في صلاة العصر كم من الموظفين يرجع من العمل وينام عن صلاة العصر حتى يخرج وقتها- ولا حول ولا قوة إلا بالله- وقد ينشغل كثير من الناس عن صلاة العشاء بالمسلسلات أو المباريات أو الأفلام في الوقت الذي لا يتوانى أحدهم أن يمنح تجارته أو أن يمنح وظيفته أو أن يمنح أولاده الساعات الطويلة أو أن يمنح مخطوبته الساعات الطويلة وأنا أقول:

تأتي للصلاة في فـــــتور*****وكأنك قد دعيت إلى الـــــبلاء

وإن أديتها جاءت بنقـــص*****لما قد كان منك من شرك الرياء

وإن تخلو عن الإشراك فيها***** تدبر للأمور بالارتـــــــقاء

ويا ليت التدبر في مبـــاح***** ولكن في المشقة والشــــــقاء

وإن كنت المصلي يومـــا***** بين خلقه أطلت ركوعها بالانحناء

وتعجل خوف تأخير لشغــل*****وكأن الشغل أولى من لقـــــاءي

وإن كنت المجالس يوما أنثى*****قطعت الوقت من غير اكتــــفاء

أيا عبد لا يساوي الله معــك*****أنثى تناجيه بحب أو صـــــــفاء

ولا حول ولا قوة إلا بالله الحديث عن هذا الركن حديث طويل لأن القلب- ورب الكعبة- ينزف دماً على واقع كثير ممن ينتسبون الآن إلى الإسلام ممن ضيعوا الصلاة ولا أتردد أن أعاتب الأمة معاتبة أقول رقيقة ففي الوقت الذي تشيد الأمة الجامعات و تشيد فيه الأمة فيه المصانع والعمارات والأسواق التجارية الضخمة بكل أسف قد لا يفكر مصمم هذا البناء والقائمون على تشييده أن يضعوا بيتا لله – تبارك وتعالى- في مقدمة هذا الصرح الجامعي وأن يضع وقتا للصلاة مع جدول الدراسة السنوي ليخرج الطالب ولتخرج الطالبة مع أساتذتهم إذا سمعوا المؤذن يؤذن أن يخرج الجميع ليمتثلوا أمرالله وليتمثلوا أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وليسجدوا وليركعوا لله – تبارك وتعالى- ليكونوا من المفلحين في الدنيا والآخرة، فأنا أقرر وأسجل بكل أسف أن المناهج العلمية الحديثة ربما تعلم أبناءنا وربما ترفع مستوياتهم العلمية في مجالات شتى في الطب، في الهندسة، في الذرة، في الكيمياء، في العلوم، في الجيولوجيا، لكنها بكل أسف لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع، ولا قلوبهم الخشوع، فلابد من الصلاة ،لابد من المحافظة على الصلاة،فالصلاة هي الركن العملي الأول من أركان الإسلام بعد النطق بالشهادتين أن تردد بلسانك وعليك بعد ذلك مع أول وقت من أوقات الصلاة أن تترجم ترجمة عملية إسلامك لله- سبحانه وتعالى- واستسلامك وانقيادك وإذعانك وامتثالك لأمره واجتنابك لنهيه ووقوفك عند حده حين تسمع النداء حي على الصلاة: سمعنا وأطعنا حتى ولو كنت أعمى لا تجد من يقودك إن سمعت المؤذن وجب عليك أن تلبي أمر الله في بيت الله- تبارك وتعالى- كما في سنن أبي داود وغيره بسند صحيح حين جاءه رجل أعمى وقد

صرحت بعض الروايات باسمه إنه عبد الله ابن أم مكتوم وقال:يا رسول الله لا أجد من يصطحبني إلى بيت الله أو إلى المسجد فرخص له النبي أن يصلي في البيت فلما انصرف نادى عليه الرسول وقال: (هل تسمع النداء هل تسمع الأذان) قال:نعم (فحهل) وفي لفظ (فأجب ولو حبو) الله لم يرخص للمجاهدين في أرض المعركة أن يسقطوا الصلاة بل أمرهم وشرع لهم صلاة الخوف حتى لو في الميدان ، أفيشرع الله للمجاهدين والسيوف وبارقة السيوف على رءوسهم؟- وما أعظمها من فتنة- لم يرخص الله لهم في أن يسقطوا الصلاة أو في أن يأخروها؛ أفبعد ذلك يرخص الله لمن جلسوا أمام المباريات والمسلسلات والأفلام أو لامرأة انشغلت بإعداد الطعام لزوجها أو لأولادها حتى يخرج وقت الصلاة؟ لا والله ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ [النساء: ١٠٣].

وأعيذ نفسي وإخواني وأخواتي جميعا من قول ربي تبارك وتعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً ﴾ [مريم: ٥٩]. الغي كما في البخاري في الأدب المفرد وفي التاريخ الكبير بسند صحيح من حديث عائشة -رضي الله عنها - (الغي نهر في جنهم) قال الله -عز وجل-:﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾ [المعاعون: ٤، ٥]. ومن رحمة الله أنه قال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ ﴾ ولم يقل الذين هم في صلاتهم ساهون وإلا لهلكنا جميعا ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ (٧) ﴾ [الماعون: ٥ - ٧]. فالصلاة أيها الأحبة لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك وإلا فلا شك أن الحديث عن الصلاة يحتاج إلى حلقة كاملة أو إلى خمس حلقات أو عشر حلقات إن أردنا أن نتحدث عن الصلاة وعن أركان الصلاة وعن مبطلات الصلاة وعن واجبات الصلاة وعن سنن الصلاة وعن الوضوء قبل ذلك لتدخل على الصلاة على مراد الله موضوع طويل جدا فالصلاة الركن العملي الأول من أركان الإسلام بعد النطق بالشهادتين.

أما الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام فقد قال الله - تبارك وتعالى- لنبيه- صلى الله عليه وسلم-: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يأخذ من أموال الأغنياء حقاً للفقراء وقد ذكرت الآية من قبل ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلاَّ المُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) ﴾ [المعارج: ١٩- ٢٤]. الحق المعلوم هو: الزكاة المفروضة. خذ يا محمد من أموالهم أي من أموال الأغنياء صدقة معلومة مفروضة مفروضة ورُدَّ هذه الصدقة على فقرائهم ولاحظوا أن الزكاة ليست طهرا، ليست تزكية لنفس الفقير من الحقد على الأغنياء فحسب بل هي تطهير لنفس الغني قبل أن تكون تطهيراً لنفس الفقير ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. تطهر بها الأغنياء والفقراء على السواء تطهر بها وتزكى بها قلوب ونفوس الأغنياء من الشح ،من البخل، من الإمساك، من الحرص ،من الطمع، من عبادة المال . وتطهر وتزكي بها نفوس الفقراء من الحقد ،والحسد ،والضغينة، فلا شك أن الفقير الذي لا يجد لقمة الخبز حين يرى الغني كل يوم يلقي في سلة القاذورات والمهملات كميات كبيرة من الطعام، بل من الخبز ،بل من اللحم ،بل من الأرز لاشك أن قلبه ستغلي فيه مراجل الغل والحقد والحسد فهذا تشريع الحكيم الخبير - تبارك وتعالى- حين يخرج الغني من ماله جزءاً مفروضاً عليه، يريد الله أن يطهر وأن يزكي قلب ونفس الغني وأن يطهر وأن يزكي قلب ونفس الفقير لذا يقول ربنا- تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]. فالمال فتنة ومن جميل ما قرأت ما رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث أبي كبشة الأنماري- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ثلاث أقسم عليهم) الله ! الله! وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم (ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً تحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزة، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً تحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلم) اللهم اجعلنا منهم (عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه) يعني في المال والعلم (ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقه فهذا بأفضل المنازل) أي عند الله -جل وعلا- (وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان أي من

أعمال البر والخير قال النبي: فهو بنيته فأجرهما سواء) ما شاء الله لا قوة إلا بالله (فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير هدى لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقه فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علم) ومع ذلك يقول النبي:(فهو خبيث النية) لا حول ولا قوة إلا بالله مع كل ذلك لم يرزقه الله مالا ولا علما ولا نية (فهو خبيث النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان) أي من أعمال اللهو والفسق والفجور والمعاصي قال النبي:(فهو بنيته فوزرهما سواء) لأنه لم يترك المعصية لله وإنما تركها لعدم قدرته على فعلها لذا قال:(فهو بنيته فوزرهما سواء) فالمال يا أخوة ظل زائل وعارية مسترجعة ، وقد جعل الله– تبارك وتعالى– في مال الغني حقاً للفقير، في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل– رضي الله عنه– لما بعثه النبي إلى اليمن قال: (يا معاذ إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلنهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلنهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) هذه الصدقة هي الزكاة ، صدقة تأخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم (فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) إذاً: الزكاة ركن ثالث من أركان الدين وتارك الزكاة بخلاً وشحاً عاصٍ آثم وعلى ولي الأمر أن يأخذها منه قهراً وقصراً كما قاتل الصديق –رضي الله عنه– المرتدين ومانعي الزكاة وقال قولته الخالدة : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، ثم قال: والله لو منعوني عقالاً– وهو الحبل الذي يربط به عنق البعير– والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– لقاتلتهم عليه بالسيوف. فلا فرق بين الزكاة والصلاة وقد ذكرت أن الله قرن الزكاة مع الصلاة في اثنين وثمانين آية من كتاب الله– تعالى– إذاً: الزكاة ركن من أركان الدين لا يصح الدين إلا بها أما من أنكر الزكاة من أنكر وجوبها وأنكر فرضيتها فقد كفر بإجماع ولا خلاف بين المسلمين والعلماء على ذلك أما من ترك الزكاة بخلاً، وشحاً، وجهلاً، أو متأولاً: فعلى ولي الأمر أن يأخذ الزكاة منه قصراً وقهراً وأن يقاتله على ذلك كما ذكرت الدليل الآن أما من تركها جحوداً وإنكاراً لفرضيتها ولم يعترف بركنيتها من أركان هذا الدين فهذا كافر بإجماع المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله أما مصارفها فقد بينها ربنا– تبارك وتعالى– في قوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠]. أما نسبتها فمن المعلوم أنها اثنان ونصف في المائة يعني يجب عليك إن بلغ المال معك النصاب وهو ما يساوي قيمة ستة وثمانين جراماً من الذهب على الراجح من قول جماهير أهل العلم وحال عليه حول هجري كامل وجب عليك أن تخرج الزكاة في هذا المال . ولا يتسع الوقت لتفصيل الحديث عن زكاة الزرع وزكاة الثمار وغيرها من أنواع الزكوات. أسأل الله– سبحانه وتعالى– أن يوفقنا جميعاً لأداء هذا الحق إذ أنني أدين الله لو أن المسلمين الآن لو أخرج كل غني من الأمة الحق الذي عليه ما وجدنا فقيراً واحداً بين أظهر المسلمين هذه قولة علي– رضي الله عنه– لو أخرج كل غني الحق للفقراء في ماله ما وجدنا بين أظهر المسلمين فقيرا واحدا أما وقد انتشر الفقر بهذه الصورة فإن شحاً وبخلاً وجشعاً وطمعاً قد وقع فيه كثيرٌ من أصحاب الأموال نسأل الله أن يطهرنا جميعا وأذكر نفس وأخواني بهذه الكلمات فأقول:

دع الحرص على الدنيا*****وفي العيش فلا تطـــمع

ولا تجمع من الـــمال***** فلا تدري لمن تجـــمع

فإن الرزق مقــسوم***** وسوء الظن لا يــنفع

فقير كل ما يطــــمع***** غني كل ما يقـــــنع

النفس تجزع أن تكون فقرة*** والفقر خير من غنى يطغيه

وغنى النفوس هو الكفافإن أبت *** فجميع من في الأرض لا يكفيه

هي القناعة فالزمها تكن ملكا*** لو لم تكن لك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها*** فهل راح منها بغير الطيب والكفن.

أما الركن الرابع: من أركان الإسلام فهو الصيام ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. كتب يعني فرض كتب عليكم الصيام يعني فرض عليكم الصيام وقال الله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. لام الأمر لام الإيجاد لام الإلزام ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ إذاً: شهر رمضان فرض الله –تبارك وتعالى– صيامه على كل مؤمن ومؤمنة حر بالغ عاقل ليس مريضاً أو ليس على سفر على تفصيل معلوم للجميع، فصيام رمضان ركن من أركان الإسلام وقد ذكرنا الحديث عن رسول الله في حديث ابن عمر (بني الإسلام على خمس) وذكر منها –صلى الله عليه وسلم– (وصيام رمضان) (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان) والحديث عن فضل الصيام حديث طويل يكفي أن نذكر بآية وحديث لضيق الوقت قال الله– تبارك وتعالى –﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يبقى الغاية من الصيام أن يحقق التقوى وقد ذكرت قبل ذلك أن مادة التقوى مأخوذة من وقى والوقاية هي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخاف ويحذره وقاية فتقوى العبد للرب– تبارك وتعالى– أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضب الله وعذاب الله وقاية هذه الوقاية هي فعل الطاعات واجتناب المعاصي. إذاً: العلة والغاية التي من أجلها فرض الله الصوم على المؤمنين الموحدين هي أن يحقق التقوى، والتقوى وصية الله للأولين والآخرين من خلقه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]. ووصى بها سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الأمة جميعا كما في حديث العرباض بن سارية (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب حتى قلنا: كأنها موعظة مودع فأوصنا يا رسول الله قال: أوصيكم بتقوى الله –عز وجل–). وأوصى بها الصديق– رضي الله عنه– عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت، وأوصى بها عمر بن الخطاب ولده عبد الله وغيره قال: أي بني اتقِ الله فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك ، وأوصى بها عمر بن عبد العزيز أحد إخوانه فقال: أوصيك بتقوى الله التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلى عليها فإن الواعظين بها كثير وإن العاملين بها قليل . جعلني الله وإياكم من الواعظين العاملين بها إنه على كل شيء قدير ، وأوصى بها ابن السماك أحد إخوانه فقال: أوصيك بتقوى الله الذي هو مجنك في سريرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من ذلك على كل حالك في ليلك ونهارك وخاف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك والسلام.

والحديث عن التقوى حديث طويل جليل جميل. إذاً: الغاية من الصوم التقوى فما فرض الله الصوم علينا لنجوع أو لنعطش أو ليترك أحدنا امرأته بين يديه في الحلال الطيب وإنما لنخرج من هذه المدرسة الرمضانية الكبرى بتقوى ربنا –تبارك وتعالى– ذكرت قبل ذلك أن التقوى هي غاية العبادة تذكرون؟ ذكرنا أن التقوى هي غاية العبادة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]. إذاً: الغاية من العبادة التقوى فإذا كانت الغاية من خلق الخلق العبادة ؛ فإن الغاية من العبادة فهي التقوى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]. ثم بين الله أن غاية الخلق العبادة فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال نبينا– صلى الله عليه وسلم– كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رب العزة في الحديث القدسي الجليل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) و(الصيام جنة) أي وقاية (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب)والرفث هو الفسوق من القول أو الجماع كلاهما صحيح (فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله

فليقل إني صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه) الحديث عن الصوم حديث طويل أختم بهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساب) إيماناً بالله –جل وعلا– (واحتساب) أي من الأجر من عند الله –عز وجل– (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) غفر له ما تقدم من ذنبه ، و(ما تأخر) ليست في لفظ الصحيحين هي زيادة حسنها بعض أهل العلم(من صام رمضان إيمانا واحتساب غفر له ما تقدم من ذنبه) يا له من فضل!!! هذا هو الركن الرابع من أركان الإسلام.

أما الركن الخامس والأخير فهو(حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيل) قال الله– جل وعلا–: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وفي مسند أحمد وغيره بسند حسن أنه– صلى الله عليه وسلم– قال: (تعجلوا الحج يعني الفريضة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) مَنْ مَنَّ الله عليه بالاستطاعة بالزاد والراحلة –يعني: بتكاليف السفر للحج– فلا ينبغي أن يتأخر ولا يجوز له أن يتوانى لأن الحج ركن من أركان الإسلام للمستطيع القادر ومن شروط وحدود الاستطاعة بالنسبة للمرأة المسلمة أن يخرج معها محرم من محارمها ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس(أن رجلاً أتى النبي– صلى الله عليه وسلم– فقال إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وإن امرأتي خرجت حاجة) يعني خرجت وحدها بغير محرم (فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:ارجع فحج مع امرأتك) إذاً:الحج ركن من أركان الإسلام للقادر المستطيع ،لا يجوز له أن يتخلف ،أو أن يتأخر، أو أن يتوانى (تعجلوا الحج) يعني الفريضة(فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) إن كان بعض أهل العلم– من باب الأمانة–قال: بأنه قد يجوز الحج على التراخي لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد أجل الحج ،لكن أقول: الرسول– صلى الله عليه وسلم– يقول: (تعجلوا الحج) يعني الفريضة المراد إذا لم يكن المسلم قد أدى الفريضة أو هذا الركن وقد رزقه الله– عز وجل– الاستطاعة فواجب عليه أن يعجل قبل أن ينزل مرض أو قبل أن يضيع مال أو قبل أن ينشغل بشاغل. أسأل الله أن يشغلنا جميعا بطاعته إنه ولي ذلك والقادر عليه . والنبي– صلى الله عليه وسلم– يقول: كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: (يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجو) فقام رجل فقال: يا رسول الله أكل عام؟ فسكت النبي –صلى الله عليه وسلم–) الرحمة المهداة (فقام الرجل) وقد صرحت بعض الروايات باسمه أنه الأقرع بن حابس (فقام الرجل مرة ثانية ، وقال: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، فكررها ثلاثاً أكل عام يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه). أيها الأحبة هذا بإيجاز شديد جدا جدا جدا في هذه الأركان لأكمل الحديث – إن شاء الله تعالى– في السبت المقبل –إن قدر الله لنا البقاء واللقاء– عن المرتبتين المتبقيتين من مراتب الإسلام في الأصل الثاني ألا: وهما مرتبة الإيمان والإحسان مع أن مرتبة الإيمان تحتاج إلى ست حلقات لكنني سأجمل الحديث فيها إجمالاً في اللقاء المقبل– إن شاء الله تعالى – وسأفرد الحديث أو سأفرد الإحسان بدقائق معدودات في آخر الحلقة . والله أسأل أن يتقبل منا ومنكم جميعا صالح الأعمال وهاهو الوقت قد مضى سريعا . أسأل الله –عز وجل – أن يبارك لنا في أوقاتنا وأقوالنا وأعمالنا وأحوالنا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ سأتلوا عليكم إجابة مختصرة إجابة السؤال الأول: ربي الله الذي رباني وربى جمع العالمين بنعمته. إجابة السؤال الثاني: عرفت ربي بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومخلوقاته السماوات السبع والأراضون السبع ومن فيهن. إجابة السؤال الثالث: من أنواع العبادات التي لا تصرف إلا لله: الاستعانة بدليل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الدعاء والدليل ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] النذر والدليل ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ [الإنسان: ٧] إلى آخر الأشياء

جزاك الله خيراً وهذا جواب جميل صحيح إن شاء الله تعالى.

فضيلة الشيخ الأخ بهراس من الجزائر يقول: شيخنا الفاضل– رعاكم الله– نريد مزيداً من الشرح على كلام شيخ الإسلام –عليه رحمة الله– في قوله: إن القدر يحتج به في المصائب ولا يحتج به في المعايب وجزاكم الله خير

على أي حال– إن شاء الله تعالى– سنتحدث عن القدر حديثا مجملا مختصرا كركن سادس من أركان الإيمان بالله– جل وعلا– وذلك في الحلقة المقبلة– إن شاء الله تعالى– ولكن بإيجاز شديد أقول القدر سر الله في خلقه لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وله مراتب سأفصلها– إن شاء الله تعالى– وسأبين المراد –بإيجاز– من قول شيخ الإسلام وقول غيره كقول عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– وأسأل الله أن يرزقنا الإيمان بالقدر خيره وشره إنه على كل شيء قدير.

الأخ محمد عبد السلام من مصر يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يقول ما حكم من ذبح عند مناسبة بناء منزل أو شراء سيارة جديدة وفي نيته أن هذا الذبح لله وسوف يوزع اللحم لفقراء المسلمين

جميل إذا كان الذبح لله –سبحانه وتعالى– وكانت النية خالصة لله –عز وجل– دون فعل جاهلي كأن يذبح على العتبة مثلا أو يلطخ جدار البيت أو باب البيت بالدماء على هيئة الكف كما يقال عندنا: خمسة وخميسة في عين الحاسدين والحاقدين، وإلى غير ذلك، فهذا لا يجوز أما إن بنى الأخ بيتا وأراد أن يجعل وتيرة مثلا وذبح ذبيحة في مكان ما ، في أي مكان لا على عتبة الدار كما يفعل بعض الجهال، وإنما في أي مكان وكان النذر أو هذا الذبح لله –تبارك وتعالى– ثم قام بإطعام أهله وأحبابه وأصدقائه ووزع بعض اللحمة على الفقراء والمساكين فهذه قربة من أعظم القربات وطاعة من أجل الطاعات وأسأل الله– سبحانه وتعالى– أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه. أما من ذبح لغير الله فقد أشرك بنص حديث سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لا أنسى أبدا كلمات جميلة لأحد علمائنا –رحم الله الجميع– الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يعلم ويركز على قضية التوحيد ويعلم طلابه كتاب التوحيد وإذا أنهاه بدأه من جديد ،حتى ظن بعض الطلاب أنهم قد حفظوا التوحيد حفظاً وقالوا: يا شيخنا وددنا أن لو درستنا منهجاً آخر فلقد حفظنا التوحيد حفظاً وشربناه شرباً، فأراد الشيخ أن يختبر الطلاب فقال: إذاً: دعوني فقد بلغني أن جارتنا قد مسها جني، وقد ذهب رجل ليقرأ عليها الرقية الشرعية فتكلم الجني على لسانها وقال: له الرجل اخرج. قال: لا أخرج حتى تذبح لي ذا القرنين– خروفاً يعني أو كبشاً بقرنين – لن أخرج حتى تذبح لي كبشاً بقرنين. فسكت الشيخ وقال بعض الطلاب: لا حرج يا شيخنا نذبح له وليخرج وليدع هذه المرأة قال: إذاً: نبدأ التوحيد من جديد ؛لأن الذبح لغير الله –تبارك وتعالى– شرك ونسأل الله –عز وجل– أن يرزقنا التوحيد الخالص قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [ ]. نسكي يعني ذبحي ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الأخ محمد من المغرب يقول: السلام عليكم ورحمة الله فضيلة الشيخ أشهدكم أني أحبكم في الله سؤالي هو/ ما الحكم الشرعي التكليفي في رفع اليدين في الدعاء؟ وهل هذا هو خاص بمواطن دون أخرى؟ وما حكم التأمين على الدعاء؟ ومسح الوجه باليدين بعده ؟أفيدونا. جزاكم الله خير

رفع اليدين في الدعاء ثابت بل هو الأصل، إلا ما دل عليه الدليل من عدم جواز رفع اليدين أثناء الدعاء في أوقات مخصوصة الأصل في الدعاء رفع الدعاء إلا ما دل عليه الدليل من فعله– صلى الله عليه وسلم– بعدم جواز رفع اليدين في أوقات مخصوصة منها: لا يجوز رفع اليدين للخطيب وهو يدعو على المنبر في خطبة الجمعة ؛ لأنه لم يثبت ذلك عن النبي– صلى الله عليه وسلم– ولم يثبت عنه– صلى الله عليه وسلم– أنه أجاز للمأمومين أثناء تأمينهم على دعاء الإمام على المنبر أن يرفعوا أيديهم هكذا، لكن في أي وقت آخر لم يثبت دليل عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم– بعدم جواز رفع اليدين، فمن السنة أن ترفع يديك ، والراجح– والله تعالى

أعلم- أنه- صلى الله عليه وسلم- كان يرفع يديه هكذا بمحاذاة وجهه أو بمحاذاة صدره وثبت عنه أيضا أنه رفع يديه مستغيثاً في الدعاء يوم بدر حتى سقط رداءه من على مَنكبيه أو مِنكبيه والحديث ثابت في الصحيحين حتى جاءه أبو بكر -رضي الله عنه- بالرداء ووضعه على ظهره ويقول: أبعض مناشدتك ربك يا رسول الله فإن الله منجز لك ما وعدك وفي رواية أخرى في الصحيحين عن أنس قال: حتى رأيت بياض إبطيه- صلى الله عليه وسلم- فهذا أيضا ثابت عنه- عليه الصلاة والسلام- إذاً: لا يجوز أن ترفع يديك على الإطلاق اللهم إلا في المواطن التي نهى عنها النبي- صلى الله عليه وسلم- لا حرج بعد فراغك من أي طاعة أو أي عبادة إن رفعت يديك أو في جوف الليل إلى الله -سبحانه وتعالى- واستغثت به وتوسلت إليه وتضرعت وتذللت إليه. وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبل منا ومنكم صالح الدعاء وصالح الأعمالز وقد سُئلت مرة أخرى من أحد طلابنا من المتابعين لنا وهو يدرس معنا في المنصورة ذكرته الآن ما فهم جوابك على الأخت الفاضلة التي سألت في السعودية في الحلقة الماضية حينما قالت: أريد أن أتعرف على قسمي الدعاء على دعاء المسألة ودعاء الحاجة . قال: ما فهمت. قلت: الدعاء يا أخوة ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة و دعاء حاجة يعني: أن تسأل الله تقول: اللهم أعطني كذا اللهم، أدخلني الجنة، اللهم نجني من النار، اللهم استرني في الدنيا والآخرة، اللهم لا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من أسرارنا ولا بقبيح ما تجرأنا عليك به في خلواتنا. سؤال سل الله -عز وجل- ما شئت، سله، حتى في شراك نعلك كما علمنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-... أما سؤال العبادة فالعبادة نفسها دعاء، قربى، طاعة، يعني الدعاء أنت تتقرب به إلى الله تتوسل إلى الله أن يعطيك كذا إذا أردت أيضا من الله أن يعطيك ما تريد فاعبد فالعبادة- نفسها- دعاء هل واضح المعنى ألم يقل الرسول -عليه الصلاة والسلام -(الدعاء هو العبادة) يعني الصلاة الصيام الزكاة الحج النذر لله الإخلاص لله التوكل عليه التفويض الرجاء الإنفاق على الفقراء الدعوة إلى الله كل هذه الصور من صور العبادة إنما هي- أيضاً- دعاء تتقرب به إلى الله -تبارك وتعالى- فالدعاء أما أن يكون في صورة مسألة ،وإما أن يكون في صورة عبادة قولية أو عملية أو ظاهرة أو باطنة فهذه الصورة ايضا من صورة الدعاء واضح الجواب ده؟

الأخ مراد من المغرب يقول:جزاك الله خيرا يا شيخنا إذا كان الإسلام هو دين كل الأنبياء فلماذا يسمى الله اليهود والنصارى بهذا الاسم ولا يسميهم المسلمين؟

هذا سؤال ربما يلتبس على بعض إخواننا ما فيه أبدا عند الله -تبارك وتعالى- أبداً ديانة تسمى بالديانة اليهودية هذا اسم لطائفة -انتبه- لكن لا توجد ديانة عند الله تسمى ديانة يهودية ولا يوجد دين عند الله -عز وجل- يسمى ديانة نصرانية أو ديانة مسيحية بل هذه أسماء طوائف ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ [المائدة: ١٤]. هم الذين قالوا.. ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢]. هذه أسماء طوائف يا شباب أسماء من فئات من الخلق من الناس لكن لا يوجد أبدا عند الله أسماء دين إلا الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. يعني من يوم خلق السماوات والأرض إلى أن يرث الأرض ومن عليها أرجو أن تعضوا على هذا الجانب النواجز حتى لا يلتبس الأمر على أحد الدين عند الله هو الإسلام ما في دين أبدا إلا الإسلام دين موسى الإسلام دين عيسى الإسلام دين محمد الإسلام دين جميع الأنبياء الإسلام كما بينت بنص القرآن الكريم ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. لاسيما وقد عرف المصنف -رحمه الله الإسلام- فقال: الإسلام هو الاستسلام لتوحيد الله -عز وجل- والانقياد لطاعته والبراءة من الشرك وأهله.

الأخت هايلة من السعودية تقول هل يجزأ أن نحفظ ونذاكر الاختبار من كتاب شرح سلفية الأصول لفضيلة الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- حيث إن شرحه يختلف عن شرحكم فهل يكفي أن نحفظ منه أم يلزمنا أن نحفظ من شرحكم؟ وجزاكم الله خير

بل يكفي وزيادة ثم وزيادة ثم وزيادة ، أن نذاكر ونحفظ شرح شيخنا ووالدنا سماحة الوالد الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، فأنا متطفل على شرحه، وأنا يعني آخذ منه ولا يمكن أبدا أن آتيكم إلى هنا إلا إذا طالعت شرح الشيخ كلمة كلمة. أسأل الله أن يرحم شيخنا رحمة واسعة وأنا لو افترض أن أتقدم أيضا للاختبار معكم لذاكرت شرح شيخنا فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله رحمة واسعة.

الأخت فاطمة أم جاثم من الإمارات تقول ما معنى لابد من التخلية قبل التحلية

التخلية هي: الكفر بالطواغيت والأنداد والأرباب والآلهة لنخلي القلب خالصا لله- تبارك وتعالى- وحده بلا منازع أو شريك لذا قدم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله في آية سورة البقرة فقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ . فقدم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الأخ سالم من اليمن يقول: يا شيخ حول أبي طالب وأنه شهد بالتوحيد في قلبه هل يصح شيء من ذلك؟

لم يثبت ذلك على الإطلاق لأنه مخالف للقرآن والسنة الصحيحة ففي الصحيحين من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال والحديث في البخاري ومسلم قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فجلس النبي إلى جوار عمه وقال: عليه الصلاة والسلام وهو نهر الرحمة وينبوع الحنان قال :(يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة، فقال أبو جهل لأبي طالب :أترغب عن ملة عبد المطلب) يعني أتترك دين آبائك وأجدادك (فقال أبو طالب لأبي جهل بل هو على ملة عبد المطلب فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول :لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) يعني سأظل أستغفر الله لك إلا إن نهاني الله- تبارك وتعالى- عن ذلك فبمجرد خروجه عليه- الصلاة والسلام-

نزل قول الله تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. ومن الأدلة أيضا الصريحة الواضحة على ذلك ما ثبت في الصحيحين (أن النبي- صلى الله عليه وسلم- سئل هل نفعت عمك أبا طالب؟) يعني هو الذي ذب عنك وزاد عنك وكان حائط صد منيع طالما تحطمت عليه سيوف ورماح أهل الشرك بمكة قال: (نعم نفعني الله به) ثم بين- صلى الله عليه وسلم- أن الله -عز وجل- خفف عنه العذاب يوم القيامة بسبب ذبه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أهل الشرك في مكة قال: (هو في ضحضاح من العذاب) وقد يتصور هو كما قال يعني أنه أشد أهل النار عذاباً وهو أهون أهل النار عذاباً فقد نفعه الله -تبارك وتعالى- أيضا بهذا كما ثبت عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا وإياكم- جميعا- حسن الخاتمة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(المرتبة الثانيه الإيمان وهو بضع وسبعون شعبه فأعلها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبه من الإيمان و أركانه سته أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والدليل على هذه الأركان السته قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[البقرة: من الآية١٧٧] ودليل القدرقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩])

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هدى له وأشهد أن لا له لا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله اللهم صلى وسلم وزيد وبارك عليه وعلى آله وعلى أصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته و أكتفى أثره الى يوم الدين أما بعد فحياكم الله جمعيا أيها الاخواه الفضلاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعا من الجنة منزله وأسال الله الكريم جلا وعلا الذى جمعنا فى هذا المجلس الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا فى الأخره مع سيد الدعاه فى جنته ودار مقامته أنه ولى ذلك ومولاه .

لازلنا نتحدث بحول الله وقوله ومدده عن الأصل الثانى من الأصول الثالثه ألا وهو معرفة دين الاسلامى بالأدله وقلت فى اللقاء الماضى بأن المصنف رحمه الله تعالى قد قسم هذا الأصل الثانى الى ثلاث مراتب أما المرتبة الأولى و قد تحدثنا عنها هى مرتبة الاسلام وقلت أن الاسلام ينبنى على خمسة أركان كما فى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال :(بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن أستطاع اليه سبيل) وقد فصلنا القول فى هذه الأركان بحسب ما يسرالله من الوقت .

وحديثنا اليوم باذن الله تعالى عن المرتبه الثانيه من مراتب الدين ألا وهى مرتبة الإيمان .

و الإيمان لغة : التصديق قال الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾[يوسف: من الآية١٧] ومأأنت بمصدق لنا لكن الإيمان الذى أمرنا به اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح و الأركان وهو بضع وسبعون شعبه أعلها لااله الاالله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق أكرر و انتبهوا معى لأنى سأضطر اضطرارا لأن أكون سريعا فى هذه الحلقه لأعرج على مقام الاحسان كذلك لأنه لم يتبقى لناالا أن نتحدث فى حلقتين باذن الله تعالى عن الأصل الثالث ألا وهو معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أقول : الإيمان لغة التصديق .

شرعا : اعتقاد القلب وقول اللسأن وعمل الجوارح والأركان وهوبضع وسبعون شعبه أعلها لااله الاالله وأدنيها آماطة الأذى عن الطريق الإيمان له أركانه كما فى الحديث الطويل الذى رواه الامام مسلم وغيره من حديث عمربن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكرت الحديث بطوله فى اللقاء الماضى لكن أقف عند سؤال جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخروالقدرخيره وشره هذه أركان الإيمان .

هذا الإيمان أيضا له طعم بايجاز شديد جدا ففى صحيح مسلم حديث عن عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبى ورسول)هذا الاسلام له حلاوة ففى الصحيحين من حديث آنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه من ما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى كفر بعد أن اذا أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار).

هذا الإيمان له نور روى أبو نعيم فى الحليه والديليمى بسند حسن من حديث على رضى الله عنه أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من القلوب قلب الا وله سحابه كسحابة القمر، فبين القمر مضيئا فعلته سحابه فأظلم ، فاذا تجلت عنه أضاء)يعنى كما تحجب السحابه نور القمرعن أهل الأرض هكذا تحجب سحب المعاصى والذنوب نور الإيمان فى القلب فاذا انقشعت سحابة السماء وصل نورالقمر الى الأرض وهكذا أن أنقشعت سحب المعاصى والذنوب بالتوبه والأوبه الى علام الغيوب جلا وعلا عاد الإيمان الى الإشراق مرة أخر فى قلب العبد المؤمن.

فى مسند أحمد من حديث حذيفه ابن اليمان رضى الله عنه والحديث فى الراجح أنه يصح موقوفا على حذيفه ويضعف مرفوعا وان كان مدار تضعيف علمائنا لهذا الحديث الجميل على الليث ابن أبى سليم والليث متكلم فيه وان كان الامام أحمد رحمه الله تعالى قال بأن حديثه لا يرد يقول حذيفه القلوب أربعه قلب أجرد وهذا هو الشاهد الذى أود أن أذكره قلب أجرد فيه سراج يظهر فذلك قلب المؤمن قلب أجرد أى تجرد من الشرك والشك والغل والحقد والحسد وأشراق فيه نور الإيمان وأنار فيه مصباح التوحيد قلب أجرد فيه سراج يظهر فذلك قلب المؤمن وقلب الأغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس عرف ثم أنكروأبصر ثم عمى فذلك قلب المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نافق وهو لما غلب عليه منهما اذا الإيمان اخوه له حقيقه له طعم له حلاوه له نورهذا بايجاز شديد.

الإيمان أصل أخرمن أصول أهل السنه أنه يزيد وينقص هذا معتقد النبى صلى الله عليه وسلم وهو معتقد الصحابه ومعتقد السلف الصالح من رضوان الله عليهم أجمعين

الإيمان يزيد وينقص ترجم الامام البخارى رحمه الله تعالى فى كتاب الإيمان باب بعنوان باب الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فالإيمان يزيد بالطاعه وينقص بالمعصيه قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[الفتح: من الآية٤] وقال صلى الله عليه وسلم كما فى مستدرك الحاكم بسند حسن من حديث عبد الله ابن عمر(ان الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب –أى كما يبلى الثوب– فأسألوا الله أن يجدد الإيمان فى قلوبكم)هذا تعريف مختصر جدا للايمان قبل أن أشرع فى الحديث عن أركانه والا والله ثم والله أن كل ركن من هذه الأركان يحتاج الى حلقات لا الى حلقه لاسيما وقد أفرضنا له بفضل الله محاضرات طويله أسال الله أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل.

الركن الأول من أركان الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن بالله) والإيمان بالله تبارك وتعالى هو أول أركان الإيمان أن تؤمن بالله ولا أبالغ ان قلت بأن القران الكريم كله من أول الفاتحه الى الناس فى هذه القضيه فى هذا الركن هل تتصور لا أبالغ أن قلت بأن القران الكريم من أول الفاتحه الى الناس فى هذه القضيه و فى هذا الركن الا وهو ركن الإيمان بالله تبارك وتعالى نعم فالقران الكريم اما حديث عن ذات الله جلا وعلا اما حديث عن أسمائه الحسنى اما حديث عن صفاته العلا اما حديث عن أهل الإيمان الذين حققوا الإيمان و ما أعد الله لهم فى الدنيا والاخره من نعيم واما حديث عن من أعرضوا عن قضية الإيمان الآ وهم الكفار أو المنافقون وعما أعد الله عزوجل لهم فى الدنيا من خزى والاخره من عذاب الجحيم واما حديث عن الأمم الظالمه أو عن الأمم الموحدة واما أمرا أو نهى أو حد لتحقيق مقتضيات الإيمان فالقران كله فى قضية الإيمان بالله تبارك وتعالى

بل ما خلق الله الخلق وما أنزل الكتب وما أرسل الرسل وما خلق الجنة والنارالا من أجل هذه القضيه الإيمان الا من أجل قضية الإيمان الا من أجل قضية أن يفرد الخلق الحق تبارك وتعالى وحده بالعباده هذه القضيه بل هى قضية كل رسول بل هى دعوة كل نبى﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: من الآية٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥].

إذاً قضية الإيمان بالله تبارك وتعالى هى القيضة الأولى وهى الغاية الأولى التى من أجلها خلق الله الخلق وأنزل جميع الكتب وأرسل كل الأنبياء والرسل من أجل أن يحقق الخلق الإيمان بالحق وتعالى وأن يفرده جلاوعلا بالالهيه والعباده .

والحديث عن قضية الإيمان بالله حديث طويل جليل ماتع كريم عظيم الأن الحديث يستمد عظمته من عظمة المادة التى يقوم بتدريسها أو تتناول فيه فقضية الإيمان بالله هى أعظم القضايا وهى أشرف القضايا و أستطيع فى عجاله أن أتحدث فى هذه القضيه عن عدة محاور:

الأول: الدليل على وجود الحق سبحانه وتعالى والأدلة على وجود الحق تبارك وتعالى كثيره منها أدلة عقليه ومنها أدلة نقليه ومنها أدلة حسيه ومنها أدلة فطريه.

أما الأدلة الفطريه فقد فطر الله الخلق كل الخلق على توحيده تبارك وتعالى – فطرة الله التى فطر الناس عليها – وفى الصحيحين من حديث أبى هريره رضى الله عنه أن النبىصلى الله عليه وسلم قال(كل مولود يولدعلى الفطرة–يعنىعلىفطرة التوحيد والإيمان–فأبواه يهودانه– يعنى ينشأ فى بيت يهودى يهوديا – أو ينصرانه أو يمجسانه)اذا الله خلق الخلق جمعيا على فطرة التوحيد و الإيمان ثم بعد ذلك تجتال الشياطين من الخلق أعداد كبيرة فتحول بينهم وبين تحقيق قضية الإيمان بالله تبارك وتعالى.

أما الأدله العقليه على وجود الله فما أعظمها وما أكثرها أنظر الى السماء و ارتفاعها أنظرالى الأرض واتساعها أنظرالى الجبال وأثقالها أنظرالى الأفلاك و دورانها أنظر الى البحار و أمواجها أنظر الى كل ما هو متحرك أنظر الى كل ما هو ساكن الكل يقر بتوحيد الله ويعلن الشكر لله ولا يغفل عن ذكر الله الا من كفر من الانس والجن ولاحول ولاقوة الابالله وما أروع استدلال هذا العرابي الذى لم يدخل الى جامعه من الجامعات أو كليه من الكليات وأن كان قد تخرج من جامعة الفطره فقال حين سئل ما الدليل على وجود الله؟ قال البعره تدل على البعير والأثر يدل على المسيرسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير

البيضه حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب فبينما هو كذلك اذا انصدع جداره خرج منه حيوان سميع بصيرذو شكل حسن صوت مليح إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور سل الواحه الخضراء والماء جريا وهذه الصحارى والجبال الرواسيه سل الروضه مزدانه سل الزهره والنداء سل الليل والصباح الطير شاديا سل هذه الأناسم والأرض والسماء سل كل شى تسمع التوحيد لله ساريا ولوجن هذا الليل وأمتد سرمدا فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيه أأله مع الله.

الامام الشافعى استدال بورقة التوت على وجود الله ورقة التوت نعم قال ورقة التوت تأكلها تعطينا مسكها و ورقة التوت تأكلها دودة القز فتعطينا حريرا و ورقة التوت تأكله الشاة فتعطينا لبنا ولحما لو كانت عصره لو كان الأمر بصدفه لكنت عصرة الطعام الواحد واحد ولكنها تعمى الأبصار لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

و الأدله كثيره لا أريد الأستتراد الآن الموضوع طويل.

أما الأدله النقليه فما اكثرها وما أعظمها أقر آيات كثيره جليله من كتاب الله تبارك وتعالى وتتدبر أحاديث كثيره صحيحه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتعرف على الله سبحانه وتعالى تتدبر فقط قول الله عزوجل ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴿٦٠ ﴾أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾[النمل: من الآية٦٠- ٦١] الآيات .

وقد ذكرنها قبل ذلك اذا فقضية الايمان بالله تبارك وتعالى أول محور فيها الدليل على وجود الله دليل فطري دليل نقلي دليل عقلي دليل حسي و ما أكثره فلازلنا نرى أن كثير من الناس يتضرعون الى الله تبارك وتعالى بالدعاء ويجيبهم رب الأرض والسماء .

أما معجزات الأنبياء والرسل التى رائها كثير من الناس كثير من الخلق ممن بعث الله تبارك وتعالى اليهم أولئك الأنبياء والمرسلين فما أكثرها وما أعظمها فعيسى علىنبينا وعليه الصلاة والسلام يبرىء الأكمه والأبرص ويحى الموتى باذن الله ربه الذى أرسله أمده بذلك والقوم يرون هذا الاعجاز وهذه المعجزات بأعينهم وهذا نبى الله تبارك وتعالى موسى يضرب البحر بعصاه فينفلق فيصبح كل فرق كالطود العظيم كالجبل العظيم ويجعل الله تبارك وتعالى بين هذين المابن الثابتين طريقا ثابيا مع أنه من المعلوم يقينا بالفطرة وبالسنن الكونى أن قانون الماء الاستطراق بمعنى أنك لو ضربت البحر بعصى ستتشق العصى الماء لكن سرعا ما يلتم الماء هذا ما يعرف بقانون الاستطراك لكن يضرب موسى البحر بعصاه ويظل الماء هكذا الى أن يأمر ربنا تبارك وتعالى الماء أن يعود الى سيرته الأولى ليهلك فرعون وملايه آيه من آيات الله تبارك وتعالى وأرا فرعون وقومه هذه المعجزه الخالده و محمد صلى الله عليه وسلم يطلب منه قومه فى قريش آيه فيطلب نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه تبارك وتعالى أن يشق له القمر نصفين استجابه من رسول الله لطلب المشركين فى مكه وأنشق القمر نصفين ويرى المشركون القمر وقد أنشق فى كبد السماء نصفين ويسجل الله هذه المعجزه فى القرآن الى أن يرث الله ومن عليها ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر:١] وما أكثر الآيات والمعجزات التى أجراها رب الأرض والسماوات على يد نبينا صلى الله عليه وسلم يد اخوانه من النبين المرسلين دليل فطرى عقلى شرعى حسى وما أكثر الأدله.

أما المحور الثانى فى قضية الايمان بالله تبارك وتعالى أن نؤمن بربببيته بمعنى أن الله عزوجل وحده هو الخالق الرازق المدبر المصرف لأمر الكون قال تعالى﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: من الآية٥٤] قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾[آل عمران: من الآية١٥٤] والأدله فى هذا المحور أيضا كثيره لايتسع الوقت لذكرها.

ثالثاً : أن نؤمن بألهيه بمعنى أن نفرد الله سبحانه وتعالى وحده بالعباده فتوحيد الألهيه هو توحيد العباده فالااله هو الماله والعباده كما قلت أصل معناها الذل ويقال الطريق المعبرأى مذلل وطأءته الأقدام لكنىالعباده التى أمرنا بها تتضمن الى معنى الذل معنىالحب فالعباده هى كمل الحب لله مع كمل الذل لله تبارك وتعالى.

أما المحور الرابع من محاور الايمان بالله سبحانه وتعالى فهو الايمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وقد ذكرت قبل ذلك أننا حين نقسم التوحيد الى أقسام ثلاثه الى توحيد الربوبيه و الألهيه والأسماء والصفات هذا توحيد نظرىجدا تقسيم نظرى لالدرسة فقط و ال فأننا لا ندين الله بأن التوحيد كلا لا يتجزا يعنى هذا تقسيم من مشيخنا وعلمائنا لالدرسة النظريه والا فالتوحيد كلا لا يتجزا و معنى افرد الله بالأسماء و الصفات أن نؤمن بالأسماء الحسنى والصفات العلا التى أثبتها الله تبارك وتعالى لذاته فى قرآنه وأثبتها له أعرف الناس به أعبده ورسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء فى القرآن والسنه من غير تحريف ومن غير تعطل ومن غير تكيف ومن غيرتمثيل قال جلاوعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: من الآية١١].

وقال تعالى﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾[النحل: من الآية٧٤] وقال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص:١]أحد فى ذاته فى صفاته فى أسمائه فى أفعاله ومن أجمل ما قرأت فى هذا الباب ما رأوه البخارى ومسلم من حديث أبى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال(كذبنى بابن أدم ولم يكون له ذلك –لاحول ولا قوة الا بالله– وشتمنى ابن أدم ولم يكون له ذلك فأما تكذيبه اياى فقوله لن يعدنى الله تبارك وتعالى كما خلقنى يقول الحق سبحانه وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله أتخذ الله ولدا يقول سبحانه وأنا الأحد الفرد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكون لى كفوا أحد).

هذا بايجاز شديد جدا فالركن الأول من أركان الايمان الآ وهوالايمان بالله تبارك وتعالى.

الركن الثانى أن نؤمن بملائكته الايمان بالملائكه قال الله تبارك وتعالى فى الآيه التى استدل بها المصنف رحمه الله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ ﴾[البقرة: من الآية١٧٧].

فالايمان بالملائكه ركن من أركان الايمان بالله تبارك وتعالى لا يصح ايمان العبد الا أن أمن به و الايمان بالكلائكه أن تؤمن بأن الملائكه عباد مكرمون مربوبون مخلقون مفطرون علىالطاعه والعباده والتسبيح لا يسأمون ولا يفطرون ولايملون أبدا فهم ما خلقوا الا للعباده خلقهم الله من نور كما خلق الجن من نار وكما خلق الانسان من طين .

كما فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال :(خلقت الملائكه من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق أدم مما وصف لكم) أي من الطين اذا الملائكه عباد مكرمون مخلقون مربوبون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا مفطرون على الطاعه والتسبيح والعباده لا يسأمون قال تعالى ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴿١٩ ﴾

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [الانبياء:٢٠]

وقال تعالى)وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) (الانبياء:٢٦)

)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (الانبياء:٢٧)

)يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (الانبياء:٢٨)

وقال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] .

ومن الملائكه أيها الأفاضل منهم الموكل بنزول الوحى من الله تبارك وتعالى على أنبياءالله رسله وهو جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومنهم الموكل بالأرزاق وهو مكيائيل عليه السلام ومنهم الموكل بالنفخ فى الصور وهو أسرافيل عليه السلام ومنهم الموكل بقبض أرواح العباد وهو ملك الموت مع أعوانه من الملائكه كما ثبت ذلك فى أحاديث أخر وفى آيات من كتاب الله تبارك وتعالى ومنهم الموكل بحفظ العبد قال تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[الرعد: من الآية١١] .

قال ابن عباس : المعقبات وهم ملائكة الله تبارك وتعالى يحفظون العبد من بين يديه ومن خلفه فاذا وقع قدر الله تبارك وتعالى أو نزل قدر الله خلوا بينه وبين العبد ولذلك لما سأل سعيد ابن جبير ابن عباس رضى الله عنهما وقال ابن عباس مالى أرى الهدهد يقول عنه ربنا تبارك وتعالى فى القرآن حكايات عن نبى سليمان أحاط بما لم تحط به و جائتك من سبأ بنبأ اليقين أراه اذا وضع له الصياد الفخ وقع فيه فقال ظننتك من أفقه الناس يابن جبير الآ تعلم أن وقت القدر يعمى البصر هذا قول عباس رضى الله عنهما فاذا نزل قدر الله خلي بين القدر وبين العبد ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[الرعد: من الآية١١] ومن الملائكه وكل بحفظ أعمال العبد قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ﴿١٦ ﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴿١٧ ﴾مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٦- ١٨]

وقال تعالى﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴿١٠ ﴾كِرَاماً كَاتِبِينَ﴿١١ ﴾يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠- ١٢]

وهكذا ومنهم الموكل بأرحام النساء فكل أرحام النساء وكل الله لها ملك من الملائكه كما فى الصحيحين من حديث آنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله تعالى وكل بالرحم ملك)

سامحونى على سرعة الالقاء و الطرح لأن الموضوع طويل كما ذكرت.

قال النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى وكل بالرحم ملك فيقول الملك أىربى نطفه أى ربىعلقه أى مضغه أىربى ذكرا أم أنثى أى ربى شقى أم سعيد أى ربى ما رزقه أىربى ما أجله- فى لفظ مسلم - فيكتب الملك ويقضى ربك ما يشاء)وهكذا فالملائكه مفطوره على الطاعه مفطوره على العبادة لها وظائف كثيرهكما ذكرنا ولا يتسع الوقت لالتفصيل يجب على كل مؤمن ومؤمنه أن يؤمن بملائكة الله تبارك وتعالى على الجملة وعلى التفصيل على الأسماء الذى ذكرها الله تبارك وتعالى فى قرآنه أو ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فى سنته وعلى الجملة نؤمن بملائكة الله تبارك وتعالى ما علمنا منهم وما لم نعلم وأن نكون على يقين بأنهم كرام معنا فيجب على المؤمن أن يستحى من الله سبحانه وتعالى ثم عليه أن يستحى من ملائكة الله تبارك وتعالى التى تسجل عليه وتدون عليه كل شى بكل أسف يا اخواه قل ثقتونا الى حد مزرن فلو ذكرت الآن بأن المسئولين قد نادوا فى كل وسائل الاعلام و الزموا كل مكلف أن يذهب الى أقرب قسم شرطه وسوف يقوم المسئولون فى قسم الشرطه بتركيب جهاز له كمسجل الصوت مثلا ولا يفتح هذا الجهاز الا بوسطة المسئولين بعد كل أسبوع مثلا يسجل عليه هذا الجهاز كل كلمه سواء كانت كلمه جميله أو بذيه وكل كلمه طيبه كالتسبيح أو التهليل أو التكبير أو التحميد سيخذ عليه جنيه واحد وكل كلمه سيئه يعاقب عليها بعقوبه معينه أنا أسالكم بالله هل سنتكلم اذا ركب لنا هذا الجهاز الا بالذكر هل سننطق الا بالتسبيح ان قيل كيف حالك قال الحمد لله كيف فعل ولدك هذا العام الله أكبر ما نتيجة الزرع فى هذا الحصاد لا حول ولاقوة الا بالله لن ننطق الا بالتسبيح مع أن ربنا تبارك وتعالى قال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ومع ذلك نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الايمان به وأن يرزقنا الايمان بملائكته أنه ولى ذلك وقادر عليه بايجاز شديد جدا الركن الثانى من اركان الايمان باللة الاول هو الايمان بالملائكة الركن الثالث الايمان بالكتب الايمان بالكتب و الايمان بالكتب معناة التصديق الجازم بالكتب و الصحف التى انزلها اللة تبارك و تعالى على انبياءة و رسلة و انها كلام اللة تكلم بها على الحقيقة كما شاء و كيف شاء و على الوجة الذى شاء سبحانة و تعالى . ذكر اللة سبحانة و تعالى لنا منها فى القرآن و التوراة والانجيل و الزبور و صحف ابراهيم و صحف موسى و جعل اللة القرآن مهيمنا على كل هذة الكتب و مفسرا لكل ما جاء فيها قال اللة سبحانة ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ ﴾[البقرة: من الآية١٧٧] آى بالكتب التى انزلها اللة تبارك و تعالى على انبياءة و رسلة و قال جل و علا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾[النساء: من الآية١٣٦]و هو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾[النساء: من الآية١٣٦].

اذا الايمان بالكتب ركن من اركان الايمان يجب علينا نحن الموحدين ان نؤمن بالقرآن و ان نؤمن بالتوراة التى انزلها اللة تبارك و تعالى على نبية موسى و ان نؤمن بالانجيل الذى انزلة اللة تبارك و تعالى على نبية عيسى و ان نؤمن بالزبور الذى انزلة اللة تبارك و تعالى او بمعنى ادق الذى آتاة اللة تبارك و تعالى على نبية ابو داود ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُور ﴾[النساء: من الآية١٦٣] .

و ان نؤمن بالصحف التى انزلها اللة تبارك و تعالى على ابراهيم و ان نؤمن بالصحف التى انزلها اللة تبارك و تعالى على نبية موسى عليم جميعا افضل الصلاة و ازكى السلام . الايمان بالكتب . اللة سبحانة و تعالى جعل القرآن الكريم مهيمنا على كل هذة الكتب و مفصلا لكل ما جاء فى هذة الكتب و من الايمان بالقرآن ان نؤمن بمحكمة ان نعمل بمحكمة و ان نؤمن بمتشابهها ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[آل عمران: من الآية٧] لأن الذين فى قلوبهم زيف سيستدعون ما تشابهة منهم لابتغاءالفتنة و ابتغاء تأويلة و ما يعلم تأويلة الا اللة و الراسخون فى العلم حيث اننا جعلنا منهم يقولون آمنا بة كل من عند ربنا فنحن الموحدين نؤمن بالقرآن الكريم كلة نمتثل امرة و نجتنب نهية و نقف عند حدودة و هذا المنهج ليس ماثلةٍ و لا تطوعاً لكل من حقق الايمان بل هو شرط اسلامى و حد الايمان ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيم ﴾ [النساء:٦٥]

اذا لابد من الايمان بالقرآن الكريم كلة امراً امراً نهياً نهياً حداً حداً و العودة الى القرآن و امتثال القرآن ليس ماثلة و لا تطوعاً كما ذكرت ﴿طه﴾١ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طـــه:٢]

و قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِير ﴾ [الإسراء:٩]

و اسأل اللة ان لا نكون ممن قال اللة فيهم و قال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً أذا الايمان بالكتب و على راسها الايمان بالقرآن الكريم ركن من اركان الايمان باللة تبارك و تعالى قال جل و علا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة:٢٨٥]

هذا بايجاز شديد جداً فى الايمان بالكتب . الركن الرابع من اركان الايمان باللة تبارك و تعالى و هو الايمان بالرسل و الرسل هم صفوة الخلق و لقد خلق اللة الخلق و اصطفى من الخلق الانبياء و اصطفى من الانبياء الرسل و اصطفى من الرسل أولي العزم الخمس نوحاً و ابراهيم وموسى و عيسى و محمداً صلوات اللة عليهم اجمعين و اصطفى من اولى العزم الخمسة خليلين ابراهيم و محمداً ثم اصطفى محمداً صلى اللة علية و سلم ففضلة وكرمة على جميع خلقة الرسل هم صفوة الخلق و صفوة البشر اللة تبارك و تعالى قال ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾[الحج: من الآية٧٥].

والله تبارك و تعالى يقول اللة اعلم حيث يُجعل رسالته الله اعلم حيث يعُجل رسالته جل و علا ذكرا الله تبارك وتعالى لنا منهم فى القرآن خمسة وعشرين نبى ورسولا ذكرا الله بأسمائهم خمسة وعشرين رسولا ولم يذكر مجموعة كبيرة أخرى من الرسل قال تعالى رسل قد قصصنهم عليك ورسل لم نقصصهم عليك قص الله علينا بعض أسمائهم ولم يقص علينا بعض و أسماء الأخرين فيجب علينا نحن المؤمنين أن نؤمن برسل الله على الجملة والتفصيل على التفصيل الذى ذكره ربنا تبارك وتعالى فى قرآنه وعلى الجمله كما قال تبارك وتعالى ورسل لم نقصصهم عليك الرسل جميعا موكب واحد يحملون دينا واحد ومنهجا واحد واذا اختلفت الشريعه بينم اختلاف يسيرا بحسب الحاجه التى يرسل الله تبارك وتعالى من أجلها النبىأو الرسول.

لكن قبل أن أبين منهج هولاء الكرام أود أن أفرق بين الرسول والنبى أو أن أعرف معنى النبى والرسول الأن المشهور على ألسنة الناس بان على السنت العلماء وهو المثبت فى كتبينا وطالما ما قرأنه مراراوتكرارأن النبى هو من أوحى الله اليه بشرع و لم يكلفه بالبلاغ وأن الرسول هو من أوحى الله اليه بشرع وكلفه بالبلاغ هذا القول فى الحقيقه لا يتفق ولا يستقيم لاشرعا ولا عقلا الرسول هو من أوحى الله اليه بشرع وأمره بالبلاغ والنبى هو من أوحى الله اليه بشرع ولم يأمره بالبلاغ أقول هذا القول لا يستقيم أبدا شرعا ولا عقل لأنه لا يمكن أبدا أن يوحى الله تبارك وتعالى انبى نت أنبياء الكرام وحى ليظل هذا الوحى سجينا فى صدر هذا النبي و حبيس قلب هذا النبى لا يبلغه الى الخلق الا فما هى الغايه من بعثة أو أرسل هذا النبى الكريم ثم هذا لا يتفق أبدا مع الشرع وقد بين القرآن الكريم أن الله أرسل الأنبياء والمرسلين قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[الحج: من الآية٥٢]الآيه .

فالله يثبت الارسال هنا لمن؟ للرسل و الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾[الحج: من الآية٥٢] الآيه اذا الله يثبت أرسال الرسل كما يثبت ارسال الأنبياء وفى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (عرضت على الأمم فرايت النبى ومعه الرهط ورايت النبى ومعه الرجل والرجلين ورايت النبى وليس معه أحد) الشاهد من الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم يخبر عن أنبياء بعثوا فى أقوامهم فلم يؤمن بهذا النبى من قومه الا رهط ولم يؤمن بهذا النبى من قومه الا رجل أو رجلين ولم يؤمن بهذا النبى من قومه أحد.

ومن المعلوم والأصول الثابته أن الله لايعذب قوما الا بعد أن يقم الحجه عليه ببعثة الأنبياء والمرسلين﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: من الآية١٦٥].

اذا من أجمل التعرفات لرسول والنبى ما عرف به العلام اللوسي رحمه الله تعالى اذ يقول الرسول هو ما أوحى الله عزوجل اليه شرعا جديدا والنبى هو المبعوث لتكريرشرع من سبقه من الرسل هذا كلام جميل لاسيما وقد سبق فى صحيح البخارى من حديث أبى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال(كانت بنو اسرئيل تسسوهم الأنبياء كلما مات نبى خلفه نبى) ومن المعلوم أن كل أنبياء بنى اسرئيل ساسوا وحكموا بنى اسرئيل بشرع نبى الله موسى فنبى الله موسى هو الرسول الذى أوحى الله اليه بوحى جديد وبعث الله بعده مجموعه كبيرة جدا من الأنبياء حكموا بنى اسرئيل بشريعة نبىالله موسى اذا الرسول هو ما أوحى الله عزوجل اليه شرعا جديدا والنبى هو المبعوث لتكريرشرع من سبقه من الرسل عليهم جمعيا صلاوة الله وسلامه الرسل والأنبياء وظيفتهم الدعوة الى توحيد رب الأرض والسماء هذه الوظيفه الأولى لكل نبى وهى الصيحة الأولى لكل رسول﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: من الآية٣٦]﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: من الآية٣٦]قال تعالى ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: من الآية٦٥[قال تعالى﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه ﴾[الأعراف: من الآية٧٣] قال تعالى﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: من الآية٨٥] وبالجمله قال تعالى﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: من الآية٢٤] وقال تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥]

هذه الصيحة الأولى لكل رساله و الدعوه الاولى لكل نبوه دعوة الخلق الى توحيد الحق تبارك و تعالى ثم البشاره و النذاره فهم يبشيرون من وحد الله وأمن بالله وينذيرون من كفربالله تبارك وتعالى﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: من الآية١٦٥].

ثم تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق و تطهير الأرواح هذه وظيفة الأنبياء والمرسلين قال الله تبارك وتعالى حكايه عن نبى الله ابراهيم﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧]

والآيات فى هذه كثيره يبقى تعليم الخلق توحيد الحق سبحانه والأخذ بيد البشريه الضله عن طريق التوحيد الأخذ بأيد البشريه الىطريق الحق وصراط الله المستقيم و تزكية نفوس الخلق و تهذيب أرواحهم وذلك لا يكون أبدا الا بامتثال أمر الله واجتناب نهيه والوقف عند حد حدوده تبارك وتعالى قال سبحانه ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾[طـــه: من الآية١٢٣]الآيه .

أصل مهم جدا أصله فى الايمان بالرسل أن من كفر برسول واحد فقد كفر بجميع اخوانه من الأنبياء والمرسلين هذا أصل فى غاية الأهميه من أمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وكفر بعيسىفقد كفرومن أمن بعيسى صلى الله عليه وسلم وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر فمن أمن بنى فقد وجب عليه أن يؤمن بجميع اخوانه من النبين والمرسلين ولا فأن كل من كذبنبى أو رسول واحد فقد كذب بجميع اخوانه من الرسل والأنبياء تدبر معى قول رب الأرض والسماء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥]

مع أن الله ما أرسل اليهم الا نوحا عليه السلام لكن لما كذبوا نوحا كان تكذبهم اياه تكذيب لكل الرسل و الأنبياء﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٠٥]

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٢٣]

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٤١]

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٦٠]

وهكذا وقد بين الله جلاوعلا هذه الحكم الواضح فى آيه جليله من آيات سورة النساء فقال سبحانه وتعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيل﴿١٥٠ ﴾أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِين ﴾[النساء:١٥١]

هذاحكم ربنا تبارك وتعالىأولئك هم الكافرون حقااذا لابد لكل مؤمنأن يؤمن بجميع الرسل والأنبياءقال تعالى﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[البقرة: من الآية٢٨٥].

نحن الموجدين لا نفرق بين أحد من رسله يعنى فى أصل الايمان فالا نحن نفضل بعضهم على بعض لتفضيل الله لهم بعضهم على بعض قال تعالى﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[البقرة: من الآية٢٥٣].

اذا الله تبارك وتعالىفضل بعض الرسل على بعض لكننا لا نفرق بين رسول ورسول فى أصل الايمان أى بالله تبارك وتعالى وبأنبيائه و رسله عليهم جميعا صلاوات الله وسلامه هذا بايجاز شديد جدا فى الركن الرابع من أركان الايمان الآ وهو الايمان بالرسل.

اركن الخامس الايمان باليوم الاخروسمى باليوم الاخر لأنه اخر أيام الدنياوهو يوم القيمه أولأنه اليوم الذى لا ليل بعده وهذا اليوم لا يصح لك ايمان ان حققت الايمان به ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾[البقرة: من الآية١٧٧] .

الآيه هذا اليوم يبدا بالموت و ينتهى بالجنه أو النارأسال الله أن يجعلنى و أياكم من أهل الجنه يبدا بالموت وبعد الموت بعث وبعد البعث حشر و بعد الحشر حساب وبعد الحساب ميزان وبعد الميزان صراط وبعد الصراط جنه أو نار يبدا بالموت كل من عليها فأن و يبقى وجه ربك ذو الجلال والكرام وقال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وتحيد أى تهرب والحق أنك تموت والله حى لا يموت والحق ترى عند الموت ملائكة الرحمه أوملائكة العذاب والحق أن يكون قبرك روضه من رياض الجنة أو حفره من حفر النيران ذلك ما كنت منه تحيد أى تهرب وتجرى و تفر تحيد الى الطبيب اذا جائك المرض خوفا من الموت وتحيد الى الطعام اذا احسست بالجوع خوفا من الموت وتحيد الى الشراب اذا احسست بالظمأ خوفا من الموت ثم ماذا أيها القوى الفتىأيها الذكى العبقرى يا أيها الكبير يا أيها الصغير يا أيها الغنى يا أيها الفقيركل باك فسيبكى وكل ناعى فسينعى وكل مذكور سينسى وكل منخورا سيفنى ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى كل من عليه فآن ويبقى وجه ربك ذا الجلال والكرام وخاطب ربنا نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وما جعلنا لرجل من قبلك الخلد أفمن مت أفهم الخالدون والآيات فما أكثرها وما أجملها.

فهذا اليوم يبدا بالموت يأمر الله تبارك وتعالى اسرافيل بالنفخ فى الصور نفخة الصعق﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾[الزمر: من الآية٦٨] قيل جبريل ومكايئل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش وقيل الملائكه أقوال كثيره لكن فى النهايه الكل يموت أتى ملك الموت ويبقى وجه ربك تبارك وتعالى ذو الجلال والكرام ثم بعد ذلك يحى الله اسرافيل و يأمرم بالنفخ فى الصور نفخت ثانيه الا وهى نفخت البعث ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون قال تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴿١ ﴾وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴿٢ ﴾وَقَالَ الْأِنْسَانُ مَا لَهَا﴿٣ ﴾يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴿٤ ﴾بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴿٥ ﴾يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴿٦ ﴾فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴿٧ ﴾وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة:٨]

بعث و قد كذب المشركون بالبعث ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧]

وقد ذكر لنا الله فى القرآن أمثله عديده لقضية البعث أتخذ قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠]

وقبلها ذكر قصة العزيز والله تبارك وتعالىكما قال فى الحديث القدسىالذى ذكرته آنفا وليس أول الخلق بأهون على من اعادته فالله الذى خلق من العدم قادر على أن يعد من موجود كما قال صلى الله عليه وسلم والحديث فى صحيح مسلم(كل ابن أدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ابن أدم ومنه يركب) وعجب الذنب عباره عن عظمه دقيقه جدا فى أخرالسلسله الفقريه اذا بلي الجسد كله وصار تراب تبقى هذه العظمه وهى عجب الذنب يركب الله سبحانه وتعالى حولها جسد صاحبها مرة أخرى ليقف الله العبد يوم القيامه والأمر يسير على ربى الملك القدير ففى الصحيحين من حديث أبى هريره أنه صلى الله عليه وسلم قال(أصرف رجل على نفسه فجمع أولاده وقال اذا أنا مت فحرقونى حتى اذا صرت فحماً فاسحقونى فاذا كان يوم ريح عاصف فاذرونى و فى لفظ فذر نصفى فى البر و نصفى فى البحر فلا ان قدر علي ربى ليعذبنى عذاباً ما عذبه احد من العالمين قال رسول الله صلى اللة علية و سلم فآمر الله البحر فجمع ما فيه و آمر الله البر فجمع ما فيه ثم قال الله له قم فاذا هو رجل قائم بين يديه جل و علا فقال الله ما حملك على هذا قال خشيتك يا ربى و أنت اعلم و فى لفظ مخافتك يا رب

فغفر الله له بذلك فهذا ما قال و ما فعل هذا كفراً بالله و انما خوفاً من الله هذا المقام خوف غلبه الخوف فقال ما قال كما غلب الآخر الفرح فقال قولته اللهم انى عبدك و انا ربك فلا ينبغى ان نتعجل بصدر الاحكام على الناس اذا قالوا قولت كفريه الأنك لا تعام أحوال الخلق و أحوال العباد فربما غلب عليه القول وقال ما قال وربما غلب عليه الفرح فقال ما قال حتى تبين له الحجه و حيى يفهم الحجه حين ذلك تستطيع أن تسقط عليه الحجه بطمئنان أما التعجل بدون فهم دقيق و وعى عميق فقد يوقعونا مذلة جائرة وهى القول على الله بغير علم أسال الله أن يرزقناو أياكم الأدب معه أنه ولى ذلك وقادر عليه .

وبعد البعث حشر نعم﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾[الاسراء: من الآية٩٧]يا الله﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِير ﴾[الاسراء: من الآية٩٧] هكذا يحشر الكافرون تصورأن يخرج صنف من القبربدل أن يمشى على قدميه يمشى على وجه فى أرض المحشراذا خرج الناس من القبوروجدوا ملك أرسله الملك القدير ليقود الخلق جميعا الى أرض المحشركما قال ربنا سبحانه وتعالى

﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْف﴿١٠٥ ﴾فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَف﴿١٠٦ ﴾لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْت ﴾[طه : ١٠٥– ١٠٧] الأيات .

محدش يقدر يتأخر ولا يتخلف ولا يتلفت فيخرج الكل وراء هذا الداعى مهطعين الى الداع الكل تابع ذليل منقاد﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْد﴿٩٣ ﴾لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّ﴿٩٤ ﴾وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْد ﴾ [مريم : ٩٣ – ٩٥] الآيات .

يحشر الناس يوم القيامه حفاة عراه غرلا كما فى الصحيحين من حديث عائشه(قالت عائشه الرجل والنساء يا رسول الله رجل عراه نساء عراه فى هذا الزحام الخانق القاتل– الرجل والنساء فقال يا عائشه الأمر أهم من أن يهمه ذلك لكل آمرء يوم آذن يلهيه)لو تدبرت هذا الحديث ورب الكعبه لأنخلع قلبك من هوال هذا اليوم رجل عارأمام امرآة عاريه لا يلتفت اليها ولا تنشغل به أمر جلال الأمر أهم من أن يهمه ذلك صنف يحشر على وجه الكافرون ففى الصحيحين من حديث آنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : (أنه يحشر الكافر يوم القيامة على وجه قيل يا رسول الله كيف يمشىعلى وجه قال اليس الذى أمشاه فى الدنيا على قدميه قادرا على أن يمشيه يوم القيامة على وجه قال قتادة بلى و عزت ربن)و أنا أقول بلى و عزت ربنا أى أنه لقادر ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِير ﴾[الاسراء: من الآية٩٧] .

و صنف أخر كريم اذا تشققت القبور وتصدعت الأرض عن أهلها يخرج صنف كريم من القبور فيرا الملائكه فى استقباله اللهم أجعلنا منهم بمنك و كرمك لقد أعدد لهم الملائكه من ركاب الجنه ما لا يعلم جمالها وجلالها الا من اعدها سبحانه وتعالى من هولاء السعداء المتقون لا يمشى التقى فى أرض المحشرأبدا و انما يركب من ركاب الاخره ما الله به عليم ربما فى الدنيا لا يقدر على أن يركب دراجه أو أن يركب حمارا لكنه فى الاخره وهو التقى النقى الموحد بالله يركب من ركاب الاخره ما لا يعلم جمالها وجلالها الا من أعدها سبحانه وتعالى﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْد ﴾ [مريم:٨٥]

قال جمهور المفسيرين أى ركبانا ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْد ﴾ [مريم:٨٦]

نعوذ بالله من الخزلان يبقى بعد البعث حشر وبعد الحشر حساب ففى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال (من نقش الحساب يوم القيامه عذب قالت عائشه يا رسول الله اوليس الله يقول أنا من أتى كتابه بيمينه فسوف يعذب حساب يسير قال ليس هذا الحساب يا عائشه أنما ذلك العرض فمن نقش الحساب يوم القيامه عذب)
فالحساب يبدا يوم القيامه بعرض الصحف بتطتير الصحف ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ

(١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) ﴾[الحاقة : ١٩ –٢٩] .

أين المال وأين الجاه والسلطان الكل هلك والكل ضاع ولاحول ولاقوة الابالله﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[الكهف: من الآية٤٦] قال تعالى﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الانبياء:٤٧] وبعد الحساب ميزان تانى بعد الحساب

ليه بعد قضية الحساب قال القرطبى وغيره الحساب لتقرير الاعمال والميزان لبيان مقدارها ليجازى الله بحسبها وما ربك بظلام للعبيد فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرى و من يعمل مثقال ذرة شراً يرى و نحن الموحدين نؤمن بميزان حسى لة ميزان لكن لا يعلم عظم الكفتين الا ربنا سبحانة وتعالى يوزن فية الاعمال جائز توزن فية الاعمال ثابت عن سلفنا يوزن العبد نفسة بغير الاعمال ثابت عن سلفنا يوزن العبد باعمالة و هذا هو الراجح من جمهور اهل العلم يوزن العبد باعمالة يوضع فى الميزان فمن ثقلت موازينة فقد سعد سعادة لا شقاء بعدها ابداً و من خفت موازينة شقى شقاوة نسأل اللة الا يجعلنا و اياكم جميعاً من اهلها و بعد الميزان صراط صراط قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴿٧١ ﴾ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [مريم:٧٢]

وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنة و فية (ان النبى صلى الله علية و سلم سُئل عن الصراط فقال دحض مذلة جسر يضرب على متن جهنم جسر) شايف الكوبرى هل ترى لكنة دقيق جداً و حاد جداً و مذلة يعنى تزل علية الاقدام و لا تفت الا لمن ثبت الله اقدامة دحض مذلة او مِذلة فيمر علية المؤمنون كالطرف و كالبرق و كالريح و كالطير و كاجاويد الخيل و الركاب فناج مسلم اللهم اجعلنا منهم و مخدوش مرسل النار توصلة لكن ينجية الله و مطبوش فى نار جهنم الى اخر الحديث و بعد الصراط قنطرة قد لا يعرفها كثير من المسلمين لا يمر عليها الا اهل الايمان الذين نجاهم الله من الصراط ليتقاسوا مظالم كانت بينهم فى الدنيا لانة لا يدخل الجنة احد و علية مظلمة لاحد اخوانة من اهل الايمان ابدا .

و الحديث فى صحيح البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى ان الحبيب النبى صلى الله علية و سلم قال اذا مر المؤمنون آى من الصراط حُبسوا بقنطرة بين الجنة و النار فيتقاسون مظالم كانت بينهم حتى اذا هُذبوا و نقُوا واذُن لهم فى دخول الجنة قال صلى الله علية و سلم فوالذى نفسى بيدة لاحدهم اهدى اى اعرف بمنزلة فى الجنة بمنزلة كان فى الدنيا كما ستنصرف الان بعد اللقاء الى بيتك لا تحتاج من يدلك علية كذلك ينصرف اهل الايمان بعد هذا القصاص علة هذة القنطرة كًل الى منزلة فى الجنة لا يحتاج ان يسأل ملكاً من الملائكة كما قال ربنا ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد:٦]

نسأل الله ان يجعلنا من اهل الجنة و بعد هذا جنة او نار ابدأ بالجنة لانى اسال الله ان يجعلها خاتمتنا .

النار الطعام فيها نار و الشراب فيها نار و الثياب فيها نار طعامهم زقوم و ضريع و غسلين و الآيات على ذلك لا يتسع الوقت لذكرها حتى الثياب تفصل لاهل النار من ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج:١٩]

حتى الماء اذا غلى الطعام و اشتعلت النار فى البطون استغاثوا و طلبوا من ربهم ماءاً فأمدهم بماء و لكنة كالزيت المغلى يشوى الوجوة ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾[الكهف: من الآية٢٩]آي كالزيت المغلى ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾[الكهف:

من الآية٢٩] فالطعام فى النار نار و الشراب فى النار نار و الثياب فى النار نار و لا حول و لا قوة الا بالله العلى العظيم بل ان اهون اهل النار عذاباً رجل توضع فى اخمص قدمية جمرة من نار فيغلى منهما دماغة كما قال علية الصلاة و السلام فى حديثين صحيحين و هو يرى انة اشد اهل النار عذاباً الا انة اهون اهل النار عذاباً اما الجنة ففيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر من دخلها ينعم و لا ييئس و يخلد و لا يموت لا يفنى شباب اهل الجنة و لا تبلى ثياب اهل الجنة و لا ينتهى معين اهل الجنة و لو تتبعنا و صف ربنا تبارك و تعالى للجنة و الله لطاشت الرؤوس اقرأوا سورة الانسان لنرى العجب العجاب يكفى ان تعلم ان بناءها لبنة من ذهب و لبنة من فضة تصور ان المونة المادة التى ستوضع بين لبنتين لبنة اسمنت لبنة ذهب و لبنة فضة اسمنت يوضع فية طين يا اخى مستحيل طوبة ذهب و طوبة فضة نحط بينهم طين ولا اسمنت لا امال المادة بين الطوبتين اية مسك مسك لبنة من ذهب و لبنة من فضة و ملؤها المسك المونة المادة بين الطوبتين او اللبنتين مسك و حصبئها حصب ارض الجنة اللؤلؤ و الياقوت و المرجان و التراب الزعفران الله الله الله و لن نتحدث عن الحور و لا عن الحرير و لا عن انهار اللبن و لا عن انهار االخمر و لا عن انهار العسل و لن اتحدث عن الفضة و لا عن الحرير و لكن اعلم بأن اعلى نعيم فى الجنة هو التمتع بالنظر الى وجة اللة جل و علا الله هذا اعلى نعيم فاذا انشغل اهل الجنة بهذا النعيم انشغلوا عنة بكل نعيم لا يلتفتون بعد ذلك لافضة و لا الى ذهب الى حور و لا الى حرير و لا الى قضة و لا الى ذهب و لا الى انهار من خمر و لا عسل و لا لبن لا لا لا و رضوان من الله اكبر اكبر من كل ما فى الوان الجنة من نعيم قليل منك يكفينى و لكن قليلك لا يقال لة قليل و لذلك يقول المصطفى كما فى صحيح مسلم عن حديث حصيب ابن ابى سعيد اذا دخل اهل الجنة الجنة قال الله تعالى يا اهل الجنة فيقولوا لبيك ربنا و سعديك و الخير كلة فى يديك فيقول ربنا هل رضيتم هل انتم راضون فيقولون و مالنا لا نرضى و قد ادخلتنا الجنة و انجيتنا من النار فيقول ربنا جل و علا افلا اعطيكم افضل من ذلك فيقول اهل الجنة و آى شئ افضل من ذلك فيقول ربنا احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعدة ابداً الله اللهم اجعلنا آهلا لرضوانك و لا تحرمنا من النظر الى وجهك الكريم .

قال الامام احمد متى يجد الاب طعم الراحة قال عند اول قدم فى الجنة وللة قائل لا تزول احزان قلبى حتى ابشر بالقبول و ارى كتابى باليمين و تقر عينى بالرسول قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢- ٢٣].

اللهم لا تحرمنا من النظر الى وجهك الكريم و ان قصرت اعمالنا يا ارحم الراحمين هذا بايجاز شديد جداً فى الايمان بالركن الخامس من اركان الايمان الا و هو الايمان باليوم الأخر و اخيرا من اركان الايمان الايمان بالقدر خيره و شره و اجمل لكم القول اجمالا فى الركن السادس من اركان الايمان اقول اهل النجاة و اهل السعادة ة وأهل الفلاح فى الدنيا والاخره من أخذوا لو أخذوا علم هذا الركن من مشكات الوحى المبين من القرآن الكريم و سنة سيد المرسلين بفهم سلف الدنيا الصالحين المتقين بعيد عن أراء المتهويق وبعيد عن أشكاك المتشكيكين وزيغ المضللين ولقد زلتفى هذا الباب أقدام و ضلت فى هذا الباب أفهام وتعثمت فى هذا الباب أقلام فالايمان بالقدر القدر هو سر الله تبارك وتعالى فى خلقه لم يطلع عليه ملكمقرب ولا نبى مرسل و الايمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الله لا يصح ايمانك الا به و اذكر الان بمقدمة مسلم على لسان ابن عمر فما أجمالها وأن موضوعهاهنا الان قال مسلم رحمه الله حدثنا أبو خيذمه زهير ابن حرب عن جهمز عن واكيه عن عبد الله ابن بريده عن يحيى ابن يعمر قال كان أول من قال فى القدر أى بنفس القدرفى البصرة فى معبد الجهينى فأنتلقت أنا وحميد ابن عبد الرحمن الحمارى حاجين أو معتمرين فقولنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنه عن ما يقول هولاء فى القدر قال فيكشف لنا عبد الله ابن عمر داخل المسجد فاكتنفت أنا و صاحبى أحدنا على اليمين والاخر على الشمال قال وظننت أن صاحبى سيترك الكلام الى فقلت أما عبد الرحمن أنه ظهر قبلنا ناس يقرأون القرأن ويتكثرون العلم يعنى يبحثون عن غواميض العلم وخوافيه ودواق مسأئله وذكر من شأنهم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف يعنى أن الله لا يعلم أموربملكه قال ابن عمر أن لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برءاء منى والذى يحلف به الله ابن عمر لو أن لأحديهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما

قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثنى ابى عمر ابن الخطاب وساق الحديث الطويل الذى ذكرته فى اللقاء الماضى بطوله القدر سر الله فى الخلق الايمان به على أربع مراحل وتدبر منى هذا التاصيل المهم الايمان به على أربع مراحل المرتبة الأولى مرتبة العلم ومرتبة الايمان ومرتبة المأشية و الايراضه ومرتبة الخلق أما المرتبة الأولىوهى العلم معناهاأن الله تبارك وتعالىعلم ماكان و ماهو كائن أو يعلم ما كان وما هو كائن وما يكون و ما لم يكن لو قدر له جلاوعلاأن يكون لعلم كيف يكون فعلم الله شامل محيط علم الله تبارك وتعالى محيط بكل شى و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الاهو و يعلم ما فى البر و البحروما تسقت من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كياب مبين وما أكثر الآيات لا أريد أن أقر أكثر من ذلك لضيق الوقت أظن أن وقت الحلقه قدأنتهى بالفعل .

ثم المرتبه الثانيه هى مرتبة الكتابه بمعنىأن الله تبارك وتعالى علم وكتب فى كتاب عنده مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنه كما فى صحيح مسلم من حديث عبد الله ابن عمرأنه صلى الله عليه وسلم قال أن الله تعالى كتب مقارير الخلائق عنده قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنه و انتبهوا معى فالزمن المذكور فى حديث عبد الله ابن عمر هو هو زمن الكتابه وليس زمن التقدير الأن التقدير أزلى ومرتبة الكتابه تشتمل على خمسة تقادير مرتبة الكتابه أى هى مرتبة الثانيه من مرتبة الايمان بالقدر تشتمل علىخمسة تقادير التقدير الأول هو التقدير الأزلى ثبت فى سنن أبى داود والترمذى بسند صحيح من حديث عباده أبن الصامت رضى الله عنه أنه قال لولده أى بنىأعلم أنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطأك وأما ما أخطاك ما كان ليصيبك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب قال ربى وما أكتب قال أكتب مقادير كل شى الى يوم القيمه و فى لفظ أكتب كل ما هوكائن الى يوم القيمه فالتقدير أزلى.

التقدير الثانى هو التقدير فى يوم الميثاق قال تعالى وأذ أخذ ربك من بنى أدم من ظهرهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمه أن كنا عن هذا غافلين أو تقولوا أمنا أشرك أبانا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون.

التقدير الثالث بايجاز هو التقدير العمرى وهو التقدير حين تكون النطف فى الأرحام حين تضع أو تودع النطف فى الأرحام كما فى الحديث الذى ذكرته فىحديث آنسفى الصحيحين أن الله تعالى وكل اى ربى نطفه أى ربى علقه أى ربى مضغة أى ربى ذكر أو انثى أشقى أم سعيد ما أجله ما رزقه وفى لفظ مسلم فيكتب الملك ويقضى ربك ما شاء

التقدير الرابع التقدير الحولى يعنى السنوى وذلك يكون فى ليلة القدر قال تعالى فبها يفرق كل أمر حكيم قال أبن عباس تقدر فيها الأرزاق و الأجل وكل ما هو كائن فى هذا العام حتى قال يكتب فيها يحج فلان ويحج فلان ولا يحج فلان وقال سعيد ابن جبير حتى ترى اغلرجل يمشى فى الأسواق وهو قد كتب عند الله فى الموتى.

أما التقدير الخامس هو تقدير اليومى وهو المذكور فى قوله تعالى كل يوم وهو فى شأن ثبت فى سنن الترمذى وغيرها بسند حسن أن النبى سأل ما شأن الله تبارك وتعالى قال يغفر ذنب و يفرج كربا و يرفع أقوام و يخفض أخرين هذا شأن ربى سبحانه وتعالى كل يوم كل يوم هو فى شأن جل جلاله هذا فى المرتبه الثانيه من مراتب الايمان بالقدرالا وهى مرتبه الكتابه.

أنتبهوا معىالتقدير اليومى مشتق من التقدير الحولي ، والتقدير الحولي مفصل من التقدير العمري ، والتقدير العمري مفصل من التقدير في يوم الميثاق ، والتقدير في يوم الميثاق مفصل من التقدير الأزلي والأصل هو التقدير الأزلي ، هذا مرتبة الكتابة ، ثم المرتبة الثالثة بإيجاز وهي مرتبة الخلق ومعناها أننا ندين الله ونعتقد أن

الله خلق الإنسان وخلق الخلق وخلق أفعالهم الله جل وعلا يقول ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ، وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الرعد: من الآية١٦].

فنحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وخلق أفعالهم ، أما المرتبة الرابعة فهي مرتبة الإراده والمشيئه ومعناها أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وما أراده الله كان وما لم يرده لم يكن ، والإرادة نوعان إرادة كونيه قدريه وإرادة شرعية ولا يتسع الوقت للتفصيل ، وقد فصلت ذلك في ما يزيد على مائتين وستة وثمانين محاضرة وهي موجوده في اسلام واي على شبكة الإنترنت ، فالحديث طويل جدا يحتاج إلى تفصيل ، الإيمان بالقدر من آمن بالقدر على مراد الله وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم أن الله حكيم وعلم أن الله عليم وعلم أن الله عدل وعلم أن الله لا يظلم أحدا سعد بالقدر في الدنيا والأخرة ، أما من فصل القدر تفصيلا خبيثا على غير مراد الله وعلى غير مراد رسول الله ترك العمل وضيع كل شئ واحتج بالقدر في المعايب فجئ برجل قد زنا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما قام عمر ليقيم عليه حد الله قال لا تعجل ثم ذكر له أنه ما زنا إلا بقدرفقال له عمر بن الخطاب وأنا أقيم عليك الحد بقدر ، فالقدر كما ذكرت من قبل لا يحتج به في المعايب وإنما يحتج به في المصائب بمعنى لا يفعل الفاعل الحرام ويقول هذا قدر نعم نحن نؤمن أن الله خلق الخلق وخلق أفعالهم لكن الله خلق في الوقت ذاته وجعل له مشيئة وجعل له إرادة لا يتسع الوقت لتفصيل هذا الآن اكتفي بهذا القدر فقد مضى الوقت منذ زمن والله سبحانه وتعالى أسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل وأن يعلمنا وأن يفهمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وبارك على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم

سؤال : أحسن الله إليكم يا شيخنا الفاضل ونفع الله بعلمك الإسلام والمسلمين وإني والله أحبك في الله ، قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَد ﴾ [الجــن:١٨]

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر فهل يجوز لأي شخص يحكم على من فعل هذا الفعل أن يقول له كافر أو مشرك بعد إقامة الحجة والبرهان عليه أو هذا الحكم مخصوص للعلماء وجزاكم الله خيرا .

أجاب فضيلة الشيخ :

ذكرت قبل ذلك أن الحكم على الإطلاق يختلف عن الحكم على التعيين ، فالحكم على الإطلاق لا حرج فيه أن تكفر من كفره الله ورسوله أما إن أردت أن تسقط هذا الحكم على معين من الناس أو أحد من الناس بعينه ، فيجب علينا أيها الأخوه أن نفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة كما قال شيخ الإسلام بن تيميه أن نفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة ، إقامة الحجة ينبغي أن يكون القائم بالحجة عالما بالحجة على الأقل في المسألة التي يقيم الحجة فيها ، وأنا لا أتصور أبدا أن يتقدم أحد ليقيم الحجة على أحد ليخلص بعد إقامة الحجة بإسقاط الحكم بالتكفير أو التفسيق وهو لا يحسن على الإطلاق أن يفرق بين الدليل ولا مرتبة الدليل ولا مناط الدليل ولا مجمل ولا مبين ولا عام ولا خاص ولا ناسخ ولا منسوخ ثم بعد ذلك يتجرأ بإسقاط حكم في غاية الخطوة قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام (إذا قال العبد لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) يعني إما أن يكون هذا المكفر هو الكافر وإما أن يكون المكفَر هو الكافر فالأمر خطير وأنا قلت قبل ذلك لن يسألني الله عز وجل يوم القيامة لما لم تكفر فلانا ، لأني لم أكلم فلانا ولم ألتقي به وأقيم عليه الحجة ولكن سيسألني لما كفرت فلانا فما هي حجتي لما كفرت فلانا ؟ فأنا أقول لشبابنا فلنتريث وليست العبره أن نسقط الأحكام على أناس كفرهم بالنسبة لنا أو ابتداعهم بالنسبة لنا ليس واضحا ليس جليا بل ربما يكون هذا الذي أود أن أسقط عليه الحكم متأولا أو جاهلا فيجب علينا أن نتريث وألا نتعجل وأن ندع الأمر للعلماء الربانيين الصادقين المخلصين وأسأل الله أن يملأ قلوبنا محبة ورحمة فنحن إن كنا نبغض المعاصي نعم فنحن نبغض من يبغضه الله ورسوله ، نبغض الكفر والشرك والمعصية لكننا في الوقت ذاته نتودد إلى أهل المعاصي لا من باب حب المعصية وإنما من باب حب الخير لهم ولاسيما وأنهم

من أهل الإسلام فنحن نتقرب إليهم لنبلغهم عن الله ونذكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولنأخذ بأيديهم من طريق المعصية إلى طريق الطاعة أو من الشرك إلى التوحيد بحكمة ورحمة وأدب وتواضع ولا يغيب عنا في الوقت ذاته قول ربن﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾[النساء: من الآية٩٤]

وصلى الله موسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(قال المصنف رحمه الله تعالى معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا رسولا نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر وبلده مكة بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ [المدثر: ١– ٧]. ومعنى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أي عظمه بالتوحيد ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ الرجز الأصنام وهجرها أي تركها والبراءة منها وأهلها أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين وتوفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باق وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه والخير الذي جلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه بعثه الله إلى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس والدليل قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[المائدة: ٣] والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾.[الزمر: ٣٠، ٣١]).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد فحياكم الله جميعا أيها الأخوة الفضلاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعا من الجنة منزلا وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا في هذا المجلس الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك ومولاه لقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن المرتبة الثانية من مراتب الدين ألا وهي الإيمان وبقي لنا أن نتحدث عن المرتبة الثالثة ألا وهي الإحسان لكن الوقت لا يتسع لذلك أبدا لذا أقول الإحسان كما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ومقام الإحسان مقام جامع لكل مقامات الدين ومراتب الإيمان ولا يتسع الوقت أبدا للحديث عن الإحسان لاسيما وقد أفردت له ستة وثمانون محاضرة الله أسأل أن يرزقنا الإخلاص وأن يتقبل منا ومنكم جميعا صالح الأعمال ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى في عجالة سريعة جدا الأصل الثالث ألا وهو معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وها أنا ذا الآن أود أن ألخص السيرة النبوية الذكية العطرة في هذه الحلقة فقط فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذلك لاسيما وأن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا جميل بجماله عليه الصلاة والسلام جميل بجمال الحديث في أطهر وأشرف وأعطر السيرة لأكرم وأشرف نبي عرفته الأرض صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين ثم بدأ المصنف رحمه الله تعالى بالنسب الشريف روي البخاري رحمه الله قال في نسب النبي عليه الصلاة والسلام قال هو أبو القاسم صلى الله عليه وسلم هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة بن مدركة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مذر بن نذار بن عدن بن معد بن عدنان ولهذا متفق عليه في نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم ومختلف فيما بعد عدنان وعدنان من نسب أو من نسل إسماعيل وإسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام أشرف من خلق الله تبارك وتعالى وأكرم من اصطفى الله عز وجل فلقد خلق الله الخلق

واصطفى من الخلق الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين واصطفى من أولي العزم الخمسة الخليلين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ثم اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على كل خلقه فرفع له قدره وأعلى له شأنه ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وذكاه في كل شيء زكاه في عقله فقال جل وعلا ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢]. زكاه في فؤاده فقال جل وعلا ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١]. زكاه في بصره فقال جل وعلا ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]. زكاه في صدره فقال جل وعلا ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرك: ١]. زكاه في طهره فقال جل وعلا ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢]. زكاه في ذكره فقال جل وعلا ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]. زكاه في علمه فقال جل وعلا ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥]. زكاه في صدقه فقال جل وعلا ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣]. زكاه في حلمه فقال جل وعلا ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ثم زكاه كله فقال جل وعلا ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [النجم: ٤]. والله يا أخوة ما ذرأ الله وما درأ نفسا أكرم عليه من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما والله ما خلق الله وما ذرأ وما درأ نفسا أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره فقال جل وعلا ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]. بل أقول يتجلى تكريم ربنا لنبينا صلى الله عليه وسلم في أن الله جل وعلا قد نادى على جميع الأنبياء والمرسلين بأسماء مجردة إلا المصطفى ما نادى الله عليه باسمه المجرد قط قال تعالى ﴿ يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]. قال تعالى ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا ﴾ [هود: ٤٨]. قال تعالى ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]. قال تعالى ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠]. قال تعالى ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال تعالى ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]. قال تعالى ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ ﴾ [مريم: ٧]. قال تعالى ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢]. فلما نادى على حبيبنا ونبينا قال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥]. ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]. ونادى عليه بصفته ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾. ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [المزمل: ١، ٢]. إلى آخره بل تعمدت أن أذكر قبل أن أتحدث عن السيرة العطرة تعمدت أن أذكر أن الله جل وعلا قد أنزل من فوق سبع سماوات قرآن يتلى وسوف لا يزال يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يعلم فيه ربنا الصحابة رضي الله عنهم والأمة من بعدهم الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]. تعالوا معي لنرجع إلى الوراء قليلا لنتحدث عن سيرة أشرف وأعظم وأكرم نبي يا الله إنها قصة طويلة إنه قصة طفل طهور كالرضيع إنها قصة طهور كالرضيع إنها قصة طفل وديع كالنسيم ينشأ هذا الطفل المبارك في مكة زادها الله تشريفا ينشأ يتيما ليشب ليقول حتى لا يقول أبي أبي ولكن ليقول ربي ربي فالذي تولى تربيته هو الله سبحانه وتعالى وأقسم الله بذلك وقال ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [سورة الضحى]. إنه اليتيم الذي كان يتمه تشريفا لكل يتيم بل والذي جعل الله يتمه تشريفا لكل يتيم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها نشأ نشأ في بيئة تصنع الحجارة بأيديها ثم تسجد لها من دون الله جل وعلا فاحتقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأصنام وهذه الآلهة المكذوبة المدعاة وأشفق على أصحاب هذه العقول فاهو أحدهم يصنع إلهه من الخشب أو من العجوة أحيانا فإذا ما عبث الجوع ببطنه قام ليبث هذا الإله الرخيص في جوفه ليطفأ به لهيب الجوع في أحشاءه أو بين أحشاءه فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم على أصحاب هذه العقول وترك مكة وراح بعيدا بعيدا عن ضوضائها وصخبها وعن أصوات الشرك التي تملأ البيت الحرام ولا حول ولا قوة إلا بالله إلى أين إلى قمة جبل النور إلى غار حراء بعيدا بعيدا عن مكة بآلهتها المكذوبة وأصنامها المدعاة راح هناك ليقضي الليل في التبتل والدعاء والتضرع وليقضي النهار في التأمل والتفكر والتدبر وفي ليلة كريمة مباركة يصمت الكون كله بل وتخشع أنفاس الوحوش في البرية وبل

وتسكن حبات الرمال في الصحراء بل وتسكن كل المياه ولما لا وغار حراء يزداد أنوارا بتنزل جبريل عليه السلام ليلامس هذه الأرض المباركة بجناحيه ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك في هذه القمة العالية في هذا الغار الضيق يود أن يبتعد بعيدا بعيدا عن مكة وشركها وصخب آلهتها المكذوبة وفي ليلة من ليالي شهر رمضان يتنزل عليه الملك جبريل عليه السلام ليضم النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره والحديث رواه البخاري بطوله من حديث عائشة في كتاب بدء الوحي قال صلى الله عليه وسلم (فأخذني الملك فغطني) أي ضمني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني وقال (اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني وغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني وقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني ثم غطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني وقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) ﴾ [العلق: ١- ٣].)، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده نزل إلى من إلى رمز الوفاء إلى سكن سيد الأنبياء إلى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها يقول لقد خشيت على نفسي يا خديجة لقد خشيت على نفسي يا خديجة زملوني زملوني فتقول خديجة رضي الله عنها وأرضاها كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقر الضيف وتكسف المعدوم وتعين على نوائب الحق ثم أخذتها صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرأ قد تنصر وكان يكتب الكتاب العبراني وكان شيخا كبيرا قد عمي كما في صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها فقالت لابن عمها يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ماذا ترى يا ابن أخي فقص عليه النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة والله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني فيها جزعا أي ليتني كنت شابا لأتمكن من نصرتك ليتني فيها جزعا ثم قال ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك قال النبي صلى الله عليه وسلم أمخرجي هم قال نعم ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلى عودي ثم مات ورقة وفطر الوحي ثم ماذا فطر الوحي انقطع الرسول صلى الله عليه وسلم ينتظر ماذا بعد اقرأ نبئ باقرأ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾. في الأربعين من عمره الشريف المبارك نبئ باقرأ لكن ثم ماذا ماذا بعد اقرأ ما هي المهمة ما هي الرسالة ما هي الوظيفة يقول وبينما أنا أمشي ذات يوم إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض وهذه هي المرة الأولى التي رأى فيها نبينا صلى الله عليه وسلم جبريل على هيئته الحقيقية على صورته الحقيقية والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت صوتا فنظرت في السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض قال فرعبت منه فرعبت منه وفي لفظ مسلم قال فجثيت على الأرض حتى هويت وقع على الأرض من هول المنظر من جلال ما رأى قال فجثيت حتى هويت على الأرض ثم عدت إلى بيتي أقول زملوني زملوني قال صلى الله عليه وسلم فدثروني أي وضع عليه الأغطية تلو الأغطية فدثروني فنزل قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ [المدثر: ١- ٧]. قم أيها المدثر الأغطية قم فما كان بالأمس القريب حلم جميلا أصبح اليوم حملا ثقيلا قم فلقد مضى عهد النوم لا راحة بعد اليوم فقام النبي صلى الله عليه وسلم قام ووالله لم يذق طعم الراحة حتى نزل عليه قول ربه كما سأبين الآن إن شاء الله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة: ٣].

قام وما عاش لنفسه قط وما عاش لراحته الشخصية أبدا وما عاش لنفسه أبدا بل قام فبذل من أجل دين الله تبارك وتعالى كل ما يملك من وقت وعرق وجهد وروح قام فلم يذق طعم الراحة بعد قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾.أنذر هؤلاء المشركين لتخرجهم من ظلمات الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والأيمان برب البرية جل وعلا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾. كبر ربك سبحانه وتعالى بالتوحيد وأفرده جل وعلا بالعبودية واحمده أن هداك للطريق الحق ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾. طهر ثيابك من النجاسة لأن المشركين كانوا لا يطهرون ثيابهم أو طهر ثيابك من دنس المعاصي وحاشاه صلى الله عليه وسلم فلقد طهره الله تبارك وتعالى أو طهر باطنك كما أمرت بتطهير ظاهرك والآية تحتمل هذه المعاني ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾. اهجر هذه الأصنام وهذه الآلهة المكذوبة الباطنة المدعاة التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تبصر ولا تغني عن نفسها شيئا بل ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا على أن تملك ذلك لغيرها من هؤلاء الذين يتضرعون إليها ويعبدونها في الليل

والنهار قم يا محمد فقام صلى الله عليه وسلم وبدأ يدعو لله تبارك وتعالى سرا ثلاث سنوات كاملة سرا نعم فللأصنام جيوشا من الغضب فللأصنام والآلهة المكذوبة جيوش من الغضب بل هؤلاء القوم الذين يعبدون هذه الأصنام ينحر أحدهما الآخر من أجل ناقة فما ظنكم بما سيفعلونه من أجل آلهتهم التي يذبحون لها آلاف النياق أكرر أقول هؤلاء القول يذبح بعضهم بعض من أجل ناقة فما ظنكم بما سيفعلونه من أجل آلهتهم التي يذبحون لها آلاف النياق أقول إن للجيوش إن للأصنام جيوشا من الغضب وهي على أتم استعداد لنحر كل من يعتدي على قدسية وكرامة هذه الأصنام وهذه الآلهة المكذوبة المدعاة لما تحرك النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله تبارك وتعالى سرا ينتقي ويختار أصحاب العقول الراشدة وأصحاب العقول الأبية الكريمة لي ليبلغهم عن الله تبارك وتعالى فأسلمت خديجة رضي الله عنها فأول من أسلم من النساء أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها رمز الوفاء وسكن سيد الأنبياء وأسلم أبو بكر رضي الله عنه وأسلم علي بن أبي طالب فأول من أسلم من الرجال الصديق وأول من أسلم من الصبيان علي ولا تعارض بين الحديثين ثم بعد ذلك خرج الصديق رضوان الله عليه وما كان أبدا زهرة الصناعية التي تحمل من الزهور إلا اسمها بل كان زهرة طبيعية من خلق الله تبارك وتعالى لا تحبس عن الناس أريجها وعطرها تحرك الصديق بهذا النور الذي ملأ الله به قلبه فدعا إلى الله تبارك وتعالى وعاد في اليوم التالي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة من العشرة المبشرين بالجنة أسلم عثمان بن عفان وعبد الله بن عوف وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وأعلنوا إسلامهم بين يدي الله تبارك وتعالى وهكذا بدأ الناس يدخلون في دين الله تبارك وتعالى يوما بعد يوم وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم قام النبي صلى الله عليه وسلم ليربي هؤلاء الأطهار ليزكي نفوسهم ليهذب أخلاقهم لنرى منهم بعد ذلك العجب العجاب أستغفر الله يزول كل عجب إذا علمنا أن الذي هؤلاء هو المصطفى وكفى رباهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم تربية ستظل الدنيا تقف أمام هذا المنهج التربوي وقفة إعزاز وإجلال وإكبار وتدبروا مني هذا أقول إذا كان كل تلميذ في العادة يقتبس من أستاذه فلكم أن تتصوروا كيف يكون الاقتباس إذا كان المربي والمعلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان كل منهج في العادة يترك طابعه على من يتربون عليه ويتتلمذون عليه فلكم أن تتصوروا كيف يكون الطابع الذي ترك على قلوب وعقول الصحابة رضي الله عنهم إذا كانوا المنهج الذي تربوا عليه هؤلاء القرآن والسنة نعم ربى النبي الصحابة في دار الأرقم ابن أبي الأرقم حتى نزل عليه قول الله تعالى بعد ثلاث سنوات كاملة ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]. ونزل قول الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فصعد النبي الصفا والحديث في الصحيحين صعد على جبل الصفا الذي يطل على بيت الله الحرام وأخذ ينادي بأبي وأمي وروحي على بطون قريش يا بني فهر يا بني عدي وظل ينادي بصوته عليه الصلاة والسلام حتى اجتمع عليه الناس وهم الذين خلعوا عليه بالإجماع لقب الصادق الأمين فهو الصادق الأمين قبل النبوة والرسالة والبرلمان الشركي في مكة قد لقبه بهذا اللقب بالإجماع بالإجماع دخل عليهم الصادق الأمين ووضع الحجر في موضعه كما تعلمون فالصادق الأمين لقب خلعه البرلمان الشركي على النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع فاجتمعت إليه بطون قريش ووقفوا بين يديه وخرجت قريش وعلى رأسهم أبو لهم فقام النبي عليه الصلاة والسلام ليقيم الحجة عليهم بأسلوب النبوة الباهر وقال (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ما جربنا عليك إلا صدقا انظروا إلى الشهادة ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني رسول الله إليكم بين يدي عذاب شديد) فرد أبي لهب فقال تبا لك سائر اليوم يا محمد ألهذا جمعتنا فاقتص الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهذه من كرامات رسول الله أن كل نبي كان يدفع عن نفسه ويدافع عن نفسه إلا المصطفى فإن الذي تولى الدفاع عنه هو ربه جل وعلا نزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ [سورة المسد].

(فإني رسول الله إليكم بين يدي عذاب شديد) ، وسمعت مكة هذه الكلمات فأبرقت وأرعدت وأرغت وأزبدت بل ودقت طبول الحرب وأوعدت وصدت في التو واللحظة جام غضبها على ابنها الصادق الأمين على ابنها التي شهدت له بالصدق والأمانة وتفنن المشركون من هذه اللحظة في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت الدعوة مرحلة جديدة مرحلة شرسة أوذي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذاء تنوء عن حمله جبال الرواسي وضع

التراب على رأسه ووضعت النجاسة على ظهره وخنق حتى كادت أنفساه أن تخرج تعرفوا على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عطاءه لدين الله تبارك وتعالى وضع التراب على رأسه ووضعت النجاسة على ظهره الحديث في الصحيحين قال أبو جهل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد بين يدي الله تبارك وتعالى في بيت الله قال أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان ليلقيه على ظهر محمد وهو ساجد فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معين عليه من الله ما يستحقه فأتى بهذه النجاسة والقذارة وألقاها على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وظل النبي ساجد لا يرفع ظهره حتى قال عبد الله بن مسعود راو الحديث قال فجعل بعضهم يحيل على بعض أي يميل بعضهم على بعض يستهزئون ويضحكون من هذا المشهد يقول وأنا أرى ولا أملك أن أرد شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل النبي ساجد والنجاسة على ظهره حتى جاءت ابنته فاطمة رضوان الله عليها وطرحت النجاسة من على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع النبي رأسه وهو يقول اللهم عليك بقريش (كلام غير واضح) حتى وعده أبو جهل فرعون هذه الأمة كما في الصحيحين وقال أيعفر محمد وجهه بين أظهرنا يعني يأتي محمد ليسجد لربه على مرأى ومسمع منا في بيت الله الحرام ثم قال (كلام غير واضح) لأعفرن وجهه ولتطأن عنقه تصوروا هذا زعم هذا المجرم الآثم أنه سيطأ عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد بين يدي الله تعالى وبالفعل جاء النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أبو جهل زعم أنه سيطأ عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فما أن اقترب من النبي عليه الصلاة والسلام إلا وعاد القهقرى يدفع بيديه ويرد هكذا فلما قيل له ما دهاك يا أبا الحكم قال إن بيني وبين محمدا لخندقا من نار وهؤلاء أجنحة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم قال بأبي هو وأمي وروحي والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا والذي نفسي بيده لو دنا مني أي لو اقترب مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا انظروا إلى هذه الكرامة فالله تبارك وتعالى هو الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. فالذي تولى حفظ رسوله هو الله تبارك وتعالى اشتدت المعركة وأجى أن تتصور أن يأتي عقبة (كلام غير واضح) حتى كانت أنفاس النبي أن تخرج إلى إن جاء الصديق ودفع هذا الوغد المجرم عن رسول الله وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم أرجو أن تتصوروا أن هذا قد فعل بالنبي صلى الله عليه وسلم فما ظنكم بما فعله المشركون بالصحابة رضي الله عنهم رسول الله لما له (كلام غير واضح) بل ما يفعله عمه أبو طالب فلقد كان أبو طالب حائط صد منيع طالما تحطمت عليه سيوف ورماح أهل الشرك بمكة ومع ذلك يفعل به ذلك اتهموه بالسحر بالجنون بالكهانة بالشعر يؤذى في عرضه وإن ذلك في المدينة لكنه إيذاء يؤذى في شرفه يلقى التراب على رأسه توضع النجاسة على ظهره إلى آخر هذه الصورة تصوروا ماذا فعل بالصحابة ماذا فعل ببلال ماذا فعل بعمار ماذا فعل بأمه سمية (كلام غير واضح) ماذا فعل بكل من آمن بالله وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بهم ورب الكعبة ما لا يحتمله عقل ولا يتصوره خيال ولولا أننا على يقين مطلق بالأدلة الصحيحة الثابتة أن هذا قد وقع بالفعل لأصحاب رسول الله والله ما تصورناه وما تخيلناه وثبتهم الله تبارك وتعالى وملأ (كلام غير واضح) وثبات وصبرا وضربوا (كلام غير واضح) لنصرة دين رب الأرض والسماء وجبت قريش (كلام غير واضح) والشدة (كلام غير واضح) لو وقف تيار الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ولم يحل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الدعوة إلى الله ففكر في أسلوب آخر في أسلوب الإغراء (كلام غير واضح) استأذن عتبة (كلام غير واضح) أبو الوليد وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه أمرا آخر فقال له يا ابن أخي انظروا إلى الطرح وإلى الأسلوب يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السقط في العشيرة والمكانة في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم عبت به دينهم وسفهم به من مضى من آبائهم وإني جئت إليك لأعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها فقال النبي بأدب وتواضع قل يا أبا الوليد أسمع نعم يا أخي اسمع الرأي الآخر اسمع الرأي الآخر بأدب وتواضع فإن وجدت حقا فاقبله وإن وجدت باطلا فرد الباطل بأدب قل يا أبا الوليد أسمع فلنتعلم من السيرة لأن السيرة ليست حدوتة وليست قصة ولكن السيرة منهج تربوي متكامل ما أحوج الأمة إليه الآن بحكامها وعلمائها ورجالها ونسائها وأطفالها فالسيرة منهج تربوي متكامل قل يا أبا الوليد أسمع فقال أبو الوليد عتبة بن ربيعة يا ابن أخي إن كنت تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد بهذا الأمر ملكا شرفا سودناك علينا أي جعلناك سيدا فينا وإن كنت تريد بهذا الأمر ملكا ملكناك علينا حتى لا نقضي أمرا دونك وإن كان الذي يأتيك رأيا من الجن بذلنا لك أموالنا حتى تبرأ فرد النبي

صلى الله عليه وسلم بأدب وقال أوقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال اسمع مني قال اسمع فما زاد النبي صلى الله عليه وسلم على قراءة آيات كريمة من صدر صورة فصلت ﴿ حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ﴾ [فصلت: ١- ٦]. واسترسل النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة صدر سورة فصلت إلى أن وصل إلى السجدة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]. قرأ آية السجدة ثم سجد صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى فلما قام نظر إلى عتبة وقال قد سمعت يا أبا الوليد فاصنع ما بدا لك فعاد عتبة إلى قومه والكل في انتظاره فلما أقبل عليهم نظروا إليه وقالوا والله نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به إلى محمد تغير وجهه ماذا وراءك يا أبا الوليد قال يا قوم يا قوم أطيعوني واجعلوها بي والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة والله ليكونن من قوله الذي سمعت نبأ عظيم فاتركوا الرجل وما هو فيه دعوا الرجل وشأنه فإن تظهر عليه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد قالوا سحرك والله محمد كما قال الوليد ابن المغيرة حين سمع القرآن وقال والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ومع ذلك قالوا فماذا تقول قال دعوني ثم خرج ليقول فلنتفق جميعا على قولة واحدة حتى لا يختلف الناس في شأن محمد اتفقوا على أنه ساحر يفرق بين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجه فرد الله على الوليد وقال جل وعلا ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧)﴾ [المدثر: ١١- ٢٧]. الآيات كانوا يخشون على أنفسهم وأولادهم من القرآن بل يقولون لبعضهم البعض لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه شوشوا على القرآن لا تدعوا القرآن الذي يتلوه محمد يصل إلى الآذان لأنه لو وصل إلى الآذان لصدع عناد الكبر في القلوب الله لأنه لو وصل إلى الآذان لصدع جلال القرآن عناد الكبر في القلوب بل والله من أروع ما قرأت ما رواه البخاري مختصرا من حديث ابن عباس أذكر القصة وأرجع للحديث في السنة الخامسة من النبوة دخل النبي بيت الله الحرام ورحى الصراع دائرة على أشدها بينه وبين المشركين وقام النبي يصلي وافتتح الصلاة بسورة النجم وأرجو أن تتصوروا حلاوة القرآن حين يتلوه رسول الله فالقرآن لو أنزله الله على جبل لتصدع من خشية الله جل وعلا فتخيل أنت حلاوة القرآن وجلال القرآن حين يتلوه النبي محمد عليه الصلاة والسلام قام النبي يقرأ القرآن ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ﴾ [النجم: ١-٥]. الآيات وفي آخر السورة قرأ النبي آيات كريمة تطير لها القلوب ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢) ﴾ [النجم: ٥٩- ٦٢]. وخر النبي ساجدا لله فلم يتمالك أحد من المشركين نفسه فخر المشركون كلهم سجدا لله خلف رسول الله الحديث رواه البخاري رواه البخاري في كتاب السجود من حديث ابن عباس مختصرا قال سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن وهذه هي العلة يا أخوة التي جعلت المهاجرين إلى الحبشة يعودون إلى مكة مرة أخرى بعد ما ترامت الأنباء إليهم هنالك أن المشركين قد سجدوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يعلموا أن جلال القرآن هو الذي صدع عناد الكبر في قلوبهم وسجدوا لله فلما رفعوا رؤوسهم استنكروا ذلك وعاب بعضهم على بعض أن يفعلوا ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد العذاب واشتد الإيذاء فشلت خطة قريش في استمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإغراء فلم يجد النبي صلى الله عليه وسلم بدا أن يطلب من أصحابه الذين اشتد بهم الأذى أن يهاجروا إلى أين إلى الحبشة نعم لترسل شلالات الحبشة جروحهم ودماءهم التي لا زالت تنزف من رماح وسيوف وسهام وسواط المشركين في مكة ثم لماذا الحبشة والجواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله عز وجل فرجا ومخرجا مما أنتم فيه ويخرج الصحابة

رضوان الله عليهم المغلوبون على أمرهم المستضعفون الذين ألهبت ظهورهم بسياط أهل الشرك في مكة خرجوا إلى الحبشة ويخرج النبي عليه الصلاة والسلام في مواسم الحج يذهب إلى خيمة ليدعوهم إلى الله تبارك وتعالى فيطردوه وينهروه فيترك الخيمة ويبحث عن أخرى ليدعو إلى الله تبارك وتعالى فينهر ويطرد فيبحث عن ثالثة وهكذا ولما وجد النبي أرض مكة أرضا صلبة تأبى أن تقبل بذرة التوحيد والإيمان خرج بأبي هو وأمي ليبحث عن أرضا جديدة أخرى إلى أين إلى الطائف ليخرج من مكة إلى الطائف على قدميه الداميتين المتعبتين لم يجد راحلة ليركبها مسافة من مكة إلى الطائف تقرب سبعين كيلو لم يجد راحلة ليركبها بل يمشي على رمال مكة وكلكم يعلم رجال مكة في الصحراء يمشي على رمال مكة التي انعكست عليها أشعة الشمس فكادت الأشعة المنعكسة فقط أن تسرق الأبصار يمشي النبي صلى الله عليه وسلم على قدميه لا يرى حوله إلا جبال سودتها حرارة الشمس ولا يرى إلا رمالا ملتهبة كأنما تبخ الحرارة بخا وتتفس الألم نفسا يمشي النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف (كلام غير واضح) وما ذهب يريد مالا ولا وجاهة إنما ذهب لينتشلهم من ظلام الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان برب البرية جل وعلا لكن أهل الطائف فعلوا به أسوأ ما يفعله الإنسان بالإنسان وفعلوا به ما لم يتوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلطوا عليه السفهاء والصبيان فسبوه وشتموه وقذفوه بالحجارة ولم يستجيبوا لدعوته حتى قالت عائشة رضوان الله عليها كما في الصحيحين يا رسول الله هل أتى عليك يوما كان أشد عليك من يوم أحد قال قد لاقيت من قومك ما لاقيت يا عائشة وكان أشد ما لاقيت منهم يوم العقبة وهو يوم الطائف وكان أشد ما لاقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن قلال وهما من أشراف أهل الطائف (كلام غير واضح) فلم يجبني إلى ما دعوت عدت وأنا مهموم على وجهي بأبي هو وأمي وروحي عدت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب يا الله قرن الثعالب قرية تبعد عن الطائف حوالي خمسة كيلو تصور الهم الذي ملأ قلبه يقذف بالحجارة وينزف الدم الشريف من قدميه الطاهرتين الشريفتين ويجري الصبيان والسفهاء وراءه حتى اضطروه إلى (كلام غير واضح) عتبة بن ربيعة (كلام غير واضح) تبارك وتعالى أكف الضراعة بهذا الدعاء الودود المشرق وإن كان شيخنا الألباني رحمه الله تعالى قد ضعف إسناده إلا أنني أقول لقد قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجال الإسناد ثقات وقد وقفت بفضل الله تعالى على شاهد الحديث من رواية محمد بن كعب القرضي ومحمد بن كعب القرضي تابعي ثقة فالحديث قابل للتحكيم بشاهده بإذن الله تبارك وتعالى وقد روى ذلك أيضا الإمام الطبرني وغيره اضطر النبي صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إلى ربه بهذا الدعاء الجميل اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات (كلام غير واضح) أمر الدنيا والآخرة أن لا تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد قال قد لاقيت من قومك ما لاقيت يا عائشة وكان أشد ما لاقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد قلال وهو من أشراف أهل الطائف فلما لم يجني لما أردت (كلام غير واضح) فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب يا أخي تصور هذا لم أستفق يعني من الهم إلا وهو بقرن الثعالب دعوة مطاردة وأصحاب مشردون في الحبشة وأصحاب معذبون في مكة وصاحب (كلام غير واضح) ويشتم ويقذف بالحجارة صلى الله عليه وسلم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فإذا بسحابة قد أظلتني فرفعت رأسي فرأيت جبريل عليه السلام ينادي علي ويقول السلام عليك يا رسول الله لقد سمع الله قول قومك عليك وما ردوا به عليك وقد أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما شأت قال فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال السلام عليك يا محمد لقد بعثني الله إليك فمرني بما شأت لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت (كلام غير واضح) يقال للأول أبو قبيس ويقال (كلام غير واضح) لو كان النبي صلى الله عليه وسلم ممن ينتقمون لأنفسهم وممن يثأرون لذواتهم لأمر النبي ملك الجبال فلحطم ملك الجبال هذه الرءوس الصلبة (كلام غير واضح) كثيرا من الدماء لا من الماء (كلام غير واضح) بالطائف بالطائف بل ليراها أهل الطائف بالطائف وأهل مكة بمكة ولكنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة نهر رحمة وينبوع الحنان الذي ما غضب لنفسه أبدا وما انتقم لذاته قط يرد على ملك الجبال ويقول لا يا ملك الجبال بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا هذا هو المصطفى صلى الله عليه وسلم بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من

يعبد الله ولا يشرك به شيئا خرج وهو يحمل في قلبه أمل يتجدد خرج وهو يحمل في صدره ربيعا يتنفس نعم ما خرج للانتقام ولا للثأر للذات أبدا ويرجع النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى مكة بعد ما وجد أرض الطائف أشد صلادة من أرض مكة لا إله إلا الله ويشاء ربنا تبارك وتعالى في العام العاشر أن يموت أبو طالب وقدر الله جل وعلا أن يموت على دين قومه مع ما بذله للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوة الله تبارك وتعالى من حماية ورعاية ففي صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فجلس النبي صلى الله عليه وسلم عند رأسه وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة فالتفت أبو جهل إلى أبي طالب وقال أترغب عن ملة عبد المطلب أتترك دين آباءك وأجدادك فقال أبو طالب بل هو على ملة عبد المطلب فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لعمه لأستغفرن لك ما لم أنهى عنك فنزل عليه قول ربي جل وعلا ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. وبعد شهرين أو ثلاثة على خلاف بين أهل التأريخ والسير تموت خديجة رمز الوفاء وسكن سيد الأنبياء ويحزن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام حزنا شديدا حتى سمى بعض المؤرخين وهذه ليست من تسمية سيد النبيين حتى سمى بعض المؤرخين للسير هذا العام بعام الحزن ليست من تسمية رسول الله عليه الصلاة والسلام سمي بعام الحزن مات أبو طالب وماتت خديجة وملأ الحزن قلب رسول الله وفتت الألم كبده صلى الله عليه وسلم وخرج النبي عليه الصلاة والسلام يدعو ويشاء ربك تبارك وتعالى أن يضمد جراح حبيبه صلى الله عليه وسلم فيدعوه ربه تبارك وتعالى للرحلة من أعظم الرحلات بل هي أعظم رحلة عرفتها البشرية ألا وهي رحلة الإسراء والمعراج لرب البرية جل وعلا وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين لنبيه صلى الله عليه وسلم أن أهل الأرض إن كان أهل الأرض قد طردوك فرب السماء والأرض يدعوك إن كان أهل الأرض قد ناصبوك العداء فإنك مدعو للقاء رب الأرض والسماء يا لها من كرامة تقف ورب الكعبة كل كلمات اللغة خجلا لا يستطيع بليغ أديب أن يجسد كرامة هذه الدعوة من الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليعرج إلى السماوات العلا بعد رحلة الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١]. الآيات ثم بعد ذلك تأتي معجزة المعراج في سورة النجم كرامة من الله للنبي أنا أقول يا أخوة إن معجزة الإسراء كانت تكريما من الله لصاحب الدعوة في المقام الأول فلم تكن تكريما للدعوة بقدر ما كانت تكريما لصاحب الدعوة بل إن معجزة الإسراء فتنت كثيرا من الناس فتن كثير من الناس لما عاد النبي ليخبرهم بأن الله أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماوات العلا فأنا أقول الإسراء فتن بالإسراء كثير من الناس في مكة فلم تكن معجزة الإسراء تكريما للدعوة في المقام الأول بقدر ما كانت تكريما لصاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ومعجزة الإسراء تتلخص في الزمن فمن المعلوم عند أهل العلم أن القدرة تتناسب تناسبا عكسيا من الزمن فكلما زادت القدرة قل الزمن يعني لو أنك قطعت المسافة من القاهرة إلى المنصورة مثلا على دراجة فتأخذ وقتا معينا فإن قطعت المسافة على سيارة عادية سيقل الوقت فإن قطعت المسافة بسيارة أقوى قل الوقت فإن قطعت المسافة بطائرة أو بصاروخ قل الوقت فكلما زادت القدرة قل الوقت فإن كانت القدرة التي أسرت برسول الله من مكة إلى المسجد الأقصى هي قدرة الله إذا لا وقت إذا لا وقت فإعجاز ربنا تبارك وتعالى في رحلة الإسراء يتلخص في الوقت أما المعراج فالحديث عن المعراج حديث يطول لكن الوقت (كلام غير واضح) فبهذه الكرامة وأعلى الله مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ووضحها على كل الأنبياء والمرسلين إذ صلى بهم صلى الله عليه وسلم إماما فهو الإمام الأعظم وهو النبي الأكرم الذي إن وجد في أي عصر ومصر كما قال ابن كثير لوجب على الخلق جميعا أن يؤمنوا به وأن يتبعوه ولو كان فيهم نبي مرسل من أنبياء الله تبارك وتعالى هذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم (كلمة غير واضحة) تبارك وتعالى يشرفه برحلة إسراءه ليضمد جراحه التي نزفت بعد هذا الأذى وبعد هذا الإيذاء وبعد هذا الابتلاء ثم يخرج النبي في موسم الحج يبحث عن أناس يبلغهم دين الله ويدعوهم إلى لا إله إلا الله حتى من الله تبارك عليه في العام الحادي عشر من الله عليه بخيمة كريمة مباركة فيها ستة نفر من الأنصار الأطهار الأخيار فدعاهم النبي المختار إلى العزيز الغفار فآمنوا بالله تبارك وتعالى ووعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينقلوا هذه الدعوة دعوة التوحيد إلى أهلهم في المدينة أو في يثرب فلم تكن تسمى بالمدينة في هذا الوقت وقالوا لو آمن بك هؤلاء فلا يوجد أحدا أعز

منك بعد هذا اليوم وبالفعل عادوا في العام الثاني أو الثالث وقد أسلم اثنا عشر رجلا من الأنصار الأخيار وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى تلك البيعة التي حطمت الجدران السوداء تلك البيعة التي أذن الله تبارك وتعالى بها لشمس التوحيد أن تشرق على أرض يثرب بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن ينصروه وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعاد هؤلاء الأخيار وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معهم لؤلؤة شباب قريش وغرة فتيانها وزهرة شبابها مصعب الخير مصعب بن عمير وأنا أقول لقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت مصير الدعوة بأكمله بين يدي مصعب هل تتصور هل تتصور هذه العبارة لقد وضع النبي مصير الدعوة بأكمله بل مصير الدين بأكمله بين يدي مصعب لماذا أرض مكة لا تقبل بذرة التوحيد أرض الطائف لفظت هي الأخرة بذرة التوحيد لا توجد خيمة من الخيام إلا وطردت النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه مطاردون في الحبشة لا يملكون لأنفسهم حولا ولا قوة فمصير الدعوة إذا في هذه الأرض الجديدة في أرض يثرب ومع ذلك يختار النبي مصعب بن عمير ليضع بين يديه مصير الدعوة بأكمله واستطاع مصعب رضوان الله عليه بحكمته البالغة وصبره العجيب أن يغرس للإسلام شجرة في أرض مكفرة استطاع مصعب بحكمة بالغة أن يضيء للإسلام نورا في أرض مظلمة استطاع مصعب بحكمته البالغة أن يشق نهرا للحياة نهرا للإسلام وسط صخور صلبة وأحجار عاتية وبعد عام يرجع مصعب مع سبعين رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم من الأنصار رضوان الله عليهم ليبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية وهنا تنتقل الدعوة إلى مرحلة أخرى جديدة نعم أشرقت شمس التوحيد على يثرب ولم يعد هنالك بيت إلا وقد سمع عن الإسلام أو منه من دخل في الإسلام بفضل الله ثم بفضل دعوة مصعب رضوان الله عليه ثم قام بعد ذلك معه أسعد بن زرارة وأسيد بن خضير ولا يتسع الوقت للتفصيل وبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرب كل من يقف في سبيل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى إن بيننا وبين القوم حبالا وإنا قاطعوها فهل عسى إن أظهرك الله تبارك وتعالى أن تدعنا وأن تعود إلى قومك فيرد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النبي المبارك بل أنا منكم وأنتم مني أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم وفي لفظ قال بل المحيا محياكم والممات مماتكم وخطط النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة بالانتقال من مكة إلى يثرب وسمع المشركون واجتمع البرلمان الشركي بمكة بالإجماع لاتخاذ أخطر قرار عرفته البشرية ألا وهو قتل سيد البشرية صلى الله عليه وسلم للقضاء على تيار نور هذه الدعوة نهائية ولكن هيهات هيهات ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ويخطط النبي ولا أستطيع أن أفصل فلقد أفردت محاضرات كاملة للحديث عن الهجرة لما تحويه من الدروس والعظات والعبر أقول خطط المشركون لكن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بكل أسباب الحيطة والحذر كما تعلمون لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم سبب من أسباب التوكل على الله إلا وأخذ به المتجه من مكة إلى المدينة يا أخوة لابد أن يتجه شمالا لكنه اتجه جنوبا لأن المطاردون سيبحثون عنه في كل الطرق التي تؤدي إلى المدينة فليتجه النبي جنوبا عليه الصلاة والسلام وليمكث في الغار حتى تهدأ حركة الباحثين عنه بين الجبال والصخور بل سيخرجون ليقلبوا حبات الرمال وبالفعل يمكث النبي عليه الصلاة والسلام وعبد الله بن أبي بكر يميت في مكة يسمع الأخبار وفي جوف الليل ينطلق إلى النبي ليخبره بما خطط به وله المشركون وقبل أن يصبح الصباح يكون في مكة ليصبح بين أهلها وكأنه بات بينهم وعامر بن فهيرة يأتي بالأغنام لتزيل آثار أقدام الأغنام آثار الأقدام وأسماء تأتي بالزاد وعبد الله بن أريقط مشرك لكنه خبير بالطرق تأكد النبي صلى الله عليه وسلم من أمانته (كلام غير واضح) النبي وصاحبه على أقرب الطرق المؤدية إلى المدينة إلى يثرب الأمة أمة الأخذ بالأسباب لا ينبغي على الإطلاق أن نفهم التوكل على غير هذا فالتوكل على الله هو جماع الإيمان وهو نهاية التحقيق في التوحيد وهو صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم من الأسباب نعم ومع ذلك في لحظة من اللحظات انقطعت هذه الأسباب فها هم المشركون يحاصرون الغار من كل ناحية والصديق في حوار هامس وجل (كلام غير واضح) مطمئن موصول بالله جل وعلا يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]. وينجي الله تبارك وتعالى نبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد ضرب الصديق في هذا اليوم أروع المثل للحب فلقد نسج الصديق بدماءه

عباءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وود لو فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يمشى أمامه تارة ويمشي خلفه تارة وعن يمينه تارة وعن شماله تارة أقول يود لو أن حما وفدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه لأنه بشر أما رسول الله فهو سيد البشر إن قتل قتلت أمة بل قتلت بشرية بأسرها (كلام غير واضح) استقبالا (كلام غير واضح) فلقد جسد الصحابة من الأنصار الأطهار الأخيار حبهم العارم للنبي المختار صلى الله عليه وسلم (كلام غير واضح) والحفاوة وأقول (كلام غير واضح) في عيون وقلوب الأنصار قبل أن ينزلوا في بيوتهم وديارهم لقد حل النبي وصحبه في قلوبهم وعيونهم قبل أن يحل وصحبه من المهاجرين في بيوت الأنصار ودورهم وصدق ربي إذ يقول في حق هؤلاء الأطهار ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. ويبدأ النبي صلى الله عليه وسلم عمله إلى الله تبارك وتعالى في المدينة ببناء المسجد النبوي ليربي الصحابة هنالك في بيت الرب العلي تربية إيمانية وعقدية وتعبدية وفكرية وخلقية وسلوكية ما عرفت ولن تعرف البشرية لها مثيلا ونظيرا على الإطلاق وتبدأ مرحلة أخرى جديدة من مراحل الدعوة إلى الله ألا وهي مرحلة بعث وإرسال البعوث والسرايا ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. مرحلة أخرى جديدة يأذن الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد والقتال والجهاد يا أخوى ليس غاية ولكنه وسيلة لغاية فالجهاد وسيلة لغاية لتعبيد الناس في الأرض للحق تبارك وتعالى فنحن لا نرفع السيف في وجه أي أحد أبدا أبدا وإنما نحن ندعو لدين الله تبارك وتعالى ونبلغ أهل الأرض دين الله بحكمة ورحمة وتواضع فإن دعونا إلى الله وأنكر هذا وأبى نقول لكم دينكم ولي دين نقول لا إكراه في الدين لكننا نقاتل من حال بيننا وبين دعوة الناس لدين الله تبارك وتعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وأعظم فتنة هي الشرك والفتنة المذكورة في الآية هي الشرك فهي أعظم فتنة فتنة الكفر بالله تبارك وتعالى ﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. ويبعث النبي بعض البعوث والسرايا ولا يتسع الأرض لسردها فالأمر يحتاج إلى مائة حلقة أو يزيد إن أردنا أن نتوقف فقط مع بعوث وسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته لاحتجنا إلى وقت طويل لكن يشاء الله تبارك وتعالى ويقدر أن يلتقي التوحيد بالشرك وأن يلتقي النبي وصحبه مع المشركين في معركة فاصلة حاسمة بعد عام واحد فقط من الهجرة ألا وهي معركة بدر وما خرج النبي وصحبه للنفير بل خرجوا للعير لكن ربك تبارك وتعالى قدر أن يكون خروجهم للنفير لا للعير ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. الله أكبر لكن الله تبارك وتعالى أراد أن يحق الحق وأن يبطل الباطل وأن يكسر شوكة المجرمين من المشركين في هذا اللقاء في لقاء الفرقان في لقاء الحق في لقاء بدر وينصر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والصحابة معه نصرا مؤزرا ويتمعثر المشركون الذين زاد عددهم عن ألف مقاتل يتمعثر المشركون في الصحراء كتبعثر الفئران وينصر الله عبده وينصر الله تبارك وتعالى المؤمنين المستضعفين من الموحدين وتسمع الدنيا كلها بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين في بدر فطتيش عقول اليهود في المدينة وعقول المنافقين في المدنية وعقول المشركين في مكة كيف ينصر هؤلاء المستضعفون على هذا الجيش الجرار للشرك وأهله ودارت غزوات ووقعت حروب ومعارك وشاء الله تبارك وتعالى أن يربي الصحابة في أحد بعد بدر في درس أود أن لو وعته الأمة الآن لأن كثيرا من أبناء الأمة الآن لم يعي درس أحد لقد هزم المسلمون في أحد بعد بدر لماذا يا شباب لأن بعض الصحابة قد تخلى عن سببا من أسباب النصر ألا وهو طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي بعض الرماة أن لا يفارقوا الجبل قال حتى ولو تخطفتنا السباع وبالفعل انتهت المعركة وحسمت لصالح المسلمين وترك الرماة مواقعهم لجمع الأغنام لكن الرسول أمرهم لا يفارقوا الميدان إلا بأمر منه ففارقوا الميدان وقعوا في مخالفة لأمر نبوي فصار النصر هزيمة وتغير ميزان المعركة وتعرض النبي بالفعل للقتل بل كسرت رباعيته وشج وجهه ودخل حلقة المغفر في وجنتيه الشريفتين وانتشر خبر قتله في الميدان بعد ما انقلت الدفة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وألقى بعض الصحابة السلاح بالفعل واستسلموا للموت ومر عليهم أنس بن النضر فوجدهم قد ألقوا السلاح قال لماذا ألقيتم السلاح قالوا قتل رسول الله فماذا نصنع بالحياة بعده قال قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله والحديث في الصحيحين من أنس بن أبي النضر انتشر خبر قتله فعلا في الميدان وحسمت

المعركة لتتعلم الأمة بعد الصحابة أن مجرد المخالفة لأمر واحد من أوامر رسول الله يكون سببا في الهزيمة أنا أسأل وأقول كيف وقد خالفت الأمة الآن جن أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما قال بعض الصحابة كيف نهزم وقائد المعركة رسول الله كيف نهزم والمشركون هم أعداءنا جاء الجواب ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فلا ينبغي أن تعلق الأمة أخطائها لا على الحكام ولا على العلماء ولا على الأعداء بل يجب على كل مسلم أن ينظر في تقصيره مع ربه في خلله هو بينه وبين ربه تبارك وتعالى ولا تجعل من غيرك مشجبا لتعلق عليه أخطائك ولتعلق عليه تقصيرك فما عليك إلا أن تبذل ما أمرت به لدين الله وأن تدع النتائج بعد ذلك لله تبارك وتعالى فليس أحدا على الدين من الله وليس أحدا أغير على المسلمين ممن تسفك دماءكم وتمزق أشلاءهم من ربهم تبارك وتعالى وهكذا أيها الأحبة عاش النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عشر سنوات يبلغ دين الله تبارك وتعالى ويرسل كتبه إلى الملوك وإلى الحكام وإلى الرؤساء حتى عاد مرة أخرى إلى مكة فاتحا ووقف بين ذلك بين أصحابه رضوان الله عليهم ليعلمهم مناسك الحج في حجة الوداع وقد نزل عليه قول ربه تبارك وتعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة: ٣]. وأظهر الله دينه ونصر الله عبده ورسوله قال جل وعلا ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ (٩) ﴾ [الصف: ٨، ٩]. ويعود النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى المدينة لينزل عليه قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (٣) ﴾ [سورة النصر]. سأل عمر بن الخطاب بن عباس على هذه الآية قال أجل رسول الله نعاه الله إياه نعم أيها الأحبة يمرض النبي صلى الله عليه وسلم وتشتد عليه الحمى حتى قال له ابن مسعود والحديث في الصحيحين إنك لتوعك وعكا شديدا يا رسول الله قال أجل يا عبد الله إني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم قال ذلك لأن لك أجرين قال أجل يا عبد الله فما من مسلم يصيبه أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ويشتد الألم على النبي صلى الله عليه وسلم فيعصب النبي رأسه ويتكأ على رجلين من الصحابة على العباس وعلى علي رضوان الله عليهما ويصعد ليرتقي المنبر في أيامه الأخيرة فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول أيها الناس إن عبدا من عباد الله خيره الله بأن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله فاختار ما عند الله والحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد فقام أبو بكر فقال نحن نفديك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله فضج الناس في المسجد وقالوا عجبا لأبي بكر رسول الله يتكلم عن عبد مخير بين زهرة الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله لكن الصديق علم أن العبد المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أفهم الصحابة لمراد رسول الله فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال أيها الناس إن أمن الناس علي بصحبته وماله أبو بكر ما منكم من أحد إلا وكانت له عندنا يدا كافأناه به إلا الصديق فإنا تركنا مكافأته لله عز وجل والله لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة وصحبة ثم قال سدوا الأبواب كلها أي التي تطل على المسجد إلا باب أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه ونزل النبي صلى الله عليه وسلم واشتدت به الحمى واشتد به الألم واستأذن نسائه أن يمرض في بيت عائشة وفي اليوم الموعود يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر من الهجرة ينام صلى الله عليه وسلم على صدرها ويأتيه ملك الموت يخيره عليه الصلاة والسلام تقول عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي بيتي وفي ليلتي وجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا وفي أول يوم من أيام الآخرة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى قالت فعلمت أنه قد خير واختار الرفيق الأعلى وما اختارنا وسقطت يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وخرجت عائشة تبكي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. وضج الصحابة وطاشت عقولهم وفقدوا صوابهم منهم من عقروا ومنهم من أخرس لسانه ومنهم من فقد كل شيء لا يعرف شيئا يؤخذ فيؤتى به وينصرف به وهو لا يدري وضج الناس حول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء الصديق من منزله بالسنح أنزل الله على قلبه السكينة والثبات واخترق هذه الجموع التي تلتهب وعلى رأسها عمر بن الخطاب يقول والله من قال إن محمدا قد مات لأعلونه بسيفي هذا رسول الله ما مات بل ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران وليرجعن ليقطع أرجل

وأيدي المنافقين الذين يزعمون أنه قد مات وشق الصديق هذه الجموع الملتهبة ودخل حجرة عائشة ووجد أن الخبر بالفعل قد تحقق وأن المصيبة قد وقعت فرسول الله لا يستقبله اليوم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجاة فجلس الصديق عند رأسه وبرك على ركبتيه وكشف الغطاء عن وجهه الأزهر الأنور كما في رواية حسنها الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل ونادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا نبياه يا نبياه يا خليلاه واصفياه وقال كما في رواية الصحيحين أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ولا ألم عليك بعد اليوم وخرج الصديق على رسلك يا عمر انتظر يا عمر تمهل فلما رأى الناس الصديق يريد أن يتكلم ترك الناس عمر والتفوا حول أبو بكر فقال الصديق رضي الله عنه بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقرأ قول الله جل وعلا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. أيها الأحبة أوجب الله على الأمة طاعته فقال سبحانه وتعالى ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]. ولم يرسله الله للعرب بل أرسله للخلق كافة قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فيجب علينا أن نمتثل أمره وأن نجتنب نهيه وأن نقف عند حدوده فطاعة النبي طاعة للرب العلي ومعصية النبي معصية للرب العلي قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]. ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢]. وقال تعالى ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥]. أكتفي بهذا القدر اللهم وكما آمنا بنبيك ولم نره فلا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله وأوردنا بفضلك وكرمك حوضه الأصفى واسقنا منه شربة هنيئةً مريئةً لا نرد ولا نظمأ بعدها أبدا يا رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التوحيد / المستوى الثاني

الشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر

الدرس الأول / شرح كتاب التوحيد

مشاهدينا الكرام في هذا الدرس المبارك يسعدنا ويشرفنا أن يكون ضيفنا هو الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بـن عبد المحسن البدر عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في مطلع هـذا اللقـاء المبارك نرحب بشيخنا أجمل ترحيب، فأهلا وسهلا بكم فضيلة الشيخ

وأنا أرحب بكم جميعًا وبجميع الإخوة.

أيها المشاهدون والمشاهدات، شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرزاق سنتناول معه -بإذن الله تعالى- شرح كتاب التوحيد، في هذا الدرس المبارك سيكون درسنا مدخلا إلى دراسة التوحيد، نرحب مجددا بشيخنا الكريم، ونرحب أيضًا بالإخوة الذين حضروا معنا هنا في الأستديو، ونرحب كذلك بالإخوة الدارسـين والدارسـات فـي موقـع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، ونترك المجال لشيخنا الكريم، فتفضل يا شيخنا مشكورا مأجورً

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـرور أنفـسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

بادء ذي بدء أحيي الجميع بتحية الإسلام، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأسأل الله الكريم رب العـرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لنا في هذا اللقاء النفع والخير والفائدة، وأن يرزقنا تحقيق التوحيد وحسن فهمه وحسن العمل به على الوجه الذي يرضيه عنا -تبارك وتعالى-.

وكما ذكر أخونا المقدم حفظه الله سنبدأ بدراسة هذا الكتاب العظيم "كتاب التوحيد" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ولعل من المناسب بين يدي دراستنا لهذا الكتاب العظيم؛ بل بين دراستنا لعلم التوحيد الذي هو أشرف العلوم وأعظمها وأجلها على الإطلاق -أن أبدأ بمدخل لدراسة علم التوحيد يتضمن مقـدمات مهمـة ومقدمات ضرورية يحتاج إليها طالب العلم بين يدي دراسة علم التوحيد، وهذه المقدمات متعددة وسنأتي عليهـا، أو على ما تيسر منها في لقائنا هذا.

فنبدأ أولًا بالمقدمة الأولى عن أهمية دراسة التوحيد.

ولا شك -أيها الإخوة- أن معرفة أهمية الشيء بين يدي دراسته من أهم ما يكون؛ لأن هذا يعتبر ويعد داعما للدارس والمتفقه والمتعلم إلى مزيد الاهتمام ومزيد العناية بهذا العلم الذي هو بصدد دراسة.

وعلم التوحيد، هذا العلم الذي المبارك الشريف العظيم -هو أجل العلوم علـى الإطـلاق، وأفـضلها علـى الإطلاق، فليس في العلوم علم أجل من هذا العلم المبارك، علم التوحيد؛ ذلك أن التوحيد هو أجل الغايات، وأعظم المطالب، وأنبل الأهداف، وليس في الغايات كلها ولا في المطالب جميعها ولا الغايات كلها شيء أجل من توحيد الله -سبحانه وتعالى- والله -جل وعلا- إنما أوجدنا وخلقنا لتوحيده كما قال -سبحانه وتعالى- ﴿ وَمَـا خَلَقْـتُ

الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وأرسل الرسل لتوحيده، وأنزل الكتب لتوحيده، فالتوحيد هو الغاية لخلق الناس وإيجاد المخلوقات.

وإذا كان أمر التوحيد كذلك فإن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون اهتمامه بالتوحيد مقدما على اهتمامه بأي أمر آخر، وأن تكون عنايته بالتوحيد مقدمة على العناية بأي أمر آخر، وكيف لا يكون اهتمامنا به مقدما على كل أمر ونحن إنما خلقنا لأجله وأوجدنا لتحقيقه؟

وسيأتي معنا عند المصنف –رحمه الله– باب خاص بفضائل التوحيد وآثاره العظيمة الدالة على أهميته العظيمة ومكانته الرفيعة.

والتوحيد هو أجل المطالب على الإطلاق وأفضلها، وليس في المطالب مطلب أجل منه، وسيأتي معنا في فقرة خاصة ومقدمة أخرى ذكر شيء من فضائل التوحيد الدالة على أهميته وعظم شأنه.

وأما التوحيد –معاشر الإخوة الكرام– وهذه هي المقدمة الثانية أما التوحيد فحقيقته إفراد الله –سبحانه وتعالى– بخصائصه، حقيقته إفراد الله بخصائصه. وهذه الكلمة كلمة عربية، وواضحة المعنى، جميلة المبنى، جليلة الدلالة؛ بل هي دالة على أعظم المقاصد وأجل الغايات، يقال: وحد يوحد توحيدا، والتوحيد هو الإفراد، التوحيد هو الإفراد، وتوحيد الله –سبحانه وتعالى– هو إفراده، إفراده بخصائصه سبحانه، خصائصه –جل وعلا– في ربوبيته، وخصائصه –جل وعلا– في أسمائه وصفاته، وخصائصه –جل وعلا– في ألوهيته.

ودين الإسلام سمي توحيدا لأن مبناه على الإيمان بوحدانية الله –سبحانه وتعالى– في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته؛ ولأجل هذا قال أهل العلم أخذا من كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– واستقراءً لأدلة الكتاب والسنة –قال أهل العلم: أن التوحيد الذي خلقنا لأجله وأوجدنا لتحقيقة ينقسم إلى أقسام ثلاثة، أو هو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية فهذه أقسام التوحيد الثلاثة، ولا يكون العبد مؤمنا بالله، ولا موحدًا له –سبحانه وتعالى– إلا إذا وحده في ربوبيته –جل وعلا– وفي أسمائه وصفاته وفي ألوهيته.

وتوحيد الله في ربوبيته –وهو النوع الأول من أنواع التوحيد– هو الإيمان بوحدانية الله –سبحانه وتعالى– في ربوبيته، أو الإيمان بوحدانية الله –سبحانه وتعالى– بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماته والتصرف والتدبير وغير ذلك من معاني الربوبية.

وتوحيد الله في هذه الأمور أن نؤمن بها، وأن نثبتها لله –سبحانه وتعالى– وأن نقر بها، وأن نجعلها أو نجعل إيماننا بها إيمانا خاصًا بالرب العظيم، فلا يضاف شيء منها لغيره، ولا يسند شيء منها لسواه، وإنما هي خصائص لله –سبحانه وتعالى– تفرد بها، تفرد وحده بالخلق، وتفرد وحده بالرزق، وتفرد وحده بالإحياء، وتفرد وحده بالتدبير لا شريك له –سبحانه وتعالى– في شيء من ذلك.

ولنلاحظ هنا أن توحيدنا لله في الربوبية أو في بقية أنواع التوحيد لابد فيه من إثبات ونفي، إثبات الأمر الموحد الله –جل وعلا– به له سبحانه ونفيه عمن سواه، فلا توحيد إلا بالأمرين معًا.

فإذن توحيدنا لله –سبحانه وتعالى– في ربوبيته أن نثبت له خصائص الربوبية وأن ننفيها عمن سواه، فهو الخالق لا خالق سواه، الرازق لا رازق سواه، المدبر لا مدبر سواه، لا نكون مؤمنين بهذا التوحيد إلا بالإثبات والنفي، إثبات خصائص الله –جل وعلا– له ونفيها عمن سواه، هذا توحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات هو إيماننا بأسماء الله –سبحانه وتعالى– وصفاته الثابتة له في كتابه وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– نثبتها له –جل وعلا– إثباتا خاصًا به لائقا بجلاله وكماله مع التنزيه له –سبحانه وتعالى– عن مماثلة المخلوقات كما قال –عز وجل– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وسيأتي إن شاء الله وبتوفيق منه –سبحانه وتعالى– بيان مفصل بعض الشيء لما يتعلق بذلك عند وروده عند مصنف الكتاب الذي نحن بدراسته.

أما توحيد الألوهية وهو النوع الثالث: فهو أعظم أنواع التوحيد وأجلها، أما النوع الثالث من أنواع التوحيد فهو توحيد الألوهية وهو متضمن لأنواع التوحيد التي مرت معنا، وتوحيد الله في ألوهيته أن نخلص العبادة له وأن نفرده –سبحانه وتعالى– وحده بالطاعة، وأن نعبده ولا نعبد أحدًا سواه، وتوحيد الألوهية هو تحقيق كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" لأن هذه الكلمة تعني إفراد الله –سبحانه وتعالى– بالعبادة ونفيها عمن سواه "لا إله إلا الله" كما مر معنى قبل قليل لابد في التوحيد من إثبات ونفي، لا يكفي في التوحيد الإثبات وحده، ولا يكفي في التوحيد النفي وحده، ولنتأمل هذا وسيأتي له مزيد تفصيل.

يسمى توحيد ماذا يا شيخ؟ يسمى توحيد العبادة؟

يسمى توحيد العبادة، ويسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد الإرادة والطلب، ويسمى توحيد القصد، ويسمى التوحيد العملي، فهذه أسماء متعددة لهذا التوحيد باعتبار الأوساط المتعلقة به، فهو يسمى توحيد العبادة لأن هذا التوحيد هو إفراد لله –سبحانه وتعالى– بالعبادة ونفي لها عمن سواه، ويسمى توحيد الألوهية والإلهية لأنه مبني على التأله وهو التعبد، يقال: أله يأله إلهة وتألهًا، أي: تعبد، ومنه قول الشاعر:

لله در الغانيات المدهي *** سبحن واسترجعن من تألهي

أي: من تعبدي لله.

فإذن هذا توحيد الألوهية. ويقال له أيضًا توحيد العبادة، ويقال له توحيد القصد، ويقال له توحيد الإرادة، ويقال له التوحيد العملي.

ونلاحظ هنا هذا التوحيد يقال له التوحيد العملي، بينما النوعين السابقين يقال لهما التوحيد العلمي؛ ولأجل هذا يقول أهل العلم التوحيد ينقسم إلى قسمين:

توحيد علمي، وتوحيد عملي.

التوحيد العلمي يدخل تحته نوعا التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن المطلوبة في كل منهما هو العلم.

والتوحيد العملي يشمل توحيد الألوهية؛ لأن المطلوب فيه العمل الذي هو إفراد الله –سبحانه وتعالى– وحده بالعبادة.

فهذا بشكل مختصر وموجز لهذه المقدمة التي تتعلق بحقيقة التوحيد.

نأتي الآن إلى المقدمة الثالثة، وأأكد على أهميتها قبل الحديث عنها، وهي واجبنا نحو التوحيد

ما الذي يجب علينا نحو التوحيد؟ إذا عرفنا أن التوحيد هو أعظم الأمور وأجلها وأهم المطالب وأعظمهــا إذا عرفنا ذلك ما الواجب علينا نحوه؟

أطرح هذا التساؤل على كل واحد يستمع إلى هذا اللقاء ويشارك معنا في هذا الموضوع المهم، التوحيــد مــا الواجب علينا نحوه؟ هذا سؤال مهم وعظيم للغاية ما واجبنا نحو التوحيد؟

نحن عرفنا -معاشر الإخوة الكرام- أن التوحيد أهم مطلب وأجل غاية فما الذي يجب علينا نحوه، مــا هــي الأمور التي يجب علينا نحوه؟

هذا السؤال عظيم وكبير ومهم جدًا، وأقول جوابًا على هذا السؤال أن الواجب علينا نحو هذا التوحيــد الــذي خلقنا لأجله؛ بل الواجب علينا نحو كل أمر أمرنا الله -سبحانه وتعالى- به -سبعة أمور، وآمل من الجميــع أن يضبطوها واحدًا واحدًا، وسأتحدث عنها بلا إطالة تداركا أو كسبا للوقت.

أولًا: الواجب الأول: أن نتعلمه، أي أمر أمرنا الله به وأعظم الأوامر هو توحيد الله، أمرنا الله بالتوحيد، وأمرنا بالصلاة، وأمرنا بالصيام، أمرنا بالزكاة، أمرنا ببر الوالدين إلى غير ذلك من الأوامر، أول واجب علينا نحوه أن نتعلمه، وهذه هي البداية ويُبدأ بالعلم والتعلم قبل كل شيء كما قال الله -تعالى- : ﴿ فَــاعْلَمْ أَنَّــهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وقد كان نبينا -عليه الصلاة والــسلام- كمــا فــي حديث أم سلمة في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه: (كان كل يوم يقول بعد صلاة الصبح: اللهم إنــي أســألك علمًا نافعا، ورزقا طيبًا، وعملا متقبل) هذه دعوة كان يدعو بها نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- كل يوم.

وهذه الدعوة -لو تأملت- هي في الحقيقة إضافة إلى كونها دعوة واستعانة بالله -هي فــي الحقيقــة تحديــد لأهداف المسلم في يومه، تحديد لأهداف المسلم في يومه، أنا تأملت في هذا الأمر، ونظرت في هذا الحديث لمــا تتأمل تجد أن المسلم ليس له في يومه إلا هذه الثلاثة أهداف لا يخرج عنها، أبدًا أهداف المسلم في يومه هي هذه الأهداف الثلاثة، أنا أسألكم الآن هل يحضركم هدف ثالث للمسلم في يومه خارج عن هذه الثلاثة؟

فهذه الأهداف الثلاثة هي أهداف المسلم في يومه، العلم النافع، الرزق الطيب، العمل الصالح وكــان -عليــه الصلاة والسلام- يوميا إذا صلى الصبح بعد أن يسلم -كما تقول أم سلمة- يدعو بهذه الدعوة، بماذا بدأ؟ بــالعلم، وهذا يدلنا على أن أولى أولويات المسلم وفي مقدمة اهتمامه في يومه؛ بل في كل أيامه البدء بالعلم.

العلم قبل العمل، وقبل القول، وقبل الكسب؛ لأنه لا يمكن أن تأتي بالعمل الــصالح ولا بــالقول الــسديد ولا بالكسب الطيب إلا إذا كان عندك علم، إذا لم يكن عندك علم لا تستطيع أن تميز بين عمل صالح وغير صــالح، ولا بين قول سديد وغير سديد، ولا بين رزق طيب أو رزق خبيث، فالعلم هو الذي يميز للإنسان الخبيــث مــن الطيب، والحق من الضلال والباطل.

إذن أول ما نبدأ فأول واجب علينا نحو التوحيد أو نتعلمه، وهذا أمر الله لنا في القرآن: قال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [محمد: ١٩] هذا أمر بتعلم التوحيد ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [محمد: ١٩] وإذا نظرت إلى واقع كثير من الناس تجد أنهم في غفلة عن تعلم التوحيد، في غفلة عن تعلم التوحيد وعن الاهتمام به والعناية به، ربمــا أن بعض الناس يهتم بأمر من الأمور يتعلمه ويتفقه فيه ويبرع فيه، ويشار إليه فيه بالبنان ولم يعطِ التوحيــد مــن لحظاته ولا قليلا من أجل أن يتعلمه!! هذه مصيبة؛ لأن الله -عز وجل- خلقك لهذا التوحيد، ثم تبرع في أمــورٍ وأنت غافل عن التوحيد الذي خلقك الله لأجله لا تتعلمه ولا تسأل عنه، ولا تبحث عنه ولا تتفقــه فيــه!! فهــذه مصيبة عظيمة.

إذن أول واجب نحو التوحيد أن نتعلمه كما أمرنا الله –سبحانه وتعالى– فقال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [محمد: ١٩] هذا الواجب الأول، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو في الحقيقة خدمة لكل مسلم، وتيسير لكل مسلم، وإعانة لكل مسلم أن يتعلم التوحيد واضحًا بينًا، مدعمًا بالأدلة والشواهد من كتاب الله وسنة رسوله –صلوات الله وسلامه عليه– ولعل هذا أيضًا يتضمن دعوة للمواصلة والاهتمام في الدراسة والتعلم والعناية بهذا العلم المبارك، وألا يستمر الإنسان في غفلة إلى أن يدهمه الموت، وينتقل من هذه الحياة وقد خرج –والعياذ بالله– خرج من الحياة ولم يعرف أغلى شيء فيها، يكون خرج من الحياة، ودع هذه الحياة الدنيا وأغلى شيء في هذه الحياة هو توحيد الله ما تعلمه، وهذه أكبر المصائب، أكبر المصائب أن يودع الإنسان الحياة الدنيا، ويغادر هذه الحياة، وأغلى شيء في هذه الحياة، أنا لا أعلم شيء في هذه الحياة أغلى من التوحيد الذي خلقنا –جل وعلا– لأجله وأوجدنا لتحقيقه، هذا الواجب الأول.

الواجب الثاني: أن نحبه، أن نحب الذي أمرنا الله به، وأعظم الأوامر التوحيد، فالسبع نقاط التي أتحدث عنها هي لا تختص بالتوحيد، فكل أمر أمرنا الله –سبحانه وتعالى– به يجب علينا نحوه سبعة أمور، والتوحيد هو أعظم أمر، التوحيد هو أعظم أمر أمرنا الله –سبحانه وتعالى– به.

إذن الأمر الأول: أن نتعلمه، الأمر الثاني: أن نحبه.

فكل شيء يأمرك الله به، وأعظم شيء أمرك الله –سبحانه وتعالى– به هو التوحيد، فكل شيء أمرك الله به تحبه، وتجاهد نفسك، وتجاهد قلبك على إمارته بمحبة ما أمرك الله به، والله لا يأمرك إلا بما فيه سعادتك وصلاحك ورفعتك في الدنيا والآخرة.

فكيف لا يحب الإنسان ما فيه سعادته؟ ما فيه صلاحه؟ وانظر اللفتة الكريمة في دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– للتوحيد عندما كان يمشي في فجاج مكة وينادي: (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) يعني: فلاحكم في هذا التوحيد، سعادتكم في هذا التوحيد، رفعتكم في الدنيا والآخرة في هذا التوحيد.

فإذن هذا الأمر الذي فلاحنا وسعادتنا ورفعتنا في الدنيا والآخرة علمناه، وعلمنا أمر الله لنا به، وعلمنا أيضًا فضله ومكانته نحبه ونعمر قلوبنا بمحبته، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله، تحب الله، وتحب أنبياءه، وتحب دينه، وتحب ما أمرك –سبحانه وتعالى– به، ولا تجد في قلبك حرجا؛ لأن هذا خير لك ورفعة وسعادة في الدنيا والآخرة.

حتى لو ظهر في ظاهره المشقة والتعب

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (حفت الجنة بالمكاره) حتى لو كان الأمر شاقا فعلًا، يعني: الصلاة الآن، الصلاة عندما ينادي المنادي لصلاة الفجر: حي على الصلاة، والجو شاتٍ، والماء بارد أحبب ذلك، وادخل وأنت فرح محب مغتبط؛ لأن هذا أمر لك فيه فلاحك فيه سعادتك، أليس المنادي للصلاة في كل الصلاة يقول: حي على الفلاح؟ لأنه فلاحك، إذن كيف لا تحب ما فيه فلاحك؟ كيف لا يحب الإنسان ما فيه فلاحه؟ ما فيه سعادته؟ إذن هذا الواجب الثاني أن نحب ما أمرنا الله –سبحانه وتعالى– وأعظم الأوامر التوحيد فنحب التوحيد.

بعض الناس –ولابد أن نشير لهذا– بسبب الأهواء، بسبب دعاة الباطل، بسبب إثارة الشبهات –تجد نفسه قد تنقبض من التوحيد أو تنقبض من أوامر الله –سبحانه وتعالى– بسبب ما اكتنفه هو من شبهات. إذن الواجب أن أطرح كل شيء وكل أمر يخالف ما أمرني الله –جل وعلا– ولا أجد وحشة، ولا أجد حزازة لأنني إن نميت في نفسي هذه الوحشة وهذه الحزازة أو نحو ذلك سأجد قلبي منقبضا عن أبواب الخير وأبواب السعادة مثل ما قال الله –عز وجل– عن الكفار –والعياذ بالله– أنه عند ذكر التوحيد تشمئذ قلوبهم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾

[الزمرك ٤٥] القلب يجب أن يحبه، فقلب هذا المريض يشمئذ، فالإنسان لا، بل ينشرح ويفرح ويغتبط ويحب ويقبل على أمر الله -جل وعلا- له.

نأتي الآن إلى الأمر الثالث:

الأمر الثالث علمنا وأحببنا نعزم في قلوبنا على فعله، والعزم هو حركة في القلب لفعل هذا الشيء.

إذن أنا أتعلمه، أول ما أبدأ أتعلمه، ثم أحبه، ثم أجعل في قلبي حركة وإرادة وعزم، أعقد العزم في قلبي على فعل هذا الأمر.

هنا لما يأتي الإنسان ليدخل في التوحيد وقد كان ضالا عنه ومنحرفا وربما كان في عبادات باطلة وفي أهواء منحرفة عندما يحب هذا الأمر بسماعه لحديث عنه وبيان لفضائله ويتحرك قلبه عزما على فعله -يأتيه في قلبه بسبب الحياة التي عاشها والأهواء التي اكتنفته يأتيه في قلبه خوف من التغير، يقول: أنا الآن إذا عزمت على فعل هذا الأمر قد تتغير دنياي، ويتردد، قد أفقد كذا، قد تصيبني هذه التي أنا متعلق بها وارتبطت بعبادتها وسؤالها والخضوع لها، قد تصيبني بشيء، أرأيت الآن ماذا قال الكفار ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [هود: ٥٤] يعني يقول: أخشى إن عزمت الآن فتتغير حياتي.

ربما الشيطان يأتيه ببعض الأشياء وبعض الأمور التي تجعله ينهزم وربما ينكص، تجده -سبحانه وتعالى- علم وأحب وعزم على الفعل ثم انفرط منه الأمر وذهب ذلك العزم بسبب ما احتوى أو اكتنف قلبه من أمور ردته عنه.

إذن يعزم الإنسان، علمته وأحببته اعزم لا تتردد، لماذا تتردد؟ ولماذا تفكر في هذا وذاك؟ هذا أمر علمته وأحببته وعرفت صحته وسلامته لماذا تتردد؟ اعزم وتوكل على الله -سبحانه وتعالى- إذن هذا الأمر الثالث.

الأمر الرابع: العمل:

علمت وأحببتت وعزمت في قلبي على فعله اعمل، أبدأ أعمل بالتوحيد، أخلص الدين لله، أفرد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة، أخصه -جل وعلا- بالطاعة، لا أدعو غيره، لا أسأل غيره، لا أستغيث بغيره، لا أصرف شيئا من عباده لغيره، أجعل العبادة خالصة له -جل وعلا- وحده لا شريك له في شيء منها، وأوحده في ربوبيته وفي أسمائه وفي صفاته، وأعمل بالتوحيد، وأقبل على أمور التوحيد وتفاصيل التوحيد وأفراد العبادة وأعمل بها طاعة لله -سبحانه وتعالى- مقبلا عليه -جل وعلا- إذن هذا الأمر الرابع الذي هو العمل.

لاحظ هنا أن بعض الناس قد يحب، قد يعلم، وقد يحب ويعزم، ثم لما يأتي للأمر الرابع وهو العمل يقول: ماذا يقول عني الشيخ الفلاني؟ ماذا يقول عني الناس لو رأوني مثلًا تركت كذا؟ فتجده يمتنع بعد أن أحب وعلم وعزم. لاحظ هذه المقدمات المهمة التي وجدت فيه، ثم يأتي إلى مرحلة العمل، هو يريد أن يعمل وربما يبدأ فعلًا بالعمل ثم يتوقف يقول: ماذا يقول عني الناس؟ وتجده يمتنع ويقول: لا أنا على طريقة أشياخي، أنا على طريقة مثلًا أهل بلدي، أنا على الشيء الذي نشأت عليه. الآن أنا أسمع وربما سمعت أيضًا بعض الذين يدعون إلى الإسلام تجده يعرف بالإسلام ويقتنع إنه صحيح، ثم يقولون له أسلم يقول: ماذا أقول لمن حولي؟ ماذا أقول لأهلي، لأولادي، لجماعتي؟ أنا أخاف منهم، يقول أنا مقتنع.

اليوم أحد الأشخاص حدثني بمثل هذا وسمعت مثل هذا كثيرا، اقتنع شخص عنده بالإسلام وعرف إنه الدين الصحيح لكنه يقول: ما موقفي؟ فتجده يمتنع عن العمل بعد أن علم، وبعد أن أحب، وبعد أن عزم. تحركت إرادة العزم ثم يمتنع!! هذه عقبة أمامه -نسأل الله العافية- فيمتنع عن العمل، يخاف أن يطلع عليه من يعظمه، يخاف!!

وانتبهوا لهذه الكلمة، يخاف أن يطلع عليه من يعظمه من الناس لكن رب العالمين أحق بالتعظيم، رب العالمين الذي خلقك وأوجدك تخشى الناس ولا تخشاه!! تراقب الناس ولا تراقبه!! تخاف الناس ولا تخافه!! هذه بلية عظيمة، إذن نأخذها متدرجين علمنا وأحببنا وعزمنا وعملنا هذه الرابعة.

نأتي للخامسة أن نوقع العمل خالصا صوابا، ليس كل عمل يصلح أو يناسب، وإنما العمل الذي هو العمل الصالح المقبول عند الله ما كان خالصا صوابا.

إذن نوقع العمل خالصا لله، وصوابا على منهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] قال الفضيل -رحمه الله- في معنى هذه الآية: أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا، لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة، فنوقع العمل خالصا لله وصوابا على السنة.

لاحظ هنا أيضًا في الأوامر عمومًا حسب التدريج الذي مشينا عليه أنه قد يأتي الإنسان بالمراتب الأربعة ثم يأتي للناحية العملية فيعمل بأمور أيضًا هذه الأمور يجعلها خالصة لله لكنها ليست على شرعه، يعني: مثلًا إنسان يذكر الله -جل وعلا- بأذكار مبتدعة وأدعية محدثة، ليس فيها شرك، وليس فيها مخالفة للإخلاص لكن فيها مخالفة للسنة والمتابعة للرسول -عليه الصلاة والسلام- إذن إذا علمنا وأحببنا وعزمنا وعملنا نوقع العمل خالصا صوابا.

نأتي إلى الأمر السادس: وهو أن نحذر من محبطاته، جئنا بهذه المراتب نحذر من محبطات التوحيد ومبطلاته، وأيضًا نحذر من الأشياء التي تنقصه، وتنقص كماله؛ ولهذا فالتوحيد له نواقض وله نواقص، له نواقض تفسده تمامًا وتجتثه من أصله، تذهبه من أصله، وله نواقص تنقص كماله الواجب، وكتاب التوحيد الذي نحن بصدد دراسة بين فيه مؤلفه رحمة الله عليه التوحيد بأدلته، وبين فضله وبين حقيقته، ثم أيضًا عرج على ذكر النواقض والنواقص، لماذا؟ حتى نحذر منها.

إذن نحن مُطالَبٌ منا جهة الأمر إذا أتينا بالأمور السابقة الخمسة -أن نحذر من أي شيء يبطلها، يأتي هنا سؤال أطرحه وأجيب عنه إجمالا، وسيأتي عنه الجواب المفصل فيما بعد كيف نحذر مما يحبطه؟ نحن الآن نتحدث عن التوحيد كيف نحذر مما يحبط التوحيد؟ عرفنا أن التوحيد له محبطات، له نواقض وله نواقص، ولا يتسنى لأحد أن يحذر منها إلا إذا عرفها وإلا كما قال قديمًا أحد السلف: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي» وكثير من الناس يبتلى بأمور يفعلها تنقض توحيده أو تنقص توحيده وهو لا يعلم، وربما أدخلت عليه بمسميات صحيحة لكن سمو له الشيء بغير اسمه، مثل يسمون بعض الشركيات توسل، أو يسمونها شفاعة أو يسمونها بأشياء أخرى فتجده يفعل الشرك الصراح، وإذا قلت له ماذا تفعل؟ يقول: أتوسل أو أستشفع أو نحو ذلك فالمسميات لا تغير الحقائق.

إذن نحذر المبطلات، وسياتي في هذا الكتاب بيان لمبطلات التوحيد وأيضًا للأمور التي تنقص التوحيد، وهذا من الأهمية بمكان لأنْ يتعلمه المسلم حتى يحذر منه.

إذن نحن مطالب من كل مسلم أن يعرف الشرك لماذا؟

حتى يحذر منه ويتجنبه

يقول القائل: "تعلم الشر لا للشر، ولكن لتوقيه فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه" يقول حذيفة بن اليمان كما في صحيح البخاري: (كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافته) وكثير من الناس يبتلى بالوقوع في بعض النواقض أو النواقص لتوحيده بسبب جهله وعدم تعلمه، إذن هذا الأمر السادس أن نحذر من المبطلات.

السابع والأخير: هو الثبات على هذه الأمور والاستقامة عليها إلى الممات: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] يعني: حتى يأتيك الموت، فتثبت على هذا الأمر، والله -عز وجل- لما ذكر آية التوحيد في ذلك المثل العجيب في سورة إبراهيم ذكر عقبه أمر الثبات ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ هذه كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٧] فيثبت الإنسان ويستقيم على الأمر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ ﴾ [فصلت: ٣٠] آيتان في كتاب الله، والرجل في حديث سفيان بن عبد الله الثقفي الذي قال للرسول -عليه الصلاة والسلام- : (قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم) فيستقيم الإنسان على هذا الأمر إلى أن يتوفاه الله.

إذن هذه الأمور السبعة هي في غاية الأهمية، في غاية الأهمية، وأعيد ثانية ليست هذه الأمور السبعة خاصة بالتوحيد؛ بل هي تتعلق بكل أمر أمرنا الله به؛ الصلاة الصيام الحج الزكاة، أي أمر أمرنا الله -سبحانه وتعالى- به يجب علينا نحوه هذه الأمور السبعة.

طيب النواهي التي نهانا الله -سبحانه وتعالى- عنها ما واجبنا نحوها؟ نهانا عن الشرك، نهانا عن السرقة، نهانا عن الغش، نهانا عن الربا، نهانا عن أمور كثيرة، ما واجبنا نحو هذه النواهي؟ نحن الآن عرفنا واجبنا نحو الأوامر فما واجبنا نحو النواهي؟

الأمور السبعة نفسها أليست هي واجبنا نحو أيضًا النواهي؟

أن نعلمها ونتركه

نعم، هذه الأمور السبعة هي أيضًا واجبنا نحو النواهي، ولعل هذا أتركه يتأمل فيه الإخوة جميعًا، ونستذكره في حلقتنا القادمة إن شاء الله، وهو السؤال ما واجبنا نحو ما نهانا الله عنه؟ نهانا عن الشرك، ونهانا عن السرقة، نهانا عن الزنا، نهانا عن العقوق، نهانا عن... إلى آخره، إلى آخر النواهي.

إذن يا شيخ، هذه السبعة واجبنا نحو التوحيد ونحو كل أمر أمرنا الله به؟ سؤال ما واجبنا نحو ما نهانا الله عنه؟

أيضًا أنا أجبت، واجبنا نحو النواهي هو نفسه، لكن كيف يعرض الإخوة هذه السبعة نقاط نحو ما نهانا الله؟ وليكن نهي الله لنا عن الشرك ما واجبنا نحوه؟ الآن لما تأتي الأمر الأول أن نتعلمه، مطلوب منا أن نتعلم الشرك أو ليس مطلوبًا؟ مطلوب، مثل ما عرفنا قبل قليل كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟ نتعلم الشرك لكي نتقيه.

الأمر الثاني: المحبة، نحب ماذا؟ نحب النهي لا نحب المنهي عنه، النهي، الآن لما ينهاك الله عن الحرام النهي نفسه من الأوامر ومن التكاليف الله -عز وجل- كلفك أن تبتعد عن هذا الأمر، فأنت تحب نهي الله كما تحب أمر الله، تحب ما أمرك الله به كما أنه أيضًا تحب نهي الله، فأنت تحب نهي الله، إذا أحببت نهي الله ما تجد في قلبك حرجا من ترك ما نهى الله عنه لأنك تحب نهي الله لأنه هو خالقك، يأمرك بما يشاء وينهاك عما يشاء، فأنت تحب الأمر وتحب النهي، وفي الأوامر تحب المأمور به وفي النواهي تبغض المنهي عنه؛ لأن المنهي عنه هذا أمر بغيض، أمر مكروه، أمر سيء، أمر قبيح نهاك الله عنه.

أذكر وهذه فائدة عرضية، أذكر قديمًا أحد الطلاب يدرس في المرحلة المتوسطة ويحفظ كتاب الله وهو في السنة الأولى، هذا الكلام له أكثر من ست عشرة سنة أو سبع عشرة سنة، أذكر أنه وكنت أدرس له جاءني مرة بمذكرة تزيد على المائتي صفحة ربما أنه يسمعني الآن ما أدري، معه مذكرة في مائتي صفحة أو أكثر وعنوانها الأوامر والنواهي طالب الشئون المتوسطة وغير المتوسطة، عنوانها الأوامر والنواهي، وجامع فيها الأوامر التي في القرآن مرتبة التوحيد والصلاة والصيام، وكل أمر تحته آية أو آيتين، وناقل كلام ابن كثير وابن السعدي في معناه، ثم ينتقل للنواهي الشرك الزنى وكلها يجمعها، لما أعطاني الكتاب قلت له ما هذا؟ قال هذا جمعت فيه الأوامر والنواهي، قلت: الآن مبكر عليك، الآن ليس هو وقتها، يعني: أنت الآن تتعلم. قال: لا، أنا لست هنا مؤلفا، أنا -الحمد لله- أحفظ كتاب الله، ووجدت أن ربي أمرني بأوامر ونهاني عن نواهٍ فأحببت أن أجمعها لنفسي وأتفقه فيها حتى أفعل الأوامر وأنتهي عن النواهي، لكن أنا أسترشد منك هل طريقتي هذه مناسبة أو غير مناسبة؟ قلت له: يا أخي، بارك الله فيك، هذه طريقة من أنسب ما يكون، و هذا الأخ، وهذا الكلام الآن له قرابة السبع عشرة سنة تخرج .

شيخنا الكريم، إذن نحن الآن عرفنا أهمية التوحيد، وحقيقة التوحيد، وواجبنا نحو التوحيد، بقي إن شاء الله تعالى بعد الفاصل أن نأخذ ثمرات التوحيد، وما هي النقطة التي تليها إن شاء الله؟

توجد ثمرات التوحيد، وتوجد مسألة مهمة أيضًا هي مقدمة مهمة كان يحسن أن أذكرها قبل وهي ما مصدر تلقي التوحيد؟

نحن وقفنا بعد حقيقة التوحيد عند عنصر مهم وهو مصدر التلقي للتوحيد

مصدر التلقي لهذا العلم العظيم علم التوحيد هو من الأمور المهمة التي يحسن العناية بها بين يدي دراسة هذا العلم، من أين نتلقى التوحيد؟ من أين نأخذ هذا العلم؟ ما مصدرنا في أخذ هذا العلم وتلقيه؟ هنا يجب أن نعلم -معاشر الإخوة- أن الناس في تلقي عقائدهم وأديانهم وما يؤمنون به ينقسمون إلى فريقين:

قسم يتلقى دينه وعقيدته وإيمانه من مصدرها الصحيح ومنبعها العذب الذي هو وحي الله -جل وعلا- والقضية واضحة جدًا والأمر واضح، الله -جل وعلا- خلق الخلق لعبادته وتوحيده والإيمان به وبما أمر -سبحانه وتعالى- عباده بالإيمان به وأنزل في ذلك وحيه المبين، وكلامه الكريم، والرسل -عليهم صلوات الله وسلامه- لما كانوا يبينون للناس الإيمان والتوحيد وتفاصيل الشرائع -كانوا يبينون لهم ذلك بالوحي: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء: ٤٥] فإذن منبع التوحيد ومنبع الإيمان ومصدر التلقي للعقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- نأخذ ديننا ونأخذ عقيدتنا ونأخذ إيماننا وتوحيدنا من كتاب ربنا وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- ولهذا مضت الطريقة عند علماء السلف ومن اتبعهم بإحسان أن كل أمر من أمور العقيدة مقرونا بدليله قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- الاعتقاد، أمور الاعتقاد وأمور الإيمان ليست لأحد من الناس كائنا من كان، ليس لأحد كائن من كان أن ينشئ عقيدة من قبل نفسه، أو يخترع عقيدة أو يخترع إيمانا أو نحو ذلك، هذه أمور لله -جل وعلا- هو الخالق وهو الذي يأمر عباده بما شاء وينهاهم عما شاء فالأمر له -جل وعلا- من قبل ومن بعد، فالعقيدة والإيمان إنما تتلقى من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

وفريق من الناس جعلوا لعقائدهم وإيمانهم وأديانهم مصادر أخرى للتلقي غير الكتاب والسنة، فهناك من مصدره في عقيدة العقل، ومنهم من مصدره الرأي، ومنهم من مصدره الذوق والوجد، ومنهم من مصدره التجارب ومنهم من مصدره القصص والحكايات والمنامات، مصادر مختلفة لدى الناس في تلقي العقيدة، وكل من كان مصدره في عقيدته وإيمانه غير الكتاب والسنة فهو منحرف؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح إلا من خلال كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في شرح العقيدة الطحاوية قال كلمة جميلة جدًا رائعة قال: «كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول؟» لا يمكن، يعني: كيف يمكن أن يعرف الإنسان الإيمان الصحيح من غير طريق الرسول -عليه الصلاة والسلام- .

الله -جل وعلا- قال لرسوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] فمعرفة الإيمان ومعرفة العقيدة ومعرفة التوحيد لا تكون إلا من خلال كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- في الصحيحين قصة وفد عبد القيس عندما جاءوا للنبي -صلى الله عليه وسلم-: (وقالوا: يا رسول الله، مرنا بقول نخبر به من ورائنا وندخل به الجنة؟ قال: آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟) واضح السؤال (أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم) هذه الكلمة منهم تبين لنا أن مصدر التلقي لتعلم العقيدة هو الله ورسوله، كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عيله- فعن كتاب الله وعن سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- يتلقى المسلمون عقائدهم؛ ولهذا نوصي كل مسلم ألا يأخذ شيئًا من أمور الاعتقاد وأمور الدين عمومًا إلا بدليله من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- و"من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول" هذه كلمة كان كثيرًا ما يرددها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما ذكر ذلك تلميذه ابن القيم، كان كثيرًا ما يقول: "من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-" على ضوء ما سبق يمكن أن نقسم العقائد الموجودة عند الناس -على تنوعها وتعددها- يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

عقائد أو عقيدة نازلة وعقيدة نابتة، عقيدة نازلة وعقيدة نابتة، ما هي العقيدة النازلة؟

المنزلة من عند الله

من عند الله -جل وعلا- ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥] عقيدة نازلة ما هي علامة العقيدة النازلة؟ وجود الدليل عليها في الكتاب والسنة، يقول صاحب العقيدة: أعتقد كذا لقوله تعالى كذا، وأأمن بكذا لقوله -صلى الله عليه وسلم- كذا، هذه عقيدة نازلة، نزلت من الله الخالق لهذا الكون، الموجد للناس، الآمر الناهي -تبارك وتعالى- أنزل بها وحيه، وعلامة العقيدة النازلة واضحة قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- لو قال إنسان: أنا أعتقد كذا لأنه لو كان كذا إذا يكون كذا، ما يقبل مثل هذا، أو قال آخر: أنا أعتقد كذا لأني جربت وجرب فلان، أو قال آخر: أنا أعتقد كذا لأن توجد قصة استمعتها يروي قصة، أو آخر يقول: أنا أعتقد كذا لأني رأيت في المنام أو شيخي فلان رأى في المنام كذا وكذا، هذا كله ليس من المصادر، هذه كلها ليست مصادر للعقيدة، إذن علامة العقيدة النازلة وجود الدليل، يقول صاحب العقيدة: قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- ونحن سنعرف قيمة كتب أهل العلم من أهل السنة وصفاءها من الأدلة، الآن نفتح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب بابا بابا هو فيه أكثر من ستين بابا، ما هي طريقة الشيخ فيها؟ وهذه سنتحدث عنها بتفصيل لاحق، طريقة الشيخ يقول: باب ثم يذكر عنوانا قال الله تعالى ويذكر آيتين أو ثلاثة، ثم قال -صلى الله عليه وسلم- ويذكر حديثين أو ثلاثا، ويذكر بعض الآثار التي توضح الباب وانتهى الباب، وينتقل إلى باب آخر، وعقب كل باب يذكر مسائل ينبه من خلالها

ما يستفاد من الآيات والأحاديث والأدلة الواردة في الباب، بينما كتب العقائد الآخرى لا ترى فيها آية ولا ترى فيها حديثا وإنما ترى فيها منطقيات وفلسفات وعقليات وتجارب وقصصا وحكايات إلى آخره، إذن عقيدة نازلة.

والقسم الثاني: قلنا؟

عقيدة نابتة

نابتة، ما معنى نابتة؟ يعني نبتت في الأرض، ونشأت في الأرض واخترعت في الأرض عن طريق حقل، عن طريق تجربة، عن طريق منامات، عن طريق... قل ما شئت من المصادر الكثيرة، بعض طلاب العلم كتبوا في مصادر التلقي عند الناس كثيرة جدًا في، ترى الآن بعض الناس يعتقد شيئا مبنيا على منام أو على قصة أو على تجربة أو على حكاية إلى آخر ذلك.

إذن هذا -يا شيخ- المصدر الأول القرآن والسنة؟

المصدر الأول القرآن والسنة، أريد قبل أن أنتقل من هذه النقطة أن أبين لجميع الإخوة أن هذا التقرير استعمله الأنبياء في إبطال عقائد المشركين والعقائد والمنحرفة، الأنبياء استعملوا ذلك لأنهم خاطبوا أقوامهم مطالبين لهم أن يأتوا بشيء يثبت أن هذا الشيء الذي يعتقدونه نزل من الله، وهذا تكرر في آيات كثيرة في القرآن مثل قصة يوسف مع قومه، مع صاحب السجن قال: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠] هذا الشاهد ﴿ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ يعني: ما نزل دليل على صحة هذه العقيدة، هي دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- المشركين قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ١٩- ٢٣] فقوله ﴿ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ يعني: أنها عقيدة وجدت واخترعت في الأرض ولم تنزل من السماء، إذن لا عقيدة، لعلنا نأخذ قاعدة مما سبق، لا عقيدة صحيحة إلا إن كانت نازلة من السماء، نزلت من رب العالمين، وعلامتها وجود الدليل، قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذا أمر واضح لكل مسلم وكل مسلمة وجود الدليل عليها من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وما سوى ذلك فهي عقيدة نابتة ناشئة مخترعة في الأرض، وقد درج عامة السلف في مصنفات في العقيدة أن يبينوا مصدرهم فيها وهو كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-.

هذا الآن فيما يتعلق بمصدر التلقي، ننتقل بعد ذلك لشيء من الحديث عن بعض ثمار التوحيد وآثاره الطيبة ونتائجه المباركة على صاحبه في الدنيا والآخرة.

ويمكن أن نقول: أن التوحيد شجرة مباركة لها أصل ولها فرع ولها ثمار، أصل هذه الشجرة ومكان غرسها القلب، تغرس في القلب، ثم تتفرع منها الفروع الطيبة والأغصان الزاهية، وتثمر الثمار اليانعة، التوحيد شجرة طيبة، وقد مر معنا قريبا قول الله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] هذا هو التوحيد، التوحيد شجرة طيبة مباركة لها أصل ثابت، ولها فرع، ولها ثمار، وأصل هذه الشجرة في القلب ويتفرع عن هذه الشجرة الفروع المباركة، ثم هي تثمر الثمار اليانعة في الدنيا والآخرة، وقد جاء في حديث في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا أُتي بجُمَّار نخلة فأكل منه) وجمار النخلة قلبها، فأكل منه وهو حلو الطعم، حسن المذاق، أكل منه -عليه الصلاة والسلام- (ثم وضعه أمامه وقال للصحابة : أخبروني بشجرة لا يتحات ورقها ولا ولا.. وذكر صفات لها جعلها الله مثلًا للمؤمن؟ الصحابة يقول ابن عمر: خاضوا في شجر البوادي، أشجار البوادي عادة قوية ومتماسكة وأوراقها ليست سريعة التساقط فخاضوا في شجر البوادي، أمامهم جمار النخلة ما

منهم واحد قال : هي النخلة، يقول ابن عمر فوقع في قلبي أنها النخلة، فلم أتكلم لمكان أبي وأبي بكر كانا في المجلس، وهذا من أدب الصحابة –رضي الله عنهم– يقول: فلما انتهى المجلس قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : هي النخلة).

إذن النخلة جعلت مثلا للمؤمن، والنخلة شجرة مباركة هي أفضل الشجر، يكفيها فضيلة أن الله جعلها مثلا للمؤمن.

التوحيد شجرة مباركة لها ثمار، ثمار التوحيد متوالية ومتتالية على صاحبها في الدنيا والآخرة، فكم للتوحيد من الفضائل وكم له من الثمار؟ وكم له من الآثار والمنافع والعوائد الحميدة على صاحبه في الدنيا والآخرة.

من فوائد التوحيد أنه سبب لنيل الفلاح وقد مر معنا قول نبينا –عليه الصلاة والسلام– (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) والله –جل وعلا– قال في القرآن: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥] وكلمة "فلاح" تعني حيازة الخير، حتى قيل: إنه أجمع كلمة قيلت في حيازة الخير. فالفلاح هو حيازة المفلح لخيري الدنيا والآخرة، فكيف يحوز المسلم الخير في الدنيا والآخرة؟ بتوحيد الله وإخلاص الدين له –سبحانه وتعالى–.

ومن ثمار التوحيد وفضائله وآثاره المباركة الطيبة أنه سبب الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة كما قال الله –عز وجل–: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] أمن تام واهتداء تام في الدنيا والآخرة للموحد.

وأيضًا من ثمار التوحيد المباركة العظيمة أنه يصحح الأعمال، فالأعمال أيا كانت لا تصح إلا إذا قامت على ساق التوحيد، فإن لم تقم على التوحيد مهما كثرت الأعمال وتعددت وتنوعت فلن يقبلها الله قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] قدمنا إلى ما عملوا، كل عمل عملوا أيا كان حتى لو كان كثيرًا ومتعددا لا يقبله الله منه إلا إذا أقامه صاحبه على توحيد الله.

هل بقي شيء من ثمار التوحيد؟

نعم بقي بعض الثمار، لكن من الضروري أن نتوسع فيها لأنه سيأتي عندنا باب فضائل التوحيد عند المصنف، ولعل هناك نقف على شيء من الفوائد، وإلا فهي باب واسع جدًا، كل خير وفضيلة ورفعة في الدنيا والآخرة فهو من ثمار التوحيد.

نحن بقي معنا في مقدمتنا كلام على عناية أهل العلم بالتوحيد، والكلام على الكتاب الذي نحن بصدد دراسته، وأيضًا نبذة عن مؤلفه والمنهج في دراسة الكتاب وبعض النقاط الأخرى.

السؤال الذي طرحتمونه يا شيخ الذي هو ما واجبنا نحو ما نهانا الله –سبحانه وتعالى– عنه؟ هذا السؤال – إن شاء الله تعالى– يجيب عنه الإخوة نستقبله إن شاء الله تعالى في خلال الدرس القادم؟

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجميعن، أما بعد،

في درسنا الماضي مضى معنا بعض المقدمات المهمة في علم التوحيد، فتحدثنا عن فضله وحقيقته، وعن ثمراته وعن واجبنا نحو التوحيد، إلى غير ذلك من المقدمات التي مر بيانها والحديث عنها في لقائنا السابق.

وكنت في اللقاء السابق تكلمنا عن واجبنا نحو التوحيد، وذكرت أن الواجب نحو التوحيد ونحو كل أمر أمرنا الله -سبحانه وتعالى- به أمور سبعة مهمة عظيمة مضى شرحها والحديث عنها.

وطلبت من الإخوة المشاركين الدارسين في هذه الدورة العلمية التي نسأل الله -جل وعلا- أن يحقق فيها الخير والنفع والفائدة للجميع -طلبت بيان الواجب نحو ما نهى الله -تبارك وتعالى- عنه ولا أدري لعله وصل إلى الإخوة هنا شيء من الإجابات؟

وصلت إجابات عبر الموقع: تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جواب السؤال ما واجبنا نحو ما نهانا الله عنه سبعة أمور:

أولا: أن نتعلم الأمور التي نهانا الله تعالى عنها؛ حتى نحذر من الوقوع فيها.

ثانيا: أن نحب أمر الله بالنهي الذي نهانا الله عنه؛ لأنه أمر من عند الله.

ثالثا: العزم في القلب على عدم فعله.

رابعا: العمل وهو ترك جميع ما نهى الله عنه فعلا.

خامسا: أن يكون تركنا للمنهيات خالصا لوجه الله -جل وعلا-.

سادسا: الحذر من الأمور التي توقعنا في المنهيات والابتعاد عنها وذلك بالسير على الطريق المستقيم.

سابعا: الثبات على الطاعات وترك المناهي حتى الممات، وقال -عليه الصلاة والسلام- (القابض على دينه كالقابض على الجمر) وجزاكم الله خيرا ونفع بعلمكم.

جزى الله الأخت على هذ الجواب المسدد، وأريد أن أنبه على أمر وما ذكرت الأخت واضح ووافٍ في الجواب على السؤال، أريد أن أنبه على ما يتعلق بالعمل، العمل هنا في موضوع الترك ترك ما نهى الله عنه، أريد أن أنبه هنا إلى أن الترك نفسه يعد عملا، ترك الشرك والبعد عنه، ترك الزنى والبعد عنه، ترك السرقة والبعد عنها، ترك الكذب والبعد عنه إلى غير ذلك هذه كلها تعد في أعمال العبد الصالحة التي يثيبه الله -تبارك تعالى- عليها أعظم الثواب، فكما أن الله -سبحانه وتعالى- يصيب العبد على أعماله الصالحة التي هي أفعال يقوم بها فإنه يثيبه على أعماله الصالحة التي هي تروكات لأعمال نهى الله عنها، وقد قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) فسمى الترك إسلاما، سماه عملا، فهذا يدلنا على أن الترك نفسه يعد من الأعمال التي يتقرب بها العبد الله.

إذن من قرباتنا وطاعاتنا وما نتقرب به إلى الله -جل وعلا- تركنا لما نهى الله عنه، وهذا يعد في جملة أعمال العبد الصالحة وطاعاته المقربة إلى الله -جل وعلا-.

وأيضا فيما يتعلق بالأمر السادس وهو البعد عن النواقض فالمطلوب هنا من الإنسان المسلم أن يكون على حذر من الوقوع في ما نهى الله -تبارك وتعالى- عنه كما ذكرت الأخت -وفقها الله- في جوابها أن يكون على حذر، يحذر من هذه المحرمات، ويبتعد عنها ويكون في حيطة وفي حذر منها.

وأيضا فيما يتعلق بالأمر الثاني وهو حب الأمر الذي أمر الله به فنحن نحب أوامر الله، نحب طاعة الله فيما أمر وطاعته -سبحانه وتعالى- فيما نهى عنه نحب ذلك كله، والأمور التي أمر بها نحبها، والأمور التي نهى عنها نبغضها، نبغض الشرك، ونبغض الشرك، ونبغض الزنا، ونبغض السرقة، ونبغض الكذب، ونبغض الغش، ونبغض المحرمات عموما، نبغضها ونكون على حذر من الوقوع فيها.

ففي جانب الأوامر حب للأمر وحرص على القيام به وفي جانب النواهي حرص على البعد عن الأمور التي نهى الله -تبارك وتعالى عنها- ونعلم أن في فعلها شرا للعبد وفي البعد عنها خير له، ويقولون: إن أعرابيا سئل فقيل له: بم عرفت صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال كلمة عظيمة قال: ما وجدته أمر بشيء فقال العقل ليته لم يأمر به، ولا وجدته نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه عنه. فهو لم يأمر إلا بخير ولم ينه إلا عن شر، والمسلم مطالب بمعرفة الأوامر ليفعلها، والنواهي ليجتنبها ويحذر من الوقوع فيها.

إذن -فضيلة الشيخ- نكمل درسنا على بركة الله، وصلنا نحن انتهينا من مصدر التلقى وكذلك ثمار التوحيد، لعلنا الآن -يا شيخ بارك الله فيكم- نستعرض عناية العلماء بالتوحيد

عناية العلماء بالتوحيد هذا أمر معروف في عامة أهل العلم من سلف الأمة ومن نهج نهجهم وترسم خطاهم وسلك سبيلهم، وجرت عادة أهل العلم فيما يكتبونه من مصنفات ويؤلفونه من كتب أن يكتبوا بحسب حاجة الناس، وبحسب أيضا الأمر وأهميته والحاجة إليه، ومن المعلوم والمتقرر أن حاجة الناس إلى التوحيد أعظم من حاجتهم إلى أي أمر آخر؛ بل لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن حاجة الناس إلى التوحيد أعظم من حاجتهم إلى الماء والطعام والشراب وغير ذلك؛ لأن الطعام والشراب بها حياة بدن الإنسان، أما التوحيد فبه حياة العبد الحقيقية ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[الأنعام: ١٢٢] قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[الشورى: ٥٢] سمى الوحي روحا لأن به حياة القلوب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] فحياة العبد الحقيقية إنما هي بتوحيده وإخلاص الدين له، وقد مر معنا حديث عن فضائل التوحيد وشيء من ثمرات التوحيد.

فالشاهد أن العلماء -رحمهم الله تعالى- أن عنايتهم بالتوحيد عناية فائقة واهتمامهم به اهتمام كبير، وقد كتب فيه مصنفات كثيرة ومؤلفات عديدة في قديم الزمان وحديثه، فهناك كتب لعلماء السلف المتقدمين بهذا الاسم "التوحيد" ككتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة -رحمه الله تعالى- وكتاب التوحيد للإمام ابن منده -رحمه الله تعالى- والإمام البخاري -رحمه الله تعالى- صاحب الصحيح في كتابه الصحيح؛ بل آخر كتاب من كتب صحيحه سماه كتاب التوحيد، وأورد فيه أبوابا عديدة وضمنها الدلائل من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في تقرير التوحيد وبيانه.

وأيضا للعلماء كتب في هذا الباب تحت اسم "الإيمان" كالإيمان لابن منده، والإيمان لابن أبي شيبة، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرها من الكتب بهذ الاسم.

وكذلك باسم أصول الإيمان وأصول الدين والعقيدة فكتب أهل العلم في هذا الباب كثيرة، وعناية أهل العلم بهذا الأمر تبيانا وتوضيحا وشرحا وبيانا وتأصيلا وتقريرا وردا عى المخالفين له هي عناية منهم بأهم المهمات، وأعظم الواجبات ألا وهو توحيد الله -سبحانه وتعالى- وكتب أهل العلم المؤلفة في هذا الباب في القديم والحديث هي في الحقيقة على قسمين:

قسم اعتنى بتقرير العقيدة، وتقرير التوحيد، وعرض دلائله وبراهينه من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

وقسم آخر منها اعتنى بالرد على المخالفين لهذه العقيدة الصحيحة ومن يثيرون الشبهات حولها فلأهل العلم في هذا الباب كتب كثيرة جدا في قديم الزمان وحديثه.

وفي ضمن هذا العقد المبارك، والعطاء المثمر، والجهود العظيمة التي بذلها أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في بيان التوحيد يأتي هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته "كتاب التوحيد" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى- فيأتي هذا الكتاب خرزة في ذلك العقد الثمين، ولبنة في هذا البناء الشامخ المبارك في بيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فلعلنا هنا ندخل في الكلام على هذه الكتاب المبارك لهذا الإمام -رحمه الله تعالى- كتاب التوحيد.

كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- كتاب فريد في بابه، وعظيم في تقريراته وتبويباته وترتيبه وعرضه للأدلة من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ونفسه فيه -رحمه الله تعالى- نفس أئمة السلف وعلماء الحديث المتقدمين حتى قال غير واحد من أهل العلم: إن نفس الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في كتابه التوحيد كنفس الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في كتابه التوحيد من صحيحه. بل ذكروا تشابها كثيرا وتطابقا واضحا وتماثلا بينا بين الكتابين حتى إن بعض الناس عندما يقرأ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يجد أن الكتاب بديء بدون المقدمة المعتادة التي جرت عادة المصنفين أن يبدأوا بها في أول مصنفاتهم كما هو معلوم أن من عادة كثير من المصنفين أنه أول ما يبدأ في مصنفه يبدأ بمقدمة يبين فيها الكتاب وسبب تأليفه، وأهداف الكتاب والغاية منه، وطريقته في الكتاب إلى غير ذلك من الأمور التي جرت العادة بها، بينما الإمام -رحمه الله تعالى- بدأ كتابه التوحيد مباشرة بالأدلة، قال كتاب التوحيد وقول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦] وهذا منه مماثل تماما ومطابق لطريقة البخاري وطريقة كثير من علماء السلف -رحمهم الله تعالى- في مصنفاتهم من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والأجزاء الحديثية وغيرها تجده مباشرة يضع عنوان الكتاب ثم يشرع بالتبويبات ومن ثم عرض الآيات والأحاديث الدالة على الباب، ويقولون عن هؤلاء العلماء: إن فقهه في تراجمه، فقه هذا العالم في تراجمه إذا عقد الباب ففقهه في الباب العنوان نفسه لأن كلامهم قليل، لكن كتبهم مباركة، وقد قيل عن كتب السلف: إن الكلام فيها قليل والبركة فيها كثيرة. بخلاف كتب كثير من الخلف الكلام فيها كثير والبركة فيها قليلة، وتجد توسعا في العبارة، وتوسعا في الألفاظ، وتوسعا في الكلام، بينما السلف لم يكن هذا شأنهم ولا ديدنهم.

فالإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- سلك مسلك البخاري وغيره من أئمة السلف سواء في دخوله في كتابه وأيضا في طريقة التبويب والتراجم حتى عرْض الآيات والأحاديث والآثار التي جاءت عن السلف تشهد وتين الباب وتوضح معناه على نفس المنوال الذي نهجه وسلكه الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في كتابه الصحيح.

وهنا لعلي أشير إلى قصة لطيفة ذكرها غير واحد من أهل العلم عن رجل يقال له: "عبد الرحمن البكري" وكان له اشتغال بطلب العلم وأيضا الدعوة إلى الله -عز وجل- وفي الوقت نفسه له اهتمامات تجارية في البيع و الشراء، وكانت تجارته في ذلك الوقت تقتضي منه الذهاب إلى الهند لشراء أشياء قد تقتضي منه البقاء فترة

طويلة، فكان أحد العلماء في تلك المنطقة بسبب الدعايات المغرضة والتشويش الذي يثيره بعض الناس على الإمام المجدد المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- فكان في قلبه أو في نفسه شيء عليه، حتى إنه هو طلابه كان يُسمَع منهم الوقوع في الشيخ، وربما شتمه أو نحو ذلك من الكلام، فالرجل بحكمة أراد أن يُذهب عن هذا الرجل هذه الغشاوة وهذه الدعاية السيئة، ويوقفه على حقيقة هذا الرجل حقيقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- فكان هذا العالم يمر على هذا التاجر في محله ويشرب عنده الماء ويقول: أنا أحسن الكلام باللغة العربية ، ولكنني أحب أن أتحدث مع العرب أصحاب اللسان الصحيح؛ حتى أكتسب منهم جودة اللسان، وحسن النطق بالألفاظ، فكان يجلس عند هذا التاجر أحيانا لهذا الغرض ويقدم له الماء البارد، يقول دعوته مرة إلى البيت وأتيت بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ونزعت الغلاف الذي عليه اسم المؤلف ووضعت الكتاب على مسند أو شيء قريب منه، وتركته واستأذنته قلت له: أريد أن تأذن لي أن أذهب إلى السوق أكرمك ببطيخة أقطعها، ونأكلها سويا معك، فاستأذنه وذهب إلى السوق، ثم هذا العالم التفت وإذا بجنبه كتاب منزوع الغلاف فأخذ يقلب الكتاب ويقرأ فيه، أعجبه الكتاب كثيرا؛ لأنه ليس فيه إلا أبواب وآيات وأحاديث من أول الكتاب إلى آخره، أبواب وآيات وأحاديث ليس فيه شيء آخر، كتاب علم على طريقة الأئمة المتقدمين، آيات وأحاديث وآثار عن السلف، ليس فيه اختراعات، وليس فيه محدثات، وليس فيه تكلفات، وإنما هو آيات وأحاديث وكلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

الرجل أعجب بالكتاب كثيرا فلما رجع هذا ببطيخته ليكرم بها الضيف قال: لمن هذ الكتاب؟ أعجبه الكتاب كثيرا، قال: لمن هذا الكتاب؟ فما أحب أن يخبره أنه نزع غلافه، وأنه فعل كذا وكذا قال له ما رأيك لو نذهب إلى إحدى المكتبات التي تبيع الكتب ونسألهم ربما يعرفون لمن هذا الكتاب، يقول فلما تناولنا البطيخة توجهنا أنا وإياه إلى مكتبة من المكتبات لرجل يقال له:" الغزوي" على ما أذكر فقلنا له نريد أن تعرفنا لمن فقلب الكتاب قال: نعم، هذا الكتاب معروف، وأتى بنسخة من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- فماذا قال هذا العالم لما عرف الحقيقة على ماهي عليه بدون الدعايات؟ ماذا قال قال كلمة عجيبة بنصها كما نقلت عند أهل العلم قال: إن كان محمد بن عبد الوهاب هو صاحب هذا الكتاب فإنا قد ظلمناه. ثم تحول من ذلك الوقت إلى رجل يدعو للشيخ محمد بن عبد الوهاب ويدعو لطلابه وتلاميذه ويثني على علمه لأنه -رحمه الله تعالى- سار على منوال السلف وعلى طريقتهم.

الشاهد أن الواجب على كل مسلم أن يبتعد عن الدعايات المغرضة، والتشويشات الكاذبة، والإساءة التي يفعلها بعض الناس لأكابر أهل العلم وأفاضل أئمة السلف بقصد إبعاد الناس عن الحقيقة الواضحة والنور المبين ودين الله -سبحانه وتعالى-.

فعلى كل حال كتاب التوحيد للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- كتاب مبارك، وهو يتكون من ستة وستين بابا، حتى من الموافقات اللطيفة أن عدد أبواب كتاب التوحيد من صحيح البخاري مقاربة لهذا العدد الذي في كتابه، والطريقة واحدة لمن يعرف طريقة الإماما البخاري في صحيحه وغيره من أئمة السلف ويقرأ طريقة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في كتابه التوحيد يجد أنهم على منهج واحد، ومسلك واحد، وطريقة واحدة.

والشيخ رحمة الله عليه رتب كتابه التوحيد ترتيا جميلا نافعا مفيدا لكل مسلم، ولم يكتب كتابه -رحمه الله تعالى- إلا عن حاجة من أهم المهمات وأوجب الواجبات؛ لأنه نظر إلى واقع الناس في زمانه وجد أن كثيرا من الناس قد ابتلوا بالتعلق بغير الله، إما بدعاء المقبورين، أو الذبح لأشجار أو لأحجار أو لأضرحة وقباب ونحو ذلك، أو التمرغ عند عتبات القبور وطلب البركة منها والمدد والشفاء أو الطواف بها، أو كذلك النذر لها، أو أيضا جانب إتيان الكهان والسحرة والعرافين والتنجيم، وما إلى ذلك من الأمور المناقضة للتوحيد.

فالشيخ -رحمه الله تعالى- رأى هذه الانحرافات وهذه الأخطاء التي أخذت تنتشر وتتفشى وتتكاثر في الناس، فأراد أن يجمع الناس على التوحيد الخالص، وأن يبين لهم دين الله -عز وجل- الصافي، وأن يحارب كل أمر يناقض هذا التوحيد الذي خلق الخلق لأجله. فجاء رحمة الله عليه وألف هذا الكتاب، وقد بدأ بتأليفه في البصرة؛ لأن الشيخ -رحمة الله عليه- كان من مسلكه في طلب العلم أنه رحل، لما أخذ العلم في بلدته التي ولد فيها ونشأ فيها "العيينة" رحل يطلب العلم، فكان من رحلته إلى الحجاز والمدينة ومكة وإلى الإحساء وأيضا إلى البصرة.

وذكر أهل العلم أنه جمع كتاب التوحيد من كتب الحديث الذي وجدها في مكتبات البصرة، ثم أتم هذا الكتاب وقريء عليه لما رجع إلى حريملاء حيث انتقلت إليها أسرته، وفي ذلك الوقت أخذه عنه الطلاب وتناسخوه وانتشر الكتاب بين الناس، أولا: ألفه للحاجة الماسة له، ورتبه ترتيبا جميلا فبدأ أولا: بأهمية التوحيد وفضله ومكانته وتكفيره للذنوب، ثم بين تحقيق التوحيد كيف يكون، ثم تكلم عند الدعوة إلى التوحيد وبيانه للأمة ونشره وذكر الأدلة على ذلك، ثم عقد بابا في التحذير من الشرك والخوف من الشرك، وأن يكون الإنسان على حذر منه، ثم أخذ يفصل أفراد العبادة وأيضا يفصل في الشرك الأكبر والشرك الأصغر وشرك الألفاظ إلى أن ختم الكتاب. فالكتاب كله في بيان التوحيد، ونواقض التوحيد، ونواقص التوحيد، وكنت أشرت في اللقاء السابق أن التوحيد له نواقض، وله نواقص، النواقض تحبطه كاملا، والنواقص تنقص كماله الواجب، فالشيخ -رحمه الله تعالى- تحدث عن هذا وعن هذا، وبين حماية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- للتوحيد، وسده لكل الذرائع التي تفضي إلى الشرك.

وكتابه -رحمة الله عليه- كما شهد كثير من أجلة العلماء وأفاضل العلماء لم يؤلف في بابه الذي هو توحيد العبادة وإخلاص الدين لله -سبحانه تعالى- لم يؤلف في هذا الباب مثله؛ ولهذا حري بكل مسلم وبكل مسلمة أن تعظم عنايتهم بهذا الكتاب قراءة له وحفظا للأدلة والأحاديث الواردة في هذا الكتاب، وأن ينشأ الأبناء والبنات والأولاد على دراسة هذا الكتاب، ونحن -ولله الحمد- من نعمة الله علينا في هذا البلد المملكة العربية السعودية - حرسها الله- أن هذا الكتاب مقرر على الطلاب في المدارس يقرؤونه ويحفظونه ويتعلمون منه التوحيد الخالص من خلال ما أورده الإمام -رحمه الله تعالى- من أدلة مباركة من كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

ومما نهجه المصنف -رحمه الله تعالى- في كتابه أنه عندما يعقد الترجمة ويذكر تحتها الآيات والأحاديث وأيضا بعض الآثار التي فيها شيء من البيان والتوضيح للآية أو الحديث أو الباب ككل يذكر المسائل المستفادة من هذا الباب فيقول عقب كل ترجمة: وفيه مسائل الأولى ... الثانية ... أحيانا يذكر عشرين أو ثلاثين مسألة، أو أحيانا يذكر ما دون ذلك بحسب المسائل المستفادة من هذا الباب.

ومن يقرأ هذه المسائل يدرك من خلالها أولا: نصح الشيخ -رحمه الله تعالى- وحرصه على نفع الناس وتجلية التوحيد وبيانه، ويدرك أيضا منها جمال علمه، وحسن استنباطه، وكمال تحقيقه وفهمه ودرايته -رحمه الله تعالى- لأنه ينبه على مسائل مهمة جدا يلفت الانتباه إليها حتى من يقرأ هذه الآيات، ويقرأ هذه الأحاديث، ويقرأ هذه الآثار ينتبه إلى أخذها واستفادتها من الآيات والأحاديث الواردة في الباب، فهذا فيما يتعلق بالكتاب، وهو كتاب ليس بالكبير وفيه ستة وستون بابا مع ما بدأ به أولا: بقوله كتاب التوحيد وعرض بعض الآيات، فهذه دعوة الآن أقدمها لجميع الإخوة أن يعتنوا بهذا الكتاب، الآباء يستحثون أبناءهم وبناتهم على قراءته وعلى حفظه، والمربين في المدارس أيضا يستحثون طلابهم، والمدرسات والمعلمات أيضا يرغبن الطالبات في العناية به؛ لأن هذا كتاب -حقيقة- كتاب كل مسلم، وكتاب يحتاج إليه كل مسلم، كل مسلم يحتاج إلى هذا العلم المبارك وإلى هذ الجمع المبارك الذي جمعه المصنف -رحمه الله تعالى- التوحيد في الكتاب والسنة والمؤلف -رحمة الله عليه- قرب لك الآيات والأحاديث ورتبها لك في موضع واحد وبوبها وأحسن إليك إحسانا عظيما في أشرف علم وفي

أعظم علم علم التوحيد -فحقيقة- حري بكل مسلم أن تعظم عنايته، وأن يعظم اهتمامه بهذا الكتاب حفظا وفهما وقراءة.

ومن نعمة الله علينا أن هذا الكتاب قد من الله ويسر بأن حظي بعناية كبيرة جدا من أهل العلم في زمن المؤلف وفي زماننا هذا، وهذا من فضل الله -سبحانه تعالى- ومنته، الشروحات التي كتبت، والكتب التي كتبت حول هذا الكتاب إما في بيان مقاصده، أو في شرحه وتوضيحه، أو في بيان مسائله أوغير ذلك من مقاصد التأليف، الكتب التي كتبت حول هذه الكتاب تزيد على ثلاثين كتابا، وهي كتب مفيدة وماتعة، أيضا الشروحات المسموعة لأكابر أهل العلم في زماننا، بعض علمائنا توفان الله -سبحانه وتعالى- لكن صوته موجود في الاشرطة السمعية في شرح هذا الكتاب وفي شرح غيره من الكتب كالشيخ عبد الله بن الحميد -رحمة الله عليه- والشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه- والشيخ محمد بن عثيمين -رحمة الله عليه- هؤلاء وغيرهم من أهل العلم لهم أشرطة نافعة جدا؛ ولهذا يحسن بمن يريد لنفسه الخير والسعادة أينما كان -وقد تسهل في زماننا وسائل العلم والتعليم بشكل عجيب- أن يعتنوا بهذا الكتاب وأن يعتنوا بشيء من شروحاته سواء منها المكتوبة أو المسموعة وهي كثيرة جدا ونافعة وربما يأخذ بعض هذه الكتب مثل "فتح المجيد" لحفيد الشيخ، أو "تيسر العزيز الحميد" أيضا لحفيده سليمان بن عبد الله والأول لحفيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

وأيضا بعض المختصرات ومن أنفع المختصرات في بيان مقاصد كتاب التوحيد كتاب "القول السديد" للشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى- وكتب أهل العلم حول هذا الكتاب كثيرة ونافعة ومفيدة وكما أشرت منها ما هو مكتوب ومنها ما هو مسموع.

وأما مؤلف هذا الكتاب فهو غني عن التعريف، وهو إمام مشهور، وعلم مجدد نفع الله -تبارك وتعالى- به الأمة نفعا عظيما، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي -رحمه الله تعالى- قد نشأ وقد ولد في بلدة العيينة سنة ألف ومائة وخمس عشرة، ونشأ في بيت علم فوالده وجده وعمه الشيخ إبراهيم كلهم كانوا من أعيان العلماء، فنشأ في بيت علم، وحفظ القرآن -رحمه الله تعالى- قبل أن يبلغ سن العاشرة وكان -رحمه الله تعالى- يتفقه على والده ويقرأ عليه في الفقه وفي التفسير منذ نعومة أظفاره، فنشأ منذ صغره في العلم، وفي حب العلم، وفي الصلة بالعلماء.

ولما حصل العلم الذي في بلده على والده وعلى العلماء الآخرين رحل في طلب العلم إلى الحجاز مكة والمدينة، ورحل إلى البصرة وأخذ عن العلماء وقرأ الكتب. وكانت حياته -رحمه الله تعالى- حافلة بالجد والعطاء والحرص على نفع الناس وإفادتهم في أمور دينهم وخاصة في هذا الأمر العظيم أمرالتوحيد، الذي هو أعظم أمر وأجل أمر على الإطلاق.

والشيخ -رحمة الله عليه- امتدت حياته الحافلة بالعطاء ما يزيد على التسعين سنة، فعمره -رحمه الله تعالى- واحد وتسعين سنة حيث توفي عام ألف ومائتين وستة، فهذه الحياة كانت عامرة بالعطاء والنصح والبيان وتوضيح التوحيد والاعتقاد.

والشيخ -رحمة الله عليه- سلك مسلكا في بيان التوحيد عجيبا للغاية كان -رحمه الله تعالى- يخاطب كل ناس بحسب مستواهم ومقدرتهم العلمية واللغوية، فيتحدث مع العوام بلهجتهم التي يفهمونها حتى إن هناك نسخة للأصول الثلاثة كتبها الشيخ باللهجة العامية، مكتوب: "وإذا قيل لك وإيش ربك؟" هكذا كتبها "إذا قيل لك وإيش ربك؟ قل: ربي الله" فكان يتبسط، حتى رسائله الخاصة التي يكاتب الناس بها نصيحة وتعليما كان يتبسط معهم ويتحدث مع كل بما يناسب مستواه.

ولله الحمد مَنَّ الله على هذه الدعوة، دعوة الشيخ -رحمة الله عليه- مَنَّ الله عليها بالانتشار والقبول، الآن يكفي أن نعلم أن كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ترجم إلى عشرات اللغات، وقريء آلاف المرات، وحفظ من آلاف الطلبة، آلاف الطلبة حفظوا هذا الكتاب عن ظهر قلب، وعقدت مجالس علمية في شرح هذا الكتاب بالمئات، ودُرِّس في مئات المدارس، وكُتب عليه الشروحات الكثيرة، هذا يدل على القبول الواسع والخير العظيم الذي طرحه الله -عز وجل- لهذا الكتاب وكذلك كتابه الأصول الثلاثة وغيرها من كتبه.

كتابه الأصول الثلاثة كتبه -رحمه الله تعالى- في بيان هذه الأصول الثلاثة التي يسأل عنه كل ميت عندما يدخل في قبره وبينها بيانا في أحسن ما يكون، فالشاهد أن هذا الكتاب وغيره من كتب الشيخ -رحمه الله تعالى- طرح الله لها قبولا، وجعل فيها الخير والبركة، وبعض الناس إن كانت سبقت إليه رياح الدعاية المغرضة قد يعمى عن رؤية الحق، أما من يقف على حقيقة الأمر فلا تؤثر فيه الدعايات، من يقف على حقيقة الأمر ابتداء لا تؤثر فيه الدعايات.

أذكر أن شخصا حدثني بنفسه في إحدى الجمهوريات الإسلامية يقول: إن أول كتاب وصلني بعد الانفتاح الذي حصل في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، يقول: أول كتاب وصلني كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أعجبني، يقول: كله آيات وأحاديث وقرأته فأعجبني ودخل قلبي، وسررت به سرورا عظيما وصرت أقرأه كثيرا، وكان أول رجل عربي وصل إلينا في نفسه شيء على الشيخ، يقول: فلما رأى هذا الكتاب عندي استاء، وقال لي: كيف تقرأ هذا الكتاب؟ ولامني وعاتبني وطرح الكتاب بعيدا، يقول: أخذت الكتاب -وصاحب القصة يحدثني بنفسه- يقول: أخذت الكتاب وأعدته إليه برفق، وقلت له: أنا طالب علم مبتديء أريد أن تقرأ لي الكتاب الآن وتبين لي ماذا فيه؟ ويقول محدثي: أنا أعرف أن الكتاب ليس إلا آيات وأحاديث: وأعرف أنه لن يمكن لعالم أن يطعن في الآيات والأحاديث: يقول أنا مطمئن؛ لأن الكتاب لا شيء فيه كله آيات وأحاديث، فقلت له تفضل اقرأ لي الكتاب وبين لي ما هي الأخطاء التي في الكتاب، يقول فأخذ الكتاب مني، وقلب الكتاب إلى أن وصل إلى الجلدة الأخيرة، وقال: الأمر لا يكفي الآن، فيما بعد أبين لك، فيما بعد أنا أبين لك يقول: فعرفت.

لاحظ هنا إن كانت الدعاية المغرضة سبقت للشخص ربما تشوش عليه وقد تعطيه كتاب التوحيد ليقرأه فيظن أنك تعطيه كتاب خطير جدا، بينما إذا وقف عليه بنفسه أو تعدى مرحلة الدعايات المغرضة هذه وتجاوزها ووقف على كتب الشيخ ما فيها إلا آيات وأحاديث، ونحن في هذا الدرس سنقرأ الكتاب وسيرى كل من يستمع أننا نقرأ بابا ثم آية وحديثا وننتقل إلى الباب الذي بعده ونمشي على هذه الطريقة إلى أن ننهي الكتاب ليس فيه إلا كلام الله وكلام رسوله -صلوات الله وسلامه- عليه، ونسأل الله -جل وعلا- أن يثيب هذ الإمام أعظم الثواب، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدم وفي نصحه للأمة وبيانه لعباد الله.

فضيلة الشيخ، نحن الآن نقف في المنهج هل هناك طريقة معينة للمنهج الذي ستطرحونه بإذن الله تعالى؟

شرح هذا الكتاب كتاب التوحيد لشيح الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- قد يتنوع من درس إلى آخر بحسب المقام، والذي أراه وأسلكه إن شاء الله في درسنا هذا في شرح الكتاب أن ندخل في شرح مبسط وميسر، ويكون العناية والاهتمام فيه بتوضيح الكتاب وبيان المعاني والدلالات للآيات والأحاديث، وأيضا الكلام على المسائل التي ذكرها الإمام -رحمه الله تعالى- الله في كتابه، والذي يغلب على درسنا هذا هو جانب التبسيط و التوضيح وبيان المعاني بما يناسب المبتدئين وعامة المتابعين معنا الذين كثير منهم ربما يكون هذه دراسته الأولى لهذا الكتاب، وسنتدرج في شرح الكتاب أولا نقرأ الباب وعند قراءة الباب يبين مراد المصنف ومقصده بالباب إجمالا، ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد، ثم نأتي إلى الأدلة دليلا دليلا، وكل دليل من هذه الأدلة نبين

معناه إجمالا وأيضا المفردات التي تحتاج إلى شيء من البيان، ثم نبين مناسبة الآية أو الحديث للترجمة، ووجه الشاهد من الآية ومن الحديث، وأيضا بعض التنبيهات التي قد يحتاج الأمر إلى التأكيد عليها ولفت الانتباه إليها، ثم نقرا المسائل التي أتبعها الشيخ -رحمه الله تعالى- لكل باب، ونبين المراد بكل مسألة باختصار شديد، هذا بشكل عام هو المنهج الذي نسير عليه في قراءة هذا الكتاب، وأقترح على الدارسين والدارسات المشاركين معنا في درسنا هذا -أقترح أن يكون هناك بدءًا من الآن بحفظ المتن، يحفظون المتن عن ظهر قلب، فيحفظون الباب الأول والآيات المتعلقة به والأحاديث، ثم مثلما وجه بعض أهل العلم إذا وجد البعض في الحفظ صعوبة فلا أقل من أن تقرأ المتن عشرين أو خمس وعشرين مرة؛ حتى وإن لم يكن محفوظا يكون شبيها بالمحفوظ، وهذا الحفظ والقراءة تكون قبل الدرس، ثم بعد ذلك يمكن أن يقرأ شرحا لهذا الكتاب من الشروحات المختصرة، يقرأ شرحا لهذا الكتاب، ويدخل الدرس معنا وهو متهيأ حفظا ومتهيأ استعدادا ومتهيأ أيضا قراءة، فيكون تفاعله واستفادته من الدرس أنفع وأفود بإذن الله -تبارك وتعالى-.

فضيلة الشيخ هناك أسئلة وردت عبر الموقع:

الأخت تسأل تقول: شيخنا الفاضل، ما هو الشرح الذي نرجع إليه عند المذاكرة؟ وهل تنصحون بالرجوع إلى شرح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- ؟

كنت أشرت فيما سبق وقبل قليل إلى أن شروحات كتاب التوحيد كثيرة ومتعددة، فمن هذه الشروح ما كتب من أحفاد الشيخ كـ"تيسير العزيز الحميد" للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد، وهذا الكتاب من أحسن شروحات كتاب التوحيد وأنفعها وأوسعها، وأيضا كتاب فتح المجيد، وكثيرا ما كان مشايخنا يوصون بهذ الكتاب، وهو كتاب مختصر ونافع، وفيه تقريرات مفيدة ومختصرة، وأيضا جاءت فيما بعد في زماننا هذا كتب لأئمتنا وعلمائنا الأفاضل منها الكتاب الذي تسأل عنه الأخت السائلة شرح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- لكتاب التوحيد، وهو مطبوع ونافع جدا، والاستفادة منه حسنة ومفيدة ونافعة، والشيخ -رحمة الله عليه- معروف بحسن بيانه وحسن تقريره وإيضاحه وتقسيماته وتقريراته -رحمه الله تعالى- فلاشك أن الاستفادة من هذا الكتاب نفاعة جدا، كذلك الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- له شرح أعد لطلاب المعاهد بأسلوب يتناسب مع المبتدئين فيذكر فيه المفردات، ويذكر فيه الشرح الإجمالي، ويذكر فيه الشاهد والمناسبة فهذا اسمه على ما أذكر "التعليق المفيد على كتاب التوحيد" غير كتابه الآخر الذي هو مفرغ من الأشرطة، فهذا أيضا مناسب جدا للمبتدئين كبداية في الكتب المطبوعة في شرح هذ الكتاب، وأيضا للشيخ عبد الرحمن بن قاسم حاشية نافعة جدا على كتاب التوحيد، والعلامة بن السعدي -رحمه الله تعالى- له كتاب عظيم جدا مختصر سماه "القول السديد في بيان مقاصد كتاب التوحيد" وكل هذه الكتب نافعة ومفيدة ويستفيد منها طالب العلم.

لو بينتم كتاب في الاعتناء بشرح المسائل، مسائل كتاب التوحيد؟

كما أشرت قبل قليل أن مسائل كتاب التوحيد غاية في الأهمية وعامة من شرح الكتاب سواء المتقدمين مثل الشيخ سليمان -رحمه الله تعالى- في كتابه "تيسير العزيز الحميد" أو غيره من العلماء الآخرين الذين كتبوا في شرح الكتاب يتعرضون لشرح هذه المسائل تارة ببيانها في أثناء شرح الآية أو شرح الحديث أو بيان الترجمة وتارة بالتنصيص على جملة من المسائل في خاتمة الشرح مع بيانها وإيضاحها، أما كتاب تخصص في شرح المسائل وحدها فقط وبيانها باختصار فهذا فيه كتاب للشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله تعالى- كتاب نافع جدا كتبه، مقدمة العنوان لا أذكرها، لكن في شرح مسائل كتاب القول المفيد أو القول المختصر في شرح مسائل كتاب التوحيد وطريقته فقط الاقتصار على ذكر المسألة وبيانها، وهذا كتاب -حقيقة- نافع جدا ومفيد للشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله تعالى- .

ذكرت لنا فيما سبق أن مصارد التشريع كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فما مدى حجية خبر الآحاد أو حديث الآحاد في العقائد؟

خبرالآحاد في باب العقيدة وأمور التوحيد وأمور الدين عموما حجة، ولا خلاف بين السلف وعلماء المسلمين في حجية خبر الآحاد، وفيما بعد لما نشأت البدع ونشأت العلوم المنحرفة عن نهج السلف وطريقتهم وُجد من أخذ يشكك في حجية خبر الآحاد في باب الاعتقاد، وأول من عرف عنهم القول بعدم حجية خبر الآحاد في باب العقيدة هم المعتزلة، وهذه فرقة تعتمد وتتكيء في تقريرها لأمور العقيدة على العقل، وهم أول من عرف عنهم هذا، أما السلف عموما ومن نهج نهجهم فلا خلاف بينهم في أن خبر الآحاد حجة في العقيدة، والنصوص متكاثرة في الدلالة على ذلك، ومن ذلك على سبيل المثال بعثة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ إلى اليمن، أرسله إلى اليمن فقال له: (إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وفي رواية (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله) وهذا واضح في أن خبر الآحاد حجة، وكما قلت: لا إشكال لدى أهل العلم في هذا الأمر.

السلام عليكم يا شيخ، نحن بدأنا نسمع في الفترة الأخيرة كثيرا ممن ينتسبون إلى منهج أهل السنة والجماعة بأن يتهم بعضهم بعضا بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أصبحنا نسمع من بعضهم أن عنده غلوا، وأن من يتبع منهج الشيخ بأنهم من التكفيريين فهنا تضليل من الناس التي تسير على منهج تكفر كثيرا من الناس، وهناك بعض الناس ممن يدعون أنهم على منهج السلف أنهم تكفير؟

السؤال الثاني: هل صحيح أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ذهب إلى العراق وساهم في نشر التوحيد وهدم الأضرحة هناك؟

فيما يتعلق بسؤال الأخ الأول أولا: أحب وأرغب أيضا من الإخوة أن تنحصر الاسئلة في الموضوع ذاته؛ حتى لا تتشعب بنا الأحاديث، وأيضا يذهب بنا الكلام إلى جوانب متعددة، فنحن اجتمعنا لغرض واحد وهو دراسة هذا الكتاب واقتضى الأمر إلى بيان مقدمة عن هذا العلم، وعن فضل هذ العلم، وعن عناية العلماء به، وأيضا عن مكانة مؤلفه -رحمه الله تعالى-وأما ما ذكره الأخ -جزاه الله خيرا- عن التهم التي قد يتهم بها بعضُ الناس سواء قديما أو حديثا الشيخَ -رحمه الله تعالى- بالغلو أو التكفير أو ما إلى ذلك فهذا ليس بأمر غريب ولا أمر جديد، فالعلماء قبله وبعده رُموا بأشياء كثيرة، واتهموا بتهم عديدة.

وكنت أشرت فيما سبق أن صاحب الحق وطالب الهداية لا يقف عند مجرد التهم والدعايات، وما يتعلق باتهامه بالغلو واتهامه بالتكفير هذا حتى في زمانه -رحمه الله تعالى- بعض الناس اتهموه بأنه يكفر أو نحو ذلك، وكتب كتابات عديدة ورسائل وبين موقفه من هذه المسألة وبراءته من هذه الدعوة وقرر -رحمه الله تعالى- المنهج المعتدل، المنهج الوسط الذي كان عليه وعليه أئمة السلف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب العظيم.

ومسألة الغلو كان -رحمه الله تعالى- من أبعد ما يكون عنها حتى إنها سيأتي معنا في كتابه التوحيد بابا خاصا في هذا الأمر في التحذير من الغلو وبيان خطورته وأضراره على من سلك هذا المسلك، وذكر هناك من الدلائل المفيدة في التحذير من الغلو والدعوة إلى الوسطية والاعتدال.

والشيخ -رحمة الله عليه- كما قررت فيما سبق ليس عنده فيما قرره من مسائل وعلوم إلا عرض للآيات والأحاديث وآثار السلف -رحمهم الله تعالى- في جوانب التوحيد وفي جوانب الدين الأخرى، فمثل هذه التهم لا ينبغي الالتفات إليها ولا ينبغي الوقوف عندها.

وأيضا فيما يتعلق بأتباع الشيخ الأمر على نفس المنوال قد يتهم بعض الناس بعض العلماء الأجلاء والعلماء الأفاضل بتهم لا حقيقة لها وبأ قوال لا مصداقية لها، فلا ينبغي أن يلتفت إلى مجرد الدعاوى ومجرد الدعايات المغرضة في الكلام والخوض في أهل العلم.

والكلام على موضوع الأخ السائل ربما لا يكفي الحديث عنه في مثل هذه العجالة ولعلنا نكتفي بهذا.

السؤال الآخر يقول: لما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في العراق

لما كان في العراق أشرت إلى أنه لما كان في البصرة استفاد من العلماء هناك، وكتب كتاب التوحيد، وبداية كتاب التوحيد كانت هناك، وأيضا دعا الناس -رحمة الله عليه- إلى التوحيد وبين لهم ذلك، وضيق عليه بعض أهل الأهواء في دعوته، وفي نشره للتوحيد، وفي صدعه بيان كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- فكان عالما ناصحا أينما حل وفي أي مكان نزل، داعية إلى الله -عز وجل- على هدى وبصيرة بوسطية واعتدال على سنن السلف وأهل السنة وطريقتهم بلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء.

يسأل عن كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" هل شارح هذا الكتاب هو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

نعم، وهذا ذكرته منذ قليل شارح هذا الكتاب هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، وهو عالم جليل وضليع في علم الكتاب والسنة، ومن يقرأ كتابه يعرف عنايته الواسعة بالدليل، وسعة اطلاعه على مصادر الحديث المتنوعة من معاجم ومسانيد وأجزاء حديثية، وعنايته أيضا بجانب التخريج والكلام عن الأحاديث، ونقل أقاويل أهل العلم في هذا.

حقيقة، كتابه كل من ألف بعده وشرح هذا الكتاب يستفيد فائدة عظيمة من هذا الكتاب المبارك، كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-.

يسأل يقول: ذكرتم -حفظكم الله- أن منقصات التوحيد تنقص من كماله الواجب، فهل هذه الأعمال مخرجة عن الإسلام؟ وأعطنا مثالا -بارك الله فيكم-

اسم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وهو حفيد للشيخ كما قلت قبل قليل.

السؤال الأخير ذكرتم -حفظكم الله- أن منقصات التوحيد تنقص من كماله الواجب، فهل هذه الأعمال مخرجة عن الإسلام؟

منقصات التوحيد تختلف عن نواقض التوحيد، نواقض التوحيد تخدش في أصل التوحيد فتبطله إذا وجدت، أما نواقص التوحيد فهي لا تخدش أصل التوحيد، وإنما تنقص كماله الواجب، ومن وقع فيها لا ينتقل بوقوعه فيها من الملة، ولا يكون بها كافرا خارجا عن الإسلام، بخلاف نواقض التوحيد فإنها تبطله من أساسه، ويكون من وقع فيها وقع في أمر كفري ناقل من الملة.

لو تفضلتم ياشيخ بطرح سؤالي هذه الحلقة

أولا: بالنسبة لشروحات كتاب التوحيد ذكرت من شروحات كتاب التوحيد القول "السديد في بيان مقاصد كتاب التوحيد" فسؤالي أن يكتب عن هذه الكتاب ملخص في حدود صفحة أو أقل عن الكتاب وأهميته، وطريقة مؤلفه فيه، وأيضا نبذة مختصرة عن هذا المؤلف النافع المفيد.

هذا فيما يتعلق بالمراجع، وفيما يتعلق بالمؤلف -رحمه الله تعالى- أيضا في حدود صفحة واحدة أرغب أن يكتب من يرغب في المشاركة نبذة مختصرة عن مؤلف الكتاب، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يبدأ فيها بمقدمة في التعريف به، ثم بيان مكانته العلمية وفضله وثناء العلماء عليه، ويكون هذا أيضا في حدود أقل من صفحة أو صفحة بالكثير، وإن شاء الله الإجابة المتميزة لعلها تعرض في لقائنا القادم.

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أولا: أسأل الله -جل وعلا- أن يكتتب لنا في هذه اللقاء وفي كل لقاء النفع والخير والفائدة، وأن يمنحنا العلم النافع، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل إنه سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كنا في الدرس الماضي والذي قبله بدأنا ببداية ذكرت فيها مقدمات مهمة عن دراسة التوحيد عموما، ودراسة كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- على وجه الخصوص.

ومضت تلك المقدمات وطرحت من خلالها على الإخوة سؤالا يتعلق بأحد شروحات هذا الكتاب وهو "كتاب القول السديد في بيان مقاصد كتاب التوحيد" للشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى- ولعله وصل إلى الإخوان هنا شيئا من الإجابة على هذا السؤال.

نؤجل موضوع السؤالين إلى منتهى الحلقة، وندخل الآن في درسنا الجديد مستهلين مبتدئين بقراءة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وقد مر معنا مقدمات بين يدي دراسة هذا الكتاب، ونشرع الآن مستعينين بالله -تبارك وتعالى- مستمدين منه العون والتوفيق طالبين منه التسديد والتوفيق إلى الصواب فنبدأ مستعينين بالله -جل وعلا- بقراءة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، كتاب التوحيد وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦])

أولا: عنوان الكتاب كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وهذا العنوان دال على مضمون هذا الكتاب ومقصوده وما جمع له، فعنوان الكتاب "كتاب التوحيد" وكتاب هذه الكلمة هي مصدر للفعل كَتَبَ يَكْتُبُ ومدار هذه الكلمة على الجمع؛ ولهذا يقال للجماعة أو المجموعة من الخيل "كتيبة" والكتابة سميت كتابة لأن ما كتب جمع فيه كلمات وأحرف في عنوان واحد أو في موضوع واحد، فإذا قال الشيخ كتاب التوحيد أي: المكتوب المجموع المؤلف في موضوع التوحيد.

والتوحيد هو موضوع هذا الكتاب ومجموع ما جمع في هذا الكتاب من معلومات وتقريرات واستدلالات كلها في التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، إذن هذا مؤلف كتبه مؤلفه -رحمه الله تعالى- لبيان التوحيد فضله وحقيقته وأنواعه، وأيضا التحذير مما يضاده ويناقضه أو ينقص كماله الواجب.

وبدأ الشيخ -رحمه الله تعالى- كتابه التوحيد بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم قال كتاب التوحيد) وشرع في موضوع الكتاب، وكنت أشرت في درسنا السابق أن الشيخ -رحمه الله- لما يورد -كما هي العادة في كثير من المؤلفين- مقدمة يزين فيها محتوى الكتاب ومضمونه، وإنما شرع في الكتابة مباشرة وهذه الطريقة التي انتهجها هي طريقة مسلوكة ومعروفة عند أهل العلم قديما، وقد أشرت إلى أن كثيرا من مصنفات السلف كصحيح البخاري والسنن والمعاجم والمسانيد والأجزاء الحديثية وكثير من مؤلفات المتقدمين يشرع فيها مؤلفوها بالكتاب مباشرة ويعرف الكتاب من عنوانه وبالدخول فيه يتبين فيم أُلِّفَ الكتاب ولأي موضوع جُمِعَ.

والشيخ -رحمه الله تعالى- قال: "كتاب التوحيد" ودخل مباشرة، وهذا أيضا فيه حكمة وفيه منفعة عظيمة أن يدخل الإنسان مباشرة مع الآيات والأحاديث والأدلة المبينة لكلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الباب العظيم والمقصد الجليل توحيد الله -سبحانه وتعالى-.

وبَدْءُ المصنف -رحمه الله- بالبسملة في أول كتابه هذا تأس منه -رحمه الله تعالى- بكتاب الله العزيز وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- تأس منه بما كان عليه الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وبما كان عليه خاتمهم -صلى الله عليه وسلم- في مكاتباته ومراسلاته -صلوات الله وسلامه عليه- وقد قال الله -جل وعلا- عن كتاب سليمان ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٣٠] فهذه سنة ماضية أن يبدأ الإنسان بالبسملة.

وليس فقط الكتاب الذي يُبدأ بالبسملة، وإنما كل الأمور التي ذات بال يبدأ فيها الإنسان بالبسملة في دخوله لبيته وخروجه من بيته، وتناوله لطعامه، وفي مكاتباته، وعند نومه إلى غير ذلك فإن البسملة مشروعة.

والبسملة هي استعانة بالله -سبحانه وتعالى- لأن الباء في "بسم الله" باء الاستعانة ومعنى قولك: "بسم الله" أي: بسم الله أبدأ أو أكتب أو أقرأ أو أؤلف أو حسب الأمر الذي شرعت فيه فتبدأه بـ"بسم الله" أي طالبا عون الله -سبحانه وتعالى- متبركا بذكر اسمه -جل وعلا-.

بسم الله الرحمن الرحيم، وفي هذه البسلمة ثلاثة أسماء حسنى لله -تبارك وتعالى- دالة على كماله وجلاله وعظمته -سبحانه وتعالى- وهي "الله" الدالة على الألوهية والعبودية على ما سيأتي بيانه، والرحمن الرحيم وهما اسمان دالان على ثبوت الرحمة صفة لله -سبحانه وتعالى- والرحمن دال على قيامها به، والرحيم دال على تعلقها بالمرحومين وتأمل ذلك في قوله ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ولم يأت رحمن ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فإذن اسمه الرحمن دال على صفته الرحمة القائمة به، واسمه الرحيم دال على تعلقها بالمرحوم.

فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم حمد الله، وحمد الله هو ثناء عليه مع حبه سبحانه، وصلى وسلم على رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- ثم قال -رحمه الله تعالى-: "كتاب التوحيد" وجعل هذا عنوان الترجمة الأولى لكتابه فقال: "كتاب التوحيد" ثم رأسا شرع في ذكر الأدلة على التوحيد، وسيأتي معنا في هذه الترجمة خمس آيات وحديث وأثر عن أحد الصحابة ولنلاحظ هذا في هذا الباب وفي كل باب عند الشيخ -رحمه الله تعالى- أبواب الشيخ هي تراجم محققة وتقريرات دقيقة يجمع تحتها الآيات والأحاديث الدالة على عنوان الترجمة.

ولعلنا جميعا نعرف أن كلمة "باب" المدخل إلى الشيء فالشيخ يعقد بابا في كتابه ويليه باب إلى آخر أبواب الكتاب، ثم يذكر الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه- على هذا الذي عون له أو ترجم له.

قال: كتاب التوحيد وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ "كتاب التوحيد وقول الله" برفع "قول" على أنه مبتدأ أو بخفضه "وقولِ الله" على أنه معطوف على كلمة التوحيد. وهذا في كل الكتاب وفي جمع الأبواب القادمة لك أن تقرأ بالرفع على أنه ابتداء أو بالخفض على أنه عطف كتاب التوحيد.

وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ استهل الشيخ -رحمه الله تعالى- دلائل التوحيد بهذه الآية العظيمة من سورة الذاريات، وهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن التوحيد هو الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها، لماذا خلق الله؟ ما الغاية؟ لماذا خلق الله الثقلين؟ لماذا أوجدهم؟ ما الغاية من ذلك؟ ما الحكمة؟ الجواب في هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الله -جل وعلا- خلق الناس أوجدهم من العدم بعد أن لم يكونوا شيئا ليقوموا بعبادته، فعل الأول ليفعلوا هم الثاني، فعل الأول ما هو؟ الخلق قال: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ليفعلوا هم الثاني وهو العبادة، لا يفعل بهم الثاني وإنما ليفعلوا هم؛ لأنهم خلقوا ليكلفوا بالعبادة، ولهذا منهم من يقوم بها ومنهم من لا يقوم بها، هم خلقوا للعبادة ووجدوا لها، لكن منهم من يقوم بهذه العبادة التي خلق لأجلها، ومنهم من يضل عن سواء السبيل ويتنكب صراط الله المستقيم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ﴾ أي: الثقلين لم أوجدهم من العدم، لم أخلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا إلا لغاية عظيمة وحكمة جليلة ما هي قال ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقوموا بعبادتي.

وكنت أشرت في لقائنا السابق إلى قاعدة مهمة في الباب تؤثر عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن كل أمر بالعبادة في القرآن أمر بالتوحيد فمعنى قوله تعالى ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليوحدون، أي: إلا ليقوموا بتوحيدي، والعبادة لا تكون عبادة صحيحة مقبولة إلا إذا قامت على التوحيد، ولعلكم تذكرون مثلت لهذا بمثال وهو الصلاة، قلنا: الصلاة لا تكون صلاة صحيحة مقبولة إلا بالطهارة، فإذا وجدت الصلاة بدون الطهارة فهي وعدمها سواء، والعبادة لا تكون عبادة صحيحة مقبولة إلا إذا كانت قائمةعلى التوحيد لله -سبحانه وتعالى-.

إذن الغاية من خلق الناس وإيجاد الثقلين توحيد الله وإفراده -سبحانه وتعالى- بالعبادة بهذا يظهر دلالة الآية للترجمة من حيث أن الآية دالة على أن التوحيد الذي هو موضوع هذا الكتاب هو الغاية التي خلق الخلق لأجلها ووجدوا لتحقيقها كما قال الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

والله -جل وعلا- لم يخلق الناس لحاجة منه أو به إليهم، لم يخلقهم ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتعزز بهم من ذلة ،ولا ليتقوى بهم من ضعف، فهو الغني الحميد -سبحانه وتعالى- ولهذا تلاحظ في الآية التي تلي هذه الآية قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ فالله -جل وعلا- غني عن العباد، غني عن توحيدهم، وعن عبادتهم، وعن دعائهم، وعن صلاتهم، وعن كل طاعة، غني عنهم -جل وعلا- وطاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم لا ينفع الله، وكذلك شرك من أشرك، وكفر من كفر، وضلال من ضل لا يضر الله، ولهذا جاء في الحديث القدسي أن الله -تبارك وتعالى- يقول: (يا عبادي، لو أن أولكم آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، ولو أن أولكم آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئ).

إذن طاعة من أطاع، وتوحيد من وحد، وإيمان من آمن لا ينفع الله، وشرك من أشرك، وكفر من كفر، وضلال من ضل لا يضر الله، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وحقيقة الأمر كما قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَ﴾ [الإسراء: ١٥] ولهذا كان واجبا على كل إنسان يريد السعادة لنفسه ويريد الخير أن يعرف هذا التوحيد الذي هو الغاية من خلقه وإيجاده، فيعرفه ويتعلمه ويسعى في تحقيقه وتكميله، إذن هذه الآية الأولى تدل على أن الغاية من خلق الناس وإيجاد الثقلين توحيد الله -جل وعلا-.

الآية الثانية:

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦])

هنا ترتيب المصنف للأدلة سنلاحظ فيه متانة ودقة وحسن تحريك، فبدأ أول ما بدأ بذكر الآية الدالة على أن الغاية من خلق الناس توحيد الله، خلقوا لتوحيده، ثم الغاية من بعثة الرسل للناس هي الدعوة إلى هذا التوحيد، فالغاية من بعثة الرسل والحكمة من إرسالهم الدعوة إلى توحيد الله، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ بعثنا أي: أرسلنا، البعث هو الإرسال ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا

اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هذه مهمة الرسل، الرسل من أولهم إلى آخرهم مضوا في الدعوة إلى هذه الغاية، وإرشاد الناس إلى هذا المطلب العظيم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ قلنا في الآية السابقة: لماذا خلق الله الخلق؟ وجاءنا الجواب في الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وهنا لماذا أرسل الله الرسل وبعثهم؟ ويأتي الجواب في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ مثلها قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥] وهنا ينبغي أن نعلم أن دين الأنبياء واحد، كلهم من أولهم إلى آخرهم -عليهم صلوات الله وسلامه- دينهم واحد، عقيدتهم واحدة، كلهم دعاة إلى التوحيد؛ بل إن التوحيد هو زبدة دعوة الأنبياء والمرسلين، وأول كلمة يسمعها الأقوام من أنبياءهم ورسلهم دعوتهم إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- وعندما تقرأ القرآن ودعوات الأنبياء تجد ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣] هذا أول ما يقرع سمع الأقوام من أنبيائهم التوحيد، وهذا يدلنا على أن التوحيد هو زبدة دعوة المرسلين وخلاصة رسالتهم والغاية من بعثهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ وهذا يدل أيضا على أن حجة الله قائمة ببعثة الرسل، فمن بلغته دعوة المرسلين لا عذر له والحجة عليه قائمة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولاحظ هنا فائدة عظيمة جليلة القدر في هذه الآية وفي نظائرها من الآيات الآتية معنا -أن التوحيد لابد فيه من أمرين إثبات ونفي، لابد منهما لا توحيد إلا بهما إثبات ونفي، كما هو أيضا في كلمة التوحيد العظيمة "لا إله إلا الله" ويجب علينا أن نعلم أنه لا توحيد إلا بالأمرين، فهما أصلان أو ركنان يقوم عليهما التوحيد الإثبات والنفي، الإثبات في الآية في قوله ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ والنفي في قوله ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ هذا إثبات ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هذا نهي، إذن لا توحيد إلا بنفي وإثبات.

ولاحظوا معي -أيها الإخوة- ملاحظة مهمة بل فائدة عظيمة: لو وجد من شخص إثبات بلا نفي، يقول: أنا أثبت لله الربوبية، وأثبت لله الأسماء والصفات، وأعبد الله ولكن لا أنفي هذا عن غيره، هذا ما اسمه؟ ما اسم من يقول: إن طريقته هذه هي، يقول: أنا أثبت ولكنني لا أنفي، النفي لا ألتزم به، ولا أقوم به، هذا مشرك، المشرك يعبد الله، يقوم بعبادات يتقرب بها إلى الله، يأتي منه أذكار، يأتي منه حج، يأتي منه دعاء، يأتي منه العبادات لكنهم لا ينفون العبادة عن غير الله، فإذن من أثبت ولم ينف مشرك.

ومن نفى ولم يثبت ملحد، الذي ينفي عن الله -سبحانه وتعالى- خصائصه وكمالاته وأسماءه هذا إلحاد، فإذن الإثبات بدون نفي شرك، والنفي بدون إثبات إلحاد، ولا يكون التوحيد إلا بالإثبات والنفي، نثبت لله -سبحانه وتعالى- خصائصه وننفيها عمن سواه، نخلص العبادة لله -سبحانه وتعالى- وننفيها عمن سواه، لا يكون التوحيد إلا بمجموع هذين الأمرين، ولا يكون الإنسان عبدا لله، موحدا لله، قائما بالدين الذي خلقه الله -سبحانه وتعالى- لأجله إلا بالأمرين معا ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الذي يعبد الله ولا يجتنب الطاغوت لا يبرأ من عبادة غير الله قلنا فيما سبق: ما عبد الله حقيقة؛ لأن العبادة لا تكون عبادة إلا بالتوحيد، والعمل لا يكون صالحا متقبلا إلا بالتوحيد، فإذا كان الإنسان موحدا عابدا مطيعا ممتثلا أمر الله، ومتبرءا من عبادة ما سواه متخلصا من الشرك فهذا هو حقيقة العبادة.

إذن لابد من الأمرين ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] كلها تدل على معنى واحد وهو ما دلت عليه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" "لا إله" نفي و"إلا الله" إثبات وهذا هو التوحيد، ولا يكون التوحيد إلا بهذين الأمرين معا.

إذن الأنبياء بعثوا بهذا التوحيد الخالص، وبالدين النقي، وبالعمل الصافي الذي لم يرد به إلا الله -جل وعلا- وهو الحكمة من بعثهم، وهو الدليل كما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هل كل الناس امتثلوا واستجابوا؟ قال تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] بل قال -سبحانه وتعالى- ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

[يوسف: ١٠٤] أكثر الناس -والعياذ بالله- ضل عن هذا الصراط السوي وعن هذه الجادة المستقيمة التي دعا إليها أنبياء الله ورسله.

إذن الآية الأولى في بيان أن الغاية من خلق الثقلين العبادة، والآية الثانية في بيان أن الغاية أو الحكمة من بعثة الرسل العبادة والتوحيد وإفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة.

ثم ننتقل الآن للدليل الثالث عند الشيخ -رحمه الله تعالى- .

إذن -يا شيخ- ترتيب الآيات مقصود عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-

الشيخ -رحمه الله تعالى- كما قدمت رتب الأدلة ترتيبا متينا بهدف معين، ويتدرج بالقاريء في هذه الدلائل مبينا الحِكم والغايات مرتبًا هذه الأمور ترتيبا دقيقا، خلق الخلق لماذا؟ للتوحيد، ثم بعث لهم الرسل لماذا؟ للتوحيد، ثم سيأتي أيضا أنه وصية الله وأنه حق الله على ما سيأتي من خلال الآيات التي نقرأها.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣]) هذه الآية من سورة الإسراء فيها بيان أن التوحيد هو وصية الله لعباده؛ بل بيان أن التوحيد هو أعظم وصايا الله -جل وعلا- لعباده "وقضى" أي: وصى وأمر؛ لأن "قضى" تأتي على معنى التقدير وتأتي على معنى الأمر والوصية، قول تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] هذا تقدير وخلق، أما هنا قضى أي: أمر ووصى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ أي: وصى وأمر ربك إلا تعبدوا إلا إياه.

إذن هذه الآية تدل على أن التوحيد في قوله ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ هو ماذا؟ وصية الله لأن القضاء هنا المراد به الوصية والأمر، فالتوحيد هو وصية الله وليست الآية تدل على هذا المعنى فقط؛ بل تدل على أن التوحيد أعظم وصايا -الله جل وعلا- لعباده من أين نأخذ هذا؟ من أين نأخذه؟ إذا قرأنا مجموع السياق كاملا، وهنا أريد الجميع أن يتأمل إما الآن أو فيما بعد نقرأ السياق كاملا في سورة الإسراء بدءا من هذه الآية؛ بل من الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى أن قال بعد آيات ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] هذا السياق أتمنى من الجميع؛ بل أرغب من الجميع أن يراجع الآيات ولو فيما بعد، وهذه الآيات كما قال الشيخ في المسائل تضمنت ثماني عشرة مسألة، أي: أمر ونهي، أوامر عديدة ستراها، ترى الأمر بالتوحيد، النهي عن الشرك، الأمر ببر الوالدين، النهي عن التبذير، النهي عن الزنى، النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، النهي عن أكل مال اليتيم، أوامر ونواهٍ ستمر عليك عددها ثمانية عشر، عندنا تقرأ هذه الأوامر والنواهي التي جاءت في هذا السياق وعددها ثمانية عشر صدرت بماذا؟ ما هو أول نهي فيها وما هو أول أمر؟ أول نهي هو قوله: ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وأول أمر: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ثم جاءت بعد ذلك النواهي إلى أن ختمت بالنهي عن الشرك، فبدئت هذه الأوامر بالنهي عن الشرك والأمر بالتوحيد وختمت بالنهي عن الشرك، ماذا تستفيد أنت من هذا إذا تأملت في بيان قدر التوحيد ومكانته؟ أليس هذا يدل دلالة بينة واضحة أن التوحيد أعظم الأوامر؟ أليس بدء الله بالأمر دالا على أهميته؟ البدء يدل على الاهتمام، وإذا أردت أن تعرف قيمة البدء وأنه يدل على الاهتمام تذكر نبينا -عليه الصلاة والسلام- عندما صعد الصفا ماذا قال؟ قال (نبدأ بما بدأ الله به) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٨٥] البدء بالشيء يدل على الاهتمام به، ما يبدأ بالأدنى ويقدم على الأعلى، ولا يبدأ بالمهم ويقدم على الأهم، وإنما يبدأ دائما بالأهم وهذا مطرد، تجد الأوامر التي في القرآن مبدوءة بالأمر بالعبادة، النواهي التي في القرآن مبدوءة بالنهي عن الشرك وسيأتي معنا نظائر كثير لهذا، إذن إذا قلنا: دلت هذه الآية على أن التوحيد أعظم الوصايا، أعظم وصايا الله لعباده من أين نكون أخذنا هذا؟

لأنه صدر بالأمر بالأمر

صدر بالوصية بالتوحيد بقوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ فهذه جملة من الوصايا عدتها ثمانية عشر صدرت بالنهي عن الشرك والأمر بالتوحيد.

إذن استفدنا من هذا السياق المبارك أن أعظم الوصايا وأجل الأوامر التوحيد، وأخطر ما نهى الله عنه بالله – سبحانه وتعالى– هو الشرك بالله –سبحانه وتعالى–.

لو قيل لك –أيها الأخ الموفق– ما الدليل على أن أعظم شيء وصى الله به وأمر الله عباده به هو التوحيد؟ ولو قيل لك أيضا ما الدليل على أن أعظم شيء نهى الله عنه وحرمه على عباده هو الشرك؟

الجواب واضح أمامنا في هذه الآية، وسيأتي معنا آيات مماثلة له. تقول في جوابك على هذا السؤال: إن القرآن مشتمل في مواضع كثيرة منه على أوامر ونواهٍ ونجد أن الأوامر تصدر بالأمر بالتوحيد، والنواهي تصدر بالنهي عن الشرك فدلنا ذلك على ماذا؟ على أن أعظم الأوامر وأعظم الوصايا هو توحيد الله، وأخطر النواهي وأخطر ما نهى الله –جل وعلا– عنه هو الشرك بالله.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ قلنا: لا توحيد إلا بماذا؟ نفي وإثبات، ﴿أَلاَّ تَعْبُدُو﴾ نفي ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ إثبات، فلابد في التوحيد من نفي العبادة عن كل ما سوى الله، وإثبات العبادة بكل معانيها ودلالاتها لله وحده، ولا يكون التوحيد إلا بها.

ننتقل إلى الدليل الرابع قال المصنف –رحمه الله تعالى– (وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانً﴾) إلى آخر الآية هذه الآية تسمى عند أهل العلم بآية الحقوق أو الحقوق العشرة، لماذا سميت بهذ الاسم؟ لأنها اشتملت على ذكر عشرة حقوق:

الحق الأول: حق الله، ثم بقية العشرة حقوق العباد، حق الوالدين، حق القربى، حق الجار، حق المسكين إلى آخر الحقوق التي ذكرت في هذه الآية، موضوعنا الدلالة على مكانة التوحيد وأهميته وعظم شأنه، ماذا نستفيد – أيها الإخوة– من هذا السياق المبارك في الآية المعروفة عند أهل العلم بآية الحقوق في مكانة التوحيد وفضله.

أن أعظم حق على الإطلاق وأجله وأهمه وأكبره التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فليس في الحقوق حق أعظم منه، فهو أعظم الحقوق وأجلها وأكبرها على الإطلاق، من أين أخذنا أن هذا الحق هو أعظم الحقوق؟ من تقديمه والبدء به في آية الحقوق العشرة ذكر الله –جل وعلا– حقوقا كثيرة وذكر في مقدمتها وفي صدرها وفي أولها حقه –سبحانه وتعالى– ما هو حقه؟ قال: ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئً﴾ هذا أعظم الحقوق على الإطلاق أعظم من حق الأبوين، وأعظم من حق الجيران، وأعظم من حق اليتيم، وأعظم من حق المسكين، وأعظم من حق الصاحب إلى غيرها من الحقوق التي ينبغي على العبد أن يحافظ عليها وأن يقوم بها، فأعظم الحقوق حق الله –سبحانه وتعالى–.

إذن هذه الآية الرابعة دلت على أن التوحيد والبعد عن الشرك هو أعظم الحقوق، أذكر بالآيات مرتبة:

الآية الأولى: دلت على أن التوحيد هو الحكمة من خلق الثقلين.

والآية الثانية: دلت على أن التوحيد والبعد عن الشرك هو الغاية من بعثة الرسل.

والآية الثالثة: دلت على أن التوحيد هو أعظم الوصايا وأجلها على الإطلاق.

والآية الرابعة: دلت على أن التوحيد هو أعظم الحقوق، وهو حق الله على عباده الذي أوجدهم -سبحانه وتعالى- لأجله وخلقهم لتحقيقه ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أيضا تدل الآية على أن التوحيد لا يكون إلا بالنفي وبالإثبات، الإثبات في قوله ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ﴾ والنفي في قوله ﴿وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ولا توحيد إلا بهذا، ما وحد الله من عبده بدون نفي الشرك، لا يكون توحيد الله -جل وعلا- إلا بعبادته مع نفي الشرك والبعد عنه.

ثم الآية الخامسة:

قال المصنف -رحمه الله تعالى- وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١: ١٥٣] هذه الآيات الثلاث الكريمات من سورة الأنعام يسميها العلماء آيات الوصايا العشر، لماذا؟ لأنها مشتملة على عشر وصايا.

سابقة آية الحقوق العشر

الآية الأولى من سورة النساء وهي آية واحدة يسميها أهل العلم آية الحقوق العشر، فيها عشرة حقوق، وهذه الآيات الثلاث من سورة الأنعام يسميها العلماء آيات الوصايا العشر؛ لأنها اشتملت على عشر وصايا، ولعلكم لاحظتم أن كل آية من الآيات الثلاث مختومة بقوله ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ إذن هذه وصايا، وكل آية من هذه الآيات الثلاثة ختمت بقوله ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ الآية الأولى ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والآية الثانية ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ والآية الثالثة ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وهذا أيضا فيه حكمة لماذا؟ لأن أول ما يكون من الإنسان أن يعقل الأمر، يعقله يفهمه على وجهه، ثم إذا عقله انتقل من العقل إلى زوال الغفلة بالتذكر فيعقل أولًا، ثم يحصل له التذكر وهو زوال الغفلة، فإذا عقل وتذكر وزالت عنه الغفلة خاف الله واتقاه، فهذا في حكمة ترتيب هذه الوصايا.

إذن يحتاج العبد أن يعقل وصايا الله، وبعقله لها يكون متذكرا هذ الأمر العظيم محققا له مبتعدا عن سبيل الغافلين، ثم يحقق تقوى الله -جل وعلا- في التزام أوامره والبعد عن نواهيه، وهذا أيضا يفسر لنا أن الفساد والخلل الذي ينشأ عند الكثير في جانب الأوامر أو جانب النواهي سببه إما عدم العلم، عدم العقل، أو عدم التذكر بالغفلة، أو عدم خوف الله -جل وعلا- ولوجود هذه الأمور فيك تأتي تدريجيا بالعقل أولًا، وبزوال الغفلة ثانيا، ثم بتحقيق خوف الله -جل وعلا- ومراقبته ثالثا، هذه الآية تسمى آية الوصايا العشر.

قبل أن أسترسل وقبل أن أنسى أتمنى من الجميع في آياتنا الثلاث آيات الإسراء التي تتضمن ثمانية عشر مسألة، وآية النساء التي تتضمن الحقوق العشر، وآيات الأنعام الثلاثة التي تتضمن الوصايا العشر -أن يعيش المسلم بعد الحلقة أو في وقت آخر مع كتاب الله يفتح القرآن ويعد من سورة الإسراء ثمانية عشر مسألة أوامر ونواهي كل مسألة يكتب أمامها دليلها من الموضع نفسه في السياق، ثم ينتقل إلى الحقوق العشر وأيضا يكتبها وكل حق أمامه دليله من السياق، ثم أيضا الوصايا العشر في سورة الأنعام ويذكر كل وصية أمامها دليلها، ثم أيضا يرجع إلى كتب التفسير ويستفيد من أقوال أهل العلم حتى يعظم حظه من الخير ومن هذه الأوامر والنواهي المجتمعة في هذه السياقات، وسيحصل من يفعل ذلك خيرا عظيما ونفعا كبيرا بإذن الله تعالى.

هنا الآن نعود إلى مقصودنا من ذكر الشيخ -رحمة الله عليه- لهذا السياق المبارك ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ قل يا محمد: تعالو يا من تعبدون غير الله وتشركون به وتخالفون أمره ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وهنا أيضا النبي -

صلى الله عليه وسلم- دعوته ما هي؟ تلاوة وحي الله ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] هذه دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم- يدعو الناس إلى كلام الله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ [التوبة: ٦] مهمته إبلاغ الكلام فهو رسول -صلوات الله وسلامه عليه- والرسول مهمته إبلاغ كلام مرسله ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ قل تعالو أي: أيها المشركون أتل ما حرم ربكم عليكم ماذا؟ ألا تشركوا به شيئا، وهنا قال أهل العلم: أن ثمت محذوف مقدر دل علهي السياق وهو وصاكم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وصاكم ألا تشركوا به شيئا، أخذوا هذا من تمام الآية في قوله ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ فيكون المعنى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حرم ربكم عليكم أو وصاكم بالبعد عن الشرك، وصاكم ببر الوالدين إلى آخر الوصايا المذكورة في هذه السياقات.

﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا فيه الوصية بالبعد عن الشرك، وهذا السياق مشتمل على التحذير من نواهٍ عديدة بدأت بالنهي عن الشرك، فدل هذا السياق على أن أعظم شيء نهى الله عنه الشرك بالله.

أعظم وصية

أعظم شيء نهى الله عنه الشرك بالله، وهو وصية عظيمة بل هي أعظم وصايا الله -جل وعلا- لعباده نهيهم عن الشرك، والنهي عن الشرك يدل بالاقتضاء على ماذا؟

على الأمر بالتوحيد

على الأمر بالتوحيد، فالنهي هنا عن الشرك يدل بالاقتضاء على الأمر بالتوحيد ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فهذا يدل على أن أعظم وصايا الله -جل وعلا- تحريم الشرك، وهو يدل بالاقتضاء -كما قدمت- على الأمر بالتوحيد فأفدنا من ذلك أن أعظم الأوامر التوحيد، وأعظم النواهي أو أخطر النواهي الشرك بالله -عز وجل-.

التوحيد الذي هو أعظم الأوامر عرفناه، وعرفنا أنه لا يكون إلا بالنفي والإثبات وهو إفراد الله -سبحانه وتعالى- وسبق أن تحدثت في الحلقة السابقة عن معنى التوحيد وعن أنواع التوحيد، وعرفنا فيما سبق أن التوحيد أنواع ثلاثة: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الأسماء والصفات، وتوحيد في الألوهية، وتوحيد الله في هذه إفراده بها وعدم جعل شريك معه في شيء منها هذا هو التوحيد، فما هو الشرك الذي نهى الله عنه ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ما هو الشرك الذي نهى الله عنه؟ لا تشركوا الشرك هو التسوية، معنى الشرك أي: التسوية، تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، هذا هو الشرك ولذلك أهل النار عندما يدخلونها يوم القيامة ماذا يقولون؟ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧: ٩٨] فهذا يبين لنا معنى الشرك أنه تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، سواء خصائصه في ربوبيته، أو خصائصه في أسماءه وصفاته، أو خصائصه -سبحانه وتعالى- في ألوهيته، تسوية غير الله به أوعدل غيره به كما قال -جل وعلا- ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] أي: يسوون غيره به، فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله فهو مشرك بالله، والله -جل وعلا- أمر عباده بالتوحيد ونهاهم عن الشرك والآية الكريمة تدل على أن التوحيد أعظم الأوامر والنهي عن الشرك هو أعظم النواهي.

إذن هذه خمس آيات ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى-:

الآية الأولى: التوحيد هو الحكمة من الخلق.

والثانية: الحكمة من بعثة الرسل.

والثالثة: أعظم الوصايا التوحيد.

والرابعة: أعظم الحقوق التوحيد.

والخامسة: أعظم ما نهى الله عنه الشرك بالله.

فهذه خمس آيات صدر بها المصنف كتابه مبينا من خلالها مكانة التوحيد وعظيم شأنه ورفيع قدره.

نواصل الآن في دراسة الكتاب، وأخذنا الآيات الخمس التي صدر الله بها الشيخ -رحمه الله تعالى- كتابه التوحيد، والآن نستمع إلى بقية هذا الباب ولعلنا ننهيه باختصار في هذه الحلقة حتى تكون كل حلقة ننهي فيها بابا من أبواب كتاب التوحيد.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد -صلى الله عليه وسلم- التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًَ﴾ إلى قوله تعالى﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمً﴾ الآيات)

الشيخ -رحمه الله تعالى- لما ذكر هذه الآيات الثلاث التي اشتملت على عشر وصايا أعقبها بهذا الأثر عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- في بيان مكانة هذه الوصايا العشر وعظم شأنها، فأورد هذا الأثر عن ابن مسعود يقول فيه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد -صلى الله عليه وسلم- التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات، ومعنى قوله: "عليها خاتمه" شبهها بالوصية التي وضعت في غلاف وأغلقت وأحكمت ووضع عليه الخاتم فلم تتبدل ولم تتغير، وهذا يؤكد على مكانة هذه الوصية، والمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لوكان موصيا لأوصى بكتاب الله كما قال: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلو) وهذه الوصايا العشر هي أعظم الوصايا في كتاب الله -عز وجل-.

إذن هذا يدلنا على فقه الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وفقه ابن مسعود في بيانه لمكانة هذه الوصايا وعظم شأنها، وأنها بمثابة الوصية العظيمة المتينة التي كتبت وحررت وختم عليها ولم تتبدل ولم تتغير، وإيراد المصنف لهذا الأثر المقصود منه بيان مكانة هذه الآيات.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وعن معاذ بن جبل -رضي الله تعالى عنه- قال: (كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- على حمار فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلو) [أخرجاه في الصحيحين])

هذا الحديث العظيم وهو في الصحيحين فيه بيان مكانة التوحيد وأنه حق الله على العباد، والمؤلف ساقه لهذا الأمر، ساقه لبيان مكانة التوحيد وأنه حق الله على عباده.

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل (أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله) وتأمل هذا الأسلوب الحكيم من النبي -صلى الله عليه وسلم- في التعليم، وتأمل أيضا تواضعه -صلوات الله وسلامه عليه- وكمال وأدبه خلقه وحسن تعليمه، فهو -عليه الصلاة والسلام- يركب الحمار ويردف من أصحابه معه، أردف معاذا وأردف ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- وأردف الفضل، وأردف آخرين من الصحابة حتى أن أحد السلف ألف رسالة مطبوعة: "من أردفهم النبي -عليه الصلاة والسلام-" فالنبي -عليه الصلاة والسلام- الذي هوسيد ولد آدم كان يركب الحمار، وكان يردف عليه، وكان حسن التعليم، ومعه معاذ ويخاطبه

باسمه متلطفا: (يا معاذ، أتدري) وبهذا شد انتباه معاذ للتعلم وحسن الإفادة (أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم) وهذا فيه أن من لم يعلم يحيل العلم إلى عالمه، وإذا سئل أحدنا عن شيء لا يعلمه يقول هذه الكلمة التي قالها معاذ يقول: "الله أعلم" يحيل العلم إلى عالمه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان بين أظهرهم ويأخذون عنه العلم ويتلقون منه الذكر -صلوات الله وسلامه عليه- ويسألونه.

فالشاهد أن معاذا قال: الله ورسوله أعلم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) هذا الحق الذي لأجله خلقهم، ولأجله أوجدهم، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، لا يكفي أن يعبدوه لا يكون الأمر بهذا كافيا محققا المقصود؛ ولهذا قال: (ولا يشركوا به شيئ) فلا يكون التوحيد إلا بالعبادة مع نفي الشرك.

هذا حق الله على عباده، وهو الذي جعله المصنف -رحمه الله تعالى- عنوانا لكتابه قال: "التوحيد الذي هو حق الله على العباد" فهذا أخذه لفظا من حديث معاذ (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئ) وهذا يدلنا على فضل التوحيد، وسيأتي عند المصنف الباب اللاحق في فضل التوحيد، فمن فضل التوحيد أن الله -جل وعلا- لا يعذب من لا يشرك به شيئا، و"شيئا" نكرة في سياق النفي فهي تعم، "لا يشرك به شيئا" فالذي لا يشرك بالله شيئا أي شيء أو أي نوع من أنواع الشرك لا يعذبه الله فهذا يدلنا على فضل التوحيد.

وقوله: (لا يعذب من لا يشرك به شيئ) أترك هنا سؤالا للإخوة المتابعين معنا وهو لماذا سميت العقوبة عذابا؟ ولعلنا نأخذ جوابه في الحلقة الآتية إن شاء الله، لماذا سميت العقوبة عذابا؟.

قال: (لا يعذب من لا يشرك به شيئا) معاذ -رضي الله تعالى عنه- فرح بهذا الأمر الذي فيه جلالة قدر التوحيد ومكانته فقال: "أفلا أبشر الناس" وهذا فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره. فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تبشرهم فيتكلو) يعني: لكي لا يتكلوا على هذا الأمر، ويحصل عندهم تراخٍ أو فتور عن العمل، وجاء في بعض الروايات أن معاذا -رضي الله تعالى عنه- أخبر بذلك عند موته تأثما، يعني: خشية أن يأثم بكتمان هذا العلم.

على كل حال هذا الحديث الشاهد منه هو بيان مكانة التوحيد، وأنه حق الله -سبحانه وتعالى- على عبيده، فهذا باختصار ومما يتناسب مع وقت هذه الحلقة من بيان لهذا الكتاب، أو المبدأ لكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى وغفر له-.

وأيضا أترك سؤالا ثانيا للإخوة المتابعين معنا وهو أن يبين في الجواب مختصرا كل دليل أورده المصنف، يعني: كل دليل من الأدلة التي أوردها ما غاية المصنف من إيرادها؟ لماذا أورد كل دليل؟ وهذا ما يسميه العلماء "مناسبة الآية للترجمة" أو "مناسبة الحديث للترجمة" فما مناسبة الآية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والحديث؟ ما مناسبة كل آية للترجمة؟ فيأتي الجواب بأنها دلت على كذا، فهذا أيضا يكون سؤالا مطروحا مع السؤال الأول للإخوة المستمعين والمتابعين معنا، ولعلنا -إن شاء الله- نتلقى إجاباتهم عليه في حلقتنا القادمة والله تعلى أعلم.

هناك بعض الأسئلة ... ووصل العديد من إجابة سؤال الحلقة الماضية منها: إحدى الإجابات ذكرت نبذة مختصرة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وذكرت كذلك له بعض المؤلفات.

أيضا أخرى أجابت عن الإجابة التي هي عبارة عن نبذة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وكذلك نبذة عن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وعن كتابه القول السديد.

نسمع مقطعا من النبذة هذه عن الكتاب في حدود سطرين.

وكان كتاب القول السديد في شرح كتاب التوحيد شرحا مختصرا مفيدا جامعا نافعا لكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- بدأ بمقدمة مختصرة تحتوى على مجملات عقائد أهل العلم في الأصول وتوابعها، ثم بدأ بشرح كتاب التوحيد حسب ترتيب المؤلف في الأبواب، فصل فيه -رحمه الله تعالى- ما أوجزه الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في الأبواب والمسائل الملحقة بكتاب التوحيد، فكان يقف -رحمه الله تعالى- عند بعض المسائل التي تحتاج مزيدا من التبيان ويفصل فيها تفصيل العالم المتقن، إلا أن منهجه في العموم منهج الشرح المختصر المفيد

جميل، أيضا لو أنها نصت على أن مقصد هذا الكتاب ليس الشرح والتفصيل، وإنما مقصده بيان مقاصد الكتاب بإيجاز واختصار.

هناك بعض الأسئلة، يقول هذا السائل: ما صحة قول من يقول: إن صفات لله من المتشابه؟ وهل إذا حملنا قوله على أن المراد هو كيفية الصفات نكون متبعين للسلف في ذلك؟

هناك أسئلة كانت لها علاقة بالشرك الخفي وكذلك جانب التوكل يعني: الأسئلة خارج موضوع الدرس اليوم

الأخ -وفقه الله- يسأل عن الصفات هل هي من المتشابه؟ أولا: الله -جل وعلا- يقول وفي سورة آل عمران ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] والتشابه هنا في قوله -سبحانه وتعالى- ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: في آيات من كتاب الله، فالكتاب العزيز فيه آيات محكمات، أي: واضحة الدلالة، بينة المعنى ظاهرة، وفيه آيات متشابهة، والمراد بالتشابه فيها التشابه النسبي، بمعنى أنها تخفى على بعض الناس، وتخفى على كثير من الناس، ولا تخفى على العالم المحقق؛ ولهذا ابن عباس -رضي الله تعالى عنه- في هذه الآية قال: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه.

فإذن التشابه نسبي الذي هو التشابه المتعلق بالمعنى معاني الآيات، حتى في آيات الصفات قد يشتبه على بعض الناس لقلة علمه وقلة بصيرته وقلة درايته، قد يتشابه عليه المعنى فلا يتضح له وهذا راجع لقلة علمه، أما الراسخ في العلم فالمعنى عنده واضح، والمعنى عنده بين، فهذا من حيث المعنى، أما من حيث كيفية الصفات فهذا من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فالتشابه قد يراد به الحقيقة، وقد يراد به المعنى، فإن كان المراد الحقيقة فهذا متشابه على كل أحد لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- وأما من حيث المعنى فآيات الصفات واضحة بينة معروفة الدلالة، وقد يخفى المعنى على بعض الناس لقلة علمه وقلة بصيرته، أما من عنده علم وبصيرة وفهم لكتاب الله -جل وعلا- فآيات الصفات واضحة المعنى، واضحة الدلالة لا التباس فيها ولا تشابه.

السؤال الأول: لماذا سميت العقوبة عذابا؟

السؤال الثاني: وهو كتابة الغاية من كل دليل أورده الشيخ في هذا الباب؟

في هذا الدرس المبارك يسرنا أن نرحب بشيخنا الكريم الأستاذ الدكتور/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية نرحب بشيخنا الكريم فأهلا وسهلا بكم فضيلة الشيخ.

وأنا كذلك أرحب بكم يا أخ تركي وبجميع الإخوة المتابعين معنا في هذا الدرس الذي نسأل الله -جل وعلا- أن يجعله درسا مباركًا نافعا للجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

معاشر الإخوة الكرام، في درسنا الماضي مر معنا نصوص عظيمة دالة على عظم شأن التوحيد ورفيع مكانته، وأنه الغاية التي خلقنا لأجلها وأوجدنا لتحقيقها، وأن الرسل الكرام -عليهم صلوات الله وسلامه- إنما بعثوا لدعوة الناس لتحقيق هذه الغاية العظيمة والمطلب الجليل، ومر معنا أيضًا الآيات الدالة على أن التوحيد هو أعظم الوصايا، وهو حق الله تعالى على عباده.

فلما بين الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مكانة التوحيد شرع في الباب الذي هو موضوع درسنا في هذا اللقاء -شرع في بيان فضل التوحيد وآثاره العظيمة وثماره المباركة في الدنيا والآخرة، فعقد هذه الترجمة التي هي موضوع درسنا، ونستمع الآن إلى عنوان الباب، وأيضًا الأدلة التي ساقها المؤلف -رحمه الله- في هذا الباب.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾).

قال المؤلف -رحمه الله-: (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) في لقائنا السابق عرفنا أن الباب هو المدخل إلى الشيء، وفي العلم يعقد المصنفون وأهل العلم أبوابا عديدة يكون كل بابا منها جامعًا لمسائل أو دلائل تختص بالترجمة التي هي عنوان الباب، وعرفنا أن الشيخ -رحمه الله- قسم كتابه التوحيد إلى أبواب تزيد على الستين بابا، فهذا الباب عقده لبيان فضل التوحيد، قال: (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) فضل التوحيد، أي: فضائله لأن التوحيد له فضائل كثيرة، ومنافع عديدة، وآثار طيبة، والمفرد إذا أضيف -القاعدة فيه عند أهل العلم- يعم، فـ"باب فضل التوحيد" أي: باب عقد لبيان فضائل التوحيد وثماره وآثاره المباركة التي لا تعد ولا تحصى.

قال: (وما يكفر من الذنوب) ما يكفر هنا "ما" يحتمل أن يكون مصدرية ويحتمل أن يكون موصولة، إذا كانت موصولة يكون الباب (باب فضل التوحيد) والذي يكفره من الذنوب، وإذا كانت مصدرية يكون الباب باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب، والأولى أن تقدر مصدرية؛ لأنها إذا قدرت موصولة قد يتوهم أو يظن أن التوحيد يكفر بعض الذنوب لا بعض، باب فضل التوحيد والذي يكفره من الذنوب، فقد يتوهم أو يظن أنه يكفر بعضًا دون بعض، وليس هذا هو المراد؛ ولهذا قال أهل العلم: الأولى أن يكون تقديرها مصدرية لا موصولة.

(باب فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب) أي أن من فضائل التوحيد تكفير الذنوب، وهذا كما بين أهل العلم من عطف الخاص على العام، ما معنى ذلك؟ التوحيد له فضائل كثيرة من جملة هذه الفضائل ماذا؟ تكفيره

الذنوب، من جملة هذه الفضائل تكفيره للذنوب، فالتوحيد له فضائل سيأتي معنا في هذه الترجمة جملة مباركة منها، ومن جملة هذه الفضائل أن التوحيد يكفر الذنوب وسيأت الدليل عليه.

بدأ أولَ ما بدأ في سَوْق الأدلة على هذه الترجمة بإيراد قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة الأنعام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] وهذه الآية الكريمة تدل على فضيلة عظيمة للتوحيد ألا وهي أن التوحيد سبب الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، لأن الله -عز وجل- ختم الآية بقوله: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إذن هاتان فضيلتان للتوحيد أنه سبب للأمن وسبب للاهتداء.

قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُو﴾ ما معنى ﴿يَلْبِسُو﴾؟ أي: يخلطوا، واللبس الخلط، آمن دون أن يخلط إيمانه، واللبس هو ما يغطي الشيء ويحيط به، وليس من الذنوب ما من شأنه أن يغطي الإيمان ويمسح أثره إلا الشرك؛ ولهذا فإن المراد بالظلم في الآية هو الشرك لا سائر الذنوب، فقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك، وقد جاء في السنة الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- تفسير الظلم بذلك؛ لأن الصحابة كما في المسند وغيره لما نزلت هذه الآية شق عليهم أمرها، لما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ شق أمر الآية على الصحابة، وأتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ ظنوا أن المراد بالظلم ماذا؟ ظنوا أن المراد بالظلم ظلم النفس بفعل المعاصي، وهنا ينبغي أن نعلم -معاشر الإخوة- أن الظلم ثلاثة أنواع، ودواوين الظلم يوم القيامة في ثلاثة، وهذا ثبت به حديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (دواوين الظلم ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يتركه الله، وديوان لا يعبأ الله به؛ أما الديوان الذي لا يغفره الله فهو الشرك، وأما الديوان الذي لا يتركه الله فهو ظلم العباد بعضهم لبعض حتى يقتص للمظلوم من ظالمه، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به فهو ظلم العبد لنفسه فيما دون الشرك) .

الآن عرفنا دواوين الظلم الثلاثة، الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ما المراد بالظلم هنا؟ النوع الأول، نأخذ هذا التفسير من السنة؛ لأن الصحابة سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الآية ففسر لهم ذلك قال: (ليس هذا أما قرأتم قول العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) [لقمان: ١٣] والمراد بالظلم هنا في الآية تحديدا الشرك بالله، ويأتيكم هنا سؤال لماذا سمي الشرك في الآية وفي آيات عديدة بالظلم؟ لماذا سمي ظلما؟ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فهل هناك أعظم من أن يضع الإنسان العبادة في غير موضعها، العبادة حق لله فإذا صرفت لغير الله وضعت في غير موضعها وهذا أظلم الظلم؛ ولهذا الشرك ظلم بل هو أظلم الظلم، وقد قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فالشرك ظلم؛ بل هو أظلم الظلم، وقوله ﴿لَمْ يَلْبِسُو﴾ أيضًا كما استنبط بعض أهل العلم من قوله: ﴿لَمْ يَلْبِسُو﴾ استنتبط أن المراد بالظم هنا الشرك؛ لأن الذي يلبس الشيء هو ما يغطيه، وليس شيء يغطي الإيمان ويعفي أثره مثل الكفر والشرك بالله.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا توحيدهم وإيمانهم بشرك ما هي الثمرة؟ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إذن الأمن والاهتداء ثمرة للتوحيد والبعد عن الشرك وهذا هو مقصود الترجمة، إذن الآية دلت على أن أهل التوحيد البعيدين عن الشرك هم أهل الأمن وأهل الاهتداء في الدنيا والآخرة.

هنا نريد أن نصل إلى فائدة، تؤخذ من الآية ما هي أقسام الناس من حيث تحصيلهم للأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة؟ ما القسمة التقديرية هنا؟ ما هو حظ الناس من الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة؟ على قدر التوحيد، هذا الجواب موجز ودال على المقصود، على قدر التوحيد، لكن على وجه التفصيل جوابًا على هذا السؤال نقول: الناس في حظهم من الأمن والاهتداء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم أهل الأمن التام والاهتداء التام: وهؤلاء هم الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك وأيضًا كملوا إيمانهم وتمموه بالعبد عن الذنوب والبعد عن المعاصي والتوبة منها وحسن الإقبال على الله -سبحانه وتعالى- فهؤلاء ما هو حظهم من الاهتداء؟ التام الكامل.

القسم الثاني: عنده التوحيد ولكنه ظلم نفسه بالمعاصي والذنوب، فهذا ينتفي عنه الأمن والاهتداء كلية أو له حظ من الأمن والاهتداء؟ له حظ من الأمن والاهتداء، إذن إيمانه ناقص فأمنه واهتداؤه ناقص مثلما قال زميلكم: بحسب قدر التوحيد وقدر الإيمان.

والقسم الثالث: من ليس له أمن ولا اهتداء وهو من؟ المشرك.

إذن نقول: من جاء بالإيمان التام فله الأمن والاهتداء التام، ومن جاء بالإيمان الناقص فله أمن واهتداء ناقص بحسب إيمانه، ومن لا إيمان له فلا أمن له ولا اهتداء.

إذن هي ثلاثة، ومن هذا أيضًا ندرك فضيلة التوحيد ومكانة الإيمان، وأن من آثاره الحميدة وعوائده الطيبة أن صاحبه له الأمن وله الاهتداء في الدنيا والآخرة.

والآن ننتقل إلى الدليل الثاني عند المصنف -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله-: (عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) أخرجه)

هذا الحديث العظيم حديث عبادة بن الصامت قال عنه الإمام النووي صاحب رياض الصالحين وصاحب الأربعين إمام مشهور، قال: هذا الحديث من أجمع أو أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد. وفعلا حديث جامع، جامع لعقائد الإيمان وموجبات دخول الجنة، وقد ختمه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) والشاهد من الحديث للترجمة قوله: (أدخله الله الجنة) أي: أدخله الله الجنة، فهذه ثمرة من ثمار التوحيد المباركة، أنه سبب لدخول الجنة، وصاحب التوحيد هو من أهل الجنة ومآله إلى جنات النعيم، والحديث اشتمل على بيان توحيد الله -عز وجل- بالعبادة وإخلاص الدين له، وأيضًا تجريد المتابعة والإيمان بالرسول -عليه الصلاة والسلام- وغير ذلك من أمور الإيمان التي يأتي بيانها على وجه الاختصاص.

بدأ أول ما بدأ -عليه الصلاة والسلام- بهذه الإيمانيات العظيمة والعقائد المتينة في هذا الحديث، بدأ أول ما بدأ بقوله: (من شهد أن لا إله إلا الله) وهذا أعظم المطالب وأجل المقاصد على الإطلاق شهادة أن لا إله إلا الله.

شهد أن لا إله إلا الله أي: أقر واعترف وآمن وأذعن بأن لا إله إلا الله، وهذه الشهادة تتطلب من الشاهد حتى تكون شهادته حقًا وصدقا -تتطلب منه أمورا ثلاثة: العلم، والعمل والصدق، العلم بما شهد، والعمل بما شهد، وأن يكون أيضًا صادقا في هذه الشهادة، فهذه أمور ثلاثة لابد منها.

فمن شهد أن لا إله إلا الله حتى تكون شهادته أن لا إله إلا الله صحيحة مقبولة، مجزية نافعة لابد من أمور ثلاثة: علم وعمل وصدق، فإذا كانت شهادته عن علم كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] قال بعض المفسرين: إلا من شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون ما شهدوا به، وجاء في صحيح مسلم من حديث عثمان -رضي الله عنه-: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) فلابد من العلم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ [محمد: ١٩] لابد من العلم.

ولابد من العمل، لا إله إلا الله لها مقتضيات وموجبات، مقتضيات لهذه الشهادة، فلابد من العمل بها.

ولابد أيضًا أن يكون قائلها صادقا لا يشهد بها بلسانه بل بل يواطئ قلبه لسانه، يكون صادقا من قلبه، وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة).

لاحظوا معي "لا إله إلا الله" إنما تكون نافعة مجزية الشهادة بها، إذا توفرت أمور ثلاثة: العلم والعمل والصدق، إذا وجد العلم خرج الإنسان وبرئ من طريقة النصارى الذين يعملون ولا يعلمون على ضلالة، وإذا وجد العمل خرج من طريقة اليهود الذين يعلمون ولا يعملون، وقد جاء في حديث يرفع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنه قال: (من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى) لماذا؟ لأن أولئك يغلب عليهم العلم بلا عمل، وأولئك يغلب عليهم العمل بلا علم.

فإذن الشهادة لابد من علم حتى يخرج من طريقة أهل الضلال الذين يعملون بلا علم، ولابد فيها من العمل حتى يخرج من طريقة المغضوب عليهم الذين يعلمون ولا يعملون، ونحن في كل صلاة نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، المغضوب عليهم من عندهم علم بلا عمل، والضالون من عندهم عمل بلا علم.

فإذن لابد من العلم حتى نخرج من طريقة أهل الضلال ولابد من العمل حتى نخرج من طريقة المغضوب عليهم؛ لأن الذي يعلم ولا يعمل يغضب الله عليه، والذي يعمل بلا علم ضال، فإذن لابد من العلم ولابد من العمل، ولابد من الأمر الثالث وهو الصدق حتى يخرج من طريقة من؟ المنافقين الذين يظهرون ما لا يبطنون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ﴾ لاحظ الكلمة ﴿نَشْهَدُ﴾ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١] كاذبون في ماذا؟ في صدقهم، كاذبون في صدقهم؛ لأن ما نطقوا به يخالف قلوبهم، ولهذا أهل العلم قالوا: لا إله إلا الله لها لفظ ولها معنى، فلا يقبل اللفظ بدون المعنى، لابد أن يتلفظ الإنسان بها، ولابد أن يفهم معناها، وأن يحقق معناها، وأن تكون نابعة من قلبه، إذن هذا هو معنى الشهادة: "أشهد أن لا إله إلا الله" يعلم ويكون صادقا بهذه الشهادة ومحققا لمقتضياتها، وسيأتي معنا أيضًا أن هذه الكلمة لا تكون مقبولة من قائلها إلا بشروط ذكرها أهل العلم مأخوذة بالاستقراء لكتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

(من شهد أن لا إله إلا الله) لا إله إلا الله قلنا ونؤكد: أن كلمة التوحيد تتضمن النفي والإثبات وهما ركنان للتوحيد، لا قيام للتوحيد إلا عليهما، النفي في قوله: "لا إله" والإثبات في قوله: "إلا الله قلت لكم في لقائنا السابق: من وجد منه النفي دون الإثبات ما حكمه؟ ومن وجد منه الإثبات دون النفي ما حكمه؟

من وجد منه الإثبات دون النفي مشرك، ومن وجد معه النفي دون الإثبات هذا ملحد.

أحسنت، إذن لا توحيد إلا بنفي وإثبات، نفي العبادة عن كل من سوى الله، وإثباتها لله وحده (لا إله إلا الله) هذا المعنى إذا لم يفهم ونطق الإنسان بهذه اللفظة هل يكون حققها؟ إذا نطق الإنسان باللفظ لا إله إلا الله لكنه لا يدرك ما تدل عليه هذه الكلمة من النفي والإثبات؟ المشركون الذين بعث فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما قال لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) فهموا وهم عرب خلص يعرفون دلالة الألفاظ ومعانيها لما قال لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) ماذا قالوا: ذكر الله -عز وجل- جوابهم في القرآن: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] من أين قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدً﴾ من أين أخذوا هذا؟ من كلمة "لا إله إلا الله" عرفوا أن "لا إله إلا الله" تنفي العبادة عن كل من سوى الله، تنفيها عن اللات، عن العزى، عن مناة، عن كل ما يعبد، وتثبت لله وحده ففهموا الكلمة فقال: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] وأخذوا يتواصون بينهم بأن يكون بينهم صبر على الآلهة وعبادة الآلهة وألا يدخلوا في هذا الدين الجديد ﴿وَانطَلَقَ

الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص: ٦] يعني: يراد بكم أمر فلا تنخدعوا ولا تنغروا ولا يخدعكم ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ إذن هم مجرد أن قال لهم النبي -عليه الصلاة والسلام-: (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) فهموا المعنى، أبو سفيان لما ذهب إلى الشام وسأله هرقل إلى أي شيء يدعوكم؟ ماذا قال سفيان؟ قال: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، من أين جاء بهذه الكلمة اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا؟ من لا إله إلا الله يسمعه يقول: (قولوا: لا إله إلا الله تفلحو) وفَهِمَ المعنى، فَفَهْم المعنى لابد منه حتى يكون الإنسان من أهل هذه الكلمة، فهْم مدلول هذه الكلمة، والعمل بها والصدق بقولها.

ثم قال: (ومن شهد أن محمدًا رسول الله) الشهادة لنبينا -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة.

عفوا يا شيخ هذا الحديث ينطبق على ما ذكرتم أن آيات التوحيد تكون في بداية الآية في بداية السياق، مصدرة في الآيات، نجد أنها كذلك هنا في التوحيد في بداية الحديث (من شهد أن لا إله إلا الله).

ما ذكرناه في القرآن أيضًا يأتي في أحاديث كثيرة، عندما يذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الأوامر يبدأ بالتوحيد (يا معاذ، إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) ثم ذكر الصلاة ثم الزكاة (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟) بدأ بالشرك بالله ثم ذكر عقوق والوالدين ثم ذكر شهادة الزور(اجتنبوا السبع الموبقات) أول ما بدأ ذكر الشرك ثم ذكر وهكذا، فدائما في الكتاب والسنة الأوامر والنواهي تبدأ النواهي بالتوحيد وتبدأ النواهي بالنهي عن الشرك.

(قال: (من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)) هنا الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة أرسل لأجل ماذا؟ حتى نعرف معنى الشهادة له بالرسالة؟ أرسل لماذا؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ ...﴾ أكملوا الآية ﴿ ... إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤] الرسل أرسلوا لأجل أن يطاعوا، إذن مقتضى الشهادة له بالرسالة طاعته؛ ولهذا قال الشيخ -رحمة الله عليه- في كتابه "الأصول الثلاثة": "شهادة أن لا إله إلا الله" طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فهذه شهادة أن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الطاعة، الأوامر تفعل النواهي تترك وتجتنب والأخبار تصدق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤]

لاحظوا معي هنا، قال: (ومن شهد أن محمدًا عبده ورسوله) ذكر أمرين نشهد لنبينا -صلى الله عليه وسلم- بهما العبودية والرسالة، وهو -صلوات الله وسلامه عليه- كمل مقام العبودية أكمل تتميم، وأيضًا كمل مقام الرسالة أكمل تتميم، ووفى -عليه الصلاة والسلام- بالعبودية وقام بها خير قيام، وأيضًا وفى بالرسالة فبلغ أكمل بلاغ -صلوات الله وسلامه عليه-.

(شهد أن محمدًا عبده ورسوله) هذه الشهادة له -عليه الصلاة والسلام- بالعبودية والرسالة تعطي الشاهد اعتدالا في هذا الباب، بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام: غالٍ وجافٍ ومتوسط، وخيار الأمور ماذا؟ أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها، فالذي يشهد بأنه عبد ورسول يكون معتدلا فيه، لاحظوا معي: من شهد أنه عبد هل العبد يُعْبَد؟! هل يصرف له شيء من العبادة؟! إذن ينتفي الغلو في إيمان الإنسان بأنه عبد إيمانه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿بَشَرٌ﴾ عبد ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ رسوله، فالذي يؤمن بأنه عبد، العبد لا يُعْبَد، الله المعبود، العبد لا يُعْبَد؛ لأن العبادة للمعبود وهو الله -سبحانه وتعالى- العبد لا يُعْبَد، لا يستحق شيء من العبادة، ولهذا يقول -عليه الصلاة والسلام- لابن عباس: (يا غلام، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) السؤال الاستعانة العبادة كلها لله -عز وجل- العبد لا يُعْبَد، فالذي يخل بهذا المقام مقام الإيمان والشهادة لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- رسول الله قد يغلو فيه، ويصرف له شيئا من العبادة مثل أن يقول: مددا يا رسول الله أو أغثني أو أدركني مثلما يفعل الكثير من الظلام، فهل هؤلاء

حققوا إيمانهم بأنه عبد؟ لو حققوا إيمانهم بأنه عبد لم يعطوه شيئا من حقوق الرب، حقوق الإله -سبحانه وتعالى-
.

إذن العبد لا يُعْبَد، فمن حقق مقام الإيمان بالعبودية بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد يسلم من جانب الغلو، ومن حقق الإيمان بأنه الرسول يسلم من جانب الجفاء، التهاون باتباعه، التهاون بمحبته، التهاون بطاعته، التهاون بالاقتداء به، التهاون بالسير على نهجه، هذا كله يأتي من ضعف تحقيق الإيمان برسالته -عليه الصلاة والسلام- الغلو، الذي يأتي عند طوائف من الناس يدخل عليهم من جهة عدم تحقيقهم الإيمان بعبوديته، فإذن الإيمان بأنه عبد الله ورسوله يعطي المؤمن اعتدالا ووسطية، الوسطية في شأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تنبع من إيمان المسلم بهذين الأمرين بالعبودية والرسالة "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

ثم قال: (وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله) أيضًا في عيسى -عليه السلام- لا إفراط ولا تفريط (عبد الله ورسوله) "عبد الله" هذا يبطل الغلو الذي وقع فيه النصارى في شأن نبي الله عيسى، ماذا قالوا؟ قالوا: ابن الله، قالوا: ثالث ثلاثة، وهذا غلو، هو عبد من عبيد الله وهو مخلوق لله -سبحانه وتعالى- خلقه الله وأوجده فهو عبد من عبيد الله فلا يقال في العبد أنه ابن لله أو ثالث ثلاثة أو غير ذلك من الضلالات التي يقولها النصارى.

(ورسوله) فيه رد على اليهود وأيضًا جميع الجفاة في حقه، اليهود -قاتلهم الله- قالوا: إنه ابن بغي والعياذ بالله، فهل يقال هذا في رسول من أولي العزم من الرسل؟ خيارٌ من أفاضل عباد الله هل يقال فيه هذا؟ هذا من الجفاء، ومقالة النصارى فيه من الغلو، والاعتدال في ماذا؟ في الوسطية.

جاء في بعض روايات الحديث: (من شهد أن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته) وهذا فيه رد على اليهود، الشاهد إذن لابد من الوسطية.

قال: (وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) عيسى كلمة الله، ما معنى عيسى كلمة الله؟ هل عيسى هو نفس الكلمة؟ لا ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] فعيسى بالكلمة كان، ليس عيسى -عليه السلام- هو الكلمة، ليس عيسى هو كلمة "كن" وإنما بالكلمة كان، وقيل: كلمة الله لأنه بالكلمة، فالمصدر إذا أضيف إلى الله قد يراد به الصفة وقد يراد به أثر الصفة وهذه فائدة، المصدر مثل "الرحمة" إذا أضيفت إلى الله تارة يراد بها الصفة وتارة يراد بها أثر الصفة وهذا يعلم من السياق، عندما نقول: المطر رحمة الله ما معنى قولنا رحمة الله؟ آثر الرحمة، هنا نقول: عيسى كلمة الله هل المراد أنه نفس الكلمة ولا أثر الكلمة؟ أثر الكلمة، إذن عيسى كلمة الله أي: أثر كلمة الله لأنه بالكلمة كان، قال الله كن فكان، فليس عيسى هو كلمة كن، ولكنه بالكن كان، قال الله كن فكان.

(كلمته ألقاها إلى مريم) لأن الله -عز وجل- أرسل جبريل إلى مريم ونفخ في ضرعها، ولهذا قال: ﴿وَرُوْحٌ مِنْهُ ﴾ روح من الأرواح المخلوقة التي خلقها الله -سبحانه وتعالى-.

(ألقاها إلى مريم) أرسل جبريل ونفخ في ضرعها وتكون عيسى -عليه السلام- من أم بلا أب، والله -عز وجل- قدير على كل شيء، فعيسى ولد وتكون في رحم مريم بدون أب، ولما حملت به اهتمت بالأمر وقالت ماذا؟ ماذا قالت مريم؟ ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣] وأتت به قومها تحمله وهي في غاية الهم من هذا الأمر؛ لأنها ماذا تقول؟ لأنه في مألوف الناس وفي معتادهم ومعروفهم فيما يعرفون أنه ما يمكن أن يكون حمل وهي غير متزوجة فالتهمت بالبغي، فهي حملت هما عظيمًا، فيشاء رب العالمين أن تكون الحجة والبيان بإنطاق عيسى وهو في المهد ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ تكملوا الآية؟ ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨] يعني: أنت من بيت صالح من أين جاءكي هذا الأمر؟ وهذا أيضًا فيه فائدة من صلاح البيت، صلاح البيت له أثر في صلاح

الأبناء، وتجد الابن يهتم لأسرته الصالحة لا يلطخهم بسمعة ولا يجر لهم رذيلة فقالوا لها: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴿٢٩﴾﴾ [مريم: ٢٨، ٢٩] الجواب تشير إلى الطفل الذي في المهد، والطفل الذي في المهد ما يتكلم، أيضًا هذا معروف أنه ما ينطق إلا فيما بعد، يتعلم الكلام تدريجيا وينطق تدريجيا ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، وقال هذا الطفل -عليه السلام- قال في مهده ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٠، ٣٢] ذكر أشياء نطقها في المهد، وهذه حجة ظاهرة، والله -عز وجل- أقام عليهم الحجة بنطق هذا، براءة لها، الشاهد أن عيسى نؤمن بأنه عبد الله ورسوله وكلمته على ما فهمنا قبل قليل .

(وروح ومنه) أي: من الأرواح التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- مثلما قال الله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: خلقا وإيجادا، فهو منه خلقا وإيجادا.

ثم قال: (وأن الجنة حق والنار حق) أيضًا آمن بالجنة وآمن بالنار، وهذا فيه أيضًا الإيمان بالثواب والجزاء ولقاء الله -عز وجل- وإثابته للمطيعين ومعاقبته للعاصين والاستعداد لهذا اليوم العظيم، من وجد فيه هذه الإيمان وهذه العقائد المباركة ما هي الثمرة؟ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وهذا الشاهد للترجمة، أن العقيدة والإيمان والتوحيد الصحيح والإيمان الخالص سبب لدخول الجنة.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)).

(ولهم) أي: البخاري ومسلم، لأن حديث عبادة بن الصامت، قال: أخرجاه، ثم عطف عليه قال: (ولهم) أي: البخاري ومسلم من حديث عتبان، عتبان بن مالك -رضي الله عنه- والحديث طويل لكن المؤلف اقتصر على ذكر الشاهد: ((إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) هذا الحديث يعطينا فائدة عظيمة وثمرة مباركة من ثمار التوحيد أن الموحد ماذا؟ محرم على النار، أن الموحد محرم على النار لأنه قال: ((إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله)) لكن هنا لابد أن نعرف وأن ننتبه، هل كل من يقول لا إله إلا الله يحرم على النار؟ أو لابد من تحقيق ضوابط هذه الكلمة وشروطها التي دل عليها كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- لاحظ هنا قال: ((من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) فإن قال: يبتغي بها وجه الله فأتى بها على الإخلاص وعلى الصدق وعلى إرادة الله -سبحانه وتعالى- بالعمل هذا الذي ينال ثواب هذه الكلمة؛ ولهذا أخذًا من هذا الحديث وأحاديث كثيرة في الباب قال العلماء: إن لا إله إلا الله لا تقبل من قائلها إلا بشروطها، لها شروط، وكلكم الآن يعلم أن الصلاة لا تقبل إلا بماذا؟ إلا بشروط، الحج لا يقبل إلا بشروط الزكاة لا تقبل..... ولهذا تقرأ كتب الأحكام كل عبادة يذكر الفقهاء والعلماء شروط قبول العبادة، فهل لا إله إلا الله تقبل هكذا، وإلا لابد أيضًا من شروط لها تكون بها مقبولة مثلها مثل أمور الدين الأخرى، نصوص الشرع نصوص الكتاب والسنة دلت على أن "لا إله إلا الله" لا تقبل من قائلها إلا بشروط سبعة، وكل شرط من هذه الشروط وردت عليه الدلائل الكثيرة من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

نختصر فيها، نذكرها سردا، وإلا أدلتها وشرحها فيحتاج إلى شيء من الوقت.

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل.

والثاني: اليقين المنافي للشك.

والثالث: الصدق المنافي للكذب.

والرابع: الإخلاص المنافي للشرك والرياء.

والخامس: المحبة المنافية للبغض والكره.

والسادس: الانقياد المنافي للترك.

والسابع: القبول المنافي للرفض.

كما قال الناظم.

وبشروط سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحي حقًا وردت

فإنه لا ينتفـــع قائهـــــا بالنطق إلا حيث يستكمله

العلم واليقين والقبول والانقياد فادرما أقـــول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبـــه

وتجدون هذه الأبيات مع شرح نافع لها في كتاب عظيم في بيان الإيمان والتوحيد كتاب معارج القبول للشيخ حافظ حكمي -رحمه الله- وهو كتاب من أنفع الكتب وأفيدها وفيه بسط للأدلة وشرح وجامع لأمور الإيمان كلها.

إذن حديث عتبان دل على فائدة من فوائد التوحيد وهي ماذا؟ التحريم على النار، إذن الآية الأولى دلت علـــى أن من ثمار التوحيد حصول الأمن والاهتداء، الحديث الأول دل على أنه من ثمار التوحيد دخول الجنة، حـــديث عتبان دل على أن من ثمار التوحيد تحريم دخول النار، لكن لابد من تحقيق لا إلـــه إلا الله بتحقيـــق شـــروطها وضوابطها في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

أحد العلماء جمع شروط لا إله إلا الله السبعة في بيت واحد، وهذا أتركه للإخوة المتابعين معنا، ما هو البيت الذي جمع فيه أحد أهل العلم الشروط السبعة كاملة؟ هو بيت واحد جمع هذه الشروط السبعة كاملة؟

قال المصنف -رحمه الله-: (وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله -صلى الله عليه وســـلم- قـــال: (قـــال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله فـــي كفـــة لمالت بهن لا إله إلا الله) رواه ابن حبان والحاكم وصححه).

وهذا الحديث أيضًا من الأحاديث العظيمة الدالة على فضل التوحيد وثمرة التوحيد العظيمة، وأنه أثقل شـــيء في الميزان، لو قيل لنا ما هي ثمرة التوحيد التي دل عليها هذا الحديث؟ ثمرة التوحيد التي دل عليها هذا الحديث أن التوحيد أثقل شيء في الميزان، ليس في الميزان شيء يوضع أثقل من التوحيد ومن كلمة التوحيد، وهذا عليه دلائل كثيرة منها هذا الحديث، حديث أبي سعيد: (أن موسى -عليه السلام- قال: يا رب علمني شـــيئًا أذكـــرك وأدعوك به)) ماذا يريد الآن؟ يريد شيئًا يكون جامعا لجانبي الذكر والدعاء ((قال له الله: قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذ)) أهل التوحيد وأهل العبادة يرددون هذ الكلمة، وهذه الكلمة ترد من بدء وجود عباد الله وخلق الله لهم نشأوا على هذه الكلمة ثم حصل فساد وحصل خلل فأرسل الله الرسل حتى يعود النـــاس إلـــى التوحيد وإلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

((قال: كل عبادك يقولون هذ)) ماذا يريد؟ كأنه يريد شيئًا يتميز به، كأنه يريد شيئًا يختص به، فبين الله –عز وجل– فضل هذه الكلمة؛ ولهذا من فوائد هذه الكلمة أن التنبيه لفضل التوحيد يحتاج إليه كل أحد، التنبيه لفضل كلمة التوحيد يحتاج إليه كل أحد، فبين الله له فضل هذه الكلمة ((قال: يا موسى، لو أن لا إله إلا الله وضعت في كفة، والسماوات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري وضعن في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله)) أي لثقلت بهن لا إله إلا الله، لاحظ السماوات السبع والأرضون السبع لو توضع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لثقلت لا إله إلا الله بالسماوات والأراضين هذا يدل على ثقل هذه الكلمة في الميزان. بل جاء في حديث عبد الله بن عمر في المسند وهو بسند ثابت: (أن نوحا –عليه السلام– قال لابنه: يا بني، آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات والسبع والأراضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله ولو كانت السماوات السبع والأراضون السبع حلقة مفرغة لقصمتهن لا إله إلا الله).

إذن هذه فضلة مستفادة من هذا الحديث ويشهد له حديث عبد الله بن عمر الذي أشرت إليه وهي أن لا إله إلا الله أثقل شيء في الميزان.

فضيلة الشيخ إذا تأذن لنا أن نستعرض الأجوبة التي وصلتنا من الإخوة.

هذا الأخ الكريم من فرنسا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الجواب:

سميت العقوبة عذابا لأن كلمة العذاب أعم من العقوبة، والأعم لا يستلزم الأخص، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (السفر قطعة من العذاب).

الإجابة تقريبًا مختصرة.

بالنسبة لإجابة السؤال الثاني

توجد إجابة أخرى؟

سميت العقوبة عذابا –هذا من الأخت الكريمة من السعودية– لأنها تمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه وتمنع غيره من مثل فعله.

جميل هذا هو الجواب.

نعيده يا شيخ، لأنها تمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه وتمنع غيره من مثل فعله

لأن أصل المعنى المنع، فسميت العقوبة عذابا لأنها تمنع المعاقب نفسه عن معاودة الجرم وأيضًا تتمع غيره من فعله لأنه إذا رأى المعذب اعتبر بتعذيبه فامتنع فلهذا سمي العذاب عذابا.

إجابة السؤال الثاني في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] تدل على أن التوحيد هو الغاية التي خلق الناس عليها.

الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] تدل على الغاية والحكمة من بعثة الرسل هو عبادة الله وتوحيده.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] تدل على أن التوحيد من أعظم وصايا الله لعباده.

رابعًا: وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] تدل على أن من أعظم الحقوق وأجلها التوحيد والبعد عن الشرك.

خامسًا: وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] تدل على أن أعظم شيء نهى الله عنه الشرك وتدل بالاقتضاء عن الأمر بالتوحيد.

سادسًا: الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- يدل على فقه الصحابة وابن مسعود وأن في الآية الواردة في الحديث أن ما وصى به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ربه هو التوحيد.

وسابعا وأخيرا: وفي الحديث عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- يدل على بيان مكانة التوحيد وأنه حق الله على عباده.

الجواب ممتاز لكن هناك ملاحظة على ثالثا ورابعا، لما قال: من أعظم الوصايا، وقال من أعظم الحقوق، قال التوحيد من أعظم الوصايا، وفي آية الحقوق قال: إن التوحيد من أعظم الحقوق، "من" هنا لا حاجة إليها لأنها تضعف المعنى، لأن "من" تأتي للتبعيض فإذا قيل: "إنه من أعظم الحقوق" فقد يفهم هذا أن هناك أشياءً تشترك معه، فالصواب مثلما قال في خامسًا، قال إيش؟

أعظم شيء

أعظم شيء، فهناك أيضًا لا حاجة أن يقول: من أعظم الوصايا، وفي رابعًا يقول: أعظم الحقوق.

نكمل يا شيخ الحديث الآخير في هذا الباب؟

نعم، بقي معنا حديث واحد.

قال المصنف -رحمه الله-: (وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة))

هذا الحديث حديث قدسي، والحديث القدسي هو الذي يضيفه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الله، فهو من كلام الله لفظه ومعناه، والجزء الذي أورده المصنف -رحمه الله- هو جزء من حديث فيه ثلاث جمل، كلها جامعة لأسباب المغفرة، لأعظم أسباب المغفرة، فاقتصر المصنف -رحمه الله- على الشاهد من الحديث وإلا الحديث بتمامه يقول الله تعالى: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة) والشاهد للباب هو هذه الجملة، فاكتفى الشيخ -رحمه الله- بذكرها.

وهذه الجملة من الحديث القدسي تدل على فضيلة التوحيد وأنه من أعظم أسباب وموجبات غفران الذنوب (لو أتيتني بقراب الأرض) وقراب الأرض أي: ملؤها أو ما يقارب ملأها (خطاي) أي: ذنوب، (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئً) ولاحظ هذا القيد العظيم، فقوله: (لا تشرك بي شيئً) فـ"شيئا" نكرة في سياق النفي فهي تعم، أي: لا

تشرك بي أي شيء من الشرك لا قليلا ولا كثيرا لا صغيرا ولا كبيرا، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا غفر الله له ذنوبه، فهذا فيه شاهد لقول المصنف -رحمه الله- (وما يكفر من الذنوب) أي تكفير التوحيد للذنوب والحديث شاهد على ذلك، ولعلنا نكتفي بهذا القدر ونسأل الله -جل وعلا- أن يوفقنا للعلم النافع، وأن يعيننا على العمل الصالح، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب قريب.

شيخنا الكريم بعض الأحيان قد يكون هناك إشكال فيما هو متعلق بالشروط التي بـ"لا إله إلا الله" هناك شروط عامة ذكرتموها يا شيخ التي هي عبارة عن العلم والعمل والصدق، وهناك الشروط السبعة هل هناك فرق بينهما؟

الآن لو لاحظت معي جميع الثلاثة هي من الشروط السبعة، جميع الثلاثة هي العلم، قلنا هناك العلم وفي الشروط السبعة العلم ، والصدق وفي الشروط السبعة الصدق، والعمل في الشروط السبعة اليقين، فهذه الثلاثة كلها داخلة في شروط لا إله إلا الله لكن هناك تفصيلا واستيعابا للشروط على وجه التفصيل.

يقول: لأن الشرك سبب لموت القلب والحياة الضنك وعدم الراحة النفسية، لذلك سماه الرسول عذابا يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] هذه كانت مشاركة فيما يتعلق بمعنى العذاب.

على كل حال المشاركة التي مرت كانت جيدة في معنى العذاب.

الأخ الكريم يقول: لماذا اختص عيسى دون غيره من الخلق بينما قال بنو إسرائيل عن عزير: إنه ابن الله؟

عيسى كثر فيه الخلط واللغط والغلط، وأيضًا الجانبين جانب الغلو في عيسى وجانب الجفاء، واشتهر كلام النصارى واشتهر كلام اليهود وأولئك غلاة وهؤلاء جفاة، وأهل الكتاب أيضًا بقسميهم اليهود والنصارى كل منهم يدعي أنه على حق وأنه مصيب، لكن هؤلاء غلاة وهؤلاء جفاة، والحق قوام بين ذلك، ووسط بين ضلالتيْ أولئك؛ ولهذا خص بالذكر لكثرة الغلط فيه، وإلا فالاعتدال مطلوب مع عيسى ومع عزير ومع موسى ومع كل أنبياء الله ورسله، الاعتدال مطلوب، والتخصيص على عيسى أنه لهذا السبب، أنه كثر الغلط فيه غلوا وجفاءً، غلوا عند النصارى وجفاءً عند اليهود.

أيضًا تحذيرا للأمة أن يسلكوا في نبيهم مسلك أولئك وأن يحذروا غاية الحذر، وقد نبيه النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض الأحاديث أن التشبه بهؤلاء سيوجد: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، ذراعا ذرعا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن)، فلهذا التنصيص على عيسى له حاجة، وإلا فالاعتدال مطلوب في حق كل الأنبياء؛ بل مطلوب في جميع أمور الدين.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: أريد السؤال عن حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- ولقد وقفت في بحثي على ضعف هذه الرواية كما ضعفها الشيخ الألباني -رحمه الله- وغيره من أهل العلم؛ لأن في سند الحديث الدراج بن سمح وروايته عن أبي الهيثم ضعيفة، ولذلك أريد يا شيخ التنبيه عن هذا الحديث، وكذلك عن الحديث الذي قبله في الباب الأول وهو أثر لابن مسعود -رضي الله عنه-: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد) إلى آخر الحديث، المحفوظ عند الترمذي (من سره أن ينظر إلى الصيحة التي عليها خاتم محمد -صلى الله عليه وسلم-) كذلك ضعفه الطبراني-رحمه الله- وضعفه الألباني فما توجيه هذين الحديثين وبارك الله فيكم؟

بالنسبة للحديث حديث أبي سعيد في أثناء الشرح لعل أخانا الكريم تنبه لما ذكرته من شاهد لهذا الحديث وهو حديث عبد الله بن عمر في مسند الإمام أحمد وسنده جيد وهو شاهد للحديث، أو شاهد لموضع الشاهد من الحديث والأمر في ذلك واضح؛ لأن في حديث أبي سعيد قال: (قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع والأرضين السبع

وعامرهن غيري وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن أو لثقلت بهن لا إله إلا الله) وفي حديث عبد الله بن عمرو وهو مسند الإمام أحمد وسنده جيد: قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن نوحا قال لابنه: يـا بنـي، آمرك بلا إله إلا الله، ثم قال: فإنها لو وضعت في كفة والسماوات السبع والأراضون السبع لثقلت بهن لا إله إلا الله) وهذا سنده جيد، فهو يشهد للشاهد في حديث أبي سعيد ولا إشكال، يعني: ما ذكره الشيخ -رحمه الله- ثابت بهذا الشاهد وما ذكره في الكلام على رواية أبي السمح بن راجي بن سمعان عن أبي الهيثم معروف الكلام فـي هذا، لكن الحديث ثابت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أو موضع الشاهد ثابت عن النبي -صـلى الله عليـه وسلم- بهذا الشاهد، وأيضًا هناك شواهد أخرى عامة مثل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الطويل (يـصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة) إلى آخر الحديث هذا يدل على ثقل كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" في الميزان وهذا الذي أراده المصنف في عده للفضائل؛ ولهذا ابن رجب وآخرون من أهل العلـم أوردوا هـذا الحديث مستشهدين به على ثقل هذه الكلمة في الميزان، وأثر ابن مسعود -رضي الله عنه- هـو أثـر يوضـح المعنى ويوضح المكانة، واللفظ الذي ذكره المصنف -رحمه الله- ثابت لا إشكال فيه، ومعناه أيضًا واضح في أن هذه وصية عظيمة ثابتة في كتاب الله التي هي الوصايا العشر العظام، هي ثابتة في كتاب الله والنبي -صلى الله عليه وسلم- لما أوصى أوصى بكتاب الله وذكرت أيضًا فيما سبق قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله) وهذه الوصايا العشر هي أعظم الوصايا وأجلها كما سبق التنبيه على ذلك فالأمر لا إشكال فيه.

الأخ الكريم من نجران يقول: هناك من ينكر على بعض طلبة العلم إذا شرح حديث معاذ ابن جبل -رضي الله عنه- وخاصة في مجالس العامة بحجة أنه يؤدي إلى التكاسل والابتعاد عن الطاعات والتهاون فما رأيكم فضيلة الشيخ في ذلك؟

حديث معاذ، معاذ -رضي الله عنه- أوصاه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن لا يخبر الناس قال: (ألا أبـشر الناس؟ فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا تبشرهم فيتكلو) إذن الخوف من الاتكال موجود، والنبي -صلى الله عليه وسلم- خاف على أمته من الاتكال على هذه البشارة.

إذن أدركنا من الحديث هذه البشارة العظيمة وأدركنا أيضًا من الحديث عدم الاتكال، فـإذن نأخـذ الحـديث بمجموع دلالته، فيبقى أن الصواب أن الحديث يبلغ للناس ويفهمون معناه وأيضًا ينبهون على البعد عن الاتكـال على هذا الأمر بذكر آيات الوعيد والتخويف حتى يجمع الإنسان بين الرجاء والخوف، ففـضائل التوحيـد هـذه عظيمة وعلى بابها وعلى متمها، لكن من آمن بهذه الفضائل لا يجعله إيمانه يكون متواكلا أو متكاسلا أو متوانيا؛ بل يدفعه هذا الإيمان إلى العمل، فإذن لا يترك بيان هذا العلم ولا أيضا يفتح الباب للاتكال بل الناس يحتـاجون إلى هذا وهذا، فالناس تحتاج الآن إلى شرح التوحيد وبيانه وعد فضائله حتى يحققـوا هـذا التوحيـد ويكملـوه ويبتعدوا عن مفسداتهم ونواقضه، وأيضًا في الوقت نفسه ينبه الناس على أهمية العمل وضرورة العمل والحـذر من فعل الموبقات التي تنقص كمال التوحيد الواجب.

الأخ الكريم من الكويت يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحسن الله إليكم يا شيخ، قـال الله تعـالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] فما الفرق بينهما؟

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هذه الآية جاءت في سياق ذكر المصطفين من عباد الله قـال الله -عـز وجل-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَ﴾ فذكر أن المصطفين ثلاثة أصناف: قال: ﴿فَمِـنْهُمْ ظَـالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢: ٣٣] من هم؟ الثلاثة، الواو تشمل الثلاثة: تشمل الظالم، وتشمل المقتصد، وتشمل السابق بالخيرات، لكن كما قال أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمة في كتابه الإيمان: المقتصد والسابق بالخيرات يدخلون الجنة

دخوليا أوليا، يعني: بدون حساب ولا عذاب، لأن المقصد هو من فعل الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو الذي فعل الواجب والمستحب وترك المحرم وأيضًا حذر وجانب المكروه وسابق في الخيرات، فهذا الذي هو المقتصد والسابق بالخيرات كل منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب، والظالم نفسه أيضًا يدخل الجنة لكن قد يمر بمرحلة تطهير وتنقية فيدخل النار لا ليخلد فيها وإنما ليطهر فيها من ذنوبه ثم مثل ما قال -عليه الصلاة والسلام-: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، يصيبه قبل ذلك ما يصيبه) فإذن الظالم لنفسه هنا هو من المصطفين، وهو من عباد الله، وهو من أهل الجنة، والمراد بالظلم هنا ما هو؟ المعاصي، ظلم النفس بالمعاصي؛ ولهذا لو أكملنا السياق لما ذكر الله الأقسام الثلاثة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ذكر بعدهم قسيم هؤلاء الثلاثة وهو الكافر فماذا قال؟ قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧] إذن "الظالمين" هنا المراد بالظلم الشرك والكفر، والمراد بالظلم هناك المعاصي، ذاك صاحب الظلم المعاصي مآله إلى الجنة قد يدخل النار لتطهيره وتنقيته أماالظالم لنفسه ظلم الكفر والشرك بالله فإنه إذا لقي الله بهذا الكفر وهذا الشرك فمآله ماذا؟ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَ﴾ [فاطر: ٣٦] يخلد في النار ولا يطمع في مغفرة الله ولا رحمته ولا عفوه لا مطمع له؛ بل هو مخلد في النار أبد الآبدين، أما إذا كان ظلما للنفس كما في السياق الأول فهذا مآله إلى الجنة، لكن قد يمر بمرحلة تطهير وتنقيه.

ما المقصود بالشرك في الحديث القدسي: (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئ)؟

الشرك في هذا الحديث هو الشرك الذي مر بيانه في لقائنا السابق، وأن المراد بالشرك تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه -سبحانه وتعالى- فمن سوى غير الله بالله فهو المشرك ولا حظ له ولا نصيب من المغفرة.

وقلت هنا أن "شيئا" جاءت نكرة في سياق النفي، والقاعدة أنها إذا جاءت في سياق النفي أو النهي تعم، فيكون المراد بقوله: (لا يشرك بي شيئً) أي: أي شيء لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير؛ لأن الشرك منه أيضًا أكبر وأصغر، الأكبر ينقض الإيمان من أصله، والأصغر ينقص كمال الإيمان الواجب، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا لقيه الله -عز وجل- بقراب الأرض مغفرة، وهذا يدل على عظم فضل التوحيد في تكفير الذنوب، وهو عنوان الترجمة عند المصنف -رحمه الله-.

ذكرتم في تفسير آية كلمة وروح منه ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] بأن كلمة روح روح من أرواح الله، إذا كان هكذا لماذا خصه الله في هذه الآية؟

خصه لأن التخصيص في مثل هذه الحال يدل على التشريف، ويأتي التخصيص لكثير من عباد الله بإضافتهم إلى الله تشريفا لهم وتعلية لقدرهم، فالإضافة هنا تدل على شرف عيسى وفضله ومكانته ولهذا قال ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وإلا فجميع الأرواح من الله خلقا، جميع الأرواح من الله خلقا فلما أضاف الروح إليه سبحانه قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فهو منه خلقا، وهنا ينبغي أن نعلم قاعدة لأهل العلم أن ما يقال فيه "منه" مضافة إلى الله من الله على نوعين:

نوع يقال "منه" أي خلقا كقوله -سبحانه وتعالى- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] ما معنى "منه" هنا؟ أي خلقا، ومن هذا القبيل قوله في هذا الحديث ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فهو منه خلقا، لكن خصه بالذكر تشريفا له وتعلية لقدرة، وأيضًا لإبطال المقالة الباطلة التي قيلت في حقه وهي أنه ابن لله، فهذا فيه إبطال له لكن تخصيص الإضافة هنا لتشريفه وتعلية قدره.

والنوع الثاني: فيما يقال فيه "منه" منه وصفًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [السجدة: ٢] الكتاب من رب العالمين ماذا وصفًا لأن القرآن كلام الله وهو منه وصفًا لا خلقًا، والذي أيضًا يتضح به الأمر تأمل السياق ومعرفة المعنى والدلالة.

أيضًا ما يقال فيه "ذو" مضافة إلى الله -سبحانه وتعالى- مثلًا ذو العرش، هذا وصف أم خلق؟ العرش ما شأنه؟ مخلوق، ومر معنا ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨] هل ذو القوة مثل ذو العرش؟ العرش خلق والقوة وصف، وكلها قيل فيها ذو ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ﴿ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] هذه كلها وصف لكن قولنا: "ذو العرش" العرش مخلوق من مخلوقات الله، وأيضًا مثلها الإضافة: سمع الله، بصر الله، علم الله، هذه صفات و"بيت الله" و"عبد الله" و"أمة الله" هذه مخلوقات، لابد لأنه إذا لم يفرق يجعل البابين بابا واحدًا فيقع الإنسان في الضلال والله أعلم.

شيخنا الكريم لعلكم تذكرون سؤالي هذا الدرس المبارك؟

السؤال الأول: سبق أن مر معنا وهو ذكر بيت واحد يجمع هذه الشروط السبعة.

السؤال الثاني: أريد لكل شرط من هذه الشروط دليلًا إما من القرآن أو من السنة؟ فعندنا الآن سؤالان كلاهما عن لا إله إلا الله وعن شروطها.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،

فنحمد الله -جل وعلا- على نعمة الإسلام ونعمة الهداية لهذا الدين- ونحمده -تبارك وتعالى- على تيسيره لهذه اللقاءات التي نسأل الله -جل وعلا- أن يعم خيرها، وأن يعظم نفعها، وأن تزيد بركتها، وأن يتقبل من الجميع بقبول حسن إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب.

أيها الإخوة، إننا ندرس كتابا عظيما ومؤلفا مباركا أُلف في أعظم الأمور، وأجل المقاصد، وأنبل الغايات ألا وهو توحيد الله -جل وعلا- ونحن لا زلنا في بدايات هذا الكتاب وفي أبوابه الأولى، حيث سبق أن أخذنا ما يتعلق بفضل التوحيد ومكانته وعظيم شأنه، وأيضا سبق أن أخذنا في دروسنا الماضية ثمار التوحيد وآثار التوحيد المباركة على أهله مع مقدمات أخرى مرت معنا في لقاءاتنا السابقة.

وهنا في درس اليوم نبدأ مع مؤلفنا -رحمه الله تعالى- ومؤلَّفه القيم "كتاب التوحيد" في باب عظيم مبارك من أبواب هذا الكتاب ألا وهو باب "من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب" وهذا الباب المبارك يأتي ضمن ترتيب دقيق علمي جاء في هذا المصنف المبارك، فالمؤلف أول ما بدأ تحدث عن مكانة التوحيد، ثم بدأ يعدد فضائل التوحيد، ثم أتى هنا -رحمه الله تعالى- لبيان تحقيق التوحيد.

وتحقيق التوحيد درجة عالية ومنزلة رفيعة يأتي الحديث عنها في هذه الأبواب، وفي ضمن أيضا الآيات والدلائل التي أوردها المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الباب العظيم، فنبدأ لقاءنا ونستمع إلى أخينا الفاضل بارك الله فيه ليبدأ معنا بمستهل هذا الباب:

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب من حقق التوحيد دخل الجنة وقول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]).

بدأ المصنف كما هي عادته -رحمه الله تعالى- بوضع عنوان للترجمة، والعنوان يدل على المضمون، وتحت هذا العنوان تأتي الأدلة عليه والشواهد من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

عنوان الترجمة "من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب" أي: ولا عذاب، و"مَن" هذه شرطية تحتاج إلى فعل وجواب، فعلها "حقق" وجوابها "دخل الجنة" فمن حقق التوحيد ثمرة تحقيقه له ونتيجة تحقيقه له أن يدخل الجنة بلا حساب أي: دخولا أوليا، لا يمر قبل دخوله بمرحلة تعذيب، و أيضا لا يمر قبل دخوله بمرحلة محاسبة، وإنما يدخل الجنة بدون حساب.

وهذه رتبة علية، ومنزلة رفيعة، ومكانة سامقة يمن الله تعالى بها على محققي التوحيد، فيوم القيامة يدخلهم جنته بلا حساب، وينجيهم من النار، فلا ينالهم عذابها، ولا يمسهم شيء منها، وإنما يدخلون جنة النعيم دخولا أوليا بدون حساب ولا عذاب، وهذه منة عظمية، وعطية جليلة يمن الله -سبحانه وتعالى- على محققي التوحيد.

والمؤمن الموفق عندما يبلغه هذا الأمر ويعي هذه الحقيقة لا شك أن قلبه مهما كان سيتحرك شوقا وطمعا ورغبة في أن يكون من هؤلاء الذين مآلهم يوم القيامة دخول جنة النعيم من دون حساب ولا عذاب.

ولهذا يأتي التساؤل الكبير المهم في لقائنا وهو ما هي الصفات محققي التوحيد؟ ما هي حليتهم؟ ما هي علامتهم؟ يبحث المؤمن الموفق عن صفات هؤلاء، وعن نعوت هؤلاء؛ حتى يتحلى بها، ويتصف بها، ويكون من أهلها، يسأل: من هم المحققون للتوحيد؟ وما هي صفاتهم؟ وما هي علاماتهم؟ ليتحرك قلبه شوقا في الاتساء بهم، والاقتداء بهم، وهذا الباب المبارك هو في الحقيقة عون للمؤمن أن يعي هذه الحقيقة، وأن يجاهد نفسه في تتميمها وتكميلها.

"مَن حقق التوحيد" "حقق التوحيد" هذه كما قلت درجة عالية في الإتيان بالتوحيد؛ لأن من يأتي أومن يأتون بالتوحيد من أهل ليسوا على درجة واحدة، ليسوا على رتبة واحدة؛ بل هم متفاوتون، وخير أهل التوحيد محققوه، من حققوا التوحيد، فتحقيق التوحيد هذه منزلة زائدة، أو منزلة عالية تزيد على مجرد الإتيان بالتوحيد؛ بل هي إتيان بالتوحيد مع تتميم وتكميل.

وتحقيق التوحد هذه الكلمة تعني الإتيان به على حقيقته وافيا تاما كاملا غير منقوص، وإنما يأتي به تاما كاملا، ومصفى منقى من الشوائب ومن النواقص؛ ولهذا قال أهل العلم في شرح هذا الباب من كتاب التوحيد قالوا: تحقيق التوحيد هو تصفيته وتنقيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. ولاحظوا هذه الأمور الثلاثة التي لابد من الحذر منها والبعد عنها حتى يبلغ المسلم درجة تحقيق التوحيد: الشرك والبدع والمعاصي هذه الثلاثة يسميها العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه "الفوائد" يسميها: "العوائق" لماذا؟ لأنها تعوق القلب وتعوق المؤمن في سيره إلى الله والدار الآخرة، عقبات في الطريق، عوائق في الطريق يحتاج أن يحترز منها، وأن يحذر من الوقوع فيها: الشرك والبدعة والمعصية. يقول: وعائق الشرك يزول بتجريد التوحيد لله، وعائق البدعة يزول بتجريد المتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعائق المعصية يزول بالبعد على المعاصي وعدم الإصرار عليها والتوبة منها.

فهذا هو تحقيق التوحيد، تحقيق التوحيد بأن يأتي به المؤمن تاما وافيا غير منقوص، لا شائبة فيه توهنه وتضعفه.

وينبغي أن نعلم هنا أن أهل التوحيد في التوحيد على ثلاثة مراتب، جاءت هذه المراتب الثلاثة مبينة في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فاطر: ٣٢] لاحظ معي ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ كم مرتبة؟ ثلاث مراتب: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، السابق بالخيرات والمقتصد هذان كل منهما محقق للتوحيد، وأهل العلم يقولون: إن تحقيق التوحيد على درجتين؛ تحقيق واجب، وتحقيق مستحب، التحقيق المستحب هو الذي إليه الإشارة في قوله في هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ والتحقيق الواجب إليه الإشارة في هذه الآية في قوله: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وكل من المقتصد والسابق بالخيرات محقق للتوحيد، لكنهم في تحقيقهم له على رتبتين: المقتصد محقق له التحقيق الواجب، والسابق بالخيرات محقق له إضافة إلى التحقيق الواجب التحقيق المستحب.

ولهذا من النافع للمسلم أن يطالع كلام أهل العلم وأقاويل المفسرين في تفسير هذه الآية حتى يعلم من السابق بالخيرات ومن المقتصد، والمقتصد هو الذي فعل الواجب وترك المحرم، الواجبات التي أوجبها الله عليه يفعلها، والمحرمات التي حرمها الله عليه يتركها، والسابق بالخيرات زاد على ذلك بفعل المستحبات والمنافسة في فعل الخيرات والرغائب، وكل من المقتصد والسابق بالخيرات يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب كما ذكر ذلك أهل العلم.

كل منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب لماذا؟ لأن المقتصد فعل ما يوجب عليه، وترك ما يحرم عليه، فلا يحاسب ولا يعذب، والسابق بالخيرات زاد على هذا القدر بفعل الرغائب والمستحبات.

فإذن هذان المقتصد والسابق بالخيرات كل منهما محقق للتوحيد، لكن تحقيق التوحيد على درجتين: درجة المقتصد وهي فعل الواجب وترك المحرم، ودرجة السابق بالخيرات وهي الزيادة على هذا بفعل الرغائب والمستحبات.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ الظالم لنفسه ظلم نفسه بماذا؟ ظلمها بماذا بالشرك أو بالمعصية؟ بالمعصية لأنه لو ظلمها بالشرك لكان كافرا، ولم يكن من المصطفين والآية الحديث فيها عن المصطفين لأنه قال ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَ﴾ الكافر ليس من المصطفين.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: بالمعصية، الذي ظلم نفسه بالمعصية أو بأمر دون الكفر ودون الشرك هل يعد من محققي التوحيد الذين لا يحاسبون ولا يعذبون أو لا يعد منهم؟ لا يعد من محققي التوحيد الذين لا يحاسبون ولا يعذبون؛ لأنه عنده ذنوب دون الشرك ودون الكفر يستحق بموجبها عذابا، وإن عُذب فهل يعذب يوم القيامة عذاب الكافر الذي هو التخليد الأبدي أو أنه يعذب على قدر جرمه وعلى قدر ذنبه ليتطهر ويتنقى ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجنة؟ ولهذا لو سألتكم الظالم لنفسه هل يدخل الجنة أو لا يدخلها؟ الظالم لنفسه بالمعاصي؟ يدخلها لأن الله -سبحانه وتعالى- قال بعد هذه الآية ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ من هم؟ الثلاثة لكن قلنا: السابق بالخيرات والمقتصد دخولا أوليا بدون حساب ولا عذاب، والظالم لنفسه عرضة للحساب والعقاب؛ لأنه نقص من إيمانه ولم يأت بمطل أو محبط لإيمانه.

أعود مرة ثانية وأقول ما ذكر أهل العلم أن تحقيق التوحيد هو تصفيته وتنقيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ولكي يسلم المسلم من الشرك يخلص العبادة لله، ويبرأ من الشرك ويبتعد عنه، وإذا أراد السلامة من البدعة عليه باتباع السنة، وإذا أراد السلامة من المعاصي يحاذر من الوقوع فيها، وإن وقع في شيء منها بادر إلى التوبة ولم يصر على ذنبه، فإذا كان بهذه الصفة يكون بإذن الله تعالى من محققي التوحيد الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

بدأ المصنف رحمى الله عليه يستدل لهذا الباب فذكرالدليل الأول وهو قول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بين يدي هذه الآية أنقل لكم فائدة لطيفة جدا من كلام المصنف -رحمه الله تعالى- في بعض رسائله يقول المصنف: التوحيد يدل عليه الكتاب والسنة والأئمة والعقل. ما معنى "يدل عليه الأئمة"؟ هذه فائدة مهمة جدا والناس يحتاجون للانتباه إليها، مامعنى "يدل عليه الأئمة"؟ جرت عادة الناس ميلهم إلى أكابرهم ولا سيما من يعرف منهم بعلم، فمن يعرف منهم بعلم جرت عادة الناس مجاراته ومتابعته والسير على منهاجه، انظروا في أقطار الدنيا عوام الناس سوءا كانوا على حق أو على ضلال لهم فيها ماذا؟ لهم فيها إمام، ولو فتشت في عقائدهم أو في أعمالهم أو في تصرفاتهم أو أذكارهم تجد من ورائها ماذا؟ إماما، فإن كان إمام خير فهو قدوة ولهم في الخير، وإن كان إمام شر -والعياذ بالله- كان قدوة لهم في الشر، وسيأتي معنا عند المصنف قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) فالشيخ -رحمه الله تعالى- يقول: من أدلة التوحيد الأئمة؛ لأن النفوس كما قلت تميل إلى متابعتهم، هنا يأتي سؤال: إذا كان من الأدلة الأئمة فمن هم الأئمة؟ اقرأ الآية ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هل هناك خير في الإمامة من الأنبياء؟ الله -جل وعلا- قال﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] فإذا كان أراد إماما فإمام الأئمة وقدوة الموحدين إبراهيم الخليل ونبينا -عليه الصلاة والسلام- وأنبياء الله ورسله الكرام، فإذا كانت القضية قضية أئمة فلنتبع من؟ الأنبياء ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١] لا يليق بإنسان عاقل أن يترك الائتمام بالمرسلين ويأتم بأناس ضالين.

فإذن من دلائل التوحيد الأئمة، وإذا نظرت في الأئمة الذين هم قدوة فعلا تجد دعوتهم دعوة إلى ماذا؟ إلى التوحيد.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ الله -عز وجل- وصف إبراهيم بأنه أمة مع أنه شخص واحد ووصفه بأنه أمة؛ ولهذا فصاحب الحق لا يستوحش ولو كان وحده على الحق فهو أمة، ولو كان وحده، فالله -جل وعلا- وصف إبراهيم بأنه كان أمة قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ومعنى "أمة" لها معانٍ لكن معناها هنا أي: إماما وقدوة في الخير، فإذا أردت القدوة في الخير والإمامة فعليك بأنبياء الله ورسله -عليهم صلاة الله وسلامه- ولهذا دعانا الله إلىهذا في القرآن قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] قيل في معنى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: الأنبياء والذين معه.

إذن هذه الصفة والأولى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: إمام في الخير ﴿قَانِتاً﴾ أي: مداوما على طاعة الله، والقنوت هو المداومة على الطاعة ﴿حَنِيفاً﴾ الحنيف هو المائل، مائل عن الشرك، مائل عن الضلال، مائل عن الباطل إلى الحق والهدى فوصف إبراهيم بصفتين: صفة ثبوتية وصفة سلبية، بإثبات ونفي الإثبات في قوله: ﴿قَانِتاً﴾ مداوما على طاعة الله، والنفي في قوله: ﴿حَنِيفاً﴾ مائلا مبتعدا عن الشرك وعن الضلال وعن البعد، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وإبراهيم من محققي التوحيد؛ بل من أئمة محققي التوحيد، فإذن هذ الصفات المذكورة في الآية هي صفات محققي التوحيد، أن يكون الإنسان إماما في الخير، بعيدا عن سفساف الأمور ورديئها، وأيضا قانتا ومداوما على طاعة الله وحنيفا مائلا عن المعاصي وعن الذنوب وعن ما يسخط الله وعن الشرك ويأتي في مقدمة ما يكون الإنسان حنيفاعنه ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البعد عن الشرك كله دقيقه وجليه فهذه الصفات أربع ذكرها الله -عز وجل- لنبيه وخليله إبراهيم الخليل -عليه السلام- والشاهد منها للترجمة ظاهر كما تقدم.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩]

وهذه الآية الثانية التي أوردها الإمام -رحمه الله تعالى- ويسبقها -وهي في سورة المؤمنون- قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥٧: ٦١] لاحظ هذه الصفات في هذه الآيات الأربعة:

أولا: وقد جاء الترتيب فيها بديعا بحسب حالها أولا: أول ما يكون في الإنسان الخوف والشفقة من خشية الله، فإذا وجد فيه خوف جاءه الإيمان ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ فإذا وجد الإيمان تبعه بُعد الإنسان ومحاذرته مما يخل به ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ فإذا وجدت هذه الثلاثة يتبعها حفظ الإنسان لها بسؤال الله القبول ورجاء القبول ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: يقدمون ما يقدمون من طاعات وعبادات وقلوبهم خائفة ومشفقة من أن لا يقبل منهم، وبهذا جاء تفسير الآية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في المسند وغيره في قصة سؤال عائشة للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن معنى الآية.

الآية هنا فيها ذكر صفة عظيمة لمحققي التوحيد وهي التي اقتصر المصنف على إيرادها لمناسبتها للترجمة وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ فمن صفات محققي التوحيد بل من أبرزها وأجلها وأساسها البعد عن الشرك كله دقيقه وجليله صغيره وكبيره ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ في بعدهم عن الشرك كله.

ومناسبة الآية للترجمة واضحة لأن تحقيق التوحيد لا يكون إلا بالبعد عن الشرك كله، فإذا وقع في شرك أكبر انهدم الإيمان كله، وإذا وقع في شرك أصغر انتقص توحيده بحسب ما وقع فيه.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ الشاهد من الآية أن من صفات محققي التوحيد بل أعظمها وأساسها البعد عن الشرك.

لما انتهى المصنف من الآيتين شرع في ذكر الدليل من السنة:

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وماحدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال: (لا رقية إلا من عين أو حمى) قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل: لي هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة))

هذ الحديث الكلام فيه واسع جدا ربما نقتصر على بعض جوانبه:

هذا الأثر أولًا أوَد أن نستفيد منه جميعا فائدة عظيمة جليلة ننظر فيها إلى حياة التابعين وطلاب العلم وأهل الفضل كيف كانوا يتحاورون، وكيف كانوا يتحدثون، وكيف كانوا يتجاذبون أطراف الحديث؟

سآخذ معكم هذا الحديث بشيء من البساطة حتى ننظر الحياة الجميلة الحلوة التي كان يعيشها هؤلاء في مجالسهم، وقبل الدخول في تفاصيل هذا الحديث أو هذا الأثر أريد أن تتخيلوا الآن أن أحد الأشخاص لدغته عقرب، ثم اجتمع به في مجلس، الغالب في حديث الناس خاصة العوام عن ماذا؟ والأسئلة التي تدور في المجلس عن ماذا؟

عن الحادثة نفسه

عن الحادثة نفسها، أحيانا يقولون مثلا: ما لون العقرب؟ وأحيانا يقولون: ما حجم العقرب؟ وأحدهم يقول: من أين طلعت؟ وكيف جاءت؟ يدخلون في تفاصيل وأسئلة عن المعتدي المجرم ولا يسألون عن المريض نفسه، ينشغلون عنه، وهذا حديث العوام لا فائدة فيه، ولكن انظروا الحوار الجميل الرائع المشرق الذي يصور لكم الحالة البهية التي كان عليه السلف في مجالسهم.

تبدأ قصة هذا الحوار أن كوكبا انقضى، والكواكب التي تنقضى هي التي جعلت رجوما للشياطين، وسيأتي معنا أن النجوم خلقت لثلاث: زينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، ورجوما للشياطين. فالكوكب الذي ينقضى يعتبر آية عظيمة من آيات الله تشد من رآها، فيقول حصين راوي هذا الأثر: (كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟) و"البارحة" هذه كلمة تقولها العرب لليلة الفائتة، أقرب ليلة لك ولكن بعد الزوال، يعني: قبل الزوال يقولون: الليلة، فإذا زالت الشمس، ما بعد زوال الشمس يقولون: عنها الليلة البارحة، لكن في الضحى يقولون: الليلة، لو كانت في الضحى يقولون: أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض الليلة؟ لكن بعد الزوال يقولون: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟

فقال: أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ الكوكب انقض بالليل، وحصين قال: أنا رأيته، وفي وقتهم من يكون مستيقظا في الليل الأصل فيه ماذا؟ حتى نعرف الفرق بينهم وبين واقعها الذي يكون مستيقظا بالليل ما

الذي يتبادر إلى أذهان الناس في ذلك الوقت؟ أنهم يصلون، لكن الآن المستيقظ بالليل يتبادر لذهنك عنه أمورا كثيرة جدا وربما آخر ما يتبادر لذهنك هو الصلاة، بينما في وقتهم كان الذي يتبادر الصلاة.

نحن الآن في واقعنا مع الحضارة والإضاءة والأنوار أصبح الليل شبيها بالنهار حتى الآن الكواكب والنجوم التي كانت العرب تعرفها وتعرف أسماءها وتعرف مواضعها وتعرف كيف تهتدي بها في الطريق وتعرف بها القبلة ما نعرفها، حتى الهداية للطريق ما نهتدي للطريق إلا باللوحات الإرشادية: يمين يسار، هذا الذي نعرفه، وإذا ضاعت عنا اللوحة الإرشادية ضعنا!!! بينما الأول ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول: الطريق من هنا في الليل، أو يقول: القبلة من هنا، فيعرفون ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦] لكن نحن الآن إن نظرنا إلى النجوم نقول: أشياء جميلة، هذا حدنا منها، لكن معرفة طريق، معرفة قبلة، عبرة، وهذا ضعيف فينا جدا، وهذا من آثار الحضارة.

قلت: إنه في وقتهم لا يتبادر إلى الذهبن إلا الصلاة، عمران بن حصين قال: أنا -يعني: رأيت الكوكب- أما إني لم أكن في صلاة. لماذا قال: أما إني لم أكن في صلاة. لماذا قال هذه الكلمة؟ حتى لا يتبادر ذلك للأذهان؛ لأنه أصلا أول ما يتبادر للأذهان أنه في صلاة، وأيضا حتى لا يحمد بما لم يفعل، قال: أما إني لم أكن في صلاة.

يأتي السؤال يطرح نفسه كما يقولون ويتحرى الجواب عنه: مستيقظ في هذا الوقت ولست في صلاة ماذا تفعل؟ هناك في ذاك الوقت هذا السؤال يطرح نفسه، لكن في وقتنا الأجوبة كثيرة، قال: أما إني لم أكن في صلاة. وأجاب عن السؤال الذي يطرح نفسه قال: ولكني لدغت. كنت لديغا، يعني: لدغتني عقرب، وجالس في تلك الساعة يتألم من سم العقرب، ولكني لدغت، الآن تأتي الأسئلة التي ستتم عن خير، وعن طلب فائدة، وعن تواصل علمي نافع، ما صنعت؟ لاحظ ما صنعت؟ هذا ينم عن سؤال عاطفي جميل يتعلق بالحادثة التي حصلت، لم يقل: ما العقرب؟ وما لون العقرب؟ وكيف؟ ولكن السؤال: ما صنعت؟ هذا هو السؤال المناسب ما صنعت؟ قال: ارتقيت، ما معنى "ارتقيت"؟ يعني طلب الرقية، أخذ يقرأ على هذا السم الذي أصاب جسمه بسبب اللدغة يقرأ عليه، والقرآن نافع جدا في هذا والسنة دلت على ذلك، فهوعمل بالسنة وأخذ يرتقي، والرقية لها أثر نافع بالكتاب، والأدعية المذكورة لها أثر نافع جدا في هذا الباب، قال له سعيد: ما حملك على ذلك؟ ما مقصود سعيد بقوله: ما حملك على ذلك؟ أريد أن أسمع منكم؟

كيف اهتديت للرقية

كيف اهتديت للرقية؟ ما مستندك؟ أنت تريد الآن أن تفعل شيئا لابد أن يكون لك مستند شرعي، لا تفعل هكذا بدون مستند، لا ما هو مستندك الشرعي؟ ما حملك على ذلك؟ أي: ما المستند الشرعي لك على ذلك؟ فماذا قال؟ ما هو مستنده؟

قلت حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمى

لا، هو قال : حديث حدثناه الشعبي، أنا مستندي في ذلك حديث حدثناه الشعبي، لاحظ ارتباط القوم بماذا؟ بالسنة والأدلة، "حديث حدثناه"، لكن الآن الناس لو تسألهم عن أفعال كثيرة يفعلونها: ما مستندك؟ ما تجده مرتبطا بالسنة أما هؤلاء فمرتبطون بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- الكاملة، لدغته عقرب ارتقى، قال له ما: حملك على ذلك؟ قال: السنة، حديث حدثناه، ماذا حدثكم؟ فساق له بالإسناد إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (لا رقية إلا من عين أو حمى) والمراد بقوله: (لا رقية) أي: أجدى وأنفع.

(إلا من عين أو حمى) هذا فيه مشروعية وجواز الرقية من العين والرقية من الحمى، والعين تعرفونهـا، أن يصاب الإنسان بماذا؟ بعين، ينظر إليه نظرة شريرة، نظرة مؤذية فيصيبه بعينه، فهذه تنفع فيهـا الرقيـة نفعـا عظيما، والحمى هي الموضوع الذي حصل لحصين، الحمى هي السم الذي يكون بسبب اللدغـة، لدغـة ذوات السموم.

فإذن حصين فعل الأمر وعنده الدليل عليه، وذكر الدليل وساق الدليل بسنده، ماذا قال له سعيد؟ قال له: "قـد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع". هذه والله هذه كلمة جميلة، لابد أن ننتبه لها "قد أحسن من انتهى إلى مـا قـد سمع" الآن سعيد أيده أم عارضه؟ أيده، يقول: أحسنت، يقول: أحسن من انتهيى إلى ما قد سـمع، يعنـي: أنـت سمعت شيئا من السنة الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فانتهيت إليه، يعني: فعلته وعملته، وإذن من هو المحسن؟ الذي علم السنة وعمل بها هذا المحسن، وهذا واضح "أحسن من انتهى إلى ما قد سمع" يعنـي: سـمع السنة وعمل بها هذا هو المحسن.

طيب إذا كان هذا هو المحسن فمن المسيء؟ المسيء شخصان: شخص لم يتعلم السنة أصلا ولا اهتم بها ولا اعتنى بدراستها هذا مسيء، وآخر أيضا هو مسيء علم بالسنة ولم يعمل بها هذا أيضا مسيء، ومن المحسن؟ من انتهى إلى ما قد سمع، يعني: سمع وعمل، سعيد بن جبير لما ايده على صنيعه ذكر له أمرا آخر في الباب قـال: ولكن حدثنا ابن عباس ..... وذكر هذا السياق الطويل الذي فيه الشاهد للترجمة.

هو نفسه الذي لدغ؟

لا، الآن الذي لدغ حصين، وسعيد بن جبير هو الذي يحاوره، والمجلس مجلس سعيد بن جبير.

الذي ذكر الحديث هذا ابن عباس؟

حديث ابن عباس ذكره سعيد امتدادا للموضوع، الآن حصين لدغ واستدل بحديث بريدة، وقال له سـعيد بـن جبير: أحسنت أنت فعلت الأمر بالدليل، لكن -يقول سعيد- ولكن حدثنا ابن عباس -رضي الله تعـالى عنهمـا- فالآن سيروي شيئا لا يعارض ما سبق، وإنما يروي شيئا فيه رتبة عالية ودرجة، رفيعة درجة محققي التوحيد - فقال حدثنا ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (عرضت علي الأمم) وهذا العرض قيل: إنه في المنام كما أشار إلى ذلك الحافظ في فتح الباري وغيره من أهل العلم (عرضت علي الأمم فرأت النبـي ومعـه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي وليس معه أحد) سبحان الله، يأتي نبي يوم القيامة ولم يتبعه أحد اتبعـه!!! ومعلوم أن الأنبياء وفوا في البلاغ أو لا ؟ وفوا في البلاغ، لكن يأتي بعض الأنبياء ما اتبعه أحد، ويأتي بعضهم اتبعه رجل واتبعه رجلان؛ ولهذا على الإنسان ألا يأسى وألا ييأس إذا عملت عملا دعويا صحيحا موافقا للـسنة حتى ولو لم يتبعك أحد لا ضير عليك، لكن عليك أن تسير على المنهاج الصحيح في الدعوة إلى الله -سـبحانه وتعالى- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] (ثم رفع إليّ سواد عظيم فقلـت: هـؤلاء قومي؟ فقيل هذا موسى وقومه، ثم رفع إلى سواد فقيل: هؤلاء قومك وفيهم سبعون ألف يدخلون الجنـة بـدون حساب ولا عذاب).

نكمل الحديث: (ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك)

الآن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر للصحابة أن سبعين ألف يدخلون الجنة بدون حساب، سبعين ألف يدخلون الجنة من أمته بدون حساب ولا عذاب، يعني: دخولا أوليا لا يدخلون النار وإنما إلى الجنـة مباشـرة، سبعين ألف، وقد جاء في رواية جود إسنادها الحافظ ابن حجر وغيره من أهل العلم أنه -عليه الصلاة والسلام- استزاد الله، يعني: طلب منه الزيادة، فزاده مع كل ألف سبعين ألف. إذا أردت أن تعرف عـددهم مـاذا تفعـل؟

تضرب مع كل ألف سبعين ألف، هي كم ألف الآن؟ فإذن تضرب سبعين في سبعين ألف، فهذا عدد من يدخل نسأل الله الكريم من فضله.

فالصحابة –رضي الله تعالى عنهم– لما سمعوا هذا الأمر ودخل النبي –صلى الله عليه وسلم– الصحابة خاضوا فيهم، الخوض هنا سيكون طبيعته ماذا؟

الحوار

لكن متجه إلى ماذا؟

إلى طلب الله أن يكون: مَن السبعين ألف

من هم هؤلاء؟ ما صفتهم؟ هذا الاتجاه الآن سبعين ألف يدخلون الجنة بدون حساب من هم؟ ما صفاتهم؟ فالصحابة خاضوا فيهم يحاولون معرفة الصفات، انظر ماذا قال الصحابة، بعضهم قالوا: لعلهم الذين صحبوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعضهم قالوا: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام.

هذه الإجابات التي جاءت منهم والتوقعات انبنت على شيء مهم يدل على فقه الصحابة ما هو؟

انتبهوا للسؤال مرة ثانية إجاباتهم بعضهم قال: لعلهم الذين صحبوا محمدا –صلى الله عليه وسلم– بعضهم قال: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام. هذه الإجابات تدل على فقه هؤلاء في توقعاتهم وإجاباتهم اتجهوا إلى ذكر أعمال وخصال خير نال بها هؤلاء هذه الدرجة العالية، فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا محمدا –صلى الله عليه وسلم– أي: نالوا ذلك الفضل بسبب الصحبة وهي عمل صالح، والآخرون قالوا: لعلهم ولدوا في الإسلام، النشأة من أول الأمر على طاعة الله هذا عمل صالح، فإذن كل أجوبتهم اتجهت إلى الأعمال وأخذوا يبحثون عن أكبر الأعمال، فخاضوا فيها فجاء النبي –صلى الله عليه وسلم– وذكر لهم صفات هؤلاء قال: (هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون) كم صفة ذكرناها؟ أربع صفات ذكرها –عليه الصلاة والسلام– لهؤلاء الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب (لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون).

إذن عندن الآن هذا الحديث وهذا الأثر بطوله الشاهد منه ماذا؟ هنا هذا هو الشاهد أن من صفات محققي التوحيد هذه الصفات الأربعة المذكورة في الحديث: (لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون) (لا يسترقون) أي: الرقية المعروفة، والسين للطلب، أي: لا يطلبون من يرقيهم، ما يبحث عمن يرقيه، إذا مرض أو مرض قريب له لا يبحث عمن يرقيه لماذا؟ لأن في الاسترقاء الطلب، سيكون هناك شيء من ميل القلب للشخص الراقي، فهم من تمام توكلهم لا يسترقون، وهنا ليس فيه أنه لا يرقي نفسه نبينا –عليه الصلاة والسلام– إمام المتوكلين رقى نفسه، وأيضا ليس فيه منع من يرقيه بدون طلب مثل لو أن إنسانا كان مريضا وزاره أحد من أهل الفضل وبدأ يرقيه هل يمنعه حتى يكون من السبعين أو لا يمنعه؟ ما يمنعه لأنه ما حصل منه طلب، فالحديث فيمن طلب (يسترقون) أي: يطلبون من يرقيهم والسبب أن القلب يكون فيه شيء من الميل.

(ولا يكتوون) أيضا لا يطلب من يكويه، والكي فيه شيء من الأذى والتعذيب، لكن فيه فائدة كما جاء في الحديث.

(ولا يكتوون ولا يتطيرون) والتطير هو التشاؤم، وسيأتي عند المصنف باب مستقل عن التطير.

(وعلى ربهم يتوكلون) وهي الصفة الجامعة لكل ما سبق كل ذلك بسبب تمام تـوكلهم علـى الله –سـبحانه وتعالى– لما انتهى النبي –صلى الله عليه وسلم– من وصفهم بادر الصحابي الجليل عكاشة بن محصن –رضي الله تعالى عنه– وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم. وهذا أيضا فيه علم من علامـات النبوة، فجاء آخر وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة حتى لا يستمر الأمر.

فهذا الحديث عظيم، وكما أسلفت يصور لنا الحالة الجميلة والحوارات الرائعة المبنية على أصول وعلى أدب وعلى حسن الخلق وعلى ارتباط بالدليل، والشاهد من الحديث واضح، ولعلنا نكتفي بهذا القدر، والله تعالى أعلـم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بالنسبة لأجوبة الحلقة الماضية: يقول: بالنسبة لإجابة السؤال الأول قال الناظم:

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما يحبه

لا، هذا ذكرناه في الحلقة الماضية، في اللقاء السابق المطلوب هو بيت واحد فقط، أما هذا فذكرناه في الدرس الماضي، وهو ضمن أبيات للشيخ حافظ حكمي يعدد فيها لكن المطلوب هو بيت واحد.

يقول البيت هو:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك معْ محبةٍ وانقيادٍ والقبول له

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك معْ محبةٍ وانقيادٍ والقبول له

هذه السبعة اجتمعت في بيت واحد وهي شروط لا إله إلا الله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك معْ محبةٍ وانقيادٍ والقبول له

ذكروا الأدلة؟

نعم الأخ ذكر إجابة مرتبة لعلها تكون إجابته شافية يقول:

العلم قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ [محمد: ١٩] ذكر الشروط بالأدلة

ثانيا: اليقين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُو﴾ [الحجرات: ١٥] .

لم يرتابوا أي أيقنوا ولم يشكوا.

ثالثا: الصدق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

رابعا: الإخلاص قوله تعالى ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر : ١٤].

خامسا: القبول ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

سادسا: الانقياد قوله تعالى﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

سابعا: المحبة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

إجابة ممتازة شكر الله له.

سؤال حول قوله عند قول الرجل عندما قال: ارتقيت معنى هذا أنه رقى نفسه ألا يعارض هذا قول سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أنه قال: (ولا يسترقون) فيدل قوله: (ولا يسترقون) أن هذا الرجل ارتقى، أي: طلب الرقية لأنه لو كان المقصود ارتقيت أي رقى نفسه فلا إشكال فيه ما قول الشيخ في هذه المسألة؟

السؤال واضح سعيد بن جبير لما سمع الجواب، أو سمع قول حصين ومستنده وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا رقية إلا من عين أو حمى) مستشهدا بها على صنيعه وفعله قال له: "أحسنت أحسن من انتهى إلى ما قد سمع" فهو عمل بموجب الدليل، واستنادا إلى الدليل "ارتقى" مستندا إلى هذا الدليل الذي ذكر إسناده فيه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وسعيد أيده على صنيعه، وليس هناك معارضة ولو كان هناك معارضة لم يكن من سعيد تأييد له، وإنما يقول له هذا معارض لكذا، لكنه قال له: "أحسنت" أو "أحسن من انتهى إلى ما قد سمع" ثم ساق له الدليل الآخر، وهو يدل على مرتبة عالية في تحقيق التوحيد وتكميله وهو عدم الاسترقاء.

هل ورد في لفظ عن مسلم: (لا يرقون ولا يسترقون)؟ وكيف تخرج هذه اللفظة: (لا يرقون)؟

هذه اللفظة نعم وردت في مسلم، وأهل العلم تكلموا عليها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في بعض مؤلفاته ذكر أن هذه اللفظة منكرة وأن الصحيح الثابت: (لا يسترقون) أما: (لا يرقون) فالراقي متفضل ومحسن، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل) والنبي -صلى الله عليه وسلم- أحسن إلى غير واحد بالرقية، وكان يرقي المرضى، وإذا أتى عند مريض رقاه، فالراقي محسن، و(لا يرقون) هذه اللفظة غير صحيحة والصحيح (لا يسترقون) وهذا نبه عليه جماعة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

هذا الدرس فيه الكلام عن تحقيق التوحيد، فأرغب من الإخوة فيما يتعلق بتحقيق التوحيد وما ذكر أهل العلم أن تحقيق التوحيد هو تصفيته وتنقيته من شوائب الشرك والبدع المعاصي -أرغب من الإخوة أن ينقلوا لنا كلام ابن القيم في كتابه "الفوائد" في ذكره لهذه الأمور الثلاثة ووصفها بالعوائق، وابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه "الفوائد" تحدث عن هذه الثلاث في موضعين من الكتاب: موضع تحت هذا العنوان "العوائق" وموضع جاء ضمنا فأنا أرغب من الإخوة أن يستعرضوا كتاب "الفوائد" وأن يستخرجوا منه هذين الموضعين في كلامه عن العوائق الثلاث الشرك والبدعة والمعصية؟

السؤال الثاني: أن يرجعوا إلى تفسير الآية ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ عند ابن كثير وأن ينقلوا لنا كلام أهل العلم في معنى هذه الآية؟

نسأل الله -جل وعلا- أن يبارك وأن يجعل هذا في ميزان حسنات الجميع إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيرا- أما بعد،

ففي دراستنا لهذا الكتاب المبارك "كتاب التوحيد" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أنهينا أبوابا متعلقة بفضل التوحيد ومكانته وعظيم شأن تحقيقه، ثم بعد هذه الأبواب انتقل مصنف الكتاب -رحمه الله- إلى التحذير من ضد التوحيد وهو الشرك بالله، فعقد ترجمة عظيمة النفع عنوانها: "الخوف من الشرك" وهذا مطلب جليل لابد منه، فالمؤمن مطالب بمعرفة التوحيد وتحقيقه، ومعرفة الشرك والحذر منه، ونستمع أولًا إلى ما ساقه المصنف -رحمه الله- ثم يأتي بعد ذلك التعليق بما ييسره الله -تبارك وتعالى-.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-: (باب الخوف من الشرك، وقول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨])

قال المصنف -رحمه الله- (باب الخوف من الشرك) هذا الباب عقده المصنف للتخويف من الشرك، والتحذير منه، وبيان شدة خطورته، وعواقب الشرك الوخيمة، وأضراره الجثيمة على أهله وأصحابه في الدنيا والآخرة.

والخوف ضد الأمن، الخوف ضد الأمن، والخوف من الشرك هو أن يكون المؤمن ليس آمنا على نفسه منه، بل يكون خائفا فزعا حذرا، متقيا مبتعدا مجانبا، لا أن يكون آمنا مطمئنا، غير خائف وغير مبال وغير مكترث، فالمؤمن يأتي بالتوحيد والإيمان والعبادة وعنده خوف، وغير المؤمن يقصر ولا يأتي بالعبادة وعنده أمن؛ ولهذا قال أحد السلف وهو الحسن البصري -رحمه الله- قال: «إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة والمنافق جمع إساءة وأمنا » يسيء وهو آمن، والمؤمن يحسن وهو خائف، وقد مر معنا في لقائنا السابق وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠] جاء في المسند الإمام أحمد أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (قلت يا رسول الله، أهو الرجل يسرق ويزني ويقتل ويخاف أن يعذب؟ هل هذا هو معنى الآية؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل) فإذن المؤمن مع إيمانه وتوحيده وطاعته لله -سبحانه وتعالى- ومحافظته على عبادة الله خائف ليس آمنا، وخلافا المؤمن مسيء ومضيع ومفرق ومهمل وفي الوقت نفسه آمن.

فإذن هذه الترجمة عظيمة الشأن، جليلة القدر، كبيرة الفائدة، الخوف من الشرك ، فيجب على كل مؤمن موحد عرف التوحيد وعرف الإيمان أن يكون خائفا من ضده.

والتوحيد ضده الشرك، فمن عرف التوحيد وعرف فضله وعرف مكانته وعرف عظيم ثوابه يجب عليه في الوقت نفسه أن يكون خائفا من ضده.

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

والخوف من الشرك يتطلب من الخائف أن يعرف هذا الشيء الذي خاف منه، أليس كذلك؟ يتطلب من الخائف أن يعرف هذا الشيء الذي خاف منه، لأنه إن لم يعرفه ماذا يحدث؟ ربما وقع فيه بسبب جهله، ولهذا قيل: تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه، فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه.

أحد السلف يقول في هذا المعنى كلمة جميلة جدًا، يقول: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي» واضحة «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي»، يعني: كيف يتقي الشرك مثلًا من لا يعرف ما هو الشرك، وكيف يتقي الربا من لا يعرف ما هو الربا وهكذا، فإذن الخوف من الشرك، يتطلب من الخائف أن يعرف الشرك ما هو، وما هي حقيقة الشرك حتى يكون في حيطة وفي حذر وفي بعد ومجانبة له، هذا أمر لابد منه؛ ولهذا جاء في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: (كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافته) الآن تجد أهل العلم قديمًا وحديثًا كتبوا مصنفات بعنوان الكبائر، بهذا العنوان، الذهبي -رحمه الله- له عنوان كتاب بهذا العنوان مطبوع ومتداول وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مصنف كتاب التوحيد له كتاب نافع مطبوع بعنوان الكبائر، ماذا يقولون في كتب الكبائر؟ يقول الكبيرة الأولى كذا، والثانية كذا، والثالثة كذا إلى أن يعد سبعين، ثمانين أقل أو أكثر من الكبائر وكل كبيرة يذكرها بدليلها، ما فائدة تعريف الناس وتعريف طلاب العلم وتعريف المسلمين بالكبائر؟ اجتنابها، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) وعد سبع كبائر، وبدأ بالشرك، إذن لابد من معرفة الشرك ومعرفة كبائر الذنوب من أجل ماذا؟ من أجل اتقائها والخوف منها والحذر فهذا نافع جدًا، ولهذا قراءة مثلًا عقوبة الربا، عقوبة الزنا عقوبة الغش عقوبة... كل هذه قراءتها ومعرفة أدلة تحريمها وما إلى ذلك هذا كله نافع للمسلم.

أعظم المحرمات وأكبر الموبقات الشرك بالله -سبحانه وتعالى- فإذا كنا مطالبين في كل محرم أن نكون على علم به ومعرفة به ومعرفة بخطورته فإنه يأتي في مقدمة ذلك الشرك، ومعرفة خطر الشرك وعقوبة الشرك وأن لا يكون الإنسان مستهينا بالأمر، بل ينبغي أن يعيش خائفا منه حذرا مجانبا مبتعدا عنه.

جاء في الأدب المفرد للإمام البخاري وغيره من كتب السنة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) والحديث ثابت (أخفى من دبيب النمل) الآن نحن جالسين الآن، لو مرت نملة من تحتنا أو أكثر من نملة تدب على الأرض هل نشعر بها؟ لا، يقول (للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) فهذا يستدعي ماذا؟ يستدعي الحظر الخوف، ولا يكون الإنسان آمنا وغير خائف وغير مبالٍ بل يكون خائفا، وسيأتي معنا في هذه الترجمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) يعني: أعظم أمر أخافه عليكم الشرك الأصغر، وسيأتي في حينه الكلام على بعض مضامينه ودلالاته.

إذن لابد أن يكون الإنسان خائفا من الشرك، من الشرك الأكبر ومن الشرك الأصغر ويسأل الله -سبحانه وتعالى- دائمًا أن يعيذه منه، وأن يقيه من الوقوع فيه، وأن يسلمه.

تمام الحديث الذي ذكرت لكم في الأدب المفرد قال: (للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أدلكم على شيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره؟ قالوا؟ بلى، قال: أن تقولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشكر بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم) وهذا دعاء عظيم جدًا، ومهم للغاية، وينبغي على كل مسلم أن يحافظ عليه، دائمًا يتعوذ بالله (اللهم إنا نعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) قد يدخل على الإنسان شرك وخاصة الشرك الأصغر قد يتسلل إليه أخفى من دبيب النمل، فالإنسان دائمًا يتعوذ بالله؛ بل ثبت في السنة وهو أيضًا في الأدب المفرد وغيره أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان كل يوم يقول: بعد صلاة الصبح في الصباح وفي المساء كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن الفقر وأعوذ بك من عذاب القبر) فإذن التعوذ بالله من الشرك ومن الكفر هذا أمر مطلوب ولا يأمن الإنسان ولا يطمئن ولا يقول: أنا لا أخاف ولا أبالي، أو الأمر معروف عندي، لا؛ بل ينبغي أن يكون خائفا، وهذه الترجمة عقدها المصنف -رحمه الله- لتبيين هذا الأمر والتحذيرمن الشرك وبيان وجوب الخوف منه، الخوف من الشرك واجب، يجب على كل مسلم أن يخاف من الشرك، وأن يكون على حذر من الشرك.

إذن الترجمة معقودة لبيان الخوف من الشرك والخوف كما عرفنا ضد الأمن، ما الأدلة على ذلك؟ وعرفنا أنها معقودة لوجوب الخوف من الشرك، يجب على كل مسلم أن يخاف، فما الأدلة على الخوف من الشرك؟ أول مـــا ذكر دعاء إبراهيم الخليل –عليه السلام– قال: وقول الله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْــنَامَ﴾ [إبـــراهيم: ٣٥]، ماذا قال قبلها؟

قال الخليل –عليه السلام– ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾

قال الخليل –عليه السلام– والخليل هذا من أوصاف إبراهيم –عليه السلام– اتخذه الله خليلا، والخلة أخص من المحبة وأعظم من المحبة، اتخذه خليلا، واتخذ أيضًا نبينا محمدا –عليه الصلاة والسلام– خليلا ولهذا جـــاء فـــي الحديث: (فإن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليل) والخلة أخص وشأنها أعظم من المحبة، البعض يقول عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– حبيب الله، الأمر أعظم من هذا، خليل الله، هو –عليه الصلاة والسلام– خليـــل الله، الخلة أمرها أعظم (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليل) إبراهيم خليل الرحمن، اقرأ سيرته في القـــرآن ماذا صنع، وجهاده وبلاءه الحسن وإمامته وفضله والآية التي مرت معنا في درسنا السابق ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠] واقرأ هنا هذا الإمام الذي كسر الأصـــنام بيـــده، وجادل المشركين وأقام عليهم الحجة وأبان لهم المحجة وأوضح لهم السبيل يقول هنا في دعائه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِـــيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إبراهيم الخليل –عليه السلام– يقول في عائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] هذا فيه خوف من الشرك أم ليس فيـــه؟ فيه خوف من الشرك يسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجنبه الأصنام، إبراهيم التيمي أحد أئمة العلم والفضل مـــن السلف يقول: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم" إذا كان إمام الحنفاء إبراهيم الخليل –عليه السلام– يقول في دعائـــه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ونبينا –عليه الصلاة والسلام– ثبت عنه أنه يقـــول فـــي كـــل صباح وكل مساء: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر) وكان –عليه الصلاة والسلام– يقول في دعائـــه: (يـــا مقلـــب القلوب ثبت قليب على الإيمان) بل قالت أم سلمة زوجه –رضي الله عنها– قالت: (كان أكثر دعاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت فقلت له: يا رسول الله، أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغـــه) إذن الواحد يخاف وأم لا يخاف؟ الله يقول في القرآن: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَـــشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] فالإنسان يخاف ويسأل الله الثبات: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ويتعوذ بالله من الشرك، ويتعوذ بالله من الكفر، يتعوذ بالله من النفاق، وكل ذلك جاءت بـــه السنة الصحيحة عن نبينا –صلوات الله وسلامه عليه–.

انظر أنت في هذه الآية الكريمة إمام الحنفاء الذي كسر الأصنام بيده وجادل المشركين وأقام علـــيهم الحجـــة يدعو الله بهذه الدعوة العظيمة ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إذن المسلم يكون خائف ويسأل الله أن يجنبه عبادة الأصنام وأن يجنب بنيه، وأن يحفظ ذريته، هذا أمر في غاية الأهمية، أما أن يعيش الإنـــسان غير مبالٍ ولا مهتما، وغير خائف ويقول مثلًا: أنا أكبر من أني كذا، أو أنا أعظم من أني كذا، أو أن هـــذا مـــا يكون لي، أو نحو ذلك.

بعضهم يقول يا شيخ: لا مبرر لأن أخاف

أو يقول: لا مبرر نعم، أنا عرفت التوحيد ودرست كذا وعرفت كذا، فهذا من الخطأ المؤمن يخاف ويحـــذر، ويسأل الله –سبحانه وتعالى– الثبات والإعانة والتوفيق والسداد، ويفوض أمره إلى الله، ويلتجئ إلى الله، وأيـــضًا يعرف يتعلم ويقرأ، يقرأ الآيات ويقرأ الأحاديث ويتعلم دينه ويتفقه فيه حتى يكون على علم، إذن هـــذه الـــدعوة

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فيها فائدة أن المسلم يجب عليه أن يخاف من الشرك وأن يحذر منه وأن يتقيه.

ثم تأمل مليا في قول إمام الحنفاء -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] من؟ الأصنام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ يا سبحان الله، لو تتفكر في هذا الأمر تجد أمرا عجبا، تجد أذكياء في العالم وبارعين في أشياء كثيرة من أمور الدنيا وأشياء بارعين فيها لكن ضلته الأصنام، أضلته الأصنام تجده متعلقا بغير اللها ملتجئا إلى غير الله حتى بأحجار أو مثل حروز، أشياء سيتكلم عنها المصنف -رحمه الله- كلاما نافعا مفيدا من خلال الأدلة تجد كثيرا متورطين في هذه الضلالات وفي هذه الخذعبلات والطرهات، مع أنك تجدهم أذكياء، في جوانب في أمور تتعلق بظواهر الحياة الدنيا، أذكياء جدًا، والله قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧] عنده ذكاء، عنده نباهة، عنده انتباه لأشياء لكنه في غفلة عن هذا المطلب العظيم أضلته الأصنام.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] "كثيرًا" هنا ليس كل هؤلاء الكثير من العوام، وإنما فيهم أذكياء وفيهم أناس فيهم شيء من.. ولكن مع ذلك تورطوا، فالإنسان ينبغي أن يلتجئ إلى الله -سبحانه وتعالى-.

هنا الآن إذا عرفنا الخوف من الشرك من خلال هذه الآية من خلال ما سيأتي حقيقة توجد نقاط لابد منها في تحقيق الخوف من الشرك:

النقطة الأولى: الامتثال إلى الله، الالتجاء إلى الله وسؤال الله -سبحانه وتعالى- بصدق، وخذ هذا الالتجاء تعلمه من دعوة إمام الحنفاء ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] هذا التجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- ثم انظر اختيار إبراهيم الخليل -عليه السلام- لكلمة "اجنبني" هذا فيه أيضًا دقة وفقه في باب الدعاء ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ أي أكون أنا في جانب والأصنام في جانب بعيد عني، لست مقاربا لها وإنما أنا بعيد عنها ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ ما اكتفى بأن يقول: اجعلني تاركا لها وغير عابئ لا، اجنبني اجعلني في جاب بعيد عنها، فهذا أيضًا فيه الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- وتفويض الأمر إليه.

الأمر الثاني: مع الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- وتفويض الأمر إليه أن تعرف ما هو الشرك، وأن تعرف خطورة الشرك، وأن تجاهد نفسك على البعد عنه، والحذر من الوقوع فيه تبذل الأسباب قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] إذن هذه الآية دلالتها للترجمة واضحة، الترجمة في الخوف من الشرك والآية واضحة في الخوف من الشرك، إذا كان إمام الحنفاء -عليه السلام- يدعو بهذه الدعوة المباركة الميمونة فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم كما قال ذلك إبراهيم التيمي -رحمه الله-؟

قال المصنف -رحمه الله-: (وفي الحديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال: الرياء)).

قبل هذا الحديث أظن المصنف ذكر آية؟

ذكرها يا شيخ الآية التي ذكرتموها قال الخليل -عليه السلام- ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

لا توجد آية قبلها ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؟

أي نعم أول الباب يعني؟

بعد ﴿وَاجْنُبْنِي﴾؟

أول الباب ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ بعد ذلك قول الخليل، قال الخليل: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.

إذن هذه ما قرأتها؟

لا.. أنت يا شيخ ذكرتها أثناء الشرح هذه الآية

أي نعم، هذه بدأ بها ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾، المصنف -رحمه الله- لما عقد هذه الترجمة ذكر آيتين في الخوف من الشرك:

الآية الأولى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

مضى معنا الكلام على قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] لكن قبل هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] هذه الآية أيضًا عظيمة جدًا في الخوف من الشرك ؛ لأن الله -عز وجل- توعد المشرك بأن لا يغفر له ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] توعد المشرك بأن لا يغفر له.

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ هل المراد بقوله ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ هل المراد من تاب؟ أو من مات؟ من مات، لكن من أشرك وتاب ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠] إذن الذي يتوب من الشرك يتوب الله عليه، إذن قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: من مات على الشرك، الذي يموت على الشرك حكمه أن الله لا يغفر له؛ بل يدخله النار ويخلده فيها أبد الآباد، وقد مرنا معنا في الدرس الماضي قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦] فهو يخلد في النار أبد الآباد لا يقضى عليه فيموت، ولا يخفف عنه من عذابها هذا جزاء كل كفور، إذن هنا قوله ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ في حق من مات.

الآية التي في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] المراد هنا من مات؟ أو من تاب؟

في الآية الثانية؟

الآية الثانية يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ من مات؟ أو من تاب؟

من تاب.

إن كان أحد يقول من مات، فكيف يجمع بينها وبين قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ هنا يقول: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ إذن قوله في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: في حق من مات، وقوله في سورة الزمر: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: من تاب، من أين أخذنا من تاب؟ اقرأ قبلها ﴿لاَ تَقْنَطُوا﴾ هذه كلمة ﴿لاَ تَقْنَطُوا﴾ تقال للميت أم للحي؟

بالتأكيد للحي

لا تقال إلا لإنسان حي يعمل يقال له: ﴿لاَ تَقْنَطُوا﴾ لكن الذي مات انتهى ما عنده مجال ليعمل، ليقنط ما عنده مجال لشيء من هذا.

﴿لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ﴾ أي: توبوا ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بما فيها الشرك؟ نعم بما فيها الشرك، لأنها في حق من تاب، من تاب تاب الله عليه، ولو كان مشركًا لو كان ملحدا لو كان كافرًا لو كان منافقا أيا كان ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ من تاب تاب الله عليه، لكن من مات على الشرك لا يغفر الله له ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

إذن لو جاءكم سؤال ما الجمع بين قوله ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾، وقوله ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؟ الجواب.

من مات، يعني: من مات على شرك

الآية الأولى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ هذه في حق من مات على الشرك، والآية الثانية: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في حق من تاب، لما ذكر التوبة أطلق الذنوب كلها، ولما كان الأمر في حق من مات، خص الشرك بأنه لا يغفر ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

هنا يأتي سؤال يتعلق بموضوعنا، موضع الخوف من الشرك، إذا كان الله توعد المشرك بهذا التوعد ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] وهذا جاء في موضعين من سورة النساء، في موضعين من سورة النساء ذكر ذلك -جل وعلا- ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

إذا كان الله -سبحانه وتعالى- توعد المشرك بهذا التوعد أنه لا يغفر له، أي: لا مطمع له أبدًا، في مغفرة الله ورحمته إن مات على الشرك هذا ماذا يحرك في القلوب؟ يحرك الخوف وليس بين الإنسان وبين هذا الوعيد إلا أن يموت، ولهذا سيأتي معنا (من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار) يعني: النار قريبة من المشرك ليس بينه وبين دخولها إلا الموت، يعني: ربما يكون ليس بينه وبينها إلا ساعة واحدة، ربما قد يكون موته بعد ساعة فلا يكون بينه وبينها إلا ساعة واحدة، أو ساعتين أو يوم أو يومين أو شهر (من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار) إذن هذا يخوف الإنسان، يجعله يخاف من هذا الداء الخطير والجرم العظيم الذي فيه هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، هذا حال المشرك والعياذ بالله، فوجب الخوف من هذا الذنب الذي توعد صاحبه من بين الذنوب بهذا الوعيد ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ هذا في حق من؟

في حق التائب، الحي

التائب قلنا، سواءً كان مشركًا أو غير مشرك يتقبل الله عليه، لكن هنا في حق من مات، من مات على شيء دون الشرك على بعض الكبائر أو بعض الذنوب، الله -عز وجل- قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي أنه تحت مشيئة الله لأنه قال: ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ فصاحب الكبيرة التي دون الشرك تحت الميشئة ما معنى تحت المشيئة؟ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار، ولهذا الآية فيها رد قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فيها رد على الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ويخلدون صاحب الكبيرة في النار، هذا كلام باطل لأن الله -جل وعلا- قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وأيضًا فيها رد على المعتزلة الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار يوم القيامة.

يذكرون أن أحد كبار المعتزلة مرة في مجلس، وعادتهم يأتون بشبه وأشياء عقلية يشوشون بها على الحاضرين أو على السامعين فهذا المعتزلي في المجلس قال: أنا يوم القيامة سأقول أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، فإذا قال لي الله: لماذا تقول هذا؟ سأقول: أنت قلت ذلك، وجاء بعض الآيات التي فيها مثل قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] فكان في المجلس شاب صغير حتى ذكر أنه أصغر من في المجلس فرد عليه برد أفحمه وأسكته، قال له: فإن قال لك الله -جاراه في أسلوبه- قال له فإن قال لك الله: وأنا قلت في القرآن: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقد شئت أن أغفر له، ماذا تقول؟ فبهت. لأن الله -سبحانه وتعالى- جميع الذنوب جعلها تحت المشيئة، إلا الشرك توعد صاحبه بأنه لا يغفر، نحن الذي يعنينا هنا هو الخوف من الشرك ومعرفة خطره، وأنه الذنب الذي توعد الله -سبحانه وتعالى- صاحبه بأن لا يغفر، قال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ فوجب على كل مسلم أن يكون خائفا حذرا مجانبا لهذا الشرك عارفا به سائلا الله -جل وعلا- أن يعيذه منه وأن يجنبه إياه، ثم بعد هذا ذكر المصنف -رحمه الله- الآية الكريمة التي فيها قول الخليل -عليه السلام-: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال المصنف: (وفي الحديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء))

قال: (وفي الحديث) هذا الحديث المصنف -رحمه الله- لم يذكر من خرجه وهو في المسند للإمام أحمد وغيره بإسناد جيد، قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام إسناده جيد وأيضًا جود إسناده غير واحد من أهل العلم، والحديث له سياق اختصرها المصنف قال -عليه الصلاة والسلام-: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء) ثم يأتي أيضًا في بقية الحديث في مصدره أن المرائي، يقول له الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة: اذهب إلى من عملت أو من رآيت لأجله اطلب ثوابك، اذهب إليه هل يحصل ثوابا، المرائي يوم القيامة هل يحصل ثوابا ممن رائى لأجلهم، ممن عمل لأجلهم لا يحصل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧] ويفر الرؤساء من الأتباع، وكل يتبرأ من الآخر ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] الأسباب أي: المودة، المودة التي كانت تجمعهم هذه كلها تتقطع، إلا الإخوة في الله، هذه باقية ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

إذن هنا يقول: (أخوف ما أخاف عليكم) واضح المعنى أم لا؟ (أخوف ما أخاف عليكم) أي: أشد شيء أخافه عليكم الشرك الأصغر، الكلام واضح، وأمامه خيار الصحابة، وأفاضل قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر).

هذا يا شيخ الشرك الأصغر، فكيف الشرك الأكبر؟

فقال: (الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء) الرياء ما هو؟ الرياء هو أن يقوم الإنسان بالعبادة ويزينها ويحسنها لا لله وإنما لنظر رجل إليه، كما جاء في حديث آخر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل يومًا على

الصحابة فوجهم يتذاكرون فتنة الدجال، فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من فتنة المسيح الــدجال؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) والرياء على نوعين:

الرياء الخالص، فهذا من الشرك الأكبر، الرياء الخالص مثلما قال الله عن المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّــذِينَ آمَنُــوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] الآية الآخرى قــال: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢] هذا رياء خالص، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، كما قال تعــالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ورياء أصغر الذي هو يسير الرياء كأن يقوم الإنسان بالعبادة وهو يقصد بها وجه الله، ثم يطرأ عليــه ريــاء يسير بأن يزينها أو يحسنها من أجل نظر أحد إليه أو نحو ذلك، فهذا كان يخافه النبي -عليه الصلاة والــسلام- على أمته، وأمر يتعلق بالقلوب، وهو يحتاج إلى معالجة ومجاهدة للنفس، الأوزاعي -رحمه الله- من أئمة السلف يقول: ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي، النية تتفلت من الإنسان فيحتاج الأمر إلى مجاهدة، أن يجاهد نفسه على الإخلاص لله والصدق مع الله وابتغاء الله -سبحانه وتعالى- بالعمل ويحذر من الرياء، وهذا ينبغــي أن يكــون مستديما مع الإنسان إلى أن يموت، المجاهدة هذه ينبغي أن تكون مستديمة ومستمرة مع الإنسان إلى أن يمــوت ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] الاستدامة على ذلك إلى الممات.

قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) وقوله هنا: (الشرك الأصغر) هذا يدلنا على أن الشرك نوعان: أكبر وأصغر، وينبغي على كل واحد أن يعرف أن الشرك الأكبر والشرك الأصغر بينهما فرق في الحد والحكم، حد الشرك الأكبر -أي: ضابطه- يختلف عن حد الشرك الأصغر، وحكم الشرك الأكبر يختلف عن حكم الشرك الأصغر.

أما حد الشرك الأكبر فقد مر معنا، تسوية غير الله بالله في شيء من خصائــصه، ســواءً فــي الربوبيــة أو الألوهية أو الأسماء أو الصفات، تسوية غير الله بالله هذا شرك أكبر وحكمه ماذا؟ ناقل من الملة، وصاحبه كافر خارج من الدين، وعقوبته يوم القيامة النار، من وقع في الشرك الآن أو قديمًا الحكم واحــد، والعقوبــة واحــدة ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القمر: ٤٣] الذي يقع فيه يعاقبه الله -سبحانه وتعالى- فهنا لاحظ الشرك الأكبر عرفنا حده وعرفنا عقوبته.

والشرك الأصغر هو ما جاء في النصوص تسميته شركًا وهو لا يصل إلى حد الشرك الأكبر، مثــل شــرك الألفاظ، ومثل يسير الرياء، مثل قول الرجل ما شاء الله وشئت، أو لولا كذا لكان كذا، لولا البط لأتانا اللصوص، سيأتي عند المصنف تراجم شارحه ومبينة لهذا الأمر، وأريد أن نعرف قيمة هذا الكتاب، المصنف -رحمه الله- لما عقد الخوف من الشرك من نصحه للناس عقد أبوابا كثيرة يعرف فيها بأفراد من الشرك الأكبر وأبوابا أيضًا كثيرة بأفراد من الشرك الأصغر، حتى نكون حذرين من هذا وهذا، ولهذا مواصلة قراءة هذا الكتاب والدراســة فيه وتعلم هذا نافع جدًا في معرفة التوحيد ومعرفة ضده.

قال المصنف -رحمه الله-: (وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) رواه البخاري)

ثم أورد المصنف في الخوف من الشرك هذا الحديث حديث ابن مسعود وهو في صحيح البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) هذا الحديث فيه تعريف بالــشرك، أليس كذلك؟ الآن لو قيل لأحدكم مَثِّل أو عرف الشرك على ضوء الحديث؟ أن يدعو من دون الله ندا، والــدعاء هنا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

دعاء العبادة يدخل تحت كل طاعة، الصلاة، الصيام، الحج، الذكر كل هذا دعاء مسألة؛ لأن من يقوم بها يقوم بها وهو يرجو رحمة الله، ويطمع في ثوابه، ويخاف من عقابه، ففيها طلب من الله -سبحانه وتعالى-.

ودعاء المسألة هو هو سؤاله -سبحانه وتعالى- من خيري الدنيا والآخرة، فمن مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار، أي: من مات وهو يصرف شيئا من العباة لغير الله دخل النار، فإذن المشرك كم بينه وبين النار؟ موته، بينه وبين النار موته، النار قريبة؛ ولهذا فالمصنف -رحمه الله- في الفوائد المستفادة من الباب عد منها قرب الجنة والنار، الجنة قريبة والنار قريبة، وجمع بين قربهما في حديث واحد كما سيأتي معنا في الحديث الذي يلي هذا الحديث.

إذن (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) أيضًا هذا يوضح لنا ما سبق أن العقوبة والتوعد في حال إيش؟ التوعد بعدم المغفرة في حال؟ في حال الموت، قال: (من مات وهو يدعو من دون الله ند) ما معنى ندا؟ شريكا، مثيلا ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] يعني لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) وحكمه فيها أنه مخلد فيها أبد الآباد، لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

ثم ختم المصنف هذه الترجمة بالحديث الأخير.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولمسلم عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار))

ثم أورد هذا الحديث حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار، ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة) أأكد على الفائدة السابقة وهي تعريف الشرك، اجمع بين حديث جابر وحديث ابن مسعود، حديث ابن مسعود: (من مات وهو يدعو من دون الله ندار دخل النار) وهنا: (من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار) ما هو الشرك؟ أن يدعو من دون الله ندا، أن يجعل لله مساويا، في شيء من خصائصه -سبحانه وتعالى- ولهذا يوم القيامة إذا دخل الكفار نار جهنم، وندموا ولا ينفع الندم، ماذا يقولون معبرين عن ندمهم وهم في النار؟ وهو لا ينفعهم ماذا يقولون؟ ﴿تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] إذن الشرك تسوية غير الله بالله، وأيضًا هو عدل غير الله به ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] يعني: يسوون غيره به -سبحانه وتعالى- فمن سوى غير الله بالله فهو مشرك، سواءً في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات؛ ولهذا كما ذكرت في درس ماضٍ أنه كما أن التوحيد ثلاثة أنواع فالشرك ثلاثة أنواع، لكل نوع من أنواع التوحيد ضد، فهناك شرك في الربوبية، وهناك شرك في الألوهية، وهناك شرك في الأسماء والصفات، وهنا قوله: (من مات وهو يدعوا من دون الله ند) هذا يتعلق بالألوهية من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك من أهل النار.

(من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار، ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة) هنا تأمل في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة) أنا أريد حقيقة أن تقفوا هنا وقفة وأيضًا تستذكرون ما بدأنا به درسنا هذا أو الدرس الذي قبله، الدرس الذي قبله (من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة) لا يخلو مَن لا يشرك بالله شيئًا من حالتين: إما أنه لا يشرك بالله شيئًا وهو بعيد عن المعاصي والكبائر ومحافظ على الواجبات، أو يكون لا يشرك وعنده بعض المعاصي، هل كلاهما يشمله الحديث يشمله قوله: (ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة)؟

مثل الآية المقتصد والسابق بالخيرات

فهل يشملهم كلهم أو لا؟ الجواب نعم يشملهم، الذي مات وهو لا يشرك بالله شيئًا، ومكمل للتوحيده، ومكمل لإيمانه، وبعيد عن الكبائر، ومحافظ على الواجبات هذا إلى الجنة مباشرة، بدون حساب ولا عذاب، ومن مات وهو لا يشرك بالله شيئًا لكن عنده بعض الكبائر التي دون الشرك التي قال الله عنها في الآية التي هي في صدر هذا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] هذا معرض للعذاب، معرض للعقوبة وإن عذب أكملوا؟ لا يخلد، وإن عذب لا يخلد، لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك الكافر، أما من لا يشرك بالله شيئًا فهذا إن عذب فإنه لا يخلد؛ ولهذا دخول عصاة الموحدين للنار هو ليس كدحول الكفار، الكفار دخولهم للنار للعذاب الأبدي الدائم السرمدي المستمر، أما هؤلاء دخلوهم في الناء من أجل التطهير، يدخل ليطهر من ذنوبه، أما المشرك فالشرك ما تطهره النار، الشرك ما تطهره ولهذا يبقى فيها أبد الآباد، لكن المعاصي التي دون الشرك هذه إذا دخل صاحبها النار فإنه يعذب فيها تطهيرا وتنقية ثم من بعد ذلك يكون..... ولهذا جاء في الحديث في حديث أبي سعيد الخدري في صحيح البخاري ومسلم في ذكر صفة خروج أهل الكبائر من النار إذا دخلوها -نسأل الله العافية والسلامة- قال: (إن النار تميتهم إماتة ويتفحمون فيه) أهل الكبائر يتفحمون يصبحون قطعا من الفحم (يتفحمون وتميتهم إماتة ثم يخرجون ضبائر ضبائر) يعني: جماعات جماعات، ولو سألتكم لماذا يخرجون جماعات جماعات؟ لماذا لا يخرجون دفعة واحدة أهل الكبائر؟ إيش تقولون؟

ربما تتفاوت كبائرهم.

تتفاوت كبائرهم ليسوا هم على درجة واحدة (فيخرجون ضبائر ضبائر) يعني: جماعات جماعات دفعات دفعات بحسب الكبائر، الأقل ثم الأكثر ثم الأكثر ثم هكذا (ثم يلقون) كما جاء في الحديث وفي الصحيحين (يلقون في نهر الفردوس في الجنة هذه القطع المتفحمة تلقى في نهر الفردوس، فيحيون بمائه يقول -عليه الصلاة والسلام-: كما تنبت الحبة في حميل السيل) السيل إذا جاء للوادي وفيه حبوب الوادي حبوب، ماذا يصنع بها السيل؟ يحملها وتكون طافية عليه، ثم يطرحها على جنبتيه، ثم تنبت، هذا يعرفه أهل البادية، يعرفون أنه توجد بذور في الوادي والسيل يحملها ويلقيها على جنبتيه فتنبت، لكن أنت والإنسان العادي إذا جاء عند الوادي ويشوف الأخضر ما يدري أن جاءت البذور هذه.

لكانت أساسا مكان السيل، مجرى السيل

هي كانت في الوادي، ولهذا أحد الصحابة لما سمع هذا الحديث قال كلمة لطيفة قال: سبحان الله كأن النبي -صلى الله عليه وسلم- عاش في البادية؛ لأن هذه معلومة يرثها أهل البادية، قال: كأنه عاش في البادية، النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطي أمثلة لأن الأمثلة تقرب المعاني تجعلها بمثابة الأشياء المحسوسة، فعلى كل هذا.

المسائل يا شيخ التي ذكرت في آخر الباب هذه تذكرونها ضمن الشرح؟

المسائل نعم. لو كان نقف معها مسألة مسألة وقتنا ما يسمح، لكن إن رأيت أن أدخل ما تيسر منها أو كثير منها في ضمن الشرح، وقد يمد بعض ذلك ويفوت ولكن لعلنا نكون نأتي على جلها في أثناء الشرح.

الأخ الكريم من تبوك يقول: السلام عليكم، الشرك في ترك الصلاة، لأنه يقول: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) يعني: لو أن إنسانا مثلًا تارك الصلاة وهكذا ما الحكم أبغى الحكم؟ هل هو شرك مخرج؟ كيف أتعامل معه في تركه للصلاة؟ والإنسان متعمد لا يصلي؟

ما حكم تارك الصلاة؟

الأخ الكريم سؤاله عن تارك الصلاة ما حكمه، وتعبيره في أول السؤال: الشرك بترك الصلاة غير دقيق، وإنما السؤال هكذا؟ ما حكم تارك الصلاة؟ وقد ذكر في سؤاله قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وهذا المعنى وهذا المعنى جاءت فيه أحاديث عديدة منها أيضًا ما في المسند بإسناد جيد أن الصلاة ذكرت يومًا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة وحشر مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف) أي: أنه يحشر مع صناديد الكفر وأعمدة الباطل، وفي القرآن قال الله -عز وجل- عن أهل النار قال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] ولهذا الصحيح أن تارك الصلاة كافر، وهذا جاء مصرح به في غير ما حديث عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- وجاءت أيضًا فيه آثار عن الصحابة وعن السلف الصالح -رحمهم الله-.

الأخت الكريمة تقول: أسأل الشيخ عن حديث النفس، إذا الإنسان يحدث نفسه بمعصية، هل هذا يوقعه في الإثم؟

حديث النفس جاء جوابه في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل) فإذا كان مجرد حديث نفس فهذا لا يؤاخذ عليه العبد، وهو مطالب أن يطرده، وأن يتعوذ بالله من شر نفسه، ولكن مجرد حديث النفس فهذا لا يؤاخذ به العبد ولما نزل قول الله -تعالى-: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الصحابة أتوا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- واستشكلوا الأمر فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تقولون سمعنا وأطعنا أو كلاما قريبا من هذا، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فنزل قول الله -تعالى- ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ثم نزل: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] والله -جل وعلا- جاء في الحديث أنه قال: قد فعلت) فالشيء الذي يجول في نفس الإنسان ويهجم على القلب ويدور في النفس فهذا لا يؤاخذ عليه الإنسان، وهو أيضًا مطالب بأن يطرده، وأن يبعده من نفسه، وأن يتعوذ بالله منه، وأن يحرص على أيضًا أن يعمر قلبه وأن يشغل نفسه بالنافع والمفيد.

الأخ الكريم من الإمارات يقول: عندي سؤالين:

السؤال الأول أنا أنصح شخصا وأتكلم معه، يكون مقصرا في جنب أو شيء وأنا أوجهه أو أجيب له بحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيدخل في قلبي أنه من الرياء، وإذا امتنعت أنا لا أرتاح لهذا الشيء، هل هذا يؤثر علي؟

وأسأل الشيخ -جزاه الله خير- عندي شخص على اسمي بنجلاديش وهو ليس مسلما وأنا نصحته كم مرة، كم مرة تكلمت معه، ذوالرجل ما يريد أن يسلم؟ هل في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يجتمع ديانتان في الجزيرة العربية)؟

أولًا سؤال الأخ الأول، الأخ الكريم من الإمارات سؤاله الأول أيضًا له تعلق بالسؤال الذي قبله ومضى الجواب عليه، ولكن في جانب سؤاله عندما يريد أن ينصح شخصا أو يدعو شخصا قد يدخل في نفسه أن هذه النصيحة فيها رياء، أو حتى ليس فقط في باب النصيحة، مثل العبادات، يريد أن يتنفل أو يريد أن يتصدق قد يدخل في نفسه أن هذا فيه شيء من الرياء فيبدأ القلب تدخله هذه الأمور، فهو يسأل عن الموقف هنا، وما الذي عليه أن يعمله؟ إذا جاءت هذه الخواطر ما المطلوب هنا؟ هل المطلوب ترك العمل الصالح أو ترك الرياء؟ هذا

مهم جدًا، يعني: هل المطلوب ترك العمل الصالح خوفا من الرياء، أو ترك الرياء والمضي في العمل الصالح؟ هذا ينبغي أن ينتبه له، بعض الناس يأتيه الشيطان يريد أن يتصدق، أو يريد أن يصلي نافلة، أو يريد أن يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– يقول له: لا، لا تدعو، أو يقول له: لا تصلي، أو يقول له: لا تتصدق؛ لأن هذه ستفعلها رياء، فيجعله يترك العمل الصالح ويدخل عليه أن فعله لها يُخشى أن يكون رياءً أو نحو ذلك، وهذا من الشيطان، إذن المطلوب هنا أن يمضي في العمل الصالح، وأن يستمر فيه، وأن يحافظ عليه دعوة كان أو صلاة أو صيامًا أو غير ذلك، وفي الوقت نفسه يطرد الرياء، ويتعوذ بالله من الرياء، ويبتعد عن الرياء ويجاهد نفسه، لا أن ينقطع عن العمل خوفا من الرياء.

شيخ توجد مقولة: هل لو ترك العمل مخافة الرياء هل هو رياء؟

ترك العمل من أجل الناس رياء أو شرك، يعني: العمل لا يفعل لأجل الناس وأيضًا لا يترك لأجل الناس، العمل كله لله –سبحانه وتعالى– ولهذا جاء في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان) فعطاء الإنسان ومنعه وهذا يشمل الدين كله ما هو المقصود أعطى؟ يعني: الصدقة، يدخل في العطاء هنا الصلاة والصيام والمنع أيضًا البعد عن الحرام، فيكون كل هذه الأمور لله، أما أن يترك طاعة من أجل الناس أو نحو ذلك فهذا لا يفعله المسلم؛ بل يمضي في الطاعة، وأيضًا يطرد الرياء، ويجاهد نفسه على الإخلاص، والأمر كما قلت يحتاج إلى مجاهدة مستمرة ودائمة.

الأخ الكريم يسأل عن العامل الذي يدعوه إلى الإسلام ثم لا يستجب؟ ما هو الموقف المناسب في هذه الحالة؟

الموقف المناسب أن الدعوة تستمر، ولا ييأس الإنسان من الأمر وإنما يدعوه بلطف وبيسر ولين ويهديه والله –جل وعلا– قال في القرآن الكريم: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨] فيتلطف معه، ويحسن إليه ويهديه ويستمر يدعوه لعل الله –سبحانه وتعالى– يشرح صدره للإيمان، وأيضًا يدعو الله –سبحانه وتعالى– أن يهديه ويستمر على ذلك لعل الله –سبحانه وتعالى– يهديه، إذا مرض يزوره مثلما (زار النبي –صلى الله عليه وسلم– الغلام اليهودي زاره في بيته ودعاه إلى الإسلام، فرفع الغلام رأسه إلى والده يستشيره كأن يقول له بنظراته إيش رأيك؟ فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم) يعني: التلطف والإحسان إليه والهدية، في كتاب الأدب المفرد للبخاري عقد البخاري –رحمه الله– ترجمة بعنوان: "باب الهدية للمشرك" حتى يتألف ويهدى للدين ويستمال قلبه، حتى في مصارف الزكاة ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠] تأليف القلب بالمال بالهدية، المقصود هداية الناس.

الأخ الكريم من السعودية يقول: المسائل التي ذكرها الشيخ محمد عبد الوهاب في نهاية الباب هل هي من كلام الشيخ أم من كلام تلاميذه كما يذكر بعض الناس فيقول: إن المسائل هذه التي في نهاية الباب هي من كلام بعض تلاميذ الشيخ. فما رأي الشيخ حفظه الله؟

هذه المسائل التي تأتي في آخر كل ترجمة بعد ذكر الآيات والأحاديث هي من كلام المصنف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– والقائل في عقب الأدلة والأحاديث: "وفيه مسائل" هو الشيخ –رحمه الله– ولهذا شراح الكتاب من أحفاده وأيضًا بعده من تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه، وشروح الكتاب كثيرة تزيد على العشرين شرحا، لما يذكرون شيئًا من هذه المسائل يقولون: قال الشيخ محمد عبد الوهاب في المسائل .... المسائل هي من كلام الشيخ –رحمه الله– وهي تدل أيضًا على فقهه وفهمه ودقة استنباطه ومتانة علمه وفهمه للأدلة –رحمه الله– وشراح كتاب التوحيد اعتنوا بهذه المسائل، وأيضًا اعتنوا أثناء شرحهم للأدلة والأحاديث بما نبه المصنف عليه في مسائله –رحمه الله– وقد أفرد الشيخ العلامة عبد الله الدويش –رحمه الله– رسالة قيمة جدًا في شرح المسائل خاصة، يعني: لم يتعرض لشرح الأبواب والأحاديث والآيات إنما شرح المسائل شرحا مقتضبا وهو نافع جدًا، كتاب نافع جدًا ومفيد لطلاب العلم للشيخ عبد الله الدويش خاص بشرح المسائل.

شيخنا الكريم نستعرض بشكل سريع الأجوبة التي وردتنا للدرس الماضي:

الأخ الكريم أجاب إجابة مطولة لكن سنختصر قليلًا لأن الوقت في الواقع لا يساعدنا على قراءة جميع الأجوبة.

كلام ابن القيم –رحمه الله– في عوائق السير إلى الله وأما العوائق فهي أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها فإنها تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه طريقه وهي ثلاثة أمور: شرك وبدعة ومعصية، فيزول عائق الشرك بتزويد التوحيد، وعائق البدعة بتحقيق السنة، وعائق المعصية بتصحيح التوبة، وهذه العوائق لا تتبين للعبد حتى يأخذ في أهبة السفر ويتحقق بالسير إلى الله والدار الآخرة، فحينئذ تظهر له هذه العوائق ويحس بتعويقها له بحسب قوة سيره وتجرده للسفر وإلا فما دام قاعدًا لا يظهر له كوامنها وقواطعه.

جيد، ذكر الصفحة من كتاب الفوائد؟

لا والله يا شيخ ذكر فقط الكلام..

طيب الموضع الثاني، أنا قلت له موضعين، ذكر الموضع الثاني من الفوائد؟

قبل هذا لأنه فيه موضعين هل من الإخوة أخرج الموضع الثاني؟

سأستعرض بشكل سريع، نعم بعضهم ذكر نصًا وضمنا، قال ابن القيم: الأصول التي تبنى عليها سعادة العبد ثلاثة: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية، أو ربما هذ

لا. هذا هوالموضع الثاني، حدد الصفحة هنا؟

لا، لم يحددها هنا، نقرأ يا شيخ الموضع الثاني:

الأصول التي بنيت عليها سعادة العبد ثلاثة: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية، ولهذه الثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده، ومن الرهبة عنده ومما عنده

جميل الموضع الثاني الذي ذكره الأخ الكريم.

إجابة السؤال الثاني: في الواقع ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية مجموعة من الأحاديث والآثار، منها:

عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال في هذه الآية: (هؤلاء كلهم في منزلة واحدة وكلهم في الجنة).

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال: (سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرًا، وأما الذين

ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

ما أدري، هل أحد منهم ذكر الخلاصة التي ذكرها ابن كثير –رحمه الله– بعد أن أورد أقوال السلف؟ هل فيهم من قال، قال: ابن كثير، نقل عنه.

الأغلب أن الإخوة ينقلون الآثار، أولًا، ثانيًا، ثالثًا، رابعً

هل يوجد من ذكر خلاصة؟

من خلال استعراضي السريع لا، يوجد أحد الإخوة ذكر ملخصا أظنه له هو، يعني لخص. لكن في العموم أنهم كانوا ينقلون الآثار التي ذكرها ابن كثير.

هذا الأخ يقول: صنفت الآية الكريمة الموحدين لثلاثة أقسام كلهم حققوا التوحيد وهم من أصحاب الجنة وغير مخلدين في النار.

القسم الأول: المقتصد المحقق للتوحيد وقد قام بالواجبات الشرعية المكلف بها.

الثاني: السابق قام بالتوحيد وزاد عليه الكثير من المستحبات، وهذان النوعان من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الثالث: الظالم لنفسه وهو من أهل التوحيد في الدنيا ولكنه أسرف على نفسه بفعل المعاصي والذنوب، فيدخل النار عقوبة له على حسب معاصيه ولا يخلد فيها، وبعدها يدخل الجنة.

جميل كلامه، لكن قوله: "كلهم حققوا التوحيد" هذه تحتاج إلى تحقيق.

ليست على إطلاقه

الأخ الكريم من فرنسا يقول: لماذا يصيب الرياء الإنسان في أعمال الخير ولا يصيبه في أعمال الشر؟ هل هذا من الشيطان أم من نفس الإنسان الأمارة بالسوء؟

أعمال الشر ممجوجة، ولا أحد يحب التظاهر بها أو يحب أن يثنى عليه بها، ممجوجة، ومبغضة ومكروه، فلا يكون فيها مراءاة مع أن بعض ممسوخي العقول ربما يتفاخر بمعاصيه وموبقاته، على كل حال بالنسبة للمعاصي والذنوب فهذه لا أحد يرائي بها أو يتظاهر بها ولا يعدها أحد من صالح عمله، والرياء يكون في الأعمال الصالحة؛ لأنه يظهرها للناس حتى يحمدوه عليها، وإلا بالنسبة للأعمال السيئة هي مذمومة وممقوته ومكروهة فالرياء يكون في العمل الصالح.

الأخ الكريم يقول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] الشرك هنا المقصود به الأكبر ولا الأصغر؟ أم الأكبر فقط؟

هنا يوجد اختلاف بين أهل العلم في الشرك الأصغر هل هو داخل تحت قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ للإطلاق الذي في الآية أو أنه تحت المشيئة، وعموم الآية يدل أن هذا يتناول الشرك الأصغر، لكن صاحب الشرك الأصغر عقوبته ليست كعقوبة الشرك الأكبر بأن يخلد في نار جهنم، وإنما يعذب على قد هذه المعصية، على قدر هذا الجرم ولا يخلد في النار، وإنما الذي يخلد في النار هو المشرك الشرك الأكبر، وبعض أهل العلم قالوا: هو من جملة الكبائر التي تدخل في المشيئة.

الأخ الكريم يقول: ما الفرق بين كلمتي الشرك والكفر؟ هل بينهما فرق كما في الإسلام والإيمان؟

الكفر أعم من الشرك، الكفر يدخل تحته أمور كثيرة منها الشرك، ومنها النفاق، ومنها الإلحاد، وكل هذه تدخل تحته فالكفر أعم، والشرك أخف.

شيخنا الكريم لعلكم تختِمون الدرس وتذكرون سؤالي هذا الدرس المبارك

أنا أسأل الحاضرين وهم يعبرون عن غيرهم، هل معي في نشاط وتواصل؟ لأنه حقيقة فكرة السؤالين رائدة جدًا ونافعة لأنها تجعل المشارك بعد الدرس لا ينقطع عن الدرس وإنما يذهب إلى الكتب المتعلقة بالدرس يبحث فيها ويقرأ فيزيد، فهي حقيقة فكرة رائدة وأشكركم حقيقة على..

ولا أخفيك سرًا يا شيخ أنه قد أثنى أحد الإخوة في المنتدى على نمط الأسئلة التي تذكرونها لأنها تحتاج إلى بحث

هو فكرة جيدة لأنه لما ينتهي الدرس لا ننقطع بل نذهب إلى الكتب ونستمر متواصلين مع..

فالسؤال الأول -حفظ الله الجميع- مر معنا في الخوف من الشرك الدعاء بالتعوذ بالله من الشرك، أريد جمع أربعة أحاديث فيها التعوذ من الشرك أو من الكفر أو النفاق؟ ويذكر الحديث ومصدره من كتب السنة، أربعة أحاديث فيها إما التعوذ من الشرك أو الكفر أو النفاق، حتى تكون أيضًا وسيلة للتواصل والمعرفة وينتشر الخير بإذن الله تعالى.

السؤال الثاني: أريد وقد عرفنا الخوف من الشرك من خلال هذه الترجمة، ما هي المتطلبات العملية التي يفعلها من خاف من الشرك لكي يتقيه؟ ما هي النقاط العملية التي يفعلها اتقائا أو يكون فعله لها واقيا له من الشرك؟

الدرس السابع

في هذا الدرس المبارك درس شرح التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يسرنا باسمكم جمعيا أن نرحب بشيخنا الكريم الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية نرحب بشيخنا الكريم فأهلا وسهلا بكم فضيلة الشيخ.

حياك الله يا تركي، وحيى الله جميع المتابعين معنا لهذا البرنامج، وسلام الله عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم- أسأل الله الكريم أن يبارك في لقائنا هذا وفي كل لقاءاتنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباه إنه سميع مجيب قريب.

معاشر الإخوة الكرام، في دراستنا لهذا المبارك كتاب التوحيد أخذنا المقدمات المهمة التي استهل المصنف -رحمه الله- بها كتابه ضمن أبواب عظيمة بيَّن فيها فضل التوحيد ومكانته، وتحقيق التوحيد والتحذير من ضده وهو الشرك بالله -عز وجل- ولما أنهى -رحمه الله- هذا البيان وهذا الإيضاح الشافي الوافي مع ذكر الدلائل والبراهين من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- عقد ترجمة نافعة ومهمة متعلقة بما سبق، وهي عن الدعاء إلى التوحيد إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا متمم لما قبله ومنبنٍ عليه؛ لأن من عرف التوحيد وعرف فضله وعمل به لا يقف عند هذا الحد بل الذي ينبغي عليه والذي يجب عليه أن يعدي هذا الخيط الذي وصل إلى الآخرين، وأن يحرص على نفع الآخرين بهذا الخير الذي يسر الله -تبارك وتعالى- له الانتفاع به، فترجمتنا الجديدة هي عن العناية بالتوحيد دعوةً إليه وبيانا له وإعذارا للأمة لإيضاحه وتبيينه، ونسمع الآن تقرير الشيخ -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]).

قال -رحمه الله-: (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) والدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله أي: الدعوة إلى التوحيد، دعوة الناس إلى التوحيد ببيانه لهم، وإيضاحه، وذكر فضله، وذكر دلائله من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- والتحذير من ضده، وبيان أفراد العبادة وأنواعها، والتحذير من صرفها لغير الله -تبارك وتعالى-.

فالترجمة عقدها -رحمه الله- لبيان الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله أي: الدعوة إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- وأن هذا العمل من أجل الأعمال وأنبلها، بل هو وظيفة الأنبياء والمرسلين، فالأنبياء والمرسلون مهمتهم الدعوة إلى الله -عز وجل- والدعوة إلى توحيده وإخلاص الدين له، وقد سبق ومر معنا قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] فالدعوة إلى التوحيد وإخلاص الدين لله -سبحانه وتعالى- هو مهمة ووظيفة الأنبياء والمرسلين، وهو أحسن القول وأنفعه، وأكبره عائدا على صاحبه وعلى غيره، ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] أي: لا أحسن؛ لأن الاستفهام هنا بمعنى النفي، قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أي: لا أحسن ممن كان هذا شأنه الدعوة إلى الله، والدعوة إلى توحيده، والدعوة إلى الإيمان به، ولهذا يؤثر عن الحسن البصري وهو من أجل التابعين -رحمه الله- أنه قرأ هذه الآية الكريمة وقال: هذا خيرة الله، هذا صفوة الله، هذا أحب عباد الله إلى الله، عرف، أجاب الله في دعوته، ودعا

الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، هذا خيرة الله من خلقه، هذا خليفة الله في أرضه، أي: دعوةً إلى توحيده ودينه.

فالدعوة إلى التوحيد هذا عمل جليل، ووظيفة مباركة، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، والشيخ -رحمه الله- عقد هذه الترجمة بعد أن بين في التراجم التي قبلها فضل التوحيد ومكانته، وفضل تحقيقه والتحذير من ضده، وكأنه بهذا الترتيب ينبه القارئ وينبه المسلم إلى ما ينبغي أن يكون عليه من تدرج في هذا الباب.

فأولًا: يتعلم التوحيد ويعرف حقيقته وفضله ومكانته.

ثم يأتي بعد ذلك العمل، العمل على علم لا بجهل، ثم إذا علم وعمل يعدي هذا الخير للآخرين، دعوة وبيانا ونصحا، وهذه جاءت مجتمعة في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا كله في خاصة نفسه ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ هذه الدعوة دعوة الآخرين وتعدية وهذا الخير للآخرين.

وقوله -رحمه الله-: (الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)، أي: الدعاء إلى التوحيد؛ لأن التوحيد هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن لا إله إلا الله؛ وكلمة التوحيد بلا إله إلا الله دالة على التوحيد والتوحيد هو مدلولها، فالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله هو دعوة إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- لأن هذه الكلمة هي كلمة التوحيد؛ كلمة الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- والشهادة لابد فيها من علم بالمشهود به، كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] ولا بد فيها من صدق لتكون نابعة من القلب، ولابد فيها أيضًا من إخبار ونطق وتلفظ فبهذه الأمور تكون الشهادة، فالذي شهد أن لا إله إلا الله، وحد الله وعرف التوحيد وعمل به يجب عليه ماذا؟ أن يدعو غيره إليه، فهذه الترجمة عقدت لهذا الغرض ولهذا الهدف، الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وأورد -رحمه الله- أول ما أورد في هذه الترجمة قول الله -سبحانه وتعالى- في أواخر سورة يوسف: (﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]) وهذه الآية عظيمة جدًا في بيان المنهج الذي ينبغي أن يكون عليه الدعاة. ورسم الخطة التي يجب أن يكون عليها الدعاة في دعوتهم.

ودلت هذه الآية الكريمة أن المنهج الصحيح والمسلك القويم للدعاة يرتكز على أصلين ويقوم على أساسين:

الأول: في قوله: (﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾).

والثاني: في قوله: (﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾).

أصلان عظيمان وركيزتان مهمتان يجب أن يقوم فيمن يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- الركيزة الأولى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾ أي: أدعو إلى توحيده، وإخلاص الدين له وإفراده -سبحانه وتعالى- وحده بالعبادة، وأيضًا في قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾ إخلاص الداعي نفسه في دعوته، فهو عندما يدعو يدعو إلى الله مخلصا مبتغيا بدعوته وجه الله لا يريد بها شهرة أو سمعة أو دنيا أو نحو ذلك من الأغراض وإنما هو يدعو إلى الله لا إلى نفسه؛ ولهذا نبه الشيخ في مسائل هذا الباب أن مما دلت عليه هذه الآية من فوائد الإخلاص في الدعوة، وأن الداعي إذا دعا يدعو إلى الله لا إلى نفسه، ليست مهمة الداعي أن يكثر أتباعه وأنصاره ومؤيديه، ويكثر الثناء عليه ومدحه، ليس هذا غرض الداعي المخلص، وإنما غرضه نفع الناس وإفادتهم، دعوة إلى الله لا إلى نفسه، لكن إذا كان الإنسان

يدعو وهو يريد الشهرة أو يريد السمعة أو يريد غير ذلك من الأغراض لم تكن دعوته المقصود فيها وجه الله – سبحانه وتعالى– فهذا فيه تنبيه على الإخلاص، تنبيه على الإخلاص في الدعوة.

والركيزة الثانية في هذه الآية في قوله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ والبصيرة هي العلم، العلم بما يدعو إليه؛ لأن من دعا بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– الذي يدعو بغير علم ما يفسده وما يوقعه الناس من خطأ أكثر من إصلاحا، حتى وإن كان قصده سليمًا؛ لأنه بسبب قلة بصيرته وقلة علمه، يدعو الناس إلى أشياء لم يستثبت أنها من دين الله، ولم يستثبت أنها شرع الله –سبحانه وتعالى– ولهذا فالبدع التي تفشو وتكثر وتنتشر في الناس هذا سببها، سببها الدعوة على غير بصيرة، والداعية إلى البدعة لا يلزم من دعوته للبدعة أن لا يكون مخلصا، قد يكون مخلصا، وقد يكون يبتغي وجه الله بدعوته، لكنه يدعو إلى الله على غير علم، على غير بصيرة، فتفشو البدع وتكثر الضلالات وهو لم يرد إلا الخير.

وبهذه المناسبة نتذكر ما رواه الدارمي في سننه بسناد جيد:في قصة ابن مسعود المشهورة مع النفر الذين وجدهم في المسجد وعليهم رجل قائم يقول لهم: سبحوا مائة فيسبحوا مائة بصوت جماعي، ثم يقول لهم: هللوا مائة فيهللون مائة بصوت جماعي، فماذا قال لهم ابن مسعود؟ ولاحظ معي يسبحون ويهللون ويحمدون ويكبرون، وهذا أحب الكلام إلى الله، لكن الطريقة هل هي شرعية؟ ليست شرعية، فماذا قال لهم ابن مسعود –رضي الله عنه–؟ قال لهم كلمة عظيمة: قال لهم: أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلما أو فقتم أصحاب محمد علمًا، واحدة من اثنتين إما أنكم جئتم ببدعة ظلما، أو فقتم أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– علمًا ماذا قالوا؟ قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال –رحمه الله ورضي عنه– وهل كل من أراد الخير أدركه؟ لا يدرك الخير إلا من اقتدى بإمام الخير –صلوات الله وسلامه عليه– من جعل أسوته رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من جعل إمامه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذا الذي يدرك الخير، أما الذي يجعل رائده في تحصيل الخير الأهواء والعوائد وما إلى ذلك فهذا ينحرف عن الجادة ويقع في الأخطاء والبدع والمخالفات.

إذن لابد في الدعوة أن تكون على بصيرة، والبصيرة هي العلم، والبصيرة للقلب مثل البصر للعين، فبالعين ترى المبصرات، وببصيرة القلب ترى حقائق الأمور أو ترى الأمور على حقائقها، ولاحظ هنا الترابط، من فقد بصر العين لم يرَ المبصرات، ومن فقد البصيرة في قلبه لم يرَ الأمور على حقائقها قد يرى الحق باطلًا والباطل حقًا والسنة بدعة والبدعة سنة قد يقول على أمر بدعة: هذا من السنة؛ لأنه ما عنده بصيرة، وقد يقول عن أمر هو سنة: هذا بدعة؛ لأنه ما عنده بصيرة، فإذا لم توجد البصيرة يقع الخطأ، وتقع المخالفة، فمن يدعو فلابد أن تقوم دعوته على هذين الأصلين: أن يكون داعية إلى الله –سبحانه وتعالى– إلى توحيده وإخلاص الدين له، وأن تكون هذه الدعوة على بصيرة.

الله –جل وعلا– أن يقول: ﴿سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: دعاة إلى الله ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: دعاة إلى الله على بصيرة وكل هذا حق، فأتباع النبي –عليه الصلاة والسلام– حقًا وصدقا دعاة إلى الله مئتسين به، وهم أيضًا على بصيرة في دعوتهم إلى الله –سبحانه وتعالى– على علم وعلى بينة، فهذه سمة أتباعه؛ ولهذا لو قيل لنا: ما هي سمة أتباع النبي –عليه الصلاة والسلام– حقًا وصدقا على ضوء هذه الآية؟ ماذا يكون الجواب؟ سمتان، أليس كذلك؟ الدعوة إلى الله وعلى بصيرة، على علم، وعلى هدى بسنة النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام– ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ ينزه الله التسبيح هو التنزيه، تنزيه الله –سبحانه وتعالى– عما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لست منهم، وليسوا مني، براءة من الشرك ومن أهله وبعد عنه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فالآية واضحة في دلالتها على المقصود وأشرت لكم أن هذه الآية جاءت في أواخر سورة يوسف –عليه السلام– وسورة يوسف فيها قصة يوسف –عليه السلام– وما فيها من همته العالية وصبره

ومضيه في الدعوة إلى الله وتحينه لكل سانحة وفرصة لأن يكون داعية إلى الله -عز وجل- وإلى توحيده وإخلاص الدين له.

وأدعو بهذه المناسبة أن نقرأ القصة ولاسيما قصته مع صاحبي السجن اللذين أحدهما رأى أنه يعصر خمرًا والآخر رأى أنه يحمل فوق رأسه خبرا، طلبوا منه -عليه السلام- أن يعبر لهم تلك الرؤيا، هذه قصة عجيبة في أهمية التوحيد والبداءة به والحرص على دعوة الناس إليه في كل مناسبة ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦] الآن السؤال محدد أم لا؟ محدد، توجد رؤيا ويريدون تعبيرها، لكن انتهز هذه الفرصة وأعطاهم درسا رائعا في التوحيد: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٧- ٤٠] درس من أروع ما يكون في التوحيد، ثم لما أعطاهم هذا الدرس في السجن، قال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١] متى عبر الرؤيا؟ بعد درس التوحيد، وهذا هو سبيل الأنبياء ولهذا جاء في آخر السورة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨] وهي سبيل الأنبياء كلهم دعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له -سبحانه وتعالى- ولو كان في وقتنا متسع لوقفنا مع عبر كثيرة وعظات بالغة في قصة يوسف.

وبالمناسبة هناك رسالة قيمة جدًا أدعو إلى قراءتها والاستفادة منها إلى العلامة عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- عنوانها: "فوائد مستنبطة من قصة يوسف" وهو أيضًا من تفسيره المطبوع المنشور عقب كل قصة من قصص الأنبياء يذكر فوائد مستنبطة من القصة وهي فوائد يجدر بالمسلم أن يقف عندها وأن يفيد منها.

قال المصنف -رحمه الله-: (عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وفي رواية: (إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه).

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذ الحديث العظيم حديث ابن عباس في قصة بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذا إلى اليمن، والنبي -عليه الصلاة والسلام- بعث معاذا إلى اليمن قاضيا ومعلما وموجها وجابيا للزكاة ولما بعثه -عليه الصلاة والسلام- في هذه المهمة العظيمة والواجب العظيم رسم له المنهج الذي يسير عليه في دعوته وهذا المنهج الذي رسمه النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ -رضي الله عنه- هو منهج لكل داعية، هو منهج للدعاة أن يسيروا عليه، وفيه إيضاح للمعالم الرئيسة والنقاط الكبيرة التي ينبغي أن تكون نصب عيني الداعية إلى الله -سبحانه وتعالى-.

ولنتأمل في هذا القصة في هذه البعثة وتوجيهات النبي -صلى الله عليه وسلم- وما فيها من دروس وعبر وأيضًا ما فيها من شاهد للترجمة، قال لمعاذ: قال نبينا -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ -رضي الله عنه-: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب) وهذا أخذ منه أهل العلم فائدة مهمة لينبغي أن يتنبه إليها الداعية، وهي أن يكون على معرفة بحال المدعو، قال له: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب) يعني: أنت لن تذهب الآن إلى عوام، ولن تذهب إلى

أميين أو جهال وإنما حدد له من يذهب إليهم، من سيذهب إليهم أهل كتاب اليهود والنصارى، ومعنى أهل كتاب يقرؤون وعندهم علم، وعندهم قراءة، وعندهم معرفة فأنت ستذهب إلى هذا الصنف من الناس، وهذا يعني أن من يدعو ينبغي أن يكون على علم بحال من يدعوه، وأيضًا هذه تفيده جدًا لأن من تدعوه قد يكون عنده شبه من واقع مستواه العلمي، وقد يكون عنده إشكالات من واقع مستواه العلمي، وأيضًا قد يكون طلبه للدليل على قدر مستواه العلمي، يختلف عن العامي الذي جاء من بين الجبال والأشجار والأغنام في الإشكالات التي عنده من الآخر الذي قرأ وتمرس على القراءة وعرف.

لنأخذ على سبيل المثال ما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس قصة الأعرابي، أعرابي جاء من بين الجبال، جبال وأغنام وأشجار وسماء وأرض، هذا الذي يعرفه، ما عنده أشياء أخرى يعرفها، فجاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا مستواه، جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ماذا قال هذا الأعرابي: (قال: إن رسولك يزعم أنك تزعم أنك نبي، قال: صدق رسولي) ماذا قال الأعرابي: (قال: من خلق السماء؟ قال: الله، قال من خلق الأرض؟ قال الله، قال: من خلق الجبال؟ قال الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الجبال وخلق الأرض آلله أرسلك؟ قال: نعم) هذا مستواه الآن، يعني: هو يعرف سماءً جبالا أرضًا وذكَّر من أمامه وهو الرسول -عليه الصلاة والسلام- بخالق السماء وخالق الجبال وخالق الأرض، ولما ذكره حلفه به وهو مطمئن أنه ما يمكن إنسان يتذكر أن الله خالق هذه الجبال وخالق هذه العظمة ثم يحلف به كذبًا وهذا تحليله ومستواه، فقال: (فبالذي خلق السماء وخلق الجبال وخلق الأرض آلله أرسلك؟ قال: نعم) الآن اقتنع، قال: (إن رسولك يزعم أن الله افترض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة؟ قال: فالبذي أرسلك آلله أمرك بذلك؟ قال: نعم) وسأل عن بقية أركان الإسلام، هذا مستواه يختلف عن مستوى آخر من أهل الكتاب.

إذن من يذهب إلى أناس لدعوتهم يفترض فيه أن يكون على علم بمستواهم في العلم، في الثقافة في كذا، حتى يتمكن من مخاطبتهم بالأسلوب الذي يتناسب مع المقام، في هذه الصفات من قوله: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب) ماذا تصنع؟ (قال: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وهذا نأخذ منه فائدة مهمة عظيمة جدًا أن الناس على كافة مستوياتهم وجميع طبقاتهم يبدؤون بماذا؟ بالشهادتين، يعني: قضية البدء بالتوحيد، أيا كان مستوى الشخص البدء في الدعوة هو بالتوحيد، هي أول ما يُبْدَءُ به؛ ولهذا يدل هذا الحديث على فائدة مهمة هي أن التوحيد هو أول واجب على المكلف، وهو أول ما يُبْدَءُ به في الدعوة إلى الله؛ ولهذا نحن وقد مرنا معنا آيات في مطلع هذا الكتاب في أوامر القرآن يأتي في مقدمتها الأمر بالتوحيد وفي النواهي يأتي في مقدمتها النهي عن الشرك، ودل ذلك كما قلنا فيما سبق أن التوحيد أهم أمر والشرك أخطر شيء نهى الله -سبحانه وتعالى- عنه، فإذن التوحيد أول ما يبدأ به، قال: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله).

عفوا يا شيخ تدعوهم إلى اللفظ بهذه الشهادة؟ أو يبيّن لهم مقتضياتها ومعانيها وبعد ذلك يتشهدون بالشهادة؟

الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن كل ما مرى معنا من بيان فضل التوحيد ومكانته وعظم شأنه، وآثاره وفوائده في الدنيا والآخرة وترغيب الناس فيه، وبيان خطورة الشرك هذا كله داخل تحت قوله: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) يبين لهم فضل هذه الشهادة ومكانتها وأدلتها وبراهينها، وأيضًا ضوابط هذه الشهادة إلى آخره، كل هذا داخل تحت (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) ولا يكفي في هذا الباب مجرد القول، كما سبق إيضاح ذلك بل لابد من القول من الفهم والعلم وتحقيق ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى.

(فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وهذه الشهادة على ما سبق بيانه لا تتحقق من صاحبها ولا يتحقق منه قيامه بها إلا ما حققت ما دلت عليه من النفي والإثبات، نفي العبودية عن كل من سوى الله وإثباتها لله

وحده، وإفراده -سبحانه وتعالى- وحده بالعبادة والخضوع والذل فلا يدعى إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يصرف شيء من الطاعة والعبادة إلا له -سبحانه وتعالى-.

فلما يحصل من المدعو استجابة وقبول لهذا الأساس الذي يبدأ به ينتقل إلى المرحلة الثانية، لا ينتقل إلى المرحلة الثانية إلا إذا تحققت المرتبة الأولى، المرتبة الأولى بيان التوحيد وهنا أسأل سؤالا وأجيب عليه، لماذا قدم التوحيد على الصلاة وعلى الزكاة وعلى كل الأعمال؟ لماذا يبدأ به قبلها؟ ولماذا يُدعَا إليه قبلها؟ لأن الصلاة والصيام وكل الطاعات لا تقبل إلا بالتوحيد، فإن لم يكن التوحيد موجودًا فوجودها كعدمها، إن وجدت الصلاة وإن وجد الصيام، وإن وجدت الطاعات الأخرى إذا كانت بدون توحيد فلا تقبل، ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة، إذن الأعمال لا تقبل إلا بالتوحيد ولهذا يبدء به؛ لأنه هو الذي يصحح الأعمال، وتكون به الأعمال مقبولة.

بعد ذلك ينتقل إلى الصلاة، قال: (فإن هم أجابوك لذلك) متى ينتقل للدعوة إلى الصلاة؟ بعد الإجابة وبعد مرحلة الشهادتين (فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة) وهذا فيه أيضًا عظم شأن الصلاة، وأنها أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين.

قبل المواصلة هنا أريد أن أنبه على فائدة لطيفة جدًا نبه عليها المصنف، المصنف قال: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وفي رواية: (إلى أن يوحدوا الله)) ماذا يريد أن ينبه المصنف هنا على ماذا؟ فائدة لطيفة من روايتي الحديث، الحديث له روايتان، إحدى روايتيه (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) والرواية الأخرى: (أن يوحدوا الله) فماذا نستفيد بمجموع الروايتين؟ أن التوحيد هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، مدلول شهادة أن لا إله إلا الله هو التوحيد فذكر هذه الرواية وهي في صحيح البخاري من كتاب التوحيد منه ينبه بها إلى أن التوحيد هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم ذكر الصلاة والدعوة إليها وهي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين، ثم ذكر الزكاة قال: (فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) تؤخذ من الأغنياء، وهو مال يسير قليل يخرجه الغني من ماله صدقة على الفقراء، من أغنيائهم فترد على فقرائهم، هل المراد فقرائهم فقراء البلد؟ أو فقراء المسلمين؟ يحتمل هذا وهذا، فإذا قيل: فقراء البلد فإن الأصل في الزكاة أن تؤخذ من أغنياء البلد فترد على فقراء البلد، وإذا أريد الفقراء المسلمين فإنه يجوز نقلها إلى الفقراء والمحتاجين في الأماكن الأخرى.

ثم قال: (فإن هم أجابوك لذلك) أي: الزكاة (فإياك وكرائم أموالهم) ما هي كرائم الأموال؟ وكرائم منصوبة على التحذير، أي: احذر كرائم الأموال (إياك وكرائم أموالهم) يعني: لا تأخذ من كرائم الأموال، كرائم الأموال هي أنفسها وأحسنها وأجودها قال: (لا تأخذ من كرائم الأموال) حذره من ذلك، قال: (إياك وكرائم أموالهم) إذن ماذا يأخذ؟ ... أيضًا هنا جائب الزكاة يحرم عليه أن يأخذ كرائم الأموال، ودافع الزكاة أيضًا يحرم عليه أن يدفع رديء ماله، وإنما تؤخذ الزكاة من المتوسط، لا الكرائم ولا أيضًا الرديء وإنما يؤخذ من الوسط.

(إياك وكرائم أموالهم) وحذره من الظلم قال: (وإياك والظلم، أو واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) فالظلم ظلمات يوم القيامة المظلوم مستجاب الدعوة.

الشاهد من هذا الحديث للترجمة أن فيه أهمية التوحيد والبدء به في الدعوة إلى الله، وأنه أول ما يبدء به، وأن الدعاة إلى الله -عز وجل- في مقدمة أعمالهم وفي أولويات اهتمامهم الدعوة إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- قبل كل شيء.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولهما عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال يوم خيبر: (لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب فقيل: هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرء كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية، وقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله -تعالى- فيه فوالله لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم)) يدوكون أي: يخوضون.

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث العظيم في بيان الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، الدعاء إلى توحيد الله، والحديث يتعلق بقصة فتح خيبر، في قصة فتح خيبر، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للصحابة: (لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، (لأعطين الراية غد) الراية: راية القتال، والراية معروف الراية هي العلم، الذي يكون في المعركة بحيث يعرف فيه الكر من الفر، الإقدام من الإحجام إلى غير ذلك، فالراية علم.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: (لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وهذه صفة عظيمة للرجل الذي سيعطى الراية غدا، ولاحظ هنا أسلوب التشويق والترغيب وتهيئة النفوس الذي حظيت به دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يجعل الأمر هكذا في يوم إعطاء الراية يقدم الراية لأحدهم، وإنما شوق الناس وشد انتباههم، من الذي سيحصل على الراية، ويحظى بها، قال: (لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) ما الذي حدث على إثر هذا الخبر؟ ما الذي حدث؟ قال: (فبات الناس يدوكون -أي يخوضون- ليلتهم أيهم يعطاه) صارت حديث الناس تلك الليلة من الذي سيعطى الراية غدا، من الذي سيحظى بالراية غدا، وكل واحد منهم يتمنى أن يعطى الراية لسبب ما هو؟ أن من يعطى الراية وصف بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، حتى بعض الصحابة قال: ما تمنيت الإمرة إلا يومئذ، لهذا الهدف، ولهذه التزكية العظيمة من النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) ومن المعلوم أن الصحابة كلهم يحبهم الله ورسوله، وهم أيضًا يحبوا الله ورسوله، لكن هنا أيضًا فيه مزيد شرف ومزيد تعلية لشأن هذا الذي يعطى الراية وشهادة له بهذا الأمر العظيم، فأتوا من الغد وكلهم يرجو أن يعطاها، وعرفنا السبب، لماذا أتوا وكل واحد منهم يرجو أن يعطى الراية لهذا الأمر الذي ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام- كلهم يرجو أن يعطاها.

فلما اجتمعوا عند النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (أين علي بن أبي طالب؟) وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لم يكن حاضرًا لأنه كان يشكوا عينيه كان فيها رمد، وكان من شدة الرمد الذي أصاب عينيه ما كان يرى، لا يرى طريقه والأمر ما هو؟ المهمة ما هي؟ راية وقتال فإذا كان به رمد ولا يبصر مثله إعطائه الراية مستبعد لأن الأمر يحتاج إلى شخص بصره جيد حتى يتمكن من حمل الراية والإفادة في هذا الباب، فقالوا: (يشكو عينيه) ما معنى (يشكو عينيه)؟ أي: تؤلمه وبها مرض، لا أنه يتكلم مع الناس، يقول عيني كذا وعيني، ليس هذا المراد مثل ما يقولون: فلان يشكو رأسه، لا يقصدون يشكو رأسه أنه يخبر الناس ويتحدث، وإنما يشكو رأسه أي: يتألم ويؤلمه رأسه، فمعنى (يشكو عينيه) أي: أن عينيه فيها مرض وفيها ما يشكا منه، هذا هو المراد، قالوا: (يشكو عينيه، فأرسل من يأتي به) وجاء في بعض الروايات في صحيح مسلم أن سلمة الذي ذهب للإتيان به جاء به يقوده، ما يرى الطريق، جاء به يقوده إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ما يرى من شدة الرمد الذي أصاب عينيه، (فأتى به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فبصق -أي تفل- في عينيه ودع) دعا من؟

الرسول -عليه الصلاة والسلام- دعا لعلي

أي: دعا من؟ دعا الله -سبحانه وتعالى- الشفاء من من؟ من الله -سبحانه وتعالى- الشفاء ليس من النبي -عليه الصلاة والسلام- ولا يطلب منه، وإنما يطلب من الله -جل وعلا- ولذلك كان -عليه الصلاة والسلام- عندما يؤتى له بمريض كما في الصحيحين وغيرهما ويقول في رقيته: (اللهم رب الناس أذهب الباس واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك) وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] فالشافي هو الله، لا شفاء إلا شفاؤه -سبحانه وتعالى- فيطلب الشفاء من الله؛ ولهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- دعا الله أي: سأل الله أن يشفي عليا، فالعافية تطلب من الله -سبحانه وتعالى-.

(فدعا له فبرء وأعطاه الراية) وهنا فيه علم من أعلام النبوة بل أعلام من أعلام النبوة، أولًا قال: (يفتح الله على يديه) وتحقق الفتح على يديه، هذا علم من أعلام النبوة.

وبصق على عينيه ودعا له فشفاه الله -سبحانه وتعالى- ومن الطرائف التي تذكر في كتب التاريخ، يقولون أن مسيلمة الكذاب مدعي النبوة قيل له إن النبي -صلى الله عليه وسلم- بصق على عين علي وبها رمد فبرء فتبرز لنا أنت أيضًا شأنك فنأتي لك بأرمد وتبصق في عينيه فذكر في كتب التاريخ أنهم يجيء له بأرمد فبصق في عينيه فعمي، فقد البصر بالكلية، فعلى كل حال هذا علم من أعلام النبوة، أنا أريد أن ننتبه إلى قوله: (فدع) أي دعا نبينا -صلى الله عليه وسلم- رب العالمين فطلب العافية من الله، وطلب الشفاء من الله، لا يلجأ فيه إلى أحد غير الله -سبحانه وتعالى-.

قال المصنف -رحمه الله-: (وقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله -تعالى- فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم) يدوكون: أي يخوضون.

هذا هو موضع الشاهد من الحديث للترجمة فالنبي -عليه الصلاة والسلام- لما دعا بعلي وبصق في عينيه ودعا له وشفاه الله -سبحانه وتعالى- أعطاه الراية وقال له: (انفذ على رسلك) أي: اذهب وانطلق على مهلك بدون صخب وبدون جلبة وإنما بهدوء وبرفق وبأناة، (على رسلك) أي: على مهلك، وأوصاه بالتوأدة، وبالرفق والأناة والبعد عن الطيش والعجلة قال: (انفذ على رسلك، ثم ادعهم إلى الإسلام) وهذا هو موضع الشاهد من الحديث (ادعهم إلى الإسلام) والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك، والدعوة إلى الإسلام هي دعوة إلى التوحيد وما إلى ينبني عليه من الأعمال الصالحة والطاعات الفاضلة، كما في مباني الإسلام الخمسة قال -عليه الصلاة والسلام-: (بني الإسلام على خمس) إذن يوضح قوله: (ادعهم إلى الإسلام) قوله في الحديث الآخر: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام).

قال: (ادعهم إلى الإسلام وبين لهم حق الله فيه) والله -عز وجل- حقه على عباده أن يوحدوه وأن يخلصوا الدين له، وأن يقوموا بطاعته، وأن يمتثلوا أمره، وأن ينتهوا عن نهيه، فأمره أن يدعهم، وفي هذا البدء بالدعوة، البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

ثم بين له الأثر المبارك والثمرة العظيمة التي ينالها من يدعو إلى الله وحلف على هذا -عليه الصلاة والسلام- وهو الصادق المصدوق حتى ولو لم يحلف، لكن هذا لعظم المقال، فقال: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم) وحمْر النعم بسكون الميم، يخطئ من يقرأها بضم الميم، ما الفرق بين "حمْر"، بإسكان الميم، و"حمُر" بضمها؟

الحمُر: جمع حمار، والحمْر: جمع حمراء

بضم الميم جمع حمار، وبإسكان الميم جمع حمراء، والمراد النوق الحمراء السمينة وهي كانت أنفس أموال العرب، والمراد بـ (حمْر النعم) أنفس ما كانوا يملكونه، فهذا يفيد أن هداية رجل واحد على يديك خير لك من الدنيا وما فيها، لأن أنفس ما عندهم هو حمْر النعم، وهداية رجل خير من هذا، فهذا فيه فضل التوحيد، وعظيم ثوابه عند الله وفي الحديث أيضًا البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- ونكتفي بهذا القدر،، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

شيخنا الكريم نستعرض الأجوبة التي وصلتنا للدرس الماضي:

الأخت الكريمة من السعودية أجابت إجابة مرتبة تشكر عليها، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جواب السؤال الأول:

(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت)، الحديث الآخر: (اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم).

كنا طلبنا أن يذكر الحديث ومن رواه وهذا الحديث والآخر ذكرناه في الدرس الماضي، لكن أنا كنت طلبت جمع أحاديث، وأيضًا يذكر من روى هذه الأحاديث فهل في الإخوة الذين أجابوا من ذكر شيئًا من هذا؟

أي نعم يا شيخ، الأخت الكريمة من عمان تذكر السند ثم بعد ذلك الراوي

أي تذكر الحديث ومن خرجه.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بادلوا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدني) رواه مسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

هذا ليس من الأشياء التي طلبناها نحن طلبنا أحاديث فيها أدعية فيها التعوذ بالله من الكفر أو من الشرك أو من النفاق، وهذا ليس فيه دعاء.

بعض الإخوة أوردوا الأدعية لكن.... نعم، هذا أورد الدعاء بالراوي لكن لم يذكر بداية السند.

قوله: (اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءً أو أجره إلى مسلم) رواه مسلم.

هذا ليس في مسلم.

هو كتبه هكذا رواه مسلم، أخطأ؟

نعم.

الحديث الآخر: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) رواه مسلم والإمام أحمد.

الحديث الأول والثاني كلاهما ليس فيه شاهد على ما طلبنا.

الحديث الثالث يا شيخ: (اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) رواه ابن النجار عن ابن عمر.

أيضًا ليس فيه شاهد.

قد يكون يا شيخ الصورة لم تتضح لدى الإخوة في مرادك من السؤال

كان المطلوب أحاديث فيها الدعاء بالتعوذ من الكفر أو الشرك أو النفاق، هذا المطلوب تحديدا في اللقاء السابق.

جواب السؤال الثاني: المتطلبات العملية لمن خاف الشرك؟

أولًا: أن يتعلم ما يقي به نفسه من الشرك.

ثانيًا: يكثر من دعاء الله والاستعاذة به من الوقوع في الشرك.

ثالثًا: يحرص على مصاحبة الأخيار وطلبة العلم حتى ينبهوه إن أخطأ.

رابعًا: يبتعد عن كل ما قد يوقعه في الشرك فلا يعلق صورا لأشخاص، ولا يغالي في تعظيم الصالحين، ويصدق في توكله على الله.

لكن مرة ثانية أأكد على الأخ الكريم تأكد من الراوي، لما يقول: رواه مسلم، لابد أن يتأكد.

شكر الله لجميع الإخوة الذين شاركونا عبر الموقع،

الأخ الكريم من الجزائر يقول: نرجو من الشيخ عبد الرزاق البدر، أن ينصح الشباب المبتدئين في طلب علمهم، يعني: أن يوجهوهم إلى كتب توحيد مبسطة للمبتدئين في طلب العلم؟

الأخ الكريم من مكة يقول: أريد أن أسأل عن بعض الصفات الموجودة عند الجماعات الإسلامية، هم يذكرون أن بعض الصفات مثل الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأيضًا الصفة الثانية هي الصلاة، وتكون من ضمنها إكرام المسلمين والدعوة إلى الله؟ أود أن أتبين يا شيخ هل هذه الصفات من ضمنها أنهم يأخذون حالة المدعو إليه وأحواله؟ بعض الصفات لابد أن يعرفوها قبل أن يذهبوا إليه مثلًا يسألون عن أحواله عن أوضاعه مثلًا؟

الأخ الكريم كان يسأل عن بعض الكتب التي في التوحيد، ومن فضل الله أن أهل العلم كتبوا في التوحيد قديمًا وحديثًا كتابات نافعة ومفيدة جدًا لطالب العلم، والتدرج في هذا العلم وفي غيره من العلوم مطلوب، والكتب في هذا الباب كثيرة لكن إذا بدأ طالب العلم بالأصول الثلاثة وكتاب التوحيد وكلاهما للشيخ محمد -رحمه الله- وكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فهذه الكتب الثلاثة حفظها غيبا ومراجعة الشروحات الكثيرة التي كتبها أهل العلم على هذه الكتب، هذا في غاية النفع وفي غاية الفائدة لطالب العلم، وصوت الأخ كان غير واضحًا في طرحه.

وبالنسبة لأخينا السائل الآخر من مكة يسأل عن بعض الجماعات الذين يتكلمون عن الكلمة الطيبة وعن الصلاة ذات الخشوع وعن.... فعلى كل حال الدعاء إلى الكلمة الطيبة، والدعاء إلى الصلاة ذات الخشوع، وإلى أمور البر الأخرى هذا لا شك أنه مطلوب، وأمور الدين قائمة على الدعوة إلى الكلمة الطيبة وإلى الصلاة وإلى الزكاة لكن الشأن أن تكون أيضًا هذه الدعوة إلى هذه الأشياء على بصيرة، أن تكون على بصيرة، فالذي يدعو إلى لا إله إلا الله بمفهوم خاطئ فهذا لا شك أنه مخطئ حتى وإن كان يقول: إنه داعية إلى الكلمة الطيبة إذا كان يفسرها تفسيرا خاطئا فمثلًا من يفسر الكلمة الطيبة بأنها إخراج اليقين الفاسد من ذات الإنسان وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله بأنه الخالق الرازق المنعم إلى آخره، هذا تفسير خاطئ لـ"لا إله إلا الله" وقرأ للشيخ ابن عثيمين في بعض فتاويه قال: هذا تفسير باطل، فإذا كان الإنسان يدعو إلى الكلمة الطيبة ويفسرها بهذا المعنى ما أفاد الناس بحقيقة التوحيد وحقيقة هذه الكلمة من البراءة من الشرك وإخلاص الدين لله -سبحانه وتعالى- فعلى كل حال الدعوة إلى الكلمة الطيبة إلى لا إله إلا الله هذا أمر مطلوب لكن يجب أن تكون هذه الدعوة على بصيرة وعلى علم وعلى بينة من دين الله -سبحانه وتعالى- حتى تكون دعوته موافقة للحق والصواب.

شيخنا الكريم لعلكم تُخَتِّمون الدرس وتذكرون سؤالي هذا الدرس المبارك

على العادة يُطرح سؤالان السؤال الأول: أحب من الإخوة أن يجمعوا لنا خمس صفات لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه-؟

وأيضًا السؤال الثاني: أن يرجعوا إلى منظومة سلم الوصول للحافظ الحكمي -رحمه الله- ويستخرجوا منه البيت الذي نص فيه -رحمه الله- على أن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يبدء به في الدعوة إلى الله؟

واستأذن الأخ تركي في فائدة مر مكانها لكن أحب أن لا أختم الدرس إلا وأذكر بها، مر معنا في هذا الحديث فضلُ أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ودعاءُ النبي -صلى الله عليه وسلم- له وإعطاؤُه الراية وهذا يدل على فضل هذا الإمام، فحقيقة أريد أن أنبه على حقيقة عرفناها وشاهدناها وقرأناها في سيرة مؤلف هذا الكتاب، كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ولنا قراءة في كتبه -رحمه الله- وهذه الحقيقة أن هذا الرجل الشيخ محمد -رحمه الله- يحب آل البيت حبا عظيمًا ولهم مكانة في قلبه كبيرة جدًا، ونشأ -رحمه الله- على ذلك وتربى عليه، وكثيرًا ما نرى في كتبه ثناءه على أهل البيت وبيانه لفضلهم وبيانه لمكانتهم ومن شدة حب هذا الإمام لآل البيت أن أولاده وعددهم سبعة سماهم بأسماء آل البيت أولاده سبعة وهم: علي والحسن والحسين وعبد الله وإبراهيم وفاطمة هؤلاء الستة كلهم من آل البيت والسابع عبد العزيز هو الذي، وتعرفون تسمية الرجل بأبنائه يدل على حبه بمن؟ ومع ذلك خصومه يتهمونه بغير ذلك نسأل الله العافية والتوفيق والسداد والله أعلم.

الدرس الثامن

شرح كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين- أما بعد،

فإن المصنف -رحمه الله تعالى- في الأبواب المتقدمة بيّن هذا الترتيب مكانة التوحيد وفضله وحقيقته، وحذر من ضده، ودعا إليه، ونبه إلى أهمية الدعوة إليه، وهذه تأصيلات مهمة تقعيدات مباركة ينبغي على كل مسلم أن يعنى بها ويهتم، ثم شرع المصنف -رحمه الله تعالى- بدءا من الباب الذي سنأخذه هذه الليلة إلى نهاية الكتاب بدأ بشرح التوحيد وبيانه وإيضاحه؛ ولهذا عقد هذه الترجمة في تفسير التوحيد أي: في شرح التوحيد وبيانه وفي نهاية هذه الترجمة قال: وتفسير هذه الترجمة وبيانها فيما يأتي بعدها من أبواب.

الآن بدءا من الباب الذي سنأخذه هذه الليلة إلى نهاية الكتاب كل ذلك شرح للتوحيد وتفسير له وبيان له والآن نسمع كلام الشيخ -رحمه الله تعالى- ويأتي بعد ذلك بيان ما يتيسر بيانه حول هذا الباب.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧])

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله. عقد هذه الترجمة كما أسلفت لتفسير التوحيد، والتفسير هو البيان والإيضاح.

والمصنف -رحمه الله تعالى- عقد هذه الترجمة ليبين التوحيد ما هو ويفسر معناه ويجلي المقصود به، قال: تفسير التوحيد. والتفسير للشيء يكون تارة لبيان المعنى الذي يحتويه اللفظ المفسر، وتارة يكون بذكر ضده؛ لأن الضد يظهر ضده وبضددها تتميز الأشياء، مثلا لو قال قائل: ما هو النور؟ فقيل له: هو ضد الظلمة. أو قال قائل: ما هي الصحة؟ فقال: ضد المرض. فقال قائل: ما هي اليقظة؟ قال: ضد النوم وهكذا فهذا نوع من التفسير، تفسير الشيء بذكر ضده.

فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

فمن وسائل التعريف والبيان ذكر الضد؛ ولذلك سلك المصنف -رحمه الله تعالى- في شرح التوحيد وبيانه هاتين الطريقتين: طريقة ذكر معاني التوحيد وحقائقه وما يدل عليه التوحيد من معنى، وأيضا بذكر الشرك وبيانه والتحذير منه.

وقوله: تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله عطف هنا الشهادة وأن "لا إله إلا الله" على التوحيد والعطف هنا عطف للدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو مدلول الشهادة، مدلول "لا إله إلا الله" هو التوحيد، ويقال عن هذه الكلمة: كلمة التوحيد؛ لأنها تدل على التوحيد، فالتوحيد هو المدلول والدال عليه "لا إله إلا الله" والترجمة هنا معقودة لبيان التوحيد، وبيان كلمة التوحيد وما تدل عليه من الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- بالعبادة والبراءة من الشرك.

و"لا إله إلا الله" قلنا: إن فيها ركنين النفي والإثبات، نفي العبودية عن كل ما سوى الله، وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده بإخلاص الدين له وإفراده -سبحانه وتعالى- بالعبادة، وبهذا نعلم أن هذه الترجمة والتراجم التي بعدها كلها في بيان هذا التوحيد، إما بذكر أفراد من العبادة وبيان وجوب إخلاصها لله -سبحانه وتعالى- أو بيان أنواع من الشرك المضادة للتوحيد تحذيرا منها ونهيا عنها وبيانا لسوء عاقبة من وقع فيها.

قال: باب تفسير التوحيد وشهادة أن "لا إله إلا الله" ولنلاحظ هنا -أيها الإخوة حفظكم الله جميعا- لنلاحظ أن المصنف عقد ترجمة ليفسر فيها التوحيد، ثم ماذا صنع في تفسير التوحيد؟ أي شيء صنع؟ أورد آيات من القرآن.

انظروا هذه الطريقة المباركة النافعة نفسر التوحيد بالقرآن، يأتي بآيات من القرآن الكريم يفسر لنا التوحيد، ويأتي بحديث في آخر هذه الترجمة يفسر به التوحيد وهذه أنفع طريقة، طريقة رائعة جدا ونافعة فالآن هو عقد هذه الترجمة باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وأخذ يقرأ آيات يأتي بآيات من القرآن وهذه الآيات التي سيوردها كما ستلاحظون هي نفسها مفسرة للتوحيد مبينة لمعناه دالة على المراد به، وهذه الطريقة مباركة، طريقة فيها اعتصام بالقرآن وتمسك بالسنة، لم يذهب مذهب من ابتلوا بالأهواء وبالبدع، يفسرون كلمة التوحيد بأهوائهم أو بحسب ما يعتقدون، وإنما فسر كلمة التوحيد بالآيات وكأنه يقول لك: إذا أردت أن تفهم التوحيد فاقرأ هذه الآيات، فإن هذه الآيات وافية وكافية في تبيان التوحيد لك وتوضيحه لك، .

الآيات التي أوردها أربع آيات: الآية الأولى وهي قول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ ومما يزيد الأمر بيانا ومعرفة بدلالة الآية النظر في الآية التي قبلها وهي قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ أي: الله أيا كان هذا المدعو ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو وليا من الأولياء أو أيا كان ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله -سبحانه وتعالى- ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيل﴾ لا يملكون كشف الضر أي: إذا وقع ونزل لا يملكون كشفه أي: رفعه ولا يملكون تحويله قبل أن ينزل تحويله من مكان إلى مكان آخر فلا يملكون لا دفع ولا رفع ولا تحويل وإنما الذي يملك ذلك كله رب العالمين سبحانه وتعالى.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أولئك الإشارة هنا إلى ما سبق في الآية من يدعون من دون الله، والذين يدعون من دون الله الذين إليهم الإشارة هنا هم إما ملائكة على أقوال في كتب التفسير إما ملائكة أو أنبياء أو صالحين من عباد الله، وأيضا في بعض التفاسير أنهم نفر من الجن أسلموا ففي الآية يقول -جل وعلا-: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الذين تدعونهم من دون الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الضمير في يدعون يعود على من؟ على الكفار المشركين، يبتغون الضمير في يبتغون يعود على من ؟ المعبودين فالله يقول ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾أي: أولئك الذين يدعوهم الكفار ويشركون بهم ويعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يتقربون إلى الله ويبتغون إليه الوسيلة، بعبادته والخضوع له، والتذلل بين يديه، وطلب رحمته والخوف من عذابه، يبتغون إلى ربهم الوسيلة فمن تدعوهم من ملائكة أو أنبياء أو صالحين شأنهم أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.

لاحظ في قوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ فيه بيان للتوحيد، بأي نوعي البيان؟ وأي نوعي التفسير؟ اللذين ألمحت لهما في مطلع هذ الدرس ببيان ما يحويه اللفظ المفسر من معنى، والآن لو أردت أن تفسر التوحيد وقلت: التوحيد هو ابتغاء الوسيلة إلى الله، هو دعاء الله وابتغاء الوسيلة إلى الله -سبحانه وتعالى- هذا تفسير صحيح لأن

حقيقة التوحيد هو أن تفرد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة وأن تطلب القربى منه وتتجه إليه وحده وتلجأ إليه وحده وترغب إليه وحده وتخافه وحده هذا هو التوحيد الذي فعله هؤلاء الذين إليهم الإشارة في قوله أولئك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ بل هذه الآية اشتملت كما نبه أهل العلم على أركان التعبد القلبية الثلاثة التي يقوم عليه التعبد وهي الحب، حب الله -سبحانه وتعالى- ورجاء ثوابه وخوف عقابه هذه الثلاثة الحب والرجاء والخوف، الحب في قوله ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: لحبهم له -سبحانه وتعالى- ويرجون رحمته هذا الركن الثاني، ويخافون عذابه الركن الثالث، وهذه الأركان الثلاثة هي أركان التعبد القلبية، بمعنى أي عبادة تتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى- لابد أن تكون قائمة على هذه الأركان الثلاثة تعبد الله لأنك تحبه وترجو رحمته وتخاف عذابه.

يشبهونها بالطائر

بعض أهل العلم يشبهها بالطائر الرجاء والخوف جناحاه والحب روحه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الآية فيها تفسير للتوحيد وبيان حقيقته ومعناه وفيها تفسير للتوحيد بإبطال ضده وهذا النوع الثاني من التفسير لإبطال ضده والله -سبحانه وتعالى- أبطل الشرك في هذا السياق المبارك قال ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ فدعوة غير الله -سبحانه وتعالى- والالتجاء إلى غيره أيا كان هي باطلة، وهي أيضا ظلم بل أظلم الظلم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وإذا وضعت العبادة في غير موضعها صرفت لمخلوق فهذا أظلم الظلم أعظم الباطل.

إذن أظنه واضح وجه سياق الشيخ -رحمه الله تعالى- لهذه الآية الكريمة في تفسير التوحيد هذه الآية فيها تفسير للتوحيد من جهتين:

الجهة الأولى: ببيان معنى التوحيد وما يدل عليه، يدل عليه كلمة التوحيد وهذا في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ .. الآية﴾ والجهة الثانية: بالتحذير من ضده وإبطال ضده وهو الشرك بالله -سبحانه وتعالى- وبهذا يظهر الشاهد من هذه الآية في الترجمة ووجه سياق الشيخ لها في هذا الباب.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- : (وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦: ٢٧]،)

وهذه الآية أيضا فيها بيان واف للتوحيد وكنا قد عرفنا فيما سبق أن التوحيد وكلمة التوحيد بـ"لا إله إلا الله" تقوم على ركنين النفي والإثبات، النفي في قوله: "لا إله" والإثبات في قوله: "إلا الله" وهنا في هذا السياق المبارك ذكر إمام الحنفاء إبراهيم الخليل -عليه السلام- التوحيد بذكر معناها فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فذكر ركني التوحيد النفي والإثبات فعبرعن النفي الذي في قوله: "لا إله" بقوله هنا ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ وعبر عن الإثبات هنا بقوله﴿ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فجمع بين ركني التوحيد فهنا إذن لو قيل لك: ما تفسير التوحيد؟ وما تفسير كلمة التوحيد على ضوء هذه الآية؟ تقول: هو البراءة مما يعبد من دون الله وعبادة الله -سبحانه وتعالى- وحده قال ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذه براءة من كل ما يعبد من دون الله براءة من كل عبادة تصرف لغير الله ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ لأنها مبنية على الظلم، على الضلال، على الباطل، وعلى إعطاء حق الله -سبحانه وتعالى- لغيره فالتوحيد براءة من ذلك كله ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ إلا الذي فطرني لأنهم هم في جملة معبوداتهم يعبدون الله، لكنهم اتخذوا معه الشركاء؛ ولهذا استثنى قال: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وهو الله -سبحانه وتعالى- وفي قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تنبيه لطيف إلى أن الذي يستحق أن تصرف له العبادة وتخلص له الطاعة هو الفاطر الخالق الرب المنعم المتصرف، أما من سواه مما لا يملك رفعا ولا دفعا ولا عطاء ولا منعا ولا حياة ولا نشورا فلا يستحق من العبادة شيئا، الذي يستحق العبادة الفاطر؛ ولهذا قال: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فالذي فطر أي: أوجد المخلوقات وخلقها هو الذي يستحق أن يعبد، أما

من سواه أيا كان ومهما كان فلا يستحق من العبادة شيئا ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا﴾ [الزخرف: ٢٧: ٢٨] ما هي؟ كلمة التوحيد ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فالذي يرجع إلى هذه الكلمة ويعرفها ويتعلمها ويؤمن بها ويحققها هو الذي يصيب الحق ويوفق للصواب، من جعلها مرجعا له ومعتصما ومستمسكا، لعلهم يرجعون ويتمسكون بعراها كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي: استمسك بـ"لا إله إلا الله" لا يكون الاستمساك بـ"لا إله إلا الله" إلا بالأمرين: البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله -سبحانه وتعالى- وحده.

إذن هذه الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل إمام الحنفاء -عليه السلام- كلمة باقية في عقبه هي كلمة التوحيد، وذكرها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمعناها ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إذن هذه الآية الشاهد منها أن فيها تفسيرا للتوحيد وبيانا له.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١]).

وكذلك هذه الآية من الآيات المفسرة والمبينة لمعناه وقوله -جل وعلا- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ الأحبار العلماء والرهبان العباد، وقوله اتخذوهم أربابا ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾ بتقديم طاعتهم على طاعة الله، ويحلون الحرام فيحلونه ويحرمون الحلال فيحرمونه؛ ولهذا جاء تفسيرها في حديث عدي (لما قرأ هذه الآية وقال: ما كانا نعبدهم. قال: أليسوا يحرمون الحلال فتحرمونه، ويحرمون الحلال فتحرمونه؟ قال: بلى. قال: تلك عبادتهم) والطاعة عبادة، الطاعة لله -سبحانه وتعالى- طاعة الله -جل وعلا- والشرع شرعه والحكم حكمه ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ﴾ [الشورى: ٢١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] والتشريع من خصائص الرب -جل وعلا- هو الذي خلق، وهو الذي يشرع ويحكم، وقد مر معنا قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] فالشرع شرعه، والحكم حكمه، والأمر أمره، والنهي نهيه، والخلق عبيده، يطيعونه فيما أمر، وينتهون عما نهى عنه، ليس لأحد ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المسيح بن مريم أي: جعلوه شريكا لله -سبحانه وتعالى- وصرفوا له حق الله قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

فإذن هذه الآية شارحة للتوحيد ومبينة لمعناه وسيأتي إفراد ما يتعلق بها ذكر حديث عدي في باب لاحق يأتي -إن شاء الله تعالى- عند المصنف.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥])

ثم ختم المصنف إيراده للآيات المفسرة للتوحيد المبينة لمدلوله ومعناه بهذه الآية من سورة البقرة قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ والمراد بهؤلاء المتخذين للأنداد المشركين، الذين سووا غير الله -سبحانه وتعالى- به وقد مر معنا أن الشرك هو التسوية، وأن المشركين في النار نادمين ومتحسرين ندامة لا تنفع وتحسرا لا يجزي يقولون: ﴿تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧: ٩٨] فيقرون في النار أن هذه التسوية هي التي أودت بهم إلى الهلكة وأوصلتهم إلى النار مخلدين فيها أبدا.

وهنا هذه الآية التي أورد المصنف وهي قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ وهذه من نوع تفسير التوحيد ببيان ماذا؟ ببيان ضده وهو الشرك، فهنا يبين الشرك في تسوية غير الله بالله في

المحبة ضده ما هو؟ ضده هو التوحيد من أخلص المحبة المرادة هنا المحبة التي تقتضي الذل والانكسار والخضوع للمحبوب، من أخلص هذه المحبة لله فهو الموحد، ومن سوَّى غير الله بها فهو المشرك.

فإذن هنا هذه الآية تبين لنا الشرك، وبمعرفتنا للشرك نعرف ضده، تسوية غير الله بالله في المحبة شرك، وإخلاص المحبة لله توحيد؛ ولهذا في مسائل الشيخ قال ما معناه: إذا كان هذا فيمن سوَّى غير الله بالله، فالله قال في تمام السياق قال: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧] يعني: هؤلاء الذين سووا غير الله بالله في المحبة هؤلاء لا يخرجون من النار يوم القيامة بل يخلدون فيها أبدا، لأنهم سووا غير الله بالله، يقول الشيخ: فكيف بمن جعل محبة غير الله أعظم من محبة الله؟ وكيف من لم يكن في قلبه إلا محبة غير الله ؟ إذا كان من سوى استوجبت تسويته الخلود في النار ولا يخرج منها كما قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ فكيف بمن محبة غير الله في قلبه أكبر من محبة الله؟ وكيف بمن ليس في قلبه إلا محبة غير الله؟ قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: المشركين ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادً﴾ والند هو المكافيء المساوي النظير فيجعلون لله نظراء مساوين مكافئين ﴿أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ أي: هؤلاء المشركون يحبون أندادهم محبة مساوية لمحبتهم لله ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ وقيل ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ أي: كحب المؤمنين لله لكن المعنى الأول أظهر وأقوى، وهو يدل دلالة واضحة على أن المشركين يحبون الله أليس كذلك؟

فيه مفاضلة فيه أشد

يحبون قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ فهم يحبون الله، ولكن يجعلون محبتهم لأندادهم مثل محبتهم لله، إذن هم يحبون الله فهل هذه المحبة منهم لله نفعتهم؟ لا حتى نفهم ما التوحيد، هل هذه المحبة التي وقعت منهم لله -سبحانه وتعالى- هل نفعتهم أو لم تنفعهم؟ سيأتي معنا أنهم ما يخرجون من النار ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ وهم يحبون الله ودلالة الآية على أنهم يحبون الله ظاهر؛ لأن الله قال عن هؤلاء المشركين: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعني: الأنداد ﴿كَحُبِّ اللهِ﴾ ففي قلوبهم محبة لله ولكنهم مع ذلك جعلوا لأندادهم محبة مساوية لمحبة الله فاصبحوا كفارا مشركين من أهل النار مخلدين فيها أبدا.

من هنا نفهم التوحيد أن حق الله -سبحانه وتعالى- ومنه المحبة لا يعطى لغير الله، إن أعطي لغيره فهذا هو الشرك، وإن أخلص لله فهذا هو التوحيد، إذن الآية تفسر لنا التوحيد تفسيرا من أبين وأوضح ما يكون ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ ممن؟ من حب المشركين لله، وقيل: من حب المشركين لأصنامهم، والأول أظهر وأولى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ لأن حب المؤمنين لله حب خالص صافٍ، لم يجعلوا مع الله -سبحانه وتعالى- شريكا، وحب المشركين لله حب مخلط فيه تسوية غير الله -سبحانه وتعالى- بالله.

فإذن التوحيد هو في حب المؤمنين لله الخالص الصافي الذي لم يجعل مع الله -سبحانه وتعالى- فيه شريكا، والشرك في حب المشركين لله الذي جعلوا فيه حب غير الله مساويا لحب الله -سبحانه وتعالى- على ضوء هذا هذه الآية أصبحت ماذا؟ فيها تفسير للتوحيد وبيان معناه، وأظن الأمر واضحا عند الإخوة جيدا، لو قيل لنا: ما تفسير التوحيد وما معناه على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾؟ هل يوجد أحد من إخواننا يجيب على هذا السؤال حتى نطمئن أن المعنى وصل؟

يمكن -فضيلة الشيخ- أن نجيب على هذه السؤال بقولنا: إن المؤمنين حبهم هذا الحب الذي هو حب الله -سبحانه وتعالى- الصافي النقي هذا هو التوحيد، والشرك هو جعل تسوية أو صرف هذه الحب لغير الله -سبحانه وتعالى- وتسوية غيره به.

على العموم جزاك الله خيرا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ الآية كما مر معنا فيها تفسير للتوحيد وبيان لمعناه بذكر فرد من أفراد العبادة وهو المحبة، وهي عبادة قلبية تنبني عليها أنواع الطاعات وعموم العبادات، فمن جعلها لله خالصة هو الموحد، ومن سوى غير الله بالله فيها فهو المشرك.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وفي الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله -عز وجل) وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب)

ثم أورد المصنف -رحمه الله تعالى- هذا الحديث وهو كذلك فيه تفسير للتوحيد وبيان لمعناه، قال -عليه الصلاة والسلام-: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله وحسابه على الله) فالتوحيد ومدلوله على ضوء هذا الحديث لابد فيه مع قول: "لا إله الا الله" واليقين بها ومعرفة مدلولها لابد فيه من الكفر بما يعبد من دون الله.

قد مر معنا قول إمام الحنفاء -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وأيضا قوله -جل وعلا-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [الممتحنة: ٤] فالتوحيد لابد فيه من البراءة مما يعبد من دون الله ببغض المعبودات، ببغضها وبغض عبادتها وكراهية عبادتها من دون الله وأن عبادتها باطلة وتؤدي بصاحبها إلى العذاب الأبدي والعقوبة الأبدية في نار جهنم، لابد مع قول "لا إله إلا الله" من تحقيق هذا الأمر وهو الكفر بالطاغوت واجتناب الطاغوت والبعد عن عبادة الطاغوت ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ لابد من هذا لا يكون مستمسكا بالعروة الوثقى التي هي "لا إله إلا الله" إلا بالكفر بالطاغوت والكفر بالطاغوت هو ما جاء في الحديث هنا (وكفر بما يعبد من دون الله) وفي الآية ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا هو الكفر بالطاغوت ولا يكون الإنسان موحدا إلا به، ومجرد قول: "لا إله إلا الله وحده" لا يكفي، والعلم بمعناها وحده لا يكفي، بل لابد مع العلم والفهم لمعنى هذه الكلمة أن يقوم في قلب القائل لـ"لا إله إلا الله" كفر بالطاغوت وبراءة من كل ما يعبد من دون الله؛ ولهذا قالوا: وكفر بما يعبد من دون الله.

(حرم دمه وماله) يعني: تتحقق العصمة قال: (وحسابه على الله) لأن هذه الأمور قد تظهر أو قد يظهرها إنسان ويبطن خلافها، مثلما يقع من المنافقين لكن نحن لنا ما يظهر الحساب، حساب البواطن على الله -سبحانه وتعالى- الله -عز وجل- يتولى السرائر ولنا ما ظهر لنا.

إذن هذا الحديث يفسر لنا "لا إله الله" مثلما الآيات التي أورد المصنف -رحمه الله تعالى- فيها تفسيرا لـ"لا إله إلا الله".

على ضوء هذه الطريقة النافعة التي أوردها المصنف -رحمه الله تعالى- ويستطيع المسلم أن يفهم التوحيد من القرآن، والشيخ أعطاك مفتاحا للباب، ليس الذي يوضح التوحيد من قرآن هذه الآيات الأربع، فالقرآن كله يوضح لك التوحيد، لكن الشيخ يفتح لك الباب لفهم التوحيد على ضوء القرآن، وإلا فآيات كثيرة جدا تشرح لك التوحيد وتبين لك معناه على نفس الطريقة مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] هذا هو التوحيد: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] هذا هو التوحيد ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] هذا هو التوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] هذا هو التوحيد، فهذه الطريقة حقيقة نافعة نسأل الله -جل وعلا- أن يرحم هذا الإمام وأن يجزيه

خير الجزاء على هذه الصنيع المبارك والتبيان وربط الناس بالقرآن وبكلام الله وبكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في بيان التوحيد وفي بيان أمور الدين عموما.

لما ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- هذه الآيات الأربع وختمها بهذا الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال -رحمه الله تعالى- ما نصه وتفسير:

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب

شرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب، لاحظ معي هنا الترجمة معقودة بماذا؟ بتفسير التوحيد وأعطاك أربع آيات وحديثا من خلالها تفهم التوحيد، ويتضح لك معناه وكما قلت لك: هذا فقط فتح باب لك لأن تفهم التوحيد من خلال القرآن ومن خلال سنة النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

وتفسير التوحيد يكون بمعرفة أفراد العبادة التي يجب أن نخلصها لله -سبحانه وتعالى- وأيضا بمعرفة أفراد الشرك الذي يجب أن نحذر منه ونجانبه؛ ولهذا سيأتي معنا من الباب الآتي إلى نهاية الكتاب أبواب كثيرة فيها تفسير للتوحيد إما ببيان أفراد العبادة مثل الصبر والتوكل والرجاء والخوف وعبادات كثيرة جدا ستأتي ليبين بالآيات أنها حق لله -سبحانه وتعالى- لا يجوز صرفها لغيره، أو بيان للتوحيد بذكر أنواع للشرك الاستغاثة بغير الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، وأشياء أخرى كثيرة ستأتي معنا من الشرك الأكبر، وأيضا أمور وأبواب عديدة سيذكرها من الشرك الأصغر مثل شرك الألفاظ فيكون -رحمه الله تعالى- فيما سيأتي من أبواب يبين التوحيد إما ببيان مدلوله ومعناه بذكر أفراده أو ببيان ضد التوحيد وهو الشرك الأكبر أو ما ينقص به كمال التوحيد الواجب وهو الشرك الأصغر وهذه طريقة مباركة نافعة مفيدة جدا لكل مسلم، وفق الله -سبحانه وتعالى- هذا الإمام -رحمه الله تعالى- وغفر له، وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء، بشرحه وبيانه في هذا الكتاب المبارك العظيم.

وكما رأيتم وترون في أبواب هذا الكتاب كله ليس فيه إلا عرض للآيات والأحاديث لم يأت بشيء من نفسه ولا اخترع شيئا من عند نفسه ولا أوجد شيئا أحدثه، وإنما كل ذلك بالبيان، ويكفيكم هذا الباب العظيم الذي أخذناه هذا اليوم عقد عنوانا "تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله" واكتفى بذكر أربع آيات وحديث، وانتهى البيان عند هذا الحد فهذه طريقة أهل القرآن وأهل السنة وأهل الإيمان والاعتصام بكتاب الله التي هُدي إليها هذا الإمام وهُدي إليها أئمة السلف -رحمهم الله تعالى- قبله وأيضا من سار على نهجهم إلى يومنا هذا وهي طريقة مباركة نافعة نسأل الله -جل وعلا- أن يوفقنا للاعتصام بكتابه والتمسك بسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأن يوفقنا لفهم التوحيد على وجهه الصحيح، وأن يعيذنا من الشرك ومن البدع ومن الضلالات، إنه تبارك وتعالى سميع مجيب قريب.

فضيلة الشيخ ورد إلى ذهني الآن في الحديث وهو ما نصه (وكفر بما يعبد من دون الله) هذا مثل الآية التي وردت قبل قليل ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾؟

نعم نفس المعنى وأيضا نفس المعنى في الآية التي مرت معنا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فهذا هو الكفر بما يعبد من دون الله.

سؤالي فضيلة الشيخ هو حال الإنسان أحيانا أو عادة إذا قام الإنسان بعبادة وهو يفرح بهذه العبادة عندما يؤديها يفرح بها فهل هذا يعد من الرياء أو المن على الله سبحانه وتعالى؟

الفرح بالعبادة والتوفيق لها هذا مطلوب ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُو﴾ [يونس: ٥٨] فالفرح بها مطلوب يفرح الإنسان أن وفقه الله للصلاة، وفقه الله للحج، وفقه الله للصيام، وفقه الله لقراءة القرآن، هذا الفرح مطلوب هذا فرح بفضل الله -سبحانه وتعالى- وبرحمته والإعجاب بالنفس هذا مذموم لا يعجب بنفسه ولا يدلي على الله -سبحانه وتعالى- أو يمن على الله بالعبادة هذا مذموم كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] أما كون الإنسان يفرح أن الله وفقه وأنعم عليه ويسر له أداء العبادة و القيام بالطاعة فهذا لا شيء فيه.

ذكرت أن أركان القلب التعبدية الحب والرجاء والخوف فهل تعطينا مثالا يوضح لنا المعنى؟

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- له لفتة جميلة جدا في بيان هذه الأركان التعبدية القلبية الثلاثة يقول -رحمه الله تعالى- في كلام له على تفسير سورة الفاتحة (يقول: إن سورة الفاتحة اجتمع فيها أركان التعبد القلبية الثلاثة الحب والرجاء والخوف ولم يأت قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] الذي هو الغاية إلا بعد أن أرسيت أركان التعبد الثلاثة فيما قبلها من آيات) فقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا فيه الحب لأن الثناء على المحبوب مع حبه والله -عز وجل- يحمد لما قام في قلب حامده من محبة لله على أسمائه وصفاته، وأيضا على نعمه وأفضاله وعطاياه فالحمد فيه الحب وإذا قرأ المسلم ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو مستحضر ما يدل عليه الحمد من استغراق المحامد لله -سبحانه وتعالى- على أسمائه وصفاته وعطاياه يقوم في قلبه الحب، حب الله -جل وعلا- والرجاء، في قوله: الرحمن الرحيم؛ لأنه إذا قرأت: الرحمن الرحيم وأنت تستحضر ما تدل عليه من معنى ما الذي يتحرك في قلبك؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ مر معنا في الآيات فإذا قرأت ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧: ١٩] ما الذي يتحرك في قلبك؟ الخوف، تخاف ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ جاءت بعد هذا فكأنك على ضوء هذا التقرير تقول يا الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نخصك بالعبادة بالحب الذي دل عليه ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وبالرجاء الذي دل عليه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وبالخوف الذي دل عليه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فالله -عز وجل- يعبد بهذه الأمور الثلاثة بالحب والرجاء والخوف، لا يعبد بالحب وحده ولا بالرجاء وحده وإنما يعبد بالحب والرجاء والخوف.

نستعرض الأجوبة: تقول: الجواب الأول قال -عليه الصلاة والسلام- بعض الصفات لمعاذ بن جبل -رضي الله تعالى عنه-: (وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل) وقال -عليه الصلاة والسلام-: (معاذا أمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين) وقال جابر بن عبد الله: كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقا، وأسمحه كفا، وكان من الذين يفتون على عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأيضا عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (نعم الرجل أبو بكر، ونعم الرجل عمر، ونعم الرجل معاذ بن جبل)

ليت الأخت ذكرت مخرج هذه الأحاديث، وإذا كان أحد من أهل العلم ذكر شيئا من درجة الحديث حتى تتم الفائدة.

الجواب الثاني قال الشيخ حافظ الحكمي:

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

هناك بيت في الدلالة على المقصود وما طلبناه من الإخوة أظهر من هذا البيت، هذا يدل على المقصود لكن هناك بيت وهو الذي قصدته لأنه كان المطلوب إيراد بيت من المنظومة فيه أن التوحيد أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله –جل وعلا– وهذا البيت فيه أنه أول واجب على المكلف فلا يدل على المقصود لكن هناك بيت أصرح وأخص.

نذكر نحن بعض الصفات، يعني: نحاول أن ننوع في بعض الصفات التي يذكرها بعض الإخوة أما المكرر فلا داعي لذكره.

من الصفات كذلك أنه كان أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهده –صلى الله عليه وسلم– وكان مع الاثنين والسبعين رهطا الذين بايعوه في العقبة، وكانه رسولَ رسولِ الله إلى اليمن وهو الحديث الذي كان في الباب.

السؤال الثاني أجابت عنه:

أن تعبدوا الله إلها واحدا معترفا بحقه لا جاحدا

وهو الذي به الإله أرسلا رسله يدعوه إليه أولا

هذا واضح في المقصود، وبالمناسبة هذه دعوة لمراجعة شرح الشيخ –رحمه الله تعالى– في كتابه معارج القبول في موضوعنا نحن.

كذلك أخرى ذكرت من الصفات التي ذكرتها «وكان ذكيا يشبه عمر بن الخطاب في استنارة عقله، سأله النبي –صلى الله عليه وسلم– حين وجهه إلى اليمن (بم تقضي يا معاذ؟ فأجابه قائلا: بكتاب الله. قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله. قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: فإن لم تجد في سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ قال معاذ: أجتهد رأيي ولا آلو. فتهلل وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله) »

مع ذلك أؤكد على قضية مراجعة الأحاديث، وأيضا مراجعة كلام أهل العلم على الأحاديث من حيث الصحة وعدمها.

حقيقة هذه المشاركات مقصودة وهي من تمام الاستفادة والانتفاع في دراسة هذا الكتاب، وما أطرحه من أسئلة هي أشياء تفيد المسلم، تفيد طالب العلم عندما يرجع إلى هذه الكتب ويرجع إلى المصادر حتى تتم له الفائدة وتكمل، فأشكر لجميع المشاركين هذه المشاركة الطيبة، وأسأل الله –عز وجل– أن يثيبهم وأيضا أدعو الجميع في اللقاءات القادمة أن يشاركوا ويتواصلوا معنا حتى تتم الفائدة بشكل أكبر وأحسن وشكر الله للجميع.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الآية الأولى من تفسير التوحيد لو تعيد شرحها المختصر المفيد آية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾

شرح مفصل؟

لا مختصر بسيط لأني سمعت الباقي

أظن فيه إعادة للمحاضرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حكم قول "تبارك الله" إذا رأى الإنسان ما يعجبه؟

السؤال الثاني عن حكم قول الشاعر: ليتك تحلو والحياة مريرة؟

بالنسبة للأسئلة التي خارج المنهج أنا لي طريقة في الكلية مع الطلاب ربما سأسلكها في هذا الدرس أن أقول للطلاب دائما: السؤال الذي خارج الدرس خارج الدرس؛ لأننا إذا فتحنا الباب للأسئلة المتنوعة نخرج عن المقصود لكن الأصل في الأسئلة التي تعقب الدرس عن إشكالات متعلقة فلعل بهذه المناسبة أن تكون الأسئلة دائما فيما يتعلق بالموضوع نفسه إما إشكالا أو شيئا ما اتضح؛ لأننا اجتمعنا لدراسة شيء معين وهناك مجالات أخرى للأسئلة المتنوعة في الإفتاء وبعض اللقاءات العامة يمكن أن تطرح فيه الأسئلة المنوعة، لكن الدرس الذي اجتمع فيه لغرض معين أو حدث معين فتكون الأسئلة فيه مختصرة عن الموضوع، ولعل بهذا التنبيه يكون اعتذارا فيما يأتي من أسئلة عن أي سؤال يخرج به السائل عن المقصود؛ لأنه على حساب الدرس الذي اجتمعنا لأجله وأما الأخ الذي طلب إعادة شرح الآية فأعيدها له فيستمع إليها في الإعادة.

وأنا لا أرد طلبه ولكن قصدي أن يستمع إلى الشرح متكامل بدلا من أن يكتفي بالاختصار الذي طلبه الآن.

يسأل: يقع بين الكثير لبس كبير في التفريق بين الوسيلة والشفاعة فأرجو توضيح الفرق بينهم

ليس هناك لبس من فهم الوسيلة يفهم الشفاعة ويفهم غيرها على الوجه الصحيح لأن الوسيلة هي طلب القرب من الله -سبحانه وتعالى- بما يرضيه لهذا جاء عن أحد الصحابة أظنه ابن مسعود قال: "يبتغون إليه الوسيلة" أي: الإسلامة فالوسيلة هي القرب إلى الله -سبحانه وتعالى- بما يرضيه، وأعظم ذلك التوحيد والإخلاص لله -سبحانه وتعالى- فيقبل على الله عبادةً وتذللا وخضوعا وانكسارا هذه هي الوسيلة ولا يجوز لإنسان أن يبعد أو ينحرف في فهم الوسيلة على غير بابها والله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] يعني: لا إلى غيره، فطلب القرب من الله -سبحانه وتعالى- الذي هو الوسيلة إنما يكون بطاعته بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، هذه هي الوسيلة إلى الله -سبحانه وتعالى- والشفاعة جاء في القرآن نفي لها وإثبات ففي آيات كثيرة نفيت الشفاعة وهي التعلق بغير الله -سبحانه وتعالى- وعبادة غيره وتسمية ذلك الشفاعة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا شرك وإن سماه صاحبه شفاعة، وبعضهم أيضا يسميه وسيلة لا يتوسل إلى الله -سبحانه وتعالى- بالشرك وبعبادة غيرهم -سبحانه وتعالى- والشفاعة المثبتة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- هي دعاؤه ورجاؤه وطلب رحمته دعاء المسلم لنفسه ولإخوانه المسلمين فهذا لا بأس به، أما التعلق بغير الله والتوجه إلى غير الله والطلب من غير الله وصرف العبادة لغير الله وتسمية ذلك شفاعة فهذا لا يغير حقيقة الأمر وأنه صرف للعبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عندي سؤالين بالنسبة للشخص الموحد المخلص التوحيد لله -سبحانه وتعالى- هل يمكن أن يخالطه شرك من دون أن يعلم كالشرك الخفي الذي قال عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أنه أخفى في أمتي من دبيب النملة السوداء)؟

سؤالي الثاني: فضيلة الشيخ هل الإنسان الموحد المخلص التوحيد لله هل ينجو من عذاب القبر بتوحيده هذا لا يعذب نهائيا في قبره وجزاك الله خيرا فضيلة الشيخ ؟

السؤال الذي سألت عنه مر معنا وهو في الأدب المفرد وفي غيره وثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال فيه (للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) وقلت لكم في ذاك الوقت: الآن ونحن جالسون في هذا المكان لو مرت نملة من تحتنا أنشعر بها لا نشعر ونبينا -صلى الله عليه وسلم- قال: (أخفى من دبيب النمل) وهذا مما يوجب الخوف من الشرك وقد أرشد -عليه الصلاة والسلام- في الحديث نفسه إلى طريقة نافعة للتخلص من هذا الأمر بالالتجاء إلى الله قال: (ألا أدلكم على شيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره؟ قالوا: بلى. قال: تقولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم) وقوله: (ونستغفرك لما لا نعلم) هذا فيه جواب على السؤال أن الشرك الخفي قد يتسلل إلى الإنسان ويتسلل إلى قلب الإنسان من حيث لا يشعر فهذا يحتاج من العبد إلى مجاهدة تامة لنفسه ولجوء صادق إلى الله -سبحانه وتعالى- بأن يرزقه الإخلاص، وأن ينجيه من الشرك، وأن يعيذه منه، وأن يكون خائفا من الشرك سائلا الله -سبحانه وتعالى- أن يقيه منه، فالشرك الخفي قد يتسلل للإنسان من حيث لا يشعر ولهذا سمي خفيا.

وسؤالها الثاني فيما يتعلق بعذاب القبر: الموحد أو من هم في قبورهم موحدين على نوعين: موحد وحقق توحيده وهذا لا يعذب في قبره، وموحد خلط في توحيده فيما دون الشرك بفعل الكبائر فهؤلاء قد يعذبون في قبورهم مثلما جاء في الحديث: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فلا يستبريء من البول وأما الآخر فيمشي بالنميمة بين الناس).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سؤالي آية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ...﴾ هل تنطبق على من حكم غير شريعة الله وروضي حكمه، وعلى من أطاعه طوعا لا كرها؟ وهل أناس لا تحكم شريعة الله؟ يعني لما تقرأ المتن هذا، ونفهم شرحا عاما، ونرى الواقع نجد الواقع غريبا، فهل يمكن أن تفصل لنا الوضع؟ والعلماء يقررون هذه الأشياء الحكم بما أنزل الله

في شرح كتاب التوحيد لهذه الآية تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد وغيره من كتب التوحيد نقلوا في الشرح كلمة مفيدة جدا لشيخ الإسلام ابن تيمية فيها بيان هذا الأمر وإزالة اللبس الذي قد يشكل على البعض في هذا الباب، وقد قال شيخ الإسلام في بيان هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾ قال: إن هذا على نوعين: إما أن يكون اتخذوهم أحبارا ورهبانا من دون الله بطاعتهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله عن اعتقاد وإيمان، وتقديم لهم على شرع الله وحكمه، قال: هذا كفر. والنوع الثاني أن يكون هذا الفعل يقع عن نوع معصية مثلما يفعل الإنسان بقية المعاصي، الآن الذي يقع في المعصية مثلا يشرب الخمر أو يكذب أو يأكل الربا أو نحو ذلك وهو يفعل ذلك معتقدا أنه محرم أن الله حرمه ونهى عنه ولكنه يفعله عصيانا فهذا لا يكون كافرا، وإنما هذا من المعاصي ومن الذنوب ومن لم يفرق في هذا الباب يقع في اللبس.

تسأل سؤالا متعلقا بالمصطلحات تقول: ما هو الفرق بين التوحيد والعقيدة؟ هل هناك فرق بين مصطلح التوحيد ومصطلح العقيدة

التوحيد سمي توحيدا لأنه إفراد لله، التوحيد أصله في اللغة الإفراد، إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة وإخلاص الدين له، وأيضا إفراده في خصائصه من الربوبية من الأسماء والصفات.

والعقيدة سميت عقيدة أو أمور الإيمان سميت عقيدة؛ لأن مبناها على على ربط القلب، ووجود اليقين الجازم فيه بغير شك كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُو﴾ [الحجرات: ١٥] والعقيدة تتناول أمور الإيمان كلها مثل الإيمان بالله بأنواع التوحيد الثلاثة، والإيمان بالكتب والرسل والإيمان

باليوم الآخر، يعني: على سبيل المثال الإيمان بالملائكة هذا يسمى عقيدة، يسمى إيمان أما خصائص الله وإفراده بها -سبحانه وتعالى- فهذه تسمى توحيدا وهي داخلة في الإيمان.

يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سؤالي لفضيلة الشيخ هل تنفع كلمة "لا إله إلا الله" لمن لا يعمل بمقتضاها؛ لأن المعلوم أن أبا طالب علم أن "لا إله إلا الله" ولكن لم يؤمن بها ولا بمقتضاها ولم ينفعه علمها حيث (يعذب أدنى عذاب أهل النار) لما جاء في الحديث؛ لأن بعض الفرق يقولون "لا إله إلا الله" ولكن في الوقت نفسه يسبون الصحابة ويحرفون القرآن وما إلى غير ذلك فهل تنفعهم لا إله إلا الله ؟

لا إله إلا الله كما مر معنا في لقائنا السابق لها شروط ولها ضوابط لابد منها حتى تتحقق لقائلها الاستفادة منها، ودرسنا اليوم في شرح لا إله إلا الله أيضا عرفنا الضوابط التي لابد منها، فمجرد القول وحده لايكفي، ومجرد العلم بأنه لا إله إلا الله لا يكفي؛ بل لابد من الكفر بما يعبد من دون الله وإخلاص العبادة لله -سبحانه وتعالى- وإفراده بالذل والخضوع والانقياد وعدم الإشراك به فإذا جعل الإنسان مع الله شريكا بأن صرف العبادة لغيره -سبحانه وتعالى- فإنه لا يكون بذلك محققا لها، وقد قلت في درس ماض: إن لا إله إلا الله لابد فيها من العلم والعمل والصدق، وأنه بالعلم يخرج من طريقة النصاري، بالعمل يخرج من طريقة اليهود، وبالصدق يخرج من طريقة المنافقين، أما بمجرد القول فلا يكفي ولا ينجو من عذاب الله حتى يحقق هذه الكلمة بمدلولها الصحيح ومفهومها الحق الذي دل عليه كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

وما ذكره فيما يتعلق بسب الصحابة فهذا الأمر ليس من هذا الباب، باب التوحيد والإخلاص للمعبود لكنه باب من أخطر ما يكون على قائله وأشده ضررا عليه؛ بل بعض أهل العلم أخذوا من القرآن ما يدل على أن سب الصحابة مقالة كفرية في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ولهذا قال بعض السلف: من غاظه أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فهو كافر، فكيف بمن يسبهم؟ وبالله عليكم من يقرأ هذه الآية من سورة الفتح، ثناء الله العظيم على الصحابة قبل أن يوجدوا أثنى الله -سبحانه وتعالى- عليهم في القرآن قبل أن يوجدوا، أثنى عليهم في التوراة قبل أن يوجدوا، قبل أن تخطوا أقدامهم على الأرض، وأثنى عليهم في القرآن، والقرآن مليء بالآيات، والسنة مليئة بالأحاديث في ذكر فضائلهم والثناء عليهم، فكيف يتجرأ إنسان ينتسب لهذا الدين على سب الصحابة -والعياذ بالله- خاصة خيار الصحابة مثل أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهما من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- الكرام صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

هذا أحد الإخوة يسأل يقول: إذا أطعت والدي في أمر ما واقترن ذلك بتضييعي للصلاة فهل أكون اتخذته ندا مع الله؟

هذا معصية إلا إذا كنت تترك الصلاة كلية أما إذا كان حصل تأخير أو نحو ذلك فهذا معصية، أما إذا كان تركا للصلاة فهذا طاعة للمخلوق في معصية الخالق سبحانه وتعالى.

في هذا الدرس استفدنا طريقة مباركة من الشيخ -رحمه الله تعالى- في تفسير التوحيد وهي تفسيره بالآيات والأحاديث، والشيخ بهذه الطريقة ذكر أربع آيات وحديثا واحدا وأطرح الآن سؤالين:

الأول: أريد خمس آيات من القرآن غير ما ذكر الشيخ فيها تفسير للتوحيد؟ هذا الأول.

والثاني: خمس أحاديث من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها تفسير للتوحيد، وهذا تطبيق عملي للمنهج الذي قرره الشيخ ونهجه -رحمه الله تعالى- في هذا الباب وفي هذا الكتاب.

في الحديث يذكر الراوي

لابد كما أوضحت لابد أن يذكر الراوي ويذكر من خرجه، وأيضا يذكر درجته عند أهل العلم بهذا الشأن.

الدرس التاسع: شرح كتاب التوحيد

في هذا الدرس المبارك، درس شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في هذا الدرس المبارك يسرنا أن نرحب باسمكم جمعيا بشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عضو هيئة التدريس بقسم الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، نرحب من أعماقنا بشيخنا الفاضل، فأهلا وسهلا بكم فضيلة الشيخ.

حياكم الله أهلا وسهلا ومرحبًا بكم وبجميع وبجميع المتابعين معنا لهذا الدرس وسلام الله عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين- أما بعد،

في دروسنا الماضية في هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أنهينا المقدمات العظيمة والبدايات النافعة التي استهل بها المصنف -رحمه الله- كتابه، فبدأ -رحمه الله- ببيان مكانة التوحيد وفضله، وتحقيق التوحيد والتحذير من ضده، ثم ندب وحث على الدعوة إلى التوحيد، ثم عقد ترجمة في بيان التوحيد وتفسيره، وفي تلك الترجمة الأخيرة التي هي في بيان التوحيد وتفسيره ذكر بعض الآي من القرآن الكريم وحديثًا عن الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- مبينًا من خلالها تفسير التوحيد ثم ختم الترجمة بقوله: "وتفسير ذلك فيما يأتي بعده من أبواب" أي أن الأبواب الآتية في هذا الكتاب كلها في تفسير التوحيد وبيانه.

وكنا قد عرفنا فيما سبق أن تفسير التوحيد يكون إما ببيان معانيه وحقائقه وما يدل عليه هذا اللفظ المبارك، وإما بالتحذير من ضده ونقيضه، بالتحذير من ضد التوحيد أي: ما ينقض التوحيد، أو التحذير مما ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو الشرك الأصغر، وهنا بدأ من الباب الذي سنأخذه في يومنا هذا وما بعده من أبواب، مشى فيها -رحمه الله- مبينًا التوحيد بهذه الطريقة وعلى هذا النهج، فنأخذ الآن الباب الأول من هذه الأبواب التي فيها بيان التوحيد إما بالتحذير من ضده أو بالتحذير مما ينافي كماله الواجب، وإما أيضًا ما سيأتي معنا من أبواب لاحقة في بيان أفراد العبادة التي هي حق خالص لله -تبارك وتعالى- لا يجوز صرفها لغيره سبحانه.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]).

قال المصنف -رحمه الله، وغفر له، وأسكنه الجنة، وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء- قال: (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه) قوله -رحمه الله-: (من الشرك) أي من أنواعه، من أنواع الشرك أو من أفراد الشرك "ومن" للتبعيض كما سيذكر في هذا الباب، هو باب أنواع أو بعض أفراد الشرك على ما سيبينه المصنف -رحمه الله-: قال: (من الشرك) والشرك سبق أن عرفنا معناه في درس سابق ولاسيما عند الترجمة التي عقدها المصنف بعنوان: (الخوف من الشرك) عرفنا أن الشرك هو التسوية وعدل غير الله -تبارك وتعالى- به.

وعرفنا كذلك أن الشرك نوعان: أصغر، وأكبر، وعرفنا أن الشرك الأكبر هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، وعرفنا أيضًا أن الشرك الأكبر منافٍ للتوحيد كل المنافاة، وهو مناقض للتوحيد منافٍ له كل المنافاة، وعرفنا أيضًا أن الشرك الأصغر ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو كل ما جاء في الشرع تسميته شركًا ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر، وعرفنا أيضًا فيما سبق بعض الفروقات بين هذين النوعين، ومما ينبه عليه أهل العلم في هذا المقام أن تغيير أسماء الأشياء لا يغير حقائقها، فالعبرة بالحقائق والمضامين فلو أن إنسانًا فعل أمورا شركية وسماها توسلا أو سماها شفاعة، أو نحو ذلك، فهذا لا يغير الحقيقة، مثل لو أن إنسانًا تعامل بالرشوة وسماها إكرامية، أو تعامل بالربا وسماه فائدة، أو شرب الخمر وسماه مشروبا روحيا، أو نحو ذلك، فتغيير الأسماء لا يغير الحقائق، فالشرك شرك وإن سمي بغير اسمه، الشرك محرم وإن سماه فاعله بغير اسمه، فالعبرة بالحقائق فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله يكون أشرك بالله -تبارك وتعالى- غيره، وكذلك من فعل أمورا هي من وسائل الشرك وهي من نوع الشرك الأصغر يكون وقع في الشرك الأصغر وإن سماها بغير اسمها، هذه حقيقة أو أمر لابد من التنبه له.

يقول المصنف -رحمه الله-: (باب من الشرك) أي: من أفراد الشرك ومما يدخل في الأمور الشركية (لبس الحلقة والخيط ونحوهما، لرفع البلاء أو دفعه) (لبس الحلقة) الحلقة هي الشيء المستدير سواءً من النحاس أو الحديد أو أيًا من المعادن أو الخيوط أو نحو ذلك، توضع على العضد أو الساعد أو الساق أو على الرقبة أو نحو ذلك، تستدير على عضد الإنسان أو على ساعده أو على قدمه أو على ساقه، فهذه تسمى حلقة، وتسمى حلقة لاستدارتها (لبس الحلقة أو الخيط) الخيط من الحبال أو من القماش أيضًا يلبس، وكانوا في الجاهلية يلبسون هذه الأشياء الحلقة أو الخيط (أو نحوهم) كما قال المصنف مثل: (الودعة) كما سيأتي في الحديث في الباب و(التمائم) (والخرز) وقل أيضًا ما يلبس من مسامير أو أعواد أو نوع من الأحجار أو غير ذلك لهدف ماذا؟ قال: لرفع البلاء أو دفعه، كانوا يلبسون هذه الأشياء لرفع البلاء أو دفع البلاء، ومعنى (رفع البلاء) أي: إذا نزل بالإنسان، ودفعه أي: قبل أن ينزل بمنعه من النزول بالإنسان، فكانوا يتخذون هذه الأشياء يلبسونها إما طلبًا لرفع ما نزل فيهم من بلاء فقر، أو مرض، أو حاجة، أو فاقة أو مصيبة، أو نحو ذلك، أو لطلب دفع نزولها، بحيث يكون الإنسان معافى لا شيء فيه، ليس به مرض، ليس به مصيبة، ليس به علة، لكنه يلبس هذه الأشياء من باب المنع والدفع حتى تقيه وتحميه ويسلم بلبسه لها، من نزول البلاء به، فهي تلبس لغرضين: يلبسونها لغرضين: إما لرفع البلاء -أي: إذا نزل- أو لدفع البلاء قبل أن ينزل، كنوع وقاية أو حصانة أو مناعة، اعتقادا منهم في ذلك، وهذه الأشياء التي هي الحلقة أو الخيط (ونحوهم) كثير يقع فيه الناس؛ ولذلك الشيخ ذكر صنفين وأشار إلى الباقي وهو كثير بقوله: (ونحوهم) مثل الآن في زماننا هذا بعض الناس يضع في سيارته يدًا وترى راحة اليد بهذه الطريقة وفي داخلها يرسم عينا، وفي الغالب تكون متحركة تعلق في المرآة أو في مؤخرة السيارة وتتحرك يعتقد البعض أنها تقي العين، يضعون هذه اليد مرسومة فيها العين معتقدين أنها تمنع العين من أن تصيب السيارة، وبعضهم أيضًا يعلق في جوانب السيارة قطعا من القماش سوداء وفي الغالب تكون قديمة في جوانب السيارة الأمامية والخلفية ويعتقدون أنها أيضًا تقي العين، ويعلقون أشياء أخرى على الدواب أو على الأشخاص أو على الأطفال أو في المنازل، أو في المكاتب، فهذا كله داخل تحت قول المصنف -رحمه الله- (من الشرك) من الشرك (لبس الحلقة) سواءً لبسه الإنسان لنفسه أو لولده أو لأهل بيته أو على مركوبه دابته أو في مكتبه الباب واحد، وسواءً لبسها لتدفع أو لترفع الباب واحد، سواءً لبسها حال وقوع المصيبة أو المرض أو لبسها قبل أن يقع طلبًا لدفع هذه الأشياء، كل ذلك من الشرك.

وقوله -رحمه الله- عن هذه الأشياء: (إنها من الشرك) هل هي من الشرك الأكبر الناقل من الملة أو من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب؟ من أي نوعي الشرك؟ الجواب على ذلك كما بين أهل العلم أن لبسها على نوعين، إما أن يلبس هذه الأشياء معتقدًا أنها سبب، في رفع البلاء مثلًا، يكون إنسان أصيب في عضده بمرض، مثلما سيأتي معنا في حديث الترجمة من الواهنة مرض يصيب العضد، فيضع في يده قطعة مستديرة على عضده من النحاس أو نحوه معتقدًا أنها سبب في تسكين الألم وتخفيفه، فهو يلبسها على أنها سبب فهذا من

الشرك الأصغر، لأنه اتخذ سببًا ما ليس بسبب، وفعل أمرًا هو ذريعة إلى الشرك الأكبر قد يسكن الألم ابتلاء من الله -عز وجل- وامتحانًا قد يسكن الألم فيحدث في قلبه تعلق واعتقاد في هذا النحاس ويصبح قلبه متعلقا به، حتى إن بعضهم يخاف أن يزيله؛ لأنه اعتقد أنه هو الذي شفاه أو هو الذي حصل بواسطته شفاؤه فلا يزيله.

فإذن إذا كان لبس هذه الأشياء معتقدًا أنها سبب للشفاء فهذا يعده أهل العلم من الشرك الأصغر الاعتقادي لماذا؟ لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب، وفعل أمرًا هو ذريعة ووسيلة مفضية بصاحبها إلى الشرك الأكبر، فهي إلى هذا الحد من أنواع الشرك الأصغر، أما إن لبس هذه الأشياء وهذا النوع الثاني: إن لبس هذه الأشياء معتقدا فيها أنها دافعة أو أنها رافعة، معتقدا فيها أنها في نفسها دافعة، أو أنها في نفسها رافعة، دافعة للبلاء قبل أن يقع، أو رافعة له بعد أن يقع فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

والمؤلف -رحمه الله- لما عقد هذه الترجمة كما هي عادته في أبواب هذا الكتاب يورد الشواهد والأدلة على ما ترجم له من كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه- فأورد أول ما أورد في هذه الترجمة، قول الله -سبحانه وتعالى-: (﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]) وقول الله -عز وجل- ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: أخبروني أيها المشركون يا من تدعون غير الله وتلتجئون لغير الله وتطلبون الشفاء والعافية والمدد من غير الله ﴿أَرُونِي﴾ أي: أخبروني عن هذه التي تدعونها من دون الله ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ﴾ أي: أراد الله كونًا وقدرًا، وقضى عليّ بضر، ضر مثل مرض أو موت أو مصيبة أو نحوذلك ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني: هل هذه المعبودات أيًا كانت هل في مقدورها أن تكشف ضرًا أراده الله، وقضاه وقدره، أخبروني عن ذلك، أو كذلك ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ صحة أو عافية أو غنى أو ولد أو مال أو غير ذلك ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ هل تستطيع هذه المعبودات أن تمنع خيرًا أراده الله لي أو تمنع ضرًا أراده الله لي، هل في مقدورها ذلك؟ وكان المشركون الذين خاطبهم النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمون أن النافع الضار المعطي المانع مَن؟ الله -سبحانه وتعالى- يعرفون ذلك وإذا سئلوا عن ذلك يقولون: الله، ولكنهم يتعلقون بهذه الأصنام ويدعونها ويلتجئون إليها ويستغيثون بها من باب الشفاعة، وطلب القرب من الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] فهم لا يعبدون هذه الأشياء اعتقادًا منهم أنها تملك ضرًا أو تملك دفعا أو عطاءً أو منعًا أو نحو ذلك لا يعتقدون ذلك، يقولون: المعطي المانع الخافض الرافع هو الله -سبحانه وتعالى- فكان اعتقادهم هذا مبطلا لأعمالهم الشركية، كيف تتعلقون بغير الله دعاءً واستغاثة ورجاءً وطلبًا وهي لا تملك عطاءً ولا منعا ولا خفضا ولا رفعًا ولا قبضًا ولا بسطًا ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا كيف تتعلقون بها وحالها كذلك؟!!!

﴿أَرُونِي﴾: أي أخبروين ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ الجواب: لا، لا تملك شيئًا من ذلك، إذن ما دام أنها لا تملك شيئًا من ذلك إذن ما دام أنها لا تملك شيئا من ذلك لا تستحق أن تُدعى أو تُسأل أو يُستغاث بها أو يُطلب منها أو نحو ذلك.

﴿قُلْ﴾ أي: يا نبي الله ﴿حَسْبِيَ اللهُ﴾ ومعنى ﴿حَسْبِيَ اللهُ﴾ أي الله كافيني ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: الله -جل وعلا- ﴿يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: أهل الإيمان الصادق أهل الثقة بالله، الذين يفوضون أمورهم لله فلا يطلبون الشفاء إلا منه ولا يطلبون العافية إلا منه، ولا يطلبون الغنى إلا منه، ولا يطلبون العزة إلا منه، كل أمورهم يعلقونها بالله -جل وعلا- رجاءً وطمعًا ورغبةً، هم أبعد ما يكون من الوقوع في وسائل الباطل ووسائل الشر.

والمصنف -رحمه الله- استدل بهذه الآية الكريمة على بطلان هذه الأعمال أن يتعلق الإنسان بحجر، قطعة من الحجر يعلقها، أو قطعة من النحاس، أو حبلا أو حلقة أو نحو ذلك فإن كان يعتقد فيها أنها أسباب فهي ليست أسبابا وهي تفضي به إلى الشرك الأكبر، وإن كان يعتقد فيها أنها دافعة أو رافعة فهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة.

قال المصنف -رحمه الله-: (عن عمران بن حصين: (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلًا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا) رواه أحمد بسند لا بأس به).

ثم أورد -رحمه الله- هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (عن عمران بن حصين) الصحابي الجليل -رضي الله عنه- يقول: ((أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلًا في يده حلقة من صفر)) يعني: نوع من النحاس، والحلقة قطعة مستديرة، والعضد عضد الإنسان ((في عضده حلقة من صفر، قال: رأى رجلً)) من هو هذا الرجل؟ أبهم لم يذكر اسمه، لكن جاء في رواية أخرى للحديث عند الحاكم في مستدركه عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: (رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عضدي حلقة من صفر، فقال: ما هذه) إذن في هذه الرواية حصين أبهم نفسه، وفي الرواية الأخرى صرح باسم نفسه، ولم يبهم.

قال: ((رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلًا، في يده، أو في عضده حلقة من صفر)) الصفر: النحاس، نوع من المعادن، وكانت هذه الحلقة من هذا النوع، وأيضًا وسائل أخرى يتخذونها يضعونها في العضد أو موضع الألم لتسكن الألم، وتخفف الألم تخفف الوجع، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((ما هذه؟)) يعني: ما هذه الحلقة التي في عضدك، قوله: ((ما هذه؟)) يحتمل أن السؤال هنا للاستفصال عن سبب لبسها ((ما هذه؟)) يعني: لماذا لبستها، استفصال عن سبب اللبس، ويحتمل أن الاستفهام هنا استفهام إنكاري، استفهام بمعنى الإنكار ((ما هذه؟)) أي: لماذا لبستها، ينهاه يستفهم منكرا عليه، وهو الأقرب والأظهر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((ما هذه؟)) منكرا عليه، قال: ((من الواهنة)) فإذا كان الاستفهام للاستعلام فقد أجابه بسبب لبسه لها، وإن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((ما هذه؟)) استنكارًا قد يكون ظن أنه يستعلم عن السبب فقال: ((من الواهنة)) والواهنة، مرض يصيب العضد، عضد الإنسان، فيؤلمه ويسبب له أوجاعًا وآلاما وأتعابا وقد يسري على اليد كلها من منكب الإنسان إلى يده، إذا أخذه هذا المرض، فكانوا في الجاهلية يضعون لهذا المرض إذا أصابهم هذه الحلقة من الصفر من النحاس من أجل تسكين الألم وتخفيف الوجع، قال: ((من الواهنة)) يعني أنا لبست هذه الحلقة من الواهنة، فماذا قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: ((قال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهن)) ((انزعه)) أي: ابعدها عن يدك، واخلعها عن يدك والنزع بشدة، يعني: بادر وسارع إلى إزالة هذه الحلقة من يدك، انزعها بدون توانٍ وبدون تأخر، بل بارد إلى ذلك وانزعها من يدك: ((فإنها لا تزيدك إلا وهن)) أي: ضعفًا.

وهنا نأخذ فائدة عظيمة في هذا الأمر الذي نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- بل نأخذه قاعدة في كل ما نهى الله عنه، ما نهى الله -جل وعلا- عنه في الغالب كل ما نهى الله -تبارك وتعالى- عنه في الغالب لا نفع فيه، في الغالب، لا نفع فيه، وإذا كان فيه شيء من المنفعة، فالمضار أكثر والأخطار أكثر والأضرار أكثر مثلما ذكر الله -عز وجل- في شأن الخمر، فالذي ينهى الله عنه، إما لا نفع فيه أصلًا بل كله مضرة أو يكون فيه بعض المنفعة لكن المضار والأخطار أكثر، وهذا يدلنا على كمال الشريعة على النواهي وكمالها كذلك في الأوامر، لا يأمر الله -سبحانه وتعالى- إلا بخير ولا ينهى -سبحانه وتعالى- إلا عن شر؛ ولهذا يقولون: إن أعرابيا سُئل: بما عرفت صدق الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟ قال: ما وجدته أمر بشيء وقال العقل: ليته لم يأمر به، ولا وجدته نهى عن شيء وقال العقل: ليته لم ينهَ عنه، فهذا من كمال هذه الشريعة، ورفعتها.

((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا)) أي: لا تزيدك إلا ضعفًا ومرضًا وعلةً ووجعًا، لا تستفيد منها، وهذا في هذا الذي تعلق هذا الشيء طالبًا من جهته الشفاء أو سكون الألم، يعامل بنقض قصده فلا يزيده هذا الذي تعلق به إلا وهنًا وضعفًا ومرضًا، قال: ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا)) ثم قال: ((إنك لو مت ويه عليك ما أفلحت)) وهذا فيه أن الشرك يحول بين الإنسان وبين حصول الفلاح، أي: في الدنيا والآخرة.

قال المصنف –رحمه الله–: (وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: (من تَعَلَقَ تميمةً فلا أتم الله له، ومن تَعَلَقَ وَدْعَةً، فلا وَدَعَ الله له) وفي رواية: (من تَعَلَقَ تميمةً فقد أشرك)).

قول المصنف –رحمه الله–: (وله) أي: للإمام أحمد في المسند، فهذا الحديث كسابقه خرجه الإمام أحمد – رحمه الله– في مسنده، (عن عقبة بن عامر) صحابي جليل –رضي الله عنه– (مرفوعًا) أي: إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ((من تَعَلَقَ تميمةً فلا أتم الله له، ومن تَعَلَقَ وَدْعَةً، فلا وَدَعَ الله له)) (تميمة) تجمع على تمائم وهي شيء يعلق، إما من الخرز أو غيره، وأطلقوا عليها هذا الاسم، يقال: إنهم أطلقوا عليها هذا الاسم تفائلا أو طلبًا للتمام من جهتها، (تميمة) أي: يحصل بها التمام، يحصل بها أو من جهتها التمام.

قال: (من تعلق تميمةً) (تَعَلَقَ تميمةً) على بدنه أو بدن ولده أو دابته أو غير ذلك، (فلا أتم الله له) هو تعلقها لأجل ماذا؟ لأجل التمام، تعلقها لأجل التمام، طلبًا للتمام والعافية والسلامة والصحة، والبعد عن الآفات، تعلقها لأجل التمام، ولهذا سموها "تميمة"، سموها تميمة طلبًا للتمام من جهتها.

قال: (فلا أتم الله له) يعامل بنقيض قصده، طلبًا من جهتها التمام والنتيجة هي نقيض هذا وهو النقص والضعف والوهن فهي لا يحصل من جهتها التمام بل الذي يحصل من جهتها أنها لا تزيده إلا وهنا ونقصًا وضعفا.

قال: (من تَعَلَقَ تميمةً فلا أتم الله له) والتميمة كانوا يعلقونها من الخرز وغيره للتمام، في التمام في الصحة، التمام في المال، التمام في القوة، ولهذا بعضهم كان يعلق أكثر من تميمة، من أجل إيش؟ التمام في أكثر من أمر، ويعتقدون أن هذه التميمة مختصة مثلًا بالصحة، وهذه التميمة مختصة بالغنى، وهذه التميمة مختصة بالقوة، وهذه مختصة بالمال، وهكذا... ولهذا أحيانًا يعلقون على الدواب أو على الأطفال أو أكثر من تميمة، لا يكتفون بواحدة، يعلقون أكثر من تميمة لأنه بفهمهم كل واحدة من هذه التمائم لها اختصاص، يقولون: هذه من أجل صحته، وهذه من أجل قوته، وهذه من أجل وقايته من العين، وهذه من أجل كذا، يعلقون فيه أكثر من تميمة لأكثر من غرض، طلبًا للتمام.

قال: (من تَعَلَقَ تميمةً فلا أتم الله له، ومن تَعَلَقَ وَدْعَةً) والودع هو الصدف، يستخرج من البحر، وكانوا أيضًا يعلقونه لهذه الأغراض، من أجل السكون والراحة وهدوء البال والطمأنينة لأجل هذا غرض وأيضًا سميت عندهم بهذا الاسم طلبًا للدعة الراحة، والسكون، ولهذا كما يعامل الأول من يعلق التميمة بنقيض قصده، فهذا كذلك أيضًا يعامل بنقيض قصده، قال: (فلا وَدَعَ الله له) أي: لا جعله الله أو لا تركه الله في دعة وسكون وراحة، إذن تعليق التميمة لا يكون به إلا النقص، وتعليق الودعة لا يكون به إلا التعب والنصب والألم وعدم الراحة، في التميمة طَلبَ من جهتها التمام (فلا أتم الله لهم) وفي الودعة طلب من جهتها الدعة والسكون والراحة، (فلا ودع الله لهم).

هذا الحديث الأول: قال: (وفي رواية –أي للحديث– عقبة بن عامر نفسه –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من تَعَلَقَ تميمةً فقد أشرك)) وفي مصدر الحديث –للحديث قصة– أن عشرة نفر جاءوا لمبايعة النبي –عليه الصلاة والسلام– فبايع تسعة منهم وامتنع من مبايعته واحد، فقالوا: بايعك هؤلاء التسعة ولم

تبايع هذا الواحد، قال: في يده تمية، أو تعلق تميمة، فامتنع -عليه الصلاة والسلام- من المبايعة فلما نزعها بايعه -عليه الصلاة والسلام- وقال: (من تَعَلَّقَ تميمةً فقد أشرك).

من تَعَلَّقَ تميمةً أو ودعة أو خرز أو أيًا كان فقد أشرك إن كان اتخذها سببًا وظن أنها سبب للشفاء، شهادة من الشرك الأصغر، وإن اعتقد أنها في ذاتها دافعة أو رافعة أو جالبة أو معطية أو مانعة أو غير ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلًا في يده خيطا من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾).

ثم أورد المصنف -رحمه الله- في تمام هذا الباب هذا الأثر: عن حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل -رضي الله عنه- قال: (ولابن أبي حاتم) ابن أبي حاتم، أي في تفسيره، وهذا الأثر أورده ابن أبي حاتم في تفسيره لهذه الآية من سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] وحذيفة -رضي الله عنه- رأى في يد رجل (خيط من الحمى) ما معنى (خيط من الحمى)؟ أي من أجلها، من أجل الحمى، الحمى هي: السخونة ارتفاع درجة الحرارة، وارتفاع درجة الحرارة يكون له أكثر من سبب كما هو معروف، كما جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، الحمى لها أكثر من سبب يعني إصابة الإنسان في بطنه، أو في رأسه أو في قدمه، أو في... يتداعى لها البدن بالسهر والأرق وأيضًا بالحمى ترتفع الحرارة والسخونة في الجسد.

فحذيفة -رضي الله عنه- رأى رجلًا في يده (خيط من الحمى) أي بسبب الحمى التي أصابته، لماذا لبس هذا الرجل الخيط؟ ولماذا كانوا يلبسون الخيط من الحمى؟ لماذا؟ يظنون أن الخيط سبب لرفع الحكمى يعني تخفيف الحرارة، والخيط ليس سبب لرفع الحمى لا عقلًا ولا شرعًا، ليس هو شيء يتناول ويكون له فائدة في البدن كنوع من الأعشاء التي يحصل بتناولها بإذن الله -عز وجل- الشفاء، ليس هو سبب لا شرعي ولا عقلي، فرأى في يده خيط من الحمى، فأمره بنزعها أو نزعها حذيفة -رضي الله عنه- وتلى الآية الكريمة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ لاحظ معي هذه الآية في أي شرك؟ الأكبر، لكن حذيفة استدل بها على الشرك الأصغر، الرجل في يده خيط اتخذه سببًا للشفاء من الحمى وأنه سبب واعتقد أنه سبب وهذا شرك أصغر، وحذيفة استدل بالآية التي في الشرك الأكبر، وهذه الطريقة موجودة وسيأتي معنا أكثر من أثر عن الصحابة سيأتي عن ابن عباس لاحقا يستدلون بآيات هي في الشرك الأكبر، على الشرك الأصغر لعموم الآية في دلالتها، وهذا من كمال فقه الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

وقوله -جل وعلا- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ لاحظ معي وتنبه لهذه الفائدة العظيمة التي تدل عليها هذه الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ لاحظ إيمان وماذا؟ وشرك، قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ فما معنى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي: بالله ربًا خالقًا رازقًا، منعمًا، متصرفًا ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي معه غيره في العبادة في الدعاء في الطلب في السؤال فقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي في روبيته وهذا الذي عليه حال المشركين كانوا يؤمنون بالله أنه الخالق الرازق، الرب، المنعم، المعطي، المانع، وفي القرآن آيات كثيرة تدل على هذا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم﴾ [العنكبوت: ٦١] أكثر من آية في هذا المعنى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٦١] ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ كل ذلك ﴿يَقُولُونَ اللهُ﴾ فهم يعتقدون أنه هو الرب، الخالق، الرازق، المنعم، والله سماه إيمان، قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي في ربوبيته ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي به في ألوهيته، في العبادة، وهذا حال، هذا معنى الآية وهذا أيضًا حال المشركين يؤمنون بالربوبية ويشركون في العبادة، ولهذا في آية أخرى قال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] تعلمون ماذا؟ تعلمون

أنه لا خالق لكم إلا الله، توحيد الربوبية، تعلمون أنه لا رب لكم إلا الله تعلمون أن هذه الأصنام لا تعطي ولا تمنع ولا تملك، ولا.... تعلمون ذلك ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادً﴾ يعني: لا تجعلوا لله شركاء في العبادة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله.

وهم المشركون كانوا فيما يتعلق بأصنامهم يعتقدون أنها مملوكة لله وأنها مخلوقة لله، وأن الله المتصرف في هذا الكون المدبر له، وأنها لا تملك شيئًا من ذلك؛ بل يعتقدون أنها مملوكة، ولهذا في تلبيتهم، يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، هو ما يملك وأنت تملكه، فكانوا يعتقدون في أصنامهم أنها لا تملك ولا تعطي ولا تمنع، لكن يصرفون لها أنواعا من العبادة من أجل أن تكون وسائط وشفاء ومقربة لهم إلى الله –سبحانه وتعالى–.

على كل حال حذيفة –رضي الله عنه– استدل بهذه الآية على الشرك الأصغر لشمول الآية في عمومها لذلك، وهو استدلال في محله، وسيأتي معنا آثار أخرى على هذا النسق عن غير واحد من الصحابة بإذن الله تعالى.

الأخ الكريم يقول: يا شيخ ذكريم قاعدة في مناهي الله أرجو أن تعيدها وتوضحها أكثر؟

مر معنا في الحديث حديث عمران بن حصين، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهن) ومر معنا في الحديث الذي بعده حديث عقبة قال: (لا أتم الله لك) ثم قال في الأمر الآخر: (لا ودع الله له) فهذا كله وأيضًا أحاديث أخرى نأخذ منه قاعدة مفيدة فيما نهى الله عنه، في كل ما نهى الله عنه أنه في الغالب لا نفع فيه، كل ما نهى الله عنه في الغالب لا نفع فيه، وبعضه إن كان فيه شيء من النفع، فالمضار والمساوء والأخطار أكثر، فإذن كل شيء نهى الله عنه إما لا نفع فيه أصلًا ولا فائدة بل فيه مضرة، أو يكون فيه بعض النفع ولكن المضرة أكبر، فهذه قاعدة دلت عليها وعُلمت بتأمل كل ما نهى الله –تبارك وتعالى– عنه، فهو إما ضار لا نفع فيه أصلًا، أو فيه بعض المنفعة لكن الأضرار أكثر وأخطر.

الأخ الكريم يقول: بمناسبة هذا الباب كان في بعض البلدان الإسلامية أناس يكتبون آيات قرآنية على أوراق ويعلقونها على أولادهم ورقابهم وعلى دوابهم ويعتقدون أن هذا جائز ولا يدخل فيه التميمة فما ردك على هذا الشيء؟

وأزيد في سؤاله وأقول: وبعضهم أيضًا يكتبون الأحرف المقطعة غير مفهومة المعنى، ما هذه الآيات ويعلقونها على الأولاد وعلى الحوامل أحيانًا؟

تعليق التميمة إذا كانت من القرآن، يعني كتب آيات قرآنية بدون أن يدخل معها شيء آخر مثلما في السؤال الثاني؛ لأن تعليق التميمة من القرآن موجود في الناس على طريقتين:

الطريقة الأولى: أنه قرآن فقط، آيات قرآنية إما سورة الفاتحة أو آية الكرسي أو المعوذتين أو سورة الإخلاص دون أن يخلطون معها شيئًا آخر، فهذه يقولون عنها: تميمة من القرآن، هذه لها بحث سأذكره.

النوع الآخر: يعلقون تميمة من القرآن لكن يمزجون معها أشياء على سبيل الاستهانة بالقرآن ممن كتب هذه الأشياء والاستخفاف بقدره، فيضعون مثلًا آيات من القرآن وحروف مقطعة تدل على رموز معينة أو طلاسم معينة عند الكهنة وعند المشعوذين وأحيانًا يضعون آيات من القرآن ويضعون معها أسماء شياطين من أجل نبذ القرآن والاستخفاف به واتباع الشياطين.

فهذه التي هي النوع الثاني الذي هو القرآن ويضعون معه أشياء فهذه محرمة وباطلة ولا تجوز بأي حال من الأحوال.

النوع الأول: التميمة التي من القرآن فقط آيات لا يمزجون معها أمور أخرى، آيات قرآنية إما الفاتحة أو المعوذتين أو آية الكرسي دون خلط؛ لأني أأكد على قضية الخلط هذه تكثر عند المشعوذين حتى بعضهم -والعياذ بالله- يضع آيات قرآنية وبعض القاذورات مع القرآن ويعلقها من أجل طلب رضا الشياطين بامتهان القرآن والاستخفاف به، فهذا الفعل باطل محرم لا يجوز في أي حال من الأحوال.

النوع الأول التي هي من القرآن فقط، آيات قرآنية إما الفاتحة أو كذا، فهذه اختلف أهل العلم فيها على قولين: بعضهم أجاز وبعضهم منع، والصحيح المنع، وسيأتي معنا بيان ذلك في باب مستقل، الصحيح المنع حتى وإن كانت من القرآن لأسباب كثيرة ذكرها أهل العلم منها عموم الأدلة في النهي عن التمائم وبعدا عن امتهان القرآن؛ ولأن ذلك لم يرد في السنة ما يدل عليه إلى غير ذلك مما ذكر أهل العلم وسيأتي معنا بإذن الله تعالى.

الأخ الكريم من السعودية يقول: عندي سؤالين:

السؤال الأول: وضع المصحف أمام السيارة في الأمام ما أدري ما حكمه؟

السؤال الثاني: تعليق بعض الآيات القرآنية في الجدار في المنزل؟

الأخ الكريم سلمه الله عنده سؤالان الأول يقول: وضع المصحف في السيارة؟ إن كان وضع المصحف في السيارة كنوع تميمة للحماية أو للوقاية أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز لأنه لم يأتي ما يدل على أن القرآن يوضع لذلك، القرآن أنزل ليقرأ ليتلى ليتدبر لتتلى آياته ليعمل بدلالاته ما أنزل لهذا الغرض، وإن كان يضعه في سيارته حتى يكون قريب منه، إذا وقف يقرأ وإذا تيسر له أنه يراجع بعض الآيات لكنه يضعه في سيارته قريب منه لهذا الغرض فهذا لا بأس به، لكن لا يضعه في المقدمة معرضا للشمس والتلف؛ بل يضعه في مكان يكون فيه محافظة للقرآن، إذا كان يضعه في السيارة لهذا الغرض فهذا لا بأس به، أما إذا كان يضعه للحماية أو للوقاية فهذا لا دليل عليه.

الآيات التي تعلق في المنزل: إن كانت أيضًا تعلق من أجل الحماية أو نحو ذلك فهذا أيضًا لا دليل عليه، وإن كان يعلق آيات حتى يحفظها ثم آيات أخرى حتى يحفظها أو نحو ذلك من الأغراض الصحيحة المشروعة، فهذا لا بأس به -إن شاء الله-.

لدينا سؤال وردنا من الأخت الكريمة من مكة تقول: يوجد في حلي بعض النساء خرزة زرقاء بقصد الزينة فهل تدخل هذه في التميمة؟

الخرز الذي يكون في الحلي من الماس أو من اللؤلؤ أو نحو ذلك هذا ليس من التمائم وإنما هذا نوع من الزينة، والعبرة بالمقاصد، أما إذا كان هذا الخرز لبس طلبًا للشفاء أو طلبًا للدفع فهو يحرم حتى الذهب نفسه والفضة إذا لبستها المرأة بقصد دفع العين أوبقصد تسكين الألم أو نحو ذلك فهذا اللبس محرم.

الأخت الكريمة من جدة تقول: الحديث: (من تعلق تميمة فقد أشرك) ما الدليل يا شيخ أن الشرك هذا شرك أكبر مع أن اللفظ عام؟

شرك أكبر أم أصغر قالت؟

لا، تقول: لماذا أنه شرك أكبر مع أن اللفظ عام، يعني لماذا لا يكون شركا أصغر؟

هذا الذي قلناه، الذي قلناه هو: إن التميمة هي من الشرك الأصغر إذا كانت سببا، إذا كانت لبست ظنا أو اعتقادا ممن لبسها أنها سبب في الشفاء، أما إذا اعتقد فيها أنها في نفسها دافعة أو رافعة أو جالبة أو نحو ذلك فهذا من الشرك الأكبر.

تقول الأخت الكريمة كذلك في سؤالها الثاني: امتنع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مبايعة الذي علق التميمة ولم يبايعه إلا بعد أن نزعها، فكيف نتعامل مع أقربائنا الذين يفعلون هذا الفعل؟

التعامل مع الأقرباء الذين يفعلون هذا الفعل يكون بالمناصحة وبالتوجيه وبالبيان، وإذا كان الإنسان له سلطة مثل الوالد على أولاده أو نحو ذلك، يباشر بيده، وإذا لم يكن له سلطة فإنه يناصح ويبين ويوجه ويرشد ويعلم، ويقيم الحجة، ويذكر الأدلة، ويقرأ عليهم أمثال هذه الآيات وأمثال هذه الأحاديث وكلام أهل العلم، وكثير من الناس ولله الحمد حصل لهم قناعة وحصل لهم تراجع وترك لهذا الخطأ مجرد أن سمعوا هذه الأحاديث، وبمناسبة أخذنا لهذا الباب قد يكون بعض من يستمع إلينا الآن ويتابع هذا الدرس قد يكون مبتلى بشيء من ذلك فأسأل الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يسلم الجميع من مخالفة شرع الله والوقوع في الأمور الشركية، سواءً في الأسباب أو الوسائل أو الاعتقاد أو غير ذلك والحق أحق أن يتبع، إذا عرف الإنسان الدليل وعرف الحق عليه أن يستمسك به ولا يبالغ، يعني: بعض الناس قد يستبين له الدليل ويبقى في نفسه مترددا أو مثلًا يبقى في نفسه خائفا، أبدًا إذا كان من يتابع معلقا لشيء من هذا يلقيها الآن ويقبل على الله -سبحانه وتعالى- مؤملا فيه راجيا منه ولا يبالي بشيء من المخاوف التي يلقيها الشيطان في قلبه والعياذ بالله.

الأخت الكريمة تسأل تقول: هناك حلقات أساور من نحاس تباع في الصيدليات لتخفيف مرض الروماتيزم، هل هذا فيه محذور شرعي؟ أو فيه اعتقاد معين؟

الذي يظهر أن الباب واحد، تعليق النحاس أو تعليق الحديد من الواهنة، أو من... الباب في هذه واحد.

أحسن الله لكم فضيلة الشيخ، في الواقع الإخوة الدارسين والدارسات نشكرهم شكرا جزيلا على تفاعلهم، ليس لدينا وقت في الواقع حتى نستعرض الأجوبة والأسئلة، والأسئلة كثيرة وردتنا خاصة في هذا الدرس المبارك، الأسئلة كثيرة جدًا، لذلك نعدهم بإذن الله تعالى أنه سيجيب عليها الشيخ بإذن الله تعالى بعد الدرس الذي في المساء -إن شاء الله- بعد صلاة العشاء بتوقيت مكة المكرمة؛ لذلك أحببت أن أنبه على نقطة بسيطة:

هناك طريقان للأسئلة: صفحة للأسئلة التي في أثناء الدرس والصفحة التي هي عبارة عن إجابات للدارسين، لذلك بعض الأحيان نجد أن هنا سؤالا وهنا سؤالا، نفس السؤال ونفس الإجابة، حتى نستطيع تمييز أسئلتكم وإجاباتكم نتمنى الأسئلة التي تكون إجابة للدرس في صفحة الإجابة، والأسئلة المتعلقة بهذا الدرس تكون في الصفحة المخصصة لهذا الدرس، إذن مشاهدينا بإذن الله تعالى بعد صلاة العشاء بتوقيت مكة المكرمة نستعرض الأجوبة على الدرس الماضي بالإضافة إلى الأسئلة التي كانت لهذا الدرس المبارك نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجزيكم خير الجزاء.

شيخنا الكريم بقي أن تطرح سؤالي هذا الدرس المبارك

أكتفي بسؤال واحد في هذا الدرس لعل الإخوة ينبهون على أشياء من قبيل ما ذكره المصنف قال: (ونحوهم) يقع فيها الناس وهي من هذا القبيل من الأشياء التي تلبس أو تعلق أو يتخذها الناس والعدد مفتوح للإخوة يذكرون ما يحضرهم من أمثلة حتى يكون هذا بابا للتذكير بها، والتحذير منها والبعد عنها بإذن الله -تبارك وتعالى-؟

أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ، ونفع الله بكم، وأثابكم الله

شكر الله لكم والإخوة الحاضرين معنا هنا وجميع المتابعين لهذا الدرس وأسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل ما علمناه حجة لنا لا علينا، إنه سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آصحابه أجمعين، أما بعد،

فدرس هذا اليوم فيما يتعلق بالرقى والتمائم، والدرس الماضي كان يتعلق بالتعاليق التي تعلق من الخيط أو الصدف أو الودع أو غيرها من الأشياء التي تعلق لاتقاء العين أو نحو ذلك، والشيخ -رحمه الله تعالى- في الباب السابق بين أن تلك التعاليق أمور شركية وأورد من الدلائل من كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- ما فيه الشاهد والدلالة للترجمة، ونستمع الآن إلى الباب الجديد ومن ثم أعلق -بإذن الله عز وجل- بما ييسره الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- :(باب ما جاء في الرقى والتمائم في الصحيح (عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره فأرسل رسولا ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت))

قال المصنف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في كتابه التوحيد باب ما جاء في الرقى والتمائم، "ما جاء" أي: في الكتاب والسنة في الرقى والتمائم فالترجمة معقودة ببيان ما جاء في الرقى والتمائم، الترجمة السابقة قال: "باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو رفعه" وهنا قال: "ما جاء في الرقى والتمائم" لم يقل كما في الباب السابق: "من الشرك" كذا، وإنما قال: باب ما جاء في الرقى والتمائم لماذا؟

لأن ما ذكر في الباب الأول هو من الشرك بدون تفصيل تعليق الخيط وتعليق الصدف ونحو ذلك، هذا من الشرك بدون تفصيل، أما الرقى والتمائم فهذه فيها تفصيل، في الرقى تفصيل، والتمائم فيها تفصيل؛ ولأجل هذا قال -رحمه الله تعالى-: "باب ما جاء في الرقى والتمائم" الرقى فيها تفصيل، حكم الرقية فيه تفصيل، إن كانت الرقية شركية فهي محرمة وممنوعة ولا تجوز، وإن كانت بالقرآن والدعوات المأثورة وسؤال الله -سبحانه وتعالى- والالتجاء إليه فلا بأس بها كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقية ما لم تكن شرك) إذن فيها تفصيل الرقية، ما يقال: كل رقية حرام، ولا يقال: كل رقية جائزة؛ بل فيها تفصيل إن كانت الرقية شرعية وصحيحة فهي جائزة ومباحة، وإن كانت شركية فهي محرمة "لا بأس بالرقية ما لم تكن شركا" هكذا قال -عليه الصلاة والسلام-.

والتمائم إن كانت من القرآن الكريم ففي تعليقها خلاف بين أهل العلم، وإن كانت من غير القرآن فلا تجوز بلا خلاف، التميمة إذا لم تكن من القرآن فهي لا تجوز بلا خلاف، أما إذا كانت من القرآن فيوجد خلاف بين أهل العلم في تعليقها، ورخص كما سيأتي عند المصنف في ذلك بعض السلف.

والصحيح أنها لا تعلق حتى وإن كانت من القرآن لأمور عديدة ذكرها أهل العلم منها: عموم الأدلة في المنع من التمائم، ومنها أيضا تجنيبا للقرآن من أن يمتهن، ومنها كذلك سدا للذريعة فقد يعلق القرآن ثم يلبس على الناس ويوضع مع القرآن أشياء كثيرة مما ألمحت إليه وأشرت إليه في اللقاء السابق، ومنها أيضا أن الذي ورد هو الرقيى بالقرآن دون تعليقها الرقية بالقرآن بأن يقرأ وينفث على من به مرض.

إذن المصنف -رحمه الله تعالى- قال: "باب ما جاء في الرقى والتمائم" جعل الترجمة بهذه الطريقة لأن في كل منهما تفصيل، في الرقى تفصيل، وفي التمائم تفصيل، ثم أورد حديث أبي بشير الأنصاري -رضي الله تعالى

عنه- قال: (كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض أسفاره) "في بعض أسفاره" لم يعين أو لم يحدد هذا السفر متى كان، وإلى أين كان، لم يحدد، والحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في شرحه لهذا الحديث يقول تتبعت فلم أجد ما يدل على تعيين هذا السفر فأرسل رسولا أي: النبي -عليه الصلاة والسلام- أرسل رسولا، والرسول هو من يبعث في مهمة أو في نقل كلام أو نحو ذلك يقال له: رسول، فأرسل رسولا -أي: بعث رجلا في مهمة يأتي ذكرها في الحديث- والرسول الذي بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء في بعض الروايات روايات الحديث أنه زيد بن حارثة -رضي الله تعالى عنه- بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- في ماذا؟ ما هي المهمة التي بعثه فيها -عليه الصلاة والسلام-؟ قال: أرسل رسولا ألا يبقين -بفتح الياء والباء- ألا يبقين في عنق بعير قلادة أو قلادة من وتر شك الراوي، الراوي للحديث شك هل قال قلادة أو قال قلادة من وتر.

وجاء أيضا في بعض الروايات كما في سنن أبي داود: "ألا يبقى قلادة ولا قلادة من وتر" قوله: "لا يبقين" فاعله قلادة، لا يبقين قلادة، ويحتمل أن يكون بضم الياء "لا يُبقين" أي هذا الرسول قلادة قال: (أرسل رسولا لا يبقين قلادة أو لا يبقين قلادة من وتر) الوتر معروف وهو الخيط، وكانوا يعلقونه على الإبل وعلى النوق؛ لأن قوله "في عنق بعير" البعير يطلق على الذكر والأنثى فكانوا يعلقونه على الأباعر، يعلقون عليها هذه القلادة سواء كانت من وتر أو من غيره والوتر، معروف كان يوضع أيضا في آلات اللهو، كان يوضع فإذا أصبح باليا انتهوا من اللهو به صاروا يجعلونه في أعناق الأباعر يقيها من الأذى، فمرة يتخذونه للهو، ومرة يتخذونه ليقي أباعرهم من العين، من ضلال في ضلال.

فقال: (لا يبقين في عنق بعير) أرسله بهذه المهمة ليقطع هذا الذي يتعلق به أهل الجاهلية ويعتقدون فيه أنه يقي الأباعر من العين أو الأذى أو نحو ذلك، والترجمة في التمائم والرقى فما هو الشاهد من الحديث للترجمة؟ الشاهد هو أن الحكم في التميمة والخيط من الوتر أو غيره الحكم واحد، وهذا الخيط يضعونه تميمة ويقي الدابة التي يوضع عليها يقيها من العين بزعمهم، فالحكم في هذا وذا واحد إلا كما سبق إن كانت التميمة من القرآن فهذا فيه تفصيل والأصل المنع من ذلك.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: ((وعن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود)

ثم أورد هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) ذكر ثلاثة أشياء وصفها كلها بأنها شرك.

أولها الرقى و"أل" هنا للعهد، والرقى المعهودة عند أهل الجاهلية؛ ولهذا ضمها مع التمائم والتولة؛ لأن هذه كلها أشياء كانت عند الجاهلية. وقوله: "الرقى" هل المراد بقوله: "الرقى" كل رقية أو الرقى المعهودة عند أهل الجاهلية ماذا تقولون؟ المعهودة عند الجاهلية لأنها هي الرقى الشركية التي هي عندهم هي الرقية الشركية فقوله الرقى "ال" للعهد أي: تلك الرقى المعهودة عند أهل الجاهلية التي فيها سؤال غير الله والالتجاء لغير الله والاعتماد على غير الله إلى آخره فهذه التي تعنى في الحديث بقوله شرك، أما الرقى بالقرآن والرقى بالدعوات المأثورة فهذه لا بأس بها وليست داخلة في الحديث، فإذن قوله: "الرقى" أي: الرقى المعهودة المعروفة عند أهل الجاهلية فهذه شرك وهي ضمت إلى أعمال الجاهلية.

قال: "إن الرقى والتمائم" جمع تميمة وهي أشياء تعلق إما على الأشخاص أو على الدواب أو في الأماكن أو في البيوت لاتقاء العين أو نحوه فهذه أيضا شرك فكانوا يعلقون خرزا وصدفا وأشياء من هذا القبيل ويعتقدون فيها أنها تقي من العين أو تكون جالبة للبركة أو نحو ذلك، فهذه أيضا شرك.

التمائم سموها بهذا الاسم -كما أشرت في لقائنا السابق- طلبا للتمام من جهتها، ومن تعلق تميمة يطلب من جهتها التمام فلا أتم الله له كما مرمعنا في الحديث في الدرس الماضي.

والتولة يأتي شرحها عند المصنف -رحمه الله تعالى- أنه أشياء أيضا يعلقونها يزعمون أنها تحبب الرجل إلى زوجته وتحبب الزوجة إلى زوجها، يعلق لهذا الغرض فهذا أيضا من الشرك، وهذا من أعمال الجاهلية، أما الذي يحبب الزوجين كل منهما إلى الآخر هو المعاملة الطيبة، والمعاشرة الحسنة، وتقوى الله -جل وعلا- وإقامة دينه، والتحلي بآداب الإسلام، هذه التي يحصل بها المحبة والوئام لا بتلك الجاهليات ولا بتلك التعاليق ولا بنحو ذلك مما يستعملونه لهذ الغرض.

قال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) والحديث في بعض مصادره له قصة وهي لا تثبت أن زينت زوجة ابن مسعود قالت: كان في عنقي خيط ورآه ابن مسعود فقطعه وقال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) والقصة لها بقية فهي غير ثابتة والحديث ثابت بدون تلك القصة؛ بل في متنها نكارة لأن فيها أنها كانت تختلف إلى رجل يهودي يقرأ لها بذلك الخيط وهذا كله لا يثبت لا من حيث السند ولا أيضا من حيث سلامة المتن، المتن فيه نكارة.

قال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك).

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وعن عبد الله بن عكيمن مرفوعا: (من تعلق شيئًا وُكل إليه) رواه أحمد والترمذي)

ثم أورد هذا الحديث وهو عام في التميمة وغيرها "من تعلق شيئا" وأيضا "تعلق شيئا" عام فيما يكون التعلق من قبيل الأفعال أو من قبيل ارتباط القلب فـ"من تعلق" أي: بقلبه بشيء وُكل إليه، وأيضا "من تعلق شيئا" يعني: علقه على نفسه أو على بدنه أوعلى دابته وُكل إليه (من تعلق شيئا وُكل إليه) ومن وُكل إلى هذه الأشياء وهذه التعاليق وهذه الأمور التي تتخذ لا يوكل إلا إلى ضياع، أما من تعلق بالله ووثق به وتوكل عليه كفاه الله ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[الزمر: ٣٦] وأيضا قال -عز وجل-: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: ٣] ومر معنا في اللقاء السابق: ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الزمر: ٣٨].

فالذي يتوكل على الله ويعلق قلبه بالله ويطلب عافيته وصحته وغناه من الله ييسر الله -تبارك وتعالى- له أمره ويكون حسبه وكافيه ومعينه ومؤيده والأمر لله -تبارك وتعالى- من قبل ومن بعد.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-).

ثم وضح الشيخ -رحمه الله تعالى- هنا التمائم، وهذا التوضيح هو الذي يبين لنا سبب قول الشيخ: "باب ما جاء في الرقى والتمائم" فيقول الشيخ: التمائم شيء يعلق لكن إذا كان من القرآن فرخص فيه بعض السلف ومنعه بعضهم، وذكر أن من المانعين ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- والصحيح هو المنع لأمورعديدة ذكرها أهل العلم -وقد أشرت إليها- منها: عموم الأدلة في النهي عن تعليق التمائم، ومنها سدا للذريعة المفضية للشرك، ومنها عدم امتهان كتاب الله -سبحانه وتعالى- ومنها أن الذي جاء في النصوص هو الرقية بالقرآن لا تعليقه.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (والرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من العين والحمى)

وأخذ أيضا يعرف الرقية، الرقية هي التعاويذ بأن يقرأ على المريض أو المصاب وينفث عليه هذه الرقية يقول الشيخ: "خص الدليل منه ما خلا من الشرك" لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (اعرضوا علـي رقـاكم، لا بـأس بالرقية ما لم تكن شرك) فإذا كان خلا من الشرك فلا بأس به كأن يقرأ القرآن أو الدعوات المأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أو أن يدعو المريض ربه: "اللهم إني أسألك أن تمن علي بالشفاء والعافية والصحة" ونحو ذلك من الألفاظ الصحيحة المستقيمة، كل هذا لا بأس به لكن إذا كان فيه شرك أو فيه طلاسم وخزعبلات وأمور محدثة باطلة مخالفة للشريعة فهذا كله باطل ولا يجوز، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اعرضوا علـي رقاكم) هذا يدلنا على أهمية التأكد من الرقية وأنها منضبطة وصحيحة.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته)

وهذا أيضا ربما يكون نوعا من السحر أو التعامل مع المشعوذين فيعطونهم أشياء يعلقونها بما يسمى سـحر العطف؛ لأن السحر فيما يتعلق بين الزوجين سحر عطف وسحر صرف، يعني: صرف أحد الزوجين عن الآخر أو عطف أحد الزوجين للآخر، فهذا الذي للعطف ربما أنهم يسمونه: "تولة" فيعلقونه ليجلب عاطفة أو محبة بـين الزوجين فهذا باطل وهو من الشرك بالله سبحانه وتعالى.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وروى الإمام أحمد عن رويفع -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيتـه أو تقلـد وتـرا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه)).

ثم أورد هذا الحديث حديث رويفع -رضي الله تعالى عنه- وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لعل الحياة ستطول بك) ثم أمره أن يخبر الناس، وهذا كله من تمام نصح النبي -صلى الله عليه وسـلم- الكـريم -عليـه الصلاة والسلام- وحرصه على أمته بتحذيرهم من الأمور الباطلة والأعمال السيئة وأفعال الجاهلية فقال: "أخبر الناس" أي: أبلغهم بأنه -عليه الصلاة والسلام- بريء ممن يفعل هذه الأفعال مثل عقد اللحية وهذا شـيء كـان يفعله أهل الجاهلية، والعقد معروف فكانوا يعقدون اللحية، وربما يكون لهم في هذا العقد أغراض أو نحو ذلـك فهو من أعمال الجاهلية أن من عقد لحيته أو تعلق قلادة من وتر وكانوا يتقلدونها في أشخاصهم ويقلدونها دوابهم كما مر في الحديث السابق، والغرض من ذلك اتقاء العين أو جلب البركة أو نحو ذلك من المقاصد.

(أو استنجى بعظم أو رجيع دابته) وجاء في بعض الأحاديث: (إن هذه زاد إخوانكم من الجن) ونهـى عـن الاستنجاء بها، أي: إزالة الآثار التي تكون عقب قضاء الإنسان لحاجته.

قال: (أخبرهم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- منهم بريء) وهذا يدل على شناعة هذه الأعمال وأنها مـن أعمال الجاهلية وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بريء ممن يفعل ذلك.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعـدل رقبـة» رواه وكيع وله عن إبراهيم كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن).

ختم المصنف -رحمه الله تعالى- هذا الباب بأثرين: الأثر الأول عن سعيد بن جبير، والأثر الثاني عن إبراهيم النخعي.

سعيد بن جبير يقول: "من قطع تميمة فكأنما أعتق رقبة" وهذا من كمال فهمه -رحمه الله تعالى- فمن قطع تميمة أي: خلص إنسانا من هذا الأمر الشرك فلو عقدت مقارنة أيهم أفضل تخليص الإنسان من الرق أو تخليصه من الشرك؟

تخليصه من الشرك

تخليص الإنسان من الشرك أفضل من تخليص إنسان من الرق، فهذا يدل على فقه السلف وإدراكهم لخطورة الشرك وشدة ضرره، فالشرك عاقبته وخيمة وأضراره ونتائجه، لكن لو سألت إنسانا عاديا أو لا يدرك هذا الأمر أيهما قطع تميمة أم عتق رقبة؟ تجد الجواب ربما يقول: عتق رقبة لأنه لا يدرك خطورة هذا الأمر لكن فقه السلف ودرايتهم بهذا الباب وخطورته وضرره على الناس فيقول: قطع التميمة كان كعدل رقبة، يعني: كأنما أعتق رقبة بل هذا أفضل، يعني: أن يخلص إنسانا من الشرك أفضل من أن يخلص إنسانا من الرق.

وعلى كل حال هذا يدل على فقه السلف وحسن فهمهم -رحمهم الله تعالى ورضي عنهم-.

والأثر الثاني عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون التمائم حتى لو كانت من القرآن للأسباب التي ذكرها أهل العلم وأشرت إليها.

هناك سؤال كان مر معنا في آخر الدرس الماضي يتعلق بالأسورة النحاسية التي تصرف من قبل بعض الأطباء للوقاية من الروماتيزم وأنها مفيدة في هذا المرض وربما أنها تكون أيضا منتشرة وأيضا تباع ربما في بعض الصيدليات على اعتبار أنها نوع من العلاج، وكنت ذكرت الجواب فيما يظهر لي -والله أعلم- في الدرس الماضي، لكن هناك فتوى أحببت أن أضيفها إلى ما سبق حتى يكون الأمر أبلغ وأمكن، والجواب إذا كان من أهل العلم الراسخين لا يكون كالجواب من طالب علم، فالشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- كتب له أحد الأشخاص وأطبه أحد الأطبة مفصلا وذكر فيه الأشياء التي في هذه الأسورة النحاسية خصائصها وأثرها وكتب له أشياء وطلب من الشيخ أن يجيب على هذه المسألة فالشيخ -رحمه الله تعالى- يقول: إنني تأملت هذا الأمر كثيرا وتباحثته مع كثير من أساتذة الجامعات والمشايخ ودرست الموضوع وذكر خلاصة لما يظهر له ويراه في هذه المسألة -رحمه الله تعالى- بعد التأمل الطويل والمباحثة مع المشايخ وطلاب العلم وأساتذة الجامعات كما ذكر هو، ونسمع الآن خلاصة الفتوى الطويلة لكن آخر كلام الشيخ نقلته بنصه ونسمعه من أخينا:

قال الشيخ بن باز -رحمه الله تعالى- «والذي أرى في هذه المسألة هو ترك الأسورة المذكورة وعدم استعمالها سدا لذريعة الشرك وحسما لمادة الفتنة بها، والميل إليها، وتعلق النفوس بها، ورغبة في توجيه المسلم بقلبه إلى الله -سبحانه وتعالى- ثقة به واعتمادا عليه، واكتفاء بالأسباب المشروعة المعلومة إباحتها بلا شك وفيما أباح الله ويسر لعباده غنية عما حرم عليهم وعما اشتبه أمره.... إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: ولا ريب أن تعليق الأسورة المذكورة يشبه ما تفعله الجاهلية في سابق الزمان فهو إما من الأمور المحرمة الشركية، أو من وسائلها، وأقل ما يقال فيه: إنه من المشتبهات. فالأولى بالمسلم والأحوط له أن يترفع بنفسه عن ذلك، وأن يكتفي بالعلاج الواضح البعيد عن الشبهة، هذا ما ظهر لي ولجماعة من المشايخ والمدرسين»

هذه الفتوى من رغب أن يطلع عليها فهي موجودة في كتاب أصدرته رئاسة الإفتاء في بعض المجلدات بعنوان "أحكام الفتاوى الطبية وأحكام المرضى" في المجلد الأول صفحة ٢٠١ والكتاب طبع قريبا من سنتين عام ١٤٢٤ بإشراف الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- وتقديم المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والفتوى طويلة لكن نقلت لكم آخر هذه الفتوى وأسأل الله أن يثيب الشيخ، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفعنا جميعا بما علمنا إنه سميع مجيب.

فيما يتعلق بسؤال الدرس الماضي: تقول: الآيات الخمسة الدالة على التوحيد المفسرة له قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[النمل: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[الأحقاف: ٤] وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[يونس: ٢٨، ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الزخرف: ٤٥]

جواب ممتاز وانتقاء جيد.

نذكر ما ذكر من الأحاديث قوله -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا في الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) رواه البخاري من حديث أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-

الحديث الثاني قال -صلى الله عليه وسلم-: (بني الإسلام على خمس: أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما-

كذلك نتقل إلى إجابة أخرى من الأحاديث التي ذكرتها عن زيد بن خالد الجهني صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح في الحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) روي في صحيح مسلم

هو سيأتي عند المصنف -رحمه الله تعالى-.

ننتقل إلى إجابة أخيرة: ذكرت حديث عن أنس -رضي الله تعالى عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وهذا مر معنا في الأبواب التي ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- في المقدمة.

بمناسبة إجابات الإخوة أريد أن أذكر حديثا يتعلق بتفسير التوحيد، وحقيقة من باب التأكيد هي فائدة للإخوة ثمينة جدا وأحسبن كل من سيسمعها سيفرح بها -إن شاء الله- فائدة ثمينة في تفسير التوحيد من حديث مشهور عند جميع المستمعين والمتابعين، ولا أظن أحدا يخفى عليه هذا الحديث، لكنه مفيد جدا في تفسير التوحيد، جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول دبر كل صلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، قال: وكان رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- يهلل بهن دبر كل صلاة) عقب الصلوات الخمس كل مسلم في الغالب يأتي بهذا التهليل وهو محفوظ لدى أكثر المسلمين والله أعلم، وهذا التهيل الذي يقوله المسلم دبر كل صلاة فيه تكرار لكلمة التوحيد "لاإلـه إلا الله" ثلاث مرات وفي كل مرة يبين معناها ويؤكد المرة الأولى قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" وفي حديث سبق أن مر معنا ذكرت أن "وحده" فيها تأكيد للإثبات، و"لا شريك" تأكيد للنفي لأن "لا إله إلا الله" نفي وإثبـات فأكد هذا العنى بقوله: "وحده لا شريك له".

"لا إله إلا الله" الثانية في الحديث قال بعدها ماذا؟ "لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه" هذا هو معنى "لا إله إلا الله" فأكد معناها وحققه وذكره فمعنى "لا إله إلا الله" أي: لا نعبد إلا إياه إلها، ولا نعبد إلا إياه.

والمرة الثالثة قال: "لا إله إلا الله مخلصين له الدين" وهذا هو أيضا معنى "لا إله إلا الله" إخـلاص الـدين لله سبحانه وتعالى.

إذن كأن المسلم كل يوم بعد الصلاة يردد هذه الكلمة ويستحضر معناها ويحقق دلالتها، فأنا أهيب بكل مـسلم يسمع هذا الكلام ويردد هذه الكلمات العظيمة أن يحقق هذه المعاني: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" ثم قال: "لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن" ثم قال: "لا إله إلا الله مخلصين له الدين" أي: نخلص له العبادة "ولو كره الكافرون" أي: ولو كره الكفار منا الإخلاص ما يهمنا، نحن نخلص الدين لله ليرضى عنا رب العالمين ولو كره الكفار منا ذلك، والكفار لا يريدون من المسلمين الإخلاص، إذن هـذه فائـدة مهمـة وثمينة جدا في تفسير التوحيد يرددها المسلم إدبار الصلوات فيحسن به وهو يردد هذه التهليلات المباركة والذكر العظيم أن يحقق هذه المعاني بأن يكون فعلا لا يعبد إلا الله، بأن يكون فعلا مخلص الدين لله، بأن يكـون فعـلا موحدا بعيدا عن الشرك فيحقق هذه الكلمات، أما أن يقولها ألفاظا دون تحقيق للمعاني فإنها لا تفيده.

يقول: سؤالي في كتاب تيسير العزيز الحميد كثيرا ما يذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- هذه العبارة في التفسير: "المنسوب إلى الطبري الحنفي" ما مقصوده بالمنسوب؟

تحديدا ما أذكر شيئا، لكن قد يكون يشير إلى كتاب وفي نسبته نظر، لكن تحديدا لا أذكر، ولعل المسألة تراجع إن شاء الله تعالى .

تقول امرأة كلما نهضت استغاثت بالله وبالرسول -صلى الله عليه وسلم- وتعلل ذلك بأن الأذان والـشهادة لا تتم إلا بهما، أرجو من فضيلتكم التنبيه ؟

هذا والعياذ بالله فهم باطل وسيء؛ لأن الشهادة لله بالوحدانية والشهادة للنبي بالرسالة، ليـست الـشهادة لـه بالوحدانية وإنما بالرسالة، فالعبادة ومنها الاستغاثة بالمرسِل وليس بالرسول، الرسول -عليه الصلاة والـسلام- أرسل ليدعو الناس إلى الاستغاثة بالله وليعلمهم الاستغاثة بالله، فلا يستغاث بالمرسَل وهو النبي الكـريم -عليـه الصلاة والسلام- وإنما يستغاث بالله -جل وعلا- فالأذان فيه ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالـشهادة لـه بالرسالة لا أن يعبد.

قد مر معنا "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" وقلنا: إن "عبد" هذه تدل على أنه لا يعبد، و"رسول" تدل على أنه يطاع ويتبع، فعلى كل حال هذا من الفهم السيء، وعليها أن تتقي الله -جل وعلا- وأن تتنبـه للأمـر، فـالأمر خطير، فالاستغاثة بالله، والله في القرآن يقول: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[الأنفال: ٩] والنبي -صلى الله عليه وسلم- لما يكون القحط ويطلب منه الاستسقاء وطلب الإغاثة يقول ماذا؟ "اللهم أغثنا" يستغيث بالله هو -عليـه الـصلاة والسلام- ويدعو أيضا إلى الاستغاثة بالله: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" فكيف يجعل شريكا مع الله سبحانه وتعالى.

تقول: بعض الناس يكتب في ورقة آيات قرآنية كآية الكرسي ويعلقونها برقبة أطفالهم لدفع الأمراض، وأحيانا يعلقونها عند النوم لدفع الأحلام، ويكون هذا مع الأطفال فما حكم الشرع في ذلك؟

حكمه مر معنا هذه تميمة، وتميمة من القرآن، وهذا الذي تسأل عنه الأخت هو تميمة من القرآن آية الكرسي أو غيرها سواء علقت على الأطفال أو غيرهم، الصحيح المنع وعدم الجواز للأسباب التي أشرت إليه سابقا.

ذكرتم سؤالا بما يتعلق ببعض التمائم التي تعلق

تتعلق بقول الشيخ -رحمه الله تعالى-: "من الشرك في الحلقة والخيط ونحوهما" فكنت أردت أن يعرض لنا الإخوة بعض الأشياء التي توجد بين الناس من هذه الشركيات.

أجابت ذكرت الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة، وذكرت كذلك بعضهم يعلق نعلا سواء في مقدمة السيارة أو مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان لدفع العين

كذلك ذكرت كلبس العين الزرقاء لدفع العين، أو وضع حدوة الحصان أو الحذاء البالي في السيارات

كذلك تقول: ذكرت بعض الأشياء والبدع الشركية نجانا الله وإياكم والسامعين منها: إعطاء حبل به سبع عقد لمن زار الكعبة ليفكه في كل شوط لقضاء حوائج المعطى بزعمهم، الإمساك بالخشب لدفع العين، تحريك المبخرة فوق رأس المصاب بالعين لشفائه، تثقيب الورق مع ذكر بعض الأسماء للوقاية من العين، أخذ مخلفات تغسيل الميت ليتداوى بها المريض

حقيقة لو فتحنا الباب لوجدنا أن هذه مأساة، فعلى كل حال نسأل الله -عز وجل- أن ينجي المسلمين، وأن يسلمهم من هذه الشرور.

وهذا الذي يأتي في كتابات الإخوة المشاركين يدل على أن هناك أشياء موجودة وواقعة هي من جنس تلك الأعمال الشركية التي جاء في الشرع تحريمها.

وأيضا يفيدنا هذا أن الواجب على المسلمين أن يتقوا الله -جل وعلا- وأن يعتنوا بدراسة التوحيد وقراءة السنة ومعرفة هدي النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- حتى يسلموا من هذه الخزعبلات والأضاليل والتعلقات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وأن تكون ثقتهم واعتمادهم وتوكلهم ورجاؤهم بالله -سبحانه وتعالى- لا بمثل هذه الأشياء، ولو فتح الباب لعد ما يوجد فالذي يوجد شيء كثير، لكن الواجب على كل مسلم أن يتقي الله، وأن يعتني بدراسة هذا العلم ومراجعة كلام النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- وأيضا يدرك النصح البالغ والتوجيه السديد في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في هذا الباب وغيره من الأبواب التي تعالج مثل هذه الأمور والمخالفات والشركيات والأباطيل، أعاذنا الله وإياكم وحمانا وحماكم.

التميمة إذا وجدتها في إنسان وقطعتها منه هل لي أن أحرقها، أو كيف أفعل بها؛ لأن بعض الناس يقول: "فيها شياطين هذه التميمة يمكن تضرك ويمكن تضر هذا الشخص" فكيف تعاملي معها ؟

يسأل عن التميمة إذا قطعت من إنسان فماذا يصنع بها؟ هل تحرق أو ماذا يصنع بها فالتميمة هي كما أشرت في الدرس الماضي وأيضا في درس اليوم: أشياء تعلق، وفي الغالب تكون فيها من الشعوذة ومن الأباطيل وأسماء الشياطين، وأحيانا يخلطون القرآن بأشياء من هذه الأمور قرآن وأسماء شياطين والعياذ بالله، ومثل هذا رأيته أنا بنفسي، أذكر مرة في منطقة من المناطق رأيت رجلا معلقا تميمة فناصحته وقال لي: قرآن. قلت: طيب

ننظر فيها منذ كم وأنت معلقها؟ ذكر أنها سنوات. قلت: طيب ننظر فيها تأكد أنت الآن، لا تعلق شيئا ويبقى في عنقك سنوات، وقلت تأكد مما فيها لو فتحتها ما يضر حتى لو كانت قرآنا افتحها وانظر ولا تستمر بهذه الطريقة، قد يكون الإنسان الذي أعطاك إياها مفسدا فلماذا تبقى عليك سنوات وأنت لا تدري ما فيها، فكان خائفا جدا، قال: أخشى، قلت: لا تخشى إلا الله، تخشى ماذا؟ افتحها وانظر ماذا فيها، فاستجاب وهو فيه شيء من الخوف ففتحتها ورأيت بنفسي الآيات مع أسماء الشياطين مخلوطة، يعني هذا فيه إستخفاف واستهانة بالقرآن، فلما أريته هذا الشيء فوجيء وصدم أنه سنوات ومعلقها؛ بل كان بعضهم يكتب ألفاظا فيها استخفاف بالشخص الذي أمامه.

حدثني بعض الناس أنهم فتحوا تميمة معلقة، والذي علقها كتب لهم فيها عبارة معناها: "إنني ضحكت عليكم وأخذت نقودكم" ويعلقها على عنقك سنوات مكتوب فيها: "ضحكت عليك وأخذت نقودك" لماذا هذا الضياع؟!! على كل حال أشياء هكذا مغلفة تعلق وإذا كانت من القرآن ليس معها شيء آخر فالصحيح المنع في أصح أقوال أهل العلم، وإذا كانت مخلطة، هذا ما فيه كلام في بطلانها وحرمتها، فلا يأخذ الإنسان أي شيء ويعلقه هكذا، وإذا كان يريد أن يأخذ بالقول الجواز من القرآن لا تأخذ شيئا هكذا مغلفا، مع أن الصحيح والأظهر للأسباب التي مرت معنا ألا يعلق حتى من القرآن للأسباب التي ذكرها أهل العلم، وطريقة التعامل مع هذه التمائم أنها تحرق وتسلت وإذا كانت أشياء فيها عقد، إذا كان فيها أشياء فيها عقد سحرية فتفتح العقد ويقرأ المعوذات وسورة الإخلاص وتسلت تحرق.

يقول: ذكرتم حفظكم الله أنه من علق تميمة فقد أشرك فهل نطلق على من فعل هذا الفعل اسم مشرك أو فقط فعله فعل الشرك؟

تصحيحا للسؤال ذكرتم أن من علق تميمة فقد أشرح

ذكرتم في الشرح يعني

حتى في الشرح هذا حديث ونصه: (من علق تميمة فقد أشرك) (إن التمائم والتولة شرك) والحديث أيضا مر معنا في الدرس الماضي فهذه الأعمال أعمال شركية، وهي بحسب حالها إما من الشرك الأصغر أو من الشرك الأكبر، فهذه أعمال شركية، ومن ترى عليه هذه التمائم يعلم ويوجه وتذكر له الأحاديث ويناصح هذا هو الذي ينبغي أن يفعل.

حقيقة الناس فيهم تقبل وفيهم خير، أنا أتوقع ونحن الآن نتحدث في هذا اللقاء أن عددا ممن ابتلى بهذا الشيء واتضح له الأمر وعرف هذه الأدلة لن يتردد، لكنه كان ماشيا فترة من الوقت بجهل ولم يعرف السنة ولم يعرف الأحاديث، أتوقع أنه في هذه الساعة أعداد تخلصوا من هذا البلاء بعد أن وقفوا على كلام الله وكلام رسوله –صلى الله عليه وسلم– وكلام أهل العلم، وما أظن أن أحدا تبلغه هذه النصوص وهذه الأدلة ويبقى مترددا.

أعمل طبيب أطفال، وأرى كثيرا من النساء يعلقون بعض الأشياء في عنق أطفالهن الصغار، فتكون مثل قطعة القماش وفيها من الداخل بعض الأشياء المحسوسة الجامدة، فأقول لهن: هذه تميمة فانزعوها. فيقلن: هذه ليست بتميمة، ولكنها من أجل الأسنان. فأقول لهن: إن هذه لا تنفع شيئا في الأسنان ولكن تعلقوا بالله –تبارك وتعالى– وربما جاء في الدرس عصر اليوم أنه كما قال الصحابي: "إنها من الواهنة" فيمكن نفس الحكم، ولكن قولهن: "إنها أعشاب" ومثل هذه الأشياء. فبماذا تنصحون جزاكم الله خيرا وهن الحمد لله يستجبن وينزعنها في الحال؟

شكر الله للدكتور وسلمه الله على هذا النصح وهذا البيان، وليس كل طبيب يكون بهذا المستوى من النصيحة والبيان؛ لأن الناس قد يكون فيهم تسرع وقد يكون فيهم جهل، وقد يتبع بعضهم بعضا في مثل هذه الأمور، وحقيقة ما يقوم به الدكتور –سلمه الله– عمل يشكر عليه وهو من النصحية للمسلمين ولعوام المسلمين، وأسأل الله

أن يثبته وأن يثبته وأن يوفقه لكل خير، ومثلما تفضل هذا من جنس ما جاء في الحديث قال: (من الواهنة فانزعها فإنها لا تزيدك إلا وهن) وهذه الأمور والتعاليق كلها ما أنزل الله بها من سلطان حتى الأسورة هذه التي يقال: "إنها تفيد في الروماتيزم" وعرفنا كلام الشيخ عبد العزيز بن باز وهو كلام واضح مسدد وبين ما الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في مثل هذه الأمور، وأن الواجب أن يكون تعلقه وصلته وتوكله على الله سبحانه وتعالى.

يقول: هل يجوز تعليق اللوحات التي فيها آيات القرآن الكريم على الجدران؟

هذا أشرت إليه في الدرس الماضي، والأولى ألا تعلق إن كانت تعلق من جنس التمائم للوقاية فالحكم واحد، وإن كانت تعلق للزينة مناظر جمالية مثل ما تجعل بعض الآيات مزخرفة حتى إنك ما تستطيع تقرأها، يعني: كنوع من الزخرفة، فالقرآن ما أنزل لهذا الغرض، وإن كانت آيات أو أحاديث يكتبها أمامه لكي يقرأها ثم يحفظها ثم يضع غيرها إن كان لهذا الغرض لا بأس بذلك.

للأسف الشديد تكون هذه اللوحات معلقة، وفي هذه الغرفة أو المجلس أو القاعة يكون مثلا أحاديث لغو، وأيضا بعضهم يدخنون أو يكون فيها من الموسيقى، هذه كلها مما يؤكد عدم التعليق؟

سؤال حول القلائد: فضيلة الشيخ القلائد التي تعلق في الإبل في هذه الأزمنة، تعلق في رقبة الناقة قلادة تكون للزينة، وهي تكون من صوف أو من قماش وليس فيها قرآن ولا أحاديث، ولكنهم يعلقونها للزينة فهل تدخل في النهي؛ لأنه قد يكون فيها تشبه بالجاهلية أو وضعها عادي جدا أو ماذا؟

أولا: في جواب سؤال أخينا: التأكد من أنها وضعت للزينة وهل هي نوع من الزينة أو ليست كذلك، ثم الأمر الآخر أن هذا التعليق أقل أحواله أنه ذريعة إن لم تكن في أصحاب هذه النوق ففي أولادهم فيما بعد، فقد يدخل عليهم الداخل أن الآباء إنما كانوا يعلقونها لكذا وكذا، فذريعة للتعليق الذي عليه أهل الجاهلية، فترك ذلك هو الأولى أما إذا كانت أشياء تستعمل شد الإبل أو ما يحمل على الإبل أو قلادة لتجر بها الإبل أو لغير ذلك من الأغراض الصحيحة فهذا لا حرج فيه.

يقول: كيف نميز بين الرقية الشركية أو البدعية وبين الرقية الشرعية؟

التمييز يكون بمراجعة الأدلة، أدلة الكتاب والسنة هي التي من خلالها يميز الإنسان بين الشرك والبدعة والعمل المشروع، أما بدون الأدلة أدلة الكتاب والسنة فلا يمكن التمييز فبالعلم النافع علم الكتاب والسنة يستطيع الإنسان أن يميز بين هذه الأشياء، أما بدون الأدلة أو بدون معرفة دلالات الكتاب والسنة فلا يمكن أن يكون هناك تمييز.

عندنا بعض الأئمة يعلقون تمائم، يكتب الحروز ويعلقها في عنق كلاب الصيد حتى تمسك الأرانب؟

السؤال الثاني: وجدنا حرجا في الصلاة خلفه، اقترح بعضنا أن يدخل في الصف مع الجماعة ولكن ينوي الانفصال؛ لأن ترك الجماعة يسبب لنا فتنة وقد يجر إلى أمور لا تحمد عقباها، وإذا صلينا وراءه نخاف على صحة صلاتنا، فاقترح أن ندخل في الصف وينو الانفصال كأنه مقتد بإمام آخر ما حكم هذه الصلاة؟

ما يتعلق بالحروز التي ذكرها؟

هو ذكر أن أحد الأئمة عندهم يكتب حروزا وتعلق على كلاب الصيد، والغرض منها أنها تفيد كلاب الصيد قوة أو تقيها من العين أو نحو ذلك، فهذه الكتابة إن كانت من القرآن فلا تجوز فيما يظهر لي بلا خلاف حتى عند القائلين بجواز التميمة إن كانت من القرآن ففيها امتهان للقرآن إن كان يعلق على الكلاب، فهذه إن كانت من القرآن وإن كانت من غير القرآن فهذا أيضا باطل بلا خلاف بين أهل العلم، والمطلوب من الأخ وغيره أن يجلسوا معه جلسة مناصحة ويقرءوا عليه هذه النصوص وهذه الأدلة، وإن شاء الله أنه يرجع ويدع ما هو عليه من باطل.

نرى بعض الناس اليوم يبيعون التميمة فما حكم الشريعة في ذلك؟ ونرى بعض الناس عندما يعلقون التميمة وموجودة آية قرآنية ويدخلون بها في أماكن غير نظيفة في دورة المياة وغير ذلك ما حكم الشرع في ذلك؟

بيع التميمة لا يجوز إن كانت من غير القرآن فالأمر واضح، وإن كانت من القرآن فالصحيح عدم جواز تعليقها، فبيعها لا يجوز لأن بيعها تكسب بأمر دلت الشريعة على المنع منه، والأحاديث واضحة في المنع، وبعض الناس خاصة أهل الضلال يتخذون هذه الأمور لكسب المال، ولقطع النظر عن هل هذا مباح أو غير مباح، لا يبالي ولا يفكر بل بعضهم يستخف.

حدثوني مرة عن رجل ممن يبيع التمائم عنده محل صغير، وعنده في المحل كراتين مفتوحة وفي داخل الكراتين تمائم، وعنده طير مقصوص الجناحين، يعني: لا يستطيع أن يطير مسافات طويلة وإلا مسافة قصيرة جدا فيأتيه شخص ويقول له: أريد تميمة من أجل المرض الفلاني فيحدد له القيمة ويستلم القيمة ويضع الطير على يده ويضربه، فالكرتون الذي يقع فيه الطير يعطيه منها التميمة فهذا جاهلية مركبة.

فعلى كل حال يوجد مرتزقة، وهنا ينتبه المسلم إذا أصابه مرض أو شدة أو كذا ألا يكتفي بأن فلان ذهب إلى كذا وأعطاه كذا واستفاد من كذا هذا ما يفيد، هل هو مشروع أو لا؟ مشكلة كثير من الناس أنه ينساق بعضهم وراء بعض، ما إن يقول له فلان أصيب بكذا وجرب كذا إلا ويذهب مئات إلى الشخص الذي قيل عنه فهذا ما يكفي، هل عمله مشروع أو ليس بمشروع؟

حتى بعضهم يا شيخ قد ينخدع بالمظاهر يقول: هذا مظهره يظهر عليه التدين والصلاح والتقوى، وهو في حقيقة الأمر يفعل هذه الشركيات

أسئلة كثيرة سواء كان يتعلق بالقرآن أو بغير القرآن أو التمائم أو الأشياء التي توضع على الأطفال، يعني: قاعدة أو كلمة ختامية توجهونها للإخوة والأخوت وفيما يتعلق بهذا الخصوص.

الذي أختم به هنا أن يتقي الله جميع المستمعين في هذا الباب وفي جميع أبواب الدين، وألا تؤخذ الأمور جزافا، ألايكون الإنسان إمعة يتابع الناس مما يراهم عليه من أعمال، وأن يربأ بنفسه عن مثل هذا الأعمال ويترفع ويرتبط بدين الله -سبحانه وتعالى-.

وأقول: كم نحن بحاجة إلى أن نقرأ كتاب التوحيد وأمثاله من كتب أهل العلم التي نصحوا فيها للناس وبينوا، فأنا أنصح جميع من يتابع معنا أن ينشروا هذا العلم وهذه الأحاديث التي أوردها الشيخ -رحمه الله تعالى- في كتاب التوحيد، وأن ينشروها بين الناس تعاونا على البر والتقوى، ونصيحة لعباد الله، وإقامة للحجة، ومعذرة إلى الله -سبحانه وتعالى- والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أوصي جميع الإخوة في نهاية كل درس أن يراجعوا مثل "فتح المجيد" و"تيسير العزيز الحميـــد" وشـــروحات كتاب التوحيد حتى يزداد الفهم والاستيعاب، وأيضا الآيات والأحاديث فهذه تحفظ ويستفيد منها المسلم في نفسه ثم يبلغها للآخرين نصيحة للناس وبيانا لدين الله، والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فأيها الإخوة، نواصل مع هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمـــه الله تعالى- ومع أبوابه الماتعة النافعة التي تمس الحاجة إلى دراستها والعناية بها ورعايتها فهما وعملا وتطبيقا.

ووصلنا في هذا الكتاب المبارك إلى باب يتعلق بالتبرك، التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها، وقد عقد الإمام -رحمه الله تعالى- في هذا ترجمة نافعة بين فيها من خلال أدلة القرآن والسنة حكم التبرك وما يترتب عليه من المفاسد والأخطار التي تضر بعقائد الناس وأديانهم والتي تبعدهم عن الصلة بربهم -جل وعلا- وخالقهم فنستمع أولا إلى تقريره -رحمه الله تعالى- ثم يأتي بعد ذلك التعليق على ذلك بما ييسره الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الـــلاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩،٢٠])

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)، "مَن" هنا اسم شرط ومن المعلوم أنه يحتاج إلى جواب، والجواب هنا محذوف للعلم به وسيأتي في الأدلة ما يكون جوابا لهذا الاسم، اسم الـــشرط المبدوء بهذه الترجمة قال: باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما. وحذف جواب الشرط للعلم به ولما سيأتي في الأدلة من بيانه ألا وهو أنه: "فقد أشرك".

جواب الشرط: "فقد أشرك" من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما فقد أشرك؛ لأن هذا العمل الذي وهو التبـــرك بالشجر والحجر ونحوهما هذا من أعمال الجاهلية، ومن الأعمال الشركية كما سيأتي إيضاح ذلك وبيانه، ويحتمل أن تكون "مَن" موصولة بمعنى الذي فيكون الباب: باب حكم الذي يتبرك بالشجر والحجـــر ونحوهمـــا. أي: أن حكمه الشرك، أو أنه مشرك على ما سيأتي بيان ذلك في الأدلة.

والتبرك هو طلب البركة والبركة لا تطلب إلا ممن بيده أزمة الأمور والتصرف في هذا الكون الخـــالق لـــه والموجد لجميع الكائنات المدبر المسخر هو الذي تطلب البركة منه لا من غيره ولهذا قال عيسى -عليه السلام - ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] أي: الله -جل وعلا-.

فالبركة من الله ولا تطلب إلا منه سبحانه وتعالى وطلبها من غيره أيا كان صرف عبادة لغير المستحق وهو الله -سبحانه وتعالى- فمن طلب البركة وطلب لنفسه حصولها من غير الله -سبحانه وتعالى- فقد اتخذ هذا الغير شريكا لله -عز وجل-.

والبركة هي النماء والزيادة حصول الخير ونماؤه وزيادته وثباته، وهذا كله إلى الله -سبحانه وتعالى- هو من الله وإلى الله، ولا يطلب حصول الخير ولا دوام الخير ولا ثبات الخير إلا من الله -جل وعلا- بيـــده الخيـــر - سبحانه وتعالى- الذي هو على كل شيء قدير ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] هو الذي يطلب منه ذلك لا يطلب من غيره.

والمصنف -رحمه الله تعالى- قال: (من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما). وهذا فيه إشارة أن ما يفعله الناس من تبرك يكون بأشياء كثيرة جدا أشار إلى أشهرهما وهو الشجر والحجر وإلا فالتبرك يكون من الناس بأشياء كثيرة بالأشجار والأحجار والمغارات والكهوف والقباب والأضرحة، أشياء كثيرة جدا يتعلق الناس أو تتعلق قلوب الناس أو قلوب الجهال بها، ويبحثون عن البركة أو يطلبون البركة لأنفسهم من جهتها وهذا من الشرك بالله تعالى؛ لأن البركة لا تطلب إلا منه، وكل ما يطلب الناس من جهته البركة غير الله -سبحانه وتعالى- لا يملك شيئا لا يملك عطاء ولا نفعا ولا يملك رفعا ولا دفعا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا لا يملك شيئا، فكيف تطلب البركة ممن لا يملك شيئا ولا تطلب من الذي بيده ملكوت كل شيء؟ أين العقول؟ تطلب البركة ممن لا يملك شيئا حجر أو شجر أو زاوية أو كهف أو مغارة أيا كان !!! تطلب منها البركة وهي لا تملك شيئا، ولا بيدها عطاء ولا منع ولا دفع ولا رفع ولا أي شيء وتطلب منها البركة، ولا تطلب من الذي بيده ملكوت كل شيء -سبحانه وتعالى- فهذا عين الضلال ومنتهى السفه -والعياذ بالله- ونهاية الغي ولهذا قال الله -جل وعلا-: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] يعني: يذهب العقل في أودية السفه والضياع والعماية والغواية عندما يتعلق بهذه الأشياء طالبا منها البركة ولا يتجه إلى الخالق الجليل والرب العظيم والمدبر والمسخر الذي بيده أزمة الأمور -سبحانه وتعالى- قال: (من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما) أي: من المغارات والزوايا والقباب إلى غير ذلك مما يتجه إليها الجهال والضلال فيطلبون أو يلتمسون البركة من جهتها.

ثم كعادة المصنف -رحمه الله تعالى- يسوق الأدلة التي تشهد للترجمة وتدل عليها فبدأ أول ما بدأ بإيراد قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة النجم: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[النجم: ١٩: ٢٣] فساق هذه الآيات المباركة -رحمه الله تعالى- ليستدل بها على بطلان هذا العمل وفساه وضلالة فاعله ومخالفته لكتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وهذه الثلاثة التي ذكرت في الآية اللات والعزى ومناة هذه معبودات كان يعبدها المشركون ومن إمعانهم في الضلال وإمعانهم في الغواية جعلوا أو اشتقوا لهذه المعبودات من أسماء الله -جل وعلا- فـ"اللات" اشتقوا اسمه من "الإله" و"مناة" من "المنان" و"عزى" من "العزيز" اشتقوا لهذه المعبودات وهذه الأوثان الأصنام التي يعبدونها اشتقوا لها من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وهذا من الإلحاد كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[الأعراف: ١٨٠] هذا إلحاد من الإلحاد في أسماء الله أن يشتق للأوثان والأصنام أسماء هي من أسماء الله -جل وعلا-.

وإذا تأملنا في هذه الثلاث: "اللات والعزى ومناة" ما حقيقتها؟ اللات قرأت بالتخفيف تخفيف التاء وتشديدها اللات واللاتّ من اللت وهو العجن، فعلى قراءة التخفيف اللات اسم صنم مشتق من الإله كما مر، واللاتّ بتشديد التاء هذا رجل كان يلت السويق، أي: يعجنه ويقدمه للحجاج فهو يقوم بعمل نافع عمل مفيد الناس يشكرونه عليه ويثون عليه به، فكان يلت ويعجن السويق ويقدمه للحجاج فلما مات عبدوه، عبدوه من دون الله فأصبح صنما من الأصنام الكبيرة الشهيرة بين المشركين.

وعزى هذا اسم شجرة كانت بين المدينة والطائف كان في الجاهلية يعظمونها ويعبدونها ويصرفون لها أنواعا من العبادة حتى قال أبو سفيان في معركة أحد: لنا العزى ولا عزى لكم. فكان المسلمون يقولون: الله مولانا ولا مولى لكم.

فهذه شجرة كانت تعظم في الجاهلية وتقصد للعبادة للذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وطلب البركة إلى غير ذلك.

ومناة أيضا صنم كان في منطقة قديد بين المدينة ومكة وكانت الأوس والخزرج يحرمون منها بالحج.

فهذه ثلاثة أصنام وخصت بالذكر في هذه الآية من بين سائر الأصنام الأصنام كثيرة كان عند البيت حول البيت ثلاثمائة وستين صنم كسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بيده يوم الفتح فتح مكة وكان يقرأ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] فكسرها النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وفي يوم الفتح أرسل خالد بن الوليد ليقطع الشجرة تلك التي يقال له العزى، وأرسل علي بن أبي طالب ليهدم مناة، وفعلوا ذلك فهدم -عليه الصلاة والسلام- الباطل وقوض أركان الضلال، وارتفعت راية التوحيد وعلا سلامه ودحض الباطل.

لاحظ معي هنا أن العزى شجرة، ومناة واللات صنم، أو مكان لرجل صالح، حجر حتى قيل إنه نفس الحجر الذي كان يلت عليه السويق أصبح يعبد ويتبرك به فإذن الله -جل وعلا- يقول: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴾ أي: أخبروني عنها، اللات والعزى ومناة أخبروني عنها، هل هي تملك شيئا؟ والمشرك في الجاهلية إذا سئل عن هذه الأصنام التي يعبدها هل هي تملك لك حياة؟ موتا؟ هل هي تملك لك نفعا أو ضرا؟ ماذا يجيب؟ يقول: لا، لا تملك. وإذا سئل: من الذي يملك ذلك كله؟ يقول: الله. وهذا في القرآن في مواضع كثيرة تدل على أن المشركين يقرون بأن هذه الأصنام لا تملك، حتى في التلبية التي سبق أن أشرنا إليها، تلبيتهم في الجاهلية فكانوا يقولون: "لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك". يعني هم يعتقدون أنها هي لا تملك شيئا فهذا الذي هم يعتقدونه ويقرون به أنها لا تملك شيئا هو في الحقيقة دليل عليهم في إبطال تعلقهم بها إذا كانت لا تملك شيئا وأنتم تقرون بذلك فلماذا تتعلقون بها وتطلبون من جهتها البركة؟

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ أي: أخبروني عنها هل هي تملك شيئا، عطاء منعا، خفضا رفعا، حياة موتا نشورا؟ الجواب يقولون: لا. إذن لماذا تتعلقون بها؟ ولماذا تطلبون البركة من جهتها وهي لا تملك شيئا؟ وأؤكد مرة ثانية نلاحظ أن اللات هذا صخرة وعزى شجرة والمؤلف يقول: (من تبرك بشجر أو حجر) فقد أشرك لأن هذا هو عين فعل الجاهلية الذي ذمهم الله عليه وأبطله بالآيات والدلائل الكثيرة في كتابه العزيز ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: جائرة ثم تأمل حقيقة هذه الأصنام حقيقتها ما هي؟ قال ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ هي في الحقيقة إما شجرة من جنس الأشجار المعروفة، أو حجر من أيضا الأحجار الذي حدث أنه أعطي اسم عظيم وتعلق به طلبا للبركة وطلبا للعافية وطلبا للصحة إلى غير ذلك، وإلا فهو في حقيقته حجر أو شجرة أعطي اسما ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾.

أنا أود أن كل واحد منا يقف هنا حتى يستفيد فائدة عظيمة جدا في إبطال الباطل وهدم الضلال، ﴿مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أنزل الله بها من حجة لأن السلطان هو الحجة، وسميت الحجة سلطانا لأنها عندما تسلط على العقول والقلوب ما يستطيع العقل أو القلب أن يمتنع لأن الحجة تسلطت عليه فأصبحت لا مجال له أن يقول شيئا أو يدفع، فالحجة واضحة ولها تسلط ولهذا سميت الحجة سلطان لأن لها تسلط ﴿ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ هنا من هذه الآية نأخذ فائدة ثمنية جدا للغاية؛ بل نأخذ منها قاعدة متينة لرد كل باطل، نأخذ منها قاعدة وأصلا عظيما لرد كل باطل، كل عقيدة لم ينزل بها سلطان فهي باطلة لماذا؟ الاعتقاد لمن؟ لرب العالمين هو الذي خلق وهو الذي يأمر خلقه أن يؤمنوا بما شاء، الأمر له -جل وعلا- فهو الذي خلق وهو الذي أوجد، وهو الذي يحكم ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ فأي عقيدة لم ينزل بها سلطان من الله -سبحانه وتعالى- فهي باطلة ويطالب كل صاحب عقيدة أن يأتي عليها بسطان، أي: حجة منزلة من رب العالمين.

وعلى ضوء هذه الآية نستطيع أن نقسم عقائد الناس على قسمين، العقائد الموجودة بين الناس نستطيع أن نقسها على قسمين:

القسم الأول: عقيدة نازلة.

والقسم الثاني: عقيدة نابتة عقيدة نازلة لها أي نزلت من رب العالمين ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢: ١٩٤] فهي عقيدة نازلة، أي: من الله -جل وعلا- لأنه هو -سبحانه وتعالى- الخالق، والأمر له والحكم له، الحكم الكوني، الحكم القدري الكوني، والحكم الشرعي الديني لله -جل وعلا-.

والقسم الثاني من العقائد العقائد النابتة وكيف تميز بين العقيدة النازلة والنابتة، إذا كان على العقيدة دليل من الكتاب والسنة فهي عقيدة صحيحة نازلة، وإذا لم يقم عليها دليل من الكتاب والسنة فهي عقيدة نابتة باطلة، وهذه فائدة ثمينة جدا نأخذها من هذه الآية ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ يوسف -عليه السلام- قال لصاحبي السجن ﴿ يَا صَاحِبَيْ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩: ٤٠] وهذا سلاح قوي والأنبياء -عليهم السلام- استعملوه في إبطال الضلالات الموجودة بين الناس؛ ولهذا نستخلص هنا قاعدة ثمينة ومفيدة لكل مسلم وهي أن كل عقيدة لم ينزل بها سلطان فهي عقيدة نابتة، يعني: مخترعة أنشأها الناس، كل عقيدة مخترعة ومحدثة فهي عقيدة باطلة مردودة على صاحبها أيا كان.

وأذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية له في هذا الباب كلمة عظيمة جدا قالها عندما وقعت بينه وبين بعض المتكلمين مناظرة في العقيدة قال لهم: "ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني الاعتقاد لله" يعني الاعتقاد حكم الله -جل وعلا- هو الذي يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء ليس لأحد أنه ينشئ اعتقادا يتكلفه من قبل نفسه والله تعالى يقول: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الذاريات: ١٠٥].

العقائد النابتة التي لم ينزل بها من سلطان من أين جاءت؟ ما هو سبب نشأتها؟ الجواب في الآية الله -جل وعلا- قال: ﴿ مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣] ولهذا العلماء أيضا استخلصوا فائدة مهمة هنا قالوا: إن العقائد الفاسدة تنشأ عن أمرين:

إما فساد في العقل، في التصور، أو فساد في الإرادة، إرادة الإنسان فساد العقل يكون به اتباع الظن وفساد الإرادة يكون به اتباع ما تهوى الأنفس إرادته فاسدة فيتبع الذي تهواه نفسه وذاك حصل له فساد في عقله فيتبع الظن ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ جاءهم بالوحي الذي نزل على الأنبياء، النور الحق، الهدى جاءهم بهذا الوحي لكن بسبب فساد العقل أو فساد الإرادة أو فسادهما معا العقل والإرادة يصبح الإنسان على عقيدة فاسدة والعياذ بالله.

نأخذ هنا فائدة في بابنا وموضوعنا أن هذه التعلقات الباطلة بالأحجار والأشجار والقباب والأضرحة وغيرها المغارات والكهوف وغيرها، هذه الاعتقادات والتعلقات ليس عليها سلطان، ليس عليها حجة، وهي في الحقيقة اتباع لماذا؟ للظن وما تهوى الأنفس، ليس هناك حجة، اتباع للظن بسبب فساد العقل، واتباع لما تهوى الأنفس بسبب فساد الإرادة أو بسبب فساد الأمرين ولهذا يجب علي الإنسان أن يبتعد عن ذلك ويقبل على كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فيأخذ منهما الاعتقاد الصحيح والإيمان الصحيح بعيدا عن هذه الانحرافات.

الشاهد من هذا السياق المبارك من سورة النجم إبطال التبرك بالأشجار والأحجار، وأنه من الشرك الذي أبطله الله في القرآن وذم فعله وفاعليه وأنكر عليهم وبين أنه لا حجة لهم عليه ولا سلطان، وفي أي وقت وفي أي مكان وبأي شكل وقع هذا التبرك بهذه الأشياء فالحكم واحد، الذي يتبرك بشجر أو يتبرك بحجر أو يتبرك بقبر أو يتبرك بكهف أو يتبرك بمغارة أو أيا كان الذي يطلب البركة من جهة هذه الأشياء وقع في هذا المحظور، وعندما يذهب العلم ونوره وتذهب البصيرة في دين الله ويصبح الناس في ظلمات الجهل -يتهافتون على أشياء حتى إن أشكالا تقع مؤسفة ومزرية جدا أحيانا في بعض الأماكن أحد الناس يمر على مكان فيمسح يده عليه ثم يأتي عشرات وراءه مجرد ما رأو إنسانا مسح يديه في هذا المكان فيه بركة وتطلب منه البركة فيبدأ يمسح، وبعضهم

يخلع عمامته ويغرف بها غرفا للبركة، ويخلع أيضا طاقيته ويعبئها من البركة، لا يفوته البركة التي في هذا لمكان مجرد ما أن يرى شخص هل هؤلاء تبصروا أم أنهم في الحقيقة كما قال الله ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ هذا يبين لنا الواقع المؤسف لكثير من الناس وسفه العقول في هذا الباب ويتركون كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- والعجيب أن بعضهم عندما تتلى عليه هذه الآيات يقول: هذه الآيات في كفار قريش. وهل الذي ذمه الله -عز وجل- في كفار قريش وأفعالهم حلا لغيرهم إذا كان يفعل نفس العمل الله يقول في القرآن ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القمر: ٤٣] الكفر واحد، الشرك واحد، وقع من أي إنسان كان، وهو مذموم في كل وقت، ومر معنا عند المصنف -رحمه الله تعالى- باب الخوف من الشرك وأورد فيه من الدلائل والبراهين والحجج والبينات ما يكفي في هذا الباب، وسيأتي أيضا عند المصنف أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان مثل هذه الأمور يجب الإنسان أن يكون على حذر منها، وعندما يقرأ الآيات التي تذم الشرك ما يقول ما لي علاقة بهذه الآيات ولا تعنيني. لا، هي تعنيك لأن الله -عز وجل- لم يذكرها لك مجرد معلومات تقف عليها، وإنما ذكرها لك حتى تحذر وتبتعد وتجانب الذي كان عليه أولئك، لم يذكرها لك لمجرد معلومات ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ [يوسف: ١١١] ففيها عبرة وفيها عظة، أما أن يقرأها ويقول هذه الآية لا تخصنا ولا تعنينا فهذا غير صحيح، الشاهد أن المصنف -رحمه الله تعالى- ساق هذ السياق المبارك في إبطال هذا العمل، ومن يتأمله ويقرأ كلام المفسرين عليه يقف على حقيقة الأمر وبينته واضحة من كلام ربنا سبحانه وتعالى.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (عن أبي واقد الليثي قال: (خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى حنين ونحن حديثي عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الله أكبر إنها السنن قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كمنا لهم آلهة. قال: إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي وصححه)

ثم أورد المصنف هذا الحديث وهو في سنن الترمذي عن أبي واقد الليثي -رضي الله تعالى عنه-.

والحديث للمتأمل واضح في الدلالة على مقصود الترجمة (من تبرك بشجر أو حجر ونحوهم) أي: فقد أشرك والحديث واضح جدا في الباب.

أبو واقد الليثي يقول: (كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين وكنا حديثي عهد بكفر)، أي: أنهم أسلموا حديثا، ومن أسلم حديثا لا يكون عنده الوضوح الكافي بأمور الإسلام، وربما أيضا تبقى معه بعض الرواسب من الأمور التي كان عليها في جاهليته قبل إسلامه، ولهذا يعتذر ويبين السبب، أبو واقد يقول (كنا حديثي عهد بكفر)، يعني: إسلامنا حديث، ودخولنا في الإسلام حديث، ومن دخل في شيء جديد لا يكون علمه بتفاصيله مثل علم غيره؛ ولهذا فالحديث يدل أن هذه المسألة التي خفيت على هؤلاء الذين هم حديثي عهد بكفر لم تخفَ على الآخرين، ليس الكل قال هذا وإنما الذي قال هذا فقط هؤلاء الذين هم حديثي عهد بكفر، أما الآخرون لا يقولون ذلك لأنهم راسخون وعرفوا الإيمان وعرفوا حقيقته فلا يقولون مثل هذا، فهو يبين سبب هذه المقولة أنهم حديثي عهد بكفر أن إسلامهم جديد.

يقول: (مررنا بسدرة) شجرة، والسدر نوع من الشجر، شجرة كبيرة كانت للمشركين (مررنا بسدرة للمشركين يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم) وهم في طريقهم مروا بهذه الشجرة، والشجرة من شأنها أنها متخذة للتبرك، اتخذها المشركون للتبرك، فماذا يصنعون؟ ذكر أمرين قال: (يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم)، (يعكفون عندها)، العكوف المكث الطويل، يمكث في المكان طويلا يرتجي منه البركة، وربما يلصق صدره بالبقعة التي يطلب منها البركة، وربما يسمح يده عليها ليطلب منها البركة، ربما أنه يمسح بها ثيابه، أو أشياء من

بدنه يطلب منها البركة، فهم كانوا يفعلون هذا الأمر، (يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم)، أي: يعلقون الأسلحة، لماذا يعلقون الأسلحة؟ حتى يبارك في الأسلحة، حتى تحصل من هذه الشجرة مباركة لهذه الأسلحة، وإلا مجرد تعليق السلاح على مكان أو في موضع مجرد التعليق لا شيء فيه ولا يذم، ولكنهم يعلقونها لأنهم يطلبون من جهتها بركة لذواتهم وبركة لأسلحتهم، فهم يعكفون طلبا للبركة، والأسلحة تعلق على هذه الشجرة طلبا للبركة.

وهؤلاء الصحابة الذين هم حديثي عهد بكفر لما رأو هذا الأمر قالوا: (يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط). يعني: خصص لنا شجرة مثلهم نصنع عندها مثلما يصنعون ونفعل عندها مثلما يفعلون (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) لاحظ هنا معي فائدة مهمة قولهم: (اجعل لنا) هذا ماذا تستفيدون منه؟ (اجعل لنا) ماذا تستفيدون منه؟

فيه في الحقيقة فائدة مهمة جدا أن هؤلاء الصحابة الذين هم حديثي عهد بكفر، ولما أسلموا اقتنعوا أن أمور الإسلام لابد أن تكون جاء بها رسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام- ولهذا ما باشروا الأمر مباشرة ولا فعلوه مباشرة واتخذوا ذات أنواط، قالوا: (اجعل لنا) فإذن قولهم: (اجعل لنا) هذا يدل على أنه متقرر عندهم أنه لا يشرع شيء أو يفعل شيء إلا إذا كان رسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام- جاء بتقريره؛ ولهذا قالوا (اجعل لنا) لو كان الأمر لا يحتاج إلى ذلك كانوا مباشرة يتخذون هم ويتبركون لكنهم لم يفعلوا، قالوا: (اجعل لنا). ولما كانت هذه وجهتهم وهذا مسلكهم وفقوا للسداد، نهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وحذرهم وبين لهم أن هذا العمل من أعمال الجاهلية ومن أعمال المشركين، وانتهو عن الأمر لأنهم سلكوا المسلك الصحيح، وهذا الحقيقة نأخذ منه فائدة أنه يجب على الجميع أن يرد كل الأمور إلى الكتاب والسنة، هذا نأخذه من قولهم: (اجعل لنا ذات أنواط) ترد إلى الكتاب والسنة إذا كان الكتاب والسنة فيهما دليل على ذلك يفعل وإلا يترك ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] الرد إلى الله إلى كتابه وإلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى سنته صلوات الله وسلامه عليه.

قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط) لماذا طلبوا ذات أنواط ما مقصودهم؟ (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) أي: نفعل عندها مثلما يفعلون.

هؤلاء من الصحابة وهم حديثي عهد بإسلام وخفي عليهم وهم مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويمشون معه لكنهم لكونهم حديثي عهد بإسلام وحديثي عهد بكفر خفي عليهم الأمر، إذا كان هؤلاء خفي عليهم ألا يخفى على غيرهم ممن بعدهم بالعلم وبالرسالة يخفى على غيرهم من باب أولى إذا كان هؤلاء خفي عليهم الأمر وقالوا: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) يدل هذا على أن غيرهم أيضا يخفى عليه إذا كان ابتعد عن الوحي وعن الكتاب وعن السنة وهذا يفسر لكم أسباب الضلال العريض الذي يقع فيه الناس هو ماذا؟ هو البعد عن المصدر والمنبع الصافي كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- .

قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) فماذا قال -عليه الصلاة والسلام-؟ قال: الله أكبر. وفي رواية قال: سبحان الله!! يعني أنزه الله لأن هذا الذي قلتموه وهذا الذي طلبتموه وأردتم هذا أمر ينزه الله عنه لأن هذا شرك، والله ينزه عن ذلك قد مر معنا قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] أي: أنزه الله فلما قالوا هذه المقالة نزه النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه -سبحانه وتعالى- بالتسبيح قال: سبحان الله. أي: أنزه الله عن ذلك فتعالى الله وتنزه وتقدس عن ذلك، ثم قال لهم مبينا ومعلما وموجها قال: (قلتم -والذي نفسي بيده-) ويقسم على ذلك بالله، وهذا الحلف في التعليم، والحلف في الفتوى لتأكيد المقام وتبيانه.

(قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) يعني: مقولتكم هذه مماثلة لمقولة أولئك (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وأنتم رأيتم هؤلاء يعكفون على هذه الشجرة وينوطون بها أسلحتهم وطلبتم مثلهم فالصحابة هؤلاء تبين لهم الأمر وعرفوا الحقيقة وانتهو، وهذا أيضا نستفيد منه فائدة مهمة ألا وهي أن مسؤولية الدعاة وواجبهم نحو الناس عظيمة جدا؛ لأن كثيرا من الناس تجده يقع في هذه الأشياء أحيانا يقع فيها من شدة رغبته في الخير وحرصه على الخير، لكنه لما لم يكن عنده علم وبصيرة ودراية وقع في هذه المنزلقات فإذا ما بين له الأمر ووضح له الحكم رجع بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

أضرب مثالا على ذلك: أذكر مرة من سنوات كان إلى جنبي رجل، وكنا في مسجد صلينا المغرب وجلسنا، أنا كنت جالسا وأنا لا أعرف أنه جالس إلى جنبي من إحدى الدول، وماد يديه ويدعو -حقيقة- دعاؤه أثر فيّ لأني لا أسمع ألفاظا في الدعاء لكني أسمع بكاءه يبكي وخاشع جدا في بكائه فأثر فيّ خشوعُه وبكاؤه ثم رفع صوته في الدعاء وإذا به يدعو النبي -صلى الله عليه وسلم- من دون الله: مدد يا رسول الله، أدركني يا رسول الله. ماد يديه ويدعو أنا كنت متأثرا به، فتأثرت له، متأثر به، خاشع الرجل، ثم تبين أن خشوعه في دعاء غير الله -سبحانه وتعالى- مدد يا رسول الله، أدركني يا رسول الله، الحقيقة تدرجت معه في الكلام حتى أتلطف معه وأسأله عن صحته وعن أولاده وعن أهل بيته وعن كذا أمور، ثم قلت له الدعاء عظيم ومكانته عظيمة والحاجة إليه شديدة والدعاء مفتاح كل خير وأخذت أذكر له فضل الدعاء ثم بدأت أسوق له الآيات التي فيها بطلان صرف الدعاء لغير الله وذكرت له آيات كثيرة جدا وأحاديث مثل قوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥] وقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦] إلى غيرها من الآيات وذكرت بعض الأحاديث فأحببت بعد أن انتهيت أحببت أن أطمن هل فهم استوعب أو لا؟ فقلت له ما رأيك في هذا الكلام قال لي: تقول لي ما رأيك؟ هذه آيات وأحاديث وتقول لي ما رأيك؟ هذا ما فيه رأي لأحد هذا كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- فأحببت أن أطمئن أكثر هل فهم أم لا ، قلت له: أنا سمعتك تدعو الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأين أنت من هذه الآيات وهذه الأحاديث وهي واضحة أليست خلاف العمل الذي أنت تفعله؟ فماذا قال؟ قال لي: أنا من بلد كذا - سما لي بلده- ما أحد قال لي هذا الكلام، أنا من بلد -سما لي بلده- قال: ما أحد قال لي هذا الكلام، يعني: كلام واضح.

فإذن كثير من الناس قريبين لكن يحتاجون لأن يبين لهم هؤلاء الذين يتعلقون بقباب أو بأشجار لو قَرَأتَ عليهم هذه الآيات وهذه الأحاديث وبَيَّنْتَ لهم ووضحت فإنهم بإذن الله -سبحانه وتعالى- يرجعون ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهدي الضلال عن الحق إلى سواء السبيل، وأن يبصرهم بدينه، وأن يردهم إليه ردا جميلا، وأن يعيذنا وإياهم من الشيطان الرجيم، وأن يبصرنا بديننا، وأن يوفقنا جميعا لاتباع نبينا -صلى الله عليه وسلم- إنه ولي ذلك والقادر عليه والله تعالى أعلم.

يسأل عن تقبيل الحجر الأسود والركن اليماني وهل هناك فرق بين التقبيل والتقديس أو التبرك بهما؟

فيما يتعلق بتقبيل الحجر الأسود واستلام الركن اليماني على ضوء درس اليوم وما سمعناه ما هو تقبيل الحجر الأسود وما المراد به؟

والجواب على ذلك نجده في كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشهيرة التي أعلنها في وسط الحجاج حتى يعوا الأمر على حقيقته ويتبينوه فعمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قبل الحجر الأسود ثم قال وأسمع الناس قال: (أما إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك) فتقبيل المسلمين للحجر الأسود ليس طلبا منهم للبركة من جهته واستلامهم للركن اليماني ليس طلبا للبركة من جهته وإنما هو اتباع واقتداء للرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- ولهذا قال عمر -رضي الله

تعالى عنه- ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك، فهذا عمل فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- على وجه التعبد لله والطواعية له والامتثال لأمره الله -جل وعلا- قال: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩] فطاف -عليه الصلاة والسلام- حول البيت سبعة أشواط طواعية وامتثالا وتذللا وانكسارا لله -بحانه وتعالى-وتقبيل الحجر واستلام الركن اليماني هو عبادة لله، وطاعة لله -بحانه وتعالى-فيما أمر وليس هو طلب للبركة من جهته، البركة تطلب من الله -بحانه وتعالى-لا تطلب إلا منه الشفاء والعافية والصحة والنماء والزيادة والخير كل هذا لا يطلب إلا من الله فإذن الجواب على هذا السؤال هو في كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قال: (أما إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك).

وجاء في رواية منكرة باطلة لا تصح أن عليا -رضي الله تعالى عنه- قال: بل هو يضر وينفع.وهذه كما بين الحافظ في فتح الباري وغيره من أهل العلم: إنها باطلة لا تصح، منكرة، وسندها أيضا غير مستقيم.

الباب الأول فيه سؤال في حديث معاذ بن جبل كيف استدللنا أن عرق الحمار طاهر هل هناك دلالة؟ مثلا الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذا طبع عرق الحمار في ملابسه وتراه نزل من الحمار وصلى وهناك دلالة واضحة استدللنا عليها من خلال الحديث أن عرق الحمار طاهر، وهل الحمار هو في أساسه نجس فكيف ذلك نرجو التوضيح؟

المسألة هذه ما أذكر أننا تطرقنا لها فيما يتعلق بالباب الأول حديث معاذ لكن لا بأس، قد طرح الأخ السؤال، معاذ يقول كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- -عليه الصلاة والسلام- على حمار وكان -عليه الصلاة والسلام- يركب الحمار والصحابة يركبونه ويباشر عرقه أجسادهم وكان يأتي إلى المسجد بثيابه التي باشر بها ركوب الحمار فعرقه طاهر، ملامسة البدن هل طاهر؟ وهذا من الأدلة الدالة على ذلك في هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- الكريم -عليه الصلاة والسلام- وأيضا في أفعال الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- بإقراره صلوات الله وسلامه عليه.

يقول: يعتقد بعض الناس بحضور البركة عند حضور عالم أو داعية أو عابد أو مولود فيقول مثلا زارتنا البركة أو البركة بوجودك أو شيء من هذا؟

هذه الكلمة يقولها بعض الناس مثلا إذا لقي عالما أو زاره عالم يقول :زارتنا البركة أو نحوها من هذه العبارات، واجتناب هذا اللفظ أولى، وإن كان المقصود به في الغالب صحيح يقول: زارتنا البركة؛ لأن العالم إذا زارك وجلست عنده ستسمع منه خيرا تسمع منه علما تسمع منه فائدة وفي قوله تبارك وتعالى ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ [مريم: ٣١] قال بعض أهل العلم لا يكون الإنسان مباركا أينما كان إلا إذا كان في كل مكان يأتي إليه يفيد الناس فالبركة في الفائدة تعليم الناس العلم، وتعليمهم الحق، وبيان الدين لهم، وعرض الآيات، هذا الذي تحصل به البركة، فالبركة بهذا، ومن يقول: زارتنا البركة، أي: أن مجلسنا سيكون فيه ذكر وسيكون فيه علم وسيكون فيه مدارسة واستدلال بالآيات والأحاديث وهذه بركة ولا شك، بركة تحصل بمدارسة العلم وبلقاء لعالم وزيارة العالم لا شك أن هذه بركة، وإذا كان هذا هو المقصود والغالب أن هو الذي يقصد فهذا المعنى صحيح.

إذن البركة فيما يقول لا في ذاته

البركة في العلم والهدى والحق والتعليم والتوجيه وتربية النفس على دين الله جل وعلا.

بالنسبة لضابط الشرك الأصغر وضابط الشرك الأكبر هل هو إذا كان يعتقد أن أي شيء سبب هل هو شرك أصغر؟ وإذا اعتقد أنه ينفع أو يضر من دون الله هل يكون شركا أكبر، إذ كان يعتقد أن كل شيء سببا وهل قول المشركين: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] هل يعتقدون أنه سبب للتقريب من لله، يعني: هل هو شرك أصغر أو أكبر قولهم هذا؟

ذكرت في درس ماضٍ أن الشرك الأكبر يختلف عن الشرك الأصغر في الحد والحكم، فحدهما مختلف، وحكمهما أيضا مختلف، فرق بينهما في الحد والحكم أما الحد فالشرك الأكبر هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله سواء الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، فمن أعطى غير الله شيئا من خصائص الله في ربوبيته، أو شيئا من خصائصه في أسمائه وصفاته، أو شيئا من خصائصه في ألوهيته –فقد أشرك؛ ولهذا قال العلماء: إن الشرك الأكبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام باعتبار أقسام التوحيد الثلاثة فكل قسم منها يضاده نوع من الشرك، فهناك شرك في الربوبية، وهناك شرك في الأسماء والصفات، وهناك شرك في الألوهية، هذا من حيث الحد، حد الشرك الأكبر.

والشرك الأصغر هو ما جاء تسميته في الشرع النصوص شركا ولا يصل إلى هذا الحد مثل الألفاظ التي تقع من الناس، وسيأتي معنا أبواب كثيرة من هذا النوع: "لولا البط لجاءنا اللصوص" "لولا قائد السفينة لغرقنا" وأيضا قول "عبدي وأمتي" ومثل الحلف بغير الله ونحو ذلك فهذه جاء تسميتها في الشرع شركا وتنديدا، ولكن لا تبلغ في أمرها حد الأكبر، فإذن اختلاف في الحد أما الاختلاف في الحكم فالشرك الأكبر صاحبه يوم القيامة مخلد في نار جهنم وصاحب الشرك الأصغر صاحبه ليس كذلك.

تقول: ما حكم المسح على الوجه بعد تلاوة آيات الله ونقول أيضا ما حكم التبرك بالمصحف بعضهم يضعه في مكان أو يتبرك به يسمح عليه؟

المسح على الوجه مسح اليدين على الوجه بعد الدعاء هذا ورد فيه حديث لم يثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول شيخ الإسلام لا تقم به حجة، غير ثابت فلا يفعل، لا يسمح وجهه بعد الدعاء؛ لعدم ثبوت الحديث، ومن قال بالمسح ربما أنه يرى أن الحديث ثابت، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول ورد فيه –أي المسح– حديثان لا تقوم بهما حجة.

وأيضا فيما يتعلق بالقراءة قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين ثبت في الصحيحين من حديث عائشة –رضي الله عنها– أن النبي–صلى الله عليه وسلم– يقرأ وينفث ويمسح بهما وجهه، وهذا المسح فيه استشفاء بالقرآن، فالقرآن كلام الله –عز وجل– وفيه بركة في كلام الله والله جعل فيه شفاء لما في الصدور شفاء للمؤمنين: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] القرآن فيه شفاء وسورة الفاتحة تسمى الشافية فيها شفاء فكان يفعل ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– فهذا ثابت ويفعل.

ولسؤالها بقية تقول التبرك بالمصحف، التبرك بالمصحف ليس بمسح اليد على المصحف ولا بمسح المصحف على الوجه أو نحو ذلك، التبرك به وطلب البركة بقراءة القرآن وفهم القرآن والعمل بالقرآن بهذه الأمور الثلاثة كما قال الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١] ومر معنا النهي عن تعليق التميمة من القرآن، وأن هذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم والذي يريد البركة يقرأ القرآن ويتدبر القرآن ويعمل به حتى يكون من التالين له، لا أن يكون القرآن مجرد أشياء تعلق أو لوحات توضع في أماكن، وإنما بالتلاوة والتدبر والعمل بالقرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله آصحابه أجمعين، أما بعد،

فدرس هذا اليوم في باب يتعلق بعبادة عظيمة وطاعة جليلة وقربة مباركة، يتقرب بها المسلم إلى الله -جـــل وعلا- ألا وهي الذبح.

فالذبح عبادة من أجل العبادات وقربة من أعظم القربات؛ بل هي من أفضل العبادات الماليـــة، ولهـــذا يـــأتي ذكرها مع أفضل العبادات البدنية وهي الصلاة، كما سيأتي في بعض الأدلة.

فالذبح عبادة وقربة وطاعة يتقرب بها المسلم لربه -جل وعلا- وإذا تقرب بها إلى غير الله فهذا شرك بـــالله؛ لأنها عبادة لا يتقرب بها إلا إلى الله -جل وعلا- فمن ذبح لغير الله فقد أشرك.

والمؤلف -رحمه الله- من نصحه للأمة وبيانه للمسلمين عقد ترجمة في التحذير من الذبح لغيـــر الله، وذكـــر الأدلة على أنه من الشرك ومن الإثم العظيم والذنب الوخيم، وأورد في الترجمة من الدلائل والنصوص ما يشهد لما أراده وقصده -رحمه الله- فنستمع الآن إلى الباب والأدلة التي أوردها -رحمه الله- فيه.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء في الذبح لغير الله، وقول الله تعالى: ﴿قُـــلْ إِنَّ صَـــلاَتِي وَنُـــسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَـــرِيكَ لَـــهُ وَبِـــذَلِكَ أُمِـــرْتُ وَأَنَـــا أَوَّلُ الْمُـــسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]).

قال المصنف -رحمه الله- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد: (باب ما جاء في الذبح لغير الله) ما جاء في الذبح لغير الله، أي: من الوعيد الشديد (ما جاء) أي: في القرآن والسنة (في الذبح لغير الله) أي: في صرف هذه العبادة لغير الله -عبادة الذبح- من الوعيد الشديد، وأنه شرك بالله -جل وعلا- لأن الذبح كمـــا قدمت عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى- وهي عبادة عظيمة، فيها من الإيمـــان والثقـــة بـــالله، والتوكل عليه سبحانه، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، وطلب رحمته وغفرانه، تحقيق تقواه فيها معـــاني عظيمـــة وجليلة خاصة إذا استحضر الذابح وقت ذبحه وتقربه هذه المعاني الجليلة، والله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] ولهذا يجب على من ذبح لله أن يتقي الله في ذبحه، وأن يحسن في تقربه إلى الله -جل وعلا- بهذه العبادة، وهذه العبادة شأنها كشأن غيرها من العبادات، لا تصرف إلا لله، فإذا صرفت لغيره فهذا من أعمال الشرك، وفعل المشركين، المتقربين إلى غير الله بحـــق الله -ســـبحانه وتعالى- فقوله: (باب ما جاء في الذبح لغير الله) أي: من الوعيد الشديد وأنه من الشرك بالله -عز وجل- وأورد -رحمه الله- على ذلك بعض الأدلة، من القرآن والسنة، فأورد أولاً قول الله -عز وجل-: (﴿قُـــلْ إِنَّ صَـــلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِـــرْتُ وَأَنَـــا أَوَّلُ الْمُـــسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]) قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ هو الشاهد من الآية للترجمة، والنـــسك هـــو الـــذبح، المـــراد بقولـــه: ﴿وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي، فكما أن الصلاة لله فالنسك لله، وكما أن الصلاة عبادة لله لا يجوز صرفها لغيره فالنـــسك كذلك عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره فقد أشرك ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢]، فهي حق لله الصلاة والنسك والمحيى والممـــات، أي: ما يحيى عليه العبد من الإيمان والعمل الصالح وما يموت عليه لله، فيكون الإنسان في حياته وفي تقربه وفي

أعماله وفي طاعاته كلها لا يبتغي بها إلا وجه الله -عز وجل- ويكون بعيدا عن الشرك ﴿للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ فهذا فيه معنى "لا إله إلا الله" صرف العبادة لله وعدم صرف شيء منها لغيره.

﴿للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٣﴾﴾ أي: النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بهذا الإخلاص وأمر بهذا التوحيد، وأمر بالدعوة إلى الإخلاص والدعوة للتوحيد؛ ولهذا فإن من ذبح لغير الله خرج عما أمر به النبي -عليه الصلاة والسلام- وناقض الشريعة، ووقع في الشرك، وظلم نفسه في ارتكاب أعظم محرم، ولم يستفد لا في دينه ولا في دنياه؛ لأن من يتقرب لهم بذبح القربان وذبح النسك من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك لا يغنوا عنه من الله شيئًا، ولا يستحقون شيئًا من هذه العبادات، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ هذا الدليل الأول وفيما يتعلق بالذبح.

أنبه على مسألة مهمة حتى يضبط هذا الموضوع: الذبح له شقان وجانبان وتقرب الإنسان بالذبيحة له جانبان: جانب الاستعانة، وجانب قصد القربة، الذي هو العبادة، وكلا الجانبين يجب أن يكون فيهما الناسك والذابح والمتقرب مخلصا لله، مخلصا في استعانته ومخلصا في عبادته، فهما جانبان، الاستعانة والعبادة، الاستعانة، من يذبح يذكر اسم الله على ذبيحته، يقول: بسم الله، والباء للاستعانة، فيذبح باسم الله، مستعينا بالله -تبارك وتعالى- متوكلا عليه معتمدا عليه، ويذبح لله ،أي: يقصد بذبيحته ونسكه وجه الله، فالأول جانب الاستعانة والثاني جانب العبادة وكلاهما يجب أن يكون العبد فيهما مخلصا لله -سبحانه وتعالى- فيذبح بسم الله ويذبح لله قاصدا بذبيحته وجه الله، فمن ذبح بغير اسم الله أشرك بالاستعانة، ومن ذبح لغير الله أشرك في العبادة، إذن أحوال الناس في هذا الباب أو القسمة في هذا الباب تكون رباعية، من ذبح باسم الله لله، فهذا موحد في استعانته وفي عبادته، ومن ذبح باسم غير الله متقربا إلى الله، فهذا مشرك في الاستعانة، ومن ذبح باسم الله متقربا لغير الله فهذا مشرك في العبادة، ومن ذبح باسم غير الله متقربا لغير الله مشرك في الأمرين، والموحد من هؤلاء من ذبح باسم الله لله، لا يذكر على ذبيحته إلا اسم الله يهل بها ويذبحها باسم الله متقربا بها إلى الله فيخلص في الاستعانة ويخلص في العبادة، هذا جانب مهم ينبغي أن يعلم فيما يتعلق بالذبح، الذبح باسم الله ولله، باسم الله مستعينا ولله متقربا.

يشمل يا شيخ الذبح في جميع الأنواع، سواءً كانت في الأنعام أو كانت غيرها؟

الذبح عبادة وقربة لا يذبح شيء ويتقرب به إلا إلى الله، ومن ذبح شيئًا أيا كان متقربا به لغير الله ولو كان من أحقر الحيوان فقد أشرك.

بعضهم يسأل يا شيخ مثلاً شيء يذبحه حتى يأكل منه ويستفيد منه، كيف يكون التقرب إلى الله؟

هذا يعني ذبح للأكل فهو لم يذبحه للتعبد، وإنما ذبحه للأكل وللطعام، فذبحه ليأكل وذبحه ليطعم منه ويطعم منه غيره، هذا الذبح يكون عبادة إذا صحت فيه النية بأن يذبحه ليأكل ويطعم ويتقوى به بدنه على طاعة الله وعبادته يدخل من هذه الجهة في العبادة.

قال المصنف -رحمه الله-: (وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]).

قال -رحمه الله-: (وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]) الشاهد من الآية قوله: ﴿وَانْحَرْ﴾ أي: وانحر لربك لا لغيره، كما هو الشأن في الصلاة وفي هذه الآية جمع بين الصلاة والنحر كما هو الشأن في الآية التي قبلها، في الآية التي قبلها جمع بين الصلاة والنحر، وهذه الآية جمع فيها بين الصلاة والنحر، والصلاة أفضل العبادات البدنية، والنحر من أفضل العبادات المالية، وفيهما من التذلل والخضوع والانكسار وطلب الثواب

ورجاء رحمة الله ومغفرته فيهما معاني عظيمة جدًا، وقد جمع الله بينهما في هاتين الآيتين قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ أي: له لا لغيره، وكما أن الصلاة لا يجوز صرفها لغير الله فالذبح لا يجوز صرفه لغير الله.

قال المصنف –رحمه الله–: (وعن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: (حدثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض) رواه مسلم).

ثم أورد الشيخ –رحمه الله– هذا الحديث، حديث علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهو في صحيح مسلم، أنه سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (حدثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأربع كلمات) وهنا قوله: (كلمات) أطلقت الكلمة على الجملة؛ لأنها أربع جمل، والجملة يقال لها كلمة، بل أوسع من ذلك الخطبة يقال لها كلمة، ألقى كلمة مثلاً يقال: ألقى كلمة، وهنا (حدثني بأربع كلمات) المراد أربع جمل، أربع جمل فكل جملة كلمة.

وقوله تعالى يا شيخ: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[إبراهيم: ٢٤]

كلمة التوحيد ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤] كلمة التوحيد، فهي جملة مفيدة، لا إله إلا الله جملة مفيدة وقيل عنها كلمة، وأيضًا مثله: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] قال: (حدثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأربع كلمات) الكلمات هي جمل مفيدة كلها فيها لعن لفاعلين لأمور معينة ومخالفات في أربعة أمور، كلها صدرت باللعن، واللعن هو الطرد، والإبعاد من رحمة الله، والملعون هو المطرود المبعد من الرحمة، وهذا يدل على شناعة هذه الأمور الأربع التي جاء فيها اللعن، قال: (حدثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله) وذكر الأمور الأخرى، هنا البدء باللعن لمن ذبح لغير الله، ماذا نستفيد منه على ضوء قاعدة أو تأصيل سبق أن ذكرته في درس ماض؟

البدء بالأهم

بدأ بالأهم والقاعدة في هذا الباب.

يبدأ بالنهي الأعظم ثم الأذل

نعم، طيب تذكر مثالا مما مر معنا في الدروس الماضية؟

نعم

مثل؟

حينما بعث الرسول –صلى الله عليه وسلم– معاذ بن جبل إلى اليمن فقال: (إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)

هذا مثال من السنة، تذكر مثالا من القرآن؟ مما مر معنا، أيضاً مر معنا أمثلة كثيرة؟ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] وآيات كثيرة مرت معنا يبدأ بالأهم، مثلما تفضلت الحديث فيه أربع كلمات وبدأ بالأهم، قال: (لعن الله من ذبح لغير الله) الذبح لغير الله شرك، والأمور الآتية كبائر، واللعن يدل على أن الفعل الذي جاء في حقه اللعن من الكبائر، يعني من علامة أن الأمر كبير لأن يصدر بلعن، هذا مما ذكره أهل العلم في ضابط الكبيرة، ضابط

الكبيرة مما ذكره أهل العلم فيه أن يكون مصدر بلعن، فإذا صدر بلعن فهو من الكبائر، فهذه الأمور الأربع كلها كبائر، وأكبرها وأعظمها ما بدأ به وهو الذبح لغير الله، وبدأ به لأنه أكبرها، وهو شرك بالله -عز وجل- قال: (لعن الله من ذبح لغير الله) ففيه لعن لمن يذبح لغير الله أيا كان سواءً ذبح لملك مقرب أو نبي أو ولي أو شجر أو حجر، الذبح لغير الله لا يجوز أيا كان، الذبح عبادة لا تصرف إلا لله -سبحانه وتعالى- والله -جل وعلا- أمر نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣] فقال: (لعن الله من ذبح لغير الله) هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني قال: (لعن الله من لعن والديه) ولاحظ ذكر حق الوالدين بعد حقه مثل الآية ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] هذا حق الله، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] حق الوالدين ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] فهذا مثله، وهذا يدلنا على عظم شأن حق الوالدين، يذكر حقهما عقب حقه، فهنا لعن من جعل حقه لغيره فقال: (لعن الله من ذبح لغير الله) والأمر الثاني: لعن من لعن والديه، وقوله: (لعن الله من لعن والديه) يشمل من لعنهما ابتداءا أو تسببا، ما معنى تسببا؟

بأن يلعن مثلاً والدي شخص معين أمامه، فيرد ذلك عليه بالمثل

هذا هو الجواب، اللعن بالتسبب يوضحه ما جاء في الحديث لما قال الصحابة: (وهل يلعن الرجل والديه) لما عد من الكبائر: (لعن الرجل والديه، قالوا: وهل يلعن الرجل والديه) يعني: أمر مستبعد، مع أنه في بعض الأماكن -والعياذ بالله- بين بعض الصبية والأولاد يمكن مثل "السلام عليكم" على لسانه لعن والديه ولعن كذا، وهذا من أخطر الأمور التي تجري على لسان بعض الصغار وهذا من حماقتهم وسفههم وقلة الدين، يجري على لسانه سب الوالدين، عند أي خطأ إذا دفعله زميله أو كذا رأسا يشتم الوالدين، فبعضهم يشتم والديه ابتداء هذا الأمر الذي استبعده الصحابة قالوا: (هل يلعن الرجل والديه) هذا المستبعد موجود في بعض الشباب الطايش الضائع يشتم والديه مباشرة، والأمر الثاني بالتسبب، قالوا: (وهل يلعن الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه فيسب أمه) هذا تسببا، يكون سبب، والحديث يدل على أن الأمر ينسب لمن تسبب فيه؛ لأنه قال: (لعن الله من لعن والديه) فإذا كان تسبب لهما في اللعن فينسب إليه هذا الأمر، فإذن الحديث يشمل من لعنهما ابتداء أو لعنهما تسببا، يعني: بأن تسبب في لعن والديه، وهذا يدل على خطورة الأمر وأنه من الكبائر، بل إن هذا من أعظم وأشنع ما يكون في حق الوالدين إذا كان الله نهى أن يقول لوالديه "أف" وهي مكونة من حرفين، "أف" يعني: يتأفف منهما ويتضجر ويتململ ويبدي لهما تضجره، نهى الله عن ذلك ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] إذا كان الله نهى عن ذاك، فكيف بمن يسب الوالدين والعياذ بالله سواءً بسبهما ابتداء أو سبهما بالتسبب.

قال: (لعن الله من لعن والديه).

والأمر الثالث: قال: (لعن الله من آوى مُحْدِث) محدث شخص مرتكب لحد يستحق به العقوبة فيأويه إنسان ويحول بينه وبين أن يعاقب، فيؤويه، ويروى مُحْدَثاً (من آوى محدث) أي أمراً محدَثا أي: مبتدعا (من آوى محدث) أي: أمراً محدثا مبتدعا، وليس شخصاً (آوى محدث) أي: نصر البدعة وحماها وآذرها، وسعى في بقائها، فهذا أيضاً عرضة لهذا اللعن (لعن الله من آوى محدث).

والأمر الرابع: (لعن الله من غير منار الأرض) ومنار الأرض هو العلامات التي تعرف بها حدود الأراضي التي تميز أرض زيد من عبيد، فيكون أحياناً التغيير للاعتداء والاقتطاع من أرض الغير وكما جاء في الحديث: (من اقتطع شبرا طوقه يوم القيامة من سبعة أراضين) فيغير منار الأرض يخلع العلامة التي تميز أرضه عن

أرض جاره، ويدخل العلامة في أرض جاره حتى تتسع أرضه وتضيق أرض جاره، هذا داخل في قوله: (من غير منار الأرض).

وأيضًا يدخل في هذا منار الأرض أي: العلامات التي يهتدى بها، التي يهتدى بها يعرف الناس بها الطرق، مثل اللوحات الإرشادية البلد الفلاني يعطيك سهمًا هكذا، لو أن إنسانا غيرها وجعل السهم متجها إلى جهة أخرى والناس ستضيع وتذهب إلى غير طريقها فيكون فيه تضليل للناس وإضاعة لهم عن الطريق القاصد، فهذا فيه اللعن (لعن الله من غير منار الأرض) أي: العلامات التي تميز الأرض عن غيرها أو أيضاً العلامات التي يهتدى بها في الطريق، الشاهد من الحديث أول كلمة فيه وهي: (لعن من ذبح لغير الله) واللعن يدل على خطورة الأمر وشناعته وأنه أكبر الكبائر ولهذا جاء في مقدمة هذه الكبائر.

شيخنا الكريم اللعن الأول تقول: أنه من الشرك، يعني: الذي يفعله يكون قد أشرك، وبقية الأقسام الثلاثة من الكبائر، لكن أليست معطوفة عليه، يعني: لماذا انفرد الأول بالشرك؟

النصوص دالة على أن هذا العمل شرك؛ لأنه صرف عبادة لغير الله، وكثيرا ما يأتي عطف الكبائر على الشرك (اجتنبوا السبع الموبقات) وذكر الشرك بالله والسحر وقذف المحصنات وعدد الموبقات (ألا أخبركم بأكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور) وتعطف الكبائر ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] أول واحدة شرك والبقايا كبائر.

قال المصنف –رحمه الله–: (وعن طارق بن شهاب أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب لهم شيئًا، قالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرب ولو ذبابة، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله –عز وجل– فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد)).

ثم أورد المصنف –رحمه الله– هذا الحديث عن طارق بن شهاب مرفوعا، والحديث فيه بيان خطورة الذبح لغير الله ولو كان بأتفه شيء، فالذباب كما هو معلوم من أخس الحيوان وأحقره، وحيوان ما يؤبه به، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– كما في هذا الحديث قال: (دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب) وأنت عندما تسمع هذا الكلام لأول وهلة يشدك الأمر، يعني الذباب يدخل بسببه واحد الجنة وآخر النار!!! .

أمر يشد (دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب) أي: بسبب ذباب، دخوله النار بسببه والآخر دخوله الجنة بسبب الذباب، (قالوا: كيف) الأمر يشد (قال: مر رجلان) ولعل هذين من بني إسرائيل وكثيرا ما يأتي التحديث عنهما، عن بني إسرائيل وأفعالهم، قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم) والصنم عرفنا المراد به فيما سبق، تمثال على هيئة شخص أو رجل يعبد من دون الله (فمروا على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب شيئًا) أي شيء كان، لكن لا يسمحون لأحد يمر إذا وصل إلى ذلك المكان لا يمر حتى يقرب، وهذا يدل على تعلق أهل الباطل بباطلهم ونصرتهم للباطل، وتواصيهم عليه، وتعاونهم في غرسه والتمكين له بين الناس (فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ما عندي شيء أقرب) هنا يحتمل أن هذا الرجل الأول يحتمل أنه مستعد للتقريب لكنه يعتذر أنه ما عنده شيء، ويحتمل أنه مكره وخاف من القتل، خاف من أن يقتل، فقال: (ما عندي شيء أقرب) يحتمل هذا ويحتمل هذا، وهذا ننتبه له، سيأتي بيان له (فقال: ما عندي شيء أقرب) فاحتمال أنه مستعد، لكن يقول: (ما عندي شيء أقربه) ويحتمل أنه لا يريد هذا الشيء لكنه خوفا من القتل، استجاب، قال: لكن ما عندي شيء أقربه (قالوا: قرب ولو ذباب) الذباب تافه وحقير حتى في عرف هؤلاء الذين طلبوا منه لكنهم

يريدون تحقيق العمل الذي هو التقرب لغير الله لمعبودهم والتحقق من فعل من يمر حتى لو كان بذباب ما يبالون، إذن هم قصدهم ليس ذات العمل؛ لأن ذات العمل ذباب تافه ما يعني شيئًا، لكن يريدون الموافقة على العمل والتحقق موافقة وميل القلب إلى هذا الأمر الذي هم يفعلونه، حتى لو كان بذباب (قال: ما عندي، قالوا: قرب ولو ذباب) فصاد ذبابا وقطع عنقه قربه لهذا الصنم، فقالوا تمشي تركوه يذهب ومات ودخل النار.

فيه فائدة في قوله: (دخل رجل النار في ذباب) هنا قوله (دخل النار في ذباب) يدل على أنه مسلم في الأصل أو ليس بمسلم، لماذا لأنه قال: (في ذباب) الأصل أنه عمله عمل أهل الجنة، لكنه دخل النار في ذباب تحول من إسلامه الذي هو كان عليه، لأنه لو لم يكن في الأصل مسلم وكان كافرا ما يقال: دخل النار في ذباب؛ لأنه في الأصل من أهل النار في أعماله، لكن هنا قال: (دخل النار في ذباب) يعني بسببه، إذن هو كان مسلما، وانتقل من الإسلام إلى الكفر بماذا؟ بسبب الذباب، فإذا كان انتقل من الإسلام إلى الكفر بسبب الذباب فكيف بمن ينتقي أطيب الدواب، وأجود الماشية وأحسنها ويذهب بها إلى من يتقرب إليهم من قباب وقبور أو أضرحة أو غيرها ويذبحها عنده، إذا كان في ذباب ذبحها لغير الله دخل النار، والذباب من أحقر الحيوانات، فكيف بمن ينتقي أفضل الدواب وأطيب الماشية وأحسنها ويقدمها قربة إلى قبر أو ضريح أو أيا كان، أيا كان لأن الذبح عبادة لا تصرف إلا لله -سبحانه وتعالى- فهذا الأول.

قالوا: للثاني قرب، فانظر لقوة التوحيد عند أصحابه وأهله قال: (ما كنت لأقرب شيئًا لأحد دون الله عز وجل) ما أقرب إلا لله، حتى لو تذهب عنقي ما أقرب، وهذا من قوة توحيده وإيمانه، فقطعوا عنقه فدخل الجنة، مات في سبيل الله، قتل في سبيل الله امتنع من الشرك، فقتلوه.

الرجل الأول الذي دخل النار كما قلت لكم إما أنه رجل مستعد ومستجيب لكن ما عنده شيء يقربه فهذا الأمر فيه واضح وإما أنه مكره، فإذا كان مكرها فكيف يقال إنه دخل النار في ذباب وهو فعل ذلك مكرها؟! ولا إشكال في هذا كما بين ذلك أهل العلم بأن العذر بالإكراه هذا جاء في شريعة محمد -عليه الصلاة والسلام- رفع الله عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت عليه الناس، ومما يدل على ذلك الحديث: (إن الله يتجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) قوله: (أمتي يتجاوز عن أمتي) وأيضًا في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ٢٠] لاحظ فيه رجم من أجل الإعادة في الملة، فلو أطاعوهم خوفا من الرجم، قال: ﴿لَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ولهذا فيه كلام جميل جدًا أحيل الإخوة طلاب على أضواء البيان عند كلامه على هذه الآية، حقق هذه المسألة وأورد هذا الحديث وبين أنه لا إشكال في كونه مكره؛ لأن هذا في شريعة من قبلنا لا يعذر، ومن رحمة الله -عز وجل- بهذه الأمة أنه رفع عنهم ذلك، وإذا أكره فهو يعذر كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] فإذا كان القلب مطمئنا بالإيمان لم ينشرح الصدر للكفر وفعل الكفر خوفا من القتل لا رغبة في الكفر فهو معذور كما دلت على ذلك الآية الكريمة.

ثم إذا كان مكرها وغير معذور فالاستدلال به في هذا الباب هل هو مستقيم؟ نعم مستقيم؛ لأن المؤلف استدل به على تحريم الذبح لغير الله والحديث واضح في تحريم الذبح لغير الله وأنه من موجبات دخول النار، ومن أسباب دخول النار.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله وقوله الله تعالى: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]).

ثم عقد المؤلف هذه الترجمة الجديدة وهي لها تعلق بالترجمة السابقة، السابقة فيما جاء في الذبح لغير الله، وهذه في الذبح لله في مكان يعبد فيه غير الله، الذبح لله أي مخلصا، ما جاء في الذبح لله أي مخلصا في ذبيحته لا يريد بها إلا وجه الله لكنه اختار مكانا لذبحها، اختار مكانا يعبد فيه غير الله، فما حكم ذلك هل يجوز؟ قال

المصنف -رحمه الله-: (باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله) فالمكان الذي يعبد فيه غير الله لا يذبح فيه حتى لله على وجه الإخلاص لماذا؟ لأن هذا ذريعة للباطل ومشابهة لأهل الباطل في صورة العمل، فمن المعروف أن هذا المكان يذبح فيه لغير الله فمن جاء إلى المكان نفسه وذبح وهو بينه وبين نفسه يريدها قربة لله شابه أهل هذا الباطل وأيضًا أحيى الباطل في صورته، وإن كان هو في نيته مخالف لذلك ولا يريد الشرك، فهذا لا يجوز، لا يجوز الذبح لله في مكان يعبد فيه غير الله، واستدل المصنف لذلك بقول الله تعالى: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] والمراد ﴿فِيهِ﴾ أي مسجد الضرار الذي بناه جماعة من المنافقين بنوه في المدينة، وقالوا: نحن بنينا هذا المسجد من أجل الضعفة ومن أجل مساعدتهم في البرد وذكروا أغراض حميدة في ظاهر الأمر، وقالوا نحن قصدنا هذا الشيء، وأتوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أيام خروجه لتبوك، وطلبوا منه أن يصلي في هذا المسجد، أن يصلي فيه، فقال: إنا على سفر، وإذا عدنا من تبوك يكون ذلك، وذهب -عليه الصلاة والسلام- إلى تبوك، ولما رجع إلى المدينة وقرب منها نزلت عليه هذه الآية ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] هو لما أقبل على المدينة وعدهم أنه إذا رجع، فلما أقبل على المدينة نزلت هذه الآية، وهي من جملة آيات في سورة براءة، وهي تسمى السورة الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين وكشفتهم؛ ولهذا يكثر في سورة براءة "ومنهم" "ومنهم" "ومنهم" وتذكر صفات فضائح للمنافقين.

ومن ضمن ما فضحهم الله -عز وجل- فيه هذا المسجد الذي بنوه في ظاهر الأمر أنه لمساعدة الضعفة وإيوائهم إلى آخره وهم في الحقيقة بنوه إرصادا لمن حارب الله ورسوله وإيذاءً للمسلمين وقصدا للإغراء بالإسلام وأهله، بنوه لهذا الغرض فالشاهد قوله: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الأرض جعلت مسجدا وطهورا، لكن هذه البقعة المعينة بنيت على غير التقوى، بنيت على أساس الباطل والضلال ومحاربة الإسلام والمسلمين، فنهى -عليه الصلاة والسلام- على أن يقوم فيه قال: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] فالاستدلال من الآية واضح، المكان الذي أعد للظلم وللبغي وللعدواون على الإسلام والمسلمين ليس مكانا صالحا أن يكون للعبادة والتقرب وهذا فيه تعزيز للغرض الذي أقامه أهله لأجله، وإذا كان هناك مكان تعاهد أهل الشرك وأهل الباطل أنهم يذبحون فيه ويقربون فيه النذور لغير الله قصد هذا المكان للذبح لغير الله فلا يجوز لأن المكان مؤسس على الضلال والباطل والشرك وسيأتي معنا الحديث وهو صريح في الترجمة.

قال المصنف -رحمه الله-: (عن ثابت بن الضحاك قال: (نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أوفِ بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه ابن أبي داود وإسناده على شرطهم).

هل يمكن أن تعيد أول الحديث فقط؟

(عن ثابت بن الضحاك قال: (نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟)).

أثابك الله، أورد هنا المصنف -رحمه الله- هذا الحديث في سنن أبي داود حديث ثابت بن الضحاك: (أن رجلاً نذر أن ينحر إبلا ببوانة) بوانة ما هو؟ موضع، وهو هضبة معروفة قريبة من ساحل البحر الأحمر، فالرجل نذر أن ينحر إبلا في ذلك المكان بعينيه، يعني: نذر أن ينحر في ذلك المكان المعين ببوانة، وجاء يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- هل يفي بهذا النذر الذي هو التزمه والنذر يوجب على نفسه، النذر هو أن يوجب على نفسه ما ليس واجبا عليه، هو ليس واجبا عليه أن يذبح هذه الإبل، لكن إذا أوجبها على نفسه وأدخلها في ذمته وألزم ذمته بها فهذا نذر، (نذر أن يذبح إبلا ببوانة) أي: بذلك المكان، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- وجه إليه بعض الأسئلة، قال: (هل فيه -يعني ذلك المكان- عيد من أعياد الجاهلية؟ قال: لا، قال: هل فيه وثن من أوثانهم؟ قال:

لا، قال: أوفِ بنذرك) لاحظ هنا أن الحكم الذي هو قوله: (أوفِ بنذرك) متعلق بالوصف، هل فيه كذا هل فيه كذا قال: لا، قال: (أوفِ بنذرك)، يعني أوفِ بنذرك ما دام أن الموضع كذلك، ليس فيه هذه الأشياء أما لو كانت هذه الأشياء موجودة لما أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالوفاء وإلا ما فائدة الاستفصال؟! هل فيه كذا وهل فيه كذا والرجل يقول: لا، قال: (أوفِ بنذكر) أي: أوفِ به ما دام هذا الموضع هذه حاله، أما لو كان فيه عيد من أعيادهم أو فيه وثن من أوثانهم، فالوفاء في هذه الحال لا يجوز.

قال: (هل فيه عيد من أعيادهم)، والعيد اسم يدل على معنى الاجتماع ليوم يتكرر إما في السنة أو في الشهر أو في الأسبوع ويتبع هذا الاجتماع عادات وعبادات، ويسمى عيدا للمعاودة والتكرر إما في سنة أو في شهر.

فقال: (هل فيه عيد من أعيادهم؟) هل هذا المكان متخذ لعيد من أعياد الجاهلية، يجتمعون فيه في يوم أو في شهر أو في أسبوع معين لأعمال أو عادات خاصة بهم في ذلك؟ قال: (لا، قال: هل فيه وثن) يعني: هل فيه صخرة أو صنم أو شجرة أو أيا كان يعبد قال: (لا، قال: أوفِ بنذرك) يعني: ما دام أن الموضع خالٍ من هذه الأشياء أوفِ به، إذن الحديث واضح الدلالة على أنه لا يجوز أن يذبح لله في مكان يعبد فيه غير الله، وهذا واضح في الاستفصال الذي في الحديث وأيضًا افتاء النبي -صلى الله عليه وسلم- له بقوله: (أوفِ بنذرك) فتوى متعلقة بالوصف المذكور في الحديث، قال: (أوفِ بنذرك) تتمة الحديث (أوفِ بنذرك...)

(فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله).

قال: (فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله) لأن إذا كان المكان مكان شرك أو مكان أعياد جاهلية فهذا معصية أن يقصد الإنسان التقرب إلى الله -عز وجل- في مكان الجاهلية ومكان عبادة غير الله -سبحانه وتعالى- ويكون في الصورة مشابها لأعمال المشركين.

(لا نذر في معصية الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم) يعني: لا يجوز الوفاء فيما لا يملك الإنسان مثل لو قال قائل: لو مثلاً نجحت أتصدق بسيارة تركي وهو لا يملكها، أو أتصدق بشيء لا يملكه فما لا يملكه ابن آدم ليس له، إنما هو حق الغير حق الآخرين، قال: (ولا وفاء في ما لا يملك ابن آدم) وإذا نذر الإنسان نذر معصية مثل هذا الذي جاء في الحديث، عرفنا أنه لا وفاء، لكن هل عليه كفارة، هل يكفر كفارة يمين؟ أو أنه لا يفي وانتهى الأمر؟ قولان لأهل العلم: واختار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه لا كفارة عليه، وبعض أهل العلم ذهبوا أن عليه كفارة ومن قال: ليس عليه كفارة استدل بمثل هذا الحديث، حديث الترجمة، والله تعالى أعلم.

أسئلة الموقع:

الأخ الكريم يقول: يا فضيلة الشيخ ما حكم من يذبح لغير الله جهلا؟

الذبح كما عرفنا في هذه الترجمة وفي الأدلة التي ساق المصنف -رحمه الله- عبادة لا يتقرب بها إلا إلى الله -سبحانه وتعالى- فالتقرب بها إلى غير الله شرك، ومن يقول "لا إله إلا الله" يجب عليه أن يحقق هذه الكلمة ويعرف من خلالها أن فيها نفيا للعبادة عن من سوى الله وإثبات العبادة بكل معانيها لله وحده حتى ينعقد التوحيد عنده بالإخلاص وتحقيق العبادة لله -تبارك وتعالى- والذبح عبادة ومن يذبح لغير الله لقبر أو لشجر أو لحجر، أو لغيرها هو يذبح تقربا، والتقرب لا يكون إلا لله وابتغاء القرب لا يكون إلا إلى الله -سبحانه وتعالى- فهو الذي أنعم بالذبيحة وأنعم بنعمه المتعددة وعطاياه المتنوعة والذي يقول: "لا إله إلا الله" وينطق بهذه الكلمة ويحققها لا يكون نطقه بها مجرداً، والأماكن التي يفشوا فيها هذا الجهل من القائلين لـ"لا إله إلا الله" تعظم المسئولية على

الدعاة وعلى العلماء وعلى طلاب العلم أن يبينوا للناس منافاة هذا الذبح لغير الله للتوحيد الذي خلق الإنسان لأجله وأوجد لتحقيقه.

الأخ الكريم يقول: جرت العادة عند أكثر الناس أن تذبح ولائم عند نزوله منزلا جديداً نرجو تبيين حكمها؟

الذبيحة التي تكون عند سكنى المنزل الجديد على نوعين: إما أن صاحب المنزل بعد أن يكرمه الله -عز وجل- بتيسر المنزل والمأوى الجديد فيذبح ذبيحة لله -عز وجل- شكراً، ويأتي بها إلى بيته ويطبخها ويدعو إليها قرابته وإخوانه وجيرانه ونحو ذلك فهذه لا بأس بها، وجاء في بعض الآثار ما يدل عليها مثل ما جاء أن أحد الصحابة الآن غاب اسمه عن ذهني، لما بنى بيته بالعقيق ذبح ذبيحة ودعا إليها بعض المسلمين وطعموا منها، فهذا ما فيه بأس، هي ذبيحة شكر لله بتيسر هذا الأمر، ويدعو إليها من يدعو من إخوانه وأقاربه إلى آخره، هذا لا بأس به.

أما المحرم فما يفعله بعض الجهال يأتي وقت البناء عند عتبة البيت ويأتي بالذبيحة ويريق دمها على عتبة البيت إما دجاجة أو ذبيحة أو شاة إلى آخره، فيذبحها عند عتبة الباب ويعتقدون أن هذا العمل يصرف الجن ويقي من الشياطين فهذا باطلة، وقد تكون نوع من التقرب للجن أو الشياطين بغرض الحماية والوقاية أو نحو ذلك.

الأخ الكريم يقول: ؤ؟ وهل ثبت عن ابن عمر أنه كان يتبرك بمنبر النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

الأخ الكريم يقول: فيما يتعلق بدرس العصر بالتبرك يا شيخ، عندنا في منطقتنا بئر، البئر هذه فيها ماء والناس يردون إليها من قديم الزمان ويشربون منها على أساس أنها ماء يردونه، لكن الآن شاع عند الناس أنها تفلة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويأتون إليها، أنها تفلة، أي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تفل فيها أو بصق فيها ونبع هذا الماء، فهم يتبركون بهذا الماء، فما أدري يا شيخ الحكم؟ هل ثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه مر بوادي كعسفان مثلاً وتفل في بئر؟

الأخ الكريم يسأل عن التبرك بآثار الرسول -صلى الله عليه وسلم-؟

فيما يتعلق بسؤال أخينا الكريم وفقه الله، التبرك بآثار الرسول -صلى الله عليه وسلم- قسمها أهل العلم إلى قسمين كما ذكر الأخ الكريم في سؤاله الآثار المتصلة والآثار المنفصلة، وأولاً فيما يتعلق بالآثار عمومًا، أعظم ما ينبغي أن يعتني به المسلم ويهتم به في هذا الباب، العناية بآثار النبي -صلى الله عليه وسلم- التي هي دينه الذي دعى العبادة إليه، دين الله -جل وعلا- دين النبي محمد آثاره، فهذه الآثار التي هي اتباع سنته والتزام هديه وتحقيق محبته باتباعه والانقياد لأوامره هذه ينبغي أن تكون لها مكانتها واهتمامها في قلوب المسلمين لأنه يلاحظ أن بعض الناس ربما يصل به الاهتمام بالآثار الحسية المنفصلة أو المتصلة ولا يكون عنده بالدين ربما حتى الصلاة لا يعتني بها التي هي فريضة من فرائض الإسلام ولا يحافظ عليها، ويتتبع أشياء لا تعرف أو لا سند لها أو لا أدلة مثبتة لحقيقتها، فهذه حقيقة مشكلة لابد من التأكيد للتنبه لها، أن يعتني المسلم بالسنة التي هي آثار النبي -عليه الصلاة والسلام- ولهذا بعض العلماء كتبهم في الحديث سموها الآثار لأن الأحاديث كلها آثار النبي -عليه الصلاة والسلام- فتتبع هذه الآثار ويعتني بها المسلم يقرأ ويتعلم ويدرس ويطبق وفي ما يتعلق بالآثار المتصلة هذا خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام- التبرك بآثاره وهذا ثابت في أفعال الصحابة بإقرارهم كانوا يتبركون بريقه، ويتبركون ببصاقه -عليه الصلاة والسلام- وبشعره لما حلق شعره -عليه الصلاة والسلام- في حجة الوداع قسم شعره بين الصحابة، وهذا أمر خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا لم يثبت أنه كان يفعل مع أحد من الصالحين غير ما ثبت في حقه -عليه الصلاة والسلام- وهذا من خاصته وهذا أمر دلت السنة على فعله

على أنه الآن قد يرتقي الأمر بالناس إلى نوع من الغلو الباطن، أذكر مرة في منطقة من المناطق في دولة من الدول رأيت مكانا فيه قبة عظيمة جدًا مبنية في مكان وسألت إيش هذا؟ قالوا: هذه قبة يوجد تحتها شعرة من النبي -عليه الصلاة والسلام- ويقصدونها من أماكن كثيرة يتمسحون بجدران القبة، الشعرة الآن في الداخل إن كان، أولاً ما الدليل على أنها شعرته، ثم إن كانت الشعرة التي في الداخل، شعرة النبي -عليه الصلاة والسلام- فهذه الجدران ما دليلكم على التمسح بها وإلصاق الجدار بها وقصدها من الأماكن البعيدة؟ فهذا يرتقي بالناس إلى نوع من الغلو فيصبحون أي شيء مثل ما جاء في سؤال الأخ الثاني قضية بئر تفل فيه، أولاً يُثبت هذا ثم كل ما يشاع: هذا لمسه النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا تفل فيه وهذا .... ويبدأ الناس يتعلقون بهذه الأشياء ويقصدون هذه الأماكن فيسبب فيهم النقص في الصلة بالله وطلب العافية منه وحسن الصلة به إلى قصد.

إذن يا شيخ الأولى هو التبرك بالآثار من أحاديثه وفعله؟

هذا واجب، التبرك الذي هو طلب البركة باتباع السنة هو البركة المطلوبة، ولا تنال إلا باتباع السنة، يحفظ الإنسان السنة ويتعلم الأحاديث يترك الإنسان الصلاة ويتهاون فيها ثم يذهب ويتتبع أشياء من هذا القبيل ويريد البركة، البركة باتباع السنة، والتقيد بهدي النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- وقضية التبرك بالآثار آثار النبي -عليه الصلاة والسلام- المتصلة به هذا أمر ثابت ودلت عليه النصوص وفعله الصحابة ولكن قبل أن يدخل الإنسان في شيء من ذلك ما يدخل في أمور يقال، وقيل، يستثبت، يعني هات دليل أن هذه شعرته -عليه الصلاة والسلام- إذا كان هناك أحاديث كثيرة جدًا تنسب إليه وبين أهل العلم أنها غير صحيحة، فلا نقبل حديثا بمجرد أن نجد قبله قال رسول الله، هذا لا يكفي -عليه الصلاة والسلام- حتى نتحقق من ثبوت إسناده إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وأيضًا لما يؤتى بشعرة أو بأثر ويقال هذا أثر النبي -عليه الصلاة والسلام- ما الدليل؟ قد يكون هذا أثر رجل توفي قبل عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين أو مائة أو مائتين أو خمسمائة أو سبعمائة أو تسعمائة أو ألف، إيش الدليل؟ هل فيها أسانيد؟ إذا كان حديثه -عليه الصلاة والسلام- ما نقبله إلا إذا تحققنا من إسناده ليس كل حديث نجد قبله قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نقبله، حتى نتحقق من ثبوت الإسناد.

الأخ الكريم يقول: لدي سؤالين:

السؤال الأول: هل دخول الكنائس للاطلاع عليها يعد مشابهة لأهل الباطل؟

السؤال الثاني: هل دخول الأماكن التي فيها منكرات يعد مشابهة لأهل الباطل؟

الأخ الكريم وفقه الله عنده سؤالان: الأول: دخول الكنائس للمشاهد.

ابتداءً ليس لمسلم أن يقصد أماكن الكفار وأماكن عبادتهم؛ بل وقته أسمى من هذا، لكن إذا كان هناك غرض شرعي وغرض صحيح حصل بسببه دخول أو نحو ذلك، فهذا لا بأس به، أما أنه يقصد الكنائس ومعابد النصارى ومعابد الهنادكة وغيرهم، ويتفرج فلا، يعني: هذا ربما يكون له ضرر عليه في إيمانه وفي عبادته، إلا إن كان له غرض صحيح، فيذهب يدعو، يذهب ينصح، يذهب يعلم، وما يتعلق بأماكن المعصية يذهب إليها للمناصحة والتوجيه والتعليم والبيان وإنكار المنكر ونحو ذلك، أما يذهب للمشاركة والجلوس والمباسطة، فليس المسلم أن يفعل ذلك والله تعالى أعلم.

الأخ الكريم يقول: في الحقيقة سبقني أخي الكريم في السؤال الذي كنت سأسأله فيما يتعلق بالكنائس وهكذا، حديث الرجل الذي نذر أن يذبح ببوانة وسؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- هل فيها وثن يعبد؟ أو هل فيها عيد

للمشركين؟ فعندما تأكد وتبين له عدم وجودها أباح له النبي، فما هو حكم حضور بعض المسلمين بعض أعياد الكفار مثل عيد رأس السنة أو أعياد ميلادهم أو دور عبادتهم للمشاركة فقط، بناءً على دعوتهم، هل هو فيه شبهة شرك أو فيه نهي شديد عن عدم الحضور ولا سيما إن لم يكن له عمل صالح كالدعوة لدين الله ودين الإسلام؟

لا يحل للمسلم حضور أعياد المشركين والمشاركة سواءً واليهود والنصارى سواءً بدعوة أو بغير دعوة؛ لأن هذه الأعياد قائمة على الباطل أصلاً، وما يفعل بها هو الباطل، الآن عيد النصارى عيد يعود عليهم اجتماعهم بغرض ماذا، الآن عيد الميلاد ميلاد المسيح في هذا العيد يجتمعون على ماذا؟ على التقرب لرب العالمين والتقرب أيضاً للمسيح؛ لأنه إله عندهم وابن للإله فيجتمعون على الشرك وعلى التقرب لغير الله، وعلى فعل المنكرات تفعل في تلك الاجتماعات الشرك والمنكر والمعصية والاختلاط وربما الخمور وربما آلات اللهو أشياء كثيرا فالمسلم ما له ولهذه الأماكن، سواء دعي أو لم يدعَ لا يحل له أن يذهب لهذه الأماكن، وأيضًا لا يحل له التهنئة بأن يهنئهم ويقول: أهنئكم بعيدكم، عيد باطل هو تهنئهم على الباطل، هل تهنئهم على الباطل؟ أهنئكم بالعيد أو جعل الله عيدكم عليكم سعيدا، تهنئهم بالباطل، رجل يثلث ورجل يجتمع على المنكر، وتقول لك مني التهنئة على ماذا تهنئه؟ تهنئه على قصده السيء في ذاك العيد أو على الفعل السيء الذي يفعله في ذاك العيد على ماذا تهنئه؟ فمن يفهم حقيقة الإسلام لا ينهنئ أهل الباطل على أعيادهم القائمة على الباطل.

والحضور أيضاً فيه معنى التأييد وفيه تهنئة ولن يذهب ويجلس، ربما يذهب ويقول: مبارك عليكم العيد، أو يقول: أهنئكم بعيدكم، أو لن يذهب ويجلس، بل يذهب ويهنئ ويشارك ويهنئ على ماذا؟ يعني هل من فهمت يا من تريد أن تهنئهم على عيدهم على ماذا قام العيد؟ وماذا يفعل في هذا العيد؟ وهل هذا العيد مما يرضي الله أو مما يسخطه؟ هذه أمور لابد أن ينظر فيها الإنسان قبل أن يدخل في هذا الأمر والله تعالى أعلم.

الأخ الكريم يقول: يا شيخ مسألة تحنيك الطفل، هناك من يقول: أنها خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لأن التبرك بالنبي -عليه الصلاة والسلام- ولا يجوز لغيره، فما التوجيه في ذلك؟

السؤال الآخر: هل هناك تبرك مشروع؟

السؤال الثالث: هل الذبح عند القبر يعتبر شركا أم بدعة؟ وما هو ضابط الشرك وما هو البدعة؟

يسأل عن التحنيك هل هو خاص بالرسول -صلى الله عليه وسلم- أم لغيره؟

تحنيك الطفل مشروع أن يحنكه والده أو والدته هذا مشروع، وهو بأن يؤتى بتمرة إن تيسر أو رطبة وتبل بالماء أو بالريق ثم يحنك فيها الطفل ويدرج هذا الحلو في فمه، حتى يكون أول ما يدخل ريقه عند الولادة الشيء الحلو، فالتحنيك من حيث هو مشروع، ومن السنة، وأما الذهاب بالطفل لرجل صالح ليحنكه فهذا لا يفعل، هذا الأظهر وإنما كان يؤتى بالصبيان تبركا بريق النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا أمر ثابت ومشروع وكان يفعله الصحابة الكرام، وإذا ولد لأحدهم مولود أتى به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ليحنكه تبركا بريقه -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: هل هناك تبرك مشروع؟

هذا من التبرك المشروع الذي كان يفعله الصحابة وطلب البركة المشروع ما أوضحته سابقاً التقيد بالسنة والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فهذا أعظم ما تطلب به البركة؛ بل البركة لا تنال إلا بلزوم كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

الأخت الكريمة من الجزائر تقول: هل هذا التقسيم للبركة وارد: في الزمان كليلة القدر، في المكان: كمكة، في الأشياء: كماء زمزم، وفي الذوات: كذاته -صلى الله عليه وسلم- ويقول: هذه البركة، يعني: هل تدخل في هذا النطاق؟

الله -عز وجل- البركة منه -سبحانه وتعالى- ويبارك فيما شاء من الأشخاص والأوقات والأمكنة فليلة القدر ليلة مباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] فهي ليلة مباركة، ومن بركة هذه الليلة أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، يعني ثلاثة وثمانين سنة تقريباً، فهذا من بركة ليلة القدر والله -عز وجل- اختصها بالبركة، وأيضًا بركة البقاع، مكة الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد آخر بمائة ألف فهذه من بركة المكان، والأشخاص أيضاً يوجد أشخاص الله طرح فيهم بركة وأعظم المباركين من الناس نبينا -عليه الصلاة والسلام- وقال الله عن عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣١] وأهل العلم والفضل فيهم بركة من حيث أنهم يعلمون الناس الخير، ويفتحون أبواب الخير، ولا يكون الإنسان مباركا أينما كان إلا إذا كان في كل مكان يعلم الخير؛ لأن البركة في الخير واتباع الشرع والتقيد بهدي الكتاب والسنة.

يسأل في سؤاله الثالث: الذبح عند القبر، هل هو بدعة؟ ما هو الضابط في هذا المجال؟

الذبح كما مر معنا الذبح لغير الله شرك، الذبح لغير الله شرك والذبح عند القبر إن كان أتى بذبيحته متقربا بها لصاحب القبر فهذا شرك، وإن كان أتى بذبيحته متقربا بها لله، واختار هذا المكان فهذا عمل باطل وهو من ذرائع الشرك، مثل الصلاة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تصلوا إلى القبور) فالذي يصلي لله عند القبر صلاته هذه ليست شركا لكنها ذريعة للشرك، ولهذا جاء في صحيح البخاري، أن عمر -رضي الله عنه- رأى أنس وهو يصلي وأمامه قبر ما انتبه إليه، لم ينتبه أن أمامه قبر، فصاح به عمر، يقول: يا أنس القبر، يا أنس القبر، مثلما تقول أنت لصاحبك يا فلان الحية أو العقرب انته، وهو ما انتبه أن أمامه قبر، وهذا فيه أن الصحابة قام في قلوبهم شدة نكارة هذا العمل الصلاة إلى القبور، والذبح عند القبر إن كان أتى بها قربة لله -سبحانه وتعالى- في هذا المكان مر معنا، لا يحل الذبح لله في مكان يعبد فيه غير الله، إذا كان هذا المكان يتقرب فيه للمقبورين.

الأخ الكريم يقول: بعض الناس يذهبون بذبائح إلى بعض الأضرحة، فتذبح هناك، وإذا سألتهم أجابوا إن ذبحنا هذا لله في هذا المكان؟

إن كان صادقًا في قوله: إن ذبحنا هذا لله في هذا المكان، من الذي أذن لك بهذا العمل أين دليلك في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- والواقع أن كثير من هذه الأماكن يذبح أو يذهب فيها إليها بالذبائح تقربا للمقبورين، وإلا لم خص هذا المكان وقصده بنقل الذبيحة إليه وذبحها فيه، فإن كان صادقًا أنه يذبح لله فهذا عمل باطل وذريعة للشرك وهو عمل منكر مخالف لشرع الله -عز وجل- ولهديه ولا يوجد أي دليل في الشريعة لأن تقصد القبور وتذبح عندها لله.

شيخنا الفاضل كلمة ختامية في أقل من نصف دقيقة تختمون بها هذا المجلس المبارك

كما علمنا أن الدرس في هذه الدورة التي نسأل الله أن يبارك فيها يتوقف إلى فترة ما بعد الفجر، وهذا التوقف لا يكون انقطاعا عن دراسة هذا العلم بل أوصي الإخوة بالمراجعة وأقترح وأرجو أن يحظى بقبول الجميع أن تكون هذه الفرصة المباركة ولاسيما العشر السمينة من أوائل شهر ذي الحجة، أن يكون من قربات الإخوة

المتابعين في هذه العشر أن يحفظوا كتاب التوحيد، وهذه قربة عظيمة وطاعة جليلة يحفظ كتاب التوحيد آيات وأحاديث التوحيد حتى يتقوى أمر التوحيد في القلوب ويتمكن في النفوس من خلال فهم كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم– وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد والبركة في العلم والعمل والحياة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نرحب بشيخنا الفاضل، فأهلا ومرحبا بكم فضيلة الشيخ.

حياكم الله يا أخ تركي، ومرحبا بجميع المتابعين معنا لهذا الدرس، ونسأل الله -تبارك وتعالى- أن يلهمنا فيه الصواب، وأن يوفقنا لسديد القول وصالح العمل إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب.

مشاهدينا الكرام في هذا الدرس المبارك -بإذن الله تعالى- سنبتدأ مع شيخنا الكريم في باب من الشرك، النذر لغير الله، تستفتحون يا شيخنا الكريم الدرس.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله آصحابه أجمعين- أما بعد،

فهذا عود حميد -إن شاء الله- بعد موسم الحج المبارك، وتوقفٍ لهذا الدرس لفترة يسيرة بمناسبة هذا الموسم وأعماله ومناسبته الكريمة، ونسأل الله -جل وعلا- أن يجعله عودا حميدا، وأن يوفقنا جميعاً لمواصلة العلم، ومواصلة الطلب، ومواصلة المسير في عمل الخير، ننشد بذلك رضا ربنا -تبارك وتعالى- فنسأله -جل وعلا- أن يوفقنا لكل خير، وأن يعيننا على طاعته وما يقرب إليه، ولا شك -معاشر الإخوة الكرام- أن الدراسة في هذا الكتاب نعمة عظيمة ومنة كبيرة؛ لأنها دراسة في أهم الأمور، وأجلها على الإطلاق في توحيد الله -تبارك وتعالى- الذي خلقنا -عز وجل- لأجله وأوجدنا لتحقيقه، وقد مر معنا في هذا الكتاب المبارك مقدمات مهمة وتأصيلات عظيمة في التوحيد، وتقريره والاستدلال له وبيان فضله وعظمته وأهمية تحقيقه، والتحذير من ضده وأهمية الدعوة إليه، ثم إن المصنف -رحمه الله- بدأ بعد تلك المقدمات العظيمة المهمة بدأ يشرح التوحيد، وهو يشرح التوحيد ببيان أفراد العبادة وأنواعها التي هي حق خالص لله -تبارك وتعالى- يجب إفراده وحده بها، وأيضًا يبين -رحمه الله- الشرك الذي يناقض أصل التوحيد، وكذلك الشرك الذي يناقض كمال التوحيد الواجب، وكنا عرفنا فيما سبق أن الشرك نوعان: شرك أكبر مناف للتوحيد بالكلية، وشرك أصغرمناف لكمال التوحيد الواجب، وعرفنا حد كل منهما، وحكم كل منهما في دروس سبق أن مرت معنا في دراستنا لهذا الكتاب المبارك.

وفي ضمن تقرير المصنف وبيانه للتوحيد وشرحه له عقد هذه الترجمة التي هي موضوع درسنا في هذا اليوم وعنوانها: (باب من الشرك النذر لغير الله) وقصد -رحمه الله- في هذه الترجمة أن يبين نوعا من أنواع العبادة وهو النذر، فهو طاعة عظيمة، وعبادة جليلة، وقربة من القرب التي يُتَقَرب بها إلى الله -جل وعلا- ويجب أن يُخَصَّ به وحده دون سواه، فعقد المصنف -رحمه الله- هذه الترجمة لبيان هذه العبادة، عبادة النذر، وبيان أنها من العبادات التي أحق للخالق لا يجوز صرفها لغيره كائنا من كان، وأن من صرف هذه العبادة لغير الله فقد أشرك بالله -عز وجل- من نذر لأحد كائنا من كان غير الله -تبارك وتعالى- فقد اتخذ هذا الذي نذر له شريكا لله -جل وعلا- في هذه العبادة التي هي حق لله دون سواه.

والنذر هو أن يوجب العبد على نفسه من الأقوال أو الأفعال ما لم يوجبه الله -تبارك وتعالى- عليه، أن يوجب على نفسه وأن يلزمها بشيء ليس بواجب، أن يوجب على نفسه ما لم يجب عليه، مثل أن يوجب على نفسه صياما، يقول: لله علي أن أصوم يوم الاثنين القادم. يوم الاثنين صيامه مستحب ليس بواجب، وفي صيامه فضل وثواب عظيم، لكن ليس هو من الأمور الواجبة، فإذا قال: لله علي أن أصوم يوم الاثنين القادم. أصبح صيام يوم الاثنين في حقه واجبا وليس مستحباً، وهو الذي أوجبه على نفسه بهذا النذر، سواءً قال : نذرت لله أن أصوم يوم الاثنين القادم مثلاً، أو قال: لله علي أن أصوم يوم الاثنين أو أي صيغة تؤدي هذا المقصود الذي هو إلزام النفس

وإيجاب ما لم يجب عليها، أن يوجب علينا ما لا يجب، سواءً من الأقوال أو من الأعمال مثل لو قال: نذرت لله -تبارك وتعالى- أن أقرأ سورة البقرة. فقراءته ليست من الواجبات لكنها بهذا النذر أصبحت واجبة، وأصبح متعلقٌ بذمته هذا الواجب، وأصبح فريضة يجب عليه أن يفي بها.

والنذر يكون عن تعظيم للمنذور له، والتعظيم حق لله -سبحانه وتعالى- هو الذي يعظم بالذل والخضوع والعبادة والانكسار، فلا يكون شيء من ذلك إلا له وحده دون سواه.

والنذر أنواعه كما ذكرها أهل العلم متعددة منها:

أولاً: نذر الطاعة، ونذر التبرر وهو أن يوجب المكلف على نفسه ما لا يجب عليه، مثل الأمثلة التي ذكرتها قبل قليل، مثل أن يقول: لله علي أن أصوم مثلاً يوما، أو أصوم ثلاثة أيام، أو أصوم عشرة أيام، أو كذلك أن يقول: لله علي أن أتصدق بعشرة ريالات، أو بمائة ريال، أو مثلاً يقول: لله علي أن أذهب اليوم أعود المرضى، أو مثلاً لله علي ... يذكر من الأمور التي ليست واجبة فيوجبها على نفسه فتصبح في حقه من الواجبات، وفي حق غيره من المستحبات المندوبات ، هذا نذر طاعة وسيأتي معنا في الحديث أن: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) والأمر هنا للوجوب لأنه أوجب على نفسه هذا الذي لم يكن واجبا عليه وإنما وجب عليه بالنذر الذي نذره، هذا النوع الأول.

النوع الثاني:

يسميه بعض أهل العلم "نذر المجازاة" وهذا كرهه أهل العلم، مثل أن يقول شخص مثلاً إذا كان مريضا: إن شفاني الله تصدقت بكذا، أو مثلاً أنفقت كذا، أو كذلك أن يقول بصدد بيع أو تجارة معينة : إن ربحت تجاربي تصدقت بكذا، ونحن الأيام في أيام الامتحانات مثلاً يقول الطالب: لله علي إن نجحت في الاختبار أو مادة معينة يخصصها، يكون مثلاً متخوفا منها فيقول: لله علي إن نجحت في هذه المادة أن أتصدق بمائة ريال أو أن أصوم كذا أو أشياء من هذا القبيل.

فهذا يسميه أهل العلم نذر المجازاة، يعني: إذا تحقق له ما يريد المائة ريال هذه لا يخرجها لو لم ينجح، لا يخرجها لو لم يشفَ من المرض، لا يخرجها لو لم يتحقق، فهي مجازاة، يعني: بعوض أو بمقابل، وهذا الذي قال عنه -عليه الصلاة والسلام- في الحديث: (إنما يستخرج به من البخيل) بل قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث: (لا تنذرو) حديث ثابت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (لا تنذروا فإن النذر لا يرد من القدر شيئً) يعني: النذر لا يرد إن كان قدر للإنسان عدم الشفاء، فليس النذر هو الجالب وإن كان مثلاً قدر له عدم النجاة، فليس النذر هو الجالب، وهكذا يقول: (فإن النذر لا يرد من القدر شيئً) فالأمر المقدر حاصل، وإنما الإنسان يبذل السبب النافع والمشروع، ويدعو الله بالتوفيق والتيسير، وإن كتب الله له ما يحب فيشكر الله، ويتصدق وينفق ويحمد الله -عز وجل- على نعمته، لكن لا يكون الأمر بهذه الطريقة: إن كان حصل لي كذا أفعل كذا، يعلق فعله للطاعة بحصول ما يحب من أموره أو حاجاته، وهذا كرهه أهل العلم الذي هو النوع الثاني وهو نذر المجازاة.

النوع الثالث:

وهو: نذر المعصية، مثل أن ينذر إنسان أن يفعل شيئًا حرمه الله، أن ينذر أن يفعل شيئًا حرمه الله، كأن يقول مثلاً: نذرت أن أشرب مثلاً شيئا من المحرمات، أو أن أفعل كذا من الأمور المحرمات أو نحو ذلك، فهذا نذر معصية سيأتي في الحديث: (أن من نذر أن يعصي الله فلا يعصيه) لا يجوز لا تجوز المعصية مطلقاً، لا بالنذر

ولا بغيره، معصية الله محرمة في كل وقت وحين وفي كل حال، ولا يجوز للإنسان هذا النذر، ولو نذر هذا النذر فلا يجوز له أن يفي به؛ لأنه عصيان لله -تبارك وتعالى- هذا النوع الثالث.

النوع الرابع:

من أنواع النذر: النذور الشركية -والعياذ بالله- التي يتقرب بها أهل الشرك وأهل الضلال لغير الله، وعرفنا أن النذر عبادة وقربة له -سبحانه وتعالى- لا يجوز صرفها لغيره، وصرفها لغيره شرك، فإن النذر الشركي هو أن ينذر إنسان لأحد من المخلوقات مثل من ينذرون للقباب أو للأولياء أو للأضرحة أو ينذرون لغيرهم من مخلوقات الله -سبحانه وتعالى- فهذا كله من الشرك، كله من الشرك بالله -عز وجل- والمصنف -رحمه الله- عقد ترجمة ليبين ذلك، قال: (باب من الشرك النذر لغير الله) النذر لغير الله: أن يتقرب الناذر لغير الله من المخلوقات أيا كانت من البشر أو من الحجر أو شمس أو قمر أو أيا كان، فالعبادة حق لله -سبحانه وتعالى- وليس لأي مخلوق كائنا من كان أي حق في شيء منها.

هذا الذي عقد المصنف -رحمه الله- الترجمة لأجله (باب من الشرك النذر لغير الله) أي: من الشرك بالله أن يتقرب متقرب بهذه العبادة لغير المستحق لها وهو الله -تبارك وتعالى- ثم شرع كما هي عادته في كتابه بذكر الأدلة.

ينذرون لهم بماذا يا شيخ من الناحية الشركي؟

يعني يقول مثلاً: نذرت للولي الفلاني أو للشيخ الفلاني أو للضريح الفلاني أو للشجرة الفلانية -أن أصوم مثلاً عشرة أيام، أو أن أذبح شاة، أو أن أذبح بعيرا.

هكذا دون مجازمة لا يقول إذا تحقق الأمر.

لا ، يعني هذا نوع من أنواع العبادة التي يصرفها من يشرك بالله لغير الله -تبارك وتعالى- وهو ينشأ عن التعظيم؛ بل بعض من فسد في إيمانه وتوحيده ربما يكون عنده في السنة يوم معين يوم النذور، ينذر فيه أهل القرية أو كثير منهم لشيخ معين، ويتجهون بالذبائح وبالنذور والقرابين كل على قدر استطاعته، هذا يأتي بشاة، وهذا يأتي مثلاً بطعام، كلها نذور يتقرب بها إلى غير الله -تبارك وتعالى- فهذا كله من الشرك بالله؛ لأن النذر عبادة والعبادة حق لله -تبارك وتعالى- وصرفها غيره شرك به -عز وجل-.

نأخذ الآن الآيات التي أوردها المصنف.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب من الشرك النذر لغير الله، وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾).

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ فهذا المصنف ساقه دليلاً على أن النذر عبادة، لأن الله -عز وجل- أثنى على هؤلاء، وثناؤه عليهم لفعلهم هذا الأمر ووفائهم به، لفعلهم هذا الأمر ووفائهم به، قال: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ وهذا من مدحة الله لهم وثنائه عليهم، وهو -تبارك وتعالى- إنما يثني على فعل الواجب أو فعل المستحب أو ترك المحرم، وهؤلاء فعلوا الواجب الذي أوجبوه على نفسهم من الطاعات فقال: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ أي: يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من الطاعات سواءً من صيام أو صدقة أو غير ذلك من أنواع الطاعات التي يتقربون بها إلى الله -سبحانه وتعالى- فأثنى الله عليهم بذلك ومدحهم، فهذه مدحة لهم وثناء من الله، وهذا الثناء من الله -تبارك وتعالى- عليهم، يدل على أن هذا الأمر عبادة وقربة إلى الله -جل وعلا-.

وإذا ثبت هذا فإن الآية دليل على أن صرف هذه القربة لغير الله -عز وجل- شرك به -سبحانه وتعالى- وقد جاء في حديث ذكر فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- خير القرون قال: (خير القرون قرني) ثم ذكر في الحديث أنه: (يأتي أقوام يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون) بهذا وصفهم، هذا وصف لهم على وجه المذمة، ذمهم بذلك، والمدحة هنا في الآية لأهل الإيمان بالوفاء بالنذر عبادة وقربة لله -سبحانه وتعالى- مدح الله من قام بها، ومن وفى بنذره.

وعدم الوفاء بالنذر مذمة كما ذكر ذلك -عليه الصلاة والسلام- في أقوام يأتون في آخر الزمان ذكر من أوصافهم أنهم: (ينذرون ولا يوفون) أي: لا يوفون بالنذر الذي نذروه، وهذا حال كثير من الناس تجده ربما في حاجة ملحة أو كذا يدخل في ذمته أو يوجب على نفسه ما ربما يعجز عن فعله ، لكن شدة رغبته في شيء معين وحرصه عليه تجده يوجب، ثم إذا تحقق له ما يريد، وتيسر له ما يطلب لا يفي بنذره ويبدأ يبحث عن المخارج التي يتخلص بها من هذا النذر الذي لزمه.

الشاهد من الآية للترجمة أن فيها ثناء الله -تبارك وتعالى- على من يوفون بالنذر ومدحه لهم بذلك، وهذا دليل على أنه عبادة وقربة لا يجوز صرفها لغير الله -عز وجل-.

قال المصنف -رحمه الله-: (وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾).

وهذه الآية كذلك تدل على ما سبق من أن النذر عبادة مثل النفقة، ولهذا جمع معا في هذه الآية: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾، ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ متقربين بها إلى الله وكذلك ﴿ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ متقربين به إلى الله -سبحانه وتعالى- فإن الله يعلمه، وذكر علم الله عقب الحسنة أو الطاعة يقتضي الثواب، كما أن ذكر علم الله -سبحانه وتعالى- عقب الذنب أو الخطيئة يقتضي العقاب، وهذا يعني أنه ينبغي أن يتنبه له في قراءة القرآن ، عندما يُذكر ذنبٌ مثلاً ويُذكر عقبه علم الله ، وإحاطة علمه، فكأنه يقال تنبه، فإنه الله عليم بك، ومطلع عليك، ستقف أمامه، وقد أحاط علماً بكل أعمالك وبكل صنائعك، وسيحاسبك على ذلك، وإن كان الذي ذُكر طاعة كما هو هنا في هذه الآية النفقة والنذر ثم ختمه بقوله: ﴿ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي، كل نفقاتكم وكل نذوركم محيط بها علم الله -تبارك وتعالى- وهذا يقتضي أن -سبحانه وتعالى- يثيب على ذلك أعظم الثواب، فدل ذلك على أن النذر كالنفقة عبادة من العبادات وقربة من القرب، التي يتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى- وإذا ثبت ذلك فإن صرفه لغير الله شرك بالله -عز وجل-.

قال المصنف -رحمه الله-: (وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)).

قال: وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)) هنا في هذا الحديث ذكر نذر الطاعة ونذر المعصية، وماذا على من نذر نذر الطاعة، وماذا على من نذر نذر المعصية.

أما من نذر نذر الطاعة، فيقول -عليه الصلاة والسلام-: (فليطعه) (من نذر أن يطيع الله فليطعه) نذر أن يطيع الله بقول أو فعل، من صلاة أو مثلاً صيام أو مثلاً صدقة أو قراءة قرآن أو قراءة كتاب من كتب العلم، أو نحو ذلك فمن نذر أن يطيع الله فليطعه، فليقم بهذا الأمر، وقد أصبح بالنذر واجباً عليه فيجب عليه أن يقوم بهذه الطاعة، وأن يفي بنذره، وأن يكون ممن مدحهم الله وأثنى عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

والقسم الثاني من الحديث في حق من نذر نذر معصية، قال: (ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) وهل عليه كفارة أو لا؟ قولان لأهل العلم:

بعضهم قالوا: عليه كفارة يمين وبعضهم قالوا: لا كفارة عليه، قولان لأهل العلم في هذه المسألة.

وأما النذور الشركية، مثل من ينذر لقبر أو لولي فهذه النذور الشركية لا يوفي بها الناذر ولا كفارة لأن الشرك لا حرمة له، وليس هناك كفارة بل يجب عليه أن يتوب من هذا النذر وأن يعود إلى توحيده وإلى إيمانه وأن يحذر من صرف هذه العبادة لغير الله -تبارك وتعالى-، وليس عليه في ذلك كفارات.

شيخنا الكريم الباب انتهى، تريد أن نبدأ في الباب الآخر؟

ما فيه بأس.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾).

قال المصنف -رحمه الله-: (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله) والاستعاذة هي طلب العوذ، والسين في الاستعاذة هي للطلب فالاستعاذة بالله هي طلب العوذ منه -تبارك وتعالى- والله -سبحانه وتعالى- إليه الملجأ المفر، كما في القرآن الكريم: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] لا مفر إلا إلى الله -سبحانه وتعالى- وإليه الملجأ كما كان نبينا -عليه الصلاة والسلام- يقول في دعائه: (لا ملجأ منك إلا إليك) فإليه الملجأ، وإليه المفر وهو المستعاذ، والالتجاء والاعتصام والاستعاذة إنما تكون به دون سواه.

والمصنف -رحمه الله- عقد هذه الترجمة ليبين أن الاستعاذة عبادة، والعبادة لله ليست لغيره، ولا يستحق غيره من العبادة أي شيء؛ ولهذا عقد هذه الترجمة قال: (من الشرك الاستعاذة بغير الله) أي: طلب العوذ من غير الله، وأورد الحديث، أولاً أورد الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ ﴿أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ﴾ أي: نفر إنسيون كانوا يعوذون برجال من الجن، يلتجئون إليهم، ويستعيذون بهم مثلما كان يفعل المشركون الأوائل الذين بعث فيهم رسولنا -صلى الله عليه وسلم- كان الواحد منهم إذا مر بوادٍ ماذا قال؟ قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه. فهذا مثال لما ذكر في الآية الكريمة: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ مثل قول أولئك: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه، أو من شر أهله أو نحو ذلك. فهذا تعوذٌ من هؤلاء الإنس بهؤلاء الجن، ما ثمرته؟ قال ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ زاد الإنسيون الجنيين رهقا، أو زاد الجنيون الإنسيين رهقا؟ قولان لأهل العلم في معنى الآية قال: ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي زاد الإنسيون الجن رهقا، أي كبراً وعلواً وتعاظماً وترفعاً، والمعنى الثاني وهو الأظهر والأقرب أن الجنيين زادوا الإنسيون رهقاً أي مذلة وضعفا وتوهما وخورا وجبنا إلى غير ذلك من المعاني الداخلة تحت قوله: ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ ومعنى ذلك أنهم لم يحصلوا من هذه الاستعاذة بغير الله إلا الخيبة، وعوملوا بنقيض قصدهم.

وهذه فائدة عظيمة جداً تظهر من هذه الآية، وهي تصلح أن تكون قاعدة في هذا الباب أن من يصرف العبادة لغير الله طلباً لجلب خير أو دفع ضر لا يحصل من وراء ذلك إلا نقيض قصده ويعامل بنقيض قصده، فهو طلب من جهتهم عزا فلا يظفر إلا بذل، طالباً من جهتهم شفاءا فلا يحصل إلا مرضا ووهنا، طلباً من جهتهم غنىً فلا يحصل إلا فقرا، وهذه نتيجة الشرك، نتيجة الشرك أن يعامل المشرك بنقيض قصده.

وقد مر معنا من شواهد هذه القاعدة شيء كثير في حلقات ماضية، لعلك تذكر أخانا تركي ما مر معنا في بعض الأبواب مثل: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) (من تعلق ودعة فلا ودع الله له) مثلاً أيضاً قوله -عليه الصلاة والسلام-: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهن) فهذا كله يندرج تحت هذه القاعدة أن من يشرك بغير الله -تبارك وتعالى- لا يحصل من وراء شركه إلا نقيض قصده، يكون أراد عزا فلا ينال إلا ذلا ، أراد غنا، فلا ينال

إلا فقرا، أراد شفاءا فلا ينال إلا مرضا، ولهذا قال الله هنا: ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ وهناك قال: (انزعها فإنها لا تزيك إلا وهن) وفي الحديث الآخر قال: (فلا أتم الله له) فالمشرك لا يحصل بتعلقه بغير الله –تبارك وتعالى– إلا الخير، وانظر هذا في قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: (من تعلق شيئًا وكل إليه) ومن يوكل إلى مخلوق أي خير يظفر به؟ وأي ربح يغنمه؟

ما يحصل من هذا التعلق إلا الخسران ولهذا قيل: استغاثة المخلوق بالمخلوق، كاستغاثة الغريق بالغريق؛ لأنها ما تثمن ولا تفيد بل تضره، ولا يستفيد من ورائها شيئًا فهنا قال: ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ ولهذا ينبغي حقيقة أن ننتبه إلى هذه القاعدة وهذه الفائدة الثمينة التي تدل عليها هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: أن كل متعلق بغير الله –تبارك وتعالى– وكل طالب من غير الله سواءً جلب نفع أو دفع ضر أو نحو ذلك لا ينال من ذلك إلا الخيبة والخسران أما من يكون طلبه من الله والتجاؤه من الله واستعاذته بالله واعتصامه بالله فهو الذي يفلح في دنياه وأخراه ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

شيخنا الكريم بالنسبة للاستعاذة يعني معناها الشرعي الديني، الاستعاذة لكن لو بعضهم قال مثلاً نريد العون أو الغوث.. بمثل هذه المفردات؟

هناك أمر نبه عليه العلم ودلت عليه نصوص الشريعة وهي طلب العون من الحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه هذا ليس شركاً، مثل قوله –تبارك وتعالى–: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥] فالاستغاثة من مخلوق حاضر يقول له الإنسان مثلاً: ساعدني أو أعني أو أغثني مثلاً أو نحو ذلك فيما يقدر عليه هذا ليس من الشرك، وإنما هذا من التعاون الذي لا شيء فيه، لكن أن يطلب أن يستعيذ أو يستغيث بميت أو بحي غائب، فهذا شرك بالله –سبحانه وتعالى– إن استعاذ بميت أو استعاذ بحجر أو استعاذ بشجر أو استغاث بهم أو نحو ذلك أو استغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله –سبحانه وتعالى– فهذا كله.

حتى لو كان حاضر هذا.

إذا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا من الشرك بالله ؛ لأنه اعتقد في المخلوق أمرا هو من خصائص الله، فيكون من هذه الجهة أشرك ويكون كذلك مشركاً من جهة الاستغاثة أو الاستعاذة بالمخلوق الغائب أو بالمخلوق الميت فهذا كله يدخل في الشرك.

قال المصنف –رحمه الله–: (وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) رواه مسلم).

ثم أورد المصنف رحمة الله عليه هذا الحديث في باب الاستعاذة عن خولة بنت حكيم –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (من نزل منزل) ليس المراد بالمنزل هنا البيت فقط، وإنما هذا مطلق أي منزل نزله الإنسان سواءً في البر أو مثلاً في البيت أو في مكان استأجره أو أي مكان (من نزل منزل) مثل كنت في سفر ونزلت في مكان لليلة واحدة، أو سكنت في بيت جديد أو مثلاً استأجرت مكانا لتبيت فيه ليلة أو ليلتين أو ثلاث أو نحو ذلك هذا كله يتناوله قوله –عليه الصلاة والسلام–: (من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق) أي: أتى بهذا التعوذ، وهذا تعوذ بالله والتجاء بالله –سبحانه وتعالى–.

قال: (أعوذ بكلمات الله التامات) وكلمات الله التامة أي الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه سواءً قيل إنها كلماته –سبحانه وتعالى– الكونية القدرية كما في قوله –عز وجل–: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ

كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] أو كلماته الشرعية الدينية كالقرآن الكريم وهو كتاب ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢] فكلمات الله تامات، أي: لا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، فمن قال هذا التعوذ: (أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق) وهنا قوله: (من شر ما خلق) أي: من شر ما خلق من المخلوقات التي قام فيها الشر، وليس هنا إطلاق لكل المخلوقات بمعنى أنها موصوفة بأنها فيها شر، وإنما هنا تقييد وصفي بأن بالتعوذ من شر يعني: من قام فيه الشر من المخلوقات، مثل ما جاء في الحديث الآخر: (أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها) أي: قام فيها شر، فهذا تعوذ من شر ما خلق، وهذا يعم كل ما يتخوف الإنسان أن يأتيه شر من جهته وهو في منزله، يشمل هذا الهوام والسباع والجن والإنس، ويشمل كل من فيه شر، فينزل المنزل ويأتي بهذا التعوذ بالله وهو واثق بالله، عظيم الثقة بالله، عظيم التوكل على الله -سبحانه وتعالى- فلا يضره شيء كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (فلا يضره شيء حتى يرحل من منزله) لأنه سيكون بحفظ الله -سبحانه وتعالى- ينام وتمر الحية أو تمر العقرب أو يكون في مكان قريب من هذه الأشياء فكلها لا تضره بإذن الله -سبحانه وتعالى- لأنه تعوذ بهذا التعوذ، والتجأ إلى الله بهذا الالتجاء.

لكن ينبغي أن ينبه هنا على أمر ربما الكثير منا يغفله ألا وهو أن بعض الناس قد يقول هذا الدعاء بلسان رخو، ما معنى ذلك؟ يعني: ما فيه يقين، يعني: تجده يقول غير مطمئن، فالثقة لم تقم بقلبه، والذكر جرى على لسانه، والثقة ليست قائمة في قلبه، فهذا يضعف الأثر، والذي ينبغي في الدعاء أن يكون وهو موقن بالإجابة، وواثق بالله -تبارك وتعالى- وهو مطمئن أنه سيحفظ بحفظ الله -عز وجل-.

قال -عليه الصلاة والسلام-: (فإنه لا يضره شيء) أو (لم يضره شيء حتى يرحل من مكانه) من القصص الطريفة اللطيفة المفيدة في هذا الباب قصة الإمام القرطبي المفسر -رحمه الله- يقول القرطبي -رحمه الله-: منذ سمعت هذا الحديث ما تركته في أي منزل نزلته، يقول: وليلة من الليالي كنا بالنهدية بتنا ليلة فيها فلدغتني عقرب في تلك الليلة، يقول: وتذكرت أني نسيته تلك الليلة، فنسي الدعاء ليمضي قدر الله.

بعضهم يا شيخ العكس، يقوله كما ذكرت لكن بدون يقين، يذكر الدعاء وإذا أصيب بشيء يقول: كيف حصل هذا وأنا قد قلت الدعاء؟

هو من المهم في الدعاء كما جاء في الحديث، قال -عليه الصلاة والسلام-: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) فمع الدعاء لابد من الثقة بالله -عز وجل- وأن الله على كل شيء قدير، وهذا يعطي الداعي قوة لما يستحضر المعنى، قوة ثقة بالله عندما يقول: (أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيته) النواصي كلها بيد الله -جل وعلا- ولا يمكن أن تقع حركة أو سكون في هذا الكون إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى- فلابد من الثقة بالله لابد أن يكون الداعي والمستعيذ واثقا بالله تعالى.

وبالمناسبة باب الاستعاذة هذا باب مبارك، وباب مهم نحتاجه في حياتنا كلها، يحتاجه المسلم في قراءة للقرآن، في صلاته، في جميع شئونه، في نزوله المنزل كما هنا، في جميع شئونه، والإمام النسائي -رحمه الله- في كتابه السنن عقد كتاباً عظيماً مباركًا عنوانه: كتاب الاستعاذة، والإمام ابن مفلح -رحمه الله- له كتاب مطبوع بعنوان الاستعاذة، وهذا باب من الأبواب المهمة العظيمة جداً التي يحتاج المسلم أن يتفقه فيها؛ حتى يقوى إيمانه، ويقوى توحيده، وتعظم صلته بالله -تبارك وتعالى- ويفقه هذا الباب العظيم.

شيخنا الكريم هل الاستعاذة في كل وقت بمعنى مثلاً لما يستعيذ الإنسان في بداية الدروس، أو كذلك قبل بداية قراءة للقرآن، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يعني الاستعاذة ما رابطها؟ هل تقال في كل وقت؟ أو أن لها مقامات وأوقات معينة؟.

الإنسان يستعيذ بالله في كل وقت وحين لكن جاءت نصوص القرآن والسنة بالتأكيد على الاستعاذة في مقامات وأحوال معينة ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾ [النحل: ٩٨] فهذا فيه تأكيد على الاستعاذة عند تلاوة القــرآن، وكذلك أيضاً الاستعاذة عند نزول المنزل، وكذلك التعوذ في أول النهار وآخره، وكذلك عند النوم وردت تعوذات في هذه المقامات، وأيضاً في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام وقبل قراءة القرآن، فهذه المواضع جاءت السنة بالتعوذ بالله –سبحانه وتعالى– فيها.

هل هناك فرق يا شيخ بين التعوذ والاستعاذة؟

التعوذ هو الاستعاذة، الاستعاذة هي طلب العون من الله، ولما يقول: استعاذ أو تعوذ أي طلب العون من الله –تبارك وتعالى–.

لكن ليس مثلاً "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" هذا ما تسمى مثلاً تعوذا؟

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" هذه استعاذة، وهي أيضاً تعوذ، طلب عوذ من الله، والعوذ واللوذ بالله استعاذ بالله واستلاذ به أو لاذ به ، فالعوذ في دفع الشر، واللوذ في طلب الخير.

الأخ الكريم يقول: طبعاً نعرف أنه من السنة ذكر (أعوذ بالله من كلمات الله التامات من شر ما خلق) ثــلاث مرات أثناء المساء، أذكار المساء، هل يكفيه أن يقوله في أذكار المساء؟ أو كونه نزل منزلا أن يذكر هذا الدعاء؟

السنة في كل موضع أن يؤتى بما ورد في السنة في ذلك الموضع، وهذه قاعدة مفيدة في هذا الباب، ولا يكتفي بموضع عن آخر، وإنما يحرص في كل موضع أن يأتي بما جاء في السنة في هذا الموضع، ويكون ما قام بــه خيرا على خير، ونورا على نور، فجاء التعوذ كما تفضلت في الصباح ثلاث مرات، وهذا ثبت عن النبي –عليه الصلاة والسلام– وأيضاً ثبت التعوذ عند نزول المنزل، فيأتي بهذا ويأتي بهذا؛ لأن هذا فيه خير وهذا فيه خير، فإذن السنة في كل موضع أن يأتي بما ورد في السنة فيها، إذا كان في الصباح يأتي بأذكار الصباح ومن ضمنها هذه التعوذات، وإذا نزل منزلا ولو بعد قوله لهذا الدعاء في الصباح بقليل، فإنه أيضاً يأتي به لأن هــذا متعلــق بالمنزل.

ولاحظ هنا ملاحظة أن التعوذ متعلق بالمنزل مدة إقامتك فيه، ربما أنت ستقيم به سنوات بيت جديــد ســكنته فأتيت بهذا التعوذ في أول سكناك فيه، فهذا دعاء لك في كل بقاءك في البيت، أما التعوذ الذي ذكرته في الصباح فهذا إلى المساء، فإذن كل تعوذ ورد يؤتى به حتى يستفيد الإنسان من خيرات وثمار وبركات هذا التعــوذ فــي حياته كلها.

الأخ الكريم يقول: عندي ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول فيما يتعلق بالاستعاذة، قول (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) عند نزول المنزل هــل تقال مرة واحدة أو ثلاث مرات؟

السؤال الثاني: هو فيما يتعلق في أبواب سابقة، وهو قضية الحلقة التي تلبس في المعصم، انتشر بارك الله فيك الآن ما يسمى بالسوار النحاسي أو الفضي أو نحوه يوضع في المعصم، يزعمون أنه يخــسس الــوزن ويعــالج الروماتيزم، وهو يباع في الصيدليات بثلاثين، وبستين ويقال أن منه بثلاثمائة، وما ندري هل هو يقــاس علــى حديث عمران بن حصين الذي قال فيه الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (ما هذه؟ فقال: من الواهنة)؟

السؤال الثالث: وهو عندنا بئر اسمها "التفلة" يزعمون أن هذه البئر مر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتفل فيها فنبع الماء، وكانت منذ القدم الناس يردون إليها أهل البادية يسقون حلالهم ويشربون منها ولا يعتقدون فيها شيئا، لكن الآن انتشر ونشر في الصحف أنها تفلة الرسول، وأصبحت يفد إليها الإخوة من بعض البلدان، وأيضاً أناس يفدون إليها وينشرون أن هذه تفلة الرسول ويتبركون بها، السؤال يا شيخ بارك الله فيك: هل ثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الشيء وهل يتبرك بهذا الماء؟

الأخ الكريم من الكويت يقول: عندي سؤالين بالنسبة للاستعاذة:

السؤال الأول: أي شخص عندما ينزل سواءً كان مسافر أو ينزل بيته مثلاً، شخص نزل بيته وقال الدعاء المأثور عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذهب إلى شغله أو دوامه ثم رجع مرة ثانية، هل يقوله مرة ثانية أم أن مرة واحدة تكفي للمنزل طوال فترة سكنه في هذا المنزل؟

السؤال الثاني: بعض الناس يقول هذا الدعاء وهو موقن ومتوكل على الله -سبحانه وتعالى- ولكن ينام عند الدواب وعند العقارب ويخالف السنة الكونية لله -جل وعلا- هل هذا صحيح أم خطأ يا شيخ؟

الأخ الكريم يسأل في أول أسئلته عن الاستعاذة هل تكون ثلاث مرات أو يكتفي بمرة واحدة؟

أخونا الكريم -سلمه الله- يسأل عن حديث خولة الذي مر معنا في الدرس، هل التعوذ الذي ورد فيه يقال مرة واحدة أو يقال ثلاث مرات؟ والذي ورد في هذا الحديث هو ذكر هذا الدعاء مرة واحدة، ولم يذكر أنه يقال ثلاثاً، فيكتفى بقوله مرة واحدة، قد يستدل البعض بأحاديث مطلقة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- (كان إذا دعا دعا ثلاث) لكن الذي ورد في هذا الحديث هو أنه يقوله مرة واحدة، فيكتفي بأن يقوله مرة واحدة.

يسأل يا شيخ عن الحلقة وسبق أن أجبنا عنها، وكان هناك نقل لكم من كتاب فتوى الشيخ ابن باز الله -يرحمه- لو تذكرون على عجالة.

هو في حينه لما مر معنا شرح هذا الحديث سأل بعض الإخوة مشروعية لبس هذه الحلقة التي يصفها بعض الأطباء ويذكر أنها تفيد في مرض الروماتيزم أو بعض الأمراض، وكنت نقلت للإخوة المتابعين معنا فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه- وهي فتوى طويلة وكان بناها الشيخ كما ذكر في مقدمتها أنه تأمل في الأمر طويلاً، وبحث الأمر مع الكثير من المشايخ وأساتذة الجامعات ثم قرر -رحمه الله- ما ظهر له أن هذه الحلقة لا يجوز أن تلبس، وأنها من جنس ما جاءت الشريعة بمنعه من الحلقة والخيط وأن الباب في ذلك واحد، والشريعة جاءت بسد الذريعة ومنع هذه التعلقات والنهي عنها، وكان أولئك الذين يلبسون الخيط أو الحلقة من النحاس مثل الرجل الذي رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- في عضده حلقة من صفر (قال: من ماذا؟ قال: من الواهنة) يعني: أنه ربما أنه يرى لها شيئا من الأثر، فوجود الأثر ليس دليلاً على صحة العمل، وجود الأثر ليس دليلاً، فالشاهد أنه لا يجوز أن تلبس، وكنت قد نقلت فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه- في ذلك وأيضاً وقفت على فتوى أخرى للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- سأل عن هذا فأجاب بالمنع وعدم جواز لبسها، وأنها من جنس هذا الذي جاء النهي عنه في الأحاديث الصحيحة؛ ولهذا الشيخ عبد العزيز في فتواه نقل هذه الأحاديث في الفتوى مثلاً حديث: (من تعلق تميمة) ومثل حديث لبس الحلقة، وأحاديث أخرى في هذا الباب، وأن الشريعة جاءت بسد الذرائع إلى غير ذلك من الأحاديث التي سبق أن مر معنا الكثير منها في هذا الباب فالشاهد أنها لا تلبس.

بالنسبة يا شيخ في سؤاله الثالث أن البئر التي يقولون أن فيها تفلة أو أنها نبعت ؟

هذه الأمور تنشأ في الناس في غربة السنة، ويبدأ الناس يتعلقون بأشياء لا يكون لها مستند، وإنما يثير الإنسان شيئا، ويقول مثلاً هنا تفل النبي -عليه الصلاة والسلام- وهنا جلس، وهنا اتكأ، وهنا كذا، يذكرون أشياء تحتاج إلى مستند علمي ثابت لإثباتها، هذا من جهة وتحتاج أيضاً إلى مستند علمي ثابت لما يفعل عندها من تبرك أو من تجاوزات، فيحتاج الأمر إلى الشاهد من جهتين: من هذه الجهة، ومن الجهة الأخرى، فأولا يقال عن هذه البئر أو غيرها أثبت ما قلت، بالأسانيد الصحيحة.

طريفة

اذكر من الطرائف أنه يوجد مكان يقصده بعض الناس للتبرك، أحد طلبة العلم ذهب ليحقق في الأمر وينظر إيش.. فوجد أحد الأطفال من صغار أطفال الحي القريبين من المكان قال: هنا ماذا يوجد ؟ قال : يوجد مزار، قال: هل يمكن أن تُرِيَنِي؟ قال: تبغى أني أُزَوِّرَك، ولد عمره سبع سنوات، قال: فمشى معه ، يقول: فذهبنا إلى المكان قلت: ماذا هنا؟ قال: هنا جلس النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهنا فعل كذا، وهنا.. أشياء يذكرها هذا الصغير، فقلت له من أين لك هذه المعلومات؟ قال: هذه المعلومات من أولاد الحارة... يعني هذا السند.

هل هذه تعتبر.

يتكسبون من ورائه.

يتكسبون من ورائها، يرتزقون من ورائها، ويعني أشياء ما لها حقائق، فما ينبغي على المسلم أن ينساق وراءها، يعني لما يأتي واحد يقول: هنا مثلاً اتكأ، أو هنا جلس، أو هنا مثلاً .... ، طيب ما المستند؟ ما كل ما يقال يقبل، الآن لما يأتينا في حديث -سلمك الله- ويقال: قال -صلى الله عليه وسلم- : "...." هل يكفي هذا لنقبل الحديث، أم ننظر في سنده وصحته وثبوته؟

ننظر في سنده.

لابد أما هكذا، كم من الأحاديث يقال فيها: -صلى الله عليه وسلم- وهي أحاديث مكذوبة وغير صحيحة، هذا من ناحية لكن يوجد ناحية أخرى في الموضوع لم يشرع لنا أن نتتبع هذه الآثار، وجاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما بلغه أنه يوجد أناس يذهبون إلى شجرة استظل في ظلها النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض أسفاره، وكانوا يذهبون إلى تلك الشجرة فأمر عمر بقطعها وقال: إنما هلك من كان قبلكم بتتبعهم لآثار أنبيائهم، أو كلام نحو هذا، فمن ناحية لم نؤمر بتتبع هذه الآثار، ومن ناحية أخرى نحتاج إلى أسانيد صحيحة تثبت صحة هذا الأمر.

الأخ الكريم يقول: بالنسبة لدعاء الاستعاذة إذا دخل مسجده هل يكفي مرة واحدة؟ أم أنه إذا مثلاً رجع من العمل أو رجع من المسجد مثلاً يكرر هذا الدعاء كلما دخل منزله؟

نعم أخونا الكريم -سلمه الله- يسأل عن هذا، وهذا الدعاء ليس من أذكار دخول المنزل، ورد أن يسمي المسلم عند دخول منزله في كل مرة، يقول: (بسم الله) ويسلم قال: (تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك) يسلم، وأما هذا التعوذ فليس ذكر دخول المنزل، وإنما هذا ذكر لنزول المنزل، ومعنى ذلك أنه يقال في أول مرة ينزل ، فإن نزل بيتا جديداً فأول ما ينزله يأتي به لأول مرة إن نزل في ليلة واحدة في صحراء أو في بر أو أو نحو ذلك يقوله مرة واحدة عند نزوله المنزل.

سواءً بالليل أو النهار يا شيخ .

من ليل أو نهار إذا نزل منزلا سكن في فندق أو في شقة أو مثلاً في....، أو مثلاً للحظة يسيرة ليبيت أو.. فيأتي بهذا .. فهو لنزول منزل، وليس ذكر دخول بمعنى أنه كل مرة يدخل بيته يأتي بهذا التعوذ.

في سؤاله الأخير يقول: أن بعضهم ينام في أماكن يكون فيها من الهوام أو من الدواب السامة ومع ذلك يذكر الأذكار، فهل يتنافى هذا؟

نعم هو مع الدعاء لابد من فعل الأسباب، مع الدعاء لابد من فعل الأسباب، والله -عز وجل- قال في القرآن: ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] فلابد أن يبذل السبب، يعني لا يأتي إلى المكان مثلاً المعروف مثلاً بكثرة السباع، أو معروف مثلاً بكثرة الحيات والهوام أو نحو ذلك، وإنما يتحرى مكانا طيبا ومكانا نظيفا بعيدا عن هذه... ثم يأتي بهذا التعوذ.

الأخ الكريم يقول: فضيلة الشيخ ذكرت الاستعاذة، طبعاً قد تكون شركا وقد تكون عبادة، تعويذ الغير كأن يعيذ الأطفال أو المرضى أو المصابين مثلاً، هل هذا يعتبر كأن يقول مثلاً: نعيذكم بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وإن كانوا أطفالا مثلاً لا يعرفون الكلام، حكم ذلك يا شيخ؟

هذا مما جاءت به السنة، مما جاءت به السنة أن الصغير يطلب له العوذ، ويعوذ لأنه غير قادر على أن يفعل ذلك بنفسه ولهذا يعوذ ، يعوذ بهذه التعوذات "أعذيكما بكلمات الله التامة" النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعوذ الحسن والحسين بذلك، والصغير ليس قادرا، ثم إذا بدأ الصغير يفهم الكلام فإنه يعلم.

وأيضاً مما ينبه عليه بمناسبة هذا السؤال أن بعض الناس يظن أن تعويذ طفله لا يكون إلا بحضرة الطفل، يعني إذا كان الطفل أمامه، وإذا كان أمامك الطفل تعوذه وإذا كنت غائباً عنه، يعني سافرت مثلاً فأيضا تعوذ طفلك ولو لم يكن عندك، فتعوذه تقول: أعيذكم بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق، يعوذ سواء كان في حضرته أو في غيبته.

طيب أحسن الله إليكم ، شيخ إذا أذنت لي في أقل من دقيقة؛ لأنه لم يبق لدينا وقت، الأخ الكريم من الإمارات يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فضيلة الشيخ إذا سألك سائل أريد أن أنذر نذر طاعة فبماذا تنصح السائل أن ينذر أو لا ينذر؟

ينصح المسلم بأن يكون محافظا على طاعة الله -تبارك وتعالى- الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات، ولا يوجب على نفسه ما لم يوجبه الله -تبارك وتعالى- عليه، ثم قد يعجز عن ذلك، أو يضعف عن ذلك، أو يصيبه من الأمور التي لا تمكنه، فالآن يقدر ويرى نفسه قادرا ثم يعرض له أمور فلا يوجب على نفسه، لكنه يعود نفسه على المواظبة على العبادة، والمنافسة في الطاعة، ويجاهد نفسه على ذلك.

شيخنا الكريم لعلكم تختمون هذا الدرس المبارك وتذكرون سؤالي هذا الدرس؟

يمكن أن أطرح سؤالين، سؤالًا يتعلق بالحلقة الأولى، نعم، بالموضوع الأول والثاني يتعلق بالموضوع الثاني:

الموضوع الأول كان عن النذر، وذكرت أقسام النذر، فأود أن يكون هناك من بعض الإخوة من يتفضل بالكتابة عن هذه الأقسام ويذكر على كل قسم دليلاً إما من القرآن الكريم أو من السنة، وإن تمكن أن يورد نقلا أو نقلين عن أهل العلم في أقسام النذور فهذا أيضاً من تمام هذه الإجابة؟

والموضوع الثاني: الاستعاذة وكنت ذكرت في الدرس أن الإمام النسائي -رحمه الله- في كتابه الاستعاذة أورد أحاديث عديدة في الاستعاذة ، الاستعاذة من شر النفس والاستعاذة من شر الشيطان، والاستعاذة من ... أمور كثيرة عددها، أمور كثيرة عددها، "أعوذ بك من شر سمعي، من شر بصري، من شر فؤادي" أمور كثيرة عددها فأريد نقل خمسة أحاديث متنوعة في هذا الباب؟ خمسة أحاديث متنوعة في باب الاستعاذة، ويتحقق مَن يجيب مِن صحة الأحاديث، وأيضاً من الصحة أو الدقة في نسبتها إلى مصادرها؟ والله تعالى أعلم.

أحسن الله إليكم يا شيخنا الكريم ونفع الله بكم

وأنتم كذلك شكر الله لكم، وشكر الله للإخوة الحضور المشاركين معنا ولجميع المتابعين لهذا الدرس، ونسأل الله لنا ولكم وللجميع التوفيق والسداد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا:

أستهل لقاءنا هذا بالتنويه بكلمة سماحة الإمام شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز -رحمة الله- عليه التي استمعنا إليها قبل قليل في ديباحة ومفتتح هذا البرنامج، وهي تأكيده -رحمة الله عليه- على الفقه في الدين، وأن من إرادة الله -عز وجل- الخير للعبد أن يفقهه في الدين، كما قال عليه الصلاة والسلام: (من يرد الله به خيرا يفقه فـــي الدين) .

ومفهوم المخالفة لهذا الحديث أن من لم يتفقه في الدين لم يرد به خيرا، ثم إذا كان شأن الفقه في الدين كـــذلك فينبغي أن يعلم أن أعظم ما يكون في هذ الباب الفقه في الدين -الفقه الأكبر الذي هو التوحيد، فهذا الدرس فـــي هذا الكتاب المبارك هو درس في الفقه الأكبر؛ ولهذا يقسم أهل العلم أمور الدين إلى قسمين أو نوعين من الفقه:

فقه أكبر، وهو باب التوحيد والاعتقاد.

وفقه أصغر، وهو يتناول الشرائع والأحكام من صلاة وصيام.

ولهذا فإن قول النبي-صلى الله عليه وسلم- (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين) أي: الـــدين كلـــه أصـــوله وفروعه، الأصول التي هي التوحيد والعقيدة، والفروع التي هي الشريعة والعبادات والأحكام، وهذا مما يجعـــل المسلم يعطي أمر التوحيد عناية عظمى وأهمية كبرى؛ لأنه هو الأساس الذي تبنى عليه العبادات وتقـــام عليـــه الطاعات؛ بل إن الطاعات كلها والعبادات جميعها لا تكن مقبولة إن لم تكن قائمة على التوحيد والإخلاص لله -جل وعلا-.

وموضوعنا في هذا اليوم في نوع من أنواع العبادة التي هي حق خالص لله -عز وجل- ولا يجوز صـــرفها لأحد سواه -تبارك وتعالى- والآن نستمع إلى كلام المصنف -رحمه الله تعالى- ثم نعلق عليه بما يتيـــسر -إن شاء الله تعالى-.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، وقوله تعـــالى ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِـــضُرٍّ فَـــلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ... ﴾ [يونس: ١٠٦: ١٠٧])

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

عقد المصنف -رحمه الله تعالى- هذه الترجمة المباركة لبيان وجوب الاستغاثة لله -جل وعلا- وأنهما مـــن جملة العبادات التي لا يجوز أن تصرف لغير الله -تبارك وتعالى- فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا بـــالله، ولا يستعاذ إلا بالله، ولا يستعان إلا بالله، ولا يصرف شيء من العبادة إلا لله -جل وعلا- فمن استغاث بغيـــر الله أو دعا غير الله فقد اتخذ هذا الذي استغاث به أو دعاه شريكا لله -جل وعلا- والعبادة حق الله ليس لأحد فيها حق، وليس لأحد فيها شركة؛ بل هي لله -سبحانه وتعالى- وحده فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يلتجأ إلا إلى الله ولا يتوكل إلى على الله، ولا يستعاذ إلا بالله، ولا يصرف أي شيء من العبادة إلا لله -سبحانه وتعـــالى-

والاستغاثة هي طلب الغوث فيما يحل بالإنسان من كرب أو شدة أو مصاب أو نحو ذلك، فيستغيث أو يطلب من يغيثه بتخليصه مما أصابه أو ألم به من كرب أو شدة أو نحو ذلك، والمغيث هو الله -جل وعلا- وحده -تبارك وتعالى- الذي يطلب منه الغوث، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وهو -تبارك وتعالى- الذي بيده أزمة الأمور، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رافع لما خفض، ولا خافض لما رفع، ولا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، ولا معز لمن أذل، ولا مذل لمن أعز، الأمور كلها بيده -تبارك وتعالى- ليس بيد أحد كائنا من كان أي شيء من ذلك، فهذا الله -تبارك وتعالى- وحده فلا يطلب الغوث إلا منه، ولا يدعى إلا هو -تبارك وتعالى- ولهذا قال المصنف -رحمه الله تعالى- من الشرك أن يستغيث بغير الله، أي: يطلب الغوث من غير الله أو يدعو غيره.

عرفنا -حفظكم الله- أن الاستغاثة هي طلب الغوث وهي دعاء، دعاء مخصوص بماذا؟ بطلب الغوث في كرب حل بالإنسان، كما أن الاستعانة طلب العون، الاستغفار طلب الغفران وهكذا، فالاستغاثة طلب الغوث ممن أصابه كرب أو شدة فيطلب من يغيثه، والاستغاثة دعاء.

قال المصنف: (من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) عطف الدعاء على الاستغاثة مع أن الاستغاثة دعاء؛ لأن الدعاء منه الاستغاثة ومنه الاستنصار طلب النصر، ومنه الاستغفار طلب المغفرة، ومنه الاسترحام طلب الرحمة، كل هذا من الدعاء وداخلة فيه، فالمصنف -رحمه الله تعالى- عطف الدعاء على الاستغاثة وهذا كما قال أهل العلم: من باب عطف العام على الخاص، فذكر الخاص أولا وهو الاستغاثة وهي نوع من الدعاء، ثم عطف عليها الدعاء، وذكر هذ الأمر الخاص الذي هو الاستغاثة لأهميته ولكثرة الخطأ فيه، ولا سيما ممن ضل وانحرف في هذا الباب وتعلق قلبه بغير الله، ففي حال الشدة يتجه إلى من يظن أنه يخلصه من المخلوقين، وينسى من بيده مقاليد السماوات والأرض، على أن المشركين الذين بعث فيهم رسولنا -صلى الله عليه وسلم- كانوا في حال الكرب والشدة يخلصون لا يستغيثون إلا بالله، وفي حال الرخاء واليسر يشركون كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وهذه حال شدة وحال استغاثة وصفهم الله بأنهم يشركون قال: ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ففي حال الشدة يخلصون، وفي حال الرخاء يشركون، ولكن بلغ المبلغ ببعض من ضل أن يشرك في حال شدته ورخائه، وفي سرائه وضرائه، فيستغيث بغير الله، و يدعو غير الله، ويستنجد بغير الله، ويطلب من المخلوقين ما لا يقدر عليه إلا الخالق - سبحانه وتعالى- وهذا من الشرك بالله الذي عقد المصنف -رحمه الله تعالى- وغفر له هذه الترجمة المباركة للتحذير منه.

حتى إن بعض المشايخ في أثناء الحلف لما يحلف بالله قد يكذب، لكن حين يحلف بالولي أو بالصالح يتحرج أن يكذب

هذا كله ناشيء من تعظيم المخلوق تعظيما أعظم من تعظيم الخالق، وأذكر على ذكرك لهذا الأمر أنني قرأت في أحد الكتب يتحدث عن الشرك محذرا منه، فذكر مثالا فقال أحد هؤلاء الذين اعتادوا على الحلف بغير الله مع أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) يقول: إن أحدهم مرة حلف بالله فحلف بولي معظم عنده، فغضب أحد الحاضرين عنده. أنا لما سمعت كلمة "غضب" ظننت أنه غضب لحلفه بغير الله، فقال تحلف بالولي الفلاني وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب!! فجمع بين شرين -والعياذ بالله- حلف بغير الله واعتقاد في غير الله أنه يعلم ما اختص الله -عز وجل- بعلمه. فعلى كل حال هنا المصنف -رحمه الله تعالى- قال: (من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) لأن الاستغاثة وهي طلب الغوث عبادة، والدعاء الذي هو السؤال والطلب عبادة، وهو أمر خاص بالله -جل وعلا- لا يطلب إلا منه.

وينبغي أن نعلم هنا والحديث عن الدعاء أن الدعاء أفضل العبادات وأجلها وأعظمها حتى إن نبينا قال في عظمة هذه العبادة وجلالة قدرها قال: "الدعاء هو العبادة" وتلا قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] وجاءت أحاديث كثيرة جدا تدل على فضل هذه العبادة وعظيم مكانتها عند الله، كقوله –عليه الصلاة والسلام–: (من لم يسأل الله يغضب عليه) وكقوله –عليه الصلاة والسلام– (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) ونحو هذه الأحاديث الدالة على فضل هذه العبادة ومكانتها وعظيم قدرها، فهي حق لله –جل وعلا– لا يدعى إلا هو؛ لأنه هو المان، وهو المتفضل، وهو المعطي، وهو المانع، وهو الخافض، وهو الرافع، وهو الذي بيده –تبارك وتعالى– أزمة الأمور، ويا سبحان الله !!! الرب يعطي وينعم ويتفضل ويرزق ثم يتجه هؤلاء إلى غيره، يخلقهم الله، ويرزقهم الله، ويعافيهم الله، ويمن عليهم الله، ثم يتجهون إلى غيره ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضر، ولا حياة ولا نشورا، تارة يطلب منهم مددا، وتارة يطلب منهم رزقا في أمور لا يقدر عليها إلا رب العالمين، فأين عقول هؤلاء؟ ولهذا سيأتي معنا من الآيات التي ساقها المصنف –رحمه الله تعالى– في هذا الباب ما يبين لنا سفه عقول من يلتجيء إلى غير الله، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويطلب المدد والشفاء من غير الله، سوءا اتجه إلى نبي أو إلى ولي أو إلى ملك أو غيرهم، فكل ذلك ضلال وباطل، العبادة –ومنها الدعاء– حق للرب العظيم والخالق الجليل –سبحانه وتعالى– ونقف الآن على النصوص التي ساقها المصنف –رحمه الله تعالى– في هذه الترجمة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (وقول الله تعالى ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾)،

أول ما أورد المصنف في هذه الترجمة هذه الآية الكريمة وهي قول الله –عز وجل–: ﴿ وَلاَ تَدْعُ ﴾ والخطاب هنا لمن؟ للرسول –عليه الصلاة والسلام– الله –عز وجل– يخاطب رسوله –صلى الله عليه وسلم– يقول له: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ والمراد بالظلم هنا الشرك؛ لأن الظلم يطلق في القرآن ويراد به أمور منها الشرك، والمراد بالظلم هنا الشرك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤] فقوله هنا: ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: الواقعين في الظلم الذي هو الشرك، وذلك بصرف العبادة لغير مستحقها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ونظير هذه الآية قول الله –عز وجل– مخاطبا رسوله –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] كذلك قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨] وكذلك قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥: ٦٦] وفي هذا وردت آيات كثيرة.

يقول أهل العلم: الخطاب خرج مخرج الخصوص والمراد به العموم. خرج مخرج الخصوص، مخاطبٌ به النبي–صلى الله عليه وسلم– في كل هذه الآيات والمراد العموم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] قال: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ فالأمور كلها بيده –جل وعلا– وتأمل هنا إبطال دعاء غير الله بهذا السياق بالمبارك، إبطال دعاء غير الله بقوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ لا يقدر على كشف ضر كتبه الله عليك أي أحد كائنا من كان ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ إن أرادك الله بخير لا يستطيع أحد رده، وإن أرادك بضر لا يستطيع أحد كشفه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] وكما أيضا في الحديث الصحيح يقول –عليه الصلاة والسلام–: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء كتبه الله

عليك) فإذا كان هذا الأمر واضحا فلم يدع غير الله؟ لم يستغاث بغير الله؟ لم يسأل غير الله؟ الأمور كلها بيده ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ أي: أيا كانوا ﴿ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦] لا يملكون كشف ضر نزل، يعني: رفعه ولا يملكون تحويله، من مكان إلى مكان، قبل أن يقع ولا يملكون رفعا ولا دفعا، فلم يدع غير الله، إذن هذا من براهين بطلان دعاء غير الله، أن غير الله مهما كان إن أرادك الله بضر لن يستطيعوا منعه، إن كتب الله لك مرضا موتا فقرا أيا كان لا يستطيع أحد كائنا من كان أن يكشفه أو أن يرفعه، وإن أرادك الله بخير من الذي يستطيع أن يمنعه فالأمور كلها بيده فإذن لم يدع غيره.

قد يفتنوا في بعض الأحيان أنه يدعو غير الله ويتحقق المراد الذي دعا الله به

هذا من الاستدراج، يعني: قد يدعو الإنسان ثم يشاء الله –سبحانه وتعالى– أن يتحقق المراد، فيظن أن هذا الأمر الذي تحقق هو ممن استغاث به، فيعظم الشرك وهذا من الفتنة، وإلا وجود الأثر بقدرة الله وإذنه –تبارك وتعالى– ليس دليلا على صرف العبادة أو استحقاق غير الله –تبارك وتعالى– لهذه العبادة، ويكون هذا من الفتنة والابتلاء، فيغتر الكثير، وينخدع الكثير، وأيضا ربما –وهذا لابد أن ننتبه له– ربما يختلط بعض الأفاكين شيئا من القصص والأكاذيب حتى مثلما يقول بعضهم قبر فلان ترياق المجربين، يعني: جربوا قبره ووجدوا أن له أثرا، ويكذبون حتى على النبي–صلى الله عليه وسلم– في هذا الباب، يقولون: إن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "من اعتقد في حجر نفعه" يقول ابن القيم: هذا من وضع عباد الأصنام، فلمَّا يقال للعوَام: إن النبي–صلى الله عليه وسلم–: "قال من اعتقد في حجر نفعه" تأكد لديه، بالرغم من أن هذا من وضع عباد الأصنام، من وضع المشركين عباد الأصنام وعباد الأحجار والقبور وغيرها، يضعون مثل هذه الأحاديث وغيرها.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (وقوله: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، الآية)

وقوله: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ هذه الآية عظيمة جدا في تقرير الإخلاص في العبادة والدعاء لله –جل وعلا– ﴿ فَابْتَغُوا ﴾ أي: اطلبوا ﴿ عِنْدَ اللهِ ﴾ تقديم الظرف هنا يفيد الاختصاص، أي: لا عند غيره ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ ﴾ أي: لا عند غيره، فلا تسأل إلا الله، لا تطلب رزقك إلا من الله –سبحانه وتعالى– فالرزق بيده ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨] الرزق بيده، وهو الرزاق –سبحانه وتعالى– والفضل فضله، والعطاء عطاؤه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ [النحل: ٥٣]﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤]،] فإذن من ابتغى الرزق فليطلبه من الرزاق ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ لأن كل رزق وكل نعمة نزلت بكم ونلتموها فهي منته فاشكروه –سبحانه وتعالى– ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وهنا تنبه لهذه الخاتمة العجيبة للآية ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: مرجعكم إليه، وفي المرجع الحساب والعقاب فمن كان مخلصا موحدا فله في المرجع جميل المئاب وعظيم الثواب، ومن كان مشركا ملحدا فله في المرجع والمئاب شديد العقاب وآليم النكال، فليتنبه الإنسان لذلك، ختم هذه الآية بقوله: ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: تنبهوا فإن مرجعكم إليه، خلقكم لعبادته، وأوجدكم لطاعته، وأمركم بتوحيده، وأنتم راجعون إليه، فمن كان موحدا فله على توحيده أعظم الثواب، ومن كان مشركا فله أشد العقاب.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥])

وقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ أريد أن أسمع من الإخوان الحاضرين فائدة تكون مقتبسة من الآية في بداية الآية قال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو ﴾ ثم ختم ذلك بقوله: ﴿

وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ ماذا نستفيد من هذا السياق فيما يتعلق بموضوعنا هنا في لابداية قال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو ﴾ ثم ختم ذلك بقوله: ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ فيه فائدة مهمة جدا.

نستفيد أن الدعاء هو العبادة

جميل هذه الفائدة .

ومن الآية الأخرى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ختمها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾

في القرآن آيات كثيرة جدا تدل على هذا المعنى، يعني: يسمي الله -تبارك وتعالى- الدعاء عبادة فهنا قال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو ﴾ ثم ختمه بقوله: ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ إذن الدعاء عبادة، وإذا كان الدعاء عبادة فهو حق لمن؟ حق للمعبود وهو الله -سبحانه وتعالى- إذن لا يدعى غير الله، ومن يدع غير الله فلا أضل منه، والاستفهام هنا في قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: لا أضل استفهام إنكاري، أي: ليس هناك أحد أضل ممن يدعو غير الله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وهذا أيضا من دلائل بطلان الشرك ودعاء غير الله؛ لأن من يُدعَى غير الله ليس بيده عطاء ولا منع، ولا بيده خفض ولا رفع، وليس بيده شيء، الأمر كله بيد الله، نظير هذا قول الله -عز وجل- في سورة الرعد: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد: ١٤].

وهنا قال: ﴿لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إذن لا يستجيب، وليس بيده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، إذن لماذا يدعى أيا كان؟ لأن الآية تشمل الكل قال: ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ يعني: من دون الله أيا كان، لا نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا، ولا وليا من الأولياء، الدعاء كله عبادة لا تصرف إلا للرب العظيم والخالق الجليل ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ غافلون عن دعاء من دعاهم لأنهم يسمعونه، ولو فرض أنهم سمعوا فليس لهم قدرة على الإجابة، كما قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣: ١٤] وكفرهم بشركهم ذكر في آيتنا هذه قال: ﴿ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ إذن ماذا حصَّل من يدعُ غير الله؟ لم يحصل من دعائه غير الله -تبارك وتعالى- لاغنيمة في الدنيا ولا سلامة في الآخرة؛ بل لم يحصل إلا الخيبة والخسران، وهذا من الدلائل والبراهين على بطلان الشرك وفساده.

الآن مثل هؤلاء الذين يستغيثون بغير الله ويدعون غير الله إذا وردت عليهم مثل هذه النصوص، ومثل هذه الشواهد البينات التي لا تحتاج إلى أي مناقشة لماذا لا يقتنعون بمثل هذه الأشياء والنصوص؟

أحب أن أذكر لك قصة في هذا المجال، أذكر مرة كنت في المسجد بعد صلاة المغرب، وجالس اقرأ قرآنا بعد الصلاة، وكان إلى جانبي رجل من إحدى الدول العربية، وكان مادا يديه يدعو، والرجل في دعائه كان خاشعا وباكيا، في الحقيقة شدني وأثر فيَّ خشوعُه، يعني: تسمع خشوعا وبكاءً وإلحاحا لكن ما كنت أسمع له صوتا، ثم رفع الصوت في الدعاء لما اشتدت مناجاته، فإذا به يقول: مدد يا رسول الله، أغثني يا رسول الله!!! ينادي الرسول -صلى الله عليه وسلم- فالخشوع هذا والبكاء ليس استغاثه بالله، وليس دعاء لله، وليس التجاء إلى الله، وإنما هو التجاء للرسول -صلى الله عليه وسلم- التجاء إلى الذي قال: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة) يعني: هو يستغيث بمن وجَّهَهُ، فحقيقة أنا كنت متأثرا به، فتأثرت له، وحزنت عليه وعلى وضعه، فالتفتُّ إليه وبدأت أخاطبه برفق، أولا سألته عن صحته، وعن أولاده، وعن سفره، لعلك ما شق عليك السفر، وما وجدت متاعب، وكيف أنت؟ وكيف أخبارك؟ الرجل الآن منهمك في الدعاء وأنا ماسك يده أسلم عليه

وأحييه، وهو كان مترددا بين أنه يجامل من يحييه وبين أن يستمر، لكنني بتوفيق الله غلبته وارتاح واطمأن فقلت له الدعاء من يخشع فيه، ومن الذي يبكي في دعائه فهذا في الحقيقة أمر عظيم جدا أن يوفق الإنسان للخشوع والبكاء في الدعاء، وقلت له الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، والدعاء شأنه عظيم، والدعاء .... والدعاء .... وأخذت أذكر له فضائل الدعاء، وأسوق الآيات والأحاديث، وهو كان معطيني جنبه فاستدار وأعطاني وجهه، وأخذ يتابع الكلام فسردت له كلاما مطولا في فضل الدعاء ثم انتقلت إلى سرد آيات كثيرة، وتقصدت أن أسردها له في أن الدعاء حق لله لا يدعى غير الله كائنا من كان، وهو يسمع الآية الأولى يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢] الآية الثانية يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾﴾ الثالثة يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية الرابعة ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦] الآية الخامسة يقول الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] الآية السادسة يقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] الآية السابعة يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ وذكرت له آيات كلها خاصة بإخلاص الدعاء بالذات، ثم بدأت أسوق الأحاديث، والرجل يستمع كلها آيات وأحاديث، لما انتهيت قلت هذا الذي سمعته ليس لي فيه ولا كلمة، كلها آيات قرأتها عليك من الكتاب والسنة، وأنت الآن سمعتها كلها قلت واضحة؟ قال: نعم، حقيقة أنا كنت أريد أن أتأكد هل الرجل فهم أو لا، قلت له: ما رأيك؟ طبعا السؤال خطأ، آيات وأحاديث تقول ما رأيك؟ السؤال خطأ، لكن أنا كان قصدي أن أعرف، فقلت له ما رأيك؟ فقال كلمة عجيبة جدا عليها نور والله قال لي: تقول لي ما رأيك وأنت تقرأ آيات وأحاديث؟!! ما فيها رأي هذه واضحة، وأنا أيضا ازددت رغبة في أن أعرف الرجل فهم أو لا، قلت يا حاج: أنت الآن سمعتك تقول وأنت ماد يديك: مدد يا رسول الله، والآن تسمع الآيات كلها واضحة، أنت تقول واضحة، فلماذا أقول لك ما رأيك؟ قال لي بالحرف الواحد قال لي: أنا من بلد كذا وكذا ما أحد قال لي هذا الكلام، وسمى لي بلده، قال: أنا من بلد كذا وكذا ما أحد قال لي هذا الكلام، يعني: هذه الآيات ما تليت عليه وإنما الذي ذكر له من بعض المضلين الذين قال عليهم عنهم -عليه الصلاة والسلام- "إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" قيل له أشياء غير هذا وصوروا له أن دعاء غير الله هو توسل أو مثلا هو استشفاع، وأطلقوا أسماء على دعاء غير الله لا تغير الحقيقة؛ لأن تغيير الأسماء أو إعطاء الشيء غير اسمه لا يغير حقيقته، مثل الآن لو سميت الخمر مشروبا روحيا، أو سمي الربا فوائد، أو سميت الرشوة إكرامية، أو سمي الشرك توسلا هل تتغير الحقائق؟ ما تتغير الحقائق، لكن مساكين العوام لبس عليهم بطريقة أو بأخرى، وأوهموا أن هذا ليس شركا، وإنما هذا استشفاع أو مثلا توسل، أعطيت أسماء وإلا فالأمر واحد، يعني: الله قال في القرآن: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ [يونس: ١٨].

يعني يا شيخ بعد إيراد هذه الآيات اقتنع؟

يعني من فضل الله -سبحانه وتعالى- فالذي يريد الخير -الحمد لله رب العالمين- أمامه الآيات والأحاديث، وأمامه كلام الله -سبحانه وتعالى- وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- تذكرت آية مهمة كانت غابت عني ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] هنا يقول ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ قوله: ﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ من المراد بها؟ يقول أهل العلم: هذا وصف لازم بمعنى أن كل دعاء غير الله لا برهان عليه ولا حجة، وكل ما يتمسك به من يدعون غير الله كلها أشياء ليست حجة لا برهانا مهما أوردوا، يعني: خذها فائدة لك "كل ما يورد في الاستدلال على دعاء غير الله لا برهان له به" هذا وصف لازم لكل دعاء غير الله، مثلها أيضا قول الله -سبحانه وتعالى- في الآية الأخرى ﴿ يَا صَاحِبَيْ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ

أسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف: ٣٩: ٤٠] يعني هذا وصف لازم لكل عبادة لغير الله، ﴿مَّا أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ يعني: لا حجة فيها ولا برهان.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقوله: ﴿أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢])

وقوله: ﴿أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ هنا يا إخوان تابعوا معي: المشتكي في زمنٍ ما إذا سئل هذا السؤال: من يجيب المضطر إذا دعاه ماذا يقول؟ المشتكي إذا قيل له: من الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن الذي يكشف السوء إذا حلَّ؟ الأصنام أم الله؟ ماذا يقولون؟ الله. فالآن هنا لاحظ معي الآن الله -سبحانه وتعالى- يقررهم ويحتج عليهم بأمر يقرون به لأمر لا يقرون به، ما الذي يقرون به؟ أن الذي يجيب المضطر ويكشف السوء هو الله ومم الأدلة على ذلك: ﴿ فَإذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ لقناعتهم أن الذي يجيب المضطر هو الله، والذي يكشف السوء هو الله، هم مقتنعون بهذا فالله -عز وجل- يحتج عليهم بأمر يقرون به، وهو أن الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو رب العالمين، فإذن لماذا تعبدون غيره؟ لاحظ التقرير ﴿ أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ أإلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ يعني: كيف تتخذون إلها مع الله وأنتم تعلمون أنه وحده الذي يجيب المضطر، ووحده الذي يكشف السوء، ووحده الذي يجعلكم خلفاء الأرض، يموت واحد ويخلفه آخر؟ ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] ﴿ أإلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ والإله هو المعبود، فكيف تتخذ معه آلهة، والحالة أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه ولا يكشف السوء إلا الله -سبحانه وتعالى-؟ قال: ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ يعني: قليل تذكركم، وإلا لو كان لكم تذكر وتبصر وتدبر في الأمر لعلمتم أن هذا برهان واضح تعرفونه أنتم وتدركونه على فساد دعاء غير الله والالتجاء إلى غيره ﴿ أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ أإلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ فلا يجيب المضطر ولا يكشف السوء إلا الله، إذن لماذا يدعى غيره؟ لماذا يتخذ شريك معه؟ لماذا يسأل غيره؟ الأمر كله بيده سبحانه وتعالى.

هنا حقيقة يوجد أمر لابد من الإشارة إليه وأيضا يجرنا إليه التساؤل الذي طرح قبل قليل، بعض من يلبسون على العوام وعلى الجهال في هذا الباب ماذا يقولون؟ يقولون بالحرف الواحد وقرأناه في بعض كتبهم: إن دعاء غير الله، وسؤال غير الله ليس شركا إلا إذا اعتقد فيمن يسأله أنه نافع ضار، فإذا وجدت عقيدة فيمن تسأله أنه النافع الضار فهنا يكون شركا حتى بعضهم قال: لو سألت حجرا ما لم تعتقد أنه نافع ضار ليس شركا.

إذن ماذا يعتقدون هنا لاحظ الرد عليهم في الآية ﴿ أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ هل يعتقد المشركون في أصنامهم أنها نافعة أو ضارة ومعطية ومانعة؟ لا. لا يعتقدون ذلك، وإنما يعتقدون ذلك في الله، إذن لماذا تسألونهم؟ يقولون بصريح ما ذكره الله في القرآن ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] بل يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شرك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. ما يملك شيئا، أنت الذي تملك.

إذن لماذا تعبدونه؟ قال: نعبده ليقربنا إلى الله. فهنا يقول هؤلاء: دعاء غير الله وسؤال غير الله ليس شركا إلا في حالة واحدة إن اعتقدت فيمن تدعوه بيده نفع وضر هنا يكون الشرك.

فلما يسمع الجهال مثل هذا الطرح تنقلب عندهم الموازين، وتنخفق العقول، ويقعون في الشرك الصراح، ويقرأ الآيات ويظن أنها لا تعنيه؛ لأنه يدعو غير الله، ويعرف أنه يدعو غير الله، لكن قالوا له: ما دمت لا تعتقد فيه أنه ينفع ويضر فلست مشركا.

لو أنه دعا غير الله، واعتقد فيه أنه ينفع ويضر، بيده النفع والضر يكون وقع في شرك الربوبية وشرك الألوهية.

شرك أنه دعا غير الله

وإذا دعا غير الله ولم يعتقد أنه نافع وضار فهو مشرك شرك الألوهية؛ لأنه صرف العبادة لغير الله، العبادة لله، الآيات التي تلوناها وفي القرآن مثلها كثير كلها تتعلق بالدعاء.

أما شرك الربوبية فالمشركون كانوا يقرون أن الله الخالق الرازق المنعم الذي يجيب المضطر يقرون بهذا، ولكن يشركون في العبادة، فالذي يفعل الأمرين وقع في نوعين من الشرك.

في عصرنا هذا يا شيخ يفعلون الأمرين بالنسبة للذين يطوفون حول القبور يعتقدون أن صاحب هذا القبر يضر وينفع

يوجد من يقول ويصرح أن من الأولياء من عنده من القدرة على أن يقول للشيء كن فيكون، هذا ما قاله!!! ماله مَن عبد الأصنام؟ ما قالوا إن الأصنام تقول للشيء كن فيكون ولا قالوا أنها تعلم ما كان وما سيكون ما قال ذلك وإنما هي تماثيل أو أصنام لأشخاص صالحين وهم يعبدونها لكي تقربهم إلى الله لكن ما اعتقدوا في هذا.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (ورى الطبراني بإسناده (أنه كان في زمن النبي–صلى الله عليه وسلم– منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله –صلى الله عليه وسلم– من هذا المنافق فقال النبي–صلى الله عليه وسلم– إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله))

ثم ختم المصنف –رحمه الله تعالى– هذه الترجمة بهذا الحديث الذي رواه الإمام الطبراني بإسناده في معجمه.

والطبراني –رحمه الله تعالى– له ثلاثة معاجم: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير وكلها مطبوعة.

وهذا الحديث رواه –رحمه الله تعالى– في معجمه الكبير، وبعض العلماء تكلم في هذا الحديث من جهة إسناده، لكن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في كتابه الاستغاثة: إنه يصلح للاعتضاد، ويشهد لمعناه الكتاب والسنة، يقول: (أنه كان في زمن النبي–صلى الله عليه وسلم– منافق يؤذي المؤمنين) يعني أنه من شأنه ومن صفته أنه يؤذي المؤمنين (فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال عليه الصلاة والسلام– إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله) وهذا موضع الشاهد من الحديث للترجمة، وهو أن الاستغاثة عبادة ولا تصرف إلا لله جل وعلا.

هنا نريد أن نتأمل سويا في الحديث وتابعوا معي هنا قال بعض الصحابة: قوموا بنا نستغيث برسول الله. يأتي سؤال هنا: هل هذا الذي قاله هذا الصحابي (قوموا بنا نستغيث برسول الله) هل هو في أمر يقدر عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم– أو في أمر لا يقدر عليه؟ هل كف أذى هذا المنافق الذي كان يؤذيهم؟ هل كان قادرا عليه –عليه الصلاة والسلام– أو ليس قادرا؟ من قال هذه الكلمة (قوموا بنا نستغيث برسول الله) لأنه بيده السلطة، وبيده الولاية، فقالوا: "قوموا بنا نستغيث برسول الله" فهل هم طلبوا الاستغاثة في أمر يقدر عليه أو في أمر لا يقدر عليه؟ إن كان طلب في أمر يقدر عليه فمر معنا في الحلقة الماضية ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥] يعني: أن تطلب من شخص حاضر وقادر أو قال: قوموا نستغيث بفلان. يعني: نخبره بهذا الأمر ونذكر له هذا الخبر فإن كان قادرا على كف أذاه فيكونون طلبوا منه شيئا قادر عليه، وإن كان ليس قادرا على كف أذاه فيكونون طلبوا منه أمرا لم يكن قادرا عليه، أنا أريد أن نستحضر هذين الأمرين حتى نفهم الحديث على ضوء ذلك.

الاحتمال الأول إن كان قادرا، إن كان هذا الذي طلبوه منه قادرا عليه -عليه الصلاة والسلام- أن يكف أذاه بما آتاه الله -عز وجل- من ولاية وسلطة، إن كان قادرا -فما معنى قوله -عليه الصلاة والسلام- وانتبه للفائدة ما معنى قوله -عليه الصلاة والسلام- (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله).

أنه لا يقدر عليه

لا نحن الآن قلنا الاحتمال الأول أنه قادر، طلبوا منه شيئا هو قادر عليه، قال: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله) إذا كانوا قالوا هذه الكلمة: (قوموا بنا نستغيث برسول الله) في أمر يقدر عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك قال لهم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله) يعني: في أمر جائز، ولكن منعهم من هذا اللفظ سدا للذريعة، وحماية لحمى التوحيد، يعني: طلبوا منه في حياته، وفي أمر قادر عليه، ومع ذلك قال لهم: (إنه لا يستغاث بي) كل هذا صيانة منه -عليه الصلاة والسلام- وحماية منه لحمى التوحيد، وسدا لذرائع الشرك، طلبوا منه وهو حي بين أظهرهم في أمر هو قادر عليه -عليه الصلاة والسلام- وقال لهم هذه الكلمة، فكيف يستغاث به بعد مماته فيما لا يقدر عليه إلا الله هذه واحدة؟

الثانية: إن قيل: إنهم طلبوا منه أو استغاثوا به في أمر لم يكن قادرا عليه، وهو فكهم من أذى هذا المنافق، ويكون النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله) يعني: يطلبوا كف أذاه من الله، والتجئوا إلى الله، فيقال هنا أيضا إذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم- قال لهم في حياته وهو بين أظهرهم: (إنه لا يستغاث بي) في أمر هو لا يقدر عليه (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله) فكيف به بعد مماته.

فإذن في كلا المعنيين الحديث فيه إبطال الاستغاثة بغير الله -تبارك وتعالى- إن كان في أمر يقدر عليه فمن باب سد الذرائع وحماية حمى التوحيد يمنع، وإن كان بأمر ليس قادرا عليه فهذا الأمر فيه أوضح، ومع ذلك تجد من يغالي في شأن النبي-صلى الله عليه وسلم- ويقول في مغالاته وفي شأنه مخاطبا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو ميت -صلاة الله وسلامه عليه- يقول:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

لاحظ هذا الأمر وقارنه بالحديث، وقارنه بالآيات حتى تدرك غربة الدين وغربة التوحيد عند هؤلاء وعند أمثالهم، وتأمل البيت بعد إصلاحه على التوحيد، لو كان القائل قال في بيته هذا يخاطب الله -سبحانه وتعالى-:

يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

يكون توحيد وإخلاص وإذا أعطي حق الله لغير الله ماذا يكون الكلام

فيما يتعلق بالدرس الماضي وصلتنا بعض الأجوبة:

يقول: يذكر أولا أنواع النذور: النوع الأول نذر الطاعة، وهو كل نذر كان في طاعة الله -عز وجل- فنجد الصلاة والصوم والعمرة والحج إلى آخره، كأن يقول: لله علي أن أصوم كذا أو أتصدق بكذا ودليله ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩] وهذا النذر يجب الوفاء به.

ثانيا نذر المعاوضة الذي يعلق فيه الناذر الطاعة على حصول شيء أو دفع شيء، بحيث لو لم يحصل لم يقم بالطاعة وهذا محل النهي

ويقال له أيضا نذر المجازاة.

وذكر الحديث أخذ النبي-صلى الله عليه وسلم- ينهاناها عن النذر ويقول (إنه لا يرد شيئا، وإنما يستخرج به من الشحيح) رواه البخاري ومسلم

وأيضا قال في الحديث الذي معنا (لا تنذروا، فإن النذر لا يرد من القدر شيئ)

النوع الثالث نذر المعصية، وهو كل نذر فيه معصية لله، كأن ينذر أن يفعل معصية من المعاصي كالزنا وشرب الخمر والسرقة، وهو مما لا يجوز الوفاء به بحال؛ بل عليه أن يكفر عن نذره بكفارة يمين في أحد أقوال أهل العلم، دليله عن عمران بن حصين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا وفاء لنذر في معصية) رواه مسلم.

النوع الرابع: نذر اللجاج والغضب، وهو كل نذر يخرج مخرج اليمين في الحث على فعل شيء، أو المنع منه، أو التصديق أو التكذيب، غير قاصد صاحبه للنذر ولا للقربة على وجه التحقيق، وصاحبه مخير بين كفارة يمين والوفاء به، ومثله نذر المباح الذي ليس بطاعة ولا معصية

وبقي الأمر الذي مر وهو المقصود هو النذور الشركية، جوابه طيب.

تقول: بالنسبة للجواب الثاني من أحاديث التعوذ عند النسائي أولا: (اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر) الحديث صحيح، لكن أين تخريج هذا الحديث.

الحديث الثاني: (اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجزام، ومن سيء الأسقام) أيضا تقول: هذا الحديث صحيح.

ثالثا (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).

رابعا (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والذلة والقلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم) صحيح.

الخامس: (اللهم إني أعوذ بك أن أغتال من تحتي) وهذا حديث صحيح، عقبت في ملحوظة تقول: تخريج الأحاديث من ١: ٥ هو تخريج الشيخ محمد السويجري في كتابه مختصر الفقه الإسلامي.

بالنسبة للاستغاثة المقصودة بالحديث الذي رواه الطبراني هل هو يستفاد أنه السؤال أنهم يريدون أن يسألوا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- الاستغاثة في طلب أن يفكهم عن المنافق؟

السؤال الثاني: عن أهمية التوحيد ودراسة هذا الكتاب المهم، والشيء الثاني: أوقات أنا أتابع على قناة المجد لكن للأسف ما أقدر أن أضبط الأوقات

من خارج المملكة السعودية يدعي علم الغيب، ويدعي أنه يطير في الهواء، ويـدعي أن عنـدهم كرامـات، وعندهم -بارك الله فيك- أن عندهم أولياء يطلبون المدد منهم، ويدعون أن الرجل إذا مات وأتوا به إلى الـولي يجعله يتكلم ويخبرهم عما حصل، أي يجعله يحيا ويتكلم

أرجو أن يعلق الشيخ ولو تعليقا بسيطا حول ما حصل مؤخرا من التعدي على شخصية النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما حصل من الدنمارك وإساءتهم للحبيب -صلى الله عليه وسلم-

السؤال الأول طلب المعونة من المخلوقين إذا كان يقدر على طلبه هل يدخل في الاستغاثة

مع أن الشيخ أجاب عن ذلك لكن -بإذن الله تعالى- سنطرح السؤال مرة أخرى.

السؤال الثاني: أيهم أعظم إثما الحلف بالله كاذبا أو الحلف بغيره صادقا؟

يسأل عن الحديث الذي رواه الطبراني أن السؤال لا يكون بقصد الاستغاثة إنما هو بطلبهم مـن الرسـول -صلى الله عليه وسلم-

الواضح في هذا الطلب أن هذا المنافق كان يؤذي المؤمنين، فقالوا: (قوموا بنا نستغيث برسول الله) أي: نطلب منه أن يكف أذاه هذا المراد، وإما أن يكون هذا في مقدوره -عليه الصلاة والسلام- ومستطاع أن يقمعه ويمنعه، أو أنه ليس في مقدوره أن يقمعه، فعلى كلا الاحتمالين قال عليه الصلاة والسلام: (إنه لا يستغاث بي) فإن كـان أمرا في مقدوره فأراد -صلى الله عليه وسلم- أن يحمي حمى التوحيد ويسد ذرائع الشرك بالمنع من هذا اللفظ، وإن كان أمرا ليس في مقدوره عليه الصلاة والسلام فهو أيضا منعهم من طلب أمر من مخلوق لا يقدر عليه إلا الخالق -سبحانه وتعالى- وكل هذا يدلنا على خطورة الشرك سواء في ذاته أو في وسائله وما يفضي إليه.

هو أشار إلى أشياء من الضلال التي توجد مثلا الاستغاثة بغير الله، والاعتقاد في غيره أنه يعلم ما كان ومـا يكون، وأنه يقول للشيء كن، وأشياء من المغالاة عجيبة من الغلاة وأهل الضلال والباطل.

يأتون بالميت عند الولي عند القبر ويسألونه بعض الأشياء

نعم، ربما يفعلون هذا أو أشنع منه، فهذه أمور كثيرة تأتي من الجهل بالتوحيد، ولو وقف هؤلاء وأمثالهم على التوحيد، وعلى هذه الآيات المباركة والأحاديث التي جمعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لزالت عنهم هذه الضلالات، ولكنهم ركنوا إلى ما عندهم من مفهومات باطلة وأهواء فاسدة، ونشأوا عليها واعتادوا عليها، ولمـا يخاطبوا بالآيات والأحاديث يتكابر ويتكاثر الواحد منهم أن يترك شيئا نشأ عليه، ونشأ عليه آباؤه وأجداده فيتكاثر أن يرجع إلى الحق إلا من فتح الله عليه، والذي ندعو إليه كل من يسمع أن يقرأ التوحيد في القرآن وفي الـسنة، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إنما جمع للناس آيات التوحيد وأحاديث التوحيد في هذا الكتاب، يعني: ليس له إلا جمع كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الباب العظيم وكثير من الناس منَّ الله علـيهم بقراءة هذا الكتاب كتاب التوحيد قرأوه وتفكروا فيه وتأملوا في الآيات، وشفاهم الله تعالى من هذا الـبلاء وهـذا الشر؛ ولذلك فهذه دعوة حقيقية أوجهها للجميع أن يقرأوا هذا الكتاب المبارك، كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أأكد أنه ليس في هذا الكتاب إلا جملة جمعت في تقرير التوحيد وبيانه وهي فيها شفاء -بإذن الله تعالى- لكل هذا الضلال المتراكم والباطل الكثير الذي بلي به كثير من الناس.

وهو كتاب متيسر شراؤه بأقل من القليل، الحمد لله منتشر حتى في جميع المكتبات ودور النشر

ومن فضل الله -سبحانه وتعالى- ومن بركته التي في هذا الكتاب أنه ترجم لكثير من لغات العالم، وشرح كثيرا من الشروح، وهدى الله -عز وجل- خلقا كثيرا للتوحيد والحق والإخلاص بتوفيق من الله من خلال هذه الآيات والأحاديث التي جمعها المصنف في هذا الكتاب.

الأخ تطرق إلى نقطة هامة جدا وهي ما يتعرض له الرسول -صلى الله عليه وسلم- من اتهامات باطلة في بعض وسائل الإعلام، وخاصة ما كان في دولة الدنمارك، نريد توجيها يا شيخ بهذا الخصوص وأيضا موقف المسلمين تجاه هذه القضية.

هذا الذي الآن في الدنمارك الذي يفعله بعض الحاقدين على النبي-صلى الله عليه وسلم- الكريم ليس أمرا جديدا في التاريخ، لا تاريخ نبينا -عليه الصلاة والسلام- ولا تاريخ الرسل الذين قبله، والله -عز وجل- سلى نبيه بالقرآن بقوله: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠] فالاستهزاء موجود، وهو موجود عند القلوب المظلمة والنفوس الضائعة التي لم تكتفِ بالضياع والضلال، بالإعراض عنه بل بالسخيرة والاستهزاء بحملته، وإلا فإن محمدا -صلى الله عليه وسلم- هو إمام الهدى، وبعثه الله -تبارك وتعالى- رحمة للعالمين، وأرسله -تبارك وتعالى- بالحق والهدى ودين الحق، أرسله بالتوحيد، أفضل عباد الله، وأقومهم قيلا، وأفضلهم طريقة، ليس في عباد الله من هو أفضل عبادة منه، وليس في عباد الله من هو أكمل خلقا منه، وفي كل جوانب الخير إمام وقدوة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] والذي أقوله في هذه المناسبة وأستدل عليه من القرآن أن هجوم هؤلاء الشرس على أفضل البشرية وخيرهم محمد بن عبد الله هذا إذنٌ -إن شاء الله- بمحقهم وزوالهم وهلاكهم ودمارهم، واقرأ قول الله تعالى في سورة الرعد ﴿ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ اقرأ الآية التي بعدها ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [الرعد: ٣١] مرة ثانية نتابع السياق، وهذا الحقيقة فيه بشارة، ونسأل الله -عز وجل- أن يهلك كل من تجرأ على شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- بالاستهزاء والسخرية والتهكم، وأن لا يبقي منهم ديارا إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب يقول: جل وعلا: ﴿ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ وتأمل: "أمليت" يملي للظالم ولا يهمله، وإذا أخذه -تبارك وتعالى- أخذه أخذ عزيز مقتدر، وأي جناية وأي ظلم وأي عدوان أن يكفر بإمام البشرية وقدوة العباد؟!

إذا أظلمت عليك الطريق فلم تر الحق فكف عن السخرية لعله يفتح عليك يوما من الأيام فتفهم الحق، أما إذا سخرت واستهزأت قطعت وحرمت نفسك من الخير، وناديت على نفسك بالنكال والعقوبة المعجلة والمؤجلة.

فهذه حقيقة بمحق هؤلاء، نسأل الله تعالى أن يهلكلهم ويقطع دابر كل ساخر مستهزيء برسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- وتأمل في هذا المقام قول الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ٣] وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر: ٩٥] وتأمل قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج: ٣٨] وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ [غافر: ٥١]

فالله -عز وجل- ناصر رسوله، وسيكبت بإذنه -تبارك وتعالى- هؤلاء ويمحقهم بهذه الجرأة وهذه السخرية؛ ولهذا فعقلاء هؤلاء ومن عندهم شيء من الفهم ينبغي عليهم أن يأخذوا على يد هؤلاء الحمقى ويد هؤلاء الغوقى؛ لأنهم يجرون مصيبة على مجتمعهم كله بهذه السخرية بإمام البشر وقدوة عباد الله وأزكى البشرية صلوات الله وسلامه عليه.

نحن حتى في عقيدة الإسلام نحترم أنبياء النصارى وأنبياء اليهود

هذا الهجوم هو حقيقة حماقة، وأيضا أريد أن أقول بالمناسبة شيء في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بعض المشركين يذمونه ويهزءون به فماذا كانوا يقولون؟ كانوا يقولون: "مذمم فعل كذا" ويسخرون "ومذمم فعل كذا" ويسخرون ويأتون بأشياء وينسبونها إلى "مذمم" فكان عليه الصلاة والسلام يقول في معنى الحديث: (انظروا كيف يصرف الله عني؟ يسبون مذمما وأنا محمد) وهنا أيضا لو نظرت فهم رسموا صورة، وهذه الصورة جعلوها سخرية، وهذا في تخيلهم هم، وإلا شخص محمد -عليه الصلاة والسلام- أكمل البشر لا ترسمه أقلامهم، ولا تصله أفهامهم، وكيف تصل أفهامهم شخصَ أزكى البشرية وأطيبهم؟ (انظروا كيف يسبون مذمما وأنا محمد) وهؤلاء يرسمون صور سيئة لا تمثل إلا ما يدور في مخيلاتهم من الفساد، وهم يصفون ما يدور في مخيلاتهم من سفاهة وحماقة، وإلا فمحمد -عليه الصلاة والسلام- أزكى وأجل والله -عز وجل- قال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ والله -عز وجل- يتولاه ويتولى كل مؤمن ومؤمنة.

يسأل عن حكم طلب المعونة إذا كان الشخص يقدر، إذا كان حاضرا هذا الشخص، ويستطيع تنفيذ هذا الأمر فهذا ليس فيه إشكال، ذكر: أيهم أعظم الحلف بالله كاذبا أم الحلف بغير الله صادق

الحلف بغير الله صادقا أعظم؛ لأن هذا الشرك الذي هو الحلف بغير الله صادقا والحلف بالله كاذبا كبيرة، ولهذا قال ابن مسعود -رضي الله عنه- لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا، الحلف بغير الله صادقا هذا شرك والحلف بالله كاذبا هذا كبيرة والشرك أعظم.

أطرح سؤالا أولًا يتعلق بموضوع الدرس، وسؤالا ثانيا يتعلق بسؤال الأخ:

الأول: أريد جمع عشر آيات من القرآن الكريم في بطلان دعاء غير الله، وعرضت أنا جملة منها، نريد جمع عشر آيات من القرآن الكريم في أنه لا يدعى غير الله، تجمع من كتاب الله عز وجل.

والسؤال الثاني: جمع الآيات من القرآن الكريم فيما يختص بهذا الموضوع، وهذا الحدث المشين والتصرف القبيح الذي فعل في الدنمارك، تجمع الآيات التي فيها أن المستهزئين بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والساخرين به شأنهم هو الأبتر، وكفاية الله عز وجل لنبيه -صلى الله عليه وسلم- وأن الله -عز وجل- لهم بالمرصاد، يجمعون عشر آيات تتعلق بهذا الأمر.

ونسأل الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعز دينه، وأن يعلي كلمته، وأن ينتصر لرسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- وأن يمحق هؤلاء المستهزئين، وأن يقطع دابرهم، وأن يصلح لنا جميعا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله رب العالمين، نحمده و نستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله مــن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا نزال في دراسة هذا الكتاب المبارك، كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبـد الوهـاب –رحمـه الله تعالى– نستفيد من أبوابه الماتعة وتقريرات النافعة وبياناته السديدة التي اشتمل عليه هذا الكتاب المبارك، كتـاب التوحيد في الغاية التي خلقنا لأجلها، ووجدنا لتحقيقها، وقد كان من المصنف –رحمه الله تعالى– في مقدمات هذا الكتاب وترتيبه له ترتيب البديع أن بين أهمية التوحيد وفضله ومكانته وعظيم شأنه، وما يترتب على تحقيقه من الآثار الحميدة، والعوائد المباركة على محققه في الدنيا والآخرة ثم إن المصنف –رحمه الله تعالى– أخـذ يبـين أنواعا من الشرك محذرا منها مبينا لخطرها ومناقضتها للتوحيد ومباينتها له، ثم ابتداء من هذه الترجمة عقـد – رحمه الله تعالى– جملة من التراجم أراد أن يبين من خلالها البراهين الواضحة والدلائل البينـة علـى بطـلان الشرك وفساده الترجمة التي هي موضوع درسنا هذا اليوم، وكذلك بعض التراجم الآتية بعدها هـي فـي بيـان البراهين الدالة على فساد الشرك وبطلانه ونستمع الآن من أخينا تركي حفظه الله وسلمه تقرير الشيخ وما ذكره، ثم نعلق على ذلك بما ييسره الله عز وجل.

قال المصنف–رحمه الله تعالى– (باب قول الله تعالى ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ...﴾ [الأعراف: ١٩١: ١٩٢])

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (باب قول الله تعالى ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُـونَ ﴿١٩١﴾ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾) هذه الآية الكريمة جعله المصنف عنوانا للترجمـة، والترجمة هي في بيان بطلان الشرك، وبطلان التعلق بالمخلوق عبادة ودعاء وسؤالا وطلبا، فهذه أمور لا يلتجأ فيها إلا إلى الله، ولا تصرف إلا لله –تبارك وتعالى– فهو المستحق للعبادة دون سواه، كما أنه –تبارك وتعالى– تفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف في هذا الكون، فيجب أن يفرد وحده –تبارك وتعالى– بالعبادة كما قال عز وجل: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢] أي: كما أنه وحده ربكم الذي خلقكم وأوجـدكم فيجب أن يعبد وحده، ولا أن يصرف شيء من العبادة لغيره كائنا من كان.

فهذه الترجمة عقدها الإمام –رحمه الله تعالى– ليبين من خلالها بطلان الشرك وفساده، وأن المشرك مبطل في شركه، ضال في عبادته لغير الله؛ لأنه تعلق قلبه واتجه بدعائه وطلبه وعبادته إلى من لا يخلق؛ بل هو مخلـوق وإلى من لا ينصر بل هو يحتاج إلى من ينصره، لا يستطيع نصر نفسه ولا يستطيع نصر من يطلب منه نصرا، فكيف يتجه بالدعاء والعبادة والطلب إلى مخلوق هذا شأنه وهذا قدره، ولا يتجه بالعبادة والدعاء إلى مـن بيـده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض والمصنف –رحمه الله تعالى– جعل عنوان هذه الترجمـة التـي هـي معقودة لبيان بطلان الشرك وفساده وذكر الدلائل والبراهين على ذلك جعل عنوان هذه الترجمة هو هـذه الآيـة الكريمة

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الاستفهام هنا في أول هذه الآية ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ هو استفهام إنكاري وفي تقريع وتوبيخ لمن كان هذا شأنه مشركا بالله صارفا للعبادة لغير الله –تبارك وتعالى–.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني: لا يملك أن يخلق شيئا كائنا من كان، ومهما كان قدره، وهـم يخلقـون، فهذا الذي يدعونه من شأنه ومن صفته أنه لا يستطيع أن يخلق، وهو في الوقت نفسه مخلوق لله –تبارك وتعالى–

فليس بخالق ومخلوق فكيف يعبد؟ كيف يسوى هذا الذي هو مخلوق والذي أوجده رب العالمين؟ كيف يسوى المخلوق بالخالق، والمربوب بالرب؟ ومن أوجده الله -تبارك وتعالى- ومن عليه بالنعم والصحة والعافية كيف يسوى بالرب العظيم والخالق الجليل -سبحانه وتعالى- ؟ فهذا الاستفهام جاء على وجهين تقريع والتوبيخ وبيان شناعة هذا الأمر الذي عليه المشركون أنهم يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، أي: هؤلاء الذين يدعون ويعبدون وتصرف لهم العبادة هم مخلوقون لله، فالآية فيها تقريع المشرك وبيان خبث عمله، بأنه يشرك ما لا يخلق شيئا، وفي الوقت نفسه مخلوق لله، فكيف يسوى المخلوق بالخالق؟ كيف يسوى المربوب بالرب العظيم والخالق الجليل -تبارك وتعالى؟ ثم هذا الذي هذا شأنه لا يستطيع أن يخلق شيئا، ولو كان من أحقر الأشياء كما في الآية الأخرى كما يقول الله -تبارك تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، فهو لا يستطيع أن يخلق أي شيء كان، وفي الوقت نفسه هو مخلوق لله، فكيف يعبد؟ هذا برهان من براهين بطلان الشرك.

وبرهان آخر في الآية قال: ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ أي أن هذه المعبودات أيا كانت لا تستطيع نصر من يلتجيء، ولا أيضا تستطيع نصر أنفسها إذا اعتدي عليها، فهي لا تملك نصرا لعابديها، ولا تملك نصرا لنفسها، فكيف يدعى من كان هذا شأنه؟ وهذا برهان قوي من براهين بطلان الشرك وفساده، ولو تفكر المشرك في هذا البرهان لكفاه دليلا وحجة؛ بل وجد من المشركين من اهتدى من خلال هذا البرهان.

يذكر الإمام بن جرير الطبري في تفسيره قصة رجل من الأعراب قطع مسافة طويلة متجها قاصدا أحد الأصنام؛ ليعرض عليها حاجة وليسأله، فلما وصل إلى الصنم بعد جهد وتعب، لما وصل إلى الصنم ماذا وجد؟ وجد أن هذا الصنم الذي اتجه إليه وقصده مسافة طويلة ليسأله ويعرض عليه حاجته وجد فوق رأس الصنم ثعلبا، والثعلب يبول، والبول ينزل من فوق رأس الصنم إلى أسفل قدميه، البول يصب من فوق رأس الصنم إلى أسفل قدميه، بول هذا الثعلب، والثعلب فوق رأس الصنم، وهذا جاءه مستنصرا به، فرآه بهذه الصفة فقال بيتا من الشعر ورجع، قال:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

يعني: من يبول عليه الثعلب كيف يستحق أن يكون إلها؟

وصورة مثل هذه قرأتها في إحدى الصحف أن أحد أصحاب الديانات الهندوسية أو البوذية -لا أذكر الآن- ذكر في مقابلة معه كيف أسلم يقول: دخلت المعبد، والمعبد فيه الأصنام التي يعبدها هؤلاء، يقول دخلت المعبد فإذا فيه كلب يبول عند الصنم، يقول منذ رأيت هذا المنظر أدركت أننا على فساد، وأن عقيدة الأجداد والآباء عقيدة باطلة، إذ كيف يقصد بالعبادة هذا الذي يبول الكلب عنده أو عليه؟!! فيقول منذ رأيت هذا المنظر وأنا نفسي منقبضة ونافرة وأبحث عن الديانة الصحيحة حتى هداني الله تعالى إلى الإسلام، دين التوحيد ودين الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

أيضا شبيه بهذا الأمر؛ بل هو عين هذا الأمر -التعلق ممن وقعوا في الشرك من هذه الآمة، التعلق بالمخلوقين، أو بأجزاء من المخلوقين يعظمونها ويقصدونها بالعبادة.

أذكر مرة في إحدى الدول كان هناك مكان فيه شعرة يزعمون أنها شعرة النبي-صلى الله عليه وسلم- ويقصدون هذا المكان من جهات كثيرة من أجل سؤال ودعاء وعبادة هذه الشعرة، ويسجدون ويدعون ويستغيثون ويسألون ويبكون عندها، ففي يوم من الأيام اعتدى بعض اللصوص والسراق على هذه الشعرة وسرقوها، وقامت

مظاهرات صاخبة في الشوارع يحتجون، بينما كان المفترض أنهم يستفيدوا من كونها تسرق أنها لا تملك شيئا لهم عندما كانوا يدعونها ويسألونها ويطلبون منها ويبكون عندها ويسألونها حاجاتهم، فكان من المفترض أن يكون سرقتها دليل على أنها لا تنتصر ولا تملك نصرا؛ بل من تنتسب إليه هذه الشعرة، والله أعلم بصحة النسبة من تنسب إليه هذه الشعر وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمن كان يستنصر؟ كان يقول -عليه الصلاة والسلام- في دعائه: (اللهم أنت عضدي وأنت نصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل) يقول، أنت نصيري، والله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾[غافر: ٥١] فالنصر من الله ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[آل عمران: ١٢٦]، فالنصر لا يطلب من المخلوقات، ولا يلتجأ فيه إلى المخلوقات، وإنما يلتجأ فيه إلى الله -سبحانه وتعالى- العافية الهداية الصحة أيا كان كل ذلك لا يطلب إلا من الله.

إذن هذه الآية التي هي عنوان الترجمة ساقها المصنف وجعلها عنوانا للترجمة؛ لأنها فيها الدلالة الواضحة على بطلان الشرك وفساد عقيدة وطريقة من يتعلق بغير الله كائنا من كان سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو أيا كان من المخلوقات فالمخلوقات كلها هذا شأنها لا تملك شيئا.

هل ضرب الله تعالى المثل بالخلق في هذه المعبودات أنها لا تستطيع الخلق لماذا ضرب الله المثل بالخلق مثلا بالرزق أو مثلا بالنصرة هل إفراد هذه بالخلق له معنى؟

هو الآن الذي هو ذكر الخلق هو أحد الأدلة، وهو من جملة الأدلة، يعني: الآية التي نحن الآن بصدد درساتها وهي عنوان الترجمة لم يخلق فيها الخلق وحده، ذكر الخلق ثم ذكر النصر وهناك آيات تذكر الرزق وهناك آيات تذكر الإحياء والإماتة، وهناك آيات تذكر قبح الصنم مثلما قال إلياس لقومه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٢٥: ١٢٦]، وتارة يبين فساد عبادة هذه بأنها لا تسمع ولا تبصر، وتارة يبين فساد عبادتها بأنها لا تملك شيئا كما سيأتي معنا، ولو ملكت فلا تقدر على إجابة من دعاها، فهي أنواع اشتمل عليها القرآن، وهي تسمى عند أهل العلم براهين التوحيد، وفي الوقت نفسه براهين بطلان الشرك وفساده، وهذا من الأشياء التي فصلت في القرآن أتم التفصيل، ولو كان المسلم عندما يقرأ القرآن يتدبر هذا الأمر يجد حقيقة من الحجج والبراهين القوية المقنعة التي تدل على فساد عبادة غير الله -تبارك وتعالى- أيا كان.

قال المصنف-رحمه الله تعالى- (وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر: ١٣])

ثم أورد المصنف -رحمه الله تعالى- هذه الآية الكريمة وهي أيضا شاهد لهذه الترجمة المعقودة لبيان بطلان الشرك وفساده، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: أيها المشركون يا من تدعون غير الله ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ هنا الآية اشتملت على براهين لفساد الشرك وبطلانه والآية تدل على بطلان حال المشرك وفساد ما هو عليه ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ والقطمير ماهو؟ يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمر، نواة التمر يكون عليها لفافة، وهي قشرة رقيقة جدا، فالله تعالى يقول عن هذه المعبودات التي تعبد وتدعى من دون الله أيا كانت لا تملك من قطمير، يعني: ولو شيئا يسيرا ولو أمرا تافها ولو أمرا حقيرا لو أمرا لا يؤبه به قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ انتبه لهذه الأمور الثلاثة التي ذكرت في الآية:

١-﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ هذا الأمر الأول.

٢- والأمر الثاني: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾.

٣- والأمر الثالث: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.

فهذا فيه برهان لبطلان الشرك لأن من يدعى ويقصد ويلتجأ إليه لابد أن يكون فيه هذه الصفات، أن يكون مالكا، وأن يكون سميعا، وأن يكون عنده قدرة على الإجابة، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فيه استحق أن يدعى، وإذا فقد أحدها لا يستحق أن يدعى، فكيف إذا فقدت كلها، ولهذا يقول الله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ يعني: ولو شيئا يسيرا، ولو شيئا قليلا ما يملكون من قطمير.

وقد مر معنا في درس ماض قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[سبأ: ٢٢] يعني: لا يملك من يدعى من دون الله أيا كان سواء كان ملكا أو نبيا أو صالحا أو غيره ما يملكون من قطمير، أي: ولا شيئا قليلا ولا أمرا يسيرا وما يملكه الناس هو ليس ملكا استقلاليا، وإنما هم يملكونه بتمليك الله -تبارك وتعالى- لهم كما قال -عز وجل-: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنعام: ٢٦]، فلاحظ الآن ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ فهم لا يملكون ولا يسمعون ولا يقدرون على الإجابة، إذن كيف يدعون؟ فهذا برهان واضح على بطلان الشرك وبطلان التعلق بغير الله.

أمر آخر ذكر في هذه الآية الكريمة قال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ يعني: اتخاذكم لهم شركاء هذا أمر سيكفرون به يوم القيامة، ويتبرءون منه يوم القيامة، يبترءون من هذا الشرك، الملائكة تتبرأ، والأنبياء يتبرءون، والصالحون يتبرءون، كل من عبد من دون الله وهو غير راض يتبرأ، وأما من كان راضيا وداعيا لأن يتخذ شريكا من دون الله ومعبودا من دون الله فهذا هو ومن أشرك به يلقى في النار، ويكونون يوم القيامة من حطب جهنم العابدون والمعبودون، أما من عبد من دون الله وهو غير راض من الملائكة والأنبياء والأولياء فكلهم يتبرءون من هذا الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أنت تأخذ هنا فائدة عظيمة جدا أن الله -عز وجل- سمى دعاء غير الله ماذا؟ شركا ومر معنا في آية سابقة تسمية الدعاء عبادة تذكرون الآية:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف: ٥: ٦]،

سمى الله -سبحانه وتعالى- الدعاء عبادة وهنا سمى الله سبحانه وتعالى صرف الدعاء لغيره شركا، فمن صرف الدعاء لغير الله تعالى فهو مشرك، ومن أخلص الدعاء لله -تبارك وتعالى- فقد وحد الله بهذه العبادة العظيمة، فالدعاء عبادة، وهذا من جملة البراهين التي في القرآن على أن الدعاء عبادة يجب إخلاصها لله تعالى، ثم ختم -جل وعلا- هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ وهو الله -سبحانه وتعالى- فعليك أن تتلقى هذا الأمر وهذا البيان وهذه الدلائل بقلب منشرح ونفس مطمئنة، فإن فيها الخير لك والسعادة في الدنيا والآخرة.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وفي الصحيح عن أنس قال: (شج النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨]) وفيه عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول (إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾) وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾)

هنا المصنف -رحمه الله تعالى- أورد هذا الحديث، والحديث الذي بعده قد سمعنا لفظه، أورد هذا الحديث لبيان بطلان الشرك وفساده، وأن التعلق بغير الله أيا كان باطل، وهنا مثل المصنف -رحمه الله تعالى- بما يتعلق بشخص نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- الذي هو أشرف عباد الله وأكملهم طاعة وعبودية وذلا وخضوعا لله -تبارك وتعالى- أنه -عليه الصلاة والسلام- مع قدره ومع مكانته وفضله وجلالة شأنه -صلوات الله وسلامه عليه- لا يستحق من العبادة أي شيء، العبادة حق للمعبود، حق لله وقد بعث -عليه الصلاة والسلام- للدعوة إلى الإخلاص والتحذير من الشرك، فكيف يدعى هو؟ وكيف يتخذ هو شريكا؟ وإنما بعث -عليه الصلاة والسلام- للدعوة إلى الإخلاص والتوحيد؛ بل جاء في القرآن توجيه الخطاب إليه هو -عليه الصلاة والسلام- بألا يدعو إلا الله، وجاء الخطاب إليه هو -عليه الصلاة والسلام- بالتحذير من الشرك، وجاء الخطاب خاصا خرج مخرج الخصوص، والمراد به العموم فهو قدوة -عليه الصلاة والسلام- قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[القصص: ٨٨]، وقال الله تعالى ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾[الشعراء: ٢١٣] ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾،[الزمر: ٦٥]، هذا خطاب كله لمن للرسول -عليه الصلاة والسلام- فكيف يتجه بالعبادة إلى من حذر هو نفسه من صرف العبادة لغير الله؟ هو حذر من صرف العبادة، وحذر من الشرك -صلوات الله وسلامه عليه- في آيات واحدة وصريحة، خوطب بالنهي فكيف يتجه إليه بالطلب والدعاء والسؤال؟ والمصنف أراد أن يبين هنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مع كمال قدره وفضله وأنه خير ولد آدم، وأنه سيد ولد آدم، وأنه إمام المرسلين، وقدوة الموحدين، وله المقام المحمود، والحوض المورود، وله الشفاعة، وله القدر الرفيع والدرجة الرفيعة -صلوات الله وسلامه عليه- ومع ذلك كله لا يستحق من العبادة شيئا، العبادة لله وكان -عليه الصلاة والسلام- يغضب إذا حصل شيء من ذلك ولو كان قليلا، يعني: (سمع رجلا يقول: ما شاء الله وشئت فغضب، وقال: أجعلتني لله ندا؟) و(سمع امرأة تقول: وفينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلم ما في غد. فغضب وقال: لا يعلم ما في غد إلا الله) .

فالمصنف -رحمه الله تعالى- أراد أن يبين هنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مع فضله ومكانته وقدره وجلالة شأنه ورفعة مكانته العبادة لا يستحق منها شيئا، ولا يستحق أن يصرف له شيء منها؛ بل بعث -عليه الصلاة والسلام- لإبطال ذلك.

وتأمل هنا معي الدليل الذي ساقه المصنف لبيان هذا الأمر، قال: شج رأس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكسرت رباعيته بفتح الراء وكسرت رباعيته فقال: (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم) بل جاء في بعض الروايات (أنه أخذ يمسح الدم -عليه الصلاة والسلام- وهو يسيل على وجهه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) أمر الفلاح بيد من؟ بيد الله سبحانه وتعالى فهو لما رأى هذه الحال المؤسفة المذرية التي بلغ بها هؤلاء قال هذه الكلمة، قال: كيف يفلح هؤلاء وبلغ بهم المبلغ أنه نبي وبعث إليهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور والخاتمة أنهم يشجون رأسه! كيف يفلح أمثال هؤلاء؟ فماذا نزل؟ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الأمر لمن؟ واقرأ تتمة الآية ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ وقرأ كذلك الآية التي بعدها ﴿﴿١٢٨﴾ وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ الأمر لله -سبحانه وتعالى- إذن هو -عليه الصلاة والسلام- مهمته ما هي؟ البلاغ. يعني: كأنه قال له: فامض في بلاغك وبيانك ودعوتك ونصحك، أما فلاحهم هدايتهم صلاحهم واستقامتهم وتوبة الله تعالى عليهم فهذا أمره لمن؟ لله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الأمر لله -سبحانه وتعالى-.

قال: كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم؟ فنزلت الآية: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ وشاء الله -سبحانه وتعالى- وتاب على أفراد من هؤلاء وهداهم -سبحانه وتعالى- إلى صراطه المستقيم.

وفي قصته مع عمه حاول -عليه الصلاة والسلام- هداية عمه، وأن يدخل في هذا الدين، ومات ولـــم يهتـــدِ، ونزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[القصص: ٥٦]، فلا يطلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يسأل.

الآن بعض من يضل ويزيغ في هذا الباب، ويعظم النبي -صلى الله عليه وسلم- تعظيما لا يليق إلا بالله تجده ماذا؟ يستجير بالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول أنا مستجير بك، أنا دخيلك، أنا أطمع في مغفرتك، أنا أرجــو عفوك. يسأل أمور لا تسأل ولا تطلب إلا من الله -تبارك وتعالى- والأمر ليس له -عليه الصلاة والسلام- بــل إنه جاء عنه كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أنه -عليه الصلاة والسلام- ذكر الغلول، والغلول معروف، الغلول أخذ المال وابتزازه بغير حق وسلبه من ملاكه، فذكر الغلــول وعظمــه وعظم أمره وقال -عليه الصلاة والسلام- (لا يأتين أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على رقبته بعير لـــه رغـــاء فيقول: يا محمد أغثني، و يا رسول الله أغثني، فيقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك)لاحظ كلمة: (قد ابلغتــك) (لا أملك لك شيئا قد أبلغتك) قال: (لا يأتي يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة) يعني: أخذه في الدنيا بغير حق (فيقول يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا يأتين أحدكم يوم القيامة وعلى رأسه شاة لها رغاء، فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا يأتين أحدكم وعلى رقبته رقاع تخفق -يعني فيها مظالم وحقوق- فيقول: يا رسول الله، أغثني. وأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا يأتين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته صامت) ما هو الصامت؟ هو الذهب أو الفضة؛ لأن العرب كانت تقسم المال إلـــى قـــسمين صامت وناطق، الناطق مثل الماشية والدواب ونحوها، والصامت مثل الذهب والفضة (فيقــول يـــا رســـول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك).

إذن الذي يريد السعادة ويريد الفلاح ويريد السلام في الدنيا والآخرة عليه بماذا عليه بأن يقوم بتحقيق ما بعث به -عليه الصلاة والسلام- لا أن يتعلق بغير الله ويلتجيء إلى غير الله ويطلب الهداية والعافية من غير الله، أو النصر من الأنبياء أو الملائكة أو غيرهم، فهذا لا يملكون لا يملكه إلا مَن؟ إلا الله -سبحانه وتعالى- لا أملك لك شيئا يقول.

قوله يوم القيامة: (لا أملك لك شيئا) هذا في القرآن في قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ يعني: الأمر كلـــه لله -سبحانه وتعالى- ثم أيضا في الحديث الآخر حديث ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- يقول (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول في صلاة الفجر بعد قوله: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد يدعو باللعنة على أعيان من المشركين: اللهم العن فلانا وفلانا، ويذكر أسماء وهو في صلاته) وتأمل أنت الآن هذا الحديث تأملـــه جيدا ينفعك الله به الآن سيد الخلق -عليه الصلاة والسلام- في صلاته وفي قنوته في الفجر ماد يديه لله -سبحانه وتعالى- ويدعو باللعنة وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله على من؟ على أعيان من المشركين؛ لأن أذاهم على المسلمين عظُم وشرهم زاد، فكان يدعو عليهم بأعيانهم أن يطردهم الله من رحمته: (اللهم العن فلانا، اللهم العن فلان) يسميهم بأسمائهم، ومن وراءه وهو في صلاته؟ سادات الأولياء آمين آمين آمين آمين، ســيد ولـــد آدم -عليـــه الصلاة والسلام- يدعو على هؤلاء باللعنة والطرد والإبعاد من رحمة الله ، ووراءه سادات الأولياء يؤَمنون ثـــم قال ماذا؟ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ هو الآن يسأل الله والصحابة وراءه أن يطردهم من رحمتـــه وكان يسمى بعضهم بأسمائهم، سمى صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام في الصلاة يسميهم بأسمائهم اللهم العنهم، اللهم اهلكهم، اللهم اطردهم من رحمتك يدعو عليهم والصحابة من خلفه تقول: آمين آمين آمين يؤمنون وينزل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ويشاء الله أن يتوب عليهم، تاب عليهم، ودخلوا الإسلام، وهداهم الله، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ســأل الله أن يطردهم من رحمته والصحابة من خلفه قالت آمين، ونزل قول الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَـــيْءٌ ﴾ وهـــداهم الله للإسلام واهتدو.

وبالمقابل جلس عند رأس عمه كما في صحيح البخاري (قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) ومات عمه، والله يقول في القرآن: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف: ١٠٣]، ونزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ إذن الأمر بيد الله، لا يلتجيء لمخلوق لا ملك ولا نبي ولا ولي، ولا أيا كان لا يلتجأ إلا إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ ﴾ هذا من براهين التوحيد، من هو الذي قال الله له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ ﴾ سيد ولد آدم أحب عباد الله إلى الله خليل الله –عليه الصلاة والسلام– مكانته عليا عند رب العالمين، ويقول له رب العالمين: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ ﴾ أمر الهداية بيد الله، ولنقرأ الآية التي بعدها ونتأمل في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأمر كله لله –سبحانه وتعالى– إذا أرد الإنسان الهداية إذا أراد الجنة إذا أراد النجاة من النار، إذا أراد مغفرة الذنوب، إذا أراد شرح صدره، إذا أراد التوفيق، إذا أراد السداد يلتجيء إلى من؟ لا يلتجيء إلا إلى الله، وكل أدعية النبي –صلى الله عليه وسلم– توجه إلى الله: اللهم ربنا، اللهم إني أسألك. كله توجه إلى الله سبحانه وتعالى فهذا من براهين التوحيد العظيمة ودلائله النافعة المباركة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وفي عن أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– قال: قام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[الشعراء: ٢١٤]، فقال: يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتي لا أغني عنك من الله شيئا))

فيما يتعلق بالحديث الأول إن أذنت نرجع إليه قليلا أيضا أهل العلم أخذوا فائدة من قوله في حديث شج رأسه وكسر رباعيته وهو –عليه الصلاة والسلام– سيد ولد آدم شج رأسه وكسرت رباعيته قال أهل العلم: ومن الحكم في ذلك أن يدرك الناس أنه بشر –عليه الصلاة والسلام– يعتريه ما يعتري البشر ويصيب جسمه ما يصيبهم، فهو مع كونه سيد ولد آدم –عليه الصلاة والسلام– شج رأسه وكسرت رباعيته، قال أهل العلم: وفي ذلك من الفائدة ألا يغتر الناس أو لا يغتر بعض الناس مثلما حصل اغترار للأمم السابقة النصارى وغيرهم عندما رأو آيات تظهر على أيدي أنبيائهم ومعجزات وأمور خارقة للعادة جعلتهم ما ينصرفون إلى عبادة أولئك، وظنوا أنهم بيدهم الأمر، وأن لهم الملك ولهم القدرة، فلم يستفيدوا من هذه المعجزة فيما كانت له، وإنما دخلوا فيها مدخلا وفهما خاطئا باطلا، فتعلقوا به فهنا حتى لا يغتر أحد تأتي هذه الأشياء لتبين لهم أن هذه المعجزات هي من قدرة الله أظهرها على يد هذا المخلوق الذي هو بشر ويعتريه ما يعتري البشر وهو في الواقع مخلوق من مخلوقات الله –عز وجل– وهذه الأشياء الله –عز وجل– أظهرها عليه يديه حجة له فيما يدعو إليه من التوحيد، لا أن تجعل ذريعة للوقوع في الشرك فيأتي مثل هذه الأمور شج رأسه وكسرت رباعيته؛ ولهذا يأتي في القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[فصلت: ٦]، ثم أورد المصنف –رحمه الله تعالى– حديث أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– لما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ قام –عليه الصلاة والسلام– بهذه النذارة كما أمره الله صعد على الصفا ونادى أولا: نادى نداءً عاما: يا معشر قريش، أو كلمة نحوها مثل ياقوم أو نحو ذلك ناداهم جميعا، ماذا؟ قال: (يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا) اشتروا أنفسكم، أي: بالإخلاص والتوحيد وإفراد لله –عز وجل– والبعد عن الشرك وعن عبادة غير الله، (اشتروا أنفسكم) خلصوا أنفسكم من النار، اشتروا أنفسكم لتربحوا الجنة بماذا؟ بإخلاص التوحيد والعبادة لله –عز وجل– لا أغني عنكم من الله شيئا، ثم أخذ ينادي قرابته واحدا واحدا: يا عباس يا عم رسول الله، يا صفية يا عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا، ولاحظ قوله لفاطمة ابنته: (سليني من مالي ماشئتي لا أغني عنك من الله شيئا) ماذا يطلب منه –عليه الصلاة والسلام– يطلب منه الأشياء التي يملكها وفي مقدوره، مالٌ، أشياء من هذا القبيل: (سليني من مالي ما شئتي) أما الأمور التي لله مثلا فيقال له: أسألك الجنة، أو أسألك أن تنجيني من النار، أو أسألك أن تشرح صدري، أو أسألك أن تذهب همي، أو أسألك أن تفرج كربي، أو أن

تغيثني، أو أن تنصرني، أو أن تعيذني، من الشيطان، أو توفقني، أو أن تنجحني، كل هذه لا تسأل منه؛ لأنها بيد الله، يقول لها: (سليني من مالي ما شئتي لا أغني عنك من الله شيئا) الأمر لله -سبحانه وتعالى- قال له رجل مرة: (أسألك مرافقتك في الجنة) فماذا قال؟ (أعني على نفسك بكثرة السجود) اعبد الله، اتجه بالعبادة إلى الله والدعاء والسؤال والافتقار إلى الله والسجود له والتضرع بين يديه (أعني على نفسك بكثرة السجود) يعني: استجد لله، وادع الله، والتجيء إلى الله (أعني على نفسك بكثرة السجود) أما أن يأتي الإنسان فقط مضيعا التوحيد وملتجئا إلى غير الله ثم يرجو النجاة فلا يمكن.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها!! ما يمكن هذا، فلابد من الإخلاص والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى.

(سليني من مالي ما شئتي لا أغني عنك من الله شيئا) لأن الأمر لله قال الله له في الآية التي مرت معنا: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ يعني الأمر كله لله -سبحانه وتعالى- هنا لبس على كثير من الناس وأفهموا أن دعوة الأنبياء ودعوة الصالحين هو من محبتهم وهو من التوسل بهم، ولهم الوسيلة عند الله، فأفهموا عوام الناس وجهالهم أن هذا من محبة الصالحين ومن ينكر دعاءهم من دون الله ويبين بطلانه يقولون عنه ماذا؟ يقولون: لا يحب الصالحين. عندما تقول: لا يجوز دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- من دون الله يقول هذا لا يحب النبي -صلى الله عليه وسلم- وعندما يقال: لا تدعُ الولي الفلاني من دون الله دعاء عبادة يقول: هذا لا يحب الأولياء فجعلوا إشراكهم أو تسويتهم بالله في حق الله هو دليل المحبة، وهذا من قلب المفاهيم وتغيير الحقائق فمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- باتباعه وطاعته لا بعبادته من دون الله عبادته من دون الله شرك، وقد بعث -عليه الصلاة والسلام- للتحذير من الشرك، وهو -عليه الصلاة والسلام- نفسه نهي عن الشرك وحذر منه فهذا من الدلائل العظيمة المباركة النافعة التي من تأملها ظهر له مكانة التوحيد وفضله وجلالة قدره وفساد الشرك وبطلانه وأن المشرك لا متعلق به ولا حجة.

السؤال الأول: استشكل علي أمر شرح اليوم في الحديث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا على بعض من آذوه وأنزل الله تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فإذا ظلم المسلمون وقوتلوا في دينهم هل لا يجوز لهم أن يدعو على من ظلمهم وإن لم يكونوا يملكوا إلا الدعاء؟

السؤال الآخر لقد لفت انتباهي عند قراءة كتاب الله -تبارك وتعالى- أنه بعد سرد آيات التوحيد والدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- وعدم استجابة القوم أن ويأتي تكذيب النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتي ذكر نبي الله موسى دون غيره من الأنبياء، فمثلا في سورة الدخان بعد قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [الدخان: ٢:١]، ثم ذكر الله -تبارك وتعالى- للأقوام الذين لم يستجيبوا لرسلهم يقول: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[الدخان: ١٧]، ثم في الجاثية مثلها ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[الجاثية: ١: ٢]، ثم يقول أيضا في ذكر موسى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾[الجاثية: ١٦]، السؤال هل من رابط بين آيات التوحيد ويليلها رفض الدعوة من الأقوام ثم يأتي ذكر نبي الله موسى بالتحديد دون غيره من الأنبياء؟

السؤال الثاني: جاء في الدروس السابقة أن بعض الإخوة كان تكلم أكثر من مرة في سؤال: أن بعض الناس يذكرون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تفل في بئر ما، وأن الناس يتبركون به وهكذا، هل ليس من الأولى سد الذرائع ودفع الناس عن مثل هذا كما يحدث مع قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ورد الخرافة عن الناس، فكذلك في مقام إبراهيم، كذلك في شرح كتاب التوحيد في الدرس السابق جاء أن الدعاء دعاء مسألة ودعاء عبادة، والعلماء شرحوا أن دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، وأن دعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة أرجو شرح هذا الأمر؟.

السؤال: في الاختبار الذاتي سؤال صح أو خطأ يقول قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[النساء: ٤٨]، قال يدخل فيه من مات على الشرك كتبت أنا خطأ واكتشفت الإجابة أنها صح لا أدري إن كان هذا خطأ مني أنا أو خطأ منهم؟

السؤال الثاني: أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما قال الله -سبحانه وتعالى- ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ هل ذكرت هذه الآية لكي لا يغالى في الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويعتبر بشر كما ذكر الشيخ في دعاء بنته حين قال سليني من مالي ما شئتي، حتى لا يغالى فيه كما غالى غيره فيمن قبله

يقول: عن أنه كيف نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- على من آذوه فهل هذا يقاس على حالنا نحن المسلمين فيمن يؤذوننا ولا نملك إلا الدعاء فهل ندعو عليهم؟

الأسئلة التي طرحها جميعا، أسئلته التي طرحها جميعا علمية جيدة نافعة تدل على الاهتمام والحرص، يقول في سؤاله كون النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا على هؤلاء الذين آذوه وآذو أصحابه باللعن واللعن طرد وإبعاد من رحمة الله، ثم ينزل قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيتساءل هل هذا يدل على أن الإنسان ليس له أن يدعو على من ظلمه وآذاه وألحق به الضرر أن يدعو الله عليه؟ فالجواب ليس في الحديث أي دلالة على ذلك، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا على هؤلاء فالذين حصل منهم هذا الأذى وحصل منهم هذه الإساءات للمسلمن والإيذاء لهم حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- شج وكسرت رباعيته -عليه الصلاة والسلام- فدعا عليهم فالدعاء دعاء الإنسان على من ظلمه له ذلك، والنبي -عليه الصلاة والسلام- دعا على هؤلاء، لكن هل استجاب له في ذلك الأمر؟ الله قال في تمام الآية: ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ لكن الأمر له ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾.

أريد السؤال عن مسألة اللعن الذي جاء في الحديث: (اللهم العن فلانا اللهم العن فلان) نحن نعلم بأن لعن المعين هذا حرام بالإجماع كما نقل غير واحد من أهل العلم، ولعن العاصي وأصحاب المعاصي هذا جائز بالإجماع، إشكالي هو في حديث (العنوهن فإنهن ملعونات) في حق المتبرجات، فهل يكون هذا اللعن من باب الجواز بأن يقول أحدهم: عليكِ لعنة الله، أو يقول لعن الله المتبرجات؟ أريد التفصيل في هذه المسألة

يسأل الثاني ويقول ضوابط آيات التوحيد، هو يقول أثناء قراءتي للقرآن يلاحظ أن هناك آيات التوحيد ويليها حال الأقوام أو حال الأمم التي أهلكها الله -سبحانه وتعالى- ثم يذكر بعد ذلك قصة موسى، فهل لهذا التدرج حكمة؟

لاشك أن الحكمة موجودة، وقصة موسى خصوصا يكثر ذكرها في القرآن للتقارب بين أمته -عليه الصلاة والسلام- وأمة موسى -عليه السلام- وموسى -عليه السلام- أكثر الأمة تابعا بعد نبينا -عليه الصلاة والسلام- قد مر معنا قريبا في باب تحقيق التوحيد حديث ابن عباس قال: (وعرض على سواد عظيم فقلت هؤلاء قومي، قال: هؤلاء موسى وقومه، ثم عرض علي سواد سد الأفق فقيل: هؤلاء قومك وفيهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب) فموسى -عليه السلام- أكثر الأنبياء تابعا، وحصل له ابتلاءات وقتال وشدة، فيوجد تقارب بين ما حصل له وما حصل لنبينا -عليه الصلاة والسلام- وأيضا من حيث النتائج ففي دعوته -عليه الصلاة والسلام- التابع الكثير من أقوامه، بينما بعض الأنبياء يأتي يوم القيامة معه الرجل، ومعه الرجلان، ومعه الرهط، وليس معه أحد، فعل هذا من الأمر في هذا الأمر، وقصة موسى هي من أكثر القصص ذكرا في القرآن الكريم.

يسأل في سؤال ماضٍ فيما يتعلق بالاعتقاد أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تفل في بئر وأنهم يأتون إلى هذه البئر فيقول كيف يكون سد الذرائع؟

هذا طرح في مرة ماضية وذكرت فيه أمرين:

الأمر الأول: إثبات ذلك، إثباته، لا يكفي فيه مجرد الإشاعات لأن الإشاعات في هذا الباب تكثر، يعني: يأتي أناس يقولون هنا جلس وهنا مر إلى آخر ذلك، ثم إذا أثبت ذلك يأتي إثبات جواز التبرك بهذا الموضع وكل منهما يحتاج إلى الدليل من سنة نبي الله -صلوت الله وسلامه عليه- وذكرت في ذلك الحين سد الذريعة الذي كان عليه الصحابة في قصة عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- مع الشجرة التي كانت في الطريق، وكان بعض الناس يميلون إليها ويصلون عندها لأن رسول الله صلى عندها فذهب عمر أو أرسل إليها من قطعها، وهذا كله من سد الذريعة ما أبقاها لأنه أصبح الناس يتعلقون فمثل هذه الآبار لا يجوز التعلق بها، ولا يجوز التبرك بها لأنه أولا: لا دليل على صحة هذا الأمر، ومن جهة ثانية لا دليل على جواز قصدها لطلب البركة .

يسأل في سؤاله الأخير ما يتعلق بدعاء المسألة ودعاء العبادة ودلالة الاستلزام في أحدهما ودلالة التضمن.

هو مثلما تفضل أخونا -أكرمه الله- ذكر أهل العلم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة ما بينهما من استلزام وتضمن، والدلالات ثلاثة أنواع دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام، فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على أمر خارج معناه، وهذه هي أنواع الدلالة الثلاثة وعرفنا أيضا في الدرس الماضي عند الكلام على الدعاء المراد بقسميه دعاء العبادة ودعاء المسألة، وعرفنا أن دعاء العبادة هو التوجه إلى الله بالعبادة من صلاة وذكر وتلاوة القرآن وغير ذلك، فهذه كلها عبودية لله -سبحانه وتعالى- ودعاء المسألة هو التوجه إليه بالسؤال والطلب: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم نجني من النار، اللهم أدخلني الجنة، ونحو ذلك هذا كله دعاء مسألة، والصلاة والحج والذكر وتلاوة القرآن هذه كلها دعاء عبادة، وبين الدعاءين تلازم، دعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة؛ لأن من دعو الله ويفتقر إليه ويلتجيء إليه ويتجه له وحده بالطلب هو عبد لله وملتجيء لله -سبحانه وتعالى- ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة من يعبد الله ويقنت له الدين هذا يستلزم أنه في سؤاله وطلبه يلتجيء إلى الله في كل حاجاته وفي جميع شئونه.

هنا مشاركة جميلة من الأخت تقول: من العجيب أن ترى هذه الظاهرة وهي عبادة الأصنام في وقتنا الحاضر وفي أرقى البلاد في العلم، هناك طالبتان تدرسان في كلية طب الأسنان وعندهما تمثالين صغيرين في غرفتهما، يطبخون لهما الحلويات ويشيرون بأيديهم لإطعامهما، أي الطالبتان. فقيل لهما من قِبَلِ مسلمة: لماذا تفعلون ذلك؟ فإنهم لا يأكلان شيئا ويبقى طبق الطعام كما هو؟ أجابوا: بل إنهما يأكلان ولكن لا نراهم

أولا: شكر الله لهذه الأخت، ونسأل الله أن يحفظها ويحفظ جميع بنات المسلمين في دينهم، وأن يصرف عنهن الفتن إنه سميع مجيب، وأذكر أنا شاهدا آخر أو قصة أخرى رأيتها بنفسي: مرة كنت في رحلة داخل دولة أجنبية لا يحتاج الأمر إلى التحديث بذكرها، ففي داخل الدولة مسافر من مدينة إلى مدينة أخرى يعني استغرقت الرحلة تقريبا ساعة ونصف، فكنت في المقعد هنا والمقعد الآخر أمامي على جهة اليسار امرأة كبيرة مسنة وزوجها، يعني مسنة تقارب السبعين أو الثمانين وزوجها إلى جنبها لما لمست الطائرة أرض المطار فتحت حقيبتها وأخرجت صنما من الحقيبة ووضعتها أمامها وسجدت وهي على المقعد للصنم، ثم مستحته بالمنديل معها وأعطته زوجها وأيضا وضعه أمامه وسجد، هذا الآن سجود شكر لأن هذا الذي في الحقيبة أوصلهم إلى أرض المطار بسلام، رب يحمل في حقيبة، ثم لفته في المنديل وأغلقت عليه في الحقيبة حتى تخرجه مرة ثانية إذا حصل لها مثل ذلك، وحال المشركين الأول كان مثل هذا، يعني أذكر بعض الصحابة الذين هداهم الله يروي قصة لهم حال الشرك يقول: مرة كنا في سفر ومعنا حجر جميل كنا إذا وقفنا في مكان نعبده، يقول: فنادى منادٍ ونحن في طريقنا نادى مناد بصوت عال: يا قوم إنا فقدنا ربكم فالتمسوه. الرب ضاع ابحثوا عنه، يقول: فتفرقنا في الوادي نبحث عن ربنا، عن الرب المفقود، يقول: فأخذنا نبحث وتفرقنا فنادى مناد آخر قال: يا قوم إنا وجدنا ربكم أو

شبهه يعني وجدوا حجر آخر، وأيضا بعض الصحابة يذكر كنا في الجاهلية نصنع صنم من التمر ونعبده وإذا جعنا أكلناه! هذا كله ضلال الجاهلية.

والحمد لله الذي هدى إلى هذا التوحيد ومن علينا ببعثة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الكريم -عليه الصلاة والسلام- حتى عرفنا الإخلاص وإلا الناس في جاهلية جهلاء، وفي ضلالة عمياء، والله أنقذ البشرية بدعوة هذا النبي الكريم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٤]، ثم يأتي أولئك الحثالة الذين في الدنمارك أخزاهم الله وقاتلهم أنى يؤفكون استهزاء به وسخرية به وما عرف القوم أو عرفوا أنه أفضل البشرية وأنه خير الناس صلوات الله وسلامه عليه.

يسأل عن مسألة يقول الآية ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ فكانت متعلقة لمن مات هو وضع إجابة خاطئة ثم اكتشف أن الإجابة صحيحة

كنت ذكرت عند إيراد هذه الآية في باب الخوف من الشرك آية النساء ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾، قلت هناك: إن هذا في حق من مات، يعني: من مات على ذلك لا يغفره الله، من مات على الشرك، أما الشرك وغيره في حق من تاب منه تاب الله عليه ولهذا جاء في سورة الزمر قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[الزمر: ٥٣]، أي بما فيها الشرك فآية الزمر في حق من تاب وآية النساء﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ هذه في حق من مات على ذلك فمن كتب في حق من مات إجابة صحيحة وجوابه صحيح ومن كتب أنه إجابة خاطئة فجوابه خاطيء.

يسأل في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ هل يؤخذ هذا أنه في مكان الغلبة أو موقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكون في موقف ضعف أو غلبة؟

نعم أخونا يسأل عن هذه الآية يقول ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ هل هذه الآية استفاد منها عدم الغلو فيه حتى يكون من فوائد الآية عدم الغلو والجواب نعم أن هذه الآية يستفاد منها عدم الغلو في النبي -عليه الصلاة والسلام- والا يرفع فوق قدره وسيمر معنا في هذا الكتاب المبارك أنواع من الأحاديث والأدلة المشتملة على التحذير من الغلو في النبي -صلى الله عليه وسلم- برفعه فوق قدره فهذه الآية من الدلائل على التحذير من الغلو في النبي الكريم صلواته الله وسلامه عليه.

هناك سؤال حين يتعلق بلعن معين ويقول إذا لعن المتبرجات فهل يلعنها باللفظ يقول لعنك الله، أو يقول لعن الله المتبرجات؟ جاءت السنة، سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- للتفريق في باب اللعن والتكثير بين التعميم والتعيين فيه فرق بين التعيين والتعميم التعيين هو أن يلعن المعين بعينه باسمه يقال: اللهم العن فلان بعينه يسمى باسمه ويلعن والتعميم أن يذكر الوصف مثل اللهم العن شارب الخمر، اللهم العن الواصلة، اللهم العن المتبرجة، اللهم العن النامصة والمتنمصة، ونحو ذلك السنة جاءت في التفريق بين التعميم والتفريق نأخذ مثالا من السنة في أمر اللعن تعلمون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لعن في الخمر كم؟ عشرة أولهم شارب الخمر لعن شارب الخمر هذا اللعن تعميم أو تعيين؟ تعميم هذا اللعن تعميم في قصة الرجل الذي كان يؤتى به وهو يشرب الخمر ويشرب فتكرر مجيئه فقال بعض الصحابة قالوا لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي وهو يشرب الخمر ماذا قال -عليه الصلاة والسلام- قال: لا تلعنوه لا تعينوا الشيطان على أخيكم إنه يحب الله ورسوله

اللعن يعني الدعاء عليه

اللعن دعاء عليه بالطرد فلاحظ هنا أن الفائدة ماذا؟ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعن بالتعميم ونهى هنا بالتعيين في أمر واحد وهو شرب الخمر فقال (لعن الله شارب الخمر) ولما لعنوا هذا المعين قال ماذا؟ قال: لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله فإذن هذه الأحاديث مثل (لعن الله النامصة) (لعن الله المتبرجة) هذه لعن بالتعميم فنقول كما قال -عليه الصلاة والسلام- لعن الله النامصة، لعن الله المتبرجة، لكن لو رأينا امرأة نامصة أمامنا والنمص على وجهها لا يجوز أن نقول لعنك الله أو أنت ملعونة أو لعنك الله يافلانة لا يمكن لأن هذا لعن بالتعيين واللعن بالتعيين لابد له من ضوابط ولابد له شروط وله موانع لابد أن تفقه فلا يخلط بين الأمرين ويجب أن نفرق بينما جاء التفريق فيه في سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-.

موضوع الدرس هو في براهين التوحيد من خلال القرآن الكريم وكنت في أثناء الدرس أشرت إلى إشارات لبعض البراهين في القرآن على التوحيد وبطلان الشرك، فأود من الإخوة أن يتأملوا كتاب الله -عز وجل- ويستخرجوا منه عشرة براهين في إبطال الشرك، وكل برهان يذكرون عليه دليلا من القرآن الكريم، وعرفنا من براهين بطلان الشرك أن من يدعى لا يخلق، ومن يدعى لا يملك نصرا، فأريد جمع عشرة براهين، وأن القرآن مليء بالبراهين القوية لإبطال الشرك فأنا أريد عشرة ولعل الإخوة يكفيهم هذا.

لدينا عشرة وقبلها عشرة سنستعرضها إن شاء الله جميع

يكفي إن شاء الله تعالى، ونسأل الله للجميع التوفيق والسداد والهداية والرشاد.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينـــا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

سبق معاشر الإخوة الكرام أن أخذنا في الدرس الماضي برهانا عظيما من براهين التوحيد ودليلا مباركا مـــن أدلته في قول الله –تبارك وتعالى-: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُـــمْ يُخْلَقُـــونَ ﴿١٩١﴾﴾[الأعـــراف: ١٩١] وعرفنا في ذلك الباب أن من براهين التوحيد العظيمة ودلائله المباركة أن غير الله –عز وجل– وجميع من يدعى ويعبد من دونه ولا يستطيع نصر نفسه ولا يستطيع نصر كذلك من يدعوه فإذن كيف يدعى؟ وكيف يعبد؟ وكيف تصرف له العبادة؟ وقد عرفنا أن أفضل عبادِ الله عبادةً لله وأكملهم طاعة له رسولنا –صلاة الله وسلامه عليـــه– ليس له من الأمر شيء، وليس له في العبادة أي أحقية، فالعبادة لله.

والمخلوق مهما علا قدره، ومهما شرفت منزلته، ومهما سمت مكانته، ومهما عظمت عبادته، ومهـــا عظـــم تقربه إلى الله يبقى عبدا لا يستحق من العبادة شيئًا، فالعبادة حق للرب الخالق المنعم المتفضل الذي أوجـــد هـــذه المخلوقات وخلق هذه الكائنات.

فالباب الماضي الذي سبق أن مر معنا فيه بيان أن المخلوق مهما عظم وعلا قدره في العبادة والذل والخضوع والطاعة لله –جل وعلا– فهو يبقى مخلوقا لا يستحق شيئا من العبادة، العبادة لله، وقد نزل علـــى رســـول الله –صلى الله عليه وسلم–: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨] فالأمر لله من قبل ومن بعد.

وهنا هذه الترجمة الجديدة التي هي موضوع درسنا هذا اليوم أيضا هي في برهان آخر من براهين التوحيـــد وتقريره، وبيان بطلان الشرك وفساده في ذكر ما يتعلق بالملائكة، ذلك الخلق العظيم العجيب الذي أعطاه الله من القوة والقدرة شيئا عظيما ومع ذلك تبقى العبادة حق لله لا يجوز أن تصرف لغيره كائنا من كان، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما.

الباب الماضي يتعلق بالنبي المرسل، وهذا الباب يتعلق بالملك المقرب، فلا تصح عبادة النبي المرسل من دون الله كما هو في الباب السابق، ولا تصح عبادة الملك المقرب كما في هذا الباب، وإذا بطلت عبادتهما من دون الله فعبادة غيرهما ممن هو دونهما في العبادة وفي القوة والقدرة من باب أولى، والآن نستمع إلى عنوان هذه الترجمة في بابنا الجديد ثم نعلق بعد ذلك بما ييسره –تبارك وتعالى– ويفتح به.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَـــالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[سبأ: ٢٣])

قال المصنف –رحمه الله تعالى-: (باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذه الآية جعلها المصنف –رحمه الله تعالى– عنوانا لهذه الترجمة التي هـــي معقـــودة لإبطال الشرك وبيان فساده، جعلها عنوانا للترجمة لأن فيها إبطالا وتقريرا لفساد عبادة الملائكة من دون الله).

والملائكة ذلك الخلق العظيم العجيب الذي أعطاه الله –عز وجل– من القدرة والقوة يبقى خلقا، ويبقى عبادا لله –عز وجل– لا يستحقون من العبادة أي شيء.

المصنف -رحمه الله تعالى- جعل هذه الآية عنوانا للترجمة؛ لأن فيها البرهان على بطلان عبادة الملائكة من دون الله، قد يقول قائل ما وجه دلالة الآية على بطلان عبادة الملائكة؟ ما وجه دلالة الآية؟ أو كيف يتم جعل هذه الآية مقررة بطلان عبادة الملائكة؟ ولكي يتضح لك هذا الأمر لابد أن تقرأ الآية التي قبلها، وهذه الآية جاءة في سورة سبأ، فتقرأ الآية التي قبلها حتى إذا تأملت الصلة بين الآيتين: هذه الآية التي هي عنوان الترجمة والتي قبلها تعرف أن السياق في بيان بطلان عبادة غير الله، الآية التي قبل هذه الآية ما هي؟ يقول الله -جل وعلا-: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[سبأ: ٢٢] السياق كله في تقرير إبطال عبادة من عبد من دون الله، ومن جملة هؤلاء الملائكة، وعليك هنا أن تنتبه أن قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ يدخل فيه الملائكة؛ لأن الملائكة عبد من دون الله ، وجد من عبدهم من دون الله، فالله يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ أي: الملائكة والأنبياء أو الأولياء أو أيا كان من المخلوقات: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ وكنت في مناسبة مضت ذكرت لكم أن هذه الآية قال عنها بعض أهل العلم: إنها قطعت شجرة الشرك من عروقها واجتثتها من أصولها بحيث لم يبقَ لمشرك متعلق، وفيها تقريرات تامة، وبيان وافٍ للتوحيد وإبطال الشرك قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ من هم؟ الملائكة حتى إذا فزع عن قلوبهم هم الملائكة الذين عبدوا من دون الله -تبارك وتعالى- فهنا إبطال لعبادتهم ببيان حالهم وضعفهم أمام الله سبحانه وتعالى يعني هؤلاء الذين عبدوا وصرفت لهم العبادة من دون الله ما شأنهم أمام الله عندما يتكلم الله بالوحي؟ ما هي حالهم؟ قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عن قلوبهم وسيأتي إن شاء الله تعالى معنا في الأحاديث التي ساقها المصنف للترجمة بيان ضعف الملائكة وشدة خوفها وخشيتها من الله -تبارك وتعالى- بحيث أنها إذا تكلم الله -عز وجل- بالوحي خرت صاعقة. هكذا تصعق الملائكة ويغشى عليها إذا تكلم الله بالوحي فهذا شأنهم، شأنهم أنهم عباد مكرمون، عباد مطيعون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، عباد ينفذون أوامر الله عباد يخشون الله -سبحانه وتعالى- ويخرون صاعقين عندما يتكلم الله بالوحي خضعانا لقوله -سبحانه وتعالى- فهذا شأنهم إذن السياق هنا في بيان ضعف الملائكة أمام الله مع قوة الملائكة وما أعطاهم الله -عز وجل- مع القدرة والقوة وكبر الأجسام كل ذلك ليس مخولا ولا مسوغا ولا مبررا لأن يعبدوا من دون الله -سبحانه وتعالى- هنا نقف وقفة يسيرة جدا لنعرف من هم الملائكة؟

الملائكة خلق من خلق الله -سبحانه وتعالى- خلقهم الله من نور كما جاء في صحيح مسلم: (وخلقت الملائكة من نور، وخلقت الجن من مارج من نار، وخلق ابن آدم مما وصف لكم) أي: من تراب فالملائكة خلقت من نور، وهي مخلوقات لها أجسام عظيمة، أجسام لطيفة نورانية، مخلوقة من نور وأعطاهم الله -عز وجل- قدرات في القرآن قال: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[مريم: ١٧] وجاء جبريل على صورة أعرابي إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- أيضا أعطاهم الله -عز وجل- من كبر الجسم شيئا عجيبا.

جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[التكوير: ٢٣] قال إنما ذلك جبريل تقول عائشة -رضي الله عنها- قال: إنما ذلكم جبريل رأيته مهبطا من السماء وقد سد عظم خلقه الأفق.

وجاء أيضا في حديث آخر أن النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول (رأيت جبريل وقد سد الأفق، وله ستمائة جناح) فهذا كبر جسمه بل أيضا فيما جاء في الأحاديث مما يدل على كبر خلق الملائكة وعظم خلق الملائكة ما جاء في سنن أبي داود بسند ثابت من حديث جابر بن عبد الله يقول -عليه الصلاة والسلام- يقول: (أذن لي أن أحدثكم عن أحد الملائكة ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه تخفق فيه الطير سبعمائة سنة) هل فهمتم هذا الحديث؟ ما بين شحمة أذنه أذنه إلى عاتقه كما لو أن طيرا طار من عاتق الملك يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران حتى يصل إلى شحمة أذنه هذا يدل على ماذا؟ يدل على كبر أجسام الملائكة، وكبر خلقها، وعظمم خلقها، والنبي -صلى الله

عليه وسلم- قال (وقد سد عظم خلقه الأفق) يعني: خلق عظيم جدا، وأيضا قوة، أعطاهم الله قوة منهم من هو موكول بالجبال، ومنعهم من هو موكول بالقطر، ومنهم موكول بقبض الأرواح.

أعطاهم قدرات وقوة ففي أجسامهم ضخامة وعندهم قوة أعطاهم الله إياها هل هذه مخول للعبادة هل هذه مسوغ لأن يعبدوا الملائكة أن تعبد؟ لا، حاشا وكلا؛ بل عبادتهم من دون الله باطلة.

إذًا السياق إبطال عبادة من عبد الملائكة من دون الله فالله يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ إلى أن قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: هؤلاء الذين عبدهم مَن عبدهم من دون الله وصرف لهم العبادة وطلب منهم الدعاء والتجأ إليهم حالهم ما هو؟ ما هو حالهم؟ حالهم أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي خروا صاعقين خضعانا لله، كلهم يخرون صاعقين خاشعين يغشى عليهم إذا تكلم الله بالوحي، فهل من كان هذا شأنه يستحق أن تصرف له العبادة أو يدعى وأن يسأل أو يلتجأ إليه؟ حاشا وكلا؛ ولهذا انتبه معي حتى تتم لك الفائدة، وانظر تقرير القرآن وحسن بيانه.

الآن في أي سورة هذه الآية؟ في سورة سبأ لو استمررت في القراءة بعد هذه الآية تقريبا بعشر آيات أو أزيَد بقليل يأتيك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾[سبأ: ٤٠: ٤١] يتبرءون ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ يعني: من عبد الملائكة فهو في الحقيقة عبد الجن، الملائكة لا ترضى بذلك، الملائكة عباد لله ولا يمكن أن يرضوا بذلك فيتبرءون من هؤلاء ويقولون: بل كانوا يعبدون الجن، ما معنى ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾؟ لأن الجن الشياطين دعتهم إلى عبادة الملائكة فأطاعوهم فهم عبيد للجن ولهذا فإبراهيم قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾[مريم: ٤٤] لأنه إذا أطعته فيما يدعوك من عبادة غير الله صرت عبدا له مطيعا له.

تأمل هنا أيضا ما جاء في سورة الأنبياء في الموضوع نفسه ماذا قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ يصف حال المشركين الذين عبدوا الملائكة من دون الله قالوا: الملائكة أولاد الله، أو بنات الله، وعبدوهم اعتقدوا فيهم أنهم بنات الله وعبدوهم مع الله -سبحانه وتعالى- فانظر إبطال هذه العقيدة وهذه العبادة الفاسدة في تمام السياق ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي الملائكة ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ﴾،هذا افتراض تنزلي للبيان، لو افترض أن أحد الملائكة قال: أنا إله من دون الله ماذا يكون؟ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ هذا أظلم الظلم وأشنعه أن يدعي بشر أو يدعي مخلوق من مخلوقات الله أنه معبود وأنه يستحق العبادة ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

فإذن العبادة لا أحقية لأحد فيها مهما كان، مهما عظمت عبادته، الملائكة وصفهم الله بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يسبقونه بالقول وهم من خشية الله مشفقون، وصفهم بصفات عظيمة جدا ووصف بعضهم بصفات أيضا ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ١٩: ٢٠] جبريل مع ذلك لا يستحق العبادة حق لله -سبحانه وتعالى- لا الملائكة تستحق أن تعبد ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا أي مخلوق أيا كان مهما علا قدره ومهما سمت مكانته، العبادة حق للرب العظيم والخالق الجليل والكل عباد لله والعبد لا يعبد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[مريم: ٩٣] العبد لا يُعبد، الذي يُعبد الرب، الذي يلتجأ إليه ويدعى ويسأل ويخضع له ويتزلل ويتوكل عليه ويرجى ويطلب منه الرب، أما الملائكة الأنبياء أيا كان لا يستحق من العبادة أي شيء، العبادة حق للرب سبحانه وتعالى.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وفي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفضهم ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحتها ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الصاحب أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء))

هذا الحديث الذي ساقه المصنف هنا وكذلك الأحاديث التي بعده هي قد ساقها -رحمه الله تعالى- ليبين الآية، وهذا من التفسير للقرآن بالمأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذه الآيات شارحة ومبينة ومفسرة لهذه الآية من سورة سبأ.

فإذا قرأت هذا الحديث والأحاديث التي بعده اتضح لك المعنى، اتضح لك معنى الآية وتبين لك حال الملائكة، والذي قصده المصنف -رحمه الله تعالى- بهذه الترجمة هو بيان ضعفهم وبيان عجزهم أمام الله -سبحانه وتعالى- وخضوعهم وتذللهم وانكسارهم وخوفهم وخشيتهم من الله -جل وعلا- مما يدل على أنهم عباد، والعبد لا يستحق أن يعبد؛ بل العبادة للرب المعبود والخالق الجليل -سبحانه وتعالى- جاء في الحديث هنا ذكر حال الملائكة إذا تكلم الله بالوحي، وهذا يبين لنا معنى الآية إذا تكلم الله وإذا قضى الله بالأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، ضربت الملائكة بأجنحتها وهذا فيه إثبات أجنحة للملائكة كما في القرآن الكريم ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[فاطر: ١] ومر معنا في الحديث قبل قليل أن جبريل له ستمائة جناح فضربت بأجنحتها خضعانا لقوله، أي: خاضعة متذللة من خشية الله وخوفا من الله -سبحانه وتعالى- خضعانا لقوله، وهذا هو الشاهد للترجمة أن الملائكة تخضع ويغشى عليها وتصعق عندما يتكلم الله -سبحانه وتعالى- بالوحي.

فإذًا هي مخلوقة ضعيفة أمام قدرة الله، عاجزة أمام قوة الله، والأمر لله -سبحانه وتعالى- من قبل ومن بعد، وشأنها أن الله إذا تكلم بالوحي صعقت، ثم إذا فزع عن قلوبهم يعني: زال هذا الفزع الذي هو الخوف قالوا: ماذا قال ربكم؟ يسألون جبريل ماذا قال الله؟ فيقول قال: من الوحي كذا وكذا يخبرهم، ثم يخبر أهلُ كل سماءٍ سماءً إلى آخر الحديث.

ما معنى يا شيخ: أول ما يبدأ الوحي يصعقون. لا يسمعون؟

لا يسمعون، ولهذا لما يفيقوا يسألون ماذا قال الله؟ لأنهم ما سمعوا وهذا يبين حالهم وضعفهم وخوفهم وخشيتهم من الله -سبحانه وتعالى- يمكن الآن أن نأخذ الحديث جملة من جملة ونوضح شيئا من المعاني.

قال المصنف (في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله))

إذا قضى الله الأمر في السماء هذا يوضحه الحديث الآتي، يعني: إذا تكلم الله بالوحي ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، أي: خاضعين لله -تبارك وتعالى- وهذا من كمال خضوعهم وذلهم وخوفهم من الله -جل وعلا- يكون منها هذا الحال.

(كأنه سلسلة على صفوان ينفضهم ذلك)

(كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك) يعني ينفذهم هذا الصوت وينفضهم أي يصل إليهم هذا الصوت.

((حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم))

قالوا ماذا قال ربكم؟ يعني: حتى إذا زال هذا الفزع وهذا الخوف وأفاقوا من الغشي والصعق أو الصعق الذي حصل لهم يسألون: ماذا قال ربكم؟ أي يسألون جبريل كما وضح ذلك بعض الروايات يسألونه يقولون: ماذا قال الله؟ فيخبرهم جبريل قال: الحق، قال: الله من الوحي كذا وكذا، يخبرهم جبريل –عليه السلام– .

((قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا))

يسمعها مسترق السمع لأن الملائكة في السماوات، ولكل سماء أهلها من الملائكة فيسألون جبريل، ولا يصل إلى أهل السماء إلا سألوه فيدور هذا الخبر بينهم فمسترق السمع –أي من الجن– يرقى بعضهم فوق بعض، وهذه مهمة شاقة ومخاطرة وفيها موت وهلاك، مهمة شاقة جدا لكن يضحون بالموت ويتعرضون لهذه المخاطرة في سبيل أنهم يكسبون إغواء عدد من بني آدم.

تلاحظ هذه المهمة وهذه المخاطرة العظيمة من أجل ماذا يفعل الجن؟ يرقى بعضهم فوق بعض، يعني: يصعد بعضهم فوق بعض، وجاء في صحيح البخاري أن الملائكة تنزل على العنان هو السحاب، وتتحدث بالأمر مما قضي في السماء فتسترقه الجن، فعلى كل حال يصعد بعضهم فوق بعض من أجل هذه المهمة التي القصد منها والغاية إغواء بني آدم.

((فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضهم فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه))

سفيان هو ابن عيينة أحد رواة هذا الحديث وأحد رجال إسناده، فلما جاء إلى هذه الجملة من باب التوضيح بين ذلك، يقول: فحرفها، يعني: يده، وبدد بين أصابعه فحرفها يعني يده أمالها بهذه الطريقة وبدد بين أصابعه يعني فرق بين أصابعه، يصف كيفية صفة صعود هؤلاء، يعني أن بعضهم يرقى فوق بعض.

((فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته))

فيسمع الكلمة، أي: الجن الفوقاني، أعلى واحد يصعدون بعضهم فوق بعض، فالجن الذي هو أعلى واحد في هؤلاء يسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ومن تحته يلقيها إلى من تحته وهكذا.

((فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الصاحب أو الكاهن))

كل المخاطرة هذه المقصود منها أن تصل هذه الكلمة إلى الكاهن لماذا؟ حتى يصدقه الناس بكل ما يقول، والناس ينطلي عليهم أو كثير من الناس ينطلي عليهم. مرة واحدة يصدق الكاهن ويأتي بخبر ويكون مطابقا ينسيهم كل كذباته ويصبح الناس لا يزالون يتذكرون المرة الواحدة التي صدق فيها وينسون العشرات والمئات من الأكاذيب التي يقولها، ولا يزال الناس يقولون: ألم يقل يوم كذا وكذا من الكلام كذا وكذا وكان صدقا وواقعا؟ فيتذكر الناس هذه المرة الواحدة التي صدق فيها وينسون كذباته التي لا حد لها.

((فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيه))

لاحظ الآن هو يخاطر ويصعد ويتعرض للموت والضرب بالشهاب الحارق الذي يحرقهم ويهلكهم وهو ربما يحصل على هذه الكلمة وربما لا يحصل عليها، يعني: هو يخاطر وهو يعرف أنه قد يحصل وقد لا يحصل على هذه الكلمة ومع ذلك يخاطر، وكانت الجن حتى قبل الإسلام، يعني: كان معروفا وكان المشركون يظنون أنهم إذا رأو هذا الشهاب أنه يكون لموت أحد أو لأشياء من هذا القبيل، فجاء الإسلام وبين للناس أن هذه الشهب ترجم بها الشياطين التي تصعد لهذه المهمة التي هي مهمة إفساد وإغواء وإضلال للناس، وكانت هذه الشهب بكثرة، ولكن زاد بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- حراسة السماء بالشهب وضرب الشياطين بها الذين يصعدون ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾[الصافات: ٦: ١٠]

((وربما ألقاها قبل أن يدركه))

وربما قد يحصل هذا وقد يحصل هذا، قد يلقي الكلمة قبل أن يدرك، يعني: الجن الفوقاني يلقي الكلمة لمن تحته قبل أن يدرك أشياء وتتسلسل من واحد إلى آخر يتناقلون بسرعة حتى يوصلها الأسفل منهم إلى من الكاهن، ووكلهم أهل سفول وضعة.

((فيكذب معها مائة كذبة))

فيكذب معها أي الكاهن أو تعطى له أيضا جاهزة مخلوطة بكذبات أو هو يكذب فيكذب معها مائة كذبة، يعني: صدق واحد ومائة كذبة، لكن انظر إلى التأثير في الناس ما شأنه.

((فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟))

يعني الناس هذا شأنهم لما يقال لهم: كيف تصدقونه وهو كذاب، وهو عرف عنه الكذب؟ يتبادر للأذهان هذه الواحدة أليس قال لنا يوم كذا كذا وكذا وصار فعلا كما أخبر؟ فيعتمدون الصدق الذي هو واحدة والكذبات التي هي بالناس ينسونها وهذا يعطينا فائدة حقيقية ينبغي أن ننتبه لها أن كثيرا من الناس إذا خلط لهم الباطل بقليل من الحق قبلوا الباطل، كثير من الناس إذا خلط لهم الباطل بقليل من حق قبلوه، وإذا أعطوا الباطل بصورة حق أو قدم لهم الحق على طبق من ذهب أو بعرض مزخرف؛ ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾[البقرة٤٢] لبس الحق بالباطل -يعني خلطه بالباطل- يفضي إلى أن كثير من الناس ينطلي عليه ويقبله فلاحظ هنا صدق واحد ومائة كذبة كيف أثرت.

((فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء))

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وعن النواس بن سمعان -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إذا أراد الله تعالى أي يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله -عز وجل- فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثلما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله -عز وجل-))

ثم أورد المصنف هذا الحديث وهو كذلك في بيان الآية وتوضيح مدلولها ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فيقول -عليه الصلاة والسلام-: (إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة أو رعدة شديدة خوفا من الله).

لاحظ هنا الآن أمرًا آخر إضافة إلى ما يتعلق بالملائكة أنه عندما يتكلم الله بالوحي السماء تأخذها رعدة، وجاء في شك الراوي أو رجفة، مِن ماذا؟ قال: خوفا فترتجف وترتعد خوفا من الله إذا تكلم بالوحي والله -عز وجل- أخبر عن السماء بهذا في القرآن الكريم وأخبر عنها بأمور أخرى قال -عز وجل-: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[مريم: ٩٠] وقال -عز وجل-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤] وقال -عز وجل-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[الحشر: ٢١] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[البقرة: ٧٤] فالله -عز وجل- جعل فيها من الإحساس ما تكون به هذه الرعدة وهذا الخوف والخشية عندما يتكلم الله تعالى بالوحي.

هذا فيما يتعلق بالسماء أما ثم فيما يتعلق بالملائكة قال:

(ثم إذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجد)

ثم إذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا، يعني: يصابون بصعق فيصعقون عن آخرهم لا يبقى منهم أحد، كلهم يصعقون عندما يتكلم الله بالوحي ولا يسمعون ماذا قال ولهذا يحتاجون إلى السؤال، ويكون أول من يفيق منهم جبريل، وجبريل هو المختص بإبلاغ الوحي فيكون هو أول من يفيق فيسألونه، لماذا يسألونه؟ لأنهم صعقوا ما سمعوا ماذا قال الله.

(فيكلمه الله من وحيه بما أراد)

يكلمه أي الله يكلم جبريل لأنه أول من يفيق فيكلم الله من وحيه بما أراد ثم ينزل جبريل فيسأله أهل كل سماء ماذا قال الله؟ فيقول: قال الحق. جاء في بعض الروايات أي قال من الوحي كذا وكذا يخبرهم وكلهم يقول قال الحق وهو العلي الكبير وهذا هو معنى الآية فالحديث مفسر للآية ومبين لمدلولها ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي زال الفزع عن قلوبهم ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

فيما يتعلق بالفهم العام لهذا الباب هل نستفيد أن الملائكة خلق يعتريهم من الضعف ومن الغشيان ما ذكر في الحديث وبالتالي فإن عبادة العرب لهذه الملائكة هي باطلة من هذه الزاوية

نعم الآن المؤلف -رحمه الله تعالى- ساق هذه الترجمة لغرض ما هو إبطال الشرك وبيان أن الشرك باطل ولا يستحقه أحد كائنا من كان، بدليل ماذا؟ بدليل أن الملائكة هذا الخلق العظيم بالأجسام الضخمة والخلق العظيم والقدرة العظيمة التي أعطاهم الله إياها هذا شأنهم أمام خالقهم، أمام المستحق للعبادة -سبحانه وتعالى- فهذا يدل على بطلان عبادة الملائكة، ويدل على وجوب إفراد الله بالعبادة لماذا؟ لأنه إذا كان هذا حال الملائكة أمام الله فهذا يدل على كماله -جل وعلا- ويدل على قوته وعلى قدرته وعلى عظمته وعلى كبريائه وعلى علوه ولهذا ختم الآية بقوله ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ علوه على خلقه وأنه لا شيء أكبر منه وأنه على كل شيء قدير -سبحانه وتعالى- وأنه بيده أزمة الأمور، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به، وعلى كمال غناه وكمال قدرته فهو الذي يستحق -سبحانه وتعالى- أن يُعبد وأن تصرف له العبادة فهذا السياق المبارك في تقرير التوحيد وفي بطلان الشرك وهنا إذا عرفنا من خلال هذه الترجمة أن الملائكة عبادتها باطلة مع ما جاء في النصوص من فضلهم ومكانتهم وكمال عبادتهم وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأيضا قوة أو عظم ما أعطاهم من الأجسام والقوة والقدرة وكل هذه ليست مخولات ولا مسوغات لأن يعبدوا وإن عبدوا فعبادتهم باطلة.

كان السؤال اذكر عشرة آيات لنصرة الله -سبحانه وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم- ؟

أجابت عن السؤال الأول تقول: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾[النمل: ٨٠] وذكرت أيضا من الآيات ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴿١٤﴾﴾[الرعد:١٤]

أنا أظن أن الآيات متعلقة ربما بالدعاء الثاني بطلان دعاء غير الله، إذن هذه الإجابة كانت متعلقة بذكر عشرة آيات في بطلان دعاء غير الله وذكرت في إجابتها بعض الآيات عن هذ الأمر.

إجابة السؤال الثاني: نصرة الله لنبيه قوله تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[النساء: ١٤٠].

هذه عقوبة المستزئين.

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المدثر: ٤٢: ٤٦].

هذا فيه عقوبتهم أنهم إلى سقر وهي النار.

أجابت من الآيات التي فيها نصرة الله لنبيه قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾[الزخرف: ٦: ٨] وقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥: ٦٦].

كذلك أجابت عما يتعلق ببطلان دعاء غير الله ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠]

أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام: ٧١]

كذلك أجابت عن السؤال الأول فيما يتعلق ببطلان دعاء غير الله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأحقاف: ٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾[العنكبوت: ١٧]

وأما ما يتعلق بنصرة الله لنبيه فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾[الحجر: ٩٥] وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾[البقرة: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾[التوبة: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[التوبة: ٦١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾[المجادلة: ٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾[الأحزاب: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[الكوثر: ٣] تسع آيات.

يعني هذه إجابتها ما شاء الله.

هي ذكرت تسع العاشرة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾[غافر: ٥١] في القرآن آيات كثيرة يعني في هذا المعنى، لكن إجابتها مسددة وطيبة.

عندي سؤالين: السؤال الأول بالنسبة لتعريف العبادة هي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال منها برالوالدين وإكرام الجار والإحسان إلى الضيف وغيرها، الآن لو أحسن الإنسان إلى الضيف أو أكرم الضيف وأحسن إلى الجار وبر الوالدين بنية التقرب إلى الضيف أو التقرب إلى الجار وهكذا هل يعتبر هذا من الشرك الذي لا يغفره الله ولم يكن في خاطره وقتها أنها عبادة.

التقرب لأجل مصالح معينة حتى يحصل عليها أم ما الهدف

أكرم ضيفه حتى يحبه ضيفه ويتحبب إليه وليس لمصحلة، أو أتقن عمله مثلا لأجل أن يحبه رئيسه في العمل ويرقيه ويعطيه درجة أعلى وغير ذلك؟

السؤال الثاني: بالنسبة للملائكة بعدما يفيقوا ويعلموا الأمر هل يعتبر هذا علم غيب أم علم شهادة؟

الجواب : كان السؤال اذكر عشرة براهين على بطلان اتخاذ الشركاء من دون الله –سبحانه وتعالى– تقول: قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾[الأعراف: ١٩٧] وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[يونس: ١٨].

وأيضا ننتقي آية أخرى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[العنكبوت: ١٧].

هذه سورة العنكبوت، ومن باب التنبيه فهذه الآية والآيات التي بعدها في سياق محاجة إبراهيم لقومه –عليه السلام– وإبطال ما هم عليه لغير الله فمن يتأمل هذا السياق يجد حقيقة حججا كثيرة في هذا السياق المبارك من سورة العنكبوت في إبطال الشرك.

يقول: من الآيات قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَّخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النحل: ١٧] ويوجد تعليق على الآية: فمن يدعى من دون الله غير قادر على بدء الخلق فهو غير مستحق للعبادة، هكذا قرأتها.

كذلك من الآيات ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾[الأحقاف: ٥: ٦].

أجابت: قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴿١٤﴾﴾[الرعد: ١٤]

نذكر أحد إجاباته البرهان الثالث عدم القدرة على دفع الضر الدليل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾[الفرقان: ٣].

أريد أن أسأل سؤالا: في الدرس الماضي يتكلم عن أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق على أساس أن يقولها الإنسان في الصباح هل هي من الشرط الصباح والمساء أم صباح ومساء

البرهان الأول: لا يملك الخلق لا يحق له أن يدعى أو يعبد.

البرهان الثاني: المخلوق لا يعبد لأنه ليس بخالق.

البرهان الثالث: عدم القدرة على دفع الضر.

البرهان الرابع: عدم القدرة على جلب النفع.

البرهان الخامس: عدم القدرة على الإماتة.

البرهان السادس: عدم القدرة على الإحياء.

البرهان السابع: عدم القدرة على النشور.

ويقول هنا فاجتمع في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا ﴿٣﴾﴾[الفرقان: ٣] سبعة براهين.

السبعة التي عدها كلها.

الثامن والتاسع والعاشرة والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر يعني ذكر بعدها براهين، تريد أن نكلمها يا شيخ؟ نكمل ثلاثا حتى نكمل العشر، فهو أوصلها إلى خمسة عشر.

ولكن لأجل أنك قلت عشرة: البرهان الثامن: عدم القدرة على الزرق، البرهان التاسع: عدم القدرة على دفع رحمة الله

أذكر أن أحد الأساتذة كان يقول لنا: إذا كتبتم في الاختبارات زيادة على المطلوب يكون مثل النقل يخصم عليك.

هذا كله لأجل حرص الطالب واجتهاده

لكن زيادة أخينا هذه في الحقيقة له منا مزيد الدعاء بالتوفيق والسداد وشكر الله له.

سؤالي: شخص والده يدعو قبرا من خارج هذه البلد يسألني ويقول يوجد علماء يقولون إنه يعذر بجهله، فإذا أنكرت عليه وأقمت الحجة أشرك وكفر، فيقول أنا بين مفسدتين: أن أنكر على والدي وأقيم الحجة ويكفر، أم أتركه ويعذر بجهله؟

الأخ سأل قال: تعريف العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فيقول: إذا أحسن إلى الضيف أو أحسن إلى أحد زملائه في العمل لأجل أن يحب هذه الشخص ويريد أن يتقرب إليه هكذا يقول: هل في هذا شرك؟

سؤال الأخ هو إشكال في فهمه لمعنى العبادة ورد على ذهنه؛ ولهذا التبس عليه الأمر في هذا الباب لكن جواب هذا السؤال أجيب الأخ عليه على ضوء آية كريمة عظيمة أدعو أخي الكريم إلى أن يتأملها وأيضا جميع الإخوة المستمعين وهي ستمر معنا إن شاء الله في هذا الكتاب في باب لاحق بإذن الله -عز وجل- وهي قول الله

-تبارك وتعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[هود: ١٥] هذه الآية ذكر المفسرون من السلف تحتها أنواعا كثيرة تدخل في مفهوم هذه الآية ومعناها ومدلولها ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- في معنى هذه الآية أنه قال: من كان يريد الحياة الدنيا أي يريد ثوابها، أي ثواب عمله الصالح في الحياة الدنيا، ومن صور ذلك الأمثلة التي ذكرها الأخ في سؤاله، يعني: من كان يبر والديه أو كان مثلا يصل رحمه أو مثلا كان يتصدق أو يتعامل بالأخلاق الكريمة وهو لا يريد ثواب الآخرة وإنما يريد الدنيا فماذا يحدث قال ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ يعني في الدنيا ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ فيعطى ثوابه معجلا على أن عدد من السلف قالوا: إن هذه الآية قيدتها آية الإسراء وهي قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[الإسراء: ١٨] يعني من كان يريد الدنيا يعطي الله -عز وجل- من شاء ما أراد، الأمر بيده سبحانه وتعالى.

فالشاهد أن من بر والديه ووصل رحمه وتصدق وقام بغير ذلك من الأعمال الصالحة وهو لاهم له في الآخرة وهو لا يريد ثواب الآخرة وإنما يريد ثواب الدنيا فهو يعطى ثواب ذلك في الدنيا مثل أن يوسع له في المال أو مثلا في أمور أخرى يريدها تحصل له ولكنه يوم القيامة ليس له نصيب، النصيب في الآخرة لمن؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[الإسراء: ١٩] والموضوع له تفاصيل لكن الوقت ما يسمح.

يسأل يقول: الملائكة بعدما يفيقوا من الغشيان الذي يحصل لهم هل العلم الذي يأخذوه يكون علم غيب أم علم شهادة؟

هو علم مغيب وأطلعهم الله عليه، كما قال الله -عز وجل-: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[الجن: ٢٦: ٢٧] فالله -عز وجل- عالم الغيب والأمر المغيب يحسن معرفته بأمور من ضمنها الوحي وكلام الله -عز وجل- به، الأمور الآتية في المستقبل هي أمور مغيبة لا تعلمها الملائكة ولا يعلمها أحد لكن إذا تكلم الله بالأمر وأخبر به جبريل وجبريل أخبر به بقية الملائكة علموا بإعلام الله -سبحانه وتعالى- لهم وإطلاعه لهم عليه.

الأخ متابع لحلقات الدروس يقول: في درس ماضٍ ما يتعلق بدعاء: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. هل هو يختص بالصباح أم بالمساء أم في كليهما؟

لفظ الحديث جاء في الصباح أو جاء في المساء، يعني: جاء في أحدهما دون الآخر، لكن بعض أهل العلم قال: طلب الحفظ وأنه لا يضره شيء أمر يحتاج إليه العبد في صباحه ومسائه فيقولها في أذكار الصباح ويقولها كذلك في أذكار المساء لكن لفظ الحديث جاء في أحد الوقتين، قال إذا أمسى أعوذ بكلمات الله التامات ثلاث مرات لم يضره شيء حتى يصبح، فلفظ الحديث جاء في أحد الوقتين وأظنه المساء لكن بعض أهل العلم قالوا: إن هذا المعنى الذي هو أن يحفظ حتى يصبح أيضا مطلوب في الصباح حتى يمسي فلا بأس أن يقوله في الصباح والمساء.

يقول: يعرف شخصا يدعو القبر، وقال إذا أنكرت عليه أخشى أن يقع في الكفر، أم إذا تركته بعذره فهو جاهل؟

على كل حال هذ الفهم فهم عجيب وغريب، وأول مرة يمر عليَّ مثل هذا الفهم السقيم الذي هو في الحقيقة تعطيل للدعوة ومهمة الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- وهذا من الشيطان -والعياذ بالله- وواضح كلامه أنه ينقل عن شخص لكن هذا الشخص حقيقة أساء في فهمه وأساء في هذا الأمر؛ لأن هذا الأمر يعني تعطيل الدعوة والأنبياء بعثوا لإقامة الحجة وإزالة الشبهة وإبانة السبيل فكيف تعطل الدعوة وتعطل النصيحة للناس في إقامة

الحجة على عباد الله بمثل هذا الكلام الذي هو حقيقة من الشيطان ومن وحي الشيطان ونتيجته تعطيل الدعوة وتعطيل بيان الدين بحجة أنه لا يريد أن يقيم الحجة عليه.

فعلى كل حال هذا الكلام باطل وكلام غير صحيح والواجب أن ينصح لقريبه وينصحب لغيره إذا وجده على الشرك وعلى عبادة القبور وعلى صرف العبادة لغير الله يجب عليه أن يبين دين الله -تبارك وتعالى- وهذه هي مهمة الرسل التي هي أهم وأشرف وأنبل وظيفة على الإطلاق كما قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[النحل: ٣٦].

ما هو الذي كأنه سلسلة على صفوان؟ يعني في لفظ الحديث هل هو كلام الله بالوحي أو هو صوت أجنحة الملائكة؟

جاء أن الملائكة يسمعون هذا الصوت، صوت سلسلة على صفوان، ينفضهم هذا الصوت، وقد عرفنا أنهم لم يسمعوا الوحي نفسه كلام الله؛ لأنهم لو سمعوا الكلام نفسه لما احتاجوا للسؤال فقد جاء في بعض الروايات (سمعوا للسماء) وعلى كل حال الله أعلم بذلك، وهو صوت تسمعه الملائكة كأنه سلسلة على صفوان وهذا التشبيه هنا كسلسلة هو تشبيه للمسموع بالمسموع لا للصوت بالصوت، يعني هذا تشبيه للمسموع بالمسموع، المسموع الذي بلغ أسماعهم هو صوت كسلسلة على صفوان هذا الذي بلغ أسماعهم وسمعوه من الصوت هو صوت كصوت السلسلة عندما تجار على الصفوان يعني الحجر الأملس فالتشبيه هنا للمسوع وليس تشبيها للصوت بالصوت وجاء في بعض الروايات للحديث أنهم يسمعون للسماء.

تقول: هل الجن يستطيعون أن يذكروا الأسماء الصحيحة؟

ما هي الأسماء الصحيحة؟

ربما تقصد حينما يدخل عند الساحر يذكر له اسم

هذه مسألة كنا مرة أشرنا إليها أظن أننا أشرنا إليها في مناسبة ماضية، لكن الجن يمكن أن يذكر للساحر الأسماء الصحيحة بوصف القرين؛ لأن الإنسان له قرين ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[الزخرف: ٣٦] فإذا وصل الإنسان عند الساحر وجاء من بلد بعيد ووصل إلى الساحر بدأ الساحر يحدثه بأمور عنه يقول له: أنت من بلد كذا، يقول: نعم، في حي كذا، يقول: نعم، أمك اسمها كذا، نعم، جارك فلان اسمه كذا، نعم، الذي أوصلك المطار فلان، نعم، فهذه الأمور يذكرها له في المقدمة حتى يقبل منه فيما بعد كل ما يقول ويتعجب بعض الناس يقول: كيف عرف هذه الأشياء؟ هي بواسطة القرين واستخدام الشياطين وعبادة الساحر للشيطان فيتعاون معه بمثل هذه الأشياء، والواجب عدم تصديقهم وسيأتي عندنا باب لاحق عند المصنف أورد فيه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) لأنه فيما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يعلم الغيب إلا الله فمن ادعى في الكهان والعرافين أنهم يعلمون الغيب فهذا كافر بالقرآن الذي أنزل على محمد -عليه الصلاة والسلام-.

نطرح السؤالين:

السؤال الأول: نريد من الإخوة عشر صفات للملائكة وكل صفة عليها دليل من الكتاب والسنة. عشر صفات من صفات الملائكة وكل صفة يذكر عليها دليلها من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- سواء الصفات الخِلقية أو الخُلقية من صفات الملائكة؟

والسؤال الثاني: أريد جمع الآيات من القرآن -وقد أشرت إلى واحدة- في تبرؤ الملائكة ممن يعبدهم، وذكرت آية من سورة سبأ وهي قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُـــدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ فأريد جمع الآيات التـــي في القرآن تتعلق بتبرؤ الملائكة ممن كان يعبدهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

معاشر الإخوة الكرام مر معنا في دروسنا الماضية أبوابا عقدها المصنف –رحمه الله تعالى– لإبطال الشرك وبيان وهاء ما يتعلق به منه يشرك بالله –سبحانه وتعالى– وأما الحجة في كتاب الله فقائمة على وضوح التوحيد وصفائه ونقائه وبطلان الشرك وفساده، وقد تنوعت الدلائل والبراهين في كتاب الله –عز وجـــل– فـــي تقريـــر التوحيد وإبطال الشرك وكان أن مر معنا في درسونا الماضية أبوابا لهذا الشأن في تقريـــر التوحيـــد وإبطـــال الشرك، ثم إن المصنف –رحمه الله تعالى– لما أنهى تلك الأبواب وما اشتملت عليه من تقرير وبيان وإيـــضاح لبطلان الشرك عقد ترجمة جديدة هي موضوع درسنا هذا اليوم عن الشفاعة، باب الشفاعة وماجاء في الـــشفاعة لأن المصنف –رحمه الله تعالى– قصد تقرير القول الحق في الشفاعة ومفهومها وبيان الفرق بين ما أثبت منهـــا في القرآن والسنة وما نفي، وأراد في الوقت نفسه أن يرد على من يقع في الشرك متعللا بالشفاعة أراد أن يـــرد على من يقع في الشرك متعلقا بالشفاعة وهذا كثيرا ما يقع في قديم الزمان وحديثه تمارس أعمال شركية وأفعال فيها تنديد واتخاذ الأنداد ويسمى هذا العمل شفاعة ومن المتقرر عند أهل العلم أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، إذا أعطي الشيء غير اسمه لا تتغير حقيقته بتغيير اسمه، على سبيل المثال عندما يسمى الخمر مشروبا روحيـــا أو تسمى الرشوة إكرامية أو يسمى الربا فوائد أو يسمى الشرك شفاعة فهذا لا يغير الحقيقة ولهذا فالمـــصنف –رحمه الله تعالى– لما وجد في قديم الزمان وحديثه من يمارس الشرك تحت مسمى الشفاعة عقد رحمة الله عليـــه هذا الترجة ليبين الحق في ذلك وليرد أيضا على من يفعل الأفعال الشركية ويسميها شفاعة أو تـــشفعا أو طلبـــا للشفاعة وكل ذلك سيتضح لنا ويستبين عندما نقرأ الترجمة وما أورد المصنف –رحمه الله تعالى– تحتهـــا مـــن أدلة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (باب الشفاعة وقول الله –عز وجل– ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْـــشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾[الأنعام: ٥١] وقوله ﴿قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٤٤])

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب الشفاعة) يعني هذا معقود لبيان الشفاعة، والشفاعة يأتي ذكرها في القرآن كثيرا تذكر تارة في مقام إثباتها، وتارة في مقام نفيها ولهذا قال العلماء: الشفاعة في القرآن نوعان: شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

شفاعة مثبتة أي: أثبتها القرآن، وشفاعة منفية أي: جاء نفيها في القرآن وفي سنة النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام– ومن الضروري في هذا الباب أن تُفْهَمَ الشفاعتان، وأن يُعرَف حقيقة الشفاعتين حتى لا يقع الإنسان في الخطأ والانحراف بسبب مفهوم خاطيء أو قول فاسد تعلقا بالشفاعة كما هو حال من يعبد غير الله تعالى ويتخـــذ الأنداد ويسمى ذلك شفاعة وتقربا إلى الله كما قال الله –عز وجل– عن الكفار المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُـــدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣] أي إن هؤلاء الأصنام والأنداد عبادتنا لهم ودعاؤنا لهم هو مـــن أجـــل أن يقربونا إلى الله بحيث أن يكونوا وسائط وشفعاء بيننا وبين الله –عز وجل– وأصرح من هذا في موضوعنا مـــا جاء في قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُـــفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَـــا لاَ يَعْلَـــمُ فِـــي الـــسَّمَاوَاتِ وَلاَ فِـــي الأَرْضِ سـبحانه وتعـــالى عَمَّـــا يُـــشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[يونس:١٨] فسمى –تبارك وتعالى– عملهم هذا شركا، وهم يسمونه ماذا شفاعة؟ هم يسمونه شـــفاعة، والله –تبارك وتعالى– سماه شركا وهذا يدلنا على أن تغيير الاسم لا يغير حقيقة الشيء وواقعه فهـــؤلاء ســـمو

شركهم شفاعة، والله -تبارك وتعالى- سماه شركا فهو شرك وعبادة لغير الله ووقوع في التنديد؛ ولهذا أنكر القرآن ذلك ونزه الله -تبارك وتعالى- نفسه عن هذه الأعمال.

المصنف -رحمه الله تعالى- عقد هذه الترجمة ليبين الشفاعة ما هي حقيقتها، وما الحق الثابت منها في القرآن والسنة وما هو المنفي؛ حتى تعرف الأمور، ويكون عند المسلم فرقانا في هذا الباب يميز فيه بين الحق والباطل والهدى والضلال.

قال: (باب الشفاعة) والشفاعة هي في اللغة مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر؛ لأن فيها ضم الشيء إلى شيء، طلب الداعي نفسه وطلب الشفيع معه فكان طلبهما معا شفعا وليس وترا؛ ولهذا قيل في معنى الشفاعة شرعا هي طلب الخير للغير بحيث ينضم دعاء الغير لمن طلب منه فيكون دعاؤهما شفعا بدل أن كان دعاء الإنسان لنفسه وترا فالشفاعة هي طلب الخير للغير فهذا الطلب إذا لم يكن مضبوطا بضوابط الشريعة وقيودها في مفهوم الشفاعة وحقيقتها يتحول إلى نوع من الشرك يمارسه المشركون وعباد القبور وغيرهم يمارسونه بدعاء المقبورين وسؤالهم والطلب منهم بحجة أن ذلك شفاعة والقرآن الكريم كما أشرت جاء فيه إثبات للشفاعة ونفي لها والشفاعة التي أثبتها القرآن لها ضابطان يأتي بيانهما في الأدلة التي ساقها المصنف -رحمه الله تعالى-.

الأول: أن تكون بإذن الله فلا يمكن أن يشفع أحد عند الله إلا بإذنه ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥] فالشفاعة ملكه -عز وجل- ولا يملك أحد أن يشفع عنده -تبارك وتعالى- إلا إذا أذن، وقد تكون شفاعة ابتدائية تكون هكذا بدون إذنٍ من الله فهذه لا تكون؛ بل نفاها القرآن، نفاها الله في القرآن بقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾.

والضابط الثاني: أن تكون عن رضا من الله -جل وعلا- للمأذون في الشفاعة فيه بأن يكون راضيا عنه ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨] فلابد من هذين الشرطين: أن يأذن الله للشافع ويرضى عن المشفوع له فهذها أثبتها القرآن، ودل القرآن على ثبوتها، أما الشفاعة التي هي الطلب من غير الله وسؤال غير الله والالتجاء إلى غير الله حتى طلب الشفاعة أن يخاطب المقبورين أو الموتى: اشفع لي عند الله فهذا كله من الشرك الذي جاء القرآن بنفيه وإبطاله كما سيأتي موضحا مبينا في الأدلة التي ساقها المصنف -رحمه الله تعالى- في هذه الترجمة.

وكما هي عادة المصنف -رحمه الله تعالى- يذكر أولا: الترجمة ثم يسوق الأدلة فذكر أولا: قول الله -عز وجل-: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أنذر به أي: القرآن الكريم، وهذا فيه أن القرآن كتاب نذارة، نذارة من الشر، ونذارة من الشرك، ونذارة من الباطل، ونذارة مما يسخط الله -جل وعلا- فهو كتاب بشارة، وكتاب نذارة، فيه البشارة بالتوحيد بالسعادة في الدنيا والآخرة لمحقق التوحيد، وفيه النذارة من الشرك وبخسران الدنيا والآخرة لمن وقع في الشرك ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ وهذا فيه لفتة مهمة وعظيمة أن الذي يستفيد من نذارة القرآن هو من كان في قلبه خوف من لقاء الله -سبحانه وتعالى- أما الغافل عن الآخرة وعن حساب يوم القيامة ومعرض عن الآخرة وهو عن الآخرة غافل معرض فالنذارة لا تؤثر فيه ولا تجدي في أمثاله لأنه غافل عن الآخرة وعن الحساب وعن الوقوف بين يدي الله -تبارك وتعالى- أما الذي يخاف أن يحاسب ويخاف أن يقف أمام الله يوم القيامة ويعلم أن الله -عز وجل- سيسأله إذا وقف بين يديه فإنه يعد للسؤال جوابا، ويعد للجواب صوابا فيأتي تصحيح التوحيد وتصحيح المسار وتصحيح الطريق تبعا للخوف من لقاء الله وخوف الوقوف بين يديه -تبارك وتعالى- ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[الطور: ٢٦] هذه هي النتيجة والأثر ولهذا قال الله تعالى هنا ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ وقد ذكر أهل العلم أن هذه الجملة حالية أي أن حال هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم حالهم أنهم ليس لهم

من دون الله ولي ولا شفيع أي ليس لهم تعلق إلا بالله ولا التجاء إلا إلى الله ولا اعتماد إلا على الله لا تتعلق قلوبهم بشفعاء ولا بأولياء ولا بأنداد ولا غير ذلك وإنما قلوبهم متعلقة بالله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وهذا فيه أن بعد الإنسان عن الشرك وأسبابه وذرائعه ووسائله به تحقيق تقوى الله -جل وعلا- ونيل السعادة في الدنيا والآخرة والشاهد من هذه الآية للترجمة قول الله -عز وجل-: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ فهذا فيه نفي للشفاعة، وفيه أن حال هؤلاء الذين يستفيدون من نذارة القرآن أنهم لا تعلق لهم إلا بالله ولا التجاء لهم إلا إلى الله -جل وعلا- لأنهم يعتقدون ويؤمنون أن الأمور كلها بيده، وأزمة الأمور ونواصي العباد معقودة بقضائه وقدره، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والملك كله له ولهذا إذا أرادوا لنفسهم المنزلة العالية والدرجة الرفيعة والنجاة من النار لا يطلبونها إلا من الملك وهو الله لا يتخذون أندادا وشركاء مع الله يطلبون منهم ويسألونهم وإنما يلجأون إلى الملك حتى الشفاعة إذا أرادوها لا يطلبونها من غير الله وإنما يطلبونها ممن بيده ملك الشفاعة فيلتجأون إلى الله -سبحانه وتعالى- ولهذا أورد المصنف -رحمه الله تعالى- عقب هذه الآية مباشرة قول الله -عز وجل-: ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٤٤] ما معنى "لله" أي ملكا له، هو المالك لها ولهذا قال: ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فالشفاعة ملكه -جل وعلا- وهو مالكها ولا يمكن أن يشفع أحد عنده إلا إذا أذن -تبارك وتعالى- بالشفاعة أما بدون إذنه فلا يمكن، من الذي يشفع بدون إذن الملك، وإذا عرف المسلم أن الشفاعة ملك لله ولا يمكن أن تكون إلا بإذنه فهو لا يطلبها إلا منه، إذا أراد لنفسه أن يشفع له الأنبياء ويشفع له الملائكة ويشفع له الصالحون من عباد الله لا يطلب ذلك منهم وإنما يطلبه من الله سبحانه.

(باب الشفاعة وقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعً﴾ وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾).

قوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي الشفاعة ملك لله -سبحانه وتعالى- فمن أراد لنفسه شفاعة الأنبياء وشفاعة الملائكة وشفاعة الصالحين لا يطلب ذلك منهم لأنهم لا يملكون ذلك، الذي يملك ذلك هو الله، ولا يمكن لأحد أن يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له، ولهذا فالصحيح والإيمان في هذا الباب أن تطلب الشفاعة من الله بأن يقول: اللهم شفع في أنبياءك، أو اجعلني ممن يشفع لهم أنبياؤك أو اجعلني ممن يشفع لهم ملائكتك، اللهم اجعلني ممن تأذن لملائكتك بالشفاعة لهم، أو لأنبيائك أو نحو ذلك فيتجه بالطلب إلى الله، ويتجه بالدعاء إلى الله، ويتجه بالرجاء إلى الله لا إلى الملائكة والأنبياء ونحوهم؛ ولذلك من الباطل أن يتجه لنبي يقول: اشفع لي، أو إلى نبي ميت يقول: اشفع لي، أو إلى ملك غائب يقول: اشفع لي، أو ولي مقبور يقول: اشفع لي، فهذا كله من الباطل، الشفاعة إنما تطلب من المالك لها -سبحانه وتعالى- هذا معنى قوله: ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ولكي يتضح المعنى من هذه الآية نقرأ الآية التي قبلها وهي قول الله -عز وجل-: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ والاستفهام هنا للإنكار ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ﴾ يعني في الرد عليهم وإبطال عملهم هذا ﴿أَوَلَوْ كَانُوا﴾ يعني هؤلاء الشفعاء ﴿لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ ليس بيدهم ملك للشفاعة الشفاعة ملك لله -عز وجل- فهي لا تطلب إلا منه ولا يلتجأ إلا إليه في طلبها فهذا هو التوحيد ﴿قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

نحن نأخذ من هذه الآية فائدة عظيمة وجليلة و كبيرة ومهمة في هذا الباب غفل عنها كثير من الناس وهي أن الآية أفادت أن الشفاعة ملك لله لا يملكها أحد سواه، لا يملكها ملك مقرب، ولا يملكها نبي مرسل، ولا يملكها ولي من الأولياء، الشفاعة ملك لله -سبحانه وتعالى- فإذن من أراد أن يحظى بشفاعة الشافعين فليطلبها من المالك وهو الرب الكريم -سبحانه وتعالى- الذي لا يرد عبدا دعاه ولا يخيب مؤمنا ناجاه ثم ماذا؟

قوله تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾

ثم أورد قول الله -عز وجل-: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ ولاحظ هنا الترتيب الجميل للمصنف لآيات الشفاعة لما ذكر الآية التي فيها إثبات أن الشفاعة ملك لله أعقبها -رحمه الله تعالى- بهذه الآية التي فيها أن شفاعة الشافعين عند الله لا تكون إلا بإذنه؛ لأنه هو الملِك، هو المالك للشفاعة فلا يشفع أحد عند الملك إلا إذا أذن له؛ ولذلك قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ يعني من الذي يملك أن يشفع عند الله إلا بإذن الله، وهذا فيه إبطال لشفاعة يعتقدها المشركون في أندادهم ومعبوداتهم ألا وهي أنهم يظنون فيهم أنهم يملكون شفاعة ابتدائية عند الله، وينبغي أن ننتبه لهذا يظنون فيهم أنهم يملكون شفاعة ابتدائية عند الله بمعنى أن من شاءوا أن يشفعوا له شفعوا له ابتداء دون إذن الملك، يعني يأتون ويشفعون بدون إذن الملك هذا يدخل الجنة وهذا لا يدخل النار، يملكون شفاعة عند الملك بدون إذنه، وهذا فيه قياس فاسد لما يكون بين المخلوقين بالخالق -سبحانه وتعالى- لأنه جرت العادة أن بعض الوجهاء وذوي المكانة الرفيعة يشفعون عند الأمير أو عند الملك أو عند الرئيس أو عند الوزير ويستغلون وجاهتهم ونفوذهم ومكانتهم بالشفاعة ولهيبتهم ولمكانتهم قد لا يرد طلبهم، ويفعل ما أرادوا فقاس هؤلاء الملِكَ العظيم -سبحانه وتعالى- بملوك الأرض وبالرؤساء وبغيرهم، وجعلوا أن الشفعاء يملكون عنده شفاعة مثل هذه الشفاعة ولهذا صاروا يتجهون بالدعاء والطلب إلى هؤلاء ولا يتجهون إلى الله -جل وعلا- فوقعوا في الشرك يتجهون بالطلب إلى هؤلاء الذين يعتقدون أن عندهم مكانة عند الله ومنزلة، فيتجهون إليهم يسألونهم حتى إن بعضهم يسأله مباشرة حاجته يقول: أسألك الجنة. يقولها لغير الله، أو أسألك النجاة من النار، أو مالي من ألوذ به سواك، أو أنا مستجير بك، أنا في حماك، أعذني إن لم تغثني من الذي يغيثني، يلتجيء إلى غير الله -تبارك وتعالى- بسبب هذا الفساد في مفهوم الشفاعة، فهنا تأتي هذه الآية الكريمة للتنبيه على هذا الفساد وهذا الخطأ، الله -جل وعلا- يقول: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ يعني مهما كانوا ومن كان مهما بلغت منزلته لا يمكن أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له الله فمن أراد نيل الشفاعة فليطلبها ممن بيده الإذن وممن هو المالك للشفاعة وهو الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾﴾[النجم: ٢٦])

ثم أورد هذه الآية في سورة النجم قول الله -عز وجل-: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ "كم" هنا للتكثير، وهذا فيه كثرة الملائكة وكثرة عددهم وقد جاءت النصوص كثيرة تدل على كثرة الملائكة وكثرة عدد الملائكة، وقد مر معنا حديث عن هذا في حديث ماض في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[سبأ: ٢٣] أي: الملائكة، فالله -جل وعلا- يقول: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ شرطان جمعا في هذه الآية إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له ولا يمكن أن تكون الشفاعة إلا بهما ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: الشافع ﴿وَيَرْضَى﴾ أي: عن المشفوع له، فلاحظ هنا دلت الآية على فصول مهمة في باب الشفاعة، فصول مهمة وقواعد متينة في باب الشفاعة، ينبغي أن نأخذها مرتبة كما في الآية، الفصل الأول أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله للشافع، الفصل التالي أن الشفاعة لا تكون إلا برضا الله للمشفوع له، الفصل الثالث أن الله -عز وجل- لا يرضى إلا عن أهل التوحيد فهذه فصول ثلاثة مهمة ينبغي أن تحفظ في باب الشفاعة:

الفصل الأول: أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله.

والفصل الثاني: أن الشفاعة لا تكون إلا برضا الله.

والفصل الثالث: أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد وكما سيأتي معنا قريبا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي هريرة لما سأله قال: (من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ماذا قال؟ من قال لا إله إلا الله

خالصا من قلبه) فإذن لا يرضى إلا عن أهل التوحيد؛ وهذا أيضا جاء في حديث آخر في صحيح مسلم أن نبينا – عليه الصلاة والسلام– قال: (لكل نبي دعوة مستجابة، وتعجل كل نبي شفاعته دعوة لقومه، وإني ادخرت شفاعتي دعوة لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلة إن شاء الله –لاحظ –من لا يشرك بالله شيئا) "وإنها" أي: الشفاعة، شفاعته –صلى الله عليه وسلم– (نائلة إن شاء الله) أي: بإذن الله (من لا يشرك بالله شيئا) فإذن عندنا ثلاث فصول مهمة لا ينبغي لأحد أن يغلط فيها أو يجهلها في هذا الباب، لابد من ضبطها والعناية بها في باب الشفاعة:

الفصل الأول: إذن الله للشافع.

الفصل الثاني: إذن الله للمشفوع له.

الفصل الثالث: الله –جل وعلا– لا يرضى إلا عن أهل التوحيد وسيأتي كلام لشيخ الإسلام بن تيمية يجمع كل هذه المعاني.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[سبأ: ٢٢: ٢٣] .

قول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حقيقة أريد أن أقف هنا وقفة وأستعيد ذاكرة الإخوة الحضور إلى درس ماضٍ هذه الآية تذكرون مرت معنا، سبق أن مرت معنا هذه الآية، وذكرت كلمة عظيمة لأحد أهل العلم في بيان قوة دلالة هذه الآية في إبطال الشرك، تذكرون ذلك؟

أحد أهل العلم –حقيقة– قال كلمة عظيمة جدا بشأن هذه الآية قال: إنها قطعت شجرة الشرك من جذورها، اجتثت من أصولها، لماذا الآية فيها قوة كبيرة جدا في إبطال الشرك واجتثاثه وأنه لا متعلق لمشرك في شركه؟ وكنت أوضحت هذا في مناسبة مضت كيف أن هذه الآية الكريمة تقطع شجرة لاشرك وتجتثها من عروقها، ولعلكم تذكرون في درس ماضٍ قلت: إن الاتجاه لأحد أيا كان بالطلب لا يكون إلا لطلب نفع منه أو دفع ضر وإلا لن يطلب منه فلا يكون النفع بيد أحد إلا من خلال أربعة جاء إبطالها في هذه الآية تذكرها لنا:

أولا: أن يكون مالكا لهذا الشيء،المطلوب، وأن يكون شريكا فيه مساعدا فيه

الآن لاحظ معي، يعني: هذه الأمور التي جاءت في الآية مرتبة وهي أربعة أمور:

الأمر الأول: لا يطلب من أحد إلا إذا كان مالكا ملكا استقلاليا، والله –جل وعلا– يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ أيا كانوا ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ يعني ولو مثقال ذرة لا يملكون الذي هو الملك الاستقلالي، انتهت هذه المرتبة، أو انتفت هذه المرتبة في مرتبة ثانية إن وجدت استحق من وجدت فيها أن يدعى، ما هي؟ إن لم يكن مالكا أن يكون شريكا للمالك، يعني: عنده مع المالك مشاركة ولو في قسط قليل أو في جزء يسير فقال الله –عز وجل– في إبطال ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ ومالهم، أي: الأنداد ﴿فِيهِمَا﴾ السماوات ﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي من شركةٍ وحظ ونصيب، إذًا بطل الأمر الثاني، لا مالك ولا شريكا للمالك فيه.

احتمال ثالث: إن وجد ما هو أن يكون ظهيرا للمالك يعني عونًا له يرجع إليه المالك ويأخذ برأيه ويأخذ مشورته فقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي ليس له ظهير من خلقه –جل وعلا– فإذن لا مالك ولا شريكا للمالك ولا ظهيرا للمالك يبقى احتمال رابع إن وجد استحق من وجد فيه أن يدعى وأن يطلب منه مباشرة ماذا؟

أن يملك الشفاعة الابتدائية عند المالك يعني أن يشفع عند المالك بدون إذن المالك فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ إذن لا مالك ولا شريكا للمالك ولا يملك شفاعة ابتدائية عند المالك، إذن كيف يتجه إلى غير الله بالدعاء والسؤال والطلب؟ وهذا معنى قول أحد أهل العلم عن هذه الآية إنها اجتثت شجرة الشرك من أصولها وعروقها وهذا المعنى سيأتي الآن تقريره وتوضيحه في كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– آمل أن نتأمله جيدا.

قال أبو العباس –رحمه الله تعالى– نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه: (يأتي فيسجد لربه ويحمده) لا يبدأ بالشفاعة أولا: (ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع) وقال له أبو هريرة –رضي الله تعالى عنه– (من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله وحقيقته أنه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع بكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص انتهى كلامه يرحمه الله

هذا الكلام هو لأبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– وقد ساقه المصنف هنا بعد أن أورد الآيات الجامعة في هذا الباب ثم ختم الباب بهذا الكلام الجامع لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– وبدأ أولا: ببيان معنى الآية تعيد من الأول الكلام.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون

لاحظ معي هنا نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، يعني لم يبق متعلق للمشركين إلا وأبطل في هذه الآية.

فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه

نفى أن يكون لغيره ملك هذا الأمر الأول، وهو مأخوذ من قوله –تبارك وتعالى– ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الأمر الثاني قال: قسط وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ ثم:

أو يكون عونا لله

أو يكون عونا لله هذا الأمر الثاني الثالث وهو مأخوذ من قوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب

فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، إذن هذه أمور أربعة أبطلت في الآية وهي جماع من يتعلق به من يشرك، من يشرك جماع ما يتعلق به هذه الأمور الأربعة فجاء إبطالها واحدًا تلو الآخر، مرتبة حسب تعلقهم بها ومكانتها عندهم فأبطلت في الآية واحدًا تلو الآخر فلم يبق لمشرك متعلق.

ثم أخذ يفصل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في أمر الشفاعة ويسوق الأدلة في هذا الباب ويبين أنها لا تكون إلا بشرطين: إذن الله للشافع، وأورد هنا حديث الشفاعة، شفاعة النبي –عليه الصلاة والسلام–

للخلائق يوم القيامة أنها لا تكون إلا متى؟ بعد أن يذهب ويخر ساجدا تحت العرش ويحمد الله بمحامد يعلمـــه الله إياها في ذلك الوقت ثم يقال له: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع.

إذًا هو لم يشفع إلا بعد الإذن، فهذا دليل على أن شفاعته –عليه الصلاة والسلام– وهو أكرم عباد الله على الله لا تكون ابتداء، وإنما تكون بإذن الله له؛ ولهذا يقال: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع.

والشرط الثاني: بينه شيخ الإسلام بذكره لحديث أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– عندما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– (من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) وهذا فيـــه أن الله لا يأذن بالشفاعة إلا من –رضي الله تعالى عنه– قوله، وهو جل وعلا لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة

الشفاعة التي يظنها المشركون هي اعتقادهم أن الأصنام أو من يدعونهم يملكون شفاعة ابتدائية، يأذنون لمـــن شاءوا متى شاءوا في أي وقت شاءوا فهذا أبطلها القرآن ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ يعني: لا يملك أحد أن يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له، ولا أيضا يملك أحد أن يشفع عند الله لمن لم يرضه الله ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ يعني: من رضي الله قوله وفعله. ولا يرضى الله –سبحانه وتعالى– إلا عن أهل التوحيد، إذًا من أراد لنفسه الشفاعة ماذا عليه أن يفعل هنا؟ يا إخواني يجب أن نتنبه لأمر مهم جدا في أمر الشفاعة، من أراد لنفســه الشفاعة ماذا ينبغي أن يفعل؟ يخلص لله، ويوحد الله، ويقبل على الله، ويحافظ على عبادة الله (جاء رجـــل وقـــال للنبي –عليه الصلاة والسلام– أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أعني على نفسك بكثرة السجود) وجهه إلى عبـــادة الله، وإلى الالتجاء إلى الله –سبحانه وتعالى– لكن المفهوم قلب رأسا على عقب، أصبح من يريد لنفسه الـــشفاعة يطلبها بما يحرم به منها، يعني: يطلبها بأسباب هي تؤدي به إلى حرمانه منها، وذلك بـــأن يقـــع فـــي الـــشرك والالتجاء إلى غير الله، والشرك هو أعظم أسباب الحرمان من شفاعة الشافعين، فلاحظ الآن خطورة الأمر بـــأن يطلب لنفسه الشيء بوسيلة هي في الحقيقة وسيلة حرمان، سبب للحرمان، يعني: من يتجه للأولياء أو للأنبياء أو الملائكة ويقول: اشفعوا لي عند الله، أنا مستجير بكم، أنا ملتجيء إليكم، ليس لي من ألوذ به إلا أنتم، الذي يفعل هذا ويقول ذلك هو في الحقيقة يأتي بأمور تؤدي به إلى حرمانه الشفاعة من جهة أنه فعل أمرا يظن أنه ينال به الشفاعة وهو في الواقع فعل أمرا يحرم به من الشفاعة.

الذي يريد الشفاعة يخلص لله –سبحانه وتعالى– في عبادته كيف تحصل له الشفاعة؟

يخلص لله الشفاعة، ويطلبها من الله، وشفاعة الأنبياء والملائكة والأولياء لمن هي؟ للصالحين للذين رضي الله عنهم ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فلا يشفعون إلا لمن رضي الله عنه، ولا يرضى إلا عن أهل التوحيد، إذًا الذي يريد لنفسه الشفاعة ماذا عليه أن يفعل؟ لاحظ الجواب المبارك في جواب النبي –صلى الله عليـــه وســـلم– لأبي هريرة، أبو هريرة قال: (من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟) من هم أولوا الحظوة بشفاعتك يوم القيامة؟ ماذا كان الجواب؟

(من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله

(من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه) إذن الذي يريد أن يشفع له النبي –عليه الصلاة والسلام– وأن يـــشفع له الأولياء وأن تشفع له الملائكة فعليه أن يخلص لله في دعائه، في طلبه، في سجود، يحافظ على طاعـــة الله، لا يتخذ الأنداد والشركاء من دون الله، فيه كلام جميل ختم به ابن تيمية في حقيقة الشفاعة المثبتة وحقيقة الـــشفاعة المنفية تعيده علينا:

وحقيقته أن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع بكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك

الشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، هذه قاعدة وضابط نافع في الباب، إذا قيل ما هي الشفاعة التي نفاها القرآن؟ الجواب ما كان فيها شرك، يعني التي تطلب من غير الله، كل ما يطلب من غير الله حتى باسم الشفاعة هذا نفاه القرآن، ولا يلتجيء إلى أولياء وإلى أنبياء وإلى ملائكة يقول: اشفعوا لي، وإنما إذا أراد شفاعتهم يطلبها من الملك الرب العظيم –سبحانه وتعالى– الذي هو المالك للشفاعة.

ثم ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص

لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، يعني: الفصول الثلاثة التي سبق التنبيه عليها، ولعلكم تذكرونها: إذن الله للشافع، رضا الله عن المشفوع له، أن يكون مخلصا؛ لأن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

إذًا حتى يكون تلخيص للباب كيف يتعامل الإنسان مع الذين يراهم في العالم الإسلامي ويطلبون الشفاعة من الأولياء، من الصالحين في قبورهم كيف يكون التوجيه بهذا الخصوص؟

أولا: سؤالك هذا سؤال ممتاز جدا، وفيه ترتيب للموضوع، أو جمع للموضوع من أساسه عندما يقال الآن الحديث عن الشفاعة والنصوص والأدلة كتاب وسنة في موضوع الشفاعة واسع جدا وأيضا الأخطاء التي يقع فيها الناس والانحرافات كثيرة، ما هي الوسيلة الصحيحة المناسبة التي يفعها المسلم ليكون ممن ينال بإذن الله –تبارك وتعالى– الشفاعة؟ وهنا حقيقة في أمر متفق عليه بين الجميع أن كلا يتمنى لنفسه أن يكون ممن يشفع له الأنبياء، وتشفع له الملائكة، ويشفع له الصالحون من عباد الله، يتمنى أن يكون من هؤلاء لكن ما السبيل؟ هناك وسيلة أو سبيل شرعي دل عليه القرآن تنال به الشفاعة وهو أن يتق الإنسان ربه، وأن يخلص دينه لله، وأن يقبل على عبادة الله، وأن يحذر من الشرك، إذا وقع في الشرك حرم من الشفاعة، وليبتعد عنه وأن يكون مخلصا محافظا على العبادة، على السجود، على الصلاة، يصلح ما بينه وبين الل،ه يتق الله –جل وعلا– إلى أن يلقى الله على حالة طيبة إذا كان بهذه الصفة فاز يوم القيامة بشفاعة الشافعين ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (أعني على نفسك بكثرة السجود) وهناك وسيلة باطلة يتخذها كثير من الناس، يعرف أن هؤلاء لهم مكانة عند الله فيتجه بالطلب إليهم، ويتجه بالسؤال إليهم مباشرة: اشفعوا لي، أسألك الشفاعة، لا تحرمني كذا، يتجه إليه مباشرة، وهذا طلب من غير الله، قد مر معنا قول شيخ الإسلام وعليه دلت النصوص أن الشفاعة الشركية هي ما يطلب من غير الله ونحن عرفنا أن الشفاعة ملك لله فمن أرادها لنفسه لا يطلبها إلا من مالكها بماذا؟ بأي وسيلة؟ بفعل ما يرضيه.

يمكن أن نلخص الكلام بهذا التلخيص نقول: من أراد لنفسه الشفاعة لكي يحظى بها فلا يطلبها إلا من مالكها، إلا بفعل ما يرضيه. هذه لعلها إن شاء الله تعالى تكون خلاصة: من أراد لنفسه الشفاعة لا يطلبها إلا من مالكها وهو الله: اللهم شفع فيّ أولياءك، اللهم اجعلني ممن يشفع لهم أنبياؤك، بفعل ما يرضيه، يعني: أيضا لا يطلب منه فقط ويفعل ما يسخطه؛ بل يفعل ما يرضي الرب تبارك وتعالى.

يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه) فما معنى الحديث؟

هذا داخل فيما سبق الكلام عنه أن الشفاعة إنما تنال برضا الله –جل وعلا– عن المشفوع له، ومن الأمور العظيمة التي هي ينال بها رضا الله قراءة القرآن، يراد بها قراءة بتدبر وعمل، هذه هي قراءة القرآن قال الله –

عز وجل-: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١] التلاوة والقـراءة تكـون بقراءة القرآن وفهم المعنى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩] وبالعمل لما دل عليه القرآن، فمن كان شأنه مع القرآن كذلك يكون القرآن شفيعا له، يأتي يوم القيامة شفيعا لصاحبه، يشفع له عند الله -عز وجل- بأن ترتفع منزلته وتعلو درجته؛ ولهذا جاء أيضا في الحديث الآخر (يقال لقاريء القـرآن يوم القيامة: اقرأ وارْقَ فإن درجتك عند آخر آية تقرؤها).

ما يتعلق بالشفاعة التي تسمى عند الناس الواسطة، أو النفع التي ينفعها الإنسان فيقول: يتشفع لهـذا الإنـسان مثلا بتيسير أموره سواء في بعض الإجراءات الإدارية، أو بعض المتطلبات الحياتية، فالشفاعة هذه هـل هـي داخلة في هذه أم أنها معنى من معانيها؟

لا، هنا الشفاعة هذه التي تسأل عنها هي شفاعة حسنة وشفاعة سيئة، الشفاعة السيئة إذا حـصلت من الإنسان كعون لإخوانه ومساعدة لهم في حاجاتهم وفي أمورهم أو في مصالحهم لدى رئـيس أو وجيـه أو مسئول أو نحو ذلك فيؤجر عليه الشافع وهي شفاعة حسنة له أجرها وثوابها؛ بل جـاء عنـه -عليـه الـصلاة والسلام- في هذا الباب أنه قال: (اشفعوا تؤجروا) فيؤجر المسلم في مثل هذه الشفاعة الحسنة التي يُطلـب بهـا حق، أو يطلب بها مساعدة، أو يُطلب بها عون، أو نحو ذلك فهذه يؤجر عليها الإنسان.

والقسم الثاني: الشفاعة السيئة وهي التي يكون فيها اعتداء أو هضم أو ظلم أو تعدٍ على الآخرين أو نحو ذلك، فهذه يأثم الشافع في شفاعته في هذا الأمر، وما يسمى في زماننا الواسطة هو بهذا المعنى إن كان لطلب حق أو مساعدة في حق أو مساعدة في حاجة فهي شفاعة حسنة، وإن كانت في تعدٍ على حق الآخرين أو ظلم الآخـرين أو أخذ مال الآخرين فهي شفاعة سيئة.

لي مداخلة وسؤال للشيخ أقول: الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- إن هذه الترجمة التي تـرجم عليها برهان من براهين التوحيد، ذلك أن المشركين إنما وقعوا في شرك الشفاعة بسبب أنهم أسقطوا الفرقان بين الخالق والمخلوق، فجعلوا الشفاعة عند الله كالشفاعة عند المخلوق، فقاسوا الله على الخلق، فوقعوا في الغلط على مقام الرب، وأورده المصنف دليلا أن الشفاعة لله دليل على اختصاص به قال تعالى: ﴿قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًـا﴾ ومن زعم لأحد شفاعة من غير إذن الرب فقد أعظم الفرية، وهنا مسألة وهي أن الله -سبحانه وتعالى- يـشفع، وهي قلما يتكلم فيها فهو سبحانه يشفع عند نفسه لمن شاء من خلقه وفي الصحيح (ثم يشفع الله) فهو سبحانه أعظم الشفعاء.

لديّ سؤال إذا قيل: إن من يذهب إلى القبول ويطلب منهم الشفاعة هذا شرك، فلو أتى الإنسان القبر وطلـب منهم أن يدعوا الله له بناء على أنهم يسمعون، الموتى يسمعون، والخلاف في المسألة معروف هم يسألون وطلب منهم الدعاء إلى الله لم يطلب منهم أن يدعو الله له فهل تصل هذه البدعة إلى حد الشرك؟

سؤالي هناك خارج هذه البلاد من يطوفون بالقبور، ثم يأتي بعض الدعاة ويطوفون معهم كذلك، وعندما ينصح هؤلاء الدعاء يقولون: لا نريد أن ننفرهم عن الدعوة، فهل هذا العمل صحيح؟ وهل ضابط الشرك يقول بـالقول فقط دون العمل؟

أولا: شكر الله لأخينا على مداخلته الطيبة وما أفاد به في معنى الشفاعة وحقيقتها، وحقيقة ما قرأه أو ما ذكره هو خلاصة بديعة ونافعة وجيدة في هذا الموضوع على ضوء الآيات التي ساقها المصنف -رحمه الله تعـالى- في هذه الترجمة المباركة باب الشفاعة.

والشفاعة ملك لله -جل وعلا- وهو جل وعلا لا يشفع عنده إلا بإذنه؛ لأنه هو الملك فلا أحد يملك أن يشفع عنده -تبارك وتعالى- بدون إذنه؛ ولهذا جاء قياسا فاسد عند من وقعوا في الشرك قاسوا الله -تبارك وتعالى- بخلقه فاتخذوا الوسائط بحجة الشفاعة مثلما يشفع الناس أو الوجهاء أو أصحاب المكانة عند الملوك وعند الأمراء وعند الرؤساء، فقاسوا هؤلاء بخلقه ولهذا جاء عن بعض السلف أن كثيرا من الأخطاء تأتي من جهة القياس الفاسد يقيس الإنسان بعقله قياسا فاسدا، وأعظم القياس الفاسد قياس الخالق بالمخلوق؛ ولهذا جاء عن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- وكذلك أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وغيرهما من أهل العلم أنهم قالوا: لا يقاس بخلقه -أي الله جل وعلا- فإذا وقع قياس لله بخلقه وجد الفساد والانحراف؛ ولهذا في باب الشفاعة عندما قاس هؤلاء المشركون الله -تبارك وتعالى- بخلقه وقعوا في الشرك، وأشار أخونا في كلامه الطيب أن الله -عز وجل- قال أمرًا قد لا ينتبه له كثير من الناس أن الله -عز وجل- خير الشفعاء، وأن الله -عز وجل- بنفسه يشفع، وجاء في حديث في صحيح البخاري لما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث القدسي في الشفاعة (وإن الله يأذن للشفعاء فيقول الله -سبحانه وتعالى- بقيت شفاعتي، فيشفع هو -سبحانه وتعالى- بأن يخرج من النار أناسًا من العصاة برحمته -جل وعلا-).

وابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان لما ذكر هذا الحديث وذكر شفاعة الله -سبحانه وتعالى- قال: هي إرادته من نفسه أن يرحمهم، أن يطلب من نفسه -سبحانه وتعالى- أن يرحمهم ويخرجهم -سبحانه وتعالى- من النار برحمته، فعلى كل حال كلامه -الحقيقة- كلام طيب.

ذكر ابن القيم أنواع الشفاعة، ذكر أنها ستة، منها الخامس قال: شفاعته لقوم من أهل الجنة لزيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، فهل هذه الشفاعة ثابتة في الشرع وإذا كانت ثابتة نريد أدلة؟

الأخ يسأل يقول: الذين يذهبون إلى القبور ويطلبون الشفاعة -فيما لو كان الرأي أن أهل القبور يسمعون الذين يأتونهم- فيطلبون من هؤلاء الذين في القبور من صالحين أولياء أن يدعوا الله لهذا الذي يطلب الشفاعة فما حكمهم هذا في الشرع؟

السؤال هنا هل هذا العمل شرك أو بدعة؟ وجزم بعض المحققين من أهل العلم أن هذا نوع من الشرك لأنه توجه إلى غير الله بالطلب فيما لا يقدر عليه؛ لأن الميت انقطع عمله حتى لو قيل: إنه يسمع. فعمله انقطع، وهو يطلب منه ما لا يقدر عليه، انقطع عمله قال -عليه الصلاة والسلام-: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) فهو انقطع عمله ولا يملك شيئًا بخلاف الحي الحاضر القادرعندما يقال له: ادع الله لي. مثل قصة الرجل الأعمى الذي جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ادع الله أن يرد عليَّ بصري، ومثلما مر معنا في قول عكاشة ابن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم، وقصة الرجل الذي جاء في الاستسقاء وقال: ادع الله أن يغيثنا، فالطلب من الحي القادر، طلب الدعاء أيضا، طلب الاستغفار: ادع الله أن يغفر لي، هذا كله لا بأس به من الحي القادر الصالح، لا بأس به؛ ولهذا كان الصاحبة يطلبون من النبي -صلى الله عليه وسلم- أما بعد موته ما حفظ عن واحد منهم أنه طلب منه.

ولا يسمعون هؤلاء الأموات؟

هذا فيه بحث عند أهل العلم هل الميت يسمع أو لا يسمع؟ فيه بحث لأهل العلم في هذه المسألة والكلام فيها طويل، لكن حتى وإن قيل بالسماع فالطلب منهم لا يجوز، وقرر جماعة من المحققين من أهل العلم أنه نوع من الشرك، وأنه اتجاه وطلب من غير الله أن يقول للميت: اشفع لي، أو ادع الله لي. وقد جاء في صحيح البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصة ذكرها الإمام البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- فيها قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لها: (إن كان ذاك وأنا حي أستغفرت لك) وهذا في صحيح البخاري، معنى ذلك أنه إذا مات لا يستغفر لها فلا يطلب منه.

يسأل يقول: الذين يطوفون من الدعاة، يطوفون مع أهل البدعة حول القبور ويقول لأجل أن نؤلف قلوبهم؟

هذا كلام باطل ولا يفعله إلا إنسان جاهل، يعني: كيف يمارس الشرك بنية التعليم؟ وإذا مضى على هذا الطريق هل أيضا يشرب الخمر بنية تأليف من يشرب الخمر؟ ويفعل الفاحشة بنية التعليم؟ الشرك أعظم من الخمر ومن الفاحشة، فكيف يقال: إنه يمارس هذا العمل معهم بنية أن يتألفهم. فهذا عمل ضلال، ثم هو من الصد عن دين الله، ليس من الدعوة لأنه إذا تألفهم بزعمهم وأحبوه إن قال لهم يوما من الأيام -وما يظن في مثله أنه يقول ذلك- إذا قال لهم: إن هذا شرك. ماذا سيقولون له؟ أنت شاركتنا فيه، وكنت تشاركنا فيه، لو كان الأمر يصل إلى هذا الحد لما كنت شريكا لنا وتمضي معنا في هذا العمل. هذا مسلك فاسد وطريقة باطلة.

يسأل أنه قرأ في كتاب ابن القيم أنواع الشفاعة، وذكر شفاعة أهل الجنة بزيادة ثوابهم يقول: ما الأدلة أو ما الدليل على هذه المسألة؟

ابن القيم مثلما ذكر أخونا عدد أنواع الشفاعة في بعض كتبه وأوصلها إلى ستة وذكر منها الشفاعة العظمى التي هي الشفاعة للخلائق بأن يبدأ الله -عز وجل- بمحاسبتهم، والشفاعة لأهل الجنة بدخول الجنة، والشفاعة لمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، والشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها، هذه أربع والخامسة هذه التي يسأل عنها أخونا، والسادسة الشفاعة لمن استحق الخلود في النار أن يخفف عنه، وهذه خاصة بعم النبي -صلى الله عليه وسلم- أبي طالب، وسيأتي معنا شيء من هذا الحديث في درسنا القادم إن شاء الله تعالى في باب ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص: ٥٦].

فأخونا عنده سؤال لكن أيضا قبل سؤاله أيضا سؤال آخر، عندنا الآن الشفاعة لمن استحق دخول النار ألا يدخلها ما دليله هنا؟ هذا الذي فيه موضع إشكال ما الدليل؟ ابن القيم -رحمه الله تعالى- رأيت في بعض كتبه أشار إلى هذا قال: إنه ذكره كثير من الناس ولا أعلم لها دليلا، هذا ابن القيم نفسه قال في بعض كتبه، قال: هذه ذكرها كثير من الناس ولا أعلم دليلها، لكن دليلها واضح في حديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الأنبياء على جنبتي الصراط فيقولون: اللهم سلم سلم) هذه شفاعة للناس ألا يدخلوا النار، اللهم سلم سلم، أي: سلم من الدخول، من دخول النار.

إذن هذه متقررة شفاعة أهل الجنة بزيادة ثوابهم؟

الثانية هي التي يسأل عنها أخونا هذه متقررة وعليها دلائلها في سنة النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

تقول: ما صحة شفاعة صاحب القرآن في أن يشفع في سبعين من أقاربه؟

الله أعلم، يعني: ورد في هذا حديث، ولعله يراجع وينظر فيه، ورد في هذا حديث لا أذكر شيئا عنه الآن من حيث ثبوته وعدمه، لعله يراجع أما يثبت في الموقع أو تأتي له مناسبة إن شاء الله.

تقول: الموحد العاصي هل له شفاعة ومتى تكون هذه الشفاعة هل بعد الحساب أم بعده؟

الشفاعة لعصاة الموحدين هذه منها ما يكون لبعضهم ألا يدخل النار، استحق الدخول فلا يدخل، ومنها ما يكون بعد الدخول، دخل النار بذنوبه وكبائره ويخرج منها؛ ولهذا جاء في الحديث في صحيح البخاري أن أهل الكبائر يخرجون من النار ضبائر ضبائر، أي: جماعات جماعات، دفعات دفعات وقد تفحموا، ويلقون في نهر الفردوس فيحيون بمائه كما تنبت الحبة في حميل السيل، يقول -عليه الصلاة والسلام- فمنها ما يكون قبل الدخول لبعضهم فلا يدخل، ومنها إذا دخل النار فيخرج من النار بعد أن نبت فيها مدة يعذب تطهيرا له.

درس هذا اليوم نطرح فيها سؤالين كالعادة أو سؤالا واحدة موضوع الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، نحـــن عرفنا أن الشفاعة نوعان: نوع مثبت ونوع منفي، وعرفنا أن معنى مثبت أي: أثبت في القرآن، ومنفي أي: نفي في القرآن، فأريد ثلاث آيات من القرآن الكريم أدلة للشفاعة المنفية، يعني: آيات نفيت فيها الشفاعة، وثلاث آيات أثبتت فيها الشفاعة.

والسؤال الثاني: ما هي ضوابط الشفاعة المثبتة مع الدليل؟

في هذا الدرس المبارك بإذن الله تعالى سنتناول باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القـصص: ٥٦] ولهذا نترك المجال لشيخنا الكريم ليستفتح هذا الدرس المبارك فتفضل يا شيخنا مشكورا مأجور.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـرور أنفـسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين- أما بعد:

معاشر الإخوة الكرام إلى درس جديد ولقاء متجدد مع هذ اللقاء النافع الماتع كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله وغفر له- والمؤلف -رحمه الله- في هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد نصح نصحا بالغا للأمة، وأبان التوحيد وقرره ونوع براهينه ودلائله وحججه، وأقام البراهين الواضحات والحجج الـساطعات من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- واعتنى -رحمه الله- في أبواب هذا الكتاب برد ما يتعلق به من يصرف العبادة لغير الله ويخالف التوحيد ويناقضه ويقع في تعليقات واهية واحتجاجات ضعيفة يبني عليها ما وقع فيه من شرك وضلال.

فالمؤلف -رحمه الله- نصح في هذا الكتاب تمام النصح، وبين التوحيد أحسن بيان، وذكر براهينه وذكر دلائله وحججه وأيضاً اعتنى -رحمه الله- برد الشبهات الباطلة أو ما يتعلق به من يدعو غير الله أو يستغيث بغير الله.

وأيضاً اعتنى بالتنبيه على الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس من جهة تعظيم الأنبياء وتعظيم الصالحين بـالغلو فيهم ودعائهم من دون الله -تبارك وتعالى- وصرف شيء من العبادة لهم.

وها نحن الآن مع باب جديد وباب مبارك من أبواب كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبـد الوهـاب -رحمه الله- يبين فيه التوحيد ويقرر فيه دلائله، ويبين أيضاً بطلان وفساد ما يتعلق به من يشرك بـالله -تبـارك وتعالى- متعلقا بالأنبياء أو بالأولياء أو بالصالحين، ويرى أن ذلك من محبتهم أو من تعظيمهم، وحقيقة الأمر أن ذلك من الإشراك بالله، ومن صرف العبادة لغيره -سبحانه وتعالى-.

فنحن في يومنا أو في ليلتنا هذه مع باب عظيم من أبواب هذا الكتاب المبارك فلنعطه اهتمامنا ولنتنبه لما بينه الشيخ -رحمه الله- في هذا الباب المبارك من تقرير عظيم وبيان جليل لتوحيد الله -عز وجل- وإبطال الـشرك واتخاذ الأنداد، نسمع الآن.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلـب، فأعاد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- فأعاد فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقـول: لا إله إلا الله فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿مَا كَـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾).

قال المؤلف -رحمه الله-: (باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾) هذه الترجمة عقدها المصنف -رحمه الله- وجعل عنوان هذه الترجمة هذه الآية الكريمـة، والآية فيها تقرير التوحيد، وأن الأمر كله لله -جل وعلا- فالهداية بيده والتوفيق بيده، والصلاح بيده وسداد الأمر

بيده، ليس لأحد من ذلك شيء، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، بل الأمر في ذلك كله لله رب العالمين، يقول الله -جل وعلا-: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] ويقول الله -جل وعلا- كما في الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته) فالهداية بيد الله والهادي هو الله، والموفق هو الله، ليس لأحد من ذلك شيء، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، وقد كان -عليه الصلاة والسلام- كثيرًا ما يدعو في أدعيته بسؤال الله الهداية، كثيرًا ما يأتي في دعواته -عليه الصلاة والسلام- سؤال الله الهداية، كدعاء القنوت: (اللهم اهدني فيمن هديت) وكقوله -عليه الصلاة والسلام- في حديث علي بن أبي طالب: (اللهم اهدني وسددني) وفي رواية: (اللهم إني أسألك الهدى والسداد) وفي حديث ابن مسعود: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) وفي أحاديث أخرى سؤال الله الصلاح، كالحديث العظيم الذي قال فيه -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر) فالهداية من الله والصلاح من الله والتوفيق من الله، وشرح الصدر للخير كل ذلك من الله، لا ليس لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي من الأولياء.

فالمصنف -رحمة الله عليه- عقد هذه الترجمة المباركة ليبين هذا الأمر العظيم، ويبين أن من التوحيد أن تعتقد أن هدايتك بيد الله، وتوفيقك وصلاح أمرك بيد الله، فإذا طلبت ذلك لا تطلبه إلا من الله، وإذا رجوت لنفسك ذلك، فلا ترجو إلا من الله، فهو بيد الله -جل وعلا- لا بيد غيره، ونبينا -عليه الصلاة والسلام- وهو أكرم عباد الله عند الله، ليس بيده ملك هداية لأحد، قال الله -جل وعلا- في آية أخرى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] فمهما حرص -عليه الصلاة والسلام- على هداية أحد لا يهتدي إن كان الله لم يكتب له الهداية، وفي هذه الآية قال: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال في آية أخرى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] فهذه الهداية التي هي هداية التوفيق والإلهام وصلاح القلب وشرح الصدر للاستقامة هذه بيد الله ليست بيد أحد كائنا من كان، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الأولياء بل هي لله -سبحانه وتعالى- ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

والمصنف -رحمه الله- من تمام بيانه لهذه الترجمة ساق الحديث، حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في قصة وفاة أبي طالب عم النبي -عليه الصلاة والسلام- وكيف أنه مات على الكفر وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، كلمة يحاج له بها النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الله، فأبى ذلك ومات وهو يقول: هو على ملة عبد المطلب، مع أن نبينا -عليه الصلاة والسلام- حرص غاية الحرص، وكرر عليه الطلب، وأعاد عليه الأمر ومع ذلك مات على غير الهداية؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لم يكتب له الهداية.

وهنا معاشر الإخوة الكرام ينبغي أن نلاحظ أمرا ننتبه له ونحن نقرأ هذه القصة العظيمة العجيبة التي فيها من الفوائد العظيمة الشيء الكثير، حتى نعي الأمر تماماً ويتبين لنا تمام علينا أن نعرف من هو أبو طالب، وماذا قدم للنبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- من هو أبو طالب؟ وماذا قدم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وكم من التضحيات بذل بماله بنفسه، بعشيرته، بتفضيله، على ولده، برعايته له منذ الصغر؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- مات والده صغيراً وكفله عمه أبو طالب منذ الصغر، منذ سن مبكرة في الثامنة تقريباً من عمره كفله عمه أبو طالب، ورعاه وفضله على أولاده، وكان يدنيه في مجلسه أكثر من أولاده، واعتنى به ودافع عنه، وصد عنه اعتداء المشركين، وصبر معه في الحصار الذي كان في الشعب سنتين أو أكثر، صبر مع عشيرته وقرابته كانوا يأكلون الجلود وأوراق الشجر، كل ذلك في الذب عنه -عليه الصلاة والسلام- بل كان يقول في بيت الله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوارى في التراب دفين

يعني: إلى أن أموت وتخرج روحي من جسدي ما يمكن أن يصلوا إليك، فكان يدافع عنه ويذب عنه وينصره ويحميه، حتى حاول المشركون معه محاولات شتى من ضمن محاولاتهم في إقناعه أن يسلم لهم رسول الله – عليه الصلاة والسلام– وأن لا يقوم بحمايته اختاروا أحسن شبابهم وانتقوه انتقاءً، وجاءوا به إلى أبي طالب، وقالوا: خذ هذا هو من أحسن الشباب وأنضرهم وكذا وأعطوه من صفاته وقالوا: خذه وسلم لنا محمد، خذ هذا بدلا، سلم لنا محمد حتى نقتله ونرتاح من هذه الأمور التي جاءنا بها، فماذا قال أبو طالب: عجبا لكم أسلمكم ابني لتقتلونه وتسلمونني ابنكم لأربيه، وأبى، أبى واستمر في دفاعه وفي النصرة.

فكان –عليه الصلاة والسلام– حريصا على هداية عمه، ويعرف الأمور التي قدمها والأمور التي بذلها، فكان حريصا جداً على هداية عمه، فكرر عليه الدعوة في أوقات كثيرة، وكان عمه ولننتبه يا إخوان، كان عمه يعرف صحة دين محمد يعرف أنه دين صحيح، وصرح بذلك في أبيات له قال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دين

إذن لماذا لا تسلم، قال مجيبا على هذا التساؤل:

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبين

يعني: لولا أنني أخشى أن أجلب مسبة على عشيرتي وعلى قومي، ويقال: ترك دين الآباء، وترك دين الأجداد، وخرج عن دين آبائه، فهذا الذي جعله يمتنع وإلا هو مقتنع بأن دينه دين صحيح، وأنه من خير الأديان، ولكن الذي منعه من ذلك حتى الموت هو هذا الأمر ولهذا سيأتي معنا في الحديث أنه قال: هو على ملة عبد المطلب، يعني لن يترك دين الآباء ودين الأجداد، ولن يتحول عنه إلى دين آخر حتى وإن كان مقتنعا بصلاحه.

إذن يا شيخ دفاعه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– هل هو لأجل حمية قبلية؟ أو لأجل حبه في الإسلام؟

هو أحب النبي –عليه الصلاة والسلام– ورعاه وحن عليه؛ لأنه نشأ يتيما وكان مقدما له على أولاده ورأى فيه خلقه وأدبه، لكنه امتنع عن قبول الدين الذي جاء به لهذا السبب، وهو الذي صرح بهذا، هو الذي صرح بأنه لم يترك الدين الذي جاء به محمد –عليه الصلاة والسلام– إلا لسبب واحد وهو قوله:

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبين

كثير من الناس تمنعهم هذه الحجة عن قبول الدين، يقول: ماذا أقول لعشيرتي؟ ماذا أقول لقرابتي؟ كيف يكون موقفي من الجماعة؟ كيف يكون موقفي من العشيرة؟ ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣] هذا جواب المشركين وجواب أهل الباطل عندما تقام عليهم الحجج وتبين لهم البراهين يجيبون بهذا الجواب.

الآن عندك فرعون لما أقام عليه موسى الحجة، لما أقام عليه الحجة وأوضح البراهين وأفحمه ولم يبقى له الجواب ماذا قال: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ﴿٥١﴾﴾ [طه: ٥١] يعني كل الناس الذين كانوا قبلنا كلهم على باطل ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ [طه: ٥١] يعني: الذين مضوا قبلنا كلهم على باطل، الحق ما جئت به أنت ومن مضى من الآباء والأجداد والأسلاف هؤلاء كلهم ماتوا على باطل، ما بال القرون الأولى؟ فهذا جواب متكرر يعيده من هو مفلس من الحجة، وكل مبطل مفلس.

حتى بعض المشايخ يتعذر من ناحية في جانب الدعوة إذا دعي إلى الخير ويخشى أن يفقد بعض المزايا الاجتماعية بين قبيلته وعشيرته؟

هذا كله من هذا القبيل، يعني: بعضهم يخشى أن يفقد سمعته، وبعضهم يخشى أن يجر سبة بزعمه على عشيرته وجماعته، وبعضهم يخشى من فقد مكانته، بعضهم يخشى من فقد رئاسته، ومنصبه وهكذا الصواد عن الخير والصوارف كثيرة جداً، ومما صد أبو طالب ومنعه من قبول الحق مع قناعته في داخله وقرابة نفسه بصحته هو خوفه من الملامة والسب وهو صرح بذلك قال:

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحا بذاك مبين

أقول الآن ينبغي معاشر الإخوة أن ندرك هذا الأمر، من هو أبو طالب؟ وماذا قدم؟ وأيضاً قناعته ومعرفته بصحة الإسلام؟ أيضاً لا يغب عن أذهانكم حرص النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- على هدايته؟ وشعوره -عليه الصلاة والسلام- بالجهود التي قدمها والأعمال التي بذلها والنصرة والتأييد والرعاية والحنان والقديم على الولد قدم أشياء كثيرة جداً عمه؛ ولهذا حرص النبي -صلوات الله وسلامه عليه- حرصاً شديداً على هدايته، وكان يكرر عليه الدعوة في كل مناسبة إلى أنه أتاه في اللحظات الأخيرة، لما حضرته الوفاة، أتاه -عليه الصلاة والسلام- وفي الوقت نفسه أتاه قرناء السوء، أتاه -عليه الصلاة والسلام- لتدارك الأمر في اللحظات الأخيرة، وأتاه قرناء السوء حتى يثبتوه على باطله إلى لحظاته الأخيرة وإلى أن تخرج أنفاسه.

فالذي حدث أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء إليه وكان عنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، ويقول بعض أهل العلم يحتمل أن يكون المسيب بن حزن راوي الحديث أيضاً ممن كانوا عنده، وروى هذه القصة لحضوره وشهوده لها، وكان وقتها ليس مسلماً، كان وقتها ليس على الإسلام، وكان حاضراً فهذا احتمال قوي أن يكون موجوداً، فكان عنده ونبينا -عليه الصلاة والسلام- عنده وبدأ يتلطف معه ويدعوه للإسلام، وانظر هذا الرفق والخطاب اللطيف والحرص العظيم: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) دعوة ونصيحة في اللحظات الأخيرة وقوله في الحديث: (لما حضرت أبا طالب الوفاة)، يعني: لما جاءت علامات الوفاة، علامات الوفاة ومقدماتها؛ لأن التوبة في مثل هذا الوقت تنفع، لكن إذا غرغر الإنسان وبدأت روحه تخرج وتاب ما تقبل التوبة، كما في القرآن الكريم ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ [النساء: ١٨] وجاء في الحديث: (تقبل توبة أحدكم ما لم يغرغر) ولهذا إيمان فرعون لم ينفه لما قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] هذا إيمان مشاهدة، يعني: شاهد الموت وبدأ يغرغر فنطق بهذا الإيمان فلم يكن نافعا، فلا ينفع الإيمان الذي يكون بمشاهدة الموت، ولهذا فإن قوله: (لما حضرت أبا طالب) ليس المراد لما بدأ يغرغر وبدأت روحه تخرج؛ لأن الإيمان في هذا الوقت لا ينفع، وإنما المراد المقدمات والعلامات، علامات الموت (فلما حضرته الوفاة أتاه النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال له: يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) وأعادها عليه، وكان عنده هؤلاء أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، واحتمال أيضاً أن المسيب معهم، فماذا قالوا له: (قالا: بل على ملة عبد المطلب) وهنا أريد حقيقة أن تتابعوا معي، قوله: (بل على ملة عبد المطلب) ألا يمكن أن نستفيد منه أن هذه أقوى حجة عندهم؟ ألا يمكن أن نستفيد أن هذه أقوى حجة عندهم لعدم القبول؛ لأن المقام مقام تدارك، النبي -عليه الصلاة والسلام- حريص على هدايته، وهم حريصون على بقائه على هذا الدين فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول له: (قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) وهذان عند رأسه يقولان له: (بل على ملة عبد المطلب) ذكرهما لهذه الكلمة دون غيرها من كلمات يدل على أنها أقوى حجة عندهم، أقوى حجة عندهم لعدم القبول وهي عندهم تعتبر مقنعة وقوية وفيصل يعتبرونها في الأمر اكتفوا بها ولم يذكروا شيئًا معها، ما قالوا: لا تقبل لكذا ولكذا ولكذا، اكتفوا بهذه الكلمة، لأنهم يرونها أهم ما يكون، وأعظم ما يكون في هذا الباب، فأعظم حجة عند المشركين وأهل الشرك في قديم الزمان وحديثه هي هذه تعظيم الأسلاف، وتعظيم الآباء والأجداد، أيضاً قلت فائدة مهمة،

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: (قل لا إله إلا الله) وهما يقولان: (بل على ملة عبد المطلب) هنا ينبغي حقيقة أن تنتبه ما هي ملة عبد المطلب؟ لو سألتكم الآن سؤالا ما هي ملة عبد المطلب؟ هي ملة مناقضة لملة التوحيد، ملة مناقضة لملة التوحيد؛ لأنه لما قال له التوحيد، بلا إله إلا الله، قل: (لا إله إلا الله) قالا: (بل على ملة عبد المطلب) فنحن الآن نعرف أنها ملة مناقضة للتوحيد مباينة له، فما هي؟ هل هي إنكار وجود الله؟ هل ملة عبد المطلب هي إنكار وجود الله؟ أو أن عبد المطلب كان يؤمن بوجود الله؟

كان يؤمن بوجود الله.

كان يؤمن بوجود الله، طيب أمر آخر، هل ملة عبد المطلب إنكار ربوبية الله؟ بمعنى أنه كان يعتقد أنه ليس الرب العالمين هو الله، بل الرب هو اللات والعزى ومناة؟ هل هذه ملة عبد المطلب؟ لا.

لما جاء أبرهة بغرض هدم البيت، وخرج عبد المطلب للذب عن ماذا؟ عن ماشيته، خرج للذب عن ماشيته والمطالبة بها، قال كلمة معروفة، قال: أنا رب الإبل، أي: صاحب الإبل، وللبيت رب يحميه، يعتقد أن الرب والمتصرف والمدبر ويعتقد أن رب البيت ويعتقد أن الأصنام التي يعبدونها هي مملوكة له، ملك لله يعتقد هو والمشركون كانوا يعتقدون ذلك، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. أنت تملك هذه الأصنام وهي لا تملك، فملة عبد المطلب لم تكن إنكاراً لوجود الله، ولم تكن إنكاراً لربوبية الله، كانوا يقرون أن الرب الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله -جل وعلا- إذن ماذا كانت ملة عبد المطلب؟ إذا ما هي ملة عبد المطلب؟ إشراك الأصنام وغيرها واتخاذها معبودات مع الله، يعبدونها مع الله، تقربهم إلى الله، هذه ملة عبد المطلب، ولهذا لاحظ نبينا -عليه الصلاة والسلام- قال: (قل: لا إله إلا الله، فقالا له: بل على ملة عبد المطلب) لو كان معنى "لا إله إلا الله" لا خالق إلى الله، أو لا رب إلا الله، أو لا رازق إلا الله، هل يقبلها أبو طالب أو لا يقبلها؟ يقبلها، لأنها لو كان هذا معناها لقبلها: لأنها لا تخالف ملة عبد المطلب، ملة عبد المطلب يقر أنه لا رب إلا الله، ولا خالق إلى الله، فلو كان هذا هو معناها، لكان من أبي طالب القبول؛ لأنها لا تصادم ملة عبد المطلب، لكن ما هو معناها؟ أبو طالب والثاني والثالث والآخرون من أهل الشرك كانوا يعرفون معناها، يعرفون أن "لا إله إلا الله" تعني ترك عبادة غير الله، وإخلاص الدعاء والسؤال والطلب والذبح وغير ذلك من العبادات، إخلاص ذلك كله لرب العالمين، ولهذا لما قال: (قل: لا إله إلا الله قالوا: بل على ملة عبد المطلب) لأن ملة عبد المطلب فيها اتخاذ الشركاء واتخاذ الأنداد التي هي بزعمهم تقربهم من الله زلفى، وتدنيهم منه -تبارك وتعالى- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨].

فإذن قولهم: (بل على ملة عبد المطلب) يفيدنا أن ملة عبد المطلب هي اتخاذ الأنداد من الآلهة والمعبودات والتوجه إليها بالطلب والسؤال، أنت تعجب الآن إذا وجدت في باب المنتسبين للإسلام من إذا سئل: ما معنى لا إله إلا الله؟ قال: معناها لا خالق إلا الله، أو قال: معناها لا رازق إلا الله، هذه والله مصيبة، إذا كان فيما ينتسب للإسلام من يجهل معنى لا إله إلا الله جهلا لم يصل إليه المشركون مع شركهم، فهذه مصيبة عظيمة جدًا إذا كان فيمن ينتسب إلى الإسلام من يجهل لا إله إلا الله جهلا لم يصل إليه المشركون مع شركهم، فالمشركون كانوا يعرفون المعنى.

يعرفون توحيد الربوبية، يقرون بتوحيد الربوبية.

يقرون به لكن يعرفون أن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (قولوا لا إله إلا الله) معناه: أخلصوا العبادة لله، لا تعبدوا إلا الله، أبو سفيان لما ذهب إلى الشام وسأله هرقل قال إلى أي شيء يدعوكم، قال: (يدعونا أن نعبد الله ولا وحده ولا نشرك به شيئً) أخذ هذه من قوله: (قولوا لا إله إلا الله) ولما قال لهم -عليه الصلاة والسلام-: (قولوا لا إله إلا الله تفلحو) قالوا كما جاء في القرآن: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] المعبودات جعله معبود واحد هذا أمر عجيب يقولون، فكانوا يفهمون معنى لا إله إلا الله.

على كل حال نتابع القصة وهي حقيقة قصة عظيمة ومفيدة، ونافعة وفيها فوائد جليلة جداً، قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: (قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) (أحاج لك بها عند الله) يذكرنا بدرسنا الماضي أن شفاعة الشافعين لا تفيد إلا لمن رضي الله قوله، ولهذا طلب منه النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يقول: لا إله إلا الله بإخلاص وصدق، وتكون خاتمته هذه الكلمة، فيرضى الله قوله، ويكون ودع الشرك في آخر حياته، فتفيد الشفاعة حينئذ ويأذن الله حينئذ للشافعين بالشفاعة، أما من لم يرضَ قوله ومات على الشرك فما تنفعهم شفاعة الشافعين ولا يؤذن لهم بالشفاعة، فقال: (قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله قالا -يعني عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل-: بل على ملة عبد المطلب) وهنا تدرك خطورة قرناء السوء، خطورة قرناء السوء على الإنسان هي من أخطر ما يكون عليه، حتى في اللحظات الأخيرة، وقرين السوء ما يريد من قرينه أن يتخلى عن الباطل، بل يريد أن يموت على باطله، وأن يموت على ما هو عليه من ضلال، فقالا له: (بل على ملة عبد المطلب) وأعاد النبي -عليه الصلاة والسلام- يعني أعاد: (قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله فأعادا أي قالا: بل على ملة عبد المطلب فمات -نسأل الله العافية- وهو يقول: هو على ملة عبد المطلب، وأبا أن يقول: لا إله إلا الله) والحديث يفيدنا فائدة واضحة للجميع أن العبرة بالخواتيم (ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) فلو أنه قالها وختم له بها، وقالها مخلصا وترك الأوثان فهذه خاتمة حسنة، وينال بها الخير لأن العبرة بالخواتيم قال: (فمات وهو يقول: هو على ملة عبد المطلب).

هنا تلاحظ أمرا عجيبا في كمال قدرة الله، وأن الأمر بيده، وأن الهداية منه -سبحانه وتعالى- عم النبي الذي مكث أربعين سنة ينصر النبي ويحميه ما كتب الله له هداية، ما كتب الله له، الهداية بيده، يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] ما كتب الله هداية له، فمات وهو يقول: (هو على ملة عبد المطلب) انظر إلى العجيبة العظيمة، عبد الله بن أبي أمية كان جالساً عند رأس أبي طالب إلى آخر لحظات وهو يقول له: (بل على ملة عبد المطلب) وغادر أبو طالب الحياة وهو يقول: (هو على ملة عبد المطلب) ويشاء رب العالمين أن يهتدي عبد الله بن أبي أمية وأسلم وحسن إسلامه ومات مسلماً وهو صحابي جليل -رضي الله عنه وأرضاه- فالهداية بيد الله، هذا عبد الله بن أبي أمية جالساً عند رأس أبي طالب إلى أن مات وهو يقول له: (هو على ملة عبد المطلب) يعني: ليس فقط عبد الله بن أبي أمية مشرك فقط، بل مشرك ويصد عن دين الله، مشرك ويدعو إلى محاربة الدين، وجلس عند رأس أبي طالب عم النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى آخر لحظات، إلى أن مات وهو على غير الملة، ثم يشاء رب العالمين أن يهتدي عبد الله.

إذن الهداية بيد رب العالمين ليست الهداية بيد النبي -عليه الصلاة والسلام- ولا بيد ملك ولا بيد ولي ولا بيد أي أحد، وهذا الشاهد أمامنا، هذا حادث والنبي -عليه الصلاة والسلام- يعرف الجهود التي بذلها نحوه، والإحسان الذي قدمه فيقول: يا عم يا عم، وحريص والله يقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

ثم يشاء الله -سبحانه وتعالى- فيهتدي عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل مات مقتولا على شركه وكفره بالله، والمسيب إن كان ممن حضر هذه الجلسة وكان على الشرك أيضاً هداه الله فالمسيب ابن حزن مسلم، أسلم وحسن إسلامه ووالده أيضاً حزن المخزومي القرشي أيضاً صحابي وأسلم وهذا عم النبي -عليه الصلاة والسلام- مات على الشرك بالله.

(فقال النبي: (لأستغفرن لك)).

قال: (لأستغفرن لك) لاحظ الحرص المستمر على هذا العم الذي قدم الشيء الكثير للنبي -عليه الصلاة والسلام- فهذا حرص مستمر، قال: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) يعني: إذا جاء نهي سأتوقف وإلا (لأستغفرن

لك ما لم أنه عنك) فنزل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ يعني: ولو كان قريبا وعزيزا وله مكانة عندك، إن كان مات على الشرك فلا يجوز أن تستغفر له، فنزل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] فامتنع النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الاستغفار له.

وجاء في حديث آخر أن بعض الصحابة ذكروا النبي -عليه الصلاة والسلام- وهم يدركون المواقف العظيمة التي بدأها أبو طالب والأشياء الكبيرة التي قدمها في حياته ونصرته وتربيته وإلى غير ذلك من الأمور يدركون ذلك فسألوه قالوا: إن معنى الحديث إن عمك قدم لك، فهل أنت نافعه بشيء قال معنى ذلك أنه يشفع له يوم القيامة فيكون في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه، فيبقى في النار مخلدا فيها لأن هذا شأن المشرك، ولكن خف خص بهذه الشفاعة، وهو الوحيد من المشركين الذين خصوا بهذه الشفاعة أن يخفف عنه العذاب مع بقائه مخلدا فيه في ضحضاح من النار يغلي منها دماغه، لكن استغفار له وترحم عليه هذا منع منه -عليه الصلاة والسلام-.

ثم نزل قول الله تعالى وهو عنوان الترجمة، نزل قول الله تعالى في تسلية النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] هو خالق الخلق -تبارك وتعالى- والهداية منته والفضل فضله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢٩] وفي دعاء القنوت: (اللهم اهدني فيمن هديت) لأن الهداية منة الله وتفضله ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يرددون في غزوة من الغزوات لعلها أحد: (والله لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا ولا صلينا) والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١] فالهداية والتزكية وصلاح القلب وشرح الصدر للإيمان كل هذا بيد الله، ليس بيد ملك مقرب، ولا بيد نبي مرسل، ولا بيد ولي من الأولياء، كل ذلك لله -جل وعلا- وليس لأحد فيه أي شيء، وإذا علم المسلم ذلك يستفيد فائدة عظيمة جداً في باب التوحيد وتقريره وإبطال الشرك وهي أن تعلق القلب والالتجاء والسؤال والطلب كل ذلك لا يكون إلا لله -جل وعلا- لو اتجه إنسان إلى أفضل عباد الله على الله، وقال: اهدني في حق النبي -عليه الصلاة والسلام- أيملك هدايته؟ لا، ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فالهداية إذا أرادها العبد لنفسه والتوفيق السداد ودخول الجنة والنجاة من النار كل هذه الأمور يطلبها من مالكها من الذي بيده أزمة الأمور، من الرب المتصرف الخالق المدبر، لا يلتجئ إلى مخلوق، ولا يلتجئ إلى ملك، ولا يلتجئ إلى نبي، ولا يلتجئ إلى أي أحد كائنا من كان، وإنما يلتجئ إلى الله -سبحانه وتعالى- ويتوجه إليك بالسؤال والطب والرجاء والرغبة ولا يتوجه بذلك إلا إلى الله رب العالمين.

نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] جاء في القرآن آية أخرى لابد أن نشير إليها في آخر سورة الشورى ماذا؟ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] لاحظ هنا الله -جل وعلا- قال في حق نبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ فأثبت له الهداية أليس كذلك؟ أثبت له الهداية، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ وهناك نفى عنه قال: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] فكيف نجمع بين هذه الآيات وبين قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟

قال أهل العلم: الهداية هدايتان: هداية توفيق وإلهام وشرح صدر للخير والإسلام وهداية دلالة وإرشاد ونصح وبيان فالذي نفاه الله -جل وعلا- عن نبيه -عليه الصلاة والسلام- هو ماذا؟ هداية التوفيق والإلهام، والذي أثبته

لنبيه -عليه الصلاة والسلام- هو هداية الإرشاد والنصح والبيان، ولهذا على ضوء الآيتين لو سألنا الإخوة سؤالا قلنا: هل النبي -عليه الصلاة والسلام- هدى عمه أو لم يهده؟ هداه من جهة البيان والإرشاد، بيَّن ونصح وعلم وقال: (يا عم) هذه هداية، هذه الهداية التي يملكها، ما يملك أكثر من هذا، هذا الذي يملك -عليه الصلاة والسلام- لا يملك أكثر من هذا، لا يملك أن يشرح صدر من أمامه للإسلام، ولا يملك أن يحول قلبه من كفر، ما يملك ذلك، هذا ملك الله، لكنه -عليه الصلاة والسلام- يملك البيان، وأقدره الله عليه، فكان يبين لعمه ويبين للآخرين وينذر ويدعو إلى آخره، لكن هداية التوفيق هذه لا يملكها، لا يملكها إلا رب العالمين، إذن لو قيل لنا في القرآن هداية منفية وهداية مثبتة، هداية منفية في قوله: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وهداية مثبتة في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فكيف نجمع بين الهدايتين؟

هناك قاعدة ذكرها أهل العلم في الكتب التي تعتني بقواعد التفسير أن الله إذا أثبت شيئا في القرآن ونفاه فالمثبت غير المنفي، حتى ما تختلط الأمور، المثبت غير المنفي، فالمنفي هداية التوفيق، والمثبت هداية الدلالة والإرشاد، على كل حال خلاصة الأمر أن هذه الترجمة فيها فائدة عظيمة وهي أن الهداية والتوفيق وصلاح القلب وثبات الإنسان على الأمر هذا بيد رب العالمين، هذا بيد الله رب العالمين، ليس بيد أحد كائنا من كان.

كان نبينا كما جاء في المسند من حديث أم سلمة: (كان أكثر دعائه -صلوات الله وسلامه عليه- كان أكثر دعائه يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فسألته أم سلمة قالت: يا رسول الله، ما أكثر ما تقول في دعائك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك! أو إن القلوب لتتقلب؟ -هذا سؤال- أو إن القلوب لتتقلب؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه) ومر معنا الحديث القدسي يقول الله: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته) إذن التجاؤنا وطلبنا وفرارنا واعتصامنا ودعاؤنا وطلبنا كله نتجه به إلى من؟ إلى الله سبحانه، وهنا ندرك الخطأ الفاحش والضلال المبين الذي يمارسه كثير من الناس باتجاههم إلى الأضرحة أو إلى القباب، واحد يريد نجاة من النار، وآخر يريد هداية قلب، وثالث يريد طردهم، ورابع يريد صلاح أمر، وخامس يريد غنى من فقر إلى غير ذلك من أمور لا تطلب إلا من رب العالمين، أين هؤلاء من هذه الآيات البينات والحجج الواضحات في كلام الله وكلام رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-؟

شيخنا الكريم إذا اشتكى أحد الآباء من ابنه، وهو هذا الابن في ضلال، وفي زيغ، وعاق لوالديه، ويقول في نفسه لما مثلاً سمع مثل هذه الآيات يقول: إن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فهذا ابني الله -سبحانه وتعالى- أراد أنه يكون على غير هداية، فهل يعني نقول له: نعم أنت ليس بيدك هذه الهداية، لكن يمكنك أن مثلاً تحاول النصح مع هذا الابن، وتجدد معه النصيحة، وتحسن علاقتك مع ابنك، وتسلك معه عدة وسائل من باب بذل الأسباب، لكن حينما يقفل الطريق أمامك فإنك تقتنع أن الهداية ليست بيدك؟

أولاً أشكرك على السؤال، حقيقة السؤال جميل جداً، وأهل العلم قالوا وذكروا فائدة مهمة في هذا الحديث قالوا: إن هذا الحديث فيه تسلية للآباء وللمربين إذا بذل جهده في نصح شخص سواء كان ابنا أو قريبا أو تلميذا أو جارا أو غير ذلك، إذا بذل نصحه له ولم يهتدِ فلا تأسَ؛ لأن الأمر بيد الله وأديت الذي عليك، الذي عليك هو أن تنصح وتبين وتربي وتجتهد إلى آخر لحظة، فلاحظ هنا النبي -عليه الصلاة والسلام- بذل النصيحة إلى آخر لحظة، يعني: إلى أن حضرت عمه الوفاة وهو في نصحه إلى آخر لحظة، ولم يكتب الله هداية فنزل في تسلية: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فهذه الآية كما أنها فيها تسلية لنبينا -عليه الصلاة والسلام- أيضاً فيها تسلية لكل أب ولكل مربٍ ولكل موجه ولكل داعية ولكل ناصح بذل أدى الذي عليه ولم يهتدِ أحد لا تأسَ، وقد مر معنا في ترجمة مضت أن: (النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ومعه الرجل ومعه الرجلان) نبي مكث في أمته مدة من الزمان يدعوهم وينصح ويهدي ويبين، ومؤيد من الله وأقام الحجة ولا يهتدي ولا واحد هذا مما يدل لترجمتنا هذه أن الهداية بيد الله ليست بيد الأنبياء، يعني: لا اهتدى ابن ولا اهتدى عم ولا خال ولا قريب

ولا أحد، يأتي وليس معه أحد؛ لأن الهداية ليست بيده، حرص وأحب ورغب واجتهد ولم يهتدِ أحد؛ لأن الهداية بيد رب العالمين.

إذن الآية فيها تسلية لكن أيضاً نبه على أمر يتعلق بالسؤال: ما يجعل الداعية والمربي أو الأب هذه متكئا له للتخلي عن الدعوة هذا خطأ، لا يجعله متكأ له للتخلي عن الدعوة، يدعوه مرتين ويترك يقول: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] إذا تريد أن تطبق معنى الآية فالنبي –عليه الصلاة والسلام– إلى آخر لحظة لم ييأس، إلى آخر لحظة ما دخله اليأس، إلى آخر لحظة وهو معه يحاول، وقبل هذه تكررت منه –عليه الصلاة والسلام– من محاولات وصبر إلى آخر لحظة، فإذا كان الداعية أو الأب أو المربي بذل وقدم من الدعوة الشيء الكثير ولم تحصل هداية يكون في هذه الآية تسلية له.

الأخت الكريمة من سوريا تقول: طالما أنني أقوم بصلاتي وصيامي وأدائي كل واجباتي التعبدية حسب استطاعتي ولكن السؤال: كيف أضمن لنفسي حسن الخاتمة؟ لأنه كما قلتم بأن الهداية بيد الله –سبحانه وتعالى– وأنا مؤمنة تماماً بهذا، ومع ذلك فإني أخاف من كيفية ما ستكون عليه خاتمتي وجزاكم الله خيراً؟

هذا السؤال الذي طرحته الأخت الكريمة من سوريا حقيقة سؤال مهم، وأيضاً هو يدل على استفادة الأخت وحسن فهمها لهذا الأمر، وما أشارت إليه وهو الخوف من سوء الخاتمة ينبغي أن يكون شاغلا لذهن كل مسلم، ولهذا يتكرر الدعاء والإلحاح على الله والسؤال والطلب: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وهذا شأن المؤمن عنده إحسان، ومع الإحسان خوف.

يقول الحسن البصري –رحمه الله–: إن المؤمن جمع بين إحسان وشفقة، والمنافق جمع بين إساءة وأمل. المؤمن محسن ومشفق خائف، والمنافق مسيء وآمن في الوقت نفسه، والله يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] فالواجب على المسلم أن يكون على هذه الصفة، خائفًا، ودائما يسأل الله –جل وعلا– أن يثبت قلبه، وأن لا يزيغ قلبه في دعاء القرآن: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨] وفي دعاء نبينا –عليه الصلاة والسلام–: (يا مثثبت القلوب ثبت قلبي على دينك) وورد في هذا المعنى دعوات كثيرة، فالمسلم يجتهد في الطاعة والعبادة والتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– وإصلاح عقيدته بينه وبين الله، والبعد عن الضلال والبدع والأهواء، ويقبل إقبالا على الله –سبحانه وتعالى– ويختم له بإذنه –تبارك وتعالى– بالخاتمة الحسنة.

في القرآن الكريم الله –جل وعلا– يقول: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ومن نعمة الله على العبد إذا صدق مع الله، وأحسن صلته مع الله، وأصلح سريرته مع الله، وألح في الدعاء على الله: يا رب يا رب ثبت قلبي إلى آخره –أن الله –عز وجل– لا يخيب ولا يرد عبدا دعاه، فإذا صدق مع الله، وأحسن الإقبال على الله لا يخذله الله ولا يضله الله، يطلب من الله الهداية، ويلح عليه في طلبها، ويحسن في عبادته مع الله، مثل هذا ولهذا يقول عبد الحق الإشبيلي كما نقل ذلك ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الفوائد قال: من فوائد حسن العقيدة حسن الخاتمة، إذا صلحت عقيدة الإنسان بين الله هذه من أسباب حسن الخاتمة لكن إذا كانت سريرة الإنسان، يعني: يصلي ويصوم، لكن سريرته باطنه فيه من الفساد ما فيه، فهذا قد يؤدي إلى سوء الخاتمة، ولهذا جاء في الحديث: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) جاء في رواية لهذا الحديث ثابتة توضح المعنى قال: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس) يعني: سريرته، وباطنه فيه شيء من الفساد وإن كان ظاهره فيه صلاح فيه صلاة وفيه... ولهذا من أهم ما يكون أن يصلح الإنسان قلبه بالتوحيد والإيمان الصحيح والبعد عن الشرك والضلال والبدع والأهواء، وأن يكون صادقا مع الله في التجائه وطلبه، فهذا بإذن الله ينال الخاتمة الطيبة، ونسأل الله للسائلة وللجميع حسن الختام.

الأخ الكريم من فرنسا يقول: ما حكم قول: غفر الله لنا وغفر الرسول لنا؟ وبما أن هذا السؤال متعلق بالدرس الماضي: فيقول: ما حكم قول: غفر الله لنا وغفر الرسول لن؟

"غفر الله لنا" هذه دعوة وسؤال متجه فيها إلى من بيده المغفرة، المغفرة بيد الله، وهو الذي -سبحانه وتعالى- يغفر الذنوب، وهو الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، وهو الغفور الرحيم، فالغفور هو الله، والمغفرة تطلب من الله، فطلبها من الله توحيد وإخلاص، وطلب في محله.

وقوله: "وغفر الرسول لنا" فهذا طلب من الرسول ما لا يملكه، ولا يقدر عليه، وليس بيده، فهذا من الشرك، فالمغفرة لا تطلب من الرسول، وإنما تطلب من الله -جل وعلا- والنبي -عليه الصلاة والسلام- مأمور أن يطلب المغفرة من الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] وفي حياته كانوا يطلبون منه أن يستغفر لهم، لا أن يغفر ذنوبهم، الذي يغفر الذنوب هو الله، وكانوا يطلبون منه أن يغفر لهم، ولهذا جاء في القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] أي: طلب الرسول لهم المغفرة من الله ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾.

أما بعد مماته فمر معنا في الدرس الماضي قول النبي -عليه الصلاة والسلام- لعائشة: (إن كان ذاك وأنا حي استغفرت لكِ) مما يدل على أنه بعد مماته -صلوات الله وسلامه عليه- لا يطلب منه أن يستغفر لأحد، ولا أيضاً هو -عليه الصلاة والسلام- يستغفر لأحد، وقد جاء في حديث سنده لا يثبت أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما كان فيها من خير حمدت الله، وما كان فيها من ذنوب استغفرت الله لكم) هذا لم يثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-.

الأخت الكريمة من مكة تقول: هل هناك حكمة في أن هناك من كفار قريش من كان يؤذي النبي -صلى الله عليه وسلم- وشديد الإيذاء، ومع ذلك أنعم الله عليه بالهداية وأسلم، وأبو طالب الذي كان يحمي النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك لم تكتب له الهداية؟

الأخت الكريمة تقول: أحرص على صلاح أولادي، ولديها بنت في المرحلة الثانوية ولكن بنتها للأسف تصر على الذهاب إلى صالات الأفراح مع ما فيها من المنكرات، وهي تحاول إقناعها لكن تأبى، فهل على الأم إثم في ذلك؟

سؤال الأخت الكريمة من مكة مهم في موضوعنا، ولا شك أن كل أفعال الله -سبحانه وتعالى- عن حكمة، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ولله الحكمة البالغة ولو شاء لهداهم أجمعين، فالله -عز وجل- له حكمة في خلقه، وهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء كل ذلك بحكمة، وأفعاله كلها عن حكمة علمت أو لم تعلم ليس لله -تبارك وتعالى- فعل إلا وهو صادر عن حكمة، فهذه قاعدة في هذا الباب.

والفائدة العظيمة التي نستفيدها هنا أن الهداية بيد الرب العظيم، والحكيم الخبير -سبحانه وتعالى- والتوفيق بيده، وأيضا نستفيد أن الرجل مهما كان أمره من مثلاً انحراف أو ضلال أو زيغ أو غير ذلك، إذا كتب الله له الهداية هداه ومن عليه بالهداية، وإذا كان فيه من مثلاً حسن الخلق وطيب المعاملة وأمور من هذا القبيل ولم يشأ الله له أن يهتدي فالأمر لله -سبحانه وتعالى- من قبل ومن بعد، فهذا يفيدنا في باب التوحيد أن الإقبال كله على الله لا على غيره ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

شيخنا الكريم لم يتسع لنا الوقت إلا في دقيقة واحدة يعني بإيجاز فقط الأخت الكريمة لحرصها على بنتها، وكذلك حرص الإخوة جميعاً على أولادهم نصيحة عامة يا شيخ؟

والله، على كل حال موقف هذه الأخت من بنتها طيب، وينبغي عليها أن تواصل النصح لها، وأيضاً ولي أمرها الذي هو والدها ينبغي أن يأخذ على يدها بما أتاه الله -جل وعلا- من ولاية، وكذلك أيضاً تعتني بأمر الدعاء، دعاء الله -سبحانه وتعالى- لابنتها، وأيضاً تعتني مع ابنتها بالتوجيه بإعطائها الكتب والأشرطة التي تعالج هذه المشكلة، والتي مع المواصلة بإذن الله -جل وعلا- ونسأل الله أن يمن على بنتها وبنات المسلمين بالهداية والتوفيق والصلاح.

شيخنا الكريم وصلنا إلى نهاية الدرس، نشكرك من أعماقنا شيخنا الفاضل ويبقى أن تطرحوا سؤالَيْ هذا الدرس المبارك؟

درس اليوم في أمر الهداية، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة واضحة الدلالة على أن الهداية هداية التوفيق بيد الله -جل وعلا- لا بيد غيره، فأريد جمع خمس آيات، نترك رقم عشرة، أظن طولنا عليكم، خمس آيات من القرآن الكريم فيها هداية التوفيق وبيان أنها ليست إلا لله رب العالمين لا شريك له؟

ثم أيضاً سؤال آخر: قول الله -عز وجل-: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ ما معنى ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ هنا؟ ما المراد بالهداية هنا؟ يراجع في ذلك كتب التفسير، وموضوع اليوم الهداية، ونختم بسؤال الله الهداية، فأسأل الله أن يهدينا جميعاً إليه صراطاً مستقيماً، نسأله -تبارك وتعالى- أن يهدينا، وأن يصلح قلوبنا، وأن يثبتنا على دينه، وأن يصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، التوفيق بيده ولا حول ولا قوة إلا به، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علماً، واجعل يا ذا الجلال والإكرام ما نتعلمه حجة لنا لا علينا يوم نلقاك يا حي يـــا قيوم.

معاشر الإخوة الكرام، نحن في دراستنا لهذا الكتاب الماتع والمؤلف القيم كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- قد مررنا على أبواب عظيمة في التوحيد في تقريره وبيانه وبيان فضله وعظيم أثـــره على العبد الموحد في الدنيا والآخرة، وكذلك مر معنا التحذير من الشرك وبيان خطره وشدة ضرره، وما يترتب على الشرك من العواقب الوخيمة والآثار الجسيمة في الدنيا والآخرة، وأيضًا مر معنا في هذا الكتـــاب المبـــارك الدلائل الواضحات المبينة لفساد الشرك، وأن من يشرك بالله -تبارك وتعالى- ليس عنده إلا شبهات واهيـــات لا قيمة لها ولا وزن لها في مجال الحجة والبرهان، ولهذا فكل مشرك ليس عنده سلطان أي: برهان على ما يقوم به من شرك وما يمارسه من باطل.

والشرك لا حجة له، والمشرك لا حجة له، ولا دليل عنده، ولا متعلق له إلا بأوهام وأباطيل؛ ولهذا من الأمور المهمة العظيمة التي ينبغي أن نعيها أن التوحيد أظهر الأمور وأبينها وأوضحها والشرك أيضاً فساده من أظهر ما يكون، وقبحه من أظهر ما يكون، وأيضًا آثاره السيئة ظاهرة من خلال تأمل النصوص وتأمل التاريخ، وأحـــوال من صرفوا العبادة لغير الله -تبارك وتعالى- هذا الأمر في غاية الظهور والوضوح وقد مر معنا شيء من بيانه وإيضاحه ودلائله في هذا الكتاب المبارك، يأتي هنا تساؤل يرد في الذهن، ويرد على الخاطر إذا كان التوحيـــد بهذا الوضوح وبهذا البيان وكذلك الشرك وفساده واضح وظاهر فما هو سبب وجوده؟

هذا تساؤل حقيقة قد يأتي على أذهان الناس، كأن قائلا يقول: إذا كان الشرك بهذا الوضوح، وفـــساده بهـــذا الوضوح، والتوحيد أيضاً صفاؤه بهذا الوضوح، فما السبب الذي لأجله؟ أو ما هي الأسباب التي وجد بها أو من ورائها الشرك بالله -عز وجل-؟

هذا سؤال كما يقولون: يطرح نفسه، هذا سؤال يطرح نفسه من خلال قراءة الأبواب المتقدمة يأتي هذا السؤال الذي يطرح نفسه، فيعقد الإمام -رحمه الله- هذه الترجمة التي هي موضوع درسنا ليجيب على هذا التساؤل الذي قد يرد على الأذهان، وقد يجول في خواطر الكثير: ما هو سبب وجود الشرك؟ ما هو سبب ترك الدين؟ ما هـــو سبب التخلي عن هذا الأمر الواضح والوقوع في الأمر المظلم؟ مع أن الشرك لا سلطان عليه ولا حجـــة، فمـــا السبب في أن كثيرًا يقعون في هذا الباب؟ هذا تساؤل يأتي جوابه في هذا الباب الذي هو موضوع درسنا، وكمـــا هي العادة أولاً نسمع تقرير الشيخ بالترجمة التي عقدها ثم أيضاً نقف على الأدلة التي يوردها -رحمه الله- ثـــم أعلق بما ييسره الله -تبارك وتعالى- والآن أطلب من أخي الفاضل الكريم تركي أن يتفضل مشكورا بقراءة كلام الشيخ -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]).

قال المصنف -رحمه الله-: (باب أن سبب كفر بنئ آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) هذه الترجمة التي هي موضوع درس هذا اليوم واضحة، واضحة المعنى، والمقصود بها واضح وظاهر للمتأمل السبب: هو الغلو.

يا من تسأل عن سبب وجود الشرك وترك الدين والوقوع في الباطل والضلال، ما هو سببه؟ سببه الغلو في الصالحين، أي أن الوقوع في الشرك هو في حقيقة الأمر خطوات يخطوها الإنسان يقوده فيها الغلو، قائده فيها الغلو والمغالاة في الدين، فهذا هو السبب، سبب الكفر وترك الدين هو الغلو في الصالحين، وعندما ينظر الإنسان في التاريخ فيتساءل عن أول شرك وجد، وعن أيضاً عامة الشرك الذي وجد فيما بعد، يجد أن وراء ذلك أو القائد في ذلك هو الغلو، الغلو في الصالحين، ومعنى الغلو فيهم: أن يتجاوز فيهم الحد، أن يعظمهم تعظيماً زائداً عن الحد اللائق بهم، يتجاوز به حدهم، الصالحون لهم مكانتهم، ولهم قدرهم، ولهم فضلهم، ولهم احترامهم، ولهم منزلتهم، فالغلو فيهم: أن يتجاوز بهم حدهم، وسيأتي معنا في هذا الكتاب في باب لاحق أن نبينا -عليه الصلاة والسلام- قال: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها) ولاحظ جمال البيان، وجمال النصح من رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول: (ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها) ولهذا كان -عليه الصلاة والسلام- يحارب كل شيء من هذا القبيل حتى وإن كان أمراً قليلاً أو ألفاظ ليست مقصودة أو نحو ذلك، كان يحارب ذلك ويغضب عند وجوده، وسيمر معنا نماذج كثيرة في هذا الباب من هذا القبيل، كقوله -عليه الصلاة والسلام-: لرجل قال: ما شاء الله وشئت، فغضب -عليه الصلاة والسلام- وقال: (أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده).

فالغلو في الصالحين هو السبب، والصالحون يدخل فيه الأنبياء والملائكة والأولياء وأهل الفضل وأهل الخير، الغلو في هؤلاء بمجاوزة الحد هو سبب الشرك.

ومن المعلوم -معاشر الإخوة- أن الصالحين لهم مكانة قريبة من النفوس، والقلوب تحبهم، هذه المحبة إن لم تضبط بضابط الشريعة، وإن لم توزن بميزان الكتاب والسنة تخرج عن حدها إلى درجة الغلو والمغالاة، قد يقول قائل: ما هو الغلو؟ ما المراد بهذه الكلمة؟ نسمع هذه الكلمة فما معناها؟ وما مدلولها في اللغة؟ الكلمة هذه واضحة عند الجميع ومستعملة استعمالا كثيرا في أوساط الناس، ويعرفون معناها معرفة واضحة في هذا الأمر وهو مسألة الأسعار الآن لما يقال: الأسعار غالية أو غلت الأسعار، هذه كلمة ما تخفى على أحد، يعني: لما يقال: إن السعر غالٍ أو الأسعار غالية فالكلام واضح، ويقال عن السلعة: إنها غلت غلاءً حتى أن أهل العلم قالوا إن فيما يتعلق بالسلع والأسعار والأمور المالية يقال: غلى غلاءً، وفي الأمور المعنوية يقال: غلواً، والمادة واحدة، فغلى السعر، أي: ارتفع وتجاوز عن حده، يعني حده كما هو معروف هو كذا، فإذا تعدى حده يقال: غلى، فالغلو هو تجاوز الحد، الغلو في الصالحين هو تجاوز الحد فيما يتعلق بالصالحين، لنا حد محدود، وقدر مبين ينبغي أن نقوم به يتعلق بالصالحين حد لنا في الشريعة وجاء ضابطة في الشريعة، فمن خرج فيما يتعلق بالصالحين عن هذا الحد غلى، كل مجاوزة للحد فيما يتعلق بالصالحين هي غلو، غلو يفضي بالإنسان إلى دركات خطيرة وهلكات عظيمة أخطرها الشرك بالله -سبحانه وتعالى- وترك الدين، ولهذا فالغلو هو سبب الشرك؛ لأن الغلو عبارة عن خطوات يخطوها الإنسان في تجاوز الحد فيما يتعلق بالصالحين إلى أن يصل إلى درجة عبادتهم من دون الله.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) أي: رفع الصالحين فوق درجتهم، وفوق منزلتهم، ما هي منزلة الصالحين؟ هي منزلة العبادة منزلة الطاعة، منزلة مكانة العلم، منزلة الخلق والأدب، أيضاً الاحترام والتوقير كما جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، والحاكم المقسط) وقال -عليه الصلاة والسلام-: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه) فالعالم والصالح وأهل الفضل لهم مكانة، ولهم منزلة تعرف لهم وتحفظ لهم، ولا تضيع لكن ليس من حقهم أن

يرفعوا فوق درجتهم، وأفضل عباد الله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد قال باللفظ الصريح والكلام البين: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها) ما أحب ذلك، ولنلاحظ هنا أن الغلو أحياناً يبعث عليه المحبة للصالحين أو في الغالب الذي يبعث أو يدفع إليه حب الصالحين ولكن هذا الحب حب الغير مضبوط، حب الغير مضبوط بضوابط الشرع والحب إذا لم يضبط بضوابط الشرع ينفلت الزمام معه، ويقع الإنسان في ورطات لا يعلم مداها وآثارها السيئة إلا الله -سبحانه وتعالى- ولهذا جاء القرآن بضبط الحب ووضع الميزان الدقيق له، حتى لا ينفلت الزمام، تذكرون الآية التي تعد ميزاناً يضبط به أمر المحبة وتقاس على ضوئه، ويسميها بعض أهل العلم آية المحنة، يعني: الذي يريد أن يمتحن محبته ويعرف مقدار وزنها وانضباطها فليعرف نفسه على هذه الآية تذكرون الآية؟

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

نعم أحسنت: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو الميزان بعض أهل العلم يسمي هذه الآية آية المحنة، يعني: من ادعى محبة النبي -عليه الصلاة والسلام- من ادعى محبة الله ومحبة نبيه -عليه الصلاة والسلام- ومحبة دين الله فليزن نفسه على ضوء هذه الآية الميزان ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

إذًا الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد في الصالحين هو سبب الكفر وسبب الشرك.

ذكر المصنف أول ما ذكر قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] هذه حقيقة عيسى بن مريم -عليه السلام- ولماذا ذكرت حقيقة عيسى بعد النهي عن الغلو؟ لأن باطل النصارى هو غلو في عيسى، باطل النصارى هو غلو في عيسى ومجاوزة الحد؛ ولذلك نهاهم الله قال: ﴿لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ وبين حقيقة عيسى الذي غلى فيه النصارى وجاوزا فيه الحد ورفعوه فوق منزلته، رفعوه فوق منزلة العبادة إلى منزلة الألوهية، فجاء القرآن: ﴿لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لأنهم تجاوزا الحد في الدين وغلَوْا وقالوا غير الحق، والآية تدل على أن كل غلو هو قول بغير الحق، الحق وسطية واعتدال لا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

هنا قد يسأل البعض الترجمة في تحذير هذه الأمة، أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- من الغلو، والآية في من؟ في أهل الكتاب، قد يسأل إنسان يقول ما العلاقة؟ الآن الموضوع في الأمة أمة، محمد -عليه الصلاة والسلام- والآية تتعلق بأهل الكتاب ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ والجواب أن نهي أهل الكتاب عن هذا الغلو هو نهي للأمة، نهي للأمة أن تسلك مسالكهم في هذا الأمر أو في غيره من الباطل الذي عندهم، فمخاطبة أهل الكتاب فيه أيضاً تحذير للأمة ولهذا جاء في القرآن قول الله -عز وجل-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ [الحديد: ١٦] وأيضًا جاء في السنة عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) فجاء النهي وسيأتي أحاديث في نهي الأمة عن الغلو وبيان أن الغلو هو الذي أهلك الأمم التي قبلنا عندما جاوزت الحد.

عيسى ابن مريم كما في الآية ما هي حقيقته؟ رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، هذه حقيقة عيسى، هو رسول، وهو مخلوق، وروح من الأرواح المخلوقة التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- وليس فيه من صفات الربوبية ولا من صفات الألوهية أي شيء، ليس له أي شيء في ذلك؛ بل هذا كله لله -سبحانه وتعالى- فهو عبد ورسول.

هذه حقيقة عيسى، وهذا هو الوسط فيه، ودين الله في عيسى وسط بين غلو النصارى وجفاء اليهود، النصارى غلَوْا في عيسى، وادعَوْا أنه إله أو ابن لله أو نحو ذلك، واليهود جفَوْا في حقه، وقتلوا الأنبياء؛ بل قالوا: إن

عيسى -والعياذ بالله- ابن بغي، قالوا: ابن بغي، والله -عز وجل- في هذا المقام قال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] أمه صديقة ليست كما يصف اليهود، أمه بهذه الصفة الشنيعة؟ ويصفونه بهذا الوصف الشنيع؟ فهذا جفاء في حقه، وذاك غلو، ودين الله قوام ووسط بين ذلك.

يبقى تساؤل، نحن عرفنا الآن من خلال هذا الدليل خطورة الغلو، وأن الغلو هو سبب الشرك، يبقى سؤال: هل من توضيح وبيان للخطوات التي يوصل الغلو من يخطوها إلى الشرك؟ يعني هل هناك خطوات يقع فيها الإنسان ثم يصل بها إلى الشرك؟

من المعلوم أن وقوع الإنسان في الشرك عبر خطوات، خطوات يخطوها إلى أن يصل إلى الشرك بالله، فما هي هذه الخطوات؟ يأتي الآن جواب ذلك عند المصنف -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله-: (وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، فعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت، وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

نعم، هنا أورد المصنف -رحمه الله- قول الله -عز وجل-: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] وقالوا: ﴿لاَ تَذَرُنَّ﴾ من هم؟ أهل الشرك، وهذا إشارة إلى شدة استمساكهم بهذا الشرك وثباتهم عليه، وتعاونهم على البقاء عليه، وأهل الشرك يتواصون بالصبر على الشرك ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦] فيتواصون بالصبر على الآلهة؛ بل يتفاخرون أنهم سلموا من دعوة الأنبياء التي هي تحرفهم -بزعمهم- عن الاستمساك بعبادة الآلهة مثلما جاء في الآية: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] يعني: لولا أننا متحلين بالصبر لتركنا عبادة الآلهة، فهنا يقولون: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: استمسكوا بعبادة الآلهة، ومهما قيل لكم، ومهما بين لكم إياكم والتخلي عن هذا الأمر، وهذا فيه إشارة ودلالة على شدة استمساكهم بهذا الباطل.

﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] هذه آلهة معبودات عبدها قوم نوح الذين بعث فيهم نوح -عليه السلام- ومكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى ترك هذه الآلهة وعبادة الله الواحد القهار، فكانوا يأبون ويتواصون على الامتناع إلى أن أهلكهم الله -سبحانه وتعالى- بالطوفان وهم مصرون على البقاء والاستمرار على عبادة هذه الأصنام.

لاحظ: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسرا، ما هي هذه؟ أنت وأنت تقرأ تمر عليك الآية في القرآن الكريم ما هي هذه الأسماء: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] ما هي هذه؟ ما حقيقتها؟ يأتيك الجواب في تفسير ابن عباس أورده المصنف وأيضًا جماعة كثيرة من المفسرين تجد النقل عنهم في مثل تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وغيرهما من كتب التفسير المعروفة بالتفسير بالمأثور، أي: المأثور عن السلف، فابن عباس ماذا قال؟ قال: هذه أسماء رجال صالحين، يعني: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، هؤلاء رجال صالحون من قوم نوح، كانوا معروفين بالصلاح بالاستقامة، بالديانة، بالعبادة، بالنصح للناس، فأحبهم الناس، أحبوهم لصلاحهم، لاستقامتهم، والصالح محبوب عند الناس وله مكانة، فأحبت قلوبهم هؤلاء الصالحين والذي حدث أنهم ماتوا في أوقات متقاربة وكان موتهم يعد فاجعة، وهذا أمر نحن نعرفه ونحسه عندما يموت علماء أكابر أفاضل ويكون موتهم متقاربا يعد فاجعة، ويهتز له الناس اهتزازاً، فماتوا في أوقات متقاربة، فالناس فجعوا بفقد هؤلاء، وكان وجودهم له أثر بين الناس في النصح والبيان والدعوة والتوجيه إلى الخير والقلوب محبة لهم، وفقدتهم ومتألمة بفقدهم، فجاء الشيطان إلى هؤلاء في هذه الأثناء واقترح عليهم اقتراحاً

أشار عليهم برأي، قال: هؤلاء لهم مكانة في نفوسهم وكان لهم منزلة وكانوا يذكرونكم يعلمونكم فليس من اللائق ولا من المناسب أن تنسوهم، ويمضي عليكم التاريخ وتنسون هؤلاء، لابد أن تضعوا لهم شيئًا تذكاريًا، المقصود منه الذكرى فقط، وفائدته أنكم ترون هذا التذكار فيكون منه ماذا؟ تذكير لكم بأولئك الأخيار وأولئك الأفاضل، ويكون هذا التذكار في مكان واضح تمرون به جميعاً دائما في أيامكم، وكلما مررتم تتذكرون هؤلاء، هذه صورة فلان الذي كان يقول لنا كذا، ويحثنا على كذا، وينهانا على كذا، فتبقى هذه ذكريات جميلة لكم، تذكركم بالخير، تذكركم بهؤلاء الأفاضل، تذكركم بالجهود التي بذلوها، تدعون لهم تترحمون عليهم، ما تنسونهم، ففي خضم المحبة الشديدة والألم لفقد هؤلاء جاء هذا المقترح من الشيطان، لهؤلاء فراق لهم وأعجبهم قالوا: ليس من المناسب أننا ندفنهم وينتهي الأمر، لا، بل نبقي لهم تذكارًا ونصبا تذكرنا بهم بحيث لا ننساهم، دائما نتذكرهم، نتذكر مواقفهم الجميلة، نتذكر نصحهم، نتذكر دعوتهم، كل ذلك نتذكره بهذه، ولهذا المقصود من النصب صورة تذكارية، وهذه يستخف بها كثير من الناس، ويرى أنها أمر عادي كما يقال: هذه صورة تذكارية، وليس المراد منها إلا الذكرى، هذا شخص فاضل ونبيل وله جهود، ماذا لو وضعنا له نصبا أو صورة تذكارية تذكرنا بشخصه؟ ماذا في هذا؟ يعني كثير من الناس يستهين بالأمر.

هنا لاحظ الشيطان عنده طول نفس في أمر الدعوة، يعني: يضع أسسا لأزمنة بعيدة، نفسه طويل، يضع أسسا لأزمنة بعيدة قد لا يكون نظرته للجيل الذي أمامه، وربما أيضاً ليست نظرته للجيل الذي بعدهم؛ بل ينظر إلى أجيال آتية فيما بعد، فيضع أشياء قد لا تكون شيئا مؤثرا أو له أثر واضح في الحاضرين الموجودين، لكن يرمي به إلى أجيال مستقبلة، فالذين في هذا الجيل تجدهم يقولون: هذا أمر واضح عندنا ولا يؤثر، ولا يكون الشيطان يريد هؤلاء، وإنما يريد أجيالا قادمة، مخطط يهدم أجيالا.

اقترح عليهم أن يضعوا أنصابا تذكارية لهؤلاء؛ حتى إذا مروا بها تذكروا هؤلاء، وتذكروا نصائحهم، تذكروا أخلاقهم، تذكروا دعوتهم ترحموا عليهم، قال لهم: هذا هو الغرض، فعلوا ذلك، وقف عند هذه الخطوة، عند هذه الخطوة توقف وانتظر مدة طويلة حتى انتهى هذا الجيل، ولاحظ طول نفسه وصبره على مخططاته، انتهى هذا الجيل ونسي العلم، أنا أريد أن أقف هنا وأسألكم سؤالا، نسي العلم، ما المراد بهذه الكلمة؟ نسي العلم؟

ربما مات العلماء، مرتبط بالعلماء، العلم مرتبط بالعلماء بالتأكيد.

أي نعم، نسي العلم، أنا أريد أن أسأل ما العلم؟ ما هو العلم الذي نسي؟

المقصود بنسي العلم أي: نسي خبر سبب بناء هذه الأنصاب، الناس الجيل الذي بعده لا يعرفون لماذا بنيت.

جميل، الآن عندنا قولان ذكرهما أهل العلم: قول أشرت إليه، أشار إليه الأخ تركي، وقول الذي أشار إليه الأخ الكريم، فعندنا قولان ذكرهما أهل العلم: نسي العلم، أي: نسي العلم بالتوحيد، ونسي العلم بالشرك وخطره وحقيقته، نسي هذا ومثلما تفضل أخونا الكريم، هذا يحصل بفقد العلماء، وفقد الدعوة إلى التوحيد وإلى التحذير من الشرك فيصبح الناس في جهل، فإذا وجد الجهل نبتت هذه الأباطيل، وانتشرت وتفشست في الناس فالعلم هو الذي يميتها والجهل هو الذي يبعثها ويحييها، فنسي العلم، أي نسي العلم بالتوحيد والعلم بالشرك وقلت الدعوة إلى هذا الأمر، فجاء الشيطان لبعث الشرك ونعم.

قيل: نسي العلم، كما تفضل أخونا الكريم، نسي العلم أي: نسي العلم بسبب بناء هذه الأنصاب، العلم بسبب بناء هذه الأنصاب، يعني هي بنيت لسبب واحد، هي بنيت لسبب واحد ما هو؟ تذكرهم هذا هو السبب الذي بنيت لأجله، فترك هؤلاء فترة طويلة إلى أن جاء أجيال نسوا العلم بهذا الأمر، يعني: بالسبب الذي لأجله بنيت، وقال لهم: هذه إنما بناها أجدادكم وأسلافكم من أجل أنهم إذا استغاثوا بها أغيثوا، وإذا سألوا بها أعطوا، هذا هو السبب

الذي بنوها لأجله، لم يبنوها إلا لهذا السبب، فهو انتظر إلى أن نسي العلم بالسبب الذي هو اقترحه، لما جاء جيل آخر ونسي العلم بهذا السبب جاء وذكر لهم سَبَباً آخر وأوقعهم في الشرك وعبادتها من دون الله.

قولان، والأظهر الأول، أن نسي العلم: يعني: نسي العلم بالتوحيد، ونسي العلم بخطورة الشرك، وفشى في الناس الجهل، والبصيرة بدين الله، فعند وجود الجهل تنتشر هذه الأمور.

هنا أيها الإخوة أليس من المناسب أن نتتبه إلى حقيقة مهمة جدًا نستفيدها من قول ابن عباس: ونسي العلم.

حقيقة مهمة جدًا ونسي العلم، معنى أن نسيان العلم والاستهانة به وعدم العناية بدراسته هو سبب الباطل، يجب على الأمة أن تعتني بالعلم، وخاصة علم التوحيد، علم التوحيد، الفقه في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في الفقه الأكبر الذي هو أساس صلاح الأعمال توحيد الله -سبحانه وتعالى- فإذا نسي العلم بالتوحيد والعلم بالشرك أصبح الباطل يدخل على الناس، والشرك يدخل على الناس، والوثنية تدخل على الناس، والبدع والضلالات تدخل على الناس وتنفق فيهم وتروج عندهم، والسبب أن العلم نسي، وأي ناعق ينعق أو صائح يصيح بهم في أمر ولو كان من أبطل الباطل يجد له أتباعا كثر.

فهنا دعوة نستفيدها من قول ابن عباس: نسي العلم. أهمية العناية بالعلم ولاسيما علم التوحيد، وخاصة هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لأنه اعتنى نصحا للأمة فجمع الآيات والأحاديث المتعلقة بالتوحيد، فينبغي على المسلم أن يكون له نصيب وحظ من قراءة هذا الكتاب المبارك النافع الجامع لأدلة التوحيد من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

يمكن أن تكمل لنا كلام ابن عباس، قال: ونسي العلم.

وبعد ذلك انتهى وقال: وقال ابن القيم.

قبل، في نفس كلام ابن عباس، قال: ونسي العلم.

يقول: فنصبوا لمجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.

حتى يعني: حتى هلك أولئك ونسي العلم. لاحظ خطوات الشيطان في هذا الغلو، خطوات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١] وقد تكون الخطوة الأولى في هذه السنة، والخطوة الثانية عند الشيطان بعد مائة سنة، فلا يخطوا الإنسان ولا يقول الإنسان هذه -إن شاء الله- لا تؤثر علي، لا. فكر في أولادك، في أولادهم في الأجيال المستقبلة، فقد تكون خطوة الشيطان في هذه السنة، والخطوة الثانية بعد مائة سنة، وهذا واضح هنا قال: فلما هلك أولئك، من هم أولئك؟ الإشارة إلى من؟ إلى الذين بنوا هذه الأنصاب من أجل الذكرى، لما هلك أولئك وهلك هذا الجيل، بدأ الشيطان بالخطوة الثانية، ولهذا لاحظ الفرق بين الخطوة الأولى والخطوة الثانية كم، وكانوا أزمانهم أيضاً أعمارهم أطول من أعمارنا، فقد تكون الخطوة الأولى في هذه السنة، والخطوة الثانية بعد ثلاثمائة أربعمائة خمسمائة سنة ما عنده إشكال يصبر وينتظر.

وهنا أيضاً ننتبه إذا لم تلحظ لضعف علمك وقلة بصيرتك ضررا في المخالفة التي تفعلها أو تستهين بها، فتنبه قد تكون مخالفة تهلك أجيالا فيما بعد، وتكون أن الذي وضعت البذرة، وأنت الذي وضعت نواة الشر.

قال: فلما هلك أولئك ونسي العلم عبدت، إذن النتيجة التي أريد أن يصل إليها الشيطان وهي العبادة عبادة هذه من دون الله، عبر خطوات تبدأ بالغلو والزيادة فيه، إلى أن تعبد من دون الله، نسمع الآن كلام ابن القيم مرة ثانية.

وقال ابن القيم: (قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

وهذا ابن القيم يلخص لنا مجموع ما أخذه من أقاويل السلف، السلف لهم أقوال كثيرة منقولة في كتب التفسير المأثور فابن القيم لخص ما قاله غير واحد من السلف، قال: (لما ماتوا عكفوا على قبورهم) وماذا؟

(ثم صوروا تماثيلهم).

لاحظ وقعوا في خطوتين، من المغالاة:

الخطوة الأولى: عكفوا على قبورهم، والعكوف هو: المكث الطويل، يعني يأتي عند قبره ويعكف، يمكث فترة طويلة، يتذكر، ويتذكر سيرته، ويتذكر أخباره، ويبكي عند قبره، إلى آخره أشياء كثيرة فهذه خطوة.

والخطوة الثانية: صوروا لهم صور، هاتان الخطوتان من المغالاة واحدة تتعلق بالقبور، والثانية تتعلق بالتصاوير هي سبب الشرك، ولهذا مر معنا في حديث سابق قال -عليه الصلاة والسلام-: (أؤلئك شرار الخلق، إذا مات فيهم الرجل الصالح صوروا له تصاوير، وعكفوا على قبره) ذكر الأمرين، وجاء في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- لعلي بن أبي طالب لما بعثه: (ألا تدع قبرا مشيدا إلا سويته ولا صورة إلا طمستها) يؤكد تأتي أحاديث كثيرة فيها التأكيد على هذين الأمرين؛ ولهذا أنا أدعو جميع من يتابع معنا إلى بحث هذا الأمر للفائدة، للشرك مدخلان خطيران، جاء بيانهما في نصوص كثيرة، المدخل الأول العكوف على القبور، والمدخل الثاني ماذا؟ التصاوير، وهناك أحاديث عديدة جمعت الأمرين، ولعل يكون هذا أيضاً سؤالا نعجل به للإخوان.

بعشر أحاديث ولا أقل؟

لا، العشر أطلنا بها على الإخوان نجعلها أربع، ويدخل فيها التي أشرت إليها وهي ثلاثة، ولكن تكون موثقة، تتضمن الأمرين، أريد أحاديث تتضمن الأمرين معا، تتضمن، فهما مدخلان للشرك في غاية الخطورة عبر التاريخ ويجمعهما الغلو، فالغلو في الصالحين يفضي إلى هذه النتيجة والغلو يكون بالعكوف ويكون بالتصاوير، وكل ذلك من وحي الشيطان أعاذنا الله والمسلمين منه.

قال المصنف -رحمه الله-: (وعن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله).

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث، حديث عمر بن الخطاب، وهو حديث عظيم جدًا، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)).

لاحظ هنا لطف الشيخ وحسن ترتيبه، لعلكم لاحظتم معي ملاحظة، الآية التي صدر بها، تتعلق بمن؟ أهل الكتاب، نهاهم الله عن الغلو وأتبعه المصنف الآية، أتبع هذه الآية بالحديث، قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) يعني أهل الكتاب أهل غلو، والذي وقعوا فيه هو غلو باطل، فلا تفعلوا بي مثلما فعل

أولئك بنبيهم، لا تفعلوا بي مثلما فعل أولئك بنبيهم (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله).

(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) النصارى ماذا قالوا في عيسى بن مريم؟ رفعوه فوق منزلة العبودية، وجعلوه ابنا للإله أو إلها وعبدوه وسألوه وصرفوا له أنواع العبادة كل ذلك فعله النصارى في عيسى بن مريم -عليه السلام-.

قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) حقيقة هذه الجملة عندما تتأملها تجد أنها تعطيك الوسطية والاعتدال في هذا الباب، لا غلو ولا جفاء، وسطية واعتدال (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) كيف يكون الاعتدال؟ بتقرير هاتين الحقيقتين، والإيمان بهذين الأمرين العظيمين، عبد ورسول، "عبد" إذا آمنت بها وحققت الإيمان بها تكون خرجت عن الغلو، وإذا آمنت بكونه رسولا وحققت الإيمان بها خرجت عن الجفاء وكنت في الوسطية، فيوجد غلو وجفاء، تخرج من الغلو والجفاء بهذه الوسطية المستفادة من قوله: (عبد الله ورسوله) فالعبد لا يعبد، ولا يعطى شيئا من خصائص الرب، هو عبد، فالعبد لا يعبد، ولا يعطى أي شيء من خصائص الرب، والرسول لا يعصى، ولا يستخف به، ولا تنتقص مكانته؛ بل يطاع ويتبع ويحب ويعرف شأنه وقدره فإذن (عبد الله ورسوله) تعطي المسلم الاتزان والاعتدال والخروج من طرفي النقيض الغلو والجفاء.

قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والثناء، وبعض الناس مع الحب الشديد للرسول -عليه الصلاة والسلام- ومدحه والثناء عليه يبدأ يعطيه من أوصاف من؟ من أوصاف الله -سبحانه وتعالى- ويقول: أنا ما جعلني أقول ذلك إلا حبي الشديد له، حبك الشديد له شيء وإعطاؤه خصائص الرب هذا باطل وليس هو من المحبة، ولاحظ أذكر مرة ثانية بما سبق أن أشرت إليه وسيأتي عند المصنف قال: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياه).

قال المصنف: (قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)).

هذا الحديث حديث ابن عباس هو في مسند الإمام أحمد وغيره، له مناسبة أو جاء في مناسبة، وهي مناسبة الجمرات، النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لابن عباس: (القط لي سبع حصيات، فالتقطت له سبع حصيات مثل أو هن حصى الخذف) حصى الخذف معروف بحجمه الصغير، الخذف ما هو؟ الخذف هو أن توضع الحصاة الصغيرة على الإبهام مثلاً بهذه الطريقة توضع الحصاة الصغيرة هنا، ثم يُرمى بها، فهنا يعني حصى الخذف هي حصاة معروفة، حصاة صغيرة بحيث إنها توضع في هذا المكان ويرمى بها، وهذا نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عنه، جاء في الحديث النهي عن الخذف وقال ماذا: (إنه لا ينكأ العدو ويكسر السن ويفقأ العين) ولكنه ليس له فائدة أو أثر في النكاية بالأعداء ما يفيد، وليس من قبيل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فهو لا يفيد ولكنه يضر، يعني قد يفقأ العين وقد يكسر السن ويؤثر فجاء النهي عنه، لكن الشاهد أن حصاة الخذف معروفة، فلقط له العباس حصيات هن حصى الخذف ووضعها النبي -عليه الصلاة والسلام- على يده وأراها الناس قال: (بمثل هذا فارموا، وإياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) فهنا الآن أراهم الحصى وهو واضح أيضاً، والفقهاء أيضاً بينوه في كتب الأحكام قالوا: حصاة الخذف مثل حبة الحمصة، أكبر من حبة الفول بقليل، وأصغر من البندقة، يعني شرحوها، وقالوا هي الحصاة التي ليست حجرا وليست أيضاً قطعة من الرمل الصغيرة، وإنما حصاة صغيرة، يعني شرحوها وبينوا، ومع ذلك لا تجد الالتزام مع التوضيح ومع التحذير ومع ...، تأتي عند الجمار بعضهم يرمي حزاءً، أو يرمي حجرا، أو يرمي مثلاً علبة من علب العصير، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قد بين الأمر أتم البيان، قال: (إياكم والغلو).

الغلو متى يأتي الإنسان؟ يأتي في فورة حماس ورغبته وشدة حرصة، ولكن غير مضبوط بضوابط الشريعة، فيأتي هنا ويقول: حصاة صغيرة ما تكفي، لا نأخذ حجر أحسن، أو بحزاء أفضل حصاة إيش تسوي صغيرة، من شدة حرصه ورغبته وغير منضبط بضوابط الشرع يقع في المغالاة، قال: (إياكم والغلو) هذا الأمر جاء مخصوصا فيما يتعلق بالجمرات، لكن كما قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو شامل للتحذير من كل غلو قولي أو عملي، أو اعتقادي.

قال المصنف –رحمه الله–: (ولمسلم عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (هلك المتنطعون، قالها ثلاث)).

قال المصنف –رحمه الله–: (ولمسلم عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (هلك المتنطعون، قالها ثلاث)) وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– لهذه الكلمة ثلاث مرات تكرارها لتأكيد هذا الأمر والتنبيه عليه؛ وحتى يتنبه الناس لخطورته وليحذروا من هذا السبب الخطير من أسباب الهلاك، فهو ثلاث مرات –عليه الصلاة والسلام– يقول: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون) فهذا التكرار فيه تأكيد وتنبيه على خطورة الأمر وخطورة التنطع، والتنطع هو المغالات والتشدد، في غير موضع الشدة، التشدد في غير موضع الشدة، أن يشدد الإنسان على نفسه ويتكلف أمورا ليست من دين الله –عز وجل– فهذا كله من أسباب الهلاك، والحق قوام بين ذلك، لا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط، ولا زيادة ولا تقصير وإنما قوام بين ذلك، كما قال أحد السلف: الحق حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين، وسطية واعتدال بدون مغالاة وبدون تجاوز وبدون تنطع، ولنعلم هنا أن التنطع هو التشديد على النفس في غير موضع الشدة؛ لأن بعض الناس يفسر التنطع على هواه، ويجعل أمورًا هي من السنن الثابتة والأمور البينة في السنة، ويسميها تنطعا، أنا بلغني عن أناس يقولون لماذا نشدد على أنفسنا والدين جاء ليحارب التشدد؟ يقول: لماذا نشدد على أنفسنا ونصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟ يكفي في الأسبوع مرتين، ليش التشدد فلو فتح الإنسان الأمر على هواه فكل شيء لا يريده من الدين يسميه تشدد، وكل ما لا يروق له من الدين يسميه تشدد، هذا خطأ، حقيقة خطأ ينبغي أن نعي أن هذا من الخطأ الواضح، فالتشدد هو بالزيادة عن الدين أما الدين لا تشدد فيه، الدين وسطية واعتدال ويسر لا تعسير فيه كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن هذا الدين يسر).

أجوبة الدرس الماضي:

الأخت الكريمة من الإمارات تقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، إجابة السؤال الأول:

ذكرت بعض الأدلة، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨] وقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

أما إجابة السؤال الثاني:

معنى ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله–: أي هداية بيان، وهداية البيان والدلالة يملكها البشر.

جميل جدًا، شكر الله للأخت الكريمة على هذه الإجابة الوافية السديدة.

الأخت الكريمة من عمان تقول: فضيلة الشيخ هل تخصيص الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- من باب الغلو؟ يعني ذلك في أحد البلاد يخصص يوم ووقت يجلس فيه ويصلي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

وتقول في سؤال آخر ما المقصود بالحديث الذي ذكر فيه الأعرابي هكذا تقول: (أَجْعَلُ الصلاةَ كلها لك يا رسول الله)؟

الأخت الكريمة من عمان لها سؤالان السؤال الأول تسأل عن إيش؟

يعني يخصص وقت معين.

تسأل عن تخصيص وقت للصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- ساعة في الأسبوع أو ساعة في اليوم تكون محددة، أو ساعة في الشهر يُحَدَّدُ وقتٌ، سواءً يجتمع له أو يفعله الإنسان بمفرده.

أهل العلم، أهل الفقه بالسنة والدراية بدين الله -عز وجل- يقولون من خصَصَ فقد شرع، يعني من خصص شيئًا لم يخصصه الشارع، وقيد أمراً لم يقيده الشارع يكون شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

والصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- مأمور بها في كل وقت وحين، وجاء الحث على الإكثار من الصلاة والسلام عليه في ليلة الجمعة ويومها، ولهذا قال: (فأكثروا فيه من الصلاة علي) ولهذا فالشافعي -رحمه الله- يقول كلمة جميلة يقول: «إني أحب الصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل وقت وحين ولكنه في ليلة الجمعة ويومها أحب إلي» فهذه الأحَبِّية وهذا التفضيل من الشافعي -رحمه الله- بناه على ماذا؟ على السنة، لأن السنة جاء فيها الترغيب من الإكثار من الصلاة والسلام عليه -صلى الله عليه وسلم- في يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فهذا التخصيص بالإكثار في يوم الجمعة وليلتها له مستند لكن لو جاء شخص وقال: نحن نريد أن نخصص يوم السبت فنكثر فيه من الصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو نجتمع على الصلاة والسلام عليه.

وقضية الاجتماع بصوت واحد هذه لا دليل عليها، أنكرها السلف -رحمهم الله- إنكاراً شديداً حتى قال ابن مسعود -رضي الله عنه- كما في سنن الدارمي بسند ثابت لجماعة وجدهم في المسجد قائم عليهم رجل يقول: سبحوا مائة فيسبحون، هللوا مائة فيهللون، كبروا مائة فيكبرون، فماذا قال لهم؟ قال: أما والله إنكم جئتم ببدعة ظلما، أو فقتم أصحاب محمد علماً. يعني هذا العلم الذي عندكم الذي تفعلونه جماعة ما عرفنا عليه الصحابة، فأنتم إما أنكم فقتم الصحابة أو أنكم جئتم ببدعة.

الأخ الكريم من الإمارات يقول: حضرتك أنا معي إخوة أفاضل جزاهم الله خيرا من الصوفية يسمعون حضرتك الحين، وعندهم شبهة معينة أريد من حضرتك أن تفصلها لهم، يوجد نوعان من الإخوة هنا؟ يوجد إخوة يقولون: يا رسول الله مدد، يا رسول الله نسألك الشفاعة يا رسول الله، ويوجد إخوة آخرين يدعون ربنا -سبحانه وتعالى- ويقولون: بحق جاه النبي يا رب اقضي لنا حاجتنا. فأنا أقول للإخوة الذين يقولون: مدد يا رسول الله. إن هذا دعاء، والدعاء هو عبادة، فيقولوا: لا، هذه ليست عبادة، نحن لا نصلي له، ولا نسجد له، ولا نسلم أمرنا له، ونحن نعلم أنه لا يحيي ولا يميت، فنحن لا نعبده، نحن فقط نطلب منه الشفاعة؟.

نواصل مع الجواب الأول ثم نعود بإذن الله.

يبقى سؤالها الثاني تقول: ما المقصود بـــ" أَجْعَلُ الصلاة كلها لك يا رسول الله"؟

على كل حال السؤال الأول لعل الذي ذكرته فيه إجابة عنه، وإن كان فيه بعض الأشياء لكن ما ذكر لعله فيه كفاية -إن شاء الله-.

سؤال الأخت الثانية وأجيب عليه باختصار كأني أحس أن الوقت يسارقنا.

فسؤالها تسأل عن الحديث الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- للرجل عندما قال: (كم أجعل لك من صلاتي؟ ثلثها ربعها) كما جاء في الحديث، قال: (أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذن تكفى همك) هكذا جاء في الحديث، المراد بالصلاة هنا المراد بالصلاة: الدعاء، وكان له دعاء مخصص معتنٍ به فيدعو به، فكان يسأل النبي -عليه الصلاة والسلام- كم أجعل لك من صلاتي؟ أي من دعائي، يعني: الدعاء الذي أنا أدعو به، كم أجعل لك منه؟ هل أجعل الربع؟ هل أجعل الثلث؟ فلما قال كلها، قال: (إذن تكفى همك) فهذا فيه الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا هو المراد بقوله -عليه الصلاة والسلام-: (إذن تكفى همك) وعلى كل حال عناية المسلم بالصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والإكثار من ذلك وأيضاً العناية بالأذكار والتسبيح والتهليل، والعناية بالقرآن، والعناية بالدعاء المأثور، كل هذا مما ينال به المسلم رفعة الدرجات، وعلو المنازل في الدنيا والآخرة.

شيخ عبد الرزاق بقي لنا دقيقة واحدة، هل يتسنى لكم الإجابة على سؤال الأخ الكريم، أو نرجؤه

إن كان يأذنون الإخوان اختصر جداً.

في دقيقة يا شيخ.

في دقيقة. أولاً: شكر الله للأخ الكريم، والدعاء منا مبذول له ولرفقائه أن يفتح الله علينا وعليهم بالحق والهدى، وأن يوفق الجميع للتمسك بسنة النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفتح علي وعليهم، وأن يبصرنا بدينهم، وأن يجعلنا من أتباع سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

والجواب على سؤال الإخوة يحتاج إلى تفاصيل فأنا أدعو أخانا الكريم ورفقاءه أن يواصلوا المتابعة معنا في مدارسة هذا الكتاب، ولهم مني الدعوة أيضاً مجدداً أن يفتح الله علينا وعليهم بالحق والهدى، وإن تيسر وقت للجواب؛ لأن الجواب باقتضاب ما يمكن في مثل دقيقة واحدة، فلعله يتيسر أو مثلاً في حلقة قادمة -إن شاء الله- ولكني أنا أدعو الأخ الكريم وإخوانه أن يواصلوا معنا؛ لأن الكتاب كله في التوحيد ومثلما رأوا آيات وأحاديث وسننا فيها خير وبركة فثبت الله الجميع على الحق والهدى، ووفقنا لسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأعاذنا من الشرك ومن الضلال ومن الباطل إنه -سبحانه وتعالى- سميع قريب مجيب.

أسئلة الدرس

مر معنا سؤال في أثناء الحلقة فالسؤال الثاني، السؤال الأول لعل الإخوة قيدوه، والسؤال الثاني: أريد ثلاث آثار عن السلف الصالح في التحذير من الغلو؟

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، نسأل الله -جل وعلا- أن يمن علينا أجمعين بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يلهمنا رشد أنفسنا إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب قريب.

في درسنا الماضي -معاشر الإخوة الكرام- كان الحديث عن سبب وجود الشرك، وسبب تـــرك الـــدين أولاً: وهو الغلو في الصالحين.

وفي هذا الباب المصنف -رحمه الله- أيضاً يتحدث عن الموضوع نفسه من جهة التعلق بـــالقبور وقـــصدها للعبادة وتحري العبادة عندها والعكوف عندها؛ لأن هذا ذريعة من ذرائع الشرك ووسيلة من وسائله؛ ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير والنهي عن قصد عبادة الله -تبارك وتعالى- عند القبور، وتحريها عند القبـــور؛ لأن هذا وسيلة مفضية إلى الشرك بالله -تبارك وتعالى- وعبادة المقبورين من دونه -عز وجل- والحديث عن هـــذا الموضوع الذي هو موضوع درسنا هذا اليوم يكون بعد سماعنا لتقرير الشيخ -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده، فـــي الصحيح عن عائشة: (أن أم سلمة ذكرت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كنيسة رأتها بأرض الحبـــشة ومـــا فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على عبده مسجداً، وصوروا فيـــه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)).

نعم، هنا يقول المصنف -رحمه الله عليه- (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ اللهَ عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟).

قوله: (ما جاء) أي: في نصوص الشرع، من كلام الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- وأحاديثه المباركة -صلوات الله وسلامه عليه- المشتملة على التغليظ أي النهي عن هذا الأمر بغلظة وشدة؛ لأنه أمر خطير وخطره عظيم وضرره جسيم، ولهذا عندما ننظر في الأحاديث التي ساقها المصنف -رحمه الله- في هذا الباب نجـــد أن فيها تغليظا، ليس مجرد نهي؛ بل في بعضها اللعن وفي بعضها وصف من يفعلون ذلك أنهم شرار الخلق عند الله -تبارك وتعالى- فالنصوص التي جاءت في هذا الباب جاءت مشتملة على التغليظ الشديد على من فعـــل هـــذا الأمر، ولهذا قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح).

(عبد الله عند قبر رجل صالح) أي: تحرى العبادة عند قبره، يذهب عند القبر ويتحرى العبادة عنده، ويقول في نفسه: العبادة عند القبر أحرى والدعاء يستجاب والقيام بالطاعة أفضل، فيذهب عند القبر ويتحرى العبادة عنـــده، عند قبر الرجل الصالح، فجاءت نصوص كثيرة في السنة في التحذير من هذا الأمر بشدة، والألفاظ التـــي وردت في ذلك فيها غلظة على من يفعل ذلك، لعن وإخبار أنهم من شرار الخلق عند الله -تبارك وتعالى- إلى غير ذلك مما سيمر معنا في الأحاديث التي ساقها المصنف -رحمه الله- في هذه الترجمة.

قال: (فكيف إذا عبده) يعني: إذا كانت النصوص جاءت بنهي مغلظ وشديد في حق من تحـــرى عبـــادة الله -سبحانه وتعالى- خالصة عند القبر، فكيف بمن يذهب عند قبر الرجل الصالح ليعبد صاحب القبر مـــن دون الله؟ فلا شك أن الأمر أعظم والجرم أشنع، وهنا نلاحظ أمرين:

الأمر الأول: الذي جاء وساق المنصف في هذه الترجمة الأدلة عليه: تحري العبادة وقصد العبادة عند قبر رجل صالح، والسبب في ذلك والعلة أنه وسيلة من وسائل الشرك وذريعة من ذرائعه.

والأمر الثاني: عبادة صاحب القبر، ولهذا قال: (فكيف إذا عبده) فذريعة الشرك ووسيلته تحري العبادة عند القبور، وقصد القبور لفعل العبادة عندها، وهنا يأتي على الناس أشياء من الشيطان، ومن دعاة الباطل يزينون لهم هذا الأمر بأنها أبرك أو أفضل أو أنفع أو أن الدعاء أحرى بالإجابة في تلك البقاع وتلك الأماكن؛ ولهذا يحسن من بعض الناس أنهم يخشعون عند القبر، وفي تحريه للعبادة عند القبر خشوع لا يكون منه في بيوت الله وفي الأسحار، وفي الأوقات والأمكنة الفاضلة، وهذا كله من تزيين الشيطان، وتزيين دعاة الباطل والضلال.

هذه الترجمة عقدها المصنف -رحمه الله- للتحذير من وسيلة من وسائل الشرك وذريعة من ذرائع الشرك، وهي: تحري العبادة أو قصد العبادة عند قبر رجل صالح؛ لأن هذا الأمر يفضي بالناس إلى عبادة القبور وعبادة أهلها من دون الله -عز وجل-.

ومن المعلوم أن حب الناس لأهل الصلاح وأهل الخير وأهل الفضل يؤدي بالبعض إلى الغلو كما مر معنا في الترجمة السابقة والدرس الماضي، يؤدي بالناس إلى الغلو والمغالات فيهم وهذا الحب إن لم يضبط بضوابط الشريعة وقيود الكتاب والسنة ينفلت الزمام من الإنسان فيقع في أنواع من الأباطيل وأنواع من الأضاليل يجني بها على نفسه وعلى دينه وعلى عقيدته وعلى عبادته لربه -تبارك وتعالى-.

هنا أورد المصنف -رحمة الله عليه- حديث عائشة في قصة مجيء أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنها، وجاء في بعض الروايات: أن أم سلمة وأم حبيبة حكيتا للنبي -عليه الصلاة والسلام- ما شاهدتاه في أرض الحبشة في الكنائس -والكنائس هي الأماكن التي يقيم فيها النصارى عباداتهم تسمى كنيسة- فشاهدت أم سلمة وكذلك أم حبيبة في كنائس أولئك أنهم شاهدوا تصاوير، تصاوير لأشخاص وضعت داخل الكنيسة.

يعني تماثيل يا شيخ؟

تماثيل لأشخاص على هيئتهم بحيث أنه إذا رأى الإنسان هذا التمثال يذكر فلان لأنه على صورته، ينحت الحجر بحيث تكون صفة الحجر مثل صفة الشخص الذي نحت هذا الحجر على صفته، فكانوا إذا مات قال -عليه الصلاة والسلام-: (إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح....) تكمل لي الحديث. (إذا مات....)

(إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجد).

(إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجد) و...

(وصوروا فيه تلك الصور).

(وصوروا فيه تلك الصور) لاحظ المخالفتين، لاحظ هنا مخالفتين:

المخالفة الأولى: بنوا على قبره مسجدا، لماذا يبنون على قبره مسجدا؟ ليكون مكانا تتحرى فيه العبادة، يقولون: هذا شخص مبارك وشخص فاضل وعبد صالح فيبنون على قبره مسجدا من أجل أن يتحروا العبادة عند هذا القبر، قبر الرجل الصالح.

مسجد يا شيخ يعني كنيسة.

مسجد أي: مكان للعبادة.

أيا كان.

مكانا لإقامة العبادة، فالمسجد هو المكان الذي تقام فيه العبادة والعبادة من المعلوم فيها ركوع وفيها سجود وفيها قيام وفيها جلوس هذه هي هيئات الصلاة أربع هيئات، إما قيام أو ركوع أو سجود، أو جلوس، وسميت المساجد مساجد؟ لأن أشرف حالات المصلي سجوده، أشرف حالاته هي السجود، ولذلك سمي المكان والبناية التي تبنى للصلاة سميت مساجد، لم تُسمَّ مراكع ولا مجالس وإنما سميت مساجد؛ لأن أشرف شيء أو أشرف حالات من يصلي في المسجد هي السجود، فالمساجد هي الأماكن التي تقام فيها الصلاة، البناء الذي تقام فيه الصلاة قال الله -عز وجل-: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، فكان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوبا على قبره مسجدا لماذا؟ ما هو السر ما الحكمة عندهم في ذلك؟ قالوا: لأن هذا رجل صالح، رجل مبارك، رجل له منزلة عند الله -سبحانه وتعالى- فنحن نبني المسجد على قبره من أجل أن نتحرى الصلاة في هذه البقعة وفي هذا المكان، إضافة إلى أنهم يجعلون في هذه الأماكن تماثيل لأولئك الأشخاص، فيكون المكان في نفس البقعة التي دفن فيها الرجل، وتوضع الصورة التذكارية التي تذكرهم بهذا الرجل الصالح، فجمعوا بين فتنتين كما سيأتي عند المصنف: فتنة القبور وفتنة التماثيل، وكل منهما مدخل واسع وخطير جدًا للوقوع في الشرك.

وعبادة هؤلاء المقبورين من دون الله، أن يبنى على قبره قبة أو مسجد أو مكان بحيث يعرف وأيضًا تزخرف وتنمق وتجمل وتحسن حتى تستهوي القلوب وتشد العوام والجهال فيقصدونها ويأتون إليها لقصد العبادة وتحري العبادة يقول هذا مكان فلان، وهنا دفن فلان وهذا يوجد ضريح فلان الصالح، أو الولي الصالح فيذهب إليها ويقصدها من أماكن ليتحرى العبادة عندها، هؤلاء وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بأنهم ماذا؟ (بأنهم شرار الخلق عند الله) ماذا فعلوا؟ بنوا على القبور مساجد وصوروا تلك الصور من أجل ماذا؟ من أجل تحري عبادة من؟ عبادة الله من أجل تحري عبادة الله عندها.

يعني يا شيخ هم في الأساس مخلصين نيتهم لله؟.

هم في الأساس عندهم إخلاص وابتغاء وجه الله بالعمل، وصوروا هذه الصور وبنوا هذه المساجد حتى يتحروا عبادة الله عندها، وهذا العمل هو ذريعة من ذرائع الشرك ووسيلة من وسائله.

أول الأمر أو ما يبدأ يبدأ بعبادة الله وتحري عبادة الله -عز وجل- عند هذه القبور، ثم تأتي المرحلة الثانية ليعبد صاحب القبر، يعني أول ما يبدأ يتحرى عبادة الله عند القبر، ثم ينتقل إلى أن يتوسل إلى الله -سبحانه وتعالى- به وببركته، وببركة البقعة، ثم يتحول إلى أن يتجه إلى نفسه صاحب القبر يسأله ويستغيث به من دون الله -سبحانه وتعالى-.

ولهذا لعلنا نتذكر هنا سؤال أخينا الكريم قال بأن عنده من رفقائه فرقة يسألون النبي -عليه الصلاة والسلام- مباشرة، وفرقة يسألون الله ببركته أو بجاهه، وكلًا من الصنيعين خطأ، الأول شرك والثاني بدعة.

الأول شرك لأنه سؤال غير الله -سبحانه وتعالى- أيا كان هذا، هذا هو الشرك بالله، والله -جل وعلا- قال في القرآن لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال الله له في القرآن لنبيه: ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣] وقال الله له في القرآن: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فكيف يتجه إليه هو -عليه الصلاة والسلام- بدعائه من دون الله.

أما سؤال الله ببركته ومثلا بجاهه وبذاته فنحن نعتقد أن له جاهًا وله مكانة وله منزلة لكن أين الدليل من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- الذي يسوغ هذا العمل ولا دليل على ذلك إلا أحاديث ضعيفة لا تثبت مثل: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) هذا حديث لا أصل له، أو أحاديث صحيحة لكن فهمها من يجوز ذلك على غير وجهها وعلى غير مقصودها وبابها، على كل حال نعود إلى حديثنا.

قال -عليه الصلاة والسلام-: (أولئك شرار الخلق) (أولئك) لأن المخاطب امرأة، فإذا كان المخاطب امرأة نقول: أولئك، وإذا كان المخاطب رجلا يقال: أولئك، فقال لها -عليه الصلاة والسلام-: (أولئك شرار الخلق عند الله) لاحظ "شرار" جمع شرير وهذا فيه تغليظ، كما وصف ذلك المصنف -رحمه الله- (أولئك شرار الخلق عند الله) أي: هؤلاء أهل الشر وأناس شريرون وهذا شأنهم عند الله، أنهم شرار الخلق عند الله -سبحانه وتعالى- لماذا؟ لأنهم تحروا العبادة عند القبر ببناء المسجد؛ لأن بناء المسجد هو من أجل تحري العبادة إضافة إلى وضع الصور التي قصدوا منها أن تذكرهم بأشخاص أولئك، ثم يتحول الأمر إلى الشرك، ولو سألتكم هنا الآن لماذا نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عن هذين الأمرين؟ التصاوير التذكارية والأبنية التي توضع على القبور أياً كانت وبأي صفة كانت؟ لماذا نهى -عليه الصلاة والسلام- عن ذلك؟ لأنه ذريعة إلى الشرك ووسيلة من وسائله، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا الأمر.

طيب أحسن الله إليكم، ويستمر المصنف فيقول: (فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل).

(هؤلاء) يعني من جاء الحديث عنهم، الذي هم النصارى التي رأتهم أم سلمة وأم حبيبة في الحبشة قال: (هؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور وفتنة التصاوير) وهاتان الفتنتان هما أخطر الفتن التي تؤدي بالناس إلى الوقوع في الشرك بالله، وضع التصاوير للرجال الصالحين ووضع الأبنية المشيدة والقباب ونحو ذلك على قبورهم؛ لأن هذا وذاك كله فتنة مؤدية بالناس إلى الوقوع في الشرك، قال: (فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة التصاوير وفتنة القبور) وهذا الكلام نقله المؤلف -رحمه الله- عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- في بعض كتبه وليكن هذا سؤالا لدرس اليوم، بحث هذا النص من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وبيان الموضع تحديدا الذي ورد فيه هذا الكلام لشيخ الإسلام -رحمة الله عليه-.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولهما عنها قالت: (لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجد) أخرجاه).

ثم أورد المصنف -رحمة الله عليه- هذا الحديث حديث عائشة في الصحيحين في البخاري ومسلم، تقول -رضي الله عنها-: (لما نُزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم-) نُزل بالبناء المجهول، أي: نزل به الملائكة، ملك الموت ومن معه من الملائكة (لما نزل به) أي: نزل ملك الموت ومن معه لقبض روحه الشريفة -صلوات الله وسلامه عليه- وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] ولما مات قال أبو بكر كلمته العظيمة المعروفة قال: (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) هذه كلمة عظيمة جدًا في رسو التوحيد وتثبيت القلوب وبيان الأمر قال: (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

تقول عائشة: (لما نزل به -صلى الله عليه وسلم- طفق) أي جعل (يطرح خميصة على وجهه) الخميصة نوع من الكساء كان يغطي بها وجهه، في لحظاته الأخيرة -عليه الصلاة والسلام- (يغطي بها وجهه فإذا اغتم) يعني: التنفس بسبب الغطاء كشفها عن وجهه، ثم قال وهو في تلك الحال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فهذه كلمات قالها متى؟ في اللحظات الأخيرة وهو في السياق -عليه الصلاة والسلام- ونزلت الملائكة لقبض روحه في تلك اللحظات كان يقول هذه الكلمات: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد) وسيأتي معنا في الحديث الذي بعده أن جندب -رضي الله عنه- سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت بخمس، يعني: خمس ليالٍ أو أيام يقول هذا الكلام، فإذن فأيامه الأخيرة تكرر حتى في اللحظات الأخيرة في السياق لعن اليهود والنصارى قال: (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) هنا ما الحكمة من هذا اللعن في اللحظات الأخيرة وفي الأيام الأخيرة؛ بل في الساعات والدقائق الأخيرة من لحظاته في هذه الحياة، ما الحكمة من ذلك؟ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تقول: (يحذر مما صنعوا) يعني انتبهوا يا أمة الإسلام لا تصنعوا مثلما صنع اليهود والنصارى بأنبيائهم (يحذر مما صنعوا) يعني: يحذر من أن تصنع أمته مثلما صنع أولئك في أنبيائهم، لعنة الله يقول: واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

يقول -عليه الصلاة والسلام-: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر مما صنعوا) أي: هذا من فقه عائشة -رضي الله عنها- تقول: إن هذا اللعن الذي حصل في هذه اللحظات وأيضًا حصل في الأيام التي قبلها بقليل سمعه منه الصحابة -رضي الله عنهم- هذا اللعن الغرض منه والغاية منه تحذير الأمة أن يصنعوا مثلما صنع اليهود والنصارى.

(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ما معنى (اتخذوا قبول أنبيائهم مساجد)؟ هذا سؤال مهم جدًا يجب على كل واحد منا أن يفهمه؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لعن ماذا؟ لعن من فعل ذلك، وجاء في بعض الأحاديث: (قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) ينبغي أن نفهم هذا الأمر، ينبغي أن نفهم ما معنى اتخاذ القبور مساجد، لابد أن نفهم معنى اتخاذ القبور مساجد؛ حتى ما يزل الإنسان بفهوم خاطئ يروج له دعاة الضلال ودعاة الباطل، فاتخاذ القبور مساجد يشمل أمرين: اتخاذه مساجد بأن يبنى المسجد على القبر، أو يدفن القبر في داخل مسجد بهذه الطريقة يكون القبر اتخذ مسجدا، إما بأن يبنى المسجد على القبر، يؤتى إلى قبر رجل صالح أو قبر نبي ويبنى عليه المسجد، أو يؤتى بالقبر في مسجد لا قبر فيه ويدفن داخل المسجد، هنا اتخذ القبر مسجدا أم لا؟ اتخذ مسجداً؛ لأن المسجد مكان للعبادة، وجعل في هذا المكان الذي فيه قبر، هذا أمر أيضاً يشمل أمرا ثانيا وهو أن يقصد المكان لتتحرى الصلاة فيه، فإذا تحرى الإنسان الصلاة عند القبر يكون اتخذه ماذا؟ اتخذا مسجداً؛ ولهذا جاء في الحديث وسنده ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) في حديث آخر: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأينما أدركت الصلاة فصلي) لو أدركتك الصلاة في مقبرة تصلي؟ لا؛ لأنها مستثناة، مثل أيضاً لو أدركتك في حمام، الحمام ليس مكان صلاة، أرضه نجسة، والمقبرة ليست مكان صلاة لماذا؟ لأنها لو صلي فيها فهذا ماذا؟ ذريعة إلى الشرك؛ ولهذا جاء عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: (لا أصلي عند حمام ولا عند قبر) وجاء في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رأى أنس يصلي وكان أمامه قبر ما انتبه له، فقال له: (يا أنس القبر، يا أنس القبر) مثلما تقول أنت لصاحبك: يا فلان العقرب، أو: يا فلان الحية، تحذره من أمر خطير ما تنبه له، فكان هذا أمر متقرر عند الصحابة -رضي الله عنهم- ما كانوا يتحرون الصلاة عند القبور، لماذا؟ هذا السؤال يا إخوان مهم، وأنا أريد أن تركزوا معي وتتابعوا معي هذا الأمر لماذا لا نصلي عند القبر؟ ولماذا لا نتحرى الصلاة عند القبر؟ لماذا جاء الحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)؟ لماذا هذا؟ لماذا؟ ما الحكمة من النهي والمنع من ذلك؟ ما الحكمة من ذلك؟ أظنها واضحة عندكم؟ لأنها ذريعة من ذرائع الشرك، لما يتخذ مسجد تتحرى العبادة عنده، القلوب قريبة من حب الصالحين فيها فلما يتحرى العبادة عندها يزيد الأمر والتفاعل عند القبر إلى التوسل إلى أيضاً مرحلة أخرى عبادته وهذا الذي يحصل هذا هو الذي يحصل فالنبي -عليه الصلاة والسلام- حمى حمى التوحيد، وسد كل ذريعة تفضي إلى الشرك، فنهى عن الصلاة عند القبر، وتحري العبادة عندها؛ لأنه ذريعة تحرك في الإنسان مع الوقت ومع الأيام فيه أو في غيره للوقوع في الشرك هذه هي الحكمة، وهذه هي العلة؛ ولهذا لاحظ معي فائدة النهي عن الصلاة في الحمام لنجاسة إيش؟ البقعة، والنهي عن الصلاة في المقبرة؛ لأنه ذريعة لنجاسة الشرك؛ لأن هذا يفضي إلى.. فهناك خاف عليهم من نجاسة البقعة، وهنا أيضاً خاف عليهم -عليه الصلاة والسلام- من نجاسة الشرك، فمنع هنا ومنع هنا، فالعلة في النهي هي ماذا؟ لأنه ذريعة من ذرائع الشرك، وهذا من نصح النبي -عليه الصلاة والسلام- لأمته.

هنا يأتي بعض الناس ويلبسون على العوام، وسيأتي معنا عند المصنف يقول -عليه الصلاة والسلام-: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) يأتي بعض الناس ويلبسون على العوام ويقولون: إن مراد النبي -عليه الصلاة والسلام- بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد لأجل نجاسة البقعة، إيش معنى هذا؟ يقولون: لا يجوز لك، حتى أنا مرة كنت في مجلس، وكنا نتناقش مع شخص نحب أن نبين له الحق والخير في هذا الباب فيقول: ويلمس جبهته يقول: النهي هو أن تضع جبهتك على القبر، هذا المقصود بالنهي، لماذا؟ لأن القبور -هكذا يقول وهذا موجود أيضاً في كتب أهل الضلال- يقول: لأن القبور فيها صديد، صديد إيش؟ صديد الأموات، الصديد المتحلل من الأموات ففيه نجاسة فالنهي خاص -يقول- بوضع الجبهة على القبر؛ لأن فيه نجاسة من الصديد المتحلل من هؤلاء الأموات، أنا أطرح على هؤلاء ثلاثة أسئلة يجيبوا عليها:

السؤال الأول: لو كانت المقبرة جديدة والقبر جديد، الآن دفن لم يتحلل بعد، الآن دفن، اليوم دفن، وجاء شخص يريد أن يصلي على القبر بحيث أنه يضع جبهته عليه، هل يحل أو لا يحل؟ هذا أولاً.

السؤال الثاني: قبر قديم جدًا، وعلى قولهم تحلل وصديد وكذا فجاء إنسان بسجادة متينة وضعها فوق القبر تقيه من هذا الصديد وصلى، يجوز أو لا يجوز؟

والسؤال الثالث: أهم من هذه الأسئلة: النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وجاء في الحديث: (أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) والأنبياء في القبور ما يقال فيهم مثل هذا الكلام؛ ولهذا يتبين لكم أن هؤلاء كيف أنهم يقعون في خبط وخلط يفضي بهم إلى أمور شنيعة ولوازم شنيعة، قد لا يلتزمون بها، ومن المؤسف أن بعضهم ألف كتابا في استحباب هذا الأمر، استحباب بناء المساجد على القبور وقالوا: كل هذه الأحاديث المراد: ما تضع جبهتك على الأرض، ولما يأتون يقولون للعوام والجهال أن اللعن الذي في الحديث وقوله: (شرار الخلق) المراد وضع الجبهة على القبر يحرف العامي، وتجد العامي يستمر على تحري الدعاء وربما يرتقي أو يصل إلى الشرك وإلى عبادة هذه القبور من دون الله -سبحانه وتعالى- وهو لا يشمله في ظنه اللعن الوارد في الحديث؛ لأنه ما وضع جبهته على القبر كما قال له أولئك.

يا شيخ عبد الرزاق امتدادا لما ذكرت من هذه النقطة العلماء المضلين أو الدعاة المضلين الأخت الكريمة سألت سؤالا، إذا تأذن لي أطرحه تقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، أما بعد: يا فضيلة الشيخ، ما نصيحتكم للذين يكونون علماء في بعض الدول ومحسوبين على الإسلام، وهم يبنون الأماكن والقبور بدعوة السياحة، ويساعدون الناس على الذهاب إلى تلك الأماكن وفيها المساجد ويذهبون الناس إلى الطواف والتعبد عندها، فأرجوك وجه لهم النصيحة وجزاك الله خير.

أنا أقول للجميع الموقف أمام الله -سبحانه وتعالى- عظيم والمسألة خطيرة وليست مسألة عادية أو سهلة أو الوعيد الذي ورد فيها أمره يسير لا، لعن وطرد إبعاد من رحمة الله وشرار الخلق، وسيأتي معنا في آخر الترجمة يقول -عليه الصلاة والسلام-: (إن شرار الخلق عند الله يوم القيامة من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد) الأمر خطير جدًا ومن عنده علم وفقه في دين الله وفي سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- يدرك هذا الأمر، ومع ذلك أمور محكمة واضحة يتركونها هؤلاء ويأتون للناس بأشياء متشابهة، بعضهم في هذا الباب -وانظر غرائب الاستدلالات- يقولون: الله يقول في القرآن الكريم مستدلين به على جواز الأمر يقولون: الله قال في القرآن الكريم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] اقرأ السورة من أولها من هم هؤلاء؟ أليس أصحاب الكهف اعتزلوا قومهم الذين يعبدون غير الله ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم﴾ [الكهف: ١٦] هم اعتزلوهم لأنهم يعبدون غير الله، فكيف يحتج بقول هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا﴾ [الكهف: ٢١] هذا فعل أهل الغلبة،

ليس فعلهم حجة، بل جاء السياق اقرأه تجد السياق في الآيات قبله كله يدل على أنهم كانوا أهل عبادة لغير الله، وهؤلاء فتية اعتزلوا قومهم، فكيف يستدل بفعلهم، ثم إذا نظرت الآن الآية فيها ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] وحديث نبينا -عليه الصلاة والسلام- يشير إلى تلك الأعمال في الأمم السابقة يقول: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) فانظر الحديث على ماذا يدل؟ هنا هل يصلح أن نقول: هذه الشريعة لمن قبلنا وجاء الإسلام بنسخها؟ هل يمكن أن تقال هذه الكلمة؟ ما يمكن؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لعن أولئك لو كانت شريعة لهم، لم يلعنهم، لو كانت شريعة في الأمم السابقة ما يلعنهم ولا يقول: (أولئك شرار الخلق) فهذا دليل على أن هذا الأمر منهي عنه في شريعة من؟ كل الأنبياء، كل الأنبياء حموا حمى التوحيد، ونهوا عن الشرك، وحذروا أممهم من ذلك.

عائشة -رضي الله عنها- قالت: (يحذر مما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خَشِيَ) وفي رواية: (خُشِيَ) خَشِيَ أي: هو -عليه الصلاة والسلام- وخُشِيَ، أي: خشي الصحابة -رضي الله عنهم- أن يتخذ مسجداً، فهذا الآن كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه اللحظات الأخيرة من حياته هو خشية أن يتخذ قبره مسجداً، فحذر الأمة ونهاها النهي العظيم، وغلظ في الأمر في اللحظات الأخيرة، يلعن اليهود والنصارى على فعلهم هذا الأمر يحذر الأمة مما صنعوا، فيجب أن يدرك خطورة الأمر وأن يعي الناس خطورة الأمر، وألا يلبس عليهم بكلمات أو بأشياء أو بشبهات واهية، وتترك هذه النصوص المحكمة البينة عن رسولنا الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: (سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)).

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث، وهذا الحديث يدل على فضيلة نبينا -عليه الصلاة والسلام- ومكانته العظيمة عند الله -جل وعلا- قال: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) فالخلة له -عليه الصلاة والسلام- ولإبراهيم الخليل -عليه السلام- والخلة هي أعلى درجات المحبة، ولهذا الله -سبحانه وتعالى- يحب الصالحين، يحب المؤمنين، يحب التوابين، يحب المتطهرين، كما في نصوص كثيرة، لكن الخلة لإبراهيم ولمحمد -عليه الصلاة والسلام- قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) لأن الخلة التي أعلى درجات المحبة ليس في قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- شيء من ذلك إلا لله، أما المحبة فهو لما قيل له: (من أحب الناس إليك؟ قال من الرجال؟ قال أبو بكر، قال: ومن النساء قال: عائشة) ومر معنا في فضيلة علي -رضي الله عنه-: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فهو يحب -عليه الصلاة والسلام- أما الخلة فليس في القلب مكان؛ لأنه ممتلىء بحب الله -عز وجل- وهذا أيضاً فيه فضيلة أبي بكر -رضي الله عنه- فضيلة أبي بكر الصديق (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) وهذا من مناقبه وفضائله ومن الأدلة العظيمة على أنه خير الصحابة وأفضلهم - رضي الله عنه وأرضاه- أبو بكر الصديق، وفضائله شهيرة وكثيرة ويعرفها الخاص والعام من المسلمين، إلا من أزاغ الله قلوبهم وأعمى بصائرهم فجعلوا أبا بكر من أخس الناس؛ بل نصوا على أن منزلته في النار أشد من منزلة إبليس -عياذا بالله من ذلك- وهذا نصوا عليه في بعض كتبهم نعوذ بالله من الخذلان ومن الزيغ ومن الانتكاس، خير الأمة وأفضلها صديق الأمة يقال في حقه مثل ذلك نعوذ بالله من عمى القلوب وعمى البصائر.

قال: (ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) ثم قال.

((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد)).

(ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد) يتخذون قبور أنبيائهم مساجد بإحدى طريقتين كما أوضحت: إما بالبناء عليها بحيث تكون بناية يتحرى عندها العبادة والدعاء إلى آخره، أو بدون بناية يتحرى العبادة عندها، اتخذها مسجدًا لأن أي مكان صليت فيه مثلما مر في الحديث: (جعلت لي الأرض مسجداً) حتى لو لم يكن مبنيًا (جعلت لي الأرض مسجداً) إذا صليت فهو مسجد لك، صليت فيه، يعني مكان لسجودك وعبادتك، فإذن يشمل قوله: (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) إما بالبناء أو بماذا؟ أو بتحري العبادة عنده، يتحرى العبادة عند القبر طلباً للبركة والتماساً للفضيلة أو نحو ذلك، يتحرى العبادة عند القبر يشمله ذلك. قال:

(ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك).

لاحظ شدة النصح من النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (ألا فلا تتخذوا القبور مساجد) هذا نهي وأم ما هو؟ نهي، لعظم الأمر وشدة خطورته لم يكتفِ بهذا النهي زاد أيضاً قال: (فإني أنهاكم عن ذلك) فهو نهي من بعد نهي، وتأكيد بعد تأكيد، قال: (ألا فلا تتخذوا القبور مساجد) الآن حصل النهي، لكن الأمر جدٌّ خطير فقال: (فإني أنهاكم عن ذلك) ويؤكد ذلك -عليه الصلاة والسلام- تأكيداً بعد تأكيد يدل على أن الأمر جدٌّ خطير، ولا يستهين به أحد، ولا يراه أمراً هينا أو أمراً سهلاً، ومن لم يكن عنده بصيرة وذهب عقله مذهباً آخر يستهين بهذا الأمر، ويلتمس لنفسه ولغيره مبررات ومسوغات ما أنزل الله بها من سلطان، فمثلاً يقول: هذه أشياء ما قصدنا العبادة، أو يقول: هذه مجرد تذكار، وهذا من أجل قدرهم ومكانتهم في قلوبنا، وهذا من أجل إبراز... أشياء تقال كثيرة كلها لا وزن لها أمام الأحاديث الواضحة عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- في النهي والمنع واللعن والوصف بأنهم شرار الخلق، هذه كلها يعني أمور محكمة وواضحة ما يمكن أن تعارض بمثل هذه الأقاويل.

نلاحظ هنا جندب سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك متى؟ قبل موته بخمس، وعائشة -رضي الله عنها- سمعته في السياق، فإذن أيامه الأخيرة ولحظاته الأخيرة الأمر تكرر، هل يمكن أن يأتي أحد ويقول: هذا منسوخ؟ هذا الحكم منسوخ؟ ما يمكن، في آخر لحظاته، وهو في النزع، يقول ذلك، وجندب يسمعه قبل وفاته بخمس وهذا أمر من الأمور المحكمة، الأمور التي ما يدخلها نسخ، النسخ يدخل على أعمال معينة أو عبادات أما هذه أمور تمس التوحيد وتمس الأنبياء كلهم متفقون على هذه الأصول العظيمة وعلى هذا التحذير من الشرك ومن وسائله ومن ذرائعه ومن الأمور التي تفضي إليه.

الآن سيأتي تعليق مهم جدًا للمصنف أود أن نستمع إليه لأن فيه -حقيقة- تلخيص بديع لما يتعلق بما يستفاد من هذه الأحاديث؟

قال المصنف -رحمه الله-: (فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها...).

نهى -لو سمحت لي- نهى عنه في آخر حياته، أي: كما في حديث عائشة، لا، نهى عنه في آخر حياته كما في حديث جندب، ولعن في السياق، يعني: في النزع الأخير كما في حديث عائشة، يعني: لاحظ تسلسل الأمر في آخر حياته نهى (فإني أنهاكم) (لا تتخذوا) وفي النزع في السياق يلعن -عليه الصلاة والسلام- من يفعل ذلك.

(والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يَبنِ مسجدًا).

لاحظ هذه الفائدة المهمة (والصلاة عندها من ذلك) ما معنى: (من ذلك)؟ من اتخاذهم مساجد، (الصلاة عندها من ذلك)، يعني: من اتخاذهم مساجد (وإن لم يبنِ مسجداً) فإذن اتخاذهم مساجد يكون بطريقتين: إما بالبناء، أو بماذا؟ أو بتحري العبادة.

(وهو معنى قولها: (خشي أن يتخذ قوله)).

(وهو معنى قوله) أي: عائشة (خشي) أي: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أن يتخذ مسجد) أي: مكانا تتحرى فيه العبادة، يعلل الشيخ يقول:

(فإن الصحابة لم يكونوا يبنون حول قبره مسجداً وكل موضع قصدت الصلاة).

(فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً) ما يفعلون ذلك وعندهم هذه النصوص.

(وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً).

(وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً).

(قصدت الصلاة) يعني: قصد تحري العبادة فيه اتخذ مسجداً ومما يدل على ذلك: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً).

(بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)).

أنا سأذكر كلاما موضحا فيه قول المصنف: (وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً) لاحظ الآن لو أن شخصاً جاء إلى مقبرة مصادفة، ولنقل: إنه ما شعر أنها مقبرة وصلى، اتخذ المكان مسجد أم لا؟ بلى، اتخذه مسجداً؛ لأنه (جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فهو اتخذ هذا المكان مسجداً لكن قد يعذر؛ لأنه ما شعر، لكن لو كان يعلم أنه قبر، وأنه عند القبور أو بين القبور ما تحل له الصلاة، ولا تصح الصلاة، ولهذا عمر صاح بأنس لما ما كان أنس غير منتبه، قال: (يا أنس القبر، يا أنس القبر) لأن هذا أمر متقرر عندهم، متقرر عندهم أنهم ما يتحرون الصلاة عند القبور، إذن الأمر يشمل البناء، ويشمل تحري العبادة وتحري الصلاة عند القبور بدون بناء.

طيب يا شيخ لو سافر أحدهم إلى أحد البلدان ويعرف أن في هذا المسجد قبراً، هل يصلي في غيره؟.

ما يصلي إذا كان القبر داخل المسجد، ما تحل الصلاة فيه؛ لأن الآن فيه لعن وفيه وصف بأنهم شرار الخلق عند الله -سبحانه وتعالى- فالمسجد الذي في داخله قبر سواءً كان في قبلته، بعض المساجد يضعون القبر في القبلة أمام الإمام مباشرة، وهذا إمعان في الضلال وزيادة في الضلال وبعضهم لا يبنيه في طرف المسجد، فإذا كان داخل المسجد القبر لا يصلى فيه.

ويكمل المصنف قوله: (ولأحمد بسند جيد).

هنا يأتي بعض الناس -لابد من التنبيه- هنا يأتي بعض الناس، ويحاولون في هذا الباب التلبيس على عوام المسلمين بالقياس على مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- وهنا ينبغي أن يتنبه الناس لأمر يتعلق بحديثنا وكلامنا أين دفن -عليه الصلاة والسلام- لما مات؟ في الحجرات، هل دفن في المسجد؟ ما دفن في المسجد، ودفن في حجرة عائشة، حجرة عائشة خارج المسجد، كانت تحيض فيها، وكان يأتيها فيها -عليه الصلاة والسلام- لم تكن من المسجد، فدفن في حجرة عائشة، والأنبياء كما جاء في الحديث: (يدفنون حيث ماتوا) فمات في حجرة عائشة بين سحرها ونحرها، ودفن في حجرتها، لم يدفن في المسجد، فالذين يفعلون هذا الأمر ويقيسون على مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- هو -صلى الله عليه وسلم- لم يدفن في المسجد، وإنما دفن خارج

المسجد، وفي زمن عمر وسع المسجد من ناحية الغرب ومن ناحية الشمال في زمن عثمان من جهات ثلاث من الجنوب والغرب والشمال ولم يوسعوه من الناحية الشرقية التي فيها القبر إلا في زمن دولة بني أمية.

فالذي يريد أن يحتج فليحتج بالأحاديث، ما يحتج بأمر فُعِل متأخراً وهذا الأمر يعني لما وسع المسجد من الناحية الشرقية بني بناية كبيرة جدًا تحمي أو تحول بين وصول الناس والوصول إلى القبر هذه قضية سأتحدث عنها لاحقاً عندما نصل إلى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) فحمى الله قبره -عليه الصلاة والسلام- بجدار من وراء جدار، ما يصلون الناس إلى القبر وحتى أيضاً بناية الجدر بطريقة معينة ربما يأتي الحديث عنها في درس لاحق، فإذن قبره -عليه الصلاة والسلام- لم يكن في المسجد.

ومسجده فضيلته باقية، يقول -عليه الصلاة والسلام-: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام).

قال المصنف -رحمه الله-: (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعاً: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) ورواه أبو حاتم في صحيحه).

ثم ختم المصنف هذه الترجمة بهذا الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء) وجاء في حديث آخر: (إن الساعة لا تقوم حتى لا يقال: الله الله) يعني: لا يكون هناك إلا الشرك والكفر، وليس هناك عبادة لله، فهؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة، وحديث: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) المراد ساعتهم، عندما يبعث الله ريحاً تأخذ قلب روح كل مؤمن ومؤمنة (ثم لا يبقى إلا شرار الخلق، فأولئك تقوم عليهم الساعة).

هنا قال: (إن من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) جمع في هذا الحديث بين الشرك ووسيلته، الشرك في جزئه الأول، ووسيلته في جزء الحديث الثاني في قوله: (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) لأن اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، هذا ذريعة من ذرائع الشرك، ووسيلة من وسائله.

والشاهد من الحديث أن فيه التغليظ على من فعل ذلك بأنه من شرار الخلق عند الله -سبحانه وتعالى- وقرنهم بالذين تقوم عليهم الساعة.

إذن تلخص لنا من أحاديث الباب التي ساقها المصنف في بعضها اللعن، وفي بعضها الوصف بأنهم شرار الخلق، وفي بعضها النهي والتأكيد على النهي بأكثر من صيغة ومن أسلوب، فهذا كله يدلنا على خطورة الأمر وبهذا يتضح ما ترجمه المصنف له، وهو (التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟) يعني: عبد القبر أو صاحب القبر، فهذا أمر جاءت النصوص بالتحذير منه والنهي عنه؛ لأنه وسيلة من وسائل الشرك، وذريعة من ذرائعه، ونبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- بين التوحيد، وحمى حماه، وحذر من الشرك وسد الذرائع والوسائل والطرق المفضية إليه فصلوات الله وسلامه عليه.

الأخ الكريم يقول: هل تستثنى الصلاة على الميت في المقبرة بعد دفنه لمن فاته الصلاة في المسجد من نصوص النهي عن الصلاة في القبور واتخاذها مساجد؟.

الصلاة على الميت، الميت يصلى عليه في المسجد أو في المصلى وإذا دفن أو حتى قبل الدفن فاتت الصلاة عليه فإنه يصح لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- صلى على المرأة التي كانت تنظف المسجد ودفنت قال: (هل آذنتموني بذلك) فذهب -عليه الصلاة والسلام- وصلى عليها وهي في قبرها، فالصلاة هنا دعاء لها، الصلاة على

الميت هي دعاء له بالرحمة من جنس السلام، الذي يلقيه من يزور المقابر، "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية" وهي تكبيرات عن قيام بدون ركوع وبدون سجود في التكبيرة الأولى ثناء على الله بقراءة الفاتحة، والثانية صلاة وسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والثالثة دعاء، والمقصود الدعاء وبين يدي الدعاء حمد وثناء وصلاة وسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الأخ الكريم من المغرب يسأل يقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد، هل يدخل في هذا زيارة قبر الأب والأم للترحم؟

زيارة القبور هذا باب آخر جاءت الشريعة به، يقول -عليه الصلاة والسلام-: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) وسأله الصحابة قالوا: (ماذا نقول إذا زرنا القبور؟ قال: تقولون: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية) وهنا لاحظ -أيها الأخ الكريم- قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور) يعني في بداية الأمر وفي بداية الإسلام كان ماذا؟ كان نهي عن زيارة القبور مطلقاً، يمنع زيارة القبور منعاً باتاً مطلقاً للجميع، لماذا؟ لأن النفوس حديثة عهد بإسلام فخشي عليهم -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- من هذا الأمر لكن لما تمكن الإسلام وتوضحت الأمور وبين أمور التوحيد وحذر من الشرك وحذر من وسائله قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) والحديث يدل على أن زيارة القبور تشرع لتذكر الآخرة من جهة، ومن جهة أخرى دل عليها الحديث الآخر ماذا؟ الدعاء للميت بالسلام عليه، السلام المشروع، "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية" لكن من ضل، وفسد فهمه أو أفسد فإنه يذهب عند القبور لماذا؟ لا لتحري الآخرة ولا للسلام، وإنما لطلب البركة من جهتهم وقصد تلك البقاع لتحري العبادة عندها، وربما يصل الأمر ببعض الناس لعبادتها ودعائها وسؤال أهلها وصرف أنواع من العبادة لها من دون الله -عز وجل- وهذا الذي خاف النبي -صلى الله عليه وسلم- على الناس منه فلعن من اتخذ القبور مساجد لأجله.

الأخ الكريم من السعودية يسأل يقول: يا شيخ ماذا تنصحوننا به عند زيارة المسجد النبوي لمن أراد سلامة دينه واعتقاده؟

الحمد لله الأمر لا إشكال فيه، زيارة المسجد النبوي هذه من الأعمال المباركة والأعمال الفاضلة وقد ورد أحاديث كثيرة في هذا الباب وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) وذكر منها مسجده -عليه الصلاة والسلام- وقال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) فيذهب إلى مسجده ويشد الرحل، تشد الرحل من بلدك بنية زيارة مسجده -عليه الصلاة والسلام- وتذهب وتدخل وتصلي النافلة وتصلي أيضاً الصلوات المفروضة قدر ما تستطيع في مسجده -عليه الصلاة والسلام- وتحرص على البقاء في المسجد تاليا للقرآن وذاكرا لله -جل وعلا- ومستفيداً، وأيضًا تذهب إلى قبره -عليه الصلاة والسلام- وتزوره الزيارة الشرعية، تقف أمام القبر، والقبلة خلفك، وتقول: السلام عليك يا رسول الله، ثم تسلم على أبي بكر، ثم تسلم على عمر مثلما كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يفعل، كان يقف ويكون القبر أمامه والقبلة خلفه، ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، والده، ثم ينصرف، فيسلم السلام دون عكوف ودون مكث، ودون رفع الصوت، وأيضًا ما قد يفعله البعض يقف من مسافة بعيدة مادا يديه وأيضًا لا يقف عند القبر وقوفه في الصلاة، يضع اليمنى على اليسرى، اليسرى على صدره ويقف خاشعاً متذللاً، يعني بعض الناس عند القبور يخشع خشوعاً لا يكون منه في الصلاة، وعند القبور يحصل منه من البكاء ما لا يكون منه وقوفه أمام الله -سبحانه وتعالى- في صلاته، وفي ساعات الأسحار، فهذه من المصيبة ومن البلاء ومن ضياع الدين.

في نهاية هذا الدرس المبارك يا شيخنا الفاضل، لو تخيلنا أنفسنا ونحن في أحد المساجد في أحد البلاد الإسلامية وهذا المسجد فيه قبر والمصلون يدخلون إلى هذا المسجد ويصلون ربما لجهلهم بحكم الصلاة في هذا القبر، نحن الآن نتخيل أنفسنا عند هذا المسجد، كيف هو الأسلوب الأنسب حتى نقنع هؤلاء في دقيقة ونصف شيخنا الفاضل.

هو ليس أمامنا خيار إلا الرجوع للسنة، سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- ونشر أحاديثه وكلامه -صلى الله عليه وسلم- حتى يعيه الناس وحتى يفهموا كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- وأحاديثه العظيمة ونصوصه المباركة وتحذيراته الشديدة من هذا الأمر، ولما خالف من خالف نهي النبي -عليه الصلاة والسلام- وقعت المصائب العظيمة، ووقع الشرك الصراح، أصبحت يعني بعض القبور لبعض الأولياء وأحياناً حتى لقبور أناس ما يعرفون بصلاح ولا بغيره، ولكن أصبحت أمور دخل من خلالها على الناس باطل عريض وشر عظيم، فأصبحت تقصد للعبادة ينذر لها ويذبح لها، وتدعى من دون الله، ويستغاث بها، وحتى أيضاً بعضهم من لا يستطيع أن يصل إلى تلك القبور يرسل مع من ذهب أوراق، أوراق بطلباته وحاجاته، أنا أريد كذا وأنا أريد كذا، ورب العالمين يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] تركوا هذا كله وتركوا الدين، وتعلقوا بالقبور واتجهوا إليها في طلباتهم وحاجاتهم، وفي أمورهم.

فعلى كل حال الناس يحتاجون إلى أن يبين لهم التوحيد وأن ينصح لهم في هذا الأمر العظيم، وأن يحذروا من الشرك وأن تذكر لهم الأدلة وأأكد أن هذا الكتاب المبارك علاج نافع بما جمعه مؤلفه -رحمه الله- من آيات وأحاديث تبين هذا الأمر فقراءة هذا الكتاب، وقراءة هذه النصوص وتوجيه الناس إلى هذه الفوائد العظيمة فيه صلاح دينهم ودنياهم ونسأل الله الكريم رب العرش الكريم أن يرد من ضل إلى الحق والهدى وأن يبصرنا بدينه وأن يوفقنا لاتباع سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وأن يعيذنا من الشرك، وأن يعيذنا من البدع، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه -تبارك وتعالى- سميع مجيب قريب.

أحسن الله إليكم شيخنا الكريم، والآن وصلنا إلى نهاية هذا الدرس المبارك لعلكم تطرحون سؤاليّ هذا الدرس.

أظن طرحت سؤالاً في أثناء الدرس أم لا؟

أي نعم يا شيخ.

تذكرون السؤال أم لا، هو مقيدٌ عندكم؟.

إذن هذا السؤال الأول أي الذي مر معنا في أثناء الدرس؟

الذي هو يا شيخ: ما هو المرجع الذي استند إليه الشيخ محمد؟

يعني هو قال: جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، قلت: إن هذا الكلام نقله المصنف عن شيخ الإسلام ابن تيمية فأريد مكانه؟ بتحديد الصفحة من كتاب شيخ الإسلام الذي نقل منه المصنف هذا النقل؟

السؤال الثاني: نريد خمسة أحاديث في هذا الباب، أو الأحاديث عندنا يمكن البعض يتكل على ما ذكره المصنف، قول الله -عز وجل-: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] من يستدل بهذه الآية على تجويز بناء المساجد على القبور؟ من يحتج بهذه الآية؟ ما هي الوجوه التي يمكن أن تَرُد عليه بها؟ أريد ثلاثة أوجه فقط.

التوحيد – المستوى الثالث

الدرس الواحد و العشرون

شرح كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد الله الكريم بمحامده التي هو لها أهل، وأثني عليه الخير كله لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإذا هذا الدرس الجديد من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله وغفر له– والكتب نحن نتفيأ من خلاله فنونا من العلم عظيمة، وأبوابا من الإيمان والتوحيد جليلة، نفيد من خلال هذا العرض المبارك والتقرير النافع والاستدلالات من كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– على أمور التوحيد التي الحاجة إليها ماسة لدى الناس كلهم؛ ولهذا أيها الإخوة يجب أن نستعشر نعمة الله –تبارك وتعالى– علينا بدراسة هذا الكتاب والوقوف على هذه الأدلة المباركة النافعة التي جمعها الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد.

وكما جرت عادتنا في دراسة هذا الكتاب نستمع إلى تقرير الشيخ –رحمه الله– في الترجمة وأدلته ثم يكون بعد ذلك التعليق بما ييسره الله –تبارك وتعالى– ويفتح به سبحانه، ونسأله أن يفتح علينا وعليكم بالحق، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه، والآن نستمع إلى أخينا تركي سلمه الله للباب الجديد.

قال المصنف –رحمه الله–: (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يسيرها أوثانا تعبد من دون الله، روى مالك في الموطأ أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).

المصنف –رحمة الله تعالى عليه– عقد هذه الترجمة لبيان أن دين الإسلام سد الذرائع التي تفضي إلى الباطل وتؤدي إلى الشرك بالله –عز وجل– فعقد هذه الترجمة: (باب أن الغلو في قبور الصالحين يسيرها أوثانا تعبد) الغلو في قبور الصالحين، عرفنا فيما سبق، أن المراد بالغلو هو تجاوز الحد، تجاوز حد الشريعة، والشريعة لها حد محدود، فيما يتعلق بالقبور، قبور الصالحين وقبور غيرهم، وجاءت الشريعة ببيان الحكمة التي لأجلها تزار القبور، كما في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) وهذا الحديث يدل على أن الحكمة من مشروعية زيارة القبور هو تذكر الآخرة، يتذكر الإنسان الموت، ويتذكر أنه يوما من الأيام سيكون في حفرة من هذه الحفر، كما كان أهل هذه الحفر قبله يمشون على الأرض ويسعون في مصالحهم إلى أن دخلوا هذه الحفر، فهو في يوم من الأيام سيكون مثلهم ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: ٢١] فهذا شأن الإنسان، وهذه سنة الله –تبارك وتعالى– في عباده، ثم من بعد القبر محاسبة وجزاء وعقاب وجنة ونار، فإذا ذهب الإنسان إلى القبور وإلى المقابر ورأى القبور تذكر هذه الحال وتذكر هذا المصير، فانتفع وارتفع وصلحت حاله، قال: (فإنها تذكركم الآخرة).

وكذلك تزار القبور من أجل السلام على من بها من الأموات، والدعاء لهم ولهذا لما سأل الصحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– عن ماذا يقال عند زيارة القبور؟ قال: (تقولون السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم السابقون، ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية) في الزيارة إلى القبور إحسان للنفس وإحسان للميت، تحسن إلى نفسك بتذكر الآخرة وتحسن إلى الميت بالسلام عليه والدعاء له، وإذا تجاوز الإنسان هذا الحد الذي حدته الشريعة فيما يتعلق بالقبور وبخاصة قبور الصالحين، فإن هذا الغلو يصير

القبور أوثانا تعبد، فبدل أن يكون يزور القبور من أجل السلام وتذكر الآخرة يصبح يزور القبور من أجل الشرك والعياذ بالله، ودعاء المقبورين والاستنجاد بهم، وهذا الشرك الذي يقع فيه هؤلاء بداياته غلو في الصالحين، غلو في الصالحين بحيث يتجاوز الحد الذي حدته الشريعة فيما يتعلق بالصالحين، ثم يتنقل في خطوات الغلو خطوة خطوة إلى أن يقع فيما بعد في الشرك الصراح والكفر البواح عياذا بالله من ذلك.

فالمؤلف -رحمة الله عليه- عقد هذه الترجمة لبيان هذا الأمر (باب أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد) وهذا فيه تنبيه لكل مسلم إذا زار القبر إياه والغلو، يحذر الغلو غاية الحذر، ويجتنبه غاية الاجتناب؛ لأنه يمشي في هذا الغلو خطوة خطوة إلى أن يقع فيما بعد بسبب هذا الغلو في الشرك بالله، هذا معنى قول المصنف: (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد).

ثم أخذ يستدل على الترجمة فأورد ما جاء في موطأ الإمام مالك -رحمه الله-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) وتنبه رعاك الله لهذه الدعوة المباركة العظيمة التي دعا بها -عليه الصلاة والسلام- قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) وهنا أسأل الإخوة الحضور عندنا في الاستوديو قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) ماذا تستفيد من هذه الجملة من قوله: (وثنا يعبد)؟ ماذا يستفاد من هذه الجملة فيما يتعلق بالقبور إذا عبدت؟ إذا عبدت من دون الله -تبارك وتعالى-؟

أستفيد من هذه العبارة أن القبور إذا غالى فيها فإنها تؤدي إلى عبادة غير الله -تبارك وتعالى- حتى تُعبد من دون الله.

أفادك الله، نحن نستفيد فائدة أن القبر إذا عبد صار وثنا، إذا عبد القبر أيا كان قبر الصالح وقبر النبي إذا عُبد صار وثنا؛ ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) فهذا يفيدنا أنه لو عبد صار وثنا، فدعى الله -سبحانه وتعالى- أن يحمي قبره، وأن يقي قبره من أن يكون وثنا يعبد، والله -تبارك وتعالى- استجاب دعاءه.

أما في زمن الصحابة فقد كان -عليه الصلاة والسلام- كما تعلمون مدفونا في حجرة عائشة؛ لأنه مات فيها، والأنبياء يدفنون حيث ماتوا، وقد مر معنا أيضاً حديث عائشة: (لولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجد) في باب سبق مر معنا، ففي زمن الصحابة كانت قوة الفهم للتوحيد والإيمان ومعرفتهم به يحجزهم عن إتيان قبره -عليه الصلاة والسلام- لأجل هذا الغرض فما كانوا يأتون عند قبره؛ بل كانوا ينكرون أشياء من هذه البدايات كما سيأتي معنا في هذه الترجمة في الأدلة التي ساقها المصنف -رحمه الله- كانوا ينكرون ذلك، لكن فيما بعد لما قل العلم، وفشى الجهل، وضعف الفهم للتوحيد بدأت تحصل من الناس أشياء من هذا القبيل هنا وهناك، لكن قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- حماه الله، حماه الله -جل وعلا- ووقاه استجابة لدعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- ولهذا أحيط القبر بثلاثة جدر بحيث لا يستطيع أحد الوصول إلى ذات القبر، لا يصل أحد إلى ذات القبر، أحيط بثلاثة جدر.

في أي عهد يا شيخنا؟.

في عهد متقدم، يعني: في زمن بني أمية لما حصل توسيع المسجد من الناحية الشرقية، أحيط المسجد بثلاثة جدر على شكل يعني: من الناحية الأمامية للقبر التي هي ناحية القبلة بني جدار يمتد من الشرق إلى الغرب، ثم من زاوية الجدار أو نهاية الجدار الشرقية والغربية مد جدار يلتقي على شكل زاوية في الشمال، ذكر أهل العلم أن من الفتنة في ذلك أن من يستقبل القبر يستقبل زاوية ولا يكون أمامه جدار بحيث يكون مستقبلاً جداراً من ورائه القبر، وإنما يستقبل زاوية وتنتهي إلى الجدار الممتد من الشرق إلى الغرب، وذكر أهل العلم بأنه أيضاً بني فيما بعد جدار ثالث فأصبح أولاً في الحجرة، حجرة عائشة ثم هذا الجدار، ثم أيضاً في وقت متأخر أيضاً بني

بجدار ثالث فأصبح القبر نصفه محمي، ولا يصل أحد إلى ذاته، ومن يمارس بعض الممارسات الباطلة، يمارسها في أشياء بعيدة عن ذات القبر وهذا من استجابة الله لدعوة نبيه -صلى الله عليه وسلم- حيث دعا الله -جل وعلا- قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) فذات القبر لا أحد يصل إليه، حماه الله -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وهذا المعنى سبق الكلام عليه في ترجمة ماضية، ومر معنا لعن النبي -صلى الله عليه وسلم- لمن يفعل ذلك في أيامه الأخيرة ولحظاته الأخيرة من حياته الشريفة -صلوات الله وسلامه عليه- ومر معنا أيضاً وصفه -صلى الله عليه وسلم- لمن يفعلون ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله -تبارك وتعالى- وهنا يقول في الحديث: (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فهذا دلالته للترجمة من جهة أن الغلو في قبور الأنبياء والغلو في قبور الصالحين يسيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وقد دعا نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- لأن يحمي قبره من ذلك، قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) وإذا غلب الجهل الناس وجهلوا أمثال هذه الأحاديث وأمثال هذه السنن يحدث أمر غريب جدًا، أشار إليه عبد الله بن مسعود في كلمة له عظيمة رواها عنه الحاكم في المستدرك وغيره من أهل العلم ماذا يقول ابن مسعود؟ يقول: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير، تجري فيكم حتى يقال: إنها سنة، وإذا غيرت قيل: غير في السنة؟».

أظن الكلام واضحا، يعني أنه يأتي على الناس زمان ويحدث فتنة، أي: أمر باطل يفتن به الناس مثل هذه الشركيات والبدع والضلالات يهرم عليها الكبير وينشأ عليها الصغير؛ لأن أول ما يفتح عينيه على الدنيا يراها أمامه، والكبير هرم عليها، فإذا غيرت مثل هذه الأمور يقال: غيرت السنة، وهذا أمر واقع، تجد أناسا في كثير من المناطق نشأوا على بدع، الكبير هرم على هذه البدعة، هو منذ طفولته وهو يرى هذه البدعة وهو ليس عليها، وابنه الصغير أيضاً يولد على هذه البدع، فإذا غيرت يقول هؤلاء: غيرت السنة، وهو أمر باطل نشأوا عليه فهذه مصيبة، مصيبة وفتنة في الدين وهنا يجب على الإنسان أن يتقي الله وأن يعظم النفوس وأن يكون لها حرمة وإذا وقف على الأحاديث وعلى كلام الله وكلام رسوله -عليه الصلاة والسلام- يجعله نصب عينيه، ويستفيد من كلام الله وكلام رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- ولهذا تجد -من المؤسف- أنه تأتي أعمال منشأها الجهل، وسببها عدم العلم، وعدم بصيرة بالتوحيد، تجد بعض الناس عندما يذهب زائرًا إلى مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- حاجاً ومعتمراً بعضهم يرسل معه وصية أو خطاب مكتوباً إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- يطلب فيه حاجات: يا رسول الله أنا أشتكي من المرض الفلاني، أو يا رسول الله أنا أشتكي من كذا وكذا، وأريد مثلاً يا رسول الله أريد زوجة، أو مثلاً أريد بيتاً، أو أريد طلبات يذكرونها وحاجات يطلبونها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهؤلاء فهموا الدين؟ هل فهموا قول النبي -عليه الصلاة والسلام- لابن عباس: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) وكان -عليه الصلاة والسلام- إذا أتي بمريض قال: (اللهم رب الناس أذهب البأس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقم) لكن هذه أمور من الضلال والباطل نشأوا عليها، إذا غيرت أو أنكرت أو بين لهم أنها خطأ قالوا: غيرت السنة، مثلما جاء في أثر ابن مسعود -رضي الله عنه وأرضاه-.

قال المصنف -رحمه الله-: (ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾﴾ قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق في الحاج، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أهل السنن).

أولاً نبدأ بالآثار التي جاءت عن السلف -رحمهم الله- في معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩] اللات من هو؟ من هو اللات؟ ولعلكم تذكرون في درس ماضٍ أن هذه الآية قرأت بالتخفيف وبالتشديد ﴿اللاَّتَ﴾ من اللت وهو العجن، وهذا لقب لرجل كان معروفاً بلت السويق أي: عجن الخبز وصناعته،

وكان يقدمه ضيافة وقرن إلى الناس، وكرامة يكرم به الناس والحجيج وكان معروفا بهذا الكرم، رجل عرف عندهم بالكرم وبنفسه يباشر خدمة الحاج وصناعة الطعام بيده ويقدمه لهم.

فهذا الرجل لما مات حدث منهم غلو في الرجل فعبدوه من دون الله، عبدوه من دون الله، رجل يلت السويق، ومعروف عندهم بالاستقامة والصلاح وكرم وضيافة إلى آخره، ولما مات عكفوا على قبره، وأصبحوا يدعونه ويستغيثون به ويسألونه ويطلبون منه حاجاتهم فصار يعبد من دون الله -تبارك وتعالى-.

فالشاهد من الترجمة هو الشاهد من هذه الآية والآثار التي ساقها -رحمه الله- في بيان معنى الآية عن السلف عن مجاهد وعن أبي الجوزاء وغيرهما، هو ما أشرت إليه أو الغلو في قبور الصالحين يصيرها وكانت تعبد، فهذا رجل كان معروفا عندهم بالصلاح الذي هو اللات ولما مات عكفوا على قبره وحدث منهم غلو في قبر هذا الرجل حتى أصبح فيما بعد وثناً يعبد من دون الله، والإسلام جاء بسد وإغلاق هذا الباب، باب المغالاة في القبور، وتجاوز الحد بها، حتى الصحابة -رضي الله عنهم- كان عندهم حذقة عجيبة في هذا الأمر تشاهدونها وتقرءونها في قصصهم وأخبارهم في كتب السير.

خذ على سبيل المثال قصة عمر بن الخطاب المشهورة، وقد ساقها بسند صحيح محمد بن إسحاق في كتابه السيرة والمغازي عن أبي العالية قال: لما فتح عمر تستر وجدوا في بيت المال -في بيت مال هرمزان- رجلاً على السرير ميتا، ويقال: إن له ثلاثمائة سنة وما تغير، ما تغير من تلك المدة هو باق على هيئته ما تغير وعند رأسه مَسْحُ، بلُغَتِهِم، فيرسل إلى عمر وطلب أُبَيًّا وترجم المصحف، يقول فماذا قرأت؟ يقول أبو العالية: قرأت فيه سيركم وأخباركم والأمور الآتية فيما بعد يعني مثل الجنة والنار إلى آخره، عند رأس هذا الرجل، قال: ماذا كانوا يصنعون به؟ قال: كان إذا حبس المطر -وانظروا الفتنة- كان إذا حبس المطر أبرزوا سريره فسقوا، فماذا صنع عمر والصحابة بسريره، وماذا صنعوا بهذا الرجل؟ يقول ابن القيم -قبل أن أتم لكم القصة- يقول ابن القيم: هذا لو وجده أهل الضلال لتجالدوا عليه بالسيوف حتى يبنون عليه الأضرحة والقباب و..... إلى آخره يقول: لو وجدوا مثل هذا لتجالدوا عليه بالسيوف، كل يريد أن يقيم عليه، فماذا صنعوا؟ يقول أبو العالية: فجئنا بالليل وحفرنا ثلاثة عشر قبرا متباعدة، حفروا ثلاثة عشر قبر متباعدة ثم جاءوا في الليل المظلم ودفنوه في واحد منها ودفنوا هذه القبور وسوها، حتى لا يعرف أين مكانه.

هذه سيرة الصحابة، مع أنه -انظر الفتنة التي كانت موجودة- كان إذا أبرز قبره أمطروا وهذا فيه فتنة، وهذا أيضاً فيه فائدة أن بعض الناس يبني هذا الضلال على التجارب يقول: جربنا، فلان ذهب إلى القبر الفلاني وشفي مثلاً، أو مثلاً فلان طلب امرأة، طلبت الزوج ومثلا أنجبت هذه فتنة، ليست دليلاً على صحة العمل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] فانظر هذا الافتتان الذي كان، وانظر سيرة الصحابة جاءوا وحفروا ثلاثة عشر قبرا واقرءوا هذه القصة في سيرة ابن إسحاق وابن كثير -رحمة الله عليه- في البداية والنهاية يقول إسناد القصة صحيح إلى أبي العالية، فقيل لأبي العالية من هذا؟ قيل: إنه دانيال، ويقال إنه نبي ويقال: إنه رجل صالح من الصالحين، لكن انظر هذه الفتنة، وانظر سيرة الصحابة المباركة في مثل هذا الأمر، قارن هذه السيرة المباركة بما يصنعه الناس، وكيف أنهم يعظمون القبور تعظيما يفضي إلى الباطل؟!.

وهنا لو سألنا سؤالاً أظن جوابه واضحا: لماذا فعل الصحابة -رضي الله عنهم- هذه الطريقة؟ حفروا ثلاثة عشر قبرا ودفنوه في الليل؟ وسووا هذه القبور حتى لا يعرف أين القبر؟ حسما لمادة الفتنة والشرك.

عمر بن الخطاب كانوا في سفر فوجد أناسا يلفون إلى مكان ويصلون فيه، فسأل عن ذلك قالوا: إنها الشجرة التي بايع تحتها أو قيل إنها مسجد كان يصلي فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأمر بإزالته، وقطع الشجرة، حسما للفتنة، فهذه صورة الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- في مثل هذه الأمور، أما صورة من

بعدهم فقد دخلوا في أنواع من الضلال سببها تعظيم الصالحين التعظيم الغير مشروع الذي يؤدي إلى عبادتها من دون الله -تبارك وتعالى-.

ثم أورد المؤلف ما ختم به هذه الترجمة حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وهذا الحديث بعض أهل العلم تكلموا في سنده من جهة أحد رواته وهو أبو صالح مولى أم هانئ وهذا ضعفه بعض أهل العلم ووثقه آخرون، والحديث جاء من طرق بلفظ: (لعن الله زوارات القبور) وهذا ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقوله: (لعن الله زوارات) هو بمعنى: زائرات؛ لأن ليس المعنى بـ (زوارات) المبالغة، ليس المراد المبالغة، يعني ليس المراد بـ (لعن الله زوارات) أي المبالغات بالزيارة، لأنه يأتي هذه الصيغة ولا يراد بها المبالغة، تأتي هذه الصيغة ولا يراد بها المبالغة، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ليس المراد هنا المبالغة نفي المبالغة، وإنما المراد نفي الظلم أصلاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ أي ليس بذي ظلم ومثله: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان) ليس المراد هنا المبالغة، وإنما المراد نفي اللعن، أي ليس بذي لعن وليس بذي طعن، فتأتي هذه الصيغة ولا يراد بها المبالغة، فقوله: (لعن الله زوارات القبور) هذا حديث فيه لعن للمرأة الزائرة للقبور وهذا يجعل المرأة تنتبه لهذا الأمر وهو أمر خطير ليس بالأمر الهين وإنما هو لعن، واللعن طرد وإبعاد من رحمة الله.

وهذا الحديث يدل على الصحيح من أقوال أهل العلم على منع زيارة النساء للقبور مطلقاً والنهي عن ذلك لما جاء في الحديث، ويكون قوله -عليه الصلاة والسلام-: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) يكون مختصاً بالرجال دون النساء، النساء لا يدخلن في هذا الحديث.

مثله تمامًا ما جاء في الحديث الآخر، قال -عليه الصلاة والسلام- في قصة الصلاة على الجنازة: (من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ومن تبعها إلى الدفن كان له قيراطان) وقد جاء في الصحيحين نهي المرأة عن اتباع الجنائز. فالمرأة ليست داخلة في اتباع الجنائز للنهي وليست داخلة أيضاً في جواز زيارة القبور للنهي أيضاً والوعيد الشديد الوارد في قوله: (لعن الله زورات القبور) فالمرأة ليس لها زيارة القبور مطلقاً، لكن إن مرت وهي في طريقها لأمر ما على مقابر لها أن تسلم، تقول: السلام عليكم أهل الديار، أما أن تقصد القبور وتذهب إليها وتدخل فهذا مما لا يجوز للمرأة فعله على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال: (لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج) وهذا الشاهد من الحديث للترجمة (والمتخذين عليها المساجد السرج) يعني: يبنون عليها مساجد وأيضًا يضعون عليها القناديل المضيئة لماذا جاء النهي عن اتخاذ القبور مساجد؟ أي بناء المساجد عليها وأيضًا وضع القناديل وتزيينها إلى آخره، لماذا نهي عن ذلك؟ لأنه غلو يفضي إلى الشرك والترجمة عندنا: (باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يسيرها أوثاناً تعبد) والغلو في قبور الصالحين يبدأ بإسراجه وإضاءته ووضع الأقمشة الجميلة عليه وتزيينه بالذهب والفضة وما إلى ذلك، فكل هذا من الغلو في قبور الصالحين الذي هو وسيلة وذريعة لأن تعبد من دون الله.

شيخنا الكريم بارك الله فيكم، فيمن يضع علامة على القبر، القبور كثيرة ومتشابهة فيضع علامة على هذا القبر حتى يعرف أن هذا قبر مثلاً قريبه ويأتي يزوره بين الفينة والأخرى؟.

هذا ما فيه بأس، يعني أن يضع مثلاً صخرة ليست كبيرة بحيث أنه يعرف أن هذا قبر قريبه، علامة واضحة أن هذا قبر قريبه من أجل أن يلقي عليه السلام ويزوره بين الوقت والآخر للسلام والدعاء له هذا لا بأس به.

قال المصنف -رحمه الله-: (باب ما جاء في حماية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ عن أبي

هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات).

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذه الترجمة (باب ما جاء في حماية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- جناب التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك).

(حماية جناب التوحيد) أي: جانب التوحيد، وجانب التوحيد هو جانب الدين الأعظم، بل هو أساس الدين، وقيام الدين، الدين لا يقوم إلا على التوحيد لله -تبارك وتعالى- ونبينا -عليه الصلاة والسلام- أبان التوحيد وأوضحه، وأيضًا أبان الشرك وأوضحه وحمى حمى التوحيد، وسد كل طريق يفضي إلى الشرك، وهذا من كمال نصحه -عليه الصلاة والسلام- وتمام بيانه لم يكتفِ ببيان التوحيد فقط وإنما من تمام البيان وكمال النصيحة أنه حمى حمى التوحيد، وهذا من كمال بيانه، وأيضًا لم يكتفِ ببيان الشرك بل إنه -عليه الصلاة والسلام- سد كل ذريعة تفضي إلى الشرك بالله -جل وعلا- وهذا كله من كمال نصحه -عليه الصلاة والسلام- ولأجل هذا أورد المصنف أول ما أورد في أدلة هذه الترجمة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] ومراد المصنف من سياقه لهذه الآية أن حماية المصطفى -عليه الصلاة والسلام- لجناب التوحيد وسده لكل طريق يفضي إلى الشرك هو من كمال حرصه ونصحه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي الأمر الذي يوقعكم في المشقة أو يوقعكم في الهلكة فإنه عزيز عليه، ويجتهد -عليه الصلاة والسلام- تمام الاجتهاد في إبعادكم عنه.

وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ من كمال حرصه -عليه الصلاة والسلام- أنه بين التوحيد وحمى حماه، وبين الشرك وسد كل ذريعة تفضي إليه، فهو -عليه الصلاة والسلام- الناصح الأمين والرسول المشفق -صلى الله عليه وسلم- وكان قد ضرب مثلاً لبيان مثله ومثل الناس قال: (مثلي ومثلكم كمثل رجل عنده نار والفراش تتهافت عليها وهو يحميهم ويمنعهم من التساقط في هذه النار ويأبون إلا أن يتقحموا فيه) فهو -عليه الصلاة والسلام- أبان الأمر وأوضح الطريق وأقام الحجة وأبان المحجة وأوضح السبيل وما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها منه وإذا وقع في الناس قصور أو ضلال أو انحراف فكل ذلك ناشيء من بُعدهم عن سنته ومنهجه وهديه -صلوات الله وسلامه عليه- وكلما اقترب الإنسان من السنة واقترب من الأحاديث وكلام الرسول -عليه الصلاة والسلام- كلما كان هذا أكمل له في الخير وأبعد له عن الشر.

ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (لا تجعلوا بيوتكم قبور) هذا نقف معكم أيضاً وقفة نتسائل (لا تجعلوا بيوتكم قبور) يعني: لا تجعلوها مثل القبور، فيه حديث آخر في الصحيحين قال -عليه الصلاة والسلام-: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبور) يوضع لنا هذا الحديث (لا تجعلوا بيوتكم قبور) ماذا تستفيدون من هذا الحديث؟

نستفيد من هذا الحديث (لا تجعلوا بيوتكم قبور).

أنا أريد فائدة تتعلق بالقبور؟

القبور لا تصير الصلاة فيه.

ليست مكانا للصلاة.

ليست مكانا للصلاة.

نعم القبور ليست مكانا للصلاة، ليست مكانا لتلاوة القرآن، ليست مكانا لهذه الأشياء؛ ولهذا قال: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوا بيوتكم قبور) وجاء في حديث آخر قال: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن الشيطان لا يقرب البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) يعني: اقرأ سورة البقرة في بيتك واقرأ القرآن وأكثر من الصلاة، لا تجعل بيتك مثل القبر.

هنا نستفيد فائدة يا إخوان انتبهوا لها: أنه متقرر في نفوس الصحابة أن القبور ليست مكاناً للصلاة، هذا أمر متقرر عندهم مستقر في نفوسهم تمامًا، أن القبور ليست مكانا للصلاة ولا مكانا لقراءة القرآن، فقال: (لا تجعلوا بيوتكم قبور) يعني: نهاهم أن يكون البيت مثل القبر، والقبر عندهم معروف، أنه ليس مكانا للصلاة، وليس مكانا لقراءة القرآن، وتجد بعض الناس بسبب غلبة الضلال يذهب ويقصد المقابر بعينها، ويجلس يقرأ القرآن في المقابر وفي بيته ما يقرأ القرآن، لاحظ المخالفة للسنة، يعني هنا قال: (لا تجعلوا بيوتكم قبور) يعني: صلوا، واقرأ القرآن في بيتك؛ حتى لا يكون مثل المقابر، فلا يقرأ في بيته ولا يكون له نوافل في بيته ويتقصد القبور لقراءة القرآن وربما أيضاً لتحري الصلاة عندها، وهذا من ضياع الدين والبعد عن سنة النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام–.

قال: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيد) (ولا تجعلوا قبري عيد) هذه جملة ثانية في الحديث (ولا تجعلوا قبري عيد) العيد هو ما يعتاد مجيئه وتكراره من مكان للاجتماع فيه أو زمان يجتمع فيه، ولهذا تخصيص مثلاً يوم، تخصيص يوم في السنة، أو مثلاً يوم في الشهر أو يوم في الأسبوع بدون مستند شرعي يكون بذلك اتخذ هذا اليوم عيداً؛ لأنه يعاود هذا العمل، ومثلاً لأن شخصاً قال: أنا كل مثلاً سبت بعد صلاة الظهر أزور القبور، اتخذ القبور عيداً أم لا؟ اتخذها عيداً؛ لأنه خصص زمانا وعاود؛ ولهذا الحديث فيه النهي عن كثرة التكرار وتخصيص أوقات واستدامة للزيارة؛ لأن هذه الطريقة تخرج الزيارة عن مقصدها الشرعي وتذكر الآخرة إلى أمور وأشياء وأعمال وطقوس وانحرافات، ولهذا سد النبي –عليه الصلاة والسلام– الذريعة فقال: (ولا تجعلوا قبري عيد) وإذا كان ينهى عن اتخاذ قبره عيداً فالقبور الأخرى أيضاً من باب أولى لا تتخذ عيداً، بمعنى أنه يعاودها الإنسان، لكن أهل الانحراف ماذا فهموا من هذا الحديث؟ قلبوا فهمه تمامًا قالوا: (ولا تجعلوا قبري عيد) قالوا: العيد لا يأتي في السنة إلا مرتين فلا تكون الزيارة مرتين لا أكثر من الزيارة، فقلبوا الفهم ولو كان النبي –عليه الصلاة والسلام– أراد هذا المعنى لكان أجمل في البيان وجعل الكلام بمفازة اللغز الذي لا يفهم وهذا يتنافى مع النصيحة التي هي صفته –عليه الصلاة والسلام– يتنافى مع حرصه ولا يمكن أن يكون يريد من الناس أن يكثروا من الزيارة ويقول لهم: (ولا تجعلوا قبري عيد) يعني: أكثروا من الزيارة ليس هذا من نهجه ولا من طريقته ولا من أسلوبه –عليه الصلاة والسلام– في البيان.

فقوله: (ولا تجعلوا قبري عيد) أي: لا يكون هناك معاودة وتكرار وتخصيص أوقات، واستدامة؛ ولهذا ما كان يعرف عن الصحابة –رضي الله عنهم– مثل هذا الأمر الذي اتخاذ القبر عيداً يعاود في كل يوم وبعد كل صلاة، أو مثل كل أسبوع أو مثلاً يخصص أوقاتا، هذا ما كان يعرف عند الصحابة –رضي الله عنهم– ولو كانوا يفعلونه لنقل إلينا، ولمضت بذلك سنة لكن كل هذا لا يراك، وهو من كمال تقيدهم بسنة النبي –عليه الصلاة والسلام–.

قال: (ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) ولاحظ آخر الحديث يبين أيضاً معنى قوله: (ولا تجعلوا قبري عيد).

(وصلوا علي) يعني: لا تكثر من الذهاب، ليس كل من أراد الصلاة يذهب، وإنما صلوا على النبي –صلى الله عليه وسلم– أينما كنتم (فإن صلاتكم تبلغني) ولهذا جاء في بعض الآثار أحد الصحابة قالوا لرجل: «ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء» وفي الحديث يقول –عليه الصلاة والسلام–: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي

السلام) (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام) الآن بعض الناس في بعض المناطق يتحرى من سيسافر إلى المدينة ثم يقول له: بلغ الرسول -صلى الله عليه وسلم- عني السلام، وهذا الأمر ليس فيه سنة تدل عليه، والحديث واضح، (إن لله ملائكة) يعني: أينما كنت لا تتحرى أحداً يذهب ثم يحملونه السلام وأحياناً من يحملونه السلام ماذا؟ ربما كل من رآه من أهل القرية وإذا كان سيحفظ أسماءهم اسماً اسماً فهذا عسير عليه وصعب، وإن كان يكتب أسماءهم بورقة فيها مائتان ثلاثمائة أربعمائة خمسمائة ألف حسب من حملوه السلام ويبدأ يسرد هذا قال ربما أيضاً الشنطة تضيع التي فيها الأسماء أم لا؟ يمكن أن تضيع الشنطة في الطريق وربما أيضاً يجد أمامه كشف ثلاثمائة أربعمائة خمسمائة اسم يقول أنا إيش الذي يحملني أن أقرأ هذه الأسماء كلها؟ فلاحظ لما يقع الناس في أشياء ما لها مستند ويضيعون السنن، انظر الحديث: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام) أي وقت، أي ساعة من ليل أو نهار صلوا وسلموا عليه صلوات الله وسلامه عليه والملائكة تبلغ.

قال المصنف -رحمه الله-: (وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيدخل فيها فيدعوا، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) رواه في المختارة).

(رواه في المختارة) هي الضياء المقدسي -رحمه الله- وكتاب "المختارة" مطبوع في مجلدات.

الراوي: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فهو يروي هذا الحديث عن أبيه عن جده وللحديث قصة أوردها المصنف أن علي بن الحسين المعروف بزين العابدين (رأى رجلاً يختلف إلى فرجة عند قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- ويدخل رأسه ويدعو) ماذا تستفيد الآن من هذا السياق؟ (رجل كان يختلف عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويدخل رأسه في فرجه ويدعو) وأنكر الأمر علي بن الحسين أنكر، أنكر عليه هذا الأمر، وساق الحديث قال: ألا أحدثكم عن أبي عن جدي وساق الحديث إنكاراً لهذا الأمر، ماذا تستفيد منه؟ أليس هذا يدلنا على أن قصد القبور للدعاء وتحري الدعاء لم يكن معروفاً عند الصحابة، لم يكن معروفاً؛ ولهذا لما رأى علي بن الحسين -رضي الله عنه- هذا الرجل الواحد أنكر عليه الأمر، فالأمر لم يكن معروفاً، ولما وجدت بعض البدايات الخفيفة أو القليلة أنكروها، وهذا علي بن الحسين من آل بيت النبي -عليه الصلاة والسلام- -رضي الله عن آل بيته وعن صحابته الكرام- من آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنكر هذا الأمر، واستدل بحديث سمعه من أبيه الذي هو الحسين عن جده الذي هو علي بن أبي طالب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (لا تتخذوا بيوتكم قبوراً، ولا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم) فهذه سنة في هذا الباب المبارك يرويها آل البيت آل البيت يروون هذه السنة عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده، فهي سنة يرويها آل البيت، فتعظيم الصالحين، وتعظيم آل البيت، وتعظيم الصحابة كل ذلك لا يكون بالخروج عن الشريعة، وإنما يكون بالتزام هذه النصوص.

ماذا وجد علي بن الحسين؟ ماذا وجد؟ وجد رجلاً يأتي إلى فرجة ويدعو، أسألكم الآن يدعو من؟ يدعو الله -سبحانه وتعالى- ولكنه يتحرى هذه البقعة وهذا المكان، فنهاه، نهاه عن هذا الأمر واستدل بالحديث قال: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) وهذا فيه مثلما سبق النهي عن اتخاذ القبور مساجد سواءً بالبناء عليها أو بتحري الدعاء أو العبادة أو تلاوة القرآن عندها.

الأخ الكريم من السعودية يقول: جاء في شرحكم الذي ينور الله به القلوب في الدرس الثاني من هذا المنهج المبارك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لم يكتب كتابه هذا إلا عن حاجة من أهم المهمات وأوجب الواجبات؛ لأنه نظر إلى واقع الناس في زمانه فوجد ما تعلمون، والآن الحال في كثير من الأمصار أشد كثيراً

جدًا مما كان في زمانهم من عبادة القبور والغلو في الصالحين والنذور وغيرها، والعلماء في تلك الأمصار لا يتكلمون، أو لا يستطيعون أن يتكلمون في مثل هذه الأمور لأمور عدة، والشرك يسري في العباد كالنار في الهشيم فهل من فزعة للزود عن حمى التوحيد من العلماء الربانيين لوضع البرامج المثلى كمثل هذه الدروس، والالتقاء بإخوانهم العلماء في هذه الأمصار والمسئولين ووضع هذه البرامج موضع التنفيذ وخاصة في وسائل الإعلام المختلفة كالفضائيات والتلفزيون وغيرها يبتغون وجه الله –تبارك وتعالى– كما فعل الشيخ، فيما أن ثمرة العلم العمل، فأرجو من سماحتكم مأجورين أن الإخوة القائمين على البرنامج أن يعطوا وقتاً طويلاً كافياً كحلقة أو حلقتين للاستماع إلى كافة الأسئلة من الإخوة المستمعين وخاصة في باب الغلو حتى يتسنى للإخوة العمل بما علموا، وكذا الدعوة إليه، ولي –الحقيقة– رجاء من الإخوة القائمين على البرنامج خدمة الدروس المفرغة متأخرة جدًا، فآخر درس تم تفريغه هو الدرس الخامس عشر واليوم نحن في الدرس الواحد والعشرين، وفي هذه الدروس نفع عظيم؛ لأن الرجوع إليها جد مفيد، مفيد في العمل والعلم والامتحان وفقكم الله وجزاكم الله خيراً، ولي أسئلة عدة –إن شاء الله– أرسلها على الموقع أو أسألها في حلقات لاحقة –إن شاء الله–.

السؤال في الواقع أنه –ما شاء الله تبارك الله– مرتب، لأنه هو يمس حاجة بالفعل واقعة في عالمنا الإسلامي تعليقكم يا شيخ.

إن أذنتم قبل التعليق الشكر لأخونا الدكتور نبيل، لعلي أذكره من خلال مشاركته، وأذكر أنه كان له مشاركة جميلة، هو دكتور طبيب أطفال من خلال مشاركته الأولى طبيب أطفال ذكر أنه في جدة، ولما تحدثنا عن موضوع التمائم قال –لعلكم تذكرون– قال: أنه كان يأتيه بعض الأطفال ويضعون في عنق الطفل أشياء يقولون: إنها تفيد في.. فيقول إنه كان يبين لهم ويذكر لهم، فأثابه الله على جهوده، وأثابه الله على مشاركاته الطيبة، وأسأل الله –جل وعلا– أن يبارك في حياته ووقته، وأن ينفع به إنه سميع مجيب.

وحقيقة الذي طرحه هو ليس سؤالا وإنما هو تذكير ووصية بمزيد العناية بالتوحيد، وأشاركه أن التوحيد مهما قدم في بيانه والنصيحة له حاجة الناس أشد، والحمد لله العلماء لهم جهود كبيرة ومباركة قديماً وحديثاً في بيان التوحيد ونشره وإيضاحه، ولهم في ذلك دروس مسجلة ومسموعة، وشروحات مباركة، وكتب مؤلفة، ورسائل أيضاً صغيرة، وجهود مبذولة لكن مهما قدم فالحاجة أشد، وما أشار إليه في قضية وجود علماء إما يقصرون في بيان هذا الأمر أو أنهم يبينونه بياناً منحرفا، فهذا –الحقيقة– يخشى على الناس منه، وكان –عليه الصلاة والسلام– خشي على الناس من هذا، وسيأتي معنا في حلقة الليلة –إن شاء الله– قول النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث ثوبان: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) فعلى كل حال أمر التوحيد وبيانه للناس والنصيحة لهم فيه، هو أهم ما يكون وأعظم ما يكون، والتوحيد هو زبد دعوة المرسلين وخلاصة رسالتهم، وأشارك أخينا الدكتور في الاهتمام بهذا الأمر والعناية به.

وأما بالنسبة لدرسي فأنا درسي هو درس أحد طلاب العلم، ومشاركة ليست بتلك الأهمية في مقابل جهود العلماء ولذلك عندي تحفظ على كلامه الذي يقول سماحة أخينا، لا، أنا طالب علم من طلاب العلم، يعني: مشاركتي في جهد محدود، وجهد ضعيف، أما الجهود التي يقوم بها علماؤنا وأئمتنا وأهل الفضل فهي هذه الجهود التي يشار إليها بالبنان، ونسأل الله أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع بما نقول ونسمع، وأن يجعل ذلك حجة لنا لا علينا.

بالنسبة لما يتعلق بالوقت وخدمة الدروس المفرغة فبإذن الله تعالى نوصلها إلى الإخوة المسئولين عن برنامج الأكاديمية العلمية.

الأخ الكريم من السعودية يقول: في الحقيقة أردت تعقيبا بسيطا، لأني كنت في خارج هذه البلاد، فيمكن للإنسان أن ينشر العقيدة الإسلامية عن طريق التفسير، عن طريق تفسير سورة "الفاتحة" و "قل هو الله أحد" و

"قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" و "آية الكرسي" وغيرها من سور القرآن التي هي أساس العقيدة، بل إنها العقيدة كلها، والقرآن كله من أوله إلى آخره يتكلم عن العقيدة بأركانها الستة، أسأل الله أن يبـــارك هــذه الجهود.

أيضاً هناك سؤال يا فضيلة الشيخ، بالنسبة في حديث الحسن بن علي -رضي الله عنه وأرضاه- هو أيضاً من نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- فلعل الشيخ يشير إلى هذا الموضوع؛ لأن نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- يرتبط إلى نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك أنكر هذا الأمر.

نعم، ذكر الشيخ ذلك، ذكر ذلك، أنه من أهل البيت وأنه من نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه حتى في السند عن أبيه عن جده عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن هذا يعطي دلالة واضحة أنه من أهل البيت، ومع ذلك أنكر على الذي دخل في هذه الفرجة وكان يدعو الله عنده.

الأخ الكريم من الكويت يقول: ذكرتم حفظكم الله أن إرسال السلام إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مع مـــن سيزور المدينة ليس بسنة، ولكن هل تعد بدعة لا يجوز فعلها خاصة إذا كانت أمي هي التي تطلب مني ذلك وهي تعلم أن صلاتها تبلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كانت؟.

الذي يظهر في هذا الأمر إذا طلب منك سواءً طلبت ذلك الوالدة أو طلبها قريب أو جار أو أياً كان في سفرك للمدينة أن تعلمهم هذا الحديث تقول: يقول -عليه الصلاة والسلام-: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتـــي السلام) فتقول لها: أكثري من الصلاة والسلام عليه في أي وقت وحين، في أي ساعة من ليل أو نهار والملائكة تبلغ السلام كما أخبر بذلك الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

الأخ الكريم من المغرب يقول: هل يجوز الترحم على أصحاب هذه الأضرحة إذا مر بهم المسلم وإن كان لا يعرف صاحب هذا الضريح هل هو مسلم أم غير مسلم؛ لأننا في بلادنا في بعض المناطق ما بين كـــل ضــــريح ضريح، نسأل الله العافية، وجزاكم الله خيراً؟.

على كل حال فقبور المسلمين الأصل أنه يترحم الإنسان عليهم، ويدعو لهم بالمغفرة، أما قبور الكافرين ومن يعلم أنهم كفار فلا يترحم عليهم ولا يستغفر لهم على ما سبق بيان ذلك، والأصل في القبور في بلاد المـــسلمين أنها قبور مسلمين، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بيقين، لا يخرج عن هذا الأصـــل إلا بيقـــين فالأصـــل أنهـــم مسلمون، يستغفر لهم ويترحم عليهم، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا إذا كانوا عنده يقين في الأمر.

سؤاله الأخر يقول: هل يجوز الدخول إلى بعض الأضرحة لا بقصد التوسل أو التبرك، وإنما من أجل النزهة أو التعرف على هذا الضريح؟ لأن بعض الأساتذة عندنا طلبوا من التلاميذ الذهاب لبعض الأضرحة لكي يـــأتوا ببعض المآثر من هذا الضريح؟.

أما قوله زيارتي الأضرحة من أجل النزهة فهذا من أغرب الغرائب؛ لأن القبور أو الأضرحة ليـــست مكانـــا للنزهة، أما الزيارة الشرعية فهي تزار لتذكر الآخرة، وأما الزيارة البدعية والشركية فهذه شأنها آخر، لكن ليست مكانا للنزهة ومن هو هذا الذي إذا أراد أن يتنزه يذهب إلى الأضرحة وإلى القبور فهذا مـــن غرائـــب الأمـــور وعجائبها.

وأما الذهاب وخاصة إذا كانت هذه الأماكن أصبحت أوثاناً تعبد ويطاف بها ويذهب ليشاركهم ولو لم يقصد هذا الأمر فهذا أمر باطل يجب أن يسد وألا يفتح الباب حتى وإن لم يكن منه مشاركة فعلية فيكون هذا نواة شر وباب فساد عليه وعلى غيره من الناس.

الأخت الكريمة من سوريا تقول: هل مسموح للنساء بزيارة القبور؟ قبر الوالدين، تقول وإذا كان غير مسموح فهل هناك استثناء لحالة الوالدين المتوفين وليس لديهم غير إناث؟ فهل يسمح لهن بزيارة قبر والديهما؟.

أشرت في الدرس أن الصحيح من أقوال أهل العلم هو المنع، المنع من زيارة القبور بالنسبة للنساء والحديث فيه لعن: (لعن الله زوارات القبور) والمرأة منعت من الزيارة لكن باب الدعاء والترحم والاستغفار للوالدين وبرهما بأنواع البر المأثورة باب مفتوح وباب واسع فعليها أن تكثير من الدعاء والاستغفار والترحم لوالديها؛ لأن قضية الزيارة الصحيح من أقوال أهل العلم أنها ممنوعة من الزيارة وجاء في ذلك لعن عن رسول الله –صلاة الله وسلامه عليه– على ما سبق بيانه في الدرس.

الأخ الكريم من فلسطين يقول: ما حكم زيارة القبر في الأعياد؟ تخصيصها في الأعياد؟.

تخصيص زيارة القبر في العيد لا دليل عليها، وهذا عيد زماني اتخذ للزيارة وزيارة القبور بلا دليل من سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– فهذا أمر لا يشرع التخصيص، أما إن كان حصل اتفاقاً ولم يقصد ذلك فهذا لا بأس به، أما أنه يخصص العيد لزيارة القبور سواءً عيد السنة أو عيد الأسبوع، مثل الجمعة يخصصه لزيارة القبور فهذا ليس عليه دليل ويكون داخلاً تحت قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ولا تتخذوا قبري عيد).

الأخت الكريمة من السعودية تقول: نحن طلبة علم منذ سنين، ولكن في الفترة الأخيرة أصابنا فتور رهيب، ولم نجد لطلب العلم لذة كما كنا نجده من قبل، وعندما درسنا كتاب التوحيد أحسسنا أننا فقدنا الشيء الكثير، وأيقظ كتاب التوحيد غفلة أصابتنا، فنريد نصيحة فضيلتكم لنا، وكيف نتغلب على هذا الفتور الذي أفقدنا الكثير؟ في دقيقة يا شيخنا الفاضل.

الفتور هذا بلاء، مرض يصاب به الإنسان، ويتخلى عن كثير من أمور الخير وأبواب النفع التي يحتاج إليها.

والعلاج من خلال وسائل كثيرة من أهمها الإلحاح على الله –سبحانه وتعالى– بالدعاء، ولاسيما الدعاء المأثور الثابت عن نبينا –عليه الصلاة والسلام–: (اللهم إني أعوذ بك من العجز ومن الكسل) تكثر من هذا الدعاء، وأيضًا تقرأ في فضل العلم، وفضل طلب العلم، وآداب طالب العلم، فإن هذه القراءة جدًا نافعة، وبعض طلاب العلم وطالبات العلم قد يقصرون في هذا الباب، فتجده يقرأ في العلم رأساً ولا يقرأ في فضائل العلم وآداب العلم؛ لأن الفضائل والآداب تشحذ الهمة، وتطرد الكسل، وتقوي عزيمة الإنسان، وأيضًا يعرف من خلالها الوسائل التي يكون بها الثبات.

أيضاً كما في قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] لما يكون لها أخوات يتعاونَّ معها على الطلب وعلى القراءة، وإذا فترت واحدة شجعتها الأخرى وهكذا يمضين في هذا الطريق، فمثل هذه الأمور والمسائل يكون بها –إن شاء الله– طرد الفتور، وطرد الكسل، والمسلم يحتاج كما يقول ابن القيم: إلى أمرين ذكرهما في كلمة جميلة، قال: يحتاج إلى علم يهديه، وهمة عالية ترقيه.

لعلكم تختمون هذا الدرس بسؤالين مباركين.

أخونا الكريم كنا علقنا تعليقا على كلامه فعلى كل حال هو كلامه غني عن التعليق، هو ذكر –الحقيقة– فائدة الحقيقة جيدة: أنه في بعض المناطق يكون من الحكمة؛ بل هو عين الحكمة في التعليم أن تشرح الآيات آية الكرسي وآية.. وذكر أن له تجربة نافعة في هذا، وهناك تجارب كثيرة لأهل العلم في هذا الباب، ولها ثمرتها البالغة، ولو كان في الوقت متسع لذكرت بعض النماذج لكن يكفي هذا الإجمال.

وأما السؤالان لهذه الحلقة، فلقد مر معنا في نهاية هذه الحلقة حديث علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقلت: إن هذه سنة في هذا الباب حُفظت عن آل البيت. هناك حديث آخر ذكره أهل العلم، ورواه أهل العلم في كتب الحديث، أيضاً هو من هذا القبيل سنة في هذا الباب حُفظت عن آل البيت، فأريد تخريج هذا الحديث الذي هو نظير حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده؟ هذا السؤال الأول.

والسؤال الثاني: فيما يتعلق بالغلو في قبور الصالحين وأنه يصيرها أوثاناً تعبد، حتى تتخلص من الغلو ما هي الوسائل التي ينبغي أن تتخذها للتخلص منه والسلامة منه؟ اذكر ثلاثة وسائل؟ أو ثلاثة أسباب؟

أحسن الله إليكم يا شيخنا الفاضل وبارك الله فيكم.

وفيكم بارك، وجزاك الله خيراً، وجزا الله الجميع خير الجزاء.

شرح كتاب التوحيد

الدرس الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

باديء ذي بدء أسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا البصيرة في كتابه وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأن يمن علينا بالعمل بما نتعمله كما كان نبينا -عليه الصلاة والسلام- يقول في دعائه: (اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علم).

وكان -عليه الصلاة والسلام- يقول كل يوم كما في حديث أم سلمة كان يقول كل يوم في صلاة الصبح: (اللهم إني أسألك علما نافعا، وعملا صالحا، ورزقا طيب) ومن منة الله علينا ونعمته أن يسر لنا دراسة هذا الكتاب المبارك والمؤلف النافع الذي يفيد المسلم في أهم شيء وأعظم شيء وهو توحيد الله -عز وجل-.

وينبغي علينا -معاشر الإخوة- ألا نتكاثر من وقتنا في دراسة هذ الكتاب، دراسة هذا الكتاب مرة ومرتين وثلاث مرات وأربع هذا ليس بالكثير، هذا الأمر يحتاج منا إلى عناية فائقة ومتابعة كبيرة.

وقد حدثني أحد الإخوة من طلبة العلم أنه قرأ كتاب التوحيد على أحد أهل العلم فيقول له هذا العالم هذه المرة في قراءتي لكتاب التوحيد أظنها المائة يقول: وفي كل مرة أقرأ هذا الكتاب أجد من الفوائد ومن الأمور المهمة واللطائف. فلا يتكاثر بعضنا ربما أنه يقرأ نصف الكتاب أو ربع الكتاب ثم يفتر ويتوانى فينبغي علينا أن نصبر ونصابر ونعتني بهذا الأمر الذي تمس الحاجة إليه عندنا جميعا.

والآن نبدأ بالباب الذي هو موضوع هذه الأمسية التي نسأل الله تعالى أن يجعلها أمسية خير وبركة علينا أجمعين.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[النساء: ٥١]،)

قال المصنف (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان) هذه الترجمة -حقيقة- ترجمة مهمة ومفيدة ونافعة في هذا الكتاب العظيم كتاب التوحيد، وقد تتسائل عن وجه أهميتها وبيان أهمية هذه الترجمة، ما فائدة أن يعقد ترجمة يبين فيها أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان؟ والجواب: إن هذا مقتضى النصيحة في دين الله -جل وعلا- مقتضى النصيحة أن نعي هذه الحقيقة، وأن ندرك هذا الأمر، وأن بعض الأمة سيقع في عبادة الأوثان، وهذا يحرك في القلب ماذا؟ خوفا من هذا الأمر الخطير، وقد دلت النصوص على أن بعض الأمة سيقع فيه، فإذًا هذا يستوجب الخوف، لكن لو قال العالم للناس: إن عبادة الأوثان لن تقع في الأمة، ولن يوجد الشرك في الأمة هذا يجعل الناس ماذا؟ يأمنون ولا يبالون في الأمر، ولا يهتم بمعرفة الشرك وخطورته؛ لأنه أفهم أن الشرك لن يقع ولن يوجد.

عبادة الأوثان بشكلها المعروف الأصنام وغيرها؟.

الأصنام وما كان في معناها؛ لأن عبادة الوثن هو عبادة غير الله –سبحانه وتعالى–.

قد تتجدد يا شيخ، أقصد معنى العبادة.

بصور أو بأشكال الشرك هو صرف العبادة لغير الله بأي طريقة ولأي سبب كان صرف العبادة لغير الله فهذا من عبادة الأوثان سواء عبد حجرا أو شجرا أو قبرا أو أيا كان العبادة حق لله وصرفها لغيره –سبحانه وتعالى– شرك به –سبحانه وتعالى–.

فهذه الترجمة مهمة للغاية، إذا عرف الإنسان أن هذا الأمر سيقع وسيوجد في الأمة فهذا يحرك في قلبه خوفا، بخلاف ما إذا قيل له: إن الشرك لا يقع، وهذا قاله بعض الناس وليسوا من العوام، واستدلوا بما لا دليل فيه مثل (إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) استدلوا بهذا الحديث أن الشرك لا يوجد، وهذا استدلال خاطيء، وفهم سيء، ومصادم للنصوص الصريحة التي سيأتي معنا شيء منها في هذه الترجمة المباركة.

ولكن خطورة الأمر أن العالم أو الداعية إذا قال للناس: إن الشرك لن يوجد. كأنه يقول: اطمئنوا ولا تعتنوا بالأمر، ولا تدرسوا الشرك ولا تبالوا؛ لأن هذ الشيء لن يكون له وجود. ثم يزيد الأمر إذا استدل لهم باستدلال خاطيء مثل هذا الحديث، وهو حديث صحيح لكن فهمهم له في غير محله (إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) لما رأى قوة الإيمان وتمكنه وانتشاره في الصحابة دخله يأس، لكن ليس هذا معناه نفي وجود الشرك مطلقا في الأمة، وقد جاءت أحاديث صريحة تنص على أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، وقد ذكر المصنف بعضها على ما سيأتي معنا في هذه الترجمة.

قال: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) هذه دعوة تحتاج إلى ماذا؟ إلى دليل، المصنف جعل العنوان: (أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) ما هو الدليل على أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؟ ساق الأدلة – رحمه الله تعالى– كما هي عادته في جميع الكتاب، حيث يعقد الترجمة ثم يسوق أدلتها من كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– وذكر أولا: الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴿٥٢﴾﴾ [النساء:٥١: ٥٢] –عز وجل– هذه الآية فيها ذكر حال أهل الكتاب، وقيل: إن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب لما ذهبوا إلى مكة والتقوا ببعض المشركين من اليهود هؤلاء، والتقوا ببعض المشركين فسألهم المشركون قالوا: نحن من أوصافنا أننا نكرم الضيف وننحر الجزور ونسقي الحاج إلى آخره، ومحمد هذا صنبور، فمن أهدى سبيلا نحن أو هو؟ نحن أهدى منه أو هو أهدى منا؟ فقال كعب بن الأشرف والذين معه: أنتم أهدى سبيلا، مع أنهم يجدون في كتبهم ما يدل على صحة دينه واستقامة ما جاء –صلى الله عليه وسلم– ويعرفون أن هؤلاء عباد أصنام، ولكن من باب الحسد والعدوان والظلم والبغي قالوا هذه الكلمة؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ أوتوا نصيبا من الكتاب أي حظا من الكتاب مثل كعب وغيره، ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: حظا منه ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ وقد مر معنا هذه الآية.

وبالمناسبة أقدم سؤال المسابقة، أو سؤال هذه الحلقة الآن: هذه الآية تكررت في كتاب التوحيد أكثر من مرة، أريد أن تستخرج عدد ورودها، وما علاقتها بالترجمة في كل باب؟ يعني كم مرة وردت؟ وما علاقتها في الترجمة في كل باب وردت فيه الآية ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُو﴾ يعني: المشركين كفار قريش ﴿هَؤُلاءِ﴾ يعني: المشركين ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيل﴾ أي أهدى سبيلا من محمد –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه فقال الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾.

الخطاب موجه لمن؟.

لهؤلاء اليهود الذين مع أنهم أعطوا نصيبا من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت، وفي الوقت نفسه يقولون للذين كفروا للمشركين: أنتم دينكم أفضل من دين محمد -عليه الصلاة والسلام-. وهذا شأن الزنادقة والمنافقين وأهل الباطل، إما للحسد أو للرئاسة أو لأمور أخرى قد يفضل دين المشركين على دين النبي الكريم محمد -صلوات الله وسلامه عليه-.

فقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ والجبت والطاغوت معناهما مر معنا في حلقة ماضية وأيضا سيأتي في أنواع السحر الكلام على الجبت والطاغوت فـ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ يعني: يؤمنون بعبادة غير الله، يؤمنون بطاعة الشيطان، يؤمنون بصرف العبادة لغير الله، فهذه أمور وجدت في أهل الكتاب، هنا يتساءل المتابع لهذا الدرس: الترجمة معقودة لبيان ماذا؟

إن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، والآية ليس فيها حديث عن هذه الأمة، الآية فيها حديث عن اليهود ومن قبلهم أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، فما علاقة الأمة بها؟ ما علاقة الأمة بهذا؟ والترجمة (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان) إذا قرأت هذه الآية، ثم قرأت الآية التي بعدها، ثم قرأت الآية التي بعدها وكلها تتحدث عن أهل الكتاب يأتيك بعد هذه الآيات الثلاث ما يبين لك دلالة هذه الآيات على الترجمة وهي قول النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أورده المصنف على ما سيأتي (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) إذن وجه دلالة هذه الآية والآيات التي بعدها إذا وصلنا للحديث فالمؤلف -وهذا من حسن فهمه وجمال بيانه- ساق ثلاث آيات كلها ستأتي معنا تتعلق بأهل الكتاب، ولما أنهى هذه الآيات الثلاث جاء بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) فإذن هؤلاء وجد فيهم عبادة الطاغوت وعبادة الأصنام وعبادة غير الله وفي الحديث أن الأمة تتبع سنن من كان قبلهم، ومن سننهم ماذا؟ عبادة غير الله، إذن هذا دليل واضح على أن بعض هذه الأمة ستعبد الأوثان.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠]،)

ثم أورد هذه الآية الكريمة من سورة المائدة، الأولى من سورة النساء، والثالثة من سورة الكهف أورد هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ هذه صفات ذكرت للذين شأنهم أنهم شر مثوبة عند الله، يعني: لهم عقوبة شديدة عند الله -تبارك وتعالى- ما هي صفاتهم ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ﴾ من هم؟ ما هي صفاتهم؟ عددها؟ ﴿مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ والشاهد من الآية قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وهذا أمر وجد في اليهود والنصارى، عبادة الطاغوت وفي الحديث الآتي: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) إذن كما أنه وجد فيهم من عبد الطاغوت أيضا سيوجد هذا الأمر في ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ العطف هنا في قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ هل هو عطف على الأسماء القرد والخنازير ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ يعني: وجعل منهم عبد الطاغوت "جعل" بمعنى خلق، هذا قول لأهل العلم، لكن الأوضح منه ما قرره شيخ الإسلام بن تيمية وغيره في معنى الآية أن العطف هنا ليس على هذه الأسماء، وإنما العطف على الأفعال في قوله ﴿مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: "ومن عبد الطاغوت" فهي معطوفة على الأفعال "من لعنه الله" ومن غضب عليه ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت هؤلاء هذه أوصاف الذين لهم العقوبة الشديدة عند الله، هذه أوصافهم، أوصافهم أن الله لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير، يعني: منهم من نسخ قرد وخنزير.

وقد جاء في حديث صحيح في مسلم وغيره أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن القردة والخنازير الموجودة هل هي مثل لأولئك الممسوخين فقال -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله -عز وجل- لم يمسخ قوما ويجعل لهم نسل) أو كما قال، فالممسوخ لا يكون له نسل يمسخ وينقطع نسله، فهذه الحيوانات الموجودة القردة والخنازير ليست نسلا لأولئك.

الشاهد من الآية قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ هؤلاء شر الناس عقوبة ومثوبة يوم القيامة عندما يلقون الله - سبحانه وتعالى- ووجه صلة الآية بالترجمة تظهر -كما قلت- بالحديث الآتي (لتتبعن سنن من كان قبلكم) أي: كما أن من كان قبلكم وجد هذا فيهم فأيضا سيوجد في الأمة من يعبد الطاغوت.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وقول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾)[الكهف: ٢١] هذا سيق مساق الذم؛ لأن هذا القول قول من؟ قول أهل الغلبة وأهل الغلبة، هؤلاء هل هم من المسلمين أو من الكفار؟ اقرأ الآيات التي قبلها؛ بل اقرأ الآية التي قبل هذه الآية مباشرة، واقرأ السياق من أوله، يعني: في السياق قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[الكهف: ١٦] وبعدها قال: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف: ٢٠] فانظر إلى الآية التي قبل هذه الآية مباشرة﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يعني: إن يظهر عليكم قومكم يا أهل الكهف ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ ما هي ملتهم؟ الشرك وهم أصلا اعتزلوهم بعدا من الشرك فأهل الغلبة لما اطلع عليهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ومن أعجب العجائب ومن أغرب الغرائب أن ترى الآن في الأمة الإسلامية من يقول: يجوز بناء المساجد على القبور والدليل هذه الآية ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ فانظر إلى فقه هؤلاء المساكين، وانظر إلى فقه أهل العلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يأتي بهذه الآية ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ثم يأتي بالحديث (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلتم جحر ضب لدخلتموه) أي: حتى وإن وجد - وقد وجد- فيهم من يقول: لنتخذن على قبور الأنبياء والصالحين مسجدا أيضا يوجد في الأمة، وقد وجد هذا طبقا لما أخبر؛ بل وجد في أحد الكتاب والمؤلفين ألف كتابا عن استحباب بناء المساجد على القبور، ومن أهم الأدلة التي اعتنى بها أو أبرزها هذه الآية ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فانظر إلى فقه هؤلاء، وانظر إلى فقه أئمة العلم وأهل الفضل والنصر للمسلمين فالمؤلف جاء بهذه الآية ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ أي: أن هذا أمر باطل، وجد فيمن كان قبلنا، وهو من قول أهل الغلبة والنفوذ، وكما أنه وجد هذا فيمن كان قبلنا أيضا سيوجد في أمتنا من يقوله ومن يتبناه، ووجد كما أخبر -عليه الصلاة والسلام- لأنه قال: (لتتخذن سنن من كان قبلكم) ومن عجائب الأمر أن من وجد في هذه الأمة يستدل بالآية التي فيها إشارة مع الحديث إلى أن في الحديث من سيفعل هذا الأمر فيوجد من يفعل هذا الأمر ويستدل بالآية نفسها.

هذا جهل مركب.

هذه مصيبة والله.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ أطرح عليكم السؤال: ما وجه دلالة هذه الآية على أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان؟.

مع الحديث قال النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة) هم فعلوا ذلك، فبعض هذه الأمة لابد أن يتبع هذا الشيء ويفعل كما فعلو.

في الآية نفسها فيه دليل على هذا يعني قالوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ومقارنة بالحديث كذلك يظهر في هذه الأمة، استدلال بعض هذه الأمة بهذه الآية على جواز البناء على القبور هذا دليل على أن هذه الأمة تقع في مثل هذه الأشياء.

أحسنت ابن تيمية –رحمه الله تعالى– قال كلمة عجيبة يقول: لا يستدل مبطل على باطله بآية من القرآن إلا وأنا ملتزم أن أرد عليه من نفس الآية التي استدل بها.

فالآية هذه الآن هم يستدلون بها، وهي في الحقيقة عليهم وليست لهم.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (عن أبي سعيد –رضي الله تعالى عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال فمن؟) أخرجه).

ثم أورد المصنف –رحمه الله تعالى– هذا الحديث العظيم حديث أبي سعيد الخدري وهو في الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لتتبعن سنن) أي: طريق (من كان قبلكم حذو القذة بالقذة) القذة هي ريشة السهم، وإذا جئت بريش السهم وجعلتها إلى جنب بعض هل تفرق بينها؟ بين الريش (حذو القذة بالقذة) يعني: مثل الريشة، والريشة متماثلة ومتطابقة ف(لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة) يعني: مثل ريشة السهم والريشة الأخرى، معنى ذلك أن كل شيء يفعلونه يفعلونه فعلا مطابقا تماما، هل يوجد شيء أو ضح من هذا؟.

أيضا يزيد الأمر تأكيد ووضوحا يقول: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وجحر الضب كما يعرفه أهل البادية وغيرهم جحر الضب هو يمتاز عن بقية الجحور الحيوانات الزواحف أنه متلون ومتعرج أكثر من التواء وإلى أكثر من جهة.

معنى ذلك أنهم حتى لو فعلوا أمورا وعرة وأمورا سيئة للغاية وملتوية أيضا تفعلون مثلهم؛ بل جاء في بعض روايات الحديث عند الترمذي أو حديث آخر قال: (حتى لو وجد فيهم من يفعل بأمه لوجد في هذه الأمة).

والآيات التي مرت معنا الثلاث آية النساء وآية المائدة وآية الكهف كلها تدل على أن اليهود والنصارى وجد فيهم عبادة الأوثان، والحديث يدل على أن الأمة فيهم من سيفعل مثل أولئك مطابقا حتى لو كان أمرا خسيسا، يعني: أنا أعطيكم مثالا: الآن بعض اليهود والنصارى في هذه الأزمان انشغلوا بقصات شعر قذرة جدا، يعني: بعضها إذا رأيتها تمسك نفسك أو تستفرغ، قذرة جدا، يعني: قصات قذرة جدا، وتجد في أبناء المسلمين من يقول: أريد قصة مثل فلان. وهي قصة تهيج في النفس الاستفراغ من قذارتها، يعني: أذكر مرة أني رأيت شخصا من هؤلاء الكفار حلق رأسه الأيمن بالموسى، الجانب الأيمن بالموسى، والجانب الأيسر جعله كاملا طويلا وصبغه باللون الأخضر. تصور الآن الجانب الأيمن كاملا محلوقا بالموسى والجانب الأيسر طويلا ومصبوغا بالأخضر، أنا لما رأيته في إحدى الدول الأوربية لما رأيته كنت مندهشا، كيف استطاع أن يمشي في الشارع بهذه الصورة؟!! ثم لما دققت النظر فيه فإذا به يمشي معجبا بنفسه، وكأنه لا أحد مثله، فأشياء تتبع من فراغ، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة) فالشرك وجد فيهم، وعبادة الأوثان وجدت فيهم، والأمة فيهم من سيتبعهم حذو القذة بالقذة، فهذا دليل واضح على أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (ولمسلم عن ثوبان –رضي الله تعالى عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأسود، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك

ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعض) ورواه البرقان في صحيحه وزاد (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-)).

ثم ساق المصنف -رحمه الله تعالى- هذا الحديث، حديث ثوبان الطويل، والشاهد منه جملة واحدة في الحديث ما هي؟.

في الحديث، في معنى الحديث أن فئاما من هذه الأمة تلحق بهؤلاء عباد الأوثان.

يقول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث ويعبد فئام من أمتي الأوثان

الآن عندك الترجمة (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) والحديث نصف الترجمة ((حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان)) فالحديث نص صريح في الترجمة، فالمؤلف -رحمه الله تعالى- ساق الحديث بتمامه من أجل هذه الجملة (حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان) فالساعة لا تقوم حتى يكون هذا الأمر، مثل هذا الحديث تماما ما جاء في الصحيحين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس على ذي الخلصة) فهذه أحاديث صريحة وصحيحة وواضحة في بيان أن هذه الأمة تعبد الأوثان، فكيف يأتي بعض الناس ويقول: إن الشرك لا يمكن أن يوجد في هذه الأمة مصادما مصادمة صريحة لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-؟.

نستعرض الحديث جملة جملة:

ولمسلم عن ثوبان -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربه).

(زوى لي الأرض) أي: جمعها، جمع أطرافها، فالأرض المتسعة العريضة جمعها الله له، وهذه آية من آيات نبوته -عليه الصلاة والسلام- ورأى مشارق الأرض ومغاربها وهو في مكانه، زواها له، جمع له أطرافها فرأى مشارق الأرض ومغاربها.

(وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأسود).

(وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منه) زويت له من جهة الشرق والغرب؛ ولهذا فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يخبر بأمر سيكون، وكان كما أخبر، فلقد امتد الإسلام وامتدت رقعته إلى أقصى الشرق وإلى اقصى الغرب، ولم يكن امتداده من جهة الجنوب والشمال مثل امتداده من جهة الشرق والغرب، فهذه آية من آيات نبوته.

قال: (وأعطيت الكنزين الأصفر والأحمر) يعني: الذهب والفضة. إشارة إلى كنز قيصر وكنز كسرى، فارس والروم، وهذا أيضا أمر مغيب أمر به، وفي حديث آخر قال: (ستنفق كنوزهما في سبيل الله) وأنفقت في زمن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- هذه أمور مستقبلة يخبر عنها، وكلها وجدت طبقا لما أخبر -عليه الصلاة والسلام-.

ذكرتم يا شيخ رواية الأحمر والأصفر

الرواية التي عندك.

الأحمر والأبيض.

الذهب والفضة، الأحمر الذهب، والأبيض الفضة.

(وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة).

وهذه دعوة دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- وسأل ربه أن يعطيه إياها، ألا يهلك أمته بسنة عامة السنة هي الجدب ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] السنين جمع سنة وهي الجدب عامة، أي: شاملة، بحيث إنه يُهلك المسلمين، لا يَبْقى منهم أحد، فهذا لا يكون، يعني: قد يوجد جدب مهلك في بقعة معينة، أما هلاك عام، جدب عام يهلك فيه الجميع، أو طواعين عامة، أو أمور عامة مهلكة للجميع هذا لا يكون؛ لأن -عليه الصلاة والسلام- سأل الله أن يعيطه ذلك فأعطاه.

وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم).

(ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم) يعني: يهلك جماعتهم، يعني: لا يبقي لهم باقية، هذا لا يكون، يعني: قد يتسلط العدو على جزء أو على جانب من ديار المسلمين، أما أن يتسلط على المسلمين كاملا، و يستبيح بيضتهم كاملا، فهذا لا يكون إلى قيام الساعة، وهذه من المبشرات.

(وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد).

كما في الحديث وفي الدعاء: (لا راد لما قضيت).

(وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة).

أعطاه هذا؟ نعم استجاب له وأعطاه إياه.

(وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليه من بأقطاره).

لو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، يعني: لو اتحد الكفار وأصبحوا يدا واحدة للقضاء على المسلمين فهذا لا يكون، وهذا من المبشرات، نعم قد يتسلط الكفار على جانب على بعض الديار، أما أن يتسلطوا على الكل ويقضون على الجميع هذا ما يكون أبدا.

(حتى يكون بعضهم يهلك بعض).

(حتى يكون بعضهم) يعني: المسلمين يهلك بعضا، يكون من بعضهم عدوانا على بعض، ويسبي بعضهم بعضا، وهذا الشر وهذا البلاء الذي يدخل على المسلمين من أنفسهم يتسلط بعضه على بعض ويرفع السيف بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضها بعضا.

(ويسبي بعضها بعض) ورواه البرقاني في صحيحيه وزاد (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين).

هذه الزيادة التي ذكرها الشيخ أن البرقاني رواها في صحيحه هي أيضا موجودة في سنن أبي داود بتمامهـــا إلى آخرها.

قال (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وهذا يدل على خوف النبي -صلى الله عليه وسلم- الشديد على الأمة من أئمة الضلال ودعاة الباطل؛ لأن الداعية -والعياذ بالله- خطير جدا على الناس الآن، أرأيتم لو أن واحدا من هؤلاء سوغ للناس عبادة القبور أو مثلا التعلق بالأحجار، ثم قال لهم: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (من اعتقد في حجر نفعه) هذا حديث نسبوه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- العامي لما يقول له الرجل الذي يظن به خيرا مثل هذا الكلام، ويسوق مثل هذا الحديث يتعلق بالأحجار، ويقع في عبادتها وهذا الحديث قال عنه ابن القيم: حديث موضوع، من وضع بعض عباد الأصنام، وضعه بعض عباد الأصنام، وهناك أحاديث كثيرة جدا مكذوبة وواهية يروجها دعاة الضلال وأئمة الباطل، وعندما تقرأ هذا الحديث: (إن أخوف ما أخاف على أمتـــي أئمة الضلال) هذا يحرك في نفس الإنسان حذرا شديدا من دعاة الباطل وأئمة الزيغ، ويتحرى أهل العلم، أهـــل السنة المعتنين بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فيستفيد من علومهم.

(وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة).

(إذا وقع عليهم) على الأمة (السيف) يعني: رفعه واحد منهم وضرب به (لم يرفع إلى يوم القيامة) وهذا أيضا حصل لما رفع السيف وقتل به عثمان -رضي الله تعالى عنه- لم يرفع بقي السيف لكنه يقل أحيانا ويكثر أحيانا، لكنه باق موجود إلى يوم القيامة.

(ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين).

أي: يرتد حي، وفي رواية أبي داود: (قبائل حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين) أي: يرتدون عن إسلامهم.

(وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان).

في رواية أبي داود (قبائل) يعني: جماعات من الناس تعبد الأوثان، والفئام هي الجماعات فلا تقـــوم الـــساعة وهذا هو موضع الشاهد من الحديث للترجمة أن الساعة لا تقوم حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان.

(وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون).

إذا قرأت هذه الجملة (حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان) هذا حقيقة ينبغي أن تُحرك في قلبك أمرين:

الأمر الأول: أنك تعرف الأوثان، وما هي؟ وكيف تعبد؟ حتى تبتعد عنها ولا تكون من هؤلاء.

والأمر الثاني: تسأل الله -عز وجل- أن يجنبك هذا الأمر، إمام الحنفاء مر علينا دعاؤه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِـــيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥].

(وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين).

ثم ذكر أنه سيوجد في الأمة من يدعي النبوة، يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي قال: (كذابون ثلاثون) الذين ادعوا النبوة أكثر من هذا العدد بكثير، لكن كثير من هؤلاء الذين ادعوا النبوة أصابه خلط أو هوس أو جنون أو كـــذا فيقول: أنا نبي. وليس هذا المقصود بالحديث، المقصود من كان له شأن وصار له شوكة وصار له أتباع، فهؤلاء

عددهم ثلاثون، فليس المراد كل من ادعى النبوة، المراد من كان له نفوذ، وكان له شوكة، وكان له أتباع، وكان له شبهات يوردها، فهم بهذا العدد ثلاثون.

(وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي).

(وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي) وهذا واضح وهو في القرآن الكريم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ومعنى (خاتم النبيين) أي: الذي ختمت به النبوات فلا نبي بعده – صلوات الله وسلامه عليه–.

(ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

وهذا من المبشرات العظيمة يخبر –عليه الصلاة والسلام– أنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة، يعني: باقين على الحق مستمسكين به، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة وهم كذلك، فهم باقون، وهذا من نعمة الله، فالحق باقٍ ودعاته باقون، وهو منصور بعز عزيز وبذل ذليل.

كيف كانت عائشة –رضي الله عنها– –رضي الله تعالى عنه– حين توفى الرسول –صلى الله عليه وسلم– وقبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– في غرفتها كيف كانت تصلي وهل صلاتها مقبولة؟.

السؤال الثاني: عندما ذهبنا إلى المدينة قرأت كتابا عن المدينة، فوجدت فيه بعض السواري تسمى بسارية السرير والمحرث، ولا أدري ما ذلك، فما أدري بركة هذا المكان.

أريد أن أسأل سؤالا آخر: هناك أناس عندما يرجعون من الحج يأتون بالتمر يخبئون نوى التمر ضمن الأوراق النقدية ظنا منهم أنها تزيد في عددها، وإذا سألتهم: لماذا هذا العمل يقولون: لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– دعا لأهل المدينة وكل ما فيها بالبركة؟

أريد أن أسأل: يوجد في الدول العربية بعض القبور يكون عليها جدار، يعني: هل هذا مثل قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم– ؟.

تقول: هل تتبع الموضة بالنسبة للنساء –يتتبعن الموضة– هل يدخلن في الوعيد الشديد لمن يتتبع عادات المشركين؟.

إذا كان المقصود بتتبع الموضة ما يفد من الكفار من هيئات أو أشكال أو قصات أو نحو ذلك فلا شك أنه داخل في الأحاديث الواردة في النهي عن التشبه وهي كثيرة، منها هذا الحديث وقوله –عليه الصلاة والسلام–: (ومن تشبه بقوم فهو منهم) وأحاديث كثيرة في هذا المعنى.

تقول: إن قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– في حجرة عائشة –رضي الله عنها– فكيف كانت تصلي عائشة –رضي الله عنها– ؟.

عائشة –رضي الله تعالى عنها– كانت تصلي في حجرتها، في بيتها، والنبي –عليه الصلاة والسلام– دفن في حجرتها، ولا يقال: إنها كانت تصلي في القبور، وإنما كانت تصلي في حجرتها، والأنبياء كانوا يدفنون حيث

ماتوا، وبقيت في هذه الحجرة إلى أن دفن عمر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- فلما دفن خرجت وتركت الحجرة.

تسأل أنه قرأت في كتاب عن المدينة وأسماء بعض السواري والبركة المتعلقة بهذه السواري .

السواري بعضها قد يكون عرف، وبعضها قد يكون فيه تكلف في هذا الباب، وعلى كل ثبت في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في الحديث: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) وأيضا ثبت أنه قال: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) وأيضا كان يتحرى الصلاة عند سارية -صلوات الله وسلامه عليه- لكن في هذا الباب توسع بعض العوام توسعا لا أصل له ولا دليل عليه، وأصبح أيضا بعض أهل الباطل ربما يكون لهم أشياء ومخالفات وتجاوزات وتعديات لسنة نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- في هذا الباب.

تقول: إنه حينما يرجع الحجاج من الحج يأخذون نوى التمر ويضعونه في الأوراق النقدية زعما أنها ستزيد من بركة هذه الأوراق؟.

هذا من جهل العوام النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا للمدينة بالبركة، دعا أن يبارك في مدها وفي صاعها وفي ثمرها، دعا لها بالبركة، وكل شيء في مجاله، بركة التمر بأكله، لكن لا يكون بوضع النوى في مكان أو مع النقود أو نحو ذلك للتبرك، هذا مما لا أصل له، كل شيء في مجاله.

تسأل أن هناك بعض القبور بُنِيَ عليها جدار كما بُنِيَ على جدار النبي -صلى الله عليه وسلم-؟.

مر الكلام عن هذه المسألة، وأن القبر إذا كان داخل المسجد سواء فيه جدار أو بدون جدار فيشمله ما جاء في الحديث، وهو من اتخاذ قبور الصالحين مساجد، وهذا فيه وعيد شديد وتنوع الوعيد والتهديد في حق من يفعل ذلك.

أنا أتابعكم من الكتاب، وورد في الكتاب بِسَنَة، هل هناك فرق بين بِسِنَة وبِسَنَة ؟

السؤال الثاني: يوجد آية غابت عني هي تقريبا ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] في الأخيرة منها من مات على الشرك طبعا حتى كان الإجابة خطأ طلعت إجابتي أنها خاطئة

هذه الآية في أي باب؟

من ضمن الأسئلة التي وردت ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في نهاية الآية يقول من ضمنها من مات على الشرك طلعت إجابتي خاطئة فأنا احترت ما أدري.

أنا أدري أنا طرحنا هذا السؤال في الموقع، قد أتانا السؤال هذا في الموقع وقد أجاب عليه في إحدى الدروس السابقة.

الآن السؤال الأول: ماذا تقول في الكتاب؟

وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بِسَنَة.

مفتوحة، على السين فتحة؟

هذا خطأ طباعي، فهي بكسر السين، السَّنة العام، أما السِّنة فهي المجاعة، مثلما قال جمعها سنين ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾ هذا جمع ومفرده سِنة.

طيب هل هناك جمع بينه وبين ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؟.

السِّنة هنا معناها النعاس الخفيف الذي هو النوم، معناه النوم المعروف.

إجابة السؤال الذي طرح في الدرس الماضي:

أجابت الأخت: فيما يتعلق بالحديث الذي ذكرتم قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبي سهل، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنهم- عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة -رضي الله عنها- يتعشى فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي -صلى الله عليه وسلم-. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: لا تتخذوا قبري عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء).

هذا الجواب، يعني: هذه سنة حفظت عن آل البيت مثل الحديث الأول الذي معنا في الترجمة حديث علي بن الحسين بن علي الذي يرويه عن أبيه عن جده.

يوجد إجابة مختصرة للسؤال الثاني: للتخلص من الغلو التعلق بالله تعالى دون سواه، تجنب وضع الصور والتماثيل وتعليقها سواء للذكرى أو للتعظيم، الاعتقاد الجازم بأن الصالحين والأنبياء إنما هم بشر، وأن النافع والضار هو الله -سبحانه وتعالى-.

جميل إجابة مختصرة وجيدة.

شيخنا الكريم لعلكم تختمون هذ الدرس بسؤالين، والذي يظهر أنكم قد ذكرتموهما، فقط نريد أن نذكر الإخوة بهما؟.

هو سؤال واحد كنا ذكرناه في البداية وهو قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ فهذه الآية ذكرتُ أنها تكررت في كتاب التوحيد في أكثر من موضع فتجمع ويُبَيَّن مناسبتها في كل باب وردت فيه؟

السؤال الثاني: أريد ذكر ثلاثة أحاديث صريحة في الترجمة (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) منها ما أورده المصنف -رحمه الله تعالى-؟.

التوحيد – المستوى الثالث

الدرس الثالث العشرون

شرح كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

معاشر الإخوة الكرام، كان آخر باب أخذناه في دراستنا المباركة كتاب التوحيد هو باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، والمؤلف –رحمه الله– بين في هذا الباب بالشواهد الواضحة والدلائل البينة من كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ما يدل على ذلك ويشهد له، وكان آخر حديث مر معنا في هذا الباب المبارك هو حديث ثوبان –رضي الله عنه– ووهو حديث عظيم اشتمل على فوائد جليلة ودلالات عظيمة، وكان لضيق وقتنا في درسنا الماضي لم يتسنَ لنا الوقوف مع هذا الحديث ومع دلالاته العظيمة المباركة فلعلنا نبدأ درسنا هذا بمراجعة لهذا الحديث والوقوع مع بعض فوائده ودلالاته، ثم بعد ذلك يكون ما بقي من الوقت وكذلك وقت الحلقة القادمة لمراجعة ما مضى في هذا الكتاب من أوله إلى باب (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) ونستمع الآن مرة ثانية لحديث ثوبان –رضي الله عنه–.

قال المصنف –رحمه الله–: (ولمسلم عن ثوبات –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسَنة عامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعض) ورواه البرقاني في صحيح وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبدوا فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله –تبارك وتعالى–)).

هذا الحديث العظيم المبارك الذي ساقه المصنف –رحمه الله– بتمامه فأورد منه ما رواه مسلم في صحيحه، وما زاده البرقاني –رحمه الله– في جامعه المسند، والبرقاني –رحمه الله– له جامع جمع فيه ما في الصحيحين وزاد أحاديث صحاح ثابتة، وهذا الحديث الذي هو بهذه الزيادة، زيادة البرقاني –رحمه الله– تقال: البَرقاني بفتح الباء، وأيضًا يقال: بالكسر البرقاني، وهو الإمام أبو بكر محمد الخوارزمي الشافعي –رحمه الله– هو إمام ثبت ثقة، وهذه الزيادة التي عند البرقاني هي موجودة في سنن أبي داود وسنن ابن ماجة وفي مصادر حديثية أخرى، فهذا الحديث حديث جامع وحقيقة عندما نتأمل هذا الحديث نجد أنه جمع أمورا، عديدة جمع أموراً مخيفة، أخبر النبي –عليه الصلاة والسلام– أنها ستقع، وذكر –صلى الله عليه وسلم– وهو الذي لا ينطق عن الهوى أنها ستقع، ذكر أموراً مخيفة تدعو إلى الخوف والحذر والحيطة من هذه الأمور التي ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– وقوعها على سبيل التحذير والنصح للأمة حتى لا يكون الإنسان مع هؤلاء الهالكين، أو هؤلاء المخذولين، أو هؤلاء المفارقين لهدي النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام–.

أيضاً ذكر في الحديث ما هو من آيات نبوته -عليه الصلاة والسلام- ودلالات صدقه -صلى الله عليه وسلم- فأخبر عن أمور مغيبة كثيرة في هذا الحديث ووقعت طبقاً لما أخبر -صلى الله عليه وسلم- فأخبر عن أمور ستقع ووقعت، كما أخبر بها -عليه الصلاة والسلام- فهذا من شواهد نبوته ودلالات رسالته وصدقه -عليه الصلاة والسلام- وأنه لا ينطق عن الهوى، فالحديث فيه جمل عديدة هي داخلة فيما يسمى بدلائل النبوة، ودلائل النبوة له كتب مفردة ومصنفات خاصة كتبها أهل العلم في هذا المجال.

أيضاً الحديث فيه مبشرات أرشد إليها -صلوات الله وسلامه عليه- مبشرات بالخير وبالعز وبالنصر وببقاء الدين وبحفظ الله -تبارك وتعالى- له ولأهله، فهذا أيضاً من الأمور العظيمة المهمة التي اشتمل عليها الحديث.

أيضاً من الأمور العظيمة التي اشتمل عليها هذا الحديث المبارك بيان النبي -عليه الصلاة والسلام- للأسباب المفضية إلى الهلاك والمؤدية إلى الهلاك فذكر أموراً تفضي بالناس إلى الهلاك، ومن ذلك رفع السيف، ومن ذلك أيضاً الأئمة المضلين، ومن ذلك أن يتسلط المسلمون بعضهم على بعض، يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، هذا كله من أسباب الهلاك ولا خير فيه، ولا خير في ذلك إلا الضرر على الإسلام والضرر على المسلمين، فهذه أمور عديدة ومهمة اشتمل عليها هذا الحديث المبارك العظيم، وبودي لو نقف وقفة مختصرة مع جمل الحديث جملة جملة أشير من خلالها إلى المعاني والدلالات العظيمة المباركة التي اشتمل عليها هذا الحديث ولعلنا أيضاً لا نطيل في ذلك -إن شاء الله-.

(ولمسلم عن ثوبان -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربه)).

(لمسلم عن ثوبان) ثوبان هو الصحابي الجليل مولى النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- يروي هذا الحديث العظيم المبارك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منه) أو (ما زَوى لي منه) بالبناء للفاعل والبناء للمفعول، فهنا لاحظ الآية العظيمة من آيات الله الدالة على قدرة الله -سبحانه وتعالى- زوى له الأرض، ومعنى (زوى له الأرض) أي: جمع له أطرافها، فرأى وهو -عليه الصلاة والسلام- في مقامه وفي مكانه رأى مشارق الأرض ومغاربها، يعني: رأى نهاية المشرق ونهاية المغرب، رأى بلاد السند والهند وتلك المناطق وما وراء النهر، ورأى أيضاً المغرب وتلك المناطق، فرآها وهو في مكانه -عليه الصلاة والسلام- وهذا من كمال قدرة الله، ونحن عندما نقرأ هذا الحديث وأمثاله نقول: "إن الله على كل شيء قدير" ما نقول: كيف؟ وهل هذا يمكن؟ وهل هذا...؟ وإنما نقول: "إن الله على كل شيء قدير" -تبارك وتعالى-.

قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربه) يعني: رأى نهاية المشرق ونهاية المغرب وهو في مقامه -عليه الصلاة والسلام-.

قال: (وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها أو ما زوى) أي: الله (لي منه) وهذا فيه آية من آيات النبوة؛ لأن ملك الأمة امتد بشكل واسع وكبير في هاتين الجهتين جهة المشرق وجهة المغرب، بخلاف جهة الجنوب وجهة الشمال، فالامتداد كان أكثره وأغلبه وأوسعه في هاتين الجهتين اللتين زويتا للنبي -عليه الصلاة والسلام- حيث رأى المشرق ورأى المغرب، فهنا آيتان:

- الآية الأولى: (إن الله زوى له الأرض) أي: جمع له أطرافها فرأى المشارق والمغارب.

- والآية الثاني: إخباره -عليه الصلاة والسلام- أن مُلك أمته سيبلغ ما زوي له منها، وكان هذا الأمر كما أخبر -عليه الصلاة والسلام-.

((وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكه)).

قال: ((وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)) الأحمر: أي الذهب، والأبيض: أي الفضة، وهو هنا -عليه الصلاة والسلام- يشير إلى كنوز الفرس والروم، كنوز كسرى وقيصر، وقيل: إن كنوز كسرى هي الفضة والجوهر والأشياء البيض، وكنوز قيصر هي الذهب. وهذا لا يعني أن يكون عند هذا مثلما عند الآخر لكن الغالب على الكياسرة الفضة، والقياصرة الذهب. هذا هو الغالب، وقيل العكس، قيل عكس ذلك، على كل حال المراد بالذهب والفضة كنوز قيصر وكسرى وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقسم أن كنوزهما ستنفق في سبيل الله، فهذا أمر أخبر به -عليه الصلاة والسلام- قبل أن يقع وقد وقع طبقاً لما أخبر -صلى الله عليه وسلم- في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أوتي بكنوزهما وقسمت كما أخبر الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-.

((وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة)).

(وإني سألت ربي) هذا دعاء توجه به -صلى الله عليه وسلم- إلى رب العالمين يسأله -سبحانه وتعالى- قال: (وإني سألت ربي ألا يهلكها بسنة عامة) وفي بعض النسخ (بسنة بعامة) بزيارة الباء وكذلك في صحيح مسلم (بسَنة) بفتح السين وليس بكسرها، وكنت أشرت في الدرس الماضي إلى أن بالكسر وهو خطأ ووهم، والصواب أن هذه بفتح السين سَنة، والمراد بالسَنة الجدب وفي الحديث: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسنيٍّ يوسف) وفي القرآن: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: الجدب والقحط، والحذب إذا وجد أهلك الناس، إذا وجد أجدبت الأرض ولم يكن فيها العشب ولا الماء وهلك الناس، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- دعا الله -سبحانه وتعالى- ألا يهلك أمته بسَنة عامة، أي: شاملة للجميع، ولاحظ الدعوة: (بسَنة عامة) سَنة: أي جدب وقحط عام: أي شامل للجميع، وهذا لا يمنع أنه قد يوجد قحط في بعض السنوات أو في بعض الأوقات في بعض الديار المعينة، فيكون فيه هلاك لبعض الديار، أما قطح عام وجدب عام بحيث يهلك المسلمون في كل أقطارهم وجميع ديارهم فهذا لا يكون؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- سأل الله -جل وعلا- أن يعطيه ذلك وأعطاه (ألا يهلكها بسَنة عامة) أي: بقحط عام وجدب عام.

((وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم)).

(وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم) يعني: عدوا من الكفار (فيستبيح بيضتهم) ألا يسلط عليهم عدو من الكفار فيستبيح بيضتهم ويستأصل شأفتهم ويقتلهم عن آخرهم فهذا لا يكون، لا يكون، يعني: قد يتسلط الكفار مثلما قلنا في الجدب والسَنة، قد يتسلط الكفار على بعض الديار، وقد يكون منهم إهلاك لبعض المسلمين في بعض الديار، بعض ديار الإسلام، أما تسلط من الكفار على عموم ديار المسلمين وقضاء على المسلمين كلهم فهذا لا يكون، وهذا من المبشرات ببقاء الدين وعز الدين ونصر الإسلام والمسلمين هذا من المبشرات العظيمة التي أخبر بها -صلوات الله وسلامه عليه- فدعا الله، والله -جل وعلا- أجاب سؤله وأعطاه طلبته.

((وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد)).

(وإن ربي قال: يا محمد) وهذا فيه الاستجابة للنبي -عليه الصلاة والسلام- فيما سأل: قال: (إني قضيت قضاءً فإنه لا يرد) والقضاء إذا أطلق في النصوص، نصوص الكتاب والسنة تارة يراد به القضاء الكوني وتارة يراد به القضاء الشرعي الديني فمثلاً قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] القضاء هنا شرعي ديني، قضى: أي شرع ووصى وأمر، أما قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] هذا القضاء قضاء كوني، والمراد بالقضاء هنا في الحديث: (إذا قضيت قضاءً لا يرد) فالمراد

القضاء الكوني، يعني: إذا قضى الله -سبحانه وتعالى- بشيء وأراده كوناً وقدرًا قال للشيء يكون، لا راد لما قضاه -سبحانه وتعالى-.

((وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكم بسنة عامة)).

هذا الاستجابة، أعطاه، يعني: أعطى النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا السؤل وهذا الطلب (ألا يهلكم بسنة عامة) يعني: جدب عام يهلك الجميع، وكما قلنا فيما سبق لا ينفي أن يكون هناك سنة أو جدب في بعض الديار دون بعض هذا قد يكون، لكن سنة عامة شاملة للجميع فهذا لا يكون والله أعطى نبيه -صلى الله عليه وسلم- هذا السؤل.

((وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم)).

يعني لا يسلط عليهم عدوًا من الكفار فيستبيح بيض المسلمين بمعنى أنه يهلك المسلمين عن آخرهم فلا يبقى لهم باقٍ فهذا لا يكون.

((ولو اجتمع عليهم من بأقطاره)).

وانظر هذا الضمان من رب العالمين -سبحانه وتعالى- (ولو اجتمع عليهم من بأقطاره) يعني: لو كان الكفر يدا واحدة وتكاتفوا وتساندوا وتعاضدوا واتفقوا على القضاء على المسلمين عن آخرهم فهذا لا يكون أبداً؛ بل الإسلام باقٍ وسيأتي معنا في تمام هذا الحديث من المبشرات العظيمة قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم).

((حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعض))

يعني: يكون بأسهم بينهم، يكون بأس المسلمين بينهم، يتسلط بعضهم على بعض، ويسبي بعضهم بعضاً، ويهلك بعضهم بعضاً، فهذا الذي فيه الضرر والخطورة والهلاك على المسلمين أن يتسلط بعضهم على بعض ويبغي بعضهم على بعض، وأكثر ما تكون هذه الأفعال عبر التاريخ من الخوارج البغاة الذين يقتلون أهل الإسلام كما أخبر بذلك -عليه الصلاة والسلام- ويدعون أهل الأوثان، فتجده يستميت ويريق دم نفسه في سبيل القضاء على المسلمين ومقدراتهم وممتلكاتهم وأموالهم، ويعد نفسه في سبيل الله، وأوائل هؤلاء عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علي بن أبي طالب، وهو مبشر بالجنة من خيار الصحابة!! قتله وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ويسميون أنفسهم الشراة، يعني شرى نفسه ابتغاة مرضات الله ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ بماذا؟ ابتغاء مرضات الله بماذا؟ بقتل المسلمين وتدمير ممتلكات المسلمين والإضرار بالمسلمين وإزهاق الأرواح في ديار المسلمين ويعد نفسه في سبيل الله، وأنه شرى نفسه في سبيل الله وطلب مرضاته؛ ولهذا يعد نفسه مجاهداً، يعد نفسه في نصر وفي عز، فهذا الذي خافه النبي -عليه الصلاة والسلام- على الأمة وهو من أسباب الهلكة ومن أسباب الخطر على المسلمين عندما يتسلط بعض المسلمين على المسلمين قتلاً وتخريباً وتدميراً وإيذاءً.

(ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين))

(رواه البرقاني وزاد) إنما زاد يعني: فيما رواه (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وهذه الزيادة إلى آخرها هي زيادة ثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وكما قلت: هي موجودة في سنن ابن ماجة وسنن أبي داود ومصادر أخرى خرجت هذا الحديث.

قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وانظر تعبير النبي -عليه الصلاة والسلام- هنا بقوله: (إنم) و(إنم) تأتي في الغالب يراد بها الحصر، وهذا يدل على شدة خطورة الأئمة المضلين، الأئمة المضلين أئمة الضلال، وهذا يتناول القادة المفسدين، ويتناول العلماء المضلين، وكل من كان بيده إمامة أو إمرة أو زعامة أو نحو ذلك ويكون مضلاً للناس مضيعاً لدين الناس ملحقاً للناس الأضرار في دينهم فهذا كله داخل قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وكذلك العلماء، العلماء أئمة فالعلماء والدعاة، إذا كانوا دعاة ضلالة فهؤلاء من أخطر ما يكون على المجتمع؛ لأن المجتمع إذا وثق بإنسان واطمأن لعلمه وكان هذا الإنسان مفسداً صاحب ضلال وصاحب أهواء فإنه من أخطر ما يكون على الناس في إفساد عقائدهم وكم كان من فساد وضياع للدين ووقوع في البدع والضلالات والشركيات بسبب الأئمة المضلين الذين خافهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بل بلغت الجرأة ببعضهم ما أشرت إليه في درسنا الماضي أن يكذب أحاديث على النبي -عليه الصلاة والسلام- لأجل ترويج الشرك وترويج الباطل وتوريج الضلال مثلما يقول بعضهم: (إذا أعيتكم الأمور) يعني ضاقت عليكم السبل ولم تجدوا ملجئاً ولم تجدوا مفرا (فعليكم بأهل القبور) ينسبون هذا للنبي -عليه الصلاة والسلام- العامي الجاهل إذا سمع هذا الحديث من رجل وعليه عمامة وعليه هيئة العلم والدعاة وكذا إذا سمع منه هذا الحديث تهافت العوام على القبور زرافات ووحدانا يستغيثون بأهلها ويستنجدون بالمقبورين ويقعون في الشرك الصراح، النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يخاف على أمته الأئمة المضلين خوفاً شديداً ولهذا قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين).

((وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة)).

وهذا أيضاً مما يخافه النبي -عليه الصلاة والسلام- على أمته السيف رفع السيف، هذا من أخطر ما يكون أن يرفع السيف على أهل الإسلام، وأخبر أنه إذا وقع عليهم لم يرفع إلى يوم القيامة، إذا وقع السيف وسل السيف لم يرفع واستمر مرفوعا مشهرا إلى يوم القيامة.

وهذا الذي أخبر به -عليه الصلاة والسلام- وقع طبقاً لما أخبر، لما سُلَّ السيف وقتل به الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لم يرفع إلى يوم القيامة استمر لكنه يقل في مناطق ويزيد في مناطق، يقل في وقت ويزيد في وقت، لكنه لم يرفع؛ بل هو باقٍ كما أخبر بذلك -عليه الصلاة والسلام- وهذا يدل على خطورة بذر الفتن وبذر الشر وإيجاد الشر بين الناس، وأن من بدأ فله كفل مما يكون بعده من شرور وأخطار وأضرار تلحق المسلمين؛ لأنه شق العصا وسن سنة الضلالة وأحيى في الناس الباطل؛ فهذا فيه ما فيه من الخطورة، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

((ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين)).

الجملة الأولى لاحظ معي: (إذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) (إذا وقع السيف) يعني: على رقاب المسلمين بأيدي المنتسبين للإسلام، أنت تعجب غاية العجب من أقوام هذا شأنهم وهذا تفكيرهم، يسل السيف ليزهق به روح مسلم؛ بل ليزهق به روح خيار المسلمين!! يعني: تأمل معي وتعجب في زمن عثمان، عثمان خليفة راشد، وشهد له النبي -عليه الصلاة والسلام- بالجنة، وأخبر أنه أحيى الأمة (أحيى أمتي عثمان) وذكر له من الصفات والمناقب العظيمة الجليلة وله من الفضائل الشيء الكثير ومنزلته في الأمة معروفة، فيجتمع عبد الرحمن بن ملجم والبرك التميمي ورجل ثالث عند الكعبة، اجتمعوا عند الكعبة، وقالوا: إلى متى نستمر وتستمر الأمة بهذه الطريقة؟! لابد أن نتعاون ونجتمع الآن على إراحة الأمة من أئمة الضلال، من هم أئمة الضلال الذين تشاور هذا عبد الرحمن بن ملجم ورفقته على تخليص الأمة منهم؟ أئمة الضلال يريدون عثمان بن عفان!! وعثمان بن عفان في وقته أفضل الأمة، أفضل الأمة، أفضل من على وجه الأرض في وقته هو، ليس هناك أفضل منه -رضي الله عنه وأرضاه- وعثمان ومعاوية وعمر بن العاص، عفواً هذا ليس في عثمان قصة

اجتماعهم في علي بن أبي طالب، اجتمعوا قالوا: نريح الأمة من أئمة الضلال، يريدون علي بن أبي طالب ومعاوية وعمر بن العاص، ثم يأتي هذا عبد الرحمن بن ملجم ويسل سيفه ويضعه في السم شهراً كاملاً حتى إذا ضرب به حتى في غير مقتل يسري السم ويقتل؛ ولهذا جاء وتحين خروج علي بن أبي طالب للمسجد وكان من عادته إذا خرج ينادي بالناس الصلاة الصلاة فتلقاه وهو ينادي: الصلاة الصلاة، وسل السيف وضرب به علي بن أبي طالب وهو يقرأ الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ويعد نفسه قدم نصرًا للأمة الإسلامية بقتل أفضل من على وجه الأرض ويسمون نفسهم الشراة، يعني: شروا أنفسهم، ولا يزالون عبر التاريخ يفعلون أعمالا إجرامية وإفسادًا وإهلاكًا وتخريبًا في ديار المسلمين وهو بينه وبين نفسه يظن أن فيه نصرًا للأمة، هذا من أخطر ما يكون وهذا فيه تحذير من النبي -عليه الصلاة والسلام- الأمة من ذلك قال: (وإذا وقع السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة) لأن من يرفع السيف يستشري فيه هذا الشر ويظن أنه يعمل على نصر الإسلام وعز الإسلام وهو على خلاف ذلك. ثم قال:

((وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان)).

قبلها حفظك الله.

((ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين)).

(لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) يلحقوا بهم إما بالذهاب إليهم مرتدين عن الإسلام، أو بالارتداد عن الإسلام. ويلحقون بهم أي: يلحقون بدينهم، فلا يلزم أن يلحق بهم أنه يذهب بجسده، إما أن يلحق بهم مرتداً ويذهب إليهم بجسده أو يبقى ولكنه معهم، لحق بهم في عقيده وديانته، فهذا فيه إشارة إلى أنه سيوجد مرتدين وفعلاً وجد.

وأبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه- أول عمل باشره ماذا؟ اقتتال المرتدين، وهذا من شواهد صدق النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- (ولا تقوم الساعة -أيضاً- حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان) يعبدون الأوثان أي: يعبدون غير الله من حجر أو شجر أو قبر، أو ضريح أو قبة أو شجر (لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان) وإذا أردت أن تنظر مصداق قول النبي -عليه الصلاة والسلام- فانظر إلى واقع عددٍ مِن مَن هم في ديار المسلمين من الإقبال على القباب يذبح لها ويسجد لها ويمد يديه داعياً سائلاً للمقبور، يستغيث به، ويطلب منه الشفاء، ويطلب منه العافية، ويصرف له العبادة التي لا تصرف إلا لله -سبحانه وتعالى-.

ومثل هذا الحديث ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آلياتُ نساء دوس على ذي الخلصة) يعني: يطفن حول هذا الصنم وهذا الوثن يطفن حول ذي الخلصة، فهذا عودة لعبادة الأوثان وهو الشاهد هنا من سياق الحديث بطوله لباب: (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان).

((وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي))

وهذا أيضاً من أمارات نبوته -عليه الصلاة والسلام- قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي) وأنت إن طالعت التاريخ تجد أن مدعي النبوة في قديم الزمان وحديثه أكثر من هذا العدد، أكثر من هذا العدد بكثير؛ لكن أهل العلم يقولون المراد بالثلاثين أي: من كان لهم ظهور، لهم شوكة، لهم أتباع، أما من يأتيه مرض فبعض الناس يأتيه مرض أو يأتيه وسوسة أو يأتيه اختلاط أو مثلاً يتعاطى مخدرًا ثم يفسد عقله ويقول: أنا نبي فهذا ليس المراد، وإنما المراد بـ (الثلاثون) يعني: الذين صار لهم ظهور ولهم شبهات ولهم أتباع وما إلى ذلك.

(كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي، أنا خاتم النبيين) يعني: ختمت النبوات بنبوته -عليه الصلاة والسلام- كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

((ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-)).

ثم ختم -عليه الصلاة والسلام- هذا الحديث العظيم المبارك بهذه البشارة، هذه بشارة خير بشر بها النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو بشير نذير -عليه الصلاة والسلام- والحديث فيه بشارة وفيه نذارة وختمه بهذه البشارة العظيمة قال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من ناوءهم حتى تقوم الساعة) يعني: هم منصورون بنصر الله -تبارك وتعالى-.

(على الحق) أي: ثابتون عليه مستمسكون به معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) (إلى أن تقوم الساعة) أي: (تقوم الساعة) المراد بها الريح التي تُرسل في آخر الزمان فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم لا يبقى إلا شرار الخلق فعلى أولئك تقوم الساعة، هذه بشارة ببقاء الحق وثبات أهله وحفظ الله -سبحانه وتعالى- لهم، فالحق باقٍ بعز عزيز وبذل ذليل، الله -تبارك وتعالى- تكفل بحفظه ومن الخير للإنسان أن يجاهد نفسه بأن يكون من أنصار هذا الحق وأعوان هذا الحق ويكتب في عداد هؤلاء حتى يفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

أسئلة الموقع

الأخ الكريم من فرنسا يقول: كيف نميز بين أئمة الهدى وأئمة الضلال وليس عندنا من يدلنا على من نتبع؟.

الأخ الكريم -حفظه الله- من فرنسا سؤاله حقيقة سؤال رائع جدًا وعظيم وأيضًا في الوقت نفسه يدل على خير وعلى رغبة في الخير، فمثل هذا السؤال لا يصدر إلا عن رغبة في الخير وحرص عليه، فأخونا الكريم -سلمه الله- يقول: كيف نستطيع أن نميز بين أئمة الضلال وأئمة الهدى، وخاصة إذا كان الإنسان ليس عنده علم؟ فما هي المقاييس التي يميز بها بين أئمة الحق وأئمة الهدى؟

فأقول للأخ الكريم ولكل من يسأل هذا السؤال العظيم: دعاة الحق لهم علامات ولهم أمارات، فأنت إذا عرفت أماراتهم وعلاماتهم وصفاتهم فإنك تأخذ عنهم، وأيضًا أهل الباطل لهم علامات، لهم علامات تدل عليهم، فأمارات أهل الحق أنهم معتصمون بالكتاب والسنة معولون على الكتاب والسنة، وهذه أبرز علاماتهم، فهو داعية إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- دائماً إذا حدثك يحدثك: "قال الله وقال رسوله -عليه الصلاة والسلام-" يذكر لك الآية ويذكر لك الحديث.

بخلاف أصحاب الأهواء فتجد مصدرهم في التلقي ومصدرهم في الاستدلال أشياء أخرى مثل أن يأتي بالحكايات أو بالمنامات أو يأتي مثلاً بالتجارب التي يبني عليها عقائد أو يأتي بالأمور العقلية والفلسفات المنطقية أو مثلاً الأذواق أو ما إلى ذلك فيستدل بها.

فصاحب الحق يستدل بـ"قال الله وقال رسوله -عليه الصلاة والسلام-" ثم داعية الحق هو في الحقيقة هو لا يدعو إلى نفسه وإنما يدعو إلى دين الله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- وإلى دينه -سبحانه وتعالى-.

أما داعية الباطل فهو يريد تكثير أتباعه وتكثير أعوانه ويريد الأشياء التي تخصه وتعنيه، الإمام الشافعي – رحمة الله عليه– يقول: «وددت لو دخل الناس في دين الله أفواجاً وقرض جسمي بالمقاريض» ما يعنيه أن يكون له ظهور، أو يكون له بروز، أو يكون له أتباع، أو يحرص على أن يمد يده للناس يتمسحون ويقبلون وأشياء من هذا القبيل.

فمن همه نفسه فهذا ليس من أمارات دعاة الحق، داعية الحق لا يرى نفسه وإنما همه نشر الدين وبيان الحق والهدى.

أيضاً من علامات دعاة الحق: المحافظة على الطاعة وخصال الخير، تجده في حفاظه على الصلاة على العبادة على طاعة الله –سبحانه وتعالى– والصلاة حقيقة ميزان دقيق لمعرفة أهل الحق فتجد صاحب الحق محافظا على الصلاة معتنيا بها، سعيد بن جبير –رحمه الله– يقول: «ما فاتتني تكبيرة الإحرام من أربعين سنة» تكبيرة الإحرام يقول: «ما فاتتني من أربعين سنة» أحد السلف يقول: «إذا رأيت الشخص يفوت تكبيرة الإحرام – يعني يستديم هذا الأمر فاغسل يديك منه» فأصحاب الحق تجده محافظا على الصلاة معتنيا بها مهتما بها، إذا نودي إلى الصلاة ترك حديثه وترك عمله، أحد السلف –وكان نجاراً– كان إذا رفع المطرقة ليضرب بها المسمار وقال المؤذن: الله أكبر رماها قبل أن يضرب المسمار. رمى المطرقة ما يكمل حتى الضربة التي هوى بيده، إذا قال: الله أكبر. رمى المطرقة وقام يصلي، فالشاهد أن هؤلاء لهم علامات وأولئك لهم علامات.

ومن المفيد جدًا للإنسان أن يعرف أهل الحق، وأذكر مرة في كتب التراجم أن أحدهم سافر من منطقة إلى منطقة ليروي عن أحدهم حديثاً –لاحظ دقتهم في التحري– فلما وصل إلى المكان، إلى الرجل هذا الذي يريد أن يروي عنه الحديث وجده ممسكا بثوبه وأمامه دابة له كانت شاردة فكان أوهمها أن داخل الثوب فيه علف من أجل أن يمسكها فلما رآه بهذه الصفة تركه؛ لأنه أحس أن عنده أشياء.

الابتلاءُ بهذه الطريقة لمعرفة أهل الحق وعنايتهم بالحديث. الآن بعض أهل الباطل لما رأوه من عناية أهل الحق بالحديث والسنة والقرآن والآيات أنا أذكر أن أحدهم مرة قال لي: إن مشايخنا مشايخ دعاة الضلال يقول: قالوا لنا إذا التقيتم بهؤلاء الدعاة انتبهوا احذروا منهم. وقال بالحرف الواحد قال: إذا التقيتم بالوهابية قال: احذروا منهم، قالوا لهم: إن علامتهم دائماً أن يقول لك: قال الله قال رسوله. انتبه لا يضرك. يعني علامته، فإذا جاء المسكين وسمع آيات وأحاديث يقول: صدق مشايخنا جزاهم الله خير نصحونا، فيترك الآيات والأحاديث إلا إذا الله –عز وجل– سَلَّمَهُ وحماه فينفتح قلبه وهذا مثلما جاء ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

الشاهد أن أهل الحق لهم علامات وأهل الباطل لهم علامات، ومن المفيد جدًا أن الإنسان يعرف علامات هؤلاء وعلامات هؤلاء، وأيضًا في هذا المقام يكثر من سؤال الله –سبحانه وتعالى– أن يسدده وأن يوفقه وأن يدله على الحق ودعاة الحق وعلى أهل الحق، يسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يفتح عليه.

الأخ الكريم يقول: درج كثير من الناس أنه إذا مرض أحدهم مرضاً مستعصياً مثلاً فإنه يذهب لبعض الشيوخ المعروفين بالقراءة على المرضى، فإذا علموا أن هناك شيخاً بمنطقة ما مثلاً قرأ على فلان وعوفي ذهب إليه، فإذا علموا أن هناك شيخاً أشهر من الأول في القراءة في منطقة أخرى ذهبوا إليه، وهكذا يتنقلون، فالسؤال: أليس هذا الفعل يعد مدخلاً للغلو في الصالحين؟ كما أنه يؤدي إلى التعلق بالشيخ القارئ من دون الله أو مدخلاً للشرك؟.

أولاً: الكلام على الاسترقاء هذا مر معنا في حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– حيث قال في صفات السبعين ألف قال: (لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فالاسترقاء جائز لكن الأولى عدمه، وأذكر أنه مرَّ معي في ترجمة طاووس أنه عاد مريضاً فقال: (ادعُ لي، قال: ادعُ لنفسك) والله –تبارك

وتعالى- يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] فالذي ينبغي على الإنسان أنه يكون إذا ابتلي بمرض أو بشيء من هذا أن يُقبل على الله -سبحانه وتعالى- ويلح عليه بالسؤال ويقرأ على نفسه ما تيسر، فاتحة الكتاب والمعوذتين وآية الكرسي ونحو ذلك، ويطلب الشفاء من الله -سبحانه وتعالى-.

وأما الاعتقاد في الأشخاص والسفر إليهم والتعظيم الزائد عن الحد فهذا يجر الإنسان إلى ما ذكره أخونا الكريم في سؤاله.

وعلى كل حال فالاسترقاء جائز لكنه خلاف الأولى والذي ينبغي على الإنسان أنه يرقي نفسه ويُقبل على الله -سبحانه وتعالى- بالسؤال والطلب والإلحاح والدعاء حتى يمن عليه بالشفاء والعافية مع الثقة بالله -سبحانه وتعالى-.

الأخت الكريمة من سوريا تقول: ما هو حكم الشرع والعقيدة الإسلامية فيما يُعرض من الصور التي فيها إعجاز أو غرائب من قدرات الله -سبحانه وتعالى-؟ مثل الأشجار على شكل كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسمك والصخرة الساجدة والشجرة الراكعة... إلخ، فهذا بين مؤيد ومعارض ونريد حكم الشرع في ذلك؟.

هو هذه الأمور كثير منها لا يخلو من تكلف، ويتكلف أصحاب هذه الأشياء أو من يريدون هذه الأشياء بغرض بيان عظمة الدين وعظمة الله -سبحانه وتعالى- وهذه العظمة هي ظاهرة بدون هذا التكلف.

فعلى كل حال بعض الناس يتكلف أشياء من هذا القبيل ويحاول أن يطوع الأشياء، يعني: مثلاً يدعوك إلى نظر في صخرة ويقول: انظر لفظ الجلالة (أل) هذه مكتوبة هكذا، وانظر اللام. ويجعلك تدقق النظر إلى أن تصل باضطرار إلى أن فعلاً اللام ويكون فيه تكلف زائد عن الحد ومحاولة لإقناع بتكثير عرض الأمر وإظهار الشواهد والدلائل حتى بعضهم من كثرة كلامه وإقناعه ربما يقنع الشخص بأشياء غير مطابقة للواقع، لكن من كثرة جدله وقوة عارضته وبيانه للأمور وفلسفته، يعني: بعض الفلاسفة يقولون عنه: يستطيع أن يقنع بعض الناس أن الجدار الذي خلفه أبيض إذا كان لونه أحمر، هذا لا يُحمد -حقيقة- هذا نوع من التكلف والتنطع، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (هلك المتنطعون) فما ينبغي حقيقة الخوض في مثل هذه الأشياء التي فيها شيء من التقعر والتنطع والتكلف والحمد لله عظمة الله -عز وجل- وقدرته مثل ما جاء في قول الشاعر:

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد

الأخت الكريمة من السعودية تقول: ما هي الطريقة التي ينبغي أن أتعامل بها مع أهل البدعة علماً بأن لي جيراناً مبتدعة يدعون إلى طلب الحوائج عند القبور؟ هل نهجرهم؟ أم نزورهم مع النصيحة؟.

إذا كنتم تملكون النصيحة وتأمنون على أنفسكم من الشبه التي يوردها أهل الباطل وأهل الضلال فالنصيحة مطلوبة والدعوة مبذولة للجار وللبعيد وللقريب تُبذل لكل أحد، أما إذا كنتم تخشون على أنفسكم من شبهات هؤلاء، ومن أن يضركم اتصالكم بهم فالمحافظة على رأس المال وعلى الدين لا شك أنه هو المطلوب، وتحذرون منهم وتحتاطون، وأما إذا كان في ذلك مواصلتهم بالهدية أو كسب لهم، تأليف لهم، ودعوة لهم، وترغيب لهم للهداية والاستقامة ودخولها فهذه من الدعوة (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم) وهذا أيضاً يؤكد على هذه الأخت ومثيلاتها العناية بكتب العقيدة ودراسة التوحيد، تدرس التوحيد لنفسها ولغيرها، لعل الله -سبحانه وتعالى- يحيي بها قلوبا ميتة، ماتت بالشرك وأنا أريد أن أذكر بمناسبة هذا السؤال فائدة نفيسة:

كلكم يعرف الحديث الصحيح الذي قال فيه -صلى الله عليه وسلم-: (دخلت امرأة بغي الجنة) بماذا؟ (سقت كلب) نعم سقت كلباً سقته ماء فغفر الله لها؛ لأن بهذا الماء سقت هذا الكلب وروت ظمأه ودبت الحياة فيه فغفر

الله لها بهذا الذي يسره الله على يديها بسقايتها لهذا الكلب، إذا كانت سقت كلباً ما فكان سَبَباً لغفران الله لها، فكيف بمن يسقي الناس التوحيد؟ كيف بمن يسقي الناس التوحيد؟ التوحيد هو الحياة، الله قال في القرآن: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] أعظم هدية وأعظم شيء تقدمه للإنسان أن تقدم له التوحيد ولاسيما إذا كان مبتلى بهذه الشركيات وهذا الباطل حمانا الله وإياكم.

الأخ الكريم يقول: كيف نجمع بين الآية والحديث فيما يلي: الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤] وفي الحديث الذي في رؤيا الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (والنبي وليس معه أحد)؟

الأخ الكريم من الجزائر يقولون: إن شخصا خرج من القبر!! وتعرض لعذاب القبر، يا شيخ ما صحة ذلك؟ يا شيخ هل يمكن أن يطلع؟ يقولون أنه تعرض لعذاب القبر، ما صحة هذا الكلام؟

يقول: أنه تعرض لعذاب القبر وأنه خرج أمام الناس؟ هذا مجمل الذي فهمناه من السؤال.

الأخت الكريمة تقول: إذا كان لدى شخص بعض الأشياء في جانب القضاء والقدر، شبهات في القضاء والقدر، فهل يستمر في بعض المسائل الدقيقة المتعلقة بالعقيدة والمتعلقة بالقدر؟ هل يستمر فيها ويقرأ فيها؟.

لعلنا نبدأ بسؤال الأخت ثم نعود إلى السؤالين السابقين.

الأخت تقول: فيما يتعلق بالقدر هل للإنسان أن يتعمق فيه ويبحث في دقائق مسائله أو أنه ليس له ذلك؟

جاء في الحديث الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (إذا ذكر القدر فأمسكو) والمراد بالإمساك هنا: عن أنواع من المسائل مثل الأسئلة الاعتراضية التي تأتي على بعض الناس يعترض لماذا فعل الله كذا؟ ولماذا لم يفعل كذا؟ هذه أسئلة باطلة.

وكذلك التكلف والتنطع والتعمق، فكل هذا يدخل في الإمساك الذي أُمرنا به، أما معرفة أمور القدر ومراتب القدر ومراتب التقدير والأدلة من الكتاب والسنة فهذا أصل من أصل الإيمان المهمة العظيمة التي ينبغي للإنسان أن يعتني بها، وهنا خوض الإنسان في هذا الباب ينبغي أن يكون في ضوء الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم من أهل السنة والجماعة بعيداً عن شبهات أهل الضلال وآراء أهل الباطل.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: أريد السؤال عن مسألة سماع الموتى بكلام الزائرين لهم؟ عندنا في الجزائر من آل البوادي يسمعون للصوفية ومن يبث لهم قولاً بأن الموتى يسمعون ويحسون بالزائر ويشوشون على العامة فلذلك هذا التشويش قد يشغلهم عن الانحراف إلى عبادة القبور، أريد تفصيل في هذه المسألة؟.

الأخ الكريم من السعودية يقول: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤] والجمع بين قول النبي –صلى الله عليه وسلم– الحديث أنه لا يأتي يوم القيامة والنبي معه أحد؟.

الحديث الذي ذكره الأخ مر معنا في هذا الكتاب، النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (رأيت النبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرجل، والنبي وليس معه أحد) وهنا الآية يقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤] فأشكل على الأخ أن الله قال: ﴿لِيُطَاعَ﴾ مع أن الرسل منهم من لم يُطَع مطلقاً من قومه، ومنهم من أطاعه الرجل والرجلان، ومنهم من أطاعه الثلاثة والعشرة، ومنهم من لم يطعه أي

واحد من قومه، والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ [النساء: ٦٤] والمراد بقوله: ﴿إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ هو المراد أيضاً بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: أن الغاية من خلق الناس العبادة، والغاية من إرسال الرسل الطاعة لكن قد يطاعوا وقد يعصوا مثلما قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] فإذن قوله: ﴿إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ أي لهذه الغاية، أرسل لكي يُطاع، العلة في إرساله والغاية من إرساله أن يُطاع مثلما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] خلقهم لهذه الغاية فقد يعبدوا وقد لا يعبدوا، فإذن هو خلقهم، خلقهم ليفعلوا الثانية لا ليفعل هو بهم الثانية، ننتبه لهذا خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهو العبادة، وهنا أرسل الرسل لأجل أن يُطاعوا لكن قد يطيعهم أقوامهم وقد يعصونهم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

الأخ الكريم من الجزائر في الواقع السؤال لم يكن واضحا لكنه فيما علمنا أنه يقول: شخص خرج من القبر أو أنه سمع صوتاً من عذاب القبر أو هكذا فهمت؟.

كأنه يقول بأنه رجل عُذب في قبره وخرج من قبره فهل هذا صحيح؟ الله أعلم بذلك، لكن جاء في الصحيحين البخاري ومسلم: (أن رجلاً كان أظهر الإسلام وأسلم وكان يكتب للنبي -عليه الصلاة والسلام- ثم إنه لحق بالنصارى وتنصر وصار يستهزئ بالنبي -عليه الصلاة والسلام- ويقول ما يكتب له، وأصبح يستهزئ به ويسخر به عند النصارى الذين لحق بهم، فمات هذا النصراني فلفظته الأرض) يعني: لما دفنوه لفظته الأرض، أخرجته الأرض على وجهها، والحديث في الصحيحين في البخاري ومسلم (فلما أخرجته الأرض جاءوا وقالوا: لعلنا ما مكنا له في الدفن، فعمقوا الحفرة تعميقاً قوياً في الأرض ودفنون وجاءوا من الغد فلفظته الأرض وتركوه ملقىً على وجه الأرض) ما قبلته الأرض فقد يكون هذا، يعني قد يكون هذا الأمر لكن الله أعلم ولا ينبغي أن الناس ينساقون وراء أشياء تُقال حتى في فترة من فترات بعضهم كانوا يوزعون تسجيل صوتي لعذاب القبر وأصواته وكذا، هذه كلها أشياء ما ينبغي الإنسان يلتفت إليها ويأخذ بها، عذاب القبر عرفناه بالقرآن، وعرفناه بالسنة، وعرفناه بالأدلة ولا ينساق الإنسان وراء أشياء تروى وحكايات تذكر الله أعلم بصحتها، أما إن صح الشيء فالله على كل شيء قدير.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: عند أهل البوادي بعض أئمة الضلال يقولون لهم: الموتى يسمعونه ويحسون بالزائر؟.

السماع لأهل العلم فيه تفصيل فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الميت إذا دفنه أهله سمع قرع نعالهم) ومسألة السماع هذه مسألة لها كلام عند أهل العلم، لكن النتيجة التي يبني عليها أهل الضلال هي نتيجة فاسدة وهي التعلق بالمقبورين حتى لو قيل أنهم مثلاً يسمعون، فكونهم يسمعون ليس دليلا على جواز الشرك والاستغاثة بغير الله وصرف العبادة لغير الله والتوجه لغير الله بالعبادة، هذا بناء باطل على أمر فهمه هؤلاء وبنوا عليه أمراً باطلاً وهو الشرك بالله -سبحانه وتعالى- وأما مسألة سماع الموتى، فهذه فيها تفصيلات تُعرف بمراجعة كتب التوحيد.

شرح كتاب التوحيد

الدرس الرابع والعشرون

مـــــــراجعة عـــــــامة

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد الله بمحامده التي هو لها أهل، وأثني عليه الخير كله، لا أحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فنحمد الله حمدا كثيراً طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى على أن يسر لنا هذا اللقاء، ومنَّ علينا بهذه المذاكرة والمراجعة والاستذكار لهذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

ولا شك -معاشر الإخوة الكرام- أن النعمة عظيمة والمنة كبيرة لمن وفقه الله -تبارك وتعالى- لدراسة هذا الكتاب المبارك والوقوف على مضامينه الطيبة وأبوابه النافعة وتقريراته المفيدة التي ضمنها وبينها وقررها مصنفه -رحمه الله- في كتابه الجامع الفريد كتاب التوحيد، وهذا الكتاب كتاب مبارك، ألف لبيان التوحيد الذي هو حق الله -تبارك وتعالى- على العبيد والله -جل وعلا- أكرم مصنفه ومنَّ عليه بالإجادة والإتقان وحسن الإلمام وجمال الاستدلال وتقرير مسائل الاعتقاد والتوحيد بأحسن ما يكون وأتم ما يكون، فهذا من فتح الله -عز وجل- وتيسيره وإنعامه على هذا الإمام بتأليف هذا الكتاب المبارك وتأليف غيره من الكتب المفيدة في التوحيد وغيره، ومن نعمة الله أن هذا الكتاب كُتب له ذيوع وانتشار في أنحاء الدنيا وبلغات مختلفة، وهذا من الأسباب التي هيأها الله -جل وعلا- لإقامة الحجة على العباد لبيان التوحيد الذي خلق الخلق لأجله وأوجدوا لتحقيقه.

لقد أحسن مصنف هذا الكتاب الإمام -رحمه الله- بترتيب هذا الكتاب والعناية بتقرير مسائله، وأحسن بإيراد الأدلة والشواهد من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فكل باب من أبواب هذا الكتاب المبارك مذكور فيه شواهده ودلائله من كتاب الله العزيز ومن سنة النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- وكان -رحمه الله- اعتنى عقب كل باب من هذه الأبواب بذكر المسائل المستنبطة والفوائد المأخوذة من هذا الباب بشواهده ودلائله.

والمؤلف -رحمه الله- أحسن في ترتيب هذا الكتاب أيما إحسان، وأجاد إجادة كبيرة وعظيمة، ولنتأمل الآن على وجه المذاكرة والاسترجاع لما أخذناه من هذا الكتاب المبارك، وقد أخذنا من هذا الكتاب ما يقارب النصف، وإن كان يقل عن النصف بقدر لا بأس به، لكن القدر الذي أخذناه من هذا الكتاب يقارب نصف الكتاب تقريباً.

استهل المصنف -رحمة الله عليه- كتابه التوحيد ببيان مكانة التوحيد وعظيم شأنه، وأنه الغاية التي خُلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها، وبين من خلال الأدلة التي ساقها وعرضها مكانة التوحيد لبيان أنه المقصود من خلق الخليقة وإيجاد الثقلين، وأنه الغاية التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وأنه وصية الله -تبارك وتعالى- لعباده، وهو وصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأمته، ووصيته للدعاة أن يعتنوا بالتوحيد وبيانه وحسن تقريره للناس، ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وبين -رحمة الله عليه- أن التوحيد الذي خلق الخلق لأجله هو حق الله على عباده، أوجبه عليهم وافترضه عليهم وخلقهم للقيام به وتحقيقه.

ثم انتقل -رحمه الله- إلى باب بين فيه فضل التوحيد وتكفيره للذنوب من خلال الشواهد والدلائل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- ثم انتقل لبيان أمر عظيم ومهم للغاية ألا وهو تحقيق

التوحيد وبين –رحمة الله عليه– أن محققي التوحيد يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب، وقد أحسن –رحمة الله عليه– في استشهاده لهذا الباب العظيم المبارك بإيراد قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠] وأيضًا قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩] وقد قصد من ذلك –رحمة الله عليه– أن يبين الأنموذج الأمثل في تحقيق التوحيد في أنبياء الله ولاسيما إمام الحنفاء، وكذلك في أصفياء الله والكمل من عباده المؤمنين الذين من أوصافهم أنهم لا يشركون بالله –تبارك وتعالى– لا شيئًا قليلاً ولا كثيراً، وهذا من تحقيقهم للتوحيد.

ثم أورد الحديث العظيم المبارك الذي ذكر فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– أوصاف محققي التوحيد الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب قال: (هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون) فصارت قلوب الصحابة –رضي الله عنهم– شوقاً لذلك وسبق عكاشة فقال: (يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم بادر آخر، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال –عليه الصلاة والسلام–: سبقك بها عكاشة).

ثم بعد ذلك انتقل المصنف –رحمه الله– لبيان التحذير من الشرك لما قرر التوحيد وبينه وبين مكانته وعظيم شأنه عقد ترجمة في التحذير من الشرك وبيان خطورته والشرك هو ضد التوحيد ونقيضه، فعقد ترجمة مباركة عظيمة النفع عنون لها –رحمة الله عليه– بباب: (الخوف من الشرك) وهذا باب عظيم، وفق المصنف –رحمة الله عليه– لعقده في هذا الكتاب المبارك والترجمة له، وأورد دلائلَ واضحةً بينةً في التحذير من الشرك والتخويف منه، كقول الله –تبارك وتعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وكذلك قول الله –سبحانه وتعالى– فيما ذكره عن دعاء نبيه وخليله إمام الحنفاء إبراهيم الخليل –عليه السلام– أنه قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [الرعد: ٣٥] فإذا كان إمام الحنفاء يدعو بهذه الدعوة المباركة فمن يأمن البلاء بعده كما قال ذلك إبراهيم التيمي –رحمه الله–.

ثم ساق من السنة ما يدل على ذلك كقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي، ثم سئل عنه فقال –عليه الصلاة والسلام–: الرياء).

لما أنهى –رحمة الله عليه– بيان التوحيد ومكانته وفضله وأهمية تحقيقه، وأن محققيه يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب، وحذر من ضده ونقيضه، عقد ترجمة مهمة في بيان ضرورة الدعوة إلى هذا التوحيد وتعدية هذا الخير للآخرين، فكما أن الله –عز وجل– من عليك وأكرمك بفهم التوحيد ودراسته ومعرفة ضده ونقيضه ومن عليك بالبعد عن نقيضه، فعليك أن تعدي هذا الخير للآخرين، وأن تكون من دعاة الحق والهدى، من دعاة التوحيد والسنة وأورد قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] وأورد كذلك حديث ابن عباس في قصة بعثة معاذ إلى اليمن، والحديث يعد منهجا مباركا ينبغي أن يسير على ضوئه الدعاة، وأن يحذو حذوه، ومن فوائد الحديث الجليلة ودلالاته العظيمة أن التوحيد هو أول شيء يُدعَا إليه.

ثم بعد ذلك انتقل –رحمة الله عليه– لعقد ترجمة عظيمة ومهمة للغاية في تفسير التوحيد وبيان شهادة أن لا إله إلا الله، وكان موفقا –رحمة الله عليه– في عقده لهذه الترجمة وفي ذكر دلائلها، ونبه المسلمين على الطريقة التي ينبغي أن يكونوا عليها في فهم التوحيد، ألا وهي الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ليتم فهم التوحيد من خلال الكتاب والسنة، لا بالآراء المحدثة والأهواء المتبعة والفلسفات المخترعة ونحو ذلك، وإنما بالرجوع إلى كلام الله وكلام رسوله –صلوات الله وسلامه عليه– ثم ساق تحت هذه الترجمة الآيات البينات والأحاديث الواضحات المبينة للتوحيد والشارحة له.

وكنا -حقيقة- استفدنا من هذا الكتاب، واستفاد الإخوة المتابعون استفادة عظيمة عندما تأملنا في الأدلة التي ساقها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ونظائرها من الأدلة استفدنا طريقة مباركة أرشد إليها ووجه إليها -رحمة الله عليه- ألا وهي أن نستفيد في فهمنا للتوحيد ومعرفتنا لمعناه ومدلوله من كتاب ربنا فنعتصم بكتاب الله ونعول عليه وعلى سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ففيهما الكفاية والغنية.

ثم لما ساق الآيات والأحاديث في هذه الترجمة قال منبهاً ومبيناً كلمة ينبغي لكل دارس لهذا الكتاب أن يتنبه لها، قال -رحمة الله عليه-: (وتفسير هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب) أي أن الأبواب الآتية بعد هذه الترجمة كلها شرح للتوحيد وتفسير له، والمصنف -رحمة الله عليه- ينبه بذلك أنك إذا أردت أن تدرس التوحيد وتفهم معناه فعليك أن تقرأ هذه الأبواب بما فيها من دلائل، وما فيها من أحاديث، وما فيها من نصوص، فإن ذلك كله في شرح التوحيد وبيانه، وكنت ذكرت للإخوة الكرام -حفظ الله الجميع وبارك في الجميع- كنت ذكرت أن تفسير التوحيد يكون أولاً ببيان المعاني الداخلة في لفظه ويشملها مدلوله، وأيضًا يكون ببيان ضده ونقيضه، كما قيل: "وبضدها تتميز الأشياء" فالشيء يفسر بضده، مثل لو قال لك شخص: ما هو النور؟ فقلت: النور ضد الظلمة، أو قال لك آخر: ما هي الصحة؟ قلت له: الصحة ضد المرض، أو قال له آخر: ما هو الجوع؟ قلت: ضد الشبع... وهكذا، فهذه طريقة معروفة في التفسير إما أن يفسر اللفظ ببيان المعاني الداخلة تحت هذا اللفظ أن بذكر ضده.

المصنف -رحمة الله عليه- لما عقد هذه الترجمة في تفسير التوحيد وبيان معناه قال: (وتفسير هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب) ماذا صنع؟ عقد أبواباً عديدة في كل باب منها يقول: من الشرك كذا، من الشرك كذا، من الشرك كذا، يذكر أنوعًا من الشرك، إذن معرفتنا بالشرك أمر مطلوب لماذا؟ لأننا كما أننا مطالبون بفهم التوحيد لنحققه فنحن مطالبون بفهم ومعرفة الشرك لنحذره ولهذا قال من قال:

تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه

فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

فعقد أبواباً عديدة كلها يقول فيها: من الشرك كذا، من الشرك كذا، من الشرك كذا. قاصداً بذلك بيان التوحيد والتحذير من هذه الأمور التي هي تنقضه وتنهيه، فعقد أبواباً من الشرك: تعليق الحلقة والخيط من الشرك، الذبح لغير الله، من الشرك النذر لغير الله، من الشرك الاستغاثة بغير الله، من الشرك أن تدعو غير الله أو تستغيث بغيره، عقد أبوابا عديدة هذه الأبواب مهمة جدًا ينبغي على المسلم أن يقف عليها، وأن يعرف هذه الأمور الشركيات من أجل ماذا؟ من أجل أن يتجنبها، حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- كما في صحيح البخاري يقول: (كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسألونه عن الخير، وكنت أن أسأله عن الشر مخافته) فالمسلم مطالب من أجل أن تحقق التوحيد وتحافظ على التوحيد لابد أن تعرف هذه الأمور لكي تتقيها وتجتنبها، عقد عدة أبواب بهذه الطريقة: من الشرك كذا، من الشرك كذا، إلى أن ذكر نماذج عديدة، وأيضًا سيذكر ما يتعلق بأنواع أخرى من الشرك المنافية للتوحيد أو المنافية لكمال التوحيد الواجب، وكنا أيضاً ذكرنا أن الشرك على نوعين: شرك أكبر وشرك أصغر، وذكرنا هناك أنهما يختلفان في الحد والحكم.

بعد ذلك بدأ -رحمة الله عليه- يعقد تراجم مهمة جدًا يستدل من خلالها على بطلان الشرك وفساده، وأن المشرك لا متعلق له ولا حجة عنده، ويعبد أسماءً ما أنزل الله بها من سلطان، لا حجة له عليها ولا برهان، وإنما هي أسماء سماها المشرك وأباؤه، ثم توجهوا إليها بالعبادة والطلب والسؤال ولا دلالة عندهم، فعقد عدة تراجم: ترجمة جعلها بعنوان: (﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]) ثم عقد ترجمة

أخرى بعنوان: (﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]) ثم عقد ترجمة بعنوان: (باب ما جاء في الشفاعة) لأن الشفاعة هذه حصل في فهمها فساد عريض، ودخل كثير من الناس بالشرك بمفاهيم خاطئة وتقريرات فاسدة أشار الله –عز وجل– وذكرها في القرآن: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] وقال الله –سبحانه وتعالى– عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وأيضًا عقد ترجمة في إبطال الشرك وهي قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وهو –رحمه الله– من خلال هذه الأبواب التي ساقها وعقدها –رحمة الله عليه– أراد أن يقرر ويبين أن المشرك لا حجة عنده، بل هو يعبد مخلوق لا يملك شيئًا، ولا يملك لنفسه فضلا عن أن يملك ذلك لغيره، ولا يستطيع أن ينصر نفسه فضلا عن أن يستطيع نصرة غيره، ثم ساق من الآيات مثل قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] ولعلكم تذكرون عند هذه الآية ذكرت لكم ما قاله أهل العلم عن هذه الآية أنها قطعت شجرة الشرك من عروقها واجتثتها من أصولها ولم تبق لمشرك متعلق ولا مستمسك بل كل ما يستمسك به المشركون قطع واجتث في هذه الآية المباركة، وتقرير ذلك بكلام نقله الشيخ –رحمة الله عليه– عن أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ألا وهو: أن من يُدعى إما أن يكون مالكاً ولو شيئًا قليلاً فهو يستحق أن يُدعى فنفي ذلك في الآية: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢] فإن لم يكن مالكاً لو كان شريكاً للمالك في بعض الملك أيضاً يستحق أن يدعى قال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ فإن لم يكن مالكاً ولا شريكاً للمالك فهناك أمر ثالث إن وجد استحق أن يدعى وهو أن يكون ظهيرا وعوينا للمالك فنفى الله ذلك قال: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ فلم يبقَ إلا الشفاعة التي يتعلق بها المشركون، فنفى الله ذلك قال: ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ واستمر –رحمه الله– يسوق الآيات والدلائل التي تبطل الشرك وتدل على فساده، وكان من ضمنها ما أورده في عنوان الترجمة التي هي: (إنك لا تهدي من أحببت) فنبيُّنا –عليه الصلاة والسلام– لا يملك هداية أحد ولا يملك شيئًا من ذلك، وإنما المالك لذلك كله هو الله –سبحانه وتعالى– وقد اجتهد تمام الاجتهاد في هداية عمه، ولكن لم يكتب الله –جل وعلا– لعمه هداية فمات على غير الإيمان، وأورد في هذا الباب الحديث المعروف وقد مر معنا عندما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه وقال: (يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله) وحاول مرتين وثلاث يكرر عليه ومات وهو يقول: (بل على ملة عبد المطلب) فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] والله –جل وعلا– يقول في آية أخرى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال –عز وجل–: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] فالهادي هو الله، والموفق هو الله، والمسدد هو الله، والأمور كلها بيد الله، فلا يلجأ إلا إلى الله، ولا يستعان إلا بالله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يطلب المدد والعون إلا من الله، أما من يتعلق بغير الله سواءً بنبي أو بملك أو بغيرهما فإنه ضل عن سواء السبيل، وزاغ عن جادة التوحيد وسبيله السوية.

عقد –كما قلت– عدة تراجم –رحمة الله عليه– في الاستدلال على بطلان الشرك، وكنت ذكرت لكم أنه –رحمة الله عليه– ذكر في ترجمة ما يتعلق بالملائكة، وبين من خلالها بطلان عبادتهم، ثم بين في الترجمة الأخرى ما يتعلق ببطلان عبادة الأنبياء وصرف شيء من العبادة لهم، فإذا بطلت في حق الملائكة والأنبياء فغيرهم من باب أولى وأحرى، والعبادة حق للرب العظيم والخالق الجليل –سبحانه وتعالى– لا يجوز أن تصرف لغيره.

لما انتهى –رحمة الله عليه– من ذكر البراهين والحجج التي تبطل الشرك وتبين فساده انتقل بعد ذلك –رحمه الله– للجواب على تساؤل ألا وهو: إذا كان الشرك واضح بطلانه هذا الوضوح بهذه الأدلة والبراهين التي ساق جملة منها –رحمه الله– فما الذي جعل الناس يقعون في الشرك؟ ما هي الأسباب التي جعلت الناس يقعون في الشرك؟ فعقد عدة تراجم –رحمة الله عليه– يبين من خلالها الأسباب التي أدت بالناس إلى الوقوع في الشرك،

فعقد مثلاً ترجمة ب(أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد) وعقد أيضاً ترجمة أخرى في أن من وسائل الشرك أن يعبد الله عند قبر الرجل الصالح، قال: (باب ما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف من عبده!!) جاءت نصوص مغلظة، يعني: فيها اللعن وفيها أنهم شرار الخلق، وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد، يعني: يتحرون العبادة عند القبور فكيف بمن يعبد القبر ويدعو المقبور ويلتجئ إليه، فهذا كله من بيان الوسائل التي تفضي بالناس وتؤدي بهم إلى الشرك.

ثم عقد ترجمة مباركة وعظيمة قال: (باب في حماية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- جناب التوحيد وسده لكل ذريعة تفضي إلى الشرك) وهذه ترجمة عظيمة سدرها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] يعني: أيها الناس عليكم بهديه، وعليكم بسنته، وعليكم بالطريقة التي دلكم عليها ونصح لكم وبين لكم، خذوا الدين منه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فلماذا يترك الدين الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- ثم يتعلق بخرافات وخزعبلات ومحدثات وآراء باطلة وأقوال عاطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وبين في هذه الترجمة بأنواع من الأدلة حماية المصطفى -عليه الصلاة والسلام- حمى التوحيد وجنابه وسده للوسائل والذرائع والطرق التي تفضي بالناس إلى الشرك.

ثم لما انتهى من هذه الترجمة عقد ترجمة حقيقة مهمة، وهي آخر ترجمة مرت علينا في هذا الكتاب المبارك وهي بعنوان: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان) وهذه حقيقة ترجمة مهمة جدًا، وهي من النصيحة، هي من مقتضى النصيحة لدين الله -تبارك وتعالى- فعقد هذه الترجمة أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وأتى بالأدلة، وكان أجاد إجادة عظيمة جدًا في تفهيم الناس القرآن، وأيضًا طريقة فهم آيات القرآن، أورد آيات تدل على وقوع النصارى واليهود وهؤلاء في الشرك بالله -سبحانه وتعالى- ومن يقرأ هذه الآيات أول ما يبدأ يقرأ والترجمة في أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان قد يتساءل يقول: ما علاقة هذه الآيات بهذه الأمة؟ هذه آيات تتعلق باليهود والنصارى والأمم التي مرت فما علاقتها بالأمة؟ لما انتهى من عرض هذه الآيات المتعلقة باليهود والنصارى، أتى بالحديث أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) فهذا استنباط وجمع بين الآية والآيات والحديث حتى نفهم القرآن ودلالاته وحتى أيضاً نعي أن ذكر الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأمور في القرآن ليس مجرد معلومات، وإنما هذا تحذير، تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسالك هؤلاء، والكفر أينما وجد ومتى ما وجد شأنه واحد قال الله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القمر: ٤٣] الكفر إن وجد في هذا الزمان أو في الزمان الغابر أو بعد هذا الزمان، الكفر شأنه واحد، وسبيله واحد، فبهذه الطريقة بين هذا الأمر، ثم جاء بالحديث الصريح في الباب وحديث ثوبان، وساقه بطوله لأن فيه معاني عظيمة ودلالات مهمة جدًا فساقه بطوله -رحمة الله عليه- إلى أن أتى إلى موضع الشاهد منه وهو: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تقوم الساعة حتى يلحق فئام من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان) وهذا صريح في الباب، ونظير هذا الحديث كما مر معنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس على بالخلصة) وذكرت لكم أن هذا من مقتضى النصيحة.

بالمقابل تجد أناسا من دعاة الضلال يقولون للناس: الشرك ما يوجد، والأمة معصومة منه، ولا يقع أحد في الشرك. وهذا ماذا؟ مثل هذا التقرير الباطل ماذا يجني على الناس؟ تجد الإنسان ربما يتلبس بالشرك ويخالطه ويقع فيه وهو لا يزال مقتنعا بأن الشرك لا يقع، وهو يقع فيه ويتلبس فيه، وهو لا يزال مقتنعا إلى أن يموت أن الشرك لا يقع، وهذا من تأثير دعاة الباطل وفي حديث ثوبان: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين).

على كل حال هذا عرض سريع وتلخيص ربما يكون مخلا للكتاب ولتقرير الشيخ -رحمة الله عليه- ومثل هذه العجالة ما يتمكن الإنسان إنه يأتي على... لكن هذا لعله يكون مجرد تذكير واستعادة معلومات لما أخذناه في هذا الكتاب المبارك، ثم استمر الإمام بأبواب عديدة ومهمة لعلها -إن شاء الله- تأتي للإخوة في الدورة اللاحقة

بدأها بما جاء في السحر، والسحر أمره من أخطر ما يكون، وانتشاره في الناس وضرره عليهم، فعقد أبواب: (باب في السحر) و (باب في أنواعه) و(باب في طريقة العلاج) وأبواب أخرى في (الكهانة والتنجيم) إلى آخره استمر يبين للناس التوحيد، فحقيقة حري بنا أن نعطي هذا الكتاب عناية فائقة واهتماماً كبيراً وأعتبر حقيقة أن هذه القناة -جزى الله القائمين عليها خير الجزاء- وفقوا لاختيار هذا الكتاب والتنبيه عليه وفتح المجال للناس ليستذكروه في أنحاء المعمورة، فهذه حقيقة دعوة للعناية بهذا الكتاب المبارك، وكنت ذكرت لكم في لقائنا السابق أن أحد طلبة العلم قال لي: أني قرأت هذا الكتاب على أحد مشايخنا يقول: فقال لي هذه المرة المائة تقريباً لقراءة الكتاب بعضنا يستكثر على نفسه أن يقرأ الكتاب مرة واحدة، حتى يختمه وهو آيات وأحاديث تبين لك التوحيد، وتبين لك العقيدة الصافية والتوحيد النفي والإخلاص، وتبين لك أيضاً الحذر من هذه الأباطيل الكثيرة التي يتلبس فيها كثير من الناس، فأنا أقول: كل واحد منا من النصيحة لنفسه أن يقرأ هذا الكتاب، وإن تمكن من حفظه فليحفظه، وإن لم يتمكن فليقرأه عشرات المرات، حتى وإن لم يكن محفوظاً يكون شبيهاً بالمحفوظ، والله تعالى أعلم.

الأخت الكريمة من السعودية تقول: في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧] هل يدخل في ذلك النذر؟ لأنه يوجب على نفسه ما لم يوجه عليه الله؟.

هو الكلام على النذر سبق أن مر معنا، وأيضًا مر معنا أنواع النذر، وأن الإنسان ما ينبغي له أن ينذر؛ ولهذا قال أهل العلم: يكره النذر ابتداءً ولاسيما نذر المجازاة، عندما يقول: إن شفى مريضي، وإن نجحت في امتحاني، وإن حصل لي الأمر الفلاني أو نحو ذلك فأذبح كذا أو أصوم كذا وقال -عليه الصلاة والسلام-: (لا يرد من قضاء الله شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل) فالمسلم لا يوجب على نفسه ما لم يوجبه الله -تبارك وتعالى- عليه، ويسأل الله من فضله، وإذا تيسرت له النعمة وحصل له ما أراد يحمد الله ويشكره ويقوم بما يتيسر له من أبواب الشكر لله -تبارك وتعالى- هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: السؤال حول حديث الذبابة، بعض من لا يعذر بالجهل يحتج بهذا الحديث ويقول: إن الأصل في التوحيد واحد، يحتجون أيضاً بحديث معاذ الذي أوصاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وصيته بعدم الشرك ولو حُرِّقَ، فكيف توجهون أو كيف تردون على هذه الشبهة بارك الله فيكم؟.

مسألة العذر بالجهل أو عدمه هذه مسألة ما تطرقنا لها ولا وقفنا عندها وهي مسألة من مسائل دقائق العلم ومهماته، وبعض الناس قد يشتغل بهذه المسائل قبل أن يصل إلى أشياء مهمة قبلها في فهم التوحيد نفسه، وأيضًا قضية إقامة الحجة على الناس، بيان التوحيد والنصيحة وتحذير الناس من الشرك، ثم بعد ذلك تأتي مسألة الحكم على الناس وهذا كافر أو ليس بكافر، هذه مسألة من المسائل الذي ينبغي أن تكون لأهل العلم الراسخين المتمكنين الذين لهم قدم راسخة وتمكن في العلم، أما إذا خاض آحاد الناس وأفرادهم وعوامهم في مثل هذه المسائل فإنه يكون فيه جناية على الأمة وجناية على الناس عمومًا.

وأما الحديث فالحديث -حديث الذباب- فيه أن الرجل كان أكره على الشرك قال: (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار في ذباب) ثم بين ذلك، قال: (قيل لأحدهما قرب، فقال: ما عندي شيء أن أقربه، قالوا: قرب ولو ذباباً، قيل للآخر: قرب، ما كنت لأقرب لأحد غير الله فقطعوا رأسه فدخل الجنة) الرجل الأول كان مكرهاً، وكنت ذكرت هناك أن هذا الرجل إذا قيل: إنه مكره -والحديث فيه دلالة على ذلك- إذا قيل: إنه مكره فبين أهل العلم أن العذر بالإكراه لم يكن في شريعة من قبلنا، وإنما هذه من منة الله -سبحانه وتعالى- على هذه الأمة، وكنت أشرت إلى ما قرره في هذا الشأن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في كتابه: "أضواء البيان" واستدل بأدلة منها هذا الحديث ومنها: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) قال: (تجاوز عن أمتي) وذكر أدلة أخرى تجدونها في كتاب: "أضواء البيان" للشيخ الشنقيطي -رحمه الله- فهذا إن قيل: إنه

مكره، وإذا قيل: إنه لم يصل إلى حد الإكراه وإنما مجرد أن قالوا له: قرب. بادر بالتقريب قبل أن يباشروا إكراهه على هذا الأمر فليس هناك إشكال.

الأخت الكريمة من السعودية تقول: هل من الصحيح أن أفتح الحوار بيني وبين أهل البدع؟ أم أدعهم يفتحون هم موضوع بدعهم؟ وتسأل أيضاً: في بعض الأحيان عندما ندخل في موضوع البدع، يبدءون بمناقشتي بعنف وكأنهم يتحدونني وأن الغلبة لهم فهل أستمر أم أخرج من هذا النقاش؟.

هذا يا إخوان منزلق وباب دقيق جدًا وبعض الناس استهانوا به، تجده قليل العلم، قليل البصيرة، ولم يتفقه في دين الله حتى لو سألته هل قرأت كتاب التوحيد مرة واحدة، يمكن ما قرأه فضلاً عن أن يقرأ شروحاته، ثم يتصدى لمناقشة أهل البدع، والسلف يقولون في التحذير من السماع لأهل البدع قالوا: فإنه ملقن الحجة، يعني: محمل بالشبهات، فيطرح عليك شبهات وأشياء بسبب قلة علمك وقلة بضاعتك ما تستطيع أن ترد عليه فتبقى الشبهة في نفسك ربما ما تستطيع أن تخرجها، تبقى تؤذيك في نفسك وفي قلبك وتجزل في قلبك ما تستطيع أن تخرجها وأنت الذي خاطرت بدينك، أنت الذي أعطيت سمعك له يملؤه ويملأ فؤاده بما عنده من شبهات، وهذه مخاطرة بالدين، وإذا كنت مخاطرا بشيء فلا تخاطر بدينك، الدين أغلى شيء، الآن لو كان عليك ثوب أبيض ونظيف وناصع البياض وجديد هل تأتي في وحل وتخوض فيه؟ تخشى أن يتلطخ بالطين والأوساخ، فما يعرض الإنسان دينه للخطر والآن لما تيسرت القنوات والشبكات العنكبوتية ووسائل الانتقال المتعددة أصبح بعض الناس في غرفة في بيته يخاطر في دينه، مرة يفتح هناك ومرة يفتح هنا، ومرة يسمع لهذا ومرة يسمع لذاك، ثم يمتلئ رأسه بالشبهات، ويمتلي جوفه بالشبهات، ويريد أن يخرجها ما يستطيع، ولهذا يكثر في بعض الناس وساوس وشكوك وشبهات وأشياء تؤثر على دينه، وربما يقتنعون ببعض العقائد حتى بعض الأديان وهو الذي خاطر بدينه، من الذي قال لك: خاطر بدينك هذه المخاطرة؟ فإذن هذا جانب –الحقيقة– ينبغي أن نحذره والمحافظة على رأس المال أهم من جلب الأرباح، أن تحافظ على رأس مالك أهم من جلب الأرباح، لكن إذا كنت إنسانا من الله عليك بالعلم والفهم والبصيرة واعتنيت بالأدلة وفهمها، وأيضًا وقفت على ردود أهل العلم ومناقشاتهم، وأصبح عندك ملكة في هذا الباب فيمكن أن تسمع وأيضًا بحدود، ابن تيمية –رحمه الله– نصح تلميذه ابن القيم نصيحة قال: «كن للشبهة اجعل قلبك للشبهة كالمرآة، ولا تجعله كالاستنجاة» يعني: لا تجلس تمتص الشبهات وتستوعبها وتملأ قلبك، يمكن ما تخرج لكن اجعله كالمرآة بمعنى أنه إذا جاءت الشبهة يكون عندك علم حاضر ترد عليها مباشرة تفند هذه الباطلة، ولا تجعلها تتمكن من قلبك وتدخل إلى نفسك.

فإذن هذا الجانب وقع فيه زلل كبير من بعض الناس من الشباب ومن النساء ومن البنات تجده يفتح وبعضهم يقول: أنا أريد من باب الاطلاع وآخر يقول: لا أنا أريد أن أناقشهم، تناقشهم إيش؟ ما عندك علم أنت، ما عندك أدلة ولا عندك فهم تناقشهم بماذا؟ ثم تجده يجلس مرة مرتين ثلاثة بحجة أنه يريد أن يطلع ويرى ماذا عند هؤلاء، أو يريد أن يناقش هؤلاء ثم يأتي بشبهات تضر بدينه وتضر ثم أيضاً من الخطأ في بعضهم إذا أثرت عليه الشبهات يأتي وينشرها في الناس ويبدأ يقول: أنا أشكلت علي كذا، ولا يقولها للعالم حتى يكشفها عنه، وإنما يأتي في أناس مثله وفي مستواه العلمي يقول: أشكل علي كذا، وكيف أوفق بين كذا وبين كذا؟ ويبدأ يشوش على الآخرين مثلما هو متشوش في نفسه، وهذا كله من الإساءة للنفس والإساءة للآخرين والإضرار بالدين، فهذه حقيقة جانب خطير.

ألخص الكلام حتى لا نطيل وإن كان الموضوع مهما، أنت أحد شخصين إما أنك شخص ملم وعندك مادة علمية جيدة، وعندك اطلاع، وعندك فهم بالأدلة، وعندك معرفة وقرأت كلام أهل العلم، وقرأت ردودهم على أهل الأهواء، وأصبح عندك ملكة للمناقشة ففي هذه الحالة لك أن ترد وتناقش أيضاً بالضوابط التي ذكرها أهل العلم في الردود على أهل الأهواء.

وإما أنك شخص لا علم عندك ولا فقه، فيقولون: السلامة لا يعدلها شيء، ولا تخاطر بدينك، وإياك أن تفتح هذه الأماكن ولا تدخلها ولا تعرج عليها، لا تخاطر بدينك؛ لأنها ستضر بك غاية الضرر وإذا صادف في مناسبة ما بليت في مجلس معين فبين السنة ولا تناقش، بين السنة، مثلاً شخص أخذ يثير شبهات يقرر فيها عبادة القبور أو نحو ذلك، قل له: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] واذكر الآيات التي فيها التوحيد والدعوة إليه وبطلان الشرك وقل هذه الأشياء أو الشبهات التي تثيرها لها أهل علم يحسنون الرد عليها، أما نحن فعلى بصيرة وعلى بينة من ديننا، وهذه آيات القرآن وهذه أحاديث الرسول –عليه الصلاة والسلام– بين السنة وكف، لا تأخذ في حظار لا تملك أن يكون لك نفس فيه لقلة علمك وقصور بضعتك.

الأخت الكريمة من السعودية تقول: البعض يذهب إلى قبر أحد أقاربه ويذكر له جميع الأحداث التي مرت به بعد وفاة هذا القرين فهل لهذا أصل؟.

لا أصل لهذا، النبي –عليه الصلاة والسلام– لما أذن بزيارة القبور بعد الحظر والمنع بين الهدف، قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) فالإنسان ليس له أن يمكث وإنما يسلم ويتذكر الآخرة ثم ينصرف، وأما عد الأحداث والوقائع والأمور للمقبور فهذا عمل محدث لا أصل له وصاحبه مأزور غير مأجور.

الأخ الكريم يقول: ورد في الأثر أن سيدنا عمر –رضي الله عنه– ذهب يستسقي بعبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– فكيف نفهم هذه القصة بناءً على ما درسنا في كتاب التوحيد؟.

أولاً: لم يستسقِ بعبد الله بن عباس وإنما بالعباس، والد عبد الله والقصة معروفة لما حصل الجدب في زمانه قال: (اللهم إنا كنا نستسقي بنبينا فتسقينا والآن نستسقي بعم نبينا فأسقنا، قم يا العباس فادع الله لن) والحديث واضح (نستسقي بنبين) أي: نطلب منه الدعاء فكانوا يطلبون منه –عليه الصلاة والسلام– أن يدعو لهم في حياته، فيمد يديه ويدعو وهم يأمنون، هذا هو الاستسقاء المراد، ولما مات لم يفعلوا ذلك؛ لأنه مات، ولا يطلب منه الدعاء ولا يطلب منه الاستغفار، وكنت ذكرت قول النبي –عليه الصلاة والسلام– لعائشة وفي صحيح البخاري قال لها: (إن كان ذاكِ وأنا حي استغفرت لكِ) فلا يطلب منه، لا يطلب منه أن يستسقي ولا يطلب منه أن يستغفر وقد قال –عليه الصلاة والسلام–: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة).

ولهذا في زمن عمر استسقوا بالعباس، ومعنى استسقوا بالعباس أي: طلبوا منه الدعاء، ولهذا يقرأ بقية الكلام، قال: (قم يا العباس ادعو الله لن) فقام العباس ومد يديه ودعا وأمن الصحابة، فهذا المراد ولا إشكال فيه.

الأخ الكريم يقول: لدي مداخلة وسؤال: المداخلة أشكر الشيخ ناصر عبد الرزاق جزاه الله خيراً على هذه الشروح، وأنا أعلم أنه تحمل المشاق وتكبد السفر من أجل بث العلم، وقد قال الإمام المبارك –رحمه الله تعالى–: «لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم» وأأكد على مسيس الحاجة إلى إدراك كتاب التوحيد وخطأ قول بعض الناس: التوحيد عرفناه. والحاجة ماسة إلى قراءة كتاب التوحيد مرة بعد أخرى، وقد ذكر شيخنا –حفظه الله– عبد الرزاق في أوائل الدروس بعض القصص على متن كتاب التوحيد، وأذكر قصة أنني رأيت رجلاً من اليمن في المسجد في آخر رمضان الماضي يقول: أتيت المدينة فوقعت بالصدفة على كتاب التوحيد فلما قرأته يقول: اكتشفت أنا كنا نعبد النبي –صلى الله عليه وسلم– تأملوا نفع كتاب التوحيد للناس.

سؤالي للشيخ حفظه الله: كان في فترة ماضية يأتينا أمطار ولله الحمد، بعض الناس لما يزورهم إنسان ويأتي مطر يقول: هذه بركة، وكانوا يعلقون البركة بالرجل مع اعتقادهم أن نزول المطر من الله، وأن هذا الرجل ليس من الأسباب التي جاءت المطر لكن يطلقون لفظ البركة فأنا أسأل عن هذا؟.

شيخنا الكريم، إجابة بإيجاز لسؤال الأخ الكريم وأيضًا كلمة ختامية توجهونها في نهاية درس كتاب التوحيد ونهاية الأكاديمية الإسلامية المفتوحة في هذه الدورة البرامجية؟.

على كل حال شكر الله للأخ الكريم على مداخلته، وفيما سأل عنه هذه الكلمة ما ينبغي أن تقال "مطرنا ببركة فلان" أو بنحو ذلك وإنما مثلما مر معنا (مطرنا بفضل الله ورحمته) الناس يبذلون الأسباب ويتحرون الأسباب ويطبقون السنة ويلتجئون إلى الله، وإذا مُنَّ عليهم بالمطر يقولون: مُطرنا بفضل الله ورحمته. هذا الذي ينبغي على المسلم. وأن يبتعدوا عن الألفاظ التي تؤدي بهم إلى الشرك قد تكون شركاً، وقد تكون ذريعة تفضي بالناس إلى الشرك بالله –سبحانه وتعالى–.

وختاماً أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى على ما من به ويسر من هذا اللقاء الذي نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعله لقاءاً مباركاً وأن ينفع به، وأن يجعل ما قلناه وسمعناه حجة لنا لا علينا، وأن يزيدنا بصيرة في دينه وفقهاً في توحيده، وأن يعيذنا من الشرك ومن الرياء ومن الشقاق ومن النفاق وسيء الأخلاق، وأن يكتب لنا هداية إلى صراطه المستقيم، وأن يعيذنا من السبل الرديئة والمسالك الباطلة إنه نعم المولى ونعم النصير، وعملاً بقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) أشكر للقائمين على هذه القناة وحقيقة أخص بالذكر أخانا الفاضل الشيخ راشد الزهراني جزاه الله خيراً حيث ألح مرات وكرات على هذه المشاركة وكنت أقول له: إن في المدينة وفي الرياض من أهل العلم من هم خير مني وأفضل وخذوا من قريب. فكان لإصراره وإلحاحه هذه المشاركة التي أسأل الله –جل وعلا– أن يتقبلها بقبول حسن، وأن ينفع بها، وأن يثيب الجميع، أشكر أخانا تركي على تفاعله وعلى نشاطه وعلى مواصلته، وأسأل الله أن يبارك فيه، وأشكر الإخوة الحضور هنا على تجشمهم العناء والصعاب على المشاركة، وأيضًا كل من كان متابعاً لهذا الدرس، وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد والهداية والرشاد والإعانة على كل خير والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

التوحيد - المستوى الثالث

أ /د. سليمان بن صالح الغصن

الدرس الأول: باب ما جاء في السحر

بسم الله الرحمن الرحيم. قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في السحر وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾).

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يهدينا ويسددنا ويوفقنا وينفعنا بما علمنا ويجعل علمنا شاهد لنا لا علينا إنه على كل شيء قدير.

ثم إن هذه الدروس المباركة -إن شاء الله- هي امتداد لما بُدء شرحه في كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وهذا الكتاب في الحقيقة هو من أعظم ما أُلِف في جمع مسائل التوحيد وما يناقضه ولا سيما ما يتعلق بتوحيد الألوهية، كما قلت: نبدأ هذا الدرس من حيث انتهى الشرح السابق في باب ما جاء في السحر.

والمؤلف -رحمه الله- عقد هذا الباب لبيان أن السحر ينافي التوحيد، ينافيه لما فيه من الاستعانة بغير الله ولما فيه الشرك بالله وغير ذلك مما سيرد -إن شاء الله- بيانه.

السحر في أصل معناه كما قال العلماء هو: ما خفي ولطف سببه، ولذلك سمي السُحور سحوراً؛ لأنه يكون في آخر الليل ويكون خفياً.

والسحر في حقيقته هو: عزائم ورقى وعُقَد تؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد أمرنا الله -سبحانه وتعالى- بالاستعاذة من شر النفاثات في العقد وهن السواحر اللاتي يعقدن في سحورهن وينفثن في عقدهن.

السحر له صور وأنواع، فقد اختلف العلماء - رحمهم الله- في السحر هل هو حقيقة أم خيال؟

- قال بعض العلماء: إن السحر حقيقة. واستدلوا على ذلك بأدلة، منها الشرعية ومنها الواقعية كما سبق في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهذا حقيقة وواقع.

- الذين قالوا إنه خيال، استدلوا أيضاً بأدلة، ومنها قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦]، قالوا: هذا تخييل.

- الصحيح -والله أعلم- أن السحر منه ما هو حقيقة ومنه ما هو خيال، فبعض السحر حقيقة وبعضه تخييل وكله يسمى بسحر.

ذكر المؤلف –رحمه الله– هنا: (﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾) وهذه آية البقرة فيها دلالة على النهي عن السحر، وبيان عِظَم فعله وسوء عاقبة أهله، وقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ أي عمل اليهود الذين استبدلوا السحر عن الإيمان ليس لهم في الآخرة من نصيب ولا دين، فدلت الآية على تحريم السحر، دلت الآية على أن السحر محرم وهو كذلك في جميع الأديان، كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩]، والآية دليل على أن السحر محرم، وأن صاحبه ليس له عند الله من نصيب، وهذا مما استدل به العلماء على كفر الساحر كما سيأتي –إن شاء الله–. هذه الآية الأولى التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

الآية الثانية: وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾.

قوله: (وقال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾)

المؤلف هنا أيضاً ذكر أثر عن عمر فسر الجبت ما هو؟ قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان» وقال جابر: « الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد ».

الجبت هنا فُسِرَّ عن عمر –رضي الله عنه– بأنه السحر، وهذا تفسير ببعض معناه، فمن معاني الجبت: السحر، والطاغوت هو الشيطان، وكذلك ما جاء عن جابر: «أن الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد» يعني في قبائل العرب، في كل قبيلة لهم ساحر، كل حي يعني: في كل قبيلة من قبائل العرب هناك كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، والله –سبحانه وتعالى– قد ذمهم بفعلهم هذا، وأنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت فمن آمن بالسحر فهو مذموم كما في نص هذه الآية.

قال المصنف: (وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)).

نعم، وهذا الحديث حديث متفق عليه، ووجه الدلالة منه أنه ذكر السحر من الموبقات، ومعنى الموبقات: يعني المهلكات، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث: (اجتنبو) يعني ابتعدوا وهو أبلغ من قول: لا تفعلوا، يعني الاجتناب هو الابتعاد، الابتعاد عن قربان هذا الشيء الذي نهي عنه هو أبلغ من قوله: لا تفعلوا، وفي الحديث ذكر عدة كبائر وهذه الكبائر التي ذكرت في الحديث منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما لا يُخرج من الملة بمجرد فعله فقط، فقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث: (اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بالله) فبدأ بأعظم ذنب وهو أعظم ذنب عصي الله به، وهو الشرك وهو مخرج من الملة كما هو معلوم، ثم ذكر السحر، والسحر أيضاً من الموبقات المهلكات وهذا وجه الاستشهاد من هذا الحديث، ومنها: (قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) والنفس التي حرم الله قتلها هي نفس المؤمن، ونفس الذمي، والمعاهد، والمستأمن، هذه الأنفس كلها محرمة، محرم قتلها، وقوله: (إلا بالحق) فلا تقتل نفس إلا بحق، فالمؤمن قد يقتل بحق إذا كان كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–: (الثيب الزاني والنفس بالنفس – إذا قتل– والتارك لدينه المفارق للجماعة) بضوابطها المعلومة عند أهل العلم، وبعد ذلك أيضاً ذكر آكل الربا بجميع أنواعه سواءً ربا الفضل أو ربا النسيئة وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات هذه كلها من الكبائر التي خصها النبي –صلى الله عليه وسلم– بالذكر لعظمها، وإلا فهناك أيضاً كبائر غير هذه المذكورة، لكنها خُصَت بالذكر هنا لعظمها والتأكيد على تركها، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هنا جعل السحر من الموبقات المهلكات، وجعله بعد الشرك بالله.

بقي عندنا هنا مسألة وهي: حكم السحر، أو حكم الساحر، هل السحر يصل إلى الكفر المخرج من الملة أم أنه ذنب لا يخرج من الملة وإن كان كبيرة؟ وهل الساحر أيضاً كافر وخارج من الدين أم لا؟

في الحقيقة اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك على قولين:

- القول الأول: إن السحر كفر مخرج من الملة، وهو قول جمهور العلماء كالإمام أبي حنيفة ومالك وأحمد وأصحابه، ولهذا القول أدلة كثيرة استدل بها العلماء على أن الساحر كافر.

مر معنا قبل قليل دليل في هذا!!!

قوله:﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ نعم، هذا في التفريق أنه حقيقة، لكن ما وجه دلالة أنه كفر؟ فيه أوجه:

- الوجه الأول: تعليم الناس السحر. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ سبب كفرهم أنهم يعلمون الناس السحر، هذا الدليل الأول.

- الوجه الثاني: قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فدل على أنه كفر.

- الوجه الثالث: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ من نصيب، هذا دليل على أن الذي يتعاطى السحر ليس له في الآخرة من نصيب، بمعنى أن عمله حابط، وهذا دليل على أنه خارج من الملة، فهذه من أدلة القائلين بأن السحر كفر وأن الساحر كافر وهو قول جمهور العلماء رحمهم الله تعالى.

- وأيضاً عللوا ذلك وقالوا: لأنه لا يكون السحر إلا بالشرك، السحر لا يُتعلم إلا بالشرك بالله، فإذا أشرك الساحر وتقرب إلى الشياطين بأنواع من العبادة كالذبح والخوف والاستعانة أو بالردة عن الدين -والعياذ بالله- بالاستعانة بالمصحف أو الاستهزاء بالدين أو نحو ذلك، بهذه التقربات للشياطين يتعلم السحر ويعينونه ويساعدونه في ذلك؛ فلذا قال العلماء: إن تعلم السحر كفر مخرج من الملة.

- القول الثاني: إن السحر منه ما هو كفر ومنه ما ليس بكفر، وهو قول الإمام الشافعي -رحمه الله- وأصحابه. قالوا: إن كان في سحره شرك وكفر فهو كفر مخرج من الملة، وإن لم يكن فيه شرك ولا كفر فإنه لا يخرج من الملة، وإذا قال الإمام الشافعي: «إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر»، يعني كفر باعتقاد إباحة السحر الذي هو كفر أو محرم.

إذن الشافعي -رحمه الله- يفصل في ذلك، ويجعل السحر قسمين: قسم مخرج من الملة، وقسم لا يخرج من الملة، وفي الحقيقة أن كلام الإمام الشافعي -رحمه الله- متوافق مع كلام جمهور أهل العلم، وذلك أن الشافعي -رحمه الله- نظر إلى السحر بمعنى أعم فهو حكم على السحر الذي يخرج من الملة، والذي لا يخرج من الملة وفصل في ذلك، وأدخل في هذا المفهوم - في مفهوم السحر بمعناه العام- الأدوية والتدخينات التي تضر وهي ليست من أعمال الشياطين، بمعنى أن الساحر قد يستعمل بعض الأمور التي تضر بدن الشخص، وهي ليست من السحر، ليست من الاستعانة بالشياطين ولا يقول الإمام الشافعي -رحمه الله- إن الساحر الذي يتعامل مع الشاطين ويتقرب إليهم بالشرك ونحو ذلك إنه ليس بكافر، بل يقول: إنه كافر؛ ولذلك -رحمه الله- بين أن هذا

كفر، لكنه قال: « إن من السحر ما له أدوية تضر وليست من عمل الشاطين» فأدخل هذا المفهوم في السحر وقال: إنه محرم ولكنه لا يصل إلى الكفر.

أما جمهور العلماء رحمهم الله فنظروا إلى السحر بمفهومه الشرعي أو السحر المخرج من الملة الذي يكون فيه استعانة بالشياطين والتقرب إليهم بالشرك أو بالكفر كالاستهانة ببعض شعائر الدين أو نحو ذلك، فحكموا على السحر من هذه الناحية بأن كله كفر، ولم يفصلوا كما فصل الإمام الشافعي -رحمه الله-.

إذا تبين ذلك فنقول: إن السحر في حقيقته ومفهومه في الشرع بأنه الذي يكون فيه استعانة بالشياطين الجن والتقرب إليهم هو بذلك كفر مخرج من الملة؛ لأنه لا يكون إلا بالتقرب إلى الشياطين بأنواع من العبادة والكفر التي تخرج صاحبها من الملة والعياذ بالله.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: كيف لنا أن نرد على القائل إنه كفر دون كفر "يقصد السحر" ؟.

يمكن أن يقال: هذا على تفصيل الإمام الشافعي -رحمه الله- ونقول: ماذا تقصد بالسحر أولاً؟ هل تقصد بالسحر الذي يكون فيه تقرب إلى غير الله، تقرب للشياطين بالعبادة بالذبح، بالسجود، بالاستهانة بالمصحف مثلاً؟ هذا لا يقول مسلم أنه كفر دون كفر، وإن أراد بالسحر مفهوم أعم بمعنى أنه أدخل فيه مثلاً الأدوية التي تضر قد يستعمل أي شخص، قد يستعمل دواء يضر، هذا الشخص يضره قد يضره في عقله قد يضره في بدنه، فهذا نعم هو محرم وإن كان لا يصل إلى الكفر الأكبر المخرج من الملة كما في السحر بمفهومه الأول، فعلى هذا التقسيم الذي يقول: إنه كفر دون كفر، لا يمكن أن يحمل على محمل صحيح إلا على النوع الثاني مما قاله الإمام الشافعي -رحمه الله-.

يقول المصنف -رحمه الله تعالى-: (وعن جندب مرفوعاً: (حد الساحر ضربه بالسيف أو ضربة بالسيف) رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف).

نعم، هذا الحديث روي مرفوعاً وصح موقوفاً ورواه الإمام الترمذي -رحمه الله- والصحيح أنه موقوف كما ذكر ذلك الإمام الترمذي وغيره، وضبط أيضاً لفظه ضربه وضربة وكلاهما صحيح، (حد الساحر ضربه بالسيف) يعني أنه يضرب بالسيف، أو (ضربة بالسيف) بمعنى أنه يضرب ضربة حتى يموت، وهذا فيه دليل على أن الساحر يقتل، وهذا حده، كما يأتي أيضاً في الآثار التي بعده.

(وفي صحيح البخاري: (عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر) وصح عن حفصة -رضي الله عنها-: (أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت) وكذلك صح عن جندب).

أيضاً هنا أثر عن عمر -رضي الله عنه- أشار إليه المصنف -رحمه الله- وهذا الأثر قد رواه البخاري مختصراً، وجاء مبسوطاً عند غير البخاري جاء مطولاً عند الشافعي وأحمد وأبي داود وغيرهم، وهو حديث بجالة بن عبدة (أن عمر -رضي الله عنه- كتب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قالوا: فقتلنا ثلاث سواحر) فهذا دليل على أنه كان من مذهب الصحابة -رضي الله عنهم- قتل الساحر لما في الساحر من مضرة على الناس بإيذائهم وتفريقهم ووجود الشر بينهم، وذكر أيضاً عن حفصة -رضي الله عنها-: (أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت) وهذا أيضاً الأثر صحيح، رواه الإمام مالك وغيره وهذا فيه أيضاً دليل على أن قتل الساحر والساحرة إذا ثبت عليهم ذلك من قِبَل الولاة الذين يثبتون هذا الشيء.

تقول: هل يجوز الذهاب إلى بعض الأضرحة ليس بقصد الاستغاثة ولا الزيارة وإنما بقصد أخذ نظرة من أجل أن يُعْلَم ما يدور في هذا الضريح، وما هي نصيحتكم لبعض الأساتذة الذين يجبرون بعض التلاميذ أن يذهبوا إلى بعض الأضرحة من أجل أن يأتوا ببعض الصور من هذه المآثر، وإن لم يستجب التلميذ عُذر وربما رسب في الامتحان؟.

زيارة القبور كما ذكر العلماء – رحمهم الله– يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

– زيارة شرعية.

– وزيارة بدعية.

– وزيارة كفرية.

أو بالتقسيم العام:

– زيارة شرعية.

– وزيارة بدعية قد تصل إلى الشرك الأكبر.

فالزيارة الشرعية: أن يزور القبر للدعاء لصاحبه كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) وزار النبي –صلى الله عليه وسلم– شهداء أُحد وأرشد أمته على ما يقال حينما يزور القبور، فهذه الزيارة شرعية؛ لأجل الاتعاظ وتذكر الآخرة ولأجل السلام على الميت.

والزيارة البدعية: فإنها تكون بالذهاب إلى الأضرحة والقراءة عندها أو الصلاة عندها أو الدعاء عندها، إذا كان يقرأ لله يعني تقرب إلى الله، ويدعوا الله –سبحانه وتعالى– ويصلي لله –سبحانه وتعالى– فهذا بدعة محرمة، وهي وسيلة أيضاً قد تصول إلى الشرك الأكبر.

والزيارة الكفرية: إذا ذهب إلى القبر أو الضريح وطاف به، يتقرب إلى صاحب القبر أو يدعوا صاحب القبر ويستغيث به ويسأله المدد أو الولد أو النصر أو الشفا أو الرزق أو نحو ذلك فهذا شرك مخرج من الملة– والعياذ بالله–.

وهذا هو دين المشركين فلا فرق بين أن يذهب الشخص إلى صنم يدعوه ويسأله أن ينصره أو يرزقه أو يذهب إلى شخص ميت لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فيسأله أن يجلب له نفع أو يدفع عنه ضر، هذا لا شك أنه من الشرك، والنبي –صلى الله عليه وسلم– وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ﴿لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، والله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، وقال في الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فالآيات في ذلك كثيرة والله –عز وجل– يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، يسمى الدعاء عبادة.

والمقصود أنه لا يجوز الذهاب إلى القبور والأضرحة بقصد التبرك بها ولا دعاء أصحابها ولا نحو ذلك، ولا يجوز أيضاً – كما ذكرت الأخت السائلة– أن يستجيب الطلاب لأساتذتهم بالذهاب إلى القبور ذهاباً بدعياً أو

شركياً لكن لهم أن يذهبوا إليها ويسلموا على أهلها إن كانت هذه القبور قبور المسلمين، وأيضاً يمكن للشخص أن يذهب ويرشد إذا رأى أناس هناك عندهم بعض البدع أو عندهم بعض الجهل الذي يمارسونه حول تلك القبور أو الأضرحة ينكر عليهم بالأسلوب المناسب ويرشدهم ويبين لهم ويوضح لهم، فيكون ذهابه إلى هذا المكـــان فيـــه دعوة إلى الله ونشر للتوحيد وتحذير مما ينافيه أو يضاد كماله.

فضيلة الشيخ إذن الذهاب لمجرد الذهاب والاطلاع فقط هل في ذلك بأس؟.

كما قلنا في أقسام الزيارة، وأنها على الثلاث أنواع. الذهاب إلى الأماكن التي يُمارس عندها الشرك لا يجوز، لا يجوز الذهاب لما في ذلك من الإيهام بأن هذا الشخص ذهب وكَثَّر سواد أهل البدع قد يكون هـــو لا يتقـــرب للميت لكن الناس لما رأوا هذا الشخص ذهب قد يقول: إن فلان ذهب إلى هذا المكان ولم يدعو؛ ولذلك النبـــي – صلى الله عليه وسلم– نهى الرجل في مفهوم الحديث أن يذبح إبلاً عند مكان يتقرب فيه لغير الله، لما (نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ينحر إبلاً ببوانة ، فأتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فقـــال : إنـــي نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوف بنذرك فإنه لا وفـــاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم) فدل على أن من نذر ويَذبح في مكان يُذبح فيه غيـــر الله هـــذا لا يجوز لما فيه من تكثير سواد هؤلاء والتغرير بهم والله –عز وجل– يقول في مسجد الضرار: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، ابتعد عن نحوه، خوفاً من أن يكون فيه لبس الحق بالباطل فينبغي للشخص ألا يذهب إلى هنـــاك لمجرد الاطلاع والزيارة إلا – كما قلت– إذا كانت هناك مصلحة شرعية ينكر عليهم، يدعوهم، يبين لهم، يطلـــع على واقع الحال حتى يحذر هؤلاء أو يحذر غيرهم إذا كان في ذهابه مصلحة شرعية، فيمكن أن يذهب، أما إذا لم يكن هناك مصلحة شرعية فلا يذهب إلى أماكن الشرك والمنكرات، والله أعلم.

يقول: هل أجمع الصحابة على أن الساحر يُقتل؟.

لم يرد عن الصحابة –رضي الله عنهم– ما يخالف أمر عمر –رضي الله عنه– وفعل جندب وحفصة وهذا هو الذي صح، صح عن ثلاثة من صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذلك، ولا أعلم أحداً خالفهم.

يقول: هل سبب الحكم بكفر الساحر أنه يزعُم أنه شريك لله في الربوبية مثل التدبير والرزق وكذلك الألوهيـــة بطلب عبادته وشياطينه؟.

أحسنت هذا سؤال جيد، هو لا يلزم أن يدعي الساحر ذلك، بل إن السحرة قد يتظاهرون بالصلاح، الـــسحرة يتظاهرون بالصلاح، قد يتظاهر بأنه يقرأ القرآن وأن عنده رقية شرعية، وقد يتظاهر بمظهر أهل الـــدين وهـــو كاذب، قد لا يظهر شركه وكفره، ولكن هذا من المعلوم أن الشياطين لا يعينون ولا يساعدون إلا من يتقرب إليهم ويعينهم ويتذلل إليهم.

(قال أحمد: «عن ثلاثة من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– »).

نعم (هو عن ثلاثة) يعني أنه صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم كما سبق عمر –رضي الله عنه– وحفصة –رضي الله عنها– وجندب –رضي الله عنه– كلهـــم صـــح عـــنهم قتـــل السحرة، فهذا دليل على أن الساحر يقتل.

وهنا أيضاً مسألة وهي الخلاف في قتل الساحر هل يقتل كل ساحر؟ أو بعض السحرة؟

– على قول جماهير العلماء: إنه يقتل كل ساحر؛ لأنه مشرك وكافر ومرتد.

– أما على قول الإمام الشافعي – رحمه الله– الذي فرق بين أنواع السحر « فقال إن عمل في سحر ما يبلغ الكفر يقتل وإلا فلا يقتل» وسبق أن ذكرنا أن هذا الخلاف هو اختلاف في بيان مفهوم السحر وحقيقته، وإلا فالإمام الشافعي –رحمه الله– يرى كفر الساحر الذي يرى جماهير العلماء كفره وهو الذي يستعين بغير الله ويتقرب إلى غير الله.

طيب هنا سؤال أيضاً هل يستتاب الساحر أم لا؟ هل يستتاب بمعنى أنه حينما يقبض على ساحر هل يستتاب وتقبل توبته؟ أم أنه ينفذ فيه الحد ويقتل بلا استتابة؟

ما من ذنب إلا له توبة.

ترى أنه يستتاب.

اختلف العلماء –رحمهم الله– في ذلك:

– منهم من قال: إنه يستتاب؛ لأن المشرك إذا تاب من شركه قُبلت توبته والساحر مثله قالوا: مثل سحرة آل فرعون لما تابوا.

– القول الثاني: إنه لا يستتاب بل يُقتل على أي حال طالما أنه وصل إلى السلطان فإنه يقتله لقوله –صلى الله عليه وسلم–: (حد الساحر ضربة بالسيف) فيما روي عنه وكما قلنا الصحيح أنه موقوف.

الساحر إذن يُقتل بلا استتابة هذا عند بعض العلماء وبعضهم فصَّل وجعل أيضاً الأمر راجع إلى نظر الإمام، وإلى نظر ولي الأمر، إن رأى ولي الأمر أن يستتيبه فإنه يستتاب، وإن رأى أنه يُقتل بلا استتابة؛ لأنه قد يكون مخادعاً في توبته فإنه يقتله، وعلى هذا القول: فإن الساحر يُقتل سواءً كان قتله حداً أو كان قتله ردة فإنه يقتله ولي الأمر إن رأى ذلك بلا استتابة لما فيه من الضرر العظيم على الناس؛ ولأن هذا قد لا يؤمن في أن يرجع إلى سحره مرة أخرى وأن يكون مخادعاً، هذا في التوبة الظاهرة كما قال العلماء، أما التوبة الباطنة في ما بينه وبين الله فإن صدق في توبته فالله يقبل توبة التائبين، من صدق في توبته فالله يقبل توبته، لكن الأحكام هنا أحكام الدنيا تُجرى على الظاهر؛ ولذلك خلاف العلماء هل تُقبل توبته أو لا تُقبل هي في مسألة التوبة ظاهراً، هل تُقبل أو لا؟ والله أعلم.

يقول: بالنسبة لم انتشر هذه الأيام من عروض السرك ما حكم تعلمها، وما حكم الذهاب لمشاهدة هذه العروض سواءً في التلفاز أو في صالات العرض؟.

أنا أحب قبل أن أجيب على هذا السؤال أن أسأل سؤالاً ولعله يُجاب عنه في حلقة قادمة، وهو ما الفرق بين السحر التخييلي والسحر المجازي؟ السحر قلنا هناك سحر حقيقي وهناك سحر تخييلي أو خيالي، يعني السحر منه ما هو حقيقة ومنه ما هو خيال، وأريد هنا أن يُفرق بين السحر التخييلي والسحر المجازي، وقبل أن نجيب على هذا السؤال ولعل في الإجابة عليه من الإخوة أن يكون هناك أيضاً جواب على هذا السؤال.

إذن يكون –إن شاء الله تعالى– سؤال من أحد أسئلة الدرس القادم –إن شاء الله–.

نعم.

الأخت الكريمة تقول: ما حكم الخوف من الساحر وشره؟ وأنه قد يضر فهذا شيء دارج لدينا، الخـوف مـن ضرر السحر حتى لو أخفى الشخص ذلك، ولكنه يبطن الخوف من الساحر فما حكم ذلك؟.

الخوف -إن شاء الله- سيرد شرحه في باب مستقل.

أنواع الخوف: الخوف الجائز، والخوف المحرم، ولكن المؤمن قوي الإيمان يثق بـالله -سـبحانه وتعـالى- ويتدبر آياته، ومن ذلك قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِـإِذْنِ اللهِ ﴾ [البقـرة: ١٠٢]، حينما يعلم هذا ويوقن به يكون عنده قوة وارتياح وثبات، وأما الخوف الطبيعي إذا كان خوفاً طبيعياً فلا يؤاخذ به الإنسان، الخوف الطبيعي لا يؤاخذ به الإنسان كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١]، أما الخوف غير الطبيعي فهناك خوف قد يصل إلى الشرك -والعياذ بالله- وهو خوف السر كما قال العلماء، وهو أن تخاف من المخلوق كما تخاف من الله -سبحانه وتعالى- أن يضرك بإرادته يـستطيع أنـه بإرادتـه أن يفعـل ويتصرف في الكون ونحو ذلك، فهذا من الخوف الذي لا يجوز إلا من الله -سبحانه وتعالى- وسيرد -إن شـاء الله- تفصيل أكثر لهذا.

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب بيان شيء من أنواع السحر قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفـر حـدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) قال عوف: العيافة زجر الطير والطرق: الخط يخط بـالأرض، والجبـت: قـال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد).

طيب هو حقيقة يمكن هذا قد يعني نأخذ بعض هذا الباب والمؤلف -رحمه الله- لما ذكر السحر والتحذير منه وبيان خطره وحد الساحر عقب ذلك بباب ذكر فيه شيء من أنواع السحر مما يدخل في السحر المحرم وبعضه لا يخرج من الملة هناك أنواع من السحر لا تخرج من الملة هناك أنواع من السحر لا تخرج من الملة وهنـاك أنواع من السحر أيضاً كما سيرد قد لا تكون أيضاً محرمة على بعض وهذا قول بعض العلماء كما سيتبين -إن شاء الله-، فالمؤلف -رحمه الله- ذكر بعض أشياء مما يدخل في مفهوم السحر العام، وذكر منها الحديث الأول: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم وهو حديث متكلم في سنده وحسنه بعض العلماء -رحمهم الله-.

فالعيافة كما قال أهل العلم، العيافة: زجر الطير، يأتي شخص ويزجر الطير ليستدل من هذا الزجر على بعض الأمور، يستدل بأصواتها أو يستدل بممرها أو نحو ذلك، يستدل على بعض الأمور التي قد يتفائل منها أو يتشائم، والطرق هو الخط، أي خط يخط في الأرض، فيخط خطوطاً في الأرض ويضرب بحصى، ويدعي فيهـا علـم الغيب، يدعي أن هذه الخطوط يستدل بها على بعض المغيبات، وهذا مما يدخل في السحر باعتبار أن سببه خفي، هذه الأمور تجد أن سببها خفي غير واضح وغير ظاهر؛ فلذلك عدت من الجبت أو من السحر.

والطيرة هي التطير والتشاؤم، التشاؤم بالطيور وبالأشخاص وبالبقاع وبالأزمان، بالأعداد، وبغير ذلـك كمـا سيرد -إن شاء الله- بيانه في باب مستقل في حكم الطيرة ففي هذا ذكر أن العيافة والطرق والطيرة أنهـا مـن الجبت بمعنى أنها من السحر، والجبت في الأصل: هو الشيء الذي لا خير فيه، فهذه الأمور لا خير فيها وهـي رديئة وفاسدة ولا يجوز الاعتماد عليها ولا الأخذ بها، فهذه جعلت من الجبت، وقال الحسن: « رنت الشيطان »، وهذا طبعاً قولٌ أُثر عن الحسن -رحمه الله- الرنين: هو الصوت، ويقال للشيطان رن أربع رنات لما لُعن ولمـا أهبط ولما ولد النبي -صلى الله عليه وسلم- وحين نزلت الفاتحة والله أعلم بذلك، هذا مما جاء عن بعض السلف رحمهم الله والمقصود بهذا أن المؤلف -رحمه الله- ذكر هذا الحديث أو صدر بهذا الحديث هذا الباب لبيان أنواع

ما جاء ذكره أنه من السحر، ولا يلزم بالضرورة أن يكون مثل السحر الذي فيه اعتماد على الشياطين والاستعانة بهم والشرك بالله، فهذه تستعمل وهي محرمة وسيرد ذكر أيضاً تفصيل في حكمها، بعضها يدخل في الشرك الأصغر لكنها عدت من الجبت بالمفهوم العام بمعنى أنها قد يكون سببها خفياً فالشخص حينما يتطير بطير ويذهب يمين أو يسار ويمضي إلى شأنه أو يرجع على عقبه بسبب حركة هذا الطير أو صوته أو نحو ذلك، هذا سبب خفي غير ظاهر واعتمد عليه هذا الشخص فعُد هذا من الجبت؛ لأنه فيه تشبيه بالسحر الذي خفي ولطف سببه.

أود أن أسأل سؤالاً يثار دائماً ويواجهه كثير من الناس حينما يكون الفرد خاصة في سياحة خارجية خارج هذه البلاد تنتشر قارئة الفنجان أو قارئة الكف، تقابل من يسير في الشارع أو في مكان عام، ثم تقرأ سواء من رجل أو امرأة تقرأ هذا الكف أو تتوقع له ماذا سيكون ماذا سيحصل له في مستقبل أيامه، هذه القارئة أو هذا القارئ لا يعتقد أنه يعلم الغيب وإنما هو يخادع هؤلاء البشر أو هؤلاء الناس، الحكم يا شيخ حينما يكون يعتقد أنه يعلم الغيب أو هو مخادع فقط، والحكم كذلك فيمن يتوجه إلى هؤلاء؟.

أحسنت بارك الله، الحقيقة سؤال مهم وهو من الأمور التي انتشرت في كثير من بلدان العالم ولعل هذا أقرب ما يكون إلى الكهانة وسيكون -إن شاء الله- لها حديث خاص في باب خاص في الكهانة وأنواعها من الشعوذة وقراءة الكف والفنجان وأيضًا هناك باب خاص بالتنجيم ومعرفة الحظ ونحو ذلك، وأيضًا سيكون هناك بيان الاختلاف، حكم الشخص الذاهب إلى هؤلاء حينما يكون مصدقاً لهم أو يكون غير معتقد صدقهم فهذه لها أحوال ولها أحكام لعلنا نرجئها إلى بابها الأنسب -إن شاء الله-.

تقول: عندي سؤالين: السؤال الأول: معلوم عند فضيلتكم أن بعض السحرة يعملوا السحر بدم الحيض - أكرمكم الله- فإذا عملوا سحر بدم الحيض لإنسانة لا تعلم، فهل هذه الإنسانة التي لا تعلم هل تتضرر من جراء يعني هي عليها ضرر؟

السؤال الثاني: هل يمكن أن مردة الجن يتسلطوا على شخص لدرجة أن يفقده البصر ويفقدوه الحواس ويسلطوا عليه نيران تنشأ في جسده عياناً أمام الناس وهو يحس بها، وهل الشخص الذي يلتزم بالأذكار الصباحية والمسائية يقرأها بعقيدة وإخلاص ينجو من ذلك؟

يقول: عندي سؤالين: السؤال الأول: حكم الذهاب إلى الساحر وسأله وهو معتقد أنه بسؤاله هذا عن شيء حصل ويعلم أن الجن قريبين وأنه سيعلمه بما حصل ليس غير؟ يعني يسأل لاعتقاده أن هذا الساحر يعرف ما حصل عن طريق الجن، ولا يعتقد أنه يعلم الغيب؟

السؤال الثاني: زجر الطير نريد تفصيل أكثر عنها هل هناك فرق بين الطيرة وزجر الطير؟

يقول: بالنسبة للمطالع في المجلات يقول: هذا أنا بُرجي الجدي وهذا بُرجي كذا إلى آخره وهناك بعض الناس يتفائل به، نبغى تعليق الشيخ؟.

سألت عن تسلط المردة وإصابتهم لبعض الأشخاص، هل هم بهذه القوة من الإصابة؟.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بالنسبة للسؤال الأول: إذا أخذ الشيطان شيئاً من شخص لا يعلم به وسُحِرَ به شخص آخر فهل عليها إثم؟ نقول: لا، هل لأنها هي لم ترضى ولم تعلم الإثم على من فعل، لا على الغافل المنكر، الكاره، أما الأذية فالأذية حاصلة تحصل، والله -عز وجل- بين ذلك وأمر بالاستعاذة منه وبين أنهم شرور وفيهم شر قال: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق: ٤]، فسماها شر، وقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهذا شر، وقد يُمرضون أشخاص وقد يقتلون هذا حاصل، فهم يؤذون مثل شياطين الإنس أيضاً شياطين الإنس قد يؤذون، قد يكون الإنسان شيطاني إنسي فيؤذي غيره بأنواع من الأذية وهذا يكون من الجن والإنس، والاحتراز لا شك أنه بالأذكار والأوراد فهذه حصن حصين ومانع بإذن الله –سبحانه وتعالى– من تسلط الشياطين؛ ولذلك الشياطين إنما تخترق حاجز الحواجز الضعيفة أو البيوت العارية بلا حواجز بلا أوراد بلا أذكار، القلوب المتعلقة بالشياطين المتعلقة بالمعاصي بالبدع بالخرافات، هذه تخترق سريعاً، أما الذين يعتصمون بالله –سبحانه وتعالى– فإن الله يحفظهم وإذا ابتلاهم الله –سبحانه وتعالى– ببعض هؤلاء فإن هذا من الابتلاء الذي يرفع الله به درجاتهم أو يكفر عنهم سيئاتهم، وأفضل الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم– قد سُحِر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، والسحر موجود في اليهود وهم من أكثر الناس سحراً، مع أن العجيب أن في التوراة نهي عن ذلك، في التوراة ورد في التوراة في سفر الخروج ورد نص: «لا تدع ساحرة تعيش» فهذا يدل على أنه من كتبهم القضاء على السحر والسحرة، ومع ذلك نجد أن هذا منتشر عندهم، فالمقصود أنهم سحروا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مشط ومشاطة في طلعة ذكر وفي بئر ذروان، وكان يُخيل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وبالمناسبة هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره ثابت، ومع ذلك نجد بعض المسلمين يشكك فيه، ويشكك في صحة الحديث وفي ثبوته وفي حصول هذا الشيء، ومن شبهتهم في ذلك أنهم يقولون: إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يمكن أن يسحر؛ لأنه لو سُحِر لكان في ذلك طعن في الرسالة وتصديق للمشركين الذين قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الإسراء: ٤٧]، ولكن الرد عليهم بأن يُقال: إن الحديث صحيح وثابت، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر بذلك، وقال: (إن الله شفاني منه) وهذا من الابتلاء وأنزلت عليه المعوذتين وقُرِء عليه وشفي بإذن الله، ولا يطعن ذلك في الرسالة؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– معصوم فيما يبلغ عن ربه ولم يتأثر عقله بذلك، وإنما كان سحره في شيء معين خاص، وهو أنه كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وقد فُسِّرَّ في بعض الروايات: (أنه يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهم) فهذا حاصل إذن ليس لنا أن ننكر حقيقة السحر، ولكن نقول أنه لا يكون شيء إلا بإذن الله الكوني القدري فهو –سبحانه وتعالى– الذي يُقدر ما يشاء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

تقول: يا فضيلة الشيخ أنا قصدي هل هي تصاب بأضرار جسدية، هل تصاب بأضرار من جسمها من جراء أن استخدم شيء من جسمها وعُمِلَ به سحر لشخص آخر؟ وجزاكم الله خيراً؟.

الله أعلم، هؤلاء السحرة إن تسلطوا عليها قد يضرونها لكن عليها هي أن تستعين بالله وأن تحتاط لنفسها بالأذكار والأوراد الشرعية والله أعلم.

قضية أنه حينما يسمع الإنسان أو بعض الناس هذه الأخبار، وهذه القصص عن هؤلاء السحرة وإصابة الناس يُصاب بنوع من الوهم بنوع من القلق يتصور أي إصابة عرضية يُصاب بها، أنها نوع من السحر إنما عُمِلَ له عمل، حول توجيه فضيلتكم لمن يفكر هذا التفكير بأن هذه الأمور بأقدار الله –عز وجل– وتقدر بقدرها، لا يعطيها الإنسان أكبر من حجمها؟.

حقيقة تنبيه مهم. نسأل قبل: ما الذي يدفع الناس للذهاب إلى السحرة، الحقيقة الذي يدفع الناس إلى الذهاب إلى السحرة؟

الحقيقة أن الذي يدفع الناس إلى الذهاب إلى السحرة هو ما يعيشونه من القلق والهم والطجر والحيرة وضعف التوحيد والإيمان في قلوبهم مما يسبب عندهم الأزمات النفسية فيلجئون إلى أمور كثيرة، منهم من يلجأ إلى المخدرات ومنهم من يلجأ إلى المهدئات ومنهم من يلجأ إلى السحرة والكهان والمشعوذين وغيرهم، فهذا سببه في الحقيقة هو ضعف الإيمان وضعف التعلق بالله –سبحانه وتعالى– فيذهبون إلى ذلك، وإذا ضعف تعلق الشخص بربه –سبحانه وتعالى– وضعف توحيده كثرت همومه وضعفت نفسه وكثرت وساوسه وبدأ يتخيل كل شيء عليه

ويفسر كل كلمة عليه وليصاب بأي إصابة ولو قليلة نكدت عيشه بسبب بعده عن الله وتعلقه بهذه الدنيا، وخوفه من الناس لأن الإنسان إذا ضعف خوفه من الله زاد خوف الناس في قلبه فعلى الإنسان أن يقوي إيمانه ويعتمد على ربه –سبحانه وتعالى–.

يقول: يقولون إن الإنسان إذا سُحِر أنه ما يُشفى منه حتى لو تعالج وطلع منه؟ أن يبقى أثره في الإنسان؟.

حينما يذهب الإنسان إلى الساحر وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن هذا الأمر حصل ويعرف أن الساحر سيعلم هذا الأمر حينما يخبره بذلك الجن. ما الحكم في ذلك؟.

ما فهمت السؤال كيف يعني؟

حينما يذهب الإنسان إلى ساحر ويسأله عن أمر –وقع هذا الأمر– هو يعتقد في قرارة نفسه أن هذا الساحر عَلِمَ بحصول هذا الأمر عن طريق الجن؟ ولا يعتقد أن هذا الساحر مثلاً يعلم الغيب أو كذا؟.

يعني يذهب إلى الساحر ليعلم هذا الغيب الذي غاب عنه هو نفسه؟

نعم.

هذا يدخل في الذهاب إلى الكهان والسحرة، وهذا لا يجوز، لا يجوز مطلقاً وسيأتي –إن شاء الله– تفصيل هذا في باب الكهان وحكم الذهاب إليهم ومعرفتهم للغيب أو الزعم بأنهم يعلمون الغيب سواءً النسبي عن بعض الأشخاص وعلى كل حال، ولا يجوز أن يذهب الإنسان إلى السحرة وإلى الكهان لهذه الأمور؛ لأن هذا فيه إعانة لهم على شركهم وعلى باطلهم؛ ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (ليسوا بشيء) فقال: إنهم يخبرون عن الشيء فيكون، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ليسوا بشيء) ونهى عن الذهاب إليهم.

كذلك يسأل عن الطيرة والفرق بينها وبين زجر الطير أو الجمع بينهما؟.

الطيرة هي أعم من زجر الطير، لكن زجر الطير هو أساسها، وأصل اشتقاقها وكما قلت: هو في باب مستقل –إن شاء الله– سيأتي الحديث عنه لكن نقول باختصار: أن زجر الطير كانت العرب إذا أراد أحدهما أن يسافر أو يمضي لحاجة زجر الطير بمعنى أثارها فإذا ذهبت إلى اليمين ولته ميامنه يسمُّونها السوانح، ويتيمن ويذهب، وإذا ذهبت إلى جهة اليسار ولته مياسرها وسموها البوارح فيتشائم ويرجع عن مقصوده، وإذا ذهبت أمامه يسمى الناطح والنطيح، وخلفه يسمى القاعد والقعيد، المهم أن أصلها زجر الطير وإثارتها ثم يتشاؤم ويتطير بها.

أما التطير فهو أعم من ذلك، فهو التشاؤم أو التفاؤل بأي شيء غير الطير كما قلنا سواءً بأشخاص بأزمان بأعداد بأماكن بأي أمر يتشائم منه.

نسبتها إلى الطيرة يا شيخ نسبة هذا الأمر التشاؤم والتفاؤل؟.

لأن أصله من زجر الطير، أصل الفعل هذا كان من التطير بالطير.

يسأل عن بعض الأبواب في المجلات حول الطوالع والأبراج وكذا... وكون الإنسان يتفائل فيها ويتابعها باستمرار؟.

وهذه -إن شاء الله- أيضاً سيأتي لها حديث وهو التنجيم، وبيان أن التنجيم بمعنى اعتقاد أن حركات النجوم يستدل بها على الحوادث الأرضية وما يحصل في الكون، هذا مُحَرَّم وهو من ادعاء علم الغيب وسيرد تفصيله -إن شاء الله-.

يسأل عن المصاب بالسحر حتى وإن شُفي من ذلك إلا أنه يبقى أثر من ذلك السحر؟.

لا ندري نحن عن حقيقة هذا، قد يصاب الإنسان ويُشفى شفاءً تاماً بإذن الله وقد يبقى فيه شيء من ذلك، كالمرضى، من المرضى من يصح كأن لم يكن به شيء، ومنهم من يكون فيه بقايا من آثار مرضه.

يقول: ما حكم من يعتقد بأثر السحر على حياته كالإجهاد والطلاق والفشل في العلم والعمل؟.

قلنا إن السحر قد يكون له حقيقة، لكن لا ينبغي للإنسان أن يسترسل مع أي حادثة تحصل له في حياته أن ينسبها للسحر؛ لأن هذا حقيقة من الضعف والخور نحن لا ننكر السحر لكن لا نريد للإنسان أن يعيش في أوهام، وقلق وتفسير دائماً لأي أمر يصيبه أنه سحر.

يقول: ما حكم من يمارس السحر دون شرك، أن يقرأ آية الكرسي مثلاً قراءة عكسية دون التقرب من الشياطين؟.

لم أدري هل إذا قرأها يكون ساحر بذلك، ثم إن قراءتها قراءة عكسية هذا مُحرم، وإذا اعتقد أن جواز ذلك هذا قد يكون فيه ردة؛ لأن هذا فيه لعب بآيات الله -سبحانه وتعالى-.

تقول: ما حكم من يأجر مَسْكَناً لساحر، وهل هذه الأجرة تعتبر من المال الحلال؟.

من أجر بيته لأجل أن يفعل به معصية، هذا مُحَرَّم لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]، فلا يجوز لشخص أن يؤجر بيته ليكون مقراً لمعصية سواءً لسحرة أو يكون بيت دعارة أو بيت خمور أو نحو ذلك من المحرمات.

تقول: شخص مسحور يقرأ سورة البقرة يومياً هل ينفك ويبطل هذا السحر؟

أبرز ماذا يجب على الشخص المسحور أن يفعله خاصة في مجال الرقية وعلاج هذا السحر؟.

سيأتي -إن شاء الله- بعد بابين تقريباً وهو باب النُشرة، والنُشرة هي حل السحر عن المسحور وسيكون فيها -إن شاء الله- بيان للنُشرة الشرعية وحل السحر بالطرق الشرعية بإذن الله.

يقول: رجل يكتب عزائم من القرآن يُقال أنها تشفي من الحمى، هل هذا يُعد سحراً ؟

يكتبها على ورق أو توضع في علبة أو كذا وتوضع على الجسم.

إذا كانت من قبيل التمائم التي تُعَلَق فهذه اختلف فيها، السلف -رحمهم الله- في المُعلق إذا كان من القرآن والأدعية، منهم من أجازها باعتبار أنها آيات قرآنية وأدعية مأثورة، ومنهم من منعها وهذا أقرب؛ لأن تعليق التميمة ورد النهي عنه مُطلقا كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من تَعَلَق تميمة فقد أشرك)؛ ولأن تعليق التمائم حتى ولو كانت من القرآن هذا قد يكون وسيلة لتعليق ما ليس بقرآن، ولأن الإنسان قد يعلق شيئًا من القرآن وآخر يراه فيعلق شيئًا آخر غير القرآن وتختلط التمائم، ولا نعلم ما الذي من القرآن وما ليس كذلك؛ ولأن

تعليق التمائم ولو كان من القرآن فيه عرضة لامتهانه، وأيضاً هذا لم يرد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يصح أيضاً عن الصحابة -رضي الله عنهم- حتى الذين روي عنهم أنهم أجازوا تعليق ما كان من القرآن كعبد الله بن عمرو بن العاص فالصحيح أنه ما كان يعلقها على أولاده من باب التميمة وإنما كان يُعلِق القرآن عليهم ليحفظوه، يُعلِق سورة ليحفظوها كما كان السابقون يعلقون ألواحاً ليحفظها الصغار، فالمقصود أنه إذا كان المقصود بهذه العزائم أنها تُعلَق كتميمة فالأولى الابتعاد عنها دفعاً للمفاسد التي قد تحصل من تعليقها، أما إذا كان يقرأ مثل ما كان يقرأ بماء أو زيت ويشربه المريض فهذا لا بأس به -إن شاء الله-.

يقول: هل يجوز الصلاة وراء الإمام إذا ثبت تعاطيه للسحر الغير مخرج من الملة؟.

السحر الغير مخرج من الملة بمعناه العام بمعنى أنه يعمل أدوية تضر الناس فهذا في الحقيقة ليس أهلاً لأن يكون إماماً، هذا مؤذي وضار ينبغي أن يُبعَد ولا يؤم الناس والمسلمين إلا إنسان مطيع لله -سبحانه وتعالى- متمسك بسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وينبغي على المسلمين ألا يقدموا إلا من يثقون بدينه وإيمانه وعقيدته؛ لأنه هو سيكون قدوة فإذا كان هذا الساحر هو الإمام فإنه سيفسد على المسلمين من خلفه ويزين لهم باطله والعياذ بالله.

تقول: ما توجيهكم لمن يحتج بأن نبياً من أنبياء الله كان يَخُطّ؟.

هذا الحديث ورد وهو حديث صحيح: (أن نبياً كان يَخُطّ فمن وافق خطه فذاك) ولكن العلماء -رحمهم الله- أجابوا على ذلك بأن قالوا: هذا فيه بيان من النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه لم يستطيع أحد أن يخط كخط النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يخط فالنبي كان يخط بوحي من الله -سبحانه وتعالى- والنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قال: (فمن وافق خطه) ومن يعلم هل خطه الذي يخطه موافق لخط النبي السابق أو لا؟ هذا لا أحد يعلمه فمفهوم الحديث أنه لا أحد يستطيع ذلك والنتيجة أنه لا يجوز الخط.

تقول: هل يجوز الدعاء على الساحر بأن يهلكه الله عزو جل؟ وهل يجوز أن يقال بأنه فاجر وغير ذلك؟ ويُسب بالألفاظ البذيئة الأخرى؟.

المشروع للإنسان أن يستعيذ بالله والاستعاذة بالله هي التي تحفظ الإنسان وتقيه، ويتعوذ بالله من شره ويعتصم بالأوراد، أما مجرد السباب هذه لا تنفع الشخص ولا تدفع عنه الضُرْ، الإنسان يعتصم بالله ويحترز من شر هؤلاء بالأذكار والأوراد، ويُحَّذر الناس من شرهم ومن باطلهم.

فضيلة الشيخ هناك للأسف الشديد نتيجة عداوات معينة أحيانًا وصراعات حول متاع هذه الحياة الدنيا، تنتج عداوات كثيرة يسعى البعض من ضعاف الإيمان في السعي حثيثاً للإضرار بمن يعاديه، يسلك لذلك طرق شتى منها الإضرار من خلال السحر وعِظَم هذا الأمر وأثره على من قام بهذا العمل، وعلى هذا الشخص المسحور، الرجل المسكين الذي يعاني من حياته؟.

هذا -حقيقة- دليل على ضعف الإيمان، وعلى أن هذا الشخص يشتري الحياة الدنيا بالآخرة، كيف يرضى أن يضر مسلم ويضره أيضاً بما يُخرجه من الملة -والعياذ بالله-؛ لأن العلماء نصوا على أن الساحر سواءً من سَحَرَ ومن رضيّ بالسحر فهو كافر؛ لأن السحر كفر والراضي بالكفر كافر، فمن يرضى بأعمال السحرة ويرضى بما عنده من الشرك والكفر فهذا كفر؛ لأنه لا يجوز أنك ترضى به فضلاً عن أن تذهب إليهم وتطلب منهم ما هو فيه أذية للمسلمين وما يكون سببه الشرك بالله بل الواجب عليك أن تحذر من السحرة وأن تحتقرهم، وهنا أيضاً نحب أن أنبه إلى أمر وهو أن السحرة إنما يكثرون في ذهاب الناس إليهم وبتعظيمهم لهم والساحر يتعلم السحر لأمور الساحر يحب أن يدخل هذا الميدان لأمور:

الأمر الأول: أنه هو نفسه شريرة يحب الشر ويكره الخير، ويحب إيذاء الآخرين.

الأمر الثاني: محبة التعظيم لهم، أن السحرة يحبون أن ينظر إليهم الناس بنظرة تعظيم وخوف وإجلال ونحو ذلك.

الأمر الثالث: محبة ابتذاذ أموال الناس وأخذها منهم بالسحر فهذه كلها أسباب تجعل بعض الناس -والعياذ بالله- يرتمي في هذا الكفر؛ ولذلك كثر السحرة في العالم حتى في البلاد المسلمة وفي البلاد الكافرة، حتى أنه يوجد إحصائية أن في فرنسا فيه ثلاثين ألف ساحر، وفي إحصائية في ألمانيا ثمانين ألف ساحر، فهذا دليل على كثرتهم وسبب ذلك أن الناس هم الذين يكثرونهم بالذهاب إليهم وبتعظيمهم، وهم إذا ذهب إليهم الشخص تعلق بهم ويستمر بذهابه إليهم، ولذلك ينبغي الابتعاد عنهم والتحذير منهم وإذلالهم وأنهم ليسوا بشيء، والعجيب أنه حتى في القوانين، قوانين الدول الغربية تجد في قوانينها معاقبة لهؤلاء، ورد في القانون الفرنسي في قانون العقوبات أنهم نصوا في قانون الجزاء نصوا على حظر السحر حتى نصت المادة عند مادة العقوبات بالسجن من سنة إلى خمس سنوات لحق المشعوذين والعرافين هؤلاء الذين يدجلون على الناس ويدعون أنهم يشفون المرضى ونحو ذلك، إنهم يعني يبتزون أموال الناس بالباطل حتى إنه في بعض الإحصائيات أن في فرنسا أن دخلهم السنوي يقدر بأكثر من ثلاث مليارات فرنك فرنسي، في فرنسا وهذا يدل على أنها هي مكسب يعني تجارة تجارة باطلة، تجارة من أموال هؤلاء الجهلة فينبغي للإنسان أن يحذر منهم، ويحذرهم ويبتعد عنهم ولا يتعلق بهم؛ لأنهم ينكدون عليه عيشه وحياته ويجعلونه يتعلق بهم من دون الله والعياذ بالله.

نعم وفي ذلك فضيلة الشيخ لا شك أثر على حياته حتى في هذا الذاهب إليهم يعني يصاب بنوع من القلق ونوع من الوساوس هذا يعني غير مسألة خسارته المادية وقبل ذلك وبعده خسارة الدين والعياذ بالله، كونه حينما يسعى الإنسان بالإضرار يذهب إلى هذا الساحر للإضرار بشخص عدو له أو بينه وبينه عداوة حول موضوع معين لا شك بأن أول المتضررين هو ذلك الذاهب إلى هؤلاء السحرة.

أسئلة الحلقة؟

السؤال الأول: الذي سبق ذكرناه قبل قليل وهو الفرق بين السحر التخييلي والسحر المجازي؟

هذان السؤالان الذي سأذكرهما لم أذكر جوابهما وإنما أريد من الإخوة أن يبحثوها وسنذكر -إن شاء الله- الجواب عليها في الحلقة القادمة. الفرق بين السحر التخييلي والسحر المجازي؟

السؤال الثاني: الفرق بين السحر والمعجزة النبوية؟ الفرق بين السحر؛ لأن بعض الناس أنكر السحر قالوا: إن هذا يختلط بالمعجزات النبوية وبعض السحرة قد يدعي النبوة، فنريد أن نذكر فروقاً بين سحر السحرة، أو خوارق السحرة والمعجزات النبوية، ولعل هذا -إن شاء الله- كافي.

الدرس الثاني: باب بيان شيء من أنواع السحر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب بيان شيء من أنواع السحر، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد) رواه أبو داود وإسناده صحيح).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد:

فهذا إكمال لما سبق الحديث عنه من ما عقده المؤلف الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في باب بيان شيء من أنواع السحر، وسبق ذكر شيء من ذلك، ومما ذكره المؤلف -رحمه الله- هذا الحديث وهو حديث رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد)، والمعنى أن (من اقتبس شعبة من النجوم) يعني من علم النجوم أو التنجيم والمقصود بذلك علم التأثير، وسيأتي -إن شاء الله- تفصيل وبيان الأقسام في ذلك، وأن علم التنجيم أو النجوم ينقسم إلى قسمين:

- علم التأثير.

- وعلم التسيير.

والمقصود بهذا الحديث هو: علم التأثير، وهو من يعتقد أن للنجوم تأثيراً على الحوادث الأرضية فيستدل بحركاتها على ما يقع أو ما سيقع في الأرض، فقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر) والشعبة: هي الطائفة، وفيه دليل على أن التنجيم من السحر، أو من أنواع السحر، قال: (زاد ما زاد): يعني كل ما ازداد تعلماً من التنجيم زاد من السحر، أو كلما تعلم شيئاً من التنجيم الذي هو علم التأثير زاد من الإثم والبعد عن الله وكلها صحيحة، فمن يزداد إيغالاً في هذا العلم - علم التنجيم- ويعتقد أن للنجوم تأثيراً ويستدل بها، ويدعي أنه يستدل بها على علم الغيب فإنه يزداد من السحر ومن الإثم، وأيضاً يكون عليه من العقوبة من الله -سبحانه وتعالى- بقدر ما تعلم من هذا العلم الذي بَيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أنه من السحر.

(وللنسائي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: (من عقد عقدةً، ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِلَ إليه)).

وهذا حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو حديث رواه النسائي، وإن كان قد تكلم بعض العلماء في سنده ولكن معناه صحيح، والمؤلف -رحمه الله- ذكره هنا لأنه صح معناه في أحاديث أخرى - أو في نصوص أخرى- وقد حسنه بعض العلماء، كما حسنه ابن مفلح -رحمه الله- والصواب أنه مرسل من رواية الحسن عند عبد الرزاق، والمقصود أن هذا الحديث فيه بيان لشيء من السحر وهو العُقد. النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر) وهذا وصف لأعمال السحرة الذين يعقدون الخيوط، ويجعلون فيها

عقداً وينفثون على كل عقدة، يعقدون وينفثون، والنفث: هو النفخ مع الريق – يكون فيه نفخ مع شيء من الريق– وهو دون التفل، فالسحرة يأتون بالخيوط ويعقدونها وينفثون على عقدهم ويتكلمون بالسحر حين العقد.

وقد أمر الله –سبحانه وتعالى– بالاستعاذة من هؤلاء، كما في قوله –عز وجل–: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١– ٥]، فالله –عز وجل– أمرنا بالاستعاذة من شر النفاثات في العقد: وهن السواحر اللاتي يعقدن وينفثن في عقدهن، والنهي أو الاستعاذة من عموم من يعقد سواءً كن ساحرات أو سواحر.

في هذا الحديث بيان أن هؤلاء هم السحرة، وهذا من عمل السحرة، ثم قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ومن سحر فقد أشرك) فهذا دليل على أن السحر شرك بما فيه من الاستعانة بالجن والتقرب إليهم، فتجد أن الساحر يتقرب إلى هؤلاء الشياطين، يتقرب إليهم بأنواع العبادات إما بالذبح أو بالنذر أو بالدعاء أو الاستغاثة أو بأنواع الكفر من الاستهانة بالمصحف والسخرية بالدين أو غير ذلك، فإذا تقرب إليهم أشرك بالله؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا: (ومن سحر فقد أشرك) دليل على أن السحر هو نوع من أنواع الشرك بالله.

ثم ختم الحديث بقوله: (ومن تعلق شيئاً وُكِلَ إليه) يعني من تعلق قلبه بشيء فإن الله –سبحانه وتعالى– يكله إلى هذا الشيء بحيث يعتمد عليه، تجد هذا الشخص الذي يتعلق بشيء من دون الله تجد أن قلبه معقود في هذا الشيء، يخافه ويرجوه ويتوكل عليه ونحو ذلك، فمن فعل ذلك فإن الله –عز وجل– يكله إلى ما تعلق به، يكله إلى هذا الشيء ويخذله، وأما من يتعلق بالله –سبحانه وتعالى– فإن الله –سبحانه وتعالى– كافيه، فمن تعلق بالله كفاه ووقاه وآواه وتولاه، كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال – عز وجل–: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] يعني كافيه، فالله –سبحانه وتعالى– كافٍ من توكل عليه، وعقد قلبه به وتوجه إليه، وأما من عقد قلبه بالمخلوقين سواءً من سحرة وغيرهم؛ فإنه مخذول ومهزوم، وتجده دائماً في حسرة وندامة وشقاء وتعاسة، إضافة إلى ما ينتظره إن لم يتب في الآخرة من العذاب والنكال والعياذ بالله.

(وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (ألا هل أنبئكم ما العَضَة هي النميمة، القالة بين الناس) رواه مسلم).

وهذا حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– رواه مسلم: (ألا أنبئكم ما العضة) والعضة هكذا تضبط عند أهل الحديث ويضبطها أهل اللغة العَضَة، أو العِضَة: هو القطع أو الكذب والتفريق، ويطلق على السحر والبهتان فالعضة فسرها النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنها النميمة لقالة بين الناس، فالعضة جعلت النميمة عضة بمعنى أنها نوع من السحر، وهذا وجه إدخال المؤلف –رحمه الله– لهذا الحديث تحت هذا الباب.

ولعلنا أيضاً نسأل سؤالاً حتى يكون أوضح: ما وجه تشبيه النميمة بالسحر؟ أو ما وجه تسمية النميمة بالسحر؟ لماذا سميت أو جعلت النميمة من السحر؟ أيضاً سؤال آخر: حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما قال: (إن من البيان لسحراً) هذا الحديث هل هو للمدح أو للذم؟ هل هو يمدح البيان أم يذمه، ولعلنا نترك فرصة للإجابة بعد قليل.

أحب أن أذكر قبل أن أستمع الجواب أو أشير إلى مسألة النميمة وكونها جعلت من كبائر الذنوب كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا يدخل الجنة قتات) يعني نمام، فالجنة لا يدخلها نمام لما في النميمة من الإفساد؛ ولذلك لما مر النبي –صلى الله عليه وسلم– بقبرين فقال: (أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، قال: بلى إنه كبير) ثم بَيَّنَ هذين الذنبين بقوله: (أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله) فالذي يمشي بالنميمة بين الناس، هذا في الحقيقة مستحق لعذاب القبر ومستحق للوعيد في الآخرة لأنه أفسد بين الناس

بنقله الكلام بينهم على جهة الإفساد، فالنمام هو الذي ينقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد حتى ولو كان صادقاً، بعض الناس يقول: أنا ما قلت إلا حقاً، نقول: حقاً، حتى نقل الكلام الحق إذا كان على وجه الإفساد فإن هذا محرم ينبغي للمسلم أن يسعى في الإصلاح وألا ينقل من الكلام إلا ما فيه مصلحة إذا وجد أن في نقله للكلام مصلحة متحققة، ليست مصلحة بالهوى؛ لأن كل من يتكلم وينقل يزعم أنه مصلح، بل حتى المفسد يزعم أنه مصلح كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]، بل حتى فرعون يقول: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، والمقصود بالإصلاح الحقيقي أن يكون فعلاً هناك مصلحة ظاهرة في نقد هذا الكلام لشخص آخر، أما أن ينقل كلام من شخص إلى شخص ويكون ممن يسعى بالقال بين الناس فهذا متوعد بالعذاب.

إجابات الموقع.

يقول: جواب السؤال الفرق بين السحر التخييلي والسحر المجازي؟

السحر التخييلي: هو أن يعمد الساحر إلى القوة المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصور - كما قال ابن خلدون في مقدمته سحر التخيل- ويلقي فيها أنوعاً من الخيالات والمحاكات وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرعين بقوة، نفس مؤثرة فيه فخلاصته أن يرى الإنسان الأشياء على غير حقيقتها كسحر التخييل البشري أو الحيواني أو تخييل الأمور العيينية أو تخييل الإنسان كحيوان أو الإيحاءات فيرى الشخص وكأنه يطعن نفسه بخنجر أو يدخل السيف من بطنه ويخرجه من ظهره أو كأنه إنسان يأكل ناراً أو تحويل الأوراق إلى نقود ونحو ذلك، وعمل الساحر يكمن في سحر العيون واسترهاب الناس كما قال سبحانه: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، الآية وهذا السحر التخييلي ثابت بالكتاب والسنة:

- أما بالكتاب ففي قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٥، ٦٦].

- وأما السنة ففي حديث عائشة -رضي الله عنها- المتفق عليه من سحر لبيد بن الأعصم للنبي -صلى الله عليه وسلم- حيث يخيل -عليه السلام- أنه يفعل الشيء ولا يفعله.

السحر المجازي: ووجه تسميته مجازي لاشتراكه في معنى السحر لغة، ويقوم على خفة اليد والحيل الكيميائية كما يقع في بعض ألعاب السرك اليوم، وقد وقع لأبي العباس ابن تيمية الحفيد أسبغ الله عليه رحمته قصة مشهورة مع الرفاعية الصوفية بين زيف باطلهم في فتواه فلتنظر.

يقول هنا فائدة ذكرها الأخ الكريم ويدخل في هذا النوع تسمية النميمة سحرا -هذه إجابة يا شيخ قد تكون إجابة على السؤال- كما صح عنه -صلى الله عليه وسلم- فيما أخرجه الإمام مسلم وفي صحيحه.

ووجه تسمية النميمة سحراً من وجهين:

أولاً: النظر من مبدأها حيث تكون في سحر وخفاء كالرقى والعزائم.

ثانيًا: النظر إلى منتهاها وهو التفريق بين الناس كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ويدخل في هذا النوع أيضاً البيان فقد صح عنه -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين: (إن من البيان لسحراً) وللحديث قصة، ووجه تسميته سحراً أن البيان يسحر القلوب فرب متكلم

بالباطل صاحب ملكة بيان فيقنع النفوس، ورب صاحب حق لا ملكة عنده فلا يقتنع به أحد فكان الأول سحر الناس فأخذوا الباطل وتركوا الحق.

- إجابة السؤال الثاني: الفرق بين السحر والمعجزة النبوية ؟

يقول الفرق بينهما في أمور:

أولاً: صاحب السحر نفسه شريرة وصاحب الآية النبوية نفسه طاهرة.

ثانيًا: السحر يكتسب بالتعليم بينما الآية النبوية منحة ربانية لا تُكتسب بالتعليم.

ثالثًا: السحر منه ما هو حقيقة وخيال بينما الآية النبوية حقيقة لا خيال.

رابعًا: السحر ليس فيه تحدٍ واضح بينما الآية النبوية فيها تحد للخلق.

تعليقكم فضيلة الشيخ حول هذه الإجابة.

نشكر الأخ الكريم على هذه الفوائد التي جمعها، وهي فوائد جيدة ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها، لا شك أن ما ذكره في التفريق بين السحر التخييلي والسحر المجازي هو حق، وإن كان هناك بعض الأمثلة في التخييلي قد توجد في السحر المجازي، فالسحر - كما سبق أن ذكرنا- منه ما هو حقيقة ومنه ما هو خيال، والحقيقة عرفناها في أنه يكون هناك تفريق حقيقي بين المرء وزوجه أو بين الشخص وأخيه، وأحياناً يكون هناك مرض حقيقي وأحياناً يكون هناك موت ونحو ذلك...

أما التخييلي فيخيل للناظر أن الشيء على صفة ليست هي الصفة الحقيقية فالسحر التخييلي يكون بالتأثير على عين الرائي بحيث يرى الشيء على غير حقيقته، أما السحر المجازي فهو في الحقيقة ليس بسحر ولا يدخل في الحقيقي ولا في التخييلي، وإنما سمي سحراً مجازاً يعني توسعاً بحيث أنه يشبه السحر وهو ليس من السحر ويكون ذلك - كما أشار الأخ الكريم إلى شيء من ذلك يكون- بالاعتماد على خفة اليد والخدع السريعة والاكتشافات والحيل العلمية، وقد يكون شيئاً مكتشفاً علمياً يعمله الساحر أمام أناس لا يدركون هذا الاكتشافات، أو يكون بأن يلعب عليهم بأن يريهم أنه يفعل شيئًا وهو في الحقيقة يخدهم ويخفي عنهم بعض الحقيقة فمثل ما ذكر الأخ الكريم في المثال التخييلي أنه ذكر أنه يذبح شخص.

نعم، كأن يخيل إلى إنسان بأنه يدخل السيف من بطنه ويخرجه من ظهره أو يحول الأوراق إلى نقود وكذا...

يعني مثل هذا قد لا يكون سحراً، حتى من يذبحون بعض الأشخاص أمام أعين الناظرين قد لا يكون من السحر، وإنما هو من الخديعة، وقد ذكر بعضهم كشفاً لشيء من ذلك، فذكر أن هؤلاء الذين يأتون بالسكين أو بالسيف ويذبحون الشيء ويخرج الدم من رقبته ويقوم بعد ذلك كأن لم يكن به شيء، أن هذا ليس بذبح في الحقيقة، وإنما هم يلجئون إلى وضع كيس فيه دم وهذا الكيس يشبه لونه لون الجسم والناظر لا يدرك هذا الكيس الذي ربط على حنجرة هذا الشخص ويأتي هذا المخيل للناس ويذبح هذا الكيس وكأنه قد ذبح هذا الشخص وأحياه، وهذا ليس من السحر لكنه إخفاء بعض الحقيقة، أو كما ذكر بعضهم أنه يأتي بطير أو نحو ذلك ثم يمسكه بيده ويشمه شيئًا يجعله يصرع أو يدوخ كالبنج مثلاً ويرمي به كأنه ميت ثم يأتي به ويأخذه مرة أخرى وقد ذهب مفعول هذا البنج ثم يطير أو يذهب فيظن أنه أحياه فمثل هذه الأمور في الحقيقة ليست من السحر التخييلي ولا

السحر الحقيقي، وإنما هي شيء من اللعب على الناس وإخفاء بعض الحقائق عنهم، فهذه بعض المعاني للتفريق بين السحر الحقيقي والتخييلي والمجازي.

تقول: وجه تسمية النميمة بالسحر أنها تفرق بين الناس فأثرها كأثر السحر، وآخر يقول: جعل النميمة من السحر قد يكون لتأثيرها الكبير في قلب السامع وتأديتها للتفرقة بين الناس كما يحدث السحر، وكذلك الكلام إن كان فصيحاً بيناً يؤثر في سامعه ويقنعه يأسر قلب سامعه؛ ولذلك اتهم المشركون النبي -صلى الله عليه وسلم- بالسحر لتأثير القرآن الكريم على سامعهم، فما تعليقكم يا فضيلة الشيخ.

لعلنا نأتي فيها بالنسبة لشرح الحديث الذي يلي بالنسبة للبيان، أما النميمة فكما ذكر الإخوة والأخوات أن وجه تشبيه النميمة بالسحر لأمرين:

- الأمر الأول: لخفاء تأثيرها والسحر فيه شيء من الخفاء.

- الأمر الثاني: لكونها تفسد كما يفسد السحر؛ ولذلك قال يحيى بن كثير: "يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة" فالنمام قد يفسد بالتفريق وربما هدم الدول والعلاقات وإيجاد البغضاء والعداوات في وقت قصير ما لا يفسده الساحر في وقت طويل؛ فلهذا شبهه النميمة بالسحر.

تقول: وجه تسمية النميمة بالسحر؛ لأن فيها تفرقة بين الناس كما أن الساحر يفرق بين الناس، وفي الحديث: (إن من البيان لسحر) هذا فيه ذم؛ لأن الإنسان يأخذ حق غيره بقوة بيانه والقاضي يحكم بما يسمع.

أحسنت، بالنسبة لسؤال التفريق بين المعجزة والسحر ما فيه إجابة إلا واحدة؟.

نعم، هنا إجابة، يقول: الفرق بين السحر والمعجزة النبوية:

- السحر يوهم الناس بأنه قام بالمعجزة، وهو لم يقم بها حقيقة، كسحرة فرعون الذين يوهمون الناس بأنهم يحولون الحبال والعصي إلى ثعابين وهي ليست ثعابين في حقيقتها، فلما رأوا أن عصي موسى -عليه السلام- قد تحولت حقيقة إلى ثعبان يلقف حبالهم وعصيهم وتأكدوا أن هذه معجزة حقيقية وخروا سُجَّداً لله رب العالمين.

- ومن الفروق بين السحر والمعجزة: أن المعجزة هبة من الله -سبحانه وتعالى- والنبوة كذلك، بخلاف المعجزة فهي في الحقيقة خلاف السحر فإن السحر يتعلم من الشياطين.

- ومن الفروق: السحر يظهر على يد الكفرة والفسقة والفجار، وأما المعجزة فلا تظهر إلا على يد الأنبياء الأطهار صلى الله عليهم وسلم.

- السحر يمكن إبطاله، أو أن يأتي شخص بمثله فقد يكون ساحراً ويأتي ساحر أسحر منه ويبطل سحره أو يأتي بمثله، أما المعجزة فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها.

أحب أن أشير إلى نقطة جزئية وردت في كلام الأخ الكريم وهي مسألة التحدي، في الواقع أن المعجزة لا يشترط أن يُتحدى بها، ورد في صيغ بعض علماء الكلام أن من الفروق بين المعجزة وغيرها أنها مقرونة بالتحدي لكن في الحقيقة كما أبان شيخ الإسلام -رحمه الله- أن المعجزة لا يشترط أن تكون مقرونة بالتحدي، نعم هي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها ولا أن يبطلها، لكن لا يلزم أن يتحدى بها قومه أو الآخرين وإن كانوا هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها والله أعلم.

(ولهما عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن من البيان لسحر)).

نعم، وهذا الحديث ذكره المؤلف هنا وهو نوع من أنواع السحر كما أرشد النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث، ولكنه ليس من السحر المخرج من الملة على القول بالذم.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في هذا الحديث هل هو للمدح أو للذم؟ وسمعنا بعض الإجابات على ذلك، والصحيح، والله أعلم أن هذا الحديث يحتمل أن يكون للمدح أو للذم، فإن كان البيان لإظهار الحق وتبيينه وإيضاحه وتأييده فهذا ممدوح والله –عز وجل– مدح الإنسان بأنه: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٤]، والقرآن مبين، فالبيان ممدوح إذا كان لإظهار الحق وتأييده والدفاع عنه وقد يرد البيان في معرض الذم، وذلك في حالتين: يذم البيان في حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون البيان سَبَباً لقلب الحقائق ولبس الحق بالباطل، فإن البيان في هذه الحالة مذموم، لأن فيه تلبيس على الناس واستعمال لهذه النعمة استعمال لها بضد أو بما ينافي شكرها، إذ كيف يمنحك الله –سبحانه وتعالى– البيان وتستعمله في ما يغضبه وفي لبس الحق الباطل، هذا الناحية الأولى من ذم البيان.

الناحية الثانية: أن البيان يكون مذموماً إذا كان مشتملاً على تقعر في الكلام وتكلف في النطق وقد ورد في ذلك حديث وهو قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها)، فهذا فيه ذم لمن يتكلف في البيان ويتكلف بلسانه ويتكلف الفصاحة والبلاغة فيكون هذا مذموماً من هذه الناحية.

إذن البيان هو نوع من أنواع السحر، والسحر إن كان في تأييد الحق فهو من السحر الحلال كما ورد عن بعض السلف قال: إن هذا هو السحر الحلال، إن كان في تأييد الحق فهذا البيان من السحر الحلال، وإن كان في قلب الأمور والحقائق فهو من السحر الحرام، وإن كان لا يصل إلى الشرك الأكبر إذا لم يكن ما لبُس به شيء يخرج من الدين.

ما الفرق بين السحر والشعوذة؟ هل هما في الحكم سواء؟.

كثيراً ما يقرن بين السحر والشعوذة لوجود تداخل بينهما ولكن قد يكون هناك بعض المشعوذين الذين تكون في بعض شعوذتهم يعني بعض السحر، قد لا يكون سحراً ! وإنما فيها لعب على البسطاء من الناس والله أعلم.

نسبة علم النجوم بعدهم يتعلمون بحجة كأنه يريدون معرفته لأنه الشر فهل يبيح هذا الوجه لهم؟.

لا يجوز تعلم التنجيم بحجة معرفة أنه شر، كما لا يجوز تعلم السحر بحجة معرفته؛ لأن هذا في الحقيقة لا يتوصل إليه إلا حينما يكون مشركاً بالله ويتقرب إلى الشياطين فبعد ذلك يمكن أن يتوصل إلى أن يعرف حقيقة السحر أما إذا كان يقرأ أشياء عامة ليعرف هؤلاء السحرة، وما طريقتهم وليس تعلم لحقيقة مثلاً بحيث يكون هو ساحر ثم يبدأ يحذر لا...؛ لأنه لن يصل إلى هذه الرتبة الدنيئة من السحر إلا حينما يشرك بالله والعياذ بالله.

يقول: ما حكم من يقول أن من ولد في هذا التاريخ فهو من البرج الفلاني فإذن صفاته كذا وكذا دون أن يخوض في الغيب المتعلق بالمستقبل؟.

هذا مما يدخل في التنجيم ولعله يأتي الحديث عنه في بابه –إن شاء الله– في باب خاص بالتنجيم في البروج والمطالع والحظ ونحو ذلك وهذا كله غير جائز؛ لأنه رجم بالغيب.

باب ما جاء في النُشْرَة

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب ما جاء في النُشْرَة، عن جابر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سُئل عن النُشْرَة فقال: (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سُئِل أحمد عنها فقال: «ابن مسعود يكره هذا كله»).

المؤلف –رحمه الله– حينما ذكر السحر وبَيَّن أنه محرم، وأنه شرك، ثم ذكر أنوعًا من السحر لا يدخل بعضها في السحر المخرج من الملة ناسب أن يذكر النُشْرَة التي هي حل السحر عن المسحور ليبين النُشْرَة الجائزة والنُشْرَة المحرمة؛ لأن الإنسان حينما يعلم أن هذه سحر، وكفر، ويتطلع المسحورون إلى حله والشفاء منه، فإن هناك طرقاً شرعية كما أن هناك طرقاً محرمة لحل السحر عن المسحور قد تخرج من الملة والعياذ بالله؛ ولهذا عقد المؤلف –رحمه الله– هذا الباب في كتاب التوحيد ليبين الجائز من ذلك وغير الجائز.

النُشْرَة: هي العلاج، هي علاج المريض بالرقية ونحو ذلك، وخاصة لمن يظن أن به مس من الجن، أو من السحر.

سميت النُشْرَة بهذا الاسم؛ لأنه يُنشر بها عن المريض ويبعد عنه ما خامره من الداء ويُكشف ويزال عنه ما به من الأوجاع أو الأمراض أو الأسقام التي حصلت له بسبب هذا السحر، إذن النُشْرَة هي حل السحر عن المسحور.

بدء المؤلف –رحمه الله– بحديث جابر –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سئل عن النُشْرَة، فقال: (هي من عمل الشيطان) وهذا حديث رواه أحمد وأبو داود وحسنه الحافظ ابن حجر –رحمه الله–.

فالنشرة حكم عليها النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنها من عمل الشيطان وهذا بيان للنشرة التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وهي حل السحر عن المسحور بسحر مثله فهي كانت معهودة في الجاهلية أنهم يذهبون بالمسحور إلى ساحر يحل سحره.

قال الإمام أحمد –رحمه الله– : "وابن مسعود يكره ذلك كله"، أي ابن مسعود –رضي الله عنه– يكره كل النُشْرَة، حتى ولو كانت التعليق للتمائم من القرآن، وسبق معنا إشارة إلى أن تعليق التمائم إذا كانت من القرآن فيها خلاف من العلماء –رحمهم الله– وابن مسعود –رضي الله عنه– يرى كراهة تعليق التميمة حتى ولو كانت من القرآن؛ ولذلك قال الإمام أحمد إنه يكره ذلك كله يعني أن ابن مسعود –رضي الله عنه– يكره تعليق التمائم سواءً كانت من القرآن أو من غير القرآن لقصد حل السحر عن المسحور.

(وفي البخاري عن قتادة، قلت: لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأة أيحل عنه أو يُنَّشَّر، قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه.. انتهى).

نعم هذا ورد عن ابن المسيب –رحمه الله– وقد علقه البخاري بصيغة الجزم وهو سؤال عن النُشْرَة، قال: (رجل به طِبْ) يعني مسحور، سمي السحر طباً تفاؤلاً بالشفاء؛ لأنهم كانوا يقولون عن السحر بالطب يتفاءلون بذلك قال: (أو يؤخذ عن امرأته) يعني يحبس عن زوجته حتى لا يصل إلى جماعها، والأخذة: هي في الأصل الكلام الذي يقوله الساحر في سحره، قال: (رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه) هل يُحَلُ عنه هذا السحر (أو يُنَّشَّر؟) يزال عنه فهذا السائل سأل ابن المسيب –رحمه الله– هذا السؤال فكان جواب الإمام سعيد قال: (لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، وأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه)، فهذا من الإمام سعيد بن المسيب –رحمه الله– حكم بجواز النُشْرَة، بجواز حل السحر عن المسحور؛ لأنه يراد بها الإصلاح وهذا في الحقيقة

محمول على حل السحر عن المسحور بالرقى المشروعة والأذكار ونحو ذلك، كما تأتي الإشارة إليه -إن شاء الله-.

فلا يمكن أن يؤخذ كلام الإمام سعيد بن المسيب -رحمه الله- بجواز النُشْرَة مطلقاً حتى ولو كانت فيها شرك بالله، وإنما نحمل كلام العلماء على أحسن المحامل وهذا الذي أراده -رحمه الله-.

(وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر).

أيضاً هذا ورد عن الإمام الحسن البصري -رحمه الله- ورواه عنه ابن جرير وغيره، والمقصود بكلام الحسن أيضاً حل السحر بسحر مثله (لا يحل السحر إلا ساحر)، بمعنى أن هذا مُحَرَّم من حلَّ السحر عند ساحر بسحر مثله فهذا محرم، وهذا مفهوم كلام الحسن -رحمه الله- فالمقصود بذلك النُشْرَة الشركية التي يكون فيها تقرب إلى غير الله واستعانة بالجن والشياطين.

(قال ابن القيم -رحمه الله-: "النُشْرَة حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

أحدهما: حل السحر بسحر مثله وهو من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن ويتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: النُشْرَة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز").

هذا الكلام من الإمام ابن القيم -رحمه الله- وفي الجمع بين كلام العلماء فليس بين كلامهم تعارض، من أجاز النُشْرَة، ومن منعها فيحمل كلام العلماء على أحسن المحامل، وهو الذي ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- وكلام الإمام سعيد بن المسيب في إجازة النُشْرَة هي في النُشْرَة الشرعية التي تكون بالرقى والأدوية المشروعة ونحو ذلك، وأما كلام الحسن في أنه لا يحل السحر إلا ساحر فإنه يحمل على النُشْرَة الشركية التي يكون فيها استعانة بالجن والشياطين.

وفي الحقيقة: أن الله -سبحانه وتعالى- ما أنزل داء إلا أنزل له دواءً أو شفاءً عَلِمَه من عَلِمَه وجَهِلَهُ من جهله، الإنسان يسعى في طلب الدواء.

والله -عز وجل- لم يجعل شفاء هذه الأمة بما حُرِّمَ عليها، لا يمكن أن يحرم الله -عز وجل- شيء ويجعل الشفاء فيه، بل الشفاء فيما أحل الله -سبحانه وتعالى- فعلى المسلم أن يبحث عن الأدوية المباحة التي تنفعه ولا تضره في دينه، فإن عقيدته وإيمانه وتوحيده أهم عليه من حياته.

- ذكر العلماء بعض الأمور المجربة في حل السحر عن المسحور منها: ما ذكره بعض العلماء من أن المسحور يأخذ سبع ورقات سدر فيدقها ثم يجعلها في ماء ويقرأ عليها آية الكرسي والقواقل ويحسوا منها ثلاث حسوات ثم يغتسل به، وهذا قالوا إنه مجرب ونافع وجيد خاصة لمن حبس عن أهله.

- وذكر العلماء في حل السحر عن المسحور قراءة الآيات التي فيها إبطال السحر كالآيات في سورة الأعراف والآيات في سورة يونس وسورة طه، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف: ١١٧- ١٢٠]. الآيات. وفي سورة يونس كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ

اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨٠- ٨٢]، وأيضًا في سورة طه كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾﴾ [طه: ٦٥]، الآيات. وفيها ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]، فيقرأ مثل هذه الآيات فإنها نافعة بإذن الله في إبطال السحر وإزالته، إضافة إلى ما سبق أن ذكرنا من قراءة المعوذات وآية الكرسي وأيضاً يقرأ آخر آيتين من سورة البقرة، وآيات كثيرة لم يتسع الآن المجال لذكرها، ذكرها أهل العلم في مصنفاتهم.

- مما يحرص عليه المسحور، ومن يعالج المسحور: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦]، والتعويذ تعويذ عن النفس، وتعويذ الأولاد، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يُعَوِّذ الحسن والحسين كما في الحديث أنه أيضاً يقول: (إن أباكما كان يُعَوِّذ إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن عين لامة).

- يعود نسفه على التسمية ففي الحديث الصحيح يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث جابر: (إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ) فهذا إرشاد من النبي -صلى الله عليه وسلم- على الإكثار من ذكر اسم الله على كل شيء حتى لا يستطيع أن يأتي الشيطان إلى هذا الأمر الذي سُميّ عليه.

- المحافظة على قراءة قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس في الصباح والمساء وإذا أوى الإنسان إلى فراشه، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينفث فيها وعَلَّم أصحابه وقال: (أنها تكفيك من كل شيء) كما في الترمذي.

- قراءة آية الكرسي عند النوم كما في قصة أبي هريرة -رضي الله عنه- مع الشيطان، وقال في آخره: (إنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان) فبين النبي -صلى الله عليه وسلم- صدقه وقال: (أما إنه صدقك وهو كذوب) فقراءة آية الكرسي مما يحفظ الإنسان من شر الشياطين.

أسئلة الموقع.

يقول: بعض الناس يقرؤون آية الكرسي عند النوم ولكن يحدث عندهم كوابيس في النوم فهل هذا يتعلق بمرض نفسي لديهم؟.

الكوابيس هذه قد تكون من الشيطان أحياناً، وقد يكون لها أسباباً أخرى، لكن أحب إلى أن أنبه إلى أن الأدعية والأذكار والأوراد ينبغي للإنسان حينما يقرأها بتدبر وتمعن، وأن تكون عنده عقيدة صحيحة ويقين صادق بثمرتها لتكون نافعة بإذن الله؛ لأن هناك فرقاً بين من يقولها وهو موقن بحقيقتها وبثمرتها، ومن يقولها وهو غير موقن أو شاك أو ليس عنده اليقين التام بثمرتها، فلا شك أن هناك فرقاً في تأثيرها بين الأشخاص.

ذكر بعض أهل العلم أن الإمام أحمد -رحمه الله- أُتي إليه برجل به مس، فقرأ في أذنه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فخرج الجنبي من ذاك الشخص بقراءة الإمام أحمد هذه الآية في أذن هذا الشخص، فلما مات الإمام أحمد -رحمه الله- رجع هذا الجني إلى الشخص نفسه، فأتوا به إلى رجل آخر فقرأ نفس الآية في أذن هذا الممسوس فقال الجني على لسان هذا الممسوس: ذاك الإمام

أحمد. يعني الآية هي نفس الآية، لكن ذاك الإمام أحمد، القارئ اختلف؛ ولذلك كما يقول ابن القيم -رحمه الله-: "السيف بضاربه"، فقد يكون السيف حاد لكن الضارب ضعيف، فلابد أن يكون الساعد قوياً والسلاح ماضياً والمكان قابلاً حتى تتم النكاية، ويحصل المقصود وإذا اختل شيء من هذه الأمور فإنها ربما لا تنفع؛ ولذلك علمنا حديث الصحابي الذي رقى اللديغ بسورة الفاتحة، فقام كأنما نشط من عقال، كأن لم يكن به شيء، الآن قد يقرأ شخص الفاتحة على لديغ ولا يحصل هذا الأثر فنقول: نحن لا نشك في أن الفاتحة رقية كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن قد يكون هناك مانع يمنع من حصول ثمرتها، فإذا كان هذا الشخص تأتيه بعض هذه الأمور رغم أنه يحافظ على بعض هذه الأذكار فعليه أن يرجع إلى نفسه قد يكون عنده مانع يمنع من حصول الثمرة.

وأحب أن أذكر بحديث عظيم أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو من الأذكار والأوراد الصباحية ينبغي للإنسان أن يحافظ عليه في هذا المجال وهو قول: (لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) يقولها الشخص حين يصبح وحين يمسي مائة مرة، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- (أنه من قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي) وهذا هو الشاهد من الإيراد، (كانت حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي)، فهذا من الأبواب التي ينبغي أن يحافظ عليها، وقال: (ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال وزاد عليه)، فهي مما يحفظ من الشيطان، لكن ينبغي حينما نقولها، نقولها بيقين وبصدق وبعقيدة صحيحة، وأن لا يوجد هناك مانع من الموانع التي تكون سَبَباً في الحيلولة دون نفع أو الانتفاع بهذه الأمور.

يقول: حكم السحر التخييلي إذا كان ما فيه ضرر؟ .

السحر كله حرام، السحر التخييلي والسحر الحقيقي، فكل هذا من عمل الشيطان، ولا يجوز للمسلم أن يتعلمه وأن يقترفه.

يقول: إذا ثبت لأحد أن له رحم قريب يتعامل بالسحر هل يصله أم لا، خاصة بعد أن قام بنصحه؟.

إذا كان هذا السحر من السحر الذي يخرج من الملة يكون فيه استعانة بالشياطين والشرك فهذا الشخص يكون كافراً - والعياذ بالله- يجب على هذا الشخص أن ينصحه وأن يخوفه بالله، ويبين له فإن أبى فعليه أن يبلغ عنه ويحذر منه حتى لا يغتر الناس به، وحتى لا يؤذي الناس.

يقول: كما تفضلتم الآن وبينتم، قد يكون الإنسان محافظاً على هذه الأذكار الصباحية والمسائية، فإذا تعرض بشيء يراجع نفسه في ذلك، لكن ورد في قصة المرأة السوداء التي كانت تصرع وشكت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فخيرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أن تشفى من هذا وبين وصولها للجنة، فمن هذا هل نقول فلماذا لم يرشدها الرسول إلى هذه الأذكار الواردة؟.

هذا الصرع الذي كان يأتي المرأة، وهذا من الابتلاء والنبي -صلى الله عليه وسلم- خيرها بين أن يدعو الله فتشفى - والدعاء هذا أيضاً سبب، سبب كالأذكار- وبين أن تصبر ولها الجنة، فاختارت أن تصبر وتحتسب، تصبر؛ لأنها تريد الجنة، تريد ثمن الجنة، وكل إنسان يحب الجنة إذا كانت الجنة مضمونة فإنه يصبر، يصبر على ما يأتيه من بلاء وشقاء في هذه الدنيا في سبيل أنه يحصل على أفضل ما يريد ويتطلع إلى الجنة وما فيها من رؤية الرحمن -سبحانه وتعالى-.

فضيلة الشيخ حينما يبتلي الله -عز وجل- أحداً من عباده بهذه الأمراض أو مثلاً حينما يقع على السحر ويسلك مسالك طويلة من العلاج والرقية ولم يأذن الله -سبحانه وتعالى- بهذا الشفاء، بعض الناس يصاب بنوع

من الشك – والعياذ بالله– في هذه الأمور، ثم يلجأ ويغويه الشيطان إلى طرق أخرى، إلى طرق السحرة والكهنة؟.

هذا حقيقة من ضعف الإيمان كيف يستجيز الشخص لنفسه أن يترك دينه بسبب شفاء قد يكون موهوماً؛ لأن كل من يذهب إلى السحرة يُشفى، فمن الناس من يذهب إليهم ويتعلق بهم ويحبون هم أن يتعلق بهم الشخص يشفى فترة، ثم يتسلطون عليه شيئًا آخر ثم يأتي إليهم مرة أخرى، فيكون متعلقاً بهم، فكون الإنسان يستمر على ما به من البلاء ترتفع درجاته عند الله –سبحانه وتعالى– وتكثر حسناته، وهذا خير له من أن ينسلخ من دينه – والعياذ بالله – أو يرضى بهذا الشرك والكفر، وهذا لا يجوز للإنسان فإذا كان يذهب إلى هؤلاء ويعلم أن عندهم شرك وكفر واستعانة بالشياطين والتقرب إليهم ويرضى أن يكون هو عوناً لهم، هذا لا شك أنه خطير على عقيدة الإنسان ودينه، وعليه أن يستعين بالله –سبحانه وتعالى– يقوي إيمانه وعقيدته وأن يعالج نفسه.

أنا أحب أن أبين هنا أن العلاج الشرعي هو يحتاج إلى مداومة مثل العلاج الطبي البدني تجد بعض الأمراض يحتاج علاجها إلى سنة أو سنتين حتى يشفى المريض، بينما تجد بعض المرضى يذهب ويريد أنه في جلسة واحدة أنه يشفى، وقد يكون عنده موانع وحواجز، ويحتاج إلى تكرار هذه الأمور حتى يأذن الله –سبحانه وتعالى– بشفاءه وقد يشفى في أول مرة، لكن على الإنسان لا ييأس، وأن يوقن بأن كلام الله حق، وأن يكثر من الإيراد على نفسه والرقية؛ لأن هذا مرض، ويتعلم الرقية الشرعية ويرقي نفسه أو يرقيه غيره من الرقى الواردة، كما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه يرقي يقول: (اللهم رب الناس اذهب الباس اشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً) وورد أنه أرشد إلى وضع اليد على الموضع الذي يشتكي منه ويقول: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) سبع مرات، وغيرها من الأوراد والأذكار والرقى، يحافظ عليها ويكررها، وأيضًا يحاسب نفسه عن ما قد يكون فيه من الموانع التي تمنع من تأثيرها.

يقول: أسأل الشيخ عن ثبوت ورواية القول بجواز النُشْرَة، عن سعيد بن المسيب هنا قال: «إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينهى عنه» رأى مفهوم هذا أن الذي لا نفع فيه منهي عنه، وهذا لا يكون في الرقى الشرعية، والذي دفعني لهذا الكلام – شيخنا الكريم– أنه يوجد الآن في الواقع المعاصر– فتاوى بعضها سراً وبعضها على الفضائيات بجواز فك السحر بسحر مثله، وأنا أريد منكم تعليقكم على هذه الفتاوى التي تظهر والتي جعلت الناس يذهبون إلى السحرة ولا ينكرون عليهم أفعالهم، ووقع القول بسد هذا الباب حماية لجناب التوحيد وسداً للذرائع، أريد من جواب الشيخ في هذا وإن كان في صحة الرواية المنسوبة عن الإمام أحمد جواز فك السحر بسحر مثله، عن صحة هذه الرواية وإن كان جمهور العلماء على المنع؟

الأمر الثاني: بعض الناس الآن بعض الناس اليوم تعلقوا بالوساوس وخطراتها، وأنا أريد أن أسأل الشيخ عنها من ذلك أنهم إذا أتاهم شخص من أول ما ينظرون إليه يقولون: هذا فيه عين، هذا فيه سحر وهذا أظهر لي أنهم يسألون القرين ويصدقونه والله تعالى يقول: ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦]، ثم إن بعضهم وجدت أنه يضرب على يد المريض، ثم يقول: إن رأى احمراراً في اليد قال فيه عين، ويسمي أحياناً ويقول سحر، ما أدري صحة هذه الأشياء شيخنا الكريم؟.

سؤال الأخ الكريم غاية في الأهمية فضيلة الشيخ نسمع تعليقكم آثار عدة قضايا عدة نقاط نبدأها من أولها يا شيخ؟.

نشكر الأخ الكريم على تنبيهه، وهو تنبيه مهم حقيقة، كلام الإمام سعيد بن المسيب –رحمه الله– قال: « إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه» وهذا كلام واضح وبَيِّن، ومفهومه: أن ما لا ينفع الناس أو

ما يضر الناس هذا ينهى عنه، ومما يدخل في ذلك السحر، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالله -عز وجل- بَيَّنَ أنه يضر ولا ينفع، مضرته ظاهرة، وأما ما يُفتى به بجواز الذهاب للسحرة هذا ليس بشيء، كيف يُقال بجواز الذهاب إلى الذين يشركون بالله والذهاب إليهم، هو في الحقيقة تأييد لشركهم، وتأييد لكفرهم وتأييد لاستعانة بغير الله، تكثير لسوادهم، هذا لا يجوز إطلاق القول به، وتغرير الناس بأن يذهبوا إلى هؤلاء الكفار والمشركين الذين يستعينون بغير الله ويستمرئونهم.

وفي ذلك أيضاً إقرار لهذا الشرك، إقرار له، ويذهب الإنسان إلى هذا الساحر أوالمشعوذ كما يذهب إلى الطبيب في عيادته، هذا لا شك أنه تغرير الناس، والعجيب والغريب أن الدول الغربية تجعل عقاباً لهؤلاء يصل إلى السجن خمس سنوات، تعاقبهم لما يعلمون أن عندهم من الكذب والدجل والتغرير بالناس، فكيف يقال بجواز الذهاب لهؤلاء السحرة حتى لو أنه شفي بعض الناس بسبب ذهابهم أو غير ذلك، فإن هذا لا يجيز الذهاب إليهم ولا يجوز إطلاق وإشهار القول بذلك، والله أعلم.

فضيلة الشيخ بعض من يتبنون بعض الفتاوى يقولون: إن الحديث ورد في حل السحر فلم ينه عنه يقول: « إنما يريدون به الإصلاح» ، ابن المسيب، يحل عنه أو ينشر، يعني حينما يكون الحل أو النُشْرَة يراد بها الإصلاح ذكر بأنه « فأما ما ينفع فلم ينه عنه» الضمير يعود إلى حل السحر أو النُشْرَة أو حل هذا السحر؟.

هذا كلام عن سعيد -رحمه الله- ؟

صحة هذا الأثر، الأخ الكريم أشار إلى قضية التطرق إلى صحة هذا الأثر.

طبعاً هذا عن سعيد بن المسيب كما سبق وهو صحيح، رواه البخاري -رحمه الله- لكن نحن نحسن الظن بالعلماء ونعلم كلام الإمام سعيد، ولا يؤخذ بالمجملات ويترك التفصيل، ولا يؤخذ بالمتشابهات وتترك المحكمات، وحتى على فرض أن سعيد بن المسيب -رحمه الله- أنه أجاز ذلك، فكلام الله -سبحانه وتعالى- مقدم على كلام كل أحد، وكلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مقدم على كلام كل أحد، ولكنا نحن نحسن الظن بأهل العلم؛ لأنهم لا يمكن أن يجيزوا شيئاً حرمه الله - عزو جل-، والله -عز وجل- يقول: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فكيف يقول الإمام سعيد بن المسيب وهو سيد من سادات التابعين يقول بجوازه!!! هذا لا يقوله، فإحسان للظن به، نحمل كلامه كما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- أنه أراد حل السحر عن المسحور بالرقى الشرعية وبالأدوية المشروعة، هذه التي يراد بها الإصلاح، وهذه التي تنفع الناس أما السحر فلا ينفع الناس، فالسحر يضر الناس بنص كلام الرب -سبحانه وتعالى-.

تسائل آخر حول ما يقوم به بعض الرقاة - هداهم الله- حينما يشيعون مثل هذه الأمور، ويطلقون على كل إصابة أو شبهة إصابة بمرض أو كذا.. بأنها إنما هي مس أو عين أو سحر، كلامكم فضيلة الشيخ لمن يذهب إلى هؤلاء، وبمن يمارسون هذه الممارسات؟.

الحقيقة أن هذه الأمور: الناس فيها طرفان، وسط من الناس من ينكر أو يتنكر لأي شيء يقول: إنه سحر أو عين أو نحو ذلك، ولا يعترف بها وهذا باطل، ومن الناس في الطرف الآخر يفسر كل شيء يصيب الإنسان من أمراض سواءً عضوية أو نفسية أو غيرها، يفسرها بأنها سحر أو جن أو عين أو غير ذلك، وهذا أيضاً غير صحيح، والصواب: أننا نحن نعترف بهذه الأمور ولا ننكرها، ولكن الشأن في تنزيلها على وقائعها هل هذا الشخص فعلاً هو المصاب، فيه عين أو فيه سحر أو فيه مس؟ التشخيص هذا هو الذي يختلف فيه الناس وربما أن بعض هؤلاء الذين يتزعمون الرقية على مثل أولئك، قد يكون بعضهم له مصلحة فيربط هذا المريض به، وبعضهم قد لا يكون دقيقاً في تشخيصه؛ لأنه هو أيضاً مبني على تجارب، وبعضهم قد يكون صادقاً بناءاً على

تجاربه، وبعض الظواهر وظنه الغالب فيعمل بالظن الغالب فإذا كان هذا الشخص يرقي بالرقى الشرعية فالرقى الشرعية واردة ومشروعة سواءً كان لهذا المرض أو لذاك، فيعني كونه يقول: إن فيه كذا أو كذا لا يغير من الأمر شيئاً إذا كانت الرقية على وفق ما جاءت به الشريعة والله أعلم.

يقول: لقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– إجماع المسلمين على أن الجني المسلم لا يؤذي الإنسي بالمس والسحر، ولكننا نجد بعض المعاصرين من يقول بعكس ما نقل شيخ الإسلام، فما الصحيح في هذه المسألة؟.

أنا لا أدري عن هذا الإجماع، وأنا أحب من الأخ لعله يراسل أو يبين المرجع الذي ذكر فيه هذا الإجماع، ولكن الجن كما هو معلوم منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، فالجن فيهم المردة والكفار ومنهم المسلمون، والمسلمون أيضاً من الجن منهم العصاة الذين يؤذون، فإن صح هذا النقل بالأسلوب الذي ذكره الأخ فيكون معنى الكلام أنهم لا يؤذون بالسحر الذي قد يكون شرك أو نحو ذلك، لكن قد يؤذون بما دون ذلك وهذا على اعتبار أنهم لو أشركوا لم يكونوا مسلمين وإنما كانوا من الجن الكفرة والله أعلم.

يقول: كما تفضلتم آنفا ببيان الفرق بين أعمال السحر والشعوذة والخديعة، فهل هناك فرق بين هذه الأعمال؛ لأن هناك فرق بالنسبة لكيفياتها الشعوذة على حدة، والخديعة على حدة، والسحر على حدة، هناك أنواع وإن كانت المعدة واحدة، لكن هل هناك فرق بين هذه الأشياء في الحكم أيضاً؟.

نعم، هو ما كان فيه استخدام للجن والشياطين واستعانة بهم والشرك بهم هذا من الشرك والكفر وهو السحر سواءً كان حقيقي أو تخييلي، أما ما كان من الخداع وخفة اليد ونحو ذلك، فهذا لا يدخل في الشرك المخرج من الملة وإن كان ينهى عنه لما فيه من التلبيس والتغرير والكذب ينهى عنه لهذا الأمر ولا يعطى حكم السحر المخرج من الملة والله أعلم.

كما تفضلتم في الحديث : (أن الشيطان لا يفتح الباب المغلق) ما المقصود بالباب هنا؟.

هذا كما في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمرنا عند إغلاق الباب أن يذكر اسم الله عليه، أنت حينما تغلق بابك وتسمي فإن الشيطان لا يفتحه، لا يستطيع أن يدخل إلى هذا الباب، لا يستطيع أن يفتح هذا الباب المغلق، أما إذا أغلق بدون تسمية فإنه قد يخترقه ويدخل، وكذلك في تغطية الإناء حينما تغطي الإناء وتسمي الله عليه فإنه لا يستطيع أن يفتحه؛ لأنك ذكرت اسم الله عليه، فذكر اسم الله على هذه الأشياء هي مما يمنع عنك شر الشيطان؛ ولذلك في الدخول للخلاء تقول: بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، الخبث والخبائث: ذُكران الشياطين وإناثهم كما فسره بعض أهل العلم، فالتسمية عند الدخول تمنع الشياطين من الدخول وتمنع من العبث بعورة المسلم، فالتسمية في كل شيء هي من الحاجب والحاجز بين الشخص والشياطين المؤذين والله أعلم.

يقول: كان عندي إضافة بسيطة للشيخ وهو أننا وجدنا أن بعض المرضى إذا ذهبوا إلى السحرة يقوم الساحر بعمل سحر ثاني للمريض؛ كي يغطي على آثار سحر الأول فيظن المريض أنه قد شفي، والصحيح أنه لم يشفى، والشاهد من هذا كله أن بعد فترة من الزمن يعود المريض يشتكي المريض أعراضاً أخرى، فيذهب إلى الساحر مرة ثانية، فالسحرة يسموه سحر التغطية وهو أن يغطي على السحر الأول كي تختفي أعراض هذا السحر الأول وهو في الأساس لم يشفي هذا المريض ولم يبطل سحره ولكن يعمل هذا العمل كي يرجع هذا المريض إليه فترة من الزمن ويشتكي ويأخذ منه المال، هذا والله أعلم.

فضيلة الشيخ تعليقكم حول هذا الأمر، أنت تطرقت إلى شيء من ذلك.

هذه إضافة جيدة وتأييد.

يقول: مما ذكر من أوجه التشبيه بين السحر والنميمة هل حدهما سواء كما نعلم أن حد الساحر السيف كما ورد في الحديث، هل هناك حد للنميمة أو حدهما سواء؟.

لا، هما ليسوا سواء كما ذكرنا أن هذا بيان شيء من أنواع السحر التي لا تدخل في السحر المخرج من الملة فالنميمة هي محرمة ومتوعد عليها بالعذاب في الدنيا والآخرة، لكن لا تصل إلى حد الشرك الأكبر المخرج من الملة.

أحب حقيقة أن أُبَيِّن بعض الأمور بهذه المناسبة من الأسباب التي تكون مداخل للشيطان على الإنسان حتى يحذرها ويتجنبها، من الأسباب التي ينبغي الإنسان أن يحذر منها:

- الغضب الشديد؛ لأن الشيطان يدخل على الإنسان من هذا الباب، إذا غضب غضبا شديداً، أو خاف خوفاً شديداً.

- الانكباب على الشهوات والإسراف في الملذات.

- الغفلة الشديدة، الغفلة عن ذكر الله.

- الجهل بالدين وعدم تعلم أحكامه.

- الحرص والبخل. كل هذه مما حقيقته يجعل الشيطان يدخل على هذا الإنسان.

تقول: هناك إنسان مسحور سحر عطف وما هو مقتنع بأنه مسحور، ولا راضي بأن يعالج عند شيخ ولا يقرأ ولا حتى يشرب علاج السحر، فما هو علاجه؟.

واضح السؤال يا شيخ، يعني بعض المسحوريين لا يدرك أنه مسحور، وكذا بالتالي يقف موقف الصد لمن يحاول أن يذهب به، إلى مثلاً قراءة أو يمارس معه مثل القراءة عليه أو يعطيه شيء يشربه.

على كل حال هذا المريض كسائر المرضى ينبغي للمريض أنه يدرك أنه مريض، ثم يسعى بعد ذلك في العلاج أما إذا كان لا يشعر بمرضه فهذه يعني هي مصيبته هو، فهو يمكن أن يقرأ عليه أو يوصى هو بأن يقرأ بعض الآيات أو بعض السور كسورة البقرة وآل عمران كما أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- أرشد إلى قراءتهما وأنها لا تستطيعها البطلة، فيرشد إلى قراءة هذه الأمور حتى ولو لم يقتنع أنه مسحور. والله أعلم.

إذا قرأ عليه يا شيخ وهو في حالة نوم، وكذا وهو لا يدرك شيء ذلك هل ينفعه ذلك يا شيخ؟.

القراءة لا شك أنها تكون أكمل حينما يكون هذا المقروء عليه على استعداد، وعلى تقبل وأيضًا تكون عنده عقيدة صحيحة ويكون عنده يقين وهنا تنفع القراءة بإذن الله.

كنت تتحدث قبل الاتصال الشيخ عن مداخل الشيطان وكيف يتقيه الإنسان.

نعم ، المداخل التي ينبغي للإنسان أن يحذرها وهي مداخل الشيطان:

– الجزع والهلع خاصة حينما يصاب بمصيبة فتجد بعضهم يفقد أعصابه، كما يقال وتنهار قواه فيكون ضعيفاً يمكن للشيطان أن يتلبس به والحالة هذه.

– العجلة، فإن العجلة والخفة تجعل هذا الشخص فريسة للشيطان.

– التبذير في المباحات وفي الملذات وسوء الظن وكثرة الشك والوسوسة وغير ذلك. كل هذه الأمور حقيقة ينبغي الإنسان أن يبتعد عنها؛ لأن هذه من المداخل التي تجعل هذا الشخص فريسة للشيطان.

ما يجب على الإنسان حينما يتقي تفتح أبرز ما يتقي به الإنسان هذه المداخل فضيلة الشيخ؟.

أهم الأمور في الاتقاء من الشيطان:

– الاهتمام بتصحيح العقيدة والتوحيد والإيمان، لا سيما الأعمال القلبية من الخوف والرجاء والتوكل على الله والمحبة لله، والإقبال عليه، فهذه من أهم الأمور للاستعانة بالله على هذا الشيطان.

– الإخلاص لله في الأقوال وفي والأعمال في الظاهر والباطن.

– كثرة الاستعاذة بالله –سبحانه وتعالى– من شر شياطين الإنس والجن.

– المحافظة على الأذكار والأوراد في الصباح وفي المساء وفي المناسبات يعني في كل مناسبة إذا دخل البيت يقول ذكره ووروده وإذا خرج إذا أراد أن يدخل الخلاء إذا خرج إذا أراد أن يجامع أهله إذا أراد أن يأكل إذا أراد أن يشرب في كل مناسبة ورد فيها ذكر يحرص المسلم أن يحافظ عليه بيقين، وأيضًا بتدبر لمعانيه.

– ينبغي أن يبتعد عن المراء والجدل والخصام والفحش والسب والشتام والبذائة؛ لأن كل هذه الأمور مما يجلب عليه الشيطان ويفتح عليه أبوابه.

– ينبغي للإنسان أن يبتعد عن سماع الشيطان، الأغاني والمزامير؛ لأن الشياطين تحضر عند وجود هذا السماع وتخترق قلوب أصحابها.

– يحرص أن يبعد عن بيته الصور والكلاب ونحو ذلك، مما تحبه الشياطين.

– يبتعد عن التشبه بالشيطان، التشبه سواءً في الأكل والشرب، فالشيطان يأكل بشماله، ويمشي بنعل واحدة، في الجلوس بين الظل والشمس في مثل هذه الأمور التي ورد في السنة أنها مقعد الشيطان أو أكل الشيطان.

– الابتعاد عن الأماكن التي تكثر فيها الشياطين كالحمامات والمزابل ونحو ذلك، يبتعد عنها أو لا يكثر منها أو يستعيذ بالله حينما يمر بها يحفظ جوارحه مما يسخط الله، ومن معاصي الله، وفي فرجه وفي سمعه وبصره ولسانه؛ لأن المعاصي هي بريد حقيقة الشيطان، وهي وسيلة لاختراق الشيطان لقلب هذا الشخص.

– عليه أن يكثر من ذكر الله ويحرص أن يكون متوضأ في كثير من عامة أوقاته يبتعد عن الفضولات فضول الكلام، فضول الطعام، فضول المخالطة، والمجالسة، فضول الضحك، وغير ذلك من الفضولات التي يحضر عندها الشيطان ويحرص عليها.

أسئلة الحلقة.

نطرح سؤالي للحلقة القادمة وهي من أسئلة الدرس القادم –إن شاء الله–.

السؤال الأول: ما الفرق بين الكهان وأولياء الرحمن؟

السؤال الثاني: فَصِّل في حكم من يأتي الكهان؟

يعني هل يكون كفراً أكبر أو أصغر أو مثل ذلك؟ فنريد التفصيل، ولعلها تكون الإجابة تكون حاضرة في أول الدرس.

الدرس الثالث: باب ما جاء في الكهان ونحوه

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد سبق الكلام عن بيان شيء من أنواع السحر وهو الباب الذي ذكر تحته المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أنواعاً مما يدخل تحت السحر ومما قد لا يصل إلى درجة المخرج من الملة الذي يكون فيه استعانة بالشياطين، وذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- تحته عدة أحاديث مما مما يصح أن يطلق عليه بأنه سحر كالنميمة والبيان والتنجيم ونحو ذلك، والتطير فذكرها المؤلف -رحمه الله تعالى- ليبين أنها قد تدخل في مفهوم السحر بمعناه العام الذي يكون فيه ادعاء علم الغيب ويكون فيه رجم بالغيب، ويكون فيه إفساد بين الناس، والله أعلم.

باب ما جاء في الكهان ونحوه

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب ما جاء في الكهان ونحوه (روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: من أتى عرافاً فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) .

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الباب عقده المؤلف -رحمه الله تعالى- لبيان الوعيد الشديد الذي ورد في الكهان ونحوهم من أدعياء علم الغيب، ومما يدخل في الكهانة ويدخل في الوعيد المذكور في هذا الباب من العرافة والتنجيم، وما يسمى بقراءة الكف والفنجان، وغير ذلك مما فيه ادعاء علم الغيب، لما في ذلك من المشابهة للكاهن الذي يستخدم الجن للتوصل لبعض المغيبات فالمؤلف -رحمه الله تعالى- عقد هذا الباب للتحذير من هذا الأمر الخطير العظيم، وبيان الوعيد الشديد الذي وردت به السنة لمن فعل هذا الأمر أو رضي به أو ذهب إلى هؤلاء وكثر سوادهم.

والكهانة في الأصل: هي ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض فيكون للكاهن عين من الجن، صاحب من الجن، يمده ببعض الأخبار فيأتي بها الكاهن ويزيد عليها مائة كذبة كما ورد في الحديث.

والأصل في الكهانة استراق السمع، فالجني يسترق السمع من كلام الملائكة فتُلقيه في أذن الكاهن، الجن تُلقي ما استرقته في أذن الكاهن وقد كان ذلك كثيراً بعد مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكن بعد البعثة شُددت الحراسة على السماء كما قال الله - تعالى- حكاية عن الجن: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[الجن:٩]، فبعد مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- شددت الحراسة فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى ما كانوا يصلوا إليه من قبل، والكهان يفزعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث التي تحصل، فيأخذون منهم بعض المعلومات وبعض الكلمات المسترقة، يأخذونها من أصحابهم - من الجن- فيأتي هذا الكاهن أو العراف أو المنجم ويزيد فهيا مائة كذبة كما ورد في الحديث، والعجيب أن الناس يتعلقون بهذه المرة الواحدة التي صدق فيها الكاهن أو المنجم، وينسون الكذبات الكثيرات التي حصلت منه فتجد قلوب الناس تتعلق بما وقع من موافقة قول الكاهن للواقع وينسون كذبه الكثير ودجله على الناس.

وكما سبق قلنا أنه يدخل في الكاهن كل من ادعى الغيب سواءً كان عراف أو منجم، أو ما يسمى بقراءة الكف والفنجان أو ضر الحصى أو الخط في الأرض مما فيه دعوى علم الغيب.

بدأ المؤلف –رحمه الله تعالى– بذكر حديث عن بعض أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذه هي حفصة –رضي الله عنها– كما ورد ذلك في بعض الطرق أنها قالت: (قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) وهذا حديث رواه مسلم غيره، فأصل هذا الحديث عند مسلم ولكن بدون قوله فصدقه، وأما لفظة "فصدقه" فقد جاءت من طريق صحيح أيضاً عند الإمام أحمد –رحمه الله تعالى–، فهذا فيه ذكر لجزاء من أتى الكهان، وأن من عقوبته أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، قال العلماء: إن معنى ذلك أنه لا يثاب عليها فهو مأمور بأن يصليها ولكن لا ثواب له عليها، وإن كانت هي مسقطة للفرض الذي عليه، فإذا أداها قد سقط عنه الفرض وقد أداه، لكنه لا تقبل له الصلاة في معنى أنه لا يؤجر فيما قام به من هذه الصلوات جزاءً لما فعله من ذهابه إلى هذا العراف الذي ادعى علم الغيب، والعراف: من الكهان وهو يدعي علم الغيب، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أمرنا بعدم تصديق هؤلاء الكهان، وعدم الذهاب إليهم، كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال له: (إن منا رجالاً يأتون الكهان، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– فلا تأتهم) فنهاه عن إتيانهم دون تفصيل، فالواجب على المسلم البعد عن هؤلاء الكهان، البعد عنهم مطلقا سواءً صدقهم أم لم يصدقهم، يجب أن يبعد عنهم، ويجب على المسلم أن يعتقد بأنهم لا يعلمون الغيب، ويجب عليه أن يحذر منهم، وأن يقلل من شأنهم حتى لا يتعلق الناس بهم.

(وعن أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–) [رواه أبو داود]).

وهذا الحديث أيضاً فيه بيان لعقوبة إتيان الكهان ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–)) وهذا حديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم وغيرهم، وصححه جماعة من أهل العلم، وفي هذا بيان لعظم إثم الآتي للكهان وإذا كان هذا ذنب من يأتي إليهم، فكيف بذنب الكاهن نفسه الذي يدعي علم الغيب ويتصل بالجن والشياطين ويصدقهم بما يقولون مما يسترقون ومما يزيدون عليه من الكذب الكثير، فأخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– (أن من أتى هؤلاء الكهان فقد كفر بما أنزل على محمد) –صلى الله عليه وسلم–، والمُنَّزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– كما قال العلماء يشمل القرآن والسنة، فالقرآن والسنة فيه النهي عن إتيان هؤلاء، وفيها النهي عن تصديقهم في دعوى علم الغيب، كما قال الله عز وجل: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾[النمل: ٦٥]، فكيف يذهب مسلم يعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله – سبحانه وتعالى– يذهب لهؤلاء الكهان ويسألهم عن الغيبيات مما سيحصل في الأرض وفي المستقبل، ومما يحصل له أو نحو ذلك، ولا شك أن هذا دليل على قلة إيمان هذا الشخص وقلة دينه وعقيدته، ومع الأسف أن إتيان الكهان والعرافين والمنجمين وقارئين الكف والفنجان ونحو ذلك، كَثُرَ في المسلمين، في كثير من البلدان، وتعلقت قلوبهم بهؤلاء الدجالين وهؤلاء الكذابين، وكثروا سوادهم، حتى إنه في إحصائية ذكرت عن دولة عربية أن فيها ستة عشر ألف امرأة قارئة للكف، وينتشر هذا خاصة بين النساء، ينتشر في كثير من مدن وقرى كثير من بلاد الإسلام مع الأسف.

وهناك دارسة أيضاً أجريت على مجموعة من الطلاب والطالبات أكثر من ستمائة طالب وطالبة في إحدى الدول العربية، فوجدوا أن ما نسبته اثنين وتسعين بالمائة كلهم يؤمنون بما يسمى بقراءة الفنجان، فانظر كيف عشعشت الخرافة في أذهان كثير من أبناء الإسلام والمسلمين، وما ذاك في الحقيقة إلا لضعف عقيدتهم وضعف دينهم وجهلهم وانسياقهم وراء هؤلاء الدجالين الأفاكين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل.

تقول: هل متابعة السحرة في التلفاز يعد من اتباعهم، وهل فيه شيء على عقيدة المسلم؟

ماذا تقصد بالسحرة؟

هناك برامج – فضيلة الشيخ- يخرج فيها الساحر وهو يتجاوب، يتواصل مع المشاهدين إما بتعليم السحر أحياناً أو بالسؤال عن فك سحر أو هذا...

النبي -صلى الله عليه وسلم- أرشد – كما في الحديث السابق- وقال لمعاوية بن الحكم: (فلا تأتهم) فلا يجوز للمسلم أن يتعلق قلبه بهؤلاء الذين يدعون الغيب، بل يجب عليه أن يحذر منهم، وأن يفضحهم ويبين كذبهم، لا أن يكون عوناً لهم في باطلهم أو في تزيينه بين الناس.

الفرق بين الكاهن والساحر فضيلة الشيخ قد تطرقنا لهذا؟

الكاهن والساحر يجتمع الاثنان في دعوى علم الغيب، وفي الاستعانة بالجن، ولكن الساحر يظهر أكثر في مسألة مضرة الآخرين بسحره أو بدعوى فك السحر وإزالته.

أما الكاهن فيظهر أكثر في مسألة دعوى علم الغيب، قد يكون في الدلالة على ما سيحصل، أو كما قال بعض العلماء: إن الكاهن هو الذي يخبر عما في الضمير، وكل هذا داخل في دعوى علم الغيب والله أعلم.

(وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-) ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً).

وهذا أيضاً حديث يؤكد ماسبق في الحديث، وقد جاء أيضاً موقوفاً عن ابن مسعود، والموقوف له حكم المرفوع في مثل هذه الأمور؛ لأن هذا لا يقال بالرأي ففيه أن (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-)؛ لأنه ما يجب عن المسلم البعد عن هؤلاء الذين يدعون علم الغيب، والبعد عن هؤلاء الذين يستعينون بالجن والشياطين، يجب عليه أن يتعلق بالله سبحانه وتعالى، وأن يعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله – سبحانه وتعالى-، وأن هؤلاء الذين ادعو علم الغيب هم في الحقيقة أشركوا وكفروا حينما استعانوا بالجن والشياطين، وكما علمنا فيما سبق أن الجن لا يخدمون الإنسي إلا بمقابل، فهذا الساحر أو الكاهن حينما استعان بأصحابه من الجن هو في الحقيقة قرب لهم وتقرب إليهم بنوع من أنواع العبادة، فالواجب على المسلم ألا يعينهم على كفرهم وعلى شركهم وعلى ضلالهم، بل يجب عليه البعد عنهم، فمن أتاهم وكثر سوادهم وصدقهم في دعوى علم الغيب فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-.

(وعن عمران بن حصين -رضي الله تعالى عنه- مرفوعاً (ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-) [رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله (ومن أتى كاهناً.....)إلى آخر])

هذا الحديث الذي رواه البزار وغيره وهو حديث جيد فيه تحذير من السحر والتطير والتكهن والكهانة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- ((ليس منا)) ومعنى ليس منا: أي لا يفعل هذا الفعل من هو متبع لشرعنا وسالك لمنهجنا وطريقتنا، وإنما يفعله من هو مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مخالف لهدي المصطفى-صلى الله عليه وسلم- .

((ليس منا من تطير أو تطير له)) والتطير: هو التشاؤم، وسيرد الحديث عنه -إن شاء الله تعالى- مفصلاً في باب خاص، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى في هذا الحديث عن التشاؤم، تشاؤم بالمرئي أو بالمسموع أو بالمعلوم، فنهى المسلم عن أن يتطير.

قال: ((أو تطير له)) بمعنى أن المسلم منهي عن أن يأمر غيره بأن يتطير له، بعض الناس قد يتطير بنفسه ويباشر هذ الأمر بنفسه، وبعضهم قد يأمر غيره بأن يتطير له، أو قد يكون المعنى أو تطير له يعني: أنه قَبِلَ قول من تطير له واتبعه في تطيره، فهذا أيضاً منهي عنه.

وقوله: ((أو تكهن أو تكهن له)) تكهن يعني صار كاهناً، أو تكهن له بمعنى: أنه طلب من الكاهن أن يتكهن له، فهذا أيضاً منهي عنه، منهي عن أن يطلب من الكاهن أن يخبره بشيء غائب أو يعتقد الشخص أن هذا الكاهن باستطاعته أن ينبأه بالمستقبل.

قال: ((أو سحر أو سحر له)) ومعنى سحر له: أي طلب من الساحر أن يسحر له، فهذا كله منهي عنه.

المسلم منهي عن مباشرة هذه الأمور أو التوصية بها، فلا يتطير ولا يتكهن ولا يسحر ولا يأمر غيره بفعل ذلك له، ولا لغيره أيضًا، فكل من تلقى هذه الأمور أو تعاطاها أو تلقاها عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول -صلى الله عليه وسلم- وبيَّن أنه ليس متابعاً له وليس على طريقته وعلى هديه -صلى الله عليه وسلم-.

فالساحر - كما سبق معنا- كاهن، والذي يرضى بالسحر كافر، والذي يرضى بالكفر فهو كافر، أيضاً من رضي بأن يكفر بالله، أو رضي بأن يشرك بالله فهذا أيضاً كافر؛ لأنه لا يجوز للمسلم أن يرضى بالكفر؛ لأن الله - عز وجل- لا يرضى بالكفر، كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[الزمر: ٧]، فكيف يرضى شيئاً لا يرضاه الله، ومن رضي بالكفر فهو كافر والعياذ بالله.

(قال البغوي -رحمه الله تعالى- «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»)

هذه من أقوال أهل العلم في بيان العراف والكاهن والفرق بينهما، ففي الغالب العراف يطلق على من يستدل بأمور على معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، كأنه هو متخصص في هذا الأمر، يذهب إليه الناس ليدلهم على ما فقدوه أو ما ضاع منهم، وفيه أيضاً شيء من دعوى علم الغيب، والكاهن كذلك هو يدعي الغيب، وقيل: هو الذي يخبر عما في الضمير، يدعي أنه يعلم ما في نفسك، يعلم ما تفكر فيه، يعلم ما في قلبك، فهذا أيضاً دعوى علم الغيب، وبعض العلماء لم يفرق. قال: العراف يطلق على الكاهن، والكاهن يطلق على العراف، وبعضهم قال: إن العراف أشمل، فالعراف يشمل كل مدعي الغيب من الكاهن والمنجم وغيرهم، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-.

منا من يقول في الحديث الشريف "سحر أو سحر له" حينما يأتي إنسان ويعمل عمل سحر لمصلحة أحد من الناس، هل يدخل في ذلك شيء؟ شخص ذهب لساحر من أجل أن يصرف شخص آخر أو كما يسمونه سحر العطف أو الصرف والعطف؟

سبق معنا في السحر أن الساحر كافر، والذي يأتي للساحر إن كان يعتقد أن هذا الساحر يعلم الغيب، أو أن هذا الساحر يملك جلب النفع أو دفع الضر من دون الله هذا كفر لا شك، ومن رضي بعمل الساحر وهو يعلم أن الساحر يستعين بالجن والشياطين ويتقرب إليهم ويعبدهم أو يكفر بالله أو يهين المصحف ونحو ذلك من الكفريات، إذا كان يعلم هذا الشيء ويرضى به فذهب إليه وهو راض بوضعه وبسحره فهذا كفر ولا شك، حتى لو لم يمارس السحر بنفسه؛ ولذلك من النواقض التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وهو أيضاً لم يبتدعها منه وإنما هو نقلها من كلام أهل العلم ولخصها من كلام أهل العلم، قال: السحر سواء فعله أو رضي به -رضي الله عنه- فمن فعل السحر أو رضي به فإنه كافر والعياذ بالله.

(قال البغوي: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: هو الذي يخبر عما في الضمير» وقال أبو العباس ابن تيمية: «العراف اسم للكاهن والمنجم والرَمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»).

نعم، كلام شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- يبين أن العراف لفظ عام أو اسم عام، يشمل كل مدعٍ الغيب سواء سمي رمَّالاً أو كاهناً أو منجماً أو غير ذلك، العراف: هو الذي يدعي علم الغيب سواء الغيب النسبي أو المطلق فهو عراف، فعند شيخ الإسلام أو على رأي شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أن العراف أعم من المنجم أو من الكاهن، والذي يجمع هؤلاء كلهم، يجمعهم دعوى علم الغيب والاستعانة بالجن والعياذ بالله.

(وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»)

هذا من وسائل دعوى علم الغيب الذين يكتبون أبا جاد، وهي حروف الهجاء أبجد هوز، أو ألف باء تاء ثاء، يكتبون هذه الأحرف ويجعلونها في جداول، ولهم طرق في دعوى علم الغيب، فيضمون بعضها إلى بعض ويزعمون أنهم بهذه الطريقة يتوصلون إلى شيء من المغيبات، فابن عباس -رضي الله عنه- ذكر هؤلاء وتكلم عن الذين يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم، فقال: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» أو ما أُرى يصلح بالضم أو ما أرى بالفتح، فأرى بالفتح يعني: أعلم، وأُرى بالضم يعني أظن، ما أظن هؤلاء لهم عند الله من خلاق، يعني من نصيب، فليس لهم عند الله من نصيب.

فمن يتعلم هذه الحروف ويزعم أنه يتوصل بها إلى المغيبات فهذا في الحقيقة هو مثل الكاهن والعراف، أما من تعلمها لمجرد القراءة أو نحو ذلك فهذا لا بأس به أو نحو ذلك كما هو معلوم.

ادعاء الغيب المنهي عنه هنا الذي يسمى علم الحروف، هذا هو المحرم، وهو الذي يدخل في دعوى علم الغيب، كذلك النظر في النجوم كما قال ابن عباس: «وينظرون في النجوم» النظر في النجوم هنا المنهي عنه: هو النظر فيها للاستدلال بذلك على المغيبات، يزعم أنه إذا نظر إلى النجوم في حركاتها واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك أنه باستطاعته أن يصل بهذا النظر إلى معرفة بعض الحوادث الأرضية أو الأشياء المستقبلة ونحو ذلك، فهؤلاء كلهم يدعون علم الغيب بأمور ليست صحيحة.

نستعرض إجابات سؤالي الحلقة الماضية:

تقول: بالنسبة لإجابة السؤال الأول: حكم من أتى كاهناً "عن أبي هريرة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-)، وحديث: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل صلاته أربعين ليلة) ولا تعارض بين الحديثين فمن أتى كاهناً أو عرافاً معتقداً صدقه بأي وجه كان، فإنه يكفر، فمن يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه فهو مثله؛ لقبوله الباطل، واتباعه، وعلى من من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنه غير راسخ في العلم، بل من الجهال لما في إتيانه من المحذور.

السؤال: إتيان الكاهن يعني فيه تفصيل:

أولاً:

– سؤاله مجرداً، فهذا حرام لحديث الباب: (من أتى كاهناً أو عرافاً) فسأله وصدقه فيعتبر بخبره فهذا كفر؛ لأن فيه تكذيب للقرآن الكريم، فالله –عز وجل– يقول: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [النمل: ٦٥] فمن صدق الكاهن فقد كذَّب القرآن والسنة.

– أن يسأله ليخبره اختباراً يعني يسأل الكاهن ثم يختبره، هل يخبر هذا أم لا يخبر؟ فهذا يقول: لا بأس به؛ لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– سأل ابن صياد، وقال: ما خبأت لك فقال: دخان. فهذا كان اختباراً له من الرسول –صلى الله عليه وسلم– .

– أن يسأله ليظهر عجزه أمام الناس، فيقول: هذا واجب؛ لأن هذا يبين للناس أنه لا يعلم الغيب.

يقول: الأصل في إتيان الكهان ونحوهم: أنه حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، وقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾، ففعلهم مشاركة للرب سبحانه في الغيب، إضافة لاستخدام الشياطين والتقرب إليهم، وقد نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن إتيانهم كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي – رضي الله عنهما– كما في صحيح مسلم، وقد صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [أخرجه أحمد وأهل السنن من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–] وأخرج مسلم في صحيحه من حديث صفية –رضي الله عنها– أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)، وأخرجه أحمد في مسنده بزيادة: (فصدقه بما يقول)، فإذا كانت هذه الزيادة ثابتة، فالجمع بين الحيدثين أن يقال: أن هذا الفعل كفر دون كفر، أو يتوقف فيه، وهما روايتان في مذهب أحمد، أو يقال إن صدقه بما يقول في شيء من أمور الماضي، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، وإن صدقه بما يقول في أمور المستقبل فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–، وإن كانت هذه الزيادة شاذة – كما يظهر– فأكثر الرواة على عدم ذكرها؛ لذا أعرض عنها مسلم، فإتيان الكهان من الكبائر، لا تقبل لا صلاة أربعين يوماً، والنفي هنا نفي القبول لا الجزاء كما هو قول الجمهور وتصديقهم كفر، وقد جاء هذا المعنى عند جماعة من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– منهم عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– كما تضافرت النصوص الكتاب والسنة، وهناك أحوال لا يكون الفعل كفر، مثل إتيان الكهان وسؤالهم ليختبرهم كما فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع ابن صياد فلا بأس بذلك، وكذا لو أتاهم ليظهر عجزهم وباطلهم فهذا من إنكار المنكر، وكذلك لو سألهم من باب الفضول من غير أن يصدقهم لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، فأكثر الأحاديث فيها تقيد الكفر بالتصديق والله أعلم.

نشكرهم على الإجابات ويمكن أن نلخص الجواب في حكم الكهان وإتيانهم بما يليق:

– أولاً: بالنسبة للكهان والكهانة، لا شك أن هذا كفر؛ ولأن فيه ادعاء علم الغيب والاستعانة بالشياطين الذي يترتب عليه تقديم شيء من العبادة لهم من دون الله؛ ولذلك مذهب الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– أن الكاهن والعراف يستتاب كل منهما فإن تابوا وإلا قتلوا.

أما إتيان الكهان – وهو موضع البحث هنا– فالعلماء –رحمهم الله تعالى– تكلموا فيه وجمعوا بين النصوص الشرعية الواردة في النهي عن الإتيان، فهناك بعض النصوص: (لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)، وفي بعضها: (فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–) قال العلماء: إن هذا يختلف باختلاف الشخص.

الحالة الأولى: فمن أتى الكهان لمجرد سؤالهم دون أن يجزم بصدقهم أو بمعرفتهم بالغيب ونحو ذلك فهذا لا شك أنه محرم وفاعل لكبيرة، وصاحبه جزاءه ما ذكر في الحديث (لم تقبل له صلاة أربعين يوماً).

الحالة الثانية: أن يأتيهم ليختبرهم، ويظهر عوارهم، أو ينكر عليهم، أو يحذر منهم، فهذا كله أمر مطلوب، وصاحبه مأجور.

الحالة الثالثة: أن يأتيهم ويصدقهم في أقوالهم أو فيما يخبرون، فهذا الشخص - في هذه الحال- حينما يصدق هؤلاء الكهان جزاءه المذكور في قوله -صلى الله عليه وسلم- (فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-).

يبقى هذا الكفر المذكور في الحديث، هل هو كفر أكبر مخرج من الملة أم هو كفر دون كفر؟ كفر أصغر لا يخرج من الملة أو نتوقف فلا نقول: إن هذا الشخص الذي ذهب إلى الكهان وصدقهم إنه كفر وخرج من الملة ولا نقول إنه كفر كفراً لا يخرج من الملة وهو الكفر الأصغر؟

اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في ذلك، ولعل الراجح - والله أعلم- أن يفرق بين الأحوال، فيمكن أن نقول:

- إن هذا الشخص الذي ذهب إلى الكاهن وصدقه، إن كان صدقه في دعوى علم الغيب المطلق، وأنه يعلم ما سيكون ويعلم بالمستقبل، ويستطيع أن يخبرك بما سيحصل لك، وما سيأتيك ونحو ذلك، فهذا كفر، وتصديقه كفر؛ لأن هذا من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى- قال عز وجل: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾، وقال: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾[الجن: ٢٦، ٢٧]، فمن صدق الكاهن في دعوى علم الغيب المطلق، فهذا كافر والعياذ بالله كفراً أكبر.

- وإن صدقه في غيب نسبي، يعني غاب عن الشيء نفسه، أو عن أشخاص، أتى بالخبر هذا الكاهن فهذا كفر أصغر، ومن الغيب النسبي: أن يمثل له بما سبق من الدلالة على موضع الضالة أو المسروق، فإذا كان هذا يخبر بهذا الغيب النسبي فهذا أمر ممكن، ولكن الشخص هذا الذي يأتي الكهان ينهى عن ذلك حتى ولو كانوا يخبرون بهذا الأمر الذي غاب عنه، وعلمه هؤلاء.

في السابق قبل أن تتطور وسائل الاتصال كان لهم شأن بسبب استعانتهم بأصحابهم من الجن الذين لهم قدرة قدرهم الله - سبحانه وتعالى- على قدرة التنقل والإتيان بهذه المعلومات، فيخبروهم بما حصل في المكان الفلاني، وفي الأرض الفلانية، ونحو ذلك.

الآن مثل هذا ليس له كبير شأن، باعتبار وسائل الاتصال الحديثة، لكن قد يكون بغيب نسبي كما سبق التنزيل عليه فيما مسألة المكان المسروق ونحو ذلك، بالاستعانة بأصحابهم من الجن، فهذا ممكن ولكنه لا يجوز، لا يجوز للشخص أن يذهب إليهم لما فيه من تكثير سوادهم، وإعانتهم على باطلهم؛ فلذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاوية بن الحكم: (فلا تأتهم) حتى إنه قال: (إنهم يخبرون بالشيء فيكون، فقال: إنهم ليسوا بشيء) حتى فيما يسترقون من السمع، مما يوحيه الله -عز وجل- للملائكة، فإنهم يزيدون معه مائة كذبة، كما في الحديث؛ لذلك هذا الشخص الذي يصدقهم في هذا فهو متوعد بهذا الوعيد، وإن كان ليس كوعيد من صدقهم بعلم الغيب المطلق، والله أعلم بالصواب.

إجابة السؤال الآخر: يقول: أولياء الله وصفهم سبحانه بقوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴿٦٣﴾﴾[يونس: ٦٢، ٦٣]، فجمعوا بين الإيمان بالله - عز وجل- وتقواه سبحانه، وكان نهجهم على نفس نهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة والسلوك، وقد يفتح له سبحانه من الكرامات الربانية ما لا يفتح لغيرهم، وأما الكهان فهم من أولياء الشيطان، خالفوا أمره سبحانه، وشاركوه في علم الغيب بالتقرب إلى الشياطين بصرف صنوف من العبادة، فأخطأوا على مقام الرب - سبحانه وتعالى- وما يكون

لهؤلاء من خوارق شيطانية، فإنه استدراج لهم، وقد جاء في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: (سأل أناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الكهان فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ليسوا بشيء قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيخطرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة، وقد صنف العباس ابن تيمية الحفيد كتاباً سماه "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" فهو نافع في بابه.

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (الكهان)

هناك حقيقة في بعض الأحوال قد تختلف على بعض الناس بسبب جهلهم، قد يختلط عليهم الأمر ويلتبس عليهم الحال، فيظنون أن الكهان من أولياء الرحمن، وهم في الحقيقة من أولياء الشيطان، وبعض الكهان يدعي الولاية، ويتظاهر أمام الناس بالصلاح ويزعم أن ما يأتي به هو من قبيل الكرامة أو ما يشبه الوحي أو نحو ذلك، وربما زكى نفسه أمام الناس وغير ذلك، حتى تلتبس حاله على عامة الناس، فلا بد للمسلم أن يتبصر ويعرف الفرق بين هؤلاء وهؤلاء حتى لا يختلط عليه الأمر.

أولاً: نقول إن حقيقة الولاية هي التقرب إلى الله – سبحانه وتعالى- بطاعته، وبترك معصيته، والله – عز وجل- ذكر شرطين للولاية، كما في قوله سبحانه: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فالإيمان والتقوى هما شرطا الولاية، فمن كان مؤمناً متقياً فهو من أولياء الله، ومن فقدهما، أو فقد واحداً منهما فهو من أولياء الشيطان، فالكاهن ليس عنده إيمان ولا تقوى، إذن هو ليس من أولياء الرحمن.

هناك فرق بين الكرامة والخارق الشيطاني، أو الكرامة التي تأتي من الولي وبين ما يأتي به هؤلاء الكهان من بعض الخوارق، منها: حال الشخص، نحن نفرق بين الاثنين بحال الشخص، فالولي في ظاهره متبع لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومقتدٍ به، أما الكاهن فهو في ظاهره غير مقتدٍ بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ربما تجده لا يصلي أو لا يحافظ على الصلاة أو لا يحفظ القرآن ويتلوه ويتدبره، ولا يلتزم بسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- تجد عنده اعتقادات فاسدة وخرافات ونحو ذلك.

أما أولياء الرحمن فهم يتبعون النبي -صلى الله عليه وسلم- في ظاهرهم وباطنهم؛ ولذلك يقول السلف: إذا رأيتم الشخص يطير في الهواء أو يمشي على الماء، فلا تصدقوه، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فإن كان متبعاً للكتاب والسنة في ظاهره وباطنه، فهذه كرامة من الله – سبحانه وتعالى- كما حصل لبعض الصحابة وبعض السلف الصالح، وأما إذا كان الشخص ظاهره الفسق والفجور، فإنما الذي حصل منه هذا من الشيطان.

أيضاً نوع الخارق الذي يأتي به هؤلاء وأولئك، فالذي يأتي على أيدي الأولياء هو محمود وهو شيء مفيد، أما ما يأتي به هؤلاء الكهان ونحوهم فكثير منه تجد فيه الباطل أو فيه المضرة ونحو ذلك.

أيضاً تأسيساً على ما سبق يقال: إن سبب الولاية هي الإيمان والتقوى، وسبب الكهانة هي الفجور والبعد عن الدين والتعلق بالشياطين.

هذه بعض الفروق التي يمكن للإنسان أن يميز بها بين أولياء الله – سبحانه وتعالى- الصادقين، والكهان والعرافين والمنجمين الكاذبين الذين يكذبون على الناس ويتظاهرون وربما تظاهروا بالصلاح أحياناً حتى يلتبس حالهم على الجهال.

بم ورد الوعيد الشديد على من أتى كاهناً وصدقه لم تقبل له صلاة، وفي الحديث الثاني: أنه كفر بمـــا أنـــزل على النبي –صلى الله عليه وسلم–، فمعنى الحديث:

أولاً: الذي أتى إليهم ولم يصدقهم يخرج من هذا الوعيد.

الثاني: إذا استعمل الجن في ضالة أو في كشف المرض مثل هذه الأمور هل يدخل ضمن السحرة أو ضـــمن الكهان وحكمه يكون حكم الكهان؟.

السؤال الأول يبدو أنه سبقت الإجابة عليه، وهو أن من أتاهم وصدقهم في دعوى علم الغيب المطلـــق فإنـــه يكون كافراً خارج من الملة، بخلاف من أتاهم ولم يصدقهم وإنما لمجرد السماع منهم أو نحو ذلك فهذا لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، أما من أتاهم للإنكار عليهم وفضحهم، وبيان باطلهم والتحذير منهم، فهذا مأجور.

السؤال الثاني: الاستعانة بالجن والشياطين بمعرفة الضالة ونحو ذلك، فهذا لا يعمل، ويبتعد عنه المسلم؛ لأن:

الأمر الأول: هذا وسيلة إلى الشرك – والعياذ بالله– ولأن هؤلاء الشياطين لا يعينون المسلم، لا يعينونـــه إلا بمقابل أن كل واحد يستمتع بالآخر والشياطين يحرصون أن يذلوا الشخص، ويكون تابع لهم.

الأمر الثاني: وهو أنهم قد يضلونه، لا يستطيع الإنسان أن يثق بهؤلاء؛ ولذلك كثير من الذين يتعلقون بـــالجن والشياطين يقعون في مشاكل، تجده يقول: أنا سألت أو أنا سمعت هذا، أو نطق الجني فيقـــول: فـــلان ســـحرك، السحر في المكان الفلاني، الضالة في المكان الفلاني، فلان يريد أن يفعل كذا، فيوجد العداوة بين النـــاس، وهـــم كذبة فجرة، فكيف تميز أنت بين الصادق والكاذب، فلا يجوز للمسلم أن يميل قلبه ويتعلق بهؤلاء؛ لأنهم يردونه ويهلكونه، ولا يجوز له أن يثق بهم.

تقول: أريد أن أسأل عن السحر إذا وجد إنسان سحراً معقوداً، ولا يدري من عقد هذا السحر، ما الواجب على الذي وجده وجزاكم الله خيراً؟

كيف يعرف أنه سحر؟

أحياناً يكون بطريقة معينة وموضوع في مكان منزوي وكذ

الأمر الأول: نحن ما نحب أن يكون هناك وسواس، كلما رأى الإنسان شيء معقود أو شيء كذا قال هذا سحر هذا أمر.

الأمر الثاني: إذا شك فيها أو نحو ذلك، فليبعده ويزيله ويحله، وله بذلك أجر –إن شاء الله تعالى– ويـــستعين بالله ويستعيذ به سبحانه وتعالى.

ليس هناك طريقة معينة، قراءة مثل آيات من الذكر أو إحراق أو كذا؟

ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قراءة المعوذات في حل هذه العقد، فيمكن أنه يقرأ هذه وهذه مما يعين على حل السحر عن المسحور.

تقول: هل تجوز توبة الساحر والكاهن أجيبوني بارك الله فيكم؟

سبق الحديث عن توبة الساحر، والخلاف فيها، قال بعض العلماء: تقبل توبته، وقال بعضهم: لا تقبل. والخلاف بين العلماء في قبولها وعدمها هو في التوبة ظاهراً لا في التوبة باطناً، التوبة بين الشخص وبين الله –سبحانه وتعالى– تقبل من أي ذنب، إذا تاب توبة صادقة قبلت بإذن الله، إذا توافرت فيها شروط قبول التوبة، أما في الظاهر فهذا هو الذي فيه خلاف بين العلماء، بعضهم قال: إذا تاب فإنها تقبل توبته، بمعنى أنه يسقط عنه القتل، وبعضهم قال: لا تقبل، ولا سيما إذا جعل حداً، وإن الحدود إذا بلغت السلطان فلا تسقط، وبعضهم: إن هذا راجع لولي الأمر يقدر المصلحة، والله أعلم.

تقول: بالنسبة لباب التطير، أنا أشرح للطالبات كتاب التوحيد، والنهي عن الاعتقاد في الطيرة والهامة وصفر، والطالبة لا تعتقد ذلك أليس تدريسنا لها في هذا السن ترسيخ لهذا الاعتقادات في أذهان الطالبات، وقد تعتقد ذلك بعد أن كانت لا تعتقد ما رأيكم فضيلة الشيخ؟

هذا استباق للباب قبل أوانه، ولكن نشير إشارة عامة، وهو أن التطير بابه واسع ليس خاصاً بالطيرة، بمعنى التطير بالطير، بل إن بابه واسع، وهو التطير والتشاؤم في كثير من الأشياء، فإن كانت هذه الطالبة الحمد لله بسبب عيشها في بيئة إسلامية وعقيدة صافية، ليس عندها شيء، فإنها تعلم الشر لتجتنبه حتى لا تقع فيه، وحتى تحذر غيرها منه، وقال حذيفة –رضي الله عنه–: (كان الناس يسألون رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) فنحن أيضاً نتعلم حكم الشرك وصوره حتى نحذرها.

الطيرة كما قلت: بابها واسع هناك تطير بالأشخاص، حتى قد يوجد في المجتمع تطير بألوانهم أو بعاداتهم، وهناك تطير ببعض الأيام، وهناك تطير ببعض الأعداد، بعض الدول مثلاً حسب ما أسمع الرقم ثلاثة عشر لا تكاد تجده في بعض الدول حتى لو كان في مصعد في عمارة، فيها مائة دور أو ثمانين لا تجد الرقم ١٣ إنما يكتبون ١٢ ويجعلون ١٢ مكررة ونحو ذلك، هناك أيضاً كراسي في بعض الطائرات، المهم أن هذا من الأعداد الذين يتطيرون به، بعضهم يتطير ببعض الشهور، بعضهم يتطير بالأماكن، أو ببعض الطرق، أو ببعض الأشياء، فصور الطيرة متجددة ومتنوعة بحسب المجتمعات، فأنا أوصي هذه الأخت المعلمة أن تستقرئ واقع مجتمعها، وتتعرف على بعض صور التطير، وهناك دراسات أجريت على مجتمعنا في التطير واستبانات وزعت لمعرفة أبرز الأشياء التي يتشاءم بها الناس، أو يتطيرون، ويتضايقون منها، ويتوقعون منها الشر، هذه كلها مما يدخل تحت الطيرة، والله أعلم.

تقول: هل يجوز لمسلم أن يتعلم فك السحر بالقرآن؟

بسم الله الرحمن الرحيم، سبق معنا في باب النشرة ذكر بعض الآيات والأحاديث التي ذكرها أهل العلم في فك السحر عن المسحور، فنقول على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم هذه الآيات والأحاديث ويقرأها على المسحور، وهذا أمر مشروع، وله به أجر، هذا ليس من العلم الخفي، ليس مثل النشرة التي عند الدجالين والسحرة ونحوهم.

تقول: أريد أن أسأل الشيخ عن بعض الأساور عند البنات تكون على شكل خيوط معينة هل يجوز لبسها؟ أو أنها تكون داخلة في حكم التمائم مع العلم بأن لبسها ليس من ذلك، وإنما من باب الزينة فقط ؟

التميمة هي ما يعلق اتقاء العين أو الضر أو نحو ذلك، قد يعلق في اليد أو في الرقبة أو يربط به رباطاً أو نحو ذلك أو يوضع في السيارة أو في البيت أو في المكتب أو غير ذلك، والتميمة كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من تعلق تميمة فقد أشرك)، وهذه التميمة قد تكون من الخيوط ومن الليف ومن البلاستيك أو من الحديد أو من الودع والصدف أو من الزجاج أو من الجلود أو من غير ذلك مما يعلق بهذه العقيدة، وفي الغالب التمائم هي الخيوط والسيور التي تعلق على صفة معينة، يعلم بها أن ذلك من أجل العين أو أنه تميمة.

أما الأساور التي تلبسها النساء فليست من التمائم إذا كانت هي للزينة، والغالب أن التي بالزينة ليست صفتها كصفة التمائم والسيور والخيوط التي تعلق من أجل دفع العين، أو من أجل جلب النفع أو نحو ذلك.

فإذا لم تخش المشابهة فلا بأس بذلك، وإنما ينهى عما يشابه، كما يوجد عند بعض الناس ويلبس بعض الرجال سيوراً سود تشبه من يلبسها لاعتقاد التميمة، فإذا قيل لأحدهم لماذا تلبس هذا؟ اخلع هذا؟ أبعد هذا؟! قال: أنا لا أقصد التميمة، نقول: نعم، ولو لم تقصد، ما دام أن هذا مشابه للتمائم التي تعلق ينبغي أن تبتعد عنه؛ بعداً عن المشابهة، وأيضاً حفاظاً لعرضك عن أن يظن بك أنك تعلق تمائم.

تقول: هل إذا كان المرء يخاف من ساحر بجواره، أن يقوم بإيذائه يكون ناقص الإيمان، وجزاكم الله خيراً؟ يسكن بجوارها ساحر، وتقول بأنها تخاف منه، أو في حال كون الإنسان يخاف من هذا الساحر أن يؤذيه هل يعتبر هذا الرجل – أو هذه المرأة– ناقص الإيمان؟

سيرد –إن شاء الله تعالى– في باب ما يتعلق بالخوف، وأن الخوف أنواع، هناك خوف طبيعي، وهناك خوف السر الذي لا يجوز إلا أن يخاف من الله سبحانه وتعالى.

– فالخوف الطبيعي: كخوف الإنسان من عدوه أو كخوفه من حيوان مفترس أو نحو ذلك، هذا شيء طبيعي إذا لم يتجاوز حده الطبيعي.

– أما الخوف المحرم: فهو أيضاً قسمان وإن شاء الله تعالى يرد تفصيله أكثر، لكن نتكلم هنا عن مسألة الخوف من الساحر إذا كانت تخاف من هذا الساحر أن يضرها بسحره، يضرها بمعنى أن يضرها بإراداته بحيث أنها تخاف أنه هو في بيته وهي في بيتها تخشى منه أن يعلم ما في بيتها، ويعلم ما في نفسها، ويمنع رزقها، أو يجلب لها المرض، أو يريد موتها فتموت بإرادته وبمشيئته دون أسباب ظاهرة، فهذا الخوف شرك لا يجوز أن يخاف المخلوق مثل هذا الخوف. والله أعلم.

السؤال الأول: هل الإخبار عن المغيبات فيما مضى من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كأن يفهم من التفريق في الإخبار عن الغيب فيما مضى وفيما سيكون وما كان، لعموم حديث أبي هريرة (من أتى عرافاً فصدقه بما يقول) وهذا يشمل ما كان في الماضي أو المستقبل، والتفريق بين الغيب غير النسبي، أحياناً قد يكون مستقبلاً قال الله – تعالى– في سورة سبأ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[سبأ: ١٤]، فهذا علم الغيب أنهم مع ذلك ما عرفوه، فالتفريق بين الغيب النسبي والغيب المطلق في تصديق الكهنة؛ لأنه يترتب عليه مسألة حادثة، اليوم لما كثرت حوادث الخطف صار بعض الناس يسألون الكهان ويأتون إليهم، أين فقدت بنتهم؟ ومن فعل هذه الجريمة؟ كأن يفهم من شيخنا هذه الأفعال أنها كفر أصغر ولا تصل حد الكفر الأكبر؟

السؤال الثاني: مسألة إتيان الكهان يعني الآن تنوعت صارت إتيان الكهان والعرافين بالنسبة للناس أسهل بكثير، صار بعضهم يدخل مواقع الإنترنت ويدير صفحة الكاهن أو الساحر، صار بعضهم يشاهد برامج القنوات الفضائية، هل مشاهدة القنوات تأخذ أيضاً حكم إتيان الكهان والعرافين؟ مشاهدة البرنامج تصديقهم من صدقه كفر وإن لم يصدق لم تقبل لهم صلاة أربعين يوماً؟

السؤال الثالث: إذا كان هذا الوعيد الشديد على الكهان والعرافين الذين يعرف الناس خطرهم فكيف بالذين يلبسون لباس الصالحين والأولياء فيما زعموا، ويدعون أنهم يعلمون الغيب ويصدقونهم الناس في هذه الأمور؟

السؤال الرابع: شيخنا بعض المفسرين من يقول: إنه في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من السنة الفلانية سيحدث كذا، أليس هذا من علم الغيب؟ إذا كان الكهان يقولون كذا، ولا نصدقهم كيف بهؤلاء الذين يقولون مثل هذه الأشياء وبالتحديد يحددونها؟

أنا ذكرت الغيب المطلق والنسبي، وكما ذكرت كلها داخلة في المنهي عنه، إتيان الكهان منهي عنه مطلقاً، لا يصدقهم فيما مضى، ولا في المستقبل، وقلت: كله كفر، ولكن هناك كفر بين الأمرين، وكما هو معلوم: أن العلماء -رحمهم الله تعالى- منهم من قال في حديث: (فقد كفر بما أنزل على محمد) يعني كفر أصغر، أو كفر دون كفر، مطلقاً وأطلقوا الحكم، ومنهم من قال نتوقف، ولعله جمع بين أقوال العلماء: أن من صدقهم في المستقبل فهذا كافر خارج عن الملة، ومن صدقهم في أمر ماضي مما قد يعلمونه هم كمكان الضالة قد يعلم الشيطان أن المسروق في المكان الفلاني، وهذا الشيطان أو الجني يخبر صاحبه الكاهن، فيذهب الشخص إلى الكاهن فيخبره فنقول: هذا محرم أيضاً وهو كفر، لكنه ليس مثل الشخص الذي يظن ويعتقد أن الكافر سيخبره بما سيكون بعد سنة مثلاً، بعض الناس يذهبون للكهان فيقول: أنت سيأتيك خمسة أولاد، أنت سيأتيك من المال كذا، أنت ستعيش كذا، فمن صدق الكاهن في مثل هذا ليس كمن صدق الكاهن في غيب غاب عنه هو، وعلمه بعض الشياطين مما حدث في الأرض وأخبروا به هذا الكاهن، فنفرق بين الحالين، وإن كان كل منهما منهياً عنه.

أشار إلى قضية إتيان الكهان الآن وإتاحة هذا الأمر وذلك عبر المواقع، عبر شاشات التلفاز، هل هذا مثله؟ مثل من سعى إليهم برجله وقصدهم؟

إذا كان الأمر يتعلق باعتقاد الشخص فهذا منهي عنه، يعني اعتقاد الشخص أن هؤلاء الكهان يمكن لهم أن يعلمون الغيب، فهذا لا شك أنه يأخذ نفس الحكم حتى ولو كان هذا في بيته، حتى لو أنه اتصل بالهاتف على الكاهن وأخبره، ولو لم يأتيه، فإذا اعتقد أن هذا الكاهن باستطاعته أن يعلم ما سيكون ونحو ذلك فهذا لا شك أنه كفر ويأخذ حكم من أتاه مباشرة.

أشار كذلك إلى قضية كنت سأشير إليها وأبحثها مع فضيلة الشيخ، هناك في بعض البلاد، من يعتقد الكرامة والولاية، ويسعى بأنه ولي أو يشيع بأنه ولي من أولياء الله تعالى، فيستغل هذا الأمر في أمور كثيرة، الفرق بين أولياء الله الصادقين، وكذلك الفرق بينهم وبين الدجالين والمرتزقة والمخادعين الناس؟

هذا شيء مهم، ومع الأسف في كثير من بلاد الإسلام هناك أناس يدعون الولاية وهم كاذبون، نحن عندنا فرقان وميزان لأولياء الله، وعندنا أولياء الرحمن، وهناك أولياء للشيطان، أفضل الأولياء هم الأنبياء وأفضلهم الرسل وأفضلهم أولوا العزم، وأفضل أولوا العزم محمد -صلى الله عليه وسلم- والصحابة هم أيضاً من أولياء الله، وعندنا شرطان من تحقق فيه هذان الشرطان فهو من أولياء الله: الإيمان والتقوى، وكل مسلم ولي لله، كل مسلم عنده أصل الولاية ولكن المسلمين يتفاوتون في ولايتهم لربهم بحسب إيمانهم وبحسب تقواهم، وهناك أولياء للشيطان كما قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[النساء: ٧٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران: ١٧٥]، يعني يخوفكم بأولياء.

فهناك أولياء للشيطان وهم يتظاهرون بالولاية من الكهان والكذابين والفساق ونحوهم، ومن علاماتهم: أنهم يتركون الواجبات ويفعلون المحرمات، ويزعمون أنهم أولياء الله، بل إن منهم من يزعم أنه تسقط عنه التكاليف، أنه إذا بلغ رتبة من رتب الولاية سقطت عنه التكاليف، فلا يسأل عما يفعل، يترك الواجبات ويفعل المحرمات، ويقول: أنا وصلت، وربما قال: وصلت إلى درجة اليقين، والله - عز وجل- يقول: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر: ٩٩]، واليقين: هو الموت، لكنه هو يفسر اليقين بدرجة إذا وصل الولي إلى هذه الدرجة سقطت عنه التكاليف، فيترك الصلوات ويفعل المحرمات، ومن قرأ في كتب مدعي الولاية رأى من ذلك عجباً، لو قرأ الواحد في كتاب جامع كرامات الأولياء للنبهاني أو كرامات الأولياء للشعراني وجد أشياء غريبة، تشوه

المسلمين من الكرامات المدعاة، فهذا الشعراني يذكر شيخه إبراهيم العريان، ويصف أنه من ولايته أنه يخطب عرياناً، ويجعل هذه من الولاية، وولي آخر – والعياذ بالله- يفعل الفاحشة بالبهائم وغير ذلك من الأشياء التي يتقزز من قرائتها المسلم، كيف يكون هؤلاء أولياء الله؟

تجد ممن يدعي الولاية لا يصلي وربما جعلت هذه من كرامته أنه وصل وسقطت عنه التكاليف، وربما يزني أو يسرق، وتجده من أبعد الناس عن سنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن أجهل الناس بالدين، ومن أجهل الناس بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومع الأسف تنطبق كثير من هذه الأمور على السذج وعلى الجهال، فتجدهم يتمسحون بهؤلاء ويقبلونهم، ويتقربون إليهم وهؤلاء يفرحون؛ لأنهم يبتزون أموال الجهال بتظاهرهم بالولاية، وزعمهم أنهم يحصل على أيديهم كرامة ونحو ذلك.

والحق أن أولياء الله – سبحانه وتعالى- هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- قد يكونون علماء، وقد يكونون عامة، وقد يكونون رجال أو نساء، أو عرب أو عجم، يكونوا في كل الطبقات.

أولياء الله ليس لهم شعار يرفعونه فوق رؤوسهم، ليس لهم لبس خاص، ليس لهم علم يكتمونه عن غيرهم، فعلم الشريعة مبسوط لكل الناس، وليس فيه أسرار – ولله الحمد – و المسلم الصادق ما يتطلع للولاية، لا يتطلع للكرامة، قد يكون ولي، لكن لا يتطلع أن يحصل على يديه أمور خارقة تصرف وجوه الناس إليه، وكما قال بعض السلف: "إن أفضل الكرامة الاستقامة، فكن طالباً للاستقامة ولا تكن طالباً للكرامة، حظوظ النفس تطلب الكرامة، وأن يحصل على يديه شيء، لكن الله سبحانه وتعالى يريد منك الاستقامة، وأفضل كرامة تكرم بها أن تكون مستقيماً على طاعة الله، وملتزماً بشرع الله لا أن يكون على يديك خارق تتفاخر به أمام الناس.

سآتي بمثال لمعرفة كيف يدحض إيمان الساحر أو أي شخص يكفر بالله، مثال رجل مؤمن تعلم السحر في هذه الليلة، إيمانه ما قبل التعلم كان مؤمناً بالله ومصدقاً، إيمانه بعد التعلم حينما يحكم بكفره، هل هو الكفر يذهب الإيمان من قلبه بمجرد تعلم السحر أو يبقى الإيمان مع الحكم بكفره خاصة شخص كان مؤمن فجأة يكفر هل ينفعه الإيمان أم لا ينفعه؟ هذا سؤالي خاصة وأنه يعني لو رأيناهم لزاد إيماننا بالله سبحانه وتعالى ولسلمنا لله أكثر

نقول للأخ لا تتعجب من زوال الإيمان، فالإيمان قد يزول بكلمة، وأنا أعطيك مثل أقرب من ذلك لو أن شخصاً مؤمناً يصلي ويصوم، ولكنه والعياذ بالله سب الله تعالى أو داس المصحف واستهان به أو نحو ذلك، خرج من الدين، يخرج من الدين بالكلية، كذلك السحر لا يتعلمه شخص إلا بعد الكفر كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾[البقرة: ١٠٢]، فإذا عرفنا أن الساحر لا يمكن أن يتوصل إلى معرفة السحر حقيقة – نحن نتكلم عن السحر الحقيقي لا يتعلم السحر من الشياطين- إلا بعد أن يكفر بالله ويشرك بالله، سواء بصرف عبادتة للجن والشياطين أو استهانة بحدود الله ونحو ذلك، بالسخرية من دين الله عرفنا أنه قد يخرج من الدين بوقت قصير ونسأل الله سبحانه وتعالى الثبات والهداية والحفظ من شرور شياطين الإنس والجن.

-إن شاء الله تعالى- الحلقة القادمة سيكون شرحاً لباب التطير أو ما جاء في الطيرة وسأذكر سؤالين:

السؤال الأول: سيرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث (لا طيرة) فنقول لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث "لا طيرة" هل هو للنفي أو للنهي؟

السؤال الثاني: ماحكم الطيرة؟ نريد تفصيلاً في ذلك؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحـديث قـال: (الطيرة شرك) فهل هي شرك أكبر أو أصغر أو يختلف الحال؟ ونسأل الله عز وجل أن يرزقنـا العلـم النـافع والعمل الصالح وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الدرس الرابع

باب ما جاء في التطير

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد عقد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- هذا الباب لبيان ما جاء في الطيرة، أو في التطير من الوعيد الشديد، وحكمه، وكفارة ذلك لمن وقع فيه، وذكر في هذا الباب بعض ما جاء في التطير والطيرة من الآيات والأحاديث الدالة على عظم هذا الأمر.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في التطير، وقول الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١])

مفهوم الطيرة وصورها:

وفي البداية نحب أن نعرف مفهوم الطيرة والتطير التي جاءت النصوص بالتحذير منه، فالطيرة هي: مصدر تطير يتطير، وهو التشاؤم، فالطيرة هي: التشاؤم. أو التشاؤم قد يكون بأشياء كثيرة، تشاؤم بالمسموعات، وتشاؤم بالمرئيات، وتشاؤم بالمعلومات، وغير ذلك، فكل من وقع في هذا التشاؤم بأي شيء من هذه الأشياء فإنه وقع في التطير المنهي عنه.

والتشاؤم له صورة كثيرة، وأنواع عديدة بعضها يكاد يكون منتشراً في كثير من البلدان والأزمان، وبعض أنواعه قد تكون من خصائص بلد معين، أو زمن معين، ويصدق عليها كلها أنها تطير.

وأصل هذه الكلمة "تطير" أصلها مأخوذة من التطير بالسوانح، والبوارح، الذي كان عند العرب، يتطيرون بالسوانح والبوارح من الطير، والظباء، وغير ذلك، فما ولاهم ميامنه يسمونه السوانح، ويتيمنون به، ويمضون إلى شأنهم. وما ولاهم مياسره فإنهم يسمونه البارح، ويتشاءمون به.

إذا تكرمت فضيلة الشيخ أخذنا تفصيل لهذا الشيء، يعني حينما يأتي الطير عن يمين الشخص، فإنه مثلاً يذهب أو يمضي أمره، وإذا أتى عن شماله فهو يحجم، كيف تكون الصورة ؟

إذا مر الطائر عن يمين الشخص وولاه ميامنه، فإنه يتفائل بما يريد هو، قد يكون يريد سفراً، أو يريد تجارة، أو يريد زواجاً، أو نحو ذلك، فيثير الطير، أو إذا رأى طيراً يتطير به، فإن ولاه ميامنه تفائل ومضى، وإن ولاه مياسره تشاءم، فيسمى السوانح والبوارح، وأيضاً يسمونه الناطح، والنطيح، وهو الذي يأتي من الأمام، والقاعد، والقعيد، وهو الذي يأتي من خلف الشخص.

هذا أصل اشتقاق كلمة الطيرة؛ لأنها تشاؤم بالطير، أو إثارة الطير، أو زجر الطير، أو رؤية الطير على حالة من الحالات التي يتفائلون أو يتشاءمون بها.

ثم إن الطيرة بعد ذلك تشمل كثيراً من الأمور كما سبق، وليست خاصة بالطير، فهناك تطير بالأزمان، وتطير بالأشخاص، وتطير بالأصوات، وتطير بالبقاع، وتطير بالأعداد، وغير ذلك مما هو منتشر في كثير من البلاد، وعند كثير من الناس.

فنجد مثلاً التطير بالبومة، وهو طير موجود من قديم الدهر، ولا زال موجوداً حتى اليوم، من الناس من يتطير بالبومة، ويرى أنها تنعاه، أو تنعى أحداً من أهل بيته، وكذلك يتطيرون بالغراب إذا رأوه، ومن العقائد الخرافية في هذا الباب المنتشرة في بعض الدول العربية، أنهم يتطيرون بالمقص إذا كان مفتوحاً ويتشاءمون به. كذلك يتطيرون بالمرآة إذا كانت مكسورة، ويتطير بعضهم بالحذاء إذا كان مقلوباً، وبعضهم يتطير بطنين الأذن، أو رفيف العين، أو خدر الرجل.

وأيضاً بعضهم يتطير ببعض الألوان، كلون السواد، فإذا صار من حظه، أو رأى هذا اللون فإنه يتشاءم، ويعود عما يريد، كذلك بعض العاهات، بعضهم يتطير مثلاً بالعور، أو بالعرج، وفي حالات كثيرة، نفترض أن شخصاً يبيع، فإن كان أول من يأتيه شخص أعور فإنه يتشاءم طول اليوم، أو إن رأى أول ما رأى في خروجه شخصاً أعرج، أو أسود، فإنه يتطير ويتشاءم.

كذلك من العقائد الخرافية في هذا الباب في بعض الدول، يتطيرون بكنس الدار عند توديع المسافر، فإنهم يتشاءمون بذلك كأنه الموت، أو نحو ذلك، أيضاً بعضهم قد يتشاءم بغسل كيس النقود؛ ولذلك لا يغسلونه، منهم من يتطير بالعطاس عند الحديث، من الأشياء القديمة، وهي جديدة عند بعضهم، التطير بشهر شوال، وبعضهم يتطير أو يتشاءم ببعض أيام الأسبوع، كيوم الأربعاء مثلاً، أو يوم السبت، وبعضهم يتطير ببعض الأعداد، ومنها العدد ثلاثة عشر، والغريب أن هذا يوجد عند بعض المسلمين، وعند الكفار أيضًا، حتى أنه ذُكر أنك لا تكاد تجد هذا الرقم في بعض المصاعد في العمائر الكبيرة، أو حتى في بعض المقاعد في بعض الطائرات، أو غيرها؛ لأنهم يتشاءمون بهذا العدد.

والمقصود أن التطير والتشائم هذا موجود، ويتنوع ويتجدد، وهو شيء في النفس يجد هذا المتطير وهذا المتشائم يجد في نفسه حزناً حينما يسمع هذا الصوت، أو يرى هذا الشخص، أو يمر به هذا اليوم، أو نحو ذلك، فتجده يتعكر مزاجه، وتسوء حاله، وينكص على عقبيه، فلا يمضي إلى شأنه، بسبب أنه سمع كلمة أو رأى شخصاً أو صار حظه في هذا العدد، أو في هذا اليوم.

تجد بعض الناس مثلاً يتشاءم من طريق بعينه لأنه مر في هذا الطريق وحصل عليه حادث فيه، فلا يرجع إليه مرة أخرى، فيتشاءم به، كأن هذا الطريق هو الذي سبب له هذا الحادث، أو نحو ذلك.

بعضهم يتشاءم ببعض الأشخاص، ربما أنه حصل له موقف مع شخص فيتشاءم به مطلقاً، ولا يحب أن يراه، ولا يجلس معه، وإن كان هذا قد لا يكون له أي سبب ظاهر، فهي قد تكون أشياء خفية، فالشيطان يحرص أن يعكر على هذا الشخص، وينكد عليه عيشه، فتجده يفتح له مناسبات بعيدة، بما يسمع أو بما يرى، أو بما يعلم، حتى يجعله متردداً عن حوائجه، ويؤثر على عقيدته، وعلى إيمانه، وعلى توكله على الله – سبحانه وتعالى–، فتجد كل كلمة ترده، وكل ما يقرأ شيئاً، أو يسمع شيئاً، أو يرى شيئاً يوجد مناسبة سيئة تصده، والشيطان يحرص على إذكاء روح الوسوسة في نفس هذا الشخص بسبب ضعف إيمانه، فيبقى متردداً طول حياته.

ينتشر الآن هذا فيما يسوء يا شيخ، لكن لو تفائل الإنسان بمكان معين، حصل له أمر خير في هذا المكان، أو في هذا اليوم، أو في هذا الرجل، مثلاً عندما قابل رجل أو مر في حدث فحصل له خير، ويكرر هذا الأمر، ويكرر الإتيان إلى هذا المكان، أو يحب الخروج مثلاً في هذا اليوم، هل يدخل في التطير؟

نعم، هذا الفأل أو التفائل سيرد الكلام عليه في كلام خاص، وهو هنا أيضاً تنبيه مهم، وهو أن التفائل لا يقصد، مثل التطير، وإنما التفائل يأتي عرضاً، فهو شيء كالبشرى للشخص التي تريح نفسه، وهو ماضٍ لشأنه، لا يمضي لأجل هذا الشيء، وإنما هي كلمة يسمعها، فيرتاح إليها، ونحو ذلك مما لعله يكون له بشارة.

إذا قصد يا شيخ المكان مثلاً، أو قصد مقابلة هذا الشخص؟

لا يجوز قصد مكان معين تبركاً به، أو شخص معين تبركاً به إلا ما دل الشرع عليه، أما أن يعلق الإنسان نجاحه، ويعلق توفيقه بسبب مقارنته لشخص، أو مكان، أو نحو ذلك، فهذا لا شك أنه يضره، وليس هذا من الفأل؛ لأنه قد يتعلق قلبه بهذا المخلوق، وينسى أن الله – سبحانه وتعالى– هو الذي يوفق، وهو الذي ييسر، وأن هذا المخلوق سواءً كان مكاناً أو شخصاً، هذا لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

المهم أن الشارع نفى ذلك كله، وأبطل التطير، والتشائم، وأخبر أنه لا تأثير لذلك في جلب نفع، ولا دفع ضر، وأن هذه الأشياء سواءً كانت طيرة، أو تطير بالطير، أو غيرها، أنها ليست سبباً في معرفة العاقبة، لا في الخير ولا في الشر، وهذا كله من إلقاء الشيطان وتخويفه، ووسوسته، وكما قلنا أن الطيرة هي في الحقيقة تفتح للشخص باب الوساوس التي لا تنتهي، فكل ما يرى شيئاً، أو يسمع شيئاً، أو يعلم شيئاً، تجده يبحث عن مناسبات بعيدة؛ لأجل أنها تصده عن شأنه أحياناً، وهذه المناسبات بسبب ألفاظ يسمعها، أو معان يعلمها، مما يسبب إفساد دينه، وتنكيد عيشه.

فواجب على المسلم أن يتوكل على الله – سبحانه وتعالى –، وأن يتابع الرسول –صلى الله عليه وسلم– في هديه، وأن يقطع الوساوس الشيطانية، وأن يمضي لشأنه بلا تردد.

المؤلف –رحمه الله تعالى– بدأ بهذه الآية وهي قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، والمعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة من الخصب والسعة والعافية، قالوا: لنا هذه. يعني نحن جديرون بهذه، ونحن حقيقون بما حصل لنا. وإن تصبهم سيئة من بلاءٍ، أو ضيقٍ، أو قحطٍ، أو نحو ذلك، يطيروا بموسى، ومن معه. يقولون: هذا الذي أصابنا بسبب موسى ومن معه، وما جاء به، وبسبب أصحابه، وبسبب شؤمهم علينا، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن طائرهم عنده، ﴿ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهُ ﴾ يعني عنده ما قضي عليهم، وما قدر لهم، وما حصل لهم، كل هذا من قبل الله – سبحانه وتعالى– بسبب ذنوبهم، وإعراضهم، وكفرهم، وتكذيبهم. ولا يمكن أن يكون موسى –عليه الصلاة والسلام– ومن معه، الذين جاءوا بالخير والهدى، أن يكونوا هم سبب الشر، وإنما سبب ما أصابكم هو شر ذنوبكم وتكذيبكم.

عطفاً على كلامك السابق، ينتشر عن بعض العامة مثلاً حينما يحس بحكة في يديه مثلاً، أو برعشة في شفته، بأنه سيحصل على مال، أو سيقابل قريب، أو كذا، ويقول: هذه مستمرة معي طوال حياتي، حينما أحس بهذا الأمر، يحصل هذا الأمر، هل يطلق على هذا من التطير والتفاءل؟

لا.. هذا من الخرافات عند العامة، سواءً بحكة اليد، أو الذقن، أو نحو ذلك، ولا ينبغي أن يلتفت إليها؛ لأن هذه ليست دلائل وحي، فهذه الأمور سواء كانت بالتفائل، أو بالتشائم، لا يجوز للإنسان أن يعلق الأسباب الظاهرة على الأسباب الخفية.

والعجيب أن التطير هذا، أو التشائم منتشر عند شريحة كبيرة، وأيضاً على مختلف المستويات، وهناك دراسة أجريت على أكثر من أربعمائة شخص في دولتين عربيتين، ووجدوا نتائج هذه الدراسة، أن أكثر من نصفهم يتشاءمون، أكثر من النصف يتشاءمون، ويتشاءمون بالأرقام أيضًا، فهذا دليل على – مع الأسف – على انتشار هذه الخرافات بين المسلمين، بسبب ضعف عقيدتهم، وقلة علمهم، وتعلقهم بما يوحيه إليهم الدجالون من الأفاكين، والذين يبتزون أموال الناس بالباطل.

وهذا كما يقولون: يوجد عند المسلمين، وعند الكافرين، هذا التشاؤم أو حتى التيمن والتفائل بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك تجد أيضاً عند كثير من الغربيين، أنهم يستجلبون النفع ويستدفعون الضر، بقطعة من الحجر، تكون مع أحدهم قطعة من الحجر، أو قطعة من البلاستيك، أو قطعة من الحديد، تجده لا يفارقها ولا تفارقه، ويظن أن الخير هو فيما يحمله معه من هذا، كما يوجد هذا أيضاً عند كثير من الشرائح، ويوجد عند بعض الرياضيين في بعض الدول، تجدهم يستجلبون الحظ في دُمى تكون معهم، (دمية) يظن أن هذه هي سبب النصر؛ ولذلك يجعلون في بعض مبارياتهم بعض هذه الشعارات، لهذه الدورات، ويظنون فيها سبب النصر، ونحو ذلك، وهذا كله من تعلق القلوب بغير الله – سبحانه تعالى–، ومن تعلقها بالخرافة، التي ليست دليلاً في الحقيقة، لا على الحظ، ولا على النحس، كما يقال.

وقوله (﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾[يس: ١٩])

أيضًا: هذا من الآيات التي وردت في الطيرة، وهي قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فالله – سبحانه وتعالى– يقول: حظكم وما أصابكم هو من الشرور معكم، يعني إنما أصابكم من الشر هو معكم، بسبب أفعالكم وكفركم وعداوتكم ومخالفتكم للناصحين، فما أصاب هؤلاء هو بشؤم أعمالهم.

فالطائر الباغي الظالم طائره معه، وما وقع عليهم من الشرور، والبلايا، فهم السبب الجالبون له، وذلك كله بقضاء الله – سبحانه وتعالى– وحكمته وإرادته وعدله.

وقيل: "طائركم معكم" راجع عليكم بسبب أنكم تطيرتم، فهذا من باب القصاص في الألفاظ كما يقال، رجع عليكم شؤم تطيركم، ﴿ أَإِنْ ذُكِّرْتُم ﴾ أي هل لأجل أن الناصحين ذكروكم يأتيكم الشرور؟ هذا لا شك أنه مخالف للواقع والحس، بل إن ما يصيب الإنسان من هذه الشرور هو بسبب ظلمه، كما قال الله – تعالى–: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠].

الألفاظ التي نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عنها:

(وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) أخرجاه، زاد مسلم (ولا نوأى، ولا غول))

هذ الحديث متفق عليه، بيّن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيه أنه (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) وزاد مسلم (ولا نوأى، ولا غول).

اللفظة الأولى: وسبق أن طرح سؤال في الحلقة الماضية عن قوله –صلى الله عليه وسلم– (لا عدوى) هل هذا للنفي أم للنهي؟

تقول: المقصود في قوله –صلى الله عليه وسلم– (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–: «يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً أي لا تطيروا»، ولكن ما ورد في الحديث هو (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) يدل على أن المراد هنا بالتطير النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعتقدها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك، وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنهي عنه

تقول: (لا طيرة) اللام هنا هل هي نفي أو نهي؟ اللام هنا تحتمل أن تكون نفياً أو نهياً، ولكن قوله في الحديث: (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت في الجاهلية

تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك، وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه. والله أعلم

جيد، الإجابة صحيحة، وأن النفي أبلغ من النهي؛ لأن النفي هو نفي التأثير أصلاً، وأما النهي فهو نهي عن الفعل، وقد يكون موجوداً، ويمكن أن يقال: إنها للنفي، ولا تعارض بين الأمرين، فهي نفي متضمن للنهي.

بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الحديث بقوله (لا عدوى) وهذا نفي للإعداء، وإذا أصاب الشخص داء مثل صاحبه، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– نفى ذلك، وقال: (لا عدوى) وهذا نفي لما يعتقد أن المرض ينتقل بنفسه إلى الشخص الآخر، وقد تكلم العلماء –رحمهم الله تعالى– في الجمع بين هذا الحديث، والأحاديث الأخرى التي توهم التعارض، فهنا قال: لا عدوى، وفي الحديث الآخر قال: (فر من المجزوم، فرارك من الأسد) وقال في الحديث الآخر: (لا يرد ممرض على مصح)، فدل على أن قوله –صلى الله عليه وسلم–: (فر من المجزوم فرارك من الأسد) الابتعاد عن المجزوم خشية الإصابة، وقوله: (لا يرد ممرض على مصح)، أن صاحب الإبل المرضى لا يأتي بها إلى صاحب الإبل الصحاح حتى لا يؤثر عليها، فكيف نجمع بين هذا وبين قوله –صلى الله عليه وسلم– لا عدوى؟

ذكر العلماء –رحمهم الله تعالى– الله كلاماً كثيراً، فبعضهم رجح الأول، حديث (لا عدوى)، بحجة أن أبا هريرة رجع عن التحديث به، ولكن هذا القول ضعيف؛ لأن الأحاديث جاءت عن غير أبي هريرة –رضي الله عنه–، وطائفة عكست، ورجحوا الأحاديث الأخرى، وقالوا: (لا عدوى) فأيضا رجحوا أن الشخص يبتعد، وقالوا: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (فر من المجزوم فرارك من الأسد) ورجحوا ذلك، وبعضهم قال: هذا بحسب قوة إيمان الشخص، حسب قوة إيمانه.

ولكن الراجح – والله أعلم– الذي رجحه كثير من العلماء، كالبيهقي، وابن الصلاح، وابن القيم، وغيرهم، أن قوله (لا عدوى) يعني على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية، بأن المرض ينتقل بنفسه، فالنبي نفى ذلك، وقال: (لا عدوى) يعني على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها كما يظنه أهل الجاهلية، وإلا فقد يجعل الله – سبحانه وتعالى– بمشيئته – سبحانه – وإرادته، قد يجعل مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث شيء من الأمراض؛ ولهذا قال: (فر من المجزوم فرارك من الأسد)، وقال: (لا يورد ممرض على مصح)، وقال في الطاعون: (من سمع به في أرض فلا يقدم عليه)، وهذا كله من الوقاية من الأمراض، والابتعاد عن أهلها، وهذا كله بتقدير الله سبحانه وتعالى، فالإنسان مأمور أن يبتعد عن المصابين، أصحاب الأمراض المعدية، يبتعد عنهم ولا يضر ذلك إيمانه، وإنما الذي يضر إيمانه أن يعتقد أن المرض بذاته ينتقل بنفسه من دون تقدير الله.

وأنا أذكر أن بعض الأطباء بحث في هذا بحثاً، وأورد أن بعض الأمراض المعدية لا تنتقل، يختلط الشخص ببعض المصابين بأمراض معدية ولا تنتقل إليه؛ لأن هناك تفسيرات طبية في سبب عدم الانتقال، وهناك أشخاص يختلطون ويصابون، لو كان هذا بذاته ينتقل مباشرة، ينتقل إلى كل من خالطه للزم أن ينتقل جميعاً، وهذا كله دليل على أن المرض لا يعدي بذاته، وإنما بتقرير الله – سبحانه وتعالى–؛ ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– وجه في الحديث الآخر في حديث ابن مسعود، قال: (لا يعدي شيء، قالها ثلاثاً، فقال أعرابي: يا رسول الله النقبة تكون أول ما يظهر) النقبة: هذه هي بداية الجرب في البعير (قال يا رسول الله: النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير، أو بذنبه في الإبل العظيمة، فتجرب كلها، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: فمن أجرب الأول؟) هذه انتقلت، لكن الأول كيف جاءه المرض؟ هو بتقدير الله سبحانه وتعالى.

المهم أن المسلم مأمور بأن يبتعد عن أسباب الشر، ولكنه لا يجوز له أن يعتقد أن هذه بذاتها تنتقل بتأثير قطعي، من دون الله سبحانه وتعالى.

اللفظة الثانية:وهي من الألفاظ التي نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها في الحديث حيث قال: (لا طيرة)، وهذا هو موضوع الشاهد من الحديث، وهذا كما سبق في بحثنا احتمال أن تكون نفي، أو نهي، وتقدم أن النفي أبلغ من النهي؛ لأنه يدل على البطلان، وعدم التأثير، بخلاف النهي، فإنما يدل على المنع فحسب، وقلنا: إنه يمكن أن يكون نفياً متضمناً للنهي، ولا خلاف بين القولين، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاوية بن الحكم - لما قال له: منا أناس يتطيرون- قال: (ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم)، وهذا حديث رواه مسلم، أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها تَأذيه، وتشاؤمه في التطير، إنما هو في نفسه، وفي عقيدته، لا في المتطير به، فهذا شيء يجده في نفسه، الشخص نفسه الذي تطير، هو الذي جلب الطيرة لنفسه، وليس في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه وسمعه من هذه الأشياء، التي يتطير بها.

اللفظة الثالثة: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ولا هامة) والهامة هي: طير من طيور الليل، وقيل: هي البومة، وكانوا يتشاءمون بها، كانت العرب تتشائم بالهامة، ويتشاءمون بالبومة خاصة إذا وقعت على بيت أحدهم، فيظن أنها تنعاه، أو تنعى أحداً من أهل بيته، وكأنها تقول: إنه سيموت مِن هذا البيت أحد، فكانوا يتطيرون بذلك، فنهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الاعتقاد الفاسد.

اللفظة الرابعة: قال: (ولا صفر) هذه اللفظة فسرت بأكثر من تفسير، قيل: الصفر هي الحية. هي حية معدية تكون في بطن الماشية والناس، وتعدي مثل الجرب أو أشد، وكانوا يتشاءمون بها، فأبطل النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك، وقيل: هو مكان يفعله أهل الجاهلية من النسيء، حيث أنهم يجعلون المحرم هو شهر صفر، حتى يستحلون شهر الله المحرم.

والصواب في هذا النهي: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ولا صفر) وهو نهي ونفي عما كان العرب يعتقدونه من التشائم في شهر صفر، كان العرب يتشاءمون بشهر صفر، ويعتقدون أنه شهر مشؤوم، كما كانوا يتشاءمون بشهر شوال، وكما يتشاءمون ببعض الأيام كيوم الأربعاء، ونحو ذلك.

اللفظة الخامسة: ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: (ولا نوأى) والنوء: هو واحد الأنواء، وهي منازل القمر الثمانية والعشرين، لكل منها نجم، فكانوا يتشاءمون ببعضها، وسيأتي -إن شاء الله- الكلام على النجوم والأبراج وما يتعلق بها، في الدرس القادم -إن شاء الله تعالى- فنرجيء الكلام عنها.

اللفظة السادسة: وهي في الرواية الثانية، قال: (ولا غول) والغول: هو جمع غيلان، فهو جنس من الجن، ومن شياطين الجن، وقيل: سحرة الجن، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة والصحراء، أنها تترائى للناس، وتَتَلّون في صور شتى، وتهلكهم، أو تنفع وتضر، ونحو ذلك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نفى ذلك، وأنها ليست التي تهلكهم أو تضرهم أو تنفعهم، أو تضلهم، فنفى ما كانت تعتقده الجاهلية في ذلك.

فهذا الحديث نفي لبعض عقائد الجاهلية التي تعتقدها، من ذلك عقيدتهم في الغول، وقد ورد في الحديث - وإن كان فيه ضعف - (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان) وهذا حديث [رواه أحمد والنسائي] لكن فيه ضعف ومعناه يشهد له حديث الشيطان إذا سمع الأذان فإنه يولي، فإن الأذان من أسباب طرد الشيطان.

هذه إجابة تقول: حكم الطيرة فيه تفصيل: إن كان يعتقد ويتشائم بالطيور، أو الأشياء، ويعتقد أن الله هو المدبر، فهذا شرك أصغر، وأما إن كان يعتقد أن هذا الشيء هو الذي يضر وينفع بذاته، فهو شرك أكبر.

تقول: الطيرة حكمها شرك، لا يصرحون على أنها شرك أكبر، لكن هي من الشرك الأصغر، ويقال: بحسب اعتقاد الشخص، ونيته في نفسه.

تقول: الطيرة شرك أكبر منافي لكمال التوحيد الخالص، كما ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– (الطيرة شرك، ثلاث)، وهذا يفيد بأنه شرك أكبر، لتكرير التحذير منه، وهذا لأنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب لهم النفع، وتدفع عنهم الضر، وهذا دليل صريح في التحريم لما فيه من التعلق بغير الله تعالى.

بالنسبة لحكم الطيرة، سيرد في الحديث قول النبي –صلى الله عليه وسلم: (الطيرة شرك). والنبي –صلى الله عليه وسلم– سماها شركاً، فهي شرك في جميع أحوالها، ولكن هذا الشرك قد يكون أصغر، وهذا هو الغالب في تطير المسلم، فإن تطير وصدته الطيرة، وردته عن حاجته، فهذا شرك أصغر، إذا اعتقد أن هذه علامة فقط على التشائم، فهذا شرك أصغر، إن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك.

وقد يكون شركاً أكبر مثل أن يعتقد أن هذه هي الجالبة للنفع، أو الدافعة للضر فهذا شرك أكبر، بسبب هذه العقيدة، حيث إنه لا يملك النفع ويدفع الضر إلا الله سبحانه وتعالى.

(ولهما (أي البخاري ومسلم) عن أنس، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قال: وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة))

وهذا الحديث (المتفق عليه) حديث أنس –رضي الله عنه– قال النبي –صلى الله عليه وسلم– (لا عدوى ولا طيرة) ومضى الكلام على ذلك، ثم قال: ويعجبني الفأل، وسئل النبي –صلى الله عليه وسلم– ما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة.

نريد هنا أن نفرق بين الفأل والطيرة، فالفأل: كلمة تستعمل فيما يسوء وفيما يسر، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أن الذي يعجبه من الفأل، هو الكلمة الطيبة، لما في ذلك من حسن الظن بالله – سبحانه وتعالى–، وانشراح الصدر، وقوة القلب، فالشخص المتفائل يمضي لحاجته بعزم ويقين، وكذلك المريض يتفائل، حينما يسمع كلمة: يا سالم، أو يا معافى، أو يا صحيح أو نحو ذلك.

كذلك فالشخص طالب الضالة حينما يسمع كلمة: يا واجد، فإنه أيضاً يتفائل بهذه الكلمة، ونحو ذلك من ألفاظ النجاح والسرور والسلام والعافية والطمأنينة، ونحو ذلك مما يأتي بالاستبشار؛ ولذلك يحرص الإنسان على الأسامي الطيبة، التسميات الطيبة هذه مما يشرح الصدر، وأيضاً من دواعي حسن الظن بالله – سبحانه وتعالى – والتفائل المحمود، وهذا التفائل ليس من الطيرة المنهي عنها، إذ لا يمكن أن ينهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن شيء، ويجعله شركاً، ثم يعجبه، وجواب النبي –صلى الله عليه وسلم– بالفأل دليل على أنه ليس من الطيرة التي نهى عنها في الحديث؛ ولهذا جمع بين هذين الأمرين في حديث واحد.

إذن نقول: إن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها؛ وذلك لأمور:

الأمر الأول: أن ذلك من مقتضى طبيعة الفطرة الإنسانية، التفائل هذا طبيعة، الفطرة الإنسانية تتفائل بالأصوات الحسنة، يحبها، يحب الصوت الحسن، يحب الاسم الحسن، كما يحب الرائحة الطيبة، من طبيعة النفس الإنسانية، أنها تحب الرائحة الطيبة، ينشرح صدرها حينما ترى منظراً حسناً، أو تسمع كلمة طيبة، توافقها وتلائمها، والإسلام لا يأتي بما يعارض الطبيعة البشرية.

الأمر الثاني: أن هذا التفائل ليس هو في الحقيقة الدافع للمضي، وهذه مسألة مهمة، أن التفائل ليس هو الذي يحرك الإنسان للمضي، كما أن الطيرة هي التي تمنعه عن المضي، إنما الإنسان ماضٍ، ويسمع كلمة فينشرح لها صدره، حالة استبشار متعلقة بحسن الظن بالله، يحسن الظن بربه، حينما يسمع كلمة طيبة فيتفائل.

الأمر الثالث: أن التفائل هو حقيقة متوافقة مع المقاصد الشرعية، بخلاف التشاؤم، فالشرع يحرص على أن يكون الإنسان منشرح الصدر، مقدم، مطمئن، عامل، وينهى عن التردد، والوسوسة، والتشاؤم، وسوء الظن، كل هذه الأمور منهي عنها، بخلاف التفائل. إذن التفائل متوافق مع مقاصد الشريعة، بخلاف التشاؤم.

فهذا الحديث أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن الفأل يعجبه، وهو الكلمة الطيبة، وقد ورد أيضاً أحاديث تؤيد هذا المعنى، أحاديث كثيرة، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– استبشر ببعض الأسماء، وقد ورد في سنن أبي دواد، من حديث بريدة، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإن أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه، وهذا حديث سنده حسن، كما قال أهل العلم، وهذا فيه استعمال الفأل.

وأيضاً مما يشهد إليه حديث اللقحة: لما منع النبي –صلى الله عليه وسلم– حرباً ومُرة من حلبها وأذن ليعيش، كما في الحديث الذي رواه مالك وغيره، فهذا فيه تفاؤل بالأسماء الطيبة، واستبشار، وارتياح للأسماء الطيبة، وليس فيه اعتقاد أن بعض الأسماء هي الجالبة للشر، أو بعض الأماكن، أو بعض الأزمان، أو نحو ذلك، وإنما هذا موافقة لمقتضى الطبيعة الإنسانية.

(ولأبي داود بسند صحيح، عن عقبة بن عامر، قال: (ذكرت الطيرة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: أحسنها الفأل، ولا تُرد مسلماً، وإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك))

هذا حديث عروة بن عامر، قد ورد باسمه تصحيف في بعض النسخ، وهو حديث بعض العلماء صححه، وبعضهم تكلم في سنده، والشاهد منه: بيان كفارة الطيرة، وبَيَّن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن أحسنها الفأل لما سبق أن هذا فيه استبشار للنفس الإنسانية، ثم أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– (أنها لا ترد مسلماً)، وفي هذا إشارة إلى أن الكافر هو الذي يرجع عن مقصوده بسبب الطيرة، قال: لا ترد مسلماً، وفي الحديث تعليق القلب بهذه الأمور التي يسمعها الإنسان أو يراها، فيتعلق بها قلبه من دون الله – سبحانه وتعالى– ويظن أنها هي الجالبة للنفع، أو الدافعة للضر، وهذا هو في الحقيقة ميزان التوحيد، أن الإنسان يتوكل على الله – سبحانه وتعالى– ويعلم أن بيده مقادير كل شيء، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء قد كتب، وقضي، وقدر، وأن هذه هي الأصوات والأزمان والبقاع والأشخاص وغيرها، لا ترد شيئاً من قدر الله – سبحانه وتعالى–، وبالتالي هي لا ترد مسلماً عن حاجته، ثم أرشد النبي –صلى الله عليه وسلم– الشخص إذا رأى ما يكره فإنه يقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وفي هذا تفويض الأمر لله – سبحانه وتعالى–، وأنه هو الذي يأتي بالحسنات، وهو الذي يدفع السيئات، وأنه لا تَحَول من حال إلى حال، ولا قوة على هذا التحول إلا بالله – سبحانه وتعالى–، وفي هذا ترسيخ لعقيدة التوحيد، لمن أتى على قلبه شيء من هذه الظنون، أو هذه الخواطر الشيطانية، فإنه يُعَوِّد بقلبه، ويثبته على التوحيد بهذا الذكر، أو هذا الدعاء، الذي فيه ترسيخ لتعلق القلب بالله – سبحانه وتعالى–، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي بيده جلب الحسنات، ودفع السيئات، وأنه لا تحول من حال إلى حال، ولا قدرة على التحول إلا بالله سبحانه وتعالى، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث أخبر أن هذه الموارد والإيرادت التي ترد على القلب لا تَرُد مسلماً.

ولكن هنا تنبيه، في أن الشخص قد يقع في نفسه استثقال لبعض الأمور فيحب تركها، فيقول: إنه لا مانع لإنسان إذا استثقلت نفسه بعض الأشياء، فإنه يتركها، ولا بأس عليه، إذا كان هذا مجرد استثقال للنفس، وكراهية لهذا الشيء، وليس من باب التطير، والتشاؤم، والظن؛ لأن هذا الشيء هو مصدر الشر إذا لم يعتقد هذا الشيء،

فلا بأس أن يفارق هذا الأمر؛ ولذلك ورد في الحديث، في حديث المرأة التي جاءت للرسول -صلى الله عليه وسلم- وسألته عن دار سكنوها، وقالت: إنه كان عندها أولاد، قالت: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دارٌ سكناها، والعدد كثير، والمال وافر، ثم قالت: فقل العدد، وذهب المال، فكأنها تستشير النبي -صلى الله عليه وسلم- في ترك هذه الدار التي ربما استوحشوا، وضاقت نفوسهم منها، ولم يجدوا الارتياح في الجلوس فيها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (دعوها ذميمة) فأذن لهم بأن يتركوها، كما في الحديث الذي رواه أبو داود، ومالك، والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي بسند صحيح.

فهذا ليس من الطيرة الشركية، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرهم بالانتقال عن هذه الدار التي استثقلوها، واستوحشوا منها، لما يلحقهم بالجلوس فيها من الضيق، وربما الجزع، وأيضاً خاف من أن يلحقهم بسبب بقائهم واستمرارهم فيها شيء من التشائم، بسبب ما أصابهم، فأذن لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتركوا هذه الدار، ما دام أن الدافع لهم هو مجرد الاستيحاش، والاستثقال، وليس التشائم الذي معناه اعتقاد أن هذه هي سبب موت الأولاد، أو ذهاب الأموال، أو نحو ذلك.

التعليق على ما أظن أنه حديث: (الشؤم في المرأة والدابة والمنزل)أو كذ

هذا حديث صحيح، في الصحيحين وغيرهما، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (الشؤم في ثلاثة، في المرأة، والدابة، والدار) وفي رواية: (والفرس)، وفي بعض الروايات: (إن كان الشؤم في شيء، ففي المرأة، والدابة، والفرس).

وتكلم العلماء في ذلك كلاماً طويلاً، وهذا في الحقيقة لا يدل على جواز التشاؤم، فالله - سبحانه وتعالى - خلق أعياناً مشؤومة، وأعياناً مباركة، وقضى بسعادة وبركة من قارب هذه الأشياء المباركة، وبشؤم من قارب الأعيان المشؤومة، وهو سبحانه وتعالى خلق الأسباب وربطها بمسبباتها، و نحن نؤمن بهذه الأسباب الظاهرة، فكما خلق الله - عز وجل- الروائح الطيبة، وجعل الإنسان يرتاح للقرب منها، كذلك خلق أضدادها، وجعل الإنسان ينفر من أضدادها، من هذه الروائح الفاسدة؛ لأنها تؤذيه، وتؤذي من قاربها.

كذلك في مسألة الدار والمرأة والمركب، فبعضها قد يكون مشؤوماً، فالشؤم موجود في بعض الأشياء، لكن لا يجوز للشخص أن يتشائم بها، بمعنى أن يعتقد أنها مصدر الشؤم، بل يعلم، ويجب عليه أن يعلم ويعتقد أن كل شيء بقضاء الله - سبحانه وتعالى- وبقدره، والله -عز وجل - هو الذي خلق هذه الأعيان، وخلق ما فيها، وعلى الإنسان أن يبتعد عما لا يرتاح إليه، إذا كان لا يرتاح إلى بعض هذه الأمور عليه أن يبتعد، ولا تثريب عليه؛ لأجل أن يسد على نفسه وساوس الشيطان، التي تفسد عليه دينه ونفسه وحياته.

ووجه تخصيص هذه الأمور الثلاثة؛ لأنها أكثر ما يلتصق بالإنسان في حياته اليومية، ولا يكاد يبتعد عنها الإنسان، وكثير ما يحصل للناس تشاؤم بها؛ ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن هذه الأمور، ولكنه نهى عن التشاؤم، وقد ذكر أهل العلم شيئاً من شؤم هذه الأشياء، فذكروا من شؤم الدار مثلاً، بعدها عن المسجد، بحيث أنها قد تكون سبب في ابتعاد الإنسان عن المسجد، وعن الصلاة، وعن الاختلاط بالمسلمين، ومن شؤم المرأة مثلاً سوء الخلق، وكونها لا تلد، ونحو ذلك، ومن سوء الدابة والفرس - كما ذكر أهل العلم- أنها لا يغزى عليها، أو قد تنفر ممن قد ركبها، ونحو ذلك، فإذا وجد الإنسان شيئاً من هذه الأمور، ووجد نفسه لا ترتاح إليها، فعليه أن يبتعد، ولكن بشرط ألا يعقتد أن هذه سبب الشؤم بأشياء تصيبه. قد يعتقد الإنسان - ربما يحصل له مرض مثلاً- بسبب شيء من ذلك، أو خسارة في مال، فيعلقها على هذه الأمور، هذه أسباب خفية لا يجوز أن يتشاءم بها، ولكن على الإنسان أن يتوكل على الله، وله أن يبتعد عما لا ترتاح إليه نفسه، مادامت أن عقيدته مطمئنة، وواثقة بأن كل شيء بقضاء الله، حقيقة، وليس مجرد ادعاء؛ لأن هذه أعمال قلوب، والله - سبحانه وتعالى- يعلم ما في قلوب الناس.

أريد أن أسأل عن قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من قال هلك الناس، فهو أهلكهم) على ماذا يدل؟ هل يدل على التشاؤم؟

يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من قال هلك الناس فهو أهلكهم) وبعضهم ضبطه: (فهو أهلَكَهم) فقوله: فهو أهلكهم، أي: فهو أهلك الناس، يعني فهو أحق بهذا الوصف من غيره من الناس؛ لأن هذا فيه تهويل للأمر.

والضبط الثاني: (فهو أهلَكَهم) يعني: فهو الذي سعى في إهلاكهم، بسبب هذه المقالة؛ ولذلك الإسلام يحرص على أن يزن الإنسان ألفاظه، ويبتعد عن التعميم في الأحكام، وأيضاً الإرجاف في الأقوال التي تضر ولا تنفع، والله أعلم.

(وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– مرفوعاً: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا..، ولكن الله يذهبه بالتوكل) [رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود])

هذا حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– مرفوعاً (الطيرة شرك، الطيرة شرك) وهذا فيه دليل على أن الطيرة شرك، وهذا صريح في تحريم التطير، وتحريم التشاؤم، وأنه من الشرك؛ لما فيه من تعليق القلب بغير الله سبحانه وتعالى؛ ولما فيه أيضاً من ضعف التوكل على الله عز وجل، وجعل هذه المخلوقات سبباً للمضي أو الرجوع وتعليق هذا على أسباب خفية، ليست حسية، ولا شرعية، فجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– ذلك من الشرك، قال: (وما منا إل) قال العلماء: إن هذا الكلام من كلام ابن مسعود –رضي الله عنه– وهو بمعنى أن ما منا إلا من يعتريه شيء من التطير؛ لأن الشيطان حريص، قد يأتي للإنسان بمناسبة بعيدة، بسبب كلمة يسمعها، أو شخص يراه ونحو ذلك، ولكن على الإنسان حينما تخطر في قلبه هذه الخطرات الشيطانية، والوساوس الشيطانية، فعليه أن يبتعد عنها ولا يلقي لها بالاً.

قال (وما منا إلا...، ولكن الله يذهبه بالتوكل) الله –عز وجل– يذهب هذه الخطرات، التي قد تخطر في قلب الشخص، يذهبه بالتوكل عليه – سبحانه وتعالى– الإنسان عندما تأتيه هذه الخطرات لابد أن يتوكل على الله – سبحانه وتعالى –، ويثق به، ويستحضر ما يعتقده من تفويض الأمر لله – عز وجل–، ومن الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه جفت الأقلام، وطويت الصحف، وأن كل شيء قد كتب، وقضي فيستحضر هذه المعاني لتبعد عنه هذه الوساوس الشيطانية.

وهذه قد تواجه الإنسان حينما يخرج من بيته، حينما يسمع شيء، وفي الحقيقة إنما تكثر مع الغفلة عن التوحيد، تجده يقرأ أي كلمة في لوحة، أو لافتة، فيحاول أن يوجد لها مناسبة، سواء تفاؤل أو تشاؤم، حتى لو كانت بعيدة، فهذا لا ينبغي.

وما يدخل في هذا الباب مما يسمى بالاستفتاح، بعض الناس يفتح القرآن، يفتح القرآن وينظر ماذا تقع عليه عينه، فيستفتح فيه، وهذا لا شك أنه من البدع والخرافات، والمنهي عنه، وهو من اتخاذ آيات الله هزوا، كما قال أهل العلم.

وذكر عن بعض السابقين أنه فتح القرآن، ووقعت عينه على قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥]، فقام وهان المصحف والعياذ بالله.

فكيف يفتح الإنسان لنفسه هذه الوساوس والخرافات، وقد تقع عينه على آيات العذاب للكافرين ونحو ذلك، فهذه كلها من البدع التي تجعل الإنسان في الحقيقة دائم التضجر والوسوسة، وسوء الظن والخوف والتردد، وتعكر عليه حياته، فينبغي للإنسان أن يبتعد عن هذه الأمور.

فابن مسعود -رضي الله عنه- قال: (وما منا إل) يعني قد يأتيه الشيطان أحياناً، ببعض الخاطرات، ولكن الله يذهبه بالتوكل، وحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- واليقين، والاعتماد على الله، وطرد هذه الوساوس الشيطانية، وعدم الالتفات إليها.

(ولأحمد من حديث ابن عمرو قال: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك).

وله من حديث الفضل بن عباس -رضي الله عنه- (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك))

(
)

الأول: حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) وهو حديث تكلم فيه بعض أهل العلم، إلا أن بعضهم صححه، والصحيح أنه ثابت، والنبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث يقول: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)، وهذا فيه بيان المرتبة التي تصل إليها الطيرة حينما تكون شركاً، وهي رجوع الشخص عن حاجته، فحينما يسمع شيئاً، أو يرى شيئاً، أو يعلم شيئاً، ثم يرجع عن حاجته، هذا هو علامة التطير والتشاؤم، وهذه علامة الوقوع في الشرك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك، ثم بيَّن كفارته، لما سأل الصحابة، فما كفارة ذلك؟ قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) وفي الحديث بيان لهذه الكفارة، وما فيه من كفارة الطيرة؛ لأن الطيرة فيها قلة توكل على الله - سبحانه وتعالى-، وتعلق بالمخلوقين، وذلك شرك يقطع تحقيق مقام: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

فأتت هذه الكفارة التي ترسخ التوحيد، فانظر إلى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) فيه تجديد معاني التوحيد، والتعلق بالله - سبحانه وتعالى-، وأن الخير كله بيد الله - سبحانه وتعالى -، وأن الخلق مسخرون، (ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) الخلق كلهم مسخرون، ومربوبون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فالخير كله بيد الله - سبحانه وتعالى- وفيه تجديد التأله لله - سبحانه وتعالى -، وتعلق به - سبحانه وتعالى -، وأن هذه المخلوقات، وهذه الأمور التي يتعلق بها الناس، لا تملك نفعاً ولا ضراً فينبغي لمن وقع في نفسه شيئاً من ذلك أن يجدد إيمانه، وتوحيده، ويرسخ عقيدته بهذا الذكر، الذي أرشد إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- والذي يرسخ التوحيد، ويبعد الوساوس الشيطانية.

الثاني: الأثر الأخير حديث الفضل بن العباس، الذي روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إنما الطيرة، ما أمضاك، أو ردك) فهذا الحديث وإن كان فيه ضعف، إلا أن معناه يبين لنا الحد الشرعي للطيرة، ومعناه صحيح، فإن ما أمضاك أو ردك من المسموعات والمرئيات، فهذا دليل على أن الشخص متطيراً، إذا كان ليمضي بسبب سماعه أو رؤيته للشيء، أو يرجع، فالمحرك له في الذهاب، أو عدمه هو تطيره بأشخاص، أو بأزمان، أو نحو ذلك، فهذا دليل على أن هذا الشخص وقع في الطيرة.

وقد ورد عن علي -رضي الله عنه- أنه لما أراد أن يذهب لمقاتلة الخوارج، أتى إليه أحد المنجمين، وقال: نحن الآن في كوكب لا يناسب، وأخشى أن ترجع على عقبك، يعني مهزوماً، كأنه جعله يتشاءم في الذهاب في هذا الوقت، فلم يلتفت إليه علي -رضي الله عنه-، وذهب إلى مقاتلة الخوارج، ونصره الله سبحانه وتعالى،

وتحقق فيه إشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- في مدح من قاتلهم، وقتلهم، أو قتلوه، وحتى أنه رأى فيهم المخدج الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه فيهم، ولما رأى عليٌ -رضي الله عنه- هذا في القتلى، استبشر ببشارة النبي -صلى الله عليه وسلم.

المهم أنه مضى ولم يتردد، ولم يكن في نفسه شيء من قول هؤلاء، الذين يتشاءمون، ببعض الأزمان، أو بعض الأماكن، أو بعض الأشخاص، أو غير ذلك، فعلى المسلم أن يعتمد على الله – سبحانه وتعالى – وألا يجعل مضيه في فعل شيء، أو نكوصه عن فعله، متعلقاً بتشائمه بأمر من الأمور، وإنما يتوكل على الله.

وقد جعل الإسلام بديلاً عن هذه الطيرة الشركية الجاهلية، الاستخارة، فمن أراد شيئاً، الذهاب في السفر، أو دخول تجارة، أو تزوج، أو أي أمر من الأمور، إذا هم بأي أمر من الأمور أن يستخير، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن، فإذا هم أحد بأمر فيستخير، «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن في هذا الشي، "ويسمي حاجته" خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، وعاجله، وآجله، فقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن في هذا الشيء "ويسميه" شر لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، وعاجله، وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به»

سبحان الله! انظر إلى معاني هذه الاستخارة، كلها تعلق بالله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمر لله – عز وجل – ، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يعلم الغيب والشهادة، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، هذه هي العقيدة الصحيحة، والشيء الذي ترتاح إليه النفس، لا بالتعلق بأوهام، وخرافات جاهلية، بتعلق بطيور، أو أسماء، أو أرقام، أو نحو ذلك.

فعلى المسلم أن يتعلم هدي الإسلام، ويتمسك به، ويفوض أمره إلى الله -عز وجل -، وإذا عزم فإنه يتوكل على الله، ويمضي بحاجته إلى ربه.

تقول: كان بعض نساء البدو يعملن الخط في الأرض، ويضربن بالحصى ويدَّعين علم الغيب، ولا يعلمن أنه من السحر لجهلهن بذلك، ولنقص العلم الشرعي الكافي في ذلك الوقت، وكن يقلن بأن شخص من الناس سيموت قريباًففعلا يموت؟

هذا "الخط" ونحو ذلك، قد يكون من السحر، وقد يكون من الخرافات، وهو منهي عنه في جميع الأحوال، سواء كان صاحبه يستعين بالجن، أو كان لا يستعين، لكنه يلعب على الناس بهذه الأمور الخرافية، فهو منهي عنه، ومن وقع في ذلك – كما تذكر السائلة – فعليه أن يتوب إلى الله – سبحانه وتعالى – ويقوي إيمانه وعقيدته، وعليه أن يُحذر من يعلم أنه يفعل ذلك، وأيضاً ينشر العقيدة الصحيحة، فيمن يعتقد أنهم يظنون هذه الظنون الفاسدة، ويعتقدون هذه العقائد الباطلة، كما كان له نصيب من هذه العقائد الفاسدة، فعليه أن يكفر عنها بالتحذير منها.

تقول: أحياناً يأتي الشخص ضيق في صدره، في ليلة معينة من الأسبوع، قد يستمر معه لفترة ليست بطويلة، فهل هذا من التطير؟

الضيق قد يكون ضيق بسبب أشياء حسية، وقد يكون بسبب أشياء معنوية، فهذا لا حرج على الشخص فيه، وعليه أن يستعمل الرقى الشرعية، أو نحو ذلك، ولا يكون تطيراً إلا حينما يعلق ضيق صدره بأسباب غير محسوسة، بمعنى أنه بأسباب غير حسية، أو غير مشروعة، أو غير معلومة، بمعنى أنه يعتقد أن ضيق الصدر،

بسبب أن هذا اليوم هو يوم الأحد، أو أنه بسبب شهر كذا، أو بسبب سنة كذا، أو ضاق صدره؛ لأنه يعلقها بأسباب ليست واقعية، ويهيء نفسه أحياناً لهذا الضيق.

أما إذا كان ضيق حسي، فعلى الإنسان أن يبحث عن أسبابه ويزيلها.

يقول: ما حكم قراءة سورة الضحى، من أجل البحث عن الضالة، مع العلم أنها مجربة، وما قرأت على شيء مفقود إلا وجد -بإذن الله تعالى- هل في هذا بأس؟

الأشياء الشرعية نحن متعبدون فيها بما ورد في شريعة الله، وسورة الضحى لم يرد - حسب علمي - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث فيها، في أنها سبب لوجود الضالة؛ ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يتعبد لله - عز وجل - بشيء إلا على وفق ما ورد في الشريعة، يعني لا يخصص شيئاً فيقول هذا للشيء الفلاني، وهو لم يرد، لكن نحن نعلم أن القرآن هدىً ونورٌ وشفاءٌ، نعم كله كذلك، أما أن يأتي شخص ويخصص أموراً لم يدل عليها الشرع وينشرها، ويعتقدها سنة، يدعو الناس إليها، فهذا لا ينبغي.

تقول: سؤالي في العقيدة: أثناء تحضيري بحث الإيمان مررت بتفسير القرطبي، وقرأت هذه العبارة وهي قوله: « المحلوف به هو الله سبحانه وأسماءه الحسنى كالرحمن الرحيم » إلى أنه قال: «وسائر صفاته؛ لأنها يمين بمقيم أو بقديم غير مخلوق، فكان الحالف بها كالحالف بالذات. انتهى» ولعلمي بوجود أشعرية وبعض الأخطاء العقدية عند المفسر -رحمه الله تعالى وتجاوز عنه- فهل عبارته الأخيرة صحيحة، أم يقصد بالقديم غير المخلوق إنكار الصفات الحادثة على منهجه؟

القديم هي فيعبر عن صفات الله بأنها قديمة، وهذه يستعملها المتكلمون كثيراً والعبارة مستعملة، فيقال نعم إن صفات الله قديمة، ولكن المحذور لعل الأخت السائلة قصدت أن إدخال اسم القديم، فالقديم ليس من أسماء الله الحسنى، ولكن قد توصف الصفات بأنها قديمة؛ ولذلك السلف الصالح يقولون: في كلام الله أنه قديم النوع، حادث الآحاد، فالصفات قديمة، ويعبر أهل الكلام عن الله بأنه القديم.

ولكن العبارة الأصح، والأفصح، والأحسن، والأولى، هي عبارة الأول كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (أنت الأول فليس قبلك شيء)؛ لأن القديم قد يكون قديماً، ولكن هناك ما هو متقدم عليه، قديم لكنه أقدم منه، أما إذا قلت هو أول فليس قبله شيء.

ولكن باختصار نقول للأخت أن هذه العبارة مستعملة في وصف صفات الله - سبحانه وتعالى- والله أعلم.

تقول: كيف نجمع بين "هامة" في الدعاء، أعوذ بالله من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، وبين "ولا هامة" في هذا الحديث؟ فكيف لا هامة وفي نفس الوقت نستعيذ بالله منها؟

فرق بينها الهامة التي ورد النهي عنها في الحديث: (ولاهامة) يعني الاعتقاد أن التطير بالهامة؛ لأنها إما إذا كانت مرض معدي، يعتقد أنها بنفسها تعدي من دون الله، أو على تفسير أنها البومة، فيعتقد أن وجودها أو رؤيتها أو سماع صوتها، ينعى أهل البيت، أو واحد من أهل البيت، هذا هو المنهي عنه.

أما قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (أعوذ بالله من كل شيطان وهامة) هذا فيه استعاذة بالله - سبحانه وتعالى - من شر الهوام عموماً، وهذا فيه تعلق الأمر بالله - سبحانه وتعالى- من جميع الشرور، وليس فيه تطير برؤية هذه الهامة.

السؤال الأول: هناك سؤال عن حكم قول مطرنا بكوكب كذا، أو بنجم كذا؟ وإن كان أيضاً يحتاج إلى تفصيل.

السؤال الثاني: ما حكم تعلم منازل الكواكب والنجوم؟ والله أعلم.

الدرس الخامس

باب ما جاء في التنجيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه- وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد عقد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- هذا الباب لبيان ما جاء في الطيرة، أو في التطير من الوعيد الشديد، وحكمه، وكفارة ذلك لمن وقع فيه، وذكر في هذا الباب بعض ما جاء في التطير والطيرة من الآيات والأحاديث الدالة على عظم هذا الأمر.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد.

فأنهينا في الحلقة الماضية الكلام على باب التطير، وصار الحديث فيه مبيناً لما أورده المؤلف -رحمه الله- في هذا الباب، من آيات وأحاديث، وقد تبين من خلال الشرح السابق أن الطيرة من الشرك، وأنها من أعمال الجاهلية، وأن المؤمن لا يتطير، ولا ترده الطيرة عن حاجته، كما تبين لنا أن الطيرة قد تكون شركاً أكبر، حينما يعتقد الشخص أن المتطير به هو سبب للنفع أو للضر، أما إذا لم يعتقد ذلك وإنما جعل هذا علامة على الشؤومة ونحو ذلك، فإن هذا شرك أصغر.

وأيضاً سبق الحديث عن ذكر كفارة الطيرة، وما يقوله من وجد في نفسه شيء من ذلك، وعلى المسلم أن يمضي بحاجته، ويعتمد على ربه، ويتوكل على مولاه، ولا ترده هذه الوساوس والخطرات الشيطانية، ولا تعكر عليه حياته.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في التنجيم، قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به»).

عقد المؤلف -رحمه الله تعالى- هذا الباب لبيان ما يجوز من التنجيم وما لا يجوز، وما ورد فيه من الوعيد، وبدأ بهذا الأثر عن قتادة، يبين الحكمة من خلق النجوم، وأن الله -عز وجل- خلق النجوم لثلاثة أمور:

الأمر الأول: خلق الله -عز وجل- النجوم زينة للسماء، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦ ﴾ ﴾ [الصافات: ٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ [الملك: ٥] .

الأمر الثاني: خلق الله -عز وجل- النجوم رجوماً للشياطين، كما قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦ ﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧ ﴾ ﴾ [الصافات: ٦، ٧] ، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥] ، فالنجوم من حكمة وجودها أنها تكون رجوماً للشياطين الذين يحاولون استراق السمع.

الأمر الثالث: أنها علامات يهتدى بها، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦ ﴾ ﴾ [النحل: ١٦] ، وقال -عز وجل-: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ

لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعام: ٩٧] ، فهم يهتدون بها ليعرفوا جهة قصدهم، وليس المراد أنهم يهتدون بها لمعرفة شيء من الغيب أو نحو ذلك، وإنما هي علامات لمعرفة الجهات ونحو ذلك.

هذه هي الحكمة الظاهرة من الكواكب، أو من خلق النجوم، كما ذكر قتادة، ومن ابتغى فيها غير ذلك، ومن طلب من النجوم غير ذلك فقد أضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وهذا فيه إشارة للرد على أهل التنجيم الذين يطلبون من نظرهم إلى النجوم، يطلبون علم الغيب، أو يعتقدون أن النجوم بتحركاتها تؤثر على ما يكون في الأرض، من غلاء الأسعار أو رخصها، أو موت فلان، أو زواج فلان، أو نحو ذلك، وهو ما يعرف بعلم التنجيم، أو معرفة الأبراج، أو نحو ذلك.

وهذا الأمر المبتدع المحرم قد انتشر في كثير من البلدان، وبين كثير من الناس، مع الأسف، وصاروا يتعلقون بهذه الخرافات، وبالاستعانة بالشياطين، والمنجمين، وهذا أمر من قديم الزمان، من أيام العرب الجاهلية، وهذا كان موجوداً، وقد عرض لأمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- عرض له منجم، لما أراد أن يذهب إلى مقاتلة الخوارج ونهاه عن السفر، نهى أمير المؤمنين عن السفر بحجة أن القمر في العقرب، قال: إن ذلك سبب للهزيمة، فأوصاه بعدم الخروج لمقاتلة الخوارج، فقال علي -رضي الله عنه- قال: « بل نسافر، ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيباً لك»، فسافر -رضي الله عنه- فبورك له في ذلك السفر، حتى قتل عامة الخوارج، وحصل له النصر، وسر بذلك أعظم السرور، لما ورد في الحديث من التبشير، والأجر العظيم لمن قتل الخوارج.

هذا الأمر -مسألة التنجيم- كثيرة، وموجودة من قديم الدهر، ولا زالت حتى الآن موجودة، وقد كَثُرَ المنجمون، وتنوعت توقعاتهم، وادعائاتهم، فتارة يدعون أن هناك حرب ستكون، وتارة يدعون أن هناك دولة ستسقط، أو شخص سيموت، أو أن هذه المرأة ستطلق، أو هذا الرجل سيتزوج، أو نحو ذلك من الادعاءات التي ما يصدقها في الحقيقة إلا قليل العقل، وقليل الإيمان، أو عديم الإيمان إذا كان يعتقد أنهم يعلمون الغيب من دون الله.

والعجيب أن هذا التنجيم يعني كثر سوقه بين الناس، من خلال المجلات، والإذاعات، بل حتى صار يُسجل في بعض الأشرطة، وأنا قد استمعت لبعض ذلك، حتى أنهم يسجلون أشرطة خاصة بالرجال، وأشرطة خاصة بالنساء، وكل شخص يشتري الشريط الذي يناسب وقت ولادته من برجه، وهم يزعمون في ذلك مزاعم كثيرة، ويقسمون البروج إلى ذكورية، وأنثوية، ويجعلون الذكورية هوائية ونارية، والأنثوية يجعلونها مائية وترابية، ويجعلون لكل برج خصائص، فالذكورية مثل الحمل والميزان، ويجعلون لها خصائص بأنها ديناميكية، كما يقولون: إنها مندفعة، بخلاف الأنثوية فإنها مستقبلة، وكما يزعمون إنها أقل اندفاعاً، ويضعون كل برج من هذه الأبراج يصنفونه حسب هذه التصنيفات، مثلاً المائية هي عندهم الحوت والعقرب والسرطان، ويجعلون لها صفات فيزعمون أن من ولد في هذا البرج، أو هذه الأبراج أنه يكون مثلاً من صفات نفسه أنه حساس مثلاً، تكون عنده حساسية زائدة، وقوة عاطفة ورومانسية، وغير ذلك، من كلماتهم التي يرددونها، وأيضاً يصنفون للهوائية بعض الأبراج، كالميزان والدلو، ويجعلون صاحبها عنده إرادة قوية، واستقلالية، وحس نقدي، كما يقولون، إلى آخر هذه الخرافات من التصنيفات النارية والترابية.

ويزعمون أن الكواكب تؤثر على هذه الأبراج على مدار السنة، وأنها تسيطر على حياة الإنسان، حركة هذه الأبراج تسيطر على حياة الإنسان، وكذلك المجموعة الشمسية، وبعدها وقربها منها، حتى إنهم أيضاً من مبالغاتهم ولعبهم، يحسبون الأيام التي ولد الشخص فيها في هذا البرج، فيقولون: من ولد في العشر الأيام تكون طبيعته كذا، العشر الأولى، والعشرة الأيام الوسطى طبيعته كذا.

ثم إنهم بعد ذلك يدخلون في مقارنات بين الأبراج، فيقولون: أنت "الرجل" إذا كان مولود في الميزان، والمراة إذا كانت مولودة مثلاً في الثور، أو في برج الدلو، فتكون صفاته كذا، أوصفاتها كذا، أو يقول الصديق، إذا أردت

أن تصادق أحد، فيأتون بأشياء كثيرة يجمعها الرجم بالغيب، والخرافة، واللعب على النـــاس، ويـــأتون بألفـــاظ محتملة، حتى إنهم يجعلون أحيانًا في صفات الشخص المولود في هذا البرج، يجعلون أحيانًا صفات متناقضة، أو محتملة، أو أحيانًا صفات لا يكاد يخلو منها شخص، حتى يكسبوا -كما يقال- لأنفسهم خطأ للرجعـــة إذا تبـــين كذبهم.

ليس عجيباً أن يوجد من هؤلاء الخرافيين الذين يبتذون أموال الناس ويلعبون عليهم، ولكن العجيب من أناس يعيرون دينهم، وعقولهم إلى أمثال هؤلاء، ويجعلونهم يتصرفون في حياتهم، ويؤثرون على نفسياتهم، والعجـــب أيضاً من ذلك أن التعلق بالمنجمين ليس خاصاً بالبسطاء من الناس وعامة الناس، بل كما يذكر أن في كثير مـــن بلدان العالم، تجد الوزراء والرؤوساء يتعلقون بالمنجمين، والتجار يتعلقون بالمنجمين ليبينوا لهم ما يصلح وما لا يصلح من الأزمان، والأماكن، والأشخاص، ونحو ذلك، ويرتبون على كلام هذا المـــنجم خططهـــم وقـــراراتهم وعلاقاتهم وغير ذلك، وهذا كله من الارتكاس في حمأة الخرافة والدجل والجهل؛ لأن الأمة المؤمنـــة، والأمـــة العاقلة، ما تتعلق بمثل هذه الخرافات التي ثبت - في الواقع- بطلانها، يعني المنجمون كـــذبوا كثيـــرًا، وظهـــر عوارهم كثيرًا، ومع ذلك تجد الناس يتعلقون بهم. وقد ذكر بعض المنجمين أنه بحلول عام ١٩٨٦ كما يقولـــون يظهر المذنب "هالي" الذي يظهر كل ست وسبعين سنة، قالوا: إنه يظهر كل ستة وسبعين سنة مرة، وأنه إذا ظهر ستختفي قارات بأكملها، وتُحرق البراكين الأرض بمن عليها، ومع ذلك ظهر هذا المذنب، ولم يحصل شيء مـــن ادعائاتهم وخرافاتهم، ومع ذلك لا يزال الناس يتعلقون بهم ويذهبون إليهم، وتجد -سبحان الله- أن الذي يتعلـــق بهؤلاء المنجمين ويصدقهم هو الذي يبتلى وتتعكر حياته؛ ولذلك نجد أن الذين يتعلقون بالمنجمين، يسلط بعضهم على بعض، تجد الشخص الذي له تعلق بمنجم، ويعرف أن الشخص الآخر يتأثر بكلام المـــنجم يـــسلطه عليـــه، ويقول: اذهب إليه، وقل له كذا، وزين له كذا، وهو يعرف أنه كذاب، فيذهب إليه ويؤثر عليه في قراراته، أو في خططه وأعماله.

هذا كلها الحقيقة من ضعف العقيدة، وضعف الإيمان، وأيضاً ضعف العقل والبصيرة، حيث أن الناس يتعلقون بهؤلاء الجهال.

ذكر الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- في كتابه: "معارج القبول" قال: «إنه في وقتهم كان هناك شخص مـــن هؤلاء الدجالين، فذهب إليه شخص يكشف عواره، واستشاره في زواجه من امرأة، وقال: إني أريد أن أتـــزوج امرأة فلانية من العائلة الفلانية ونحو ذلك، فما تشير عليّ به؟ فقال له هذا الدجال: إنك إن تزوجتها لا يبلى لـــك ثوب معها -بمعنى: أنك تموت-، فما قال قولته هذه، قال له هذا الرجل: بل إني قد تزوجتها، ومعي منها خمسة أولاد، وبدأ يناديهم واحداً واحداً، حتى يظهر كذب هذا الدجال على الناس».

فالمقصود أن هؤلاء يروج سوقهم عند رواج سوق الخرافة، وضعف العقيدة، والإيمان فـــي قلـــوب النـــاس، وهناك دراسة حقيقة أيضاً اطلعت عليها، أجريت هذه الدراسة على أكثر من أربعمائة شخص، في بعض الدول، ووجد أن قرابة نصف هؤلاء، كلهم يؤمنون بقدرة الفلكيين على التنبؤ بالمستقبل، فهذا يدل على النسبة الكبيـــرة التي تصدق بهذه الخرافة وتتعلق بها، بل إنه قد أُجريت في بعض الوزارات الحكومية في بعض الدول العربية، أجريت دراسة وجد أن خمسة وسبعين من الموظفين في تلك الدائرة الحكومية، كلهم يواظبون على قـــراءة مـــا يُسمى بالبخت، وفي الصحف اليومية، فيقرؤونها، وهؤلاء أعمارهم ليسوا صغاراً، بل كباراً يصلون إلى أكثر من خمسين، فانظر كيف يتعلق هؤلاء بكلام هؤلاء المنجمين الدجالين، مما يبين لك الجهل العظيم الذي يعيشه كثيـــر من المسلمين، بعقيدتهم وبإيمانهم وتعلقهم بمثل هذه الخرافات.

رواج سوق مثل هؤلاء المنجمين، مع أن ما يقولونه غالباً يكون كذباً، وتجد يظهر علـيهم مثـل الفكاهـات، ويتداول الناس قصصهم وخرافاتهم بشكل كبير، ومع ذلك نجد أن هناك إقبال عليهم، ونجـد الاتـصالات فـي القنوات الفضائية أيضًا، يقبل الناس عليهم بشكل كبير ما أبرز أسباب ذلك الإقبال؟.

هو -سبحان الله- كما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: (أن الناس يتعلقون بما وافق) لما تكلم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الكهان، وأنهم يكذبون معها مائة كذبة، أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الناس يتعلقون بما صدق فيه، أو بما وافق قوله الوقع فيه، وينسون بقية الكذب، والكذب الكثير والغالـب عليـه، وهذا لما جبل عليه بعض القلوب الضعيفة، والعقول أيضًا الخرافية، من التعلق بمثل ذلك.

فالمنطق العقلي يقول: إن من كان خطأه أكثر من صوابه فإنه لا يتعلق به، لكن هؤلاء ولنقـول أن صـوابهم واحد بالمائة، وهذا حتى لو أن إنسان أراد أن يتخرص، فربما يقع كلامه بأكثر من هذه النسبة، فكيـف يتعلـق الناس بهم، والناس يتخرصون، ويبين كذبهم أحيانًا، ويأتون بكلمات محتملة أحيانًا أخرى -كما قلت- يعني مثلاً قد يقول لك: أنت في اليوم الفلاني ستقابل شخص عزيز عليك، والناس في الغالب أنه كل يوم يقابلون شـخص عزيز عليهم، أو يقول: أنت سيمر بك موقف لا تحبه، فحينما يتعلق الشخص بهؤلاء، يبدأ يوسوس يتفطن، ويوجد المناسبات البعيدة لأي موقف يحصل منه، أو يحصل عليه، فيقول: هذا الذي قاله.

حتى يصدق كلامهم.

نعم، تتعلق النفس الضعيفة بمثل هذه العبارات المحتملة.

ما عقوبة ذلك يا شيخ؟ قد يغفل الناس عن الذنب الذي يرتكبونه بسؤال هؤلاء، من ذنب عظيم، رجم بالغيب؟.

وهذا يشبه الذي سبق معنا، في درس سابق من إتيان الكهان، وأن إتيان الكهان كفر، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-) وهؤلاء يدخلون في جملة الكهان، وأيضاً من الرجم بالغيب، يجمعهم الرجم بالغيب، أو أحيانًا الاستعانة ببعض الشياطين، فهذا كلـه كفر، قد يكون كفراً مخرج من الملة، أو كفر أصغر، بحسب اعتقاد هذا الشخص الذاهب إليهم، كما سبق تفصيله في باب الكهانة.

طرحتم شيخنا في الحلقة الماضية سؤالين، أولهما: يقول : تعلم منازل الكواكب والأبراج ما حكمه؟

يقول: علم النجوم ينقسم إلى قسمين: علم التأثير، وعلم التسيير.

أما التأثير: فهو أن يعتقد أن النجوم مأثرة، ولها فاعلية، بمعنى أنها تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر؛ لأنه ادعى أن مع الله خالقاً آخر، فهذا ينقله عن الملة، فهو قد جعل للمخلوق المسخر خالقاً مسخراً، يقـول الله -تعالى- : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ الله ﴾ [النمل: ٦٥] .

أما علم التسيير: فهو أن يستدل بها:

أولاً: على المصالح الدينية، كأن يريد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبله، والنجم الفلاني يكون ثلث الليل بعده.

ثانياً: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، وهذا لا بأس به، كأن يستدل بها على الجهات فهذا جائز..

تقول: فيها وجهين فإذا اعتقد أن هذه النجوم هي المدبرة للأمور مثل أن ينسب إليها نزول المطر وحـــصول البرد، فهذا شرك وكفر مخرج عن الملة.

الأخت ذكرت وجه واحداً، قالت وجهين، وذكرت وجهاً واحداً.

والوجه الثاني: أن يتعلم هذه النجوم، وأن يستدل بحركاتها على الفصول، وأوقات الحصاد والبذور، فهذا مـــن الأمور المباحة؛ لأنه يستعان بذلك على أمور دنيوية..

إجابة جيدة وجميلة في التفصيل، وذكر حكم تعلم المنازل، ويمكن أن نذكرها بتفصيل أكثر على النحو التالي.

أقسام التنجيم، وحكم الاعتقاد في النجوم:

القسم الأول: أن يعتقد أن الكواكب فاعلة مختارة بذاتها، وأنها مؤثرة على ما يحصل في هذا الكـــون، وفـــي الأرض، من الغلاء أو الرخص أو الموت أو الحياة أو غير ذلك، فهذا الاعتقاد كفر مخرج من الملة. وهذا هـــو دين الصابئة المنجمين الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب ويسجدون لها، ويتذللون لهـــا، ويـــسبحون لهـــا، ويدعونها من دون الله، ويبنون لهذه الكواكب هياكل على هذه الكواكب -يعني مواضع للعبادة- ويصورون فـــي هذا الهيكل صورة الكوكب، ويتخذونه لعبادته، وتعظيمه، والاستعانة به، ويزعمون أن روحانية ذلـــك الكوكـــب تنزل عليهم، وتخاطبهم، وتقضي حوائجهم، وهم في الحقيقة إنما يخاطبهم الشياطين، ويزينون لهم، وهم يظنـــون أن هذه الكواكب هي التي تخاطبهم، هذا هو القسم الأول، وهو كما علمنا كفر مخرج من الملة.

القسم الثاني: أن يجعلها سبباً لمعرفة الغيب، هو لا يعتقد أنها هي التي تتصرف أو تدبر شيئًا من الكون، ولكنه يقول: أنا أستدل بهذه الكواكب وحركاتها، أستدل بذلك على بعض ما يحصل في المستقبل، أو مـــا غـــاب عنـــا، فيستدل بحركاتها واجتماعها، وافتراقها على ما يكون، من موت، وحياة، ورزق، ويقول: ليست هي التي تميـــت وتحي، لكن نحن نستدل بهذا على ذلك، ونعرف بهذه الحركات أنه سيحصل مثلاً كارثة في المكان الفلانـــي، أو سيولد لفلان ولد، أو نحو ذلك.

وهذا في الحقيقة: كفر مخرج من الملة لماذا؟ لأن فيه ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله -عز وجـــل-، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [النمل: ٦٥] ، إذن هذان الصنفان أو النوعان كفر.

القسم الثالث: أن يجعل هذه النجوم سبباً في بعض الحوادث، وليست هي الفاعلة استقلالاً، وإنما يقـــول: هـــذه سبب لما حصل من الخير أو الشر، مع اعتقاد أن الله -سبحانه وتعالى- هو الخالق وحده، فهذا شـــرك أصـــغر؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سبباً، وفي الحقيقة أنها ليست هي بسبب لا شرعاً ولا قدراً، لم يجعل الله -عز وجـــل- حركات النجوم سبباً لما يحصل في الأرض من الغلاء أو ضده، ولا لموت أحد ولا لحياته، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما كسفت الشمس قال: (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) فمن جعلها ســـبباً، فقد أشرك شركاً أصغر لا يخرج من الملة، ولكنه كما هو معلوم، الشرك الأصغر من أكبر الكبائر.

القسم الرابع: هو ما يسمى بعلم التسيير، وهو الاستدلال بالنجوم والكواكب، يستدل بالنجوم والكواكب علـــى الأوقات والجهات، وكمعرفة القبلة وجهات السير ونحو ذلك، وأيضاً يستدل بمعرفة هذه على معرفة أوقات البذر والحرث، ونحو ذلك مما يحتاجه أهل الحرث والزراعة، فهذا النوع هو الذي يسمى بعلم التسيير، وهـــذا ذكـــره

بعض أهل العلم، وذكر المؤلف هنا -رحمه الله- أن بعض السلف كرهه، كرهه بعض السلف كقتادة وابن عيينة، ولكن الصحيح أنه جائز؛ لأن عامة السلف يرخصون في ذلك، وكون الإنسان يستدل بهذه على القبلة والجهات، ليس في ذلك شيء، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل: ١٦] ، فهذا ليس فيه محذور على الصحيح، إلا إذا بالغ الشخص في تعلم هذه الأشياء إلى حد يجعله يوسوس ويشكك في محاريب المسلمين، فمن تعمقه وتقعره في ذلك، يبدأ يقول للناس: قبلتكم منحرفة ونحو ذلك، فيصل إلى التشكيك في ذلك، فهذا يمكن أن يحمل عليه كراهية السلف لذلك. والله أعلم.

نعم يا شيخ بعض الناس يقول: هناك موسم المطر، أو موسم البذر، أو غيرها، فإذا حل النجم، ولم ينزل المطر، يحدث في نفسي نوع من الاستغراب، هل يدخل أيضاً هذا في ذلك؟.

هذا بالنسبة لقول: مُطرنا بنوء كذا وكذا، ولعله يأتي تفصيله في الباب الذي يلي هذا، ولكن المقصود إذا كان يعرف أن هذا النجم جرت العادة أن يبذر فيه، وجاءت سنة الله -سبحانه وتعالى- أن يكون هذا الوقت مناسب للبذر، وليس هو الذي ينبت الزرع، لكن مناسبته البذر، فمن يعرف بعض ذلك فلا شيء فيه، إذا لم يجعلها سبباً، وهي ليست بسبب، فالمقصود أن تعلم هذه الأشياء ما يسمى بعلم التسيير لا بأس به، وهو قول عامة السلف.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- : (وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه).

أشار المؤلف -رحمه الله- هنا إلى مذهب قتادة وابن عيينة، ومذهب الإمام أحمد وإسحاق وهو قول عامة السلف بالجواز.

ختم المؤلف -رحمه الله- هذا الباب بحديث أبي موسى -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر)، والشاهد منه قوله: (مصدق بالسحر) وسبق معنا أن التنجيم هو معدود من ضمن أنواع السحر، كما عقد المؤلف -رحمه الله- لذلك باباً مستقلاً، وذكر التنجيم من ضمن هذه الأنواع.

فالمصدق بالسحر متوعد بأنه لا يدخل الجنة، ومن ذلك المصدق بكلام المنجمين الذين يدعون علم الغيب، ويزينون للناس بعض الأشياء، ويكذبون في أقوالهم رجماً بالغيب، وهذا الحديث رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والمصدق بالسحر - كما قلنا- أنه يدخل في ذلك المنجم؛ لأنه يدعي علم الغيب؛ وسبق الحديث: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد) فالتنجيم معدود من ضمن أنواع السحر.

وأحب أن أنبه هنا إلى مسألة وهي قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يدخل الجنة) فهل مدمن الخمر، وقاطع الرحم، والمصدق بالسحر لا يدخل الجنة مطلقاً؟

أما المصدق بالسحر فسبق معنا أنه يختلف، قد يكون كفر مخرج من الملة إذا اعتقد أنه يعلم الغيب من دون الله، وأنه يعلم ما سيكون من دون الله ونحو ذلك، فهذا كفر مخرج من الملة، أما إذا ذهب إليه ولم يصدقه فهذا لا يكون مخرجاً من الملة، لكن المدمن للخمر أو القاطع للرحم هل يقال أنه إذا مات فإنه لا يدخل الجنة؟ بمعنى أنه مثل الكفار؟ أم لذلك معنى آخر، وتفسير لهذا الحديث؟

هذا الحديث وما شابهه اختلف فيه الناس على مذاهب:

– مذهب الخوارج ونحو من الوعيدية كالمعتزلة: أنهم لا يدخلون الجنة مطلقاً؛ لأن مرتكب الكبيرة عند هؤلاء خارج من الإيمان.

فالخوارج يقولون: خرج من الإيمان ودخل في الكفر، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر، وهو إذا مات مصراً عليها فهو مخلد في نار جهنم والعياذ بالله.

– مذهب المعتزلة، يقولون: إنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين – لا مؤمن ولا كافر– ويسمونه فاسقاً، وإذا مات على ذلك فإنه يخلد في النار، فيتفق المعتزلة والخوارج في مسألة خلود مرتكب الكبيرة الذي مات مصراً عليها بلا توبة. يتفقون على أنه مخلد في نار جهنم، وإن قال المعتزلة إنه يخلد في نار الفاسقين، والخوارج يقولون: إنه يخلد في نار الكافرين، لكن هذا الخلاف شبه لفظي؛ لأنهم يتفقون بأنه لا تنفعه شفاعة الشافعين، ولا تناله رحمة أرحم الراحمين، وأنه لا يخرج من النار أبد الآبدين.

– مذهب المرجئة، يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، فإنهم لا يعملون بهذه الأحاديث، ويقولون: من قال: لا إله إلا الله فإنه محرم على النار مهما عمل من الذنوب والمعاصي.

– مذهب أهل السنة والجماعة: معلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً عليها فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه ابتداءً، وإن شاء عذبه، وإن عذبه فإنه لا يخلده في النار؛ لأن النار لا يخلد فيها موحد، بل إن عذبه فإنه يعذبه بقدر ذنبه، ويخرج من النار بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، كما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة.

فأهل السنة والجماعة، حينما قرروا هذه العقدية بناءً على الأحاديث والآيات الواردة في ذلك، من وعيد العصاة، ومن عدم خلودهم في النار، من عصاة الموحدين، نظروا في هذا الحديث، وما شابهه، أن بعض مرتكبي الكبيرة لا يدخلون الجنة، مثل هذا الحديث، ومثل حديث: (لا يدخل الجنة نمام)، (لا يدخل الجنة قاطع) ، ونحو ذلك، فقالوا: إن الحديث هذا لا يتعرض له بتأويل ليكون من باب الزجر الشديد، ولكنهم طبعاً حتى الذين قالوا هذا يقطعون بأنه لا يخلد في النار موحد، وأن أهل التوحيد لابد أن يكون مآلهم إلى الجنة، وبعضهم قال: لا يدخل الجنة مع أول الداخلين، وبعضهم قال: لا يدخل الجنة بلا عذاب، وهذا يشبه القول الأول، إلا أن يشاء الله مغفرة ذنبه، فالمقصود أنه لا يفهم من هذا الحديث أنه لا يدخل الجنة مطلقاً، وإنما يفسر هذا الحديث بما يتوافق مع مجموع النصوص الشرعية؛ لأن النصوص الشرعية تتوافق ولا تتعارض.

يقول: بالنسبة لسؤال حكم قول: مطرنا بنوء كذا وكذا، يقول: هو كفر أصغر لا يخرج من الملة ؛ لأنه من كفر النعمة، ونسبتها إلى غير الله –عز وجل–؛ لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس على أنه فاعل ؛ لأنه قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؟

يقول: قال ابن رجب في حكم تعلم منازل النجوم: « المأذون في تعليمه التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير: فيتعلم ما يحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة والطرق، وهو جائز عند جمهور أهل العلم ».

يقول: لا يخلوا من أمرين قول: مطرنا بنجم كذا وكذا، يقول: لا يخلوا من أمرين: إن زعم واعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، وإن زعم واعتقد أن الله هو الذي أنزل المطر وهو المؤثر، ولكنه جرت العادة بوجود المطر عند سقوط هذا النجم، فهذا شرك أصغر، ويستدل بما جاء عن زيد بن خالد –رضي الله عنه– قال: (صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس ....) إلى آخر الحديث.

تفصيل جيد من الإخوة ولعلنا -إن شاء الله- نأتي إليه في شرح الباب الذي يلي هذا.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢]).

عقد المؤلف -رحمه الله-هذا الباب؛ لبيان حكم الاستسقاء بالأنواء، وهذا لبيان الوعيد الشديد الأكيد لمن استسقى بالأنواء.

والأنواء: هي جمع نوء، وهي: منازل القمر. وهي ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، يسقط في الغرب كل ثلاثة عشرة ليلة منزلة، مع طلوع الفجر، وتطلع مقابلتها في نفس الوقت من المشرق، هكذا كل ثلاثة عشرة ليلة، حتى تنتهي وتنقضي مع انقضاء السنة.

كانت العرب تزعم أنه مع سقوط النجم، مع سقوط المنزلة، وطلوع رقيبها، يكون مطر، أو رياح، أو نحو ذلك، وينسبون ذلك إلى النجم، ينسبون ما يحصل إلى النجم بسقوطه أو نوءه، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، أو الدبران، السماك، ونحو ذلك، وإنما سمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط من هذه الأنواء، ناء الطالع بالمشرق، يسقط بالمغرب وينوء الآخر بالمشرق يعني: ينهض ويطلع رقيبه في المشرق.

ذكر المؤلف -رحمه الله- تحت هذا الباب بعض الآيات والأحاديث، وبدأ بقوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢] ، وجاء في الحديث: أن الرزق هو الشكر، ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾، يعني: شكركم، كما ورد عن علي -رضي الله عنه- مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما، قال: (﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾، يعني: شكركم، ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا)، هذا التكذيب، يعني تكذيب الرزق وجعل الشكر هو أن يقال: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا، فهذا الحديث وإن ضعفه بعضهم، لكنه صح أيضاً من قول ابن عباس -رضي الله عنه- ومعناه صحيح، حيث إن الشخص حينما يأتيه رزق من الله -سبحانه وتعالى- ، بمطر أو نحو ذلك، فيقول: يجعل هذا الرزق بأن ينسبه إلى غير الله، فهذا من التكذيب، ومن الكفران لنعمة الله -سبحانه وتعالى-.

قال:(وعن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)).

نعم، وهذا حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- وهو الحديث الذي رواه مسلم وغيره، وفيه بيان لبعض أمور الجاهلية التي لا تزال في الأمة المحمدية، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن هذه الأمور التي هي من شأن الجاهلية ومن فعلهم، وهذا نسبتها إلى الجاهلية دليل على أنها مذمومة، ودليل على أنه منهي عنها؛ لأن بعض الناس يظن حينما يسمع هذا الحديث، يقول: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنها ستكون في أمته، وهذا إخبار إقرار. نقول: لا، هذا إخبار إنكار، إخبار نهي. ومن دلائل النهي فيه: أن نسبه إلى الجاهلية، ولم ينسبها إلى الإسلام، ونسبتها إلى الجاهلية دليل على ذم فاعلها، وعلى النهي عن هذه الجاهلية، والجاهلية قد تكون زمانية، وقد تكون مكانية.

فالجاهلية الزمانية، جاهلية الزمان: هي التي كانت قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم-، فببعثته انتهى الزمن الجاهلي، وهذه جاهلية ما قبل البعثة، جاهلية في الأقوال، والأفعال، والعقائد، في أشياء كثيرة، يمكن أن تنسب إلى الجاهلية، وكل ما خالف الشرع فهو جاهلية، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

الأولى ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، فالمرأة المتبرجة نقول: هذه فيها صفة من صفات الجاهلية الأولى، هذه جاهلية في تبرجها، وكذلك الصفات الواردة ذكرها في هذا الحديث، والتي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن في أمته من يفعل ذلك، أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن في أمته من سيفعل ذلك، مع حرمته وذم فاعله، فشأن الجاهلية، وأمر الجاهلية، وصفة الجاهلية هذه قد تكون في بعض المسلمين، فذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأربع في أمته، وأنهم لا يتركونهن، يعني على مدار الزمن، وأنها قد تكون في بعض أمته، وذكر منها:

الصفة الأولى: (الفخر بالأحساب). والحسب: هو المآثر، مآثر الشخص في ماله، أو حسبه يعني مآثر آبائه وأجداده، مما يكون عندهم من الكرم والشجاعة، أو الدين، أو العلم، أو غير ذلك، فيفتخر بذلك، يفتخر بما كان عليه آباؤه من الشرف، والحسب والمآثر فيبدأ يعددها ويفاخر بها، وهذا من صفة الجاهلية. وقد يكون في بعض المسلمين من يفعل ذلك، وهذا الفعل مذموم؛ لأنه منسوب إلى الجاهلية، ولو كان محموداً لما نسب إلى الجاهلية، التي أنقذنا الله منها ببعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

الصفة الثانية: التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث: (الطعن في الأنساب) ومعنى: (الطعن في الأنساب) يعني ذمها، وعيبها، والوقوع فيها، فمن طعن في نسب أحد من إخوانه المسلمين، وذمه، وعابه في نسبه، ففيه جاهلية، فهو جاهلي في هذه الصفة، وقد حدث أن أبا ذر -رضي الله عنه- عير بلالاً فقال له: (يا ابن السوداء، فأنكر عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية، إنك امرؤ فيك جاهلية) يعني فيك صفة من صفات الجاهلية؛ ولكن أبا ذر -رضي الله عنه- كما روي في بعض الآثار أنه ندم على هذه الكلمة، حتى إنه - كما ذكر- جعل وجهه في الأرض، وقال: لبلال طء خدي برجلك - رضي الله عنهم أجمعين-.

فالمقصود: أن الطعن في الأنساب، وذم الأنساب هذا من صفات الجاهلية، ومع الأسف تجد من الناس في هذا العصر من يتبارون في ذم نسب بعضهم لبعض، وينظمون القصائد في ذلك، وكل واحد يذم الآخر في نسبه، ويفخر بنسبه هو، وهذا كله من صفات الجاهلية، التي حذر منها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو كما حذر من الفخر بالأنساب والأحساب، ممن قد يكونوا من جَثّى جهنم، فإنه أيضاً حذر من الطعن في أنساب الغير.

والله -عز وجل- يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، قال الله -عز وجل-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣] ، ما قال: لتفاخروا، أو لتطاعنوا في أنسابكم، وإنما قال ﴿ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر في هذا الحديث، أن هذه الصفة صفة جاهلية، وأنها من أخلاق الجاهلية، وإن كان هذا لا يوجب كفر صاحبها، أو فسقه، ولكنه دليل على ذمه هذا وتحريمه والنهي عنه.

ذكر بعد ذلك الاستسقاء بالنجوم، هذا هو الشاهد من إيراد الحديث في هذا الباب - أنه الاستسقاء من النجوم- ومعنى الاستسقاء، يعني نسبة السقيا، أو نسبة مجيء المطر إلى النجوم.

والاستسقاء: هو طلب السقيا، قد يطلبها من نجم، يطلب السقيا من النجم، وهذا لا شك أنه كفر؛ لأن الاستسقاء لا يجوز أن يطلب إلا من الله -سبحانه وتعالى-؛ ولذلك شرع للمسلمين أنه إذا أجدبت الأرض، وقلت الأمطار، أن يستسقوا، ويطلبوا السقيا من الله -سبحانه وتعالى- ويقولون: اللهم أغثنا، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، أما من يطلبونها من النجم، فهم في الحقيقة كفار، وقد ينسبونها إلى النجم، وقد يفسر الاستسقاء بالنجوم، بأن نسبة هذا المطر إلى النجم، وسيرد تفصيله بعد قليل.

بقي في هذا الحديث أنه قال: (والنياحة على الميت)، والنياحة على الميت هذه من صفات الجاهلية.

النياحة على الميت: هو رفع الصوت بالندب على الميت، وتعداد محاسن الميت على جهة النوح، ورفع الصوت والصياح، وهذا فيه تهييج للأحزان، وإدامة لها، وتسخط على الرحمن -عز وجل- وتعرض للآثام؛ ولذلك نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النياحة، وأخبر أنها من صفات الجاهلية، فالنياحة على الميت من صفات الجاهلية، وبيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها - يعني من هذه الصفة- فإنها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب -والعياذ بالله-، هذه النائحة التي اتصفت بهذه الصفة التي فيها تسخط على قضاء الله وقدره، وفيها تجديد للأحزان وإدامة لها، هذه جزاؤها أنها تقام يوم القيامة - تقام من قبرها- وعليها سربال، وهو الثوب السابغ، سربال من قطران.

والقطران: هو إما أن يفسر بالرصاص المذاب، أو بالزفت، أو نحو ذلك، تلبس هذا ليكون عليها كاللباس الكامل على جسدها، يكون أبلغ في عذابها - والعياذ بالله - فيلطخن به، ويكون لهؤلاء النائحات كالقمص على أجسادهن، حتى يكون اشتعال النار في أجسادهن أعظم - والعياذ بالله-، ورائحتهن أنسب، فعليها لباس من قطران، وعليها درع من جرب، ليزداد الألم بالحِكة من ذلك، والعذاب بهذا القطران، - والعياذ بالله-، وهذا كله فيه وعيد لمن تشبه بأخلاق الجاهلية، التي هي في الحقيقة تأخر، وهي تنازل عن عزة الإسلام إلى أخلاق الجاهلية؛ ولذلك لما حصل مشادة بين بعض أبناء المهاجرين والأنصار، قال رجل: يا للمهاجرين، وقال آخر: يا للأنصار، فأنكر عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك، مع أن كلمة المهاجرين والأنصار كلمتان إسلاميتان، لكنهما استعملتا في نعرة الجاهلية، في نخوة الجاهلية، فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمرهم بأن يَدَعوا هذا الشيء؛ لأنها دعوة منتنة وجاهلية، وأمرهم بأن ينصروا الظالم والمظلوم، يُنصر الظالم بكفه عن ظلمه، وينصر المظلوم بالوقوف معه، لا أن يُنصر هذا الشخص لأنه من القبيلة الفلانية، أو على القبيلة الفلانية؛ لأنه يعاديها في أمور جاهلية، وإنما الواجب أن يكون معيار ذلك هو الحب في الله، والبغض في الله، والفرح بنعمة الله -سبحانه وتعالى- الذي سمَّانا مسلمين.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ولهما عن زيد بن خالد -رضي الله عنه- قال: (صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب)).

نعم، وهذا حديث زيد بن خالد، وفيه بيان واضح، لحكم من يقول: (مطرنا بنوء كذا وكذا) والنبي -صلى الله عليه وسلم- صلى بأصحابه قال: (صلى لنا) يعني: صلى بنا، (على إثر سماء) يعني عقب مطر، يعني: بعد نزول المطر، صلى بهم النبي -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح، ثم بيَّن لهم هذا الحكم، قال: (هل تدرون) هذا استفهام، استفهام للتنبيه والتشويق حتى ينتبهوا للحكم الذي يقوله لهم، قالوا: (الله ورسوله أعلم) وهذا فيه أنهم يكلون العلم إلى عالمه، قالوا: (الله ورسوله أعلم) وهذا يقال في الأمور الشرعية، يقال في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الله ورسوله أعلم). أما أما بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقال: الله أعلم.

فبين لهم أن الله -عز وجل- قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، أما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، وكافر بالكوكب، أما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) حيث إنه نسب هذه النعمة، وهذا المطر إلى الكوكب، فهذا من كفران نعمة الله -سبحانه وتعالى-.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه قال بعضهم: (لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

كَرِيمٌ ﴿٧٧ ﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨ ﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩ ﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠ ﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١ ﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢ ﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٨٢])).

وهذا الحديث أيضاً في الصحيحين -حديث ابن عباس- وهو بمعنى حديث زيد بن خالد، حيث أن الناس منهم من قال: مطرنا بنوء كذا، ومنهم من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته وهذا هو الشاهد، أنزل الله -عز وجل- قوله في الآيات: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥ ﴾ ﴾ إلى آخر الآيات. والمعنى: أنه لما نزل مطر نسب بعضهم إلى النوء، وقال: (صدق نوء كذا)، يعني هذا النوء صادق، وهذا مثل ما يكتب في بعض التقاويم، وبعض الكتب، أنهم يقولون: وهذا نوء صادق، وهذا نوء قل أن يُخلف نوؤها، ونحو ذلك، هذا كله لا يجوز؛ لأن فيه نسبة ما يحصل من الأمطار، أو نحو ذلك إلى هذا النوء، وهو الذي ورد النهي عنه في هذه الأحاديث.

قال الله -عز وجل- بعد ذلك: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥ ﴾ ﴾ "لا أقسم" "لا" كما قال العلماء: للتنبيه والقسم بالنجوم. يعني: بمطالعها ومغاربها، كما في ذلك من الدلالة على كمال قدرة الله -سبحانه وتعالى- الخالق على انتظامها، وبما خلقها، له من الحكمة من حفظ القرآن برجوم الشياطين، القرآن والوحي برمي الشهب على مسترقي السمع.

قال: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦ ﴾ ﴾ يعني هذا القسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم عليه، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧ ﴾ ﴾ هذا المقسم عليه. وهو كريم يعني: عظيم كثير الخير والبركة؛ لأنه كلام الله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨ ﴾ ﴾ وهذا الكتاب المحفوظ المعظم الموقر هو في اللوح المحفوظ، الكتاب المكنون: قال بعض أهل العلم هو: اللوح المحفوظ، أو صحف الملائكة كما في تفسير بعضهم الآخر.

﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩ ﴾ ﴾ يعني لا يمسه إلا الملائكة، والضمير جُعل للوح المحفوظ، هذا على أحد التفسيرين. وقيل: المتطهرون، الضمير يرجع إلى القرآن، ويكون المطهر هو المتطهر، يعني لا يمس القرآن إلا طاهر.

ثم قال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠ ﴾ ﴾ يعني أن القرآن هذا منزل من الله -سبحانه وتعالى- منزل غير مخلوق، وفي هذا رد على المعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة، الذين يقولون: إن القرآن مخلوق. والله -عز وجل- قال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠ ﴾ ﴾ فدل على أنه منزل من الله- سبحانه وتعالى-، لا.. كما يقوله أيضاً الكفار من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١ ﴾ ﴾ هذا استفهام للإنكار والتوبيخ، والمدهن: هو الخائف. والله -عز وجل- ينكر عليهم، كيف تخافون ومعكم القرآن؟ كيف تخافون وتدهنون وتداهنون من خالفه، وعارضه، ومعكم كلام الله -سبحانه وتعالى-؟!

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢ ﴾ ﴾ وهذا هو الشاهد قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢ ﴾ ﴾ أي تجعلون شكر رزقكم، شكر الله -سبحانه وتعالى- على ما رزقكم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ بهذا الرزق، وتنسبونه إلى غير الله -سبحانه وتعالى-، وفي هذا نهي عن القول عن نسبة الأمطار إلى النجوم، ونهي عن قول: (مطرنا بنوء كذا وكذا).

حكم من قال: (مطرنا بنوء كذا وكذا): هل هذا كفر أكبر، أو أصغر، أو مكروه، أو جائز، أو نحو ذلك؟

فنقول: إن هذا يختلف باختلاف القائلين، أو نية القائل.

الأمر الأول: فإن أريد به الاستسقاء، إن أريد طلب السقيا، يعني الاستسقاء بالنجوم، إن أريد بها معنى أنه يطلب المطر من النجم – وهذا كما سبق معنا– إنه كفر وشرك أكبر؛ لأن هذا من دعاء غير الله، والله –عز وجل– يقول: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨] ، وقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥] ، إلى آخر الآيات.

فمن دعا غير الله فقد كفر. فالذين يدعون النجوم، ويستسقون بها، ويطلبون منها الغيث، هؤلاء مشركون؛ لأنهم دعوا غير الله – سبحانه وتعالى–.

الأمر الثاني: أن ينسب المطر إلى النجم باعتبار أن النجم هو الفاعل المدبر، بأن النجم هو الذي أنزل المطر، فهذا أيضاً شرك أكبر؛ لأنه شرك في الربوبية؛ لأن المدبر هو الله –سبحانه وتعالى–، فالله –عز وجل– بيده تدبير الأمور﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ [الشورى: ٢٨] ، فالذين ينسبون المطر إلى النجم، ويقولون: مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا، على معنى أن النجم هو الفاعل، هو المنزل، هؤلاء مشركون في ربوبية الله –سبحانه وتعالى–، وهم كفار.

الأمر الثالث: أن يعتقد أنها سبب، وأن المدبر هو الله –سبحانه وتعالى–، يعتقد أن هذه النجوم إنما هي سبب في نزول المطر، والله –عز وجل– هو مسبب الأسباب، فنقول: إن هذا شرك أصغر. وإن لم يكن شركاً أكبر مخرج من الملة، لكنه شرك أصغر، حيث أنه جعل ما ليس بسبب سبباً، فهذه النجوم بحركاتها وأوقاتها ليست سبباً في نزول المطر؛ لذلك قد يأتي وقت من أوقات هذا النجم فينزل مطر، وقد يخلف فلا ينزل المطر في هذا الوقت. إذن هذا النجم ليس سبباً لنزول المطر.

الأمر الرابع: وهي: أن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، ولا يقصد أنها مدبرة من دون الله، ولا أنها سبب، وإنما يقصد بنوء، يقصد: الظرفية. يعني بنوء كذا، يعني في نوء كذا، يعني مطرنا في هذا الزمان، كانوا يقولون: مطرنا بيوم السبت، أو بشهر كذا، بمعنى أنه حصل لنا المطر في هذا الوقت، فهذا جائز؛ لأن الباء قد تأتي للظرفية، كما قال تعالى: ﴿ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: ٣٤] ، يعني: وقت السحر. وقال: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ﴾ [الصافات: ١٣٨، ١٣٨] ،يعني وفي الليل. ولكن نقول: ينبغي الابتعاد عن هذه اللفظة، وإن كانت جائزة، لكن ينبغي الابتعاد عنها؛ لأنها لفظة موهنة؛ لأن أقل ما يقال فيها أن فيها تشبه بمن ينسبون المطر إلى النوء. فنقول لهذا الشخص حينما يقول: مطرنا بنوء كذا، مطرنا بالنجم الفلاني، إذا قال: أنا لا أقصد أنها سبب، أنا أعرف أن الله –عز وجل– هو الذي ينزل، لكن أقصد أننا مطرنا في هذا الوقت، نقول: نعم كلمتك هذه لا نقول أنها شرك، لكن نقول: ينبغي أنك تبتعد عنها بعداً عن مشابهة الذين يطلقونها بنية أن هذه الأنواء أو الكواكب هي المسببة أو الفاعلة، فينبغي الابتعاد عنها، والالتزام بالألفاظ الشرعية، والألفاظ الواضحة غير الملبسة والله أعلم.

أسئلة الحلقة:

يقول: لي قريبة عُرِفَ عنها الحسد، فما العمل إذا دخلت بيتي لتفادي العين، وعدم الوقوع في الطيرة، إذا حدث أمر ما بعد خروجها؟.

هناك آيات وأحاديث تقي بإذن الله –سبحانه وتعالى– من شر شياطين الإنس والجن، ومن شر عيونهم، ومن ذلك الفلق، وأيضاً بعض الأحاديث الواردة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وقوله: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)، (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) وغير ذلك، إذا كانت هذه المرأة معروفة بالحسد، ومشتهرة بالعين فلا حرج عليه، أن يبتعد عنها أو يخفي عنها بعض ما يخاف، ولكن عليه

أن يناصحها ويخوفها بالله، ويعمل على إرشادها إلى ما يقوي إيمانها، ويبعد عنها هذا التعلق بالدنيا، والاعتراض على قضاء الله –سبحانه وتعالى– بحسد عباد الله وحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

يقول: ما حكم من يقرأ صفحات التنجيم الموجودة في المجلات والمواقع؟.

ذكرنا قبل قليل أن التعلق بها وقراءتها بالتأثر بها لا يجوز، لا يجوز القراءة للتأثر بها، أو العمل بها، أو ترتيب شيء عليها، لا يجوز، فإن إن قيل بجواز قراءة شيء منها، فتقرأ للرد عليها، وللإنكار على أهلها، ومن التحذير منها، أما أن يقرأها قد يتأثر منها أو يستفيد منها فهذا لا يجوز. نعم.

أيضاً القنوات الفضائية يا شيخ، بعض البرامج الخاصة بقراءة الفنجان وغيره؟.

تراث لا يجوز، هذا كله حقيقة مما يدخل في إتيان الكهان وسؤال الكهان، سؤال المنجمين، الواجب خذلانهم، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (إنهم ليسوا بشيء)، وقال: (لا تأتوهم)، فلا يجوز إنسان أن يأتيهم، ولا أن يقرأ صحفهم ومجلاتهم، ولا أن يكثر سوادهم ولا أن يستمع إلى برامجهم، بل عليه أن يدعوا لمقاطعتها والابتعاد عنها، وينأى بنفسه عن هذا المنكر والإثم العظيم، وأن يحذر غيره من ذلك.

تقول: هل يقاس على التنجيم ما يذكره بعض الأشخاص من تعلق صفات الشخص بفصيلة دمه، أو لون عينيه، أو بشرته؟ كذلك نجد بعض مفسرين الأحلام يفسرون بطريقة أشبه بعلم الغيب، وقد يكون تفسير الحلم لا علاقة له بما رؤي في المنام؟.

المتعلق بصفات فصيلة دمه، أنا لا أعرف شيء من ذلك، ولا ينبغي أن نعلق على أشياء إلا على أسباب حسية ظاهرة وواضحة.

وأما ما يتعلق بتعبير الرؤى، فقد يكون هناك تعبير لا علاقة له بظاهر الرؤيا، عند من رآها، ولكن نحب أن أنبه إلى شيء فيما يتعلق بتعبير الرؤى:

أولاً: ينبغي أن لا نتعلق بكل رؤية يراها شخص، ويبدأ يلاحق المعبرين ليعبروا له، بل عليه إن كانت خيراً فيخبر بها من يحب، وإن كانت شراً فيفعل كما أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بل ينقلب إلى جنبه الآخر، ويتفل عن يساره ثلاثاً، ويقول: (أعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان)، ولا يحدث بها أحداً.

ثانياً: أيضاً مما ينه إليه في هذا المقال، أنَّ أقوال المعبرين ليست قطعية، وإنما هي اجتهادية، لا يجوز أن نعلق حكماً ولا أمراً على تعبير المعبر؛ لأنه يجتهد، قد يصيب وقد يخطئ، وتعليق أمر عليها من أمور أفعال الإنسان لا يصح، ومن باب أولى تعليق الأحكام الشرعية كما يفعل الصوفية، فإن الصوفية من مصادر التلقي عندهم الرؤى والأحلام، حتى إن أحدهم قد يقول: أنا رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأرشدني إلى كذا، وقال: اعمل كذا، فيبدأ يعمل، وقد يسلك بعض أحكام الشريعة، ويعمل بعض المحرمات بهذه الرؤيا، وهذا كله من تزيين الشيطان، فينبغي على المسلم أن لا يتعلق بهذه الرؤى والأحلام، وألا يعلق قلبه بهذه الأمور.

تقول: هل يدخل الإعلان عن أمر الخسوف والكسوف في التنجيم، وما حكم ذلك والتصديق به؟.

هذا سؤال جيد الحقيقة وتنبيه طيب، وهو أن الكسوف أو الخسوف قد يُعرف بالحساب، ونحن لا ننكر أن هناك حساب لحركات الأفلاك ونحو ذلك، ولكن هذه الحسابات ليست قطعية، بمعنى: أن الحُسَّاب قد يخطئون؛ ولذلك تجد أن الحُسَّاب أنفسهم يختلفون، فنحن لا ننكر، وقد يعلمون أنه سيكون هناك كسوف في الوقت الفلاني في البلد

الفلاني، وهذا ليس من الغيب، بل هذا علم يتعلم، ولكنه ليس قطعياً؛ ولذلك نحن لا نبني الأحكام الشرعية على الحسابات، فمثلاً لا نصوم بناءً على الحساب، فلو كان هناك غيم، ولم نرى الهلال فنحن لا نصوم بناءً على قول الحساب، كذلك لو قال الحساب: سيكون هناك كسوف أو خسوف وحال بيننا وبين الشمس غيم ولم نرى، فنحن لا نصلي الكسوف إذا لما نراها، بناءً على قول الحساب؛ لأن كلام الحساب ليس قطعياً، نحن لا نكره مطلقاً ولا ننفيه، بل نقول: قد يصدق، وهذا علم معروف ولكنه ليس قطعياً، ولا تبنى الأحكام عليه، بل كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نحن أمة أمية لا نحسب) إلى آخر الحديث .

تقول: هناك مفهوم دارج بين الناس أنه لا يقص الأظافر والشعر بالليل، فهل هذا وارد في السنة؟ أم أنه من التطير؟.

أنا لا أعرف هذا الشيء من السنة، وقد يكون هذا من خرافات بعض الناس.

تقول: هل ما نسمعه من التنبئات بالحالة الجوية للغد أو للأسبوع المقبل بسقوط المطر، أو ارتفاع درجات الطقس، هل هذا من ادعاء الغيب؟ وهل نصدق ذلك أو نكذبه؟.

نعم بالنسبة لنزول المطر لا يجوز أن يقال: أنه سينزل مطر غداً أو الأسبوع القادم، هذا من التنبؤ بالغيب، وإن كانوا يبنون عليها بعض الأشياء والمظاهر الحسية، لكن لا يجزم أن يكون. قد تكون السماء ملبدة بالغيوم، ولا ينزل المطر، وقد تكون السماء صحواً ثم يبعث الله -سبحانه وتعالى- سحابة فتمطر، فهؤلاء أصحاب الأجواء يعني ليس كلامهم قطعياً، أحيانًا يذكرون بعض الاحتمالات بناءً على بعض المظاهر الواردة مثلاً، قد يرون مثلاً رياحاً تسير، فيرصدونها، أنها تسير بسرعة كذا، وقد تصل إلى المكان الفلاني بعد كذا من الوقت، وهذا شيء ظاهر وليس شيئًا غيبياً، ولكن أيضاً ليس قطعياً؛ لأن هذه الرياح قد تنقطع، وقد تنتهي، ولا يلزم أنها تستمر في السير، وكذلك هذا السحاب، لا يلزم أن يستمر وقد يذهب، فكلامهم بالنسبة لبعض المظاهر الظاهرة قد يصدق وقد لا يصدق. وهذه أمور ظاهرة يبنونها على شيء يشاهدونه، أما إذا بنوها على أمور غائبة، وبناءً على حركات النجوم ونحو ذلك، فهذا من ادعاء علم الغيب الذي لا يجوز.

موقف الناس منها، هل يصدقونه أم يكذبونها؟ بعض الناس يفعل الأسباب مثلاً إذا قالوا أن غداً سيكون مطر يتحرز في لباسه ؟.

لا.. لا يجوز أن يقول: أن غداً سيكون مطر؛ لأن هذا من المغيبات الخمس التي لا يعلمها إلا الله -عز وجل- ، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [السجدة: ٣٤] ، فإنزال الغيث لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- لا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله فلا يجوز للإنسان أن يصدق هؤلاء في دعواهم.

يقول: في هذه الأيام شحت السماء فيقوم بعض الأشخاص بذبح عجل وتوزيع لحمه، بغية سقوط المطر، فهل أكل لحمه جائز؟ وأيضاً عن فعل هذا؟.

هذا مما يفعله بعض الناس في بعض البلاد، فهذا بدعة، نحن نقول: إن ذبح الذبائح والتصدق بها مطلقاً جائز، وفيه أجر، لكن التخصيص بوقت معين، أو لسبب معين، لا يكون إلا بدليل، وهذا ما يسميه العلماء بالبدعة الإضافية، والتي يتنازع فيها كثير من الناس ويقولون: كيف هذا؟ عمل مشروع، وأنتم تقولون بدعة؟! البدعة هي: تخصيص شيء بزمن معين، أو عدد معين، أو مكان معين، أو حياة معينة، وإن كان العمل أصله مشروعًا، لكن الابتداع جاء من تخصيصه، فهؤلاء إذا كانوا يجعلون أن ذبح عجل معين بصفة معينة في مكان معين، هو

الذي يستجلب الغيث، نقول: هذا لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن صحابته، وإنما ورد عنهم صلاة الاستسقاء والدعاء، أو الدعاء في يوم الجمعة، هذا هو الوارد في السنة والله أعلم.

يقول: ما صحة الحديث المروي عن أبي هريرة: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن النظر في النجوم)، ويقول أيضاً: هل من ينظر إلى النجوم يأثم حتى لو كان من باب التمعن في آيات الله ؟.

لا.. النظر في النجوم للتمعن، والتفكر في آيات الله، هذا مستحب، قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] ، إلى آخر الآيات، وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنه قال: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)

فالتفكر هذا عبادة، الذي يتفكر في هذه النجوم، في خلقها، وفي عظمتها، فعظم المخلوق دليل على عظم الخالق -سبحانه وتعالى- وهذا من الإيمان، والله -عز وجل- أنكر ونعى على الذين لا يتمعنون في آيات الله، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥] ، كما قال -سبحانه وتعالى-، فالإنسان يتدبر هذه المخلوقات، ويتأملها، ولكن المحذور هنا أن يجعل نظره في النجوم دليلاً على معرفته الغيب، أو نحو ذلك كما سبق.

تقول: ما حكم قراءة الأبراج من باب التسلية دون الاعتقاد لما يجيء فيها؟.

سبق أن ذكرناه، ولا ينبغي للإنسان أن يتسلى بأشياء محرمة، وبخرافات، بل عليه أن يحفظ وقته بما يفيده وينفعه، فهو محاسب على أيامه، وعلى أوقاته، فنقول لهذه الأخت: إن قرأتيها فعليكي أن تنكري على أصحابها، وتحاولين أن تستنتجي منها بعض التناقضات؛ لأن عندهم تناقضات، أحيانًا يذكرون صفات متناقضة لشخص واحد، مولود في برج معين، أو يأتون بعبارات فضفاضة كما يقال، ولا يصلح للإنسان أن يضيع وقته بمثل هذه الخرافات، وهذا الهراء؛ لأن وقت المسلم ثمين، وهو محاسب عليه.

سؤالي الحلقة.

هناك سؤالين للدرس القادم -إن شاء الله-:

السؤال الأول: ما علامة محبة العبد لله تعالى؟

السؤال الثاني: متى يكون الحب الطبيعي محرماً؟ متى يصل إلى درجة التحريم؟ نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزق الجميع العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يثبتنا على طريقه المستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

الدرس السادس

أعمال القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وإمام المرسلين، نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى أله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (باب قول الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥])

فقد عرفنا في الدرس الماضي ما يتعلق بالتنجيم، وحكم التعلق بالنجوم، وحكم قول: مطرنا بنوء كذا وكذا، وعرفنا تفصيل ذلك، وحكم المنجمين، ومن يذهب إليهم، وأن ذلك قدح في التوحيد.

المؤلف –رحمه الله تعالى– عقد بعد ذلك باباً يتعلق بعمل من أعمال القلوب. وهذا الباب، وبعض الأبواب التي بعده كلها تتعلق بأعمال القلوب، من المحبة، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك، من الأعمال التي يجب إخلاصها لله – سبحانه وتعالى–، وهي مؤثرة في عقيدة المسلم، وتظهر آثارها بحسب ما معه من تحقيقها لله – سبحانه وتعالى–.

في هذا الباب يذكر المؤلف –رحمه الله تعالى– ما يتعلق بمحبة الله – سبحانه وتعالى–، وبيان حكمها، وبعض الآثار التي وردت في ذلك، من وجوب تحقيقها لله – سبحانه وتعالى– وأيضاً ما يتعلق بالحب في الله، والبغض في الله – عز وجل–، ومكانة ذلك من الإيمان.

بدأ بذكر قول الله – سبحانه وتعالى–: (﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾) يقول الله – سبحانه وتعالى– في هذه الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ يخبر الله –عز وجل– أن من المشركين من يتخذ من دون الله أنداداً، أي: نظراء ومعبودات، يحبونهم كحب الله، يعني يحبونهم كما يحبون الله، يعني إن المشركين يحبون أندادهم كما يحبون الله –سبحانه وتعالى–، ويساوونهم بالله في المحبة، كما قال –عز وجل–: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] في الآية الأخرى: ﴿ تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧ : ٩٨]، فهم ساووهم بالله في المحبة، والتعظيم، ونحو ذلك، ولم يساووا أندادهم بالله في اعتقاد أنهم يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون الأمر؛ لأن هذا من مسائل الربوبية، وكان المشركون يفردون الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير، ولكنهم يساوون أندادهم بالله – سبحانه وتعالى– فيما يتعلق بالمحبة، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ يعني إن المشركين يحبون أندادهم كما يحبون الله، وهذا هو القول الراجح في الآية.

وهناك تفسير آخر: إن المشركين يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ولكن هذا تفسير ضعيف كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ أي أشد حباً لله من محبة هؤلاء المشركين لأندادهم، فمحبة المؤمنين لربهم خالصة، أما محبة المشركين لأندادهم فهي محبة مشتركة، فتكون محبتهم لله أقل من محبة المسلمين لله. ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ من هؤلاء لأندادهم، وأيضاً هم أشد حباً لله من محبة هؤلاء لأصنامهم، أو لله سبحانه وتعالى.

وهذه الآية فيها نعي على المشركين الذين يساوون بين الله وغيره في المحبة، فكيف بمن يقدم محبة معبوداته على محبة الله؟! بل كيف بمن لا يحب الله – سبحانه وتعالى– بل يحب المخلوقات من دونه، ولا شك أنهم أشد كفراً وضلالاً.

فالله – عز وجل– بيَّن ضلال هؤلاء، الذين يساوون معبوداتهم، يساوونها بالله في المحبة والتعظيم، ونحو ذلك، من أمور العبادة التي يجب إخلاصها لله –سبحانه وتعالى–.

وقوله: (﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾[التوبة: ٢٤]،)

هذه الآية أيضاً تسمى آية المحبوبات الثمانية، وقد ذكر الله – سبحانه وتعالى– المحبوبات للناس، وتهدد، وتوعد من قدم هذه المحبوبات على محبة الله، ورسوله، وجهاد في سبيله. وبيَّن الله –عز وجل– أن هؤلاء فاسقون، حيث إنهم قدموا هذه المحبوبات: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ فالله – عز وجل– يقول: تربصوا يعني انتظروا ما يحل بكم من العقوبة، والنكال، بسبب تقديم محبة هذه الأمور على محبة الله، ورسوله، أو محبة ما يحبه الله، ورسوله، كالهجرة، والجهاد، والصلاة، ونحو ذلك، من الأمور التي يحبها الله – سبحانه وتعالى–.

فمن آثر هذه المحاب على محاب الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، وعلى الأمور الواجبة، فإنه مذموم، ومتوعد، وقد وصف بالفسق؛ لأن الواجب على المسلم أن يقدم محبة الله، ومحبة رسوله –صلى الله عليه وسلم– على كل أحد، والواجب عليه أن يقدم ما يحبه الله – عز وجل– وما يحبه الرسول –صلى الله عليه وسلم– من أمور الدين، وما وجه إليه من الالتزام به، يجب أن يحب ذلك أكثر من محبته لمحبوبات النفس المقربة. من الآباء، والأبناء، والعشيرة، والتجارة، وغير ذلك؛ لأن هذا دليل صدق المحبة، كما قال الله – سبحانه وتعالى– في آية المحنة، كما يسميها بعض السلف ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ادعى قوم محبة الله –سبحانه وتعالى– فابتلاهم الله بهذه الآية، من يزعم أنه يحب الله، فليقيم البرهان على هذه المحبة، وإلا كل يدعي محبة الله – سبحانه وتعالى– ويدعي محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولكن البرهان هو الاتباع والعلامة، إذن علامة المحبة: هي اتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم– من يقول: إنه يحب الله – عزو جل– هذه دعوى علامة صدقها، اتباع ما جاء به النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ وثمرتها: ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ ثمرة هذا الاتباع ثمرته أن يحب الله – سبحانه وتعالى– هذا المتبع ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ هذه كلها من ثمرات هذه المحبة.

إذن دعوى المحبة تحتاج إلى دليل وبرهان، كل يدعي أنه يحب، فلابد من أن يقيم برهاناً ودليلاً على محبته، وهذا حتى بين الناس قد يدعي الشخص أنه يحب آخر، ولكن تبقى هذه دعوى حتى يبرهن عليها بأفعاله وتصرفاته، ونحو ذلك، مما يستدل به على حقيقة ما يقول، وإلا أصبحت دعوى كاذبة، إن لم تبرهن بالأفعال فإنها تكون دعوى كاذبة، فالله – عز وجل– بيَّن علامة صدق هذه الدعوى بأنها اتباع ما جاء به النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.

إذن من يدعي أنه يحب الله –سبحانه وتعالى– وهو معرض عن اتباع شرعه، فنقول: هذه دعوى تحتاج إلى دليل، ودليلها الاتباع، ومن لم يتبع فإنه مدعي في محبته.

يقول: علامة محبة العبد لله تعالى هو أن يقوم بقلب الإنسان من الإجلال والتعظيم ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه، والوقوف عند حده، وهذا خاص بالله – عز وجل – فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة فهو مشرك شركاً أكبر، أو أن يحب شيئاً يكون الجالب له محبة الله أي كون الشيء محبوباً لله تعالى كالصلاة والزكاة وأعمال البر والخير.

يقول: علامة محبة العبد لله تعالى هي محبة نبيه –صلى الله عليه وسلم– واتباعه فيما جاء به، وفائدتها وثمرتها هي محبة الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ وهذه الآية تسمى آية المحبة. وقال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله هذه الآية أي آية المحبة.

تقول: المحبة شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان، والجوارح، وهي كثيرة، فمنها: حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا، ومفارقتها بالموت، فيبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه. ومنها: أي يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم مشاق العمل، ويجتنب اتباع الهوى، ويعرض عنه دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله، ومتقرباً إليه بالنوافل، وطالباً عنده مزايا الدرجات، كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه، ومن أحب الله لا يعصيه، وكذلك علامة حب الله: حب ذكره، وحب القرآن، الذي هو كلامه، وحب الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وحب كل من ينتسب إليه.

إجابات طيبة، وفيها ذكر بعض علامات صدق المحبة، ويمكن أن يجمعها صدق المحبة، موافقة المحبوب في محابه ومساخطه، فالمحق يفعل ما يحبه محبوبه من أمور، ويترك ما يكرهه، ويبغضه محبوبه، فمن يحب الله – عز وجل– تجده يسارع في طاعاته، وفعل ما يحبه، ويجتنب ما يكرهه الله، –سبحانه وتعالى– أو يكرهه الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فهذه هي صدق المحبة، تبغض ما يبغضه، تحب ما يحبه، تفعل ما يريده، تترك ما يكرهه، هذه علامة صدق المحبة.

وأيضاً إذا ارتفع الإنسان في درجات المحبة، فإنه يجد اللذة والراحة في القرب من محبوبه، وفعل ما يحبه، كما كان النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول: (يا بلال أرحنا بالصلاة) فيجد الراحة فيها، وقرة عينه في الصلاة؛ لأنه يجد لذة مناجاة الله – سبحانه وتعالى – والقرب منه، وهي من الأمور التي يحبها الله – سبحانه وتعالى– بل يجد الراحة والطمأنينية والسعادة، حينما يفعل ما يحبه محبوبه. ويجد الضيق والحرج ونحو ذلك، في القرب من ما يكرهه محبوبه، أو أن يشاهده في مكان، لا يحبه أو على فعل لا يرضاه، فتجده متضايق من هذا.

هذه علامة صدق المحبة، محبة ما يحبه الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– من الأقوال، والأفعال، والأشخاص، والبقاع، وغير ذلك، وبغض واجتناب ما يكرهه الله – سبحانه وتعالى– أو يكرهه الرسول –صلى الله عليه وسلم– من الأقوال، والأفعال، والأماكن، والأشخاص، وغير ذلك، فهذه هي علامة الصدق، وعلامة صحة المحبة، فبرهانها أن يجد الإنسان الارتياح في لقاء محبوبه، وفي فعل ما يحبه محبوبه؛ لأنه يجد القرب منه بذلك.

هنا أحب أن أنبه إلى انحراف في مفهوم المحبة عند بعض الطوائف المبتدعة، ممن غلا في المحبة حتى ظن أن الإنسان إذا بلغ درجة من المحبة، ووصل إلى محبة الله، فإنه تسقط عنه التكاليف، وبالتالي يمكن أن يفعل الذنوب والمعاصي، ويترك الطاعات، ويدعي أنه وصل إلى محبة الله – سبحانه وتعالى– وبالتالي فإنه لا عقاب عليه، ولا تثريب عليه، في أن يغشى ما يريد أن يغشاه؛ لأنه صار محبوباً لله – سبحانه وتعالى–، انظر كيف الانحراف إذا أتى الشيطان لبعض الناس مع نقص العلم، ونقص الدين يزين له عمله، حتى يجعل الباطل حقاً، وحتى يجعل المعصية طاعة، نعم يجعل المعصية طاعة، بعض غلاة الصوفية يجعلون المعاصي طاعات، كما نسب عن ابن عربي أنه قال:

أصبحت منفعلاً لما يختاره *****مني ففعلي كله طاعاته

قال:

وإن عصيت أمره ******فقد وافقت قدره

يقول: أنا أوافق قدر الله – سبحانه وتعالى- أنا أمشي على قدر الله، على قدر ما يحبه الله، فغـلا فـي هـذه المحبة، حتى انحرف، وصار لا يشاهد إلا الله، وأن الله هو الوجود، وأن الله هو كل شيء، وأنه يسير مع القدر، ولا يعترض عليه، هذا كله من الانحراف في هذه المفهوم.

وأيضاً أحب أن أنبه على عبارة أثرت عن رابعة العدوية، حيث نقل عنها: أنها قالت: اللهم إني لم أعبدك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن حباً فيك.

الشخص حينما يسمع هذه العبارة ينبهر لها، يقول: انظر كيف وصل الحب، حب الله – سـبحانه وتعـالى- بحيث أن هذه العابدة، أحبت الله لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، وهذا ما يتغنى به بعض المنحرفين مـن الصوفية وغيرهم، ويزعمون أنهم استوى عندهم الأمران، استوى عندهم دخول الجنة ودخول النار، المهم أنهـم يعيشون في محبة الله، كما ذكر عن سمنون يقول: أنه قال:

وليس لي في سواك حظ ***فكيف ما شئت فابتليني

فابتلاه الله -عز وجل- بحصر البول، حتى مكث أياماً لا يبول، وصار يتقلب من الألم، ويخرج إلى الأسواق، ويعطي الصبيان الحجارة، ويقول ارموا عمكم الكذاب، ما استطاع أن يصبر على البلاء، فكيف يقول الإنسان: أنا لم أعبدك خوفاً من نارك؟ سبحان الله! والله -عز وجل- مدح عباده المؤمنين بأنهم يدعونه خوفاً وطمعاً: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبًـا وَرَهَبًـا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، الإنسان يجمع بين الرغبة والرهبة، ويخاف من النار، ويسأل ربه الجنة، وقد سألها أفضل الخلق، وهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، استعاذ بالله – عز وجل- من النار، فكيف يأتي شـخص، ويقـول: لـم أعبدك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن حباً فيك. هذا غلط.

نحن نعبد الله -عز وجل- خوفاً وطمعاً وحباً نجمع بين الأمور كلها، وقد قال السلف: " من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري" يعني من الخوراج الذين يغلبون جانب الخوف فقط، "ومن عبد الله بالرجـاء وحـده فهـو مرجيء"، يعني يرجو الله – سبحانه وتعالى- فقط، عنده رجاء، وما عنده خوف، هذا من المرجئة الذين لا يبالون بالعمل، " ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق"؛ لأن مجرد الحب فقط يخرجه عن أن يعمل طاعـة، أو يتـرك معصية، فهذا يخرجه إلى الزندقة.

قالوا: " ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو موحد "، نعم يجب أن تجمع بين الأمور كلها، أن تعبد الله محبةً، وخوفاً ورجاءً، وبهذا نعلم أن هذه العبارة التي نقلت ليست صحيحة، ولا تستقيم مع الـشرع؛ لأن الحـب وحده مذموم، وهذا نجده يتغنى به بعض الناس، وبعض الغلاة من الصوفية، يتغنون بما يسمونه العشق الإلهي- الحب الإلهي-، وبعضهم يقولون: العشق الإلهي: يعشقون حتى يقول أحدهم أنه يعشق الذات الإلهية – والعيـاذ بالله- وينظم القصائد، ويتغزل بالذات الإلهية، وكأنه يتغزل بمحبوبته، وصارت المحبة، عندهم كالعشق، وهـذا محرم، لا يجوز أن تكون محبة الله هكذا، والعجيب أننا نجد أولئك الذين يزعمون أنهم يعبدون الله بالحب، نجـد

أنهم من أكثر الناس إسرافاً ومعاصي، وبعداً عن الطاعة، وبعداً عما يحبه الله – عز وجل–؛ لأنهم اعتمدوا على هذه المحبة البدعية المنحرفة، وتركوا جانب الخوف والرجاء، فوقعوا في الانحراف في هذا المفهوم.

يقول: متى يكون الحب الطبيعي محرما؟ يكون محرماً إذا صرف المحب لمن يحبه شيئاً مما لا يصرف إلا لله – تبارك وتعالى– أو يزيد فيه الحد.

كذلك آخر يقول: يكون الحب الطبيعي محرماً إذا فضله صاحبه، وآثره، وأحبه أكثر مما يحب الله، ورسوله، وما أوجبه الله عليه، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. أما محبة غير الله مع الله، وهي محبة الأنداد فهي شرك أكبر مخرج من الملة

نعم، هو كما ذكر الإخوة أن المحبة الطبيعية في أصلها مباحة، كون الإنسان يحب الأهل والأولاد والأموال والمساكن، هذا محبة من طبيعة النفس البشرية، وهي مباحة في أصلها، ولكنها قد تذم إذا زادت عن حدها الطبيعي، أو إذا فضلت وقدمت على محاب الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، إذا قدمت على الواجبات، وصار الإنسان يؤثر محبة أهله، أو زوجته، أو ولده، أو ماله، أو مسكنه، يحبها أكثر مما يحب الأعمال الواجبة، ويقدمها على الأعمال الواجبة، أو يرتكب في سبيل محبتها محرماً، فإنها تكون بذلك مذمومة، وتكون محبة محرمة.

فمثلاً محبة المال، هذا من طبيعة النفس البشرية، كما قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]، لكن هذا المال إذا أشغله عن طاعة الله، صار مذموماً إذا صار حبه للمال يدفعه إلى أن يجمعه من الطرق المحرمة، كالربا، والغش، والسرقة، ونحو ذلك، صار هذا الحب مذموماً، إذا كان حبه للمال يستولي على تفكيره، ويكون هو المسير له، في علاقاته بالناس، وفي حبه وبغضهم، صار عبداً لهذا الأمر، صار مذموماً كما قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– (تعس عبد الدينار، عبد الدرهم، وعبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش).

فصار مذموماً، صارت هذه عبودية، ما صارت محبة طبيعية، إذا صار يقدمها، أو تستولي على فكره، وتستولي على حياته، وتكون هي المسيرة لعلاقاته، ولجميع تصرفاته، صارت مذمومة، فإن المحبة الطبيعية للأشياء تكون مذمومة، إذا أثرت على طاعة الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (عن أنس أن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) [أخرجاه]) أي البخاري ومسلم.

نعم، وهذا الحديث العظيم يبين لنا منزلة محبة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– حيث قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين) يجب على المسلم أن يقدم حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– على حب الوالد، والولد، والناس أجمعين، (لا يؤمن أحدكم) لا يؤمن: هذا نفي للإيمان الواجب أو المستحب؟ الواجب، نفي للإيمان الواجب لكمال الإيمان، الواجب: ليس نفي لأصل الإيمان، لكنه نفي لكمال، الإيمان الواجب الذي يجب أن يكون في قلب كل مسلم، أن يكون حب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

وهذا النفي نفي لكمال الإيمان الواجب، الذي يذم تاركه، ويستحق العقوبة عليه، فمن لا يكون حب الرسول – صلى الله عليه وسلم– في قلبه، مقدماً على محبة هؤلاء، فإنه يكون مذموماً، ومستحق للعقوبة، بل إنه يجب أن تقدم محبة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– حتى على محبة نفسك، وقد ورد في الحديث، أن النبي –صلى الله

عليه وآله وسلم- لما قال ذلك، قال عمر: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، قال: (لا.. ياعمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال: الآن يا رسول الله) يعني الآن يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنت أحب إلي من نفسي، قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (الآن يا عمر) يعني الآن استكمل هذا الإيمان الواجب، وعمر -رضي الله عنه- يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحب من كل شيء حتى من نفسه، وهذا قد برهن عليه الصحابة -رضي الله تعالى عليهم- كلهم حيث قدموا محبة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وفدوه بأموالهم، وأنفسهم، وبرهنوا على هذه المحبة بكمال الطاعة.

فالواجب على المسلم أن يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويقدم محبته على كل محبة، ونقول: أن كل مسلم يحب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، لا يوجد مسلم لا يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن من لا يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنه كافر، وهذا من متقتضيات الإيمان، فمن مقتضيات الإيمان حب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، لكن محبة المؤمنين للرسول -صلى الله عليه وسلم- متفاوتة، ليست على درجة واحدة، ليست محبة المؤمنين للرسول -صلى الله عليه وسلم- واحدة، نعم هم يشتركون في هذه المحبة، ولكنها تتفاوت، وبعضهم أشد حباً للنبي -صلى الله عليه وسلم- من بعض، وبرهان المحبة، وبرهان صدق المحبة، وترسخها: الاتباع، ومن كان أشد حباً للنبي -صلى الله عليه وسلم- تجده أشد اتباعاً لهديه، وتمسكاً بسنته، ودعوة إلى الاقتداء به، وتحذيراً عن الابتداع في شريعته، هذه دعوى صدق المحبة، أما أن يقول الإنسان: أنا أحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتجده من أبعد الناس عن الاهتداء بهديه، هذه دعوى، أو أنه يكتفي بالتعبير عن محبة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، بعيد ميلاد يقيمه يوماً في السنة، ويتلو فيه بعض القصائد، وقراءة بعض السيرة، وتجده طول العام معرضاً عن الاهتداء بهدي النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-.

إذن يجب أن نقدم محبة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على محبة كل أحد، بل حتى على محبة أنفسنا، وصدق هذه المحبة يكون بالاقتداء، والاتباع لشرعه وسنته.

(ولهما عنه (البخاري ومسلم عن أنس) قالا: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) وفي رواية: (لا يجد أحدكم حلاوة الإيمان حتى ...) الحديث)

قبل أن أذكر هذا الحديث أحب أن أشير إلى أن الناس في محبة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- طرفان ووسط، فطرف جفا، وطرف غلا، وطرف توسط.

الطرف الأول: فالجفاة هم الذين لا يهتمون بكلام النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ولا بالاقتداء بسنته بل تجده من أبعد الناس عنه، وعن الاهتداء بهديه، بل تجد أن كلام النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- مثل كلام عامة الناس عندهم، وقد ينظرون فيه كما ينظرون في أي نص أدبي، أو اجتماعي، أو أي مؤلف من المؤلفات، وهذا ما نجده عند بعض الذين يدعون العصرانية، في الوقت الحاضر، ويدعون إلى إعادة قراءة التراث، وإعادة قراءة النصوص الشرعية، ويزعمون أنهم يريدون أن يفهموه فهماً آخر، يتوافق مع واقعهم، ومع شهواتهم، ولا يجعلون للنص قدسية، ولا يجعلون لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكانة، بل ينظرون إلى كلامه، كأي كلام آخر، هؤلاء جفاة.

بل أشد جفاء منهم من يقدم كلام غير النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على كلام النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وتجد عند بعض الذين يعظمون بعض المخلوقين، ويجعلون بعض المخلوقين عندهم أعظم من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في واقع حياتهم، وفي أقوالهم، وفي توجيهاتهم، فيقدمونهم على النبي -صلى الله

عليه وآله وسلم-، هؤلاء جفاة تجدهم، لا يبالون بأوامر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ولا يبالون بنواهيه، ولا يعظمون سنته.

الطرف الثاني: هم الغلاة، الغلاة الذين غلو في النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- حتى رفعوه فوق منزلته، وجعلوا له من أوصاف الربوبية شيئاً كثيراً، ومن ذلك: ما يكون في قصائد بعض الغلاة كما جاء في قصيدة البوصيري التي يتلوها بعض الجهال في بعض الموالد، وفيها يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به*** سواك عند حدوث الحادث

إن لم تكن يوم المعاد آخذا بيدي***فضلاً وإلا فقل يا ذلة القدم

وإن من جودك الدنيا وضرتها***ومن علومك علم اللوح والقلم

فيزعم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو المغيث له هو، الذي سينقذه حتى في الدار الآخرة، يقول: ما لي من ألوذ به سواك، ينسى ربه حتى في المواقف العصيبة، ما لي من ألوذ به سواك، عند حلول الحادث اللمم، يعني ينسى الله سبحانه وتعالى، إن لم تكن يوم القيامة آخذا بيدي، فضلاً وإلا فقل يا ذلة القدم، كأنه يقول يا رسول الله: إن لم تأخذ بيدي فإني سأموت وسأعذب ثم يقول: وإن من جودك الدنيا وضرتها، يعني أنت يا رسول الله تملك الدنيا، وضرتها تملك الدنيا، والآخرة، يعني أنت تملك الدنيا والآخرة. ومن علومك علم اللوح والقلم، يقول: أنت يا رسول الله تعلم ما في اللوح المحفوظ، ومعلوم أن اللوح المحفوظ، قد اشتمل على كل شيء، كتب الله فيه كل شيء، يعني أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم الغيب، والله - عز وجل- يقول: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- نفسه يقول: خمس لا يعلمهن إلا الله، وذكر المغيبات الخمس، ونجد من هؤلاء الغلاة، من يزعم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم ما سيكون، ويعلم المغيبات، وأنه يتصرف في الكون، وأنه يجيب الغوث، ويجلب الرزق، والله - عز وجل- يقول عن نبيه: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، لا يملك لنفسه يقول: (يا صفية يا عمة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- والله لا أملك لك من الله شيئاً، سليني من مالي ما شئت يا فاطمة .. إلخ).

فإذا كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول هذا عن نفسه، فكيف يأتي أناس يزعمون أنهم يحبونه، فيغالون فيه، ويجعلونه يعلم الغيب، ويتصرف في الكون، ويغيث الملهوفين، ونحو ذلك هذا من الغلو.

والوسط: أن نعرف له حقه، ونعظمه، ونعرف له منزلته، ونطيعه، ونتبع سنته، وندعو إليها، ونقتدي بها، ونقدم محبته على محبة كل أحد، هذه هي حقيقة المحبة، ليس محبة الغلاة، ولا محبة الجفاة، بل هي محبة كما أرشد إليهاالله -عز وجل- ، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، محبة لا ترفعه فوق منزلته، بحيث يكون في مقام الرب سبحانه وتعالى، ولا يكون فيها جفاء، فندعوه كما يدعو بعضنا بعضاً، أو نجعل كلامه ككلام بعض الناس، بل نعرف له حقه، ونتبعه في شرعه.

أريد أن أستفهم أمراً قلتم قبل قليل إن المحبة وحدها لا تكفي في جانب العبادة، ولكنني حينما أستيقظ في الليل لأداء بعض ركعات قيام الليل أقوم شوقاً لله ورغبة في مناجاته، ولا يأتي في فكري لا الجنة ولا النار، فهل أنا على خطأ في طريقة تفكيري؟

نعم، نقول المحبة مقام عظيم، بل هي من أعظم المقامات، ومن أعظم المحركات للإنسان إلى الله - سبحانه وتعالى-، وهي تحدوه في سوقه إلى الله، لكنها لا تكن بلا خوف ولا رجاء، حتى هذه التي تقوم وتصلي في الليل

شوقاً، ومحبة لله، هي تحب الله – عز وجل– ولو سألت نفسها لوجدت أنها أيضاً تخاف من النار، وتسأل الله الجنة؛ ولذلك لما قال الصحابي للنبي –صلى الله عليه وسلم– (إني لا أعرف دندنتك، ولا دندنة معاذ، ولكني أقول: اللهم إني أسالك الجنة، وأعوذ بك من النار) كما ورد في الحديث. قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: (حولها ندندن). يعني كل أعمالنا هي أننا نريد الجنة ونخاف من النار، وليس هذا عيباً، ليس عيباً أن الإنسان يخاف من النار، أو يطمع في الجنة، بل هذا من العبودية، من العبادة، النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– أرشدنا إلى أن نسأل الله الفردوس الأعلى، والصحابي قال للرسول –صلى الله عليه وسلم– (أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أوغير ذلك؟ قال: هو ذاك. قال: أعني على نفسك بكثرة السجود).

فالعبادة أيضاً لدخول الجنة، والنجاة من النار، وهذا كما يقول السلف الصالح، يقولون: "إن الخوف والرجاء كجناحي طائر، والمحبة رأسه"، فالمحبة هي رأس الطائر إذا انقطعت المحبة مات الطائر، والخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يطير بهما الطائر، فإذا انقطع أحد الجناحين سقط، فإذا لم يوجد خوف لم تصح العبادة، وإذا لم يوجد رجاء كذلك، وإذا لم توجد محبة كذلك.

فالإنسان لا يعبد الله خوفاً فقط، يخافه فقط ولا يحبه، ولا يحبه بلا خوف، ولا يخاف بلا رجاء، بل لابد من اجتماع هذه الأمور، وكلها تحدو، والله –عز وجل– مدح عباده المؤمنين بأنهم الذين يجمعون بين هذه الأمور كلها.

أعيد قراءة هذا الحديث: ولهما عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) وفي رواية: (لا يجد أحدكم حلاوة الإيمان حتى ...) الحديث

هذا الحديث ذكره المؤلف –رحمه الله تعالى– لبيان عظم منزلة المحبة، قال: (يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) سواهما، والمقصود به ما سوى الله تعالى من المحبوبات، من الأهل والولد والمال، وغير ذلك مما يحبه الإنسان عادة.

(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سوهم) وعلامة المحبة: أن يحب ما يحبه الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وأن يكره ما يكرهه الله، ويكرهُه الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأن يؤثر مرضاة الله – عز وجل – ومرضاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– على كل شيء، وأن يسعى في ذلك، وأن يبتعد عن الحرام، بل يبتعد حتى عن المكروهات، بل يبتعد حتى عن المشتبهات، إذا بلغ الإنسان درجة من صدق المحبة، فإنه يبتعد حتى عن المشتبه، الأمور التي اشتبهت عليه، أو حتى الأمور التي اختلف فيها العلماء، فإنه يحتاط لدينه، هذه علامة الصدق، كما ورد أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)، فالمحب لله – عز وجل– والمحب للرسول –صلى الله عليه وسلم– يحرص على فعل الأوامر، واجتناب النواهي، ويحرص على فعل السنن، وترك المكروهات، بل إنه يتورع عن فضول المباحات، التي تقطعه عن الاشتغال بالمستحبات، يعني يترك المفضول الذي يقطعه عن الفاضل، فيوازن بينها، ويحرص على كل عمل أو قول أو فعل، يقربه إلى محبة الله – عز وجل–، أو محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

وهنا تنبيه إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ففيه دليل على أن المحبة لا يكفي أصلها، بل أن يكون أحب إليك مما سواهما، يعني أنت قد تحب الله وتحب الرسول –صلى الله عليه وسلم– لكن هذا لا يكفي، بل الواجب حتى تذوق لذة الإيمان، وطعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، والراحة الإيمانية، والسكينة والطمأنينة، أن يكون الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– أحب إليك مما سواهما.

وهذه حقيقة قلبية يشعر بها المؤمن، حينما يصدق مع الله – سبحانه وتعالى– ليس مجرد دعوى، كل يدعي أن يقول: الله ورسوله أحب إلي مما سواهما، حتى تجد بعض العصاة حينما تنصحه وتنكر عليه، يقول لك كلام الرسول –صلى الله عليه وسلم– على العين والرأس، وكلام الله على العين والرأس، ونحن نقدمه على كل شيء، ولكن..، ثم يأتي بما بعد ولكن..، ويأتي بالأعذار التي توحي بأن المحبة عنده غير راسخة، توحي بتقديم محاب النفس، وملذاتها، على محبة الله ومحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

فالواجب أن يكون الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– أحب إليه مما سواهما، يعني من كل شيء تحبه النفس، سوى الله والرسول –صلى الله عليه وسلم–.

ثم قال بعد ذلك: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) يعني يحب الشخص، يحب أخاه المسلم، ولكن هذه المحبة يجب أن تكون خالصة حتى تذوق طعم الإيمان، (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) وهذا علامة صدق المحبة، والإخلاص فيها، كيف تعرف أنك مخلص في محبتك لهذا الشخص؟ تعرف أن محبتك خالصة لله –عز وجل– وفي الله، حينما تتجرد من الأهواء، أو من العلائق الأخرى، وكما قال بعض السلف: إن المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء، أما إذا زادت بالبر فدليل على أن هذه الزيادة ليست لله، والواجب أن تحبه لما معه من الخير، تحبه لما معه من الطاعة، تحبه لما معه من الإيمان والتقوى، تحبه على قدر إيمانه، وقدر صدقه، وقدر تطبيقه لشرع الله، تحبه لله، تكون محبتك لله وفي الله –عز وجل– .

وهذه أيضاً لها علاقة بمحبة الله؛ لأنك تحب من يحبهم الله، وهذا الشخص أحببته؛ لأنه يفعل ما يحبه الله –عز وجل– من والإيمان والخير والطاعة، والمؤمن يحب جميع عباد الله المؤمنين، يحب كل المسلمين، المسلم يحب أي مسلم على وجه الأرض سواء يعرفه أو لا يعرفه، من بلده، أو ليس من بلده، بينه وبينه صلة، أو علاقة، أو قرابة، أو ليس بينه وبينه شيء من ذلك، يحبه لله يحبه لأنه مسلم، يحبه لأنه داخل في هذه الدائرة، ثم إن محبة المسلمين متفاوتة، أنت تحب كل عباد الله المؤمنين، ولكن محبتك لهم متفاوتة، بحسب ما معه من الخير والإيمان والطاعة والسنة، كما أنك قد تجمع إلى هذه المحبة بغضاً بحسب ما عند الشخص من الإسراف والمعصية والمخالفة.

فقوله هنا: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) هذا دليل على إخلاص المحبة، وأن يكون المتحابان في الله تكون مبحتهم خالصة لا يدخلها شائبة من شوائب الدنيا، لا تحبه لأجل منصبه، ولا لأجل ماله، ولا لأجل قبيلته، ولا لأجل بلده، ولا لأجل شكله، ولا لأجل وجاهته، ولا لشيء من ذلك، هذه كلها محبات دنيوية، إنما تحبه لله؛ لأنه مطيع لله؛ لأنه يفعل ما يحبه الله سبحانه وتعالى، فتحبه لأجل ذلك، وهذا من أوثق عرى الإيمان، كما في الحديث يقول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) وهذا دليل على قوة إيمان الشخص.

قبل قليل ذكرتم بالنسبة للمحبة أن بعض الناس يسمونه العشق، هل يجوز تسمية محبة الله عشقاً، ولو كانت محبة صحيحة له فعلاً، يحب الله ويتبع النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– ولكن يسمي هذه المحبة عشقاً ؟ كما أن محبة الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– هل هي معناها فقط؟ أو هي اتباع النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– أو هو أوسع من ذلك؟ أنه يدخل فيه حب النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– نفسه؟

سؤال جيد، لفظة العشق لا يجوز استخدامها في حق الله –عز وجل–؛ لأن العشق مناسبة بين العاشق والمعشوق، وهي لا تليق بين الخالق والمخلوق، والواجب أن نستعمل الألفاظ الشرعية التي جاءت في حق الله – عز وجل– وهي المحبة، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ [المائدة : ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ [الصف: ٤]، فالله – عز وجل –

يُحِبُ، ويُحَبُ، ونعبر عن ذلك بأننا نحب الله – سبحانه وتعالى– ولكن لا يجوز أن تستخدم لفظة العشق، وكما قلت – قبل قليل– أن هذه يستخدمها بعض المنحرفين في محبة الله –سبحانه وتعالى–.

والمحبة تقول: الطاعة واتباع الأوامر، نقول: اتباع الأوامر، واجتناب النواهي، هي من علامات المحبة، هذه من علامات المحبة، وإلا فالمحبة لاشك هي أوسع من ذلك، لكن من أبرز علاماتها هذا، ونحن نحب الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأقام حجة الله على خلقه، وأنقذنا الله به من الظلمات إلى النور، فنحبه –صلى الله عليه وسلم–، ونقدم محبته على محبة كل شيء، ونبرهن على هذه المحبة باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، والبعد عن ما يكرهه، وما يبغضه من الأقوال والأعمال، والأشخاص، أيضاً كما قال الشاعر:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي*** حباً له ما ذاك في إمكان

كما ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– فما يمكن لإنسان يقول: والله أنا أحب الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهو يحب أعداء الرسول –صلى الله عليه وسلم–، أي شخص يحب آخر فتجده حينما يحب أعداءه، تنقص محبته عنده، ويشك في محبته، فكيف يحب الشخص الله –عز وجل–، أو يحب الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ويحب من يبغضه الله – عز وجل– أو من يبغضه الرسول –صلى الله عليه وسلم–، أو من يحارب دين الله، أو من يسخر بدين الله، الإنسان لا يحب أولئك؛ لأنه لا يمكن أن يجتمع حب الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وحب من يبغض الرسول –صلى الله عليه وسلم– كل هذه من علامات المحبة.

السؤال الأول: إذا كان الإنسان محب للعبادات وللطاعات، ومحب لله –عز وجل –، ولكن يمنعه بعض الواجبات – بكاء الأولاد، واجبات الأولاد – تمنعه من قيام الليل، تمنعه من أداء الصلاة في وقتها، تأخيرها قليلاً، فهل يدخل ذلك ويكون يفضل حب أولاده على محبة الله –سبحانه وتعالى–، وإذا نوى أن يقوم بهذه الأعمال، ولم يستطع فهل له أجر قليل؟ ليس أجرها كاملاً، ولكن قليل من الأجر منها؟

السؤال الثاني: إذا غلب جانب الخوف على جانب المحبة والرجاء، فهل يعتبر الإيمان ناقص؟

السؤال الثالث: كيف يزيد المؤمن من محبته، وإيمانه، ما هي الخطوات أو الأعمال التي تزيد من محبة المؤمن لله –عز وجل– وقيامه بالطاعات، والعبادات، حتى تكون دافع لي على أن أؤدي الواجبات، وقيام الليل، وهذه الأشياء؟

لعل السؤال الأخير هو من الأسباب الجالبة، فنبدأ من حيث انتهت الأخت من ذكر الأسباب الجالبة لمحبة الله سبحانه وتعالى.

كل إنسان يسعى إلى أن يحبه الله –عز وجل– ويرجو الله –سبحانه وتعالى– أن يوصله إلى هذه المحبة؛ لأنه حينما يصل إلى أن يحبه الله –عز وجل– فبالتالي لا يبالي في أي شيء في هذه الدنيا، لا يبالي أحبه الناس أم لم يحبوه، لا يبالي بموت أو حياة، هو يهمه أن يحبه الله –عز وجل– وإذا أحبه الله –عز وجل– فبالتالي يهون عليه كل شيء.

الأسباب الجالبة لمحبة الله – عز وجل– للعبد:

ذكر العلماء أسبابا جالبة لمحبة الله، ويجمعها المسارعة في طاعة الله –عز وجل– ومن ذلك:

– الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، سواء حفظاً وتدبراً وقراءةً.

– كذلك التقرب إلى الله –عز وجل– بالنوافل بعد الفرائض، ويكثر من النوافل على أنواعها، السنن الراتبة، قيام الليل، النوافل التي في المناسبات كثيرة، لا نطيل فيها، لكن يكثر من هذه النوافل.

– كذلك الإكثار من النوافل، الصيام، الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى بالأوراد، والأذكار بقلبه ولسانه، سواء ذكر أذكار الصباح والمساء، أو أذكار أدبار الصلوات، أو أذكار المناسبات، في كل مناسبة لها ذكر، يحاول أن يجعل لسانه رطباً من ذكر الله في كل حال، إذا دخل المنزل، إذا خرج، إذا دخل الخلاء، إذا دخل المسجد، إذا خرج، إذا لبس ثوباً، إذا ركب دابة، إذا أراد أن ينام، كل شيء له ذكر، فالإنسان المسلم يحاول أن يكون دائم الذكر لله – سبحانه وتعالى– حتى يصل إلى محبة الله –عز وجل–.

– إيثار محاب الله – عز وجل– على محاب الهوى، على ما تهواه النفس، وهي تحتاج تدريب، تحتاج مجاهدة النفس. قد تتعارض الشهوات أحياناً مع ما يحبه الله – عز وجل– فيحتاج الإنسان أن يدرب نفسه، على مغالبة الهوى، وأن يقدم محاب الله – عز وجل– على ما تهواه نفسه.

– كذلك مشاهدة بر الله – عز وجل– وإحسانه. يتفكر في نعم الله عليه، وأفضال الله – عز وجل عليه– وإحسانه الظاهر والباطن عليه، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [الرعد: ٣٤]، ويحاول أن يتحدث بهذه النعمة: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، فهذه من الأسباب الجالبة أيضاً لمحبة الله سبحانه وتعالى.

– كذلك انكسار القلب بين يدي الله – عز وجل–. أن ينكسر قلب الشخص، ويشعر بالذلة، والعبودية، والحاجة إلى الله، والافتقار إلى الله – سبحانه وتعالى– في كل حين.

– تأمل وتدبر أسماء الله وصفاته. فيتدبر هذه الأسماء والصفات، ويتأملها، ويتعبد لله بها، فيعلم أن الله رحيم، وأن الله غفور، وأن الله حليم، وأن الله شديد العقاب، وأن الله بصير، وأنه سميع، وأنه قدير، وأنه عليم، كل هذه حينما يتفكرها ويتفكر بها دائماً، وتكون دائماً في ذهنه، ويتأملها، ويدعو الله بها ﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويتأملها، وتكون هذه من أسباب أيضاً تعظيم الله – عز وجل– أن يعظم الله في نفسه، ويستحضر جلال الله – سبحانه وتعالى– وعظمته، وهذه لا شك أنها من الأسباب الجالبة لمحبةالله –عز وجل– .

– كذلك استغلال أوقات الخلوة بالله – عز وجل– كالثلث الأخير من الليل، السجود: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، فيستغل هذه الأوقات، ويستشعر قرب الله – عز وجل–.

النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول في الحديث الصحيح: (ينزل ربنا كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟) فحينما يخلو الشخص بربه – سبحانه وتعالى– وتدمع عينه، يستشعر الإخلاص لله – عز وجل– في دعواته، وفي صلواته، وفي خلواته، فهذه لا شك أنها من أعظم أسباب محبة الله لهذا العبد.

– كذلك مما يعين على محبة الله – عز وجل– مجالسة الصالحين، الإكثار من مجالسة الصالحين، الذين يعينون الشخص على طريق الخير، وعلى قربه من ربه، ويحثونه على الخير، ويبعدونه عن المعصية، وأيضاً يشدون أزره، إذا فتر عن الطاعة، فيحرص الإنسان على الجلساء الصالحين، الذين يشدون أزره، ويبتعد عن مجالسة الفاسقين، والمنحرفين الذي يزهدونه في الخير، ويكونون مثل قُطّاع الطريق في سيره إلى الله – سبحانه وتعالى–.

هذه بعض الأمور التي تستجلب بها محبة الله – عز وجل–، ويجمعها –كما قلت– الحرص على معرفة ما يحبه الله –عز وجل– وفعله، والحرص على معرفة ما يكرهه الله –عز وجل– واجتنابه والابتعاد عنه.

تسأل كذلك حينما يمنعها أولادها من أداء الصلاة، وكذا يشغلونها، عن عبادةالله –عز وجل– ، هل ينافي ذلك محبة الله سبحانه وتعالى؟

الإنشغال الخارج عن إرادة الشخص، هذا لا حرج عليه فيه، ولا تثريب عليه فيه، بل إن تربية الأولاد، ومجاهدة الأولاد، هذه من العبادة، إذا أخلصت النية لله – عز وجل– فيها، فإنها في جهاد، وفي عبادة، والله –عز وجل– يقول: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، وقال عن نبيه إسماعيل –عليه السلام– : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ ﴾ [مريم: ٥٥]، فمجاهدة الأولاد على الخير، هذا من العبادة، بل قد تكون مجاهدتهم وتربيتهم أفضل من الانقطاع للعبادة؛ لأن الانقطاع لعبادة النافلة، هذه نفعها خاص، نفعها قاصر، أما تربية الأولاد، وحثهم على الخير، فهذه نفعها متعدٍ، فالمهم أنها في مجاهدتها لأولادها على خير، وإذا نامت على نية القيام، وعملت الأسباب على نية القيام في الليل، ولكنها غلبتها عيناها، فنرجوا الله أن يكتب لها ما نوت، فالله – عز وجل– يثيب المؤمن على نيته.

كذلك تسأل حينما يغلب جانب الخوف على الرجاء؟

لا يصلح أن يغلب جانب الخوف، بحيث يصل إلى درجة اليأس، وسيرد معنا –إن شاء الله تعالى– لعله في الدرس القادم، ما يتعلق بالخوف، وقد ورد عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه دخل على شاب من الأنصار فوجده كالفرخ، يعني أنه أثر على صحته، هذا الخوف الشديد أثر على صحته، حتى صار كالفرخ، بحيث أنه من يشاهده يجد أنه على غير حاله الطبيعية، فسأل النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– عن حاله، فقال إنه كان يقول: اللهم إن كنت معذبي في الآخرة فعجل لي العقوبة في الدنيا، خاف من عذاب الله –عز وجل– فقال اللهم إن كنت معذبي في الآخرة فعجل لي العقوبة في الدنيا، سبحان الله! يعني دعا الله أن يعجل له العقوبة؛ لأنه يخاف من النار، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– استغرب! هل تستطيع هذا، وأرشده إلى أن يقول قال: (لو أنك قلت ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]،)الله –عز وجل– غني عن تعذيب عباده، لماذا تقول اللهم إن كنت معذبي في الآخرة فعجل لي العقوبة في الدنيا؟ لماذا لا تقول اللهم اغفر لي؟ ، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.

الشاهد: أن هذا الشاب غلبه الخوف حتى أثر على جسمه، وعلى صحته، فتغليب الخوف، بحيث يصل إلى اليأس، وإلى تعكير الحياة، لا يجوز، وإنما يكتفى من الخوف بما يمنع من المعصية، ويحث على الطاعة، ويكون هذا خوف العبادة، لا خوفاً يؤدي إلى اليأس من رحمة الله؛ لأن هذا ذنب عظيم.

أولاً: في سؤال الأخت الذي سألته عن انشغالها بالأبناء، عن أداء بعض الواجبات، فهل نفهم إذا كان الإنسان نوى النوافل، أو أموراً عادية، وكانت النية صالحة، فيكون قربى من الله مثلاً، كما يقول معاذ –رضي الله عنه–: "أحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي". إذن فالإنسان يصحح نيته في كل شيء من أكل ونوم وسائر الأمور العادية.

وأما سؤالي: فمتى يعرف العبد أن الله يحبه؛ لأن من الطبيعي أن يحب الإنسان ربه، لكن من المهم للعبد أن يحبه الله، فما هي العلامات التي يعرف بها حب الله للعبد؛ لأنه ورد في بعض الأحاديث (ما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) وورد أيضاً في بعض الأحاديث (إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، وإذا أراد به الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة).

ما أشرت إليه في السؤال الأول من تعليقك على سؤال الأخت، وهو أن المباحات قد تكون أحياناً مستحبات، وذلك بالنية الصالحة، فالمباحات تنقلب إلى مستحبات بالنيات الصالحات، إذا نوى بها طاعة الله، أو التقوي على عبادة الله، إذا نوى بنومه التقوي على عبادة الله، أو بأكله أو بشربه أو بطلبه للرزق، هذا يكون في عبادة وخير.

لكن هنا مفهوم أحب أن أنبه إليه، وهو ينتشر بين بعض المسلمين، وهو قولهم: "إن العمل عبادة " نعم، لكن ليس على إطلاقه الذي يفهمونه، تجد أحدهم يترك الصلاة، فيقال له: لماذا لا تصلي؟ يقول: أنا في عبادة، أنا في عمل، والعمل عبادة. ونحن نطلب الرزق لأولادنا، سبحان الله! هل عبادة تترك عبادة، ولنفرض أنها عبادة مستحبة، تترك عبادة واجبة، أو بعض الناس ينام، وينام عن صلاة الفجر، في وقتها، ويقول: أنا في عبادة، والنوم عبادة، هذا غير صحيح، هذا مفهوم باطل.

فالنوم عبادة بشرطه، وبقدره، أما النوم الزائد عن الحد، فهذا فضول، ويكون مذموم، الأكل إذا زاد عن حده، يكون فضول، ويكون مذموم.

كذلك طلب الرزق، نعم أنت على خير، إذا تطلب الرزق لتعف نفسك، وتتصدق، وتنفق على من يلزمك نفقته، ونحو ذلك، لكن إذا كانت هذه همك، وهذه حياتك كلها، وتوالي، وتعادي فيه، لم يكن عبادة، بل صرت عبداً لها أنت. إذن المباحات تكون عبادات بالنية الصالحة، وبقدرها المشروع، لا على إطلاقها.

أما السؤال الثاني الذي ذكرت، وهو الإشارة إلى كيف يعرف الإنسان محبة الله له سبحانه وتعالى؟ نعم، جاء في الحديث أن الله -عز وجل- يقول في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه، الذي يسمع به، وبصره، الذي يبصر به، ويده، التي يبطش بها، ورجله، التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ..) إلى آخر الحديث.

- فهنا يبين علامة محبة الله -عز وجل- للعبد، بأن العبد يكون مسدداً في أقواله، وأعماله، وسمعه، وبصره، فتجده ما ينظر إلى حرام، لا يسمع حرام، لا يبطش بحرام، لا يمشي إلى حرام، كل جوارحه مسخرة في طاعة الله -عز وجل- هذه علامة محبة الله -عز وجل-.

- من علامة محبة الله لك: أن يستخدمك في طاعته. أن تكون جميع أعمالك موافقة لشرعه، موافقة لما يحبه الله -عز وجل- ، هذا من توفيق الله لك، أما الإنسان الذي يسرف في المعاصي، ويغفل عن عبادة الله، هذا دليل على خذلان الله له، ونسيان الله -عز وجل- له، قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٨: ١٩]، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ينسى الإنسان نفسه، حتى أنه ربما لا يفكر أنه مخالف لأمر الله، حتى إنه ربما يفكر في محاسبة نفسه فلا يجد شيئاً عليها، كأنه قد كمل، وبعض الناس - سبحان الله - من الغفلة التي عنده، يظن أنه ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت، كأنه ضمن الجنة، وأنه لا حساب عليه، ولا عذاب، وأنه غير مسرف، بل تجد بعضهم يمن بعمله على الله -سبحانه وتعالى- كأنه هو صاحب الفضل والإحسان، فهذا من الغرور الذي يبتلى به بعض الناس، وهذا دليل على خذلان الإنسان.

أما العبد الذي يحبه الله -عز وجل- فإنه يوفقه لطاعته، ونيسان عمله، ينسى عمله في ذات الله، يرى أنه مقصر، وأنه مذنب؛ لأجل أن هذا الشعور يحثه على الطاعة، لا أن يقنط من رحمة الله، أو يسيء الظن بالله، لا...، إنما هذا يجعله يستصغر عمله في جنب الله، في جنب نعمة الله عليه، وإفضال الله -سبحانه وتعالى- عليه.

فيه جزء من حديث آخر قال: (وأن يكره أن يعود في الكفر)، هذا فيه دليل على أن الإنسان حينما يترسخ الإيمان في قلبه، ويذوق حلاوته، فإنه يكره العودة إلى الكفر، هذا لمن كان كافراً، من كان كافراً فإنه يتقذذ من ذكر هذا المقام، وهذا التاريخ الذي كان عليه، ويكره بل يتساوى عنده القذف في النار، يعني أن يقذف في النار، أو أن يرجع إلى الكفر؛ لأنه ذاق طعم الإيمان، وعرف مرارة الكفر، وفي هذا دليل على أن الشخص الذي كان كافراً فآمن أفضل من الشخص الذي لم يمر بالكفر، يعني لا يلزم من الشخص الذي كان كافراً فأسلم أن يكون أقل درجة، بل قد يكون أرفع درجة من شخص لم يمر بالكفر؛ لأن هذا الذي ذاق مرارة الكفر، ربما يكون كرهه له، ومعرفته به أكثر؛ ولهذا كان الصحابة -رضي الله تعالى عليهم- بل أفاضل الصحابة، كثير منهم، أو أكثر الصحابة كانوا على الكفر، فصاروا على الإيمان، فذاقوا لذة الإيمان.

لدي عدد من الأسئلة هي مداخلة بدروس الأسبوع الماضي، كثير من الناس في هذا الزمان يحصل له نوع من التطير، أو الطيرة، وهو أنه يأخذ وردة، أو ورقة، ويظل يقطعها، يقول: أذهب، ما أذهب، أروح، ما أروح، يعني أليس هذا الفعل من جنس فعل المشركين الأوائل؟

الأمر الثاني: تتعلق بمسالة التنجيم، ذكرتم حفظكم الله أن اعتقاد أن النجوم أسباب بالحوادث، غير مستقلة بالتأثير، بل تابعة لتقدير الله، أن هذا شرك أصغر، أنا وقفت على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى يثبت أن هناك أسباب للحوادث غير مستقلة بالتأثير، بل تابعة لتقدير الله يقول: " وأما إنكار بعض الناس أن يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من الأسباب، هو أيضاً قول بلا علم، وليس في ذلك دليل من الأدلة الشرعية، ولا غيرها، فإن المنصوص عليه على خلاف ذلك، كما في الحديث الذي في السنن عن عائشة -رضي الله عنها-: (أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- نظر إلى القمر، فقال يا عائشة: تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب) وكما تقدم في حديث الكسوف حيث أخبر أن الله يخوف بهما عباده" أنا أسال الاختلاف بين أئمة الدعوة النجدية، وشيخ الإسلام في هذه المسألة، كيف نحرر الكلام في هذه المسألة؟

لي مداخلة في درس اليوم، تقسيم أو ما أخذ أهل العلم بتقسيم المحبة، هل نقول بأن المحبة تنقسم إلى قسمين: قسم لا يتعلق به الخطاب الشرعي ابتداء مثل المحبة الطبيعية، وقسم يتعلق به الخطاب الشرعي، فتدور معها أمراً ونهياً، وهي نوعان: محبة مشروعة: وهي التي أذن بها الشرع، وهي منقسة هي قسمين: محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، ومحبة ممنوعة، والمحبة الممنوعة: وهي التي منع منها الشارع، وتنقسم إلى قسمين محبة غير الله محبة تعظيم فهذه شرك أكبر. ومحبة ما يكرهه الله ولا يرضى عنه، الكفر والفسوق والعصيان، وهذه أحكامها بين الشرك الأصغر، والأكبر، والسحر. وجزاكم الله خيراً؟

الأخ أرجعنا إلى الوراء قليلاً لكن ما فهمت السؤال الأول إلا أنه قال بعض الناس يتعلق بورقة.

يأخذ وردة أحياناً ويقطف منها أشياء ويمضي أو لا يمضي وكذا

نعم، هذه صور أنا أشرت إليها في الدرس الماضي، أنها صور تطير متجددة، ومتنوعة، بحسب المجتمعات، ويجمعها التشاؤم، أو المضي، أو الرجوع بأشياء ليست أسباباً ظاهرة أياً كانت.

السؤال الذي ذكره عن شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أن بعضها تكون أسباب، نحن نتكلم عن الأسباب التي يستدل به المنجمون، أو بعض الذين يستدلون بحركات النجوم على أمور غير مرتبطة بحركاتها، يعني يقول: نحن عرفنا بحركة هذا النجم أن هذا الشخص مولود في هذا النجم، نتعرف إلى أنه سيكون كذا في خلقه، أو سيأتيه كذا من الرزق، أو سيعيش كذا من العمر، هذا ربطها بسبب، يقول: أنا أعرف أنها هي ليست هي

المؤثرة، أو يقول: إن حركة هذا النجم في هذا الزمن، صارت سبباً لغلاء الأسعار، وحركة هذا النجم في هذا الوقت، هي التي سببت غلاء الأسعار، هذا سبب غير شرعي، وغير طبيعي، وهذا هو الذي يكون شرك أصغر.

أما الأسباب الظاهرة: هذه لا تدخل فيما نحن فيه، وذكرنا نحن في الدرس الماضي، أن الاستدلال بالأبراج، والنجوم على القبلة، أو على حتى أوقات الزرع، أن هذا سبب للزراعة، يحسن فيه زراعة المحصول الفلاني، فهذه الأمور العادية التي أجرى الله العادة فيها، ولا تدخل ضمن ذلك كذلك أشرنا إلى مسألة الكسوف والخسوف، وأن هذه أمور حسابية، أو أيضاً الرياح أنها تمشي بسرعة كذا، وهذه الأشياء مشاهدة، فهذه الأسباب الطبيعية المشاهدة المعروفة، هذه لا تدخل فيما نحن فيه، إنما نتكلم نحن فيمن جعلها أسباباً لأشياء غير معروفة، أشياء خفية، ويربطها بها، ويستدل بها على ما يحصل في الأرض، ومما لم يجعله الله – سبحانه وتعالى– سبباً، فهذا هو الشرك الأصغر، والله أعلم.

تقول: عند ذكر رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– كنت أقول بأبي هو وأمي رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– ولكني شعرت منذ فترة أن النفس أغلى من الأم والأب، فأصبحت أقول بنفسي هو وروحي –صلى الله عليه وسلم– هل هذه المقولة فيها بدعة؟

ورد عن الصحابة –رضي الله تعالى عليهم– أنهم كانوا يقولون: فداك أبي وأمي، أيضاً يفدونه بأنفسهم، نفسي دن نفسكن فهذا قد ورد فيه بعض الآثار، لكن الآن ما أدري الأخت تقول الآن فداك نفسي، يمكن أن يفهم على أنها تدافع عن سنته، وعن شريعته، وعن الدعوة إليها، وتسخر كل ما تملك في الدعوة إلى هذا، وهذا نعم أمر مشروع.

كما تشير إلى قضية تفضيل النفس على الأب والأم؛ لأن أغلى ما تملك أو أغلى ما لديها نفسها؟

وهذا وارد كما ورد عن عمر –رضي الله عنه– قال: (إلا من نفسي، قال حتى من نفسك قال: أنت يا رسول الله، أحب إلي من نفسي) كما ورد في الحديث في الصحيح.

تقول: ما حكم تحكيم رغبة الأب في سكن زوجي معه في نفس البيت، في شقة فوق شقته، علماً بأن وجودي أنا وأولادي في هذا المكان يعرضنا إلى فتن كثيرة، نظراً لوجود أقارب وغيره، وهل يدخل ذلك في البر الواجب، أم أن تقديم رضا الله ومحبته هو الواجب؟

الأولى: أن تجمع بين الأمرين، أن ترضي الله –سبحانه وتعالى– وتسعين في رضا والديك، هي تقول أنها في شقة معزولة فوقه، فيمكن أن تجمع بين الأمرين، وتحاول أن تبعد أولادها عن الشرور التي قد تكون في منزل أبيها، كذلك هي مما ينبغي عليها أن تسعى في إصلاح منزل أبيها بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالأسلوب الطيب.

تقول: هل يكون مساعدة الآخرين، ومحاولة التقرب منهم لأجل احتساب الأجر فيهم، من محبة المرء في الله، أم أن محبة المرء تكون بمحبة أخلاقه، ودينه، وطاعته لله تعالى؟

إذا كانت تتقرب إليهم لأجل دعوتهم، فهذا أمر مطلوب ومحمود، وهو داخل في الحب في الله، فدعوة الناس للخير وهدايتهم والتأثير عليهم بما يصلحهم، هذا مما جاء به الشرع، فالعمل عليه يكون مشروعاً، لكن على الإنسان أن يجاهد نفسه، وأن يكون صريح مع نفسه، لا أن يخادع نفسه؛ لأنه في الحقيقة كثيراً ما تختلط الأمور، كثيراً ما يختلط عند الناس الحب في الله، يختلط مع الحب في غير الله، تختلط الشهوات مع الحب في الله، تجد

الشخص يقول: أنا أحب فلان في الله، أو امرأة تقول: أنا أحب فلانة في الله، وفي الحقيقة هناك مداخل شـيطانية تجدها ليس حباً خالصاً، إما حباً لأمور دنيوية وغيرها، فتختلط، فالإنسان يجاهد نفسه، ويتحرى في هذه الأمور.

تقول: نحن نعلم أن المحبة نعمة من الله تعالى، وهبة منه – سبحانه– لعبده، فهل ينقص هذا الحب بالمعاصي، والوقوع في الذنب؟

إذا كانت تقصد أن محبة الله للعبد تنقص بالمعصية، نقول: لا شك أن الإنسان إذا تقرب مـن الله – سـبحانه وتعالى– بالطاعة أحبه الله، كما في الحديث السابق: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتـى أحبـه)، وإذا عصى الإنسان ربه، فإنه تنقص محبته لله، تنقص محبة الله له، والله –عز وجل– إذا أحب عبداً كمـا ورد فـي الحديث: (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في السماء: إن الله يحب فلاناً فيحبوه فيحبه أهل السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض، فيحبه أهل الأرض)؛ ولـذلك محبـة الناس لك، هذه من الله –سبحانه وتعالى–؛ ولذلك بوَّب البخاري على هذا الحديث: " باب المقت من الله " يعنـي المحبة من الله، أنت قد تسعى في الناس يحبونك، لكن بأمور غير مشروعة، قد يحبوك في الظـاهر، لكـنهم لا يحبوك في الباطن، قد يتظاهرون بأنهم يحبوك، ولكنهم يبغضوك، أما إذا أحبك الله – سبحانه وتعالى– فإن الله – عز وجل– يضع محبتك في قلوب الناس فيحبك الناس.

يقول: هل يدخل البغض في الله، بغض ذوي الرحم، الذي يجاهرون بمعصية الله تعالى، وهل يصل الأمر إلى مقاطعتهم؟

هذه ألمحنا إليها، وأن المسلم يحب في الله، ويبغض في الله، أيضاً الحب في الله والبغض في الله أوثق عـرى الإيمان، فالشخص قد تجتمع فيه محبة وبغض، فالمؤمن العاصي تحبه وتبغضه، تحبه لما معـه مـن الإيمـان والخير، وتبغضه لما معه من الشر والمعصية، تحبه بقدر الطاعة، وتبغضه بقدر المعصية، ولا يجوز أن تبغض المسلم العاصي كما تبغض الكافر، كما لا يجوز أن يكون بغضك للمسلم العاصي مزيلاً لمحبته، بل يجتمع فـي هذا الشخص محبة وبغض، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة. أما منهج الخوارج: فعندهم بغض بلا محبـة. وغلاة المرجئة: عندهم محبة بلا بغض. أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الشخص يحب ويبغض، يحب لما فيه من الخير والطاعة والصلاح والتقوى، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية والشر.

السؤال الأول: متى يكون الخوف من غير الله شركاً أكبر؟ يعني ما حد الخوف الذي يصل إلى الشرك الأكبر من غير الله؟

السؤال الثاني: متى يكون الخوف الطبيعي مذموماً؟ متى يذم هذا الخوف الطبيعي؟

الدرس السابع

باب محبة الله – عز وجل– والخوف منه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله –صلى الله عليه وآله وسلم–.

وبعد: فقد كان درسنا الماضي في باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وعرضنا فيه لما ذكر المؤلف –رحمه الله– تحت هذا الباب من بعض الآيات والأحاديث، كقوله –صلى الله عليه وسلم–: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...) إلى آخر الحديث، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، وعرفنا أن محبة الله –سبحانه وتعالى– واجبة، وهي من أركان الدين، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا بها، وعرفنا حقيقتها، يعني حقيقة هذه المحبة وبرهانها، فعلي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، وكذلك عرفنا حقيقة محبة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وأن الناس فيها طرفان وسط، منهم من غلا في محبة النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى جعله في مقام الربوبية والألوهية، ومنهم من جفى ولم يحترم النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا أقواله ولا شريعته، بل تجاوزها، وألغاها بأنواع الإلغاءات، والوسط من عرفوا للنبي –صلى الله عليه وسلم– حقه، وأنزلوه منزلته، وأحبوه أحب من أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، وعملوا بشريعته، ودعوا إلى سنته، وأن هذا هو الموافق للمحبة الشرعية.

وعرفنا أيضاً حقيقة هذه المحبة، وأنها من علامات الإيمان، وثمراتها، وأسباب محبة الله –سبحانه وتعالى– للعبد، وعلامة ذلك، وقد بقي علينا من هذا الباب أثران تقريباً، فلعلنا نكملها –إن شاء الله– في هذا الدرس، ثم ندخل في الدرس الذي يليه.

بسم الله الرحمن الرحيم، (وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك. ولا يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته، وصومه، حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً» رواه ابن جرير).

هذا الأثر روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وفيه تقرير لعقيدة الولاء والبراء، وبيان حقيقة ذلك، فقد قال –رضي الله عنه–: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك." يعني من أراد أن ينال ولاية الله، يكون أيضاً من أولياء الله، فليجرد حبه في الله، وبغضه في الله، وأن يكون موالاته في الله، ولله ومعاداته، أيضاً تكون لله، وفي الله.

ثم بين –رضي الله عنه– "أنه لن يجد عبد طعم الإيمان"، يعني حقيقة الإيمان، ولذة الإيمان، " وإن كثرت صلاته، وصيامه حتى يكون كذلك"، يعني حتى يُمَحِض الولاء والبراء، والحب والبغض، يجعلها لله، وفي الله، ليس فيها حظ دنيوي، ولا غرض شيطاني، وإنما يجعلها لله –سبحانه وتعالى– ثم ذكر –رحمه الله– قال: " وقد صارت عامة مؤاخاة الناس لأجل الدنيا " هذا يقوله –رضي الله عنه– في زمنه، يقول: إن عامة مؤاخاة الناس، وموالاة الناس، وحب الناس، وبغض الناس، صارت على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً؛ لأن هؤلاء الذين تكون علاقتهم لأجل الدنيا هذا لا يجدي عنهم شيئاً، ولا ينفعهم عند الله –سبحانه وتعالى– بل إن ذلك ينقلب عداوات يوم القيامة، كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

فهذا الأثر يبين لنا أهمية الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- في محبة الناس وبغضهم، لا يجوز أن تبغض مسلماً لأجل الدنيا، كما أنه ليس من سمات أهل الإيمان أن تكون محبتهم لأجل الدنيا، وإنما يحبون ويبغضون لله، وفي الله، حسب ما عند الشخص من الطاعة والمعصية، والخير والشر، فيوالى بقدر ما عنده من الخير، ويعادى بقدر ما عنده من الشر، ولا يجوز المبالغة والزيادة عن المشروع في ذلك، فلا يجوز أن تبغض مسلماً فوق ما يتسحقه من الذنب الذي عمله، فيكون البغض بقدر الذنب، مع ما يجامع ذلك من أصل الحب، والولاء لأهل الإيمان كلهم، فكل مؤمن تحبه وتواليه، وتعينه، وتنصره، لما معه من الإيمان، وقد يجامع ذلك شيء من البغض، إذا وجد على هذا المسلم كبيرة، كونه يكون مصراً على كبيرة، وعنده انحراف، فيبغض لأجل هذا الضلال الذي عنده، ولكن هذا الانحراف ما دام أنه لم يخرجه من دائرة الإسلام، فإنه يجب أن يكون الولاء باقياً لهذا الشخص.

قال ذلك ابن عباس -رضي الله عنه- في وقته، فكيف لو رأى زماننا؟!! وكيف انقلبت موازين الناس، وصارت محبتهم، وبغضهم، وولائهم، وعدائهم لأمور الدنيا، يوالون ويعادون لأمور جاهلية، وأمور دنيوية، ومن أجل علاقاته، وحتى ربما جعل مدحه وذمه للناس لأمور دنيوية، وليس لحقيقة ما معهم من الخير أو الشر.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال: المودة).

نعم، هذا الأثر عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ يعني المودة، يعني المودات التي كانت بينهم، والعلاقات التي كانت بينهم، تقطعت يوم القيامة، ولم تنفعهم، لم تنفعهم عند الله -سبحانه وتعالى- مودتهم التي كانت في الدنيا، وخانتهم، وتبرأ بعضهم من بعض، كما سبق معنا في الآيات السابقة، قوله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، فكل هذه العلاقات التي تكون بين الناس في الدنيا، تتقطع يوم القيامة، وتزول ويتبرأ بعضهم من بعض إلا علاقة كانت في الله ولله، فإنها هي التي تبقى إلى يوم القيامة، وتنفع أصحابها، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فالمودات الدنيوية، والعلاقات الدنيوية، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعضاً؛ لأن هذه المودة لم تكن لله، وإنما كانت لأمور دنيوية، انتهت بانتهاء الدنيا، وانقلبت يوم القيامة حسرات وعداوات، نسأل الله السلامة والعافية.

أحب قبل أن ننهي الباب، ولعلنا أيضاً من المهم جداً أن نفصل بعد أن سمعنا هذه الآيات والأحاديث، أن نفصل في المحبة وأنواعها، يعني متى يكون المحبة جائزة، ومتى تكون واجبة، أو محرمة؟

قال العلماء: إن المحبة قسمان: وهناك محبة مشتركة، وهناك محبة خاصة. المحبة مشتركة، يعني يجوز أن تحب غير الله. وهناك محبة خاصة لا تجوز إلا لله. أو ما يحبه الله -سبحانه وتعالى-.

أما المحبة المشتركة: فهي أنواع:

- منها: المحبة الطبيعية. كمحبة الجائع للطعام، ومحبة الظمآن للماء، ومحبة الإنسان للمال، ونحو ذلك، هذه محبة طبيعية، لا تستلزم هذا التعظيم، والذل، ونحو ذلك، مما يكون من لوازم المحبة الخاصة، كما يأتي. هذه محبة طبيعية.

- ومنها محبة الشفقة والرحمة. كمحبة الوالد لولده، ومحبة الصغير، ويعطف عليه، ويرحمه، وللمريض، ونحو ذلك.

- ومنها: محبة الإلف والأنس، وأن تكون بين الأصحاب والأصدقاء، والزملاء، فيألف بعضهم بعضاً، ويحب بعضهم بعضاً، وكذلك محبة الذين يتآلفون، سواءً يتوافقون في صناعة، أو تجارة، أو في زمالة، أو غير ذلك، فهذه محبة طبيعية.

وفي الأصل مباحة، وقد تكون أحيانًا هذه المحبة مستحبة إذا كانت تؤدي إلى شيء مستحب، كما أنها قد تكون محرمة، هذه المحبة الطبيعية قد تكون محرمة أحيانًا، إذا كانت تؤدي إلى حرام، مثلاً محبة المال، هي في الأصل مباحة، لكنها إذا تجاوزت حدها الطبيعي، فصار يقدم المال ويوالي ويعادي فيه، صارت محرمة. محبة الصديق لصديقه، والزميل لزميله، محبة طبيعية، وجائزة، وقد تكون مستحبة، إذا كانت في الله، وقد تكون محرمة، إذا تسببت هذه المحبة في علاقات محرمة، أو صارت سبباً لأمور محرمة.

وبالمناسبة أنبه إلى ما يكون أحيانًا بعض الأصحاب، ولاسيما بين بعض النساء خاصة، وما يسمى بالإعجاب، فقط تعجب المرأة بصديقتها، أو بمعلمتها إعجاباً يخرج عن طور المحبة الطبيعية، إلى أن يكون تعلقاً محرماً، يكون تعلق محرم، ويكون فيه شيء من التأله، والتعلق القلبي الذي لا يجوز إلا بالله، ولله -سبحانه وتعالى-.

تجد هذه المرأة أو الرجل أحيانًا يكون من شدة الإعجاب، أن تجد هذه المرأة لا تستطيع أن تنام إلا على صوت مثلاً صديقتها، أو رؤية صورتها، أو.. كأنها صارت ورد يومي تمسي عليه، وتصبح عليه، وتشعر أن جزءً من حياتها وجسدها فقدته، وربما تبكي، وربما بسبب ابتعادها عنه...، وهذا من التعلق المحرم. هذا يعني من تجاوز الأمر الطبيعي، إلى أن يكون تعلق محرم.

وقد يكون تعلق شهوة - والعياذ بالله - شهوة شيطانية، وهذا نبهت عليه في الدرس الماضي بأنه قد تختلط أحيانًا المحبة في الله بالمحبة الشيطانية، أو قد تختلط أحيانًا الصداقة الطبيعية بالشهوة الشيطانية، أو بالتعلق الدنيوي المحرم، فهذا إذا كان فيه تعلق بغير الله، تعلق يأخذ مساحة من المحبة، بحيث أنه تؤثر على حياة الإنسان، وربما تؤثر أحيانًا على عبادته، وتؤثر على واجباته، فإنها تكون محرمة.

كذلك أحب أن أنبه إلى أن ميزان المحبة التي هي خالصة لله -سبحانه وتعالى- كما قال بعض العلماء: " أنها لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء" كيف تعرف أنك تحب فلان في الله؟ أو أن محبتك له شابها شائبة؟ تستدل على ذلك بأن تفترض أن هذا الشخص لم يضرك بشيء، ولم يجفوك، أو نقول بالمقابل : هل إذا برك زدت، فهذه الزيادة بالبر هي لأجل البر، أو نقصانها لأجل الجفاء، هي دليل على أنها قد تختل، وقد لا يكون الميزان الفعلي لهذه المحبة الطاعة، والخير، والصلاح، والتقوى، والواجب أن تحب الإنسان كما في الحديث السابق، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وأن تحب المرء لا تحبه إلا لله) لا تحبه لأنه أعطاك مال، ولا أنه قدم لك خدمة ولا نحو ذلك، هذه جائزة، لكنها تكون في مساحة المحبة الطبيعية، أو أن تكافئه، وتكون أيضاً هذه مشروعة، لكن نحن نتكلم عن المحبة المتمحضة؛ لأن تكون لله، وفي الله، وأنها لا تتغير، ولا تتعلق بالأمور الحياتية، والدنيوية، فمتى محض الإنسان محبته الناس لله وفي الله صار من علامات إيمانه، ومن أوثق عرى الإيمان، التي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها في الحديث السابق: (أوثق على الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله).

والبغض في الله نقف عنده أيضاً وقفة، حيث إن بعض الناس يزعم أنه يبغض فلاناً في الله، قال: أنا أبغضه في الله، ولكنه حينما يفتش قلبه، ويصدق مع نفسه، فإنه يجد أن بغضه هذا ليس متمحضاً لله وفي الله، وإنما أبغضه لأمور دنيوية، أمور أخرى، ربما تعلل، وزعم أنه يبغضه لأجل أن عنده تلك المعصية، وعلامة ذلك، يعني علامته يعني عدم الصدق في هذا: أن الشخص المبغض قد يترك هذه المعصية، ونرى هذا المبغض مستمراً على بغضه، لو كان بغضك صادقاً وخالصاً لله، لزال بغضك بزوال هذه المعصية، لكن أنت أبغضته لأمور دنيوية، وتذرعت على بغضك بأنه يفعل كذا، أو يقول كذا، بحثت عن سبب يعني يجيز لك هذا البغض، والواجب على الإنسان أن يزن حبه وبغضه لله وفي الله، وأن لا يزيد أيضاً حتى في البغض، لا يزيد عن الحد

المشروع، وأن يكون كما سبق مصاحباً للولاء الإيماني، والمحبة في الله، وأن لا يبغي، وكما ورد أن عمــر –رضي الله عنه– قال: " لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً " بعض الناس إذا أحب تكلف وغلى، وبالغ وزاد، وإذا أبغض أتلف وجفى، والواجب على الإنسان أن يكون متوازناً، ومتوسطاً في ذلك، والله أعلم.

المحبة الثانية: وهي المحبة الخالصة، وهي المحبة التي لا تجوز إلا لله –سبحانه وتعالى–، والمحبة المتضمنة لكمال التعظيم، والطاعة والخضوع، وكمال التذلل لله –سبحانه وتعالى–، فهذه المحبة لا تجوز إلا لله –ســبحانه وتعالى– وهي المحبة الخالصة، هذه لا يجوز صرفها لغير الله، وهي المحبة المستلزمة لكمال الطاعة والتعظــيم والذل لله –عز وجل–، هذه المحبة التي لا تجوز إلا لله، ويدخل في هذه المحبة التي لله، كل ما يحبه الله –سبحانه وتعالى– من الأقوال والأعمال.

بيان منزلة الخوف من الله

(باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّــؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ندخل بعد ذلك في الباب الذي ترجم له الشيخ –رحمه الله– بهذه الآية، وهي قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ إِنَّمَــا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ أراد المؤلف –رحمــه الله– بهــذا الباب بيان منزلة الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، وعظم هذه المنزلة، وأنها من أعظم، ومن أفضل مقامــات الدين، ومن أجمع أنواع العبادة أنه يجب إخلاصها لله –سبحانه وتعالى–، يجب إخلاص هــذه العبــادة "عبــادة الخوف لله –عز وجل–" وقد مدح الله –سبحانه وتعالى– أهل خوفه في آيات كثيرة من كتابه، كما قــال –عــز وجل–: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال –ســبحانه وتعــالى–: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال –عز وجل–:﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧]، إلى آخر الآيات الكثيرة، في بيان عظم منزلة الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، وأنه مقام عظيم، ومنزلة رفيعة، لا ينالها إلا من وفقه الله –سبحانه وتعالى–.

هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، يعني يخوفكم بأوليائه، يعني الــشيطان يخوف أولياؤه، ويوهمهم أنهم ذو بأس شديد، يعني يجعل الناس يخافون من أوليائه، ويتوهمون أنهــم ذو بــأس شديد، فيعظمونهم.

الله –عز وجل– أرشدنا بعد ذلك قال: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهــذا نهي عن خوف أولياء الشيطان، وأمر بالتوكل على الله –سبحانه وتعالى–، والمضي في الطريق بفعل ما أمر الله –عز وجل–، وترك ما نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه، والله –سبحانه وتعالى– كافٍ عباده، وناصرهم، وهــو حسبهم، وهو المنتصر لهم –عز وجل– كما قال سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِــهِ﴾ [الزمر: ٣٦].

الواجب على المؤمن أن لا يخاف إلا الله –سبحانه وتعالى–، وأن لا يخاف أولياء الشيطان، الــذين يعظمهــم وينفشهم أمام الناس.

الله –سبحانه وتعالى– قال: ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَــعِيفًا ﴾ [النــساء: ٧٦]، كيــد الشيطان ضعيف، وكيد أوليائه من باب أولى أن يكون ضعيفاً، ومن كيد الشيطان للمؤمنين أنه يخوفهم أوليائــه، يخوف المؤمنين بأوليائه وبجنده، ويضخمهم لئلا يجاهدوا، ولا يأمروا بالمعروف، ولا ينهوا عن المنكــر، لكــن الواجب على المؤمن أن يخاف الله –سبحانه وتعالى– وحده، وكلما قوي إيمان العبد، كلما قوي إيمان المــؤمن،

فإنه يقل خوف الشيطان، يخوف أوليائه بل يزول من قلبه هذا الخوف، وإذا ضعف إيمان العبد، قوي خوف أولياء الشيطان في قلبه، فأمر الله -سبحانه وتعالى- بإخلاص هذا الخوف له -عز وجل-، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، قال تعالى : ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، يعني إن كنتم مؤمنين فخافوا الله -سبحانه وتعالى- ولا تخافوا أولياء الشيطان، ولم يأتي بهذا الخوف من الله -سبحانه وتعالى- فإنه لم يأت بالإيمان الواجب، خوف الله فريضة، واجبة على كل مسلم، يجب أن يمحض الخوف لله -عز وجل-، وأن لا يخاف أولياء الشيطان، والله -سبحانه وتعالى- حكى عن أوليائه أنهم يخافونه وحده -سبحانه وتعالى-، فالمشركون لما خوفوا إبراهيم -عليه السلام- بهؤلاء، قال: ﴿ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ثم بين بعد ذلك قال: ﴿ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠: ٨٢]، فالأمن التام؛ لأهل الإيمان، هم الذين يخافون الله وحده، فإبراهيم -عليه السلام- تعجب، قال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ كيف أخاف أندادكم، وأنتم ما تخافون أنكم أشركتم بالله -سبحانه وتعالى-؟! -سبحان الله-! الشرك بالله هو من أسباب الخوف، الله -عز وجل- يجعل الخوف في قلوب أهل الشرك، كما قال -سبحانه- في قوله -عز وجل-: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران: ١٥١]، فالرعب والخوف والهلع قرين الشرك، فتجد المشركين أشد الناس خوفاً وهلعاً ورعباً؛ لأنهم يخافون ويحسبون كل صيحة عليهم، ويخافون من الناس؛ لأن الذي لا يخاف من الله -سبحانه وتعالى- فإنه سيصرف هذا العمل القلبي لغير الله، أما أهل الإيمان فإنهم يجردون خوفهم، المقصود هنا خوف العبادة، يجردونه لله -سبحانه وتعالى- وبالتالي لا يخافون هذه الأنداد.

وقال قوم هود لنبيهم: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾[هود: ٥٤ ، ٥٥]، ثبته الله -سبحانه وتعالى-، وخوفوه بآلهتهم، ولكنه ما خاف، بل تحداهم، وقال: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ ﴾، والله -عز وجل- يقول: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [الزمر: ٣٦].

الواجب على أهل الإيمان أن يخافوا الله -سبحانه وتعالى- لا يخافوا من الأنداد والأصنام والأموات والجن والشياطين وغير هؤلاء، ممن يخوف الشيطان بهم الناس، ويزعمون أنهم قادرون، كما يحصل من عباد القبور، عباد القبور الذين يخوفون من من أنكر عليهم بالمقبورين، تجدهم يقولون: لا تنكر كذا، لا تفعل كذا، حتى لا يصيبك هذا المقبور بسوء، أو قد يصيبك مكروه، فتجد عندهم خوف، وهلع، وتخويف، وهذا من الشرك، وربما أحيانًا تجد هؤلاء يخافون المقبورين، الذين يزعمون أنهم أولياء، يخافونهم أكثر من خوفهم من الله -سبحانه وتعالى-، حتى أنه ذكر عن بعضهم: إنه ربما حلف بالله كاذباً، ولكنه يخاف أن يحلف بالولي كاذباً، يعني إذا أراد يكذب: تقول له احلف بالله يحلف، لكن تقول له: احلف بالولي الفلاني ممن هو يعظمه، ويشرك به، ما يحلف به؛ لأنه يخاف. وهذا من خوف السر، الذي لا يجوز أن يصرف إلا لله -سبحانه وتعالى-، هذا من الشرك، والواجب على المسلم أن يمحض خوفه، هذا خوف السر، وخوف العبادة لله -عز وجل-.

نحن توقفنا عند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أود ونحن في بداية هذا الجزء من هذه الحلقة ومن هذا الدرس أن أسأل عن أقسام الخوف؟.

ذكر العلماء -رحمهم الله- للخوف أقساماً منها: الجائز، ومنها: المستحب، ومنها: المحرم، ومنها: الواجب.

فالقسم الأول: هو خوف العبادة. خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو يسمى بخوف السر، وهذا لا يجوز أن يصرف لغير الله، هذا لا يجوز أن يخاف إلا إلى الله -سبحانه وتعالى-، لا يجوز أن يتعلق بغير الله، فخوف العبادة، والتعظيم، والتذلل؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن خاف من غير الله أن يصيبه بما شاء، من مرض أو موت أو نحو ذلك بمحض مشيئته، وإرادته، فإن هذا مشرك.

من زعم أن مخلوقاً يستطيع بإرادته ومشيئته، أن يميتك، أو أن يقطع رزقك، أو أن يمرضك بإرادته، فيخافه، فهذا من الشرك الأكبر، المخرج من الملة- والعياذ بالله- وهذا الذي يعتقده المشركون، في أندادهم، وأصنامهم، يعتقدون أنها ربما تفعل شيئاً من ذلك، ويخوفون بها عباد الله، كما سبق في الآية السابقة، في تخويف قوم إبراهيم لإبراهيم -عليه السلام-، وأيضاً قوم هود ونحوهم، من المشركين، الذين يخوفون من عارضهم بأوليائهم، ويزعمون أن هذه الأنداد، تستطيع أن تفعل مكروهاً -سبحان الله- نجد حتى عند بعض عباد القبور، الذين يعظمونهم، ويتقربون إليهم، إذا أتى أحد ينكر عليهم خافوا، قالوا: إنه سيصيبه مكروه من هذه الآلهة، أو إذا أراد أن يزيل مثل هذه القبة، أو الشجرة، التي يعظمونها، أو نحو ذلك، ينتظرون ما يحل به من المكروه؛ لأنهم يظنون أن هذه المعبودات بمشيئتها، تستطيع أن تضر من عارضها، هذا هو النوع الأول من أنواع الخوف.

القسم الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفاً من الناس، كأن يترك مثلاً أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، خوفاً من كلامهم، أو من سبهم، أو نحن ذلك، فهذا الخوف مذموم.

الذي يخاف من ذم الناس، أو من كلام الناس،ن فيترك ما وجب الله عليه، أو قد يترك الصلاة مثلاً، أو قد يترك فعل بعض الواجبات، خوفاً من كلام الناس، أو من ذمهم، أو سخريتهم، ونحو ذلك، فهذا مذموم، وهذا ليس لصاحبه عذر شرعي، لا يجوز أن يترك ما وجب عليه خوفاً من الناس، وهذا هو الذي نزلت الآية فيه، وفي الحديث أن الله -سبحانه وتعالى- يقول للعبد يوم القيامة: (ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟) يقول الله -عز وجل- للعبد يوم القيامة: (ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟، فيقول هذا العبد: يا رب خشيت الناس، فيقول الله -سبحانه وتعالى: إياي كنت أحق أن تخشى) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح، فهذا يبين لنا حرمة من ترك واجباً، خشية الناس، أو خوفاً من الناس، كما سبق في بعض الأمثلة السابقة.

القسم الثالث: هو خوف وعيد الله -سبحانه وتعالى-، خوف أولياء الله من الله -عز وجل-، وهذا الخوف محمود، ومندوب، وهو من مقامات أهل الإيمان، يخافون الله -عز وجل-، يخافون من عذاب الله الذي توعد به من عصاه، وخالف أمره، وهو الذي قال الله -عز وجل- فيه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾: [الرعد: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧]، وغير ذلك، من الآيات التي فيها مدح من يخافون الله - سبحانه وتعالى-، هذا الخوف، يخافون عقابه، وهذا قد جاء في نصوص كثيرة في كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، وعن السلف الصالح، وعن الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن بعدهم، يخافون الله حينما يتلون كتابه، ويتذكرون وعده ووعيده، يكون بين الخوف والرجاء.

ذكر العلماء -رحمهم الله- في ذلك آثاراً كثيرة، وقد ألف الحافظ ابن رجب كتاباً سماه: "التخويف من النار"، وذكر فيه نصوصاً عن السلف، وأن منهم من منع التلذذ بالنوم خوفاً من النار، ومن عذاب الله، حتى ذكر عن طاووس -رحمه الله- أنه قال: « طَيَّرَ ذكر جهنم نومَ العابدين»، وكان صهيب قليل النوم، فعوتب في ذلك، لماذا نومك قليل: فقال: « إن صهيباً إذا تذكر الجنة طال شوقه، وإذا تذكر النار طار نومه»، فتجده يتقلب في فراشه بين الشوق، والخوف، والشاهد من ذلك: أن هذا الخوف خوف وعيد الله -سبحانه وتعالى- من مقامات أهل الإيمان، وكان ابن حيان يقول: «عجبت من النار نام هاربها، وعجبت من الجنة نام طالبها » يعني كيف ينام من يطلب الجنة، وكيف ينام من يهرب من النار، لابد أن يكون بين ذلك، ومن السلف من إذا مَرَ بآيات الوعيد، أو

النار، يبكي حتى يُعاد أياماً، وقصص في ذلك كثيرة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: (والذي نفسي ببيده لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) فقال الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم-: (وما رأيت؟)؛ لأنه قال: (لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت الجنة والنار) والشاهد من ذلك: أن هذا المقام، مقام خوف وعيد الله -سبحانه وتعالى- من مقامات أهل الإيمان، التي يمدحون بها، يخافون الله -سبحانه وتعالى-، ويؤثر هذا الخوف عليهم بترك المعصية، والجد في الطاعة، ولا يؤثر تأثيراً عكسياً، بحيث أنه يصل إلى القنوط، كما سيرد معنا -إن شاء الله-.

القسم الرابع: وهو ما يسمى بالخوف الطبيعي، كأن يخاف الإنسان مما يخاف منه عادة، كأن يخاف من حيوان مفترس، يخاف من نار أن تحرقه، يخاف من بحر أن يغرقه، ونحو ذلك، فهذا الخوف طبيعي، وهو جائز، وقد ذكر الله -عز وجل- عن نبيه موسى -عليه السلام- في قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١]، هذا الخوف جائز، وهو من طبيعة النفس البشرية، أنها تخاف من هذه الأمور التي يخاف منها عادة، ولكن هذا الخوف قد يذم إذا تجاوز حده الطبيعي، نحن قلنا إنه خوف طبيعي، فإذا تجاوز حده الطبيعي صار مذموماً، كمن يخاف ممن لا يخاف منه عادة، يخاف من كل شيء حتى الأمور التي لا يخاف منها عادة، تجده يخاف منها، فهذا يخرج إلى نوع من الهلع، والضعف، والخور، والوساوس، فيكون مذموماً من هذه الناحية.

إذن الخوف أنواع: ونحن هنا نقصد بالخوف الذي لا يجوز صرفه إلا لله -عز وجل-، الخوف المقارن للتعظيم، والذل، وهو خوف العبادة، خوف السر، الذي يكون به اعتقاد المقدرة على النفع والضر، هذا لا يجوز صرفه إلا لله -سبحانه وتعالى-.

إجابات أسئلة الدرس الماضي.

السؤال الأول: متى يكون الخوف من غير الله شركاً أكبر؟

تقول: من يخاف من الأصنام، أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء، ويعتقد نفعهم، وضرهم، كما يفعله بعض عباد القبور، يخاف من صاحب القبر، أكثر مما يخاف من الله، فهذا شرك أكبر.

يقول: الخوف ينقسم إلى أقسام منها: خوف العبادة، والتذلل أو الخضوع، وهذا لا يكون إلا لله -عز وجل-، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركاً أكبر، وهو ما يسميه العلماء بخوف السر، كمن يخاف من صنم، أو وثن، أو طاغوت، أن يصيبه بما يكرهه، أو ممن يعتقدون أنهم أولياء، يعتقدون فيهم الضر، والنفع، مثل ما يفعله بعض عباد القبور، فيخاف من المقبور الذي لا يملك لنفسه شيئاً، أكثر مما يخاف الله -عز وجل- فهذا كله شرك يعد شركاً أكبر.

يقول: يكون الخوف من غير الله -تعالى- شركاً أكبر إذا كان هذا الخوف فيما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-.

جيد، كلها إجابات طيبة، صائبة.

السؤال الثاني: متى يكون الخوف الطبيعي مذموماً؟

تقول: إن حمل على ترك واجب، أو فعل محرم، فهو محرم، فمثلاً: من خاف من شيء لا يؤثر عليه، وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة، مع وجوبها، فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به، وإن هدده إنسان على فعل محرم، فخاف، وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدد به، فهذا خوف محرم؛ لأنه يؤدي إلى فعل محرم

بلا عذر. أما إن كان الخوف فيه نجاة لنفسه، أو لمصلحته، من دون فعل المحرم، مثل إذا رأى شخص ناراً، ثم هرب منها، ونجا بنفسه، فهذا خوف مباح، وقد يكون واجباً، إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه.

يقول: يكون الخوف الطبيعي مذموماً أو محرماً، إذا حمله هذا الخوف على ترك واجب، أو فعل محرم، فمثلاً من خاف من شيء لا يؤثر عليه، فحمله هذا الخوف على ترك الصلاة في جماعة، مع وجوبها، فهذا الخوف محرم، فيكون هذا منافياً لكمال التوحيد، ولكن الأصل في الخوف الجبلي، أنه مباح، لقول الله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١].

يقول: يكون الخوف الطبيعي مذموماً إذا كان مانعاً من الطاعة دافعاً إلى المعصية.

شكراً لكل الإخوة الذين تواصلوا معنا في إجابة سؤالي الحلقة الماضية.

جيد، يوجد تنبيه: الإجابات: أن الخوف الطبيعي هو: ما خرج عن حده الطبيعي، بحيث أنه يؤثر على حياة الإنسان، ويعكر عليه حياته، فيكون مذموماً من هذه الناحية، وقد يكون محرماً، كما أشير في الإجابات، إذا تسبب هذا الخوف الطبيعي في ترك واجب، وهو يدخل في النوع الثاني الذي ذكرناه، حيث أن الإنسان يترك ما وجب عليه خوفاً من الناس.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ الله ﴾ [التوبة: ١٨]).

هذه الآية أيضاً فيها بيان لإخلاص الخشية لله –سبحانه وتعالى–، فيقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ الله ﴾ يعني الذين يعمرون مساجد الله حق العمارة، هم أهل الإيمان، هم أهل التقوى، هم أهل الإخلاص، أهل الصلاة، أهل الصلاح، هؤلاء هم الذين يعمرون مساجد الله، هؤلاء هم المخلصون، المخلصون من شوائب الشرك والبدع، وهم الذين يعمرون مساجد الله.

قال: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ الله ﴾: يعني الخشية الواجبة، لم يخش إلا الله –سبحانه وتعالى– يريد بذلك خشية التعظيم والعبادة، مثل ما ذكرنا في خوف السر، خوف السر لا يجوز إلا من الله، كذلك الخشية هنا ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ الله ﴾ يعني خشية العبادة، مستلزمة للتعظيم، وكمال الطاعة، والمحبة هذه لا تجوز إلا من الله –سبحانه وتعالى–، ولا يقصد بذلك الخشية الطبيعية؛ لأن هناك خشية طبيعية مثل ما هناك خوف طبيعي، فالإنسان قد يخشى بعض العوارض الدنيوية، يخشى بعض المصائب الدنيوية، فهذا إذا كانت طبيعية فهي جائزة، مع اعتقاده أن كل شيء بأمر الله –سبحانه وتعالى– وبقضاء الله وقدره، هؤلاء الذين لا يخشون إلا الله، قال: ﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ هؤلاء هم المهتدون، "عسى" من الله واجبة، كل "عسى" في القرآن فهي واجبة التحقيق، ما ذكر بعدها، فهؤلاء هم المهتدون الذين لا يخشون إلا الله –سبحانه وتعالى–، هم المهتدون، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ الله ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، يعني الخشية الواجبة لا يجوز أن تصرف لغير الله –سبحانه وتعالى–، بل لا يجوز لإنسان أن يخشى إلا الله –سبحانه وتعالى– في اعتقاد أنه الذي يملك النفع والضر، وفي التذلل والعبادة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بالله فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله ﴾ [العنكبوت: ١٠]).

هذه الآية أيضاً تبين واقع بعض الناس الذين يؤمنون، ولكن في إيمانهم ضعف، حيث إنهم يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بل إذا جاءتهم محنة في الدنيا وبلية ومصيبة ونحو ذلك، فإنهم يعتقدون أنها نقمة من الله –سبحانه وتعالى–، فيعتقدون أن هذا بسبب إيمانهم، فيرتدون عن الإسلام، ويتركون هذا الدين؛ لأنهم أصلاً ما تحقق الإيمان في قلوبهم، وما فهموا حقيقة الإيمان، فهم يجعلون ما يأتيهم من أذى الناس، ومن ابتلاء، على أيدي الناس، يجعلون هذا مثل عذاب الله، فيوازنون بين الأذى الذي يحصل على أيدي الناس ويجعلونه مثل عذاب الله، الذي يفر منه أهل الإيمان، وبعضهم ينكص على عقبيه إذا ابتلاه الله –سبحانه وتعالى– بشيء من هذه البلايا، تجده هو كما قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ [الحج: ١١]، فتجده مهتزاً، وأي أمر، أو أي مصيبة تصيبه ينقلب على عقبيه، وهذا بسبب ضعف بصيرته، وضعف إيمانه في البداية، فيجعل عذاب الناس الذي يأتي على أيديهم، والابتلاءات التي تأتي على أيديهم يجعلها كعذاب الله –سبحانه وتعالى–، حيث أنه يزعم أن ما أصابه من المصائب، هو بسبب إيمانه، وهذا قد يكون ابتلاء من الله –سبحانه وتعالى–.

قد يؤمن الإنسان فيبتليه الله –عز وجل– بعض البلايا، يمحص إيمانه، وحتى يعرف هذا العبد حقيقة إيمانه، هل هو مؤمن ثابت الإيمان، أم أنه يهتز بأي فتنة تأتيه، وينقلب على عقبيه، ويرتد قفاه، ويترك دينه – والعياذ بالله–، ويزعم أن هذا بسبب إيمانه، وهذا من جملة الخوف المذموم، الخوف من غير الله، فهو خاف من غير الله، خاف من هذه الأمور التي تصيبه، فترك الدين، فهذا وجه دخول هذه الآية في هذا الباب، حيث أنه عظم ما يأتيه، وخاف مما يأتيه من الناس، وجعله مثل عذاب الله –سبحانه وتعالى–، فنكص على عقبيه.

وهذه الآية فيها رد على المرجئة الذين يجعلون الإيمان مجرداً عن ما في القلب، أو قول باللسان، مثل الكرامية وغيرهم، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله ﴾ [العنكبوت: ١٠]، إذن لا يكفي، لا يكفي دعوى الإيمان، لا يكفي الادعاء باللسان، بل الإيمان قول وعمل، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذه الابتلاءات للتمحيص، تمحيص أهل الإيمان، ويميز الله –سبحانه وتعالى– الصادق والكاذب، كما قال –عز وجل–: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، فهنا يتمحص الصادق من الكاذب بهذه الابتلاءات، والله –عز وجل– إذا أحب قوماً ابتلاهم.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (عن أبي سعيد –رضي الله عنه– مرفوعاً: (إن من ضعف اليقين، أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)).

هذا أيضاً الحديث الذي روي عن أبي سعيد –رضي الله عنه– مرفوعاً إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فيه بيان لبعض هذه المعاني، والجملة الأولى في هذا الحديث قوله: (أن تحمدهم على زرق الله) تبين ضعف اليقين، ضَعْف اليقين أو ضُعْف اليقين، كلاهما لغتان صحيحتان، فضعف اليقين له علامات، ضعف اليقين له علامات:

منها: أن تحمد الناس على رزق الله. قالوا: إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، يعني تجعل رضا الناس مقدماً على سخط الله، بمعنى أنك تؤثر رضا الناس على سخط الله، لا تبالي بسخط الله، تجعل الغاية والمطلوب الأول، هو أن يرضا الناس عنك، هذا من ضعف اليقين، لماذا؟ لأن الإنسان في الحقيقة إنما يرضي الناس خوفاً وطمعاً لتعلقه بالناس، يخاف منهم، أو أنه يرجوهم، فهذا الخوف والرجاء أثر عليه، حتى جعل رضاهم مقدماً على رضا الله –سبحانه وتعالى–، بل إنه لا يبالي بسخط الله –سبحانه وتعالى– فجعل رضاهم مقدماً على سخط الله –سبحانه وتعالى–.

قال: وأن تحمدهم على رزق الله. الله –عز وجل– يرزق العبد، ويجعل لهذا الرزق أسباباً، فقد يرزق العبد عن طريق بعض الناس، عن طريق بعض الخلق، فتجد بعض الناس يحمد هؤلاء الناس على ما وصل إليه عن طريقهم، وعلى أيديهم، فالله –عز وجل– يرزقه عن طريقهم، فينسى الرزاق –سبحانه وتعالى– ويضيف هذا الرزق إلى الناس، ويحمد الناس على رزق الله الذي جاءه عن طريقهم، وينسى المنعم المتفضل، ينسى الله –عز وجل– الذي سخر هؤلاء الناس حتى أجرى الرزق على أيديهم، فالمتفضل في الحقيقة هو الله –سبحانه وتعالى–، وهو الذي قدر هذا الرزق ، وهو الذي أوصله إلى هذا العبد، فإذا أراد أمراً قيض أسبابه، الله –عز وجل– إذا أراد أن يرزق عبداً هيأ الأسباب التي توصل هذا الرزق إلى هذا العبد، فمن الغفلة، ومن النكران، ومن كفران النعمة، أن ينسى الإنسان ربه، ورازقه، وخالقه، والمتصرف في هذا الكون –سبحانه وتعالى–، ويجعل هذه الأرزاق منسوبة إلى الناس، يجعل الفضل كله للناس، وينسى الله –سبحانه وتعالى–، فكونك تحمد الناس على رزق الله، وتنسى الله –عز وجل– هذا هو المذموم، وهذا لا ينافي شكر الناس؛ قد يقول بعض الناس: كيف أني لا أحمد الناس؟ إذا عمل الإنسان معروف، فإني أحمده، وأشكره، نقول: نعم، وهذا ورد في الحديث أنك تشكر المحسن، والنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) وقال في الحديث الآخر: (من صنع إليكم معروفاً فكافؤه، فإن لم تجدوا ما تكافؤنه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) فشكر الناس ومكافأتهم على إحسانهم، هذا أمر جاء به الشرع، ولكن المذموم في الحديث أن تحمدهم على رزق الله، بمعنى أنك تنسب هذا الرزق الذي جاء على أيديهم تنسبه كله إليهم، وتنسى الله –سبحانه وتعالى– الذي هو قد دبر، وأمر أمره الكوني، ويسر هذا الرزق، عن طريق هؤلاء الناس.

فالذم إذن وارد على من أضاف النعمة إلى السبب، ونسي المسبب، وهو الله –سبحانه وتعالى–.

قال بعد ذلك: (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله)، أيضاً هذا من ضعف اليقين، أن تذم الناس على ما لم يؤتك الله، الله –عز وجل– لم يقدر لك هذا الأمر، وأنت تتطلع إلى هذا الأمر عن طريق فلان من الناس، فمن ضعف اليقين أن تذم هذا الشخص بأنه لم يحصل لك ما أردت على يديه، من ضعف اليقين، أن تذمهم على ما لم يؤتك الله؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– لم يقدر ما طلبت على أيديهم، فلو أن هذا الشخص علم وأيقن، بأن النافع الضار المعطي المانع هو الله –سبحانه وتعالى– لم يذم هؤلاء؛ لأن هؤلاء إنما هم سبب، والله –عز وجل– هو مسبب الأسباب، وهو الذي يرزق العبد من حيث لا يحتسب، الله –عز وجل– يرزق العبد بسبب وبدون سبب، فكون الإنسان يتعلق بهذه الأسباب الدنيوية، يتعلق بهؤلاء المخلوقين، ويجعل لهم الحمد، أو الذم مطلقاً، هذا من ضعف اليقين، واجب عليك أن تعلم أن كل شيء بيد الله –سبحانه وتعالى–.

وفي حديث ابن عباس الذي يقول فيه النبي –صلى الله عليه وسلم–: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف)، كل شيء مكتوب، كل شيء مقدر، وأنت مطلوب منك أن تعمل الأسباب، ولكن قلبك، يجب أن يكون معلق بالله –سبحانه وتعالى–، فلا تظن أن هذا المخلوق هو الذي منع شيئاً، يمكن أن يكون، أو قدره الله لا..، الله –عز وجل– لم يقدر هذا الشيء، فعليك أن توقن بقضاء الله وقدره، وأن كل شيء قد قضاه الله –سبحانه وتعالى– وكتبه، فما أراد الله، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والله –سبحانه وتعالى– هو الذي بيده ملكوت كل شيء.

وهذا أيضاً كما نبهنا في العبارة السابقة، ننبه إلى أن هذا لا يلزم منه أن يذم المقصر، فإن المقصر من الناس يذم على تقصيره، ولكن لا يجوز أن تعلق قلبك بهذا الشخص، وتقول: لو أنك فعلت كذا لكان كذا، لو لم تفعل كذا لكان كذا؛ لذلك نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن قول: "لو" بعد أن يقع القضاء والقدر، فأنت قد تذم الشخص على تقصيره، ولكنه لا يجوز أن تذمهم على ما لم يقدره الله –سبحانه وتعالى– لك من الأمور.

ثم قال: (إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)، أن الله -سبحانه وتعالى- هو الرزاق ذو القوة المتين، ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]، فالله -سبحانه وتعالى- بيده ملكوت كل شيء، وهو -عز وجل- المعطي، المانع، المعز، المذل، وهو الرزاق، الوهاب، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، فرزق الله -سبحانه وتعالى- لا يجره حرص حريص.

بعض الناس يلهث وراء الدنيا في الليل والنهار، ومع ذلك لا يحصل له إلا ما قُسِم له، وربما ركبته الديون، وبعض الناس ليس عنده هذا الحرص، أو ربما يكون مقصراً، أيضاً حتى يكون مقصراً في فعل الأسباب، ومع ذلك يأتيه الرزق، هذا لا يعني أن الإنسان لا يعمل الأسباب، كما سيأتي -إن شاء الله- تفصيله، لكن هذا عقيدة في قلب المؤمن: (إن رزق الله لا يجره حرص حريص)، وهذا يجعل الإنسان ما يتعلق بقواه، وبخبرته، وبذكائه، وبمعرفته، ويقول: أنا حصل لي بكدي، وبعرق جبيني، وبمعرفتي، وبفهمي، ونحو ذلك، وينسى الله -عز وجل- الذي سخر له هذا الشيء، وأنك أنت فعلت الأسباب فرزقك الله، وهناك أناس فعلوا من الأسباب أكثر منك، ولم يرزقهم الله -عز وجل-، هذا معنى: (لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)، فالقلب يجب أن يعلق بالله -سبحانه وتعالى-، ولا يمنع أن الإنسان يعمل الأسباب.

درجة هذا الحديث فضيلة الشيخ؟.

هذا الحديث حديث ضعيف، حديث أبي سعيد، هو حديث ضعيف رواه أبو نعيم وغيره، ولكن معناه صحيح.

كنا توقفنا عند قول المصنف -رحمه الله تعالى-: (وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضا عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) رواه ابن حبان في صحيحه).

هذا الحديث يبين لنا وجوب تقديم خوف الله -سبحانه وتعالى- على خوف الناس، وعلى ما يحبه الناس، ففي هذا الحديث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه) هذه النتيجة، (التمس رضا الله) الله يرضا عنه، حتى لو سخط عنه الناس، هناك موازنة، رضا الله وسخط الناس، هل تقدم رضا الله على سخط الناس؟ أو تقدم سخط الناس أو تقدم رضا الناس على سخط الله، فمن قدم رضا الله -عز وجل- على سخط الناس، فالنتيجة أن الله -سبحانه وتعالى- سيرضا عنه، وقال: وأرضا عنه الناس، سيعود ذمه من الناس حامداً له؛ لأن العاقبة للتقوى، وهذا يبين أن على المؤمن أن يسعى في رضا الله -سبحانه وتعالى- حتى لو سخط الناس، الذي يسخطهم ما يرضي الله، فهذا ليس أهلاً أن يُرضا، الذي لا يرضا إلا بسخط الله ليس أهلاً أن يُرضا، ولا أن يُسعى في رضاه، فالواجب على الإنسان أن يرضي الله -عز وجل-؛ لأن الله واحد، والناس كثيرون، ورضا الناس غاية لا تدرك، كما قال الإمام الشافعي: « رضا الناس غاية لا تدرك» فرضا الناس لا مقدور ولا مأمور، أنت ما تقدر عليه، وأنت لست مأموراً به، ما يمكن ترضي كل الناس؛ لأن أطباع الناس مختلفة، وتوجهاتهم مختلفة، ورغباتهم متباينة، فلا يمكن أن ترضيهم كلهم؛ ولذلك عليك أن تسعى في رضا الواحد الذي يمكن أن ترضيه، ما يكون عندك كالعبد الذي فيه شركاء متشاكسون يريد أن يرضي هذا وهذا، ورضا هذا بسخط هذا، وبالتالي يسخط عليه الجميع.

تقول: أريد من الشيخ أن يبين لنا بالنسبة للحب كما ورد في الحديث: (لم يفرح الصحابة بحديث كفرحهم بحديث: يحشر المرء مع من أحب) هل من بيان كيف الإنسان يبلغ هذه الدرجة العالية مع أناس كبرت أعمالهم، وهم لم يبلغ عملهم، ومع ذلك يحشر معهم، وقد يكون بعض الناس يحب أهل المعصية فيحشر معهم، وهو لم يبلغ مبلغهم من العمل في المعصية، نريد بيان في هذا الجانب.

أيضاً إذا أذنتم لي بالنسبة للبرآءة من الكافر، البعض قد يلتبس عليه بالنسبة للبرآءة من الكافر وبغضه، يلتبس مع محبة الهداية للكافر، فقد يسيء التعامل مع الكافر، ويظلمه ظاناً منه أن هذا من باب البرآءة منه، فهل من بيان من فضيلة الشيخ سدده الله وبارك فيه؟.

يقول: هل الخوف من الله الذي منشؤه تعظيم الله وإجلاله، مثل الخوف من الله الذي منشؤه خشية نغمته وسوط عذابه؟ وهل يقال الخوف من الله فقط بسبب خشية العذاب منه، أنا ما أخاف إلا الله بسبب عذابه، ولا يخاف الله تعظيماً؛ لأن هذا ينافي كمال التوحيد الواجب؟.

نأخذ إجابة: حينما يحشر المرء مع من أحب، تقول: كيف يصل الإنسان إلى هذه المرحلة، وحينما يحب الإنسان أهل الخير وأهل الطاعة، يحشر معهم، وكذلك حينما يحب أهل المعاصي تتساءل حول هذه الأمور؟.

نحن نفهم هذا الحديث أن إنسان إذا أحب فإنه يعمل ما يحبه محبوبه، هذا من لوازم المحبة أن يعمل ما يحبه محبوبه، فمن أحب أهل الإيمان محبة صادقة وخالصة، فإنه أحبهم لإيمانهم وهذه عبادة، محبة أهل الإيمان لما قام به من الإيمان فهذه من العبادة، وهي من الإيمان كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله) هو لما أحبهم دل على إيمانه، وعلى أنه مخلص في هذه المحبة، ليس لغرض دنيوي، فهذا دليل على رفعة منزلته، وهي سبب لأن يكون ممدوحاً، وكذلك العكس من أحب أهل الكفر أو الفسوق لفسقهم ومعاصيهم فهو أهل لأن يكون مذموماً، وقد يناله ما ينالهم من العذاب.

وإنما المقصود لابد من العمل حتى يصل الإنسان إلى منزلة هؤلاء أو يكفي فقط المحبة؟.

هو نفس المحبة لأهل الإيمان هذه طاعة.

هل توصل إلى درجة هؤلاء المحبوبين؟.

لا يلزم أن يكون في درجتهم، لكن هذه من الأسباب اللحوق بهم، ومن الأسباب أيضاً أن يُحشر معهم، وأن يسابق في منزلتهم؛ لأن هذه من الحسنات التي ترفعه.

يقول: لو شخص تقدم للزواج من امرأة معينة، وأتى شخص وأفسد هذه الزيجة بكذب، عن هذا الشخص، وما حصل زواج، فقال الشخص: قدر الله وما شاء فعل، ولكن كيف يتعامل مع هذا الشخص؟ هل يقول: قدر الله وما شاء فعل، ويترك هذا الشخص لا يعاقب، كيف يتعامل مع هذا الشخص لكي لا يخرج عن ضوابط الشرعية؟

عفواً أخي، هذا في موضوع الخِطبة؟.

شخص أفسد خِطبة كذب.

نعم أفسد الخِطبة.

الأخت لها سؤال لم نأتي عليه هو: البرآءة من الكافر، وهل يستلزم هذا الأمر، ما الضابط الشرعي لهذه البراءة؟ هل يستلزم هذا الأمر المقاطعة التامة والعداء والاعتداء كذلك؟ أو إنما هو نوع من التعايش المضبوط ضبطاً شرعياً؟

هذا سؤال مهم وتنبيه جيد، وهو أن نفهم حقيقة البرآءة من الكافرين، وما يلزم منه، وما لا يلزم.

البراءة هي البغض والمباعدة والعداوة، كما قص الله -سبحانه وتعالى- عن نبيه إبراهيم حينما قال لقومه: ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤]، فالكافر يُبغض لكفره، الكافر يبغض؛ لأن الله يبغضه، الله لا يحب الكافرين، فنحن لا نحبهم؛ لأن الله لا يحبهم، فنبغضهم ونعاديهم؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يحبهم؛ ولأنهم أعداء الله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الممتحنة: ١].

هذا البغض والبرآء من الكافرين لا ينافي أن ندعوهم للإسلام، ولا ينافي أن نحب دخولهم في الدين، بل نسعى في دعوتهم كما لا ينافي أن نحسن إليهم، وأن نقسط إليهم، لاسيما غير المقاتلين كما قال تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]، فنقسط إليهم، ونهدي إليهم، ونتألف قلوبهم.

كما أن البرآء من الكافرين لا تعني أنه يجوز ظلمهم والاعتداء عليهم. لا يجوز ظلمهم ولا الاعتداء عليهم، وأنت تبغض الكافر لا يجوز أن تعتدي عليه، ولا أن تأخذ حقه، ولا أن تظلمه، ولا أن تكذب عليه، فهذه لها ضوابط.

بعض الناس يعني يخلط في البرآء منهم، فيخلط بين البرآءة والاعتداء، فيظن أنه إذا جاز له أن يتبرأ من الكافر، فإنه يعتدي عليه، ويظلمه ويقول: هؤلاء كفار، هذا غير صحيح، كما أن الولاء لأهل الإيمان، لا يعني أن تعينهم على ظلمهم، ولا أن تناصرهم على فسادهم، نحن نحب أهل الإيمان، لكن إذا ظلم الواحد منهم فإننا نرده ونكفه عن ظلمه ولا نقف معه، فلابد أن نفهم هذه الضوابط، ولما قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: (ادعوا على دوس، قال: اللهم اهد دوس) وهم كفار، فندعوا لهم بالهداية، ونتمنى دخولهم في الإسلام، وقد نتألفهم مع أننا نبغضهم ولا نحبهم.

يسأل عن الخوف من الله تعالى يسأل عن الفرق بينه وبين.. ؟.

الخوف الذي منشؤه التعظيم أو الذي منشؤه خوف عذابه، قد يكون بينهما تلازماً، تعظم الله -عز وجل- ومن تعظيمك لله، تعظيمك لحدوده ولكلامه، ومما قاله -سبحانه وتعالى- أنه خوف عباده، خوف الله عباده، وذكر الله -عز وجل- أهل طاعته، وأهل ولايته أنهم يخافونه، ويخافون عذابه، لكن لا نخلط بين المحبة والخوف، نحن نحب الله -عز وجل- ونجمع بينها، نحن نحبه ونخافه، وكل شيء إذا خفته فررت منه إلا الله -سبحانه وتعالى- فإنك إذا خفته هربت إليه، وليقال: (أعوذ بك منك، وأعوذ بك منك، لا ملجأ منك إلا إليك).

يسأل حينما يقوم شخص بإفساد خِطبة كذباً وبهتاناً ماذا يجب على من أفسدت عليه هذه الخِطبة؟.

الأخ كان يشير إلى مسألة القضاء والقدر، وهل في كل شيء نقول: قضاء وقدر، يعني بمعنى أننا لا نعفي المسيء من إساءته وهذا صحيح، ذكرنا أن المسيء يعاقب، لكن هذا ما ينفي أنه بقضاء الله وقدره، كل شيء يكون في هذه الدنيا، كل شيء يقع، فالله قد كتبه، ولكن هذا لا يعني أننا لا نجازي المسيء، ولما جاء سارق وقبض عليه في عهد عمر -رضي الله عنه- فقيل له في ذلك فقال: (سرقت بقدر الله، قال عمر -رضي الله عنه-: ونحن نقطع يدك بقدر الله)، فلا يحتج إنسان بالقدر، القدر ليس حجة على المعائب، وإنما يحتج في المصائب، أما إنسان عنده عيب ويخطئ على الناس ويحتج بالقدر، فهذا غير صحيح.

فضيلة الشيخ بقي شيء من هذا الباب وننتقل إلى أسئلة الإخوة؟.

الجزء الثاني من الحديث، قلنا: (من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضا عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس).

وهذا يبين أن من التمس رضا الله -سبحانه وتعالى-، فإن الله -سبحانه وتعالى- يكفيه، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]، والله كافيه وواقيه وميسر أمره، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

أما كون الناس يرضون أو لا يرضون، هذا ليس يعني لم نكلف نحن به، إنما نحن مكلفون بأن نسعى في رضا الله -سبحانه وتعالى-، إن استطاع إنسان أن يرضي الناس فهذا أمر مطلوب، لكن إذا كان رضاهم في سخط الله -سبحانه وتعالى- فإنا لا نقدم على رضا الله -سبحانه وتعالى- رضا أحد، والناس سيرضون في الأخير إذا سلموا من الأغراض والأهواء، سيرضون عن هذا الشخص.

(ومن أرضا الناس بسخط الله لم يغني عنه من الله شيئ)، وهذا الذي يحمله على إرضاء الناس، يحمله في الحقيقة الرغبة والرهبة، فهو إما أن يرغب عن ما في أيديهم، أو يخاف من أن يأتيه شيئاً في طريقهم، والواجب على الإنسان أن يعلم أن الله -عز وجل- هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأن العباد فقراء وعاجزون، وأنهم ما بهم من نعمة فمن الله -سبحانه وتعالى-، بيده ملكوت كل شيء، والخير كله بيد الله، والأمر إلى الله -سبحانه وتعالى-، وإليه يرجع الأمر كله، فالواجب على الإنسان أن يخلص في هذا لله -سبحانه وتعالى- ففي الحديث هذا بيان حقيقة، بيان لعقوبة من خاف الناس، وقدّم هذا الخوف على رضا الله -سبحانه وتعالى-، ففي عقوبته أنه سيسخط الله عليه، وسيسخط عليه الناس، فيكون قد باء بالإثمين، وخسر الدنيا والآخرة، وأيضاً هذا الحديث بالمناسبة فيه إثبات صفة الرضا والسخط لله -سبحانه وتعالى-، نحن نثبت كل صفة جاءت في كتاب الله، أو سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، على الوجه اللائق به -عز وجل-، من دون تحريف لمعناها، ولا تمثيل لها بصفات المخلوقين، بل هي صفات كمال وجلال تليق بالله -عز وجل-.

تقول: قد يجد الإنسان في نفسه عدم ارتياح لشخص ما، رغم أنه لم يرى منه عيب، لم يعبه في دينه، فهل هذا يتعارض مع الحب في الله والبغض فيه؟.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) فعدم الارتياح غير البغض، يعني إنسان ما يرتاح لشخص، أو ما يجد - يعني كما يقال- الانسجام بينه وبين هذا الشخص؛ لأنه ربما لا يعرفه، أو لأن طبيعته تنافره، فهذا يدخل الأمور الطبيعية، إنما المذموم أن يعلق الحب أو البغض على ما لم يرد به الشرع.

تقول: وهل المحبة في الله، إن قوبلت بشيء من الجفاء، يجب أن لا نثقل على هذا المحبوب المجافي، ونعدل عن السؤال عنه والاطمئنان عليه كذا؟.

المحبة إذا كانت في الله، فهي تحب لأجل ما قام بهذا الشخص من الإيمان، ومن التقوى، فنحن نحبه لذلك، أما ما ذكرت من الجفاء فإن الجفاء ليس من الإيمان، فقد يكون الشخص محبوباً ومبغوضاً، وهذه النسبة تختلف، قد يكون محبوباً يعني بنسبة كبيرة، وهناك جزء من البغض لهذه الجزئية التي فيه، والتي ليست من الإسلام، فالإنسان لا يلزم أن يعني في محبة الناس بعضهم لبعض لا يلزم الإنسان أن يحب جملة أو يبغض جملة، وإنما يحاب بقدر ما فيه من الإيمان، وقد يزيد هذا الحب وقد ينقص أيضاً بحسب الطاعة والمعصية.

تشير الأخت الكريمة إلى قضية أنها حينما تحب هذا الشخص لله -عز وجل- يقابل هذا الشخص بنوع من الجفاء وكذا، تقول: بأنه لا يمنع هذا الجفاء من أن تواصل هذه المسيرة المباركة مع هذا الشخص ؟.

نعم، يحاب لما فيه من الإيمان، وتكره هذه المعصية التي فيه، أو هذا القصور الذي فيه، وهو الجفاء؛ لأن الجفاء ليس من الإيمان، بل النبي –صلى الله عليه وسلم– أرشد أن يواجه الإنسان أخاه بوجه طليق، وأن يتواصل مع إخوانه المسلمين، وأن يحب لهم الخير، وأن يحسب خلقه، وما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من الخلق الحسن.

يقول: ما الفرق بين الحب، وبين البر، والإقساط إلى الكافرين، الذين لم يقاتلونا، ولم يخرجونا من ديارنا؟.

الحب معناه في القلب، أما البر والإقساط فهو عمل أن تبرهم، وتقدم إليهم خدمة، تقسط إليهم، تعدل معهم، أما الحب فهو شيء قلبي، والمنهي عنه، بالمناسبة أيضاً نزيد إيضاح، المنهي عنه هنا المحبة الإيمانية؛ لأنه قد توجد أحيانًا محبة طبيعية، للكافر كما يحب الشخص والديه الكافرين، يحب والديه فهو كما يحب زوجته الكافرة، إذا كانت كتابية.

يدخل في ذلك من أسدله معروف؟.

نعم.. محبة طبيعية، ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، لكن الحب الإيماني لا يجوز أن يكون لكافر.

الفرق بينهما، بين الحب الإيماني والحب الطبيعي؟.

الحب الطبيعي: الإنسان – كما قلنا– يحب إذا كان جائع يحب الطعام، قد يحب المال، ويحب أمه، يعني الشخص يحب أمه حتى لو كانت كافرة، فإذا كانت كافرة فهو يحبها ويبغضها، يبغضها بغضاً إيمانياً، ويحبها محبة طبيعية.

تقول: لا أستطيع التفريق بين الطمأنينة والأمن من مكر الله، وبين الخوف من الله والقنوط من رحمته، وبين الخوف الطبيعي من المخلوق والخوف الذي يكون تخويف من الشيطان، فهلا أوضحت لي شيخنا الكريم؟.

سيأتي الإجابة عليه في الدروس القادمة إن شاء الله.

تقول: لدي سؤال قد يكون غريباً لكنه مهم في باب الخوف، وهو: أنني أخاف من الهوام جداً، ولا أستطيع التخلص من ذلك، ولا التحكم فيه، وأختبئ منها إن رأيتها حتى يحضر من يخلصني منها، وسؤالي: هل إذا حدث لي ذلك في وقت صلاة، ولم أستطع الوضوء مثلاً، أو أداء الصلاة بأركانها، فهل آثم بذلك؟.

هذا الذي ذكرنا وأشرنا إليه في أنه الخوف الطبيعي، يعني يزيد عن حده فلا يكون طبيعياً، وهي ذكرت في بداية سؤالها ما يوحي بهذا، قالت: إنه قد يكون غريباً فهي مستغربة من نفسها، فدل على أنه ليس طبيعياً أن تخاف من كل هامة، فإذا كان هذا الخوف سبباً لترك الصلاة يكون مذموماً، لاسيما إذا كانت هذه الهامة يعني لا تأثر عليها ولا تضرها، وإنما خوف وهلع، وقد يكون فيه شيء من الوسوسة الشيطانية، فعليها أن تدرب نفسها، وأيضاً أن تزيد من إيمانها، وتوكلها على الله –سبحانه وتعالى– لتزول هذه الوساوس عنها.

يقول: تسأل النساء عن الخوف من الحشرات والحيوانات الصغيرة هل في ذلك شيء؟.

كما قلنا يعني، الحشرات التي عادة يعني مثل البعوضة، ومثل الذباب، ومثل هذه الأشياء التي لا يُخاف منها عادة، فمن خاف منها فدل على أنه خوفه ليس طبيعياً فيذم من هذه الناحية، أما إذا كان الشيء يضر فخافه فهذا يكون من الخوف الطبيعي، ولا بأس به.

يقول: وهذا السؤال من الدرس الماضي عن قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه ..) الحديث، هل يمكن اعتبار ذلك حداً فاصلاً بين المؤمن والمسلم عملاً بظاهر الحديث، وجزاكم الله خيراً؟.

المؤمن والمسلم هذه ما يستطيع إنسان أنه أحيانًا يفرق بينها تفريقاً فاصلاً؛ لأن كل مسلم حقيقي لابد أن يكون معه شيء من الإيمان، وإلا لا يكون مسلماً إلا إذا كان الإسلام ظاهر، فهو إسلام النفاق، فكل مسلم معه إيمان، وكل مؤمن لابد أن يكون معه إسلام، فنحن نفرق بينهما بأن الإسلام هي أمور ظاهرة، والإيمان أمور باطنة، لكن محبة كل أهل الإيمان، وأهل الإسلام الصادقين، كلهم يحبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن هذه المحبة متفاوتة، بل إن الشخص الواحد قد تتفاوت محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- في قلبه من وقت لآخر، قد يقوى إيمانه وطاعته، وبالتالي تجده في وقت من الأوقات يقدم ما يحبه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما يأمر به على كل شيء، وأحياناً يضعف إيمانه وتقوى شهوته، وهواه فيقدمها على بعض الأوامر والنواهي.

أسئلة الدرس القادم.

السؤال الأول: ما حكم الأخذ بالأسباب؟

السؤال الثاني: ما حكم التوكل على المخلوق؟ وقد يكون في هذه تحتاج إلى تفصيل.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصالح وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدرس الثامن

باب التوكل

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أنهينا في الدرس الماضي الكلام على باب قول الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وما يتعلق من الخوف من الله – سبحانه وتعالى–، وإخلاص هذا النوع، وعرفنا أنواع الخوف، وما يجوز أن يتعلق بغير الله، وما لا يجوز أن يتعلق إلا بالله – سبحانه وتعالى–، وفي هذا الدرس نبدأ –إن شاء الله تعالى– بباب جديد يتعلق بالتوكل على الله – سبحانه وتعالى–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣ ﴾ ﴾ [المائدة : ٢٣]،)

عقد المؤلف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان عظم منزلة التوكل، أراد أن يبين أن التوكل فريضة يجب على المسلم إخلاصها لله سبحانه وتعالى، كما يخلص جميع العبادات القلبية لله عز وجل.

والتوكل من أجمع العبادة، وذلك لما ينشأ عن التوكل من الأعمال الصالحة الكثيرة؛ ولهذا وجب على المسلم أن يخلص توكله لله عز وجل، وأن يجاهد قلبه في إخلاص هذا النوع؛ لأن التوكل هو علم القلب، كما قال الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– قال: " التوكل عمل القلب"، التوكل ليس عبارات تحفظ، وليس تعاريف تذكر فقط، وإنما التوكل عملي قلبي.

قد يعرف الإنسان التوكل، ويستطيع أن يذكر الأدلة عليه، ويذكر أقسامه، ولكن حال التوكل، وحقيقة التوكل غير ذلك، ليس كل من تكلم في التوكل صار متوكلاً، فإن التوكل عمل قلبي تظهر آثاره على سلوك الشخص، وعلى نفسيته، وعلى عمله وجميع شئونه.

فالتوكل في الحقيقة هو من علامات الإيمان، بل هو شرط في الإيمان، كما قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣ ﴾ ﴾ كما قال ابن القيم: "جعل التوكل شرطاً في الإيمان، يعني إن كنتم مؤمنين فعلى الله توكلوا "، ومفهومه أن من لم يتوكل على الله فليس بمؤمن، ومن توكل على الله فهو مؤمن، من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى، وليفوض أمره إلى الله عز وجل في جميع شئونه؛ ولهذا يكون قوي القلب، وثابت الجأش، وسليم النفس، وأما من يتعلق بالمخلوق فإنه يخيب ظنه، وما رجا أحد مخلوقاً إلا خاب ظنه فيه؛ لأن هذا من الشرك، والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١ ﴾ ﴾ [الحج: ٣١]، والذي يتوكل على غير الله – سبحانه وتعالى– يكون مخذولاً، ويكون أيضاً مضطرباً في أعماله، وفي تصرفاته؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– يكله إلى من توكل عليه، أما من توكل على الله – سبحانه وتعالى– فإنه يكفيه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].

(وقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]،)

هذه الآية فيها بيان لبعض صفات أهل الإيمان، وما بعدها أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّـذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢ ﴾الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣ ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢: ٤]، فالشاهد من هذه الآيات قوله: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فمن توكل على الله –سبحانه وتعالى– صار من أهل الإيمان، وهذه من صفات أهل الإيمان الحقيقيين ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّ ﴾ فوجل القلب دليل على زيادة الإيمان، خوف القلب كذلك، توكل القلب كذلك، من علامات أهل الإيمان الذين يتعلقون بالرحمن – سبحانه وتعالى– ويفوضون أمورهم إليه، فهذه كلها أدلة على وجود إخلاص التوكل على الله –سبحانه وتعالى–، وأنه لا يجوز لمؤمن أن يتوكل على غير الله مهما كان، لا يجوز أن يتوكل على مخلوق من المخلوقات؛ لأن المخلوق ضعيف، المخلوق هو بحاجة إلى من يعينه، فكيف تفوض أمرك إلى مخلوق عاجز، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

والتوكل على غير الله، التوكل على المخلوق، قلنا لا يجوز، وقد يكون شركاً مخرجاً من الملة، وقد يكون شركاً غير مخرج من الملة، وأظن أننا طرحنا مثل هذا السؤال في الحلقة الماضية.

يقول: ما حكم الأخذ بالأسباب؟ هذا السؤال الأول، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن ّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]،في الآية إشارة إلى الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله –عز وجل–، وقال سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١ ﴾ ﴾ [المائدة: ١١]، فجعل الله التقوى هي الأخذ بالأسباب، المأمور بها، فحينئذٍ إذا توكل العبد على الله، فالله حسبه، فالتوكل بدون الأخذ بالأسباب عجز محض، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزاً، ولا عجزه توكلاً، وأن يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها جميعاً، قال سهل بن عبد الله: " من طعن في الأسباب، فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان"، فالأخذ بالأسباب سنة، والتوكل على الله هو حال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، فمن كان على حال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– فلا يتركن سنة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– .

السؤال الثاني: ما حكم التوكل على المخلوق؟ التوكل على على المخلوق أو إلى غير الله ينقسم إلى أقسام:

الأول: التوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا رب المخلوق – جل وعلا – مثل التوكل على الأموات وغيرهم في تحقيق مطالبهم من الحفظ، والنصرة، والشفاعة، والرزق، فهذا من الشرك الأكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة مثل من يتوكل على أمير، أو سلطان فيما أقدره الله سبحانه وتعالى عليه من رزق، أو جلب نفع، أو دفع ضر، وغير ذلك، فهو شرك أصغر.

الثالث: وهو التوكل الجائز، وهو توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، ولكن ليس معتمداً عليه في حصول ما وكله به، بل يتوكل على الله في تيسير أمره، وذلك من الأسباب التي يجوز فعلها، ولكن لا يعتمد عليها، بل يعتمد على الله مسبب الأسباب.

يقول: حكم الأخذ بالأسباب واجب، وأنه من تمام التوكل، كما أنه من تمام التقوى والإيمان، والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١ ﴾ ﴾.

ما حكم التوكل على المخلوق، أجاب: التوكل على المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو التوكل على المخلوق في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات في رجاء مطالبهم في نصر، أو حفظ، أو شفاعة، وهذا شرك أكبر.

والقسم الثاني: وهو التوكل على المخلوق بالأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير، أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق، أو دفع أذى، فإن كان يظن أنه يفعلها، كسبب لا يتم الأمر إلا به، فهذا شرك أصغر، وإن كان يتوكل عليه باعتباره الرازق دافع الأذى، فهو شرك أكبر.

القسم الثالث: وهو توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه، بل يتوكل على الله وحده في تيسير أمره وهذا جائز

الآن ذكر إجابتنان:

الأولى: عن الأسباب. والثانية: عن التوكل على الله. ونحن بدأنا بمسألة حكم التوكل على المخلوق، وكما ذكر الإخوة أن التوكل على المخلوق ينقسم إلى قسمين:

– النوع الأول: فإن توكل على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى صار شركاً أكبر، سواء كان المخلوق ميتاً أو حياً. وفي إجابة الإخوة التركيز على الأموات، نقول حتى الأحياء من توكل على مخلوق في أن يدخله الجنة مثلاً، أو في أن يشفيه من مرضه، أو توكل على المخلوق في أن يرزقه الولد أو نحو ذلك، مما لا يقدر عليه إلا الله – سبحانه وتعالى–، فهذا التوكل شرك أكبر مخرج من الملة، وهذا لا يجوز أن يعلق إلا بالله سبحانه وتعالى.

– النوع الثاني: هو التوكل على المخلوق في الأسباب الظاهرة، في أمور تكون بيد المخلوق، يعني يستطيعها المخلوق، كما يتوكل على مخلوق في حصول وظيفة له، أو في دفع أذى عنه، يستطيعه المخلوق في شيء ظاهر، فهذا شرك أصغر. إذا توكل عليه في هذا السبب صار شركاً أصغر، إذا توكل على المخلوق في الأسباب الظاهرة التي هي بيد المخلوق يستطيعها المخلوق صار شركاً خفياً شركاً أصغر، قد يقول قائل: كيف يكون شركاً، وهذا المخلوق يستطيع أو هو بيده؟ نقول: إنما صار شركاً؛ لأن فيه تعليق القلب بغير الله، وعمل القلب لا يجوز أن يعلق إلا بالله سبحانه وتعالى.

وفرق بين أنك تتوكل عليه وأن تستعين به، يمكن أن تستعين به، ويكون من باب الوسائل، أما التوكل فهو عمل القلب، لا يجوز أن تتوكل إلا على الله سبحانه وتعالى، وهذا أيضاً من العبارات الشائعة عند بعض الناس، وهي عبارات فاسدة، بعضهم يقول: أنا متوكل على الله ثم عليك، أو بعضهم يقول: أنا متوكل على الله وعليك، هذا قال: متوكل على الله وعليك، يعني صارت محظورة من وجهين: من وجه التشريك، ومن وجه أنها أيضاً جعل التوكل على غير الله. وكذلك من يقول أنا متوكل على الله ثم عليك، نقول هذا ممنوع أيضًا؛ لأنه لا يجوز أن تتوكل على مخلوق إطلاقاً؛ لأن التوكل عمل القلب، ولا يجوز أن يعلق إلا بالله سبحانه وتعالى.

أحياناً ينتسب الناس قول أعتمد عليك في هذا الأمر أو أنا معتمد عليك في هذا الأمر الفرق بينه وبين التوكل؟

هذا الاعتماد قد يطلقه بعض الناس ويقول أنا أعتمد عليك بمعنى أني وكلتك، ولم أوكل غيرك، معنى أني فوضت إليك هذا الأمر أن تعمله، فإذا كان الاعتماد يقصد به هذا الشيء هذا جائز، أما إذا قصد بالاعتماد اعتماد قلبه على هذا المخلوق، أنا معتمد عليك، فهذا ممنوع، وهذا هو التوكل، ولا يجوز أن تتوكل على مخلوق في أن يحصل على يديه شيء، والله سبحانه وتعالى بيده ملكوت كل شيء، فالقلب يجب أن يعلق بالله، وأنت تعمل الأسباب، نعم توكل مخلوق، تستعين به،توصيه لكن عمل القلب يجب أن تحفظه بألا يصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

وبالمناسبة أيضاً أنت ذكرتني بعبارة أخرى أيضاً تشيع عند بعض الناس وهو قول بعضهم اعتمد على نفسك أو يقول أنا معتمد على نفسي في هذا الأمر، هذا أيضاً يفهم على وجهين:

- إذا كان المقصود لن أستعين بمخلوق في هذا الأمر، وأني سأجتهد، هذا لا بأس به.

- أما إذا كان الاعتماد يعني الغرور بالنفس البشرية، والاعتداد بقدراتها، فهذا يمنع من هذه الناحية. وورد في الحديث قول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف وعجز وعورة) كيف يعتمد الإنسان على نفسه العاجزة الضعيفة التي لا تملك نفعاً ولا ضراً؟ فينبغي أن نفهم الاعتماد على هذا التخصيص، فالاعتماد بمعنى الاعتماد على المخلوق، بمعنى جعله سبباً، هذا جائز، لكن إذا اعتمد عليه بمعنى أنه علق قلبه به، فهذا لا يجوز حتى ولو كان في الأسباب الظاهرة.

أعود فأذكر بأن ما يتعلق بالوكالة، وهو توكيل المخلوق فهذا جائز، ولكنه لا يدخل فيما نحن فيه، فالوكالة غير التوكل، فالتوكل عمل القلب، أما الوكالة فهي تكليف ظاهر، وهذا جائز، ولكن لا يجوز أن تتوكل على من وكلته، بل يجب أن تعلق قلبك بالله سبحانه وتعالى، لا بهذا المخلوق الموكل بالقيام بهذا العمل.

(قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]،)

الحسب: هو الكافي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ يعين الله وحده كافيك وكافي أتباعك من المؤمنين، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالله وحده هو الكافي سبحانه، ومن توكل على الله كفاه ووقاه، وآواه، ونصره، وأعانه، ووفقه، وهداه، وسدده، وثبت قلبه، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ يعني كافيه وإذا كفى الله عبده فلا مطمع لعدو فيه، ولا مطمع لمخلوق فيه؛ لأن الله عز وجل هو الحافظ له، وهو الكافي فلا يضره أحد إلا أذى، إلا أذى يعني كما يتضرر الإنسان بالحر والبرد، كما قال تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى ﴾ [آل عمران: ١١١]، ما لابد منه كالحر والبرد، وكما يتأذى الإنسان بالجوع مثلاً، والعطش، ولكن هذه لا تضره، وفي الآية دليل على فضل التوكل ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، ودليل على فضله، وعلى عظم منزلة التوكل، وأنه من أعظم الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، والشرور، فمن أراد أن يكون قوياً، وثابتاً، فعليه أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى، والتوكل هو في الحقيقة من أعظم الأسباب في حصول الخير، ودفع الشر عن الإنسان في الدنيا والآخرة، فعلى المسلم أن ينمي هذه العقيدة، وهذا العمل ينميه في قلبه، ويقوي توكله على الله سبحانه وتعالى، وهذا من الأمور الإيمانية، - كما ذكرت في البداية- وأنه لا يحصل بمجرد حفظ بعض التعاريف، أو التقسيمات، أو نحو ذلك، وإنما هو يحصل بالمجاهدة، وبالتعلق بالله سبحانه وتعالى، وتقوية الإيمان بالله عز وجل .

(وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم - عليه وسلم- حين ألقي في النار، وقالها محمد -صلى الله عليه وسلم- حين قالوا له ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣ ﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]،)

نعم هذا الحديث رواه البخاري -رحمه الله تعالى- وأثر ابن عباس -رضي الله عنهما- قال تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قال: إن إبراهيم -عليه السلام- قالها حينما ألقي في النار، قال: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ كما قالها النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، قال له المشركون: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، قال تعالى: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فالله سبحانه وتعالى حسب من توكل عليه، وهو كاف من توكل عليه، والتجأ إليه، واعتصم به، وهو الذي يؤمِّن الخائف من خوفه، ويتولاه ويحفظه ويصونه ويحرسه، ومن خاف الله واتقاه حفظه من شرور الجن والإنس، وأمنه مما يخاف، فالإنسان عليه أن يعتصم بالله

تعالى، ويتوكل عليه، وهذا لا يمنع الأخذ بالأسباب؛ لأن من الناس من ظن أن التوكل يعني أن تتجرد من أي سبب، وأن تفوض أمرك إلى الله، ولا تعمل أي سبب، وهذا غلط. والناس في الأخذ بالأسباب طرفان ووسط:

– الطرف الأول: هم الذين يأخذون بالأسباب، ويتعلقون بها، يعني يعلقون قلوبهم بهذه الأسباب من دون الله، فمن اعتقد أن هذا السبب هو الكافي له من دون الله، فهذا شرك أكبر – والعياذ بالله –، وأما إن أخذ به مع اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو بيده ملكوت كل شيء، فيرد على التقسيم الذي ذكرناه قبل قليل في مسألة التوكل على المخلوق، وقد يكون شرك أكبر، وقد يكون شرك أصغر.

– الطرف الثاني: هم الذين يتركون الأسباب، ويزعمون أنهم متوكلون على الله سبحانه وتعالى، وهذا كفعل بعض طوائف من جهال الصوفية، الذين يخرجون إلى البراري والصحاري والغابات، دون زاد ولا راحلة، ويقولون: نحن متوكلون على الله، يذهب إلى أماكن خطرة، ولا يأخذ حذره، ويزعم أنه متوكل على الله، ويظن أن أخذه بالأسباب ينافي كمال توكله، وهذا أيضاً لا شك أنه مخالف للشرع.

– الوسط: وهو منهج أهل السنة والجماعة، الأخذ بالأسباب مع التوكل على مسبب الأسباب، فالإنسان يأخذ بهذه الأسباب، لكنه يعتمد على الله عز وجل، يجعل قلبه متوكل على الله، فيأخذ بالسبب، ولا يعقد قلبه على السبب، وإنما يعقد قلبه على المسبب، وهو الله عز وجل.

وهذا هو منهج النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو أعظم المتوكلين، كان يأخذ بالأسباب فيأخذ حذره من عدوه، ويدافع الأسباب بالأسباب، والأقدار بالأقدار، وهو أعظم المتوكلين، فليس من التوكل ترك الأخذ بالأسباب، كما أنه ليس من التوكل الاعتماد على الأسباب، بل يجب أن يعتمد القلب على الله وحده سبحانه وتعالى، فهو مسبب الأسباب؛ ولذلك هنا عبارة نقلها بعض السلف كشيخ الإسلام وغيره، نقلها عن بعض المتقدمين، أنهم قالوا: «إن الاعتماد على الأسباب قدح في التوحيد، وترك الأسباب قدح في الشرع » يعني بعضهم يتركها يقول: لا آخذ بها، هذا قدح في الشرع، ومخالفة للشرع؛ لأن الشرع أمرك بأن تأخذ بالأسباب، والثاني قال: وإنكار الأسباب قدح في العقل، يعني بعض الناس يقول: هذا ليس بسبب، هذا قدح في العقل، هذا في عقله خلل، إذا قال شرب الماء ليس سبباً للري، أو الأكل ليس سبباً للشبع، أو النكاح ليس سبباً للولد، أو نحو ذلك، ينكر الأسباب ينكرها هذا قدح في عقله.

والواجب أن يأخذ الإنسان بالأسباب ويتوكل على مسبب الأسباب، وهو الله سبحانه وتعالى، والأسباب أنواع ليست على درجة واحدة، هناك أسباب واجبة، يجب الأخذ بها، وهناك أسباب مستحبة، وهناك أسباب مباحة، وهناك أيضاً أسباب محرمة، فالسبب بحسب نوعه وبحسب ما وصل إليه من المسبب، فمثلاً السعي في طلب الرزق، هذا سبب الضرب في الأرض، وفي الأسواق لطلب الرزق، هذا سبب وفي الأصل هو مباح، لكن قد يكون سبباً محرماً، كمن يطلب الرزق بالربا مثلاً، الربا سبب لكنه سبب محرم، وهو يمحق أيضاً البركة، فقد تكون الأسباب محرمة كما يطلب المال لسبب محرم، أو يطلب الولد لسبب محرم، أو يطلب الشيء لسبب محرم، أو غير ذلك.

وهناك أسباب واجبة، وهذه في الأمور التي توصل إلى واجب، فمثلاً: الأعمال الصالحة الواجبة التي تؤدي إلى الجنة، هذه واجبة، هذه سبب لدخول الجنة، الجنة سلعة الله، وجعل الله سبحانه وتعالى لهذه السلعة سبب لدخولها، هو العمل الصالح ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢]، فالأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، وهناك أعمال صالحة واجبة، كالفرائض الصلوات الخمس مثلاً الصيام الواجب ونحو ذلك، وهناك أسباب مستحبة، كالنوافل أسباب مستحبة، مثل سائر النوافل.

والمقصود أن الأسباب يعني تتنوع، بعضها واجب، وبعضها مستحب، وبعضها محرم، وبعضها مكروه، وبعضها مباح، وهذا المباح: قد ينقلب أحياناً إلى واجب، أو مستحب، أو محرم، بحسب أيضاً ما يوصل إليه.

أيضاً أحب أن أؤكد على ما أشرنا إليه سابقاً، وهو أن الواجب على المسلم أن يسعى في الأسباب الواجبة، وأن يحرص على الأسباب المستحبة، وأن يأتي أيضاً بالأسباب المباحة التي تعينه على الخير، أما من يجلس عن تعاطي الأسباب، ويجعل هذا من التوكل فهذا غلط، كما أشار الأخ قبل قليل في سؤاله عن عبارة عن بعض السلف، قال: «لا تجعل عجزك توكلاً، ولا توكلك عجزاً » فلا تجعل عجزك توكلاً، لا تجعل تركك للأسباب هو التوكل، وإنما الواجب أن تأخذ بالأسباب؛ لأن ترك الأسباب ليس من التوكل، وليس من الدين، وليس من العقل، هل يعقل أن الإنسان يأتيه ولد ولم يتزوج؟ وهل يعقل أن تخرج الأرض ثمارها اليانعة وهو لم يحرثها ولم يبذرها؟ هذا مخالف لسنن الله الكونية، والإنسان لا ينتظر كرامات تأتيه، وإنما عليه أن يسعى في طلب الرزق، أو طلب الشفا، حتى الشفا مثلاً يعني الإنسان ممكن أن يسعى في التداوي، هذا سبب في الشفاء، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال في الحديث: عباد الله تداوو، ولا تداوو بحرام، فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء أو دواء.

فالمقصود أننا نتعاطى الأسباب، ونأخذ بها، ولكنا نتوكل على الله، نعتمد على الله، نعلق قلوبنا بالله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل قضى لحصول الأشياء عند حصول أسبابها، الله سبحانه وتعالى قدر أنك إذا عملت كذا يحصل لك كذا، يعني الطالب عند الاختبارات من أسباب النجاح أنه يذاكر ويدرس، لو أن طالباً قال أنا لن أذاكر، وسأدخل الامتحان متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، فطعن الناس في عقله، وفي دينه، وفي فهمه؛ لأن الله عز وجل أمرك بالأخذ بالأسباب، هذا مثل من قال: أنا لن أدخل الامتحان أصلاً، إن كان الله كتب علي النجاح سأنجح، ولو لم أمتحن، والآخر يقول: أنا لن أتزوج إن كان الله كتب علي سيأتيني أولاد فسيأتيني سواء تزوجت أو ما تزوجت، والآخر يقول: أنا لن آكل إن كان الله قدر أن أشبع فسأشبع سواء أكلت أو لم آكل، فيخرج أيضاً من الطعن في الدين، إلى الطعن في العقل، إنكار الأسباب، الطعن هذا في دين الشخص، وفي عقله، وفي الشريعة؛ لأن الشريعة أمرت بالأخذ بالأسباب، وعدم الاعتماد عليها.

أيضاً أحب أن أنبه إلى مسألة وهي تتعلق بالأسباب وهي مسألة الدعاء.

إذا أذنت لي يا شيخ هناك بعض الأمور ليس لها أسباب، يشترك الناس أحياناً في هذه الأسباب، ويقول الشخص أنا تقدمت إلى هذا الأمر، وأنا متوكل على الله عز وجل، في الحصول مثلاً على وظيفة معينة، أو القبول في مكان معين، يشترك كثير من الناس في هذا الأمر، وبعضهم يسلك مسالك أخرى، جلب شفاعات أو كذا، وبعضهم لا يجلب هذه الأشياء، ويقول أنا تقدمت متوكلاً على الله فقط، ومعتمداً على الله سبحانه وتعالى دون غيره.

أيضاً هو تنبيه مهم، قلنا بعضهم يسعى للأمور المباحة بأسباب مباحة، وبعضهم يسعى بأسباب محرمة، وبعضهم لا يسعى لطلب الأسباب، لكن أيهما أفضل؟ من يأخذ بالأسباب للتوصل إلى المباحات، أو إلى المستحبات، يأخذ بالأسباب المشروعة، والمباحة. أو من لا يأخذ بها، ويقول أنا متوكل على الله؟ الذي يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله، أما الآخر فهو عاجز هو أصلاً، عاجز جعل عجزه توكلاً، نقول أنت مأمور بأن تأخذ بالأسباب، النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– أفضل المتوكلين، ومع ذلك يلبس لامة الحرب، ويأخذ سلاحه، ما قال أنا متوكل على الله، ويذهب بدون سلاح.

لكن هنا نقطة مهمة، أيضاً بعض الناس لا يتمكن من الأسباب، يعني ليس أمامه سبب يأخذ به، هنا يكون معذوراً، يقول أنا متوكل على الله، ليس عندي سبب آخذ به فهنا إذا لم يحصل له شيء، ولم يكن بين يديه شيء،

يأخذ به، يفوض أمره إلى الله تعالى، ويكون بذلك معذوراً، أما من تكون الأسباب بين يديه ويتركها، ويقول أنا متوكل على الله هذا ليس معذوراً.

كنت تشير إلى الدعاء وأنه سبب...

نعم الدعاء سبب من الأسباب؛ ولذلك أحب أن أنبه إلى خطأ عند بعض الجهال، جهال العباد الذين لا يدعون الله سبحانه وتعالى، حتى يقول بعضهم: "علمه بحالي يغنيه عن سؤالي" فيقولون: الله يعلم حالي ما يحتاج أن أسأله" ما يحتاج أن أدعوه؛ لأن الله يعلم بحالي، نقول: لا تدعوه هذا سبب، وبعضهم يزين له الشيطان يعني كما جاء عن بعض المتقدمين الجهال الزهاد، والصوفية الجهال يقول: لا تسأل الله يجب أن تجعل عبادتك لله، من أجل الله، لا ترجوا منه شيئاً، لا تطلب شيئاً، اجعل عبادتك خالصة، وهذا كما صار معنا في التنبيه على المقال السابق، كانت رابعة تقول لم أعبدك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن حباً فيك، وبعضهم يقول: لا تسأل الله سبحانه وتعالى، وبعضهم قال أنا استحيت سألت الله البارحة شيئاً سبحانه وتعالى هل أنت تستغني عن الله طرفة عين؟ النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول في الحديث: ليسأل أحدكم ربه، حتى شسع نعله، إذا انقطعت، وملح طعامه، وأن الله عز وجل إذا لم يقدر لك شيء لن يحصل لك، (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) (ومن لم يسأل الله يغضب عليه) .

وينبغي أن تسأل الله سبحانه وتعالى وتدعوه، هذا من أسباب حصول المطلوبات، ومن أسباب دفع المظالم، كما قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– (واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)، (والدعاء هذا هو العبادة) كما في الحديث الصحيح وهو من أعظم الأسباب في حصول المطلوبات فلا ننكره، يعني بعض الناس يسعى في الأسباب المادية، وهي مطلوبة، ولكنه ينسى الأسباب الشرعية، مثلاً تجده إذا أراد أن يسافر يمضي في سيارته، وفي إصلاحها، وفي تجهيز سفره، ونحو ذلك ثم يذهب، أين دعاء السفر؟ وهو من الأسباب التي تعينك وتحفظك، بإذن الله سبحانه وتعالى، تجده غافلاً عن هذه الأسباب الشرعية، فينبغي أن نعود أنفسنا على الأسباب الشرعية، بعد الأخذ بالأسباب المادية، فنجمع بين الأمرين.

تذكرون قصة سعد لما ظلم من قبل الرجل الذي اتهمه بأنه لا يعدل في الرعية، ولا يقسم بالسوية، ونحو ذلك، فدعا عليه سعد –رضي الله عنه– بثلاث دعوات؛ لأن سعد كان مظلوماً، وكان مجاب الدعوة، فقال اللهم أطل عمره، وأدم فقره، وعرضه للفتن، قال الراوي للحديث: فرأيت ذاك الرجل شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه، وإنه ليتعرض للجواري في السكك – والعياذ بالله– ويقول: شيخ كبير أصابته دعوة سعد رضي الله عنه.

فدعوة المظلوم هذه من أعظم الأسباب في رد المظلمة، وأيضاً الدعاء من أعظم الأسباب في جلب الخير، وفي دفع الضر، فلا ينبغي للمسلم أن يغفل عنه، أو أن يقلل منه، بل عليه أن يجعله من أوليات الأسباب التي يأخذ بها.

بالنسبة للأخذ بالأسباب بعض ما نجده حتى بعض العلماء يصرحون أن عدم التداوي بالأدوية هي أنفع للمؤمن؛ لأنه يدل على قوة اعتماده على الله، وتوكله، حتى يستدلون أحياناً بقصة سبقك بها عكاشة، يقولون مثلاً: هؤلاء السبعين ألف الذين سيدخلون الجنة بغير حساب، المزية فيهم أنهم لا يسترقون يعني لا يطلبون من غيرهم الرقية، فإذن نجد أن الرسول الله يقول (عليكم بالشفائين العسل والقرآن) يدل على الرقية المشروعة، وأنه – صلى الله عليه وسلم– كان يرقي نفسه ويرقي غيره من أهل بيته، فما ترجيحكم بين من يرى هذا، يعني عدم توكله، على من يأخذ بالأدوية ؟

مسألة العلاج والدواء، اختلف العلماء –رحمهم الله تعالى–، بعضهم استحبها، وبعضهم جعلها مباحة، وبعضهم فرق بين الأحوال بالتفريق بين الأشخاص، ولكن حديث النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– واضح في هذا وهو

قوله: (عباد الله تداوو ولا تداوو بحرام فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه، وجهله من جهله) أما حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بلا حساب، ولا عذاب، هو قول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون) قد قال العلماء: إن هؤلاء من كمال توكلهم أنهم لا يسترقون يعني لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، وهذا ليس لمجرد أنه دواء أو شفاء؛ وإنما لأن الرقية فيها طلب من الغير، وفيها تعلق القلب بالغير؛ لأن يرقي بهذا السبب الشرعي، وطلب الرقية من الغير جائزة، هي جائزة لكن الأكمل في التوكل ألا يطلبها من غيره، وهذا لعله فرق بين طلب الرقية وبين الدواء.

تذكرت أيضاً أمر قبل أن نختم الباب، وهو أنواع الناس في التوكل على الله سبحانه وتعالى، الله عز وجل يتوكل عليه المؤمنون، وقد يتوكل عليه بعض الكافرين، والناس درجات في التوكل: منهم من يتوكل على الله سبحانه وتعالى في نصر الدين، وفي هداية الناس، ويتوكل على الله في هذه الأمور العظيمة المستحبة، ومن الناس من يتوكل على الله سبحانه وتعالى في صلاح نفسه، وولده، ونحو ذلك، ومن الناس من يكون توكله على الله عز وجل في أموره الدنيوية فقط، يتوكل على الله في حصول رزق، أو شفاء مريض، أو نحو ذلك، لكن لا يتوكل على الله في الأمور التي فيها صلاح نفسه، أو نحو ذلك، ومن الناس من يتوكل على الله في حصول بعض المعاصي، وقد يستغربها بعض الناس، يتوكل على الله في أن يحصل له ما يريد مما يغضب الله، وهذا قد يحصل من بعض الفجار الجهال، تجده صاحب معصية فيتوكل على الله، في أن يعينه على هذه المعصية، يعني نفترض نحن مثلاً صاحب مخدرات هو متوكل على الله، أن الله ييسر له ما يريد، ويدعو الله أحياناً، فهذا قد يحصل له ما يريد، لكن هذا من أردى أنواع التوكل، كيف يتوكل على الله عز وجل في أمر يسخطه الله سبحانه وتعالى؟ فهمم الناس في التوكل على الله تعالى همم متفاوتة بحسب إيمانهم وحسب علمهم ويقينهم.

هناك وقفة – إذا أذنت– يسيرة فضيلة الشيخ حول حسبي الله ونعم الوكيل متعارف عند الناس، أو مشتهر عند الناس، أن لا يقول هذه اللفظة إلا حينما يقع عليه ظلم من أحد، ويغفل أن هذا ذكر لله عز وجل، ينبغي أن تكون مصاحبة للإنسان في جميع أحواله دائماً، ما يقول هذا الإنسان إلا حينما يقع عليه ظلم من أحد، أو اعتداء يقول حسبي الله عليك، أو حسبنا الله ونعم الوكيل؟

نحن إذا عرفنا معناها عرف الإنسان متى يقولها، وأن معنى حسبنا الله ونعم الوكيل يعني أن الله كافينا، وهو نعم من نتوكل عليه، وهذا يكون في جميع الأحوال، أن الإنسان يستشعر أن الله سبحانه وتعالى هو كافيه، وواقيه، وناصره، وهو نعم من يتوكل عليه، نعم هي تقال في المناسبات التي ذكرتها، ويدل عليها ما وردت في الآية ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فحينما يخاف الإنسان من موقف ما، أو من شخص، ما يتذكر تعلقه بالله، ويتذكر قوته بالله سبحانه وتعالى، ويتذكر ضعف هذا المخلوق باعتماده على الله سبحانه وتعالى، هو يقول حسبنا الله ونعم الوكيل، الله كافينا، الله واقينا، الله مولانا وناصرنا، ونحن متوكلون عليه، فيتذكر هذا المعنى في مثل هذه المواطن، ويقولها كما يقولها أيضًا في كل مناسبة، يستذكر فيها توكله على الله، واعتماده عليه.

الجمع بين الخوف والرجاء

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب قول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩]،)

هذا الباب عقده المصنف -رحمه الله تعالى- لبيان مفهوم الرجاء، وبيان الانحراف في مفهوم الرجاء، والخوف، فأراد المؤلف -رحمه الله تعالى- بهذه الترجمة إلى التنبيه إلى الجمع بين الخوف والرجاء، يعني الإنسان يكون خائفاً وراجياً وأنه لا يخرج بهما عن الحد الشرعي، الذي دلت عليه النصوص، بأن يتجاوز بخوفه إلى أن يكون قنوطاً أو يتجاوز برجاءه إلى أن يكون أمناً من مكر الله.

فأراد المؤلف -رحمه الله تعالى- بهذه الترجمة وبهذا الباب، أن يرد على الطائفتين المنحرفتين، أو على الاتجاهين المنحرفين في هذين الأمرين، في باب الخوف والرجاء، وأن المؤمن يكون خائفاً وراجياً، ولكنه يجب أن يضبط خوفه ورجاءه بالضابط الشرعي، وسبق معنا الكلام عن الخوف، والكلام على المحبة، وأشرنا إلى الجمع بين الخوف والرجاء، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾ هذا في الخوف ﴿ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ هذا في الرجاء، فهم جمعوا بين الخوف والرجاء، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]،فيدعونه رغباً هذا في الرجاء، ورهباً هذا في الخوف، فهم جمعوا بين الخوف والرجاء، وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فأهل الإيمان يجمعون بين الخوف والرجاء، ويزنونهما أيضاً بميزان الشرع، وهنا في هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ فهنا هذه الآية نبه الله سبحانه وتعالى إلى أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، ومن أعظم أسباب الخسارة، وأن هذا الأمن ينافي كمال التوحيد، وذلك لأن أهل القرى المكذبين للرسل ما حملهم على ذلك في الحقيقة إلا أمنهم من مكر الله، وعدم خوفهم من الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله عز وجل لما استدرجهم بالسراء والنعم والملذات، أمنوا مكره فاستمروا على ما هم عليه، وهذا من مكر الله بهم، من مكر الله عز وجل بهؤلاء حيث ظنوا أنهم بهذه النعم التي أنعم الله بها عليهم أنهم آمنون من مكر الله، وقد ورد في الحديث، إذا رأيت الله سبحانه وتعالى يعطي العبد من الدنيا، وهو مقيم على معاصيه، ما يحب، فإنما هو استدراج، إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب، يعني يعطيه من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما هو استدراج، فليس الإنعام على العبد دليل على المحبة له، وإنما هذا قد يكون استدراجاً إذا كان هذا العبد مقيماً على معصية الله، أما إذا كان مطيعاً لله عز وجل فهذا من نعم الله عليه، أما إذا كان الشخص مسرف ومذنب وعاصي ومخالف لأمر الله، والله عز وجل ينعم عليه فهذا في الحقيقة استدراج، ومكر بهذا الشخص.

كنا توقفنا عند قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ونبدأ الآن في قوله تعالى ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦]،

هذه الآية أيضاً يبين الله سبحانه وتعالى فيها عاقبة القنوط، وأن القنوط من صفات الضالين، والقنوط هو استبعاد الفرج من الله سبحانه وتعالى، فتجد هذا الشخص ييأس من فرج الله عز وجل، والمؤلف -رحمه الله تعالى- ذكر هذه الأية لبيان أنه لا يجوز لشخص أن يقنط من رحمة الله، وهذه الآية تبين أن على الشخص أن يكون راجياً الله عز وجل، ومؤملاً بالله سبحانه وتعالى، طبعاً الرجاء يكون مع الأخذ بالأسباب، أيضاً لا يكون رجاء مع الإقامة على المعصية؛ لأن الرجاء مع الإقامة على المعصية هذا في الحقيقة أمن من مكر الله، وتساهل بشرع الله، وأيضاً بوعيد الله سبحانه وتعالى، وهذا من غرور الشيطان، وهذا يوقع الإنسان في المهالك الكثيرة، ويوقعه في الأمن من مكر الله، إذا تجاوز في المعاصي، وأقام على المعصية، وهو راج لله عز وجل، فهذا نقول إن رجاءه كاذب؛ لأن الرجاء الصادق يستلزم العمل، الرجاء الصادق متى نعرف أن هذا الشخص صادق في رجاءه، نعرف صدق الرجاء بأن يكون هذا الشخص محب لما يرجوه، وعامل بالأسباب التي توصله إلى ما يرجوه، أما إنسان يرجو شيء، ولا يعمل له، نقول أنت كاذب في رجاءك، كمن يريد أن يكون طالب علم مثلاً، وهو لا يطلب العلم، ولا يقرأ، ولا يحفظ، ولا يحضر الدروس، ولا يسأل، ويقول أنا أتمنى أن أكون طالب علم، هذا رجاء كاذب، قال بعض الناس مثلاً، في الأمور الدنيوية، يتمنى أن يكون أغنى الناس بالأموال، وهو لا يسعى في طلب المال، أو يريد أن يكون مخترعاً بارعاً، في علم من العلوم، وهو لا يعرف منه شيئاً، ولا يقرأ، ولا يتعلم، فهذا من رجاء الكاذبين، ومثله في الأمور الشرعية، من يرجو الجنة، ويخاف من النار، ولكن ما يعمل الأسباب، لا يعمل الأسباب التي توصله إلى الجنة، هذا كاذب.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها*** إن السفينة لا تجري على اليبس

نريد من الشيخ جزاه الله خيراً أن يبين لنا الألفاظ الخفية الدارجة على الألسنة التي تؤدي إلى الشرك، مثل اللفظ الذي قاله أتوكل على الله ثم عليك؛ لأنه فيه كثير من الألفاظ، ولا يعلم بها عامة الناس؟

السؤال الثاني: من تلفظ بهذه الألفاظ، وهي دارجة على ألسنة الناس ولا يقصد بها التوكل، فهل يدخل في الشرك أيضاً؟

بالنسبة للكلمة التي ذكرها الشيخ، "علمه بحالي يغنيه عن سؤالي" أحياناً أقولها يا فضيلة الشيخ من باب التعظيم لعلم الله سبحانه وتعالى؛ لأنه عالم بكل شيء، وعالم بخفايا الصدور، وبدقائق الأمور، فهل أيضاً محرمة، إذا كانت من ذلك الباب، وتدخل في الشرك أيضاً ؟

السؤال الأخير: بالنسبة لحديث النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– الذي هو: (من طلب الرقية ولم تحصل له..) يعني هو كان يريد أن يرتقي، ولم يرتق، ثم ندم على ذلك، وعزم ألا يطلب الرقية حتى يكون من الذين يدخلون تحت وعد النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في الحديث، فهل يكون ممن يدخلون في الوعد؛ لأنه لم يطلب الرقية؟

نكمل الآية نتكلم عن الآية ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ هذه الآية حقيقة تبين جواب إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– لما بشرته الملائكة بإسحاق قال: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحجر: ٥٤]، قال هذا كأنه استبعد في العادة، أن يكون الإنسان كبير، وزوجته كبيرة، ويأتيه ولد: ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الحجر: ٥٥]، يعني لا تكن من الآيسين هذا هو الواقع، ثم قال متعجباً: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ فهو لا يقنط من رحمة الله، ويتعجب من أن يقنط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وهذا فيه بيان لعظم جرم القنوط من رحمة الله، فكما لا يجوز أن تيأس وتقنط من رحمة الله، كذلك لا يجوز أن تأمن مكر الله.

المؤلف –رحمه الله تعالى– ذكر الآية الأولى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ ﴾ للرد على الآمنين من مكر الله، الذين يتمادون في الأمن، وفي الرجاء، والآية الأخرى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ رد على من يتمادون في الخوف، والاستبعاد، استبعاد رحمة الله حتى يقعون في القنوط واليأس، ونحن قلنا: إن الإنسان لابد أن يجمع بينهما، وصدق أن قلنا: لابد أن يكون الخوف والرجاء كجناحي طائر الخوف والرجاء، والمحبة رأسه، فلا يطير الطير بلا جناح، ولا يحيا بلا رأس، ولكن الخطر هو في التجاوز في الغلو، في المبالغة في أي شيء، إنسان يتجاوز حده الشرعي يقع في الغلو المنهي عنه، غلو الكفار غلو أهل الكتاب، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]، الله عز وجل وجل نهى هؤلاء؛ لأنهم كانوا أهل غلو، إياكم والغلو في الدين، فالخوف زيادة الخوف، يجعل الإنسان يقنط من رحمة الله، وزيادة الرجاء يجعله يأمن من مكر الله، فالخائف تجده دائماً يسشعر أن الله شديد العقاب، والراجي يستشعر دائماً أن الله غفور رحيم، تجده مسرف في الذنوب والمعاصي، ويقول: ربك غفور رحيم، الله غفور رحيم ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦]، وينسى بقية الآية ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ يأخذ الآية التي فيها الرجاء فقط، تجده يبالغ في الرجاء، حتى ينسى عذاب الله، وعقوبته ونقمته.

والأول بالغ في الخوف حتى قنط من رحمة الله عز وجل، وييئس من رحمته، وأيضاً في مسألة المحبة بعض الناس يبالغ في المحبة حتى يلغي الخوف والرجاء، ويقول أنا أحب الله، ومعناه أنه لا يخافه ولا يرجوه، بل هي مجرد حب، يوصل إلى ما يسمى بالعشق الإلهي، كما عند طوائف من الصوفية، وهذا الحب كما لا يجوز المبالغة فيه إلى هذا الحد، الذي يخرج عن الحد الشرعي، كذلك المحبة للمخلوق، كما سبقت الإشارة إلى ذلك،

بعض الناس يحب المخلوق حتى يخرج عن الحد الشرعي إلى نوع من التأله، والتعبد لهذا المخلوق، وهـذا مـا نسمعه كثيراً عند بعض العشاق الذين يبالغون في وصف محبوبيهم إلى درجة ترفعهم عن مستوى البشرية إلـى مستوى الألوهية والربوبية، -والعياذ بالله- حتى يهب له حياته، ويهب له تصرفاته، ويطيعه في كل ما يـأمره، وينتهي عن كل ما نهاه، فيجعله في مصاف الألوهية.

هذا نوع من الشرك، نوع من الخلل في العقيدة، رفع للمخلوق في هذا الحب، والتأله إلى درجة العبوديـة - والعياذ بالله- وهذا كثير -كما قلت- في القصائد والأغاني، وعند العشاق، هـؤلاء الـذين يتعلقـون بالـصور، وبالمخلوقين حتى ينسون الله سبحانه وتعالى، ويجعلون هذا المخلوق، يجعلون له من الحب مثل ما يحبـون الله، ويكون مثل المشركين الذي يحبون أندادهم، كما يحبون الله سبحانه وتعالى فلا تجوز المبالغة في هذه الأمور، لا بمحبة المخلوق، ولا أيضاً هذا الحب الذي يخرج عن الحد الشرعي، إلى ما يسمى بالعشق، الذي يتسبب في ترك الخوف والرجاء، كما لا يجوز الغلو والمبالغة في الرجاء، إلى حد ينسي الخوف من الله سبحانه وتعالى، الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، نجمع بـين الأمـرين بالنسبة للشخص، هذا عنده حب ورجاء وخوف بالنسبة لك أنت أيها الداعي لغيرك، أيضاً تجمع في دعوتك بـين الخوف والرجاء، تخوف الناس، ولكن ما تأيسهم من رحمة الله، تجعل عندهم خوف ورجاء.

ومن حكمة الدعوة أنك إذا رأيت شخصاً مسرفاً في معصيته، فإنك تزيد في تخويفه من ربه سبحانه وتعـالى، هذا لا ينقصه أن تفسح له الرجاء إلا إذا كان عنده قنوط تخشى من قنوطه من رحمة الله، ويبتعد عن التوبة، لكن إذا كان مسرفاً ينبغي أن تجعل له القوارع التي تقرعه، قوارع التخويف من الله سبحانه وتعالى، حتى يرتدع عن المعصية، ولا سيما في البلاد التي تكثر فيها المنكرات والفسق والفجور، ويتساهل الناس في المحرمات - والعياذ بالله-، فينبغي أن يركز على قوارع التخويف من الله سبحانه وتعالى، مع عدم إغفال فسح الرجاء، كما أننا نزيد في الرجاء عند أولئك المسرفين، الذين يتطلعون إلى التوبة، ولكنهم يخشون ألا تقبل منهم، ويخشى أن يخرج إلى نوع من القنوط، فيفسح لهم باب الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيـزِ الْعَلِـيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ١: ٣].

سألت عن الألفاظ الخفية التي تؤدي إلى الشرك، وينطقها الإنسان أحياناً ودارجة على الألسن، وكذلك من وقع في نطقها ماذا يجب عليه من غير قصد ؟

الألفاظ حقيقة كثيرة جداً، وسنأتي -إن شاء الله تعالى- في الأبواب القادمة، هناك ألفاظ كثيرة محظورة سواء ما يتعلق بالله، ما شاء الله وشئت، وما يدخل تحتها، أو في الحلف بغير الله، أو ألفاظ كثيرة -إن شاء الله تعالى- سترد في الأبواب القادمة، وننبه عليها بإذن الله.

السؤال الأول: شخص يفعل الصغائر وعنده قنوط من رحمة الله، شهوات بسيطة، وعنده قنوط من رحمة الله، والشهوات لم تتعدى إلى أحد، وحصل عنده قنوط، هل هذا مسوغ للقنوط، أو أنه مرض أو ماذا؟

السؤال الثاني: هو نفس سؤال الأخت هل استغفار الشخص من طلب الرقية، واستغفر منها، قال ما نطلبهـا، مرة أخرى هل يدخل من السبعين ألف في الاستغفار؟ وضابط الخوف والقنوط، كيف أعرف أن هذا خائف مـن الله، وهذا قانط؟

لي مداخلة بخصوص كلمة توكلت على الله ثم عليك، إذا نظرنا إلى الكلمة من منظور شرعي، وأن التوكـل إنما هو عمل قلبي لا يكون لله، كأنه من هذه الناحية لا يجوز، لكن إذا نظرنا إلى هذه الكلمة من حيث الاشـتقاق العرفي في عرف الناس اليوم، فإنها تكون وكالة؛ لأن أغلب الناس حين يطلقون هذه الكلمـة لا يقـصدون بهـا التوكل الذي هو تسليم القلب، وتفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما يقصدون به الوكالة؛ ولذلك يقولـون

في الوكالات: توكلت على الله ثم عليك، ويفوض الأمر إلى الله، ويعتمد على المرء في وكالتــه، وكــذلك هــذا اشتقاق لغوي من حيث التوكل والوكالة، الاشتقاق واحد، وإنما يختلفان بما يتعدى إليهما من الحروف، فإن تعدى بالباء أو على، كان توكلاً، وإن كان بالياء فهو توكل، وجاء في لسان العرب أن توكل على فلان، وأوكل إليــه، بمعنى واحد، فأقول لا يتوجه القول بالجواز عن إذا كان من ناحية عرف الناس اليوم؛ لأنهم يقصدون بها الوكالة، ولا يقصدون بها التوكل، كما وقع في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء لما أجازت هذه الكلمة ؟

السؤال الثاني: ذكرتم حفظكم الله أن بعض الناس قد يتوكل على الله في فعل بعض المعاصي أنا أسأل، هــل يؤجرون على هذا التوكل، ليس على فعل المعصية، لا.. التوكل في حد ذاته، هل يؤجرون عليه أم لا؟

(عن ابن عباس –رضي الله عنهما– (أن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– سئل عن الكبــائر فقــال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله. وعن ابن مسعود –رضي الله عنــه– أكبــر الكبــائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله))

هذان الحديث والأثر فيهما، بيان ما أراد المؤلف –رحمه الله تعالى– من الجمع بين الخوف والرجاء، الأول: حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– بعضهم يقول: إنه موقوف، وبعضهم يقول: إنه مرفوع، وإسناده حسن عند البزار وغيره.

سئل عن الكبائر قال: الشرك بالله، والشرك كما هو معلوم هو أكبر الكبائر، وهو لا يغفره الله؛ لأنــه محــبط للأعمال: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحــج: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، فالشرك أكبر الكبائر، ثم ذكر بعدها: اليأس من روح الله، واليأس: هو من القنوط من روح الله، يعني من رحمة الله، وهو قطع الرجاء، والأمل من الله –سبحانه وتعالى–، فتجد الإنسان يقنط وييأس من رحمة الله فيما يرجوه، أو فيما يخافــه، فهــذا محرم، وهو داخل في سوء الظن، يسيء الظن بربه، حتى ييأس من روح الله، قال: والأمن من مكر الله كــذلك، يأمن من مكر الله، فتجد عنده يأس، وأمن، يعني خلل في الخوف، وخلل في الرجاء، تجد بعض الناس عنده خلل في الرجاء، فيقع في الأمن، وبعضهم يكون عنده خلل في الخوف، خروج عن الحد الشرعي، حتــى يقــع فــي القنوط، واليأس من روح الله، ومن رحمة الله، وجود الله، ومغفرة الله –سبحانه وتعالى – .

ثم ختم المؤلف –رحمه الله تعالى– هذا الباب في أثر ابن مسعود –رضي الله عنه– وفيه أن أكبــر الكبــائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وهذا يشبه ما سبق في النهــي عن الحد الشرعي، سواءً في حصول ما يرجوه الإنسان، أو في دفع ما يكرهه، فيجب عليه أن يعلق قلبه بالله – سبحانه وتعالى – في خوفه ورجاءه، وأن يكون متوازناً في ذلك، فيخاف الله –عز وجل– يردعه عن المعصية، ويحدوه إلى الطاعة، ويرجو الله –سبحانه وتعالى – رجاء يحثه على فعل الطاعة، ويؤنسه بالله –سبحانه وتعالى –، ولا يجعله يتمادى في معصية الله –عز وجل– .

فهذا الأثر يأتي في هذا السياق لبيان شيء أيضاً من الكبائر، والكبائر كما قال العلماء: هي ما صار فيه حــد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو ختم بلعنة، أو غضب، أو عذاب، ونحو ذلك، فهذا هو حد الكبيرة. والصغيرة: ما ليست كذلك، وينبغي أن يعلم أن الصغائر أيضاً الذنوب الصغائر محرمة، ولكنها ليست مثل الكبائر، قــد دل كتاب الله –سبحانه وتعالى – أن هناك كبائر وصغائر، كما قال –عز وجل– ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْــهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]، هناك كبائر، وهناك سيئات ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢]، فهناك لمم، وهناك كبائر، وصغائر، والكبائر كثيرة ورد عن ابن عباس هي للسبعين أقرب منها إلى السبع، وفي بعض الروايات إلى السبعمائة أقرب منها، وألف فيها العلماء مؤلفات خاصة، كابن حجــر فــي كتابه الزواجر في اقتراف الكبائر، وأظن ذكر فيها أكثر من أربعمائة كبيرة، والكبائر كثيرة، وقد يختلف العلماء

في بعضها، لكن هذا هو الجامع لها، والمقصود أن نستفيد من هذا الباب أن على المسلم أن يكون راجياً لله -عز وجل- وأن يكون خائفاً من الله -سبحانه وتعالى - وأن يجعل خوفه ورجاءه موافقاً للحد الشرعي، ولا يخـــرج بخوفه إلى القنوط من رحمة الله، فيسيء الظن بربه -سبحانه وتعالى -، ولا يجعل رجاءه يوصله إلى الأمن من مكر الله، ومن عقاب الله -سبحانه وتعالى - فيتمادى في معصيته.

الجزء الأول من السؤال: يتعلق بالتوكل الفرق بين التوكل والتواكل؟

والجزء الثاني من السؤال: قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِـــرُونَ ﴿٩٩ ﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكذلك في آية أخرى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠ ﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هل يجوز إثبات صفة المكر لله تعالى ؟

التواكل هو كما ذكر العلماء التواكل : هو ترك الأخذ بالأسباب، فهذا هو التواكل والتباطؤ، أما التوكل فهـــو عمل القلب لله -سبحانه وتعالى - وتفويض الأمر لله -عز وجل-، والتوكل الشرعي يكون مـــصحوباً بالأخـــذ بالأسباب الشرعية، أما ما ذكرت من المكر، فالمكر يوصف الله -عز وجل- به، وهذا من صفات المقابلة، فـــالله -عز وجل- يمكر بمن يمكر به، فالمكر قد يكون محموداً، وقد يكون مذموماً، ولله - عز وجل- من المكر مـــا كان ان محموداً. الله -عز وجل- يمكر بمن يستحق المكر، ومثل أيضاً الاستهزاء، والسخرية، ومثل الكيد، فهذه الصفات لها جانب محمود، ولها جانب مذموم، ولله -عز وجل- منها الجانب المحمود، ولكن لا يشتق منها اسم، ما يقال الله الماكر، أو المستهزيء، أو الكائد، أو نحو ذلك.

أما الصفات التي لا يوجد فيها، أو لا تحتمل إلا معنى فاسداً، فلا يجوز أن يوصف الله -عز وجل- بها مثـــل الخيانة مثلاً، ﴿ وَإِن يُّرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَإِن يُّرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال: ٧١]، ما قـــال فخـــانهم؛ ولذلك من العبارات عند بعض الناس الدارجة، وهي فاسدة قول بعضهم "الله يخون من خانك" وهـــذا لا يجـــوز ونحو ذلك، وهذا لا يجوز، فالخيانة هي أن تأتي بالشخص من حيث يأمنك، أو نحو ذلك، فهي مذمومة؛ ولذلك لا يوصف الله بها، أما المكر فقد يكون محموداً، والله عز وجل له منه الجانب المحمود.

سألت عدة أسئلة من ضمنها الألفاظ الخفية، وذكرت إجابة عنها كذلك من تلفظ بها ماذا يجب عليه كذلك قولك علمك بحالي يغني عن سؤالي، حينما يقول هذه الإنسان استشعاراً لاطلاع الله على حاله؟

أنا قلت إن هذه العبارة حينما تقال عند البعض للاستغناء عن الدعاء تكون مذمومة، فافضل الخلق هو محمد - صلى الله عليه وسلم- وهو الذي كان يدعو الله عز وجل، ودعا الله في الغزوة، ورفع يديه، حتى سقط ردائـــه، ودعا الله في الاستسقاء، ودعا الله في مواطن كثيرة، ويرفع يديه، ويبتهل إلى الله عز وجل بالدعاء، ولم يقل النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- علمك بحالي يغنيني عن سؤالي، ونحو ذلك، فنحن ننكر على من يقول هذه العبارة على معنى أن الله عز وجل عالم بالحال فلا حاجة إلى السؤال، لا حاجة إلى أن نسأل الله؛ لأن الله يعلم الأحوال، فنحن لسنا بحاجة؛ لأن هذا يأتي من مفهوم أننا ندعو لنخبره، هذا غلط، ليس الدعاء لتخبر الله عز وجل، الله يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وإنما هذا فيه عبودية لله عز وجل، فيه تعبد، فيه تـــذلل لله عز وجل، والله يحب الملحين بالدعاء، يحب الذين يسألونه؛ ولأن الذي لا يسأل الله عز وجل هذا شخص متكبر، شخص متغطرس، شخص قليل العبودية، فالدعاء ينمي العبودية لله عز وجل، ويشعر العبد بافتقاره، وحاجته إلى مولاه؛ فلهذا صارت من العبادة، وصار الذين يقولون هذه المقولة صاروا مذمومين.

تسأل كذلك من طلب الرقية ثم استغفر عن ذلك؟

طلب الرقية نحن قلنا هي ليس محرمة نقول: إن الذي يطلبها آثم، ولكنها من تمام التوكل أن الإنسان يترك طلب الرقية، هذا من تمام طلب الرقية، هذا من تمام التوكل على الله، واعتماده عليه، وإلا فإنه يجوز له أن يسأل، كما يستحب للإنسان أن يرقي غيره؛ لأن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- رقى ورقي أيضًا، وقال: استرقوا لها، وقال في الحديث الآخر: من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل، يعني في الرقية، فأنت ترقي غيرك، وترقي نفسك، وإذا رقاك غيرك أيضاً بدون طلب، فأيضاً لا تمنعه، ولكن الحديث يوجه إلى أن الإنسان لا يطلب حتى لا يكون قلبه معلق بهذا المخلوق، فيطلب منه الرقية.

سأل عن القنوط حينما يقنط الإنسان من رحمة الله عز وجل ولديه، كما ذكر فقط صغائر ؟

لا يجوز القنوط من رحمة الله، لا على الصغائر، ولا كبائر؛ لأن القنوط من رحمة الله، صفة الضالين، وهذا كبيرة من الكبائر أن يقنط من رحمة الله، مثل الذي يأمن من مكر الله، فالياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، مثل الأمن من مكر الله، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ فالقانط ضال، لماذا؟ لأنه ما قنط هو من رحمة الله إلا لأنه يسيء الظن بالله، كأنه يقول أن الله لن يغفر لي، ولن يرحمني فهذا في الحقيقة إساءة للظن بالله، الله عز وجل يحب التائبين، ويفرح بتوبة عبده، وقد يكون المذنب في دعاءه أقرب إلى الله من المطيع أحياناً، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- عبارة يقول: " أنين المذنبين أحب إلى الله من زجر المسبحين بالأسحار" ؛ لأن هذا المذنب، هذا العاصي، حينما يقبل الله عز وجل، يقبل وقلبه منكسر، ومتعبد يشعر بالذنب.

أما بعض المطيعين فقد يدعو وعنده شيء من الغرور، والاعتداء، وكأنه مجاب الدعوة، وكأنه يمن على الله عز وجل، فالمهم أن نقول: إن القنوط من رحمة الله ليست من صفات أهل الإيمان، بل قد يوقع -والعياذ بالله - في الشرك والكفر؛ ولذلك يجب على الإنسان أن يبعد هذا، وأن يحسن الظن بالله عز وجل، ويعلم أن الله عز وجل، يحب التائبين، ويحب المقبلين على طاعته، ويقبل توبة الكافر، فكيف يقنط هذا الشخص من صغائر؟ كما قال الأخ كيف يقنط من صغيرة؟ بل إن الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر، والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، كل هذه مكفرات لما بينها إذا اجتنبت الكبائر.

فالمكفرات كثيرة فكيف يقنط؟! وإنما يأتي القنوط في الحقيقة، يأتي من الجهل، من جهل هذا الشخص بربه وبدينه.

سؤال: حول قوله توكلت على الله ثم عليك أشار إلى الإشكال اللغوي وقضية الربط أو حرف العطف

الأخ قال: إن الناس يقصدون التوكيد، وهذا طبعاً حكم على جميع الناس، فممكن أن يقول والله كل الناس يقولون: توكلت على الله ثم عليك، أنه يقصد التوكيل، ثم أنه لو قصد التوكيل، نقول نفس العبارة هذه ينبغي أن تبتعد عنها، ينبغي أن تبتعد عن العبارة، كما قلنا نحن في عبارات سابقة أنها جائزة، لكن تبتعد عنها للمشابهة، أما إذا قصد بها التوكل الذي هو عمل القلب، وقال أنا متوكل على الله وعليك، أو متوكل على الله ثم عليك، هذا لا يجوز؛ لأن التوكل عمل القلب، ولا يجوز أن يتعلق عمل القلب إلا بالله سبحانه وتعالى، أما لو قصد به الوكالة فينبغي أن تستعمل العبارات غير الموهمة والله أعلم.

كذلك أشار إلى قضية هل يؤجر من توكل على الله في حصول معصية؟

ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أن بعض عباد القبور أحياناً -سبحان الله- وهو يدعو الله عز وجل، يأتي عند قبر، ويدعو الله، ثم يحصل له ما أراد، فالله عز وجل يجيب الدعوة للاضطرار، عند هذا الشخص، والتوجه، فيحصل له، فنقول هذا الشخص بعمل هذا التوكل، هذا التوكل هذا فيه اعتماد على الله عز وجل، وفيه

قوة ثقةً بالله عز وجل، فهو من هذه الناحية عنده الإيمان، إذا كان هو شخص مؤمن طبعاً عنده الإيمان، لكنه آثم في عمله، الذي عمله وفي كبيرته التي ارتكبها.

يقول: هل الاستغناء عن الناس في دفع ضر قادر على دفعه، توكل على الله عز وجل، تنطع في الدين، وهل يعد من الإلقاء بالنفس للتهلكة؟

من استطاع أن يستغني عن الناس في كل شيء فليفعل، كما كان بعض الصحابة يبايعون النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– ألا يسألوا الناس شيئاً حتى إن أحدهم يسقط سوطه، فلا يقول لأخيه ناولنيه، بل هو ينزل ويأخذه، أما إذا كنت لا تستطيع، لا ينبغي لك أن تعذب نفسك، أو تضر نفسك، وتقول لا أنا مستغن عن الناس، لا..، بل إن الله عز وجل اتخذ بعضهم بعضا سخرياً.

تسأل عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، هل يعني هذا أن الإنسان لن تناله رحمة الله حتى يكون محسناً ؟

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فرحمة الله قريب من المحسن، فإذا كان درجة الإحسان العليا، فالله عز وجل رحمته قريب منهم، ولا يعني أنها بعيدة أنها لا تحصل لغيرهم، لكنها أقرب لهؤلاء، والله عز وجل يقول: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

السؤال الأول: كم هي أنواع الصبر؟

السؤال الثاني: ما حكم الصبر والرضا بما قدر الله؟

الدرس التاسع

باب الصبر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد تكلمنا في الدرس الماضي عن التوكل وأهميته، وبيان وجوب إخلاصه لله تعالى، وأن التوكل شرط في الإيمان، وذكرنا بعض التقسيمات المتعلقة بذلك، كما تكلمنا عن مسألة الجمع بين الخوف والرجاء، وأن المؤمن يخاف الله، لكن خوفه لا يوقعه في القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، كما أن المؤمن يرجوا الله -سبحانه وتعالى-، ولكن رجائه لا يوصله إلى الأمن من مكر الله، حيث يتمادى في معصيته بحجة الرجاء، وبينا المنهج الصحيح في ذلك.

وفي هذا اليوم سيكون الحديث -إن شاء الله- عن عمل آخر من أعمال القلوب، وهو الذي بوَّب له شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بقوله: (باب من الإيمان: الصبر على أقدار الله) وذكر تحت هذا الباب جملة من النصوص الشرعية.

قال المصنف: (باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]).

أولاً: المؤلف -رحمه الله- عقد هذا الباب لبيان منزلة الصبر وأهميته، ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- اقتضت حكمته أن يبتلي عباده في هذه الدنيا بالسراء والضراء، وبالخير والشر، وبالأوامر والنواهي والمصائب، فأمرهم أيضاً بالصبر على هذه الأمور، وعلى هذا القضاء الشرعي- وما يصيبهم من البلايا والمحن، وذلك لينالوا ثوابه -سبحانه وتعالى- وترتفع درجاتهم عند ربهم، ولما للصبر من أهمية كبيرة في تثبيت الإيمان، وعلو منزلة صاحبه، عقد المؤلف -رحمه الله- هذا الباب، وذكر تحته جملة من النصوص الشرعية.

والصبر قد تواترت عليه النصوص في القرآن والسنة، حتى قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "إن الله ذكر الصبر في كتابه في تسعين موضعاً"، فالله -عز وجل- ذكر الصبر في عدة مواطن، وفي عدة تصاريف في أكثر من تسعين موضعاً؛ لما له من الأهمية الكبيرة والمنزلة العظيمة.

والصبر المقصود منه هنا: الصبر لله -سبحانه وتعالى-، أن يصبر الإنسان مخلصاً في صبره لله -عز وجل-، وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٢]، قد يصبر شخصان في مصيبة تصيبهما أحدهما: يأجر والثاني: لا يأجر؛ لأن الأول: صبر لله، والثاني: لم يصبر لله. إذن شرط الأجر في الصبر: أن يكون لله كما قال الله-سبحانه وتعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾، فلابد من إخلاص الصبر لله -سبحانه وتعالى- حتى يأتي الأجر العظيم، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، فالصبر الموعود عليه بالأجر العظيم والثواب الجزيل: هو الصبر بالله، الصبر لوجه الله -سبحانه وتعالى-، وهذا هو شرط الثواب على هذه المنزلة العظيمة، وهو صبر أهل الإيمان، لا صبر أهل الدنيا الذين يتجلدون ويتصبرون ولكن لأغراض دنيوية، كما قال الشاعر:

وتجلدي للشامتين منهم أني *** لريب الدهر لا أتضعضع

مجرد يتصبر أمام الناس حتى يريهم أنه قوي البأس ونحو ذلك، وبضعهم لم ينجوا من الشماتة، ونحو ذلك من النوايا التي لا يؤجر عليها، إنما شرط الأجر أن يكون الصبر لله -سبحانه وتعالى- لوجه الله يخلص لله -عز وجل- في ذلك، فيأتيه الأجر العظيم الذي وعد الله به الصابرين.

وجاءت أحاديث كثيرة أيضاً في فضيلة الصبر وبيان منزلته، ففي الحديث الصحيح يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (والصبر ضياء) وفي الحديث الآخر: (ما أعطي أحد عطاءً خير وأوسع من الصبر)، فالصبر من أفضل العطاء الذي مَنَّ الله -سبحانه وتعالى- به على عباده المؤمنين، وجاء في البخاري تعليقاً عن عمر - رضي الله عنه- قال: « وجدنا خير عيشنا في الصبر »، فالصبر له فضائل كثيرة، ومزايا عظيمة، كما أن له آثار جليلة على نفس الصابر، يحمد الله، آثار على نفسه وعلى حياته وعلى سلوكه وطمأنينته إذا احتسب الأجر عند الله -سبحانه وتعالى- بهذا الصبر.

(قال علقمة: والرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم).

هذا طبعاً تعليق على قول الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله وَمَن يُؤْمِنْ بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]، قبل ذلك لابد أن نعرف ماهية الصبر.

الصبر هو في الحقيقة: الحبس والمنع. ويقصد به هنا: حبس النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس سائر الجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والضرب، ونحو ذلك من الأمور التي هي تعبير عن الجزع والتسخط.

انفعالات سيئة؟.

نعم، هذه كلها تظهر عدم الصبر، هي مظاهر لعدم الصبر، هناك صبر باطن وهناك صبر ظاهر، صبر باطن في باطن النفس بأن يحبس نفسه عن أن تجزع أو تتسخط، ويحبس لسانه عن أن يقول كلاماً ينبئ عن عدم رضاه وعن عدم صبره وعن اعتراضه على قضاء الله وقدره، وحبس الجوارح أيضاً عن تلك التصرفات الجاهلية التي توحي بالاعتراض على قضاء الله وقدره، قال الله -عز وجل-: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ﴾ معنى أن هذه المصائب التي تصيب الناس هي بإذن الله، بإذن الله الكوني، يعني بأمره -سبحانه وتعالى- وقضاءه الكوني وقدره، فهذه المصائب هي بإذن الله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾، الذي يؤمن بالله ويسلم لهذه الأمور فإن الله - عز وجل- يهدي قلبه إلى الرضا والتسليم لهذه المصائب، فإذا علم أنه من عند الله -سبحان الله- صبر واحتسب وهدي قلبه إلى الله -عز وجل- يهدى باليقين والطمأنينة فيعلم أنه من الله -عز وجل-، فيرضى ويسلم ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

علق علقمة بن قيس وهو أحد كبار التابعين، علق على هذا الحديث قال: («هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم»).

الفرق بين الرضا والتسليم فضيلة الشيخ؟ .

قال: « الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله » يعني يوقن ويستقبل ويستحضر أنها من الله -سبحانه وتعالى- فيرضى، يرضى بهذا القضاء وهذا القدر، ويسلم لله ما قدره بمعنى أنه يستسلم، وأيضاً يعلم أنها خير، وقد ورد في الحديث الصحيح ما يبين ذلك وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له،

وليس ذلك إلا للمؤمن) فالمؤمن يصبر في الضراء ويشكر في الرخاء، يشكر في الرخاء والسراء، ويصبر على الضراء وعلى المصائب التي تصيبه، وهذا في الحقيقة عنوان إيماني، وعنوان تسليمه لقضاء الله وقدره.

(وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)).

هنا أيضاً في هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم –رحمه الله– حديث أبي هريرة: (اثنتان في الناس هما بهم كفر) يعني خصلتان هما بالناس يعني في الناس أو من الناس واقعة من الناس وواقعة في الناس، وهي كفر، وهذا الكفر هو في الحقيقة كفر أصغر، كفر عملي أصغر، ويعني هذه من صفات أهل الكفر، ومن صفات أهل الجاهلية المنافية لأهل الإيمان، ولصفات عباد الرحمن، قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب أو في الأنساب) فهذه الخصلة الأولى: الطعن في النسب بمعنى أن هذا الشخص الذي فيه هذه الخصلة من خصال الكفر تجده يطعن في أنساب الناس التي ظاهرها الصحة والسلامة، والناس مؤتمنون على أنسابهم فتجده يطعن فيها إما بالتشكيك بها أو بازدرائها واحتقارها ونحو ذلك، فهذا من صفات أهل الجاهلية هم الذين يتفاخرون بيننا ويطعنون على غيرهم، ويشككون في أنساب الآخرين، فهذا من صفات أهل الكفر.

والخصلة الثانية قال: (النياحة على الميت) وهذا هو وجه الاستشهاد من هذا الحديث: (النياحة على الميت) فالنياحة كفر طبعاً، كفر ليس مخرجاً عن الملة، بل هذا معناه أنه من صفات أهل الكفر، والنياحة هي: رفع الصوت بالنوح على الميت وندبه وذكر فضائله ومحاسنه، والدعاء بالويل والثبور ونحو ذلك مما هو في الحقيقة إظهار لعدم الرضا، وهو في الحقيقة نوع من التسخط والجزع والاعتراض على قضاء الله –عز وجل–، فتجد هذا الشخص الذي فيه هذه الخصلة يرفع صوته، بندب الميت والنياحة عليه والصياح والعويل، والدعاء بالويل والثبور ونحو ذلك، وهذا كله من صفات أهل الجاهلية، ومن صفات أهل الكفر، وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن هذا واقع في الناس، يعني ليس إخباره تقريراً لتصحيح، يعني تقريراً أو إقراراً بهذا وإجازة له، وإنما هذا من باب الإنكار، وواقع وهو منكر، والدليل على إنكاره أنه وصف بأنه كفر، يعني بمعنى أنه من صفات أهل الكفر المحرمة، وهو محرم، وكما سبق معنا في أبواب سابقة في النائحة، التي قال فيها النبي –صلى الله عليه وسلم–: (النائحة إن لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)، ذلك أن النائحة تظهر التسخط والجزع والاعتراض على قضاء الله وقدره.

وهنا مسألة نحب أن ننبه عليها وهي: الفرق بين البكاء والجزع؟ أو نقول: ما حكم البكاء على الميت؟ أو هل البكاء على الميت يدخل في النياحة المنهي عنها؟ ويدخل في صفات الجاهلية؟ أم أن هذا الشيء جائز؟

نقول: إذا كان هذا البكاء على الميت على وجه الرحمة والرأفة والرقة، ولم يكن معه ندب، ولا نياحة، ولا صياح، ولا ضرب للخدود ولا شق للجيوب فهذا جائز، وهذا لا ينافي الرضا بالقضاء؛ لأن من طبيعة النفس البشرية أنها ترحم من مات لها وترق له، وتعطف عليه وتدمع عينها، والإسلام لم يأتي بما يعارض الفطرة والخلقة، وإنما أتى بالنهي عن التصرفات الشاذة، والتصرفات التي تؤول إلى أمور محرمة، وإلى أمور مؤدية إلى ما يخالف الشرع، فدمع العين هذا جائز كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لما مات ابنه إبراهيم، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون) فالنبي –صلى الله عليه وسلم– حزن على موت ابنه ودمعت عينه. كما دمعت عينه –صلى الله عليه وسلم– أيضاً لطفل آخر، ولبعض أصحابه، فالعين تدمع والقلب يحزن، وهذا لا بأس به، بل قد يكون مستحباً، لكن المنهي عنه والمحرم: هو البكاء المصاحب للتسخط والجزع وإشعار بفوات الحظ من هذا الميت، وأنه قد فات حظه، وأنه ستتغير حياته وسيبدأ بلطم خده، أو لطم جسده، أو تشقيق ثوبه، أو بتعداد مآثره، وكأن هذا الميت

هو الذي ينفعه أو يضره، فالمقصود أن مجرد البكاء الناتج عن الرقة والرحمة لهذا الميت، هذا أمر لا يدخل في النهي الوارد في الحديث.

هناك بعض التصرفات أو بعض الألفاظ تطلق حول هذا الأمر حينما يتوفى أحد من الناس مثلاً فلان ذهب الخير مع فلان، فلان ما يستاهل، ما يذهب إلا الأخيار، ما يذهب إلا أهل الخير... كذا حول هذا الألفاظ التي نسمعها دائماً في مثل هذه المواقف؟.

أحسنت يعني هذا أيضاً تنبيه جيد؛ لأن بعض الناس وهذا في المصائب عموماً -يعني ليس في الموت فقط- بعضهم يقول: فلان ما يستاهل، أو لماذا يعني فلان؛ كأن الله -سبحانه وتعالى- ظالم لهذا الشخص، والله -عز وجل- يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، العبرة بما يموت عليه الإنسان، أما الموت فكل واحد سيموت إن عاجلاً أو آجلاً، كل واحد سيكون نهايته الموت، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾، لكن الشأن فيما يموت عليه، وإظهار الجزع والتسخط على موت الناس، هذا في الحقيقة اعتراض على قضاء الله -عز وجل-، وحتى يعني في المصائب عموماً تجد بعض الناس يصاب بمصيبة فيتعاطف معه الناس حتى يقولون كلاماً يوهم بأن الله -عز وجل- ظالم له، طب لماذا فلان كذا، لماذا فلان كذا، أو بعضهم يقول: مسكين فلان، طيب لماذا يأتيه هذا الأمر -سبحان الله-! ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله ﴾ [البقرة: ١٤٠]، الله -عز وجل- أرحم بعباده من الوالدة بولدها، قد تكون هذه المصيبة التي أصيب بها هذا الشخص تكون خيراً له في دينه ودنياه، وكم من أناس كثيرين صارت البلايا والمصائب خيراً لهم، بعضهم اهتدى واستقامت حاله بعد المصيبة، وقد ورد بعض الآثار الإلهية فيما معناه: إن بعض الناس الفقر خير له، وبعضهم المرض خير له، وبعضهم العكس كذلك، فالمقصود أن لا يجوز الاعتراض على قضاء الله، لا من الغير ولا من الشخص نفسه، لا يجوز أيضاً من الشخص نفسه أنه يجزع عندما يصيبه، ويشتكي للناس، يشتكي للناس اشتكاء أو شكوى المعترض على قضاء الله؛ ولذلك توجد كلمة جميلة لابن القيم -رحمه الله- في هذا السياق يقول في معنى كلامه يقول: « بعض الناس يشكوا من يرحمه إلى من لا يرحمه » يعني أنه يشكوا الله إلى العباد، إلى الناس، كأنه يشتكي ربه، وبعض العوام يقول: يا رب أنا ماذا فعلت؟ -سبحان الله-! كأن الإنسان ما يصاب بمصيبة إلا لأجل أمر فعله، وهو قد يكون كذلك، لكنه لا ليس بالضرورة، (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم) كما سيأتي معنا، وأيضاً هذا فيه اعتراض على قضاء الله، وفيه أيضاً تزكية للنفس، وما يدريك أنك لم تفعل شيئاً، الإنسان ظلوم جهول، وعنده من المصائب، والمعاصي والتقصير الشيء الكثير، ولو أن الله -عز وجل- حاسب الناس، وجازاهم على أعمالهم لأهلكهم، لكن الله رءوف رحيم -سبحانه وتعالى- حليم عفو غفور، فالمقصود أن على الإنسان أن يروض نفسه على الرضا بالقضاء، والصبر على ما يأتيه، وأن لا يعترض على قضاء الله وقدره، وأن يحبس نفسه عن الجزاء، ولسانه عن التسخط والتشكي، والاعتراض على قضاء الله وقدره؛ لأن هذا مناف لكمال الإيمان الواجب.

بعضهم يزور المقابر حينما يحصل له كذا، أو ما يصلي على ميت كذلك، بعضهم لا يزور المكان الذي حصل فيه مثلاً هذا يهجر البيت الذي حصلت فيه هذه الوفاة، هل هذه صور من صور الجزع يا شيخ؟.

لا...، ما يلزم، لابد أن نفرق بين الأمرين، فعدم الذهاب للمكان الذي حصل فيه المصيبة، لا يلزم أن يكون جزعاً، لكن إذا كان مجرد الكره النفسي، هذا لا بأس به، لكن إذا إذا دخل في التشاؤم، فهذا يدخل في التشاؤم والتطير الممنوع الذي سبق معنا، أما الجزع فهو شيء ينافي الصبر، الجزع ينافي الصبر الواجب على قضاء الله وقدره، عند حلول المصائب.

قد يتعلق الصبر بوقت معين وقوعه من المصيبة.

نعم، يعني الصبر هو أعظمه عند البداية؛ ولذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الصبر عند الصدمة الأولى) كما ورد في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أتى إلى امرأة تبكي عند ميت، فلم تعرفه، أراد أن

يرشدها فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، فلما علمت أنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كأنها ندمت أو اعتذرت فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)، فالصبر الحقيقي وصبر أهل الإيمان هو عند الصدمة الأولى، وهل الصدمة هذه المصيبة قد تستمر أي لا يلزم أن تكون هذه المصيبة ساعة أو ساعتين أو يوم أو يومين، بل ربما تكون المصيبة تستمر من آثارها مع الشخص إلى أن يموت، فهو مطالب بأن يصبر عليها طول حياته وهو مأجور على هذا الصبر.

(ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)).

نعم، وهذا الحديث أيضاً يبين بعض علامات الصبر، (ليس من)، وسبق معنا شيء من هذه العبارات: أنه (ليس من) أن بعض السلف يعني ما يرى أنها تفصل حتى تكون أدعى وأزجر، وبعضهم ذكر أن معناها (ليس من) يعني ليس على سنتنا ولا على طريقتنا ولا على هدينا من فعل هذه الأمور، (ليس منا من ضرب الخدود)، هو خص الخدود؛ لأنها في الغالب تكون أقرب شيء لهؤلاء الجزعين أن يضربوا خدودهم، ولكن أيضاً لو ضرب أي شيء من جسمه فهذا داخل في الوعيد، كفعل الجهال الذين يضربون أجسادهم، وربما يختارون يوماً معيناً في السنة فيضربون أجسادهم ويدمون جلودهم ويكثرون من النحيب والنياح في يوم عاشوراء أو غيره، تجدهم يضربون أجسادهم بأنواع من الضرب، ويظهرون التسخط والجزع، والاعتراض على القضاء والقدر. والنياحة، ورفع الصوت، وذكر المحاسن ونحو ذلك من أفعال الجاهلية، هذا كله داخل في هذا الحديث، المنهي عنه، ليس النهي عن ضرب الخدود فقط، بل لو ضرب فخده أو ظهره أو بطنه أو رأسه أو نتف شعره أو فعل أي شيء من هذه الأفعال المؤذنة بالاعتراض على القدر، فهذا كله داخل في النهي: (ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب) والجيوب هو جمع جيب، وهما يدخل معه الرأس من الثوب، فيشق هذا الجيب، أو لو شق أي شيء من ثوبه إظهاراً للتسخط، فهذا أيضاً داخل في هذا الوعيد.

ثم ذكر عبادة عامة: (أو دعا بدعوى الجاهلية)، دعوة الجاهلية عامة، سواءً من الندب أو النياحة، أو التعصب للآباء والأجداد والقبائل وغير ذلك، كل هذه من دعاوى الجاهلية، ليس منا من فعل هذه الأمور التي هي حقيقتها صفات أهل الجاهلية، فمن دعا بدعوى الجاهلية بضرب الخدود أو شق الجيوب أو التعصب أو الطعن في الأنساب أو نحو ذلك، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (ليس من)، يعني: هؤلاء ليسوا على هدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، وليسوا على طريقته، وليسوا على منهجه، بل هؤلاء في الحقيقة متصفون بصفات أهل الجاهلية، بصفات المعترضين على قضاء الله وقدره، وهذا الجزع لا يزيدهم إلا حزناً ولا يزيدهم إلا نكداً؛ لأنهم في الحقيقة تسخطوا على قضاء الله –عز وجل–، ولم يرضوا بقضائه فهذا يكون عذاباً معجلاً لهم في الدنيا قبل يوم القيامة، الذي يتسخط ويجزع ويعترض على قضاء الله، وكأن الله –عز وجل– ظالم له، ونحو ذلك، فهذا في الحقيقة يعني خارج عن منهج الإسلام، وعن هدي النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

هل يدخل في ذلك: بعض الناس يلقي بما عليه من ملابس، ويخلع ملابسه، أو يلقي بغطرته على الأرض، في شق الجيوب يا شيخ يدخل في ذلك. .

هنا نص الحديث على بعض مظاهر الاعتراض، فأي اعتراض على القضاء والقدر، أي اعتراض نفي الصبر، فهو داخل في النهي، أي اعتراض حتى لو قلنا: لو أن إنساناً مثلاً بدأ يضرب الجدار مثلاً، يضرب الجدار إظهاراً للتسخط والجزع ونحو ذلك، هذا منهي عنه، لكن هنا نُصَّ على بعض المظاهر التي تحصل لكثير من الناس، ويقاس عليها غيرها مما يكون مظهراً للاعتراض على قضاء الله وقدره.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وعن أنس –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)).

هذا الحديث يبين فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- منزلة الصبر، والابتلاءات التي تحصل لأهل الإيمان، (إذا أراد الله بعبده خير عجل له العقوبة في الدني)، فتعجيل العقوبة ووجود المصيبة قد تكون خيراً للمسلم، تكفير لسيئاته وإزالة لذنوبه، فالمصائب والابتلاءات التي تحصل للمسلم يصبر عليها ويرضى ويسلم ويعلم أنها خير له، بأن الله -عز وجل- لا يقضي قضاءً للمؤمن، أو على المؤمن إلا كانت خيراً له، وقد ورد في الحديث: (لا يزال البلاء في المؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة)، فهذا دليل على عِظم جزاء البلاء، وأن هذه الابتلاءات خير للمؤمن، كما سبق معنا في الحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) هذا الابتلاء وهذا التعجيل للعقوبة هذا خير للمؤمن؛ لأن الله -عز وجل- يكفر عنه به السيئات.

والمصائب التي تصيب المؤمن لها آثار حميدة عليه، لها آثار طيبة عليه، من آثارها: أنها تكفر سيئاته وتمحو ذنوبه، ومن آثارها: أنها ترفع درجاته، وتزيد حسناته، فترفع درجاته عند الله -سبحانه وتعالى- بشرط أنه يصبر، فإذا صبر على هذه المصائب والابتلاءات فإنه يثاب على ذلك، ومن آثارها: أنها سبب في زيادة تعلق العبد بربه، وإنابته إليه، وإقباله على الله -سبحانه وتعالى-، فتجد هذا المصاب يكون عنده ذل لله -عز وجل-، ويكون عنده إعراض عن الناس، فيشعر بضعفه وعجزه وارتمائه بين يدي الله -عز وجل-، وحاجته إلى مولاه فهذه الابتلاءات تكسر كبريائه، وتكسر غروره، وتشعره بحاجته وفقره، وعبوديته وذله لله -عز وجل-، وهذه لها من الآثار العظيمة على إيمان الشخص الشيء الكثير، فهذه المحن قد تكون منحاً، يعني الله -عز وجل- يمنح عبده محنة ترفعه درجات بتكفير سيئاته وزيادة حسناته، وقوة إيمانه وإقباله على الله -عز وجل-، وتعلقه بمولاه وإعراضه عن الخلق؛ لأنه مع كثرة المصائب يعلم أن الناس لن ينفعوه بشيء ولن يضروه بشيء إلا ما كُتب له، فيستشعر القضاء، ويعلم عجزه ويستشعر حاجته وفاقته إلى الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، وهذه المصائب التي تصيب الإنسان هي في الحقيقة عبادة، فتعبده لله -عز وجل- بها تكون خيراً له، ويكون هذا الابتلاء علامة محبة له، ورفعة الدرجات عند الله -سبحانه وتعالى-.

قال: (وإذا أراد بعبده الشر) ماذا يعمل؟ قال: (إذا أراد بعبده الشر أمسك عنه) (أمسك عنه) يعني: أمهله وأخر عقوبته، يمسك عنه عقوبته ويؤخر عنه عذابه بذنوبه، فتجد هذا العبد يتمادى في معاصيه، وفي غفلته، وفي طغيانه، وفي تكبره، وفي إعراضه عن الله -عز وجل-، والله -عز وجل- ممسك عنه، لا يعجل له العقوبة، يمسك عنه، وهذا قد يكون من المكر له، ومن الكيد له، فالشخص هذا يغتر ويظن أن حاله صالحة فيستمر على غفلته، (وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه حتى يوافى بذنبه يوم القيامة) فإذا كان يوم القيامة تجد هذا الشخص يأتي وهو مستوفي لذنبه، ما كفر عنه شيء منها في الدنيا بسبب البلايا؛ لأنه ما أتته بلايا ولا مصائب تكفر عنه، فيوافي الله -عز وجل- يوم الْقِيَامَةِ، يأتي مستوفي الذنوب، فيستوفي منه العذاب يوم القيامة -والعياذ بالله- فيأخذ ما يستحق من العقاب، بخلاف المؤمن الذي تخفف من هذه الذنوب في الدنيا بسبب ما أصابه من البلايا والرزايا والمحن والمصائب، فأتى خفيفاً، حتى ورد في بعض الآثار: أن أصحاب الصحة يغبطون أهل البلاء يوم القيامة لما يرون من آثار هذا، حيث أنهم بسبب ما حصل لهم من الابتلاءات في الدنيا، أنهم يأتون يوم القيامة مكفر عنهم سيئاتهم خفيفة ظهورهم، قد يعني تخففوا عنها بما أصابهم في الدنيا من الابتلاءات والمحن.

هذا الحديث الحقيقة يفيدنا فوائد عظيمة منها:

- أن البلاء للمؤمن يكون خير. وهو من علامات الخير له، فلا يجزع، ولا يسخط في نفسه. كما أنه أيضاً لا يتسخط لأخيه الذي يُصاب، فالله -عز وجل- هو المبتلي -سبحانه وتعالى- يبتلي من يشاء بالسراء والضراء فنحن نعلم أن الله حكيم عليم -سبحانه وتعالى- إذا ابتلى عبده المؤمن فإنه يكون خيراً له بشرط الصبر، إذا صبر واحتسب على ما آتاه من مصيبة فإن هذا يكون خيراً له.

- أن المؤمن حي القلب، يخاف حينما لا يصاب في حياته بمصيبة ولا ببلية، وتكون عنده يعني صحة دائمة ونحو ذلك، فيخشى أن يكون استدراج، يخاف أن يكون استدراج ويبدأ يتفكر ويبدأ يحاسب نفسه أنه ما يظن أنه (كلمة غير مفهومة) كامل ولا يلزم هذا أيضاً أن الله -عز وجل- راض عنه، لأن الله -عز وجل- يملي ويمهل حتى للكافرين، ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤]، فلا يغتر المؤمن بل قد يعني يخاف من هذه الصحة الدائمة.

- أن الإنسان يكون حسن الظن بالله -عز وجل-. أن يحسن الظن بالله ويرضى بقضاء الله وقدره، سواءً فيما يصيبه أو يصيب غيره، فيعلم أن هذه المكروهات خير من الله -عز وجل- للعبد، والله -عز وجل- يقول: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فالمكاره قد تكون خير، وقد تكون المنح في المحن، وقد يكون الخير في الضراء وفي المصائب والبلايا، فالمؤمن يحسن الظن بالله -عز وجل-، فإذا أصيب بمصيبة صبر وأحسن الظن بالله -عز وجل- وعلم أنها خير له سواءً في الدنيا أو في الآخرة؛ لأن كل ما يصيب المؤمن من مصيبة فهي خير له بشرط الصبر لله -عز وجل- في ذلك المصاب.

أحسنتم وبارك الله فيك، أنا أستأذنك الآن في هذا الوقت بأن نستعرض إجابات الإخوة والأخوات حول أسئلة الدرس الماضي.

طيب قبل هذا أنا أحب أن أطرح سؤال إن أتى الجواب عنه قبل نهاية الحلقة أو نجيب عنه، وهو مسألة يطرحها بعض أهل العلم وهي عن أيهما أفضل: الغني الشاكر أو الفقير الصابر؟ أيضاً مسألة أخرى.

يعني تلزم تعليل يا شيخ، تطلب تعليل لذلك يعني؟.

نعم، أفضل يعني التعليل يبين لنا لأن هذا فهم، أيضاً لفرق بين الرضا والصبر؛ ولعله يأتي الجواب عنه وأيضاً هناك صبر اختياري وصبر اضطراري، وسيأتي -إن شاء الله- الحديث عنها.

الشيخ طرح سؤال: كم أنواع الصبر؟ السؤال الأول هذا: وأجابت عنه الأخت تقول: الصبر ثلاثة أنواع:

أعلاها: الصبر على طاعة الله.

ثم: الصبر عن معصية الله.

ثم: الصبر على أقدار الله.

الأول: الصبر على طاعة الله. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٤]، وهذا من الصبر على الأوامر ؛ لأنه إنما نزل عليه القرآن ليبلغه فيكون مأموراً بالصبر على الطاعة.

الثاني: الصبر عن معصية الله. كصبر يوسف -عليه السلام- عن إجابة امرأة العزيز حيث دعته إلى نفسها في مكانة لها فيها العزة والقوة والسلطان عليه، ومع ذلك صبر، وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

الثالث: الصبر على أقدار الله. كقوله: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨]، يدخل في هذه الآية حكم الله القدري، كقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لإحدى بناته: (مرها فلتصبر ولتحتسب).

قالت: أنواع الصبر ثلاثة:

الصبر على طاعة الله: قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

ثانيًا: الصبر عن المعصية: وهي أشق على الإنسان كصبر يوسف -عليه السلام- عن إجابة امرأة العزيز.

ثالثًا: الصبر على أقدار الله: قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨].

قال: أنواع الصبر ثلاثة:

- صبر على ما أمر الله به.
- وصبر عن ما نهى الله عنه.
- وصبر على ما قدره الله من المصائب.

قال:

- الصبر على فعل الطاعات.
- الصبر على ترك المحرمات والمعاصي.
- الصبر على المصائب.

نعم ما ذكره الإخوة والأخوات صحيح، وهو أن الصبر يمكن أن يقسم ثلاثة أقسام:

- صبر على الطاعة.
- وصبر عن المعصية.
- وصبر على أقدار الله والمصائب التي تصيب الإنسان.

فالنوع الأول: الصبر على الطاعة: هو الصبر على ما فرضه الله -عز وجل- من الطاعات والأوامر فيصبر على أدائها، يصبر على أدائها وابتلاءتها ويصبر أيضاً على إتقانها وتحسينها وأن يؤديها كما أمر الله -عز وجل-.

والنوع الثاني: الصبر عن المعصية: وهو منع النفس عن المحرمات، وعن ما نهى الله -عز وجل- عنه، فيصبر عن المعاصي، ولاسيما عند شدة الشهوة، وقوة الرغبة، والداعي إليها، فيكون هنا أعلى، يعني الصبر يكون أعلى عند قوة الداعي؛ ولذلك صار من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)، (رجل دعته امرأة) الرجل حينما يصبر عن هذا الحرام سواءً كانت امرأة ذات منصب أو وجمال أو لم تكن، فهو مأجور على ذلك، وصابر عن ما حرم الله، لكن حينما تقوى الشهوة الداعي فيكون هذا أعظم منزلة في الصبر؛ ولذلك كانت منزلة يوسف -عليه السلام- وصبره، من أعظم الصبر في هذا، وذكر أيضاً ابن القيم -رحمه الله- وشيخ الإسلام عدة عوامل، دلت على عظم هذا الصبر، كونه غريباً، وكونها هي الداعية، وكونها ذات منصب، وكونها امرأة العزيز، وغير ذلك من الأسباب، ومع ذلك صبر وقال: إني أخاف الله، وقال: ﴿ قَالَ مَعَاذَ الله ﴾ [يوسف: ٢٣].

أيضاً حينما يخف الداعي للمعصية فيقع الإنسان في المعصية يكون أشد عقوبة، كما في حديث: (شيخ زان، وعائل مستكبر...)، فالعائل: هو فقير ومستكبر، فليس هناك داعي للكبر ومع ذلك يتكبر، فعل المحرم فيكون أشد عذاباً إلى آخر الحديث.

المهم أن الصبر عن المعصية من منازل أهل الإيمان، وهو من أنواع الصبر والتقوى، هذه أعظم الأجر حينما يقوى الداعي إلى المعصية، فيصبر الشخص نفسه ويمنع نفسه عما حرم الله.

النوع الثالث: هو الصبر على أقدار الله المؤلمة، والصبر على المصائب التي تصيبه، فهذه أيضاً منزلة من أو نوع من أنواع الصبر، فالإنسان مصاب بمصائب كثيرة في هذه الدنيا، يصاب في ماله، ويصاب في نفسه، ويصاب في ولده، والله -عز وجل- يبتلي عباده لينظر الصابرين، كما قال -عز وجل-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧] فلهم جزاء في الدنيا والآخرة بسبب صبرهم ورضاهم بقضاء وقدره.

فالله -عز وجل- يبتلي الناس بهذه المصائب، وهذه البلايا في أنفسهم وفي أهليهم، وفي أموالهم، فهنا يظهر أهل الإيمان على حقيقتهم، في مثل هذه المواطن يعني السبب ليس دعوى كما سبق معنا، أن المحبة ليست دعوى أيضاً، الصبر ليس دعوى، الصبر عمل تظهر آثاره على الشخص، فمثلاً تجد إنسان عنده أموال فيصاب في ماله، يخسر مثلاً ماله، كما يحصل في واقع كثير من الناس، هنا تظهر حقيقة الصبر، وتظهر حقيقة الإيمان، فالمؤمن يصبر يحتسب عند الله -عز وجل-، يعلم أن هذه مصيبة أصيب بها من رضي وصبر أتاه الأجر من الله -عز وجل-، وإن جزع فإنه يأثم ويعذب في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الجزع ما يصيبه إلا غيظاً ونكداً في حياته، فإذا أصيب في ماله تجد أهل الإيمان يرضون بقضاء الرحمن، ويطمئنون ويصبرون ولا يتجزعون ولا يتسخطون، أما ضعاف الإيمان: فتجد عندهم من الجزع والتسخط ما يؤثر على حياتهم، وعلى دينهم، حتى إن منهم من يفقد عقله -والعياذ بالله- قد يفقد عقله وتنهار نفسه وتضطرب حاله، ويعيش حياته كعيشة البهائم والعياذ بالله؛ لأنه ما صبر، أتته مصيبة ما استطاع أن يصبر. وأما إذا جاءت هذه المصيبة لأهل الكفر فتجد أحيانًا ليس أمامه إلا أن ينتحر، ويقضي على حياته، يقضي عليها بالأساليب المتنوعة في الانتحار والقضاء على الحياة، وهذا مظهر من مظاهر التسخط، مظهر من مظاهر الجزع وعدم الصبر، وهو أعظمها، فسبحان الله!

الإيمان له أثر عظيم على سعادة الإنسان وعلى طمأنينته، حتى الكفار يعترفون بذلك، أحد الأطباء الكفار يقول: إن أقل الناس إصابة بالأمراض النفسية والعصبية هم المتدينون، طيب التدين هو العامل، فالمتدين والمؤمن بالله -عز وجل- ما تأتيه هذه الأمراض إلا ما ندر، لكنها تكثر عندما يضعف الإيمان، وانظر الآن إلى مستشفيات المصحات النفسية والعصبية تكثر في بلاد الكفر، وتكثر أيضاً في بلاد الإسلام حينما يضعف الإيمان،

والناس يبتعدون عن الله -عز وجل- وعن شرعه، ويأتيهم نكد الحياة، فلا يستطيعوا أن يصبروا، فيصابون بأنواع المصائب والبلايا من الأمراض النفسية والعصبية وتجد هذه الأمراض تؤثر على قلوبهم وعلى صحتهم، وعلى عقولهم، وعلى نفسياتهم، وعلى علاقاتهم بغيرهم، والسبب في ذلك قلة إيمانهم، أو ضعف رضاهم بما قسم الله، وبما قدر الله -سبحانه وتعالى-، فلا يستطيعون أن يواجهوا مصائب الحياة والابتلاءات التي تنزل بهم، فيصابون بأنواع المصائب، فتكون هذه عقوبات معجلة قبل العقوبات التي تنتظرهم بسبب تسخطهم وجزعهم واعتراضهم على قضاء الله.

المهم أن الإنسان يتصبر، ومن يتصبر يصبره الله، ويحاول أن يروض نفسه، ويسلي نفسه، بأنه مجزي على صبره، المؤمن مما يسليه ويعينه على الرضا أنه يتطلع إلى الدار الآخرة، يعلم أن هذه الدنيا دار ممر، أنه مبتلى في هذه الدنيا، أن الدنيا مزرعة الآخرة، أن الدنيا حياة قصيرة، ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فيعلم أنه ما يصاب به في هذه الدنيا سيعوض عنه يوم القيامة، هذا تعويض يسد النقص الذي شعر به في نفسه، زال ماله، ذهب ولده، حصل له مصيبة، يعلم أنه إذا صبر؛ الله -عز وجل- سيعوضه، الله -عز وجل- عالم -سبحانه وتعالى- وعليم بما كان وبما سيكون، فإذا صبر واحتسب فإن له العوض عند الله -عز وجل- وإذا تسخط وجزع فله السخط، وهذا كما قلنا: من أسباب انهيار نفسيات وأعصاب وعقول الكافرين، ومن شابههم من ضعاف المؤمنين، أنهم لا يتطلعون ولا تسلون بما سينالهم عند الله -عز وجل- يوم القيامة.

والصبر لا شك فيه قوة تربية للنفس على قوة التحمل، يعني إذا صبر الإنسان على مصيبة الآن، ثم أتته مصيبة أعظم، وهو قد سبق أن صبر في مصيبة أخف منها لا شك بأن هذا يعطيه تربية في أن يترقى المصائب بقدر كبير من التحمل.

تقول: هل هناك دعاء يدعوا به الإنسان يجعله الله من الصابرين؟.

تقول: معروف أن مرتبة الرضا أعلى من مرتبة الصبر، ما هي الأسباب والوسائل التي يدعم بها المؤمن نفسه المبتلى حتى يصل إلى مرتبة الرضا بقضاء الله وقدره؟

بالنسبة للحديث الذي ذكره الشيخ، ذكر: الزاني والفقير ولم يذكر لنا الثالث الذي لا ينظر إليهم، من هو الثالث في الحديث؟.

تقول: هل من دعاء يدعو به الإنسان حتى يستعين به أو يجعله الله -عز وجل- من الصابرين؟.

طبعاً هو دعاء قبل المصائب، ودعاء بعد المصيبة، فالدعاء بعد المصيبة كما سبق معنا في الآية: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦]، فهذا يشرع الإنسان أن يقوله حينما يصاب بمصيبة.

كذلك ورد في حديث أن من أصيب بمصيبة فقال: (اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلفه له خيراً منه) قالت أم سلمة: فلما مات أبو سلمة قلت ذلك: ثم قلت: من يأتي خير من أبي سلمة، فتزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فهذا أيضاً من الدعاء الذي يقال.

وقبل أن تُصاب أو أن يُصاب الشخص بمصيبة أيضاً يدعو بأن الله -عز وجل- يجعله من الصابرين، وفي الحديث: (اللهم إني أسألك خشيتك بالغيب والشهادة، وأسألك كلمة حق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت...) إلى آخر الحديث، فهذا من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم- يدعوا به الإنسان دائماً.

تقول: من لا ينظر الله تعالى إليهم؟.

ورد هو الحقيقة عدة ألفاظ، ألفاظ كثيرة: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: ((شيخ زان، وعائل مستكبر، وملك كذاب)، وورد ممن لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ورد أيضاً: الديوث، وورد أيضاً: المنفق سلعته بالحلف الكاذب، وورد أيضاً: المسبل، وورد أيضاً: المنان، في ألفاظ كثيرة من الأحاديث.

إجابة السؤال الآخر حول حكم الصبر والرضا بما قدره الله -تعالى- هذه إجابة من الأخ يقول: الرضا بقضاء الله واجب بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-: (من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط) فقابل الرضى بالسخط، وهو عدم الصبر على ما قدر الله من المصائب الكونية القدرية، فله السخط، أي: صار عليه السخط باستحقاقه له.

تقول: حكم الصبر هو واجب، حيث أن ما يصيب الإنسان هو من مشيئة الله تعالى، ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله ﴾ [التغابن: ١١]، أي بمشيئته وإرادته وحكمته، ولحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت) فهذان دليلان من الكتاب والسنة على وجوب الصبر.

الآن في حكم الصبر، الصبر واجب يجب على المسلم أن يصبر على ما قدره الله وقضاه، بالنسبة للمصائب التي تصيبه كما يجب عليه أن يرضى بحكم الله الديني الشرعي، بالأوامر والنواهي، يجب عليه أن يرضى بما حكم الله به وقدره وقضاه وشرعه، من المأمورات ومن المنهيات، فلا يجوز لأحد أن لا يرضى بالحكم الشرعي الذي هو التشريعات، أما بالنسبة للصبر فيجب على الإنسان أن يصبر على الواجبات، ويصبر أيضاً على أقدار الله المؤلمة، أما الرضا فهو أعلى منزلة من الصبر، كما ذكرت الأخت، والرضا هو في الحقيقة يعني عدم الكراهية، وقال بعض أهل العلم: إن الراضي هو لا يتمنى يعني غير حاله، الراضي لا يتمنى غير حاله، بخلاف الصابر، فقد يكون الإنسان يصبر لكن يتمنى غير حاله، ولكنه صابر، فهو أتى بالواجب، أما الراضي فإنه لا يتمنى غير حاله، فالصبر دون الرضا؛ ولأنه قد يصبر وإن لم يرضى، قد يصبر الشخص وإن لم يرضى، إذن عندنا مراتب:

- أعلى مرتبة الشكر: الشكر هذه أيضاً قالوا أهل العلم: أنه أعلى من الرضا، يعني الإنسان يصاب بمصيبة فيشكر الله -عز وجل- ويحمده -سبحانه وتعالى- على ذلك.

- بعدها الرضا.

- بعدها الصبر.

- وأقل مرتبة وهي المرتبة المحرمة هي: التسخط على قضاء الله وقدره.

يقول: حول حكم الصبر، يقول: اختلف العلماء في حكم الصبر والرضا بما قدره الله على قولين:

القول الأول: الوجوب، وهو اختيار ابن عقيل، واستدلا بحديث الباب على وجوب الرضا، وهو قوله: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله -تعالى- إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) رواه الترمذي.

القول الثاني: عدم الوجوب، وهو اختيار القاضي ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم، قال شيخ الإسلام: ولم يجيء الأمر به، أي بالرضا كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه، قال: وإنما ما يروى "من لم يصبر على بلائي ولم يرضى بقضائي فليتخذ رباً سواي"، فهو إسرائيلي لم يصح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

تقول: إذا تكرمت سؤالي يختص بدروس سابقة، الذي هو: قول القائل: اعتمدت على الله ثم عليك، هل ثم محذوف، وأيضاً حكم الطيرة واللام الواضحة في الحديثئ، هل هي للنهي أم للنفي؟.

تقول: هل هناك دعاء وارد عن سيدنا موسى -عليه السلام- ؟.

ما أدري، أنا قرأت كتاب قبل فترة هل هناك دعاء مثلاً أي بلاء أو كذا، يقال هذا الدعاء وبعد كدا يعني.

أختي الكريمة أنت تسألين عن دعاء يتعلق أو فيما يتعلق بالصبر أو بنزول البلاء؟.

نعم، هو يعني دعاء سيدنا موسى وكما دعاء لسيدنا عيسى عليهما السلام؟.

الأخت الكريمة لها سؤال حول درس سابق تقول: الاعتماد.

حقيقة بودنا ونأمل أن نضع درس خاص للأسئلة في نهاية الدروس سواءً أسئلة عن ما سبق من الدروس أو أسئلة عامة في العقيدة، لكن درس ما دام سألت الأخت، سبق أن ذكرنا بالنسبة للاعتماد إذا كان المقصود به عمل القلب، فينبغي أن يكون عمل القلب لله -سبحانه وتعالى- وحده، لا أن يشرك به أحد، أما قصد بالاعتماد التوكيل، توكيل الشخص بفعل الأسباب الظاهرة، فهذا جائز مع اعتماد القلب على الله وحده سبحانه، وسؤالها عن "لا" هل هي نافية أو ناهية، قلنا بالنسبة للتطير، لا طيرة، قيل نافية وقيل ناهية، والنفي هو الأصح وهو الأولى وهو الأكمل وهو نفي متضمن للنهي والزيادة.

تسأل عن دعاء لموسى -عليه السلام- ولعيسى -عليه السلام- حول.

ما أعرف شيء، ما عندي علم بدعاء عن موسى -عليه السلام- ولكن أنصح الجميع بكتاب جيد في هذا الموضوع، وهو كتاب للإمام ابن القيم -رحمه الله- اسمه: "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، كتاب يتكون من مائتين صفحة تقريباً وذكر فيه الآثار، والأحاديث، والآيات، والتقسيمات، وبعض الأحكام المتعلقة في هذا الموضوع.

نأخذ التعليق حول إجابة الأخ حول الرض.

ذكر العلماء -رحمهم الله- أن الصبر واجب، والرضا اختلفوا فيه: وكما قلنا أن الرضا الذي رجحه شيخ الإسلام وابن القيم -رحمه الله- أنه مستحب، وإن قال بعض أصحاب الإمام أحمد: إنه واجب.

نأخذ ما تبقى من هذا الباب، حتى نتفرغ إلى مجموعة من الأسئلة وفي الموقع عندي.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وقال -صلى الله عليه وسلم-: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله -تعالى- إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط) حسنه الترمذي).

هذا الحديث يبين لنا فضيلة الصبر على البلاء، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء) يعني كل ما كان الابتلاء أعظم كان الجزاء أعظم وأكثر، فالله -سبحانه وتعالى- يجعل هذه المصائب سبباً للثواب، تكون هذه المصائب التي تصيب الإنسان سبب للثواب، وبعض العلماء يرى أن المصائب هي للتكفير فقط، تكفير السيئات كما رجحه ابن القيم -رحمه الله-، يرى لتكفير السيئات، وليست للثواب، وهذا الحديث مما يحتج به على أن المصائب أيضاً قد تكون سبباً لزيادة الحسنات.

وورد في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل) يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في الابتلاء، وهذا دليل على أن الصالحين وأن الأنبياء وغيرهم يبتلون، فالابتلاء ليس دليل على هوان العبد على الله، بل قد يبتلي الله -عز وجل- الخُلَّص من عباده، قد يبتلي من يحبهم، وهذا هو صريح هذا الحديث، (وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم) فالله -عز وجل- قد يبتلي أحبابه ويبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وحتى ترتفع درجاته عند الله -سبحانه وتعالى-.

فالله -عز وجل- يبتلي من يحبهم ليرفع درجاتهم، ويكفر سيئاتهم.

قال: (فمن رضي فله الرضى) يعني الذي يرضى بقضاء الله وقدره، وما ابتلاه الله -عز وجل- به، فله الرضى من الله -سبحانه وتعالى-، الله -عز وجل- يرضى عن من يرضون على ما يصيبهم من الابتلاءات والمصائب، فمن رضي منهم فالله -عز وجل- يرضى عنه، والرضا يعني عدم الاعتراض على الحكم، وعلى القضاء، الرضا يعني عدم الاعتراض على ما قدره الله -سبحانه وتعالى-، وحكم به وعدم التسخط، وعدم الكراهية لما قضى الله -عز وجل-.

(ومن سخط فله السخط) يعني من تسخط على ما قدره الله، فله السخط من الله -عز وجل-، وله العقوبة من الله جزاءً وفاقاً، جزاءً لتسخطه على ربه -عز وجل-، فإن الله يسخط عليه ويعاقبه فتكون هذه الابتلاءات عقوبة إضافة إلى ما يأتيه من العقوبة في الدار الآخرة.

والمقصود بهذا أن الله -عز وجل- يبتلي أهل الإيمان كما يبتلي أهل الكفر والعصيان، كل إنسان يبتلى في هذه الدنيا، لكن الفرق بين الاثنين أن أهل الإيمان يصبرون ويحتسبون فيؤجرون وتكفر سيئاتهم وترفع درجاتهم ويطمئنون ويسعدون في الدنيا والآخرة، أما أهل الكفر والعصيان فإن هذه العقوبات والبلايا تكون من العقوبات المعجلة إضافة إلى ما يأتيهم من العقاب عند الله -عز وجل- جزاءً لما اقترفوه ومن التسخط على قضاء الله وقدره.

فالواجب على المسلم أن يصبر، أن يصبر ويحتسب والصبر كما قال أهل العلم: فيه صبر اختياري وفيه صبر اضطراري وهذه كلها أيضاً فيه نفسي وفيه جسدي، والإنسان المؤمن عنده صبر اختياري، في جسده وفي نفسه، فهو يصبر على ما يصيبه، ويصبر على طاعة الله ويصبر عن معاصي الله، فيصبر ويحتسب، أما الصبر الاضطراري فهو حينما تنزل المصيبة وليس أمام الإنسان إلا أن يصبر، أما حبس النفس عن المعصية فهذا صبر اختياري، وهو صبر الكرام، وهناك صبر اللئام، كما يقول ابن القيم -رحمه الله-، وهناك صبر اللئام، الكرام يصبرون على طاعة الرحمن، ويصبرون عن معصية الله، ويصبرون على أقدار الله برضاه، هذا صبر الكرام،

أما صبر اللئام: فتجدهم يصبرون على ما لابد لهم منه، أو يصبرون على المعصية -والعياذ بالله- تجد اللئيم من أصبر الناس على المعصية، يذل نفسه في معصية الله، يذل نفسه للخلق؛ لأجل أن يصبر على المذلـة، وعلـى المهانة؛ ليتوصل إلى المعصية، ولكنه لا يذل نفسه في طاعة الله وفي سبيل الله، تجده ينفق أموالاً كثيرة في سبيل الشيطان، ولا ينفق قليلاً في سبيل الرحمن، هذا فرق بين صبر الكرام وصبر اللئام.

صبر الكرام صبر أهل الإيمان، صبر لله وصبر بالله، وصبر مع الله، أما صبر اللئام فإنهم يـصبرون علـى المعصية يصبرون لأجل شهواتهم، هذا هو صبرهم.

جميل هذه الإشارة، يعني التوقف حولها يعني مهم خاصة أن الإنسان دائماً أهل الخير يواجهون بشيء مـثلاً من المضايقة أو من الرفض كذا ويثقل الشيطان عليهم هذا الصبر، بينما أهل الشر كما ذكرت فضيلة الشيخ قبل قليل: أن الإنسان يصبر على إهانة، على جهد كبير، على مشقة حتى يحصل على هذه المعـصية، علـى هـذه الشهوة.

أحسنت، مما يدل على ما تفضل به يعني قوله تعالى عن لقمان: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْـهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، قال بعدها: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ ؛ لأن من يفعل ذلك يعني قد يأتيه شيء من الكلام، أو شيء من الأذى، تجد اللئام يعني يصبرون على المذلة والمهانـة فـي سـبيل المعصية، ويصبرون في سبيل شهواتهم على مذلة الناس لكن أحدهم لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكـر، يربى بنفسه أن يسمع كلمة، يرى أن فيها إهانة له، فسبحان الله يعني حينما تنتكس المفاهيم، تجد الصبر في سبيل الشيطان، الصبر في سبيل المعصية، ولا تجد صبراً في سبيل الطاعة، وهذا هو الذي أشار إليه بعض أهل العلم، وهو الصبر مع الله، يعني الصبر على ما يحبه الله -عز وجل-، الصبر مع ما يحبه الله، ليس الصبر مع شهوات النفس، الصبر مع ما يحبه الله، وهو صبر بالله، ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]، يعني يعتـصم بالله يعني تجده يعلم أن صبره إنما يكون بالله، بإعانة الله -عز وجل-، فيصبر لله مخلصاً، وهـو يستـشعر أن صبره بالله -سبحانه وتعالى-، ويعتصم به -عز وجل-.

تقول: ما حكم من قال: فلان ما يستاهل كذا أو كذا؟ ؟

يعني أشرنا إلى هذا فيما سبق أن يقولون: أن فلان ما يستاهل كذا، إذا كان يعني، كأن معناه: لماذا الله -عـز وجل- يفعل هذا الأمر بفلان؟ لماذا لم يفعل بفلان كذا؟ هذا في الحقيقة فيه شيء من الاعتراض على قـضاء الله وقدره، يعني هذا مثل الذي يقول: لماذا الله يعطي الكفار، لماذا الكفار كذا وكذا، والمؤمنين كذا وكذا؟ لماذا هؤلاء عندهم مجاعة ونحو ذلك، والكفار يتنعمون، -سبحان الله- إن الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، والدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فالله -عز وجل- حكيم عليم، فكون هذا الشخص يقول: فلان ما يستاهل، ليش الله يعمل كذا؟ أو ليش فلان كذا، هذا تدخل في سر القدر، كأنه يقول: لماذا أضل الله فلان وهدى فلان؟ ليش ما صار العكس؟ لماذا أغنى الله فلان وأفقر فلان؟ ليش ما صار العكس؟ ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَـمُ أَمِ اللهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟ فالله -عز وجل- أعلم وأحكم في قضائه وقدره.

تقول: هل البكاء على الميت حزناً على فراقه ينافي الإيمان؟.

ذكرنا في ما سبق أن الحزن على الميت والرحمة والرأفة لا يعد جزعاً وتسخطاً ما دام في هذه الدائرة، أمـا إذا خرج إلى التسخط والجزع والاعتراض على القضاء والقدر والندب للميت ونحو ذلك أو شق الجيوب أو اللطم أو نحو ذلك فهذا هو المحرم.

تقول: ما حكم النعي للميت، يقولون: نعي فلان، أو ننعي إليكم فلان، فما الحكم؟.

قال العلماء: إذا كان النعي للندب وإظهار المحاسن فإنه لا يجوز، أما إذا كان للإعلان بموته لأجل أن يصلي الناس عليه أو لأجل أن يعطى الناس حقوقهم إذا كان عليه حقوق فهذا جائز.

تقول: ما الفرق بين اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله؟.

اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، يعني هذا في الدرس السابق، اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، قال بعض العلماء: إن اليأس من روح الله هو يعني استبعاد الرحمة والقنوط من رحمة الله أحدهما استبعاد لحصول المطلوب والآخر استبعاد لزوال المكروه.

يقول: ما هي الأمور التي تعين الإنسان على الصبر؟.

استشعاره للأجر، يستشعر أنه إذا صبر سيأتيه أجر من الله –سبحانه وتعالى–، تمسكه أيضاً بتنمية الإيمان في قلبه، للرضا بما يقدر الله –عز وجل–، أنسه بالله –سبحانه وتعالى– علمه أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء مقدر قبل أن الله –عز وجل– قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكل شيء مكتوب وهذا يجعل الإنسان يرضى ويسلم ويطمئن ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه.

تقول: قلت في بداية الدرس أن الصبر شقان: صبر باطن، وتم شرحه، فما الصبر الآخر؟ وهو الصبر الظاهر؟.

الصبر الظاهر قلنا: إنه حبس اللسان، يعني الظاهر هو ما يراه الناس أو يسمعونه باللسان أو بالجوارح، فصبر الظاهر: هو حبس اللسان عن عبارات التسخط والجزع، وحبس الجوارح عن حركات التسخط بالضرب والشق ونحو ذلك، أما الباطن: فهو منع النفس عن التسخط الداخلي، والجزع الداخلي.

تسأل عن: حكم شرب القهوة والشاي إذا ذهب الإنسان لتعزية شخص، وقدم له صاحب البيت شيئاً من ذلك، وكذلك هنا سؤال مشابه، يسأل عن من يجلس في يجلس في بيوت التعزية التي تتخذ عند أغلبية الناس فهل يعتبر هذا من عدم الصبر؟ نرجوا توضيح هذه النقطة فضيلة الشيخ؟.

أما شرب القهوة والشاي فلا بأس به، هذا مما جرت به العادة ولكن المحذور أن تقام السرادقات للعزاء وأماكن مخصصة للعزاء فيجتمع فيها وهو كما يحصل في بعض البلاد، ويأتون بقارئ القرآن، ويجتمعون على هيئة معينة ونحو ذلك، ولبس معين، وبعض الناس لا يفرق، ما يدري حتى يسأل هل هذا فرح أم ترح، هل هذا عزاء أم زواج، وربما أيضاً هم يكلفون بصناعة الطعام، والغذاء بمن يأتيهم، مع أن السنة أن يصنع لهم طعاماً كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (يُصنع لآل جعفر طعام، فقد أتاهم ما يشغلهم)، لكن تجد عند بعض الناس تجدهم يشتغلون، أهل الميت عندهم مصيبة، ويشتغلون بالضيافة لمن يأتيهم، وإقامة مثل هذه الأمور.

صارت في بعض الأماكن مجال للتباهي والتفاخر بين الناس.

نعم، وأيضاً حسب ما نسمع أحيانًا يكون هذا من مال الميت، وقد يكون له قصر، وهذا لا يملكه هؤلاء؛ لأن المال أخذ بغير علم، وأخذ أيضاً بطريق محرمة، بهذه البدعة، ومع الأسف أيضاً قد يوجد في بعض البلاد شركات مخصصة لإقامة هذه الأماكن للعزاء، وترسيخ هذه البدعة.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ، كنت طرحت سؤال يا شيخ حول الفرق بين الغني الشاكر والفقير الصابر، نأخذ بعض هذه الإجابات:

تقول: بالنسبة للفرق بين الغني الشاكر والفقير الصابر، فالفقير الصابر أفضل عند الله من الغني الشاكر؛ لأنه صَبَرَ ورضي بالفقر، والصبر أفضل من الشكر هنا، أما بالنسبة للفرق بين الصبر والرضا، بالصبر واجب في جميع حالاته.

يقول: الغني الشاكر أفضل؛ لأن نعم الغنى لم تنسه الشكر.

عرض له ابن القيم -رحمه الله- وذكر موازنة بين الطائفتين وذكر مناظرة فأهل الغنى أتوا بالأحاديث التي تمدح الغنى والصدقة والإنفاق وفضله، وقالوا: نحن نختص بذلك، وأهل الفقر أتوا بالأحاديث التي تبين فضل الصبر وأن الفقراء يعني أكثر أهل الجنة، ونحو ذلك، وذكر موازنة في قرابة مائة صفحة، وذكر يعني الأحاديث التي يحتج بها هؤلاء وانتهى إلى القول بأن أفضلهما: أتقاهما، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فمن كان أتقى فهو أفضل سواءً كان غنياً شاكراً أم فقيراً صابراً.

تقول: كلاهما مبتليان فالغني مبتلى بنعمة ويمتحن أيشكر أم لا؟ والفقير الصابر هو مبتلى بفقر قدره الله عليه، فإن صبر كان له الأجر وكلاهما الفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى.

قال: الغني الشاكر أفضل؛ لأن عنده وصف وعوامل حصول على المعاصي وفعلها، رغم هذا شكر، أما الفقير الصابر كالمحاصر عن فعل المعاصي لعدم القدرة عليها، والله ذم الطغاة في كتابه بسبب أن استخدامهم للنعمة في المعاصي ولأنها هي سبب فتنتهم.

أسئلة الدرس القادم.

السؤال الأول: ما الموقف الصحيح من خطأ العالم؟

السؤال الثاني: متى تكون طاعة العلماء في المعصية كفراً؟

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين نبينـــا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد تطرقنا في الدرس الماضي على ما يتعلق بالصبر وأحكامه، وعرفنا أن الصبر له مزية عظيمة وفــضيلة كبيرة، وأن الصبر ثلاثة أنواع:

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة وما يصيب الإنسان من مصائب وابتلاءات. وأن المسلم يحرص على أن يكون من الصابرين الذين يحبهم الله –سبحانه وتعالى – ويرفع درجاتهم، وأن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية هو حقيقة أعلى درجة من الصبر على أقدار الله؛ الــصبر علـــى الطاعة أفضل من الصبر على أقدار الله المؤلمة، وإن كان الكل واجب.

وعرفنا أيضًا الفرق بين الصبر والرضا، وأن الصبر واجب، والرضا مستحب على الصحيح من أقوال أهــل العلم.

والصبر منه ما هو واجب –هذا في الأصل وفي التقسيمات السابقة– وقد يكون مستحبًا، وقد يكون مكروهًـــا، وقد يكون محرمًا على تفريعات أخرى ليست داخلة في التقسيمات السابقة.

فمثلًا: الصبر على المحرم محرم، والصبر على المكروه مكروه، وإنما نحن نتكلم عن التقسيمات السابقة؛ وهي الصبر على الطاعة وعن المعصية؛ الصبر على الطاعة الواجبة يكون واجبا، والصبر على الطاعـــة المـــستحبة يكون مستحبًا، والصبر عن المعاصي واجب، والصبر على الأقدار المؤلمة واجب.

وعرفنا فيما سبق في الدرس الماضي المنزلة العظيمة التي جعلها الله –سبحانه وتعالى – للصابرين.

في هذا اليوم –إن شاء الله تعالى– نبدأ بدرس جديد وهو يلي الدرس الماضي وهو ما يتعلق بالرياء وحكمه.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ. كنت في الدرس الماضي وجهت سؤالين فضيلة الشيخ حول باب كنا نظــن أنـــا سنأتي إليه، فهل سنأتي إليه فضيلة الشيخ ؟

في الحقيقة كان السؤالان السابقان متعلقين بالبابين القادمين؛ بالدرس القادم. أما هذا الدرس فلا علاقة له بمـــا طرحنا من السؤالين الماضيين، ولعلنا نطرح الآن سؤالا ممكن للمشاهدين والمستمعين أن يجيبـــوه الآن، وهـــو يتعلق بالرياء. السؤال إن كان يصاغ على الآتي:

كيف يعرف الشخص أنه مخلص أو مرائي؛ ما هي العلامات التي بها يزن الشخص عمله ويعرف أنه مخلص أو مرائي ؟

لعل هذا السؤال يكون أوثق بهذه الحلقة.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ. قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب: ما جاء في الرياء، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].)

عقد المؤلف -رحمه الله تعالى- هذا الباب في كتاب التوحيد لبيان ما جاء في الرياء من الوعيد الشديد؛ لأن الرياء في الحقيقة منافٍ للإخلاص الواجب؛ الإخلاص في العبادة؛ ولأن عدم الإخلاص منافٍ لكمال التوحيد أهل التوحيد يحرصون على إخلاص أعمالهم لله -عز وجل- ولا يجعلون فيها شيئًا لمخلوق، والمرائي في الحقيقة لم يحقق التوحيد، وأخل بتوحيده الواجب؛ ولذلك عقد المؤلف -رحمه الله تعالى- هذا الباب لبيان الوعيد الشديد في المرائين.

والرياء في حقيقته: أن يظهر الإنسان عملًا للناس، وهو في الحقيقة يضمر شيئًا خلافه؛ يعني يعمل العمل على صفة وهو يضمر في قلبه خلاف تلك الصفة يظهر صفة أخرى أو نية أخرى؛ فهو في الظاهر يعمل لله ومخلص لله، وهو في الباطن مراقب للمخلوقين والمحرك له هو المراءاة وقصد المدح والمكانة في نفوس الخلق؛ يعمل ليكون له مكانة ويذكر ويمدح ونحو ذلك من قوادح الإخلاص، فعمله في الحقيقة رياء وسمعة وليس لله -عز وجل-.

يمكن أن نسأل مثلا: ما الفرق بين الرياء والسمعة؟ هل هما لفظان لشيء واحد أم أن لكلٍ منهما معنى يخصه -لأننا دائمًا نسمع أن تقرن السمعة بالرياء فما الفرق بينهما-؟

نعم

الرياء أوسع من السمعة؛ لأن السمعة من الرياء

ما هي السمعة؟

السمعة مثلًا: أن يضاعف من العمل لأجل أن يسمع الناس به ولذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به) .

أحسنت.

يمكن أن نقول: إن الفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء يكون بالأعمال، والسمعة تكون بالأقوال. فالرياء من الرؤية، والسمعة من السماع؛ ولذلك في الحديث الصحيح يقول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به) فالمرائي يظهر أعماله، والمسمِّع يسمع بأقواله. فالرياء هو أخص بالأعمال التي تشاهد وترى، والسماع يكون بالأمور التي تسمع كمثلًا: الذكر أو الدعاء أو قراءة القرآن هذه تسمع. فالمسمع هو الذي يسَمِّعُها أو يسْمِعُها للناس لأجل المدح.

والمرائي هو الذي يحسِّن عمله ليراه الناس كتحسين صلاته مثلًا فهذه ترى؛ حركاته يعني في الصلاة وهيئته في الصلاة. ومما يدخل في السمعة أيضًا أن يعمل العمل في الخفاء ثم يتكلم به في العلانية ليسمع الناس ما عمله، فهذا كله مما يدخل في الرياء والسمعة المحرمة، وهذا من صفات المنافقين.

هما في الوزر سواء يا شيخ؟

نعم. كلها من العمل لغير الله، الله -عز وجل- يقول في المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤]، يعني حتى قولهم يشد السامعين ولكن أعمالهم هابطة لأنها لغير الله: ﴿ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى في سورة الماعون: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٦: ٧]، فالمرائي هو الذي يري الناس يهمه أن يرى الناس أعماله، المحرك له رؤية الناس.

فهذا هو الرياء الذي جاء الوعيد الشديد على من فعله، وذكر المؤلف –رحمه الله تعالى– أو صدر المؤلف –رحمه الله تعالى– هذا الباب بهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ؛ أي من كان يأمل ملاقاة الله –سبحانه وتعالى– ورؤية الله ويخاف عذاب الله –عز وجل– ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ العمل الصالح هو الموافق للسنة ﴿ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ لا يجعل في عمله شركًا لأي مخلوق من المخلوقين، فلا يراقب الناس بل يكون عمله خالصا لله –عز وجل– خالصا من الشرك الجلي والشرك الخفي؛ لا يراقب الناس لا يهمه مدح المخلوقين ولا ثناؤهم ولا أن يكون له منزلة عندهم، وإنما يريد الله والدار الآخرة يريد الأجر والمثوبة من الله –عز وجل– هذا هو المخلص الذي بين الله –عز وجل– في هذه الأية جزاءه.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ. (وعن أبي هريرة مرفوعًا (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) [رواه مسلم])

نعم الله –عز وجل– غني عن عمل يشرك معه فيه غيره، فإذا كان الشركاء يستغنون عن أن يشاركهم أحد في أعمالهم فالله –سبحانه وتعالى– أغنى من هؤلاء الشركاء عن أن يشاركه أحد في العمل في عمل له؛ الله –عز وجل– عزيز غني، غني عنا وعن أعمالنا ولا يقبل –سبحانه وتعالى – من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

أما الأعمال المخلوطة التي اشتملت على الشرك ورؤية الناس فالله –عز وجل– غني عنها قال: (تركته وشركه) فالله –سبحانه وتعالى – يترك هذا العامل وعمله "من عمل علملًا" يعني من قصد مخلوقًا بهذا العمل الذي عمله، فالله –سبحانه وتعالى– يترك هذا العمل ولا يثيبه عليه؛ لأنه عمل غير صالح وغير خالص؛ لأن شركه أحبطه، الشرك لما دخل هذا العمل أحبط العمل من أساسه، وإذا وصل إلى حد الشرك الأكبر فإنه يحبط جميع الأعمال، وهذا من الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر: أن الشرك الأصغر يحبط العمل الذي يقارنه، وأما الشرك الأكبر فهو يحبط جميع الأعمال كما قال –عز وجل–: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥: ٦٦]، وفي الآية الأخرى يقول: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، فالله –عز وجل– غني عن أعمالنا غني عن هذه الأعمال التي يشرك فيها أحد من المخلوقين، والله –عز وجل– لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

(وعن أبي سعيد مرفوعًا (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) [رواه أحمد])

هذا الحديث الذي رواه الحاكم وغيره وصححه، وضعفه بعضهم، يبين لنا خطر الشرك الخفي خطر الرياء، وقد فسر هذا بأنه الشرك الخفي "بأن يظهر أن العمل لله ويخفي أنه لغير الله" هذا معنى الخفي أنه يخفي غير ما يظهر فظاهره أنه لله ولكن حقيقته أنه ليس لله؛ فيصلي ويحسن صلاته ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل. تجد هذا الشخص في ظاهر عمله أنه لله ولكن التزيين وقع لغير الله، هل هذا الشخص أصل عمله لله أو أصل عمله لغير الله؟

أصل عمله لله –عز وجل– لكن الذي حصل لغير الله هو التزيين والتحسين ما أُدخِل على العمل من التزيين والتحسين لأجل نظر الآخرين فهذا هو الذي دخل في الرياء، فتجده –يعني– بالتطويل والتحسين يريد أن يحصل

على المنزلة أو الرئاسة أو الجاه أو الثناء من الناس، فيحرص على تحسين هذا العمل على غير عادته؛ إذ لو أنه كان وحده لم يحسن عمله هذا التحسين، ولكنه لما رأى الناس ينظرون إليه حسنه وزينه وأصلحه، فدل على أنـــه غير مخلص على أنه يراقب الناس على أن المحرك له لهذا التحسين هو رؤية الناس ومشاهدتهم له، فهـــذا هـــو الشرك الخفي.

ولأنه في الحقيقة يعني قد يدخل نيات الناس ويحتاج إلى مجاهدة عظيمة لا يكاد يسلم منه أحد؛ ولذلك يقـــول بعض السلف: « ما جاهدت شيئًا أشد علي من نيتي » أشد شيء على الإنسان الجهاد هو جهاد نيته؛ لأن النيـــة تتقلب قد تكون لله ثم تنقلب لغير الله، وقد يكون فيها حظ للناس، وقد يظن الشخص أنه لله ولكن لو أنه صـــارح نفسه وابتعد عن أهوائه وجد أن في نيته حظوظًا كثيرة لغير الله؛ فلذلك تحتاج النفس إلى مجاهدة دائمة؛ ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في هذا الحديث: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال) مع أن المسيح الدجال فتنة عظيمة وما من نبي إلا حذر أمته الدجال؛ لأن فتنته عظيمة ويتبعه الناس ويكفـــرون بسببه. والنبي –صلى الله عليه وسلم– ذكر من صفاته ما لم يذكره نبي لأمته، ومع ذلك ذكر في هذا الحديث أن هذا أشد؛ لأنه لا يكاد يسلم منه أحد، ولأنه حقيقة يصيب كل الناس الكبار والصغار والعلماء والجهال والرجـــال والنساء والأغنياء والفقراء والصالحين لا يكاد يسلم منه أحد؛ ولذلك ينبغي للإنسان دائمًا يجاهد نفسه، ويراقـــب نيته حتى لا تنحرف عن الصراط المستقيم.

بقي أن نعلم أو نقف عند العبادة التي داخلها الرياء، ما حكم العبادة التي داخلها الرياء؟ هل هذه العبادة تبطـــل كلها أو ينقص أجرها أو تختلف باختلاف أنواعها؟

قسم العلماء –رحمهم الله تعالى– هذه المسألة إلى أقسام قالوا: إن هذا لا يخلو من أحوال:

الحالة الأولى: أن يكون أصل عمله لغير الله، أصل المحرك للعمل أنه يريد مدح النـــاس أو ثنـــاء النـــاس أو المنزلة من الناس، فهذا الرياء المصاحب للعمل من أوله محبط له، إذا كان هو أصلًا ما تحرك لهـــذا العمـــل إلا طلبًا للمنزلة في قلوب الخلق؛ فالعمل حابط من أصله ولا يقبله الله –سبحانه وتعالى–، بل هو متوعد عليـــه؛ لأن هذه عبادة والأصل في العبادة أن تكون لله –عز وجل– خالصة لوجه الله، فكيف تصرف هذه العبـــادة لغيـــر الله وتطلب المنزلة من الناس؟! ويدل على هذا حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامـــة "قـــارئ القرآن والمتصدق والمجاهد" يأتي بهم الله –عز وجل– فيقول قارئ القرآن: "يارب قرأت القرآن فيك. فيقـــول الله –عز وجل–: كذبت ولكن قرأت ليقال قارئ وقد قيل ثم يسحب على وجهه في النار –والعياذ بالله–. والآخر قال: يا رب ما تركت من سبيل تحب أن أتصدق به إلا تصدقت. فيقول الله –عز وجل– له: كذبت. ولكـــن تـــصدقت ليقال جواد –ليقال كريم ومتصدق ونحو ذلك– ثم يسحب على وجهه إلى النار والعياذ بالله. والثالث قال: يـــارب قاتلت في سبيلك. فيقول الله –عز وجل–: كذبت. ولكن قاتلت ليقال شجاع وقد قيل ثم يسحب على وجهـــه إلـــى النار والعياذ بالله.

هؤلاء الثلاثة من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة لأنهم صرفوا هذه العبادات لغير الله، هذه أمور يجب أن تكون خالصة لله –عز وجل– تقرأ القرآن تتصدق طلبًا للقربى تجاهد في سبيل الله يجب أن تكون خالصة لوجـــه الله –عز وجل–، فإذا كان المحرك لهذا الشخص طلب المنزلة؛ فإن أعماله حابطة عمله حابط وكما قال الشاعر:

وعالم بعلمه لم يعملن *** معذب من قبل عباد الوثن

لأنه أخذه من هذا الحديث؛ أنه أول من تسعر بهم النار؛ لأنه لم يعمل بعلمه؛ وإنما قصده من العلـــم المـــدح والثناء؛ ولذلك ورد في حديث الصحيح؛ حديث الثلاثة الذين يدخلهم الله النار، قال النبي –صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم–: (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار)

ثلاثة نوايا في طلب العلم تدخل صاحبها النار لأن طلب العلم الشرعي –أنا أتكلم عن طلب العلم الشرعي لا العلم الدنيوي– إنما أتكلم عن طلب العلم الشرعي؛ لأنه هو في الحقيقة عبادة؛ طلب العلم الشرعي عبادة مثل الصلاة ومثل التوبة ومثل سائر العبادات التي يجب أن تكون خالصة لوجه الله.

"طلب العلم ليجاري به العلماء" هو يطلب حتى يكون عالم ويكون مع العلماء ونحو ذلك، "أو يماري به السفهاء" طلب العلم حتى يستطيع أن يماري ويجادل، "أو يصرف وجوه الناس إليه" طلب العلم حتى يتصدر المجالس ويصرف وجوه الناس إليه ويثنون عليه ويقدمونه ونحو ذلك فهذا النتيجة؛ قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: "أدخله الله النار" والعياذ بالله؛ لأن هذا العمل حبط بصرفه لغير الله.

ويشهد له أيضًا حديث آخر عند الترمذي يقول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: (من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله) وهذا قيد (لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها، قال: طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا –يعني لأجل عرض من الدنيا سواء مدح أو شهادة أو ثناء أو غير ذلك– لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها، وفي بعض الروايات (وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

فهؤلاء الذين يطلبون العلم لغير الله لأجل أن يتصدروا المجالس أو لأجل أن يمدحوا أو لأجل أن يماروا أو يجاروا، هؤلاء عملهم حابط والعياذ بالله، ومن مظاهر ذلك أن تجد الشخص يعني قد يثير مسائل في بعض المجالس ليصرف وجوه الناس إليه يثير مسائل حتى يقال فلان عالم أو يعرف من دقائق العلم أو من غرائب العلم، أو تجده يتعالم على العلماء ويخطئهم ويظهر أنه أعلم من فلان وأنه عنده من الفهم ما ليس عند فلان، فهذا من التعلم الذي قد يقدح في نية الشخص وهو من مظاهر التي تجعل الإنسان في الحقيقة يحاسب نفسه ويصحح مساره وطريقه في طلب العلم.

المهم هذا ناحية من نواحي المراءاة ومجالاتها كثيرة في المراءاة بالصدقة قد يتصدق ليقال متصدق ومحسن وهذا فلان أنفق كذا وعمل كذا، وتجده ربما يكتب في بعض الصحف أو في الوسائل الإعلامية حتى يظهر اسمه للناس ويذكر، كل هذا حقيقة من تعجل الأجر في الدنيا، فله ما أراد في الدنيا من المدح والثناء، لكن ليس له عند الله من خلاق بل ربما يأتيه والعياذ بالله من العذاب إذا كان هذا العمل أصل، والواجب أن يكون لله –عز وجل– المهم أن هذه الحالة الأولى: أن يكون أصل المحرك للشخص هو –ما هو؟– لغير الله فهذا العمل يكون من أصله حابط.

الحالة الثانية: إذا كان العمل أصله لله –عز وجل– لكن دخله رياء أو طرأ عليه الرياء، هذا إن كان الرياء خاطرا أو أتى على ذهنه، ثم صرفه وأبعده فلا يضره؛ لأن الشيطان يحرص أحيانًا يأتي الإنسان وربما يقول: أنت كذا أو حسِّن صلاتك فإذا صرفها وأبعدها وذهب عنه هذا الخاطر فلا يضره بإذن الله، لكن إن استرسل معه إلى آخر العمل؛ جاءه الرياء ورسخ في قلبه وصار فعلًا هذا الرياء محركا له ومشاركا للنية الأولى فهنا لا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أن يكون أول العمل مرتبط بآخره مثل: الصلاة يعني الصلاة شيء واحد ما تتجزأ فهنا يحبط العمل لأنه ترسخ فيه وصار عملًا فيه رياء وفيه شرك؛ لأن الله لا يقبل من العمل ما أشرك معه فيه غيره.

أما إذا كان العمل لا يرتبط أوله بآخره مثل الصدقة ومثل الذكر ومثل قراءة القرآن ومثل التسبيح، فهذه يحبط العمل الذي قارنه الرياء، وأما أول العمل الذي لم يدخله الرياء فإنه لا يحبط؛ يعني مثلًا: لو أن شخصًا تصدق بمائة فنصفها كان خالصًا والنصف الأخير دخله الرياء. هنا نقول: يحبط النصف الأخير فقط لأن الأول لا يرتبط بالآخر.

أو أنه سبح الله -عز وجل- وصلى على النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- مثلًا مائة وبعضها كان خالصًا وبعضها دخله الرياء، فأيضًا يدخلها التقسيم، ومثله قراءة القرآن وغير ذلك من الأعمال التي تتجزأ، فما دخله الرياء وخالطه وتمكن من الشخص وصار مشاركًا له في النية فإنه يحبط العمل والعياذ بالله.

فيه هنا حقيقة أيضًا تنبيه يحسن أن نتنبه إليه: وهو أن الشخص أحيانًا يعمل عمل لله -عز وجل-، ثم إن هذا العمل يظهر ويذكره الناس بخير ويمدحونه، فربما يسَّر بهذا، فما حكمه؟ هل هذا يكون مرائيا أو لا؟ نقول: إن هذا لا يدخل في الرياء ما دام أنه أصلا عمل والعمل هو لله -عز وجل- وإنما هذا من الذكر الحسن، وقد دل على ذلك الحديث الصحيح الذي جاء في هذا المعنى أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس. فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن) فإذا حمده الناس فهذا من الثناء الحسن، ولكن هنا أيضًا تنبيه ينبغي أن نتنبه إليه: وهو أن على الإنسان ألا يتطلع للمحامد، وألا يتحرى لمحامد الناس وثنائهم؛ لأن بعض الناس يقول: أنا أعمل العمل لله لكن تجده ينتظر متى يحمده الناس، ينتظر ثناء الناس ومدحهم، أو ربما ينتظر المنزلة عندهم والعياذ بالله، هذا لا شك أنه يقدح، هذا من الغرور من الغرور رؤية الأعمال، والتطلع إلى ثناء الناس، وتعظيم الناس، واحترام الناس، يحترمونه لأجل دينه أو لأجل إخلاصه أو لأجل علمه هذا مما يقدح في الإخلاص؛ إذا كان يتطلع ويتحرى وينتظر، أو وربما صار في نفسه أحيانًا يقول: كيف وأنا فلان الفلاني المحسن الكبير، أو العالم الكبير أو العابد كذا، أو الولي ونحو ذلك، ولا يحترموني، ولا يقدروني، هذا من الغرور، ربما أن هذا العاصي أفضل منك، لأنك أنت مغتر بعملك، وتنتظر أن يمدحك الناس.

فالمهم أن الناس هنا مراتب فبضعهم يتطلع إلى المدح والثناء هذا مكروه كما قلنا ومبغض، من الناس من لا يغتر ولكنه إذا سمع الثناء وإذا سمع أن عمله عُرِفَ ربما يسر بالثناء، فنقول: إن سرورك بالثناء من باب أن هذا نعمة من الله -عز وجل- أنك وفقك الله لهذا العمل، فهذا لا ضير، لكن إذا كان فرح بأن عمله ظهر، وصار الناس يعرفون أنه عمل الأعمال الطيبة فربما يدخل أيضًا في المكروه.

أسوأ من ذلك من يظهر عمله تصريحًا أو تلميحًا وهذا يدخل في التسميع، قد يكون عملا عمله لله -عز وجل- في الخفاء، ولكنه أبداه يتحدث به في المجالس، يصرح، أو يلمح، أو نحو ذلك، لأجل أن يتحدث به، ولأجل أن يكسب منزلة، فهنا هو يسخر من الأجر بقدر ما يعمل لإظهار الأعمال.

كان السلف -رحمهم الله تعالى- يحرصون على إخفاء أعمالهم أكثر من حرصنا على إخفاء ذنوبنا وعيوبنا، نحن نخفي عيوبنا، وربما الواحد يحب أن يظهر عمله. أما السلف الصالح فكانوا يخفون أعمالهم، وربما سبق معكم في الدروس الأولى من كتاب التوحيد في حادثة الذي قال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قال: أحدهم أنا، أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت. قال: أنا رأيت الكوكب البارحة الذي انقض، لكني لم أكن في صلاة، لا أقول: بما أني قمت في الليل أني أصلي، لكني لدغت فقمت فرأيت، سبحان الله، يعني خاف أن يظنوا به أنه قام يصلي. وبعض الناس إذا تكلم بكلام وظنوا أنه عمل خير يسكت، يقول دعهم يظنون أني أعمل خير، مع أن مقام الإخلاص وأن الإنسان لا يحب أن يحمد لما لم يفعل، ينبغي أن يبين، أني لست من أهل هذه المنزلة، حتى لا تظنوا أني من أهل هذه المنزلة وأنا لا أستحقها.

والله -عز وجل- يقول في آخر آل عمران: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فالذي يحب أن يحمد بما لم يفعل لا شك أنه مذموم.

فعلى الإنسان أن يحرص على أن يخلص لله -عز وجل- ويجعل عمله خالصا لله -سبحانه وتعالى- ولا يراقب الخلق، في الحقيقة أن الشخص الذي يراقب الناس ويحرص على مدح الناس وعلى ثناء الناس هذا ضعيف الدين وضعيف العقل؛ يعني ضعف دينه بأنه يراقب الناس وعمل للناس، والناس لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا

ضرًا، وضعيف العقل حيث ظن أن هذا المخلوق ينفعه أو يضره، والله -عز وجل- هو في الحقيقة النافع الضار، وهو الذي كتب كل شيء قبل أن يخلق شيئا.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ. لا شك أن هناك عوامل وبواعث تعين الإنسان على أن يخلص عمله لله تعالى، أبرز هذه الأشياء؟

في الحقيقة أن من أبرز الأشياء التي تعين على الإخلاص وتزيل الرياء خلع رؤية الناس من القلب، أن يخلع رؤية الناس من قلبه، لا يراقب الناس، لا يبالي بالناس، يجعل الناس كما يقال أصفارا على الشمال، يجعل الناس كأنهم أموات، كما ليس في الدنيا إلا هو، يعمل لله -عز وجل-، فيستحضر فقر الناس، وحاجتهم، وذلهم، وضعفهم، ويستشعر عظمة الله -عز وجل-، وقدرته -سبحانه وتعالى-، وعلمه، وسمعه، وبصره، واطلاعه، فهذا حقيقة يعظم منزلة الله في قلبه، وإذا عظمت منزلة الله في قلب العبد صغرت منزلة الناس، يستصغر منزلة الناس في عينه، لا يراقبهم، لا يهمه الناس رضوا، ما رضوا، علموا، لم يعلموا، مدحوا أو ذموا، إذا كان عمله لله -عز وجل-، فعلا يعمل بما يرضي الله -سبحانه وتعالى-، فبالتالي هو لا يتطلع، كيف هو يتطلع لمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرا، يتطلع له أن يتعب نفسه في أن يخسر عمله من أجل رضا مخلوق.

فهذا حقيقة تعظيم الله -عز وجل- وخلع رؤية الناس من أعظم الأسباب التي تعين الإنسان على الإخلاص، أيضًا الإكثار من أعمال السر، أعمال الخلوة، يخلو بالله -عز وجل-، وبذلك صار من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -من هو؟ عدة أشياء تدل على الإخلاص،- منها رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، أيضًا رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، هنا الإخلاص لا أحد يراه إلا الله -سبحانه وتعالى-، رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، هذه كلها مما يدل على أعمال السر، فالإنسان مما يدل على أعمال السر، الإنسان مما ينمي في قلبه الإخلاص أن يحافظ على أعمال السر، صدقة السر، دعاء السر، الصلاة في السر، الصيام في السر، القراءة في السر، يعمل أعمالا كثيرة، يحسن للفقراء والمساكين، يعين المحتاجين، ولا يطلب منزلة لا منهم ولا من غيرهم.

بعض الناس -سبحان الله وتعالى- يعمل عمل خير لكن ينتظر ممن أعانه أو قدم له خدمة ينتظر منه شكرًا، وهذا حقيقة يعارض حقيقة الإخلاص.

الله -عز وجل- قال في أهل الإيمان: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان: ٩]، بعض الناس يشفع لشخص في عمل من الأعمال، ثم ينتظر من هذا الشخص أن يقدم له خدمة، أو يمدحه، أو يثني عليه، أو يكرمه، ونحو ذلك، ينبغي أنك ما تتطلع، إذا كنت مخلصًا تعمل هذا العمل لله لا تنتظر من الناس جزاء ولا شكورا، لا تنتظر منه أن يمدحك ولا أن يكرمك أيضًا، نعم هو ينبغي في حقه أن يشكرك وأن يثني عليك، وأن يذكرك بالجميل، لكنك أنت كمحسن ينبغي ألا تتطلع.

ولهذا حتى ورد في حديث وينبغي أن نتنبه إليه حديث النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: (من شفع شفاعة فأهدي له هدية فقبلها فقد أتى بابًا من أبواب الربا) بعض الناس تشفع له أو تقدم له شفاعة ونحو ذلك ثم يهدي لك هدية فتقبلها، تكون هذه الهدية مقابل هذه الشفاعة، مع أن الشفاعة ينبغي أن تكون لله -عز وجل-، وأن تعمل هذه الإحسان والشفاعة الحسنة لله -عز وجل-، إذا كان الشخص ممن يستحق أن تسعى له فتخلص لله -عز وجل- في هذا.

فالمهم أن الإنسان يحرص على أعمال السر، ولا ينتظر من أحد جزاء ولا شكورا، ولا يظهرها، بل يخفيها، وكم من أناس ماتوا ولم يعلم بأعمالهم إلا بعد أن ماتوا، وقصص السلف في ذلك كثيرة، من الولاة والعلماء والعباد، والرجال والنساء الشيء الكثير، حتى ذكر أحد السلف أنه صام عشرين سنة وأهله لا يعلمون، فهو يأخذ

كما يقال غداءه وفطوره معه، ثم يجعله فطورًا له ويرجع في آخر النهار ولا يدرون عنه، ومنهم من يبكي في الليل وزوجته لا تدري ويصلي ويعمل أعمال كثيرة، وحتى في عصرنا الحاضر من الناس من يتصدقون بأموال طائلة ولا يعلم عنهم، من يكفلون أناسًا كثيرون ولا يعلم عنهم، فالمهم أن على الإنسان أن يحرص على صيانة عمله، لأنك أنت تحتاج إلى هذا العمل في الدار الآخرة؛ لتنجو من عذاب النار وليجزيك الله به، فكيف تلطخه بمدح الناس أو بالتطلع للناس، أو بمراقبة الناس، وانتظار ثناء من الناس؟! هذا في الحقيقة تدنيس لعملك، وخسران لأجرك، فالعاقل المؤمن الموحد هو الذي يقطع رؤية الناس من عينه ويخلعهم من قلبه فلا يراقب إلا الله -سبحانه وتعالى- في عمله.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ. معي في الموقع إجابات على سؤال حلقة هذا اليوم: الأخت من الإمارات تقول: يعلم الإنسان أنه مخلص إذا استوى عنده المدح والذم، ويفرح إذا تم عمله بالسر، ويحزن إذا اطلع الناس على شيء منه.

كذلك الأخت من مصر تقول: من علامات الإخلاص أن يتساوى عند من يعمل العمل المدح والذم.

كذلك أخرى تقول: من علامات معرفة الرياء من عدمه في العمل:

أولًا: النظر في عمله أمام الناس وعمله في الخفاء، فإذا كان عمله أمام الناس أتقن وأفضل فيخشى أن يكون مراء، وإن كان عمله في الخفاء مثل أو أفضل منه في العلن فهو بإذن الله مخلص.

فالإنسان ينظر إن كان يزيد من عمله مدح الناس وينقصه ذمهم أم لا يؤثر فيه ذلك؟

كذلك أخرى تقول: يعرف الشخص نفسه أنه مخلص أو مراء بأمور ثلاثة:

أولًا: إذا كان الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل كالذي يقوم من أجل مراءاة الناس في الصلاة ولم يقصد وجه الله فهذا شرك.

ثانيا: إذا كان الرياء مشاركًا للعبادة في أثنائها بمعنى أن أول أمر العبادة كان إخلاصًا ثم طرأ الرياء أثناء العبادة، فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها فأولها صحيح بكل حال وآخرها باطل.

أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها فهو في حالتين:

أولًا: بأن يدافع الرياء يعرض عنه ويكرهه فإنه لا يؤثر عليه شيء بإذن الله.

ثانيًا: أن يطمئن لهذا الرياء، ويستأنس له، ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة.

كذلك قال آخر: يعرف الإنسان في نفسه الرياء ببعض العلامات:

أولًا: إذا كان بين الناس يطيل الصلاة، وإذا كان خاليًا ليس معه أحد ينقرها نقرا لا يشعر فيه خشوع ولا طمأنينة.

ثانيًا: يحب أن يمدحه الناس، إذا سمع الناس تثني عليه يقوم بالعمل، وإذا لم يثن عليه أحد يترك العمل.

ثالثًا: إذا ابتعد عن أعين الناس ينتهك محارم الله، والعياذ بالله من الرياء وأجارنا الله وإياكم منه.

كذلك أخرى تقول: يعرف الشخص أنه مخلص أو مرائي بمدى استشعار العظمة لله -عز وجل- ومدى إخلاص النيات لله، ومعرفة عواقب الرياء والإخلاص.

جزاهم الله خيرا، الإجابات جيدة، وهذه هي الإجابة للتفريق بين الرياء والإخلاص يعلم الإنسان أنه مخلص إذا استوى عنده السر والعلانية، فعمله في السر هو عمله في العلانية لا يتأثر. أما المرائي فإنه يعمل في العلانية ويترك العمل في السر، وأحب أن أنبه هنا أن العلماء نبهوا إلى أن كون الإنسان ينشط أحيانًا مع من يعينه لا يدل على الرياء؛ لأن بعض الناس إذا كان مع الجلساء الصالحين فإنه ينشط يعني هم ينشطونه، هو يعمل مخلصًا لله لكن يجد التنشيط بالمصاحبة فهذا لا يدخل في الرياء، إنما الرياء أن يكون عمله علانية ويتركه سرا، أو يزيد لأجل رؤية الناس، ويترك إذا لم يره أحد.

أيضًا من العلامات استواء المدح والذم فالمخلص يعمل العمل لا يحدوه أو يدفعه مدح ولا يخذله ذم، أما المرائي فإنه إذا مدح اندفع وعمل، وإذا لم يسمع مدح أو سمع ذم فإنه يكسل ويتخاذل ويترك، هذا من علامة الرياء وأما المخلص فإنه يستوي عنده المدح والذم كما يستوي عنده الباطن والظاهر، باطنه كظاهره لا اختلاف فيه.

أسئلة الحاضرين: عرفنا أن الرياء شرك خفي، والسؤال الأول: هل يكون شركا أكبر؟ لأنه مما يفهم في الحديث المتقدم في الثلاثة الذين هم أول من يعذبون يوم القيامة هذا يدل أن عملهم صار شركا أكبر

ما وجهه؟

لأنه وجب لهم الدخول في النار.

وهل كل من دخل النار يكون مشركا؟

وابن القيم أيضًا لما مثل بالرياء، قال الرياء خفي يصير رياء، مما يفهم منه أن هناك إذا كان رياء أكبر يكون الشرك أكبر؟

السؤال الثاني: بعض الناس ليس عنده وسطية في هذا المقام، مثلًا إذا أسند إليه المسؤولية أو الوظيفة فيرفض خوفًا من الرياء، مثلًا ونجد أنه يحكي لنا قصة يوسف -عليه السلام- يعني سأل هذا المنصب لأنه أقدر وأن به صفتين بأنه أمين حفيظ، وإذا كنا نعرف الآن في سيرة الأمة كم سبب هذا بلاء على الأمة، لما تولى الحجاج بن يوسف العراق وجد من كان أقدر منه لكن ربما لم يتحركوا لهذا المنصب، وكذلك يوجد مثلًا حتى في مساجد الحي مثلًا طلاب العلم يجلسون والعامي هو الذي يقوم عندما يتخلف الإمام يصلي بالناس، ولا يجيد حتى قراءة الفاتحة.

بالنسبة للسؤال الأول: نعم أن الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر إذا كان صرف العبادة من أصلها لغير الله، بحيث أنه لا يصلي إلا لأجل مخلوق، وهذا كما قال العلماء لا يكاد يصدر من مسلم، إنما يصدر من أهل النفاق، أما المسلم المؤمن بالله -عز وجل- فإنما يأتيه الرياء يداخله في الرياء مع العمل الصالح أو في الأعمال التي قد لا تكون متمحضة للعبادة، ولذلك ورد الوعيد للمرائين كما في الحديث (إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة اذهبوا للذين كنتم تراءون في الدنيا هل تجدون عندهم من جزء؟) فالمرائي لا يجزى بعمله، وربما يعذب على عمله كما في حديث الثلاثة، حديث الثلاثة يدل على أنهم يستحقون العذاب، ولكن ليس كل من استحق العذاب يكون كافرًا، وليس كل من دخل النار يكون كافرا وليس كل من دخل النار يكون خالدا، فقد يعذبون مثلما يعذب

الزاني، ومثلما يعذب القاتل، ومثلما يعذب شارب الخمر، والنمام، وغيرهم ممن توعدوا، لكن هذا لا يدل على أن أعماله كلها حابطة وإنما يحبط العمل الذي يقارنه.

أما ما ذكرت من التنبيه الثاني وهو أن بعض المقتدرين يتركون بعض الأعمال خوفًا من الرياء فهذا صحيح، ينبغي للإنسان إذا تعين له أحيانًا قد يتعين عليه الشيء فهنا يجب عليه. أما إذا لم يتعين عليه فلا يجب عليه أن يعمل هذا العمل، ولا سيما إذا وجد من هو مثله أو أفضل منه، فالسلامة لا يعدلها شيء فالإنسان يريد السلامة لنفسه ولدينه، لكن إذا لم يوجد أفضل منه أو تعين عليه هنا يجب.

بعض الناس يتعلل أو يتعذر بذلك وهو في الحقيقة المانع له الكسل، والبعد عن المشاركة بالخير، وقد يتظاهر بأنه يخشى الرياء ونحو ذلك، وهو في الحقيقة إنما الشيطان يخذله عن طريق الخير، فلا بد الإنسان أن يكون عنده فقه في دينه وفقه في هذه الأمور متى يعمل ومتى يترك، وإذا عمل فإنه يجاهد نفسه ولا يجعل للشيطان عليه مدخلًا فيعمل ويخلص، ويثابر.

وأيضًا لا يظهر عمله للناس قدر المستطاع، أما الأشياء الأصل فيها الظهور فإنه لا بد أن تظهر لأنه مثلًا: الأذان لا أقول: أخفي أذاني حتى ما أرائي، أو التلبية في الحج، أو الإحرام في الحج، ما نكون مثل بعض المساكين الأغبية في الحقيقة الذين يدعون إلى إعادة قراءة التراث مرة ثانية، فيدعون إلى أن الناس ينبغي أن يكونوا في ملابسهم في الحج؛ لأن هذا أدعى للإخلاص، لا يحرمون حتى لا يرى في بعض المطارات أن هذا محرم، وأنه ينبغي أن يكون في لباسه يكون أدعى للإخلاص.

لا. الأصل ما دام فيه أشياء هدي الإسلام الأصل فيها الظهور فلا يجوز أن تتركها، مثل صلاة الجماعة أيضًا، ما يأتي واحد يقول أنا أصلي في بيتي لأني ما أريد أن أنافق، ما أريد أن أرائي، لا أنت الآن تطيع الشيطان، أنت تطيع الشيطان في هذا، وتخالف الشرع، فاعمل بما جاء به الشرع وجاهد نفسك، والأعمال التي يمكنك أن تخفيها أخفها، ويمكنك أن تعمل من الأعمال الصالحة أكثر مما رآه الناس، إن كنت صادقا تجد الإخلاص. أما أن تترك الأعمال الواجبة أو حتى المستحبة التي يشرع إظهارها بحجة أنك تخشى الرياء، فهذا من مداخل الشيطان، والله أعلم.

سؤال: ما مدى علاقة النفاق مع الرياء؟ هل يعتبر المرائي هو المنافق؟ أو الرياء صفة من صفات المنافقين؟

وكذلك يا شيخ حديث النفس في العمل هل يدخل من ضمن الرياء؟ والعمل إذا كان واجبًا مثل الصلاة هل يسقط عنه العمل أو يعيده؟ مثلًا إذا كان في الصلاة ودخل فيه الرياء هل يعيد الصلاة أو يسقط عنه؟

ما هو السؤال الأول؟

السؤال الأول: مدى علاقة النفاق بالرياء؟

النفاق: تعرف فيه نفاق أكبر وأصغر، والرياء هو من صفات المنافقين لأنه إظهار شيء غير الباطن، حيث يظهر أن العمل لله ولكنه يقصد غير الله، فالنفاق نوعان، والرياء قد يدخل في ضمن النفاق العملي الأصغر، أو الاعتقاد الأصغر، فإنه يكون فيه رؤية للخلق.

السؤال الثاني؟

حديث النفس قلنا إن الخاطر وحديث النفس ينبغي للإنسان ألا يلتفت إليه، لأن الشيطان يأتي أحيانًا ويضخم الوسوسة ومدافعة الرياء حتى يدع الإنسان عمله، وقد روي عن بعض السلف أنه قال: « إذا جاءك الشيطان وقال: إنك تحسن صلاتك فزدها تحسينا وزدها طولًا » حتى لا يصرفك ما دام أن أصل عملك وأصل وقوفك لله -عز وجل- فلا تضرك هذه الخطرات التي تأتيك، بل عليك أن تبعدها، والإنسان إذا استجاب مع هذه الخطرات وهذه الوساوس ربما يترك العلم والعياذ بالله يترك العمل كله، وربما يترك الواجبات، وهذا حصل عند بعض أو طائفة من الموسوسين الذين استجابوا لهذه الوساوس الشيطانية حتى تركوا الأعمال، وثقلت عليهم، فصاروا يتركون الواجبات والعياذ بالله.

سؤال: أريد أن أسأل ما حكم من يجمع بين الرياء والإخلاص لوجه الله، يعني لو واحد يخلص لله ويريد شهرة بأن الناس يرونه ويشتهر عند العامة؟

سائلة أخرى: أريد أن يوجه الشيخ نصيحة للناس إذا رأو مثلًا عملا طيبا من شخص ما، وهذا الشخص قد عمل العمل دون رياء، لكن بعض الناس يخلطون بين أمرين بين قول من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وبين ذلك التحذير ممن يقول (احثوا في وجوه المداحين التراب) ما المقدار الشرعي المطلوب في الثناء على العمل الصالح حتى لا ينقلب عمل أخي المسلم بثنائه المبالغ فيه إلى رياء، فكيف يكون مقدار المديح المطلوب الذي يدفع أخي المسلم إلى مزيد من العطاء وليس العكس، الدخول في جانب الرياء ؟

سائلة أخرى: بالنسبة للشخص إذا لم يصل إلا من أجل الناس فهل يعتبر شرك أكبر مخرج من الملة؟

يسأل عن الجمع بين الإخلاص والرياء؟

سبق معنا في الحديث أن الله -عز وجل- يقول: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) فالله -سبحانه وتعالى- لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، وأيضًا في الحديث الآخر (أن الرجل يقاتل لله وليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله؟ قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)، فالله -عز وجل- لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

السؤال التالي: تسأل عن الشكر وكونه ضرورة لعلاقات الناس وضرورة لتعزيز بعض الأعمال الإيجابية، وكذلك الأمر برد المثنين وحصو التراب في وجوههم؟

نعم ورد حديث (احثوا في وجوه المداحين التراب) وحديث (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، فالشكر هذا أمر به النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى ترو أنكم قد كافأتموه) فيشرع للإنسان أن يشكر الناس وأن يكافئهم على جميلهم.

ولكن المذموم المدح، والمدح هو الذبح كما يقال، والقطع للعنق كما قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (قطعت عنق صاحبك) والمقصود بهذا المدح هو الإطراء إطراء أو مدح بغير حق أو زيادة على المشروع أو مدح يضر الممدوح فهذه هي المنهي عنها إذا كان المدح يضر الممدوح بحيث يوقعه في الغرور أو يوصل إلى الإطراء أو المدح بغير حق؛ كذب كما في المداحين خاصة من الشعراء وغيرهم ممن هم ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ فهذا هو المذموم. الإنسان يكون مداحا أيضًا مداحا مشهور بأنه مداح لا تكاد تسمع منه إلا مدحا يمدح من يستحق ومن لا يستحق فهذا هو المذموم.

أما المذموم بقدر وبما يشجع فهذا مشروع ومما يدل عليه قول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لأبي بكر (إنك لست منهم) أي من الذين يجرون ثيابهم خيلاء، وقوله لعكاشة (أنت منهم) أو في رواية (اللهم اجعله منهم) وأيضًا وصف بعض الصحابة بأنه أعلمهم بالفرائض، وفلان هو أشدهم كذا، وقوله لعمر -رضي الله عنه- (إيه يا ابن الخطاب ما رآك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك) هذا مدح لعمر -رضي الله عنه-.

فالمهم أن المدح إذا كان بقدر وبشيء معقول وبشيء صدق هذا لا بأس به. أما إذا كان بإطراء أو بكذب أو بما يضر فهذا هو الممنوع والله أعلم.

السؤال التالي عن الجمع بين العمل...

تقول: من صلى لغير الله هل يكون شركا أكبر؟ نقول: نعم. إذا كان أصلًا الإنسان ما قام يصلي إلا لأجل المخلوق هذا شرك أكبر، هذا يعبد المخلوق إذا كان ما يصلي إلا لأجله بحيث إنه لو لم يوجد هذا المخلوق لم يصل، هذا صلى لأجل مخلوق هذه الصلاة لغير الله عبادة لغير الله. مثل: من يدعو المخلوق أو يذبح للمخلوق أو يصلي له إذا كان لو لم يوجد هذا المخلوق لم يصل، وإنما صلى لأجل هذا؛ يكون شرك أكبر والعياذ بالله.

أما إذا كان يصلي لله لكن حسنها ونحو ذلك لأجل مخلوق فهذا هو الرياء.

الضابط يا شيخ أنه لن ينشئ هذه الصلاة ما لم يكن هذا الشخص موجود؟

نعم. لأنه لن تكون إلا بوجوده، بحيث إنه لو لم يوجد لم يصل هذا الشخص، هذا يكون شركا أكبر.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ١٥]،)

أحب أول شيء أفرق بين هذا الباب والذي قبله هنا باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، المقصود بهذا الباب إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا، يريد حظًا دنيويًا، يعني من مال أو منصب أو نحو ذلك. أما الذي قبله فهو يريد بعمله المدح والثناء، مراءاة الناس للمدح والثناء لأجل أن يحصل له منزلة في قلوب الخلق، ويجمع البابين أن العمل لغير الله، فالأول يريد المدح والثناء، والثاني يريد الأشياء الدنيوية، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥: ١٦]، فالله -عز وجل- يبين في هذه الآية أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها، فالله -عز وجل- يوفر لهم ما أرادوا من الصحة والسرور، وغير ذلك مما يكون هذا هو الدافع لهم بهذه الأعمال، وهذه الآية خصصتها الآية الأخرى، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨]، يعني من أراد الله -سبحانه وتعالى- له هذا الشيء، لكن الجزاء قال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ﴾ والعياذ بالله هؤلاء الذين عملوا لأجل الدنيا عملوا لأجل المال لأجل المنصب ونحو ذلك: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فتحبط أعمالهم في الآخرة، وليس لهم عند الله من خلاق والعياذ بالله؛ لأنهم لم يعملوا لأجل طلب ثواب الله -عز وجل- وإنما عملوا للدنيا التي قد تحصل لهم وقد لا تحصل لهم.

ومن كان جميع أعماله الصالحة كانت لغير الله فهذا في النار مثل المنافقين. أما من كانت بعض أعماله كان يريد بها المال، أو المنصب، أو نحو ذلك، فهذه تحبط هذه الأعمال التي أراد بها الدنيا وأراد بها المال أو المنصب وهو معرض في الحقيقة للوعيد بالنار يوم القيامة، لكنه لا يخلد فيها، ما دام لا زال الإيمان عنده والتوحيد عنده، وإنما أراد الدنيا ببعض عمله، مثلًا قد يكون طلب العلم مثلًا لأجل أن ينال مثلًا وظيفة مثلًا هذا

طلب شيء يفترض أن يكون لله، لكنه أراد به الوظيفة، أجره للعلم حابط ليس له عند الله من خلاق، لكن لا نقول إنه صار كافرًا لأنه طلب بهذه الدنيا، وإنما يحبط هذا العمل، ولا تحبط جميع أعماله.

(وفي الصحيح عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).)

هذا الحديث أيضًا يبين جزاء من يعمل للدنيا، وهو عبد لكنه ليس عبدًا لله إنما عبد الدنيا، والنبي –صلى الله عليه وسلم– دعا عليه بالتعاسة، والتعاسة هي ضد السعادة، والمقصود الدعاء عليه بالشقاء والهلاك، سماه النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– عبدًا للدينار من الذهب والدرهم من الفضة؛ لكونه يقصد بعمله هذه الدنيا، فجعلها شريكًا مع الله –سبحانه وتعالى– فهو عبد للدرهم والدينار عبد للخميصة والخميلة، الخميصة هو ثوب معلم، والخميلة هي القطيفة.

قال: (تعس وانتكس) هذا دعاء عليه مرة أخرى تعس وانتكس، دعا عليه النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– بالهلاك والانكباب على رأسه والخسران والخيبة في الدنيا والآخرة.

قال (وإذا شيك) يعني أصابته شوكة (فلا انتقش)، لا يجد أحد يخرجها منه، ولا يستطيع هو أن يخرجها لا بنفسه ولا بغيره، فهذا الشخص الذي أصيب بهذه المصيبة لا يجد حتى من يترحم عليه أو يأوي لحاله، لأنه أصلًا ما عمل لله فلا يستحق أن ينظر إليه بنظر الرحمة؛ لأنه آثر الشهوات الدنيوية على الدار الآخرة، وفي ذلك نهي في الحقيقة نهي أن يعلق العبد قلبه بهذه الدنيا أو أن يعمل لها، أو لأجلها، عليه أن يطلب ما يحتاجه من الدنيا أن يطلبه من الله –سبحانه وتعالى–، يعمل في الدنيا ويأخذ منها ما يحتاجه ويطلبه من ربه –سبحانه وتعالى–؛ لأنه هو الذي ييسر له أمره.

وعليه أن يستعبد لله و يتوكل على الله –عز وجل– لا أن تستعبده هذه الدنيا، لا أن يستعبده الدرهم والدينار ويكون عبدًا لها، وعبدا للمال والمنصب والزوجة والولد وسائر ملذات الدنيا، وشهوات الدنيا، لأن هؤلاء الذين تستعبدهم هذه الأمور يكونون عبيدًا لها يعني يزول شيء من عبودية الله –عز وجل– في قلبه، ويكون عبد لهذه الدنيا من مال، أو منصب، أو امرأة، أو صورة، أو ولد، أو نحو ذلك، فخلع شيئًا من العبودية لله –عز وجل– وجعلها لهذه المخلوقات التي لا تملك نفعًا ولا ضرًا.

ثم قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: (طوبى لعبد) هنا مدح وثناء لهذا العبد بأن يكون له طوبى في الجنة أو شجرة في الجنة، كما ورد في بعض الروايات، هذا العبد الذي مدحه النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– ودعا له وذكر صفاته، قال: (آخذ بعنان فرسه) هذا العبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، يعني مجاهد في سبيل الله بإخلاص، يريد الله –عز وجل– والدار الآخرة لا يريد شهرة، ومما يدل على أنه لا يريد شهرة ولا يريد جاه ولا يريد مدح ولا يريد منزلة، أنه أشعث رأسه مغبرة قدماه، يعني مشغول بالجهاد في سبيل الله عن أن يراقب حاله ويراقب نفسه ويصلح حاله لأنه مشغول بالعمل لله –عز وجل– والجهاد في سبيله.

ثم بين أيضًا صفتين: (إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة) بمعنى أن هذا الشخص يأتمر بما يكلف به ولو كان فيه مشقة، الحراسة والساقة فيه مشقة، يعني تجمع المشقة وتجمع أيضًا عدم الوجاهة، ما يتطلع إلى أن يكون ظاهرًا أمام الناس ويرون منزلته، لا. هو في أي مكان يخدم في سبيل الله لأنه يريد الله والدار الآخرة إن كان الناس لا يعرفونه فالله يعرفه كما لما ذكر أحد القادة لعمر –رضي الله عنه– مات فلان وفلان وفلان وناس لا نعرفهم، قال: « إن كان عمر لا يعرفهم فرب عمر يعلمهم » أو كما ورد المهم

أن هذا الشخص من مظاهر إخلاصه أنه في أي مكان وضع يذهب لا يهمه المنزلة ولا الشهرة ولا أن يرى مكانه ولا نحو ذلك.

وبين أيضًا دلائل عدم تطلعه للمنازل والوجاهات، أنه إن استأذن لم يؤذن له لماذا؟ لأنه غير معروف، ما يتطلع للمنزلة والشهرة، ويذهب للكبراء حتى يعرفونه. لا. هو يعمل لله -عز وجل- يتعب النفس في سبيل الله، "إن استأذن لم يؤذن له" لماذا؟ لأنه غير معروف.

"وإن شفع لم يشفع" فهو ليس له جاه عند الكبراء والمقدمين، وفيه دليل على أن من المخلصين من لا تكون له منزلة من المخلصين المقربين عند الله -عز وجل- من لا يؤبه له في الدنيا ولكنه عند الله -عز وجل- له المنزلة العظيمة، كما في الحديث (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) فهؤلاء الذين لا يؤبه لهم أو لا يعرفون لكنهم عندهم إخلاص وعمل لله -عز وجل- لو أقسم على الله لأبره وإن كان غير معروف، وليس له وجاهة عند الناس لكن الله -عز وجل- يعلم حاله.

فهؤلاء هم المخلصون وهم الأحرار في الحقيقة ليسوا العبيد، لأن العبد هو عبد الدنيا، الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، الحر هو الذي يكون قلبه حر من أن يستعبده مخلوق، من أن تستعبده الدنيا.

وكما قيل: "استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره" فالإنسان إذا استغنى عن الناس صار مثلهم، وإذا أحسن إلى الناس صار له فضل عليهم، فلا تستعبده الدنيا سواء من الأشخاص أو من الأموال أو غير ذلك وإنما يتعبد لله -عز وجل- ويخلص لله -عز وجل- في عمله.

سائلة تقول: بالنسبة لإظهار الأعمال أمام الأهل تدخل في الرياء مع قصد وجه الله -سبحانه وتعالى-، والإظهار أمام الأصدقاء وشيء من هذا؟

الدافع من هذه العمال؟

لوجه الله -سبحانه وتعالى- لكن أحيانًا يطلعوا عليها، ولا يزيد أمامهم ولا ينقص ؟

المهم الإنسان يراقب قلبه وعمله ويجعله لله -عز وجل- لا تتداخل النية بأنه يريد الله وهو يريد الناس، فإذا كان عمله سواء أمام الناس أو غيرهم واحد فهذا يعمله ولا يضره، ولذلك شرعت السنن النافلة في البيت لعل من مشروعيتها أو من حكمها أنها أيضًا يطلع الأهل والصغار ويكون وكما قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم).

وذكر بعض أهل العلم أن الإنسان ممكن يعمل أحيانًا في بعض الأماكن لأجل أن يقتدي به الناس وأيضًا في بعض الأحوال كما قال الله -عز وجل- ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فأحيانا يكون إظهار الصدقة مقصود شرعي لأن الإنسان يعلم من قلبه أنه ناو يتصدق لكنه رأى أنه إذا بدأ وفتح الباب سيتصدق ويكون أسوة حسنة فيكون سن سنة حسنة بشرط أن يكون الإنسان صريح مع نفسه، ولا تتداخل عليه الأمور وبعد ذلك لا يضره حتى لو عمل أمام الناس.

هناك تنبيهات ذكرها أهل العلم على الآية السابقة: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ وهي تنبيهات مهمة:

التبيه الأول: أن مما يدخل في هذا المعنى كما قال أهل العلم: من يعمل بعض الصالحات خالصًا لوجه الله – ويجب أن تنتبه هنا– يريد من الله حظًا دنيويًا يعمل صالحًا خالصًا لوجه الله، يريد من الله حظًا دنيويًا هل له في الآخرة أجر أو ليس له أجر؟

نضرب مثالًا لذلك

مثال: لو أن إنسانًا بر والديه لأجل أن يبره أبناؤه، أو أن شخصًا وصل رحمه لأجل أن ينسأ لـه فـي أثـره ويبسط له في رزقه مثلًا، هل يؤجر يعني عند الله أو ليس له أجر إلا ما نواه في الدنيا وهو مخلـص لله –عـز وجل– في هذه الأعمال، يريد من الله لا يريد من المخلوقين؟

هنا يقول أهل العلم: إن هذا مما يدخل في هذه الآية بمعنى أنه إذا كان المحرك له في الحقيقة هو هذه الأمور المذكورة وإن كانت هي مذكورة في الحقيقة في الحديث لكن لم يحركه إلا هذه فهذه هي أجره ليس له في الآخرة من خلاق، لكن إذا كان المحرك له في الدار الآخرة وهذه أيضًا عنده يريدها فهذا لا بأس به.

أما إذا كان المحرك له أصلًا هذه وليس له التفات لأجر آخر أصلًا بحيث إنه لو كانت هذه الأمـور تحـصل بدون الأعمال الصالحة لم يعمل الأعمال الصالحة فهذا ليس له عند الله من خلاق، وضربنا بعض الأمثلـة مـن الذين يصل رحمه لأجل هذه الأمور الدنيوية يريدها من الله –عز وجل– فليس له في الآخرة من خلاق.

أيضًا كما سبق، من يعمل صالحًا لأجل مراءاة الناس هذا أيضًا كما هو معلوم ليس له في الآخرة من ثواب.

الثالث: من يعمل صالحًا يريد الدنيا؛ يعمل بعض الأعمال الصالحة يعني أعمال الأصل أن تكـون لله –عـز وجل– لكن يريد الدنيا من مال أو يريد أن يتوصل بهذه الأعمال الصالحة لمال أو زوجة ونحو ذلك، كمن يحـج ليأخذ المال يحج لأجل أن يحصل على مال، أو يطلب العلم لأجل أن يحصل على الدنيا، يحصل شهادة ويحصل وظيفة أو يجاهد للمغنم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل أن يكون إماما، يتعلم القرآن لأجل أن يكـون إماما، لا يهتم بأنه يحفظ القرآن؛ لو حصلت له الإمامة بلا قرآن ما حفظ، لكن يكون الدافع له هو هـذه الأمـور والوظيفة أو الدنيا ونحو ذلك؛ فهذه الأمور محبطة للأعمال لأنه عملها لأجل الدنيا ليس له عند الله من أجر.

الفرق بين هذا والأول أن الأول مخلص لله يريد من الله أمور رتبت على هذه الأعمال في الدنيا، أما هنا فهو لا يريد الله –عز وجل–، لا يخلص العمل لله، وإنما يريد هذه الدنيا بهذه الأعمال.

وأيضًا مما يدخل: أن يعمل عملًا صالحًا ملخلصًا لوجه الله –عز وجل– ولكنه متلبس بعمل يخرجه من الملة، فهذا لا يؤجر يعني؛ يكون شخص مشركا كافرا ويعمل قد يتصدق مخلصا، نقول: ليس لك أجر، لمـاذا؟ لأنـك أصلًا عندك شيء يمنع قبول العمل وهو الشرك، قال الله –عز وجل–: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، مثلًا لو أن إنسان يعبد غير الله، ويستغيث مثلًا بالأولياء والصالحين ويذبح لهم ويطوف ويتقرب إليهم، ونحو ذلك، وأعمال شـركية ويعمـل أعمال صالحة، نقول: هذا ما تقبل ما تؤجر عليها؛ لأنك عندك شرط أساسي في قبول الأعمال وهـو التوحيـد، فأنت عندك أمر يحبط أعمالك وهو الشرك والعياذ بالله.

يقول: دائمًا يأتيني وسواس بأن عملي فيه رياء حتى يكاد هذا الخاطر يفسد علي أعمالي فكيف أتخلص مـن ذلك؟

يبدو أجبنا عليه قبل قليل، وأن الوساوس لا يلتفت إليها بل يعتمد على الله –عز وجل– ويستمر في عمله.

تقول: كيف يحقق الإنسان في كل أعماله البعد عن الرياء وكيف يعلم أنه عندما يتكلم عما صنع من أعمال لله كالصلاة والصيام أو غيره أو في العلم وتفوقه فيه فكيف يعلم أنه راءى بذلك الكلام أم أنه لم يراء؟

ذكرنا بعض الضوابط للتفريق بين الإخلاص والرياء: أنه يستوي عنده المدح والذم والسر والعلانية، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه دائمًا، ما يقول والله أنا أصلًا كنت ناو لله ثم ينسى، لا النية تحتاج معالجة دائمة مجاهدة دائمة حتى تستقيم على ما أمر الله -عز وجل- به.

تقول: في بعض الأعمال يحتاج الشخص للثناء ليطمئن أن عمله أثمر وذلك في الأمور المتعدية النفع، فهل يدخل ذلك في الرياء؟

نعم. ثناء الناس ليس دليل على الثمرة، قد يثنون الناس مجاملة وقد يثنون على أمر حابط، وقد لا يثنون ولا يعلمون وهو مقبول عند الله -عز وجل-، فالإنسان يكون قبول عمله مداره على شرطين:

الأول: الإخلاص لله -عز وجل-.

والثاني: المتابعة، أن يكون موافقًا للسنة، فإذا كان خالصًا وموافقا للسنة بعد ذلك كون الناس يمدحون أو يثنون أو لا يمدحون، هذا ليس من علامات القبول.

تقول: كذلك قد يتحمس الشخص لعمل ما، ثم بعد ذلك يشعر أن في نفسه شيء وأنه قد يكون مراء بهذا العمل ويحاول طرد هذه الفكرة وتجديد نيته لكنه يعاوده الشعور بأنه مراء، فكيف يصلح هذا الأمر، لأنه يؤدي للإحباط فما فائدة أن يعمل ثم يجد هذا العمل وبالًا عليه يوم القيامة؟

ذكرنا أن الشيطان يحرص دائمًا يأتي بالوساوس، في الوضوء يوسوس حتى الإنسان يترك الوضوء أو يزيد ثم تفوته الصلاة، ويصلي حتى يكره الصلاة بالتنطع بالقراءة والتكبير ونحو ذلك والزيادة ويأتي بالأعمال يقول أنت ترائي حتى يصرفه عنه، والشيطان يأتي الإنسان من طريق الخير أو من طريق الشر، فإذا كان الإنسان عنده خير يأتي يوسوس له أنت تريد الرياء وكذا حتى يصرفه.

فعلى الشخص أن يخلص لله -عز وجل- ويطرد هذا.

الوساوس هذه لا تكون عقبة ولا تقف أمام الإنسان الذي يعمل، بل يزيد من العمل ويزيد من أعمال السر وبعد ذلك لا يلتفت إليها.

تقول: ما الحكم فيمن يكون مظهره مظهرًا إسلاميًا ويعمل العمل الصالح بنية رسم صورة حسنة لدى الناس عن الأشخاص المتدينين، وليس من أجل ترك انطباع حسن لنفسه شخصيًا بل من أجل تحسين صورة المسلمين المتدينين هل يدخل هذا في الرياء؟

ينبغي على الإنسان أن يعمل الصالحات؛ لأن الله -عز وجل- أمر بها، فإذا عمل الإنسان هذه الأمور لأن الشرع جاء بها وأنت مأمور بها، هذا هو فيه تحسين لصورة الإسلام؛ يعني ما يكون الإنسان همه ينتظر لأن الناس ينظرون إليه؛ ليس عنده قناعة إلا مجرد تحسين الصورة، لا. كل هذه الأعمال: الأخلاق الطيبة والحسنة والمعاملة الحسنة هذا مما أمر به الإسلام فتجعل النية؛ لأن هذا مأمور به شرعًا.

يقول: هل دخول نية الرد على أهل الأهواء والبدع بالنسبة لطالب العلم تقدح في إخلاصه؟

لا. إذا كانت النية لله، هو يتعلم العلم لأجل أن يرد على أهل الأهواء والبدع لله -عز وجل-، لا أن يقال فلان عنده علم بالأهواء ويستطيع الرد عليها؛ لأن ما يريد أن يقيم دين الله يريد أن يرشدهم يريد أن يوجههم يريد أن يهديهم فهذه نية طيبة.

يسأل: إنني أعمل العلم لله -تعالى- لكن أحيانًا أحب أن يظهر للناس دون أن أقوم بأي عمل أو قول يدل على عملي، أخشى أن يكون ذلك من الرياء علمًا أن كثيرًا من عملي ما يظهر للناس؟

إذا علم أن الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، وأن الله -عز وجل- هو الذي يجزيه وأنهم ضعفاء وهم فقراء؛ ابتعدت عنه هذه النظرة وصار لا يتطلع إليهم، فليجاهد نفسه لتقوية مراقبة الله في قلبه والتطلع إلى الدار الآخرة، بعد ذلك سيحتقر الدنيا ومن عليها.

يقول: أليس العمل من أجل الناس شرك وتركه من أجلهم رياء؟

نعم هذا ورد: أن العمل من أجل الناس شرك واضح؛ أن يعمل لأجل الناس شرك قد يكون شركا أكبر أو أصغر. ولكن تركه رياء؟! هذا يختلف قد يكون يتركه لبعض الأمور لكن لا يلزم أن يكون كل ترك رياء، بل عليه أن يخلص العمل لله -عز وجل- ويعمل في السر والعلانية يستمر عليه، ولا يقلب.

يعني هنا أحب أن أنبه، الشيطان جاء لبعض الناس في السابق وقال: اعملوا أشياء تجعل الناس يلومونكم حتى لا تظهروا بالمظاهر الحسنة، ويسمون الملامتية فرقة تسمى الملامتية يعني يعملون ما يلامون عليه؛ يعملون في أشياء تجعل الناس يقولون هؤلاء فسقة أو منحرفون، حتى يقولوا نحن نخلص لله ما نريد أن نظهر بمظهر طيب، فهذا على العكس. انظر كيف لعب الشيطان عليهم حتى صاروا يظهرون بخلاف حقيقتهم.

ينبغي على الإنسان أن يكون يستوي عنده السر والعلانية ويخلص لله -عز وجل- ولا يلتفت إلى وساوس الشياطين التي تصرفه عن العمل الصالح أو توقعه أيضًا في الغلو في الرياء.

نسأل الله -عز وجل- أن يحفظنا ويصلح ظواهرن وبواطننا، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه على كل شيء قدير.

السؤال الأول: ما الموقف الصحيح من خطأ العالم؟

السؤال الثاني: متى تكون طاعة العلماء في المعصية كفرًا؟

الدرس الحادي عشر

باب من أطاع العلماء والأمراء
في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أنهينا في الدرس الماضي الكلام عما يتعلق بباب الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، وعرفنا في الدرس الماضي ما يتعلق بالرياء وحكمه، وأنه منافٍ لكمال التوحيد الواجب، وما ورد فيه من الوعيد الشديد في بعض النصوص من القرآن والسنة، وأنه على المسلم أن يخلص عمله كله لله -سبحانه وتعالى- وأن يبتعد عن محبطات الأعمال، ومن أهمها الرياء بالأقوال والأعمال بالتسميع وبالمراءات، وأن المؤمن العاقل هو الذي يخلع رؤية الناس عن قلبه، ويراقب الله -عز وجل- في عمله، ويسعى لنيل الدرجات العلى في الآخرة ويحتقر في ذلك الدنيا ومن عليها، فلا يضيع وقته وجهده وعمله في مراقبة الناس والسعي في الحظوة لديهم؛ بل عليه أن يسعى في رضا الله -عز وجل- واكتساب مرضاته بالأعمال الصالحة، وعرفنا تفصيلات ذلك وما يتعلق به من الأحكام والأنواع في الدرس الماضي، وفي هذا اليوم -إن شاء الله- نبدأ بباب جديد في حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما أحل الله. نعم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-: (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وتقولون: قال أبو بكر وعمر)).

المؤلف -رحمه الله- أراد بهذا الباب التنبيه إلى أن الطاعة المطلقة إنما تكون لله -سبحانه وتعالى- وأن طاعة المخلوق لابد أن تكون في إطار طاعة الخالق -عز وجل- وأن المخلوق تكون طاعته تابعة لطاعة الله -سبحانه وتعالى- فالطاعة الخاصة بالتحليل والتحريم لا تكون إلا لله -سبحانه وتعالى- وطاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أيضاً تدخل في هذا، فإن طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي من طاعة الله؛ لأن الله -عز وجل- أمرنا بذلك ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [محمد: ٣٣] فجعل الطاعة لله وللرسول -صلى الله عليه وسلم- فالمؤلف -رحمه الله- نبه بهذا الباب إلى أن المخلوق لا يطاع في التحليل والتحريم المخالف لشرع الله، وإنما يطاع فيما سوى ذلك فيما يعارض شرع الله ويطاع في غير معصية الله -سبحانه وتعالى-.

وذكر المؤلف -رحمه الله- في بداية هذا الباب ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من قوله: ((يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر)) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هذا الكلام لمن عارضه في مسألة المتعة في الحج، فكان يقرر أن المتعة في الحج هي الأفضل والأولى وهي فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي التي أرشد إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه وقال: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي) فعورض بكلام أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وهما من أمرنا بالاقتداء بهما، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) هما أفضل الأمة وأفضل الصحابة -رضي الله عنهم- ومع ذلك فإنه لا يُقَدَّم قولهم على قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- بل إن قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- مقدم على قول كل أحد ولو كان الصحابة ولو كان أفضل الصحابة.

فابن عباس -رضي الله عنهما- يقرر في هذا الكلام أن: (قد يوشك أن تنزل) يعني يقرب أن تنزل عليكم حجارة من السماء (أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال: أبو بكر وعمر) يعني تعارضون قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- باجتهاد أبي بكر وعمر.

وطبعاً ما جاء عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- هما اجتهاد ليس مخالفاً، لم يكن قصدهم مخالفة النص، ولكن هذا فهمهم وابن عباس -رضي الله عنه- عنده علم أيضاً بأن هذا أفضل والمسألة خلافية، لكن المقصود بذلك أن الإنكار جاء على من قدم قول أبي بكر وعمر على قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- فكيف بمن قدم قول غيرهما من الصحابة!! بل كيف بمن قدم قول غير الصحابي على قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-!! بل كيف بمن قدم قول شخص ليس معدودا في العلماء على قول الله أو قول رسوله -صلى الله عليه وسلم-!! بل كيف بمن قدم بقول إنسان فاسق أو فاجر أو معروف عنه الكيد للدين على قول الله أو قول رسوله -صلى الله عليه وسلم-!! لا شك أنه يكون له الوعيد أشد وآكد.

فالواجب على المسلم أن لا يقدم على قول الله وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم- أحد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١] فلا يجوز التقدم بين يدي الله ورسوله، لا يجوز أن يقدم قول أحد كائناً من كان على قول الله أو قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأن الواجب نحن متعبدون بالشرع، وكلام الناس يُعْرَض على كلام الله وكلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- فما وافقهما أخذ به وما خالفهما فإنه يرد على قائله، وهذا هو مذهب السلف الصالح، بل هذا مذهب صرح به الأئمة الأعلام أتباع أئمة المذاهب كالإمام مالك والشافعي وأبي حنيفة والإمام أحمد وغيرهم، فالإمام الشافعي -رحمه الله- مشهور عنه أنه يقول: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يتركها لقول أحد من الناس، حتى الإجماع، إجماع أهل العلم على أنه ليس لأحد استبانت له السنة أن يتركها لقول أحد من الناس كائناً من كان، والإمام مالك -رحمه الله- أيضاً عُرِف واشتهر من قوله: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-» والإمام أبو حنيفة -رحمه الله- يقول: «اتركوا قولي لكتاب الله ولرسوله ولأقوال الصحابي» يعني إذا خالف، يعني إذا خالف قولي هذا النص فاتركوا قولي لكتاب الله ولسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولقول الصحابة -رضي الله عنهم- وهكذا عامة الأئمة الأعلام كلهم يصرحون بأنه كل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول -صلى الله عليه وسلم- والشافعي يقول: « إذا صح الحديث فهو مذهبي» فمذهبهم الكتاب والسنة، وكلهم مجتهدون، قد يخطئ الواحد منهم وقد يغيب عنه نص وقد تتعارض عنده بعض النصوص فيرجح بعضها يرجح المرجوح، وهم يعني معذورون في ذلك ما دام أن اجتهادهم كله يعني في إطار النصوص الشرعية والوصول للحق، ولكن الواجب على غيرهم على المطلع ألا يتابع المخطئ في خطئه، وإنما عليه أن يقدم قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- على قول كل أحد ومن باب أولى أن يقدم قول الله -سبحانه وتعالى- على قول كل أحد.

بالنسبة يا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ ﴾ هل المعنى أن القول بقول يخالف أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- مثلاً أو شيء من هذا؟

نعم، التقدم بين يديه يعني تقديم كلام غيره أو فعل غيره أو أمر غيره على ما جاء عن الله أو عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

(وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: « عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون لرأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»).

وهذا أيضاً من أقوال أئمة المذاهب وهو قول الإمام أحمد -رحمه الله- إمام أهل السنة، يتعجب الإمام أحمد -رحمه الله- من قوم عرفوا الإسناد وصحته، يعني عرفوا أن الحديث صحيح، عرفوا صحة الحديث بصحة الإسناد ومع ذلك يذهبون إلى قول سفيان وهو إمام من الأئمة، فيتعجب الإمام أحمد من هؤلاء الذين تصح عندهم السنة ثم يقدمون قول العالم على ما صح من السنة والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فهذا تحذير شديد لمن يخالفون الشرع، بأن تصيبهم فتنة، وقال الإمام أحمد: « أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك » لأن الذي يقدم كلام أحد على كلام الله -سبحانه وتعالى- فهذا يكون فيه نوع من الشرك حيث إنه جعل هذا الكلام مساويا أو مقدماً على كلام الله -سبحانه وتعالى- وهذه من الفتنة، وهي سبب للهلاك، فمن أسباب هلاك الشخص أن يقدم كلام المخلوق على كلام الخالق، وأن يجعل كلام المخلوق هو الأولى بالاتباع من كلام الخالق -سبحانه وتعالى- فهذا محرم ولا شك، لاسيما عندما تستبين السنة لهذا الشخص ويعرف الدليل وصحته.

أما المقلد، الشخص العامي المقلد الذي ما يعرف النصوص الشرعية وما يفقهما ولا يستطيع أن يرجح أو عندما تلتبس عليه الأمر يقلد العالم، وهذا هو الذي يسعه، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] فالعامي يسأل ويقلد ولا عليه حرج في ذلك حتى لو أخطأ المفتي فإنما إثمه على من أفتاه، فأما هذا العامي فقد فعل ما أمره الله -عز وجل- به من سؤال العلماء، ما نلزم نحن الناس بأن ينظروا في النصوص الشرعية ويعرفوا الأحكام من النصوص الشرعية ويرجحوا؛ لأن هذا تكليف ما لا يطاق، ليس كل الناس يفهم النص وليس كل الناس يعرف أن يقرأ وليس كل الناس يستطيع أن يرجح لاسيما في بعض المسائل المشكلة، فما ينادي به البعض من منع التقليد مطلقاً فذا غير صحيح إنما يذم التقليد لمن يستطيع أن يتعلم، لمن يستطيع أن ينظر ويجتهد فهذا يذم في حقه التقليد، أما من لا يستطيع لجهله أو التباس الأمور عليه، فإنه يسأل أهل العلم وأهل الذكر ويقلدهم في ذلك، وبعد ذلك لا حرج عليه حتى لو أنه ... لو أن المفتي هذا أخطأ.

ولكن أيضاً هنا يعني أمر يحسن التنبيه إليه، وهو عندما يختلف العلماء، وهذا يحصل كثيراً يحصل كثيراً لاسيما في هذا الوقت الذي كثرت فيه الفتن واتسعت فيه قنوات الاتصال والمعلومات وصار الناس يسمعون من هبَّ ودبَّ، ويسمعون من خلال القنوات الفضائية ومن خلال الصحف والمجلات، كل صار يفتي، وصار الناس يستمعون إلى كل أحد دون أن يستطيعوا أن يميزوا بين الراسخين وغيرهم، وبين أهل الأهواء وغيرهم، إلا من عصم الله ومن وفقه الله -سبحانه وتعالى-.

هنا ما موقف العامي؟ وعامة الناس؟

نقول للعامي أن يسأل من يثق بدينه وعلمه، ويستمع إلى من يثق بدينه وعلمه، وحينما تتعارض الفتاوى أمامه فإنه يتبع أوثقهم عنده في دينه وورعه وعلمه، ولا يجوز في هذه الحالة وهذا أمر مهم، لا يجوز للناس أن يتتبعوا رخص العلماء؛ لأن بعض أهل الأهواء من الناس تجده يتبع كل عالم بما يروق له، فتجده يتبع العالم الفلاني في المسألة الفلانية؛ لأن فتواه تناسبه، ثم يذهب ويأخذ فتوى أخرى من عالم آخر لأنه أفتى بفتوى تناسبه، وهكذا يتنقل، فهذا خطير، ولذلك يقول العلماء: « من تتبع الرخص تزندق » يعني يخرج إلى الزندقة والعياذ بالله والخروج من الملة؛ لأنه إذا أراد أن يتبع رخص العلماء، فالعلماء يخطئون تجده قد يخطئ عالم فيحل ما حرم الله، فهنا لا يجوز أن تتابعه، ولا يجوز أن تتبع العلماء، لكنك لو أنك وثقت بعالم في دينه وورعه وتقواه وعلمه ثم اتبعته في كل شيء، فهنا يكون معذوراً إلا إذا استبان له أنه مخطئ بلا شك.

لكن المحذور أن يتتبع العلماء ليأخذ منهم أسهل الأقوال، ما يوافق هواه، وهذا مع الأسف نجده الآن شائعا عند كثير من الناس، بل إن بعض الذين يسألون تجدهم يسأل أحد العلماء وقد سأل قبله عددا من الناس، بل إن هذا السائل أحياناً يعرف أقوال العلماء أكثر من هذا العالم، يعرف من العلماء المعاصرين أن فلانا يفتي بكذا، وأن

فلانا يفتي بكذا، فكأنه يستخبره ولا يستفتيه، ما رأيك يا شيخ في كذا، ما حكم كذا، كأنه يريد أن يفهم رأيه ويعرف رأيه مع أن هذا السائل قد يكون عنده علم بفتاوى هؤلاء، لكنه يريد أن يستخبر، كأنه يريد أن يكون معلومات عن أقوال هؤلاء حتى إذا قيل له، قال: نعم لكن العالم الفلاني قال كذا، والفلاني أفتى بكذا، فعلى الشخص أن يتقي الله -عز وجل- وأن يراقب الله -سبحانه وتعالى- وأن يسعى في فكاك نفسه وأن يبتعد عن الشبهات؛ لأن هذا منهج من مناهج أهل العلم وأهل الصلاح وأهل التقوى وأهل الورع.

مسألة اختلف فيها العلماء واشتبهت عليك فالورع أن تخرج من الخلاف وأن تحتاط لدينك، تحتاط لدينك كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الحلال بين والحرام بين وبينهما كثير مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، فقد وقع في الحرام.) وفي الحديث الآخر يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) يعني: دع ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه، فأهل الورع وأهل الدين وأهل التقوى الذين يخافون الله -عز وجل- ويريدون أن ينجوا بأنفسهم ما يتتبعون رخصا، وإنما يخرجون من الخلاف حينما تشتبه عليهم الأمور ويبتعدون عن مواطن الشبه استبراءً لدينهم وعِرضهم، فهذا هو المقام الذي ينبغي أن يروض المسلم عليه نفسه لاسيما في هذا العصر الذي رق الدين عند كثير من الناس لاسيما في أمور الشهوات وأمور المعاملات وصاروا يتتبعون الرخص أينما كانت.

نعم يا شيخ، الحقيقة هذه المسألة مهمة جدًا كما ذكرتم، ولذلك أنا طرأ في ذهني شيئًا يا شيخ، بالنسبة لمن سأل شيخاً أو مفتياً يثق به، هل يجب عليه أن يلتزم بقوله دون أن يبحث عن شخص آخر؟ بعض الناس مثلاً يا شيخ يقول: أنا لم أرتح إلى هذه الفتوى من هذا الشيخ، فلذلك سأبحث عن عالم أو عن طالب علم آخر أطمئن إلى فتواه، هل هذا يُشرع أو يجوز يا شيخ؟.

أنا قلت: إذا كان هذا العالم الذي سأله إذا كان هو يثق بدينه وعلمه يسأل ويتبعه، فهو من أهل الذكر الذي أمر الله -عز وجل- بسؤالهم، ولا يذهب إلى غيره؛ لأجل أن يُرخص له، ولكن لو أن هذا العالم الذي يتبعه اشتهر بفتوى خالف جماهير الناس فيها، فهنا لا يتبعه، هو ليس معصوماً، لا يتبعه فإذا عُرِفَ أنه والله أفتى بفتوى لكن جميع العلماء أو عامة العلماء يخالفونه وأخطأ فيها، فإنه لا يتابعه في هذه الفتوى، فرقٌ بين من يترك هذا العالم لعدم اطمئنانه لفتواه وتحرياً لدينه ومن يتركه تتبعاً لشهوة وبحثاً عن رخصة، نعم.

قال -رحمه الله تعالى-: (وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه-: (أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم) رواه أحمد والترمذي).

نعم، هذا الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وحسنه جمع من أهل العلم فيه بيان للتحليل والتحريم وأنه حق لله -سبحانه وتعالى- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- وعدي بن حاتم لما سمع هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ ﴾ استشكلها وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: (لسنا نعبدهم) لظنه أن العبادة إنما تكون ببعض الشعائر بالركوع والسجود ونحو ذلك، فقال: (لسنا نعبدهم) ثم بين له النبي -صلى الله عليه وسلم- أن العبادة أشمل من ذلك فقال: (أليسوا يحرمون من أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم) بَيَّن أن طاعتهم في التحليل والتحريم هي نوع من أنواع العبادة، وأن طاعتهم في التحليل والتحريم بما يخالف شرع الله يعني بأن أحلوا ما حرم الله أو حرموا ما أحل الله فأطاعوهم بذلك فإن هذا نوع من أنواع العبادة، وهي داخلة في الوعيد الشديد كما في هذه الآية، فالعبادة ليست مقصورة على الشعائر فقط وإنما تشمل أيضاً طاعة التشريع وفي التحليل والتحريم.

وطاعة العلماء في التحليل والتحريم في الواقع تقع على وجهين: أو نقول: لها حالتان:

الحالة الأولى: أن يعلم هذا الشخص أنهم أحلوا ما حرم الله أو حرموا ما أحل الله، فيعتقد ذلك، يعني يعتقد حِلّ ما أحلوه، مما حرّم الله، أو يعتقد حرمة ما أحل الله مما حرموه، وأن لهم الحق في التحليل والتحريم، فهذا كفر بالله العلي العظيم وخروج من الملة؛ لأنه اعتقد أن لأحد من الناس حق التحليل والتحريم، وهذا اعتقاد في مخلوق بما لا يليق إلا بالخالق -عز وجل-.

الحالة الثانية: أن يعتقد أن التحليل والتحريم حق لله، وأن التحليل والتحريم إنما يؤخذ من الشريعة، ولكنه يتابعهم، يتابعهم فيما أحلوه أو فيما أحلوه، فهذا يدخل في ضمن المعاصي، مثل من يفعل المعاصي عمومًا يزني أو يسرق أو يشرب الخمر أو نحو ذلك، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب، ولكنها لا تخرج من الملة باعتبار أن هذا الشخص ما تابعهم معتقداً أن لهم حق التحليل والتحريم ولكن تابعهم في هذه المعصية، فصار عاصياً لله -عز وجل- حيث أطاعهم في تحريم ما أحل الله أو تحريم ما أحل الله.

وهذا أيضاً ليس خاصاً بالعلماء بل يعني إذا أطاع الشخص مخلوقاً في معصية الله أي مخلوق كان حتى لو كان أبوه أو أمه أو زوجته أو أخوه أو صديقه أو أي أحد أطاعه في المعصية فإن هذا محرم وكبيرة ولكنه لا يخرج من الملة، ليس كمن يعتقد أن المخلوق له حق التحليل والتحريم كما عند بعض الطوائف الضالة كغلاة الصوفية وغلاة الرافضة وغيرهم ممن يزعمون أن لأئمتهم الحق في التشريع وفي التحليل وأنهم يمكن أن ينسخوا الشرعية وأن يجعلوا شيئًا واجباً يجعلونه محرماً أو ممنوعاً أو شيء محرم يجعلونه مباحاً فهذا من اعتقده في مخلوق أن له الحق أن يغير في الشرع وأنه يُطاع في هذا فهذا كافر؛ أنه رفع هذا المخلوق إلى منزلة الخالق، وجعله مشرعاً مع الله -سبحانه وتعالى-.

حتى لو ادعى نسخ آية مثلاً أو حديث، ادعى أنها منسوخة مثلاً يا شيخ، يدخل في ذلك؟.

نعم، حتى لو أنه ادعى أن هذه الآية منسوخة وأن العالم الفلاني يعني أجاز هذا المحرم، أو حرم هذا الجائز وأنها نسخت بقوله، فهذا لا شك أنه ردة والعياذ بالله، ومثلما ينادي به بعض العصرانيين أو اللبراليين في هذا العصر من نسخ الشريعة بالواقع، فبعضهم يرى أن الواقع قد ينسخ، يعني يقول لك: واقع الناس يستلزم عدم العمل بهذا الأمر وأن هذا الشرع منسوخ، وهذا يشبه من يزعم أن الشريعة لا تناسب هذا العصر ولا توافقه، فمن اعتقد أن لأحد أن ينسخ الشرع وأن يبدل شرع الله، وأن له أن يحلل أو يحرم بما يخالف أمر الله -سبحانه وتعالى- فإن هذا كافر والعياذ بالله.

يا شيخ هذا في حال أحبارهم ورهبانهم كما في الآية ما بال عوامهم، يعني هل يلزم اعتقادهم لهذا حتى يخرجوا من الملة؟

كيف عوامهم؟

يعني عوام من اتبعوا هذا القول مثلاً، قال بقول خالف كتاب الله -جل وعلا- أو افترى حديثاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يخالف أمراً له؟

العامي إذا كان يقلد إنساناً وثق بعلمه ودينه ولم يعرف شيئا فهو معذور باعتبار أنه أُمر بأن يسأل أهل الذكر وهذا منهم، لكن العامي إذا عرف أن هذا أحل ما حرّم الله فلا يجوز له أن يتبعه، لاسيما في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهذه لا يُعذر بها أحد.

إجابة أسئلة الحلقة الماضية.

طرحتم يا شيخنا الكريم في الحلقة الماضية سؤالين اثنين نبتدئ بإجابة الأخت الكريمة تقول: بالنسبة للسؤال الأول: الموقف الصحيح من خطأ العالم؟

تقول: إن كان خطأ العالم من قبيل الزلة الخطيرة وهي التي توقع الأمة في فتنة وتوقع الناس في شبهة أو مفسدة عظمى فعلينا رد هذا الخطأ وعدم الأخذ به وتحذير الآخرين من اتباع العالم على هذا الخطأ مع الاعتذار له؛ لأنه اجتهد فأخطأ وعدم إخراجه من زمرة العلماء.

تقول: بالنسبة لطاعة العلماء تكون كفراً حينما تكون هذه الطاعة في ما يخالف شرع الله -عز وجل-.

الأخت الكريمة أجابت بإجابة قريبة من تلك الإجابة فقالت: إن الموقف الصحيح بالنسبة للسؤال الأول: الموقف الصحيح من خطأ العالم هو أن العالم إذا اجتهد وأصاب فإن له أجران، وإن اجتهد ولم يُصِب فإن له أجرا.

وكذلك تقول: تكون طاعة العلماء في المعصية كفراً عندما يتخذهم أرباباً من دون الله.

كذلك الأخ الكريم أجاب عن السؤالين بإجابة طويلة وأجاب عن السؤال الثاني: متى تكون طاعة العلماء في المعصية كفراً؟

يقول: لا يخلو من حالين: إذا أطاع العالم فيما ذهب إليه من رأي أو قول، وظهر عنده الدليل القاطع من كتاب الله وسنة نبيه، فأخذ بقول العالم وترك الدليل من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

ويستشهد أيضاً بحديث: (أتدرون ما الفتنة؟) أو بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور: ٦٣] يقول: أتدرون ما الفتنة؟ الفتنة هي الشرك، فيقول: إذا كان المخالف لأمره قد حذر من الشرك والكفر أو العذاب الأليم دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم.

هذه الحالة الأولى يا شيخ.

الحالة الثانية يقول: عند طاعة الأحبار وهم العلماء في معصية الله وتحريم ما حرم الله فتكون طاعتهم عند ذلك عبادة لهم من دون الله.

كما سبق يعني وكما ذكر الإخوة وسبق في التفصيل أن الطاعة إذا اعتقد أن لهم حق الطاعة المخالفة لكلام الله وكلام رسوله، فيكون كفراً، وأما إذا عرف أنهم لا يجوز لهم أن يخالفوا وإنما أطاعهم في المعصية فهنا لا يكون كافراً وإنما يكون عاصياً كفعل سائر العصاة، أما العالم إذا اجتهد فأخطأ فنقول هنا: له أجر كما في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) أجر على اجتهاده، ويفوته أجر الإصابة.

فالعالم المخطئ لا يتابع على خطئه ولكنه لا يُذم، ولا يُعاب، ولا يتنقص بل يُعرف له حقه، نحن نعرف لأهل العلم حقهم، ونعقد أن أهل العلم ليسوا معصومين، أهل العلم ليسوا معصومين ليسوا ملائكة ليسوا رسلاً وإن كانوا هم ورثة الأنبياء، لكن قد يخطئ؛ ولذلك فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال هنا: (إذا اجتهد فأخطأ ... ، وإذا اجتهد فأصاب ...) فدل على أنهم قد يخطئون.

فالعالم إذا أخطأ بعد اجتهاده فإنه يُعذر ولا يُتابع، ليس معنى أنه عالم أنه يتابع في خطئه لكن قوله يرد عليه، قوله مردود عليه، ولا يتباع عليه، ويحترم ويستغفر له ويذكر بالخير والجميل، ولكنه لا يُتابع على الخطأ إذا

ظهر، هذا إذا كان عالماً أما إذا كان الإنسان ليس عالما، وإنما يجتهد في دين الله وهو لا يفهم ولا يعرف النظر في النصوص، ولا يعرف أصول الفقه وأصول النظر في الأدلة فهذا يُذم؛ لأنه ليس له الحق في أن يجتهد في دين الله.

فدين الله وشرع الله ليس كلأً لكل راعٍ وإذا كنا نحترم التخصصات، ولا نرى أن يأتي نجار فيداوي الناس ويزعم أنه طبيب ولا يدخل أحد في غير تخصصه، وكذلك في دين الله، لا يجوز الإنسان أن يجتهد ويحلل ويحرم لاسيما في بعض المسائل المشكلة التي يتطلب النظر فيها إلى الراسخين في العلم والنظر في مقاصد الشريعة ونحو ذلك، فلا يجوز لأحد أن يجتهد وإذا اجتهد إنسان ليس لأحد عنده علم أن يجتهد، وإذا اجتهد من العامة وأفتى فإنه يُذم، يُذم على اجتهاده؛ لأنه ليس أهلاً لذلك، ويُحذر أيضاً منه إذا كان يتكلم في دين الله بغير علم.

المقصود أن العالم إذا أخطأ فإنه لا يُتابع على خطئه، ولا يُذم ولا يُنتهك عرضه كما يفعل بعض الجهال الذين يتتبعون أخطاء العلماء وزلات العلماء فإن هؤلاء في الحقيقة وقعوا فيما وقع فيه أهل البدع من إسقاط مكانة العلماء وهيبتهم، وكما قال الحافظ ابن عساكر قال: «اعلم رحمك الله أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة، ومن طعن في العلماء بالسلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب» أو كما قال، فلا يجوز للإنسان أن يتنقص أهل العلم؛ بل عليه أن يحترمهم ويعرف لهم حقهم ويذكرهم بالجميل ليسوا لأنهم معصومين ولكنهم لهم الولاية ولهم حق الاحترام وهم الذين يبينون للناس دينهم، وإذا أسقطنا العلماء لم يكن للناس مرجعية يرجعون إليهم في دينهم ومن يوجههم، يبدأ الناس كل يعني يتبع العامة والغوغاء (فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (باب قول الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]).

بسم الله الرحمن الرحيم أراد المؤلف –رحمه الله– بهذه الباب أن يبين أن من مقتضى التوحيد ولازم الشهادتين ولازم التوحيد التحاكم إلى شرع الله من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– وأن من عدل عن ذلك فقد كذب في شهادته وشابه المنافقين في أفعاله وعقيدته، وأن الإعراض عن شرع الله من صفات المنافقين التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– في هذه الآيات، وفي هذه الآيات الحقيقة إنكار على من يدعي الإيمان ومع ذلك يريد أن يتحاكم إلى غير شرع الله، فهو يزعم أنه مؤمن ويريد أن يتحاكم إلى الطاغوت، فهذا تناقض في الظاهر كما أنه يعكس التناقض في الباطن، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود سواءً كان الشخص معبودا أو متبوعا أو مطاعا.

والطاغوت كل أيضاً شرع يُتحاكم إليه غير شرع الله، فما خالف شرع الله فهو داخل في ضمن الطاغوت، وكل ما عارض الشرع من الأحكام فهو داخل في حكم الطاغوت.

الله –عز وجل– يقول في هذه الآيات: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ فقوله: ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾ هنا يعني فيه إيحاء بأنها دعوة كاذبة، والدليل أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أُمروا أن يكفروا به ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ هذا فيه بيان أن التحاكم إلى الطاغوت هو في الحقيقة من وحي الشيطان، ومن إملاء الشيطان وأنه سبب للضلال، وليس الضلال فقط، بل الضلال البعيد ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ فالتحاكم إلى الطاغوت هو مما يأمر به الشيطان ويزينه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ يعني حينما يدعون إلى التحاكم إلى شرع الله وإلى الرسول فإنهم ينصرفون، وهذا دليل على أن من دُعِيَ إلى التحاكم إلى شرع الله فأعرض فإنه من المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ يصدون ويذهبون ويتلاهون ويبتعدون وينفرون من الدعوة إلى تحكيم الشريعة.

ثم قال -عز وجل-: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [النساء: ٦٢]،يعني حصلت لهم بليت بسبب كفرهم وبسبب إعراضهم ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني بسبب ذنوبهم، ثم احتاجوا إليك ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ ﴾ بعد ذلك ﴿ يَحْلِفُونَ بِالله إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ يقولون: نحن ما أردنا في ذهابنا إلى غيرك وذهبنا إلى غير الشرع إلا إحساناً وتوفيقاً نريد المداراة ونريد الإحسان ونريد التوفيق وهو في الحقيقة تلفيق، ما يقولون: نحن ما نريد الشرع، لكن يقولون: نحن ذهبنا لأجل الإحسان ولأجل التوفيق بين الأقوال وبين الخصوم ونحو ذلك.

الله -عز وجل- رد عليهم هذا القول وبين كذبه لمّا قالوا: ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ قال الله -عز وجل-: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [النساء: ٦٣] يعني الله -سبحانه وتعالى- يعلم أن هؤلاء المنافقين بواطنهم تختلف عن ظواهرهم وأنهم كاذبون.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ يعني أعرض عنهم احتقارا لهم وامتهانا لهم، اعرض عنهم، ولكن أيضاً: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ يعني مع الإعراض عنهم فإنهم يوعظون ويخوفون ويذكرون إذا استمروا على ذلك ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ يعني بالزجر والتخويف من فعلهم حيث إنه فيه إعراض عن شرع الله -سبحانه وتعالى- فمن أعرض عن شرع الله أو طلب التحاكم إلى غير شرع الله فإنه قد شابه المنافقين فهذا يُزجر ويخوف وفي الحقيقة هذا دليل وعلامة على كذبه في شهادته وتوحيده؛ لأنه لو كان صادقًا لقدم شرع الله الذي هو رضيه، كيف رضي الله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولاً ثم يعدل عنه ويزعم أن الطاغوت أفضل من شرع الله؟!.

يقول: لماذا الآن أكثر المسلمين يقعون في الشرك الأصغر؟ هل لبعدهم عن أوامر الله -عز وجل- ونواهيه ووقعوهم فيما يغضب الله -عز وجل-؟ أم لوجود بعض البدع مع كثرة الوسائل المسهلة للأمر، وقد ذكر لي أحد الدعاة أنه خرج في أحد القنوات المشهورة رجل ساحر يعلم كيف يفك السحر بالسحر، ولنعلم أن المليارات تشاهد هذه القنوات فكيف نبين للناس العقيدة الصحيحة ظل هذا الانفتاح؟.

ما ذكره الأخ صحيح من أن الشرك الأصغر منتشر في كثير من الناس، بل لا يكاد يخلو منه أحد؛ بل لو فتش كل واحد منا عن نفسه لوجد أنه قد يكون له حظ من الشرك الأصغر هو مقل أم مستكثر، يعني حتى الرياء أو بعض الكلمات التي ترد يعني فيها شرك، بل إن هناك شركا أكبر ينتشر عند كثير من الناس، وله أسباب كثيرة من أهمها جهل الناس بالعقيدة الصحيحة وتقاعس الدعاة والعلماء عن البيان والإنكار، وما ذكر الأخ من يعني قد يكون بعض القنوات قد يكون فيها شيء من هذا فهذا إنما تواجه بالدعوة أيضا بمثل هذه القنوات أيضاً أن يواجه الأسلوب بنفس الأسلوب حتى تزاحم هذه الأمور ويبين للناس الحق، والله أعلم.

يا شيخ كأنه ذكر أن هناك بعض القنوات تبث للسحرة، تعليم السحر وكذا، هذا أيضاً من الأسباب التي تنتشر الشرك الأصغر بين الناس، ماذا عن مشاهدة تلك البرامج، ولعلنا تطرقنا لها، لكن للتأكيد إذا وجد بابها يا شيخ؟

هو لا يجوز للشخص كما سبق لنا، أنه لا يجوز السباق الذهاب للكهان وللسحرة وأظن أنه جاء سؤال في نفس هذا ما أدري سائل أو سائلة قالوا: إنهم يشاهدون شيئا من هذا، فهل لا يجوز؛ لأن هذا فيه تكثيرا لسوادهم، وقد يكون فيه تأثر بهم، فالواجب البعد عنهم، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر الدجال وحذر منه، قال:

(من سمع بالدجال فلينأ عنه، فإن الرجل يأتي ويظن أنه لن يتبعه فيتبعه لما يجد عنده من الفتن) فينبهر بما عند هذا الدجال من فتن فيتبعه، فالواجب على المسلمين أن يبتعدوا عن مشاهدة مثل هذه القنوات التي تبث الشر والشرك، وتعلم الناس ما يضر بدينهم وأيضًا وأن يعمل أهل العقيدة السليمة والصحيحة ما يستطيعون من نشر العقيدة والتحذير مما يضادها والله أعلم.

توقفنا عند قوله تعالى: قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١] وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]).

هاتان الآيتان فيهما بيان أن هؤلاء الذين يبتعدون عن تحكيم الشرع لا يقولون: نحن لا نريد الشرعية، وإنما يقولون: نحن نريد الإصلاح، ونبحث عن الإصلاح ونبحث عن الأفضل ﴿ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ يعني لا تفسدوا في الأرض بالمعصية والشرك وتحكيم غير شرع الله، قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ نحن نريد الإصلاح، وهذا طبعًا يخالف الواقع، الله -عز وجل- رد عليهم بقوله: ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢] كيف يكون الإصلاح بالمعصية والشرك، إنما يكون الإصلاح بالطاعة كما قال -سبحانه وتعالى- في الآية الأخرى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ يعني لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي والشرك والبدع والمخالفات ﴿ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ بعد أن صلحت ببعثة الرسل بالتوحيد والطاعة والإيمان، فالذين يزعمون أنهم مصلحون هم في الحقيقة مفسدون، ليس الإصلاح فيما يعارض الشرع، ليس الإصلاح في مخالفة الشريعة وإنما الإصلاح في موافقتها، إنما الإصلاح في تطبيقها، أما الذين يزعمون أنهم يزعمون أنهم يريدون صلاح الناس وإصلاح الواقع ونحو ذلك فيأتون بما يعارض الشرع، فهؤلاء في الحقيقة هم يفسدون كما أخبر الله -عز وجل- في هذه الآيات.

(وقوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]).

هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ هذا فيه إنكار لمن يدعون إلى حكم الجاهلية، لمن يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، لمن يتركون حكم الله -سبحانه وتعالى- إلى حكم الجاهلية سواءً كانت آراء الرجال وأهواءهم أو قوانين مستوردة أو غير ذلك، قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يعني أن حكم الله هو أحسن وأكمل وأفضل للناس لو كانوا يوقنون لو كانوا يعلمون لو كانوا يريدون الحق والعدل لطبقوا الشرع، كيف يفضلون حكم الجاهلية، والجاهلية كما سبق معنا: هي كل ما عارض الشرع توجد جاهلية زمانية، وهذه انتهت ببعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن هناك أخلاق الجاهلية وهي جاهلية مكانية في بعض الأماكن، والجاهلية في بعض الأخلاق وفي بعض الأحكام، فحكم الطاغوت هو من حكم الجاهلية ؛ لأنه خالف الشرع، وما خالف شرع الله فهو من الجاهلية، فكيف يزعم الشخص أنه مؤمن ثم يريد أن يتحاكم إلى حكم الجاهلية؟! لا شك أن هذا من التناقض.

(قال: وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح).

نعم، هذا حديث روي في كتاب الحجة وغيره كالطبراني وابن أبي عاصم وغيره، وصححه النووي وضعفه آخرون كابن رجب وغيره، لكن معنى الحديث صحيح، معنى الحديث صحيح هو: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) يعني الشخص لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل الواجب إلا إذا كان هواه وما تهوى نفسه تابعا لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- تابعا لشرع الله، وهذا يشهد له كما قلنا كثير من النصوص كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال: ﴿

فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] فمن مقتضيات الإيمان أن تكون رغبة الإنسان وهوى الإنسان وتوجه الإنسان تابعة لما جاء في الشرع، تابعة لما جاء به الشرع ولما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) يعني لا يحصل له الإيمان الكامل الواجب إلا إذا كان هواه تابعا لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- والمقصود به الإيمان الكامل الواجب الذي به يدخل الجنة وينجوا من النار.

أما إذا كانت بعض أهوائه فيها شيء من المخالفة فإنه ينقص عنه الإيمان الواجب، ويكون له من الوعيد بحسب ما عنده من ذلك.

فالواجب على المسلم أن يحب ما يحبه الله -عز وجل- وأن يحب ما يحبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الأقوال والأعمال والأشخاص، والأشياء عمومًا تكون محبته تابعة للشرع ويكون بغضه تابعاً للشرع، فيحب ويبغض على وفق ما جاءته به الشريعة لا على وفق هواه، فأكمل الأشخاص من يكون هواه تابعاً لما جاءت به الشريعة، ويكون الانحراف حينما تكون أهواء النفوس مخالفة لشرع الله، حينما يكون الإنسان يهوى ما حرم الله والعياذ بالله، أو يكره ما أوجب الله -سبحانه وتعالى- لأن هذا والعياذ قد يخرجه من الملة، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩] الذي يكره ما أنزل الله يحبط عمله والعياذ بالله، يكره شرع الله، فالواجب على المسلم أن يحب شرع الله ويحب أحكام الإسلام ويعلم أنها أفضل وأكمل وأحسن الشرع وأكمل الهدي هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسواء أنه أدرك التفاصيل أو لم يدركها، لكنه يوقن بهذا الشيء ويجزم ويقطع بأن شرع الله أكمل شرع، وأنه أفضل للناس وهو الذي به مصالح الناس، تطبيق الشريعة بها تحقيق مصالح الناس لا بما يخالفها من آراء الرجال أو القوانين الوضعية التي تستجلب من الشرق أو من الغرب، ففي هذا الحديث بيان بأن الإنسان لا يكون مؤمناً الإيمان الواجب الكامل إلا إذا كان ما تهواه نفسه وترغبه موافقا لما جاء عن الله -عز وجل- أو عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

شيخنا الكريم لا شك أن كره أوامر الله -جل وعلا- أمر خطير كما ذكرتم، لكن ماذا عن استثقال بعض أوامر الله -جل وعلا-؟ بعض الناس يستثقل بعض العبادات التي أمر الله -جل وعلا- بها وأمر بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- هل يدخل هذا في ما ذكرتم يا شيخ؟.

أحسنت، يعني هو سؤال حقيقة مهم ويمكن أن يقال: الاستثقال يعني نوعان:

استثقال يتضمن كره هذا الحكم، يعني كراهية لهذا الحكم، وكراهية لهذا التشريع فهذا كفر والعياذ بالله.

لكن هناك استثقالا نفسيا ما يتضمن الكره ويحبه ويعلم أنه أفضل شيء لكن قد تستثقله نفسه، فهذا لا يكون كفراً وإن كان أهل الإيمان والتقوى والدرجات العلى هم الذين يتلذذون بما يستثقلونه، بما تستثقله نفوسهم، تكون لذة عليهم؛ ولذلك في الحديث الصحيح النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر ما يرفع الله به الدرجات ويمحو به الخطايا، فقال: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط) فقال: (استثقال الوضوء عن المكاره) يعني مع المكاره، يعني الإنسان حينما يتوضأ مثلاً في البرد الشديد بالماء البارد ليس كحال كثير من الناس الآن -ولله الحمد- نعم أنعم الله بها علينا من وجود المياه المسخنة والمياه الدافئة في الشتاء، لكن نفترض أن إنسانا صار في وضع في مكان بارد وماء بارد، فهنا إسباغ الوضوء مع المكاره فيه يعني كراهية طبيعة النفس البشرية تكره أن يكون النفس بارد في زمن بادر على الجسم، فهذا الاستثقال يعني هذا من طبيعة النفس البشرية، لكن أهل الإيمان يتلذذون بما يكون فيه استثقال لطبيعة النفس البشرية لمشاهدتهم واستحضارهم أجر الله -عز وجل- لأنهم حينما يقع عليهم هذا الشيء هم يعلمون أنهم يؤجرون فيتلذذ بهذا الأجر ولذلك كما ورد عن بعض السلف أنه أحياناً قد يرحب بالمرض باعتباره أنه يكفر عنه السيئات ويزيل عنه الذنوب.

فالمهم أن بعض المكاره الإنسان يتلذذ بها، صاحب الإيمان حينما يستيقظ من فراشه وهو لم ينم إلا قليلاً ويذهب إلى الصلاة ويقوم لصلاة الفجر، هذا طبيعة النفس تريد النوم، لكن الذي تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويقومون استجاباً لنداء الله ويتلذذون بهذا الأمر، لا شك أن هؤلاء منزلتهم عالية، فهذه أعلى المنازل ودونها من استثقال التي هي من طبيعة النفس البشرية لكن المحذور هو الاستثقال المتضمن للكره للحكم الشرعي، والله أعلم.

قال –رحمه الله تعالى–: (وقال الشعبي –رحمه الله تعالى–: (كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– لأنه عُرِفَ أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكم إليه فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ...﴾ [النساء: ٦٠] الآية، وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرضَ برسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله)).

هذان قولان في سبب نزول الآيات السابقة، الأول: عن الشعبي –رحمه الله– وهو ورد عنه مرسلاً وصحح إسناده بالإرسال الحافظ ابن حجر، وفيه بيان لسبب نزول هذه الآيات وهو أنه كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، أراد اليهودي أن يتحاكم إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأنه يعلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يحكم بالحق ولا يأخذ الرشوة، وأراد المنافق أن يتحاكم إلى اليهود، علم أن اليهود يأخذون الرشوة، بعد ذلك اتفقا أن يأتيا كاهناً من جهينة ويتحاكما إليه، فنزلت هذه الآية.

وهذا يفيدنا أن المنافقين قد يكونون أشد بغضاً للشريعة من اليهود، وقد يفهم من هذا أن الحق كان لليهودي؛ ولذلك أراد أن يذهب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وذكر المؤلف القول الثاني في الآية وإن كان ضعيفاً لا يصح، لكن أيضاً يشهد له بقية الآثار الواردة أو الأقوال الواردة في سبب نزول هذه الآية وهي قريبة من الأثر السابق وفيه: أن رجلين اختصما فأرادا أن يتحاكما فأحدهما أراد أن يذهب إلى كعب بن الأشرف يهودي ولكن الآخر امتنع، فالمهم تراضيا بعد ذلك لما ترافعا إلى عمر –رضي الله عنه– وتبين أن هذا الشخص أن أحدهما امتنع من الذهاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– فقتله لعمله أنه منافق وأنه يستحب أن يقتل؛ لأنه أعرض عن هذا الشرع وهذا طبعًا هذه الأثر لا يصح فلا يعتمد عليه في مثل بعض ما جاء فيه.

المهم أن هذا الحديث فيه أن المنافقين هم أشد كراهة لله ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– ولشرع الله من اليهود، وأشد عداوة لأهل الإيمان منهم.

وفيه أن معرفة الحق لا تكفي عن العمل والانقياد، اليهود يعرفون أن النبي –صلى الله عليه وسلم– صادق، ولذلك اليهود لما كان لهم الحق أرادوا أن يذهبوا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– كما يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٩] تجده أنهم عندما يكون لهم الحق يريدوا أن يتحاكموا إلى الشرع، وإذا لم يكن لهم حق يريدوا أن يذهبوا عن الشرع.

فاليهود يعلمون أن محمدًا صادق وأنه لا يكذب وأنه يعدل ومع ذلك أعرضوا عن اتباعه فدل على أن المعرفة بالحق لا تكفي عن العمل بالحق.

فهذا في الحقيقة يبين لنا وجوب التحاكم إلى الشرع، وأن الإعراض عن الشريعة هو في الحقيقة من صفات المنافقين ويجعل الشخص منافقاً إذا دعي إلى الله ورسوله ليتحاكم إليه ثم أعرض عنه وارتضى غيره فإن هذا دليل على نفاقه إذ لو كان راضياً بهذا الإسلام وموقنا بصحة الدين والشرع لقَدَّمَهما على قول كل أحد، أما

الإنسان الذي يتظاهر بالإسلام ثم إنه يُدعى إلى التحاكم بالدين ويأبى ويعرض ويفضل حكم الطاغوت وحكم الناس على حكم الله وحكم الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا شك أن هذا طعن في دينه وإسلامه.

أسئلة الموقع.

تقول: هل يجب على العامي أو المستفتي سواءً العالم أو المفتي عن الدليل هل يجب على المفتي تبيان وجه الدليل في فتواه؟ وما حكم العمل بالفتوى من غير معرفة دليل القائل بها؟

بالنسبة للعامي لا يلزم أن يعرف الدليل وإذا أخذ الحكم يكفيه، ولكن العالم حينما يقرن قوله بالدليل فهذا لا شك أنه أولى وأكمل وينبغي للعالم أيضاً أن يجعل فتواه هي الدليل خاصة إذا كان معلوماً ومفهوماً واضحاً للسائل، فيقرنه به ويوضحه للسائل.

تقول: هل يجب على المستفتي أن يسأل المفتي عن الدليل؟

لا، ما يجب عليه إذا وثق بعلمه ودينه ما يقول: إيش دليل؟ لأنه حتى لو كان هناك دليل استنباط من الدليل قد لا يفهمه العامي، قد تكون المسألة فيها استنباط من دليل أو من عدة أدلة ومن قواعد شرعية قد لا يدركها العامي فلا يلزم العامي أن يسأل عن الدليل، لكنه له إذا أراد أن يسأل وخاصة إذا كان يمكن أن يدرك هذا الشيء فيسأل ويجيبه العالم.

تقول: في بعض الفرق الضالة مثل الصوفية يا فضيلة الشيخ دار حوار بيني وبينهم عن الدعاء وطلب الحاجات من أصحاب القبور واستدللت له بآية من سورة الأحقاف وهي: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥] فقالت الصوفية مستدلة: أن هناك قصة شاب دعا الله وحده، وآخر دعاه عند القبر وفي اليوم التالي توفيت والدة الموحد؛ لأنه دعا الله وحده ولم يذهب إلى صاحب القبر؟

يقول: يا شيخ هل يمكن أن توضح لي الخلط بالنسبة للأمور التنظيمية في بلد إسلامية كنظام المخالفات، بعض الناس يخلط يقول ... هذه يدخلها ضابط الشرع التحكيمي شرع غير الله -سبحانه وتعالى- فودي أن توضح الضابط بين هذه وهذه.

شيخنا الكريم نعود إلى سؤال الأخت الكريمة عن حوارها مع بعض الفرق الضالة.

أنا آخر السؤال ما فهمته.

تقول يا شيخ أنها تحاورت مع بعض الفرق الضالة ودار حوار بينهم عن طلب الحاجة وعن حكم طلب الحاجة من أصحاب القبور واستدلت بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله ﴾ يعني ما أدري هل تريد توجيها منكم أو شيء هذا ما فهمته.

هذا يعني استدلال جيد حقيقة من الأخت على هذه السائلة أو المحاورة، فالله -عز وجل- يقول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] فسمى الدعاء عبادة، ف(الدعاء هو العبادة) كما صح في الحديث، فلا يجوز دعاء الأموات، والله -عز وجل- يقول﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤] فسمى دعاء غير الله

شركاً، فلا يجوز الذهاب إلى هؤلاء ولا دعاؤهم حتى لو حصل لهم ما أرادوا؛ لأنه قد يفتن الإنسان وقد يحصل له ما أرد بعد ذهابه؛ ولكن عندنا نحن قواطع شرعية واضحة وظاهرة لا تترك لوجود بعض الاحتمالات أو حتى لحصول بعض الأمور حتى الذين يذهبون إلى أيضاً السحرة والكهان قد يحصل لهم بعض الشيء، ولكن هـذا لا يعطي الحكم الشرعي الواضح.

شيخنا بالمناسبة نجد الآن كثيرا من الإخوة –بارك الله فيهم– يدخلون في مواقع الإنترنت ويناقـشون بعـض أصحاب الفرق الضالة ويحتجون معهم ببعض الأدلة، يعني هل هذا وارد لكل أحد يا شيخ؟ أم أنه يجب الإنـسان يحصن نفسه ابتداءً حتى لا ينزلق معهم حتى لا ينزلق معهم في تلك المزالق يا شيخنا؟

نعم، بالنسبة لمناظرة الطوائف الضالة لا ينبغي أن يخوض فيها إلا شخص متمكن؛ ولذلك كان منهج الـسلف الصالح كان من منهجهم الإعراض عن أهل البدع وهجرهم وعدم السماع منهم ولا مناظرتهم، هذا من منهجهم، وكان من منهجهم أيضاً منهج آخر أنهم أحياناً يحاورونهم ويناظرونهم ويردون عليهم، ولكن هذا يكون من قِبَـلِ أهل العلم الراسخين حتى لا يأتي شخص ضعيف الحجة وهو منتسب إلى أهل السنة فإما أن يُفتن هو بسبب مـا يسمع أو أنه يكون ضعيفا أمام شبه هؤلاء فيخذل أهل الحق بسبب جهله.

تقول: لو سمحت يا شيخ في الدرس الماضي باب ما جاء في الرياء، الآية: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١٠١] ما عرفت ما هو الرابط بين هذه الآية والرياء؟

نعم يا شيخ تسأل عن هذه الآية ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى ﴾.

وإيش هو سؤال الأخ الكريم قبل قليل؟ بالنسبة للأنظمة، تنبيه جيد حقيقة، بالنسبة للأنظمة والقـوانين التـي التنظيمية فهي في الحقيقة لا تدخل في التشريع الوضعي؛ لأن هذه ليست تشريعات لأمور نقول: إنهـا مخالفـة للشرع بحيث إنه مثلاً لو قيل: والله إن هذا الطريق سرعته كذا، وهذه الإشارة لا تتجاوز إلا إذا صـارت كـذا، ونحو ذلك من الأنظمة التي فيها تنظيم لحياة الناس وأمورهم، فهذه لا تدخل فيما نحن فيه من تحكيم غير شـرع الله، ولكن أيضاً يجب أن تكون هذه الأنظمة والقوانين يجب ألا تكون معارضة للشرع، يعني لا يجوز أن يكون فيها شيء يعارض الشرع، والأصل فيها الإباحة، وقد تكون أحياناً واجبة، واجبة الاتباع؛ لأنها من طاعة ولـي الأمر الذي نحن أُمرنا بطاعته؛ ولأن التماشي معها فيه مصلحة لعامة الناس، مصلحة لعامة المسلمين، بها تستقيم حياتهم وأمنهم وسائر شئونهم، فتجب الطاعة فيها ما دام أن مصلحتها ظاهرة، ولكن يجب أن تكون حينما تقـنن هذه القوانين العامة أن لا يكون فيها شيء مخالف لشرع الله، وإنما الذي يدخل في القوانين الوضعية الطاغوتيـة هي القوانين التي تسن لمخالفة شرع الله وتضاهي شرع الله، نعم.

الأخت الكريمة سألت عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾؟.

نعم، هذا وجه دخولها في الرياء: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فهذا الشاهد: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُـو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ فالصالح هو الصواب ﴿ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَـدًا ﴾ ومن الشرك الرياء، فحتى يكون العمل مقبولا يجب أن لا يكون فيه شرك لا كبير ولا صغير، ولهذا جـاءت هذه الآية في التحذير من الرياء.

بالمناسبة أنا أحب حقيقة أن أنبه بمناسبة الكلام عن القوانين الوضعية، الحكم بغير ما أنزل الله نقول: إنه لـه أحكام، قد يكون كفرا أكبر مُخرجا من الملة، الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا أكبر مُخرجا من الملة، وقـد يكون كفراً أصغر، كفرا دون كفر، وقد يكون دون ذلك.

فيكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر مُخرجا من الملة في أحوال منها:

إذا اعتقد عدم أحقية شرع الله، يعني عدم أحقية شرع الله في التحاكم إليه، فهذا في الحقيقة كفر مخرج من الملة.

أو اعتقد أن حكم الطاغوت من القوانين وغيرها أنها أفضل من شرع الله، يعتقد أن هذه القوانين أفضل من شرع الله، أو حتى لو اعتقد أنها مساوية، مساوية لشرع الله، أنها مثل شرع الله، أو أن الإنسان بالخيار فهنا أيضاً كفر أكبر، أو حتى لو اعتقد أن شرع الله أفضل منه، لكن الحاكم له أن يحكم بهذه أو هذه حسب ما يرى، وأنه لا يجب عليه أن يحكم بشرع الله فهذا أيضاً كفر أكبر؛ لأنه أجاز .... يعني كأنه أبطل الواجب كما سبق معنا، اعتقد أنه لا يجب أن يتحاكم إلى شرع الله، فهذا أيضاً مما يدخل في الكفر الأكبر.

إذن سواءً اعتقد أنه مماثل لشرع الله، أو اعتقد أن شرع الله أفضل لكنه لا يجب عليه أن يتحاكم إلى شرع الله فهذا كله -والعياذ بالله- مما يدخل في الكفر الأكبر، أو اعتقد أن الشرع الإسلامي قاصر، أو لا يصلح للتحكيم في هذا العصر والتحاكم إليه، أو اعتقد أن شرع الله مقصور على بعض الجوانب، أن الشريعة هي في العبادات ونحو ذلك، وأنها لا دخل لها مثلاً في الحدود أو في الاقتصاد أو في غير ذلك، فهذا أيضاً في الحقيقة كما يقال تكذيب لشرع الله، وحصر لشرع الله في بعضه كما يقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥] هذا أيضاً مما يدخل في الشرك الأكبر.

أو جعل تشريعاً جديداً نسخ به شرع الله وجعل قوانين عامة يُتَحاكم إليها فكل هذا مما يدخل في تحكيم غير شرع الله، أو حتى لو ما جعل هناك قوانين مستوردة أو حتى لو تحاكم إلى العادات الجاهلية والقبلية وجعلها واجبة، أن يجب على هؤلاء أن يتحاكموا إلى عوائدهم وعوائد قبائلهم المخالفة لشرع الله، فكل هذا -والعياذ بالله- مما يدخل في الكفر الأكبر.

هناك أحياناً يكون التحاكم كفرا أصغر، كفرا دون كفر، وهو ما إذا تحاكم في قضية أو بعض القضايا لغير شرع الله لهوى في نفسه، هو يعلم أنه يجب أن يُتَحاكم إلى شرع الله، ويجب أن يحكم بشرع الله، لكنه حكم في بعض الأحوال لهوى في نفسه، حكم لأن هذا والله قريبه أو صديقه وحكم له بما يخالف شرع الله أو غَيَّرَ في شرع الله في بعض الأمور لهوى في نفسه، فهذا لا يُخرج من الملة، وإن كان كبيرة من كبائر الذنوب كسائر المعاصي.

بقي أن هناك حالة يحكم فيها الحاكم بغير شرع الله ولا يأثم؛ بل قد يُؤجر وهو إذا حكم باجتهاد منه وأخطأ فهذا الخطأ هو في الحقيقة ليس شرع الله، يعني الحاكم حينما يجتهد فيحكم ويخطئ في اجتهاده نقول: إن هذا الحكم مخالف لشرع الله ولكنه لا يعد كفراً؛ لأن هذا الحاكم اجتهد في ضوء الشريعة وفي ضوء النصوص الشرعية، ولكنه لم يوفق للصواب فحكمه مخالف لشرع الله، ولكنه مأجور على اجتهاده؛ لأنه مأجور على اجتهاده وفاته أجر الإصابة، فهنا حينما حكم باجتهاد من عنده نفسه وخالف الشرع نقول: هذا الشرع أو هذا الحكم مخالف لشرع الله، وهو لا يجوز أن يُثاب عليه، ولكن هذا الشخص معذور؛ لأنه اجتهد.

أما الذي يتحاكم إلى غير الشرع من عامة الناس فهنا يختلفون: فمن اعتقد حين تحاكمه إلى غير شرع الله اعتقد ما جاءت في الحالة الأولى التي ذكرناها اعتقد أنه والله لا يجب عليه أن يتحاكم إلى الشرع، أو أن القوانين أفضل من الشرع، أو نحو ذلك مما يخرج من الملة فيكون هذا والعياذ بالله كافرا باعتقاده أن الطاغوت أفضل من شرع الله، أو أن آراء الناس أفضل من شرع الله -عز وجل- فهذا إذا تحاكم إليهم بهذا الاعتقاد فإنه يكون كافراً والعياذ بالله، لكن إذا ذهب وتحاكم إلى شرع غير الله مع علمه أنه لا يجوز، وعلمه أن شرع الله أفضل، ولكن لهوى في نفسه عرف أن القانون هنا سيكون معه وهو مبطل في هذا فهنا يكون محرماً ويأخذ حكم الحالة الثانية.

بقي أنه لو أن شخصاً ما أمامه إلا أن يذهب إلى من يتحاكم إلى غير شرع الله، ويريد أن يستخرج حقه، فإذا كان يعلم أن هذا الحكم الآن الذي هو يحكم بغير شرع الله وأنه سيوافق شرع الله في أخذ حقه فله أن يذهب إليه عند الضرورة أو الحاجة لاستخراج حقه ما دام أنه موافق لشرع الله، وإن كان بعض العلماء رأى أنــه يتنــزه ويبتعد عن ذلك يكون أولى وأكمل لحاله، والله أعلم.

تقول: كيف نعرف العالم الرباني من غيره؟ وكيف نعرف العالم الذي نطلب العلم على يديه؟ وضــحوا لنــا المنهج الصحيح في معرفة العالم والشيخ، نحن -تقول- في خضمات ومتاهات فأخرجونا منها بنــور الــشريعة بارك الله فيكم؟.

العالم هو يعني العالم الرباني من ينتشر صيته وفضله بين الناس ويتواتر بين الناس علمه وفــضله وتقــواه وورعه، فهذا هو العالم الرباني، ويعرف بإتباعه للدليل، العالم الرباني: هو الذي يتبع الدليل من كلام الله وكــلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- وتكون فتاواه مبنية على الدليل لا على الهوى، ولهذا لا يتناقض، أما غير الرباني فهو الذي يدور مع أهواء الناس ويتأثر بضغوط الناس في أقواله وفتاواه، وتجده يخالف شرع الله، وأيضًا تجده لا يظهر عليه سيما العلم وخشية الله -عز وجل- كما قال -سبحانه-: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال ابن مسعود: « إنما العلم خشية الله » فالعالم الرباني هو الذي يخشى الله، والذي يطبق ما علم، وتظهر آثار علمه عليه بتطبيقه لعلمه وحرصه على اتباع السنة ونحو ذلك ويظهر ويعرف بين الناس بذلك، فهنا هذا هو الذي يتابع في علمه وفتواه ويؤخذ العلم عنه، والله أعلم.

في ختام هذه الحلقة نشكركم ونطلب منكم أن تتفضلوا مشكورين مأجورين بطرح سؤالي حلقة الأسبوع القادم بإذن الله تعالى.

هناك سؤالان للحلقة القادمة -إن شاء الله-.

السؤال الأول: ما حكم من أنكر صفة من صفات الله تعالى؟

السؤال الثاني: ما حكم قول الشخص: "تفوقت بذكائي واجتهادي"؟ لعل هذه تكون هي أيضاً محــورا للبــابين القادمين -إن شاء الله-.

الدرس الثاني عشر

باب من جحد شيئاً من صفات الله

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد عرفنا في الدرس الماضي ما يتعلق بحكم طاعة العلماء والأمراء في التحليل أو التحريم وبينا أقسام ذلك، وأنه قد يكون كفراً مخرجاً من الملة إذا اعتقد أن لهم الحق في التحليل التحريم، وقد يكون معصية إذا أطاعهم مع علمه بعدم جواز ذلك، كما عرفنا أيضاً أقسام الحكم بغير ما أنزل الله، ومتى يكون كفراً أكبر، ومتى يكون كفراً أصغر، ومتى يكون أيضاً اجتهاداً يؤجر عليه المجتهد، وعرفنا تفاصيل ذلك في الدرس الماضي.

وفي هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- نبدأ بدرس جديد.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد : ٣٠].)

أراد المصنف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- بهذا الباب بيان أن التوحيد لا يكون إلا بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وأن جحد شيء من ذلك ينافي التوحيد، فعقد هذا الباب لبيان هذا الأمر، وذكر قول الله -سبحانه وتعالى- ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد : ٣٠] وهذه الآية فيها ذكر لموقف الكفار، كفار قريش وأنهم يكفرون بهذا الاسم اسم الرحمن كما ورد في حادثة صلح الحديبية لما طلب من سهيل بن عمرو أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: أنا لا أعرف الرحمن الرحيم، وأبى أن يكتب الرحمن الرحيم وكتب " باسمك اللهم " فهم أنكروا هذا الاسم وإن كانوا هم طبعاً لا ينكرون الله -عز وجل- ولا ينكرون ربوبيته وهم كفار مشركون.

يعني كان شركهم في إشراكهم في توحيد العبادة وفي إنكارهم لبعض الأسماء ومنها الرحمن، فذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- هذه الآية التي تبين أن من أنكر صفة من صفات الله -سبحانه وتعالى- فقد شابه المشركين الذين كفروا باسم الرحمن.

وفي الحقيقة إنكار صفة من صفات الله -سبحانه وتعالى- هذا كفر، من أنكر صفة من صفات الله -عز وجل- ثابتة بالكتاب والسنة فإنه يكون كافراً لأنه يكون مكذباً لما جاء عن الله وعن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

أما من تأول النص، واعتقد أنه لا يدل على هذه الصفة فهذا يختلف، إن كان التأويل له مساغ، تأويل سائغ له وجه في اللغة، وإن كان التأويل خاطئا ليس هناك قرينة تدل على ما يؤول به هذا النص، وصرفه إليه فنحن نعتقد أن هذا التأويل خاطيء ولكن المتأول إذا كان لتأويله وجه في اللغة فإنه يدرأ عنه التكفير، ليس المتأول للنص مثل الذي ينكر صراحة، ينكر الصفة أو ينكر النص ونحو ذلك.

أما إذا كان التأويل ليس له أي وجه وإنما هو لا يعد تأويلاً في الحقيقة وإنما يعد تحريفاً، لأنه فرق بين التأويل الذي له وجه وإن كان تأويلا فاسداً وبين التحريف الذي ليس له أي مسوغ وليس له أي وجه في اللغة مثل تأويلات الباطنية وغيرهم من الفرق الباطنية الضالة على اختلاف أنواعها، فإن تأويلهم كفر لأن تأويلهم في الحقيقة مسخ للشريعة، تبديل للشريعة دون أي دليل، فيقولون مثلاً الصلوات الخمس هي حفظ خمسة أسماء، الصيام هو الإمساك وليس الإمساك عن الطعام والشراب يقولون الصيام هو الإمساك عن إفشاء أسرارنا، والزكاة هي دفع شيء لأئمتنا، الحج هو زيارة مشاهدنا ونحو ذلك، أو يحرفون تحريفاً لا يدل عليه أي دليل ولا أثر ولا نظر، فهذه كلها تحريفات مسخ للشريعة، وبعضهم يؤول ويحرف نصوص اليوم الآخر بحيث أنه ليس هناك جنة أو نار، يقول: هذه أوهام وهذه خيالات مجرد أن الله -عز وجل- أنزلها ليتصور الناس شيئا لا حقيقة له، وبعضهم يأتي بشيء لم يدل عليه الدليل كما قلت وليس له أي قرينة من سياق ولا من أثر ولا من نظر ولا من لغة، كقول من قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧] قالوا عائشة، ويأتون بمثل هذه الأمور التي قد يكون فيها طعن أحياناً وقد يكون فيها أيضاً غلو أحياناً وقد يكون فيها تعويم للشرائع وللمحرمات أو للواجبات أو للعقائد أو غير ذلك بما يخرجها عن دلالتها، فهذا كله كفر إنما نحن نتكلم هنا عن التأويل إذا كان له وجه في اللغة، والتأويل سائغ حينما أقول سائغ يعني له وجه في اللغة، وإن كان باطنا لم تدل عليه قرينة فهذا لا يكفر صاحبه ويدرأ عنه تأويله، يدرأ تأويله تكفيرهم، أما من أنكر صفة من صفات الله ثابتة وقال مثلاً: الله -عز وجل- ليس بحي أو ليس بخلاق ولا رزاق ونحو ذلك أنكر صفات الله -عز وجل- فهذا يكون كافراً.

(وفي صحيح البخاري قال: عليٌّ (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟)) .

هذا الأثر رواه البخاري في صحيحه وهو عن علي -رضي الله عنه- (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) فالمؤلف هنا -رحمه الله تعالى- ذكر بالمعنى وإلا في البخاري (أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

هذا فيه توجيه للشخص حينما يحدث الناس فعليه أن يحدثهم بما تدركه عقولهم وبما يستفيدون منه، ويحدثهم بالشيء الذي يفهمونه، ويترك ما ينكرونه مما لا تبلغه عقولهم أو لا يتحملون سماعه لجهلهم فعليه في هذه الحالة أن يتدرج في تعليمهم ويتلطف ويراعي في ذلك الحكمة في الدعوة، ويتدرج في الترقي بهم، لأن تحديث الشخص بما لا يدركه عقله، ولا يتحمله فهمه وإيمانه ونحو ذلك قد يسبب التكذيب للشرع، لا أنه يكذب الله ورسوله حقيقة، ولكنه قد يقول الشخص: هذا لا يمكن أن يقوله الله أو لا يمكن أن يقوله الرسول -صلى الله عليه وسلم- لاستعظام أو لجهل هذا الشخص، فعلى الداعية وطالب العلم أن يتلطف مع الناس وأن يتدرج معهم وأن يعرف كيف يتكلم، ويعرف كيف يوصل هذا العلم للناس؛ لأنه أيضاً ليس كل علم يناسب أن تعطيه كل شخص، بعض الأشخاص قد يحتاجون إلى شيء من العلم أحوج منه إلى غيره؛ ولذلك ذكر السلف -رحمهم الله تعالى- ذكروا أن من منهجهم أنهم قد لا يحدثون ببعض الحديث الذي قد يكون لبعض الناس فتنة، وقد يستغله بعض الناس إذا كان صاحب هوى، فقد يمتنع بعض الناس من تحديث بعض الناس في بعض الأشياء لحكمة كما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (حفظت عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعائين أما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فلا أبثه ولو قطع هذا الحلقوم) فما أنكر أن الحسن على أنس -رضي الله عنه- تحديثه للحجاج بقصة العرنيين لأنه قد يدفعه هذا إلى سفك الدماء لأنه يأخذ مثل هذه الأشياء ولا يفهمها على حقيقتها فلا يطبقها تطبيقاً صحيحاً.

المقصود أن على طالب العلم وعلى الداعية أن يعرف كيف يحدث الناس، وأن يحدثهم بما يحتاجون إليه وبما يدركونه وبما يفهمونه، لا أن يخبط خبط عشواء كما يفعل بعض الناس، يعني يأتي ويطرح مسائل قد تكون عويصة وقد تكون غريبة وأحياناً تكون مسائل شاذة من أقوال بعض العلماء، ويطرحها في المجالس ويتلقفها أهل الأهواء وأهل القلوب الضعيفة، وأهل الجهل فتكون لبعضهم فتنة.

فعلي –رضي الله عنه– وجه بهذا التوجيه أن يحدث الناس بما يعرفون، قال «أتريدون أن يكذب الله ورسوله» لأن الشخص إذا كان جاهلاً أو ضعيف الفهم أو نحو ذلك أو ضعيف الإيمان قد يسارع للتكذيب بما لا يتحمله عقله.

(وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس (أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَق هؤلاء؟! يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه).)

هذا كما ورد عن ابن عباس –رضي الله عنهما– بسند صحيح، عند ابن أبي عاصم وغيره أنه لما حدثه ببعض الصفات رأى رجلا انتفض وكأن هذا الرجل يستنكر ولم يتحمل سماع هذه الصفة، فقال ابن عباس – رضي الله عنهما–: ما فَرَق هؤلاء؟! يعني ما خوفهم، ما الذي جعلهم يخافون؟ يجدون رقة عند محكمه يعني الأشياء التي يعرفونها والمحكمات واضحات يجدون رقة وقبولا لهذه الأشياء، وينتفضون إذا سمعوا أشياء، ويهلكون عند متشابهه، وهو الشيء الذي يشتبه عليهم، أو لا يدركونه يهلكون ويحصل لهم هذا الأمر، هذا قاله إنكار لهؤلاء والواجب على المسلم أن يؤمن بكل ما جاء عن الله أو عن رسوله –صلى الله عليه وسلم– والله – عز وجل– مدح الراسخين في العلم لأنهم يقولون: كل من عند ربنا ويؤمون به كما في آية آل عمران، فالله – سبحانه وتعالى– ذكر أن القرآن ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] فأهل العلم يقولون: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ يعني المحكم والمتشابه كله من عند الله –عز وجل– فيؤمون به، فما أدركوه آمنوا به وفهموه، وما صعب عليهم أو لم يدركوه فإنهم يؤمنون به ولا ينكرونه، هذا هو الواجب على أهل الإيمان، أن يؤمنوا بكل ما جاء عن الله أو عن الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

وكما قلت في البداية أيضاً وطالب العلم ينبغي أيضاً أن يحدث الناس بالأسلوب الذي يفهمونه وبما يحتاجون إليه، وقد ورد عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه قال: ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. فقد يكون فتنة، قد يكون حديث بعض الناس فتنة لبعض، فلا يناسب أن تحدث كل أحد بكل ما تعرف أو بكل ما قاله العلماء أو بجميع النصوص، إنما الشخص العامي أو نحوه إنما يحتاج ما تحته عمل، يحتاج ما يحتاج أن يعتقده، أما أن تلقي بالشبهات أمامه وتجعل هذه الشبهات سببا في زيغه وفي فتنته فهذا لا شك أنه لا ينبغي يفعله الشخص، وينبغي لطالب العلم أن يعرف مستوى المتعلمين وأن يعطيهم ما يحتاجون إليه وما يفهمونه.

وقال المصنف –رحمه الله تعالى–: (ولما سمعت قريش من رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد: ٣٠].)

هذا كما سبق أن هؤلاء أنكروا صفة، فمن أنكر صفة من صفات الله –سبحانه وتعالى– فإنه يكفر، والواجب على المسلم أن يؤمن بجميع ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به –سبحانه وتعالى– كما قال –عز وجل– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] والواجب في إثبات أسماء الله وصفاته أن ينجو الشخص من بدعتين بعد أن يثبت، أن ينجو من بدعة التمثيل، فلا يجوز له أن يعتقد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ويجب عليه أن ينجو من بدعة التعطيل حيث إن بعض الناس لم يفهم من الصفات إلا ما يشبه وما يماثل صفات المخلوقين فعطلها وأنكرها، فهذا لا شك أنه بدعة أيضاً فعلى المسلم أن ينجو من البدعتين بدعة التمثيل تمثيل صفات الله وصفات خلقه، وبدعة

التعطيل وهي الإنكار لحقائق الصفات ولمعانيها والزعم بأنها ليس لها معنى، أو لها معنى لا يعلمه إلا الله، أو لها معان آخر يؤولها ويحرفها إلى بعض المعاني التي يثبتها.

يعني الذين يعطلون أنواع: بعضهم يعطل الأسماء والصفات كلها كالجهمية، وبعضهم يعطل الصفات ويثبت الأسماء كالمعتزلة، وبعضهم يعطل بعض الصفات ويثبت بعضاً كالأشاعرة والماتريدية ونحوهم، والواجب على المسلم أن يعمل ويعتقد أن كل آية أو حديث جاءت في وصف الله -سبحانه وتعالى- على الوجه اللائق به ولا يضطرب ولا يتناقض، ويكون كالصحابة -رضي الله عنهم - يثبتون جميع ما جاء على الوجه اللائق به، ولا يلزم من الإثبات التمثيل بل يثبتها على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى- فالله له سمع وله بصر ويتكلم وينزل ويرحم واستوى ويضحك وله عين وله قدم ويرحم كل هذه الصفات نعتقد أنها ليست كصفة المخلوقين، فننجوا من التناقض ونثبت كل صفة ونعرف معناها؛ لأن الله -عز وجل- خاطبنا بلسان عربي مبين فلم يخاطبنا بألغاز ولا بأشياء غير مفهومة نحن نعرف معنى الصفات ونثبتها على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى- بلا تعطيل ولا تمثيل.

وقال المصنف -رحمه الله تعالى- (باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣] قال مجاهد ما معناه هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.)

نعم، هذا الباب الثاني الذي ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- وفيه كلام عن قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ وهذه الآية في الحقيقة توجب إضافة النعم إلى مسديها، إضافة النعم إلى الله -سبحانه وتعالى- والواجب على المسلم أن يضيف النعم إلى الله -عز وجل- لأنه هو الفاعل في الحقيقة، وأراد المصنف -رحمه الله تعالى- بيان أن إضافة النعم إلى غير الله باعتبار أن الغير هو الفاعل من دون الله فهذا شرك، وأن إضافة النعم إلى السبب فإن هذا في الحقيقة ينافي كمال التوحيد وينافي شكر المنعم -سبحانه وتعالى- لأنه هو الذي أسدى هذه النعمة، وهو الذي تفضل بها -سبحانه وتعالى- فكيف ينكر الشخص نعمة الله في نسبتها إلى غيره ويتناسى أن الله -عز وجل- هو الذي أنعم بهذه النعمة على هذا العبد؟! ولولا الله -عز وجل- لم تحصل هذه النعمة.

وقال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقال عون بن عبد الله يقولون: لولا فلان لم يكن كذا، وقال ابن قتيبة يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.)

هذه أمثلة لشرح الآية في أمثلة نسبة النعم لغير الله، قد ورد عن مجاهد -رحمه الله تعالى- هو قول الرجل "هذا مالي ورثته عن آبائي" يعني: من عدم نسبة النعم إلى الله -سبحانه وتعالى- ومن قلة وضعف شكرها أن يقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي متناسيا فضل الله -سبحانه وتعالى-.

هذا هو وجه الذم في هذا نسبة النعمة إلى السبب، ونسيان المسبب وهو الله -سبحانه وتعالى- الذي لولاه لم يأت المال لا للآباء ولا للأجداد ولا لغيرهم، وليس المقصود بهذا إنكار أن الإنسان يخبر عن أن هذا المال أو هذا ورثه عن أبيه ونحو ذلك، وإنما الإنكار هنا لمن ينسب النعمة إلى السبب متناسياً المسبب متناسياً المنعم الحقيقي وهو الله -سبحانه وتعالى- هذا هو وجه الإنكار في مثل هذه النصوص عن السلف -رحمهم الله تعالى- ومثلما ذكر هنا عن عون بن عبد الله يقولون : " لولا فلان لم يكن كذا وكذا " فهنا وجه الذم أنه قطع إضافة النعمة إلى الله -سبحانه وتعالى- وأضافها إلى العبد الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فنسب النعمة إلى هذا العبد الضعيف الذي لا حول له ولا طول، ولم ينسبها إلى الله -سبحانه وتعالى- أضافها إلى العبد الذي غاية ما يمكن أن يكون هو أن يكون جزءا من السبب الذي به حصلت له هذه النعمة، والسبب كما هو معلوم لا يمكن أن يستقل بالفعل؛ بل الله -سبحانه وتعالى- هو مسبب الأسباب، والله -عز وجل- هو الذي أجرى هذه النعمة على يد هذا الشخص أو أجراها -سبحانه وتعالى- بهذا السبب الذي لا يستقل بالإيجاد بل الله -عز

وجل- هو المنعم على الحقيقة بأن جعل هذا سبباً، أصل جعل هذا الشيء سببا هو من الله -سبحانه وتعالى- والله -عز وجل- كما ينعم بالسبب فإنه -سبحانه وتعالى- ينعم بدون سبب، يعني: هذه النعمة التي تحصل للإنسان هي تحصل بهذا السبب الظاهر وقد تحصل النعمة بدون سبب، قد تحصل النعمة بدون سبب الله -عز وجل- على كل شيء قدير.

وقد يسلب الله -عز وجل- السبب سببيته، يعني: هذا الشيء قد يكون هو السبب لهذا الشيء، ولكن الله -عز وجل- هو الذي خلق السبب وهو الذي جعل المسبب ولو شاء -سبحانه- لسلبه كما سلب النار حرارتها لما أُلقِي فيها إبراهيم -عليه السلام- النار سبب للإحراق ولكن الله -عز وجل- هو الذي جعلها سبباً فسلب النار حرارتها، وقد يجعل الله -عز وجل- لهذا السبب معارضاً، يعني مثلاً البذر حينما يأتي المزارع ويحرث ويبذر هذا سبب للإنبات لكن هذا السبب ليس مستقلاً، يعني يحتاج إلى أسباب أخرى تساعد في الإنبات، ليس مجرد وضع البذرة في التراب انتهى الأمر وستخرج، لا، لابد أن توجد هناك أشياء كثيرة تساعد وهناك أسباب كثيرة حتى يوجد هذا الشيء ولابد أيضاً من إبعاد المعارض، يعني: هناك أشياء قد تعارض السبب وقد تبطل السبب، يعني مثلاً في الحرث هذه قد تأتي جراثيم أو نحو ذلك فتبطل البذر فلا يخرج فهذا سبب، لكن أيضاً قد يوجد معارض، فوجود المعارض أيضاً هذا مما يجعل الإنسان لا يتعلق بالسبب، المعارض قد يقاوم.

وقد يترتب على السبب أيضاً ضد مقتضاه، يعني قد يوجد السبب والإنسان يعتقد أن هذا السبب سيحصل به شيء ثم يحصل عكس ما أراد، فهذه الأمور تجعل الشخص يراجع حساباته، ما ينسب الفعل إلى السبب، وينسى الله -عز وجل- هذا السبب هو جزء هناك أسباب كثيرة ظاهرة وأسباب كثيرة خفية لا تعلمها أنت أيها العبد، فلا يجوز أن تجعل كل ما حصل لك هو في هذا السبب، وتنسى المسبب الحقيقي وهو الله -سبحانه وتعالى- وذكر المؤلف -رحمه الله - هنا ما جاء عن قتادة أنهم يقولون هذا بشفاعة آلهتنا، وهذا يعني جمع سوأتين:

الأولى: أنه نسبه إلى السبب في اعتقادهم.

والأمر الثاني: أنه وقع في الشرك.

فجعل الشرك سبباً، يعني جعل الآلهة والأصنام الحقيرة جعلها هي المسببة لهذه النعم، فكيف يكون الشرك سبباً لنعمة؟! بل كيف تنسب نعم الله -عز وجل- للشرك المحرم الذي هو في الحقيقة مضاهاة لله -سبحانه وتعالى- وكفران لنعم الله -عز وجل-؟!

معلوم أنه حتى لو قلنا: إن الشافع هذا حقيقة له شفاعة فمن الذي أهله للشفاعة؟ ومن الذي قبل شفاعته؟ إنه الله -سبحانه وتعالى- فلا يجوز بالتالي أن تنسب النعمة إلى هذا الشافع أو هذا الشفيع وتنسى الله -عز وجل- الذي سخر هذ الشفيع ويسر له وأهَّله وجعله أهلاً لأن يشفع، فكل هذا يجعل الإنسان في الحقيقة يعمق معاني التوحيد في قلبه والارتباط بالله -سبحانه وتعالى- وعدم نسيان نعم الله -عز وجل- وأفضاله على العبد، مهما حصل له من هذه الأمور عن طريق هذه الأسباب فعليه ألا ينسى مسبب الأسباب وهو الله -عز وجل-.

وقال المصنف -رحمه الله تعالى- (وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: (إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...) الحديث وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم -سبحانه- من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به، قال بعض السلف: هو كقوهم كانت ريحة طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس.)

نعم، هذا في الحقيقة فيه إنكار لبعض الألفاظ التي توهم نسبة النعم إلى الأسباب.

جاء في هذا الأثر والتمثيل للعباس بن تيمية –رحمه الله تعالى– في بعض الأشياء ذكرها منها حديث (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) وفيه (أما من قال: مطرنا بنَوْء كذا فهذا كافر بي مؤمن بالكوكب) هذا في الحقيقة نسب المطر إلى الكوكب، وهذا كفران لنعمة الله –عز وجل– إذ إن الله –عز وجل– هو الذي أنزل المطر، ثم يأتي هذا الشخص وينسب المطر إلى الكوكب فهذا كفران بنعمة الله ونسبة النعم إلى غير الله.

قال: هذا كثير في الكتاب والسنة يأتي بذم من ينسب هذه الأفعال ويضيف إنعام الله –عز وجل– إلى المخلوقين، وذكر بعض الأمثلة عن بعض السلف مثل قولهم: كانت الريح طيبة. يعني أن السفينة إذا جرت في البحر ويسر الله –سبحانه وتعالى– سيرها ينسبون هذا إلى طيب الريح أو إلى حذق القائد ربان السفينة أو الملاح، فيقولون: كانت الريح طيبةً والملاح حاذقاً، فهم هنا نسوا نعمة الله –عز وجل– لأن الله هو الذي يسر لهم سفرهم، والله –سبحانه وتعالى– هو الذي سخر الريح وهو –سبحانه وتعالى– إذا شاء أثارها، وإذا شاء أسكنها، وإذا شاء جعل فيها خيرا أو شرا، فكيف تنسب نعمة الله –سبحانه وتعالى– بتسهيل سير السفينة إلى الريح أو إلى الملاح؟ هذا لا شك أنه من كفران النعمة وهو من جنس كفران نسبة المطر إلى الأنواء والكواكب، فهذا القائل في الحقيقة وإن لم يعتقد أن هذه هي الفاعلة من دون الله، لكن هذا اللفظ فيه في الحقيقة نسبة الشيء إلى السبب ونسيان المسبب، نسيان الله –سبحانه وتعالى– المنعم الحقيقي الذي سخر هذه الأمور، والذي لو شاء –سبحانه وتعالى– لسلبها سببيتها ولو شاء –سبحانه وتعالى– لجعل لها معارضاً يبطلها وينفيها فلا يليق بالمنعم عليه حقيقة أن يكفر نعمة الله وألا يشكر الله –سبحانه وتعالى– أو أن ينسب هذه الأمور التي تأتيه من النعم وتسهيلات وأفضال الله –سبحانه وتعالى– ينسبها إلى الأسباب المخلوقة، إلى الأسباب المدبرة المسخرة؛ بل الله –عز وجل– بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير وهو الذي ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] فالواجب إضافة النعم إلى الله –سبحانه وتعالى– لا أن تضاف إلى غيره من الأسباب المخلوقة.

لكن هل يجوز أن يضيفها؟ نقول: الشرط ألا ينسى المسبب الحقيقي وأن تكون إضافتها مشعرة بأن هذه هي الفاعلة أو هي التي يسرت هذه النعمة حتى وصلت إليه، والواجب على المؤمن أن يتعلق بالله –سبحانه وتعالى– وأن يشكر نعم الله وأن يتذكر نعم الله عليه دائماً وألا ينسبها إلى هذه الأشياء المخلوقة.

هل لابد فضيلة الشيخ أن يلفظ هذا الأمر هذه النسبة أو يكتفي باعتقاد قلبه؟

الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ [النحل: ٥٣] فالنعم كلها من الله –سبحانه وتعالى– فالقلب المعمور بشكر الله –سبحانه وتعالى– واستحضار نعم الله –عز وجل– لا يتناسى نعم الله ولا يتعلق بهذه الأسباب.

هذا الأمر في الحقيقة يعني حينما نقول: لا ينبغي أن تنسب ما يأتيك من نعم إلى الأسباب، بل إلى الله –عز وجل– لا يعني أنك ما تشكر من كان سبباً في وصول النعمة إليك يسره الله –عز وجل– وسخره فإنك تشكره كما سبق معنا (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه) فالسبب أو جزء من السبب يمكن أن يشكر ويدعى له ونحو ذلك، ولكن يعلم أن الله –عز وجل– هو الذي سخره ويسره وأوصل الأمر على يده.

وهذه الألفاظ في الحقيقة تتنوع وبعضها أكبر من بعض، وهي أنواع كثيرة ما نقف عند لفظة: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً في السفينة؛ بل يقاس عليه أشياء كثيرة في وقتنا وفي كل زمان وفي كل مكان قد تكون هناك ألفاظ دارجة، يعني: مثل قول بعضهم: " لولا السائق لولا أن السائق لانقلبت السيارة " سبحان الله!! يعني ينسى أن الله –عز وجل– هو الذي حفظهم وهو الذي يسر لهم النجاة، ثم ينسبونها إلى حذق السائق، لولا أن السائق ماهر لانقلبت السيارة، هناك من هو أحسن من هذا السائق ومع ذلك انقلبت سيارته، فكيف تنسب نعمة الله –عز وجل– لك بالنجاة تنسبها للسائق؟! أو بعضهم يقول: لولا الطبيب لمات المريض، لولا أن الطبيب كان موجوداً لولا أن الطبيب فلان لمات المريض وهلك.

لولا أننا نقلناه إلى المستشفى الفلاني لهلك.

نعم، لولا أن المستشفى الفلاني مستشفى عنده أشياء كذا لمات، سبحان الله!! يعني تنسى نعمة الله بهذه البساطة!! كم من أناس اجتمعوا على رؤوسهم أطباء الدنيا حذاق الأطباء ومع ذلك ماتوا بين أيديهم، وعندهم الأجهزة والأطباء.

نحن لا ننكر الأسباب، لكن لا يجوز أن تجعل قلبك معلقا بهذه الأسباب التي سخرها الله -سبحانه وتعالى- وتنسى المنعم الذي يسر لك هذا الشيء وهيأ لك هذه الأسباب؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي هيأ الأسباب وهو الذي إذا شاء لم يهيئها، وهو الذي إذا شاء أبطلها، وهو الذي إذا شاء سلبها، أو هيأ لها ما يعارضها، فلا يجوز للإنسان أن ينسب ما يحصل من نعم أو ما يحصل من درء أخطار ينسبها إلى الأسباب وينسى أن ما حصل له في الحقيقة هو من نعمة الله -عز وجل- ومن فضله، ولأن هذا في الحقيقة فيه كفران لنعمة الله، ونسيان لفضل الله -سبحانه وتعالى-.

لو قرنت فضيلة الشيخ هذا الأمر بحمد الله -عز وجل- قال: كدنا أن نغرق لولا وجود هذه الريح بحمد الله -عز وجل- أو كدنا أن نصطدم بهذا لكن بحمد الله -عز وجل- السائق كان حاذقاً أو كذا.

إذا قرنها بما يشعر بنعمة الله -سبحانه وتعالى- بإنعام الله -سبحانه وتعالى- هذه تنجيه من نسيان التفضل، التفضل من الله والإنعام من الله -سبحانه وتعالى- أما أن الإنسان ما يذكر الله ما يذكر المنعم عليه، وإنما يتعلق قلبه بالمخلوقين أو بالأسباب المخلوقة ويقول: لولا أن السيارة جديدة، ولولا مثلاً أن السائق كذا، أولولا أن الطبيب كذا، أو لولا أن الشخص الفلاني كان موجوداً يعني هذا يحصل بالسلب أو بالإيجاب، تقول لولا فلان لخسرنا مثلاً، أو لولا فلان لربحنا، يقول: لولا فلان لربحنا، لولا فلان لخسرنا، ونحن طبعاً سنركز على مسألة النعم، لولا فلان لم يحصل لنا هذه المكاسب.

سبحان الله!! يتعلق بهذا المخلوق وما ميزة فلان عن غيره؟ قد يكون هو عنده حذق في هذا لشيء لكن الله -عز وجل- هو الذي علمه وهو الذي يسر له وهناك أناس أفضل منه تعلما وأفهم منه ومع ذلك لم تحصل لهم هذه المكاسب، وكما قال القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

فليس باجتهاد الإنسان فقط يحصل له ما يريد ونحو ذلك.

بالنسبة للأشاعرة من المعلوم أنهم يؤولون صفات الله -عز وجل- فمثلاً قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] يقولون توفيق الله معهم، فهم في هذا الوقت ينكرون أن لله -عز وجل- يدا، والسؤال للشيخ هل يدخلون الأشاعرة فيمن ينكر صفة من صفات الله -عز وجل-؟

السؤال الثاني: هل يحق لأحد أن يسمي الأشاعرة مبتدعين؟

ذكرنا فيما سبق أن الأشاعرة يؤولون بعض الصفات ويثبتون بعضاً، ولكنهم عندهم تأويل للنصوص التي تثبت صفات لا يثبتونها؛ بل يؤولونها إلى الصفات التي يثبتونها، فمثلاً يؤولون اليد بالقدرة أو النعمة، ويؤولون الرحمة بإرادة الإنعام، يعني يؤولونها بالصفة الأخرى التي يثبتونها أو بإرادة الصفة أو بإرادة فعل والإرادة

يثبتونها هم، فعندهم هذا التأويل، لكن هذا التأويل يدرأ التكفير، ومعلوم أن الكفر هناك موانع تمنع منه، وأنا الحقيقة أحب أن يركز، وأحب أن يكون هناك درس خاص بضوابط التكفير وشروط التكفير وموانع التكفير، لأن بعض الناس مع هذه الإطلاقات قد لا يفرق أو لا يركز فالتكفير يمنع منه موانع منها الخطأ، ومنها الجهل، ومنها التأويل ومنها الإكراه، ونحو ذلك، فهؤلاء تأولوا هم يريدون التنزيه، تنزيه الله تعالى ولكنهم أخطأوا في تأويلاتهم.

إجابة أسئلة الدرس الماضي.

تقول: إجابة السؤال الأول: من أنكر صفة من صفات الله تعالى فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج من الملة بالإجماع، والإنكار مثلاً بقول "ليس لله يد" أو أن الله لم يستو على عرشه.

كذلك إجابة الأخت الكريمة على السؤال الثاني تقول: من أضاف نعمة الخالق إلى غيره فقد جعل مع الله شريكا في الربوبية لأنه إضافة إلى السبب على أنه فاعل هذا من وجه.

ومن وجه آخر أنه لم يقم بالشكر الذي هو عبادة لله -عز وجل-.

يقول: من أنكر صفة من صفات الله تعالى وهي ثابتة بكتاب الله أو بسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- الصحيحة الثابتة فهو كافر مكذب من دون شك.

يقول: أما من قال: نجحت بتوفيقي واجتهادي فهي تنافي كمال الأدب مع الله تعالى إن كان لا يقصد أن الله تعالى ليس هو الفعل الموفق، أما إن كان يقصد أن الموفق ليس الله تعالى، وأنه رجل لا يتحكم في شيء من ذلك فهو كافر لا شك في ذلك.

تقول: إجابة السؤال الأول: ما حكم من أنكر صفة من صفات الله تعالى، يكون إنكاره إنكار تكذيب وهذا كفر بلا شك لأن التكذيب بخبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

قول: يدخل هنا في إجابة السؤال الثاني: تقول: ما حكم من قال: تفوقت باجتهادي وذكائي يدخل في هذا الباب، هنا في باب التوكل على الله وفي هذا المثال كان التوكل والاعتماد على الأسباب في ذلك ونقص التوكل على الله، ويكون قادحاً في كفاية لله تعالى، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه، في حصول المطلوب.

نعم، كما ذكروا وسبق أن إنكار الصفة هو كفر الإنكار، لكن فرق بين الكفر والتكفير للقائل فقد يكون القول كفراً ولكن القائل لا يكفر لوجود مانع يمنع من تكفيره، وقول هذا نجحت باجتهاد كذا، نجحت بذكائي أو اجتهادي هذا فيه نسبة الشيء إلى السبب، وهذا يحصل من كثير من الناس ولا شك أن هذا ينافي الأدب وكمال التوحيد، إذا كان فيه تناسٍ للفاعل -سبحانه وتعالى- فكم من طالب أذكى من هذا الشخص ولم يوفق، كم من طالب اجتهد أكثر من هذا الشخص ولم يوفق.

وأحب أيضاً أن أكرر وأؤكد أن هذا الكلام لا يعني إنكار الأسباب، بل على الإنسان أن يفعل الأسباب المشروعة، ولكنه يتوكل على مسبب الأسباب وهو الله -سبحانه وتعالى- ولا ينسب الفعل إلى السبب، وينسى المسبب وهو الله -سبحانه وتعالى- قد يكون عنده توحيد فيقول هذا بتوفيق الله -سبحانه وتعالى- هذا بأن الله -

سبحانه وتعالى– يسر لي وأن الله وفقني لأني اجتهدت ونحو ذلك مما يكون فيه مراعاة لشكر النعمة ولهج بفضل الله –سبحانه وتعالى– على هذا الشخص.

فضيلة الشيخ هناك للأسف الشديد بعض الناس يغفل عن أن يجري ذكر الله –عز وجل– على لسانه، وهـي عبادة لا شك أن يكون الإنسان دائماً مستحضراً نعمة الله –عز وجل– عليه، وفضله عليه، وأن يستشعر ذلك في كل ما يحصل له من أمور خيِّرة، وأن يستشعر ذلك حتى في الأمور السيئة التي تحصل للإنسان وأن الله –عـز وجل– يريد بهذا الأمر خيراً إن علمه الإنسان أو جهله.

لا شك أن الإنسان الذي يغفل أو يتثقل ذكر الله –سبحانه وتعالى– هذا من كفران نعمة الله –عز وجل– كيف ينعم الله –عز وجل– على شخص وعلى عبد بنعم كثيرة، ونعم الله لا تعد ولا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَـةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨] وبعد ذلك تجد هذا الشخص يقابل هذه النعم بالكفران، وينسبها إلى غير مسديها، قـد ينسبها لنفسه أو إلى أحد من الناس وينسى الله –عز وجل– الذي وفق ويسر وهيأ هذا السبب حتى حصلت له هذه النعمة.

أما أهل التوحيد وأهل الإيمان فإنهم لا ينسون ربهم –سبحانه وتعالى– لا في السراء ولا في الضراء فهم في السراء يشكرون وفي الضراء يصبرون وهم دائماً يلهجون بحمد الله وشكره، والثناء عليه وذكر نعمه، وإذا نسبوا الأشياء إلى أسبابها فإنهم مع نسبتهم إذا كانت أسبابا ظاهرة لا ينسون المنعم وهو الله –سبحانه وتعالى–.

يقول: ما الضابط في استخدام كلمة: لولا الله ثم فلا؟

لولا الله ثم فلان ستأتينا –إن شاء الله تعالى– في درس آخر، لكن هنا نحن نتكلم عن نسبة النعم إلى الأسباب، ولعلي أفصل هنا ببيان أن إضافة الفعل إلى السبب لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون السبب خفياً لا تأثير له، السبب ليس له تأثير في الحقيقة، كأن يقول: لولا فـلان لـم ينزل المطر، أو يقول: لولا الولي الفلاني لم يأتينا الرزق أو لم يحصل لنا الولد، هذا كفر لاشك، لأنه نسب إلـى سبب هو ليس سبباً لا حقيقةً ولا مجازاً وليس أيضاً لا شرعا ولا قدرا.

الحالة الثانية: أن يضيف. الفعل إلى سبب صحيح سواء كان هذا السبب ثابت في الشرع أو في الحس، هـذا جائز إذا أضافه إلى فعل صحيح فهذا جائز بشرط ألا يعتقد أن السبب هو الفاعل من دون الله؛ بل يعتقد أنه سبب لا يجعل السبب أنه مؤثر بنفسه من دون الله –سبحانه وتعالى– بل يعلم أنه سبب وأن المسبب هو الله –سـبحانه وتعالى–.

ومما يدل على جواز هذا قول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في الحديث الصحيح: (لولا أنا لكـان فـي الدرك الأسفل من النار) حينما تحدث عن عمه أبي طالب (هل نفعتَ عمَّك؟ قال: نعم هو في ضحـضاح مـن النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) فهذا سبب شرعاً، ثابت بالشرع فهذا يجوز.

ومثل لو يقول شخص: لولا وجود السيارة ما استطعت أن آتي هنا مثلاً، يعني لما يتكلم عن مكان بعيد، يقول: لولا وجود السيارة ما استطعت أن آتى هنا، فهذا السبب ظهار، هذا هو سبب ظاهر وحسي ومعلوم، ولكن أيضاً كما قلنا فيما سبق لابد أن يكون هناك استحضار لنعمة الله المسبب وهو الله –سبحانه وتعالى–.

الأمر الثالث والأخير: أن يضيف السبب أن يضيف هذا الفعل إلى سبب ظاهر ومشاهد ومعلوم ولكنـه لـيس سبباً في الحقيقة ليس سببا لا شرعا ولا قدراً ليس مؤثراً بالحس ولا بالشرع، يعني لم يثبت كونـه سـبباً مثـل

التمائم، بعض الناس يجعل تميمة ويقول هذه سبب لدفع العين نقول: هذه ليست سببا أنت اعتقدت أنها سبب، وهذا شيء ظاهر لكنها ليست سبباً فهذا في الحقيقة شرك، لكنه شرك أصغر وليس شركاً أكبر باعتبار أنــه يعتقــد أن المسبب هو الله –سبحانه وتعالى– وإنما هذه سبب فإذا كانت ليست سببا في الحقيقة ظاهراً واعتقد أنها سبب وأن المسبب هو الله –سبحانه وتعالى– فهذا شرك أصغر والفرق بينها وبين الأولى أنا الأولى اعتقد أن الــسبب هــو الفاعل من دون الله أو اعتقد أن هذا يخلق هذا الشيء أو يحصل منه شــيء لا يحــصل إلا مــن الله –ســبحانه وتعالى– فإن هذا يكون شركاً أكبر، أما هنا فهي أشياء ظاهرة ويعتقد أنها أسباب وهي ليست أسباباً والله أعلم.

رجل ليس من هذه البلاد صار عليه حادث وتوفيت زوجته، جاءه بعض الأشخاص وعزوه وقالوا: قــدر الله وما شاء فعل، فقال: يجب أن تنزه الله –عز وجل– فالله لم يأمرني أن أسرع بالسيارة وأقلبها، كيف نزيل عنــه هذه الشبهة؟

في الحديث الوارد عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بما في معناه (من تعلم العلم مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا) كيف نجمع بين هذا وبين ما أفتى به الشيخ ابن عثيمــين –رحمــه الله تعالى– "من أن الإنسان إذا أراد بأمره الحسنيين حسن الدنيا وحسن الآخرة فلا شيء عليه في ذلك، لأن الله يقول ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢: ٣] وهذا ترغيب في التقــوى بأمر دنيوي، فكيف نجمع؛ لأنه أحياناً لا مناط أثناء طلب العلم يعني وبالأخص في المدارس النظامية لا مانع من أننا نجد أحياناً أمورا دنيوية تصيب قلوبنا؟

يسأل بمن قال: ينبغي أن ننزه الله –عز وجل– وأن الله –عز وجل– لم يأمرني بالــسرعة وحــصول هــذا الحادث؟

هذه الشبهة التي ذكرها الأخ هذه هي شبهة القدرية الذين أنكروا قدر الله –سبحانه وتعالى– وهذا هــو بدايــة ضلالهم حيث نسبوا بعض الأفعال إلى غير الله –سبحانه وتعالى– ولهذا ورد أو في حادثة حدثت ذكرها العلماء أن شخصاً جاء لواحد من هؤلاء القدرية فقال: إن ناقتي سرقت فاسألِ الله أن يردها علي، فقال هذا القدري: اللهم إنك لم ترد أن تُسْرَق ناقتُه فسُرِقت اللهم ردها عليه، فقال هذا الأعرابي بفطرته السليمة: لا أنــا لا حاجــة لــي بدعائك، الله لم يرد أن تُسْرَق فسُرِقت، أنا أخشى أن يريد أن ترجع فلا ترجع، طالما أن إرادة الــسارق غلبــت إرادة الله، إذن قد يريد الله أن ترد فلا ترد فلا حاجة لي بدعائك.

القدرية بداية ضلالهم أنهم قالوا: لا نريد أن ننسب القدر مثلاً المعاصي والمصائب إلى الله –سبحانه وتعالى– الله لم يقدرها، ثم طبعاً عمموا وقالوا: إنه لم يقدر شيئا بل العبد يخلق فعل نفسه، فوقعوا في الضلال، ولكن نقول لهذا الأخ: إن كل شيء بقضاء الله وقدره (إن الله كتب مقادير الخلائــق قبــل أن يخلــق الــسماوات والأرض بخمسين ألف سنة) كما ورد في الحديث وفي الحديث الآخر (أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ربــي وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) فكل شيء مكتوب ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَــاهُ بِقَــدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] فكل الموجودا في هذه الدنيا وكل ما يحصل فهو بقدر الله من الخير والشر، أما قول هذا الــشخص ننزه الله –سبحانه وتعالى– نحن نعم ننزه الله –سبحانه وتعالى– لكن أفعال الله كلها خير وكلها لها حكمــة، أمــا مورد الانقسام في أفعال العبد، العبد هو الذي يفعل الخير والشر، العبد عنده شر وخير، أما الله –سبحانه وتعالى– فكل ما يقدره خير، كل أفعاله خير باعتبار قدره وفعله –سبحانه وتعالى– فكلــه خيــر ومــورد الانقــسام فــي المفعولات وليس في أفعال الله –سبحانه وتعالى– فهذه الشبهة تزال عنه بأن يقال لهذا الشخص: إن الله كل مــا يقدره فيه خير، حتى وفاة الزوجة هي خير قد يكون خير للمؤمن كما في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً

له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) نقول: هذا خير، أفعال الله لحكمة كلها لحكمة، قد تكون هناك مضرات على بعض الناس لكنها لحكمة يعلمها الله -عز وجل- ونحن لا ندرك كل حكم الله -سبحانه وتعالى-.

عندي سؤالين: السؤال الأول: لو قال شخص: كانت الريح طيبة بفضل الله تعالى ونجونا، استثنى هل هذا يعد كفراً؟

الثاني: ما ردنا على امرأة طبعاً هي مسلمة لكنها من دعاة تغريب المرأة في إحدى القنوات الفضائية تقول في ردها على مقدم البرنامج حين يسألها: لماذا لم تتحجبي أنت؟ وهي طبعاً متبرجة، فتقول: هذه حرية فردية، هل هذا رد للنصوص؟ يعني كل امرأة مثلاً لها الحق في أن تفعل ما تشاء تتحجب أو لا تتحجب، يعني هذا رد لنصوص الكتاب والسنة؟

تقول: كيف نجمع بين قول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (من تعلم علماً مما يراد به وجه الله...).

الحديث هذا الذي رواه الترمذي (من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) قيده قال: مما يبتغى به وجه الله وهو العلم الشرعي، فلا يجوز أن يطلب العلم الشرعي لأجل الدنيا، وما ذكرت الأخت بأن هذه المدارس النظامية ولابد أن يحصل فيها شيء من الدنيا نقول: الإنسان عليه أن يخلص النية في الله -عز وجل- وستأتيه الدنيا وسيرزقه الله -سبحانه وتعالى- لكن عليه أن يخلص، كيف يخلص أو لا يخلص؟ نقول: إن كان قصد الطلب للعلم الشرعي أصل طلب العلم الشرعي هو لأجل الدنيا فقط فهذا مذموم لاشك ومتوعد عليه.

وأما إذا طلب العلم الدنيوي للدنيا فهذا لا حرج عليه في ذلك، إنما نحن نتكلم عمن يطلب العلم الشرعي لأجل الدنيا، ويعرف الإنسان أنه يطلب للدنيا أو أن الدنيا ليست هي أصل بأن يفترض أنه لو حصلت له الدنيا التي ستحصل له بعد أن ينهي دراسته، فبدون الدراسة لو فرضنا أنه ستحصل له هذه الدنيا بدون دراسة هذا العلم الشرعي هل سيدرس أم لا؟ إن كان سيترك طلب العلم الشرعي فنقول هنا: إذن أنت جعلت العلم الشرعي مطية وليس لك توجه ولا رغبة في العلم أصلاً، وجعلت الدين وسيلة لأجل الدنيا.

أما لو كان هو يريد العلم الشرعي حتى لو حصلت له وظيفة بدون طلب العلم الشرعي هو يقول: لا أنا أريد أن أدرس العلم الشرعي ولرغبتي فيه، فهنا دليل على أنه ليست الدنيا هي المحركة لهذا الشخص في الطلب.

قد ينقطع الإنسان عن طلب العلم مثلاً حينما يتخرج من كلية الشريعة أو كلية شرعية مثلاً ويحصل على وظيفة معينة ينقطع عن طلب العلم مع أن طلب العلم مستمر في حياة الإنسان، هل نقول: إن هذا ينطبق على هذا الشخص؟

هذا يختلف طلب العلم إذا انقطع زهداً فيه وتركا للعلم، وانتهى مطلوبه من العلم بالتخرج فهذا يدل على أن في نيته دخن، أما إذا بدأ يدرس أو انشغل بالتدريس ونحو ذلك وليس زهدا في العلم وليس لأنه مطية فقط لغرض فهذا لا يدخله الوعيد، وإنما نحن نتكلم عمن جعل العلم الشرعي مطية للدنيا هذا لا يجوز، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. فالذي يحفظ القرآن ويحفظ الأحاديث والتفسير وليس له هم في هذا العلم إلا أنه سيوصله إلى وظيفة، ولو حصلت له الوظيفة بدون العلم ترك العلم الشرعي، هذا خطير لاشك أنه خطير في نية الشخص، كيف يجعل الدين مطية للدنيا؟ مثل الإنسان الذي يصلي من أجل الوظيفة، أو يقرأ القرآن لأجل الوظيفة، أو نحو ذلك من العبادات فالعلم الشرعي عبادة، العلم الشرعي هو عبادة يتعبد الإنسان بها لله -

سبحانه وتعالى- ويتقرب إلى الله -عز وجل- أما العلم الدنيوي فلو طلبه الإنسان للدنيا فلا حرج عليه في ذلك، فهذا الشخص الذي يطب العلم الشرعي من خلال الدراسة نقول: عليك أن تصحح نيتك وأن تستمر، أيضاً طلب الشهادة قد تكون أيضاً هي وسيلة وقد تكون غاية، قد يطلب العلم الشرعي لأجل أن يحصل على الشهادة ولأجل أن يبلغ هذا العلم الشرعي بعد تخرجه، يعني يعرف أنه لن يمكن من تعليم العلم الشرعي إلا بهذه الشهادة فتكون الشهادة أيضاً وسيلة لأمر دنيوي، ليست هي غاية في ذاتها، ليست وسيلة لأجل الوظيفة التي يحصل منها على المرتب فقط، وإنما يريد أن يكتب لأجل أن يتعلمه أولاً ثم يستطيع أن يعلم وينشر العلم الشرعي، والله أعلم.

هناك لفظة تطلق وهي لفظة "تجربة روحية" عند الصبر على الضراء والشكر عند السراء وكذا فيقولون: إن المؤمن الآن يعيش تجربة روحية. طبعاً يطلقها المتصوفة لكن هل تجوز هذه الكلمة ممن كانت عقيدته صافية؟

فيمن قال: كانت الريح طيبة بحمد الله -عز وجل- هذا أشرنا إلى شيء من ذلك.

أو بفضل الله هذا من شكر الله حيث علق حسن الريح وطيب الريح علقها على فضل الله ونعمة الله فهذا هو المطوب.

يسأل، هذا خرج عن موضوعنا لكن لا بأس مراعاة لاتصال أخي الكريم، حينما تقول المرأة: هذه حرية فردية سواء كانت امرأة أو أي شخص آخر يعترض على حكم الله -عز وجل- أو يمارس معصية من معاصي الله -عز وجل- ويقول: هذه حريتي الفردية والشخصية؟

هذا حقيقة مع الأسف من الانتكاسات التي بدأت تظهر في هذا العصر وهو مفهوم الحرية الشخصية كما عند الوجوديين وزعيمهم الهالك شامبل سارتر الذي دعا إلى الحرية ورأى أنه حر في كل شيء إلا في وجوده لأنه لم يستشر في وجوده كما هو حر.

فنقول: إن الشخص أن المسلم ليس حراً في أن يخالف الحكم الشرعي، فهو متعبد وهو عبد الله وهو مستسلم لأمر الله يجب عليه أن يفعل ما أمره الله -سبحانه وتعالى- وأمر به النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- نعم من حيث هو حر يمكن أن يعمل ما يشاء، لكنه محاسب أمام الله -سبحانه وتعالى- ولذلك يقول الله -عز وجل-: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩] فنعم الإنسان له حرية التصرف قدراً، وهو قادر بأن يتصرف لكن ليس له حرية التصرف شرعاً في كل شيء لا يأتي إنسان يقول: أنا حر في أن أصلي أو لا أصلي، والمرأة تقول: أنا حرة في أن أتحجب أو لا أتحجب. نقول: باعتبار الشرع لست حرة، وباعتبار القدر أنت تستطيعين أن تكفرين أو تسلمين حتى الكفار يمكن أن يكفروا وأن يسلموا، هذا حرية قدرية لكن شرعا لا يجوز أن يكفر بالله -سبحانه وتعالى-.

سأل عن قضية التجربة الروحية وذكر أن أحد الطوائف تستخدم هذا المصطلح؟

لا أدري ماذا يقصدون بالتجربة الروحية، لكن إذا قصد بذلك أن الإنسان يروض نفسه وروحه على الرضا بقضاء الله وقدره فيكون هذا مطلوبا من الإنسان أن يروض نفسه وروحه على تقبل المصائب التي تأتيه ويرضى بها وقد يجرب نفسه بمعنى أنه يعرف هل هو يرضى بقضاء الله وبقدره أم أنه يسخط كما قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) يعني يعرف مدى التزامه ومدى عقيدته عند حلول المصائب.

لي مداخلة في نسبة النعم لغير الله، هناك الآن مثل أو كلام ينقل كثيراً أن الإنسان يسأل يقول: أنا وصلت الرياض مثلاً في ساعتين، يعني فيقول كيف وصلت؟ يقول: أنا سيارتي جديدة، ويقول: أنا سرعتي كذا، فهم من هذا ينسبون النعمة لغير الله فلا يدخل بضابط نسبة النعم لغير الله؟

المسألة الثانية: ذكرتم -حفظكم الله- في أول الدرس أن إضافة النعم إلى السبب مع نسيان المسبب ينافي كمال التوحيد ثم ذكرتم قبل الفاصل قلتم إنه إذا يضاف الفعل إلى سبب صحيح شرعا وحساً فهذا جائز بشرط ألا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه فكيف مرة جائز ومرة ينافي كمال التوحيد؟ فهل هو جائز مع أنه ينافي كمال التوحيد أو أنه في المرة الأولى كان ينسى المسبب وفي المرة الثانية يستحضر المسبب وهو الله فكان هذا جائز وكان هذا ممنوعا؟

السبب قد يكون ظاهراً وقد يكون سبباً خفياً فالسبب الظاهر هذا يجوز أن ينسب الفعل إليه، بمعنى أو مثال أن يقول شخص: أنا شربت هذا الماء أو رويت بسبب شربي لهذا الماء الكثير فهذا سبب ظاهر وليس فيه إنكار لنعمة الله هذا نسب الفعل إلى هذا السبب، أو يقول: أنا حضرت بالسيارة، هذه السيارة أنا حضرت بها، وبسببها حضرت، أما إذا كان الشيء غير ظاهر فهذا هو الذي يمنع مثلما سبق أن قلنا مثلاً: شخص يقول: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً، هذه أسباب لكنها في الحقيقة لكنها في الحقيقة ليست هي كل شيء، وليست هي أيضاً الأسباب الوحيدة لأنه قد تكون الريح طيبة والملاح حاذقاً ومع ذلك تنقلب السفينة أو تفسد أو نحو ذلك، فهنا يفرق بين الأمرين: بين أن يكون السبب ظاهرا وواضحا وبين أن يكون هناك أسباب أخرى أو أن هذا اللفظ قد يتضمن غفلة عن المنعم الحقيقي وهو الله -سبحانه وتعالى-.

ذكر أنك أشرتَ في المقدمة نسبة النعمة لغير الله -عز وجل- تنافي كمال التوحيد.

تنافي إذا كانت الأسباب غير ظاهرة، والشخص ينسب كل شيء إلى هذا السبب فقط، ومثلما ذكر في الأمثلة هذه، ومثلما نقلنا قول مثلاً "لولا الطبيب لمات المريض، لولا اجتهادي لرسبت في الامتحان" هذا جزء سبب، وهناك أسباب أخرى وفيه شيء من الغفلة عن شكر نعمة الله -سبحانه وتعالى- هذا هو الذي يُمنع، أما إذا كان السبب ظاهرا وواضحا وليس فيه احتمال لنسيان وتناسي المنعم الحقيقي مثلما كان في المثال السابق فهذا لا بأس به.

تقول: ما حكم من يقول: الله ورسوله أعلم؟

قول الله ورسوله أعلم يحتمل أمرين:

الأمر الأول: في الأمور الشرعية.

والأمر الثاني: في الأمور القدرية.

أما في الأمور القدرية فلا يجوز أن يقال: الله ورسوله أعلم، بل يقال: الله أعلم، مثلاً يقال: ماذا سيحصل غداً مثلاً؟ نقول: الله أعلم، ما نقول: الله ورسوله أعلم.

أما في الأمور الشرعية فيقال الله ورسوله أعلم في حياة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كما كان الصحابة -رضي الله عنهم - أما بعد موت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فيقال: الله أعلم.

تقول: السؤال الأول: إذا قلت: تيسرت أموري بسبب دعاء أخواتي أو أمي فهل هذا من نسبة النعمة للأسباب؟

هذا سبب شرعي، ولكن أيضاً يقال: إن الله -سبحانه وتعالى- يسر لي هذا ومن أسبابه هذا الدعاء؛ لأن الدعاء هو السبب لكن ليس هو الوحيد أيضاً قد يكون هناك أسباب أخرى ولا ينكر هذا السبب لأن الله -عز وجل- قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

ما الحكم في أن البعض عندما يحفظ شيئاً من كتاب الله ثم ترد صفة من صفات الله تعالى في الآية كالسميع البصير ثم يشير بيده إلى سمعه وبصره؟

هذا ورد في حديث، أظن حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- لما قرأ قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٨٥] وضع أصبعه السبابة على عينه والإبهام على أذنه وقال: هكذا رأيت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فعل أو كما ورد، قال العلماء: إن كان المقصود بذلك إثبات أصل الصفة فهذا جائز تحقيقا لثبوت هذه الصفة، وأنها سمع وبصر حقيقي، لا يؤول، أما من قصد التشبيه أو التمثيل وأن العين مثل العين والسمع مثل السمع فهذا لا يجوز هذا حرام، أما من قصد إثبات أصل الصفة فهذا جائز، وإذا كان عند أناس وظن أو اعتقد أنهم لا يفهمون إلا التمثيل فهنا لا يفعل ذلك حتى لا يحصل لهؤلاء فتنة إلا ببيان حقيقة ما يقصد، والمقصود أنه سمع وبصر حقيقة، ولكنها ليست مثل سمع المخلوق وبصر المخلوق، والله أعلم.

هل قول الرجل: " أنا بالله وبك " شرك أكبر لا سيما وقد اشتهر هذا القول في ألسن كثير من الناس وهم لا يعتقدون مشاركة المخلوق للخالق.

هذا سيرد معنا -إن شاء الله تعالى- وأن هذا من الشرك الأصغر؛ لأن التسوية هذه من التنديد وسيأتي -إن شاء الله تعالى- في الباب القادم أو الذي يليه أن يقول " أنا بالله وبك " " ما لي إلا الله وأنت" " وأنا في وجه الله ووجهك " أو بعض الناس يقولون: " أنا داخل على الله وعليك " أو " أنا في حسب الله وحسبك " مما فيه تشريك بين الخالق والمخلوق بالواو التي تقتضي المشاركة والمساواة فهذه تمنع.

يقول: هل من التصرف في نعم الله في معصية الله يدخل في هذا الباب؟

الذي يصرف نعم الله في معاصي الله هذا في الحقيقة لم يؤد شكرها؛ لأن شكر النعمة له ثلاثة أركان:

أولاً: الاعتراف بها باطنا.

والثاني: التحدث بها ظاهراً.

والثالث: صرفها في مرضاة الله.

فلابد من الأمور الثلاثة فيعترف باطناً بأن يعترف الإنسان في باطنه وفي قرارة نفسه أن هذه النعم التي حصلت له هي من الله كما قال -عز وجل-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] فيعترف في باطنه أن هذه النعم التي حصلت له سواء في نفسه أو في بدنه في أهله في ماله في المسلمين عموماً في الحياة الدنيا هذه النعم كلها من الله، هذا اعتراف باطن.

الأمر الثاني: من أركان الشكر التحدث بها ظاهراً بأن يتحدث ويتكلم ويظهر نعمة الله كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] تكلم بنعمة من شكر الله -عز وجل- أن تتحدث بما

أنعم الله به عليك، لكن بعض الناس مع الأسف كفر نعمة الله، لا تكاد تجده يتكلم إلا فيما يأتيه بالمصائب، أنا حصل علي كذا وحصل لولدي كذا وحصل لي في مالي كذا، وإذا حصل له خسارة ذكرها، وإذا حصل له ربح ما يذكره، وإذا حصل له نعمة ما يشيد بها ولا يشكرها، تجده دائماً يشكو، دائماً يذكر المصائب -والعياذ بالله- هذا نوع من كفران النعمة، الواجب على الإنسان أن يشكر نعمة الله -عز وجل- والله -عز وجل- أنعم علينا بنعم كثيرة: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾.

فإذن من أركانها أن يتحدث بها ظاهرا، والثالث من أركان الشكر صرفها في مرضاة الله، أن يصرف هذه النعم التي أنعم الله بها عليه فيما يرضيه، والنعم عموماً سواء كانت مالا أو حواسا أو غير ذلك، فإذا صرف المال الذي أنعم الله به عليه في معاصي الله فهذا لم يشكر نعمة الله، ولا يقول: أنا حر في مالي فهذا غير صحيح، فمن موجبات الشكر لنعمة المال أن تصرفه في مرضاة الله، السمع نعمة فمِن شكرها ألا تسمع إلى ما حرم الله، والبصر نعمة ومن شكرها ألا تنظر إلى ما حرم الله، واللسان نعمة ومن شكرها ألا تتكلم بما حرم الله، وهكذا سائر الجوارح.

إذن من يصرف هذه النعم في معاصي الله -عز وجل- فهو في الحقيقة لم يشكر، لم يشكر الشكر الواجب لم يكتمل شكره حتى لو قال: الحمد الله، الله أنعم عليَّ بنعم كثيرة ثم نجده يصرفها في معاصي الله نقول: أنت لم تؤد الشكر على الحقيقة، لأن الواجب مما يستوجبه شكر النعمة أن تصرف هذه النعم فيما يرضي الله -عز وجل- لا أن تصرفها في مساخطه، كيف ينعم الله -عز وجل- عليك بنعم ثم تحاربه بها، ثم تصرفها فيما يسخطه فإنك مسؤول عن هذه النعم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] وفي الحديث: (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: ذكر شبابه فيما أبلاه وعلمه فيما عمل به وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ...) فيسأل عن هذه النعم هل صرفها في مرضاة الله فيكون قد شكر، أم أنه صرفها فيما يسخط الله فيكون قد كفرها.

السؤال الأول: متى يكون الحلف بغير الله شركاً أكبر؟ ومتى يكون شركاً أصغر؟

السؤال الثاني: أريد ذكر أمثلة للشرك الأصغر في الألفاظ؟ ليس فقط الذي ذكرناه؛ بل نريد أن نسمع حتى نستفيد ويستفيد الإخوة والأخوات أن يذكر بعض الألفاظ التي تكون أو يمكن أن تلحق بالشرك الأصغر؟

إذا كان الإنسان يسخط في أمور بعد وقوعها هل يعد مشركاً أو مخلاً بالتوحيد لا سيما إذا كانت المصائب تتلاحق عليه وما نصيحتكم لهذا الشخص؟

الواجب على المسلم أن يصبر كما سيمر معنا، الصبر واجب والرضا مستحب، فالواجب على الإنسان أن يصبر ولا يسخط، لا يسخط نعم الله -عز وجل- عليه، ولا يسخط ما يأتيه من مصائب؛ بل عليه أن يصبر ويحتسب ويعلم أن الله -عز وجل- سيثيبه على صبره وأن هذه قد تكون خيراً له بأن تكون مكفرة لسيئاته أو رافعة لدرجاته، وإذا كان هذا الشخص يتوالى عليه كما قال هذا الأخ فإن هذا قد يكون من محبة الله لهذا العبد كما سبق معنا أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط) (يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في الابتلاء) فالإنسان يبتلى حتى يمشي على الأرض وليس عنده خطيئة قد يكون الله -عز وجل- أراد بهذا الشخص بهذه الابتلاءات والمصائب خيراً له في تكفير سيئاته أو في استقامة حاله؛ لأنه سبحان الله بعض الناس ما تستقيم حاله إلا بالمصائب، يعني: لولم تأته هذه المصائب ربما يفسد أو ينحرف، أو يتخاذل ونحو ذلك فعلى المسلم أن يوقن بأن هذه المصائب هي خير له سواء علم هذه الخيرية أو لم يعلمها،وبهذا تطمئن نفسه ويرتاح ضميره، والله أعلم.

الدرس الثالث عشر

باب الشرك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فلعنا نبدأ هذا اليوم بالباب الذي وقفنا عليه، ولعل أيضاً في هذا الدرس وما يليه -إن شاء الله- نحاول أن نختصر في الشرح، حتى نحاول أن ننهي الكتاب؛ لأن الوقت يبدو أنه أدركنا فنوجز ببيان مقاصد الباب دون استطرادات كثيرة، إلا ما تدعو الحاجة إليه، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- الإعانة والتوفيق، وأن يرزقنا العلم النافع والعلم النافع والعمل الصالح ويوفقنا ويهدينا ويسددنا في أقوالنا وأعمالنا وهو على كل شيء قدير.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب قول الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في الآية: (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم).

ذكر المؤلف -رحمه الله- هذا الباب وهو ترجمه بقوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ والند هو المثل والعدل، فالله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا ﴾ يعني عدلاء وشركاء وأمثالاً في العبادة والطاعة ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أن الله -سبحانه وتعالى- هو المستحق للعبادة والمتفرد بالربوبية وفي هذا الباب نهي عن الألفاظ التي توهم المشاركة والتي ظاهرها التسوية والتنديد، التسوية بين الله -سبحانه وتعالى- وخلقه، وهي في الحقيقة داخلة في الشرك الأصغر، في الألفاظ، وفي هذا الباب يعني جملة من هذه الألفاظ التي يُنهى عنها ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في هذه الآية أنه قال: (الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل).

انظر كيف شبه الشرك بهذه الأمور الخفية، شبهه بأمور:

أولاً: دبيب النمل، ودبيب النمل عادة لا يكاد يُرى، وأيضًا يكون على صفاة، وهي الصخرة، الصخرة أيضاً لو كان الدبيب على تراب لأمكن، ولكن إذا كان على صفاة فهو أخفى، فكيف إذا كانت هذه الصفاة سوداء فهي أشد خفاءً؟ فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟ فهذا أشد، فهذه كلها هذه أوصاف تبين خفاء هذا الشرك، وأنه قد يقع من الإنسان وهو لا يشعر أو لا يلقي له بالاً، فهذا يجعل الإنسان يتحرز ويتفكر في ألفاظه وأقواله وأعماله وتصرفاته حتى لا يقع في هذا الشرك.

ابن عباس -رضي الله عنهما- ذكر في هذا الأثر الذي رواه عنه ابن أبي حاتم بسند حسن جملة من الألفاظ التي قد توهم الشرك، قال: (هذا كله به شرك) يعني: إن هذه الألفاظ التي ذكرها فيها شرك بالله -سبحانه وتعالى- وهذه بعض الألفاظ المذكورة هنا التي يُنهى عنها، وقد ورد في حديث آخر في حديث أبي موسى مرفوعاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أيها الناس، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل) فقال له ما شاء الله أن يقول: (وكيف نتقيه؟) يعني قال: الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (كيف نتقيه وهو أخفى من

دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه) فهذا كفارة للشرك، كما في هذا الحديث الذي رواه أحمد وغيره بسند حسن، فمن وقع في الشرك الأصغر يقول هذا الذكر: (اللهم إنا نعوذ بك أن ننشر بك شيئًا ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه) حتى يكفر ما قد يرد على لسانه من هذه الألفاظ التي طبعًا هو لا يقصد أنها مشاركة لله في الأفعال، لكن هذا فيه تسوية في الألفاظ؛ لأن الواو تقتضي التسوية، وذكر هنا قول: (لولا كُليبة في الدار لأتى اللصوص، ولولا البط لأتى اللصوص) وهذا فيه نسبة إلى الكليبة أو إلى البط، يعني نسب الحفظ من السرقة وأنه لولا وجود هذا الكلب في الدار، ولولا وجود هذا البط لأتى اللصوص، كأنها هي التي منعت من السُرَّاق، البط طبعًا إذا رأى شخصاً غريباً فإنه يظهر أصواتاً، فيخشى السارق أن يُعلم به فيذهب، وكذلك الكلب.

المحظور هنا في هذه الألفاظ أن فيها نسبة الحفظ إلى هذه الحيوانات أو الطيور، والواجب أن ينسب هذا الحفظ إلى الله –سبحانه وتعالى– فهو الذي يحفظ عباده من شرور الجن والإنس كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢] فالله –سبحانه وتعالى– هو الذي يحفظ عباده، هو الذي يحفظهم وهو الذي يكرمهم، وهو الذي يزيل عنهم الشرور، فكيف يقال: (لولا كليبة لأتى اللصوص) قد يوجد الكلب والبط في الدار ويأتي اللصوص، وقد لا يوجد في البيت بط ولا كلب ولا يأتي اللصوص، إن الله –سبحانه وتعالى– يحفظ هذا البيت بأنواع الحفظ وبوسائل الحفظ التي قد يستعملها الشخص غير الكلب، الأوراد والأذكار أو حتى بعض الأمور المادية، لكنه لا يجوز أن يعلق قلبه بهذا أو أن ينسب الحفظ إلى هذه المخلوقات، وينسى الله –سبحانه وتعالى– الحفيظ، العليم.

نعم يا شيخ، إذن نسبة الحفظ إلى الله –عز وجل– فقط، يعني له يجوز أن ينسبه إلى الله وشخص آخر غيره مثلاً لولا الله ثم الحارس في البيت، أو والحارس في البيت؟ هل هذا يدخل فيما قلت؟.

نعم، ما يقرن بينهما بالواو التي تقتضي التنديد والتسوية، فلا يقول: لولا الله والحارس، أو لولا الله وكليبة أو نحو ذلك، ولذلك قال ابن عباس هنا: (لا تجعل فيها فلانا) أكمل الأشياء أن تقول: لولا الله –سبحانه وتعالى– وإن أردت أن تذكر هذه الأسباب فتقول: لولا الله –سبحانه وتعالى– سخر لنا هذا، لولا الله –سبحانه وتعالى– وفق بأن مثلاً نبح الكلب أو صاح البط أو تنبه الحارس أو نحو ذلك حتى يكون الإنسان قلبه معلقا بالله –سبحانه وتعالى– يتذكر نعم الله –عز وجل– وحفظ الله، كم من أناس عملوا جميع أنواع الحفظ بالبشرية والمادية وغيرها ومع ذلك ما استطاعوا أن يحفظوا أنفسهم، أتتهم المصائب من كل مكان، فالإنسان مأمور أن يعمل الأسباب، لكنه منهي أن يتعلق بالأسباب أو ينسب الحفظ ونعم الله –عز وجل– ينسبها إلى هذه الأسباب؛ لأن هذا فيه تنديد للرحمن –سبحانه وتعالى–.

المعذرة يا شيخ، طيب يا شيخ حسن نية الإنسان هل تدخله أيضاً في الشرك الخفي؟ قد يقول إنسان: أنا أقول هذا اللفظ ولكن نيتي حسنة وقصدي أن الله هو الحافظ الأول، هل يُحتج بذلك يا شيخ؟.

هو المسلم لا ينكر أن الله هو الحافظ –سبحانه وتعالى– لا ينكر هذا، ولو أنكره لكان كافراً، ولكن هذا تشريك في الألفاظ، ولذلك عُدَّ من الشرك الأصغر في الألفاظ، حتى في الحلف بغير الله وحتى في أشياء كثيرة يقول الإنسان: إن هذه تجري على لساني وأنا ما أقصده نعم.

أو اعتاد الناس عليها مثل.

نعم، أو اعتادوا عليها، لكن يجب أن نحن أيضاً نصحح ألفاظنا، ولأن هذه الألفاظ في الواقع لابد أن يكون لها تأثير على العقيدة، وهي في الحقيقة ترجمة لما في القلب، ولو كان الإنسان قلبه حياً ومرتبطاً بالله –سبحانه وتعالى– لم يغفل عنه وينسب الحفظ أو غيره إلى هذه الحيوانات، أو حتى إلى الناس، يعني بعض الناس مثلاً

يقول: لولا فلان لخسرنا، لولا فلان لربحنا، ونحو ذلك من الأشياء التي فيها نسيان نعمة الله -سبحانه وتعالى- أو حفظ الله -عز وجل-.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وعن ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم).

نعم، هذا الحديث فيه بيان لحكم الحلف بغير الله ونحن أظن وجهنا سؤالا في الحلقة الماضية عن حكم الحلف بغير الله، وكما وجهنا أيضاً سؤالاً آخر في ذكر بعض الألفاظ التي في الشرك الأصغر ولا أدري هل أتى جواب؟

نعم يا شيخ توجد بعض الأجوبة إن أدرتم أن نستعرضه.

نعم بشكل سريع.

الأخت الكريمة تقول: بالنسبة للإجابة عن السؤال الأول شيخنا الكريم: يكون الحلف بالله شركاً أكبر أو تقول: يكون الحلف بغير الله شركاً أكبر أن يعتقد الحالف به بمنزلة الله في العظمة أو يساوي الله -جل وعلا- في التدبير والمشيئة، وعندما تكون التسوية بقوة والله وحياتك ويعتقد أن الله فوق كل شيء والذي حُلف به ليس أعظم يكون شركاً أصغر والله أعلم.

فيه إجابة ثانية؟

على نفس السؤال يا شيخ:

يقول: يكون الحلف بغير الله شركاً إذا كان فيه تعظيماً للمحلوف به والعياذ بالله، ويكون أصغر اختلف العلماء في جواز الحلف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- على قولين: ففي رواية عن أحمد جوازه، وجعل اليمين به منعقدة.

هذا ما ورد بالنسبة لإجابة السؤال الأول يا شيخ.

فيه سؤال ثانٍ فيه إجابة؟

السؤال الثاني يا شيخ من الأمثلة بالألفاظ في الشرك الأصغر باللسان تقول: لما يقول وهو يعتقد أن الله هو الرزاق: أتاني هذا الرزق بفضل الله ومجهودي، وكذلك لمن يقول: لولا الله وفلان لحصل لي كذا وكذا.

وكذلك الأخ الكريم يقول: مثل شرك الألفاظ قول: (لولا البط لما جاءنا اللصوص، ولولا كليبة لجاءنا اللصوص) كما في الكتاب.

طيب بالنسبة للحلف بغير الله، الحلف بغير الله هو شرك أصغر كما في هذا الحديث: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد الحالف في المحلوف به أن له من العظمة مثلما لله -سبحانه وتعالى- إذا اعتقد الحالف أن للمحلوف عظمة أو منزلة تساوي ما لله -سبحانه وتعالى- فهذا يكون شركاً أكبر، أما إذا لم يعتقد أنها تساويه فإنه لا يكون شركاً أكبر وأما التعظيم فهو أصلاً الحالف لا يحلف إلا بما يعظمه، ما فيه أحد يحلف بشيء لا يعظمه، لكن إذا حصل أن هذا التعظيم اعتقد فيه أنه يصل إلى منزلة الله -عز وجل- يكون شركاً أكبر، وإذا قال: لا هو لا يصل إلى منزلة الله، فإنه لا يصل إلى حد الشرك الأكبر وإنما يكون شركاً

أصغر سواءً كان الحلف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- أو حلف بولي من الأولياء أو حلف بالكعبة أو حلف بالأمانة أو حلف بوطنه أو حلف بقبيلته أو حلف بشرفه أو حلف بذمته أو أي شيء حلف به غير الله -سبحانه وتعالى- أسمائه وصفاته فإنه يكون شركاً فلا يجوز (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلا يجوز للإنسان أن يحلف بغير الله كائناً من كان من المخلوقات سواءً من الناس أو من سائر المخلوقات المعظمة؛ بل يجب أن يكون الحلف بالله وحده، وهذا من تعظيم الله -عز وجل-.

(وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقً)).

هذا الأثر ورد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وقد رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح، وفي هذا الأثر بيان أن الحلف بغير الله أعظم من الكبيرة؛ لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكبيرة، ولذلك قال: (لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقً) فالحلف بغير الله كاذبًا هذا كبيرة، لكنه فيه توحيد وهو أنه حلف بالله وإذا حلف بغير الله صادقًا فإنه فيه شرك وفيه الصدق، وسيئة الشرك أعظم من سيئة الكبيرة والمعصية، وإن كان الجميع ينهَى عنه، وهذا الأثر مما استدل به بعض العلماء على أن الشرك أعظم من الكبائر وفيه دليل على وجوب الحلف بالله وحده وأن لا يحلف بالمخلوق.

(وعن حذيفة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح).

وهذا أيضاً فيه النهي عن التشريك بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق، وسيرد فيه باب خاص ولعلنا نرجئ الكلام عليه في بابه لأن هذا سيتكرر.

(وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان).

كما سبق هذا فيه النهي عن التنديد بالتشريك بالواو؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، وأيضًا توهم المساواة، أما "ثم" فإنها تقتضي التراخي، وأن ما بعد "ثم" متراخ عما قبلها ويتأخر وفيه تأخير المخلوق عن الخالق، فالذي يقول: أعوذ بالله ثم بك هذا جعل استعاذته بالمخلوق بعد استعاذته بالله -سبحانه وتعالى- ومتأخرة عن الاستعاذة بالله -عز وجل- وأيضًا (لولا الله ثم فلان) ولا يقول: لولا الله وفلان؛ لأن الواو تقتضي الجمع والمساواة بين الاثنين وبين الخالق والمخلوق وهذا لا يجوز وهو من التنديد في الألفاظ، ومما يدخل في الشرك الأصغر، فالواجب على المسلم أن ينزل المخلوق منزلته، وأن لا يجعل المخلوق في منزلة الخالق -سبحانه وتعالى- فلا يقول: (لولا الله وفلان) بل يقول: "لولا الله ثم فلان" وعلى ذلك كل الألفاظ التي تأتي بما له تعلق يعني ما يتعلق الأول بالثاني فيجعل فيها ثم، كما سبق ما شاء الله ثم شئت، لولا الله ثم فلان، ونحو ذلك مما يجب أن يكون المخلوق متأخرا فيه عن الخالق، وأن يقدم الرب -سبحانه وتعالى- في مثل هذه الأمور ويُجعل المخلوق بـ "ثم" إن أراد أن يذكر المخلوق، وإن اقتصر على الخالق -سبحانه وتعالى- فهذا أكمل.

إذن يا شيخ الخطأ ليس في حرف الواو فقط، وإنما يأتي على أحرف كثيرة، لولا الله أو فلان، لولا الله وفعل فلان أو شيء من هذا ليس مقصوراً على حرف الواو؟ قد يظن الناس أنه مقصور على حرف الواو فقط؟

هو التشريك بحرف الواو، يعني هذا هو الظاهر، أنه يكون التشريك بحرف الواو ويُنجى منها إذا ذكر "ثم" طبعًا هذه يذكر "ثم" إذا كان مما يجوز للمخلوق أن يفعله، مثلاً الاستعاذة يقول: أنا عائذ بالله ثم بك، هذا يجوز؛ لأنه يجوز أن تستعيذ بالمخلوق كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من استعاذ بالله فأعيذوه) فالمخلوق قد

يُعيذ، لكن توجد أشياء لا تجوز إلا لله فلا يجوز أن تُذكر فيها "ثم" فلا يجوز أن تقول مثلاً: أنا تائب لله ثم إليك، أو أنا مصلٍ لله ثم لك، أو أنا كما سبق معنا متوكل على الله ثم عليك، أو أنا حالي مثل ...

يعتمد على الله ثم مثلاً ...

في الأشياء العبادية التي لا تجوز إلا لله -سبحانه وتعالى- فلا يُذكر معها المخلوق لا بـ "الواو" ولا بـ "ثم" أما الأشياء التي يمكن أن تكون من فعل المخلوق، فإنها تُذكر بحرف ثم، إذا أراد أن يذكرها الشخص يذكرها للمخلوق، لكن لا يذكرها بالواو، لا يقال: أنا مستعيذ بالله وبك، أو أنا في وجه الله ووجهك، أو مثلما يقول بعض الناس: أنا داخل على الله وعليك، أو نحو ذلك، لكن يأتي بـ "ثم" مثلاً أنا مستعيذ بالله ثم بك، ونحو ذلك من هذه التي تقتضي تأخر المخلوق عن الخالق -سبحانه وتعالى-.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِفَ له الله فليرضَ ومن لم يرضَ فليس من الله) رواه ابن ماجة بسند صحيح).

هذا الباب عقده المؤلف -رحمه الله- لبيان منزلة التوحيد وأن الشخص المعظّم لله -عز وجل- يقتنع بالحلف بالله، وأن عدم الاقتناع بالحلف بالله هذا مُخِل بتوحيده؛ لأنه هذا في الحقيقة يخل بتعظيمه للباري -عز وجل- إذ لو كان يعظم الرحمن لاقتنع بالحلف به، اقتنع بالحلف بهذا المعظَّم وقَبِل الحلف ما دام أن هذا الشخص علقه بالله أو حلف بالله فالحديث هنا يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- أولاً: (لا تحلفوا بآبائكم) هذا فيه نهي عن الحلف بالآباء؛ لأنهم كانوا يكثرون الحلف بآبائهم وهذا نهي عن الحلف بالآباء وبغيرهم (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) كما في الحديث الآخر، قال: (لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف بالله فليصدق) هنا وجه الكلام أولاً للحالف، الحالف يجب أن يصدق، لا يجوز للإنسان أن يكذب لا بالحلف، ولا بغيره؛ لأن الكذب من صفات المنافقين؛ ولأن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار -والعياذ بالله-.

فكيف إذا كان الكذب مقروناً بالحلف، هذا لاشك أنه أعظم، وهذا يسمى "اليمين الغموس"، واليمين الغموس سميت بهذا؛ لأنها تغمس صاحبها في النار، أو في الإثم والعياذ بالله، ولذلك لا تُكفر أعظم من أن تُكفر، ليست كسائر الأيمان، الأيمان التي يريد الشخص نكثها فإنه يكفرها لكن اليمين الغموس لا تُكفر؛ لأنها أعظم من أن تكفر لأن اليمين الغموس هو أن يحلف على شيء ماضٍ وهو يعلم أنه كاذب، فيقول: والله ما فعلت كذا وهو قد فعل، أو والله إني فعلت كذا وهو لم يفعل، فلهذا وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- الكلام في الأول إلى الحالف، قال: (من حلف بالله فليصدق) لأن هذا من تعظيم الله؛ ولأن الذي يحلف بالله كاذباً هذا كأنه يستهزئ بالله -سبحانه وتعالى- ويجعل الله -عز وجل- غطاءً لكذبه والعياذ بالله.

ثم وجه للمحلوف له (ومن حُلِفَ له بالله فليرضَ) أنت إذا كان بينك وبين شخص شيء أو حلف لك بالله -سبحانه وتعالى- فيجب عليك أن ترضى (ومن لم يرضَ فليس من الله) فهنا تهديد وبيان للوعيد الشديد لمن حُلِفَ له بالله ثم لم يرضَ، قد يأتيك شخص ويقول: والله ما فعلت كذا، يجب أن ترضى تعظيماً لله -سبحانه وتعالى- تعظيماً للمحلوف به (من لم يرضَ فليس من الله في شيء) وخاصة إذا جاء إنسان يعتذر أو نحو ذلك فحلف فيجب عليك أن ترضى تعظيماً لله -سبحانه وتعالى- وهذا من التوحيد، ومن العقيدة السليمة ومن الإيمان القوي أن ترضى بهذا الحلف تعظيماً لله -عز وجل- أما إذا لم يرضَ الشخص فهذا دليل على ضعف إيمانه وضعف توحيده.

وهنا يمكن أيضاً أن نتطرق إلى هل يجب على الشخص أن يرضى بكل حلف من أي شخص يعني فأي شخص حلف له بالله يرضى مطلقاً، وإذا لم يرضَ فإنه آثم أو هناك تفصيل؟

قال العلماء: هنا تفصيل فإن الأصل في الشخص أن يرضى وإذا لم يرضَ فإنه آثم وهناك شيء يتعين عليك فيه الرضا مثل إذا توجهت إليه اليمين من الناحية الشرعية، اليمين على من أنكر، إذا لم يكن عنده بينة، البينة على المدعي واليمين على من أنكر، فإذا لم يكن عنده بينة فتوجهت اليمين عليه فيجب أن يرضى بها، ولا يقول: لا أرضى، هذا شرعًا يجب أن يرضى به؛ لأن هذا حكم شرعي.

أما في أحوال الناس العادية فهنا يجب أن يرضى باليمين إلا في حالة إذا كان الحالف معروف عنه الاستخفاف بالحلف، استخفاف بالحلف بالله -سبحانه وتعالى- أو أنه يكذب ولا يبالي ومعروف عنه أنه يكذب في الحلق ويستخف بالحلف بالله -سبحانه وتعالى- فهنا لا يجب عليه أن يقبل هذا الحلف لا لأنه لم يعظم المحلوف به وهو الله -سبحانه وتعالى- بل لأنه يعلم أن هذا الحالف قليل الدين وضعيف الإيمان ولا يبالي أن يكذب ولاسيما إذا كان كافراً كما يعني ورد في الحديث أنه قال اليهود: (تقسمون عليكم خمسين يميناً فقالوا: إنهم يكذبون) فالذي لا يتورع عن الكذب، لا يلزمك أن تقبل يمينه أما إذا كان الشخص لا تعرف عنه الكذب فيجب عليك أن تقبل هذا اليمين تعظيماً لله -سبحانه وتعالى-.

طيب يا شيخ مسألة بسيطة، يعني توجيه اليمين في الأحكام والحقوق وغيرها في أمر شرعي لكن ما حكم توجيهها في الأشياء العادية يعني هل فعلت كذا؟ فقال: لا، قال: احلف، أو شيء من هذا، هل يشرع توجيهها يا شيخ؟.

هذا -إن شاء الله- سيرد علينا في باب وهو تعظيم الحلف بالله وأنه لا يجوز للإنسان أن يكثر من الحلف بالله ولا يحلف بالله إلا بمعظم، شيء يستحق الحلف، لا أن يحلف بالله في أي شيء، ولذلك كان السلف يضربون أولادهم على اليمين حتى لا يتعودون أن يحلفوا في كل شيء.

شيخنا الكريم ذكرتم الألفاظ وحكم بعضها، بعض الإخوة أرسل إلي ببعض الألفاظ يا شيخ المشتهرة على ألسن الناس منها قولهم: شورك وهداية الله يعني باللفظ العامي يا شيخ هل لهذا وجه؟.

نعم، هذا يعني يدخل في المساواة، كأنه يعني جعل الشور أو إستشارة هذا الشخص مساوية لهداية الله وأنه يجمع بينهما ثم يفعل الأمر فهذا من يمنع منه؛ لأنه فيه تسوية وتنديد.

كذلك يا شيخ بالنسبة الأيمان التي يُشرك فيها مع الله -جل وعلا- هل تنعقد؟ أو يؤخذ بها أم هي باطلة؟.

كيف هذا؟

لو حلف بغير الله أو حلف باللهو شخص آخر، هل تنعقد تلك اليمين؟.

العلماء يقولون: اليمين لا تنعقد إلا بالله أو بأسمائه وصفاته، أما من يحلف بغير الله -سبحانه وتعالى- وأسمائه وصفاته فإن يمينه غير منعقدة، كما أنها غير جائزة وهي من الشرك.

نعود إلى درسنا صاحب الفضيلة.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب قول: ما شاء الله وشئت، عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي وصححه).

هذا الباب يشبه ما سبق وفيه النهي عن قول: "ما شاء الله وشئت" لأن هذا فيه تسوية بين مشيئة المخلوق ومشيئة الخالق، وذكر هنا حديث قتيلة الجهنية وفيه أن يهودياً أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: (إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة) سبحان الله!! انظر كيف أتى هذا الانتقاد من يهودي، فاليهود ينتقدون الشرك الأصغر على المسلمين ويقعون في الشرك الأكبر، وهذا دليل على أن آهل الأهواء قد يعلمون الحق ولكنهم لا يتبعونه، فهم عرفوا إذا كان إنسان صاحب هوى يعرف الصواب من الخطأ ولكن ليس الشأن في المعرفة، وإنما الشأن في الإتباع والعمل، فأمرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقول: ما شاء الله ثم شئت).

النبي –صلى الله عليه وسلم– ما أنكر على هذا اليهودي قوله، وهذا فيه دليل على أن الحق يقبل ممن أتى به، حتى لو كان يهودياً أو نصرانياً، إذا قال إنسان حقا قبلناه فالحق يُقبل ممن قاله أياً كان، والباطل يُرد ممن قاله أياً كان، فلم يمنع النبي –صلى الله عليه وسلم– من قبول قول هذا اليهودي؛ لأن قوله حق كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضاً في الشيطان الذي في قصته مع أبي هريرة –رضي الله عنه– لما في قصته الطويلة المشهورة وذكر له آية الكرسي، وقال: (إنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان) يعني: إذا أوى إلى فراشه، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أما إنه صدقك وهو كذوب) فصدقك في هذه القولة، فمن قال قولاً حقاً قبلناه ممن جاء به، لا نرد الحق ؛ لأنا لا نحب من جاء به، وإنما نقبل الحق ممن جاء به، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– وجه المسلمين بعد ذلك إلى أن يقولوا: (ورب الكعبة) وأن يقولوا: (ما شاء الله ثم شئت) وفي هذا الحديث فيه نهي عن هذين اللفظين (والكعبة) لأن في هذا حلف بغير الله، قسم بغير الله وهذا لا يجوز، فمن أراد أن يحلف فليحلف بالله، لا يحلف بالكعبة، بل يحلف برب الكعبة، يقول: ورب الكعبة، أو والله، أو والرحمن، أو نحو ذلك من أسماء الله وصفاته؛ لأن الحلف بالكعبة من الشرك الأصغر، ولا يقول: ما شاء الله وشئت، وإنما يقول: ما شاء الله ثم شئت.

قال: وله أيضاً عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رجلاً قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: (ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده)).

نعم هذا الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجه بسند حسن، فيه أن هذا الرجل عَظَّمَ النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال: (ما شاء الله وشئت) تعظيماً للنبي –صلى الله عليه وسلم– ولكن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وجه هذا وقال: (أجعلتني لله ند) يعني مثيلاً أو معادلاً لله –سبحانه وتعالى– كيف تقول: (ما شاء الله وشئت)؟ كيف تجمع بين مشيئتي ومشيئة الله –عز وجل–؟ ثم وجهه إلى أن يقول: (بل ما شاء الله وحده).

في الحديث السابق ماذا قال؟

ما شاء الله ثم شئت.

وهنا قال: (ما شاء الله وحده) إذن عندنا بالنسبة للمشيئة مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق ثلاث حالات أو ثلاث درجات:

أن يقول القائل: ما شاء الله وشئت، فهذا شرك أصغر لا يجوز؛ لأن فيه تسوية بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق.

الدرجة الثانية أو الحالة الثانية: أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، وهذا جائز؛ لأن فيه تأخيرا لمشيئة المخلوق عن مشيئة الخالق –سبحانه وتعالى–.

والحالة الثالثة أن يقول: ما شاء الله وحده. هذه أكمل وهنا في هذا الحديث وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الرجل إلى الأكمل وأن يقول: ما شاء الله وحده.

قال -رحمه الله تعالى-: (ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: (رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت لهم: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير بن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرت فقال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده)).

هذا حديث الطفيل الذي رواه ابن ماجه والإمام أحمد والنسائي بسند صحيح وفيه هذه الرؤية حيث أنه رأى في المنام هذه الرؤية وقصها بعد ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- كما قصها على بعض الصحابة، وقد رأى في المنام أنه مر على قوم من اليهود ثم مر على قوم من النصارى وأنكر على اليهود قولهم: العزير ابن الله، واليهود قالوا: (وأنتم لأنتم القوم) يعني أنتم نعم القوم، وأنتم أفضل القوم لولا أنكم تشركون تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد) ومثله قال النصارى، إن النصارى كانت تقول: إن المسيح ابن الله، قالوا: (وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد) فلما قصها على النبي -صلى الله عليه وسلم- سأله النبي (هل أخبرت أحداً؟ فقال: نعم) فلما أخبر بها بعض الناس لم يكن للنبي -صلى الله عليه وسلم- بد إلا أن يتكلم ويبين حكم هذه الألفاظ وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يبين للصحابة إنكم يعني (قلتم كلمة كان يمنعني منها كذا وكذ) قال العلماء: أنه كان يمنعه الحياء ينكرها عليهم قبل أن ينزل عليه فيه وحي، وكأنه كان ينتظر وحيا فيها ويفصل فيها حتى يبين للناس أو يمنعهم من بعض هذه الأشياء وهذا دليل على أن هذه الكلمة ليست شركاً أكبر، إذ لو كانت شركاً أكبر لم يؤخر النبي -صلى الله عليه وسلم- بيانها وإنكارها عليهم، ولمَّا أخبر الطفيل -رضي الله عنه- بذلك من أخبر نهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك وقال أو وجههم أن يقولوا ما شاء الله وحده، قال: أنهم يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، قال: ولكن قولوا ما شاء الله وحده، وهذا كما سبق معنا هذا هو الأكمل بين لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الأكمل والأفضل والأولى وهو أن يقولوا: ما شاء الله وحده، ما شاء الله إذا رأى إنسان شيئا يقول: ما شاء الله، وإن قال: ما شاء الله ثم شاء فلان، يعني أن هذا الشيء حصل بمشيئة الله ثم بمشيئة فلان، فهذا جائز ولكن الأكمل أن يقول: ما شاء الله وحده، وأما التشريك بحرف الواو فهذا شرك وهذو ممنوع وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في هذا الحديث وغيره؛ لأن فيه تسوية للمخلوق بالخالق، حينما يقول: ما شاء الله وشئت، وهذا كما سبق معنا يدخل في ألفاظ كثيرة دارجة عند الناس، كقولهم: مالي إلا الله وأنت، أو يقولون: أنا في وجه الله ووجهك، أو أنا داخل على الله وعليك، أو: الله لي في السماوات وأنت لي في الأرض، المهم أن يأتي بألفاظ توهم المشاركة، وظاهرها المساواة، بحرف الواو يساوي بين الخالق والمخلوق بحرف الواو، فهذه ممنوعة لما فيها من تشريك المخلوق مع الخالق، وإيهام المساواة وإن كانت بالألفاظ.

نعم المسلم يعتقد أن المخلوق أقل من الخالق، ولا يصل إلى درجة الخالق، ومع ذلك فأنه إذا قال هذه اللفظة فإنه يُعد مشركاً شركاً أصغر لا يخرجه من الملة، وسبق معنا التفريق بين الشرك الأصغر والأكبر، وأن الشرك الأصغر لا يُخرج صاحبه من الملة، وإنما يحبط العمل الذي يقارنه وأما الشرك الأكبر فإنه محبط لجميع الأعمال، وموجب للخلود في النيران، ومانع من دخول الجنان والعياذ بالله.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (باب من سب الدهر فقد آذى الله، وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]).

هذا الباب عقده المؤلف -رحمه الله- للرد على الدهرية ومن يشابههم في ألفاظهم، وذكر حكم من سب الدهر، وأن من سب الدهر فقد آذى الله -سبحانه وتعالى- وذكر قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ هذا يقوله الدهرية ومن شابههم من المشركين من مشركي العرب الذين ينكرون المعاد ويزعمون أنه ما هي إلا هذه الدنيا كما يقول بعضهم: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وليس هناك بعث ولا نشور، وكما يقوله بعض الملاحدة من المعاصرين وغيرهم والمتقدمين ممن يزعمون أنه لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا، وكما عند الشيوعيين وغيرهم الذين ينكرون الدار الآخرة، فالذي ينسب الأفعال إلى الدهر فيجعل الدهر هو المُصَرِف فهذا مثل الدهرية الذين أنكروا وجود الرب -سبحانه وتعالى- أو أنكروا اليوم الآخر فالله -سبحانه وتعالى- رد عليهم قال: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ يعني: ليس لهم بذلك القول من علم ولا يقين بل هم متوهمون، متوهمون في قولهم هذا، فمن سب الدهر فقد شابه الكفار في ذلك، الذي يسب الدهر فهو في الحقيقة مشابه للكفار في ذلك من حيث إنه جعل الدهر فاعلاً، أنه سبه كأنه يعتقد أن الدهر هو الذي فعل هذا الشيء، الدهر هو الذي أتى بهذه المصائب عليه، ففيه إيهام بأن الدهر هو الفاعل، فمن سب الدهر فقد شابه الدهرية الذين يزعمون أنه ما هو إلا هذا الدهر وهذه الحياة الدنيا التي يعيشونها وليس هناك بعث ولا نشور وبعضهم مثل الدهرية يقولون: أنه ليس هناك خالق وإنما هذا الخلق إما وجد صدفة أو أنه يعني المهم أنه ليس هناك خالق خلقه.

تقول: عندي سؤالين من الدروس الماضية إذا سمحت:

في مسألة حسن الظن بالله إذا كنت أنا إذا أذنت ذنبا أصير أخاف من الله وأخشى من أن الله لا يوفقني أو أخشى أن الله لا يوفقني، أو أخشى أن الله لا يغفر لي، فهل هذا يخالف حسن الظن بالله؟ هذا السؤال الأول.

السؤال الثاني: في مسألة الرياء، إذا عملت العمل في السر ما يعلم به إلا أحد يعني مخلصاً لوجه الله لكن أخبرت عنه فيما بعد خاصة إذا كان الإخوان أو واحد أقاربي حتى يكون قدوة أو من باب من سَنَّ سنة حسنة في الإسلام فهل يبطل العمل أو يؤثر عليه؟.

يقول: عند كثير من الناس الآن مثلما ذكر الشيخ يعني قول اعتمدت على الله -عز وجل- وعليك بدون "ثم" إذا كان هذا الشخص جاهل بهذه المسألة ثم جاء شخص وأنكر عليه، ولكنه أصر هل يأثم هذا الشخص المصر المعاند؟.

الأخت الكريمة تقول: حسن الظن بالله، يعني تسأل عنه.

بالنسبة لحسن الظن بالله له باب خاص -إن شاء الله- سنتكلم فيه عن مسألة حسن الظن وعن مظاهر سوء الظن بالله، ومنها ما ذكرت الأخت ولعله -إن شاء الله- يأتي في بابه.

أيضاً يا شيخ تسأل عن الرياء يا شيخ تقول: عملت عملاً في السر وقد عملته أمام أحد أقربائي كي يقتدي بي، هل يدخل بذلك الرياء؟.

كيف يكون بالسر ويكون أمام أحد الأقرباء.

يظهر أنها تعمل بالسر لكن حينما رأت أحداً عملته أمامه حتى يقتدي بها، هل يدخل في الرياء مثلاً؟.

على كل حال (لكل امرء ما نوى) ومداخل الرياء كثيرة، لكن على الإنسان أن يجاهد نفسه، يخشى من أمرين: الإنسان يخشى من أمرين:

الأمر الأول: لا يكون عنده وسوسة بالرياء بحيث أنه يسبب ترك العمل، من كثرة الوساوس يترك العمل وأنه يخشى الرياء.

الأمر الثاني: لا يفسح لنفسه بالترخصات وأنه يريد أن يقتدي به الناس وكذا ثم بعد ذلك لا يدري إلا أنه صار منساقاً للناس، وأنه في حقيقة أعماله يريد أن يثني عليه الناس بها، لكن الإنسان يجاهد نفسه، وإذا تحققت عنده مصلحة في إظهار بعض الأعمال، وهو قد أخلص النية لله –سبحانه وتعالى– فله أن يظهرها وكما قال الله –عز وجل–: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] وهناك بعض الأعمال قد يرى الإنسان أنه يبدأ بها ليكون قد سَنَّ سنة حسنة، مثل مثلاً الصدقة، فلنفرض أن شخصاً محتاجاً أو طُرح اسم شخص محتاج أو شخص يحتاج مساعدة أو عائلة في مجلس فقال شخص: لماذا لا نحاول أن نجمع له الآن شيئًا، فقال: أنا أبدأ وأنا أعطي كذا، هذا إذا أراد أنه يشجعهم فله نيته وهو إن شاء الله على خير لاسيما إذا سَنَّ سنة حسنة وصار بذلة سَبَباً في أن يتسارع الناس في البذل، أو قد يُحدث بعض الناس ببعض ما عَمِلَ ليبين أن مثلاً هذا شيء ممكن، إذا أمر شخصاً بعمل صالح ورأى أن هذا الشخص يستصعبه أو يستثقله أو يتقاعس عنه فقال: أنا عملت أو يمكن أن ينجو من هذا وهذا فيقول: أنا أعرف شخصاً عمل هذا وحصل له كذا وكذا، فيكون قد حصل له هذا التأثير ولم ينسب هذا الشيء الذي علمه، المهم أنه إذا تحققت المصلحة وزالت المفسدة، فإنه يمكن أن يقول بعمله أو يظهره، تحققت المصلحة للغير وزالت المفسدة عنه في حالة أنه لا يدخل فيها شيء من الرياء، فيمكن أن يظهر عمله أو يحدثه لكن بالقدر وبحسب يعني المصلحة ولا يكون هذا ديدن الشخص والله أعلم.

يقول: عندي سؤالين:

السؤال الأول: هل يجوز أن يقول لإنسان: عملت بالأسباب والباقي على الله، كلمة: "الباقي على الله" هل يجوز ذلك؟

السؤال الثاني: ما الفرق بين قول العلماء: ينافي التوحيد، وينافي كمال التوحيد؟

الأخ الكريم يقول: إذا قال شخص: أنا داخل الله على الله وعليك وأنكرت عليه فكأنه لم يستجب إلى إنكاري فما حكم ذلك يا شيخ؟.

نعم، الأخير هذا الشخص جاهل وأنه أنكر عليه ولم يستجب نقول: هذا جاهل، عنده جهل، عنده تكبر، كثير من الناس الذين يقولون هذه الألفاظ هم في الحقيقة يقولون: نحن ما نقصد أن المخلوق مثل الخالق، ومثل الذين يحلفون بغير الله، الذين يحلفون بالنبي –صلى الله عليه وسلم– يعني دارج على لسان من يقول: والنبي أو بعضهم يقول: وحياتي أو وحياتك.

وجاه النبي.

نعم، هذا دارج كثير وحينما تنكر عليهم يقولون: نحن ما نقصد، لكن درج على ألسنتنا، نقول: حتى لو درج على ألسنتكم فيجب أن تصححوا كلامكم وألفاظكم وهذا الشخص ينبغي أن يُعَلَّم ولكن أيضاً يؤخذ باللطف، يعني بعض الناس قد لا يتحمل أن تنكر عليه هذا الشيء فينبغي حقيقة لدعاة التوحيد أن يستخدموا أحسن الوسائل التي تحبب التوحيد إلى الناس وتجعل الناس يرغبون بهذا الدين وبهذا العقيدة الصحيحة بعض الناس حينما يشعر أنه صاحب حق والذي أمامه صاحب بدعة أو ضلالة يعني يجد في نفسه الاندفاع لأن ينكر عليه، نقول: نحن نعم ننكر عليه ولا نحب هذا العمل لكن أيضاً يهمنا أن يهتدي هذا الشخص، اهتداء الشخص هذا أهم من مجرد الإنكار، لأن تحبيب السنة إليه والتوحيد أهم من أنك تنكر عليه ثم يذهب وهو مُصر على بدعته أو ذنبه أو

معصيته وربما يدعو إليها وربما يعني أيضاً يكون عدواً لك ولما تدعو إليه، فالمهم أن نأخذ الناس بالأسلوب الطيب والتعليم الحسن أو بالتوجيه حتى يعرفوا السنة ويبتعدوا عن البدعة والمخالفات.

هو للأسف الشديد يا شيخ بعض الناس يرى أنها تكون قضية شخصية أكثر منها قضية توجيه أو إرشاد، فهذا قد يكون سببا رئيسيا لعدم استجابة الناس؟.

صحيح بعض الناس يعني خاصةً إذا كان هو لا يتحمل من هذا المُنكر، وإذا رأى الشخص أن إنكاره على هذا الشخص قد يفضي إلى مفسدة ورأى أنه إذا أتى من غيره سيكون له قبول، فنقول: إن من الأفضل أن تذهب إلى ذلك الغير الذي يعظمه هذا الشخص وتطلب منه أن يوجه إلى اللفظ الحسن أو نحو ذلك.

أيضاً الأخ الكريم يقول: قول الإنسان: عملت بالأسباب والباقي على الله؟.

نعم، هذا صحيح الإنسان يعمل بالأسباب والباقي على الله، يعني أن الإنسان أخذ بما أُمر به من الأسباب ثم هو متوكل على الله -سبحانه وتعالى- قد يحصل له ما أراد وقد لا يحصل، وهذا فيه تفويض الأمر إلى الله -عز وجل- وهذا هو حقيقة التوكل.

يسأل يا شيخ عن قول العلماء: ينافي التوحيد، وينافي كمال التوحيد ما الفرق بينهما؟.

الفرق بينهما أن الذي ينافي التوحيد بالكلية يعني هذا يخالف التوحيد بالكلية بمعنى أنه يخرج صاحبه من التوحيد، والذي ينافي كماله، يعني ينافي كماله الواجب يعني أن هذا من الشرك الأصغر أو من نحو ذلك هذا ينافي كمال التوحيد، ولكنه لا ينافي كل التوحيد، ينافي الكمال الواجب وإن كان صاحبه لا زال موحداً لكن عنده نقص في التوحيد، فالذي ينافي الكمال يعني أنه ناقص التوحيد، والذي ينافي التوحيد يعني أنه زائل عنه توحيده، والله أعلم.

نعود بالنسبة للدهر وسب الدهر وأن الدهر لا يقصد به سب لفظ الدهر، وإنما ما يدخل تحته من الأيام والأسابيع والساعات والأشهر والسنين والأعوام، فسب أي شيء من هذا يدخل في سب الدهر المنهي عنه، وهذا يحصل عند كثير من الفساق والمجان والحمقى الذين يسبون دهرهم ويسبون أيامهم ويسبون بعض الساعات إذا جرت عليهم مقادير بغير ما يريدون، فتجدهم يسبون ويشتمون، ويلعون، ويتضجرون من هذه الأيام، ومن هذه الساعات أو من هذه الأعوام، فهم في الحقيقة يسبون الوقت الذي حصل فيه هذا المكروه لهم، أو حصلت فيه عليهم هذه المصيبة، وربما يلعنون هذا اليوم أو هذه السنة -والعياذ بالله- فتجد ألسنتهم بذيئة دائماً يحقرون ويلعنون، ويتذمرون ويشتمون أيامهم ولياليهم وأزمانهم سواءً من خلال القصائد التي ينظمونها أو من خلال الكتابات التي يكتبونها، أو من خلال الأقوال التي يقولنها، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم فتجدهم دائمي اللوم للدهر والليالي والأيام، وأنها أخذت منهم ما يريدون، أو أخذت منهم ما يريدون أو منعتهم ما يحبون أو أتت بما يكرهون أو نحو ذلك من العبارات التي هي في حقيقتها تسخط على الرب -سبحانه وتعالى- وفيها سب؛ لأن السب في الحقيقة هو العيب، السب هو العيب في الحقيقة، وهو يرجع إلى من دَبَّرَ الدهر ومن صَرَّفَ الدهر؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي صَرَّفَ هذا الدهر كما سيرد في الحديث بعد هذا.

قال -رحمه الله تعالى-: (وفي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل، والنهار)، وفي رواية: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)).

نعم، هذا الحديث، حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– وهو حديث قدسي، أن الله –عز وجل– قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر) فسب الدهر أذية لله –سبحانه وتعالى– وكانت العرب تسب الدهر وتذمه وتعيبه عند النوازل التي يكرهونها، والمصائب التي تصيبهم والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، أو أصابهم الدهر بسوء أو نحو ذلك من العبارات أو أبادهم الدهر، أو نحو ذلك من ما فيه نسبة الفعل إلى الدهر والزمان، فإذا أضافوا ما حصل لهم إلى الدهر، وما نالهم إلى الدهر فهم في الحقيقة يعني قد سبوه وسبوا فاعل هذه الأشياء، والسب في الحقيقة يرجع إلى من فعلها، حينما يسبون الدهر لأنه حصل لهم فيه هذا الشيء، فهم في الحقيقة كأنهم يسبون من فعل هذا الأمر ومن أتى بهذه المصائب، فكأن هذا يرجع إلى الله –سبحانه وتعالى– لأن الله –عز وجل– هو الذي سَخَّرَ الدهر ودَبَّرَ الدهر وأمر الدهر وهو المُصرف وهو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر ويسبونه، فنُهوا عن السب.

فالله –عز وجل– يقول في الحديث القدسي: (يؤذيني ابن آدم) والأذية هي ما خف أمره، وضعف أثره من الشرك والمكروه ونحو ذلك، فهذه قد يتأذى الله –سبحانه وتعالى– منها، ولكنه لا يتضرر، الله –عز وجل– لا يصيبه الضرر؛ لأن الله –عز وجل– أخبر أن العباد لا يضرونه كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ١٧٦] فهم لا يضرونه، والعباد لن يستطيعوا أن يضروا الله –عز وجل– ولكنهم يؤذونه بما يفعلونه من بعض المعاصي أو الشرك أو نحو ذلك، ومن هذا ما ذكره الله –عز وجل– في الحديث القدسي في هذا الحديث: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر) فمسبة الدهر أذية لله –عز وجل– ثم بين ذلك وبين الله –عز وجل– سبب ذلك، قال: (وأنا الدهر أقلب الليل والنهار) السبب في الأذية أن الله –عز وجل– هو الذي يقلب الليل والنهار، قال: (وأنا الدهر) يعني أنا مصرف الدهر،، يعني أنا مدبر الدهر أنا صاحب الدهر، أنا مدبر الأمور التي تنسبونها إلى الدهر، أقلب الليل والنهار، وفي اللفظ الآخر: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) يعني الله –عز وجل– هو مصرف الدهر، وهو مدبر الدهر، فلا يجوز لإنسان أن يسب الله –سبحانه وتعالى– لأن هذا السب الحقيقة يرجع إلى المولى –عز وجل– فالله هو مصرف الدهر، قوله: (وأنا الدهر) وليس معنى: (أنا الدهر) أن من أسماء الله الدهر، وقد غلط ابن حزم حينما جعل من أسماء الله الدهر، لكن المقصود: (أنا الدهر) يعني أنا مصرف الدهر، ولو كان الله هو الدهر يعني اسمه الدهر لكان الدهرية صادقين في قولهم أن الدهر هو الذي فعل هذا الشيء، لكن في الواقع المعنى (أنا الدهر) يعني مدبر ومصرف هذه الأمور التي تنسبونها إلى الدهر.

والسب في الحقيقة للدهر ما يزيل المصائب وإنما يزيد المصائب، هذا الشخص حينما يسب الأيام والليالي والشهور تزداد مصائبه وتكثر حسراته وينفذ صبره ويخالف ما أمره النبي –صلى الله عليه وسلم– به من الصبر والتأدب واحترام جلال التوحيد، فكأن هذا يسب الله –سبحانه وتعالى– والسب في الحقيقة للدهر يمكن أن نقسمه إلى ثلاثة تقسيمات:

الأول: أن يسب الدهر يعتقد أن الدهر هو الفاعل، أن الأيام هي الفاعلة، أو أن الشهور هي الفاعلة من دون الله –سبحانه وتعالى– فهذا كفر، وهذا هو في الحقيقة هي عقيدة الدهرية، فإذا كان يضيف إليه من باب إضافة الشيء إلى من خلقه فهذا كفر.

الأمر الثاني أو الحالة الثانية: أن يسب الدهر باعتبار أن الدهر هو محل هذه الأفعال، يعني باعتبار أن الدهر هو المحل، وأن الفاعل هو الله –سبحانه وتعالى– هو يعتقد ويوقن أن الله هو الفاعل وهو المدبر، لكن الدهر هو المحل في هذه المصائب التي حصلت فيسب الدهر باعتبار أنه محل الحوادث التي حصلت لا أن الدهر هو الفاعل، وهذا محرم، هو لا يخرج من الملة كالسابق لأنه هنا يعتقد أن الله هو الفاعل –سبحانه وتعالى– ويقول: أنا لا أسب الله لكن أسب الدهر باعتبار أنه حصل لي هذا المكروه في هذا اليوم، فأنا أسب اليوم لأنه حصل لي يعني صار محل المكروه، فهذا هو المحرم، هذا محرم وإن كان لا يخرج من الملة وهذا يدخل فيه لعن الأيام

والسنين وسبها وعيبها، والدعاء عليها ولومها مثل قول بعض الناس يعني يسب الساعة التي رأى فيها فلانا، ويشتم اليوم الذي خسر فيه، ويذم السنة التي ولد فيها أو نحو ذلك، يعني هذا فيه تسخط وذم لظرف ليس هو فاعل، هذا الدهر ظرف يخلق الله -سبحانه وتعالى- فيه ما يخلق، فكون الإنسان يسب هذا المحل هذا حمق وغفلة وجهل وقلة إيمان كما أنه قلة عقل، كيف تسب شيئاً لا تصرف له، وإنما هو كالوعاء يوضع فيه الشيء؟! فهذا محرم.

الأمر الثالث: أن يأتي على جهة الخبر يعني يخبر بما حصل له في هذا اليوم، أو بما حصل في هذا اليوم أو يصف اليوم أو يصف السنة، كأن يقول هذا يوم عصيب أو هذا يوم شديد كما قال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧] وقال تعالى: ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت: ١٦] فهذا جائز؛ لأن هذا من باب الوصف وحكاية الحال لا من باب السب، كما لو قال: والله هذه السنة سنة الجدب مثلاً أو هذه سنة خوف أو هذه سنة شديدة أو عصيبة أو مرت علينا ساعات مخوفة أو نحو ذلك هذا وصف، وليس سبا فهذا جائز، أما إذا كان على جهة السب والتذمر أو اللعن أو الشتم أو نحو ذلك، فهذا هو الممنوع وهذا يكثر كما قلت في أبيات الشعراء والكتاب وبعض الذين ينسبون للأدب ونحوهم من التضجر والتسخط ونحو ذلك.

في الحقيقة إن سب الدهر فيه مفاسد كثيرة للشخص نفسه، منها:

أن هذا الشخص الذي يسب الدهر هو يسب من ليس أهلاً للسب، وقد ورد أن من سب شيئاً ليس أهلاً للسب، فإن اللعن يعود على لاعنه، فلا يجوز للإنسان أن يسب شيئاً ليس أهلاً للسب، فالدهر ظرف ووعاء مخلوق الله - عز وجل- يخلقه ويخلق ما فيه، فكيف تسب من ليس أهلاً لذلك؟!.

المفسدة الثانية من مفاسد سب الدهر أنه يتضمن الظن بأن الدهر يضر وينفع، يعني هذا الشخص حينما سب الدهر كأنه يظن أن الدهر هو الذي يجلب النفع والضر، فيلومه؛ لأنه أتى بالضر أو لأنه منع عنه ما يريد أو أن هذا الدهر ظالم، فكأنه جعل هذا الدهر هو الفاعل.

المفسدة الثالثة: أن السب في الحقيقة تجد كثيرا من هؤلاء الذين يسبون الدهر يسبونه لأجل أشياء كما قال بعض العلماء: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١] يعني يسب الدهر لأنه ما حصل له هذا الشيء، مع أن حصول هذا الشيء مفسدة عليه، وقد يسب الدهر لأنه لم يحصل له الشيء المحرم، بعض الناس كان يتمنى شيئا محرما فلما لم يحصل له تجده يسب الدهر، فجمع بين سوءتين، فكثير من هذه الأمور التي تجد هؤلاء الأشخاص يتضجرون منها ويتأففون منها ويسبون لأجلها الأيام والساعات والليالي والأزمان، تجد أنهم هم مخطئون فيها، ولو أنهم آمنوا بالله -سبحانه وتعالى- حق الإيمان، وأدركوا أن الله -عز وجل- لا يفعل شيئا إلا لحكمة لعلموا أن ما فاتهم قد يكون خيراً لهم، أو ما أصابهم هو خير لهم، فالسب في الحقيقة يكون غالباً لأهواء، أهواء نفوس غافلة، أهواء نفوس صاحبة هوى مخالف للشرع، فهذا من مفاسد سب الدهر، والله أعلم.

تقول: لدي سؤالان لو أذنتم لي، بالنسبة للسؤال الأول: بعض الناس قد يقرؤون الأذكار الصباح والمساء، ويقرؤون بعض الرقى والآيات، ولكنهم لا يستشعرون أن الله -سبحانه وتعالى- بهذه الآيات والأذكار يحفظهم فيتكلون عليها فهل هذا من الشرك الخفي؟ هذا الجانب في السؤال الأول، الجانب الآخر: قد يقرأ الإنسان الأذكار وقلبه لاهٍ هل هذا شيء آخر غير الجانب الأول؟ يعني يقرؤه وقلبه لاهٍ فلا تنفع؟

السؤال الثاني: قد يقول شخص لآخر: هل تريد مساعدة؟ فيرد عليه: ما نستغني، هل كلمة: "ما نستغني" من الألفاظ المنهي عنها؟.

يقول: كيف نجمع بين نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قول الرجل: لولا الرجل وفلان بحرف الواو، وبين ما ورد في الأحاديث الصحيحة من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لولا حواء لم تخن حرة زوجه) وأيضاً قوله -صلى الله عليه وسلم-: (ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) نرجو من الشيخ أن يجيب جواباً شافياً؟

الأخت الكريمة تسأل أن بعض الناس يقرؤون الأذكار ولا يستشعرون أنها تحفظهم أو حفظ الله لهم بهذه الأذكار هل في هذا؟.

بالنسبة للأذكار والأوراد تأتي في الحقيقة ويمكن كما قال بعض العلماء: على ثلاث درجات:

- منهم من يذكر بقلبه.

- ومنهم من يذكر بلسانه.

- ومنهم من يذكر بقلبه ولسانه.

وأكملها لا شك أنه الذي يذكر بقلبه ولسانه، فهو يذكر باللسان، ويتدبر معانيها بالقلب ولهذا يحصل فيها التأثر والتأثير والأثر، أما من يقولها وقلبه غافل ولاهٍ فهذا لا شك أنه ليس مثل من يقولها: وهو متدبر لمعناها ومستحضر وموقن بأثرها وفائدتها، ومثله أيضاً الدعاء، لا يستوي من يدعو الله -سبحانه وتعالى- وقلبه حاضر ويتفهم ومستحضر للتأله والتعبد لله ومن يرفع يديه ويدعو وكأنه قد حفظ شيئاً ربما لا يدري بماذا دعا بعد أن دعا، لا شك أنه يختلف الأمر بين الشخصين.

يعني كأنه يؤديها عادة وليس عبادة لله -جل وعلا-.

يعني: ولو لم تكن عادة لكن أيضاً بعض الناس حفظ أشياء مثل الصلاة أو مثل أذكار وصار يقولها دون تفكر لمعناها ودون تفهم وكأنه شريط مسجل يبدأ به، ولا يفيق حتى ينتهي.

أيضاً يا شيخ تسأل عن قول الشخص: ما نستغني، مثلاً هل تحتاج شيئا؟ فقال: ما نستغني عن مساعدتكم مثلاً، هل هذا جائز؟

ما أدري هذا الشيء الذي قاله، يعني: توجد أشياء لا يمكن أن نستغني عنها، وتوجد أشياء في هذه الحالة أو في هذا الظرف أنا لا أستغني عنك أن تساعدني في هذا الأمر بما تستطيعه أنت كمخلوق في هذا الشيء بهذا الظرف الذي أنت تملكه، أما أن يطلق في كل شيء فهذا لا يصلح والأكمل لحال الإنسان أن يستغني عن المخلوقين، وقد كان من مبايعة بعض الصحابة للرسول -صلى الله عليه وسلم- أن لا يسألوا الناس شيئاً قدر المستطاع لكن الإنسان طبعاً لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الناس لكن متى استطاع أن يستغني عنهم فإن هذا لا شك أنه أكمل وأولى.

أيضاً يا شيخ الأخ الكريم يسأل: كيف نجمع بين نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قول: (لولا الله وفلان) وبين قول النبي: (لولا حواء لم تخن زوجة زوجه)؟

أحسنت، هذا من المسائل التي تُثار وأظن أشرنا إليها في الحلقة الماضية وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) هذا للسبب الشرعي الواضح فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لمّا (سُئل عن عمه، هل نفعتَ عمك؟ قال: هو في ضحضاح النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)

فالله -سبحانه وتعالى- أجاب دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا في الأسباب الظاهرة، ونحن قلنا في الأسباب الظاهرة يجوز أن تقول: لولا، في الأسباب الظاهرة، مثل لو أن شخصاً قال لشخص: لولا زواجك لما أتاك الأولاد، هذا شيء ظاهر وسبب ظاهر ما فيه مشكلة، وإنما الإشكال في الأشياء الخفية، أو الأشياء التي ليست هي السبب الوحيد، فينسبها إلى هذا السبب ويتناسى الأسباب الأخرى كما يتناسى فضل الله -سبحانه وتعالى- عليه، فإذا قال شخص: أنا رويت بشرب هذا الماء، أو لولا زواجي ما حصل لي الأولاد، ما يمكن واحد أن يقول: إنه يمكن أن يأتيه أولاد بدون زواج، فإذا كان السبب ظاهرا سواءً كان سبباً شرعياً أو سبباً قدرياً فهذا لا إشكال فيه، ويدخل فيه ما ذكر الأخ من الحديث.

أما الممنوع فأن يقول: لولا مثلاً ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: لولا كليبة أو لولا الطبيب لمات المريض، أو لولا السائق لانقلبت السيارة هذه فيها أسباب أخرى وفيها غفلة عن حفظ الله -سبحانه وتعالى- وفيها تعلق بالمخلوق، فما كان فيه تعلق بالمخلوق ونسيان لقدر الله وتوفيقه ونحو ذلك هذا الذي يمنع، أما ما فيه إسناد لسبب ظاهر وواضح فهذا لا يمنعه والله أعلم.

يقول: قول بعض الناس: يا نهار أسود، وكذلك بعض القراء يدعو: اللهم أرنا فيهم يوماً أسوداً؟.

قلنا إنه بالنسبة إذا كان الوصف إذا كان بسبب وصف يعني لما كان أو لما سيكون فهذا جائز، أما إذا كان على جهة السب فلا يجوز، فإذا قال: هذا النهار أسود بجهة السب والتسخط فهذا لا يجوز، أما إذا قصد بيان أنه مثلاً هذا يوم صار فيه ضيق وشدة، أو قال: اللهم مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم اشدد وطأتك على مضر) أو قال شخص: اللهم اجعل عليهم أياما أو كما النبي -صلى الله عليه وسلم- (سنين كسني يوسف) اجعل عليهم أياماً عجافاً فهذا وصف لحال الأيام وليس متضمناً للسب، والله أعلم.

تقول: هل قول: بأبي وأمي يعد من الحلف بغير الله؟

نعم، إذا قصدت بهذا الحلف، إذا قالت: بأبي أو بأمي أو بشرفي أو بنحو ذلك فهذا من الحلف الذي لا يجوز إلا بالله -سبحانه وتعالى-.

تقول: بعض الألفاظ المشهورة قول بعض الناس: هذا بسبب قسوة الأيام، أو قولهم: الزمن غدار؟.

لا يجوز، هذا من السب، وهذا من نسبة الأفعال إلى الدهر، كيف يقولون: الزمن غدار؟! هل الزمن يفعل؟! هل الزمن له مشيئة؟! أم أنه مُصَرَّف من الله -سبحانه وتعالى- هذه كلمة لا شك أنها كلمة سيئة وينبغي البعد عنها.

أيضاً يا شيخ تقول: مما اشتهر تقول: برأس ابني فلان، أو وبرأس ابني فلان، كأن يحلف برأس ابنه فلان؟.

إذا كان المقصود بها الحلف فلا يجوز هذه قاعدة عامة: أي حلف بغير أسماء الله وصفاته فإنه لا يجوز أياً كان.

طيب يا شيخ عفواً يعني أنا اتضحت لي مسألة تفصيل الحلف بالنبي -صلى الله عليه وسلم-: قول الإنسان والنبي مثلاً أو شيء، تطرقتم إليها لكن هل تعيدون شرحها باختصار يا شيخ سليمان؟.

إذا قال: والنبي، أو وجاه النبي، أو أقسم بالنبي، أو حتى لو قال: بحق النبي وقصد بها الحلف أو الإقسام فهذه كلها لا تجوز، لا يجوز؛ لأن هذا كله من الحلف بغير الله -سبحانه وتعالى- سواءً بالنبي -صلى الله عليه وسلم-

أو بالكعبة أو بزمن من الأزمان، أو بمكان من الأماكن، فكل هذه لا تجوز؛ لأن الواجب أن يخلص الإنسان حلفه بلله -سبحانه وتعالى- بأسمائه أو بصفاته أقسم بالرحمن، أقسم بالرحيم، أقسم بالعليم، أقسم ... كذلك يمكن أن يقسم بصفات الله، أقسم بعزة الله، أقسم بقدرة الله، أقسم بآيات الله، آيات الله هي من صفاته إذا كان قاصدا آيات الله التي هي كلامه، فكلامه من صفاته -سبحانه وتعالى- فهذه هي الجائزة بأسماء الله أو بصفاته، أما بالمخلوقات فلا يجوز الحلف؛ لأن هذا من الشرك كما سبق معنا، وقول -صلى الله عليه وسلم-: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

يقول: كيف نجمع بين قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تسبوا الدهر) وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه)؟.

أحسنت، هذا سؤال يحتاج إلى حقيقة تأمل؛ لأن هذا اللعن ورد في حديث وإن كنت أنا ما أذكر الآن ما أدري عن صحة هذا الحديث وإن كان مشهوراً (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم، أو متعلم) فكأن هذا ليس سباً لنفس الدهر ولنفس الأزمان، وإنما لإبعاد الشهوات التي في الدنيا وما يلهو به الناس في هذه الحياة، وأنها من الأمور المبعدة أو نحو ذلك، وليس هو لتصاريف الدهر، وليس هو لأفعال الله -سبحانه وتعالى- التي يصرف بها الأمور، أو يدبر بها الأمور، والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

هنا سؤالان:

السؤال الأول: ما حكم وصف الشخص بأنه كبير القضاة؟

السؤال الثاني: ما حكم من يستهزئ بمسلم؟

والله أعلم

نشكركم صاحب الفضيلة على ما بذلتم في هذا البرنامج ونسأل الله أن يجزيكم عنا خير الجزاء، وأن يبارك فيما طرحتم وقلتم، وإن كان لكم من إشارة في نهاية هذه الحلقة بارك الله فيكم ......

كنت أنا نبهت حقيقة في بداية الدرس إلى أنه -إن شاء الله- سنحاول أن نوجز في الشرح لنحاول قدر المستطاع إن أمكننا أن ننهي بقية الأبواب قبل انتهاء الوقت، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على نبينا محمد.

الدرس الرابع عشر

تابع باب الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واهدنا وسددنا ووفقنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

في هذا اليوم نبدأ من حيث انتهينا وقد أنهينا في الدرس الماضي ما يتعلق بسب الدهر وتحريمه وبيان أمثلة عليه ووقفنا على باب ما يتعلق بالتسمي بقاضي القضاة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه: في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: (إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله) قال سفيان: مثل شاه شاه وفي رواية (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه) وقوله: (أخنع) يعني أوضع.)

عقد المؤلف الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– هذا الباب لبيان وجوب تعظيم أسماء الله –سبحانه وتعالى– وصفاته، وذكر هذا الحديث الذي فيه النهي عن التسمي بملك الأملاك لأن هذا الاسم يختص بالله –سبحانه وتعالى– والموصوف بذلك هو الله –عز وجل– فالله هو ملك الأملاك كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ...﴾ [آل عمران: ٢٦] فلا يعظم المخلوق بما يشبه تعظيم الخالق –سبحانه وتعالى– بل للمخلوق منزلته التي تليق به، ولله –سبحانه وتعالى– منزلته وعظمته فلا يجوز أن يجعل المخلوق في مقام الخالق وينهى عن تشبيه المخلوق بالخالق.

ذكر هذا الحديث الذي في الصحيح وهو من رواية أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: (إن أخنع اسم عند الله) وأخنع يعني أوضع أو أذل اسم أو أوضع اسم أو أفجر اسم عند الله –سبحانه وتعالى– رجل تسمى ملك الأملاك؛ لأن هذا الذي يتسمى بهذا الاسم يتعاظم ويرفع مكانته فلهذا يكون جزاؤه أن يكون ذليلاً ويكون فاجرا بهذا التسمية؛ لأنه تسمى بما لا يليق إلا بالله –سبحانه وتعالى– وفي هذا النهي عن مشاركة الله –سبحانه وتعالى– بشيء من معاني أسمائه –عز وجل– التي يختص بها والمؤلف –رحمه الله تعالى– بوب فقال: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه، ثم ذكر هذا الحديث، الحديث ليس فيه قاضي القضاة، ولكن فيه النهي عن التسمي بملك الأملاك، وذكر سفيان –رحمه الله تعالى– قال: مثل شاه شاه.

شاه شاه معناها ملك الأملاك في لغة العجم، فما كان بمعنى ملك الأملاك ينهى عنه، وكأن المؤلف قاس على ذلك التسمي بقاضي القضاة، فكل ما فيه تشبه بمعانٍ مما يختص الله به من الصفات ينهى عنه ملك الأملاك، قاضي القضاة ، سلطان السلاطين، حاكم الحكام، ونحو ذلك مما فيه رفع للمخلوق إلى منزلة لا تليق به فالتسمي بذلك ينافي كمال التوحيد، وفي شائبة تقرب من الشرك الأصغر لما فيه من رفع منزلة لما لا يستحق.

فالمقصود أن أهل العلم ألحق بهذه الأسماء التي وردت في الحديث ما يشابهها ومن ذلك قاضي القضاة؛ لأن قاض القضاة هو الذي يقضي بين القضاة، قاضي القضاة هو الذي يقضي بينهم بالحق، والله –سبحانه وتعالى– هو الذي يقضي بينهم بالحق وهو خير الفاصلين سبحانه وتعالى، وهو الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، فهذا الوصف المطلق إنما يكون لله –سبحانه وتعالى– ولا يجوز إطلاقه على المخلوق.

وقد سألنا في الدرس الماضي عن التسمي بكبير القضاة، وهذا الجواب عن هذا أن هذا جائز؛ لأن كبير القضاة يمكن أن يكون كبيرا، كبيرهم إما كبيرهم في السن أو كبيرهم في علمه أو كبيرهم في مرتبته التي تليق به، فكبير القضاة أو رئيس القضاة أو أمين القضاة أو مسئول القضاة أو نحو ذلك فهذا جائز لأن هذه العبارات تستعمل في حق المخلوق بخلاف قاضي القضاة فهذا لا يصلح إطلاقه على المخلوق ويجوز تقييد قاضـــي القــضاة بــشيء بالنسبة للمخلوق فتقول مثلاً قاضي قضاة البلد الفلاني، أو قاضي قضاة المذهب الفلاني أو نحو ذلك مما فيه تقييد وليس فيه إطلاق؛ لأن إطلاق هذا هو المحظور أما تقييده ببلد معين أو مذهب معين أو جهة معينة أو نحو هــذا فهذا جائز؛ لأنه ليس فيه من هذه التزكية مع أن الشخص نفسه ما ينبغي أن يسمي نفسه بمثل هذه الأمــور؛ لأن هذا إذا سمى نفسه كأنه يزكي نفسه وفيه غرور ونحو ذلك، لكن لو سمي بحكم منصبه ونحو ذلك فإن هذا جائز.

ويقاس على ذلك أيضاً من الأشياء التي يمنع منها ما فيه التزكية لبعض المخلوقين، التزكية التي لا تليق بهــم مثل التسمي بحجة الإسلام أو آية الله أو قد يسمي بعضهم بحجة الله ونحو ذلك لأن هذه في الحقيقة هذه الأســماء فيها تزكية وما يميزه عن غيره بهذا اللقب وقد يكون غيره أولى به منه أو قد يكون لا أحد يستحق هذا اللقب من المخلوقين، فينبغي الابتعاد عن هذه الألفاظ التي فيها تزكية وعظمة ونحو ذلك، وينبغي على الإنسان أن يتواضع ويتعبد لله –سبحانه وتعالى– كما أنه لا ينبغي أيضاً ولا يصح أن يوصف الشخص بما ليس له مما أيضاً يكــون لبعض المخلوقين مثلاً التسمي بسيد الخلق أو سيد الكل أو سيد الناس ونحو ذلك؛ لأن هذا الوصف هو للرسول –صلى الله عليه وسلم– هو سيد ولد آدم –صلى الله عليه وسلم– كما قال: (أنا سيد ولد آدم أو أنا سيد الناس) فإذا جاء شخص وتسمى أو سمي بسيد الناس أو سيد الكل أو سيد الإنس يعني بإطلاق، أما سيد المقيد فهذا يجوز كما سيأتي –إن شاء الله – الحديث عنه .

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (هذا الباب فيه مسائل :

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان.

الثالثة التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا بإجلال الله –سبحانه وتعالى–.)

(
(

هذه تنبيهات من المؤلف –رحمه الله تعالى– وأن هذا ينهى عنه وما شابهه وإن لم يقصد الإنسان نفس المعنى الذي لا يليق إلا بالله، لو قال لي: شخص أنا ما أقصد المعاني التي يختص بها الرب نقول: ولو لم تقصد فإنه لا تسمى بهذا.

نأخذ الباب الآخر فضيلة الشيخ، قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك، عن أبي شريح (أنه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحــسن هــذا !!

قال: فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح) [رواه أبو داود وغيره]).

نعم، وهذا الحديث، حديث أبي شريح بوب له المؤلف -رحمه الله تعالى- في احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك، يعني تغيير الاسم لأجل الاحترام للأسماء لله إذا كان الاسم يوهم عدم احترام أسماء الله -سبحانه وتعالى- وذكر حديث أبي شريح، وهو عند أبي داود وغيره النسائي والحاكم بسند صححه بعض أهل العلم.

فالمقصود بهذا النهي عن التسمي بأبي الحكم كما هو في الحديث، وعلة ذلك مذكورة في الحديث (إن الله هو الحكم وإليه الحكم) الله تعالى هو الحكم وإليه الحكم في الدنيا والآخرة، وهو الذي يحكم بين الناس في الدنيا والآخرة، ويحكم بين خلقه بما أوحاه إلى أنبيائه ورسله في الدنيا ويحكم بينهم حينما يصلون إليه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ﴾ [الشورى: ١٠] فالله -سبحانه وتعالى- هو الحكم وإليه الحكم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- سأل أبا شريح عن هذه التسمية فبين أبو شريح -رضي الله عنه- سبب ذلك وأن قومه كانوا إذا اختلفوا أتوه فحكم بينهم فرضي كلا الفريقين، يعني أنه كان مصلحاً بين الناس، ويسعى في الإصلاح بينهم وأنهم يرضون قوله وهذه صفة حميدة في السعي في الصلح بين المتخاصمين.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما أحسن هذا) يعني: ما أحسن الصلح والإصلاح بين الناس وإزالة الخلافات بينهم، أو ما أحسن مناسبة التسمية لهذا العمل الذي تقوم به من الإصلاح بين الناس، ثم بين له الشيء الذي يحتاج إلى تعديل أو إصلاح فهو أقره على ما كان يقوم به من الإصلاح بين قومه، وهذا والظاهر -والله أعلم- أنه كان قبل أن يسلم كان يصلح بين قومه فيرضون بصلحه، وليس معناه أنه كان قاضياً بعد أن أسلم؛ لأن هذه القصة كما ذكر أهل العلم كانت بعد إسلامه بقليل فيبعد أن يكون قاضياً، لكنه كان مصلحاً في قومه قبل إسلامه فلذلك رضوا صلحه، وكان مشهوراً في ذلك.

طبعاً ولا يقصد بهذا مدح الإصلاح الذي تكون فيه مخالفة للشريعة، كأحكام بعض الأعراب الذين يصلحون بين المتخاصمين بما يخالف الشرع، هذا لا يجوزولا يسمى إصلاحاً، وإنما المقصود بالإصلاح، الإصلاح المتوافق مع الشرع، فالنبي سأل أبا شريح عن أولاده، فذكر له أولاده الثلاثة قال: (من أكبرهم؟ قال: شريح، قال: أنت أبو شريح) وغير كنيته لأنه كان يكنى بأبي الحكم؛ لأن الحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، الحكم والحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، هذه الصفة بهذا المعنى لا تليق إلا بالله -سبحانه وتعالى- فهو الذي حكمه نافذ لا يرد، فإذا لوحظ هذا فإنه يُمنع من التسمي وفيه النهي عن التسمي بأسماء الله -سبحانه وتعالى- المختصة به فلا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله -عز وجل- المختصة به مما يوهم عدم احترام أسماء الله -عز وجل- ومن ذلك ما جاء في هذا الحديث من التكني بأبي الحكم.

وفي الحديث أيضاً فائدة وهو أن الشخص يكنى بأكبر أبنائه من الرجال أو النساء إن لم يكن له أبناء فبأكبر بناته، ويمنع من تسمية الحَكم لأن هذا كما قلنا من أسماء الله، لكن يرد أن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- اسمه الحكم، هناك صحابة تسموا باسم الحكم ومع ذلك لم يغير النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أسماءهم مثل الحكم بن الحارث، والحكم بن سعيد بن العاص وغيرهما من الصحابة -رضي الله عنهم - فكيف نجمع بين هذا والحديث.

قال العلماء في الجمع بينهما: إن النهي هو الأصل لأن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- نهى عن التكني بأبي الحكم، ولكن قد يجوز التكني بذلك أو التسمي باسم الحكم إذا لم يلاحظ معنى الصفة، وأن يكون النهي الصريح هو لمن تسمى ملاحظاً معنى الصفة التي لا تليق إلا بالله -سبحانه وتعالى- فهذا لا يجوز، أما إذا كان التسمية لمجرد العلمية، العلمية دون ملاحظة المعنى فهذا يجوز لما ورد أن بعض الصحابة تسموا بهذا ولم يغير

النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أسماءهم وإن كان للإنسان ابتداء أن يبتعد عن هذا الاسم لما قد يوهمه من المشابهة.

الباب الآخر: قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقول الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض (أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فذهب عوف إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، قال ابن عمر: -رضي الله تعالى عنهما- كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: ﴿ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥: ٦٦].)

هذا الباب العظيم الذي عقده المؤلف -رحمه الله تعالى- في بيان حكم من هزل بشيء من الدين، شيء فيه ذكر الله أو الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو القرآن، وبيان عظم هذا وبيان خطره وذكر فيه الآية وسبب نزولها وهي قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ...﴾ الآية، فهذه الآية صريحة في أن من استهزأ بشيء فيه ذكر الله تعالى أو في القرآن، أواستهزأ بالله أو بالرسول أو بآياته آيات الله -سبحانه وتعالى- فإنه يكون كافراً لقول الله: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وفي هذا الكفر من استهزأ بهذه الأمور ولو على سبيل الهزل ولو قال: إنه هازل وليس جادا ولا يقصد حقيقة السخرية؛ لأن الاستهزاء هو في الحقيقة استخفاف، ومن استخف بشيء من هذا بجناب الربوبية أو الرسالية فإنه يكون خارجاً من الملة -والعياذ بالله- لأن ذلك ينافي التوحيد من أصله، ولا يقبل فيه عذر الشخص حتى الجهل لا يقبل، قال بعض العلماء: إن المستهزيء كافر ولا يقبل فيه دعوى الجهل؛ لأن الاستهزاء هو في الحقيقة تنقص للمستهزيء، ولا يمكن لأحد أن يقول: أنا ما كنت أظن أن الاستهزاء يعد تنقصاً أو استخفافاً أو نحو ذلك لأنه لا يقول هذا عاقل، هذا شيء معلوم.

ومن استهزأ بالله -سبحانه وتعالى- أو بدين الإسلام أو بالقرآن أو بالرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنه يكون كافراً ولو قال إنه كان هازلاً أو قصد به مجرد الأنس أو الضحك أو مجاذبة الحديث أو شغل المجلس أو نحو ذلك فهذا لا يقبل كما جاء في هذه القصة في سبب نزول هذه الآية وجمع المؤلف -رحمه الله تعالى- في سببها مجموعة روايات، رواية ابن عمر وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب وقتادة، قال دخل حديث بعضهم في بعض، يعني أنه جمع رواياتهم وساقها مساقا واحداً وأن هذه حصلت في غزوة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وكان مجموعة يستهزئون ويقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء يعنون الصحابة -رضي الله عنهم - ويعنون الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يقول هؤلاء: ما رأينا مثلهم أرغب بطوناً يعني أكبر بطونا، وهذا كناية عن الشره في الأكل ومحبة الدنيا ونحو ذلك، ولا أكذب ألسنا، اتهام لهم بالكذب ولا أجبن عند اللقاء، اتهام لهم بالجبن عند لقاء الأعداء وعند الجهاد ونحو ذلك، يقولون هذا على سبيل السخرية، عوف بن مالك -رضي الله عنه- كذبهم في ذلك وقال: كذبت ولكنك منافق لأخبرن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي هذا فائدتان:

الفائدة الأولى: أن الشخص ينكر على من قال مثل هذا القول الشنيع، إذا سمع أحداً يسخر أو يستهزيء بالدين أو بالرسول -صلى الله عليه وسلم- أو بالصحابة أو نحو ذلك فإنه ينكر عليه في وجهه ينكر عليه مباشرة وينتصر لدينه ولربه ولدينه ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- وللصحابة -رضي الله عنهم -.

والأمر الثاني: أن يخبر ولي الأمر، أن يخبر من بيده سلطة للتأديب: لأخبرن رسول الله، ولا يعد هذا من الغيبة ولا من النميمة؛ لأن إخبار ولي الأمر بأسماء الذين يفسدون في الأرض ويفسدون الدين ويفسدون على الناس فهذا ليس من الغيبة ولا من النميمة بل هذا قربة فلذلك عوف بن مالك -رضي الله عنه- أخبر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ذهب ليخبره فوجد أن الوحي سبقه، سبقه الوحي إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بحال هؤلاء.

وفيه أيضاً من الفوائد أنه وصفه بالمنافق، فإذا ظهر ما يدل على نفاق هذا الشخص من كلام لا يقوله إلا منافق فإنه يوصف بهذا الوصف إذا كان لا يصدر هذا الكلام من مؤمن، أما إذا كانت عبارة محتملة فإن الإنسان لا يسارع إلى اتهام الآخرين.

أما إذا كانت العبارة لا تحتمل إلا هذا المعنى من معاني النفاق فإنه يجوز أن يطلق عليه لأن الصحابي -رضي الله عنه- أطلق على هؤلاء هذه الكلمة.

فلما ذهب إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وجد أن الوحي قد سبقه، يعني سبقه لنزول هذه الآيات عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فجاء بعض المنافقين يعتذرون إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ولكنه لا يزيد على أن يقول: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ يقولون: يا رسول الله إنما هي أحاديث الطريق نقطع بها الطريق ونستلي بها ونحو ذلك، يعني ما كنا نقصد الاستهزاء وإنما كنا نقصد مجرد أننا نقطع عنا عناء الطريق بهذه الكلمات، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يزيد على أن يقول ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ لا يمكن أن يكون استهزاء بالدين أو استهزاء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- أو بآيات الله أو بالصحابة -رضي الله عنهم- لا يمكن أن يكون هذا مدعاة للضحك أو لقطع الطريق أو للتسلية أو نحو ذلك لأن هذا لا يقبل ممن اعتذر.

ولذلك من فوائد هذا الباب أو هذه الحادثة أن الإنسان قد يخرج من الدين بكلمة يقولها -والعياذ بالله- كما في الحديث: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفاً) فهؤلا قد قالوا هذه الكلمات فخرجوا من الملة -والعياذ بالله- بسبب هذه الكلمات، فالإنسان قد يقول كلمة لا يلقي لها بالاً ويظن أنه مسلم وأنه في دائرة الإسلام وهو قد خرج بسبب سخريته بالدين؛ لأن هذا ينافي أصلاً ينافي الرضا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً، فكيف يمكن أن يقبل عذر شخص يسخر بدينه ويستهزيء بربه أو بنبيه -صلى الله عليه وسلم-.

فالإنسان قد يقول قولاً أو يعمل عملا يخرج من الملة وهو يظن أنه لم يخرج، فهؤلاء خرجوا من الملة، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أنهم لم يكونوا منافقين من قبل وإنما خرجوا من الدين لقوله: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فدل أنهم كانوا مؤمنين فكفروا لما أظهروا النفاق، وظهر نفاقهم بهذه الكلمات التي ربما لم يكونوا يظنون أنها مخرجة من الملة والعياذ بالله.

﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وهذا يدل على أنهم كان إيمانهم ضعيفاً أو نحو ذلك؛ لأن صاحب الإيمان القوي لا يمكن أن يقول مثل هذه العبارات التي فيها تنقص للرب -سبحانه وتعالى- أو للرسول -صلى الله عليه وسلم- أو لآيات الله.

قال: ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾ ذكر العلماء أنه عفي عن طائفة وذكروا أن المقصود بها مخشي بن حمير يقال: إنه كان معهم ولم يقل ذلك الكلام وإنما كان معهم ومع ذلك احتاج إلى العفو، هذا يدل أيضاً على أن الشخص ينبغي أن يبتعد عن الأشخاص والمجالس التي يكون فيها سخرية وسب للدين أو للرسول -صلى الله عليه وسلم- أو للقرآن أو للصحابة أو غير ذلك مما فيه تنقص لدين الشخص، فينبغي أن يبتعد، يجب عليه أن يبتعد، ويدل على ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠] فالذي يجلس في المجالس التي يسب فيها الدين ويسخر فيها بالله -سبحانه وتعالى- أو بالرسول -صلى الله عليه وسلم- أو بالقرآن أو نحو ذلك فإنه يكون مشاركاً لهم يجب عليه أن ينكر كما أنكر عوف بن مالك -رضي الله عنه- لما قال: (كذبت، ولكنك منافق) كذبت أنكر عليه ووصفه، فمن يحضر مجلسا عند شخص أو يسمع كلاما يجب عليه أن يبادر أولاً: بالتكذيب والإنكار، وإن لم يستطع فعليه بالابتعاد والخروج عن هذا المكان، وإذا جلس معهم وهو باستطاعته أن ينكر فلم ينكر أو باستطاعته أن يخرج ويذهب ولم يفعل فإنه يكون مثلهم لأنه راضٍ والراضي كالفاعل، والله -عز وجل- يقول: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ فلا يجوز للإنسان كائنا من كان يسمع هذه السخرية وهذا الاستهزاء في مجلس أو من شخص أو نحو ذلك ثم يسكت، حتى لو لم يرضَ بقلبه، بعض الناس يقول: أنا منكر بقلبي، وهذه نقطة مهمة أو مسألة مهمة ينبغي التنبيه عليها، وهو أن الإنكار بالقلب يجب أن يكون معه شيء من الفعل، والذي يكره الشيء بقلبه يجب أن يبتعد عنه، لما يقول: أنا منكر بقلبي وهو جالس معهم فلا يجوز، هذا لم ينكر في الحقيقة لأن الإنكار الكره والبعد، أما أن يقول: أنا أكره وهو يجلس ويستمع ولا ينكر ويستطيع أن ينكر أو يستطيع أن يخرج ويجلس فهذا لا شك أنه خطير، ومثل ذلك ما هو دون الاستهزاء والسخرية مثل الغيبة والنميمة وهذا مما يحصل كثيرا في مجالسنا مع الأسف، يبنغي الإنسان أن ينكر ويوجه المجلس إلى التوجيه الخير وينكر على من يغتاب أو ينم بالأسلوب الطيب الأسلوب المناسب، إذا لم يستطع أن ينكر فعليه أن يذهب ويخرج، لا أن يجلس يستمع أو ربما يتلذذ بالاستماع ويقول: أنا لا أحب هذا الكلام، فهذا يغالط نفسه ويغالط الواقع، فعلى الإنسان إذا أراد أن يكون صادقا في الإنكار أن ينكر بلسانه وقبل ذلك أن ينكر بقلبه إن كان له سلطة الإنكار باليد، كمثلا الوالد على ولده أو السلطان الحاكم له أن ينكر على هؤلاء باليد، أما إذا لم يكن له سلطة فلينكر بلسانه، إذا لم يستطع أن ينكر بلسانه فلينكر بقلبه، والإنكار بالقلب يعني الابتعاد عن هذا المكان الذي يكون فيه سخرية وسب واستهزاء.

إذا أذنت لي أن نقف عدة وقفات حول صفات هؤلاء المنافقين، وهي صفات يتوارثها أو يورثها السلف لخلفهم، جامع هذه الصفات أو يأتي في مقدمتها السخرية، أسلوب السخرية، هذا الأسلوب يتخذونه دائماً في الثورة مثلاً على عقيدة الأمة وشعائرها، دائماً مما يميز هؤلاء السخرية بكل مظهر من مظاهر دين الله تعالى.

كذلك قلب الحقائق فهؤلاء يرون صحابة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مقدمتهم يخوضون هذه المعارك ويرون هذا الشظف من العيش ومع ذلك يقلبون هذه الحقائق ويصورونهم هذه الصورة السيئة في كلامهم.

وكذلك مبدأ الاعتذار، ونقصد كذا وتبرير هذه المواقف وهي مشاهد نراها الآن في واقعنا الحاضر كأنها صورة لما تم عمله في سلف هذه الأمة.

أحسنت صحيح، طبعاً السخرية قد تصدر من إنسان كافر واضح الكفر، وقد تصدر من إنسان منافق يظهر الإسلام، فالسخرية الصريحة بالله -سبحانه وتعالى- أو بالرسول -صلى الله عليه وسلم- والطعن الصريح فيه فهذا يكون من الكافر لكن لا يكاد يكون ممن يظهر الإسلام ولو كان منافقا إلا في حالة ضعف الإسلام ونحو ذلك.

قد يكون كما تفضلت أن يوجد سخرية بأحكام الإسلام، وهذه تأخذ مسارات كثيرة، منها أنهم يهمشون النصوص الشرعية ويتعاملون مع الأحكام الشرعية تعاملاً إن صح التعبير نقول: عقليا وهو في الحقيقة تعاملاً بالهوى.

والأمر الثاني: أنهم أحياناً ينتقدون الأحكام لكن لا يقولون: نحن ننتقد الإسلام وإنما يقولون: هذه عادات وتقاليد، فيجعلون أحكام الإسلام عادات وتقاليد للمجتمع ثم يطعنون فيها، فهم لا يريدون أن يطعنوا صراحة، وإنما يطعنون باعتبار العادات والتقاليد، وإذا قيل لهم: إن هذا فيه نص شرعي طعنوا في النص الشرعي بطعون كثيرة أيضاً، قد يطعنون في صحته، قد يطعنون في معناه ويفسرونه بتفسير غير صحيح، قد يقولون: يوجد شيء أهم منه، قد يقولون: عارضه غيره، قد يقولون كما هي النغمة المعاصرة عند أصحاب القراءة الحديثة للإسلام وإعادة قراءة الإسلام من أصحاب الاتجاه الليبرالي وغيره ممن يقولون: إن المصلحة مقدمة على كل شيء، فيقولون: الإسلام مع المصلحة فإذا كانت مصلحة الناس مع هذا، فهذا هو الإسلام حتى لو خالف القرآن وخالف السنة.

ومن وسائلهم أن يقولوا: الواقع يفرض هذا الشيء، أو أن الإسلام يتوافق مع الواقع الإسلام، الإسلام دين واقعي، هذه كلمة صحيحة لكنها كلمة حق أريد بها باطل، فإذن يقولون: الإسلام دين واقعي وواقع الناس كذا فإذا وجدنا نصاً يخالف الواقع فالنص منسوخ بالواقع!! وهذا صرح به كثير من الكتاب المعاصرين بأن الواقع ينسخ النص، إذا كان واقع الناس أوالواقع يمنع تطبيق هذا الحكم فإن هذا الواقع ينسخ النص، أو يقيده ونحو ذلك، ويذكرون لهذا شبهات لا نحتاج أن نذكرها الآن.

لكن المقصود أن السخرية بالدين بشعائر الإسلام بشعائر الدين تأخذ عدة مسارات ويختلف التصريح بها من شخص لآخر ومن عصر لآخر ومن بلد لآخر، فإذا ضعفت أحكام الإسلام في بلد ظهر بدأ يظهر النفاق أكثر والتصريح به وإذا ظهرت أحكام الإسلام في بلد وصار هو المسيطر فإن المنافقين لا يكادون يظهرون هذه الأمور إلا على استحياء أو بخفيا أو بعبارات مجملة، أو بعبارة محتملة يمكن أن تفسر بأكثر من تفسير ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤: ١٥].

تقول: ما حكم التسمية بهذه الألقاب كراحلة، وأسيرة العلم الشرعي وابنة الفاروق، وطالبة العلم والسنة، وأي من هذه الأسماء فيها تزكية للنفس أو لقب غير لائق؟

راحلة ما فيها تزكية، لكن المهم إذا كان هذا الاسم كما أفهم أنه اسم مجرد مستعار وليست هي معروفة به بين الناس أنها لا تنادى إلا بهذا، هذا أمر أسهل بأن يكون عنوانا عبر الموقع ونحو ذلك.

المهم أنه ما يكون فيه شيء من التزكية، لكن تحسين الاسم هذا مطلوب والانتساب إلى شيء جميل وشيء حسن هذا مطلوب، لكن المحذور هو أسماء التزكية ولا سيما إذا كانت هذه التزكية أيضاً لا تليق بالمخلوق، وإنما هي من معاني أسماء الله -سبحانه وتعالى- أو مما لا يليق إلا بالرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

يقول: هل قول الله تعالى لهؤلاء المستهزئين ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ يدل على أنهم خرجوا من الملة؟ وهل من صنع مثلهم يكون قد كفر كفراً مخرجا من الملة دون أن تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع؟

ذكرنا من قبل أن قول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- بأن هؤلاء كفروا وكانوا مؤمنين، هذا رأي شيخ الإسلام وهو صريح الآية ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فمن استهزأ بالله -سبحانه وتعالى- مثلاً هل يقال: إنه لا

يكفر؟ لا أحد يقول: إن من يستهزيء بالله -سبحانه وتعالى- أنه لا يكفر، هذا كفر صريح، ولا يقبل منه أنه يقول: كنت جاهلاً أو نحو ذلك.

إنما يمكن أن يكون من الموانع التي قد توجد عند بعض الأشخاص لهذا الشيء مانع الإكراه، مانع الإكراه قد يوجد فإذا أكره الشخص على السب وهدد بالقتل إن لم يسب فهذا جائز إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان كما قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ ﴾ [النحل: ١٠٦] وكما رُوِي في هذه الآية في حادثة عمار -رضي الله عنه- لما سب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أكره على ذلك (أتى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال إن عادوا فعد) كما رُوِي في بعض الأخبار، لكن من يسب الدين دون إكراه، فهذا لا يكون مسلما، هذا كافر يخرج من الملة وعليه أن يجدد إسلامه ويتوب إلى الله -سبحانه وتعالى-.

تقول: ما حكم من يسمع من يستهزيء ويصمت ولا يرد على المستهزيء لأنه لو رد لواجه من الانتقاد والصد ما الله به عليم؟

ذكرنا قبل قليل أن الإنسان إما أن يرد وينكر ويجب عليه أن ينكر حتى لو أنه واجه النقد، سبحان الله!! يعني الانتصار للدين والانتصار لله -سبحانه وتعالى- والرسول -صلى الله عليه وسلم- هل هو أعظم أو إنسان ينتقد؟ هذا ينتقد في ذات الله، الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو رسول الله قيل: إنه ساحر وقيل: شاعر وقيل: كاهن، فكيف لا يتحمل شخص في سبيل الله تعالى أن يذب عن دينه السخرية ويقول: أخشى أن أُنتقد؟!! هذا لاشك أنه ضعف، بل ضعف في الإيمان، كون الإنسان يترك الواجب خوفا من الانتقاد وهذا سبق معنا في الخوف المذموم، الإنسان يترك الواجب خوفاً من الانتقاد، فالانتقاد لا يبريء الشخص من الإنكار، لكن لو أنه يصيبه ضرر لا يحتمله، فعليه أن يبتعد على الأقل أن يبتعد عن هذا المكان والمجلس.

يقول: فضيلة الشيخ هل التسمية بفيصل فيه تزكية؟

الفيصل هي طبعاً لم ترد من أسماء الله ولا من معاني صفات الله، لكن هذا فيصل قد يفصل الإنسان بين شخصين أو بين أمرين، فلا يظهر -والله أعلم- أن هذا فيه تزكية، وقلنا قبل قليل: إنه فرق بين التزكية وبين الاسم الحسن، الأسماء الحسنة كثيرة محمد، أحمد، حسن، حسين، صالح، وهذه يقصد بها العلمية، لكن لو أن إنسانا سمى نفسه اسم تزكية وهو يلاحظ هذه التزكية، يلاحظ هذا المعنى ويرى أن اسمه يعني هذا المعنى فهذا صار فيه شيء من الغرور، لكن هذه الأسماء من الفأل الحسن ويقصد بها العلمية لا يقصد بها حقيقة التزكية أو ملاحظة معنى ما فيه تزكية، والله أعلم.

يقول: أرجو من فضيلتكم بيان خطورة إطلاق النكات التي تتضمن كلاماً عن الجنة أوالنار أو أحد الأنبياء أو المرسلين حيث إننا نجد كثيراً من الشباب يتبادلون هذه النكت ويقولون: إننا نقصد السخرية من الشخص الظالم الكافر الذي يعذب في النار كفرعون مثلاً.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ذكر أن الاستهزاء بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه فإن هذا من نواقض الإسلام فمن استهزأ بشيء من ثواب الله أو من عقابه سواء الجنة أو النار أو ما أعده الله -سبحانه وتعالى- أو ما وعد به للمؤمنين أو الكافرين أو من استهزأ بشيء من ذلك أو سخر منه فإنه يكون كافراً لأن الاستهزاء كما قلنا: هذا تنقص وسخرية وهو ينافي التوحيد، فلا يجوز للمسلم أن يفعل ذلك، ولا يجوز له أن يتناقل ما يتناقله الناس، وعليه أن ينكر ما يكون بين الناس من تناقل شيء من هذه الأضحوكات التي يتناقلونها بينهم سواء مباشرة أو بالرسائل أو نحو ذلك، فإن دين الله -سبحانه وتعالى- لا يجوز أن يكون ميداناً للضحك والاستهزاء والسخرية، وإنما الواجب احترامه والواجب تعظيمه والدعوة إليه.

يوجد سؤال طرحناه في الدرس الماضي لكن لا أدري ربما تأخر الجواب لكن يمكن الآن أن نجيب عنه.

تقول: إجابة السؤال الأول: حكم وصف الشخص بقاضي القضاة هذا جائز لأنه مقيد ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد فحينئذ لا يكون فيه مشاركة لله -عز وجل- ولكن لا ينبغي أن يتسمى الإنسان بذلك وإن كان جائزاً؛ لأن النفس تصعب السيطرة عليها، فقد يعجب بنفسه أو يغتر بها حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وهذا خطر إذا وصل الإنسان إليه حيث يعجب بنفسه ويرى رأيه مفروضا على من سواه، فالأفضل أن يتخلى الإنسان عن هذا ولا ينسى أن الله -عز وجل- هو قاضي القضاة وأنه سبحانه يبغض ذلك.

يقول: إن من تسمى بقاضي القضاة فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الوحيد الذي يستحق أن يكون قاضي القضاة وملك الأملاك وحاكم الحكام، وهو سبحانه قاضٍ فوق كل قاضٍ، هو الذي له الحكم ويرجع له الأمر كله، كما جاء في القرآن الكريم ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إجابة السؤال الثاني: تقول: من استهزأ أو سخر بالله وبآياته الكونية، والشرعية، أو برسله أو المؤمنين فهذا كفر لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة، والمؤمن بالشيء لابد أن يعظمه وأن يكون في قلبه من تعظيمه ما يليق به، والمستهزيء كافر كفر معارضة، وهذه المسألة خطيرة جداً فهي أعظم ممن يسجدون للصنم؛ لأن من استهزأ بالصلاة والزكاة وكل أمور الدين ولو كان نفلاً فهو كافر بإجماع المسلمين وهذا كفر مخرج من الملة؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- كل أفعاله مبنية على الحكمة والله أعلم.

أجاب عن هذا السؤال يقول: من هزل بشيء من الأحكام الشرعية أو القرآن أو الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو جميع الرسل أو هزل بالله وبآياته الكونية أو الشرعية فهو كافر كفر معارضة.

نحن ركزنا على مسألة الاستهزاء بالمسلم، ما حكم الاستهزاء بالمسلم؟ هل الاستهزاء بالمسلم هو الاستهزاء بالإسلام؟ هل الاستهزاء بالمسلم هو مثل الاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالآيات أو بالدين؟

هنا قال العلماء: إن الاستهزاء بالمسلم لا يخلو من أحد حالين الحال الأولى أن يكون استهزأ بالمسلم لإسلامه، أو لما قام به من الإسلام والدين، لأنه مسلم، لأنه متمسك بشعائر الإسلام فهذا كفر لأن الاستهزاء به يقود إلى الاستهزاء بالدين والاستهزاء بالدين كفر.

الحالة الثانية: أن يستهزيء بالمسلم لا لدينه ومقامه من الدين، وإنما لأمر خارج عن ذلك، كأن يستهزيء مثلاً ببعض تصرفاته التي ليست من الدين، أو يستهزيء بخلقته مثلاً، فهذا محرم وكبيرة ولكنه لا يخرج من الملة، ليس مثل الاستهزاء بالدين، فإذا استهزأ بشيء من خُلقه أو خِلقته أو نحو ذلك فنقول: هذا محرم ولكنه لا يخرج من الملة، ليس مثل الاستهزاء به لدينه، فيفرق بين الأمرين ولا يجعل كل استهزاء بالمسلم كفرا، يعني: لا يجعل كل استهزاء بالمسلم هو استهزاء بالإسلام وإنما حسب نية أو حال أو واقعة الاستهزاء وإن كان كما هو معلوم جميع الاستهزاء أو الاستهزاء بكل صوره هنا ممنوع.

تعليق على قولها حكم وصف الشخص بقاضي القضاة هذا جائز لأنه مقيد معلوم.

طبعاً هذا غلط ما نقول: إنه جائز قاضي القضاة، لكن إذا قيد يجوز، إذا قيل: قاضي قضاة البلد الفلاني، أو قاضي قضاة الجهة الفلانية أو المذهب الفلاني هذا يجوز أما الإطلاق فهذا ممنوع.

قال المصنف –رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ [فصلت: ٥٠] قال مجاهد: «هذ بعملي وأنا محقوق به» وقال ابن عباس: «يريد من عندي» وقوله ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨] قال قتادة: «على علم مني بوجوه المكاسب» وقال آخرون: «على علم من الله أني له أهل» وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.)

مقصود المؤلف بهذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أنعم الله به عليه من النعم والرزق، من زعم أن هذه بكده وجهده وحذقه ومعرفته وفطنته ونحو ذلك –من زعم ذلك فهذا في الحقيقة مستحق للذم، ومن زعم أنه أهل لهذه النعم من الله –سبحانه وتعالى- وأنه حقيق بها، فهذا في الحقيقة مذموم، وهذا منافٍ لكمال التوحيد لأن المؤمن حقاً هو من يعترف بنعم الله –سبحانه وتعالى- الظاهرة والباطنة، ولا يرى له حقاً على الله –سبحانه وتعالى- بل يرى الحق كله لله –سبحانه وتعالى- والفضل من الله –سبحانه وتعالى- فالحق كله لله –عز وجل- وأنه عبد محض من جميع الوجوه، الشخص المتواضع الكامل التوحيد يرى أنه لا يستحق شيئاً وأنه مقصر؛ لأنه بهذه الرؤية يتحقق إيمانه وتوحيده، وبدونها يتحقق كفران النعم والعجب بالنفس الذي هو من أعظم العيوب، فكون الإنسان يظن أنه حقيق بهذه النعم، أو أن هذه النعم حصلت له بكده وجهده فهذا كله مما ينافي كمال التوحيد.

ذكر المؤلف –رحمه الله تعالى- أولاً: الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ هذا لي إما معناها أن هذا أنا حقيق به، وهذا الله –سبحانه وتعالى- يعلم أني حقيق به، أو هذا بعملي أو أنا محقوق به، يعنى على التفسيرين وكلاهما مذموم، كون الإنسان يقول: هذا لي لأن الله –عز وجل- يعلم أني أهل لذلك فهذا مذموم، أو هذا لي بمعنى هذا بعملي أو بجهدي أيضاً هذا مذموم مثل قوله: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ بعض الناس يغتر يقول: أنا حصلت لي هذه المكاسب على علم عندي لأني أعرف كيف أحصل على المال، لأني أعرف الطرق، لأني أنا عندي خبرة وأنا عندي فهم ونحو ذلك، فيغتر، يغتبر بفهمه وعلمه ودرايته وينسى فضل الله –سبحانه وتعالى- ينسى أن هناك من هو أحسن منه وأفضل منه وأعلم منه وأخبر منه ومع ذلك لم يحصل له شيء من هذه النعمة، فهذا فيه غفلة عن إنعام الله –عز وجل- واغترار بالاجتهاد وبحظ النفس وكما قال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إذا لم يعن الله –عز وجل- الشخص فإن أول ما يقضي عليه اجتهاده وتعبه.

أيضاً الطالب يدرس وينجح لا يقول: هذا بجهدي، أنا أعرف كيف تأتي الأسئلة وهذا بفهمي وبخبرتي وفقط، لا، يجب أن للإنسان أن يتذكر نعم الله عليه دائماً ويكون حاضر الشكر لله –عز وجل- كم من طلاب بذلوا أكثر من هذا الطالب ولم ينجحوا، فمجرد الاجتهاد ليس هو الذي ينجح، الاجتهاد سبب نحن لا ننكر الأسباب، سبب لكنه لا ينفع إذا لم يرد الله –سبحانه وتعالى- وقوع هذا الأمر، فالمقصود أن الإنسان لا يغفل عن نعم الله وعن شكر الله –سبحانه وتعالى-.

البعض يقول: فاطمة –رضي الله عنها- فاطمة عليها السلام، وكذلك البعض يقول عن غير الصحابي –رضي الله عنه- فهل هذا جائز؟

السؤال: التسمي بالأسماء كراما مثلاً وهو صنم وود وهو صنم كذلك فما حكم ذلك؟

يطلق بعض الناس مثلا: " فاطمة عليها السلام " ومثلاً على بعض الأشخاص مثلاً من غير الصحابة فـــلان " رضي الله عنه " ما حكم هذا الأمر؟

بالنسبة لـــ " رضي الله عنه " يجوز للإنسان أن يدعو لأخيه المسلم بأن يرضى الله عنه قـــال الله –ســـبحانه وتعالى-: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَـــنْهُمْ ﴾ [التوبـــة: ١٠٠] فيجوز، لكن اشتهر في الاصطلاح أن تكون هذه العبارة الدعائية للصحابة –رضي الله عنهم – وأما "عليه السلام" ففي الأصل أنه يطلق على الرسل –عليهم السلام– وذكر ابن القيم خلافا في ذلك، وهـــل يجـــوز أيـــضاً إطلاق السلام بدون الصلاة، وهل يجوز الصلاة على غير النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– كما ورد (اللهـــم صلِ على آل أبي أوفى)؟

فالمقصود أن السلام وقع فيه خلاف بين العلماء وورد ما يدل على جواز ذلك، لكن لا يكون علمـــاً، المنهـــي عنه يكون علماً لشخص بعينه، وحتى ورد في البخاري قال: قال علي –عليه السلام–.

لكن لا ينبغي أن يكون علماً على شخص بعينه من دون الناس أو على صحابي بعينه من دون الصحابة، لكن لو أطلق أحياناً فلا بأس به، والله أعلم.

تقول: حكم التسمي ببعض الأسماء مثل راما وود وهي أسماء لأصنام؟

ما معنى راما؟

علم أنا ما أدري ماذا يقصد به، لكنه مشهور على الألسنة.

الأسماء يراعى فيها أمور أولاً: توجد أسماء ورد فيها فضيلة وأنه يستحب أن يسمى بها كما قال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– (خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن) وتوجد أسماء أيضاً يـــستحب أن يختـــار الأســـماء الطيبة كأسماء الأنبياء والأسماء الحسنة، وتوجد أسماء جائزة وتوجد أسماء مكروهة وتوجد أسماء محرمة.

فالأسماء الحسنة مطلوبة، الإنسان يحسن الاسم لكن بشرط ألا يكون فيها تحريم كما سبق معنا فـــي بعـــض الاسماء التي يلاحظ فيها معاني شيء من صفات الله –عز وجل– أو فيها تعبيد لغير الله كما سيأتي كعبد الحسين ونحو ذلك أو عبد الكعبة، أو أسماء الجبابرة قال بعض العلماء: إن أسماء الجبابرة لا ينبغي أن تسمى بها كـــأبي جهل ونحوه.

كذلك أيضاً الأسماء الغربية كأسماء الكفار، أسماء الكفار ينهى عنها، مع الأسف ينتشر في كثير مـــن بـــلاد الإسلام التسمي بأسماء بعض الكفار وخاصة أسماء البنات فينبغي أن نختار الأسماء الإسلامية أو الأسماء العربية الواضحة المعلومة المعنى، أما التسمي بأسماء أجنبية ولا سيما إذا كانت للكفار فإنه يبتعد عنه، وينبغي أن نفخر بديننا وبلغتنا وألا نكون مقلدين لغيرنا.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقـــال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسناً وجلدا حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر –شك إسحاق– فأعطي ناقـــة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن ويذهب إلي هـــذا الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل

فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلـي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال -بعيرا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله -عز وجل- المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كـابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته فقال له مثلما قـال لهذا، ورد عليه مثلما رد على هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالـذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسـخط علـى صـاحبيك) [أخرجاه].)

هذا الحديث يبين معنى ما سبق في الآية وفيه بيان مصير من يشكر نعمة الله -سبحانه وتعالى- ومصير من يكفر نعمة الله، فقص النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على أصحابه قصة الثلاثة من بني إسرائيل وفيها عظة وعبرة، أبرص وأقرع وأعمى هؤلاء فيهم عاهات منَّ الله -سبحانه وتعالى- عليهم بزوالها كما منَّ عليهم بمال، فأعطى أحدهم إبلاً والآخر بقرا والثالث غنماً، ثم ابتلاهم الله -سبحانه وتعالى- ليظهر شكرهم أو كفرهم، أتـاهم هذا الملك وسألهم الحاجة وتظاهر بأنه رجل قد انقطعت به الحبال، يعني الأسباب وأنه محتاج إلى هـذا المـال، فأتى للأقرع والأبرص وسألهم فامتنعوا وقالوا: الحقوق كثيرة، يعني يقول: المال الذي عندي متعلق بـه حقـوق كثيرة ليس حقك أنت فقط، أنا عندي حقوق كثيرة وعليَّ التزامات كما يقول بعض الناس: التزامات كثيرة حينمـا يطلب منه أداء حق عليه أحياناً، أو ستقول الحقوق كثيرة وينسى نعم الله -سبحانه وتعالى- الكثيرة عليه.

فذكر هذا الأبرص والأقرع بنعمة الله، قال: ألم تكن أبرص؟ وقال للأقرع: ألم تكن أقرع؟ ذكره بما كان عليه من العاهة حتى يتذكر نعمة الله فيؤدوا شكرها، فتنكروا للنعمة قال: ورثته كابراً عن كابر، كابرا يعني أب عـن جد، أو بالشرف يعني نحن شرفاء وهذا المال عندنا، ينسى أن الله -عز وجل- هو الذي أنعم عليه بهذه النعمـة فيكفر نعمة الله -سبحانه وتعالى- فهؤلاء لما كفروا نعمة الله -سبحانه وتعالى- مع أنهم كثرت هذه النعم علـيهم لما قال: ولد هذا وأنتج هذا، يعني تولى ولادها وهذا تولى نتاجها، وهي في المواشي والحيوانات كالقابلة بالنسبة للنساء، فتولوا هذ النسل الكثير ومع ذلك كفروا نعمة الله -سبحانه وتعالى- وحتى أن هذا الملك الذي ابتلاهم الله به قال: لا أجهدك شيئاً، أي لا أريد شيئا يشق عليك، وأتى الأعمي فقال: الذي تريد أن تأخذه مني فخذه، فالأقرع والأبرص كفروا نعمة الله والأعمى ذكر نعمة الله عليه وشكرها وقال: إنما ابتليتم رضي الله عنك وسخط علـى صاحبيك، فالله -سبحانه وتعالى- رضي عن الأعمى الذي شكر نعمة الله، وقال: خذ ما شئت ودع ما شئت مـن هذه النعم، فيريد أن يشكر نعمة الله عليه، وأما الآخران فهما قد كفرا نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليهما وأنكرا فضل الله عليهما، من الصحة في أبدانهما والأموال التي أنعم الله بها عليهما فسخط عليهما.

والمقصود بذلك أن الإنسان لا ينسى نعمة الله، كثير من الناس يتناسون نعمة الله عليهم حتى إن بعض الـذين يمن الله عليهم بالغنى لا يريد أن يتذكر ذاك الزمان الذي كان فيه فقيراً، وربما يتنكر لأصحابه ومعارفـه حتـى يتكبر على أقاربه حتى لا يذكرونه، ويريد أن يكون سكران في هذه الحياة الدنيا في غفلة، ويغير كل ما يـذكره بالحياة الأولى، هذا من كفر نعمة الله، الإنسان عليه أن يتواضع ويذكر ما كان فيه من الشدة إن كانـت مـرت عليه، ويذكر نعمة الله عليه، هذا في نعمة المال وغير ذلك نعمة الصحة نعمة الولد، وأعظم من ذلك نعمة الدين والهداية وغير ذلك، فالإنسان عليه أن يتذكر نعمة الله عليه حتى يؤدي شكرها ولا يكفرها.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب» وعن ابن عباس في معنى الآية قال: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾» [رواه ابن أبي حاتم].

(وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ﴾ قال: « أشفقا ألا يكون إنسانا» وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما).

هذا الباب ترجم له المؤلف –رحمه الله تعالى– في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وذكر فيه هذا الحديث، وهو حديث حواء وقصتها مع إبليس، وهذا الحديث صححه بعض العلماء وضعفه آخرون والمقصود أنه اختلف فيه العلماء على قولين:

بعضهم يقول هذا حصل من آدم وحواء، وأنه مات الولد الأول والثاني، ثم أتاهما إبليس وقال: سمياه عبد الحارث أو لأجعلن له قرني أيل، المهم في الأخير قال أدركها حب الولد فسمياه عبد الحارث فخرج.

فنزل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ والشرك هنا شرك في الطاعة، يعني شرك في الهوى بمعنى أنه شرك في المعصية حيث إنهم سموه عبد الحارث وهو شرك في التسمية، قد يكون هذا وقع منهم بمعصية لأنهما أدركهما حب الولد، وقد يكون لم يعلما كما قال بعض العلماء لم يعلما بحرمة هذا الشيء فسمياه عبد الحارث وهذه التسمية محرمة لأن الحارث هو الشيطان فلا يجوز التسمية أو التعبيد للشيطان.

فهذا من المعصية وهذه المعصية قد تاب الله عليهما منها، وهذا منحى الذي يصححون هذه القصة.

وبعض العلماء يقول: لا هذه القصة غير صحيحة، ولا يمكن أن يظن أن آدم وحواء –عليهما السلام– أن الشيطان يستطيع أن يفعل ذلك أو يطيعاه وهناك عدة طعون في هذه القصة، ولذلك رجحوا قول الحسن بأن هذا كان في بني إسرائيل، يعني أن هذا حصل من اليهود والنصارى هم الذين اشركوا يعني في الأمم السابقة أشركوا جعلوا لله شركاء في ذلك.

وأيا كان، المقصود من هذا الباب، المقصود تحريم تعبيد الأسماء لغير الله، وكما نقل المؤلف هنا عن ابن حزم قال: « اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله» وهذا الذي يهمنا الآن أنه لا يجوز أن يعبد الاسم لغير الله كعبد الكعبة وعبد شمس وعبد الحسين، عبد علي، عبد عمر، أي تعبيد لمخلوق عبد الرسول، فلا يجوز لشخص أن يعبد نفسه أو غيره لغير الله –سبحانه وتعالى– بل يجب أن يكون التعبيد لله وحده.

ومما يدخل في الشرك في هذا طلب الولد من غير الله، كالذين يطلبون الأولاد من الأولياء، أو غيرهم أو الزعم بأن الأولياء هم الذين يمنحون الولد، أو بعض الناس يزعم أن الأطباء هم الذين يسلمون الولد من العاهات، فيكون قلب هذا متعلقا بهذا الطبيب أنه هو الذي يستطيع أن يخرج الولد سليماً ونحو ذلك، فهذا كله مما يدخل في المنع، لكن المقصود هنا أن التعبيد لغير الله ممنوع ومحرم سواء قلنا: إن هذه القصة صحيحة، ويكون المعنى أنه شرك في طاعته كما قتادة: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته، يعني في طاعته في التسمية أو في أنها غير

صحيحة» فالتعبيد منهي عنه قال: «حاشا عبد المطلب» يعني عبد المطلب قيل: إن هذا عبودية الرق؛ لأنه لما أتى وقد تغير من السفر يعني ظنوا أنه هو عبد للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب فصاروا علماً لا يقصد بها التعبيد الحقيقي.

والمقصود من هذا الباب أنه لا يجوز لأحد أن يُعبد اسمه أو يسمي ولده معبداً لغير الله بل يجب أن يكون التعبيد لله وحده.

السؤال الأول: اذكر أنواعا من الإلحاد في أسماء الله تعالى؟

السؤال الثاني: ما معنى السلام على الله الذي ورد النهي عنه في الحديث؟

السؤال الثالث: ما سبب تحريم قول اللهم اغفر لي إن شئت؟

تقول: أريد كلمة ونصيحة من فضيلة الشيخ لمن يستهزيء بالحجاب وبالمتحجبات وجزاكم الله عنا خيراً؟

الاستهزاء بالحجاب لأنه من أحكام الإسلام أو لأنه دين الله لا شك أنه يدخل في الاستهزاء بالدين، وهذه السخرية موجودة من قديم الزمان، أهل الكفر وأهل الضلال يستهزئون بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾فَالْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩: ٣٦] فالسخرية من المؤمنين هذه ديدن النفاق والمنافقين من قديم الدهر، فنقول لأهل الإيمان: اعتزوا بإسلامكم وبإيمانكم وبشعائركم، والمسلم يحتسب عند الله –سبحانه وتعالى– ذلك، ولذلك ورد الأجر العظيم لمن أحيا سنة أميتت ومن دعا إلى سنة، فكيف إذا كانت أيضاً من الأمور الواجبة، أو الأمور التي يأثم الإنسان بتركها؟ ويعظم الأجر حينما لا يجد نصيراً، ويعظم الأجر حينما يجد معارضاً، فالإنسان يحتسب عند الله –سبحانه وتعالى– أن يكون متمسكاً بدينه ولا سيما بالحجاب الذي يواجه حملة شرسة في كثير من الأماكن من كثير من الناس الذين يريدون أن يخرجوا المرأة من بيتها، ويريدونها أن تكون سلعة رخيصة ويريدونها أن تشقى كما شقيت نساء الغرب والشرق من النساء اللاتي تركن بيوتهن وأولادهم وصرن عمالاً في الحقيقة، عندهم أن المرأة عملها في تربية أولادها وأيضاً قيامها على بيتها وعملها في محيطها لا يعدل هذا عمل، لا، يريدون عمل المرأة إنما تكون شريفة وعاملة إذا كانت تعمل كما قال بعضهم يريد أنها تعمل في مصنع الفحم أو تقود سيارة كبيرة أو تحمل معولاً وتحفر مثلما يحفر الرجال ونحو ذلك، هذه تكون خرجت الآن وصارت امرأة.

أما عملها الشريف الذي يصونها فهم لا يعدونه، في الحقيقة هؤلاء مخالفون للفطرة، ومخالفون للعقل، ومخالفون للشرع، والمرأة حينما تتمسك بدينها وتعتز به هي تعلم أنها مأجورة على ذلك، وهؤلاء في الحقيقة مثل الببغاوات الذين يريدون للمسلمين أن يبدأوا من حيث ما بدأ الآخرون لا من حيث ما انتهى الآخرون؛ لأن الآخرين في الحقيقة انتهو إلى الإفلاس وإلى الدعوة الآن في الغرب الدعوة إلى رجوع المرأة إلى محضنها، إلى بيتها، إلى عملها، وعملها سواء في بيتها أو في محيطها بعيدا عن الرجال، وإلى حجابها وإلى عفافها، لكن هؤلاء الناعقين في الحقيقة هم معروفون ومعروفة نواياهم نسأل الله –سبحانه وتعالى– الهداية للجميع.

تقول: هناك من يضع كاريكاتير ونكت إذا جاء وقت عيد الأضحى ويرسم الخروف ويضع الكلمات والنكات وهذه شعيرة، فما الحكم وكيف توجهون المسلمين في ذلك؟

ما يمكن أن نحمل أن شيئا أو أضحوكة على أنها استهزاء بالدين، كما قلت توجد أشياء لا تحتمل إلا السخرية بالدين فهذه هي التي يمكن الإنسان أن يصرح بها ويبين أن هذا كفر وردة، لكن العمل الذي يحتمل فالإنسان ما يسارع بالحكم على صاحبه أو أن هذا استهزاء بالدين إذا كان عملهم محتملا وإن كنا نقول: ينبغي أن يبتعد عن الأعمال المحتملة حتى لا تحمل محامل فاسدة.

في بعض إجازات القرآن الكريم حين يعدد الشيخ سلسلة القراء يكتب: قرأت على شيخي الفاضل وملاذي الكامل ويقول: سيدي ومولاي فهل هذا جائز؟ وإن كان لا يصح الوصف للمخلوقين فما مثل هذه الشهادات هل يجوز استخدامها؟

بالنسبة لسيدي ومولاي سيأتي -إن شاء الله تعالى- الحديث عنها لعلها في الدرس القادم -إن شاء الله تعالى- وبيان التفصيل فيها، أما قولها: ملاذي الكامل فهذا لا يجوز أن يقول في مخلوق إن هذا ملاذي الكامل؛ لأن الملاذ الكامل لا يكون لمخلوق، نحن نعوذ ونلوذ بالله -سبحانه وتعالى- والإنسان قد يكون له ملاذ في حدود معينة حسب قدرته المحدودة.

تقول: ما حكم ما يقوله بعض الناس مثلاً: هذا مطوع أو يستهزيء بثوب المطوع ولحيته؟

ذكرنا قبل قليل أن الاستهزاء بالمسلم يحتمل أمرين: إذا كان الاستهزاء لما قام به من إسلام فهذا كفر، فإذا كان يستهزئ باللحية أو بثوبه أو بنحو ذلك أو صلاته أو ما هو من الدين فهذا يرجع إلى الاستهزاء بالدين وهو كفر -والعياذ بالله- لكن إذا استهزأ بشيء خارج عن شعائر الإسلام لحركات أو أخلاق أو تصرفات فهذا وإن كان محرما إلا أنه لا يخرج من الملة والله أعلم.

أرجو من فضيلتكم توجيه كلمة لمن لم يرزقه الله نعمة الإنجاب، ويظن أن أحد الزوجين هو السبب كما تقول التحاليل وينسى فضل الله ورزقه.

أولاً: نحن لا ننكر الأسباب قد يكون أحد الزوجين أو كلاهما هو السبب في عدم الإنجاب بأن يكون عقيماً لكن الإنسان لا ييأس ففينا أناس كثيرون بقوا سنين كثيرة وطويلة بدون إنجاب ثم يسر الله لهم الإنجاب، وهذا أيضاً حتى مذكور في القرآن كما قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [هود: ٧٢: ٧٣] فقد يمن الله -سبحانه وتعالى- بالإنجاب بعد سنين، وسبحان الله!! أحياناً يتفرق الزوجان فيتزوج كل منهما آخر فينجب كل واحد منهما!! فعلى الإنسان أن يسعى بالسبب، ولكن أيضاً يتذكر نعم الله -سبحانه وتعالى- ليست النعم في الدنيا هي الأولاد فقط، نعم الأولاد نعمة لكن هناك نعم كثيرة، ونعرف أناسا حرموا من النعمة وأنعم الله عليهم بنعم كثيرة ونفع الله بهم أكثر من غيرهم.

قد يكون عدم وجود أولاد لهذا الشخص أو لهذه المرأة أو لهذا الزوج أو الزوجة قد يكون نعمة أو الله تفضل عليهم بهذا حيث أنهم يتفرعون لأمور كثيرة وينفع الله بهم في أمور كثيرة ربما لا تكون لو كان عندهم أولاد.

فالمقصود هو أن الإنسان يذكر نعم الله -عز وجل- عليه، نعم الله أنعم على غيرك بأولاد لكن لم يمنن عليك، لكنه أنعم عليك بنعم قد تكون أكثر ممن عندهم أولاد وقد يكون الله -سبحانه وتعالى- صرف عنك من السوء أضعاف ما عند الأولاد، لأن الأولاد أحب أن أنبه أنهم ليسوا دائماً نعمة قد يكونون نقمة كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] فقد تكون عذابا فالإنسان لا يدري ما الذي تكون فيه الخيرة، نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدرس الخامس عشر

باب أسماء الله الحسني

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واهدنا وسددنا ووفقنا يا رب العالمين.

سبق معنا في الدرس الماضي الكلام على عدة أبواب، وكان الوقوف في الشرح على باب قول الله تعالى: ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولعلنا نبدأ به اليوم إن شاء الله.

إن شاء الله تعالى وعلى بركة الله تعالى، قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب قول الله تعالى: ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ يشركون، وعنه: سموا اللاة من الإله والعزى من العزيز، وعن الأعمش يدخلون فيها ما ليس منه)}.

هذا الباب عقده الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في الكلام على قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ فأراد بهذا بيان شيء من الإلحاد في أسماء الله وأنه ينافي التوحيد وأن الواجب احترام أسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته، وأن تثبت على الوجه اللائق به -عز وجل- إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل.

وأسماء الله -عز وجل- كثيرة قد علمنا بعضها، ولم نعلم بعضاً، ويدل على ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فهناك أسماء اكتفى الله بها، وهناك حديث يقول فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) فهذا الحديث لا يدل على أن الأسماء محصورة في التسعة والتسعين، وإنما معنى الحديث أن هناك تسعة وتسعين اسماً من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، فمن أحصى تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة، والإحصاء يشمل عدة أمور الإحصاء ويشمل معرفتها وحفظها، ومعرفة معناها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها، هذا هو معنى الإحصاء لهذه الأسماء التي هي سبب لدخول الجنة.

والإلحاد في أسماء الله هو الميل لها عما يجب فيها، اللحد هو الميل، من اللحد في القبر؛ لأنه يميل عن سمت القبر، فالإلحاد هو الميل، والذين يلحدون في أسماء الله هم يميلون بها عن الواجب فيها بعدة أمور، الإلحاد يأتي على أوجه كثيرة منها:

الإلحاد إنكار للأسماء صراحةً.

ومن الإلحاد تحريف معناها.

ومن الإلحاد الزعم بأن أسماء الله أعلام وليست أوصاف، يعني لا يفهم منها صفة.

ومن الإلحاد في أسماء الله: تسمية المخلوق باسم من أسماء الله، بأسماء الله المختصة به.

ومن الإلحاد في أسماء الله: تسمية الله -سبحانه وتعالى- بأسماء المخلوقين أيضا، بالنسبة لتسمية المخلوق باسم الله كما ذكر المؤلف هنا -رحمه الله- قال: أنهم يسمون اللات من الإله والعزى من العزيز، فاشتقوا من الأصنام أسماء من أسماء الله، فهذا من الإلحاد في أسماء الله.

ومن الإلحاد فيها أيضا أن يسمى الله -عز وجل- بما لم يسمِّ به نفسه، فهذا إلحاد لأنه لا يجوز أن نخترع لله -سبحانه وتعالى- أسماء؛ لأن أسماء الله مما تؤخذ من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن الإلحاد أيضا الزعم بأن أسماء الله مماثلة لأسماء المخلوقين في حقيقتها.

المهم أن للإلحاد أنواعا كثيرة فكل ميل بأسماء الله -عز وجل- عن حقيقتها وعما يجب فيها يعد من الإلحاد الذي توعد الله -سبحانه وتعالى- أهله.

وأحب أن أنبه هنا أن أسماء الله -سبحانه وتعالى- هي أعلام وأوصاف، وليست أعلاما محضة، بمعنى: أن كل اسم من أسماء الله فإنه يشتق منه صفة، فمثلا العليم اسم يؤخذ منه صفة العلم، القدير يؤخذ منه صفة القدرة، الحكيم يؤخذ منه صفة الحكمة، الرحيم يؤخذ منه صفة الرحمة، وهكذا كل اسم يؤخذ منه صفة، فهو أسماء وأوصاف، يعني: أسماء يشتق منها صفات لله -سبحانه وتعالى-.

وأما صفات الله -عز وجل- فلا يجوز أن نشتق منها أسماء لأن هناك صفات ولا يجوز أن يؤخذ منها أسماء، أما أسماء الله الحسنى فهي كلها أسماء ويشتق منها صفات، كل اسم يشتق منها صفة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب لا يقال: السلام على الله، في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام))}.

لما كانت حقيقة السلام والإسلام هي البراءة والسلامة وأن الإخلاص والنجاة من الشرور ناسب أن يكون المسلِّم يقول: السلام عليكم، يقول: السلام عليكم؛ لأنه يسلم على المُسَلَّم عليه، ويطلب له السلامة، والنجاة من الشرور ونحو ذلك، فهو دعاء للمُسَلَّم عليه، وطلب له بالتكريم وطلب له السلامة فهو دعاء لهذا الشخص، حين تقول: السلام عليكم أنت تدعو لهذا الشخص بالسلامة.

ومعناها: أن تطلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يسلم هذا الشخص، أو يجعل بركات هذا الاسم لأن السلام من أسماء الله، بركات هذا الاسم على المسلَّم عليه، تقول: السلام عليكم، يعني بركات هذا الاسم وما يحصل فيه من الخير هي على هذا المُسَلَّم.

وقيل: إن السلام مصدر من السلامة، فهو طلب السلامة لمن يُسَلَّم عليه، أو نفس المُسَلِّم كأنه يقول: أنت في سلامة مني، المُسَلِّم يقول للمُسَلَّم عليه: أنت في سلامة مني، وهو إخبار سلامة المسلم عليه، أو طلب السلامة، كل هذا حق، فقد يراد بالسلام مطلق التحية، يعني: بعض الناس قد لا يرد بعض هذه المعاني، وإنما يقصد منه مطلق التحية.

فالمقصود هنا في هذا الحديث أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا إذا كانوا في الصلاة يقولون: (السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان) وفسر هذا في بعض الروايات أنهم يقولون: السلام على جبرائيل، السلام على ميكائيل، ويعددون بعض الملائكة، فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك عن قول: (السلام على الله من عباده) كانوا يقولون هذا في أول الإسلام ثم نهاهم عن ذلك، وبين لهم العلة في ذلك فقال: (إن الله هو السلام) فنهاهم عن أن يسلموا على الله -سبحانه وتعالى- وأظن نحن وجهنا سؤالا في الحلقة الماضية عن معنى السلام على الله، فلا أدري هل أتى الجواب أو لا؟

نأخذ إجابة واحدة لو تكرمت يا شيخ.

تقول: إجابة السؤال الثاني تقول: معنى السلام على الله التحية، كما يُقال: سَلَّمَ على فلان، وقول: السلام على الله لا يجوز؛ لأن هذا يوهم النقص في حق الله تعالى فتدعو لله أن يسلم نفسه من ذلك، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن ذلك، وكذلك فيه مخالفة للحقيقة إذ أن الله يُدعى ولا يُدعى له}.

هذا الجواب وهو أن الله -سبحانه وتعالى- هو السلام بمعنى أن الله -عز وجل- هو الذي يمنح السلام، هو الذي يُطلب منه السلام فكيف يطلب له؟! لا يجوز أن تقول: السلام على الله، أنت لا تطلب لله أن يسلم، تطلب مِن مَن؟ فالله -سبحانه وتعالى- هو المطلوب منه، وهو لا يجوز أن يطلب له السلام؛ لأنه هو الذي يمنح السلام - سبحانه وتعالى- يتفضل به على من شاء، فبهذا يُمنع من الدعاء لله.

أيضا يُمنع من قول: السلام على الله؛ لأن هذا كما ذكرت الأخت أنه يوهم نقصا، فالسلام هو طلب السلامة من النقائص فكأنه هذا يوهم أن الله ناقص وأنت تطلب له السلامة؛ ولذلك نهي ومنع من قول: السلام على الله فالله -سبحانه وتعالى- هو السلام في نفسه وهو المسلِّم لغيره -سبحانه وتعالى-.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت. في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني لي إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مُكره له) ولمسلم: (وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه))}.

بوب المؤلف -رحمه الله- هذا الباب لبيان النهي عن قول: (اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت) ونحو ذلك من العبارات: اللهم اهدني إن شئت، اللهم اعطني إن شئت، لأن هذه ممنوعة للسبب المذكور في الحديث وهو حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في الصحيح النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يقولون أحدكم اللهم اغفر لي اللهم ارحمني إن شئت ويعزم المسألة فإن لا مكره له) هنا تعليل للنهي، وفي الرواية الأخرى: (وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بعزم المسألة، يعني يعزم الشخص، إذا دعا الله -عز وجل- يعزم، ما يجعل فيها استثناء في هذا الدعاء، لأنه لابد أن يكون جازما في طلبه غير متردد، حينما يطلب من الله -سبحانه وتعالى- ويدعو الله -عز وجل- عليه أن يعزم دون تردد ويتيقن الإجابة ويحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- لأن هذا في الحقيقة الذي يعزم المسألة هذا معظم لله -عز وجل- وعنده اعتقاد بأن الله -سبحانه وتعالى- يجيب طلبه وعنده حسن الظن بالله بمغفرة الله ورحمة الله -سبحانه وتعالى- ووجود الله -عز وجل- فلذلك يعزمها، يعزم المسألة ويفتقر إلى الله وينطرح بين يديه، ولا يجعل فيها على التعليق، لا يقول: إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم اهدني إن شئت؛ لأن هذه الاستثناء ينافي العزيمة والرغبة.

قال: (فإن الله لا مُكرِه له) هذا تعليل للنهي، لماذا ينهى عن قول: (إن شئت) في الدعاء، في دعاءا لله -عز وجل-؟ لأن هذا الاستثناء يوهم أن الله قد يُكرَه، ولهذا فالداعي كأنه يظن أن الله قد يُكرَه فيقول: أنا أقول: إن شئت يا ربي، إن شئت اغفر لي، إن شئت ارحمني؛ لأني ما أريد أن تكرَه على شي لا تستطيع ... أو أن تكرَه على شيء تفعله وأنت مكرَه عليه أو نحو ذلك.

كأنه يوجد العذر لله -عز وجل-}.

نعم، وهذا فيه تنقص لله -سبحانه وتعالى- فالله -عز وجل- لا يضطر إلى فعل شيء، فالله -سبحانه وتعالى- إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، الله حكيم عليم -سبحانه وتعالى- لا يجازيه أحد ولا يكرهه أحد، فلا حاجة إلى أن أقول قول: إن شئت، فالله -سبحانه وتعالى- فعال لما يريد، له الحكمة البالغة -سبحانه وتعالى- في عطائه وفي منعه، فلا يجوز لأحد أن يقول: إن شئت فالله -عز وجل- لا مكره له، إن شاء فعل وإن شاء لم

يفعل فعليك أنت أيها العبد أن تسأل الله -عز وجل- وتعزم في مسألتك دون أن تستثني وتجعل فيها هذا التعليق أو الاستثناء؛ لأن هذا يوهم تنقصا للرب -سبحانه وتعالى- يوهم الظن بأن الله قد يكرَه، فلذلك يجعل فيه عدم استثناء.

وتعليل آخر أيضاً ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث قال: (وليعظم الرغبة) على الداعي أن يعظم الرغبة لربه -سبحانه وتعالى- يطلب من ربه العظائم، يطلب من ربه عظيم المسألة، لا يقول: هذا شيء كبير لا أريد أن أطلبه من الله -سبحانه وتعالى-.

فلذلك أيضاً هذا من التعليلات أن الإنسان قد يقول: إن شئت لظنه أن هذا طلب عظيم وكبير على الله، فلا يريد أن يثقل على الله -سبحانه وتعالى- فيقول: إن شئت ربي أعطني، فكأن هذا فيه استعظام لهذه المسألة وأنها كبيرة على عطاء الله -سبحانه وتعالى- ولذلك فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن قول: إن شئت، وقال: (وليعظم الرغبة) تعظم الرغبة فيما تسأل وتعظم الرغبة في نفسك أنت، حينما تسأل الله -عز وجل- لابد أن يكون عندك رغبة عظيمة في التطلع لوجود الله -عز وجل- وعطاء الله وفضل الله -سبحانه وتعالى- فيرى الله -سبحانه وتعالى- منك الرغبة والإلحاح في المسألة والافتقار إلى الله -سبحانه وتعالى- ولا تتعاظم هذا الشيء لا تقول: هذا شيء عظيم ولذلك أجعل فيه: إن شئت؛ حتى لا أثقل على الله -عز وجل-. هذا لا شك أنه لا يجوز، وهو سوء ظن بالله -سبحانه وتعالى- ولذلك فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (وليعظم الرغبة) ثم قال في نفس الحديث: (وليعظم الرغبة فإن الله ....) في الرواية الأولى قال: (لا مكره له) لكن لما قال: (وليعظم الرغبة) قال: (فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) ليس هناك شيء عظيم على الله -عز وجل- لماذا أنت تستعظم هذا السؤال من الله؟ أنت تسأل الله -سبحانه وتعالى- أعظم ما تريد، أعظم ما تريد تسأل الله -عز وجل- فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، ليس هناك شيء عظيم على الله بحيث أنه لا يستطيعه، وليس هناك شيء عظيم على الله بحيث أنه يثقله، وليس هناك شيء عظيم على الله بحيث أنه يستثقله أو لا يعطيه لعظمه عليه، لا، الله -عز وجل- -سبحانه وتعالى- كريم وهو -سبحانه وتعالى- لو سأله كل الخلق ووقفوا في صعيد واحد فسألوه كما في الحديث القدسي قال: (فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ما عندي شيئا) فالإنسان يعظم الرغبة والله -سبحانه وتعالى- لا يتعاظمه شيء أعطاه، لا يقول: هذا شيء كبير، أنا ما أريد أن أسأل الله -سبحانه وتعالى- هذا الشيء العظيم، لكن أريد أن أسأله شيئا عقلا، ما أريد أن أثقل على الله -سبحان الله- هذا لا شك أنه ظن سيء بالله.

مثل أيضاً ما يجري على لسان بعض الناس يقولون: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، لأن هذا يشبه هذا، كأنه يقول: ربي ما أسألك أن ترد القضاء؛ لأن هذا قد يكون صعبا وأنت قضيته، لكن الطف بقضائك سبحان الله!! هذا لاشك أنه جهل وسوء ظن، جهل من هذا الداعي وسوء ظن، فأنت تدعو الله -عز وجل- كل شيء، العظيم والحقير، اطلب من الله -سبحانه وتعالى- (ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله إذا انقطع، ليسأل ربه حتى الملح في الطعام) كما ورد في الحديث، يسأل ربه هذه الأمور الدقيقة، ويسأل ربه الأمور الجليلة يسأل ربه الجنة، يسأل ربه أن يعيذه من النار، يسأل ربه -سبحانه وتعالى- أن يوفقه ويهديه ويسدده وييسر أمره وجميع الأمور، ولا يقول: أنا أكثرت على ربي، أو أنا سألت كثيرا، يكفي، أنا ما أريد أن أسأل. لا، اسأل والله -سبحانه وتعالى- يحب الملحين، ويحب السائلين ووعدهم بالإجابة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٦٨] فعلى الإنسان أن يعظم الرغبة، وأن يجزم ويعزم في المسألة فإن الله -سبحانه وتعالى- لا يتعاظمه شيء أعطاه.

أيضاً كنا وجهنا سؤالا في الحلقة الماضية عن سبب النهي عن قول: اللهم اغفر لي إن شئت، وقد ألمحنا إليها الآن، فإذا كان هناك جواب أو ... ؟

نعم، نأخذ إجابة الأخت الكريمة.

تقول: إجابة السؤال الثالث: لا يجوز لمن دعا الله –تعالى– أن يقول: الله اغفر لي إن شئت؟ لأن الداعي يشعر وكأن الله مكرَه على هذا الشيء، وكذلك وكأنه يرى أن هذا الأمر عظيم على الله فقد لا يشاؤه سبحانه، وكــذلك يشعر وكأن الداعي مستغنٍ عن الله، وكأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل}.

نعم، صحيح، هذا من أسباب النهي عن قول: إن شئت، هناك عدة أسباب من أسبابها:

أن هذا الشخص حينما يدعو ويقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم اعطني إن شئت، اللهم يسر لي هذا الأمر إن شئت، كأن هذا الداعي مستغنٍ عن الله، قول: إن شئت يــوهم فتــور الرغبــة عنــد الشخص، كما أنه غير جاد –كما يقال– في سؤاله، غير راغب، يقول: إن شئت يا رب أعطني، كأنه مستغنٍ عن الله، أو على الأقل كأنه غير ملح في دعائه، فلذلك نُهي عن قول: إن شئت في دعائه، وإذن لأن هذا قــد يكــون يوهم الاستغناء استغناء العبد، ويوهم أيضاً فتور الرغبة من العبد، ولذلك نُهي عن هذا الشيء.

أيضاً كما سبق معنا أن قول: إن شئت، يوهم أن الله قد يُكره، فيقول العبد، إن شئت يا ربي اغفر لي، كأنــه يقول: أنا لا أريد أن أكرهك على شيء أو أن تكرَه على شيء، هذا أيضاً من أسباب النهي عن قول: إن شئت.

أيضاً كما سبق معنا من أسبابه أن هذا الاستثناء في الدعاء يوهم أن هذا الشخص قد سأل الله شــيئًا عظيمًــا يعظم على الله –عز وجل– أن يعطيه، فجعل فيها هذا الاستثناء يقول: يا رب أدخلني الجنة إن شئت أو ارزقني هذا المال إن شئت، أو يسر لي هذا الأمر إن شئت، فكأنه يرى أن هذا عظيم على الله، فقال: أنا لا أريد أن أسأل الله شيئًا عظيمًا، ولكن أجعل فيها إن شئت، فأيضا يُنهى عن هذا الاستثناء لهذا الأمر.

بهذا نعلم أنه لا يجوز لمسلم أن يدعو الله –عز وجل– مستثنيا في دعائه، فيقول: اللهم ارحمني إن شئت، اللهم أدخلني الجنة إن شئت، اللهم وفقني إن شئت، اللهم اهدني إن شئت ونحو ذلك؛ لأن هذا يوهم كما سبق الاستغناء أو الاستثقال أو الاستعظام أو نحو ذلك، وإنما الواجب على المسلم أن يعزم المسألة وأن يعظم الرغبة في سؤاله لمولاه –سبحانه وتعالى–.

بقي تنبيه أنا حقيقة أحب أن أنبه عليه وهو كثير اما يثار وكثيرا ما يرد على ألسنة الناس، قول إن شاء الله في الدعاء، فبعض الناس يأتي في درج كلامه: وفقك الله إن شاء الله، الله يوفقك إن شاء الله، الله يرحمه إن شاء الله، نسأل الله أن ييسر أمورنا إن شاء الله نحو ذلك، فهل هذه مثل هذه يمنع أو لا تمنع؟

هنا حقيقة فرق بعض أهل العلم بعض اللفظتين، وبعض أهل العلم لم يفرق قال: ينبغي ألا يقول: إن شــاء الله ولا إن شئت، كما يقول: إن شئت إلا يقول إن شاء الله، وبعضهم فرق بين الدعاء الذي فيه خطــاب لله: اللهــم ارحمني إن شئت، وبين قول: رحمه الله إن شاء الله، قال: هذا فارق فهذا مخاطب يخاطب الله ويدعو الله –عــز وجل– بصيغة الخطاب، فلا يقال: إن شئت، أما إذا قال: رحم الله فلانا إن شاء الله، نسأل الله أن يرحمنا إن شاء الله ونحو ذلك، نسأل الله أن يوفق أبناءنا إن شاء الله أو نحو قول بعضهم.

إن شاء الله ترزق بذرية، إن شاء الله}.

نعم، إن شاء الله ترزق بذرية أو نحو ذلك، فقالوا: إنه يجوز هذا وهذا من باب الــدعاء ولــيس مــن بــاب الاستثناء.

وفي الحقيقة هناك فرق بين إن شاء الله وإن شئت، يعني حتى في سياق الكلام يعني الإنسان يفرق بين قــول اللهم ارحمني إن شئت، وبين قول: نسأل الله أن يرحمنا إن شاء الله، وهذا فرق به بعض أهل العلم، واستدل بمثل قوله –صلى الله عليه وسلم–: (طهور إن شاء الله) للمريض (طهور إن شاء الله) بعضهم قال: هــذا خبــر، وبعضهم قال: هذا دعاء، والأقرب –والله أعلم– أنه دعاء كما رجحه الحافظ ابن حجر، وأن قول: إن شاء الله إذا كانت على سبيل التبرك فإنها لا يُنهى عنها، وليست مثل: إن شئت، فإذا كانت على سبيل التبرك ولا يرد علــى ذهن هذا الشخص لا يرد على ذهنه الاستعظام لهذه المسألة أو إكراه الله –سبحانه وتعالى– أو الاستغناء عن الله، فلا يرد على ذهنه ما يرد في مثل لفظ إن شئت، فإن هذا اللفظ يخالف ذلك، فقول: رحمه الله إن شاء الله تختلف عن قول: اللهم ارحمني إن شئت، لأن اللهم ارحمني إن شئت واضح فيها الاستثناء وواضح فيها أنهــا احتمــال الاستغناء من العبد أو احتمال استكراه الله –سبحانه وتعالى–.

أما قول: رحمك الله إن شاء الله أو نحو ذلك فهي تختلف عن هذه وإن كان يمكن أن يوجه الجميع بترك هــذه اللفظة، ابتعادا عما قد يحصل بها من محذور والله أعلم.

تقول: قد يسأل الشخص ربه مسألة ثم يتبادر إلى ذهنه أن الله –تعالى– أعلم بما هو خير له فيقل عزمه فــي مسألته فهل هذا داخل في النهي في الحديث؟}.

قلة العزم لا شك أنها من أسباب عدم الإجابة، وعلى الإنسان أن يعظم الرغبة كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– وعليه أن يعزم المسألة، وكون الله –عز وجل– يعلم بحاجة العبد لا يعني أن الإنسان يترك السؤال، وإلا فلماذا الله –عز وجل– قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] هل الله –عز وجل– لمــا أمرنــا بدعائه هو جاهل –سبحانه وتعالى–؟! تعالى الله عن ذلك، الله –عز وجل– يعلم لكنه يريد منا أن نتعبد بدعائــه، فعلى الشخص أن يتعبد ويتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– ويتلذذ بمناجاة الله –عز وجل– وبالافتقار إلــى الله –عز وجل– وبالإلحاح في السؤال على الله، ولايكون من المتكبرين عن سؤال الله –عز وجل– كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ولا نقول مثل الجهال الذين يقولون: إنه بحالي يغنيني عن سؤالي، لا، أنت عليك أن تسأل الله –عز وجــل– وتلــح فــي سؤالك؛ ولأن هذا عبادة أنت مأمور بها.

تقول: في مثل قول الإنسان: إن شاء الله يبلغك الحج، أو إن شاء يرزقني المال فهل هذا مثل قول: اغفر لــي شيخ؟}

ذكرنا قبل قليل أن هذا يختلف وإن كان أولى للإنسان أن يبتعد عنها فيدعو بدون قول: إن شاء الله، لكن أيضا لا نجعل قول: إن شاء الله يبلغك الله الحج أو يبلغه الله الحج إن شاء الله ليست مثل اللهم أغفر لــي إن شــئت أو قول اللهم بلغني الحج إن شئت فهذه تختلف عن هذه.

في قول الله تعالى قول الشيخ إن تشأ تعذبهم فإنهم عبادك ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنــتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١٨] أليس هذا بمعنى اللهم اغفر لي يا شيخ؟}.

لا، هذه تختلف فهذه بمعنى أن الأمر كله لله –سبحانه وتعالى– فالله –عز وجل– يعذب من يشاء ويغفر لمــن يشاء، وهذا بيان للحق ولكن الإنسان يطلب من الله –سبحانه وتعالى– ما يريد فلا يقول حينما يطلب مــن الله –سبحانه وتعالى– أو يريد الجنة يقول: اللهم أنت تدخلني الجنة أو تدخلني النار، أو أن يقول: إن شــئت أدخلتنــي الجنة أو إن شئت أدخلتني النار فهذا الشيء معلوم، لكن على الإنسان أن يعظم الرغبة فيما يريد حين يطلــب إذا كان هذا الطلب مشروعاً فهذا ليس من الاستثناء كما ذكر في الآية.

قال المصنف رحمه الله تعالى: {باب لا يقل: عبدي وأمتي. روي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وليقل سيدي، ومولاي، ولا يقل: عبدي، وأمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي))}.

أراد المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب بيان بعض الألفاظ التي ينهى عنها تتأدبا مع جناب الربوبية في الله –سبحانه وتعالى– فبعض الألفاظ التي لا تليق إلا بالله –سبحانه وتعالى– ينبغي على الإنسان أن يبتعد عنها أو التي قد يكون فيها مشابهة للرب –سبحانه وتعالى– فيتأدب الإنسان مع ربه يبتعد عن هذه الألفاظ التي تبدي المشاركة وإن لم يقصد القائل، يعني: قائل هذه الأمور لا يقصد أنه عبد له العبودية التي تكون لله –سبحانه وتعالى– ولكن حسن قصده لا يمنع من ينهى عن هذا اللفظ الذي يوهم المشاركة في هذا اللفظ وعندنا هنا لفظان منهي عنهما: أطعم ربك، ووضئ ربك، وأيضا قول: عبدي، وأمتي، فهذه ينهى العبد عن قولها بما فيها من مشاركة الرب –سبحانه وتعالى– في مثل هذه الألفاظ.

إطلاق لفظ الرب على المخلوق هذه في الحقيقة لها أحوال: فقد يطلقها الشخص على إنسان، وقد يطلقها على ما ليس بإنسان، فالرب هو المالك، فإذا أطلقها على جمادٍ مثلاً فهذا جائز أن يقول: أنا رب الدار، أنا رب السيارة، يعني أنا صاحبها، أنا مالكها، هذه ما فيها إيهام للمشاركة، أو الدابة أيضاً الحيوان أنا رب هذه الدابة يعني أنا صاحبها ونحو ذلك، فهذه جائزة، لكن المنهي عنه هنا أن تطلق على الإنسان، تطلق على شخص تقول له: اطعم ربك، أو اخدم ربك، أو نحو ذلك، فيها مشاركة من حيث أنه جعل المخلوق رباً لمخلوق لإنسان مثله، جعله رباً، وأيضاً جعله رباً أيضاً في الإطعام والشراب ونحو ذلك مما لا يكون لله –سبحانه وتعالى– فالمخاطبة لإنسان بقول: أطعم ربك أو وضئ ربك أو اسق ربك أو نحو ذلك لا تجوز لما فيها من المشابهة لله –سبحانه وتعالى– في هذا اللفظ أنه يعم بما فيه من استعظام المخلوق الذي يوصف بصفة مثل صفة الله –سبحانه وتعالى– وفيه أيضاً ذل للمخلوق الآخر المربوب حيث جعله مربوباً لهذا الرب الذي هو مثله، فهذا ينهى عن ذلك.

قال بعض العلماء: إن هذا النهي يكون للمخاطب، أطعم ربك، أو اسق ربك أو نحو ذلك، أما إذا كان الشخص غائباً مثلاً أو تكلم هو عن نفسه، فقالوا: إن هذا جائز، مثل أن تقول مثلاً: هذا ربه فلان يعني تقول لرقيق هذا ربه فلان، أو الرقيق أو يقول ربي كذا فهذا ورد ما يدل عليه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف: ٢٣] فلذلك قال بعض العلماء: إن هذا جائز، كما قال أيضاً: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] فهذه إذا لم تكن على صفة الخطاب للشخص قالوا: هذا جائز، وإنما نهي عن ذلك لما فيه نهي عن مخاطبة المخلوق بقول: ربك، لما فيها من مشابهة الخالق واستعظام أو تعظيم للمخلوق وذل أيضاً للمخلوق الآخر الذي هو رقيق.

هذا بالنسبة لكلمة الرب، طيب البديل عن هذه، عن كلمة ربك، البديل ذكرها النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث، قال: (وليقل سيدي ومولاي) يقول سيدي ومولاي، يعني يمكن أن يقول: اطعم سيدك، اسق سيدك، اسق مولاك، يعني فهذا يطلق وهذا جائز في حق المخلوق.

وأيضاً الرقيق تقول: سيدي، ويقول: مولاي، ونحو ذلك من العبارات التي يمكن أن تطلق على المخلوق، ولو كان فيها مشابهة للخالق –سبحانه وتعالى–.

بقي لفظ العبد، النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث يقول: (ولا يقل أحدكم: عبدي) يعني لا يقول: عبدي وأمتي، لا يقول عبدي لغلامه، ولا يقول: أمتي لجاريته، وهذا أيضاً فيه تشبه بمقام الله –سبحانه وتعالى– وهذا قال العلماء: ينقسم إلى قسمين: يقول الشخص هذا عبدي أو هذه أمتي إذا أضافه إلى نفسه فإن هذا يُمنع، يُمنع أن يقول: هذا عبدي وهذه أمتي للسبب الذي سبق ذكره؛ لأن فيه إطالة واستعظاما في حق هذا المخلوق، حيث جعل مخلوقاً مثله عبداً له، ففيه تشبه بمقام الله –سبحانه وتعالى– وفيه أيضاً ذل لهذا الرقيق بأنه صار عبداً لهذا الشخص ويُنهى عنها تأدباً، أما إذا كان لم يكن بصيغة المتكلم، يعني الشخص لا يتكلم عن نفسه يقول:

عبدي، وإنما هناك صيغة أخرى، كأن يكون مثلاً مخاطبا أو غائبا فهذه جائزة، ويدل عليها قول الله -سبحانه وتعالى- في الآية: ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢] ﴿ عِبَادِكُمْ ﴾ المقصود بها الرقيق، قال: ﴿ عِبَادِكُمْ ﴾ فيجوز إذا كان على صفة الخطاب أو الغائب أيضاً كما في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ليس على المسلم في عبده صدقة) فإذا كان الغائب المخاطب لأن هذه فيها بعد عن الاستعظام فهذه جائز، وكما دلت عليها النصوص، وإنما ينهى عن اللفظ الوارد بأن يقول: عبدي أو يقول: أمتي، لتعذره مع مقام الربوبية.

طيب ماذا يقول إذا أراد أن ينادي رقيقه؟ يقول: فتاي وفتاتي كما في الحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (يقول: فتاي وفتاتي وغلامي) لأن هذه ليس فيها تشبه بمقام الربوبية لله -سبحانه وتعالى- وليس فيها أيضاً ذل لهذا الشخص بحيث تكون عبوديته للمخلوق مثل عبوديته لله -سبحانه وتعالى- في هذه اللفظة.

إذن البديل عن قول عبدي وأمتي، أن يقول: فتاي وفتاتي، وغلامي، والبديل عن قول: ربك، أطعم ربك أو نحو ذلك أن يقول: سيدي، ومولاي، فالسيادة يجوز أن تطلق على المخلوق؛ لأن السيادة نوعان: فيه سيادة مطلقة، وسيادة مقيدة، السيادة المطلقة لا تجوز إلا لله -سبحانه وتعالى- السيد الله السيادة المطلقة لله -عز وجل- أما السيادة المقيدة فتجوز لبعض المخلوقين، مثلاً أن تقول: هذا سيد القبيلة الفلانية، أو هذا سيد البلد الفلاني، أو هذا سيد الجماعة الفلانية أو نحو ذلك فهذا جائز، كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ [يوسف: ٢٦] والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أنا سيد ولد آدم) فالسيادة المطلقة لله، والسيادة المقيدة تجوز لبعض الخلق إذا كان سيداً حقيقة، أما إذا لم يكن سيداً فلا يجوز أيضاً أن يطلق عليه اللفظ، كما لا يجوز أن يطلق هذا على المنافق، كما في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تقول للمنافق: سيد فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم) أو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا كان الشخص أهلا للسيادة المقيدة فإنه يجوز أن يطلق عليه ذلك.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب لا يُرد من سأل بالله، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من سأل بالله فأعطوه ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئون، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح)}.

بوب المؤلف -رحمه الله- هذا الباب بقوله: (لا يرد من سأل بالله) ذلك أن إجابة من سأل بالله إلى طلبه من تعظيم المسئول به، من تعظيم الله، وهذا من كمال التوحيد.

فمن تمام التوحيد أن تعظم الله -عز وجل- حينما تسأل به، فإذا سألك شخص بالله فعليك أن تعطيه ما سأل تعظيماً للمسئول به، تعظيماً لله -عز وجل- فإذا قال لك شخص: أسأل بالله أن تعطيني كذا، أو أستعيذ بالله منك أو نحو ذلك فهذا تعطيه ما سأل، سألك بالله أن تفتح عنه كذا، أو يعيذه من كذا، أو أن تعطيه كذا فإنك تعظم الله -عز وجل- وتعطيه سؤله إذا قال: بالله عليك، أو أسأل بالله، أو نحو ذلك أن تدفع عني شرَّك أو شرَّ فلان أو تعطيني كذا أو تعيني على كذا، فإن من تمام التوحيد ومن تعظيم المولى -سبحانه وتعالى- أن تعيذه مما استعاذ منه، وأن تعطيه سؤله، ولكن طبعاً هذه لها قيود، واستثناءات فهنا يُعطَى الشخص سؤله إذا سأل بالله أو يُعاذ إذا استعاذ بالله إذا كان في شيء مشروع أو مباح ونحو ذلك، أما لو استعاذ من شيء واجب مثلاً، فإنه لا يعاذ، لو استعاذ من شيء واجب فإنه لا يعاذ، أو لو استعاذ لفعل محرم، فإنه لا يجاب إلى طلبه، فلا يجاب على المعصية، إنما يعاذ بالله -سبحانه وتعالى- إذا استعاذ من شيء له أن يستعيذ منه، فيحقق طلبه وتمضي رغبته، أما إذا استعاذ لأن يترك شيئاً واجباً أو يفعل شيئاً محرماً فإنه لا يجاب إلى ذلك؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يرضى ذلك.

أيضاً بالنسبة للسؤال، قال: (من سأل بالله فأعطوه) إذا سألك شخص بالله -سبحانه وتعالى- فإنك تعطيه، وجب عليك أن تعطيه ما سأل تعظيماً لله -عز وجل- وهذا إذا كان ما سأله شيئا مشروعاً، فإن كان قد سأل بالله فهذا يجب أن يُعطَى سؤله، حتى لو لم يسأل، وإذا سأل بالله تأكد أيضاً أما أيضاً إذا سأل شيئاً مستحباً أو شيئاً مباحاً فإنه يُعطَى، لكنه لو سألك بالله أن تعطيه شيئاً محرماً فهذا لا تجيبه حتى لو سألك بالله؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يرضى لذلك، فلا تجيبه عن سؤاله، إذا سألك بالله أو سألك بالله شيئاً لا تستطيعه، إذا سألك بالله شيئاً لا تستطيعه، أنت ما تجيب طلبه، أو سألك شيئا يحرجك أو شيئاً يعني سألك كشف أسرارك أو نحو ذلك قال: أسألك بالله فهذا لا يجب عليك أن تجيبه، فالإنسان لا يكلّف ما لا يستطيع، إنما يعطى الشخص ما سأل إذا كان في استطاعة هذا المسئول لأنه يجب عليه أن يعطيه وأن يحترم هذا الاسم وأن يعظم هذا المسئول به وهو الله -سبحانه وتعالى- فإذا كان الشخص ليس عليه ضرر في إعطاء ما سُئل فعليه أن يمضي للسائل سؤله، وقد ورد فضيلة عظيمة لمن أعطى من سُئل بالله فأعطى أن هذا من أفضل الخلق.

كما ورد أن من شر البرية ومن شر الناس من يسأل بالله فلا يعطي، لا يعطي بهذا السؤال، هذا من شر الناس، وورد أيضاً النهي عن ذلك، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من سأل بالله فأعطوا) والأمر يقتضي الوجوب، فيجب عليك أن تعظم الله -سبحانه وتعالى- وإذا سألك شخص أن تعطيه شيئا فأنت تعطيه إذا كان باستطاعتك ذلك.

(ومن دعاكم فأجيبوه) يعني فيجب عليكم أن تجيبوا دعوته هذه عند جمهور العلماء في دعوة الوليمة والعرس وهذا قول الجمهور أما سواها فهي مستحبة.

إذا أذنت لي فضيلة الشيخ حتى لا نخرج: الجمع فضيلة الشيخ بين النهي هنا في (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) وحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- (من سأل بالله ...) أو الإشادة بمن أجاب لمن سأل بالله تعالى؟}.

هذا سيأتي في الباب الذي بعد هذا وهو فيمن سأل بالله؛ لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

بعض الناس يتخذ فضيلة الشيخ يتخذ هذا الأمر ديدناً له يعني وسيلة ضغط على من يطلب منهم هذا الشيء، ويتخذ هذا الأمر دائماً أسألك بالله كذا، أسألك بالله كذا، حتى في أمور كما ذكرت فضيلة الشيخ أمور نطلق عليها: من الأمور التافهة وهي من توافه هذه الحياة الدنيا؟}.

هذا لا شك أنه ينهى عنه، كما ينهى عن كثرة الحلف ينهى عن كثرة السؤال بالله، يجب على السائل أن يعظم الله -عز وجل- فلا يسأل بالله إلا شيئاً يستحق السؤال، وكما يجب على المسلم أن يعظم السؤال بالله فيجيب السائل إلى سؤله إذا كان لا إضرار وكان هو يستطيعه.

قال: (ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه) يعني تكافئ على الإحسان بمثله، وتعطيه وتحسن إليه كما أحسن إليك وتصنع إليه معروفا كما صنع إليك، فإن (لم تجدوا) يعني لم تجد أو لم تستطع أن تكافئه على ما أحسن إليك أو كانت المكافئة بالمثل لا تضر بمقام هذا الذي أحسن إليك، فإنك تدعو له حتى ترى أنك قد كافأته بهذا الدعاء جزاء ما أحسن إليك وما أعطاك، وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه النسائي وابن حبان النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من صنع إليكم معروفاً فقال لصاحبه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء) وهذا حديث صحيح، بأنك تقول له: جزاك الله خيراً، وأيضاً تدعو له، وتدعو له بظاهر الغيب جزاء ما قدم لك من المعروف ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] المهم أن الشاهد من هذا الباب أنه لا يرد من سأل بالله تعظيماً لله -عز وجل- ومن تمام التوحيد والإيمان والتعظيم لله -عز وجل- أن يعظم السؤال حينما يسأل بالله وأن يجاب السائل إلى سؤله والله أعلم.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة) رواه أبو داود)}.

هذا الباب فيه بيان إعظام الله -سبحانه وتعالى- وتقديس الله -عز وجل- وتعظيم وجهه الكريم والسؤال به وإجلاله، أنه لا يُسأل بوجه الله -عز وجل- إلا غاية المطالب، لا يُسأل إلا أعلى الأشياء وهي الجنة، وهذا الحديث رواه أبو داود وحسنه البغوي وضعفه بعض العلماء.

والمقصود من هذا الحديث أنه لا ينبغي لمخلوق أن يسأل بوجه الله -عز وجل- إلا الجنة أو ما يقرب إليها كما قال بعض العلماء، يسأل الله الجنة أو ما يقرب إليها، أو يسأل الله -عز وجل- أن يحفظه مما يبعده عن الجنة، يعني يسأل الله بوجهه أن يبعده عن النار مثلاً، كما ورد في الحديث: (عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما نزلت ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: هذه أهون) أو كما ورد، فيجوز أن يستعيذ بوجه الله من هذه الأمور، كما يسأل بوجه الله الجنة وما يقرب إليها، وفي هذا بيان أنه لا ينبغي للشخص أن يسأل بوجه الله شيئاً حقيراً، أو شيئاً دنيوياً تعظيماً لوجه الله -عز وجل-.

وهذا الحديث يحتمل أمرين:

أن الشخص لا يسأل بوجه الله من الله -عز وجل- إلا الجنة، فلا يقول: اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أن ترزقني المال الفلاني مثلاً، إنما يقول: أسألك بوجهك الجنة والنجاة من النار.

والاحتمال الثاني: أنه لا يسأل بوجه الله من مخلوق شيئاً من أمور الدنيا؛ لأن وجه الله -عز وجل- لا يسأل به إلا الجنة من الله -سبحانه وتعالى-.

إذن الاحتمال الأول أنه لا يسأل المخلوق ربه إلا الجنة وما يقتضي دخولها، وأنه لا يسأل مخلوق مخلوقا آخر بوجه الله؛ لأن وجه الله -سبحانه وتعالى- لا يسأل إلا به إلا أعلى المطالب، أما أمور الآخرة فتسأل بوجه الله -عز وجل- كأن يقول: اللهم إني أسألك بوجهك أن تدخلني الجنة وتنجيني من النار ونحو ذلك، وفي الحديث هذا إثبات صفة الوجه لله -سبحانه وتعالى- على الوجه اللائق به -عز وجل-.

المقصود أنه تعظيماً لله -عز وجل- لا يسأل بوجهه إلا الجنة، ومن سأل بوجه الله غير الجنة أو دون الجنة من أمور الدنيا فهذا في الحقيقة لم يعظم صفة الله -عز وجل- ولم يعظم ربه حق التعظيم، وقد ورد في الحديث : (ملعون من سأل بوجه الله) ورد في الحديث عند الطبراني: (ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله فلم يعطِ السائل سؤله ما لم يكن أمراً محرما أو نحو ذلك) فورد لعن من سأل بوجه الله عن غير الجنة، ولذلك دليل على أنه يجب أن نعظم الله -عز وجل- نعظم صفات الله -عز وجل- فلا نسأل بوجه الله الأمور الحقيرة الدنيوية لأن هذا في الحقيقة تنقص لله -عز وجل- كيف تسأل بوجه الله أمراً حقيراً؟! فعليك أن تعظم الله وتعرف لله -عز وجل- منزلته وعظمته -سبحانه وتعالى- فلا تسأل بوجهه هذه الأمور الحقيرة، والله أعلم.

(باب ما جاء في اللوم، وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ...﴾الآية [آل عمران: ١٦٨] وفي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان))}.

هذا الباب في بيان حكم قول: "لو" حينما ينزل بشخص مصيبة أو يقدر الله عليه بلية فإنه لا ينبغي أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، لا يقول: لو أني سافرت لم يحصل لي ذلك، أو لو لم أسافر لم يحصل لي ذلك، أو لو أني ذهبت إلى الطبيب الفلاني لم يحصل لي ذلك، أو لو أني لم أدخل في هذه التجارة لم أخسر، أو لو أني دخلت في كذا لربحت، لا يجعل "لو"؛ لأن "لو" تفتح عمل الشيطان، و"لو" فيها تحسر، وفيها تندم، وفيها اعتراض على القدر، فعند حصول الأمور المكروهة كالمصائب والبلايا التي تصيب الشخص عليه أن يطمئن ويصبر ويتأسى بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا يتأسف على ما فاته من هذه الأمور؛ لأن هذا التأسف هو في الحقيقة ينافي التسليم للقدر، وينافي الصبر والقيام بالعبودية الواجبة لله -سبحانه وتعالى- فعلى المسلم أن لا يشغل باله على الأمور التي حصلت له بالاعتراض عليها والاعتراض على قضاء الله -سبحانه وتعالى- والله -عز وجل- ذكر موقف المنافقين في ذلك وقولهم هذه القولة كما قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ هذا كلام المنافقين وفيه اعتراض على المقدور، رد الله -سبحانه وتعالى- عليهم في قوله: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾ إلى آخر الآيات [آل عمران: ١٥٤].

فلا يغني حذر من قدر كما قيل، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ قال تعالى: ﴿ قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨] إذن يقول: لو أطاعونا، لو سمعوا كلامنا ومشورتنا وتوجيهنا لهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، لكن ما سمعوا كلامنا فقُتلوا، الله -عز وجل- رد عليهم بقوله: ﴿ قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنتم الذين لم تذهبوا هل تستطيعون أن تدفعوا عن أنفسكم الموت وأنتم في بيوتكم؟ ما يستطيعون فالقعود لو كان يسلم به الشخص من الموت ومن القتل لما مات أحد قد قعد في بيته.

فالمقصود أنه على الإنسان أن يعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، ولا يجوز له أن يعترض على القدر بهذه الكلمة، وذكر المؤلف -رحمه الله- الحديث الذي في صحيح مسلم وأوله قوله -صلى الله عليه وسلم-: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير) يعني: المؤمن القوي في إيمانه وفي محبته للخير، أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفيها صفة المحبة لله، وفي كل خير.

ثم قال: (احرص على ما ينفعك) الإنسان يحرص على ما ينفعه في أمور دينه وأمور دنياه (احرص على ما ينفعك) قال: (واستعن بالله ولا تعجز) يستعين بالله ويحرص على ما ينفعه ويعمل الأسباب التي ينال بها مطلوبه، ويبذل الجهد ويستفرغ الوسع في أن يصل إلى ما يريد من الأمور المباحة والمطلوبة سواءً في دينه ودنياه في العاجلة الآجلة، يحرص على ما ينفعه ولا يتكل على القدر، قال: (ولا تعجز) لا يعجز لا يجعل عجزه توكلاً، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تعجز) يعنى نهي على الاتكال عن القدر وعدم الحرص، فعليه أن يعمل ثم بعد ذلك قال: (فإن أصابك شيء) بعد أن تحرص وتعمل وتأخذ بالأسباب إن أصابك شيء يخالف ما أردت وما قصدت أو حصل لك خلاف مقصود وحصل لك شيء لا تحبه ولا تريده فلا تقل: (لو أني فعلت كذا لكان كذا) لا تقل: "لو" تتحسر على ما حصل.

لكن قل: (قدَرُ الله وما شاء فعل) بعضهم يقول: (قدَّرَ الله) ولعل الأصوب -والله أعلم- أنها قدَرُ الله، يعني هذا قدَرُ الله أو الذي حصل هو قدَرُ الله (وما شاء فعل) الله -سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه -سبحانه وتعالى-.

(فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) لو تجعل للشيطان مجالا لأن يضيق صدر هذا الشخص ويجعله في تحسر وفي ندامة وفي ضيق وفي تأثر ويعكر عليه حياته تفتح عمل الشيطان الإنسان حين يقول: "لو" يفتح للشيطان مجالا لأن يدخل علي نفسه ويدخل الأحزان إلى قلبه حينما يجعل فيها "لو".

فينبغي على الإنسان أن يجابه المصاعب بقوله: (قدَرُ الله وما شاء فعل) أو بقوله: "إن لله وإنا لله راجعون" أونحو ذلك من العبارات المشروعة التي تريحه وتجلب الطمأنينة إلى نفسه والسعادة إلى قلبه ويبتعد عن مفاتيح الشيطان باستعمال كلمة "لو" أدخل لو أني لم أدرس، لو أني درست، لو أني ما صاحبت، لو أني ما سافرت، لو أني ما قمت، لو أني ما ذهبت مع هذا الطريق، وما يدريك أنت لو أنه لو لم تفعل لو لما حصل؟ ربما أنك لو فعلت غير ذلك لحصل لك شيء أشد مما حصل لك، فعلى الإنسان أن يبتعد على قول: "لو" في التحسر عن أمور المصائب والأقدار، يعني: هنا ينهى عن أن لو لها حالتان: قد تكون جائزة أو تكون ممنوعة فتكون ممنوعة أو محرمة في مثل هذا إذا كان فيه اعتراض على قدر الله أو عتاب على شرع الله، إذا اعترض إنسان على شرع الله أو على قدر الله فيكون هذا محرما، فلا يقول: لو لم يوجب الله ذلك لكان أحسن، أو لم يحرم الله -عز وجل- هذا لكان أفضل، فهذا اعتراض على الشرع.

كما لا يجوز قول: "لو" في الاعتراض على القدر كما سبق معنا كأن يقول: لو أني ما ذهبت ما كان حصلت لي هذه المصيبة، فهذا محرم.

لكن قد تكون "لو" جائزة في بعض الأحوال، وهذا يكون في مثل الأمور المستقبلة مثالاً تقول لصحابك: لو تأتيني غداً أكرمك، أو لو تقرأ هذا الكتاب تستفد كثيرًا، فهذه ليست هي المقصودة في الباب، هذه :لو: تخبر عن شيء مستقبل.

كما يجوز أيضاً أن تخبر عن شيء ماضٍ إذا لم يكن فيه تحسر عن القدر واعتراض عليه فتقول مثلاً لشخص: لو أنك مثالاً لو أنك لو صمت بالأمس لكان لك أجر كذا، أو لو أنك زرت فلانا لحصل لك كذا، أو تقول: لو علمت أنك موجود لجئتك، فهذا ليس فيه تحسر على القدر، فيه إخبار عن علم أو نحو ذلك، كما أن التحسر إذا كان في أمر مشروع فقد قال بعض العلماء: إن هذا يجوز، ويستشهدون له بمثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي) ونحو ذلك من الأمور التي فيها تحسر على فعل خير فات، لا على اعتراض على القدر أو تحسر على مصيبة ونحو ذلك.

فالمقصود أن الإنسان يبتعد عن قول: "لو" في المصائب والبلايا التي تأتيه والاعتراض على الشرع والقدر؛ لأن ذلك في الحقيقة ينافي كمال التوحيد الواجب.

تقول: لدي ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: إن الله -سبحانه وتعالى- ذكر أن النجوى من الشيطان فما هي النجوى؟

والسؤال الثاني: هل لا يجوز قول صدق الله العظيم في نهاية قراءة الآية؟

والسؤال الثالث: ما حكم البدء بالبسملة في مقطع سورة جديدة، ليس بداية السورة وإنما مقطع جديد، ذكر البسملة والاستعاذة فما حكم ذلك؟}

نأخذ إجابات سريعة يا شيخ إذا أذنت، تقول: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ [الممتحنة: ١٠] تسأل عن النجوى؟}.

قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ الله ﴾ [الممتحنة: ١٠] والنجوى والتناجي هو أن يتناجى اثنان دون الثالث في المجلس، فيكون مثلاً في مجلس فيه ثلاثة أشخاص فيتناجى اثنان يعني يكلم أحدهما صاحبه سراً دون علم الثالث، الثالث لا يدري ماذا يقولون، هذا

يُنهى عنه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من أجل أن ذلك يحزنه) لأن هذا الشخص الثالث حينما يتناجى اثنان دونه يظن بهم ظن السوء، يظن أنهم يتآمرون عليه أو يتكلمون عليه بشيء أو يقولون عليه شيئاً فيضيق صدره فهذا من الشيطان، الإنسان يبتعد عن مفاتيح الشيطان، وهو من ذلك، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، أيضاً لا يتناجى ثلاثة دون الرابع ونحو ذلك، لأجل أن لا يكون فيه سبب لتفريق المسلمين أو إساءة الظن، فالإسلام يحرص على حسن الظن بالمسلمين، وهذا حقيقة ينبغي أن نشيعه بيننا؛ لأنه مع الأسف حصل عند كثير من الناس سوء ظن، كثير من الناس يجعل الأصل في الناس سوء، فيسيء ظنه بهم وبتصرفاتهم وبأقوالهم ويعاملهم على أساس سوء الظن، وهذا في الحقيقة دليل على سوء الطوية، الواجب على المسلم أن يحسن الظن بالناس، وأن يعاملهم حسب ظاهرهم وأن يحب لهم الخير ويبتعد عما يفرق جماعة المسلمين.

قول صدق الله العظيم فضيلة الشيخ حين النهاية من تلاوة كتاب الله؟}.

صدق الله العظيم، هذه كلمة حق والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ قُلْ صَدَقَ الله ﴾ [آل عمران: ٩٥] لكن التزامها بعد كل صلاة هذا لم يرد، لم يفعله النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا الصحابة -رضي الله عنهم- فلا ينبغي للإنسان أن يلتزم شيئاً ويجعله عبادة يتعبد لله بأن يجعل نهاية قراءته للقرآن أو للآيات بأن يقول: صدق الله العظيم؛ لأن هذا تحديد لشيء لم يرد به الشرع، وهذا ما يسمى بالبدعة الإضافية؛ لأنه يجعل ذكرا معينا لم يرد يجعل في وقت معين، أو كيفية معينة أو زمان معين فلا ينبغي التزام ذلك بعد كل قراءة.

البسملة في مقطع سورة من كتاب الله -عز وجل-؟

البسملة تكون في بداية كل سورة، أما إذا بدأ الشخص بوسط السورة فإنه يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا يحتاج لأن يبسمل.

أسئلة الحلقة القادمة}.

الحلقة القادمة هناك سؤالان.

السؤال الأول: ما مراتب القدر؟

السؤال الثاني: عدد أمثلة لسوء الظن بالله تعالى؟ يعني سوء الظن له أمثلة كثيرة يعني الناس يسيئون الظن بالله، فنريد أمثلة لسوء الظن بالله -عز وجل-؟

إذن السؤال الأول يا فضيلة الشيخ ما مراتب القدر؟}

ما مراتب القدر؟

والسؤال الآخر؟}

السؤال الآخر: عدد أمثلة لسوء الظن بالله تعالى؟

يقول: كيف نوفق بين نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قول: "لو" وما ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- كقوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي) وما أشبه هذه الحديث، أجبنا عليها فضيلة الشيخ.}

تقول: البعض قد يطلق على الأطفال لفظ: "يا عبدي" يقصد بذلك التودد للأطفال، ولا يقصدون أن يكون العبد من الرقيق فما توجيه فضيلتكم؟}.

لا ينبغي، هذا ليس توددا كيف يتودد للطفل بقول: "يا عبدي"؟ يعني الاستعباد له، يمكن أن يقول: يا ولدي يا حبيبي، ونحو ذلك أما أن يأتي بهذه العبارات فلا ينبغي.

كذلك تسأل تقول: إذا سألت الصائم هل أنت صائم؟ يقول: إن شاء الله، ولا يقول: نعم، فما صحة ذلك؟ وأحياناً الصلاة أحيانًا تقول: أديت الصلاة؟ يقول بعض الناس: نعم إن شاء الله؟}.

نعم، حقيقة هذا جيد فبعض الناس يستثني في الأمور الحاصلة الواقعة، وهذا لا ينبغي وذكر ذلك عن بعض المرازقة فحتى أنه يقول: هذا حجر إن شاء الله، هذا بيت إن شاء الله، هذه سيارة إن شاء الله فهذا لا ينبغي؛ لأن هذا شيء واقع ومعروف، قد شاءه الله –سبحانه وتعالى– ومعلوم أمامك.

لكن في أداء العبادات حينما يقال: هل صليت؟ فيقول: أنا صليت إن شاء الله أو حججت إن شاء الله، فإن كان على الفعل فلا يستثني، لكن الناس يستثنون على القبول، فيقول: إن شاء الله يعني إنه حج؛ لأن قد يكون إنسان يذهب للحج ولكنه لا يقبل حجه، وكما رُوي عن عمر –رضي الله عنه– ولا أدري هل هو ثابت أم لا يقول: « الراكب كثير والحاج قليل » فإذا قيل له: هل حججت؟ يقول: أنا حججت إن شاء الله على القبول لا على الأداء؛ لأن الأداء هو عمله فلا يحتاج أن يقول: إن شاء الله، مثل: لا يقول هذا جبل إن شاء الله، وهذه سماء إن شاء الله ونحو ذلك.

بعضهم يقول: اسمي محمد إن شاء الله}.

أو يقول: أنا اسمي محمد إن شاء الله، يعني هذه أشياء معلومة فالاستثناء هنا ليس له محل.

يقول: أشكل علي كلام أحد علمائنا الأجلاء حيث جعل التوسل بذوات الصالحين من مسائل الفقه ولا علاقة له بالعقيدة، ذلك لأنه قال به علماء مثل الشوكاني والإمام أحمد –عليهما رحمة الله– ولا قال عنهما أحد أنهما وقعا في الشرك، فالرجاء توضيح هذه المسألة مأجورين؟}.

أولاً: أنا أحب أن أبين أن مسألة هذه مسألة عقيدة وهذه مسألة فقه هذه لم تكن عند السلف الصالح المتقدمين، وإنما هذا تصنيف للعلوم أتى بعد ذلك، ولذلك حتى العقيدة كانت تسمى فقها، والإمام أبو حنيفة –رحمه الله– ألف كتاباً في العقيدة سماه: "الفقه الأكبر" فكون هذا عقدية أو فقهية فهذا أمر فني أو تصنيفي ليس له علاقة بالحكم، وأن حتى أمور الفقه المصنفة قد يكون ترك شيء منها أو فعل شيء منها كفرا، وأمور العقيدة قد يكون في بعضها الخلاف فيه ليس فيه كفر، ليس كل خلاف في العقيدة يكون كفرا، فنفرق بين الأمرين.

الأمر الثاني وهو قول: التوسل بالمخلوق، التوسل بالمخلوق حقيقة يحصل فيه خلط كثير عند الناس.

بذوات الصالحين}.

بذوات الصالحين، بعض الناس ما يفهم أصلاً معنى التوسل، فيظن أن الدعاء هو التوسل، وهناك فرق بين دعاء الصالحين والتوسل بذوات الصالحين، فدعاء الأموات الصالحين سواءً كانوا صالحين أو غير صالحين أو جنا أو شياطين أو ملائكة دعاؤهم فيما لا يقدر عليه إلا الله –سبحانه وتعالى– أو طلب شيء منهم وهم أموات، لا يجوز، بل هذا شرك، كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إن

تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] فسماه شركاً.

أما التوسل بهم فليس شركاً، التوسل بالصالحين ليس شركا، ومثاله أن يقول: اللهم إني أسألك بفلان، أو أتوسل إليك بفلان، مثلاً أن يقول: اللهم إني أسألك مثلاً بأبي بكر الصديق أن ترحمني، اللهم إني أسألك برسولك الكريم أن تغفر لي، اللهم إني أسألك بجاه نبيك أن ترحمني، اللهم إني أسألك بحق وليك الفلاني أن تغفر لي ونحو ذلك، هذا التوسل سواء كان بذوات الصالحين أو بجاههم أو بحقهم أو بحرمتهم أو نحو ذلك هذا التوسل ليس شركاً ليس شركاً أكبر لا يخرج من الملة، ولكنه بدعة، ومحرم هذا محرم ولكنه ليس شركاً أكبر؛ لأن هذا الذي قال: اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بحق نبيك أو أسألك بالولي الفلاني أن ترحمني هذا في الحقيقة سأل الله بالجاه أو بالحق أو بالذات، فهو سؤال لله، بخلاف الذي يدعو غير الله، فهو يدعو مخلوقاً الذي يدعو الصالحين من دون هذا شرك، أما الذي يدعو الله بالصالحين يدعو الله بذوات الصالحين فهو توسل بهم وهو قد دعا الله فهذا ليس شركاً ولكنه بدعة ومحرم وممنوع وهناك أدلة كثير على منعه ولم يصح عن الصحابة –رضي الله عنهم– أنهم توسلو بأفضل الخلق، وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد موته، لم يتوسل الصحابة بالنبي –صلى الله عليه وسلم– بعد موته، وإنما كانوا يطلبون منه الدعاء في حياته، كما طلب منه ذاك الأعرابي أن يدعو الله أن يسقيهم المطر فدعا الله –سبحانه وتعالى– أن ينزل المطر هذا توسل في حياته، لكنه بعد أن مات –صلى الله عليه وسلم– لم يقولوا : اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا أن ترحمنا ونسألك بجاه نبينا أن تغفر لنا، ما كانوا يقولون ذلك، ولذلك صح عن عمر –رضي الله عنه– أنه قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، كنا، اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، ثم قال: قم يا عباس فادعُ الله، فدعا العباس ربه –سبحانه وتعالى– فهنا قال: كنا نتوسل يعني بدعائه في حياته، ولما مات توسلوا بدعاء العباس أن يطلبوا منه أن يدعو الله –عز وجل–.

إذن التوسل بالجاه أو بالحق أو بالذات للصالحين ليس شركاً أكبر لا يخرج من الملة، ولكنه بدعة ومحرمة؛ لأنه في الحقيقة ليس هناك مناسبة بين الداعي والمدعو، لأنه كأن الشخص يقول: اللهم لكون عبدك فلان رجلاً صالحاً اغفر لي، طيب ما هي المناسبة، كونه عبدا وصالحا ونحو ذلك وأن يغفر لك، ما فيه مناسبة بين الأمرين، ثم إن الله –عز وجل– ليس بينه وبين خلقه واسطة، نحن في الإسلام أنعم الله علينا بأنه لم يجعل بيننا وبينه أحداً من خلقه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] أما الديانات المحرفة كالنصرانية وغيرهم فإنهم يذهبون إلى قساوستهم ونحو ذلك ليكونوا وسطاء، وكذلك بعض المسلمين الجهال الذين يجعلون لهم واسطة من المخلوقين، فهؤلاء أشبه بالمشركين الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] جعلوا هذه الأصنام واسطة بينهم وبين الله، فالله –عز وجل– ليس بينه وبين خلقه واسطة، فلا حاجة إلى التوسل بالمخلوق، وإنما تتوسل بعملك الصالح.

إذن التوسل المشروع بثلاثة أشياء:

- بعملك الصالح.

- أو بأسماء الله وصفاته.

- أو بدعاء شخص حي يدعو للمسلمين.

فدعاؤك بعملك الصالح تقول: اللهم بإيماني بقراءتي للقرآن بصلاتي اغفر لي، بعملك أنت لا بعمل غيرك، لا تقل: لأن فلانا صالحا اغفر لي، بعمل فلان ارحمني، بجاه فلان ارحمني، لا، بعملك أنت، كما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة سألوا الله بصالح أعمالهم.

أو بأسماء الله وصفاته، اللهم برحمتك ارحمني، اللهم أسألك باسمك العظيم أن تغفر لي وترحمني، بأسماء الله وصفاته ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والثالث: أن تطلب من شخص أن يدعو، والأولى أن يدعو للمسلمين، يمكن أن يدعو لك أيضاً لكن أيضاً لا يكون ديدناً، بعض الناس كلما يرى شخصا يقول: ادعُ لي، ادعُ لي، أنت ادعُ الله –سبحانه وتعالى– الله –سبحانه وتعالى– ليس بينه وبين خلقه واسطة، وكون الشخص يقول: أنا مذنب وهذا صالح لا يمنع، حتى وأنت مذنب تدعو الله –عز وجل– فالله –عز وجل– يقبل ممن يدعوه حتى لو كان مذنباً، أهم شيء هو أن يتقرب الإنسان إلى الله ويتعبد ويفتقر إلى الله –سبحانه وتعالى– نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

يقول: ما هو ضابط التوكل؟ فبعض الأشخاص قد يقدم على فعل أشياء ثم يحجم عنها خوفا من العين أو خوفا من شيء؟}.

التوكل هو عمل القلب، أن يصور الإنسان قلبه لله –سبحانه وتعالى– ويثق بوعد الله بعد أن يعمل الأسباب، أما الإحجام خوف العيب فقد يكون أحيانًا قادحاً في التوكل، إذا اعتقد أن الشخص هذا يستطيع أن يعمل شيئا من دون الله وله التصرف في الكون أو يرد قضاء الله وقدره ونحو ذلك فهذا لا شك أنه يقدح، لكن يمكن للإنسان أن يعمل الأسباب وقد يبتعد عما يضره أيضاً، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) إذا كان شخص مجذوما ففر منه، وهذا لا ينافي توكلك، لكن أهم شيء أن القلب يكون معتمدا على الله –عز وجل– بعد ذلك يعمل بالأسباب المشروعة وابتعد عما تكرهه نفسك، أو تخشى منه ضرراً حقيقياً، لكن قلبك يجب أن يكون معقودا بالله –سبحانه وتعالى– وواثقا بالله ومتوكلا على الله.

يقول: فضيلة الشيخ ما مدى صحة قول أحد السلف –رحمهم الله– حينما سأله أحد الأمراء أو طلب منه أن يسأله شيئا من الدنيا فأجابه: بأن الدنيا لا يسألها ممن يملكها فكيف يسألها ممن لا يملكها؟! إذا كانت هذه المقولة صحيحة فهل يتقرب إلى الله تعالى بعدم سؤال الناس من متاع الدنيا؟ وهل يتقرب إلى الله تعالى بعدم سؤال الدنيا منه، والاقتصار فقط على سؤال الآخرة؟}

منه يعني من الله؟

أي نعم}

نعم، هذا ورد عن بعض السلف وفيه استغناء، وإذا استطاع الإنسان أن يستغني عن الناس فليفعل، كما قال بعض السلف: « استغنِ عمن شئت تكن نظيره » يعني تكن مثله، إذا استغنيت عن أي واحد تكن مثله « وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره » إذا احتجت إليه تكن أسيراً وذليلاً.

كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يبايع بعض الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئاً، فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على دابته فلا يقول لأخيه: ناولني السوط، بل ينزل هو ويأخذه، فمتى استطاع الشخص أن يستغني عن الناس فليفعل، هذا من أكمل الأشياء، لكن ليس معناه أن الإنسان يعيش بمعزل عن الناس، الله –عز وجل– قال: ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف:] فيحتاج هو لفلان، وفلان يحتاج إليه من هذه الأمور، لكن عليه أن يستغني عن الناس بقدر ما يستطيع، وعليه أن يسأل الله –عز وجل– أمور دينه ودنياه، ولا –كما قال الأخ– يكتفي على أمور الآخرة، بل حتى أمور الدنيا، يعني: الإنسان يحتاج إلى الصحة هل يقول: أنا ما أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يمتعني بالصحة؟! فعلى الإنسان أن يسأل ربه كل شيء، ولا يتكبر عن سؤال الله –سبحانه وتعالى–.

الدرس السادس عشر

باب ما جاء في منكري القدر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أنهينا في الدرس الماضي الكلام عن باب ما جاء في "لو" وعرفنا متى يمنع قولها، وذكر بعض الحالات التي تجوز والتفريق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك، في هذا اليوم نبدأ -إن شاء الله- درسنا في باب النهي عن سب الريح.

باب النهي عن سب الريح:

يقول المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب النهي عن سب الريح، عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أُمرت به) صححه الترمذي).

هذا الحديث الصحيح أراد به المؤلف -رحمه الله- بهذا التبويب وهو في سياق النهي عن بعض الألفاظ التي تنافي كمال التوحيد ومن ذلك سب الريح، فينهى عن ذلك؛ لأن الريح مدبرة ومسخرة ومأمورة بأمر الله -سبحانه وتعالى-، فلا يجوز سبها؛ لأن سبها مثل سب الدهر، يمنع من ذلك؛ لأن هذه الأمور هي تجري بتدبير الله -سبحانه وتعالى-، وبقدر الله، فسبها في الحقيقة يعود إلى مدبرها وخالقها، وهو الله -سبحانه وتعالى.

ولا يفعل ذلك في الحقيقة لا يفعل ذلك إلا أهل الجهل وضعف الدين وضعف العقل هم الذين يسبون الريح التي ليست هي الفاعلة حقيقة، وإنما هي مدبرة ومسخرة فالريح هي من روح الله كما ورد في الحديث، تأتي بالخير والشر، الحديث: (تأتي بالرحمة والعذاب) كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا رأينا من الريح شيئاً أن نسأل ونستعيذ.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فلا تسبوها، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شره) كما في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيرهما بإسناد صحيح.

وفي هذا الحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يرشدنا إلى أن نقول إذا رأينا ما نكره أن نقول: (اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح) لأن الريح كما سبق فيها خير وشر، فالمسلم يسأل الله من خير هذه الريح، (وخير ما فيها وخير ما أمرت به) فالريح قد تأتي بالخير والشر، فهي مأمورة والخير الذي فيها هي ما تحمله من الخير، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، فقد تكون فيها من الخير أنها تلقح الثمار، ومن الخير أنها تسوق السحاب، من الخير الذي أمرت به تسوق السحاب إلى بلد ميت.

ومن الشر الذي فيها أنها تكون حاملة لبعض الأمراض والعاهات ونحو ذلك، وتؤمر قد تؤمر بشيء فيه شر على من أمرت به عليه من التدمير والإهلاك ونحو ذلك كما أهلك الله -سبحانه وتعالى- أقواماً بهذه الريح.

إذن المطلوب من المسلم أن يسأل الله -عز وجل- من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، وأن يتعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أُمرت به، ولا يسبها، لا يجوز له أن يسب الريح يعني سواءً بالشتم واللعن صراحة أو بالقدح فيها كأن يقول: لا بارك الله في هذه الريح، أو يلعن هذه الريح ونحو ذلك؛ لأن هذا في الحقيقة مثل سب الدهر كما سبق معناً، وفي الحديث عن ابن عباس: (أن رجلاً لعن الريح عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) فالذي يلعن شيئًا ليس له بأهل فإن إثم هذه اللعنة ترجع إلى اللاعن نفسه حيث إنه أطلقها إلى من لا يستحق.

إذن على الإنسان أن يسأل الله من الخير، وأن يتعوذ بالله من الشر الذي تحمله هذه الريح فإذا جاءه شيء من هذه الريح من شرورها سواءً من حرها أو بردها أو إهلاكها أو نحو ذلك، فيسأل الله -عز وجل- من خيرها ويتعوذ بالله من شرها.

وفي هذا أيضاً تربية للمسلم في أن يعود إلى الله -سبحانه وتعالى- في الرخاء والشدة، وأن يتورع إلى الله -عز وجل- فالشر يُدفع بالتوجه إلى الله -عز وجل- بدعائه والتضرع إليه والافتقار إليه وسؤاله من فضله، وبهذا يكون المسلم قد أوكل الأمر إلى خالقه، ولم ينسب الفعل إلى من ليس بفاعل، كما أنه حينما يمسك لسانه عن السب، فإنه بهذا ينجو من هذا الإثم العظيم الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- به، وهو الذي يقع من بعض الناس حيث إنهم يسبون هذه الريح، فيعود السب في الحقيقة إلى المدبر لها وهو الله -سبحانه وتعالى-، فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، وأن يحفظ إيمانه عن إطلاق هذه العبارات التي تؤثر على توحيده والله أعلم.

بارك الله فيك فضيلة الشيخ، تخصيص الريح فضيلة الشيخ بالنهي عن سبها؟.

الريح لأنها تمر على الناس كلهم وفي كل مكان، وفي كل زمان، ويتعرض الإنسان لمثل ذلك، فأمر الناس أن يتنبهوا لمثل هذه الأمور، وأنه إذا جاءتهم الريح بما يكرهون، أنه لا يسبونها لأن هذه أمور تتكرر على الناس فأصاب التخصيص بذكرها تنبيهاً على ذلك، واهتماماً بذلك والله أعلم.

باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ..... ﴾:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله ...﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿ الظَّانِّينَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦]، قال ابن القيم في الآية الأولى فسر هذا الظن بأنه -سبحانه- لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق).

هذا الباب العظيم أراد به المؤلف -رحمه الله تعالى- التنبيه على أهمية إحسان الظن بالله -سبحانه وتعالى- في كل ما يقع وفي كل ما وقع، فحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- من واجبات التوحيد يجب على الموحد أن يحسن الظن بربه، والله -عز وجل- قد ذم الذين يسيئون الظن به، وهذا من صفات المنافقين والمشركين ونحوهم، هم الذين لا يقدرون الله حق قدره، هم الذين يظنون بالله ظن السوء، أما أهل الإيمان لكمال توحيدهم وحسن ظنهم بربهم -سبحانه وتعالى- وبرحمته وعدله وإحسانه وحكمته فإنهم يحسنون الظن بالله -عز وجل- في كل ما يأمر به من الشرع والقضاء، فهم يعرفون صفات الله -عز وجل- ويتدبرونها ويتأملونها ويعلمون أن الله -عز وجل- له الحكمة البالغة، وفي أوامره وفي شرعه وفي قضائه وقدره فيحسنون الظن بالله -عز وجل-،

وهذا شيء مأمور به، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) والله -عز وجل- يقول في الحديث القدسي: (أنا عند حسن ظن عبدي بي) فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله -عز وجل-؛ لأن هذا ينشأ من تحقيق التوحيد، فمن حقق التوحيد أحسن الظن بربه، ومن أساء الظن بالله -عز وجل-، فقد طعن في توحيده وقد شابه المنافقين كما قال الله -عز وجل-: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ﴾ فهذا عند المنافقين اعتراض على القدر والشرع يظنون أنهم لو لم يخرجوا أو لو كان الأمر إليهم ولم يكن للرسول -صلى الله عليه وسلم-، بل كان الرسول تبعاً لهم لما أصابهم ما أصابهم من المصائب أو من القتل أو نحو ذلك.

الله -عز وجل- كذبهم في هذا الظن الجاهلي ورد عليهم قال: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ﴾ فالأمر كله لله -سبحانه وتعالى- على ما سبق به قضاؤه وقدره ولا راد لقضائه والله -عز وجل- له الحكمة البالغة فيما يأمر به وفيما يقدِّره.

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ وهؤلاء أيضاً المنافقون الذين يتهمون الله في حكمته هم الذين يظنون بالله ظن السوء، ويظنون بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه أنهم يقتلون وأن تكون الدائرة عليهم ويذهبون بالكلية ويذلهم الله -سبحانه وتعالى- ونحو ذلك، رد الله -عز وجل- عليهم بقوله: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٦]، أي أبعدهم من رحمته وجعلهم في جهنم ﴿أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ بسبب هذا الظن السيئ الذي ظنوه بالله -عز وجل-، سواءً في شرعه أو في قدره، وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أمثلة كثيرة للظن السئ، ونحو سألنا في الدرس الماضي عن هذا ولكن نذكر بعض هذه الظنون التي قد توجد عند كثير من الناس، من الظن السيئ كما أشار ابن القيم -رحمه الله-:

من ظن أن الله لا ينصر رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

أو لا ينصر دينه.

أو أن هذا الدين سيضمحل ويتلاشى كما يظن مثلاً أن الإسلام لن تقوم له قائمة، وأن الإسلام صار في مؤخرة الركب، وأن الإسلام صار ذليلاً ولن ينهض بعد ذلك، وأن الله لن ينصر أولياءه وأن الكفار لهم العزة والغلبة دائماً وأبداً، هذا الظن ظن سيئ؛ لأن هذا ظن بالله -سبحانه وتعالى- أنه يخذل أولياءه ولا ينصرهم ولا ينصر دينه.

كذلك من ظن أن المصائب لم تكن بقضاء الله وقدره، من ظن أن هذه المصيبة التي حصلت لم تكن بقضاء الله وقدره فهذا ظن السوء، ومن ظن أن الله -عز وجل- ليس له حكمة في أمره وشرعه وقضائه وقدره بل إنه يفعل الأمور بدون حكمة، بل لمحض الفعل فقط، وأنه يساوي بين الخير والشر، وبين المؤمن والكافر، فهذا لا شك أنه ظن السوء كما قال -سبحانه وتعالى-، ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، هذا ما يمكن أن يكون في حكمة الله، فمن ظن أن الله -سبحانه وتعالى- يساوي بين الأمرين فهذا قد ظن بالله ظن السوء.

كذلك من قنط من رحمة الله، وظن أن الله لن يرحمه، أو لن يتوب عليه، أو أن الله -عز وجل- لن يقبل معذرته، فهذا في الحقيقة ظن السوء، ظن سيء بالله، وهذا معاقب على هذا الظن السيئ.

ومن ظن أن الله -عز وجل- يعذب أولياءه وينعم أعداءه، لمحض التصرف الكوني، أو بدون حكمة، فكما يقول بعض من يقول من هذه البدع والضلالات: أن الله يفعل لا لحكمة، فله أن يجعل أعداءه في عليين ويجعل أولياءه في سجين ولا يخرجهم من النار، هذا لا شك أنه من ظن السوء بالله -سبحانه وتعالى-، فالذي يظن أن الله يعذب أولياءه مع إحسانهم ومع أعمالهم الصالحة وأنه يعذبهم أو ينعم أعداءه فهذا مما ينافي حكمة الله -عز وجل-، وهذا من ظن السوء.

كذلك من ظن أن صفات الله -عز وجل- ليس لها معنى، أو أن أسماء الله ليس لها معنى، أو أن صفات الله -عز وجل- مثل صفات المخلوقين أو أنه نكر صفات الله -عز وجل-، كل هذا من ظن السوء سواءً عطلها أو مثلها بالصفات المخلوقين.

من ظن أن الله -عز وجل- يحب الكفر أو يحب الفساد، أو يحب المعاصي، فهذا كله ظن السوء، أو ظن أن الله لا يحب الطاعات، أو لا يحب الصالحين، فهذا كله من ظن السوء.

فالمقصود أن ظنون السوء كثيرة، وعلى الإنسان أن يفتش نفسه، وأن يحسن ظنه بربه -سبحانه وتعالى-، ويعلم أن الله -عز وجل- لن يخذل عباده المؤمنين، يعلم أن الله -عز وجل- يجيب دعوة الداعين، يعلم أن الله -سبحانه وتعالى- يجيب دعوة المضطر إلى دعاه، وأنه يحب الداعين، وأنه يجزيهم على دعائهم خيراً، وأنه لا يحب الفساد، ولا يحب المعاصي، وأن الله -عز وجل- لا يمكن أن يساوي بين أعدائه وأوليائه.

فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله -عز وجل-، يعني يتطلع إلى رحمة الله ويحسن ظنه بالله، أن الله -عز وجل- سيجازيه سيعافيه، سينصره، سيوفقه هذا من إحسان الظن، أما الإنسان المتشائم أو أنه يسيء الظن بالله -عز وجل-، مثل من يقول: نحن ندعو ولا يستجاب لنا ويترك الدعاء، أو أن الله كيف أن الله ينصر هؤلاء ويخذل هؤلاء، نحو ذلك من الظنون السيئة التي تحصل عند بعض الناس، لا شك أن هذا مما يطعن في التوحيد فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله -عز وجل- في كل ما يقضيه -سبحانه وتعالى-، ويقدره وفي كل ما يأمر به ويشرعه، وإذا علم الإنسان الحكمة فالحمد لله وإذا لم يعلم الحكمة من ذلك وغابت عنه فعليه أن يحسن الظن بالله -عز وجل-، ويجعل غياب الحكمة ناشئ من جهل هذا الشخص وعدم علمه، والله أعلم.

قال المصنف في هذا الباب: (فمن ظن أنه يزيل الباطل على الحق إزالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك من مشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة، وإلا فإني لا إخالك ناجي).

نعم، هذا التنبيه مهم أن الناس مقل ومستكثر في مسألة هذا الظن، وسواءً فيما يختص بهم أو فيما يتعلق بغيرهم بعض الناس يظن بالله ظن السوء فيما يختص به يعني فيما يقع فيه من المصائب والبلايا، كأن الله يعني خذله وأن الله لم يجب دعوته، وأن الله لن يأجره أو نحو ذلك، أو فيما يصيب غيره من الناس، فيسيء الظن بالله -عز وجل- فهذا كله من ظن السوء، والمؤلف هنا ذكر أمثلة، والأمثلة كثيرة، كل واحد عليه أن يفتش نفسه، هل هو يحسن الظن بربه؟ أو يسيء الظن بربه؟ وفي الحقيقة أعني سوء الظن هذا مرض، ونقص في الإيمان، ونقص في التوحيد، وحتى سوء الظن بالناس، يعني الذي ينهى عن سوء الظن بالناس بعباد الله المؤمنين فتجد بعض الناس عنده مرض في قلبه هو سوء الظن فيظن أن الناس كلهم سيء الظن فيكون عنده شيء من الوسوسة، ومن سواد النظرة كما يقال فيظن بالناس ظن السوء ثم بعد ذلك تنعكس هذه الظنون السيئة وهذا

المرض القلبي عنده ينعكس على نظرته للناس، فلا يرى الناس إلا أنهم حاقدون أو أنهم متربصون به، أو أنهم كل تصرفاتهم يعني ضده، وهذا في الحقيقة ناشئ من سوء ظنه ومن فساد قلبه، وإلا لو كان الإنسان سليم الصدر، حسن النية فإنه يفسر كل عمل حتى لو كان رده فيما يظهر يفسره تفسيراً حسناً، ويحمله محملاً طيباً ما دام أنه يجد له محملاً طيباً، فعلى الإنسان أن يسعى في سلامة صدره وقلبه، أولاً بالنسبة لربه -سبحانه وتعالى- ويحسن الظن في كل ما يأمر الله -عز وجل- به ويقدره ويشرعه ثم ثانيًا يحسن الظن بعباد الله المؤمنين وإخوانه المسلمين، والله أعلم.

باب ما جاء في منكر القدر:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في منكر القدر، وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر»، ثم استدل بقول النبي - صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: ربي، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)، يا بني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من مات على غير هذا فليس مني)»).

هذا الباب عقده المصنف -رحمه الله- لبيان خطر إنكار القدر، وأن إنكار القدر كفر بالله -سبحانه وتعالى- وذكر فيه جملة من الأحاديث والآثار منها ما جاء عن ابن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله ما قبله حتى يؤمن بالقدر»، ذلك لأن الإيمان بالقدر هو جزء من أركان الإيمان، هو ركن من أركان الإيمان الستة، ومن لم يؤمن بواحد منها فليس بمؤمن، فالواجب على المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره.

ثم ذكر أيضاً حديث عبادة بن الصامت أنه قال لبنيه: « يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ثم قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة) ».

فهنا بيان أن كل شيء مكتوب، كل شيء مكتوب فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، مكتوب ما سيصيبك، وما لن يصيبك، فعلى المسلم أن يؤمن بهذا القدر، ويرتاح ويطمئن بأن الله -عز وجل- قد قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكتب كل شيء إلى قيام الساعة، ولن يجد مسلم ولن يجد أحد طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، يؤمن بقضاء الله وقدره وأن كل شيء مكتوب، لا يقل كما سبق معنا: في الجواب السابق لا يقول: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، لو أني لو أني، فهذه تفتح عمل الشيطان، وفيها اعتراض على القدر، فالمؤمن حينما يوقن بأن كل شيء مكتوب وكل شيء مقدر يستسلم ويسلم ويرضى ويصبر لما يأتيه في هذه الدنيا، ويرتاح ويذوق طعم الإيمان؛ لأنه مؤمن بالله ويعلم أن كل شيء قد قضي وكتب وجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي رواية لأحمد: (إن أول ما خلق الله -تعالى- القلم فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره

أحرقه الله بالنار)، وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: (أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه).

نعم، هذا الحديث يجمع الأحاديث السابقة، حديث ابن عمر، وحديث عبادة، ففيه بيان البراءة، براءة الصحابة -رضي الله عنهم- ممن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، وفيه بيان أن القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله -سبحانه وتعالى- لما خلق القلم قال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

هذه الأحاديث الصحيحة تبين أن المسلم يجب عليه أن يعتقد جازمًا بأن كل ما يحصل في هذا الكون فهو مكتوب من الخير والشر، من المحبوبات ومن المكروهات، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن ينكر القدر، ولا يجوز لمسلم أن يعتقد أن الله -سبحانه وتعالى- لم يكتب ما هو كائن، أو لم يعلم ما سيكون ؛ لأن هذا القول كفر، ولذلك يقول الإمام الشافعي -رحمه الله- يقول: « ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا ».

يعني يقول: ناظروا القدرية بالعلم يعني بعلم الله السابق، القدر الذي ينكر القدر ناظره وجادله وحاوره قل له: هل أنت تعتقد أن الله -عز وجل- يعلم الأشياء قبل أن تكون؟ أو لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تكون؟ فإن قال الله -عز وجل- يعلم الأشياء قبل أن تكون خُصِم يعني أنه بذلك يكون مخصوماً ومهزوماً؛ لأنه ما دام أن الله -عز وجل- يعلم الشيء قبل أن يكون، إذن هو الذي قدره، وإذا قال: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد أن يكون، فهذا كفر؛ لأنه ينسب إلى الله -سبحانه وتعالى- الجهل، إذا قال: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد أن يكون، فعنده أن الله -سبحانه وتعالى- جاهل تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فإنكار العلم كفر وهو كان مذهب القدرية الأوائل، قال العلماء: وهؤلاء انقرضوا تقريباً وبقي أناس ينازعون في مرتبة المشيئة والخلق؛ لأن القدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم، علم الله السابق، يعني الله -عز وجل- علم كل شيء قبل أن يخلق شيئاً، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، ونحن أظن نحن سألنا هذا السؤال في الدرس الماضي عن مراتب القدر، ما أدري هل أتت.

فيه أجوبة هنا على الموقع.

الأخت الكريمة تقول: مراتب القدر أربعة:

- الأولى: العلم بأن تؤمن بأن الله -تعالى- علم كل شيء جملة وتفصيلاً فعلم ما كان وما يكون ودلت الآية قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

- الثاني: الكتابة ودلت الآية قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

- الثالثة: المشيئة وهي عامة، ما من شيء في السماوات والأرض إلا وهو كائن بإرادة الله ومشيئته ودلت الآية على ذلك قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

- الرابعة: الخلق: فما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا الله خالقه ومالكه ومدبره، وذو سلطان قال تعالى: ﴿ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦].

انعم هو كما ذكرت الأخت أن المراتب الأربعة للقدر والتي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة مرتبة العلم السابق الشامل لما كان وما سيكون.

والمرتبة الثانية: الكتابة، أن الله كتب كل شيء كما في هذا الأحاديث التي قرأناها.

والمرتبة الثالثة: المشيئة وأن الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

والمرتبة الرابعة هي مرتبة الخلق: كما قال تعالى: ﴿ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فكل شيء مخلوق لله -سبحانه وتعالى- والله خالقه.

إذن القدر يجب أن يؤمن به الشخص بمراتبه الأربعة حتى يتم إيمانه بالقدر، والقدر يؤمن بخيره وشره، يعني ما يحصل بالتقدير من الخير والشر نؤمن به، أما فعل الله فالله -سبحانه وتعالى- أفعاله كلها خير وحكمة، لكن المفعولات والمخلوقات هذه فيها خير وفيها شر ففعل الله الذي هو فعله وقضاؤه خير، أما المفعولات التي هي أفعالك أنت فهي موردة للانقسام فقد يكون فيها خير وقد يكون فيها شر، فالمؤمن يؤمن بالقدر خيره وشره، ولا يجوز له أن ينكر القدر؛ لأن إنكار القدر كفر كما صرح بذلك الصحابة وتبرءوا من هؤلاء القدرية المنكرين، وأنه لحظ الإسلام لمن أنكر القدر وكما في أيضاً في الحديث الحسن: (أن من أنكر القدر أحرقه الله بالنار) فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار، والحديث حسن عند أبي عاصم وغيره.

فالمقصود أن المؤلف -رحمه الله- أراد بهذا الباب: التنبيه على أصل من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره، وشره، حلوه، ومره، والله أعلم.

باب ما جاء في المصورين:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في المصورين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) أخرجاه.

ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله).

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (كل مصور في النار يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم).

ولهما عنه مرفوعاً: (من صَوّرَ صورة في الدنيا كُلِفَ أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: (قال لي علي: ألا أبعثه على ما بعثني عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)).

هذا الباب العظيم أراد به المصنف -رحمه الله- بيان خطر التصوير وعقوبة فاعليه وبيان أثره على التوحيد حيث أن النصوص الشرعية جاءت بذكر الوعيد الشديد لهؤلاء المصورين، وذكر المؤلف -رحمه الله- جملة من هذه الأحاديث الصحيحة، والتصوير محرم لأمرين:

الأمر الأول: لما فيه من مضاهاة خلق الله -سبحانه وتعالى-.

والأمر الثاني: أنه وسيلة إلى الشرك.

فالتصوير فيه مضاهاة لخلق الله ومشابهة لخلق الله -سبحانه وتعالى- والتصوير وسيلة إلى الشرك، حيث إن بداية الشرك كان بسبب التصوير، كما جاء في الآثار أن قوم نوح لما مات صالحهم قالوا: لو أنا صورنا صورهم ونصبناها لنتذكرهم ونعبد الله -سبحانه وتعالى- ويكون أنشط لهم بالعبادة، فصوروا صورهم قال ابن عباس: (فلما مات أولئك ونسي العلم) وفي بعض الروايات: (ونسخ العلم عُبِدت).

هذه الصور.

نعم، عُبِدت هذه الصور التي كانوا في البداية صوروها قالوا حتى نتذكر وننشط في العبادة، في البداية لننشط ينشطون على العبادة، وبعد أن طال عليهم الأمد والزمن، وأتى أجيال من بعد هؤلاء عبدت فصارت سبباً ووسيلة إلى الشرك وإلى عبادة غير الله.

إذن التصوير يُنهى عنه لهذين الأمرين ولذلك ذكره المؤلف -رحمه الله- هنا وعقد له باباً خاصاً لبيان خطره، وعظيم أثره على التوحيد وأنه السبب للشرك.

وهنا جملة أحاديث فيها الوعيد الشديد كما في الحديث القدسي أن الله -سبحانه وتعالى- يقول: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) يعني لا أحد أظلم من هذا الشخص الذي يذهب ويخلق كخلق الله -سبحانه وتعالى- ويماثل خلق الله -عز وجل- ويضاهي خلق الله -سبحانه وتعالى-، وهذا فيه بيان الوعيد لأجل المضاهاة والمماثلة ولا شك أن من قصد المضاهاة لخلق الله يكون هذا من أظلم الناس، وقع في هذا الظلم العظيم.

أما إذا صورها دون قصد المضاهاة فهو وقع في الظلم الأصغر ليس مخرجاً من الملة ولكنه أيضاً على وعيد شديد؛ لأن هذا أيضاً سبب أو مشابهة للمضاهيين وقد يكون سبباً ووسيلةً للشرك، فالله -عز وجل- يقول: (فليخلقوا حبةً أو ليخلقوا ذرةً أو ليخلقوا شعيرة) هذا من باب التعجيز لهم، وأنه يوم القيامة أيضاً يقال لهؤلاء المصورين: أحيوا ما خلقتم، وهذا زيادة في النكاية بهم، فكل مصور قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم) لأنه ضاهى الله -عز وجل- فيكون عذاب له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم بسبب هذه المضاهاة لخلق الله، ومحاولة أن يشابه خلق الله -سبحانه وتعالى-، فبهذا صار الوعيد الشديد وبيان أن هذه من كبائر الذنوب ومن عظائم الذنوب، ولذلك صار من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذي يضاهئون بخلق الله وهم المصورون الذين يضاهئون لخلق الله ويماثلون خلق الله -سبحانه وتعالى- في هذه التصاوير.

بقي أن نقول: إن التصوير هو في الحقيقة على أنواع كثيرة، منها ما هو مجمع على تحريمه، ومنه ما هو مختلف فيه، ومنه ما هو جائز، فالأول هو تصوير المجسمات لذوات الأرواح، يعني تصوير أجسام الإنسان أو

الحيوان على شكل مجسمات وهذا محرم بالإجماع حكى الإجماع جمع من العلماء وهذا من أشد أنواع التصوير، سواءً كانت على شكل بأحجار أو بخشب أو بحديد أو بلاستك أو نحو ذلك، إذا كانت هذه تماثيل على شكل تماثيل للإنسان أو للحيوان، لا شك أن هذا من أعظم صور التصوير.

الأمر الثاني: أن يصور ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان بالرسم باليد، فيرسمها سواءً على ورق أو على جدار أو على صحيفة أو قماش أو غير ذلك وهذه أيضاً محرمة، ويدل عليها حديث النمرقة والستار وأيضاً حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– محى التصاوير التي كانت مرسومة على جدار الكعبة مما كان فعله المشركون.

فهذا دليل على أن الرسم باليد لذوات الأرواح أيضاً مما يدخل في التحريم.

الأمر الثالث: ما يسمى بالتصوير الفوتوغرافي أو الشمس، أو عكس الصورة بالكاميرا فهذه وقع فيها الخلاف بين العلماء منهم من أجازها، ومنهم من منعها، ولكن المانعين أيضاً قيدوا هذا المنع بما لم يكن هناك ضرورة وحاجة ملحة، مثل إذا كان هناك حاجة لمثل الصور صورة الإثبات إثبات الشخصية أو للجواز أو نحو ذلك مما تدعوا له حاجة الناس فهذه مرخص فيها، يرخص فيها فالذين منعوا أجازوا، والذين أيضاً أجازوا قيدوا أيضاً في بعض ما أجازوا، يعني الذين منعوا أجازوا بعض الصور التي للحاجة والضرورة، والذين أجازوا منهم من منع التصوير إذا كان للذكرى، قالوا: إن التصوير للذكرى والاحتفاظ بالصور للذكرى هذا ممنوع لما فيه من التعلق والتعظيم لهذه الصور مما يدخل في النهي العام في التصوير.

الحالة الرابعة: وهو تصوير ما لا روح فيه، كالأشجار والبنايات والطرق ونحو ذلك، فهذا جائز، هذا جائز عند جمهور العلماء وإنما ورد عن بعض التابعين كابن مجاهد المنع منه؛ لأن هذا قال هذا شيء نامي ولأنه ورد في الحديث: (فليخلقوا حبة، أو ليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا شعيرة) قالوا: هذا دليل على أنه مثل النبات أو هذه الحبوب النامية أنه لا يجوز تصويرها، لكن يرد على هذا قولهم في الحديث: (أحيوا ما خلقتم)، وفي الحديث أيضاً: (كلف أن ينفخ فيها الروح) فدل على أن المقصود بالنهي عن التصوير تصوير ما فيه روح من إنسان أو حيوان هذا هو الذي عليه الجمهور العلماء أنه يجوز تصوير ما لا روح فيه.

أيضاً مما وقع فيه الخلاف تصوير الفيديو ونحو ذلك منهم من منعه، ومنهم من أجازه للحاجة العامة والفائدة الظاهرة فيه، وهذا مما وقع فيه خلاف والمنهج يفترض فيه مثل هذه المسائل الخلافية التي ليس فيها شيء حاسم أن يتسع صدر الشخص المخالف، سواءً كان مانعاً كان مانعاً فيتسع صدره للمجيز، أو كان مجيزاً، فيتسع صدره أيضاً للمانع الذي يتحرج من هذا الشيء، ما دام أن المسألة فيها احتمال الاجتهاد كما يتسع الصدر لأقوال المجتهدين.

أيضاً أنا أحب أنبه هنا أيضاً إلى تنبيهين في مثل هذا الشيء:

أولاً: الحذر من تصوير النساء، وعدم التساهل في ذلك، سواءً في الفيديو أو غيرها من التصاوير لما فيه من المفاسد العظيمة، ولما حصل فيه من المفاسد العظيمة.

الأمر الثاني: ينبغي التحذير من الفتنة بالتصوير؛ لأن الناس حقيقة تساهلوا في هذا حتى صاروا مفتونين بالصور، صاروا مفتونين بالصور في تعليقها وفي جوالاتهم وفي سياراتهم وفي غرف نومهم، وفي كل مكان، تجد عندهم تعلق بهذه الصور مما لا شك أنه يؤثر عليهم، فينبغي أيضاً أن يحذر من هذا الشيء حتى لو أن الشخص يرى أن التصوير مثلاً في الفيديو أو نحو ذلك أنه مما يجوز، لكن ينبغي أن لا يكون مفتوناً بأن يصور كل شيء ويتعلق بهذه الصور.

بقي التنبيه على العبارة أو الجملة في الحديث الأخير وهو قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ألا تدع صورة إلا طمسته) طبعاً الطمس هنا إذا كانت يعني برسم يد فيكون الطمس بالمحو والإزالة ونحو ذلك، وإذا كانت بالمجسمات فيكون الطمس بإزالة الرأس ونحو ذلك وإذا كان نحتاً فيكون بإزالة ما يدل على أن هذه الصورة من وجهها أو نحو ذلك.

قالوا: (أو قبراً مشرفاً إلا سويته) القبر المشرف المرتفع عن الأرض وعن سائر القبور متميز بالارتفاع فقد أوصى النبي –صلى الله عليه وسلم– بتسوية القبور، تسوية القبور بأن تجعل مساوية لغيرها من القبور بلا زيادة بلا زيادة من الارتفاع المميز لها في ترابها أو نحو ذلك؛ لأن هذا يعد من التعظيم لهذا القبر ومن البناء عليه فلا يجوز تمييزه بالبناء أو بالألوان أو بالتجصيص كما ورد النهي عن ذلك، أو بالإنارة أو بالستور أو بالكتابات أو بالأبنية أو بالأعظم من ذلك يعني المساجد وضع المساجد عليها، وبناء المساجد على القبور، كل هذا محرم؛ لأن هذا من اتخاذها مساجد وسبيلاً إلى عبادتها.

كما لا يجوز التعبد لله –عز وجل– عندها، فضلاً عن عبادتها فلا يجوز أن يصلي الإنسان عند القبر أو يذهب ويقرأ القرآن عند القبر أو يدعو الله عند القبر؛ لأن هذا وسيلة إلى أن يدعى صاحب القبر نفسه كما حصل ويحصل في كثير من بلاد العالم الإسلامي مع الأسف، ولا يجوز تعليق الستور عليها، أو تعظيمها بهذه البنايات أو تهيئتها للتعبد عندها، كما يحصل عند بعض القبور، أنها مهيأة ليأتي الناس ويتعبدون حتى إن من الناس من يطوفون والعياذ بالله بهذه القبور كما يطوفون بالكعبة، يطوفون بالقبور كما يطوفون بالكعبة وبعضهم يذبح القرابين عندها، وبعضهم يكتب الكتابات ويعلق الأوراق والخرق عندها، فصارت يعني صار هذا التعظيم لهذه القبور جعلها أصناماً تعبد ويتقرب إليها، وهؤلاء يعني يضعف تعلقهم بالله –عز وجل–؛ لأنهم تعلقوا بهؤلاء المخلوقين الأموات، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًّا ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فيجب المنع من تمييز القبر عن بقية القبور، كأن يجعل لوحده أو ليجعل له بناية أو يرفع عن القبور، أو يجصص أو يبنى له بناية، أو ينور أو توقد الشموع عليه، أو توضع الستور أو نحو ذلك مما فيه تعظيم لهذا القبر، ويجعل الناس يتعلقون به، وربما يتقربون إليه، وما حصل الشرك في كثير من بلاد المسلمين إلا من أسباب من أهمها التعلق بهذه القبور التي يزعمون أنها قبور الأولياء فيبدأ بالتعبد لله عندها، وينتهي إلى عبادتها والعياذ بالله.

كنا توقفنا مع صاحب الفضيلة وضيفنا الكريم الشيخ سليمان الغصن حول قول علي –رضي الله عنه–: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)، فضيلة الشيخ كنا نتحدث قبل الفاصل عن إزالة أو طمس الصور، لا شك أن هذا يخضع لدرجة إنكار المنكر التي يملكها الإنسان بالقلب باللسان أو باليد، هناك صور يشاهدها الإنسان دائماً هي مما يسع فيه الخلاف كما ذكرت قبل قليل وهي مسألة الخلاف فيها قوي لا شك، حينما يرى الإنسان أن هذه الصور محرمة ويشاهد هذه الصور أو يراها كيف يتعامل معها فضيلة الشيخ؟.

هذا في الحقيقة يعتريه أمران:

الأمر الأول: في كونها بعض هذه المسائل خلافية، والخلاف إذا كان قوياً ومعتبراً فإنه ينبغي أن يراعى، فلا يلزم الإنسان غيره برأيه، ولكن يمكن له أن يبين رأيه ويبين ما يراه هو الحق، لكن ليس له أن يلزم ما دام أن المسألة خلافية، والخلاف فيها قويًّا.

الأمر الثاني: وهو أيضاً مهم مسألة الإنكار حتى لو كان في شيء محرم وظاهر التحريم أو مجمع على تحريمه، هل للشخص أن ينكره بيده؟ هذه لها ضوابط فإن الإنكار باليد له ضوابط ذكرها أهل العلم، فليس للإنسان أن ينكر كل منكر بيده، إلا إذا كان هو صاحب سلطة أو بسلطة تحت يده، أما أن ينكر بيده وليس عنده سلطة فهذا يمنع.

كما أن الإنكار باليد إذا كان يتسبب في منكر أعظم فإنه ينهى عنه كما قال بعض أهل العلم: إن إنكار المنكر إذا كان يترتب عليه منكر أنكر، فإنكار المنكر منكر، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يطوف بالكعبة وعليها الأصنام وهو يراها ولم يكسرها أو يزيلها بل كان يطوف وهو يراها، لما فتح الله بعد ذلك أزالها.

فالمقصود أن الإنسان لا يجب عليه أن ينكر بيده بل قد يُنهى عن أن ينكر بعض الأمور بيده إذا كان يترتب على ذلك مفسدة كما قلنا في الشيء الذي يكون ظاهر التحريم، أما إذا كان الشيء فيه خلاف فمن باب أولى أن لا ينكر في مسألة خلافية والخلاف فيها قويًّا والله أعلم.

تقول: إذا كان الإنسان مثلاً يعمل أعمالا ويظن أن الله -سبحانه وتعالى- يخاف أن الله -سبحانه وتعالى- لا يقبل منه يعني مثلاً يخاف أن ذنوبه تغلب عليه، فدائماً يكون فيه خوف يعني أن الله -عز وجل- لا يقبل هذه الأعمال؟ ما حكم هذا في الشرع؟.

يقول: حديث أول ما خلق الله القلم، يقول بعض الناس لا ينبغي القول هذا؛ لأن هذا يقتضي أن يكون الله قبل ذلك معطلاً؟

السؤال الثاني: حكم وضع الصور الخلفية في الجوال؟.

فضيلة الشيخ الأخت الكريمة تسأل عن حينما يعمل الإنسان أعمالاً ويظن أن الله -سبحانه وتعالى- لا يقبل هذه الأعمال؟.

هذا الظن يعني له جهتان:

الجهة الأولى: الظن بعمل الشخص نفسه، يعني الشخص يزري على نفسه ويظن أنه لن ولم يقم بحق الله فهذا مطلوب، هذا من التواضع هذا من التواضع المطلوب أن الإنسان يعتقد أنه مقصر وأنه مذنب، ولذلك قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخاف النفاق على نفسه، وورد في الحديث على قوله -سبحانه وتعالى-: (﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧- ٦١] سألت عائشة -رضي الله عنها- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن هؤلاء قالت: يا رسول الله هم الذين يزنون ويسرقون ويخافون؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، ويخافون أن لا يقبل منهم).

كما قال الحسن -رحمه الله- يقول: « المؤمن جمع إحساناً وخوفاً والمنافق جمع إساءةً وأمناً » إذن المنفق محسن وخائف، والمنافق آمن ومفرط، فالمؤمن كما ورد في البخاري يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يريد أن يسقط عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا، فالإنسان الذي يزري على نفسه هذا ليس من سوء الظن بربه بل هو سوء الظن بنفسه، بمعنى أنه مقصر.

المنهي عنه هنا: سوء الظن بالله -عز وجل-، كون الإنسان مثلاً يعمل الصالح ويظن أن الله سيخيب رجاءه سيلغي عمله، أن الله لا يثيبه؛ لأن الله -عز وجل- ما يثيب الطائعين أو نحو ذلك، هذا هو سوء الظن بالله، يظن أن الله -عز وجل- لا يجزي المحسن على إحسانه، فهذا هو سوء الظن بالله، أما الإنسان يعني يكون يرى في نفسه من التقصير هذا يعني ليس من ذاك والله أعلم.

الأخ الكريم يقول: يعترض أو يقول أن لا ينبغي أن يذكر هذا الحديث: (أول ما خلق الله -تعالى- القلم فقال له: اكتب) يقول: لأن هذا فيه دلالة أو فيه إشارة إلى أن الله -عز وجل- قبل هذه المرحلة كان معطلاً؟.

أولاً: هذا حديث صحيح ولا يجوز الاعتراض عليه، ومن اعترض عليه فهو جاهل النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) كيف يكون معطلاً، هو قال: (أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب) ويدل على أن القلم مخلوق، وقبل القلم هناك أشياء مخلوقة واختلف العلماء هل القلم أول أو العرش؟ وبعضهم قال هذا وبعضهم قال ذاك، وأشار إلى ذلك ابن القيم -رحمه الله-:

والناس مختلفون في القلم الذي *** كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أم هو بعده *** قولان عند أبي العلي الهمداني

والحق أن العرش قبل لأنه كان *** قبل الكتابة كان ذا أركان

فالعرش كان موجودا قبل الكتابة، فلا يلزم أن يقال حينما يقال أن الله خلق القلم وقال له: اكتب أنه كان معطل قبل ذلك تعالى الله عن ذلك.

يسأل كذلك عن الاحتفاظ بخلفيات صور في الجوال كخلفية؟.

مثل ما سبق معنا أن هذه فيها خلاف لكن الذين أجازوا كالشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في بعض فتاواه ذكر أن الاحتفاظ بها للذكرى هذا ممنوع، فأنا أرى أنه ما يتعلق الإنسان بمثل هذه الصور، لا يتعلق بمثل هذه الصور وفي الحقيقة الإنسان الذي يحب شخص يحبه من قلبه ويدعوا له، أما أن يعلق هذه الصور حتى الذين يعلقونها وينظرون إليها ينظرون إليها فترة ثم يكون وجودها كعدمها، حتى الذين يعلقونها بعد فترة لا تلفت أنظارهم.

باب ما جاء في كثرة الحلف:

هذا الباب يقول: باب ما جاء في كثرة الحلف، قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في كثرة الحلف، وقول الله -تعالى-: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة:٩٨]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب) أخرجاه.

وعن سلمان أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ولا ينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن).

وفيه عن ابن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار).

أراد المؤلف -رحمه الله- بهذا الباب ما جاء في كثرة الحلف بيان أن كثرة الحلف مؤثرة على كمال التوحيد فالذي يحلف بالله كثيرًا، هذا دليل على قلة تعظيمه للمحلوف به، فكثرة الحلف دليل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله -سبحانه وتعالى- ما يقتضي هيبة الحلف به وتعظيم الله -سبحانه وتعالى- وتعظيم الله -عز وجل- هذا من التوحيد، فالذي يكثر الحلف بالله -عز وجل- هذا يدل على أنه يبتدر هذا الاسم ولو كان عنده هيبة وتعظيم لله -عز وجل-، لما أكثر الحلف به -سبحانه وتعالى-، فعقد المؤلف هذا الباب لبيان خطر هذا الأمر، وبيان التحذير منه، قال تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ وحفظ اليمين يكون بأمور، منها: أن الإنسان لا يحلف ابتداءً يعني عدم الحلف يحفظ يمينه على أن يحلف بالله -عز وجل-، يعظم الله -عز وجل- فلا يكثر من الحلف، ومن الحفظ اليمين أيضاً عدم الحنث بها، الإنسان إذا حلف على شيء يلتزم بما حلف به إلا إذا رأى غيرها خيراً منها، فإنه يكفر وهو الثالث فمن حفظ اليمين أن الإنسان إذا أراد أن يحنث أن يكفر عن يمينه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((كلمة غير مفهومة) حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير) فهذا كله مما يدخل في حفظ اليمين كما قال تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ فعلى المسلم أن يحفظ يمينه ولا يحلف بالله إلا صادقاً وإذا حلف صادقاً ولأمر أيضاً ضروري يلتزم بما حلف به ولا يستهين بهذا اليمين العظيم؛ لأن حفظه من تعظيم الله -عز وجل-، حفظ اليمين هو داخل في تعظيم الله -سبحانه وتعالى-، وإجلاله؛ لأنه عقد حلفه على اسم الله -سبحانه وتعالى-.

ثم ذكر المؤلف -رحمه الله- بعد ذلك حديث أبي هريرة النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للكسب) فالحلف منفقة للسلعة، يعني ينفق السلعة، يعني كثرة الحلف تجعل السلعة تذهب وتباع قد يحلف كاذباً ويكثر من الحلف بالله -سبحانه وتعالى- فيصدقه المشتري ثقة بهذا الحلف الذي أيد هذا الشخص بيعه بحلفه بربه، فيجعل الناس يصدقونه لكن النتيجة أن كسبه ممحوق البركة، قد يبيع هذه السلعة ويقبض الثمن، لكن لا يبارك له في هذا الثمن، الذي جعل سببه حلفه بالله -سبحانه وتعالى- وكثرة الحلف بالله لتنفيق السلعة قد يوقع الإنسان في الكذب بأن يوري ويكثر من الحلف ويدخل أشياء ربما يحلف صادقاً أو كاذباً.

بعد ذلك ذكر المؤلف -رحمه الله- حديث سلمان أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ذكر: أشيبط زاني)، يعني رجل كبير قد غطه الشيب، ومع ذلك يزني، هذا عليه عذاب عظيم لماذا؟ لأن الشخص الكبير تضعف عنده الشهوة، فزناه دليل على أن هذه المعصية مترسخة فيه، وبعد ذلك قال: (أشيبط زاني، وعائل مستكبر) يعني عائل فقير مستكبر، الكبر مذموم من الغني والفقير، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، لكنه يعظم حينما لا يوجد سببه، فهذا الفقير كونه فقير ويتكبر دليل على أن هذا الخلق المشين والذنب العظيم متأصل فيه، وأن كبره الذي يعني قد يكون من دواعيه الغنى ومع ذلك ليس عنده هذا الداعي ومع ذلك يتكبر فيضاعف عليه الإثم ؛ لأنه صار عنده هذه المعصية متأصلة.

ثم ذكر الثالث وهو الشاهد: (ورجل جعل الله بضاعته) يعني لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه، يعني جعل الله -سبحانه وتعالى- هو البضاعة له، فيبيع بحلفه وقسمه، ويشتري بحلفه وقسمه، ويكذب ويوري ويغر الناس بهذا الكذب، فهذا جزاؤه أنه لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم؛ لأنه استهان باسم الله - سبحانه وتعالى- ولم يعظم الله -عز وجل- حق التعظيم.

ذكر بعد ذلك حديث عمران بن حصين وهو في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) بعض الروايات قال: لا أدري ذكر قرنين أو ثلاثة، وهذا فيه فضل الصحابة -رضي الله عنهم- وأنهم أفضل الأمة، وأن الصحابة -رضي الله عنهم- أفضل الأمة في العلم والإيمان والأعمال الصالحة والتسابق للخيرات، وفيه فضل القرن الذين بعد الصحابة يعني أيضاً القرن الذين تلقوا العلم عن الصحابة ونشروا الدين.

ثم ذكر بعد ذلك: (قوم قد يشهدون ولا يستشهدون) يعني يشهد أحدهم ولا يستشهد، وجه الذم لهـؤلاء؟ أنهـم يستخفون بأمر الشهادة، يستخف بأمر الشهادة، فتجده يعني يبادر أنه يشهد ولو لم يطلب منه، لاستخفافه بتحمـل الشهادة، لأنه مستخف بتحملها، ولا يرد على هذا حديث: (ألا أخبركم بخير الشهداء) النبـي -صـلى الله عليـه وسلم- يقول في حديث: (ألا أخبركم بخير الشهداء: الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسأله) هذا قال العلماء أنه يـأتي بالشهادة قبل أن يسألها إذا تعينت عليه، أو طلبت منه فإنه يسارع حتى أنه يسارع إلى أدائها أو أنـه يخـاف أن يضيع الحق على صاحبه فيسارع هذا ممدوح، أما الذم الذي في الحديث فهو لأناس يـشهدون ولا يستـشهدون لاستخفافهم بالشهادة، أو ربما يشهدون شهادة الزور، أو لا يهتمون بتحملها، فهذا هو المذموم في الحديث.

ثم قال: (ويخونون ولا يؤتمنون)، الخيانة كون الإنسان يخون الشخص من حيث يأتمنه هذا لا شك أنه دليـل على ذمه لأنه يغدر وهذا من صفات المنافقين.

(وينذرون ولا يوفون) ينذر لله -سبحانه وتعالى- ولا يوفي بنذره وهذا مذموم لا شك ؛ لأن الواجـب علـى المسلم أن يفي بنذره وعهده.

ثم قال: (ويظهر فيهم السمن) وهذا دليل على رغبتهم في الدنيا وشرههم في الدنيا، وإقبالهم على ملاذ الـدنيا ومطاعمها ومآكلها ونحو ذلك، ولا يدخل في ذلك أن يكون عنده هذا السمن خلقةً وليس لأجل إقباله على الـدنيا إنما المقصود بهذا الحديث الذين يكون همهم الدنيا، في حطامها وشهواتها وملذاتها ونحو ذلك، فهذا هو المـذموم في الحديث.

ثم ذكر بعد ذلك المؤلف -رحمه الله- حديث ابن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (خير النـاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال: ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)، يعني تتسابق اليمين مع الشهادة، قال بعض العلماء: لأنه يعني هو يشعر أن الناس ما يصدقونه فلذلك يشهد ويحلـف ويـشهد ويحلف حتى يؤيد كلامه وبعضهم وقيل أن هذا لأنهم لا يبالون بالشهادة ولا باليمين، وكأنه لا يبـالي يـشهد أو يحلف فهو مستخف بهذا وذاك.

ختم المؤلف -رحمه الله- هذا الباب العظيم بذكر هذا القول عن الإمام إبراهيم النخعي أنهم كانوا يـضربون أولادهم على الشهادة وعلى العهد، وفي رواية: أنه قال: كان أصحابنا ينهوننا ونحن صغار، كانوا ينهوننا ونحن صغار عن الحلف بالشهادة والعهد، وهذا إما لأنهم يضربونهم إذا ما وفوا بعهودهم أو أنهم شهدوا بدون علـم أو أنهم ينهونهم عن الإكثار إذا رأوا هذا الصغير يكثر من الحلف والشهادة أو نحو ذلك ينهون ويزجرونه حتـى لا يتعود، حتى لا يتعود فإذا كبر بدأ يستخف بالشهادة والعهد ونحو ذلك، فلذلك كان السلف يؤدبون أولادهـم وهـم صغار حتى يعظمون اسم الله -سبحانه وتعالى-، يعظمون الحلف بالله، يعظمون الشهادة فإذا ما كبر هذا الصغير على هذه التنشئة الطيبة بعد ذلك يتحرز ويتورع ويحسب لها حسابها ويعظم كلام الله -عز وجل-، فلا يحل بكل شيء، ولذلك ينبغي هذه لفتة يعني ينبغي أن نربي أولادنا على هذا الأمر مع الأسف تجد بعض الآباء والأمهات يربي أولاده على العكس تجده أي شيء يقول له: احلف بالله، حتى أمور تافهة، كيف يعني الأب أو الأم بدل أن ينهى ولده عن الحلف تجده يقول: احلف بالله، أو أنت تكذب احلف بالله لأمور تافهة، والواجب عليك أن لا تعوده الحلف بالله بهذه الأمور، وأن تقبل وتعوده على الصدق دون إلجائه إلى الحلف بالله والاسـتهانة باسـم الله والله أعلم.

أسئلة الحلقة القادمة.

فيه هنا سؤالان:

السؤال الأول: ما حكم قول الله واسطتنا؟ ولماذا؟

السؤال الثاني: كيف نجمع بين حديث: (السيد الله) وحديث: (أنا سيد الناس)؟

أسئلة الموقع.

يوجد أسئلة كثيرة يا فضيلة الشيخ تسأل عن التصوير الفوتوغرافي الموجود حالياً وعن أصحاب المحلات وكسبهم في ذلك؟.

ذكرنا نحن الخلاف في ذلك، وذكرنا العلماء أجازوا التصوير الفوتوغرافي للحاجة كالجواز، والبطاقة والشخصية للإثبات، لبعض هذه الأمور التي يحتاجها الناس فهذه جائزة.

أحيانًا فضيلة الشيخ الصورة تكون وسيلة ومدعاة لنشر فساد كبير، يعني قد تستغل هذه الصورة مباحة ووضعها كذا لكنها قد تستخدم استخدام سيء، قد تستغل في أمور سيئة الحكم إذا كان الإنسان يغلب على ظنه أن هذه الصورة قد تنتقل لأناس قد يحصل فيها استغلال لهذه الصور مثل صور النساء أحيانًا؟.

الأمور بمقاصدها بالنسبة لمثل هذه الأمور، أما النساء فقلت أن الأصل أن ينبغي التشدد فيها ويمنع تصوير النساء لأجل أن لا تكون بذلك تسبب مفاسد وكما هو معلوم لدى الجميع ما يحصل من مفاسد كبيرة ومن استغلال بعض السيئين لمثل هذه الأمور، فينبغي التحرز من هذا والتشدد فيه حمايةً لأعراض المسلمات.

تقول: ابنتي تهتم برسم الشخصيات الكرتونية وتسأل فضيلتكم هل هذا التصوير المحرم؟ أما ما أدري برسوم الشخصيات الكرتونية؟.

ماذا إذا كانت هي ترسم فسبق معنا أن الرسم لا يجوز.

يبدوا تشاهد هذه الرسوم، أو تقرأ في قصص لها؟.

بالنسبة للصور في المجلات إذا كان الإنسان يأخذ المجلة لا يقصد الصورة نفسها، وإنما يقصد ما في المجلة فهذه مغتفرة، أما إذا اشتراها لأجل الصور فهذا الذي يُمنع.

تقول: هل التصاوير في أفلام الكرتون وكتب الأطفال، هل المنع أن التصوير يدخل فيه الرسم الكاريكاتير الذي لا يطابق شكل المخلوقات أصلاً؟.

إذا كان فيه رسم لأشياء يعرف أن هذه أحياء سواءً من جنس البشر أو من جنس الحيوانات، فهي داخلة في التحريم.

يقول: ما حكم المقتني للصور سواءً مجسمة أو خلافه، هل له أو عليه وعيد؟.

المجسمة ذكر أن العلماء أفتوا وذكر بعضهم إجماع العلماء على أن المجسمة محرمة، وهي أولى ما يدخل في هذه الأحاديث من تحريم التصوير، فإذا كانت لا يجوز فعلها فلا يجوز اتخاذها كما في القاعدة الشرعية، فما حرم يعني فعله وصنعه حرم اتخاذه والاحتفاظ به، وكذلك التصوير للذكرى كما قال بالنسبة للتصاوير الفوتوغرافية فإن بعض من أجازها منع من الاحتفاظ بها لما في ذلك من التعلق بها والتعظيم، والله أعلم.

فضيلة الشيخ هناك بعض الدعاة وطلبة العلم يتحرج من الظهور أمام الشاشة أمام الكاميرات، رأي فضيلتكم في مثل هذه الأشياء؟.

أنا قلت أن هذه مسألة خلافية منهم من يجيزها بإطلاق، ومنهم من يمنعها بإطلاق، ومنهم من يرى جوازها للحاجة لغلبة المصلحة والفائدة على المضرة، وهناك قاعدة شرعية وهي: أن الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة، الحاجة تنزل منزلة الضرورة، فإذا احتاج الناس إلى مثل هذا الشيء، فإنه ينزل منزلة الضرورة فتكون مباحاً، فلا تثريب على من لا يرى، وله أيضاً رأيه ويحترم رأيه ويقدر، والأصل في التصوير المنع، ولا تثريب على من رأى الجواز، ولا تثريب على من فصل في ذلك، والله أعلم.

يقول: ما حكم التقاط الصور في العرس للزوجين والاحتفاظ بها للذكرى؟.

ذكرناها.

تقول: ما قولكم في لباس الأطفال التي توجد عليها صور، مع أن أغلبة ملابس الأطفال عليها صور؟.

ينبغي الابتعاد عنها، الابتعاد عن الصور والتجار هم يسعون في مصالحهم، فإذا وجدوا أن الناس لا يحبون هذه الملابس التي فيها صور، فإنهم سيصنعون ملابساً بلا صور، والحمد لله يوجد كثير من الملابس بدون هذه الصور التي يعني تؤذي، وربما يكون لها سبب للشر على الطفل.

يقول: ما معنى حديث احتجاج موسى مع آدم -عليهما السلام- بالقدر؟.

هذا حديث احتجاج موسى، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (فحاج آدم موسى، أن آدم وموسى احتجا فقال موسى لآدم -عليهما السلام-: أخرجتنا ونفسك من الجنة، فقال آدم لموسى: أتلومني على شيء قد كتبه الله عليّ قبل أن أُخلق؟! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فحاج آدم موسى)، فآدم احتج بالمصيبة، آدم احتج بالمصيبة وهي إخراجه من الجنة، في أن هذا شيء مكتوب فاحتج بالمصيبة وللشخص أن يحتج بالقدر على المصائب، ولكن ليس له أن يحتج بالقدر على المعائب والمعاصي، فآدم -عليه السلام- ذكر موسى -عليه الصلاة والسلام- بهذه المصيبة التي حصلت له أن هذه مكتوبة والله أعلم.

يقول: القرآن الكريم كلام الله فهل يجوز الحلف به؟ وإذا قلنا بالجواز كذلك بالتوراة والإنجيل؟.

بالنسبة للقرآن يجوز أن يقسم بآيات الله وبالقرآن إذا قصد به الآيات التي هي كلام الله، أما إذا قصد بالقرآن المصحف الأوراق والتجليد والمداد والحبر فهذا لا يجوز؛ لأن هذه مخلوقة نفس هذه الأوراق، أما إذا قصد بقسمه بالقرآن كلام الله، وما فيه من كلام الله، فهذا جائز، فكلام الله صفته، وصفات الله غير مخلوقة، فيجوز الإقسام بصفات الله -سبحانه وتعالى-.

تقول: هل اللغو في الحلف ينقص التوحيد؟.

لا، اللغو هذا الذي يجري على اللسان دون عقد القلب، كقول: "لا والله"، "بلا والله"، دون عقد القلب، فهذا لا يؤثر، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَالله غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥]، فمثل قول الشخص: "بلا والله"، أو ما يجيء على لسانه: "والله ما رأيته"، "والله سأذهب"، ونحو ذلك، وهو لا يقصد حقيقةَ الحلف فهذا لا حرج فيه، والله أعلم.

الدرس السابع عشر

تابع باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

كان من آخر ما تحدثنا عنه في الدرس الماضي عن ما جاء في كثرة الحلف وأن كثرتها تخل بكمال التوحيد؛ لأن الواجب تعظيم اسم الله -سبحانه وتعالى- وأن لا يحلف إلا على أمر مهم وهذا في سياق عدة أبواب ذكرها المؤلف -رحمه الله- في تعظيم الرب -سبحانه وتعالى-، وتعظيم أسمائه وشرعه، ويتواصل الحديث مع بقيــة الأبواب التي لعلنا ننهيها هذا اليوم -إن شاء الله-.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه -صلى الله عليه وسلم-:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وقــول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١] الآية، عن بُريدة قال: (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أَمّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً فقال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلــوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعه إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل مــنهم وكــف منهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهــم إلــى دار المهــاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فــأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله -تعالى- ولا يكونون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمــة الله وذمــة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنك إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم ل) رواه مسلم).

أراد المؤلف -رحمه الله- الإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهّاب -رحمه الله- في هذا الباب باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، بيان تعظيم الذمة والعهد وأن الإنسان يحافظ على هذا، ومن تعظيم الله -عز وجل- تعظيم عهده وذمته، وذكر في بداية هذا الباب قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ المقصود بالأيمان هنا: العهود والمواثيق، لا مطلق الحلف الذي يكفّر، إنما المقصود بذلك العهود والمواثيق التي يعاهد الشخص فيها غيره، فالواجب إتمامها والمحافظة عليها.

ثم ذكر الحديث الطويل حديث بريدة، وفيه: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أَمّرَ أميراً على جــيش أو سرية) السرية هي دون الجيش، ما كان عددها أربعمائة فأقل يسمى سرية، فكان إذا أَمّرَ أميراً يوصيه ومــن معه بتقوى الله ويوصيه بمن معه خيراً، يعني يوصيه بأن يرفق بهم، ولا يشق عليهم ثم بعد ذلك يذكر لهم بعض الوصايا فيقول: (اغزوا بسم الله) يعني اشرعوا في الغزو مستعينين بالله -سبحانه وتعالى- (قاتلوا من كفر بالله) وهذا فيه أنه يقاتل الكفار الذين يكفرون بالله -سبحانه وتعالى-، وخص من ذلك أجناس من الكفار لا يقــاتلون، منهم أهل العهد وأهل الذمة والمستأمنين ونحوهم، وكذلك بعض الأفراد كالشيخ والطفل الوليد، والنساء، والرهبان وغير ذلك كما ورد في بعض الروايات من النهي عن قتل أولئك.

كذلك أيضاً وجههم النبي -صلى الله عليه وسلم- في كيفية المقاتلة وما يحصل قبلها وبعدها قال: (لا تغدرو)، وهذا نهي عن الغدر وهو نقض العهد والميثاق، فالإسلام ينهى عن أن يغدر الشخص وينقض عهده حتى مع عدوه، إذا عاهده عهداً يجب عليه أن يلتزم بهذا العهد الذي عاهده.

(ولا تغلو) أيضاً نهاهم عن الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، وقال: (لا تمثلو) والتمثيل هو تشويه الجسم بقطع الأنف أو قطع الأذن أو نحو ذلك، وهذا من سماحة الإسلام وحكمة تشريعه، وأنه لا يحقد على ذات الصور البشرية ونحو ذلك بل إنما المقصود بذلك فسح المجال أمام دعوة الإسلام وعدم مضايقة الناس في دينهم.

ثم أمره بعد ذلك إذا قاتل هؤلاء أن يدعوهم إلى الإسلام، أول ما يدعوهم يدعوهم إلى أن يؤمنوا بالله ويدخلوا في دين الله، ويدخلوا غير مجبرين؛ لأن الإسلام لا يكره عليه أحد، كما قال تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولكن من أبى الإسلام فله أن يبقى على دينه، ولكن بشرط أن يدفع الجزية والجزية هي مال يؤخذ من الكافر ويعطى للمسلمين جزاء إقراره على أن يبقى على دينه في بلادنا ويدافع عنه ويبقى على دينه، ولكنه يدفع الجزية كما دلت على ذلك النصوص الشرعية.

وأما مَن آمن فإنه يؤمر بالتحول إلى دار المهاجرين وهي المدينة، وهذا كان في أول الأمر يؤمرون بأن يتحولوا حتى يتعلموا الدين ولا يبقون في جفاء البادية مع الأعراب، فإن أبوا فقال: (أخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين) (لهم ما لهم) يعني الغنيمة ونحو ذلك، (وعليهم ما عليهم) من الجهاد والنصرة، وإلا إذا لم يجاهدوا فإن ليس لهم في الغنيمة شيء، إذن هم أقسام منهم من يتحول إلى دار المهاجرين، ومنهم من يبقى ويجاهد، ومنهم من يبقى ولا يجاهد فيسقط حقه مما يُعطى المسلمون من الغنيمة ونحو ذلك.

ثم بعد ذلك وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- الأميرَ أميرَ الجيش أنه إذا حاصر أهل بلد قال: إذا حاصرت أهل بلد فطلبوا منه أن يأخذوا منه عهد الله وعهد رسوله، قال: (فلا تنزلهم على عهد الله وعهد رسوله) لماذا؟ لأن عهد الله وعهد رسوله -صلى الله عليه وسلم- عظيم، ولا يجوز أن ينكث وإن كان العهد كله عظيم لا يجوز أن ينكث، حتى لو إنسان أخذ عهد بدون عهد الله وعهد رسوله، لا يجوز أن ينكثه لكن نكث العهد من عامة المسلمين عهد عامة المسلمين أو عهد أمير المسلمين أهون من نكث عهد الله وعهد رسوله، فالمقصود أنه قد يحصل من بعض جهال المسلمين أنه ينكث أو يخالف فإذا خالف عهد الأمير للمخالفين أهون من أن ينكث عهد الله وعهد رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ثم بعد ذلك قال: (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، فلا تنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك) بمعنى أن الشخص حينما يطلب منه أن يحاكمهم إلى حكم الله وحكم رسوله، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ل) لأنه لا يدري هل يصيبه فيهم حكم الله، وحكم رسوله أم لا؟ ربما يقول: أنا أنزلكم على حكم الله وحكم رسوله ثم لا يحصل له ذلك، أو ربما يتغير الحكم فيقع في المخالفة.

لكن الواجب عليه أن ينزلهم على حكمه وعلى اجتهاده هو واجتهاد أصحابه، وبعض العلماء قال: إن هذا النهي خاص بحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنه الوقت الذي قد تتغير فيه الأحكام وبالنسخ ونحو ذلك، أما بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- واستقرار الشريعة فإن القائد أو الأمير إذا طلب منه حكم الله وحكم رسوله، فيمكن أن ينزلهم على حكم الله وحكم رسوله، بحسب اجتهاده، فيقول: أنا أحكم بينكم بحكم الله وحكم رسوله على ما أرى وعلى ما أجتهد وحسب اجتهادي حتى لو أخطأ في اجتهاده فإنه لا لوم عليه؛ لأن الحاكم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر على اجتهاده، فلا يقطع بأن هذا حكم الله، وحكم رسوله، ولكن يقول: هذا فيما أرى أو حسب اجتهادي ونحو ذلك، فيبتعد عن المحذور الذي قد يقع من المخالف وعدم إصابة حكم الله وحكم رسوله.

والمقصود بهذا الباب إجمالاً تعظيم عهد الله وعهد رسوله وتعظيم الذمة، وتعظيم عهد الله -عز وجل- هذا من تعظيم الله، ومن تمام التوحيد وكمال التوحيد فالإنسان يعرف عهد الله وعظمته، فلا يجعل عهد الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يكون هو ما بينه وبين خصومه؛ لأنه قد يخالف فيقع في إثم أعظم، في نقض العهد وكونه أيضاً متعلق بالله -سبحانه وتعالى-.

باب ما جاء في الإقسام على الله:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في الإقسام على الله: عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله -عز وجل-: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك) رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)).

(
)

هذا الباب العظيم الذي عقده المؤلف -رحمه الله- في ما يتعلق بالإقسام على الله، بالحلف على الله والإقسام على الله أن يحلف أن الله يفعل كذا، أو أن الله لا يفعل كذا، وهذا أمر عظيم لأن فيه حكم وتحكم، وذكر فيه المؤلف حديث جندب بن عبد الله: (أن رجل) وفي بعض الروايات: (رجل عابد) قال: (والله لا يغفر الله لفلان) هو رأى هذا الرجل يقع في بعض المعاصي، وبعض الذنوب، فأخذه الغيرة وقال: (والله لا يغفر الله لفلان) أقسم أن لا يغفر الله له، قال الله -سبحانه وتعالى-: (من ذا الذي يتألى عليّ) والتألي هو الحلف، الآلية الحلف، الله -عز وجل- يقول: (من ذا الذي يتألى عليّ) من ذا الذي يحلف علي: (أن لا أغفر لفلان) من ذا الذي يحكم علي ويحلف أني لا أغفر لفلان: (إني قد غفرت له وأحبطت عملك) فالله -سبحانه وتعالى- أخبر أنه قد غفر لهذا الشخص المنكر عليه، هذا الشخص العاصي وأحبط عمل هذا العابد، انظر كيف حبط عمله بكلمة قالها؟ كما قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: (كلمة أوبقت دنياه وآخرته) فهذه الكلمة أحبطت أعماله وأهلكت حسناته، فلم تنفعه عبادته؛ لأنه تألى على الله -سبحانه وتعالى- وحلف أن لا يغفر الله لفلان، فغفر الله لفلان وأحبط عمل هذا العابد المغرور.

ونأخذ من هذا الحديث: أن الشخص ما يغتر بعمله، ولا يفتخر بعمله، ولا يدلي بعمله على الله -سبحانه وتعالى-، كما يؤخذ من هذا الحديث أيضاً أن على الشخص أن يضبط عباراته، وأن يتحرى في أقواله، ولا يطلق أقواله بدون بصيرة، وأيضًا على الإنسان ألا يحلف على الغيب، لا يحلف على غيب الله -سبحانه وتعالى-، ويتألى على الله ويحلف على الله، أنه سيفعل أو أنه لا يفعل.

وعلى الإنسان أيضاً أن يضبط غيرته؛ لأن بعض الناس قد تحمله الغيرة للدين أو الغيرة على حرمات الله فيقول كلاماً محرماً، يقول كلاماً أعظم من هذا الذنب، فالغيرة لا بد أن تكون مضبوطة بضوابط الشريعة، وهذا الشخص لم يضبط غيرته، وأنكر إنكاراً غير مشروع، والواجب على الإنسان حتى في إنكاره على المخالفين وحتى في إنكاره على العصاة وعلى أهل البدع، وعلى المخالفين يجب عليه أن يضبط أقواله وأفعاله وكتاباته وتصرفاته، يضبطها بضابط الشرع، لا يكفي كونه حسن النية أو يريد الخير أو يريد الانتصار للدين، أو نحو ذلك، هذا لا يكفي، ولا يبيح له أن يرتكب ما حرم الله في هذا السبيل؛ لأن هذا من العدوان ومن الظلم ومن البغي، فلا يجوز للإنسان أن يبغي في أقواله ولا أعماله على المخالفين وعلى العصاة وعلى أي شخص أن

يتعدى حدود الله وما حرم الله حتى على الكافر، وسبق معنا في الحديث السابق النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تمثلو) يعني الكافر هو كافر تقتله ولا يجوز أن تمثل بجسده تقطع أنفه وكذا، هذا لا يجوز مع أنه كافر، ويجوز أن تقتله، لكن كل شيء له حدود كل شيء لا بد يكون مضبوط بالشرع.

فهذا الشخص حينما قال: (والله لا يغفر الله لفلان) وهذا قاله لشخص عاص، لكنه تجاوز في الإنكار حتى وقع في هذه المصيبة وهذه البلية العظيمة التي أحبطت دنياه وآخرته ومن ذلك ما يجري على ألسنة كثير من الناس قد يقول بعض الناس: فلان لن يغفر الله له، أو فلان والله لن يدخل الجنة، هذا لم يدخله الله الجنة، أو بعض الناس يقول: هذا لا بد أن يدخل النار، والله سيدخل النار، وهو حي، حتى لو كان حي كافر، لا يجوز أن تقسم على الله أن فلانا سيدخل النار؛ لأنك ما تدري هل يهتدي أو يموت كافراً، نحن نؤمن بأن كل كافر سيدخل النار، لكن هذا الشخص الحي تقطع وتحلف بالله أنه سيدخل النار، أنت تحكم على الغيب، وكأنك تحكم على الخاتمة التي لا تدري بما يختم له، فلا يجوز أن تقول: والله ليدخلن الله فلان الجنة، أو والله ليدخلن فلان النار بعينه، أو تقول: والله لن يهتدي فلان، فلان والله لن يدخل الإسلام، أو لن يهتدي، أو والله سيموت ضالاً.

كل هذه من التألي على الله ومن التجاوز في حدود الله، فالواجب على الإنسان أن يتقي الله وأن لا يطلق لسانه هذه الإطلاقات التي توقعه في الحرام وربما تحبط عمله كما في هذا الحديث.

والإقسام على الله يمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقسم على الله بما أخبر الله -سبحانه وتعالى- على سبيل العموم، فهذا جائز، كأن يقول: والله ليدخلن الله المؤمنين الجنة، أو والله ليدخلن الله الكافرين النار، هذا يعني إقسام على شيء وارد في الكتاب والسنة وليس هذا من التحكم على الله -سبحانه وتعالى- بل هذا قول بمقتضى ما أخبرنا الله -سبحانه وتعالى-.

الأمر الثاني أو القسم الثاني: أن يقسم على الله بدافع قوة الرجاء، قوة رجائه بالله -سبحانه وتعالى- وحسن ظنه فهذا جائز، كما حصل في قصة أنس بن مالك لما أقسم أن لا تكسر ثنية الربيع عمته، فبر الله قسمه، وجعل أولياء هؤلاء يعفوا ويصفحوا، فهذا من قوة يقينه بالله -سبحانه وتعالى-، ويدل على ذلك حديث: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)، مثل ما ورد، الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (والله لننصرن، والله لينصرن الله دينه) ونحو ذلك مما فيه حسن ظن بالله وقوة رجاء بالله فهذا جائز.

الأمر الثالث والأخير: أن يقسم على الله بدافع الغرور والإعجاب بالنفس، فهذا حرام وهذا هو يدخل في هذا الحديث؛ لأن فيه أيضاً تحجر على رحمة الله -سبحانه وتعالى-، وتحكم على الله وعلى غيب الله، أن يقول: والله لا يغفر الله لفلان، والله ليدخلن الله فلان النار، أو ليدخلن فلان الجنة، أو لا بد أن يفعل الله كذا، هذا كله من التحكم على الله إذا كان مصدره الإعجاب بالنفس أو الحكم على غيب الله -سبحانه وتعالى- والمقصود أن الإنسان يحذر من أن يحلف ويقسم على الله -سبحانه وتعالى-، بأمر يخالف الشرع، أو بدافع العجب والغرور، والله أعلم.

باب لا يستشفع بالله على خلقه:

هذا المصنف يقول في هذا الباب: (باب لا يستشفع بالله على خلقه، عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: (جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس وجاع العيال وهلك الأموال، فاستسقي لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، وذكر الحديث) رواه أبو داود).

هذا الباب في النهي عن أن يُستشفع بالله على أحد من خلقه، والاستشفاع أن يجعل الشخص شفيعاً يعني واسطة يجعل شافع الشفاعة هي التوسط لدى الغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، فلا يجوز الاستشفاع بالله على أحد من خلقه، وذكر المؤلف هنا حديث جبير بن مطعم، الذي رواه أبو داود وغيره، وهذا الحديث وإن كان تكلم في إسناده بعض العلماء وضعفوه إلا أن بعض العلماء قواه كابن القيم -رحمه الله-، ومعنى الحديث صحيح.

هذا الشخص الذي أتى للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: (نهكت الأنفس وجاع العيال) فطلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يستسقي يعني يطلب من الله السقيا، قال: (فإنا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك على الله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: سبحان الله سبحان الله) يعني يتعجب ويستعظم من هذه الكلمة، أي كلمة: (نستشفع بالله عليك) أو (نستشفع بك على الله)؟ المستشنعة: (نستشفع بالله عليك) يعني ما يجعل الله واسطة، لكن نستشفع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته بمعنى أننا نطلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته أن يدعو فهذا جائز، كما يطلب من غيره من الأحياء بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- يطلب من الشخص أن يدعو الله، أما المستنكر فهو قوله: (نستشفع بالله عليك)، فهذا هو الذي سبح النبي -صلى الله عليه وسلم- لأجله واستعظم هذا الأمر، والتسبيح يأتي لاستعظام الأمر، إما إعجاباً وتأييداً، وإما إنكاراً واستنكاراً وردا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- استنكر هذه الكلمة الشنيعة، وقال: (سبحان الله سبحان الله) يعني أنه يعظم الله -سبحانه وتعالى- (إن شأن الله أعظم من ذلك)، شأن الله أعظم من أن يستشفع به، أن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه لماذا؟.

لأن الشافع عادة يكون أقل من المشفوع عنده، في العادة يكون أقل من المشفوع عنده، فلهذا نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذه اللفظة؛ لأن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، الله -عز وجل- يحكم ويقدر ويأمر ويخلق، ولا يستشفع عند أحد من خلقه -سبحانه وتعالى-، الله أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يأمر خلقه، هو الذي خلق الخلق وأعمالهم، وهو الذي يدبرهم، وهو الذي يصرفهم، فكيف يستشفع به على أحد من خلقه؟! هذا لا شك أنه من الجهل ومن عدم قدر الله حق قدره، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن شأن الله أعظم من ذلك) أعظم -سبحانه وتعالى- شأنه أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، أو أن يتكلم بهذا الكلام؛ لكمال عظمته وكبريائه، وحكمته، وتمام خلقه -سبحانه وتعالى-، فلا يستشفع به على أحد من خلقه، بل يدعى هو سبحانه، ويسأل بأن يقضي هذا الأمر أو أن يغيث أو نحو ذلك، ولا يطلب منه أن يستشفع به على أحد من خلقه، فالناس عليهم أن يدعوا الله -عز وجل-، أو يطلبوه من المخلوق أن يدعوا لهم، واستشفاع الصحابة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان في حياته، أما بعد موته فلا يستشفع بالنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الأموات لا يدعون كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، فلا يجوز لشخص يدعو ميتاً أو غائباً وإنما يطلب من الحي أن يدعو الله -عز وجل-، ولا يجوز له أن يستشفع بالله على أحد من خلقه، بل يطلب من الله -سبحانه وتعالى- ويسأله ويدعوه مباشرة فإن شأن الله أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، وليس هناك مخلوق يأتي في منزلة الله فضلاً عن أن يقدم على الله -سبحانه وتعالى-.

أسئلة الدرس الماضي.

السؤال الأول: ما حكم قول: الله واسطتنا ولماذا؟.

يقول: هذه القولة لا تجوز؛ لأن فيها تنقص لله -جل وعلا-؛ لأنه جعل مرتبة الله -عز وجل- أدنى من مرتبة المشفوع لديه، الله -عز وجل- أعظم من أن يكون شافعاً ولقد أنكر النبي -صلى الله عليه وسلم- على الأعرابي لما قال له: (نستشفع بالله عليك) أي نجعله واسطتنا لتدعو الله لنا.

وكذلك الأخ الكريم يقول: حكم قول: "الله واسطتنا" غير جائز؛ لأن الله أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، والدليل قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: (سبحان الله أتدري ما الله؟! إن شأن الله أعظم من ذلك، لا يستشفع بالله على أحد).

إجابة السؤال الثاني: كيف نجمع بين حديث: (السيد الله) وحديث: (أنا سيد الناس)؟

يقول: يجمع بينهما من وجوه:

الأول: أن معنى الحديث الأول وهو: (السيد الله) هذا يفيد العموم؛ لأن "ال" تفيد العموم، أي أن الله -عز وجل- له السيادة المطلقة وأن السيد المضاف يكون باعتبار المضاف إليه مثل: "سيد بني فلان".

الثاني قوله -صلى الله عليه وسلم-: (السيد الله) حتى لا يُظن أنه من جنس المضاف؛ لأن سيد كل شيء من جنسه، ولذلك لم ينهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قولهم: "أنت سيدنا" فحديث: (أنا سيد الناس) هذه سيادة خاصة مضافة، وحديث: (السيد الله) هذه سيادة عامة لله -جل وعلا- غير مضافة.

الأخ الكريم يقول عن هذا السؤال إجابة: قوله: في الحديث: (السيد الله) أي أن الله -تبارك وتعالى- السيد العزيز مالك الملك والذي بيده ملكوت كل شيء فهو الإله المتفرد بتصريف الأمور، أما قوله في الحديث: (أنا سيد الناس) -عليه الصلاة والسلام-، أي من عباد الله المخلوقين فأنا من اصطفاه الله -تبارك وتعالى- من خلقه، والحديثان لا يتنافيان ولكن يثبتان الملك والسيادة، والسطوة لله والاصطفاء لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-.

نعم، ما ذكره الإخوة جيد وصحيح، والسؤال الذي كنا سألناه قول: الله واسطتنا، وتبين أن هذا لا يجوز، وإنما الحقيقة كان التركيز عليه؛ لأن هذه كلمة منتشرة عند بعض الناس، حينما يسأل بعض الناس: هل لديك واسطة يعني في الجهة الفلانية أو كذا؟ يقول: لا، أنا واسطتي الله، أو ما عندي واسطة إلا الله، أو الله واسطتنا ونحو ذلك، هذه كلمة شنيعة وقبيحة لا يجوز أن تستعمل ؛ لأن الله -عز وجل- لا يتوسط به عند أحد من خلقه، بل الله -عز وجل- له الحكم وله الأمر وله الكبرياء والعظمة فلا يجوز أن نتوسط به عند أحد من خلقه، وكما سبق معنا في الباب السابق.

أما بالنسبة للجمع بين الحديثين فما ذكره الإخوان أيضاً صحيح، ولعلنا نأتي إليه في الباب القادم.

باب ما جاء في حماية النبي -صلى الله عليه وسلم- حمى التوحيد وسده طرق الشرك:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في حماية النبي -صلى الله عليه وسلم- حمى التوحيد وسده طرق الشرك: عن عبد الله بن الشخير -رضي الله عنه- قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله -تبارك وتعالى-، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: (أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله -عز وجل-) رواه النسائي بسند جيد).

وهذا الباب العظيم الذي ذكره المؤلف -رحمه الله تعالى- وعنه أن له بما جاء في حماية المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حمى التوحيد، وسده طرق الشرك، ليبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حمى حمى التوحيد، يعني حمى الحمى فمن باب أولى، أن يكون حمى التوحيد نفسه، والحمى هو الشيء الخارج عن الشيء، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- حمى حمى التوحيد بسد كل طريق يقدح فيه، أو وسيلة تخدشه ونهى عن ذلك، وذكر المؤلف -رحمه الله- تحت هذا الباب حديثين كأمثلة لهذه القاعدة.

ذكر أولاً حديث عبد الله بن الشخير أنه قال: (انطلقت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في وفد بني عامر فقالوا له: أنت سيدن) يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم-: (أنت سيدن) فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (السيد الله) ما قال: لا ليست بسيدكم، إنما قال: السيد الله، وهذا له معنى، حيث إنه لم يكذبهم في هذا القول وإنما أرشدهم إلى المعنى الأعظم الذي ينبغي أن لا يغيب عنهم، وخاف من أن يستدرجهم الشيطان وأيضًا هذا من تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن أدبه، وهو سيد ولد آدم -صلى الله عليه وسلم- لكنه من تواضعه، ومن أدبه أراد أن يعلقهم بالتوحيد فقال لهم: (السيد الله).

ثم إنهم بعد ذلك بعد أن قال لهم: (السيد الله)، قالوا: (وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طول) يعني أنت يا رسول الله (أفضلنا فضل) يعني فضلك أعظم من فضلنا، وطولك أعظم من طولك، يعني شرفك وعظمتك وحسبك وغناك أفضل منا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لما سمعهم يقولون هذا الكلام خاف أن يستجرينهم الشيطان، وأن يتوسلوا بعد ذلك أو يتوصلوا إلى شيء أعظم، فقال: (قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) يعني قولوا بقولكم الأول، سيد أو نحو ذلك لا يستجرينكم الشيطان يجعلكم تجرون وراءه أو يجركم إلى ما لا يجوز من الأقوال التي توقعكم في الشرك أو الغلو أو نحو ذلك، فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على هذه الألفاظ التي قد تكون سبباً للوقوع في الغلو الذي يكون سبباً للوقوع في الشرك بالتعظيم غير المشروع.

ثم ذكر المؤلف -رحمه الله- حديث أنس -رضي الله عنه- وفيه: (أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدن) (خيرن) هو صح، النبي -صلى الله عليه وسلم- خيرنا، لكن (ابن خيرن) هذا يعني فيه نظر، إلا إذا قصدوا في النسب ونحو ذلك، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سمعوا قالوا: (يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدن) كذلك (ابن سيدن) أيضاً هذه فيها نظر فقال: (أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان) فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك وخاف أن يستهويهم الشيطان وأن يقعوا في الحرام ويجرهم إلى ما يهواه عدوهم من الوقوع في الشرك، والتوسل إلى أنواع الانحراف عن العقيدة.

ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أنا محمد عبد الله ورسوله) أرشدهم إلى اللفظة الصحيحة، وقال: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله) فالنبي -صلى الله عليه وسلم- هنا أرشدهم إلى اللفظة الأفضل والأحسن والأكمل، وأيضًا خاف أن يصلوا ويتوسلوا ويجرهم الشيطان بهذه العبارات إلى الوقوع في الشرك المخرج من الملة، إذا تجاوزوا ولذلك كما في الحديث الآخر النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله).

فهنا نهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الوقوع في الغلو، في العبارات التي إذا استرسلوا فيها وقعوا في الشرك، وقد وقع في الشرك قوم من هذه الأمة، بسبب هذا الإطراء غير المشروع، فالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو رسول الله وهو أفضل الناس وهو سيد الناس، ومع ذلك نهاهم عن أمر جائز، أو أنه يعني صرفهم إلى ما فهي سلامتهم، وقال: (السيد الله) مع أنه سيد ولد آدم، خوفاً من أن يقعوا في الشرك، لكن من الناس من لا

يبالي، فغلا في النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى وقع في الشرك والعياذ بالله، كما حصل من كثير من الناس، ومن ذلك قصيدة البوصيري المشهورة التي يتلوها أصحاب الموالد في المولد النبوي وفيها يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك

عند حلول الحادث العمم

يقول: أنت يا رسول الله ما لي من ألوذ به سواك، يعني لا يمكن أن ألوذ بأحد إلا بك، فهنا نسي اللوذ بالله -سبحانه وتعالى-، ثم قال:

إن لم تكن يوم المعاد آخذاً بيدي *** فضلاً وإلا فقل يا ذلة القدم

وإن من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلم

إلى غير ذلك من الأبيات التي فيها غلو، قال:

إن لم تكن يوم المعاد آخذاً بيدي *** فضلاً وإلا فقل يا ذلة القدم

يقول: أنت يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن لم تأخذ بيدي فسأذل وسأهلك، يعني ينسى التعلق بالله -عز وجل- هذا من الغلو، ثم قال:

وإن من جودك الدنيا وضرتها

يعني الآخرة ضارة الدنيا الآخرة، يقول: من جودك يا رسول الله، الدنيا والآخرة، يعني أنت يا رسول الله تملك الدنيا والآخرة، يعني تملك الجنة والنار، والحساب والعقاب، كأنه جعله في مقام الله -عز وجل-.

ومن علومك علم اللوح والقلم

يقول: مما تعلمه أنت يا رسول الله: تعلم ما في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ فيه كل شيء، ومعنى هذا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم الغيب على كلامه، فهذا مما استجرهم الشيطان، استهواهم حتى وقعوا في الغلو الذي نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) يعني النصارى قالوا: أن عيسى هو الله، وابن الله، فوقعوا في الغلو حتى أنهم عظموه وجعلوه إلهاً، (ولكن قولوا: عبد الله ورسوله) والعجيب الغريب أنك تجد من بعض الغلاة يفهم هذا الحديث حديث: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) فهماً معوجاً مغلوطاً، فيقول معناه: أنكم لا تجعلوني مثل عيسى ابن مريم، تجعلوني الله وابن الله، لكن اجعلوني بعد ذلك ما شئتم، وكما قال قائلهم:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم *** واحكم بما شئت فيهم واحتكم

أنت فقط اترك قول النصارى أنه الله وابن الله، وبعد ذلك قل ما شئت في نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، فهذا لا شك أنه من الغلو، النبي -صلى الله عليه وسلم- ينهى عن الغلو وينهى عن الإطراء ويقول: (إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) ويأتي هؤلاء يقولوا: الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم الغيب، يعلم ما كان وما سيكون، الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتصرف في الكون، الرسول -صلى الله عليه وسلم- يدخل الجنة، وينجي من النار، سبحان الله، الله -عز وجل- يقول في كتابه: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ثم يأتي هؤلاء الغلاة الجفاة الذي يغلون في المحبة حتى يقعون في الشرك والعياذ بالله ويزعمون أنهم يحبون الله رسول الله.

والعجيب أن من تدبر أحوال هؤلاء الغلاة الذين يزعمون أنهم يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- من تدبر أحوالهم، وجدهم من أبعد الناس عن تطبيق السنة، تجده من أبعد الناس عن تطبيق سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، لا يهتمون بالسنن، ويتعلقون بأحاديث ضعيفة وموضوعة، ويتركون أحاديث صحيحة وثابتة ويجهلون السنة، تجدهم يتمسكون ببدع وخرافات ويتمسكون بأشياء استحسانات من عقولهم، ويتركون ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فهذا من استهواء الشيطان لهم، ومما حذر منه النبي -صلى الله عليه وسلم.

بقي أن نشير إلى ما ذكره الإخوة من الجمع بين حديث (السيد الله) وحديث: (أنا سيد ولد آدم) كما ذكر الإخوة أن النبي هنا إما أن يقال للكراهة هنا للأدب والنبي -صلى الله عليه وسلم- نهاهم أو وجههم توجيهاً آخر أدباً وتواضعاً والإباحة للجواز، أو أن النهي حيث تخشى المفسدة، النهي عن قول: (السيد) حيث تخشى المفسدة بالتدرج إلى الغلو، والإباحة إذا انتفت تلك المفسدة، ومن المفاسد التي قد تحصل أنه إذا كان الشخص يخاطب مباشرة فلا يقال له: السيد ونحو ذلك، ولكن إذا لم يكن مخاطباً فهذا جائز.

إذن يجوز إطلاق السيد على المخلوق بشروط:

الشرط الأول: ألا يطلق به السيادة المطلقة؛ لأن السيادة المطلقة هي لله -سبحانه وتعالى-.

والشرط الثاني: ألا يترتب على ذلك مفسدة من الغلو من القائل أو من الغرور من المقول فيه، إذا قال: أنت السيد، يعني سيد بني فلان أو أنت سيد القبيلة الفلانية أو نحو ذلك.

الأمر الثالث: أن يكون من أطلق عليه لفظ السيادة مستحقًّا لها حتى لا يكون كذب، أنه سيد إذا كان فعلاً هو سيد شرف وسؤدد ونحو ذلك، ولذلك لا يجوز أن يطلق هذا اللفظ على المنافق كما ورد في الحديث: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله) حديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح، فلا يطلق هذا اللفظ إلا على من يستحقه.

وقبل أن ننهي الكلام على هذا الحديث أحب حقيقة التنبيه وهذا فيه إشارة إلى أن الإنسان يضبط ألفاظه في المدح، في المدح لا يتجاوز حتى في مدح عامة المخلوقين، يعني عرفنا أن ما حصل في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو موجه إليه أفضل الخلق، وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما دونه من باب أولى أن لا يعظم ويمدح فوق ما يستحق، كما يحصل من كثير من أولئك الناس سواءً من الشعراء في أشعارهم أو من المداحين الكذابين الذين يتملقون ويمدحون بشيء ليس بصحيح أو لا يجوز في حق المخلوق، تجد بعضهم يبالغ في المدح حتى يجعل بعض المخلوق مثل الخالق، ينسب إليه كل خير يحصل للناس، وربما ينصب إليه التصرفات الكونية، وأنه يستطيع أن يتصرف في الكون ونحو ذلك أو ممن يمدحون الأولياء بعض الأولياء في بعض القصائد يجعلوهم في مصاف الربوبية فهذا كله محرم، سواءً وصل إلى الشرك أو ما دون ذلك، إذا كان فيه غلو ومبالغة، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لمَا سمع رجلاً يمدح أخاه قال: (ويلك قطعت عنق

صاحبك) وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم: (إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التـــراب) ؛ لأن هـــؤلاء المداحين مخالفين للمنهج النبوي، وقد ضروا من مدحوه، وهناك كلمة قالها أحد المتقدمين جيدة يقول: « أقذع في ذمك من مدحك بما ليس فيك »؛ لأنه ينبئ عن نقصك، فإذا قال: أنت فيك كذا وكذا، وأنت تعلم، والذي يسمع يعلم أن هذا ليس فيك، كأنه يقول: أنت ينقصك كذا وكذا، وفي الحقيقة ما يفرح بالمدح على غير الحـــق إلا الـــسفهاء والأطفال والجهال هم الذين يصدقون من يمدحهم بغير حق.

وإذن المادح ينبغي أن يضبط عباراته، والممدوح أيضاً ينبغي أن يكون له في رسول الله -صـــلى الله عليـــه وسلم- أسوة حسنة، فإذا مدح وبولغ في مدح، ورفع فوق منزلته، عليه أن يوقف هذا المداح، وأن يرد عليه وأن يوجهه إلى التوجيه الصحيح، وأن يتواضع بدل أن يتكبر ويتعاظم ويصدقه فيما يقول عليه أن يوجهه وأن ينهـــاه عن هذه المبالغة حتى لا يقع في الإطراء الكاذب، والله أعلم.

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ ......﴾:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَـــقَّ قَـــدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأراضين على إصبع والشجر على إصـــبع، والمـــاء علـــى إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: (... والجبال والشجر على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله).

وفي رواية للبخاري: (... يجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقال: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟).

وروي عن ابن عباس قال: (ما السماوات السبع والأراضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلـــة فـــي يـــد أحدكم).

قال ابن جرير: حدثني يوسف أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس).

قال: وقال أبو ذر -رضي الله عنه-: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (مـــا الكرســـي فـــي العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض).

وعن ابن مسعود قال: (بين السماء والدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء والسابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) أخرجه ابن مهدي.

عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- قال: وله طرق، وعن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله -سبحانه وتعالى- فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم) أخرجه أبو داود وغيره).

).

المؤلف -رحمه الله- ختم هذا الكتاب العظيم بهذا الباب العظيم، والباب الذي يدل على عظمة الله -سبحانه وتعالى- وتعظيم قدره -عز وجل- فترجم له بهذه الآية باب ما جاء في قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]، فالله -سبحانه وتعالى- له العظمة المطلقة له الكمال المطلق، لا عظيم أعظم من الله -سبحانه وتعالى-، وكل عظمة تتصاغر أمام عظمة الله -عز وجل-، ذكر هنا جملة من الأحاديث تدل على عظمته -سبحانه وتعالى- وجملةً تدل على عظمة بعض مخلوقاته التي تدل على عظمة خالقها، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق -عز وجل-.

ذكر حديث ابن عباس وفيه: أنه جاء حبر من الأحبار حَبر أو حِبر من الأحبار، وهو العالم من علماء اليهود فذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- خبراً وقال: (يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأراضين على إصبع، والماء على إصبع، والشجر والجبال على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) وطبعاً فيه عدة روايات في ذكر الماء والثرى والجبال والشجر المهم أن هذه كما وردت في بعض الروايات كل منها بعضها يكون على إصبع أو وسائر الخلق على إصبع والنبي -صلى الله عليه وسلم- لما سمع هذا الخبر من هذا اليهودي وأن الله -عز وجل- حينما يضعها يقول: أنا الملك فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- تصديقاً لكلام هذا الحبر، النبي -صلى الله عليه وسلم- ضحك تصديقاً لهذا الكلام، وتأييداً لهذا الكلام، وإلا لو كان إنكاراً لا يمكن النبي -صلى الله عليه وسلم- يسمع شيء فيه تنقص وفيه كذب ثم يضحك ويسكت، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما ورد مصرحاً فيه في بعض الروايات أنه ضحك تصديقاً لكلام هذا قول هذا الحبر، وقرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك هذه الآية: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فهذه الآية ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- تصديقاً لكلام هذا الحبر من أحبار اليهود.

ذكر المؤلف -رحمه الله- عدة روايات في هذا المعنى تدل على عظمة الله -سبحانه وتعالى- وأن هذه المخلوقات كلها من سماواتها وأرضها وجبالها وأشجارها وأنهارها وسائر ما فيها كلها يعني تكون صغيرة وحقيرة في جنب الله -سبحانه وتعالى-، ثم ذكر حديث مسلم عن ابن عمر مرفوعاً قال: (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)، انظر كيف أخذ السماوات السبع كلها في يده ويقول: (أين الجبارون؟ أين المتكبرون، ثم يطوي الأراضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) وفي هذا تقريع للمخلوقين الذي يتكبرون ويتجبرون وهم أصاغر، الله -عز وجل- يأخذ الأرض بمن عليها ويهزها ويقول: (أنا الملك، أين ملوك الأرض؟) فهذا يدل على عظمة الله -سبحانه وتعالى-، وعلى أن الإنسان مهما بلغت عظمته فهو لا شيء في عظمة الله الخالق، -سبحانه وتعالى-.

كل هذا يدل على أن الشخص حينما يسمع هذه الآثار يعظم الله -عز وجل- حق التعظيم وحينما يسمع أيضاً هذه الآثار التي فيها بيان لعظمة بعض المخلوقات، يعلم عظمة خالقها، هنا ذكر المؤلف بعض الآثار وإن كان بعضها فيه ضعف، ولكنها تدل على عظمة هذه المخلوقات، منها: الأثر الذي يدل على عظمة الخالق. قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) وهذا ورد عن ابن عباس وروي وإن كان في إسناده ضعف.

وذكر أيضاً الحديث المرسل: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة) السماوات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، فهذا يدل على صغر هذه السماوات في جنب الكرسي، ثم انظر بعد ذلك الأثر الذي بعده، قال: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة حديد ألقيت في أرض فلاة) يعني السماوات في الكرسي كدراهم سبعة ترس، الكرسي في العرش كحلقة ألقيت في أرض فلاة، يعني لا شيء في الصغر فيدل على عظم عرش الرحمن -سبحانه وتعالى- وهو مخلوق من مخلوقات الله فكيف بالخالق -سبحانه وتعالى-.

تقول: إذا أذنت لي يا شيخ في سؤالين:

السؤال الأول: عندما نقول: والله إن النصر لله وللرسول وللإسلام وللمسلمين، أو عندما نقول: والله لن يخذلنا الله، أو نقول: والله لن يخيب ظننا ربنا إذا أحسنا ظننا فيه... هل مثل هذه الأدعية تتعارض مع التحجر على رحمة الله سبحانه؟

السؤال الثاني: عندما نجد النفس مثلاً تحفظ شيء من القرآن أو تحافظ على الصلاة أو النوافل وتحافظ على بصرها وسمعها من الحرام أمتدح نفسي مثلاً وأحدثها هل هذا يدخل في الافتخار والإعجاب بالنفس؟

بينك وبين نفسك أختي الكريمة؟.

نعم، أمتدح نفسي يعني مثلاً أشعرها بأني أحسن من غيري ولله الحمد؟.

يقول: يا شيخ عندي بعض الأسئلة:

السؤال الأول: بالنسبة للإقسام على الله -عز وجل-، القسم الجائز، لأن يا شيخ عندي فيه لبس ما أدري إيش معناه بالضبط ثم إني يا شيخ هل يليق بالمؤمن التقي أن يقسم على الله -عز وجل- وإن كان هذا القسم جائز؟.

السؤال الثالث في التطير: مَنّ الله -عز وجل- علي بالتوبة في تاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٤٢٠ فأنا أقدر هذا الرقم، ٢٦، ١٢، ٢٠ ؛ لأن فيه تاريخ التوبة، فمثلاً لو قال لي شخص اختر رقم مثلاً، أقول: رقم ٢٦ ؛ لأن فيه تاريخ التوبة، فالآن يا شيخ هل يعتبر من التطير؟ وكذلك يا شيخ في مثلاً في إحدى الشهور مثلاً منّ الله -عز وجل- علي بنعم كثيرة ستر الله علي مثلاً بالزواج وبالسيارة في أشياء كثيرة فأنا أقدر فهل يكون يا شيخ فيه تطير أم لا؟.

السؤال الأخير: بالنسبة لفك السحر بالسحر حكمه يا شيخ وخصوصه من يقول بالجواز ويتكلمون فيه، هل في ذلك وجه، وما هو الشيء المضبوط فيه؟.

وآخر فقرة نصيحة يا شيخ في توجيه لطالب العلم لاسيما في هذه الأجازة الصيفية؟

سؤال الأخت:

تقول: بالنسبة باب ما جاء في المصورين، قلتم فضيلتكم أن من الأبواب المجمع على تحريمها، تجسيم التماثيل وغيرها، الدمى معروفة أنها ورد أنها كان هناك دمى تلعب بها السيدة عائشة -رضي الله عنها- مصنوعة من القطن، لكن الآن بولغ في هذه الدمى وهذه الألعاب، بحيث أنها أصبحت مجسمة جدًّا وكأنها مشابهة للإنسان الواقعي يتحرك ويتكلم، فما حكم هذه التصاوير؟ وهذه اللعب؟ أيضاً أحياناً بعض الأقناع تلبس على الوجه وفيه تجسيم للوجه وفيها شعر ما حكم ذلك؟

سؤال آخر: باب ما جاء في الإقسام على الله هناك المسألة الخامسة، بودي لو أعرف ما الرابط بينها وبين الباب؛ لأن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه؟.

عفواً أختي الكريمة: ممكن تعيدين السؤال الأخير؟.

السؤال الأخير: باب ما جاء في الإقسام على الله: ذكر الكتاب المسألة الخامسة، أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه كيف نربط بين هذه المسألة والباب؟

تقول: إذا جاء شخص يشرح حديث: (السماوات في قبضة الرحمن) يحرك يديه وأصابعه فهل هذا تشبيه؟.

السؤال الثاني: (اللهم اجعلني خيراً مما يعلمون، واغفر لي ما لا يعلمون) هل يكون هذا الدعاء الشخص الممدوح؟

السؤال الثالث: حكم قول: ما هو الشيء الذي لا يعلمه الله على شكل لغز؟.

أبدأ فضيلة الشيخ بالأخت الكريمة تسأل تقول: والله إن الله سينصر دينه، سينصرنا، لن يخذلنا الله -سبحانه وتعالى- تسأل عن ذلك؟.

طيب أنا أحب أن أختم الباب، الحديث الأخير الذي فيه (ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام) وذكر فيه المؤلف -رحمه الله- حديثين وبين السماء السابعة والعرش خمسمائة عام، وكما ذكر المراتب، (والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) هذه الآثار كلها والأحاديث تدل في الحقيقة على عظمة الله -عز وجل-، كل ما كان الإنسان أعظم تعظيماً لله كان أكمل توحيداً فإن تعظيم الله -عز وجل- دليل على كمال التوحيد وكمال الإيمان واستشعار حقيقة قدر الله -عز وجل-، وهناك أشياء في الحقيقة تنافي كمال التعظيم، أو كمال قدر الله حق قدره، منها ما سبق معنا من الظنون السيئة، الظنون السيئة بالله -عز وجل- هذه تتنافى مع تقدير الله حق قدره، أن يظن أن الله يعذب أولياءه أو أن الله ينعم أعداءه، أو أن الله -سبحانه وتعالى- لا ينصر دينه.

كذلك من المهم التنبيه إلى أن من يرتكب المعاصي، يفعل معاصي الله يترك الواجبات يفعل المحرمات لا يلتفت إلى الأوامر يؤدي أو قد يؤدي الواجبات تأدية كما يقال باردة باهتة لا روح فيها، يجعل لله فضول الأوقات في التعبدات، يتعبد الله وقت الكسل ويجعل وقت النشاط والصفاء لأمور دنياه ما يعطي عن الله -عز وجل- ودين الله إلا فضول أوقاته، هذا كله مما يتنافى مع كمال هذا التعظيم.

فمن تعظيم الله -عز وجل- تعظيم شرعه، تعظيم أوامره تعظيم نواهيه، الاستشعار الغاية من الخلق، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالإنسان حينما يستشعر هذا يعظم الله -عز وجل-، وإذا

عظم الله استصغر كل عظيم في جنب الله -سبحانه وتعالى-، يستصغر الدنيا وما يعظمه الناس، وما يتعلقون به؛ لأنه ينظر إلى عظمة الله -عز وجل-، بما يشاهده من آياته -سبحانه وتعالى-، وبما يتدبره من أسمائه وصفاته ومما جاءت في النصوص الشرعية، فعلى المسلم أن يستشعر هذه الأمور وأن يتعبد الله -عز وجل- ويتدبر مثل هذه النصوص التي فيها إثبات أيضاً عدة صفات كإثبات صفة العلو وإثبات صفة الكمال والقدرة والقـوة وغيـر ذلك، يثبتها على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى-، ويستشعر هذه المعاني ليكمل إيمانه ويعظم توحيده.

الأسئلة هذه نحاول نجيب عليها بسرعة.

تقول: حينما يقول الإنسان: والله لن يخذلنا الله، إن النصر للمؤمنين؟.

هذا من حسن الظن بالله -عز وجل-، هذا لا يدخل في الإقسام المنهي عنه، بل هذا في الإقـسام المـشروع، ولذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- حينما تتأزم أمورهم في معركة من المعارك يقولون لأنس بن نضر: يا أنس أقسم على الله، وكان معروفاً أن الله -عز وجل- يبر قسمه، فيقول: والله لننصرن، فينـصرهم -سـبحانه وتعالى-، فمن حسن الظن بالله أن يقول: والله إن الله لن يخذلنا إن الله -سبحانه وتعالى- أقـسم بـالله أن الله -سبحانه وتعالى- سيعيننا هذا من حسن الظن بالله -عز وجل-، حتى ورد عن شيخ الإسلام -رحمه الله- أنه في معركة أظنها شقحب حينما أراد أن يجاهدون قال: والله لننصرن، يقول له أصحابه: قل إن شاء الله فيقـول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، فإذا كان الدافع للإقسام على الله حسن الظن بالله -عز وجل- والثقة بنصره ووعده فهذا جائز.

تقول: لدي أربعة أسئلة: السؤال الأول: فيه واحد ذهب إلى الساحر وقال تلقون -إن شاء الله- بنتكم يعني هي مخطوفة.

فيه واحد ذهب عندنا للساحر (كلمة غير مفهومة) عمها البنت، قال ليه تلقون بنتكم المخطوفة عند (كلام غير مفهوم) كذا وكذا الساحر الذي يقوله، هل يجوز عند خطف البنت الذهاب إلى الساحر؟.

السؤال الثاني: هل يجوز صوم الثلاثاء والأربعاء مثل الأيام العادية؟

السؤال الرابع: أقل الوتر ركعة أو ثلاث ركعات أو أكثر؟.

الأخت الكريمة تسأل عن قضية أحياناً تعزيز الإنسان لنفسه يعني وخطاب أو حوار داخلي يجري أحياناً بين الإنسان ونفسه، أنا الحمد لله كذا أنا وضعي كذا من باب التعزيز؟.

على كل حال الإنسان إذا عمل عملاً يحبه الله يحمد الله -عز وجل- على أن يسر له هذا العمل ويـسأل الله المزيد من فضله، ولكن ليحذر الغرور والإدلاء بعمله على الله، وعلى الإنسان أن ينظر إلى من هو فوقه، ومـن هو أحسن منه، ومن هو أفضل منه حتى لا يغتر بعمله، وحتى لا يتوقف عند مرحلة معينة، بل عليه أن يزيد كما ورد عن بعض السلف إبراهيم الحربي يقول: « صاحبت الإمام أحمد عشرين سنة صيفاً وشتاءً وليلاً ونهاراً فما رأيته يوماً إلا وهو متقدم عليه بالأمس » هو كل يوم يزيد من العمل الصالح، فالإنسان ما يغتر يعني ربما يغتر؛ لأنه يرى من حوله مقصرين ثم يقول: أنا أحسن منهم، بل عليه أن يتطلع إلى من هو أفضل منـه سـواءً مـن مجتمعه، أو حينما يقرأ كلام السلف حتى يزري على نفسه ويرى أنه مقصر في جنب الله.

أحياناً يا شيخ الناس مع هذه الضغوط ومع هذه الغفلة بحاجة إلى أن يجري مثل هذا الحوار السريع مع نفسه من باب تعزيزها وكذ.

أنا قلت يعني يحمد الله -عز وجل- الإنسان ويسأل الله المزيد ولكن لا يكون هذا الحوار سبب للتوقف؛ لأنه خلاص أنا مرحلة جيدة وخلاص لن يزيد، بل عليه أن يتطلع إلى الأفضل دائماً.

الأخ الكريم يسأل عن الإقسام على الله -عز وجل-، يقول كذلك يسأل عن التطير الإقسام على الله -عز وجل- كأنه أشار إلى عدم فهمه لما ذكرتم؟.

النوع الجائز كما قلنا أنه إذا كان على ثقة بالله وبنصر الله وبوعد الله وحسن ظن بالله هذا جائز، أما إذا كان غرور الشخص يقسم على الله غرورا أو تأليًا وتعاليا هذا هو المحرم.

يسأل أنه يتفاءل بأحداث طيبة أو كذا مرت به بحياته وارتبط هذا الرقم.

هو غريب يعني يقول أنا فهمت أنه تاب من التطير؛ لأنه عرض التوبة في تاريخ معين فبدأ يعني يعظم هذا التاريخ.

يقول أنا أحب هذا التاريخ.

ما ينبغي؛ لأن هذا بداية للإنسان أنه يتعلق بتاريخ معين أو برقم معين أو نحو ذلك، فهذا يعني حقيقة منهي عنه، وبالمناسبة أنا سمعت في برنامج قبل أيام في بعض الإذاعات وهناك يعني عجوز يتصلون بها وتطلب منهم تاريخ الميلاد أو اسم المرأة واسم خطيبها ثم عندها يبدوا برنامج فتعطيهم من هذه الغرائب وهذه العجائب وهذه التخرصات أنها ستكون كذا وأنها ستكون كذا، وهذا من التنجيم ومن الكهانة، فينبغي البعد عنه، والنهي عنه.

يسأل كذلك عن فك السحر بالسحر؟.

سبق ذكرنا هذا في الأبواب الأولى وأن هذا لا يجوز حتى لو ورد عن البعض أن هذا يجوز للضرورة ونحو ذلك فالصواب والذي دلت عليه النصوص الشرعية: أنه لا يجوز؛ لأن السحر كفر، ومن رضي بالكفر فهو كافر.

الأخت الكريمة تسأل عن ما ذكرته فيما جاء في المصورين وأن التماثيل كانت على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- الضابط الشرعي لذلك؟.

هي تذكر عن الدمى هذه التي كانت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وعند عائشة أو الصور من العهن أو لعب الأطفال كما ذكر بعض العلماء أن هذه ليست كالتصاوير الموجودة هنا، إنما كانت يعني شكل عام أو جسم عام ليس فيه هذه التصوير الصريح بالصور التي نراها، وحتى أن بعضها الآن بدأ يتكلم وبعضها نحو ذلك فهذا يبدوا لي أنه يختلف عن ما كان من قبل، حتى ربما لو سألنا آباءنا وأجدادنا كانوا يفعلون آباءنا وأجدادنا كانوا يفعلون لأولدهم شيء من قطع القماش ويلعبون بهم فالبنت تتعلم تربية الصغار من صغرها ونحو ذلك، لكن ليس مثل هذه الصور وينبغي ألا نعلق أولادنا بهذه الصور وينشأوا على التعلق بها.

تسأل كذلك عن الأقنعة التي تلبس أحياناً على الوجه؟.

كذلك يعني ما ينبغي هذه الأقنعة في الغالب أنها تكون أحياناً أقنعة حيوانات، كيف يرضى الإنسان أن يتشبه بالحيوانات، وما فيه أيضاً من التصوير، فينبغي البعد عنها.

كذلك الأخت الكريمة تسأل عن في قبضة الرحمن حينما يقول: (السماوات والأرض) ويشير الإنسان بيده؟.

ورد في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر يعني أن الله -عز وجل- يقبض السماوات والأرض ويهزهن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني هز حتى تحرك المنبر، حتى قالوا إنه يخر، فهذا يجوز إذا قصد منه تحقيق الصفة، كما سبق معنا في مسألة السمع والبصر، ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وضع إبهامه والسبابة على العين والأذن لتحقيق هذه الصفة لا للتشبيه، ليس تشبيهًا للصفة بالصفة، ولكن لتحقيق أن هذه الصفة حقيقية أو أن الهزة حقيقة وليس تشبيه للصفة أو للموصوف.

كذلك تسأل عن قول: « اللهم اجعلني خيراً مما يظنون »، حينما يسمع الإنسان..؟.

هذا ورد عن أبي بكر -رضي الله عنه- أنه إذا مُدح كان يقول: « اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون » هذا ورد عن أبي بكر -رضي الله عنه- ويمكن الإنسان أن يقوله من باب أنه يبين لهم أن الإنسان قد يكون عنده أشياء لا تعلمونها، فهذا ورد عن أبي بكر -رضي الله عنه- والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) لكن لا يلزم أن يكون هذا ديدنك كل ما يمدح.

الأخت الكريمة تسأل عن حينما توجد يحصل حدث معين كذا ضربت مثال أو قالت: بنت مخطوفة وأرشدهم الساحر إلى أنها في مكان كذا وذهب إلى هذا الساحر بخصوص هذا الموضوع؟.

أنا فهمت أنها رأت رؤيا أنهم تذهبون إلى الساحر ويبين لكم كذا فهل يجوز الذهاب إليه، لا يجوز الذهاب للسحرة كما سبق معنا؛ لأن السحر يعني من الكفر كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فلا يجوز لنا أن نعين هؤلاء على الكفر وما فيه من التعلق بهؤلاء وعبادة الشياطين ونحو ذلك؛ لأن هذا قد تكون هذه الرؤيا أيضاً من الشيطان، لأجل أن يغري الناس بالذهاب للسحرة.

تسأل عن صيام الثلاثاء والأربعاء تخصيص هذه الأيام؟.

تخصيص الثلاثاء والأربعاء هذا لم يرد، لكن إذا كان الإنسان يعني يصوم كمطلق الصيام، يجوز أن يصوم الثلاثاء والأربعاء كصيام مطلق يجوز، ولاسيما أيضاً أو يسن إذا وافقت أياماً يسن صيامها، كما لو وافقت مثلاً يوم مثلاً عرفة أو الأيام البيض أو نحو ذلك.

أقل الوتر تسأل: هل هو ركعة؟.

قال العلماء: أقل الوتر ركعة، وأدنى الكمال ثلاث.

الأخت الكريمة تقول: في حديث بريدة قوله: (إذا لقيت عدوك فادعهم إلى ثلاث خصال) ما المقصود بهذه الخصال؛ لأنه عقب بعدها بقوله: (ثم ادعهم إلى الإسلام)؟.

هم في الحقيقة الحديث (ثم ادعهم إلى الإسلام) هذه (ثم) أوقعت لبس، لكن الصواب حذفها، وقد ورد في رواية أبي داود بدون (ثم) فالحديث: (ادعهم إلى الإسلام)، فالدعوة إلى الإسلام هي أول الخصال الثلاثة، الإسلام ثم الجزية ثم المقاتلة، فـ (ثم) هذه الصواب حذفها كما ذكر أهل العلم.

الأخت الكريمة تقول: تشكر الله -سبحانه وتعالى- على أن يسر هذه الدروس في هذه الدورة الأكاديمية، تشكر لكم فضيلة الشيخ ما قدمتم فيها، قامت بكتابة بعض الأدعية لكم تقول: أسأل المولى الكريم -سبحانه وتعالى- أن يجزيك عنا خير الجزاء، تقول: كما أشكره لما قدمه لنا من الدروس بينت وكشف وأنارت لنا طريقًا

كنا نجهله فالحمد لله من قبل ومن بعد، سائلينه أن يبارك لشيخنا في علمه وعمره ووقته وأهله وماله وولده، تسأل فضيلة الشيخ عن ماذا يجب على طالب العلم في هذه الإجازة المقبلة أن يشغل وقته فيه؟ وأن يستغله الاستغلال الأمثل؟.

جزاها الله خيراً وبارك فيها والوصية كما أيضاً أشار الأخ المتصل قبل قليل في استثمار الإجازة الصيفية في طلب العلم؛ لأن الناس -سبحانه وتعالى- في وقت للدراسة وفي وقت العمل يكونوا مشغولين بأعمالهم، ولكن الإجازة فرصة عظيمة لمن أراد أن يطلب العلم، وإن كان طلب العلم ليس له وقت، بل كما قال الإمام أحمد: « من المحبرة إلى المقبرة أو حتى المقبرة » فالإنسان يطلب العلم دائماً، ولكن هذه الإجازة لا شك أنها فرصة عظيمة لمن أراد أن يحفظ ويقرأ ويكتب ويسأل حتى يزيد علمه بالشريعة ويقوى إيمانه حينما يتعرف أيضاً أكثر على هذا الدين، فأنا أوصي حقيقة جميع الإخوة والأخوات ببذل قصارى جهدهم في طلب العلم وفي سؤال أهل العلم حتى يتفقهوا في دينهم؛ لأننا حقيقة بأمس الحاجة لاسيما في هذا العصر مع كثرة الشبهات وكثرة القنوات وكثرة المتكلمين إلى الفقه في الدين، فقد ورد أنه يعني في آخر الزمان يكثر الخطباء ويقل الفقهاء، يكثر القراء ويقل الفقهاء، فعلينا أن نقرأ وأن نتعلم وأن نسأل وأن نتفقه ونسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

فضيلة الشيخ بعد نهاية هذه الدورة من هذه الأكاديمية لا شك الإنسان خاصة طلاب شرح كتاب التوحيد اكتسبوا من المعلومات ومن المهارات الشيء الكثير حول هذا الموضوع غاية الأهمية، ماذا تقول للإخوة والأخوات طلاب الأكاديمية الإسلامية وكذلك المشاهدين والمشاهدات، في أن ينزلوا هذا العلم منزلة الواقع في الدعوة إلى توحيد الله -عز وجل-، في نبذ بعض المظاهر التي يرونها وكيفية التعامل مع هذه المظاهر الشركية التي يرونها، وكذلك المخالفين لجناب التوحيد؟.

أحسنت حقيقة هذا تنبيه مهم جدًّا وهو أن الإنسان حينما يتعلم هذه الأمور في تقرير التوحيد أو في التحذير من الشرك عليه أن يهم أولاً ويصلح نفسه، ثم أن يصلح من حوله ومجتمعه، لكنا بحاجة إلى الأسلوب الطيب، المشكلة أن بعض الناس يكون عنده علم لكن لا يكون عنده بصيرة وفقه في الدعوة، نحن بحاجة إلى أن نحبب التوحيد إلى الناس، نحن بحاجة إلى أن ننشر عقيدة التوحيد الصحيحة، وليس نشرها بإقامة الحجة فقط، يعني بعض الناس يهم أن يقيم الحجة على هذا الشخص، أنت مخالف، أنت مبتدع، أنت ضال، كذا فعلك غير مطابق للشرع ونحو ذلك ثم يقطع عليه الصلة بينه وبينه، وهو يقول: أنا أقمت الحجة يهتدي أو لا يهتدي لا يهمني، نقول: هذا غير صحيح، عليك أن تكون ليناً رفيقاً حليمًا صابرًا عليك أن يهمك أن يهتدي هذا الشخص أكثر من أن يهمك أن تقيم عليه الحجة وتتركه؛ لأن إقامة الحجة هي تعريف المريض بمرضه فقط، لكن ليست هي العلاج.

فعلينا جميعاً حقيقة أن نسلك الأسلوب الطيب، حتى هذا الشخص المبتدع، ليس الغرض أن نصل إلى أن نقرر أنه مبتدع، أو أنك تبدعه تبدع آباءه وأجداده ومشايخه وعلماءه هذا غير صحيح؛ لأنه لن يتقبل منك؛ لأنه يثق بأناس قد يكونون هم مخطئين أو كذا، يثق بهم أكثر مما يثق بك أنت، عليك أن تتلطف معه وأن تتودد وأن تسعى إلى أن تكسب ثقته حتى بعد ذلك يعني تعطيه من الأدلة ومن الكتاب والسنة ما ينيره ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينير بصائرنا وأن يسدد خطانا وأن يوفق المسلمين لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.